

ألف ليلة وليلة

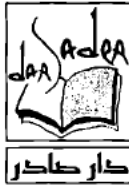


جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999 م

الطبعة الثانية 1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص . ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270 Tel: 910340

e-mail: dsp@darsader.com

Alf Laylat wa-Laylat 1/2

p.1490 - s. 17.5x25 cm

ISBN 978-9953-13-666-0



9 789953 136660

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الباقي وكل من عليها فان . العظيم الذي حارت لإدراك كنه صفاته العقول والأذهان . خالق الخلق ومسبب الأسباب ومكوّن الأكوان . وصلى الله على سيدنا محمد سيّد ولد عدنان ، وعلى آله وأصحابه في كل وقت وأوان . وبعد ، فإن الله تعالى من عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته دبر الأشياء والأمور وحكم بتغيّر الأزمان والدهور ، وجعل حديث الأوّلين عبرة للآمم الآخرين ليعتبروا بما مضى ولينظروا إلى الفضاء . فمن الأحاديث اللطيفة والحكايات الظريفة ، الكتاب المسمّى بألف ليلة وليلة وما فيه من الحكايات الغريبة والنكات والنبذ العجيبة التي تشتاق لسماعتها النفوس ولا يجالسها عبوس . وهو في الحقيقة جدير بأن يكتب ولو بالذهب وليس في ذلك من عجب . وهو هذا الكتاب النفيس الذي نحن بصدده حتى وصلنا إلى العقد الثالث من نظم درره بعدما تمّت شهرزاد بنت الوزير من الليالي بعد الخمسمائة ستّاً وثلاثين وكمّلت حكايات حاسب كريم الدين . قالت : وليس هذا بأعجب من حكاية السندباد . قال : وكيف ذلك ؟

52 - حكاية سندباد البحري

قالت : بلغني أنه كان في زمن الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد ، رجل يقال له : السندباد الحمّال . وكان رجلاً فقير الحال يحمل باجرته على رأسه . فاتفق له أنه حمل في يوم من الأيام حملة ثقيلة ، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ ، فتعب من تلك الحملة وعرق واشتدّ عليه الحرّ ، فمرّ على باب رجل تاجر قدّامه كنس ورش وهناك هواء معتدل ، وكان بجانب الباب مصطبة عريضة . فحط الحمّال حملته على تلك المصطبة ليسترريح ويشم الهواء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الحمّال لما حطّ حملته على تلك المصطبة ليسترريح ويشم الهواء ، خرج عليه من ذلك الباب نسيم رائق ورائحة زكية ، فاستلذّ الحمّال لذلك وجلس على جانب المصطبة ، فسمع في ذلك المكان نغم أوتار وعود وأصواتاً مطربة وأنواع إنشاد معربة ، وسمع أيضاً أصوات طيور تناغي وتسيح الله تعالى باختلاف الأصوات وسائر اللغات ، من قماري وهزار وشحارير وبلبل وفاخت وكيروان . فعند ذلك تعجّب في نفسه وطرب طرباً شديداً ، فتقدّم إلى ذلك الباب فوجد داخل البيت بستناً عظيماً ونظر فيه غلماناً وعبيداً وخداماً وحشماً وشيناً لا يوجد إلا عند الملوك والسلاطين . وبعد ذلك هبت عليه رائحة أطعمة طيبة زكية من جميع الألوان المختلفة والشراب الطيب . فرفع طرفه إلى السماء وقال : سبحانك يا رب يا خالق يا رازق ، ترزق منّ تشاء بغير حساب . اللهم إني أستغفرك من

فلما كانت الليلة
537
كانت الليلة

جميع الذنوب وأتوب إليك من العيوب. يارب لا اعتراض عليك في حكمك وقدرتك فإنك لا تسأل عما تفعل وانت على كل شيء قدير. سبحانه تُغني مَنْ تشاء وتُفقر مَنْ تشاء وتُعزّز مَنْ تشاء وتُذل مَنْ تشاء، لا إله إلا أنت. ما أعظم وما أقوى سلطانك وما أحسن تدبيرك، قد أنعمت على مَنْ تشاء من عبادك. فهذا المكان صاحبه في غاية النعمة، وهو متلذذ بالروائح اللطيفة والمآكل اللذيذة والمشارب الفاخرة في سائر الصفات. وقد حكمت في خلقك بما تريد وما قدرته عليهم. فمنهم تعبان ومنهم مستريح ومنهم سعيد ومنهم من هو مثلي في غاية التعب والذل. وأنشد يقول: [من المتقارب]

الظِّلُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَخْصُهُ	فَظِلُّ الشَّقِيِّ كَمَا هُوَ ظِلِّي
وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ	وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حَمَلِي
وَعَيْرِي سَعِيدٌ بِلَا شَقْوَةٍ	وَمَا حَمَلَ الدَّهْرُ يَوْمًا كَهَمَلِي
يَنْعَمُ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا	بِسِنِّطٍ وَعِزٍّ وَشَرْبٍ وَأَكْلِ
وَكُلُّ الْخَلَائِقِ مِنْ نُطْفَةٍ	أَنَا مِثْلُ هَذَا وَهَذَا كَمِثْلِي
وَلَكِنَّ شَتَانَ مَا بَيْنَنَا	وَشَتَانَ مَا بَيْنَ خَمْرٍ وَخَلِّ
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ فِرْيَ	فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلِ

فلما فرغ السندباد الحمّال من شعره ونظمه أراد أن يحمل حملته ويسير إذ قد طلع عليه من ذلك الباب غلام صغير السن حسن الوجه مليح القدّ فاخر الملابس، فقبض على يد الحمّال وقال له: ادخل كَلّم سيدي فإنه يدعوك. فأراد الحمّال الإمتناع من الدخول مع الغلام فلم يقدر على ذلك. فحطّ حملته عند البواب في دهليز المكان ودخل مع الغلام داخل الدار؛ فوجد داراً مليحة وعليها أنس ووقار، ونظر إلى مجلس عظيم فنظر فيه من السادات الكرام والموالي العظام، وفيه من جميع أصناف الزهر وجميع أصناف المشموم، ومن أنواع النقل والفواكه وشيئاً كثيراً من أصناف الأطعمة النفيسة، وفيه مشروب من خواص دوالي الكروم، وفيه آلات السماع والطرب من أصناف الجوّاري الحسان كل منهم في مقامه على حسب الترتيب. وفي صدر ذلك المجلس رجل عظيم محترم قد لكزه الشيب في عوارضه، وهو مليح الصورة حسن المنظر وعليه هيبة ووقار وعز وافتخار. فعند ذلك بهت السندباد الحمّال وقال في نفسه: والله إن هذا المكان من بقع الجنان أو أنه يكون قصر ملك أو سلطان. ثم إنه تأدّب وسلّم عليهم ودعى لهم وقبل الأرض بين أيديهم ووقف وهو منكس رأسه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد الحمّال لما قبل الأرض بين أيديهم ووقف وهو منكس الرأس متخشع، فأذن له صاحب المكان بالجلوس فجلس. وقد قربّه إليه، وصار يؤانسه بالكلام ويرحب به. ثم إنه قدّم له شيئاً من أنواع الطعام المفتخر الطيب النفيس. فتقدم السندباد الحمّال وسمّى وأكل حتى اكتفى وشبع وقال: الحمد لله على كل حال. ثم إنه غسل يديه وشكرهم على ذلك. فقال صاحب المكان: مرحباً بك ونهارك

فلما كانت الليلة
تتم
538
تتم

مبارك، فما يكون إسمك؟ وما تعاني من الصنائع؟ فقال له: يا سيدي، إسمي السندباد الحمّال، وأنا أحمل على رأسي أسباب الناس بالأجرة. فتبسّم صاحب المكان وقال له: أعلم يا حمّال أن اسمك مثل اسمي، فأنا السندباد البحري. ولكن يا حمّال قصدي أن تسمعي الأبيات التي كنت تنشدها وأنت على الباب. فاستحي الحمّال وقال له: بالله عليك لا تؤاخذني فإن التعب والمشقة وقلة ما في اليد تعلّم الإنسان قلة الأدب والسفه. فقال له: لا تستحي فأنت صرت أخي، فانشد الأبيات فإنها أعجبتني لما سمعتها منك وأنت تنشدها على الباب. فعند ذلك أنشده الحمّال تلك الأبيات فأعجبته وطرب لسماعها وقال له: يا حمّال أعلم أن لي قصة عجيبة، وسوف أخبرك بجميع ما صار لي وما جرى لي من قبل أن أصير إلى هذه السعادة وهذا المكان إلا بعد تعب شديد ومشقة عظيمة وأهوال كثيرة. وكم قاسيت في الزمن الأول من التعب والنصب. وقد سافرت سبع سفرات، وكل سفرة لها حكاية عجيبة تحيّر الفكر، وكل ذلك بالقضاء والقدر وليس من المكتوب مفرولاً مهرباً.

الحكاية الأولى وهي أول السفرات. إعلموا يا سادة يا كرام أنه كان لي أب تاجر وكان من أكابر الناس والتجار، وكان عنده مال كثير ونوال جزيل، وقد مات وأنا ولد صغير وخلف لي مالاً وعقاراً وضياعاً. فلما كبرت وضعت يدي على الجميع وقد اكلت أكلاً مليحاً وشربت شرباً مليحاً، وعاشرت الشباب وتجملت بلبس الثياب ومشيت مع الخلان والأصحاب، واعتقدت أن ذلك يدوم لي وينفعني، ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان. ثم إنني رجعت إلى عقلي وأفقت من غفلتي فوجدت مالي قد مال وحالي قد حال، وقد ذهب جميع ما كان معي ولم استفق لنفسي إلا وأنا مرعوب مدهوش. وقد تفكّرت حكاية كنت أسمعها سابقاً وهي حكاية سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام في قوله: ثلاثة خير من ثلاثة: يوم الممات خير من يوم الولادة، وكلب حيّ خير من سبع ميت، والقبر خير من القصر. ثم إنني قمت وجمعت ما كان عندي من آثار وملبوس وبعته، ثم بعث عقاري وجميع ما تملك يدي. فجمعت ثلاثة آلاف درهم، وقد خطر ببالي السفر إلى بلاد الناس. وتذكّرت بعض كلام الشعراء حيث قال: [من الوافر]

بَقْدَرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّكَايَ وَيَحْظَى بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدِّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمِحَالِ

فعند ذلك هممت فممت واشترت لي بضاعة ومتاعاً وأسباباً وشيئاً من أغراض السفر، وقد سمحت لي نفسي بالسفر في البحر. فنزلت المركب وانحدرت إلى مدينة البصرة مع جماعة من التجار، وشرنا في البحر مدة أيام وليال. وقد مررنا بجزيرة بعد جزيرة ومن بحر إلى بحر ومن بر إلى بر، وفي كل مكان مررنا به نبيع ونشتري ونقايط بالبضائع فيه. وقد انطلقنا في سير البحر إلى أن وصلنا إلى جزيرة كأنها روضة من رياض الجنة، فأرسل بنا صاحب المركب على تلك الجزيرة ورمى مراسيها ومدّ السقالة. فنزل جميع من كان في المركب في تلك الجزيرة وقد عملوا لهم كوانين وأوقدوا فيها النار واختلقت أشغالهم. فمنهم من صار يطبخ ومنهم من صار يغسل

ومنهم من صار يتفرّج ، وكنت أنا من جملة المتفرّجين في جوانب الجزيرة ، وقد اجتمعت الركاب على اكل وشرب ولهو ولعب . فبينما نحن على تلك الحالة وإذا بصاحب المركب واقف على جانبها ، وصاح بأعلى صوته : يا ركّاب السلامة ، أسرعوا واطلعوا إلى المركب وبادروا إلى الطلوع واتركوا أسبابكم واهربوا بأرواحكم وفوزوا بسلامة أنفسكم من الهلاك . فإن هذه الجزيرة التي أنتم عليها ما هي جزيرة ، وإنما هي سمكة كبيرة رست في وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت مثل الجزيرة ، وقد نبتت عليها الأشجار من قديم الزمان . فلما أوقدتم عليها النار أحسّت بالسخونة فتحرّكت ، وفي هذا الوقت تنزل بكم في البحر فتغرقون جميعاً . فاطلبوا النجاة لأنفسكم قبل الهلاك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 539
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن رئيس المركب لما صاح على الركّاب وقال لهم : اطلبوا النجاة لأنفسكم قبل الهلاك واتركوا الأسباب . وسمع الركّاب كلام ذلك الرئيس ، أسرعوا وبادروا بالطلوع إلى المركب وتركوا الأسباب وحوادثهم ودسوتهم وكوائنهم . فمنهم من لحق المركب ومنهم من لم يلحقها ، وقد تحرّكت تلك الجزيرة ونزلت إلى قرار البحر بجميع ما كان عليها ، وانطبق عليها البحر العجاج المتلاطم بالأمواج . وكنت أنا من جملة من تخلف في الجزيرة ، فغرقت في البحر مع جملة من غرق . ولكن الله تعالى أنقذني ونجّاني من الغرق ورزقني بقصعة خشب كبيرة من التي كانوا يغسلون فيها ، فمسكتها بيدي ورببتها من حلوة الروح ورفصت في الماء برجليّ مثل المجاذيف ، والأمواج تلعب بي يميناً وشمالاً . وقد نشر الرئيس قلاع المركب وسافر بالذين طلع بهم في المركب ولم يلتفت لمن غرق منهم . وما زلت أنظر إلى ذلك المركب حتى خفي عن عيني وأيقنت بالهلاك . ودخل عليّ الليل وأنا على هذه الحالة ، فمكثت على ما أنا فيه يوماً وليلة وقد ساعدني الريح والأمواج إلى أن رست بي تحت جزيرة عالية وفيها أشجار مطلة على البحر ؛ فمسكت فرعاً من شجرة عالية وتعلقت به بعدما أشرفت على الهلاك ، وتمسّكت به إلى أن طلعت إلى الجزيرة فوجدت في رجليّ خدلاً وأثر أكل السمك في بطونهما ، ولم أدر بذلك من شدة ما كنت فيه من الكرب والتعب . وقد ارتميت في الجزيرة وأنا مثل الميت وغبت عن وجودي وغرقت لي دهشتي ، ولم أزل على هذه الحالة إلى ثاني يوم وقد طلعت الشمس عليّ وانتهت في الجزيرة فوجدت رجليّ قد ورمنا فصرت على ما أنا فيه ، فتارة أزحف وتارة أحيو على ركبتني . وكان في الجزيرة فواكه كثيرة وعيون من الماء العذب ، فصرت أكل من تلك الفواكه . ولم أزل على هذه الحالة مدة أيام وليال ، ولقد انتعشت نفسي وردّت لي روحي وقويت حركتي ، وصرت أتفكّر وأمشي في جانب الجزيرة وأتفرّج بين الأشجار على ما خلق الله تعالى . وقد عملت لي عكازاً من تلك الأشجار أتوكأ عليه ، ولم أزل على هذه الحالة إلى أن تمشيت يوماً من الأيام في جانب الجزيرة فلاح لي شبح من بعد فظننت أنه وحش أو أنه دابة من دواب البحر . فتمشيت إلى نحوه ولم أزل أتفرّج عليه وإذا هو فرس عظيم المنظر مربوط في جانب الجزيرة على شاطئ البحر ، فدنوت منه فصرخ عليّ صرخة عظيمة ، فارتعبت منه وأردت أن أرجع ، وإذا برجل خرج من تحت الأرض وصاح عليّ وتبعني وقال لي : من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وما سبب وصولك إلى هذا المكان ؟ فقلت له : يا سيدي أعلم

اني رجل غريب، وكنت في مركب فغرقت انا وبعض من كان فيها فرزقني الله بقصعة خشب فركبتها وعامت بي إلى أن رمتني الامواج في هذه الجزيرة. فلما سمع كلامي امسكني من يدي وقال لي: إمش معي. فسرت معه فنزل بي في سرداب تحت الأرض، ودخل بي إلى قاعة كبيرة تحت الأرض وأجلسني في صدر تلك القاعة وجاء لي بشيء من الطعام، وأنا كنت جائعاً فأكلت حتى شبعت واكتفيت وارتاحت نفسي. ثم إنه سألني عن حالي وما جرى لي، فأخبرته بجميع ما كان من أمري من المبتدأ إلى المنتهى فتعجب من قصتي. فلما فرغت من حكايتي قلت: بالله عليك يا سيدي لا تؤاخذني فانا قد أخبرتك بحقيقة حالي وما جرى لي، وأنا اشتهي منك أن تخبرني من أنت؟ وما سبب جلوسك في هذه القاعة التي تحت الأرض؟ وما سبب ربطك هذه الفرس على جانب البحر؟ فقال لي: أعلم اننا جماعة متفرقون في هذه الجزيرة على جوانبها، ونحن سياس الملك المهرجان وتحت ايدينا جميع خيوله، وفي كل شهر عند القمر نأتي بالخيول الجياد ونربطها في هذه الجزيرة من كل بكر، ونختفي في هذه القاعة تحت الأرض حتى لا يرانا احد. فيجيء حصان من خيول البحر على رائحة تلك الخيل ويطلع على البر فيلتفت فلم ير أحداً، فيثب عليها ويقضي منها حاجته وينزل عنها ويريد أخذها معه فلم تقدر أن تسير معه من الرباط فيصبح عليها، ويضربها برأسه ورجليه ويصبح. فنسمع صوته فعلم أنه نزل عنها فنطلع صارخين عليه، فيخاف منا وينزل البحر والفرس تحمل منه وتلد مهراً أو مهرة تساوي خزنة مال ولا يوجد لها نظير على وجه الأرض. وهذا وقت طلوع الحصان، وإن شاء الله تعالى أخذك معي إلى الملك المهرجان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السائس قال للسندباد البحري: أخذك معي إلى الملك المهرجان وأفرجك على بلادنا. واعلم أنه لولا اجتماعك علينا ما كنت ترى أحداً في هذا المكان غيرنا وكنت تموت كمدأ ولا يدري بك احد، ولكن انا اكون سبب حياتك ورجوعك إلى بلادك. فدعوت له وشكرته على فضله وإحسانه. فبينما نحن في هذا الكلام وإذا بالحصان قد طلع من البحر وصرخ صرخة عظيمة ثم وثب على الفرس؛ فلما فرغ غرضه منها نزل عنها وأراد أخذها معه فلم يقدر، ورفصت وصاحت عليه. فأخذ الرجل السائس سيفاً بيده ودرقة وطلع من باب تلك القاعة وهو يصيح على رفقته ويقول: اطلعوا إلى الحصان. ويضرب بالسيف على الدرقة. فجاء جماعة بالرماح صارخين، فجفل منهم الحصان وراح إلى حال سبيله ونزل في البحر مثل الجاموس وغاب تحت الماء. فعند ذلك جلس الرجل قليلاً وإذا هو بأصحابه قد جاؤوه ومع كل واحد فرس يقودها، فنظروني عنده. فسألوني عن أمري، فأخبرتهم بما حكيت له وقربوا مني ومدوا السماط واكلوا وعزموا عليّ فأكلت معهم. ثم إنهم قاموا وركبوا الخيول وواخذوني معهم وركبوني على ظهر فرس وسافرنا. ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى مدينة الملك المهرجان، وقد دخلوا عليه وأعلموه بقصتي، فطلبني. فأدخلوني عليه وأوقفوني بين يديه فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ورحّب بي وحياني بإكرام وسألني عن حالي. فأخبرته بجميع ما حصل لي، وبكل ما رأيت من المبتدأ إلى المنتهى. فعند ذلك تعجّب مما وقع لي وما جرى لي وقال لي: يا ولدي، والله لقد حصل لك مزيد السلامة ولولا طول عمرك ما نجوت من

فلما كانت الليلة
540
كانت الليلة

هذه الشدائد، ولكن الحمد لله على السلامة. ثم إنه أحسن إليّ وأكرمني وقربني إليه وصار يؤانسني بالكلام والملاطفة، وجعلني عنده عاملاً على مينة البحر وكتاباً على كل مركب عبرت إلى البر. وصرت واقفاً عنده لأقضي له مصالحه وهو يحسن إليّ وينفعني من كل جانب. وقد كسانني كسوة مليحة فاخرة، وصرت مقدماً عنده في الشفاعات وقضاء مصالح الناس. ولم أزل عنده مدة طويلة، وأنا كلما أشق على جانب البحر أسأل التجار المسافرين والبحريين عن ناحية مدينة بغداد لعل أحداً يخبرني عنها فأروح معه إليها وأعود إلى بلادي، فلا يعرفها أحد ولا يعرف من يروح إليها، وقد تحيرت من ذلك وسئمت من طول الغربة. ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت يوماً من الأيام ودخلت على الملك المهرجان فوجدت عنده جماعة من الهنود، فسلمت عليهم فردوا على السلام ورحبوا بي وقد سألوني عن بلادي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 541 قال: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري قال: لما سألتهم عن بلادهم ذكروا لي أنهم أجناس مختلفة، فمنهم الشاكرية وهم أشرف أجناسهم لا يظلمون أحداً ولا يقهرونه، ومنهم جماعة تسمى البراهمة وهم قوم لا يشربون الخمر أبداً وإنما هم أصحاب حظ وصفاء ولهو وطرب وجمال وخيول ومواش، وأعلموني أن صنف اليهود يفترق على اثنين وسبعين فرقة. فتعجبت من ذلك غاية العجب، ورأيت في مملكة المهرجان جزيرة من جملة الجزائر يقال لها: كابل. يسمع فيها ضرب الدفوف والطبول طول الليل. وقد أخبرنا أصحاب الجزائر والمسافرون بأنهم أصحاب الجحد والراي. ورأيت في ذلك البحر سمكة طولها مائتي ذراع، ورأيت أيضاً سمكاً وجهه مثل وجه البوم، ورأيت في تلك السفرة كثيراً من العجائب والغرائب مما لو حكيتها لكم لطال شرحه. ولم أزل أتفرج على تلك الجزائر وما فيها إلى أن وقفت يوماً من الأيام على جانب البحر وفي يدي عكاز على جري عادتي وإذا بمركب كبيرة قد أقبلت وفيها تجار كثير. فلما وصلت إلى مينة المدينة وفرضتها، طوى الريس قلعها وأرسوها على البر ومد السقالة وأطلع البحرية جميع ما كان في تلك المركب إلى البر وأبطؤوا في تطليعه وأنا واقف أكتب عليهم. فقلت لصاحب المركب: هل بقي في مركبك شيء؟ فقال: نعم يا سيدي، معي بضائع في بطن المركب ولكن صاحبها غرق منا في البحر في بعض الجزائر ونحن قادمون في البحر وصارت بضائعه معنا وديعة، فغرضنا أننا نبيعها ونأخذ علماً بئمنها لأجل أن نوصله إلى أهله في مدينة بغداد دار السلام. فقلت للريس: ما يكون اسم ذلك الرجل صاحب البضائع؟ فقال: اسمه السندباد البحري، وقد غرق منا في البحر. فلما سمعت كلامه حققت النظر فيه، فعرفته وصرخت عليه صرخة عظيمة وقلت: يا ريس، أعلم أنني أنا صاحب البضائع التي ذكرتها، وأنا السندباد البحري الذي نزلت من المركب في الجزيرة مع جملة من نزل من التجار، ولما تحركت السمكة التي كنا عليها وصححت أنت علينا، طلع من طلع وغرق الباقي وكنت أنا من جملة من غرق. ولكن الله تعالى سلّمني وتجانني من الغرق بقصعة كبيرة من التي كان الركاب يغسلون فيها، فركبتها وصرت أرفص برجلي، وساعدني الريح والموج إلى أن وصلت إلى هذه الجزيرة فطلعت فيها، وأعاني الله تعالى واجتمعت بسياس الملك المهرجان فحملوني معهم إلى أن

أتوا بي إلى هذه المدينة وأدخلوني عند الملك المهرجان فأخبرته بقصتي ، فأنعم عليّ وجعلني كاتباً على مينة هذه المدينة . فصرت انتفع بخدمته وصار لي عنده قبول . وهذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 542 كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري حين قال للرئيس : هذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي . قال الرئيس : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما بقي لأحد أمانة ولا ذمة . قال : فقلت له : يا رئيس ، ما سبب ذلك ؟ وأنت سمعتني أخبرتك بقصتي . فقال الرئيس : لأنك سمعتني أقول أن معي بضائع صاحبهم غرق ، فتريد أنك تأخذها بلا حق وهذا حرام عليك ، فإننا رأيناها لما غرق وكان معه جماعة من الركاب كثيرون وما نحى منهم أحد ، فكيف تدعي أنت أنك صاحب البضائع ؟ فقلت له : يا رئيس إسمع قصتي وافهم كلامي يظهر لك صدقي ، فإن الكذب سيمة المنافقين . ثم إني حكيت للرئيس جميع ما كان مني حين خرجت معه من مدينة بغداد إلى أن وصلنا تلك الجزيرة التي غرقنا فيها ، وأخبرته ببعض أحوال جرت بيني وبينه . فعند ذلك تحقق الرئيس والتجار صدقي فعرفوني وهتوني بالسلامة وقالوا جميعاً : والله ما كنا نصدق بأنك نجوت من الغرق ، ولكن رزقك الله عمراً جديداً . ثم إنهم أعطوني البضائع فوجدنا إسمي مكتوباً عليها ولم ينقص منها شيء . ففتحتها وأخرجت منها شيئاً نفيساً غالي الثمن وحملته معي بحرية المركب وطلعت به إلى الملك على سبيل الهدية ، وأعلمت الملك بأن هذه المركب التي كنت فيها ، وأخبرته أن بضائعي وصلت إليّ بالتمام والكمال وأن هذه الهدية منها . فتعجب الملك من ذلك الأمر غاية العجب وظهر له صدقي في جميع ما قلته ، وقد أحببني محبة شديدة وأكرمني إكراماً زائداً وقد وهب لي شيئاً كثيراً في نظير هديتي . ثم بعث حمولي وما كان معي من البضائع وكسبت فيها شيئاً كثيراً ، واشترت بضاعة وأسباباً ومتاعاً من تلك المدينة . ولما أراد تجار المركب السفر ، شحنت جميع ما كان معي في المركب ودخلت عند الملك وشكرته على فضله وإحسانه ، ثم إني استأذنته في السفر إلى بلادي وأهلي ، فودعني وقد أعطاني شيئاً كثيراً عند سفري من متاع تلك المدينة ، وقد ودعته ونزلت المركب وسافرنا بإذن الله تعالى وخدمنا السعد وساعدتنا المقادير . ولم نزل مسافرين ليلاً ونهاراً إلى أن وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة وطلعنا فيها ، فاقمنا فيها زمناً قليلاً وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي . وبعد ذلك توجهت إلى مدينة بغداد دار السلام ومعني من الحمول والمتاع والأسباب شيء كثير له قيمة عظيمة ، ثم جئت إلى حارتي ودخلت بيتي وقد جاء جميع أهلي وأصحابي ، ثم إني اشترت لي خدماً وحشماً ومماليك وسراري وعبداً حتى صار عندي شيء كثير . وقد اشترت لي دوراً وأماكن وعقاراً أكثر من الأول ؛ ثم إني عاشرت الأصحاب ورافقت الخلائ ونصرت أكثر ما كنت عليه في الزمن الأول ، وقد نسيت جميع ما كنت قاسيت من التعب والغربة والمشقة وأهوال السفر ، واشتغلت باللذات والمسرات والمآكل الطيبة والمشرب النفيسة ، ولم أزل على هذه الحالة . وهذا ما كان من أول سفراتي ، وفي غد إن شاء الله تعالى أحكي لكم الحكاية الثانية من السبع سفرات . ثم إن السندباد البحري عشى السندباد البري عنده وأمر له بمائة مثقال ذهباً وقال له : أنستنا في هذا النهار . فشكره الحمال وأخذ منه ما وهبه له وانصرف إلى

حال سبيله وهو متفكر فيما يقع وما يجري للناس ويتعجب غاية العجب، ونام تلك الليلة في منزله. ولما أصبح الصباح جاء إلى بيت السندباد البحري ودخل عنده، فرحب به وأكرمه وأجلسه عنده. ولما حضر بقية أصحابه قدم لهم الطعام والشراب وقد صفا لهم الوقت وحصل لهم الطرب، فبدأ السندباد البحري بالكلام وقال: إعلموا يا إخواني، أنني كنت في الدّ عيش وأصفي سرور على ما تقدم ذكره لكم بالأمس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 543
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما اجتمع عنده أصحابه قال لهم: إني كنت في الدّ عيش إلى أن خطر ببالي يوماً من الأيام السفر إلى بلاد الناس واشتأقت نفسي إلى التجارة والتفرج في البلدان والجزائر واكتساب المعاش، فهملت في ذلك الأمر وقد أخرجت من مالي شيئاً كثيراً اشتريت به بضائع وأسباباً تصلح للسفر، وحزمتها وجمت إلى الساحل فوجدت مركباً مليحة جديدة ولها قلع قماش مريح، وهي كثيرة الرجال زائدة العدة. ونزلت حمولي فيها أنا وجماعة من التجار، وقد سافرنا في ذلك النهار وطاب لنا السفر. ولم نزل من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة، وكل محل رسينا عليه نقابل التجار وأرباب الدولة والبائعين والمشتريين ونبيع ونشتري ونقايطض بالبضائع فيه. ولم نزل على هذه الحالة إلى أن القتنا المقادير على جزيرة مليحة كثيرة الأشجار يانعة الأثمار فأنهت الأزهار مترنمة الأطياف صافية الأنهار، ولكن ليس بها ديار ولا نافخ نار. فأرسي بنا الرّيس على تلك الجزيرة، وقد طلع التجار والركاب إلى تلك الجزيرة يتفرجون على ما بها من الأشجار والأطياف ويسبحون الله الواحد القهار ويتعجبون من قدرة الملك الجبار. فعند ذلك طلعت إلى الجزيرة مع جملة من طلع وجلست على عين ماء صاف بين الأشجار، وكان معي شيء من المأكول. فجلست في هذا المكان أكل ما قسم الله تعالى لي، وقد طاب لنا النسيم بذلك المكان وصفالي الوقت فأخذتني سنة من النوم، فارتحت في ذلك المكان وقد استغرقت في النوم واستلذت بذلك النسيم الطيب والروائح الزكية؛ ثم إنني قمت فلم أجد في ذلك المكان إنسياً ولا جنياً، وقد سارت المركب بالركاب ولم يتذكرني منهم أحد لا من التجار ولا من البحرية، فتركوني في الجزيرة وقد التفت فيها يميناً وشمالاً فلم أجد بها أحداً غيري. فحصل عندي قهر شديد ما عليه من مزيد، وقد كادت مرارتي تنفقع من شدة ما أنا فيه من الغم والحزن والتعب، ولم يكن معي شيء من الدنيا ولا من المأكول ولا من المشرب وصرت وحيداً. وقد تعبت في نفسي وآيست من الحياة وقلت: ما كل مرة تسلم الجرة. وإن كنت سلمت في المرة الأولى ولقيت من أخذني معه من الجزيرة إلى العمار، ففي هذه المرة هيهات! هيهات! إن كنت أجد من يوصلني إلى بلاد العمار. ثم إنني صرت أبكي وأنوح على نفسي حتى تملكني القهر ولت نفسي على ما فعلته وعلى ما شرعت فيه من أمر السفر والتعب من بعد ما كنت جالساً مرتاحاً في ديار ي وبلاد ي وأنا مبسوط ومتهن بما أكل طيب ومشروب طيب وملبوس طيب، وما كنت محتاجاً شيئاً من المال ولا من البضائع. وصرت أتندم على خروجي من مدينة بغداد وسفري في البحر من بعد ما قاسيت التعب في السفرة الأولى وأشرفت على الهلاك وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. وقد صرت في حيز المجانين، وبعد

ذلك قمت على حيلي وغمشيت في الجزيرة يميناً وشمالاً وصرت لا أستطيع الجلوس في محل واحد. ثم إني صعدت على شجرة عالية وصرت أنظر من فوقها يميناً وشمالاً فلم أر غير سماء وماء وأشجار وأطيّار وجزائر ورمال، وقد حققت النظر فلاح لي في الجزيرة شبح أبيض عظيم الحلقة، فنزلت من فوق الشجرة وقصدته وصرت أمشي إلى ناحيته. ولم أزل سائراً إلى أن وصلت إليه وإذا به قبة كبيرة بيضاء شاهقة في العلو، كبيرة الدائرة. فدنوت منها ودرت حولها فلم أجد لها باباً ولم أجد لي قوة ولا حركة إلى الصعود عليها من شدة النعومة، فعلمت مكان وقوفي ودرت حول القبة أقيس دائرها فإذا هو خمسون خطوة وافية. فصرت متفكراً في الحيلة الموصلة إلى دخولها وقد قرب زوال النهار وغروب الشمس، وإذا بالشمس قد خفيت والجو قد أظلم واحتجبت الشمس عني فظننت أنه جاء على الشمس غمامة وكان ذلك في زمن الصيف، فتعجبت ورفعت رأسي وتأملت في ذلك، فرأيت طيراً عظيماً الحلقة كبير الجثة عريض الأجنحة طائراً في الجو وهو الذي غطى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة. فازددت من ذلك عجباً. ثم إني تذكرت حكاية. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 544

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السنديباد البحري لما زاد تعجبه من الطائر الذي رآه في الجزيرة، تذكر حكاية أخبره بها قديماً أهل السياحة والمسافرون وهي: أن في بعض الجزائر طيراً عظيماً الحلقة يقال له: الرخ. يرق أولاده بالافئال فتحققت أن القبة التي رأيتها إنما هي بيضة من بيض الرخ ثم إني تعجبت من خلق الله تعالى. فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذلك الطائر نزل على تلك القبة وحضنها بجناحيه ومدّ رجليه من خلفه على الأرض ونام عليها، فسبحان من لا ينام. فعند ذلك قمت وفككت عمامتي من فوق رأسي وثبتها وفتلتها حتى صارت مثل الحبل، وتحزمت بها وشددت وسطي وربطت نفسي في رجلي ذلك الطائر وشدته شداً وثيقاً وقلت في نفسي: لعل هذا يوصلني إلى بلاد المدن والعمار ويكون ذلك أحسن من جلوسي في هذه الجزيرة. وقد بتت تلك الليلة ساهراً خوفاً من أن انام فيطير بي على حين غفلة. فلما طلع الفجر وبان الصباح قام الطائر من على بيضته وصاح صيحة واقتلع بي إلى الجو وهو يعلو ويرتفع حتى ظننت أنه وصل إلى عنان السماء، وبعد ذلك تنازل بي حتى نزل بي على الأرض وحط على مكان مرتفع عالٍ، فلما وصلت إلى الأرض أسرعت وفككت الرباط من رجليه وأنا خائف منه، ولم يدر بي ولم يحس بي. وبعدها فككت عمامتي منه وخلصتها من رجليه وأنا انتفض ومشيت في ذلك المكان. ثم إنه أخذ شيئاً من على وجه الأرض في مخالفه وطار إلى عنان السماء، فتأملته فإذا هو حية عظيمة الحلقة كبيرة الجسم قد أخذها واقتلع بها إلى البحر، فتعجبت من ذلك. ثم إني غمشيت في ذلك المكان فوجدت نفسي في مكان عالٍ وتحتة وإد كبير واسع عميق، وبجانبه جبل عظيم شاهق في العلو لا يقدر أحد أن يرى أعلاه من فرط علوه، وليس لأحد قدرة على الطلوع فوقه. فلمت نفسي على ما فعلته وقلت: يا ليتني مكثت في الجزيرة فإنها أحسن من هذا المكان القفر، لأن الجزيرة كان يوجد فيها شيء آكله من أصناف الفواكه، وأشرب من أنهارها، وهذا المكان ليس فيه أشجار ولا أثمار ولا أنهار. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أنا كل ما أخلص من مصيبة أقع فيما هو أعظم منها وأشد

؛ ثم إنني قمت وقويت نفسي ومشيت في ذلك الوادي فرأيت أرضه من حجر الماس الذي يتقنون به المعادن والجواهر ويتقنون به الصيني والجزع ، وهو حجر صلب يابس لا يعمل فيه الحديد ولا الصخر ولا احد يقدر أن يقطع منه شيئاً ولا أن يكسره إلا بحجر الرصاص ، وكل ذلك الوادي حيّات وأفان كل واحدة مثل النخلة . ومن عظيم خلقتها لو جاءها فيل لابتلعته ، وتلك الحيّات يظهرن في الليل ويختفين في النهار خوفاً من طير الرخ والنسر أن يختطفها ، وبعد ذلك يقطعها ولا أدري ما سبب ذلك . فأقمت بذلك الوادي وأنا متندم على ما فعلته وقلت في نفسي : والله إنني قد عجلت بالهلاك على نفسي . وقد ولّي النهار عليّ فصرت أمشي في ذلك الوادي واتلفت على محل أبيت فيه وأنا خائف من تلك الحيّات ، ونسيت أكلبي وشربي ومعاشي واشتغلت بنفسي ، فلاح لي مغارة بالقرب مني فمشيت فوجدت بابها ضيقاً ، فدخلتها ونظرت إلى حجر كبير عند بابها فدفعته وسددت به باب تلك المغارة وأنا داخلها وقلت في نفسي : إنني أمنت لما دخلت في هذا المكان ، وإن طلع عليّ النهار أطلع وأنظر ما تفعل القدرة . ثم التفت في داخل المغارة فنظرت حية عظيمة نائمة في صدر المغارة على بيضها ، فاقشعرت بدني وأقمت رأسي وسلمت أمرني للقضاء والقدر وبت ساهراً طول الليل إلى أن طلع الفجر ولاح ، فأزحت الحجر الذي سدّدت به باب المغارة وخرجت منها وأنا مثل السكران داخ من شدة السهر والجوع والخوف وتمشيت في الوادي . فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة عظيمة قد سقطت قدّامي ولم أجد أحداً . فتعجبت من ذلك غاية العجب وتفكرت حكاية كنت أسمعها من قديم الزمان من بعض التجّار والمسافرين وأهل السياحة أن في جبال حجر الماس الأهوال العظيمة ولا يقدر أحد أن يسلك إليه ، ولكن التجّار الذين يجلبونه يعملون حيلة في الوصول إليه ويأخذون الشاة من الغنم ويذبحونها ويسلخونها ويشرحون لحمها ويرمونه على ذلك الجبل إلى أرض الوادي ، فتنزّل وهي طرية فيلتصق بها شيء من هذه الحجارة . ثم تركها التجّار إلى نصف النهار فتنزّل الطيور من النسور والرخ إلى ذلك اللحم وتأخذ في مخالبتها وتصعد إلى أعلى الجبل ، فتأتيها التجّار وتصيح عليها فتطير من عند ذلك اللحم ، ثم تتقدم التجّار إلى ذلك اللحم وتخلص منه الحجارة اللاصقة به ويتركون اللحم للطيور والوحوش ويحملون الحجارة إلى بلادهم ولا احد يقدر أن يتوصل إلى مجيء حجر الماس إلا بهذه الحيلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
 قال الملك
 545
 قال الملك
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري صار يحكي لأصحابه جميع ما حصل له في جبل الماس ، ويخبرهم أن التجّار لا يقدرن على مجيء شيء منه إلا بحيلة مثل الذي ذكره . ثم قال : فلما نظرت إلى تلك الذبيحة وتذكرت هذه الحكاية ، قمت وجئت عند الذبيحة فنقيت من هذه الحجارة شيئاً كثيراً وادخلته في جيبتي وبين ثيابي ، وصرت أنقي وادخل في جيوبتي وحزامي وعمامتي وبين حوائجي . فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة كبيرة ، فربطت نفسي عليها بعمامتي ونمت على ظهري وجعلتها على صدري وأنا قابض عليها ، فصارت عالية على الأرض وإذا بنسرٍ نزل على تلك الذبيحة وقبض عليها بمخالبه واقتلع بها إلى الجوّ وأنا معلق بها . ولم يزل طائراً إلى أن صعد بها إلى أعلى الجبل وخطّ بها وأراد أن ينهش منها وإذا بصيحة عظيمة عالية من خلف ذلك النسر وشيء يخبط بالخشب على

ذلك الجبل ، فجفل النسر وخاف وطار إلى الجوّ، ففككت نفسي من الذبيحة وقد تلوثت ثيابي من دمها ووقفت بجانبها، وإذا بذلك التاجر الذي صاح على النسر تقدّم إلى الذبيحة فرآني واقفاً، فلم يكلمني وقد فزع مني وارتعب وأتى الذبيحة وقلبها فلم يجد فيها شيئاً فصاح صيحة عظيمة وقال : واخيئاه ، لا حول ولا قوة إلا بالله . نعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وهو يتندم ويخبط كفاً على كف ويقول : واحسرتاه ، أي شيء هذا الحال ؟ فتقدمت إليه فقال لي : مَنْ أنت ؟ وما سبب مجيئك إلى هذا المكان ؟ فقلت له : لا تخف ولا تخش فإني إنسي من خيار الإنس ، وكنت تاجراً ولي حكاية عظيمة وقصة غريبة . وسبب وصولي إلى هذا الجبل وهذا الوادي له حكاية عجيبة ، فلا تخف فلك ما يسرك مني وأنا معي شيء كثير من حجر الماس فأعطيك منه شيئاً يكفيك ، وكل قطعة معي أحسن من كل شيء يأتيك فلا تجزع ولا تخف . فعند ذلك شكرني الرجل ودعا لي وتحذث معي ، وإذا بالتجار سمعوا كلامي مع رفيقهم فجاؤا إليّ ، وكان كل تاجر رمى ذبيحة . فلما قدموا علينا سلّموا عليّ وهنّوني بالسلامة واخلوني معهم وأعلمتهم بجمع قصتي وما قاسيته في سفرتي ، وأخبرتهم بسبب وصولي إلى هذا الوادي . ثم إنني أعطيت لصاحب الذبيحة التي تعلقت فيها شيئاً كثيراً مما كان معي . ففرح بي ودعا لي وشكرني على ذلك وقال لي التجار : والله إنّه قد كتب لك عمر جديد ، فما أحد وصل إلى هذا المكان قبلك ونجا منه ولكن الحمد لله على سلامتك . وباتوا في مكان مليح أمان ، وبت عنده وأنا فرحان غاية الفرح بسلامتي ونجاتي من وادي الحيات ووصولي إلى بلاد العمار . ولما طلع النهار قمنا وسرنا على ذلك الجبل العظيم وصرنا ننظر في ذلك الوادي حيات كثيرة ، ولم نزل سائرين إلى أن اتينا بستاناً في جزيرة عظيمة مليحة وفيها شجر الكافور . كل شجرة منه يستظل تحتها مائة إنسان ، وإذا أراد أحد أن يأخذ منه شيئاً يثقب من أعلى الشجرة بشيء طويل ويتلقى ما ينزل منه ، فيسيل منه ماء الكافور ويقعد مثل الصمغ وهو غسل ذلك الشجر ، وبعد ذلك تيبس الشجرة وتصير حطباً . وفي تلك الجزيرة صنف من الوحوش يقال له : الكركزان . يرعى فيها رعيّاً مثل ما يرعى البقر والجاموس في بلادنا ، ولكن جسم ذلك الوحش أكبر من جسم الجمل ويأكل العلق وهو دابة عظيمة لها قرن واحد غليظ في وسط رأسها طوله قدر عشرة أذرع وفيه صورة إنسان . وفي تلك الجزيرة شيء من صنف البقر ، وقد قال لنا البحريون المسافرون وأهل السياحة في الجبل والأراضي أن هذا الوحش المسمّى بالكركزان يحمل الفيل الكبير على قرنه ويرعى به في الجزيرة والسواحل ولم يشعر به ، ويموت الفيل على قرنه ويسبح دهنه من حرّ الشمس على رأسه ويدخل في عينيه فيعمى ، فيرقد في جانب السواحل ، فيجيء له طير الرخ في مخالبه ويروح به عند أولاده ويزقّهم به وبما على قرنه . وقد رأيت في تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من صنف الجاموس ليس له عندنا نظير ، وفي ذلك الوادي شيء كثير من حجر الماس الذي حملته معي وخباته في جيبي وقابضوني عليه ببضائع ومتاع من عندهم وحملوها لي معهم وأعطوني دراهم ودنانير . ولم أزل سائراً معهم وأنا أتفرج على بلاد الناس وعلى ما خلق الله من وادٍ إلى وادٍ ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة . وقد أقمنا بها أياماً قلائل ثم جئت إلى مدينة بغداد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما رجع من غيبته ودخل مدينة بغداد دار السلام وجاء إلى حارته ودخل داره ومعه من صنّف حجر الماس شيء كثير ، ومعه مال ومتاع وبضائع لها صورة ، وقد اجتمع بأهله وأقاربه ثم تصدّق ووهب وأعطى وهادى جميع أهله وأصحابه ، وصار يأكل طيباً ويشرب طيباً ويلبس لبساً مليحاً ويعاشر ويرافق ونسي جميع ما كان قاساه . ولم يزل في هني عيش وصفاء خاطر وانشراح صدر وهو في لعب وطرب ، وصار كل من سمع بقدمه يجيء إليه ويسأله عن حال السفر وأحوال البلاد فيخبره ويحكى له ما لقيه وما قاساه . فيتعجب من شدة ما قاساه ويهنيه بالسلامة . وهذا آخر ما جرى له وما اتفق له في السفرة الثانية . ثم قال لهم : وفي غد إن شاء الله تعالى أحكي لكم السفرة الثالثة . فلما فرغ السندباد البحري من حكايته للسندباد البري ، تعجبوا من ذلك وتعثّوا عنده وأمر للسندباد بمائة مثقال ذهباً . فأخذها وتوجه إلى حال سبيله وهو يتعجب مما قاساه السندباد البحري وشكره ودعى له في بيته . ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، قام السندباد الحمّال وصلّى الصبح وجاء إلى بيت السندباد البحري كما أمره ، ودخل إليه فصبّح عليه ، فرحب به وجلس معه حتى أتاه باقي أصحابه وجماعته ، وقد أكلوا وشربوا واستلذّوا وطربوا وانشرحوا . فابتدأ السندباد البحري بالكلام وقال : السفرة الثالثة ، إعلموا يا إخواني واسمعوا مني حكايتها فإنها أعجب من الحكايات المتقدمة قبل تاريخه ، والله أعلم بغيبه وأحكام . إنني فيما مضى وتقدم لما جئت من السفرة الثانية وإنني في غاية البسط والإنشراح فرحان بالسلامة وقد كسبت مالا كثيراً كما حكيت لكم أمس تاريخه ، وقد عوض الله عليّ جميع ما راح مني ، أقمت بمدينة بغداد مدة من الزمان وأنا في غاية الحظ والصفاء والبسط والإنشراح . فاشتاقت نفسي إلى السفر والفرجة وتشوّقت إلى المتجر والكسب والفوائد والنفس أمارة بالسوء ، فهممت واشترت شيئاً كثيراً من البضائع المناسبة لسفر البحر ، وقد حزمته إلى السفر وسافرت بها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة وجئت إلى ساحل البحر فرايت مركباً عظيمة وفيها تجار وركاب كثير أهل خير وناس ملاح طيبون . أهل دين ومعروف وصلاح . فنزلت معهم في تلك المركب وسافرنا على بركة الله تعالى بعونه وتوفيقه وقد استبشرنا بالخير والسلامة . ولم نزل سائرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة ومن مدينة إلى مدينة ، وفي كل مكان مررنا عليه نتفرّج ونبيع ونشتري ونحن في غاية الفرح والسرور ، إلى أن كنا يوماً من الأيام سائرين في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وإذا بالريّس وهو على جانب المركب ينظر إلى نواحي البحر ثم إنه لطم على وجهه وطوى قلوب المركب ورمى مراسيها ونفّح لحيته ومزّق ثيابه وصاح صياحاً عظيماً . فقلنا له : ياريس ما الخبر ؟ فقال : إعلموا ياركاب السلامة أن الريح غلب علينا وقد عسف بنا في وسط البحر ورمتنا المقادير لسوء بختنا إلى جبل القرود ، وما وصل إلى هذا المكان أحد وسلم منه قط ، وقد أحس قلبي بهلاكنا أجمعين . فما استتم قول الريّس حتى جاءنا القرود وقد احتاطوا بالمركب من كل جانب وهم شيء كثير مثل الجراد المنتشر في المركب وعلى البر . فخفنا إن قتلنا منها واحداً وضربناه أو طردناه أن يقتلونا لفرط كثرتهم ، والكثرة تغلب الشجاعة . وبقينا خائفين منهم أن ينهبوا رزقنا ومتاعنا وهم أقبح الوحوش وعليهم شعور مثل اللبّد الأسود ورؤيتهم تفرع ، ولا يفهم أحد

لهم كلاماً ولا خبراً وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صفار الخلقه طول كل واحد منهم أربعة أشبار، وقد طلوعوا على حبال المرساة وقطعوا بأسنانهم وقطعوا جميع حبال المركب من كل جانب، فمالت المركب من الريح ورست على جبلهم وصارت المركب في برهم، وقد قبضوا على جميع التجار والركاب وطلوعوا إلى الجزيرة وأخذوا المركب بجميع ما كان فيها وراحوا بها إلى حال سبيلهم، وقد تركونا في الجزيرة وخفيت عنا المركب ولا نعلم أين راحوا بها؟ فبينما نحن في تلك الجزيرة نأكل من أثمارها ويقولها وفواكهها ونشرب من الأنهار التي فيها إذ لاح لنا بيت عامر في وسط تلك الجزيرة فقصدناه ومشينا إليه، فإذا هو قصر مشيد الأركان عالي الأسوار له باب بدرفتين مفتوح وهو من خشب الأبنوس. فدخلنا باب ذلك القصر فوجدنا له حضيراً واسعاً مثل الحوش الواسع الكبير، وفي دائره أبواب كثيرة عالية في صدره ومصطبة عالية كبيرة وفيها أواني طبيخ معلقة على الكوانين وحواليها عظام كثيرة ولم نر فيها أحداً. فتعجبنا من ذلك غاية العجب وقد جلسنا في حضير ذلك القصر قليلاً ثم بعد ذلك غمنا. ولم نزل نائمين من ضحوة النهار إلى غروب الشمس، وإذا بالأرض قد ارتجت من تحتنا وسمعنا دويّاً من الجو وقد نزل علينا من أعلى القصر شخص عظيم الخلقه في صفة إنسان، وهو أسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة، وله عينان كأنهما شعلتان من نار، وله أنياب مثل الخنازير، وله فم عظيم الخلقه مثل فم البئر، وله مشافر مثل الجمل مرخية على صدره، وله أذنان مثل الجرسين مرخيتان على أكتافه، وأظافر يديه مثل مخالب السبع. فلما نظرناه على هذه الحالة غبنا عن وجودنا وقوي خوفنا واشتد فزعنا وصرنا مثل الموتى من شدة الخوف والجزع والفزع. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 547

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري ورفقته لما رأوا هذا الشخص الهائل الصورة، حصل لهم غاية الخوف والفزع. فلما نزل على الأرض جلس قليلاً على المصطبة، ثم إنه قام وجاء عندنا. ثم إنه قبض على يدي من بين أصحابي التجار ورفعني بيده عن الأرض وجسني وقبلني، فصرت في يده مثل اللقمة الصغيرة. وصار يجسني مثل ما يجس الجزار ذبيحة الغنم، فوجدني ضعيفاً من كثرة القهر، هزليلاً من كثرة التعب والسفر، وليس في شيء من اللحم. فاطلقني من يده وأخذ واحداً غيري من رفقتي وقلبه كما قلبي وجسه كما جسني وأطلقه. ولم يزل يجسنا ويقلبنا واحداً بعد واحد إلى أن وصل إلى ريس المركب التي كنا فيها، وكان رجلاً سميناً غليظاً عريض الأكتاف صاحب قوة وشدة، فأعجبه وقبض عليه مثل ما يقبض الجزار على ذبيحته ورماه على الأرض ووضع رجله على رقبته فقصف رقبته وجاء بسبخ طويل فأدخله في حلقة حتى أخرجه من دبره وأوقد ناراً شديدة وركب عليها ذلك السبخ الذي مشكوك فيه الريس. ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه وأطلعه من النار وحطه قدامه وفسخه كما يفسخ الفرخة الرجل، وصار يقطع لحمه بأظافره ويأكل منه. ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل لحمه ونهش عظمه ولم يبق منه شيئاً، ورمى باقي العظام في جنب القصر. ثم إنه جلس قليلاً وانطرح ونام على تلك المصطبة يشخر مثل شخير

الحاروف أو البهيمة المذبوحة، ولم يزل نائماً إلى الصباح ثم قام وخرج إلى حال سبيله . فلما
 تحققتنا بعدة تحدّثنا مع بعضنا وبكينا على أرواحنا وقلنا : يا ليتنا غرقنا في البحر أو أكلتنا القرود خير
 من شيّ الإنسان على الجمر، والله إن هذا الموت موت رديء، ولكن ما شاء الله كان ولا حول ولا
 قوة إلا بالله العلي العظيم . لقد متنا كمدأ ولم يدر بنا أحد وما بقي لنا نجاة من هذا المكان . ثم إننا
 قمنا وخرجنا إلى الجزيرة لننظر لنا مكاناً نختفي فيه أو نهرب، وقد هان علينا أن نموت ولا يشوى
 لحمنا بالنار . فلم نجد لنا مكاناً نختفي فيه وقد أدر كنا المساء، فعدنا إلى القصر من شدة خوفنا
 وجلسنا قليلاً وإذا بالأرض قد ارتجت من تحتنا وأقبل علينا ذلك الشخص الأسود وجاء عندنا
 وصار يقلبنا واحداً بعد واحد مثل المرة الأولى ويجسنا حتى أعجبه واحد، فقبض عليه وفعل به
 مثل ما فعل بالرّيس في أول يوم ، فشواه وأكله على تلك المصطبة ولم يزل نائماً في تلك الليلة وهو
 يشخر مثل الذبيحة، فلما طلع النهار قام وراح إلى حال سبيله وتركنا على جري عاداته .
 فاجتمعنا ببعضنا وتحّدثنا وقلنا لبعضنا : والله أن نلقي أنفسنا في البحر ونموت غرقاً خير من أن
 نموت حرقاً، لأن هذه قتلة شنيعة . فقال واحد منا : إسمعوا كلامي، إننا نحتال عليه ونقتله
 ونرتاح من همّه ونريح المسلمين من عدوانه وظلمه . فقلت لهم : إسمعوا يا إخواني، إن كان ولا
 بد من قتله فإننا نحول هذا الخشب وننقل شيئاً من هذا الحطب ونعمل لنا فلكاً مثل المركب،
 وبعد ذلك نحتال في قتله وننزل في الفلك ونروح في البحر إلى أي محل يريد الله، وإننا نعد في
 هذا المكان حتى تمرّ علينا مركب فننزل فيها . وإن لم نقدر على قتله ننزل ونروح في البحر ولو كنا
 نغرق فنرتاح من شيئاً على النار ومن الذبح، وإن سلمنا سلمنا وإن غرقنا متنا شهداء . فقالوا
 جميعاً : والله هذا رأي سديد وفعل رشيد . واتفقنا على هذا الأمر وشرعنا في فعله، فنقلنا
 الأخشاب إلى خارج القصر وصنعنا فلكاً وربطناه على جانب البحر ونزلنا فيه شيئاً من الزاد وعدنا
 إلى القصر . فلما كان وقت المساء وإذا بالأرض قد ارتجت بنا ودخل علينا الأسود وهو كأنه الكلب
 العقور، ثم قلبنا وجسنا واحداً بعد واحد، فأخذ واحداً منا وفعل به مثل ما فعل بسابقه وأكله
 ونام على المصطبة وصار شخيره مثل الرعد . فنهضنا وقمنا وأخذنا سيخين من حديد من
 الأسياخ المنصوبة ووضعناهما في النار القوية حتى احمرّا وصارا مثل الجمر، وقبضنا عليهما قبضاً
 شديداً وجئنا بهما إلى ذلك الأسود وهو نائم يشخر ووضعناهما في عينيه واتكأنا عليهما جميعاً
 بقوتنا وعزمنا فادخلناهما في عينيه وهو نائم فانطمستا، وصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبنا .
 ثم قام من فوق المصطبة بعزمه وصار يفتش علينا ونحن نهرب منه يميناً وشمالاً ولم ينظرنا وقد
 عمي بصره، فحفنا منه مخافة شديدة وإيقنا في تلك الساعة بالهلاك وآيسنا من النجاة . فعند ذلك
 قصد الباب وهو يحسس وخرج منه وهو يصيح، ونحن في غاية الرعب منه، وإذا بالأرض ترجج
 من تحتنا من شدة صوته . فلما خرج من القصر تبعناه وراح إلى حال سبيله وهو يدور علينا، ثم
 إنه رجع ومعه أنثى أكبر منه وأوحش خلقه . فلما رأيناها والتي معه أفضع حالة منه خفنا غاية
 الخوف . فلما رأونا أسرعنا ونهضنا فككنا الفلك الذي صنعناه ونزلنا فيه ودفعناه في البحر، ومع
 كل واحد منهم صخرة عظيمة وصاروا يرموننا بها إلى أن مات أكثرنا من الرجم وبقي منا ثلاثة
 أشخاص أنا وإثنان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما نزل في الفلك هو وأصحابه وصار يرحمهم الأسود ورفيقته ، مات أكثرهم ولم يبقَ منهم إلا ثلاثة أشخاص ، فقطع بهم الفلك إلى جزيرة . قال : فمشينا إلى آخر النهار ، فدخل علينا الليل ونحن على هذه الحالة فنمنا قليلاً واستيقظنا من منامنا وإذا بشعبان عظيم الحلقة كبير الجثة واسع الجوف قد

أحاط بنا وقصد واحداً منا فبلعه إلى أكتافه ، ثم بلع باقيه فسمعنا أضلاعه تتكسر في بطنه وراح إلى حال سبيله . فتعجبنا من ذلك غاية العجب وحزناً على رفيقنا وصرنا في غاية الخوف على أنفسنا وقلنا : والله هذا أمر عجيب ، كل موت أشنع من سابقه ، وكنا فرحنا بسلامتنا من الأسود فما تمت الفرحة . لا حول ولا قوة إلا بالله ، والله قد نجونا من الأسود ومن الغرق فكيف تكون نجاتنا من هذه الآفة المشؤومة ؟ ثم إننا قمنا فمشينا في الجزيرة واكلنا من ثمرها وشربنا من أنهارها ولم نزل فيها إلى وقت المساء ، فوجدنا شجرة عظيمة عالية فطلعتها وغنا فوقها وقد طلعت أنا أعلى فروعها . فلما دخل الليل وأظلم الوقت جاء الشعبان وتلفت يميناً وشمالاً ، ثم إنه قصد تلك الشجرة التي نحن عليها ومشى حتى وصل إلى رفيقي وبلعه إلى أكتافه والتفّ به على الشجرة ، فسمعت عظمه يتكسر في بطنه ثم بلعه بتمام وأنا أنظر بعيني . ثم إن الشعبان نزل من فوق تلك الشجرة وراح إلى حال سبيله . ولم أزل على تلك الشجرة باقي تلك الليلة . فلما طلع النهار وبان النور ، نزلت من فوق الشجرة وأنا مثل الميت من كثرة الخوف والفرع وأردت أن ألقى بنفسي في البحر وأستريح من الدنيا فلم تهن عليّ روعي لأن الروح عزيزة ، فربطت خشبة عريضة على أقدامي بالعرض وربطت واحدة مثلها على جنبي الشمال ومثلها على جنبي اليمين ومثلها على بطني وربطت واحدة طويلة عريضة من فوق رأسي بالعرض مثل التي تحت أقدامي ، وصررت أنا في وسط هذا الخشب وهو محتاط بي من كل جانب ، وقد شددت ذلك شداً وثيقاً وألقيت نفسي بالجميع على الأرض ، فصرت نائماً بين تلك الأخشاب وهي محيطة بي كالمقصورة . فلما أمسى الليل أقبل ذلك الشعبان على جري عادته ونظر إليّ وقصدني ، فلم يقدر أن يبلعني وأنا على تلك الحالة والأخشاب حولي من كل جانب . فدار الشعبان حولي ولم يستطع الوصول إليّ وأنا أنظر بعيني وقد صرت كالميت من شدة الخوف والفرع ، وصار الشعبان يبعد عني ويعود إليّ . ولم يزل على هذه الحالة ، وكلما أراد الوصول إليّ لئيلعني تمنعه تلك الأخشاب المشدودة عليّ من كل جانب ، ولم يزل كذلك من غروب الشمس إلى أن طلع الفجر وبان النور وأشرقت الشمس ، فمضى الشعبان إلى حال سبيله وهو في غاية ما يكون من القهر والغيظ . فعند ذلك مددت يدي وفككت نفسي من تلك الأخشاب وأنا في حكم الأموات من شدة ما قاسيت من ذلك الشعبان ، ثم إنني قمت ومشيت في الجزيرة حتى انتهيت إلى آخرها . فلاحت مني التفاتة إلى ناحية البحر فرأيت مركباً على بعد في وسط اللجة ، فأخذت فرعاً كبيراً من شجرة ولوحت به إلى ناحيتهم وأنا أصبح عليهم . فلما رأوني قالوا : لا بد إننا ننظر ما يكون هذا ! لعله إنسان . ثم إنهم قربوا مني وسمعوا صياحي عليهم فجاءوا إليّ وأخذوني معهم في المركب وسألوني عن حالي ، فأخبرتهم بجميع ما جرى لي من أوله إلى آخره وما قاسيته من الشدائد . فتعجبوا من ذلك غاية العجب . ثم إنهم البسوني من عندهم ثياباً وستروا عورتني ، وبعد ذلك قدموا لي شيئاً من الزاد فأكلت

حتى اكتفيت وسقوني ماء بارداً عذباً فانتعش قلبي وارتاحت نفسي، وحصل لي راحة عظيمة وأحياني الله تعالى بعد موتي. فحمدت الله تعالى على نعمه الوافرة وشكرته، وقد قويت همتي بعدما كنت أيقنت بالهلاك حتى تخيل لي أن جميع ما أنا فيه منام. ولم نزل سائرین وقيل طاب لنا الريح بإذن الله تعالى إلى أن أشرفنا على جزيرة يقال لها: جزيرة السلاهمة. فأوقف الرئيس المركب عليها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 549
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن المركب التي نزل فيها السندباد البحري رست على جزيرة، فنزل منها جميع التجار والركاب وأطلعوا بضائعهم ليبيعوا ويشتروا. قال السندباد البحري: فالتفت إلي صاحب المركب وقال لي: إسمع كلامي، أنت رجل غريب فقير وقد أخبرتنا أنك قاسيت أهوالاً كثيرة ومرادي أنفعك بشيء يعينك على الوصول إلى بلادك وتبقى تدعو لي. فقلت له: نعم ولك مني الدعاء. فقال: أعلم أنه كان معنا رجل مسافر فقدناه ولم نعلم هل هو بالحياة أم مات؟ ولم نسمع عنه خبراً، ومرادي أدفع لك حمولة لتبيعها في هذه الجزيرة وتحفظها ونعطيك شيئاً في نظير تعبك وخدمتك، وما بقي منها نأخذها إلى أن نعود إلى مدينة بغداد فنسأل عن أهله وندفع إليهم بقيتها وثمان ما يبيع منها. فهل لك أن تتسلمها وتنزل بها هذه الجزيرة فتبيعها مثل التجار؟ فقلت: سمعاً وطاعة لك يا سيدي ولك الفضل والجميل. ودعوت له وشكرته على ذلك. فعند ذلك أمر الحمالين والبحرية بإخراج تلك البضائع إلى الجزيرة وأن يسلموها إليّ. فقال كاتب المركب: يا رئيس ما هذه الحمولة التي أطلعها البحرية والحمالون؟ وأكتبها باسم من التجار؟ فقال: أكتب عليها اسم السندباد البحري الذي كان معنا وغرق في الجزيرة ولم يأتنا عنه خبر، فزريد أن هذا الغريب يبيعه ويحمل ثمنها ونعطيه شيئاً منه نظير تعب وبيعه، والباقي نحمله معنا حتى نرجع إلى مدينة بغداد فإن وجدناه أعطيناه إياه وإن لم نجده ندفعه إلى أهله في مدينة بغداد. فقال الكاتب: كلامك مليح ورايك رجيح. فلما سمعت كلام الرئيس وهو يذكر أن الحمولة باسمي قلت في نفسي: والله أنا السندباد البحري وأنا غرقت في الجزيرة مع جملة من غرق. ثم إنني تجلّدت وصبرت إلى أن طلع التجار من المركب واجتمعوا يتحدثون ويتذكرون في أمور البيع والشراء، فتقدمت إلى صاحب المركب وقلت له: يا سيدي، هل تعرف كيف كان صاحب الحمولة التي سلمتها إلي لبيعها؟ فقال لي: لا أعلم له حالاً ولكنه كان رجلاً من مدينة بغداد يقال له: السندباد البحري، وقد أرسينا على جزيرة من الجزائر فغرق منا فيها خلق كثير وفقد بجملتهم ولم نعلم له خبراً إلى هذا الوقت. فعند ذلك صرخت صرخة عظيمة وقلت له: يا رئيس السلامة، أعلم أنني أنا السندباد البحري لم أغرق، ولكن لما أرسيت على الجزيرة وطلع التجار والركاب طلعت أنا مع جملة الناس ومعني شيء آكله بجانب الجزيرة، ثم إنني تلذذت بالجلوس في ذلك المكان فأخذتني سنة من النوم فنمت وغرقت في النوم. ثم إنني قمت فلم أجد المركب ولم أجد أحداً عندي، وهذا المال مالي وهذه البضائع بضائعي وجميع التجار الذين يجلبون حجر الماس راؤني وأنا في جبل الماس ويشهدون لي بإنني أنا السندباد البحري كما أخبرتهم بقصتي وما جرى لي معكم في المركب، وأخبرتهم بأنكم نسيتموني في الجزيرة نائماً وقمت فلم أجد أحداً وجرى لي ما جرى. فلما سمع

التجّار والركّاب كلامي اجتمعوا عليّ فمنهم مَنْ صدقني ومنهم مَنْ كذبي . فبينما نحن كذلك وإذا بتاجر من التجّار حين سمعني أذكر وادي الماس ، نهض وتقدم عندي وقال لهم : إسمعوا يا جماعة كلامي ، إني لما كنت ذكرت لكم أعجب ما رأيت في أسفاري لما ألقينا الذبائح في وادي الماس وألقيت ذبيحتي معهم على جري عادتي ، طلع في ذبيحتي رجل متعلّق بها ولم تصدقوني بل كذبتومني . فقالوا : نعم حكيت لنا على هذا الأمر ولم تصدقك . فقال لهم التاجر : هذا الرجل الذي تعلّق في ذبيحتي وقد أعطاني شيئاً من حجر الماس الغالي الثمن الذي لا يوجد نظيره وعوضني أكثر ما كان يطلع لي في ذبيحتي ، وقد استصحبته معي إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وبعد ذلك توجه إلى بلاده وودّعنا ورجعنا إلى بلادنا وهو هذا . وأعلمنا أن اسمه السندباد البحري ، وقد أخبرنا بذهاب المركب وجلوسه في هذه الجزيرة . وأعلموا أن هذا الرجل ما جاءنا هنا إلّا لتصدقوا كلامي مما قلت لكم ، وهذه البضائع كلها رزقه فإنه أخبرنا بها في وقت اجتماعه علينا ، وقد ظهر صدقه في قوله . فلما سمع الرئيس كلام التاجر ، قام على حيله وجاء عندي وحقّق فيّ النظر ساعة وقال : ما علامة بضائعك ؟ فقلت له : أعلم أن علامة بضائعي ما هو كذا وكذا . وقد أخبرته بأمر كان بيني وبينه لما نزلت معه المركب من البصرة ، فتحقّق أنني أنا السندباد البحري فعانقني وسلّم عليّ وهنّأني بالسلامة وقال لي : والله يا سيدي إن قصتك عجيبة وأمرّك غريب ، ولكن الحمد لله الذي جمع بيننا وبينك وردّ بضائعك ومالك عليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 550

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما تبين للرئيس والتجّار أنه هو بعينه وقال له الرئيس : الحمد لله الذي ردّ بضائعك ومالك عليك . قال : فعند ذلك تصرفت في بضائعي بمعرفتي ، وربحت بضائعي في تلك السفرة شيئاً كثيراً وفرحت بذلك فرحاً عظيماً وهنّأت نفسي بالسلامة وعود مالي إليّ . ولم نزل نبيع ونشتري في الجزائر إلى أن وصلنا إلى بلاد السند وقد بعنا فيها واشترينا ، ورأيت في ذلك البحر شيئاً من العجائب والغرائب لا يعد ولا يحصى . ومن جملة ما رأيت في ذلك البحر سمكة على صفة البقرة وشيئاً على صفة الحمير ، ورأيت طيراً يخرج من صدف البحر ويبيض ويفرخ على وجه الماء ولا يطلع من البحر على وجه الأرض أبداً . وبعد ذلك لم نزل مسافرين بإذن الله تعالى وقد طاب لنا الريح والسفر إلى أن وصلنا إلى البصرة وقد أقمت بها أياماً قلائل . وبعد ذلك جئت إلى مدينة بغداد فتوجهت إلى حارتي ودخلت بيتي وسلّمت على أهلي وأصحابي وأصدقائي ، وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي وأهلي ومدينتي ودياري . وتصدّقت ووهبت وكسوت الأرامل والأيتام وجمعت أصحابي وأحبابي : ولم أزل على هذه الحالة في أكل وشرب ولهو وطرب وأنا أكل طيباً وأشرب طيباً وأعاشر وأخالط ، وقد نسيت جميع ما كان جرى لي وما قاسيت من الشدائد والأحوال وكسبت شيئاً في هذه السفرة لا يعد ولا يحصى . وهذا أعجب ما رأيته في هذه السفرة ، وفي غد إن شاء الله تعالى تجيء إليّ وأحكى لك حكاية السفرة الرابعة فإنها أعجب من هذه السفرات . ثم إن السندباد البحري أمر بأن يدفّعوا إليه مائة مثقال من الذهب على جري عادته وأمر بمدّ السماء ، فملّوه وتعشّى الجماعة وهم يتعجبون من تلك الحكاية وما جرى فيها . ثم إنهم بعد العشاء

انصرفوا إلى حال سيئهم وقد أخذ السندباد الحمّال ما أمر له به من الذهب وانصرف إلى حال سيئله وهو متعجب مما سمعه من السندباد البحري وبات في بيته . ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، قام السندباد الحمّال وصلّى الصبح وتمشّى إلى السندباد البحري وقد دخل إليه وسلم عليه وتلقاه بالفرح والإنشراح وأجلسه عنده إلى أن حضر بقية أصحابه ، وقد قدموا الطعام فأكلوا وشربوا وانسطوا . فبدأهم بالكلام وحكى لهم الحكاية الرابعة قال السندباد البحري : إعلموا يا إخواني أنني لما عدت إلى مدينة بغداد واجتمعت على أصحابي وأهلي وصرت في أعظم ما يكون من الهناء والسرور والراحة ، وقد نسيت ما كنت فيه لكثرة الفوائد وعرفت في اللهو والطرب ومجالسة الاحباب والأصحاب وأنا في الدّما ما يكون من العيش ، فحدثتني نفسي الخبيثة بالسفر إلى بلاد الناس وقد اشتقت إلى مصاحبة الأجناس والبيع والمكسب . فهممت في ذلك الأمر واشترت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت حمولاً كثيرة زيادة عن العادة وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ، ونزلت حمولتي في مركب واصطحبت بجماعة من أكابر البصرة . وقد توجهنا إلى السفر وسارت بنا المركب على بركة الله تعالى في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وطاب لنا السفر . ولم نزل على هذه الحالة مدة ليال وأيام من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر إلى أن خرجت علينا ريح مختلفة يوماً من الأيام ، فرمى الرّيس مراسي المركب وأوقفها في وسط البحر خوفاً عليها من الغرق في وسط الإباحة . فبينما نحن على هذه الحالة ندعو ونتضرع إلى الله تعالى إذ خرج علينا عاصف ريح شديد مزق القلع وقطعه قطعاً وغرق الناس وجميع حمولهم وما معهم من المتاع والأموال ، وغرقت أنا بجملته من غرق وعمت في البحر نصف نهار وقد تخلّيت عن نفسي فيسر الله تعالى لي قطعة لوح خشب من ألواح المركب ، فركبتها أنا وجماعة من التجّار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 551

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري بعد أن غرقت المركب وطلع على لوح خشب هو وجماعة من التجّار قال : اجتمعنا على بعضها ولم نزل راكبين على ذلك اللوح ونرفص بأرجلنا في البحر والأمواج والريح تساعدنا ، فمكثنا على هذه الحالة يوماً وليلة . فلما كان ثاني يوم ضحوة نهار ، ثار علينا ريح وهاج البحر وقوي الموج والريح فرمنا الماء على جزيرة ونحن مثل الموتى من شدة السهر والتعب والبرد والجوع والخوف والعطش . وقد مشينا في جوانب تلك الجزيرة فوجدنا فيها نباتاً كثيراً ، فأكلنا منه شيئاً يسدّ رمقنا ويقيتنا وبتنا تلك الليلة على جانب الجزيرة . فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، قمنا ومشينا في الجزيرة يميناً وشمالاً فلاح لنا عمارة على بعد ، فسرنا في تلك الجزيرة قاصدين تلك العمارة التي رأيناها من بعد ، ولم نزل سائرين إلى أن وقفنا على بابها . فبينما نحن واقفون هناك إذ خرج علينا من ذلك الباب جماعة عراة ولم يكلمونا وقد قبضوا علينا وأخذونا عند ملكهم ، فأمرنا بالجلوس فجلسنا ، وقد أحضروا لنا طعاماً لم نعرفه ولا في عمرنا رأينا مثله ، فلم تقبله نفسي ولم أكل منه شيئاً دون رفقتي . وكان قلة أكلتي منه لطفاً من الله تعالى حتى عشت إلى الآن . فلما أكل أصحابي من ذلك الطعام ذهلت عقولهم وصاروا يأكلون مثل المجانين وتغيرت أحوالهم ، وبعد ذلك أحضروا لهم دهن النارجيل فسقوهم منه ودهنهم منه . فلما شرب أصحابي من ذلك الدهن ،

زأغت أعينهم في وجوههم وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد . فعند ذلك احترت في أمرهم وصرت أتأسف عليهم ، وقد صار عندي همّ عظيم من شدة الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا . وقد تأملتهم فإذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول ، وكل من وصل إلى بلادهم أو رآه أو صادفوه في الوادي والطرقات يجيئون به إلى ملكهم ويطعمونه من ذلك الطعام ويدهنونه بذلك الدهن فيتسع جوفه لأجل أن يأكل كثيراً ويذهل عقله وتطمس فكرته ويصير مثل الأبله ، فيزيدون له الأكل والشرب من ذلك الطعام والدهن حتى يسمن ويغلظ فيذبحونه ويشوونه ويطعمونه لملكهم . وأما أصحاب الملك فيأكلون من لحم الإنسان بلا شيء ولا يطبخ . فلما نظرت منهم ذلك الأمر صرت في غاية الكرب على نفسي وعلى أصحابي ، وقد صار أصحابي من فرط ما دهشت عقولهم لا يعلمون ما يفعل بهم ، وقد سلموهم إلى شخص فصار يأخذهم كل يوم ويخرج يرعاهم في تلك الجزيرة مثل البهائم . وأما أنا فقد سرت من شدة الخوف والجوع ضعيفاً سقيم الجسم وصار لحمي يابساً على عظمي . فلما رأوني على هذه الحالة تركوني ونسوني ولم يتذكرني منهم أحد ولا خطرت لهم على بال إلى أن تحيلت يوماً من الأيام وخرجت من ذلك المكان ومشيت في تلك الجزيرة وبعدت عن ذلك المكان ، فرأيت رجلاً راعياً جالساً على شيء مرتفع في وسط البحر ، فتحققته فإذا هو الرجل الذي سلموا إليه أصحابي ليرعاهم ومعه شيء كثير من مثلهم . فلما نظر ذلك الرجل إليّ علم أنني مالك عقلي ولم يصبني شيء مما أصاب أصحابي . فأشار إليّ من بعيد وقال لي : إرجع إلى خلفك وامش في الطريق الذي على يمينك تسلك إلى الطريق السلطانية . فرجعت إلى خلفي كما أشار لي هذا الرجل ، فنظرت إلى طريق على يميني فسرت فيها . ولم أزل سائراً ساعة أجري من الخوف وساعة أمشي على مهلي حتى أخذت راحتي ، ولم أزل على هذه الحالة حتى خفيت عن عيون الرجل الذي دلّني على الطريق وصرت لا أنظره ولا ينظرني ، وغابت الشمس عني وأقبل الظلام . فجلست لأستريح وارتدت النوم فلم يأتني في تلك الليلة نوم من شدة الخوف والجوع والتعب . فلما أنصف الليل قمت ومشيت في الجزيرة ولم أزل سائراً حتى طلع النهار وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح ، وقد تعبت وجعت وعطشت فصرت أكل من الحشيش والنبات الذي في الجزيرة . ولم أزل أكل من ذلك النبات حتى شبعت وانسد رمقي وبعد ذلك قمت ومشيت في الجزيرة ولم أزل على هذه الحالة طول النهار والليل وكل ما أجوع أكل من النبات ، ولم أزل على هذه الحالة مدة سبعة أيام بلياليها . فلما كانت صبيحة اليوم الثامن لاحت مني نظرة فرأيت شعباً من بعيد فسرت إليه ، ولم أزل سائراً إلى أن حصلته بعد غروب الشمس فحققت النظر فيه وأنا بعيد عنه وقلبي خائف من الذي قاسيته أولاً وثانياً وإذا هم جماعة يجمعون حب الفلفل ، فلما قربت منهم ونظروني تسارعوا إليّ وجاؤوا عندي وقد أحاطوا بي من كل جانب وقالوا لي : من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ فقلت لهم : إعلموا يا جماعة أنني رجل غريب مسكين . وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري وما جرى لي من الأهوال والشدائد وما قاسيته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما رأى الجماعة الذين يجمعون الفلفل في الجزيرة وسألوه عن حاله ، حكى لهم جميع ما جرى له وما قاساه من الشدائد . فقالوا : والله هذا أمر عجيب ، ولكن كيف خلاصك من السودان ؟ وكيف مرورك عليهم في هذه الجزيرة وهم خلق كثيرون ويأكلون الناس ولا يسلم منهم أحد ولا يقدر أن يجوز عليهم أحد ؟ فأخبرتهم بما جرى لي معهم وكيف أخذوا أصحابي وأطعموهم الطعام ولم أكل منه . فهنوني بالسلامة وصاروا يتعجبون مما جرى لي ، ثم أجلسوني عندهم حتى فرغوا من شغلهم وأتوني بشيء من الطعام المالح فأكلت منه وكنت جائعاً وارتحت عندهم ساعة من الزمان . وبعد ذلك أخذوني ونزلوا بي في مركب وجأؤوا إلى جزيرتهم ومساكنهم وقد أعرضوني على ملكهم فسلمت عليه ورحب بي وأكرمني وسألني عن حالي . فأخبرته بما كان من أمري وما جرى لي وما اتفق لي من يوم خروجي من مدينة بغداد إلى حين وصلت إليه . فتعجب ملكهم من قصتي وما اتفق لي غاية العجب هو ومن كان حاضراً في مجلسه . ثم إنه أمرني بالجلوس عنده فجلست ، وأمر بإحضار الطعام فأحضره ، فأكلت منه على قدر كفايتي وغسلت يدي وشكرت فضل الله تعالى وحمدته وأثنت عليه . ثم إنني قمت من عند ملكهم وتفرجت في مدينته فإذا هي مدينة عامرة كثيرة الأهل والمال كثيرة الطعام والأسواق والبضائع والبائعين والمشتريين . ففرحت بوصولي إلى تلك المدينة وارتاح خاطرني واستأنست بأهلها ، وصرت عندهم وعند ملكهم معززاً مكرمًا زيادة على أهل مملكته من عظماء مدينته ، ورايت جميع أكابرها وأصاغرها يركبون الخيول الجياد الملاح من غير سروج فتعجبت من ذلك . ثم إنني قلت للملك : لاي شيء يا مولاي لم تترك على سرج ؟ فإن فيه راحة للراكب وزيادة قوة . فقال لي : كيف يكون السرج ؟ هذا شيء عمرنا ما رأيناه ولا ركبنا عليه . فقلت له : هل لك أن تاذن لي أن أصنع لك سرجاً تتركب عليه وتنظر حظه ؟ فقال لي : أفعل . فقلت له : أحضِر لي شيئاً من الخشب . فأمر لي بإحضار جميع ما طلبته . فعند ذلك طلبت نجاراً شاطرأ وجلست عنده وعلمته صنعة السرج وكيف يعمل . ثم إنني أخذت صوفاً ونفشته وصنعت منه لبدأً وأحضرت جلدأ والبسته للسرج وصقلته . ثم إنني ركبت سيوره وشددت شريحته ، وبعد ذلك أحضرت الحداد ووصفت له كيفية الركاب فدق ركاباً عظيماً وبردته وبيضته بالقزدير ثم إنني شددت له أهداباً من الحرير ، وبعد ذلك قمت وجئت بحصان من خيار خيول الملك وشددت عليه ذلك السرج وعلقت فيه الركاب وأجمته بلجام وقدمته إلى الملك . فأعجبه ولاق بخاطره وشكرني وركب فيه . وقد حصل له فرح شديد بذلك السرج وأعطاني شيئاً كثيراً في نظير عملي له . فلما نظرتني وزيره عملت ذلك السرج طلب مني واحداً مثله . فعملت له سرجاً مثله وقد صار أكابر الدولة وأصحاب المناصب يطلبون مني السروج فأفعل لهم . وعلمت النجار صنعة السرج والحداد صنعة الركاب وصرنا نعمل السروج والركابات ونبيعها للأكابر والمخاديم ، وقد جمعت من ذلك مالا كثيراً وصار لي عندهم مقام كبير وحبوني محبة زائدة . وبقيت صاحب منزلة عالية عند الملك وجماعته وعند أكابر البلد وأرباب الدولة إلى أن جلست يوماً من الأيام عند الملك وأنا في غاية السرور والعز . فبينما أنا جالس قال لي الملك : أعلم يا هذا أنك صرت معززاً مكرمًا عندنا

وواحداً منا ولم نقدر على مفارقتك ولا نستطيع خروجك من مدينتنا، ومقصودي منك شيء تطيعني فيه ولا ترد قولِي . فقلت له : وما الذي تريد مني أيها الملك ؟ فإنني لا أريد قولك لأنه صار لك فضل وجميل وإحسان عليّ ، والحمد لله أنا صرت من بعض خدامك . فقال : أريد أن أزوجه عندنا بزوجة حسنة مليحة ظريفة صاحبة مال وجمال وتصير مستوطناً عندنا وأسكنك عندي وفي قصري فلا تخالفني ولا ترد كلمتي . فلما سمعت كلام الملك استحييت منه وسكت ولم أريد عليه جواباً من كثرة الحياء منه . فقال لي : لم لا ترد عليّ يا ولدي ؟ فقلت له : يا سيدي ، الأمر أمرك يا ملك الزمان . فأرسل من وقته وساعته وأحضر القاضي والشهود وزوجني في ذلك الوقت بامرأة شريفة القدر عالية النسب كثيرة المال والتوال عظيمة الأصل بديعة الجمال والحسن صاحبة أماكن وأمالك وعقارات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت
الليلة كانت
553
الليلة كانت

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري بعد أن زوجه الملك وعقد له على امرأة عظيمة قال : ثم إنه أعطاني بيتاً عظيماً مليحاً بمفرده ، وأعطاني خدماً وحشماً ورتب لي جرايات وجوامك ، وصرت في غاية الراحة والبسط والإنشراح ونسيت جميع ما حصل لي من التعب والمشقة والشدة وقلت في نفسي : إذا سافرت إلى بلادِي أخذها معي ،

وكل مقدر على الانسان لا بد منه ولم يعلم أحد بما يجري له . وقد أحببتها وأحببتني محبة عظيمة ووقع الوفاق بيني وبينها، وقد أقمنا في الدّ عيش وأرغد مورد . ولم نزل على هذه الحالة مدة من الزمان فأفقد الله تعالى زوجة جاري وكان صاحباً لي ، فدخلت إليه لاعزيه في زوجته فرايته في أسوأ حال ، وهو مهموم تعبان السرّ والخاطر . فعند ذلك عزيتي وسلّيتي وقلت له : لا تحزن على زوجتك الله يعوضك خيراً بأحسن منها ويكون عمرك طويلاً إن شاء الله تعالى . فبكى بكاءً شديداً وقال لي : يا صاحبي ، كيف أتزوج بغيرها ؟ أو كيف يعوضني الله خيراً منها وأنا بقي من عمري يوم واحد ؟ فقلت له : يا أخي ، إرجع لعقلك ولا تبشر على روحك بالموت فإنك طيب بخير وعافية . فقال لي صاحبي : وحياتك ، في غد تعدمني وما بقيت عمرك تنظرني . فقلت له : وكيف ذلك ؟ فقال لي : في هذا النهار يدفنون زوجتي ويدفنونني معها في القبر فإنها عادتنا في بلادنا ، إذا ماتت المرأة يدفنون معها زوجها بالحياة ، وإن مات الرجل يدفنون معه زوجته بالحياة حتى لا يتلذذ أحد منهم بالحياة بعد رفيقه . فقلت له : بالله إن هذه العادة رديئة جداً وما يقدر عليها أحد . فبينما نحن في ذلك الحديث وإذا بغالب أهل المدينة قد حضروا و صاروا يعزّون صاحبي في زوجته وفي نفسه وقد شرعوا في تجهيزها على جري عاداتهم ، فأحضروا تابوتاً وحملوا فيه المرأة وذلك الرجل معهم وخرجوا بهما إلى خارج المدينة وأتوا إلى مكان في جانب الجبل على البحر ، وتقدموا إلى مكان ورفعوا عنه حجراً كبيراً فبان من تحت ذلك الحجر خرزة من حجر مثل خرزة البثر ، فرموا تلك المرأة فيها وإذا هو جب كبير تحت الجبل . ثم إنهم جاؤوا بذلك الرجل وربطوه تحت صدره في سلة وأنزلوه في ذلك الجب وأنزلوا عنده كوز ماء عذب كبيراً وسبعة أرغفة من الزاد . ولما نزلوه فكّ نفسه من السلة فسحبوا السلة وغطّوا فم البثر بذلك الحجر مثل ما كان وانصرفوا إلى حال سبيلهم وتركوا صاحبي عند زوجته في الجب . فقلت في نفسي : والله إن هذا الموت أصعب من الموت الأول . ثم إنني جثت عند ملكهم وقلت له : يا سيدي كيف تدفنون الحي مع

الميت في بلادكم ؟ فقال لي : أعلم أن هذه عادتنا في بلادنا إذا مات الرجل ندفن معه زوجته وإذا ماتت المرأة ندفن معها زوجها بالحياة حتى لا نفرق بينهما في الحياة ولا في الممات . وهذه العادة عن أجدادنا . فقلت : يا ملك الزمان ، وكذلك الرجل الغريب مثلي إذا ماتت زوجته عندهم تفعلون به مثل ما فعلتم بهذا ؟ فقال لي : نعم ندفنه معها ونفعل به كما رأيت . فلما سمعت ذلك الكلام منه انشقت مرارتي من شدة الغم والحزن على نفسي وذهل عقلي وصرت خائفاً أن تموت زوجتي قبلي فيدفنوني معها وأنا بالحياة . ثم إنني سليت نفسي وقلت : لعلني أموت أنا قبلها ولم يعلم أحد السابق من اللاحق . وصرت أتلاها في بعض الأمور . فما مضت مدة يسيرة بعد ذلك حتى مرضت زوجتي وقد مكثت أياماً قلائل وماتت . فاجتمع غالب الناس يعزونني ويعزون أهلها فيها ، وقد جاءني الملك يعزني فيها على جري عادتهم . ثم إنهم جاؤوا لها بغاسلة فغسلوها والبسوها أفخر ما عندها من الثياب والمصاغ والقلائد والجواهر من المعادن . فلما البسوا زوجتي وحطوها في التابوت وحملوها وراحوا بها إلى ذلك الجبل ورفعوا الحجر عن فم الجب وألقوها فيه ، تقدم جميع أصحابي وأهل زوجتي يودعونني في روحي وأنا أصبح بينهم : أنا رجل غريب وليس لي صبر على عادتكم . وهم لا يسمعون قولي ولا يلتفتون إلى كلامي . ثم إنهم أمسكوني وربطوني بالغصب وربطوا معي سبعة أقراص من الخبز وكوز ماء عذب على جري عادتهم وأنزلوني في ذلك البئر ، فإذا هو مغارة كبيرة تحت ذلك الجبل . وقالوا لي : فك نفسك من الجبال . فلم أرض أفك نفسي . فرموا عليّ الجبال ثم غطّوا فم ذلك البئر بذلك الحجر الكبير الذي كان عليه وراحوا إلى حال سبيلهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 554 فلما كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما حطّوه في المغارة مع زوجته التي ماتت وردّوا باب المغارة وراحوا إلى حال سبيلهم . قال : وأما أنا فإنني رأيت في تلك المغارة أمواتاً كثيرة ورائحتها منتنة كريهة ، فلمت نفسي على ما فعلته وقلت : والله إنني استحق جميع ما يجري لي وما يقع لي . ثم إنني صرت أعرف الليل من النهار وصرت أتقوت باليسير ولا أكل حتى يكاد أن يقطعني الجوع ولا أشرب حتى يشتدّ بي العطش وأنا خائف أن يفرغ ما عندي من الزاد والماء وقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، أي شيء بلاني بالزواج في هذه المدينة ؟ وكلما أقول خرجت من مصيبة أقع في مصيبة أقوى منها . والله إن موتي هذا موت مشؤوم ، ياليتني غرقت في البحر أو مت في الجبال كان أحسن لي من هذا الموت الرديء . ولم أزل على هذه الحالة الوم نفسي ، ونمت على عظام الأموات واستعنت بالله تعالى وسرت أتمنى الموت فلم أجده من شدة ما أنا فيه . ولم أزل على هذه الحالة حتى احرق قلبي الجوع والهبني العطش ، فقعدت وحسست على الخبز وأكلت منه شيئاً قليلاً وتجرّعت عليه شيئاً قليلاً من الماء . ثم إنني قمت وقفت على حيلي وصرت أمشي في جوانب تلك المغارة فرأيتها متسعة الجوانب خالية البطون ، ولكن في أرضها أموات كثيرة وعظام رميمة من قديم الزمان . فعند ذلك عملت لي مكاناً في جانب المغارة بعيداً عن الموتى الطريين وصرت أنام فيه ، وقد قلّ زادي ولم يبقَ معي إلا شيء يسير ، وقد كنت أكل في كل يوم أو أكثر أكلة وأشرب شربة خوفاً

من فراغ الماء والزاد من عندي قبل موتي . ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يوماً من الأيام ، فبينما أنا جالس متفكر في نفسي كيف أفعل إذا فرغ زادي والماء من عندي ، وإذا بالصخرة قد تزحزحت عن مكانها ونزل منه النور عندي . فقلت : يا ترى ما الخبر ؟ وإذا بالقوم واقفون على رأس البئر وقد نزلوا رجلاً ميتاً وامرأة معه بالحياة وهي تبكي وتصيح على نفسها ، وقد نزلوا عندها شيئاً كثيراً من الزاد والماء . فصرت أنظر المرأة وهي لم تنظرنني ، وقد غطوا فم البئر بالحجر وانصرفوا إلى حال سبيلهم . فقممت أنا وأخذت في يدي قصبه رجل ميت وجئت إلى المرأة وضربتُها في وسط رأسها فوقعت على الأرض مغشياً عليها ، فضربتُها ثانياً وثالثاً فماتت . فأخذت خبزها وما معها ورأيت عليها شيئاً كثيراً من الحلبي والحلل والقلائد والجواهر والمعادن . ثم إنني أخذت الماء والزاد الذي مع المرأة وقعدت في الموضع الذي كنت عملته في جانب المغارة لأنام فيه ، وصرت أكل من ذلك الزاد شيئاً قليلاً على قدر ما يقوتني حتى لا يفرغ بسرعة فأموت من الجوع والعطش . وأقممت في تلك المغارة مدة من الزمان وأنا كل من دفنوه ، أقتل من دفن معه بالحياة وأخذ أكله وشربه اتقوت به . إلى أن كنت نائماً يوماً من الأيام فاستيقظت من منامي وسمعت شيئاً يركب في جانب المغارة فقلت : ما يكون هذا ؟ ثم إنني قمت ومشيت نحوه ومعني قصبه رجل ميت . فلما أحس بي فرّ وهرب مني فإذا هو وحش ، فتبعته إلى صدر المغارة فبان لي نور من مكان صغير مثل النجمة ، تارة يبان لي وتارة يخفى عني . فلما نظرته قصدت نحوه وبقيت كلما اتقرب منه يظهر لي نور منه ويتسع . فعند ذلك تحققت أنه خرق في تلك المغارة ينفذ للخلاء . فقلت في نفسي : لا بد أن يكون لهذا المكان حركة ، إما أن يكون فماً ثانياً مثل الذي نزلوني منه ، وإما أن يكون تخريق من هذا المكان . ثم إنني تفكرت في نفسي ساعة من الزمان ومشيت إلى ناحية النور وإذا به نقب في ظهر ذلك الجبل من الوحوش ، نقبوه وصاروا يدخلون منه إلى هذا المكان ويأكلون الموتى حتى يشبعون ويطلعون من ذلك النقب . فلما رأيته ، هدأت روحي واطمأنت نفسي وارتاح قلبي وأيقنت بالحياة بعد الممات وصرت كاني في المنام . ثم إنني عاجلت حتى طلعت من ذلك النقب فرأيت نفسي على جانب البحر المالح فوق جبل عظيم وهو قاطع بين البحرين وبين الجزيرة والمدينة ولا يستطيع أحد الوصول إليه . فحمدت الله تعالى وشكرته وفرحت فرحاً عظيماً وقوي قلبي . ثم إنني بعد ذلك رجعت من النقب إلى تلك المغارة ونقلت جميع ما فيها من الزاد والماء الذي كنت وفرته . ثم إنني أخذت من ثياب الأموات ولبست شيئاً منها غير الذي كان عليّ وأخذت مما عليهم شيئاً كثيراً من أنواع العقود والجواهر وقلائد اللؤلؤ والمصاغ من الفضة والذهب المرصع بأنواع المعادن والتحف ، وربطت في ثيابي ثياب الموتى وطلعتها من النقب إلى ظهر الجبل ووقفت على جانب البحر . وبقيت في كل يوم أنزل المغارة وأطلع عليها ، وكل من دفنوه أخذ زاده وماءه وأقتله سواء كان ذكراً أو أنثى ، وأطلع من ذلك النقب فأجلس على جانب البحر لانتظر الفرج من الله تعالى بمركب تجوز عليّ ، وصرت أنقل من تلك المغارة كل شيء رأيته من المصاغ وأربطه في ثياب الموتى . ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان . وأدرك شهر زاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري صار ينقل من تلك المغارة ما يلقيه فيها من المصاغ وغيره ويجلس على جانب البحر مدة من الزمان . قال : فيينما أنا جالس يوماً من الأيام على جانب البحر وأنا متفكر في أمري وإذا بمركب جائزة في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ، فأخذت في يدي ثوباً أبيض من ثياب الموتى وربطته في عكاز

وجريت به على شاطئ البحر وصرت أشير إليهم بذلك الثوب حتى لاحت منهم التفاتة فأروني وأنا في رأس الجبل ، فجاؤوا إليّ وسمعوا صوتي وأرسلوا إليّ زورقاً من عندهم وفيه جماعة من المركب . فلما قربوا مني قالوا : من أنت ؟ وما سبب جلوسك في هذا المكان ؟ وكيف وصلت إلى هذا الجبل ؟ وما في عمرنا رأينا أحداً جاء إليه . فقلت لهم : إني رجل تاجر، غرقت المركب التي كنت فيها فطلعت على لوح ومعني حوائجي ، وقد سهل الله عليّ بالطلوع إلى هذا المكان وحوائجي معي باجتهادي وشطارتي بعد تعب شديد . فأخذوني معهم في الزورق وحملوا جميع ما كنت أخذته من المغارة مربوطاً في الثياب والأكفان وساروا بي إلى أن طلعت المركب عند الرأس ومعني حوائجي . فقال لي الرأس : يا رجل ، كيف ووصولك إلى هذا المكان وهو جبل عظيم ووراءه مدينة عظيمة ، وأنا عمري أسافر في هذا البحر وأجوز على هذا الجبل فلم أر أحداً فيه غير الوحوش والطيور ؟ فقلت له : إني رجل تاجر ، كنت في مركب كبيرة وقد انكسرت وغرق جميع أسباني من هذا القماش والثياب كما تراها ، فوضعتها على لوح كبير من ألواح المركب فساعدتني القدرة والنصيب حتى طلعت على الجبل وقد صرت أنتظر أحداً يجوز فيأخذني معه . ولم أخبرهم بما جرى لي في المدينة ولا في المغارة خوفاً أن يكون معهم أحد في المركب من تلك المدينة . ثم إني طلعت لصاحب المال شيئاً كثيراً من مالي وقلت له : يا سيدي ، أنت سبب نجاتي من هذا الجبل ، فخذ هذا مني نظير جميلك الذي فعلته معي . فلم يقبله مني وقال لي : نحن لا نأخذ من أحد شيئاً ، وإذا رأينا غريقاً على جانب البحر أو في الجزيرة نحمله معنا ونطعمه ونسقيه وإن كان عرباناً نكسوه ، ولما نصل إلى بندر السلامة نعطيه شيئاً من عندنا هدية ونعمل معه المعروف والجميل لوجه الله تعالى . فعند ذلك دعوت له بطول العمر . ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وأنا أرجو النجاة وصرت فرحاناً بسلامتي ، وكلما أتفكر قعودي في المغارة مع زوجتي يغيب عقلي . وقد وصلنا بقدرة الله مع السلامة إلى مدينة البصرة ، فطلعت إليها وأقمت فيها أياماً قلائل وبعدها جئت إلى مدينة بغداد . فجئت إلى حارتي ودخلت داري وقابلت أهلي وأصحابي وسألت عنهم ، ففرحوا بسلامتي وهنوني . وقد خزنت جميع ما كان معي من الأمتعة في حواصلي وتصدقت ووهبت وكسوت الأيتام والأرامل ، وصرت في غاية البسط والسرور وقد عدت لما كنت عليه من المعاشرة والمرافقة ومصاحبة الإخوان واللهو والطرب . وهذا أعجب ما صار لي في السفرة الرابعة . ولكن يا أخي تعشى عندي وخذ عادتك وفي غد تجيء عندي فأخبرك بما كان لي وما جرى لي في السفرة الخامسة ، فإنها أعجب وأغرب مما سبق . ثم أمر له بمائة مثقال ذهباً ومد السماط وتعشى الجماعة وانصرفوا إلى حال سبيلهم وهم متعجبون غاية العجب وكل حكاية أعظم من التي قبلها . وقد راح السندباد الحمال إلى منزله وبات في غاية البسط والإنشراح وهو متعجب . ولما أصبح

الصباح وأضاء بنوره ولاح ، قام السندباد البري وصلب الصبح وتمشى إلى أن دخل هار السندباد البحري وصبح عليه . فرحب به وأمره بالجلوس عنده حتى جاء بقية أصحابه ، فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودارت بينهم المحادثة فابتدأ السندباد البحري بالكلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة ما
كانت الليلة
556
كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري ابتداء بالكلام فيما جرى له وما وقع له في الحكاية الخامسة فقال : إعلموا يا إخواني أنني لما رجعت من السفرة الرابعة وقد غرقت في اللهو والطرب والانشراح ، وقد نسيت جميع ما كنت لقيته وما جرى لي وما قاسيته من شدة فرحي بالمكسب والربح والفوائد ، فحدثتني نفسي بالسفر والتفرج في بلاد الناس وفي الجزائر . فقممت وهممت في ذلك واشترت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت الحمول وسرت من مدينة بغداد وتوجهت إلى مدينة البصرة ومشيت على جانب الساحل فرأيت مركباً كبيرة عالية مليحة فأعجبني ، فاشتريتها وكانت عدتها جديدة واكثرت لها ريساً وبحرية ونظرت عليها عبيدي وغلmani وأنزلت فيها حمولي . وجاءني جماعة من التجار فنزلوا حمولهم فيها ودفعوا إليّ الأجرة وسرنا ونحن في غاية الفرح والسرور وقد استبشرنا بالسلامة والكسب . ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر ونحن نتفرج في الجزائر والبلدان ونطلع إليها نبيع فيها ونشتري . ولم نزل على هذه الحالة إلى أن وصلنا يوماً من الأيام إلى جزيرة كبيرة خالية من السكان وليس فيها أحد وهي خراب قفراً وفيها قبة عظيمة بيضاء كبيرة الحجم ، فطلعنا نتفرج عليها وإذا هي بيضة رخ كبيرة . فلما طلع التجار إليها وتفرجوا عليها ولم يعلموا أنها بيضة رخ ، ضربوها بالحجارة فكسرت ونزل منها ماء كثير وقد بان منها فرخ الرخ ، فسحبوه منها وطلعوه من تلك البيضة وذبحوه وأخذوا منه لحماً كثيراً ، وأنا في المركب ولم أعلم ولم يطلعوني على ما فعلوه . فعند ذلك قال لي واحد من الركاب : يا سيدي ، قم تفرج على هذه البيضة التي نحسبها قبة . فقممت لانتفرج عليها فوجدت التجار يضربون البيضة . فصحت عليهم : لا تفعلوا هذا الفعل فيطلع طير الرخ ويكسر مركبنا ويهلكنا . فلم يسمعوا كلامي . فبينما هم على هذه الحالة وإذا بالشمس قد غابت عنا والنهار أظلم وصار فوقنا غمامة أظلم الجو منها . فرفعنا رؤوسنا ننظر ما الذي حال بيننا وبين الشمس ؟ فرأينا أجنحة الرخ هي التي حجبت عنا ضوء الشمس حتى أظلم الجو . وذلك لما جاء الرخ ورأى بيضته انكسرت صاح علينا فجاءت رفيقته وصارا حائمين على المركب يصرخان علينا بصوت أشد من الرعد . فصحت أنا على الرئيس والبحرية وقلت لهم : إدفعوا المركب واطلبوا السلامة قبل ما نهلك . فأسرع الرئيس وطلع التجار وحل المركب وسرنا في تلك الجزيرة . فلما رأنا الرخ سرنا في البحر غاب عنا ساعة من الزمان ، وقد سرنا وأسرعنا في السير بالمركب نريد الخلاص منهما والخروج من أرضهما . وإذا بهما قد تبعانا وأقبلا علينا وفي رجلي كل واحد منهما صخرة عظيمة من الجبل ، فالتقى الصخرة التي كانت معه علينا فجذب الرئيس المركب وقد أخطأها نزول الصخرة بشيء قليل فنزلت في البحر تحت المركب ، فقامت بنا المركب وقعدت من عظم وقوعها في البحر وقد رأينا قرار البحر من شدة عزمها . ثم إن رفيقة الرخ ألت علينا الصخرة التي معها وهي أصغر من

الأولى، فنزلت بالأمر المقدّر على مؤخر المركب فكسرتة وطيرت الدفة عشرين قطعة وقد غرق جميع ما كان في المركب في البحر. فصرت أحاول النجاة لحلاوة الروح، فقدّر الله تعالى لي لوحاً من ألواح المركب فشبّطت فيه وركبته وصرت أقذف عليه برجلي والريح والموج يساعداًني على السير. وكانت المركب غرقت بالقرب من جزيرة في وسط البحر فرمّنتي المقادير بإذن الله تعالى إلى تلك الجزيرة فطلعت عليها وأنا على آخر نفس، وفي حالة الموتى من شدة ما قاسيته من التعب والمشقة والجوع والعطش. ثم إنني انطرحت على شاطئ البحر ساعة من الزمان حتى ارتاحت نفسي واطمان قلبي. ثم مشيت في تلك الجزيرة فرأيتها كأنها روضة من رياض الجنة، أشجارها يناعة وأنهارها دافقة وطيورها مغرّدة تسبح من له العزة والبقاء. وفي تلك الجزيرة شيء كثير من الأشجار والفواكه وأنواع الأزهار. فعند ذلك أكلت من الفواكه حتى شبعت وشربت من تلك الأنهار حتى رويت وحمدت الله تعالى على ذلك وأثّنت عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التي
 كان فيها
 557
 كان فيها
 □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما طلع من الغرق إلى الجزيرة وأكل من فواكهها وشرب من أنهارها وحمد الله تعالى وأثنى عليه قال: ولم أزل على هذه الحالة قاعداً في الجزيرة إلى أن أمسى المساء وأقبل الليل، فقمّت أنا مثل القليل مما حصل لي من التعب والخوف، ولم أسمع في تلك الجزيرة صوتاً ولم أر فيها أحداً، ولم أزل راقداً فيها إلى الصباح. ثم قمّت على جلي ومشيت بين تلك الأشجار فرأيت ساقية على عين ماء جارية، وعند تلك الساقية شيخ جالس مليح، وذلك الشيخ مؤزر بإزار من ورق الأشجار. فقلت في نفسي: لعلّ هذا الشيخ طلع إلى هذه الجزيرة وهو من الغرقاء الذين كسرت بهم المركب. ثم دنوت منه وسلمت عليه فرد عليّ السلام بالإشارة ولم يتكلم. فقلت له: يا شيخ، ما سبب جلوسك في هذا المكان؟ فحرّك رأسه وتأسّف وأشار لي بيده؛ يعني احملني على رقبتي وانقلني من هذا المكان إلى جانب الساقية الثانية. فقلت في نفسي: أعمل مع هذا معروفاً وانقله إلى هذا المكان الذي يريد لعلّ ثوابه يحصل لي. فتقدّمت إليه وحملته على أكتافي وجئت إلى المكان الذي أشار لي إليه وقلت له: إنزل على مهلك. فلم ينزل عن أكتافي وقد لفّ رجله على رقبتي. فنظرت إلى رجله فرأيتها مثل جلد الجاموس في السواد والخشونة، ففزعت منه وأردت أن أرميه من فوق أكتافي فقرط على رقبتي برجليه وخنقني بهما حتى أسودت الدنيا في وجهي وغبت عن وجودي ووقعت في الأرض مغشياً عليّ مثل الميت. فرفع ساقيه وضربني على ظهري وعلى أكتافي فحصل لي ألم شديد، فهضت قائماً به وهو راكب على أكتافي وقد تعبت منه، فأشار لي بيده أن أدخل بين الأشجار إلى أطيب الفواكه وإذا خالفته يضرّني برجليه ضرباً أشد من ضرب الأسواط. ولم يزل يشير لي بيده إلى كل مكان أراه وأنا أمشي به إليه، وإن توانيت أو تمهلّت يضرّني وأنا معه شبه الأسير. وقد دخلنا في وسط الجزيرة بين الأشجار وصار يبول ويخري على أكتافي ولا ينزل ليلاً ولا نهاراً، وإذا أراد النوم يلفّ رجله على رقبتي وينام قليلاً ثم يقوم ويضرّني فأقوم مسرعاً به ولا أستطيع مخالفته من شدة ما أقاسي منه. وقد لمّت نفسي على ما كان مني من حمله والشفقة عليه. ولم أزل معه على هذه الحالة وأنا في أشد ما يكون من التعب

وقلت في نفسي : انا فعلت مع هذا خيراً فانقلب عليّ شراً، والله ما بقيت أفعل مع أحد خيراً طول عمري . وقد صرت أتمنى الموت من الله تعالى في كل وقت وكل ساعة من كثرة ما أنا فيه من التعب والمشقة . ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت به يوماً من الايام إلى مكان في الجزيرة فوجدت فيه يقطيناً كثيراً ومنه شيء كثير يابس ، فاخذت منه واحدة كبيرة يابسة وفتحت رأسها وصفيتها ومشيت بها إلى شجرة العنب فملأتها منها وسددت رأسها ووضعتها في الشمس وتركتها مدة ايام حتى صارت خمراً صرفاً، وصرت في كل يوم اشرب منه لاستعين به على تعبي مع ذلك الشيطان المرید، وكلما سكرت منها تقوى همتي . فنظرني يوماً من الايام وأنا اشرب فأشار لي بيده : ما هذا؟ فقلت له : هذا شيء مريح يقوي القلب ويشرح الخاطر . ثم إنني جريت به ورفقت بين الأشجار وحصل لي نشوة من السكر فصفقت وغنيت وانشرحت . فلما رأني على هذه الحالة أشار لي أن أناوله اليقطينة ليشرب منها فخفت منه واعطيتها له . فشرب ما كان باقياً فيها ورمها على الأرض وقد حصل له طرب، فصار ينهز على اكتافي . ثم إنه سكر وغرق في السكر، وقد ارتخت جميع أعضائه وفرائضه وصار يتمايل من فوق اكتافي . فلما علمت بسكره وأنه غاب عن الوجود، مددت يدي إلى رجله وفككتها من رقبتي ثم ملت به إلى الأرض فقعدت والقيته عليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 558 فلما كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما التقى الشيطان عن اكتافه على الأرض قال : فما صدقت إنني خلصت نفسي ونجوت من ذلك الأمر الذي كنت فيه . ثم إنني خفت منه أن يقوم من سكره ويؤذيني ، فاخذت صخرة عظيمة من بين الأشجار وجئت إليه فضربتة على رأسه وهو نائم فاختلط لحمه بدمه وقد قتل فلا رحمة الله عليه . وبعد ذلك مشيت في الجزيرة وقد ارتاح خاطري وجئت إلى المكان الذي كنت فيه على ساحل البحر . ولم أزل في تلك الجزيرة أكل من أثمارها واشرب من أنهارها مدة من الزمان وأنا أترقب مركباً تمر عليّ إلى أن كنت جالساً يوماً من الايام متفكراً فيما جرى لي وما كان من امري وأقول في نفسي : يا ترى ، يبقيني الله سالماً ثم أعود إلى بلادي واجتمع بأهلي وأصحابي . وإذا بمركب قد أقبلت من وسط البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم تزل سائرة حتى رست على تلك الجزيرة وطلع منها الركاب إلى الجزيرة فمشيت إليهم . فلما نظروني ، أقبلوا عليّ كلهم مسرعين واجتمعوا حولي وقد سألونني عن حالتي وما سبب وصولي إلى تلك الجزيرة ، فأخبرتهم بأمرى وما جرى لي . فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا لي : إن هذا الرجل الذي ركب على اكتافك يسمى شيخ البحر، وما أحد دخل تحت أعضائه وخلص منه إلا أنت ، والحمد لله على سلامتك . ثم إنهم جاؤوا لي بشيء من الطعام فأكلت حتى اكتفيت وأعطوني شيئاً من الملبوس لبسته وسترت به عورتى ، ثم أخذوني معهم في المركب . وقد سرنا أياماً وليالي فرمتنا المقادير على مدينة عالية البناء جميع بيوتها مظلة على البحر . وتلك المدينة يقال لها : مدينة القرود . ولما يدخل الليل تأتي الناس الذين هم ساكنون في تلك المدينة ويخرجون من هذه الأبواب التي على البحر ثم ينزلون في زوارق ومراكب ويبستون في البحر خوفاً من القرود أن تنزل عليهم في الليل من الجبال . فطلعت آنفراج في تلك المدينة فسافرت المركب ولم اعلم . فندمت على طلوعي إلى تلك المدينة

وتذكرت رفقتي وما جرى لي مع القروء أولاً وثانياً، فقعدت ابكي وأنا حزين . فتقدم إليّ رجل من أصحاب هذه البلد وقال لي : يا سيدي ، كأنك غريب في هذه الديار ؟ فقلت له : نعم أنا غريب ومسكين ، وكنت في مركب قد رست على تلك المدينة فطلعت منها لاتفرج في المدينة وعدت إليها فلم أرها . فقال : قم وسرّ معنا وانزل الزورق فإنك إن قعدت في المدينة ليلاً أهلكتك القروء . فقلت له : سمعاً وطاعةً . وقمت من وقتي وساعتي ونزلت معهم في الزورق ودفعوه من البر حتى أبعده عن ساحل البحر مقدار ميل ، وباتوا تلك الليلة وأنا معهم . فلما أصبح الصباح رجعوا بالزورق إلى المدينة وطلعوا وراح كل واحد منهم إلى شغله . ولم تزل هذه عادتهم في كل ليلة ، وكل من تخلف منهم في المدينة بالليل جاء إليه القروء واهلكوه . وفي النهار تطلع القروء إلى خارج المدينة فيأكلون من أثمار البساتين ويرقدون في الجبال إلى وقت المساء ثم يعودون إلى المدينة . وهذه المدينة في أقصى بلاد السودان . ومن أعجب ما وقع لي من أهل هذه المدينة ، أن شخصاً من الجماعة التي بتّ معهم في الزورق قال لي : يا سيدي ، أنت غريب في هذه الديار فهل لك صنعة تشتغل فيها ؟ فقلت له : لا والله يا أخي ليس لي صنعة ولست أعرف عمل شيء ، وإنما أنا رجل تاجر صاحب مال ونوال ، وكان لي مركب ملكي مشحونة بأموال كثيرة وبضائع فكسرت في البحر وغرق جميع ما كان فيها وما نجوت من الغرق إلا بإذن الله ، فزرقتني الله بقطعة لوح ركبته فكانت السبب في نجاتي من الغرق . فعند ذلك قام الرجل وأحضر لي مخللة من قطن وقال لي : خذ هذه المخللة وأملأها حجارة زلط من هذه المدينة وأخرج مع جماعة من أهل المدينة وأنا أرفقك بهم وأوصيهم عليك وأفعل كما يفعلون ، فلعلك أن تعمل بشيء تستعين به على سفرك وعودك على بلادك . ثم إن ذلك الرجل أخذني وأخرجني إلى خارج المدينة فنقبت حجارة صغاراً من الزلط وملات تلك المخللة ، وإذا بجماعة خارجين من المدينة فارقتني بهم وأوصاهم عليّ وقال لهم : هذا رجل غريب فخذوه معكم وعلموه اللقط فلعله يعمل بشيء يتقوت به ويبقى لكم الأجر والثواب . فقالوا : سمعاً وطاعةً . ورحبوا بي وأخذوني معهم وساروا وكل واحد منهم معه مخللة مثل المخللة التي معي مملوءة زلطاً . ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى وادٍ واسع فيه أشجار كثيرة عالية لا يقدر أحد أن يطلع عليها ، وفي ذلك الوادي قروء كثيرة . فلما رأنا هذه القروء نفرت منا وطلعت تلك الأشجار ، فصاروا يرمون القروء بالحجارة التي معهم في الخالي والقروء تقطع من ثمار تلك الأشجار وترمي بها هؤلاء الرجال . فنظرت تلك الشمار التي ترميها القروء وإذا هي جوز هندي . فلما رأيت ذلك العمل من القوم ، اخترت شجرة عظيمة عليها قروء كثيرة وجئت إليها وصرت أرحم هذه القروء فتقطع من ذلك الجوز وترميني به فأجمعه كما تفعل القوم ، فما فرغت الحجارة من مخلاتي حتى جمعت شيئاً كثيراً . فلما فرغ القوم من هذا العمل لموا جميع ما كان معهم وحمل كل واحد منهم ما أطاقه ثم عدنا إلى المدينة في باقي يومنا . فجئت إلى الرجل صاحبي الذي أرفقني بالجماعة وأعطيته جميع ما جمعت وشكرت فضله . فقال لي : خذ هذا بعه وانتفع بثمره . ثم أعطاني مفتاح مكان في داره وقال لي : ضع في هذا المكان هذا الذي بقي معك من الجوز واطلع في كل يوم مع الجماعة مثل ما طلعت هذا اليوم والذي نجى به ميز منه الرديء وبعه وانتفع بثمره واحفظه عندك في هذا المكان ، فلعلك تجمع منه شيئاً يعينك على سفرك . فقلت له : أجرك على الله تعالى . وفعلت مثل ما قال لي . ولم

أزل في كل يوم أملاً الخلاة من الحجارة وأطلع مع القوم وأعمل مثل ما يعملون، وقد صاروا يتواصون بي ويدلّونني على الشجرة التي فيها الثمر الكثير. ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان، وقد اجتمع عندي شيء كثير من الجوز الهندي الطيب وبعث شيئاً كثيراً وكثر عندي ثمنه، وصرت أشتري كل شيء رأيتُه ولاق بخاطري، وقد صفا وقتي وزاد في كل المدينة حظ ولم أزل على هذه الحالة مدة. فبينما أنا واقف على جانب البحر وإذا بمركب قد وردت إلى تلك المدينة ورسّت على الساحل وفيها تجار معهم بضائع، فصاروا يبيعون ويشترون ويقايضون على شيء من الجوز الهندي وغيره. فجئت عند صاحبي وأعلمته بالمركب التي جاءت وأخبرته بأني أريد السفر إلى بلادي. فقال: الرأي لك. فودّعته وشكرته على إحسانه إليّ. ثم إنني جئت عند المركب وقابلت الرئيس واكترت معه ونزلت ما كان معي من الجوز وغيره في تلك المركب وقد ساروا بالمركب. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السنبداد البحري لما نزل من مدينة القرود في المركب وأخذ ما كان معه من الجوز الهندي وغيره واكترى مع الرئيس قال: وقد ساروا بالمركب في ذلك اليوم. ولم نزل سائرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وكل جزيرة رسينا عليها أبيع فيها من ذلك الجوز وأقايض، وقد عوض الله عليّ بأزيد مما كان معي وضاع مني. وقد مررنا على جزيرة فيها شيء من القرفة والفلفل، وقد ذكر لنا جماعة أنهم نظروا على كل عنقود من عنقايد الفلفل ورقة كبيرة تظله وتلقي عنه المطر إذا أمطرت، وإذا ارتفع عنه المطر انقلبت الورقة عن العنقود ونزلت بجانبه. فأخذت معي من تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من الفلفل والقرفة مقايضة بالجوز. وقد مررنا على جزيرة العسرات وهي التي فيها العود القماري، ومن بعدها على جزيرة أخرى مسيرتها خمسة أيام وفيها العود الصيني وهو أغلى من القماري. وأهل تلك الجزيرة أقبح حالة وديناً من أهل جزيرة العود القماري، فإنهم يحبون الفساد وشرب الخمر ولا يعلمون الآذان ولا أمر الصلاة. وجئنا بعد ذلك إلى معادن اللؤلؤ، فأعطيت الغواصين شيئاً من جوز الهند وقلت لهم: غوصوا على بختي ونصيبي. فغاصوا في تلك البركة وقد طلّعوا شيئاً كثيراً من اللؤلؤ الكبير الغالي وقالوا لي: يا سيدي، والله إن بختك سعيد. فأخذت جميع ما طلّعه لي في المركب وقد سررنا على بركة الله تعالى. ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا البصرة، فطلعت فيها واقمت بها مدة يسيرة ثم توجهت منها إلى مدينة بغداد ودخلت حارتي وجئت إلى بيتي وسلمت على أهلي وأصحابي وهنّوني بالسلامة. وخزنت جميع ما كان معي من البضائع والامتعة، وكسوت الأيتام والأرامل وتصدقت ووهبت وهاديت أهلي وأصحابي وأحبابي، وقد عوض الله عليّ بأكثر مما راح مني أربع مرات. وقد نسيت ما جرى لي وما قاسيته من التعب بكثرة الريح والفوائد وعدت لما كنت عليه في الزمن الأول من المعاشرة والصحة. وهذا أعجب ما كان من أمري في السفرة الخامسة. ولكن تعشوا وفي غد تعالوا أخبركم بما كان في السفرة السادسة فإنها أعجب من هذه. فعند ذلك ملّوا السماط وتعشوا، فلما فرغوا من العشاء أمر للسنبداد الحمّال بمائة مثقال من الذهب. فأخذها وانصرف وهو متعجب من ذلك الأمر. وبات السنبداد الحمّال في بيته. ولما أصبح الصباح قام على حيله وصلى الصبح ومشى إلى أن وصل إلى دار

فلما كانت الليلة 559

السندباد البحري . فدخل عليه وصيَّح عليه فأمره بالجلوس فجلس عنده، ولم يزل يتحدث معه حتى جاء بقية أصحابه . فتحدثوا وملوا السماط وأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا، وابتدأ السندباد البحري يحدثهم بحكاية السفرة السادسة فقال لهم : أعلموا يا إخواني وأحبابي وأصحابي أنني لما جئت من تلك السفرة الخامسة ونسيت ما كنت قاسيته بسبب اللهو والطرب والبسط والانشراح وأنا في غاية الفرح والسرور، ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يوماً من الأيام في حظ و سرور وانشراح زائد . فبينما أنا جالس وإذا بجماعة من التجار وردوا عليّ، وعليهم آثار السفر . فعند ذلك تذكرت أيام قديمي من السفر وفرحي بقاء أهلي وأصحابي وأحبابي وفرحي بدخولي بلادي ، فاشتقت نفسي إلى السفر والتجارة . فعزمت على السفر واشترت لي بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر وحملت حمولي وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، فرأيت مركباً عظيمة فيها تجاراً وأكابر ومعهم بضائع نفيسة، فنزلت حمولي معهم في هذه المركب وسرنا بالسلامة من مدينة البصرة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
560
قال
قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما جهَّز حموله ونزلها في المركب من مدينة البصرة وسافر قال : ولم نزل مسافرين من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونتفرج على بلاد الناس وقد طاب لنا السعد والسفر واغتنمنا المعاش إلى أن كنا سائرين يوماً من الأيام، وإذا برئيس المركب صرخ وصاح ورمى عمامته ولطم على وجهه ومنتفح لحيته ووقع في بطن المركب من شدة الغم والقهر . فاجتمع عليه جميع التجار والركاب وقالوا له : يا رئيس ، ما الخبر؟ فقال لهم الرئيس : أعلموا يا جماعة أننا قد تهنأ بمركبنا وخرجنا من البحر الذي كنا فيه ودخلنا بحراً لم نعرف طرقة، وإذا لم يقبض الله لنا شيئاً يخلصنا من هذا البحر والآهلكنا بأجمعنا . فادعوا الله تعالى أن ينجينا من هذا الأمر . ثم إن الرئيس قام على حيله وصعد على الصاري وأراد أن يحل القلوع ، فقوي الريح على المركب فردَّها على مؤخرها فانكسرت دفتها قرب جبل عال . فنزل الرئيس من الصاري وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . لا يقدر أحد أن يمنع المقدور، والله إننا قد وقعنا في مهلكة عظيمة ولم يبق لنا منها مخلص ولا نجاة . فبكى جميع الركاب على أنفسهم وودَّع بعضهم بعضاً لفراغ أعمارهم وانقطع رجاؤهم ، ومالت المركب على ذلك الجبل فانكسرت وتفرقت الواحها ففرق جميع ما كان فيها ووقع التجار في البحر . فمنهم من غرق ومنهم من تمسك بذلك الجبل وطلع عليه وكنت أنا من جملة من طلع ذلك الجبل، وإذا فيه جزيرة كبيرة عندها كثير من المراكب المكسرة، وفيها أرزاق كثيرة على شاطئ البحر من الذي يطرحه من المراكب التي كسرت وغرق ركبها، وفيها شيء كثير يحير العقل والفكر من المتاع والأموال التي يلقيها البحر على جوانبها . فعند ذلك طلعت أعلى تلك الجزيرة ومشيت فيها، فرأيت في وسطها عين ماء عذب جارٍ خارج من تحت أول ذلك الجبل ودخل في آخره من الجانب الثاني . فعند ذلك طلع الركاب على ذلك الجبل إلى آخر الجزيرة وانتشروا فيها، وقد ذهلت عقولهم من ذلك وصاروا مثل المجانين من كثرة ما رأوا في الجزيرة من الامتعة والأموال التي على ساحل البحر . وقد رأيت في وسط تلك العين شيئاً كثيراً من اصناف الجواهر والمعادن واليواقيت واللآلئ الكبار الملوكية وهي مثل الحصى في

مجارى الماء في تلك الغيطان، وجميع أرض تلك العين تبرق من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها. ورأينا شيئاً كثيراً في تلك الجزيرة من أعلى العود الصيني والعود القماري. وفي تلك الجزيرة، عين نابعة من صنف العنبر الخام وهو يسيل مثل الشمع على جانب تلك العين من شدة حرّ الشمس ويمتد على ساحل البحر، فتطلع الهوايش من البحر تبلعه وتنزل به في البحر فيمحي في بطونها فتقذفه من أفواهها في البحر فيجمد على وجه الماء، فعند ذلك يتغير لونه وأحواله فتقذفه الأمواج إلى جانب البحر فيأخذها السياحون والتجار الذين يعرفونه فيبيعونه. وأما العنبر الخام الخالص من البلع فإنه يسيل على جانب تلك العين ويتجمد بارضه، وإذا طلعت عليه الشمس يسبح وتبقى منه رائحة ذلك الوادي كله مثل المسك، وإذا زالت عنه الشمس يجمد. وذلك المكان الذي فيه هذا العنبر الخام لا يقدر أحد على دخوله ولا يستطيع سلوكه. فإن الجبل محيط بتلك الجزيرة ولا يقدر أحد على صعود ذلك الجبل. ولم نزل دائرين في تلك الجزيرة نتفرج على ما خلق الله تعالى فيها من الأرزاق ونحن متحيرين في أمرنا وفيما نراه وعندنا خوف شديد. وقد جمعنا على جانب الجزيرة شيئاً قليلاً من الزاد فصرنا نوفر ونأكل منه في كل يوم أو يومين أكلة واحدة، ونحن خائفون أن يفرغ الزاد منّا فنموت كمدأ من شدة الجوع والخوف. وكل من مات منّا نغسله ونكفنه في ثياب وقماش من الذي يطرحه البحر على جانب الجزيرة حتى مات منّا خلق كثير ولم يبق منّا إلا جماعة قليلة. فضعفنا بوجع البطن من البحر وأقمنا مدة قليلة، فمات جميع أصحابي ورفقائي واحداً بعد واحد، وكل من مات منهم ندفنه. وبقيت في تلك الجزيرة وحدي وبقي معي زاد قليل بعد أن كان كثيراً. فبكيت على نفسي وقلت: يا ليتني متّ قبل رفقائي وكانوا غسلوني ودفنوني. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح..

فلما كانت الليلة 561
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السنبداد البحري لما دفن رفقاؤه جميعاً وصار في الجزيرة وحده قال: ثم إنني قمت مدة سيرة. ثم قمت حفرت لنفسي حفرة عميقة في جانب تلك الجزيرة وقلت في نفسي: إذا ضعفت وعلمت أن الموت قد أتاني أرقد في هذا القبر فأموت فيه، وبقي الرياح يسفي الرمل عليّ فيغطيني وأصير مدفوناً فيه. وصرت اليوم نفسي على قلة عقلي وخروجي من بلادي ومدينتي وسفري إلى البلاد بعد الذي قاسيته أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً، ولا سفرة من الأسفار إلا وأقاسي فيها أهوالاً وشدائد أشق وأصعب من الأهوال التي قبلها. وما أصدق بالنجاة والسلامة وأتوب عن السفر في البحر وعن عودي إليه ولست محتاجاً لمال وعندي شيء كثير، والذي عندي لا أقدر أن أفنيه ولا أضيع نصفه في باقي عمري، وعندي ما يكفيني وزيادة. ثم إنني تفكّرت في نفسي وقلت: والله لا بد أن هذا النهر له أول وآخر، ولا بد له من مكان يخرج منه إلى العمار. والرأي السديد عندي أنني أعمل لي فلكاً صغيراً على قدر ما أجلس فيه وأنزل وألقيه في هذا النهر وأسير به، فإن وجدت لي خلاصاً أخلص وأنجو بإذن الله تعالى، وإن لم أجد لي مخلصاً أموت داخل هذا النهر أحسن من هذا المكان. وصرت أتمسّر على نفسي، ثم إنني قمت وسعيت فجمعت أخشاباً من تلك الجزيرة من خشب العود الصيني والقماري وشدتها على جانب البحر بحبال من حبال المراكب التي كسرت وجئت

بالواح متساوية من الواح المراكب ووضعتها في ذلك الخشب وجعلت ذلك الفلك على عرض ذلك النهر أو أقل من عرضه وشدته شداً طيباً مكيناً، وقد أخذت معي من تلك المعادن والجواهر والاموال واللؤلؤ الكبير الذي مثل الحصى، وغير ذلك من الذي في تلك الجزيرة، وشيئاً من العنبر الحام الخالص الطيب ووضعت في ذلك الفلك ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة، وأخذت معي جميع ما كان باقياً من الزاد. ثم إنني القيت ذلك الفلك في هذا النهر وجعلت له خشبتين على جنبه مثل المجاديف. وعملت بقول بعض الشعراء: [من الوافر]

تَرَحَّلْ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَيْمٌ	وَحَلَّ الدَّارَ تَنْبِي مَنْ بَنَاهَا
فإنَّكَ واجِدٌ أرضاً بِأَرْضِ	وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْساً سِوَاهَا
وَلَا تَجْزَعُ لِحادِثَةِ اللَّيَالِي	فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي أَنتِهَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضِ	فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أرضِ سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَثُ رَسُولَكَ فِي مُهْمٍ	فَمَا لِلنَّفْسِ ناصِحَةٌ سِوَاهَا

وسرت بذلك الفلك في النهر وأنا متفكر فيما يصير إليه امري. ولم أزل سائراً إلى المكان الذي يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل، وأدخلت الفلك في ذلك المكان وقد صرت في ظلمة شديدة تحت الجبل، ولم يزل الفلك داخلاً بي مع الماء إلى ضيق تحت الجبل، وصارت جوانب الفلك تحك في جوانب النهر ورأسي تحك في سقف النهر ولم أقدر على أني أعود منه. وقد لمت نفسي على ما فعلته بروحي وقلت: إن ضاق هذا المكان على الفلك قل أن يخرج منه ولا يمكن عوده، فاهلك في هذا المكان كمدأ بلا محالة. وقد انطرحت على وجهي في الفلك من ضيق النهر، ولم أزل سائراً ولا أعلم ليلاً من نهار بسبب الظلمة التي أنا فيها تحت ذلك الجبل مع الفزع والخوف على نفسي من الهلاك. ولم أزل على هذه الحالة سائراً في ذلك النهر وهو يتسع تارةً ويضيق أخرى، ولكن شدة الظلمة قد تعبتني تعباً شديداً فأخذتني سنة من النوم من شدة قهري فتمت على وجهي في الفلك. ولم يزل سائراً بي وأنا نائم لا أدري بكثير ولا قليل. ثم إنني استيقظت فوجدت نفسي في النور ففتحت عيني فرأيت مكاناً واسعاً، وذلك الفلك مربوط على جزيرة وحوالي جماعة من الهنود والحبشة. فلما راووني قمت، نهضوا إليّ وكلموني بلسانهم فلم أعرف ما يقولون، وبقيت أظن أنه حلم وأن هذا في المنام من شدة ما كنت فيه من الضيق والقهر. فلما كلموني ولم أعرف حديثهم ولم ارد عليهم جواباً تقدّم إليّ رجل منهم وقال لي بلسان عربي: السلام عليكم يا اخانا، ما تكون انت؟ ومن أين جئت؟ وما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ ونحن أصحاب الزرع والغيطان وجئنا لنسقي غيطاننا وزرعنا فوجدناك نائماً في الفلك، فأمسكناه وربطناه عندنا حتى تقوم على مهلك. فاخبرنا ما سبب وصولك إلى هذا المكان؟ فقلت له: بالله عليك يا سيدي ائتنني بشيء من الطعام فإني جائع وبعد ذلك إسألني عما تريد. فأسرع وأتاني بالطعام، فأكلت حتى شبعت وارتحت وسكن روعي وازداد شعبي وردت لي روحي، فحمدت الله تعالى على كل حال وفرحت بخروجي من ذلك النهر ووصولي إليهم وأخبرتهم بجميع ما جرى لي من اوله إلى آخره وما لقيته في ذلك النهر وضيقه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما طلع من
 الفلك على جانب الجزيرة ورأى فيها جماعة من الهنود والحبشة وارتاح
 من تعبهِ ، سأله عن خبره فأخبرهم بقصته . ثم إنهم تكلموا مع
 بعضهم وقالوا : لا بد أننا نأخذُه معنا ونعرضه على ملكنا ليخبره بما جرى
 له . قال : فأخذوني معهم وحملوا معي الفلك بجميع ما فيه من المال
 والتوال والجواهر والمعادن والمصاغ وقد أدخلوني على ملكهم وأخبروه بما جرى . فسلم عليّ
 ورَحِبَ بي وسألني عن حالي وما اتفق لي من الأمور ، فأخبرته بجميع ما كان من أمري وما
 لاقيته من أوله إلى آخره . فتعجب الملك من هذه الحكاية غاية العجب وهنأني بالسلامة . فعند
 ذلك قمت وأطلعت من ذلك الفلك شيئاً كثيراً من المعادن والجواهر والعود والعنبر الحام وأهديته
 إلى الملك ، فقبله مني وأكرمني إكراماً زائداً وانزلني في مكان عنده . وقد صاحبت اختيارهم
 وأكابرهم وعزوني معزة عظيمة وصرت لا أفارق دار الملك ، وصار الواردون إلى تلك الجزيرة
 يسألوني عن أمور بلادي فأخبرهم بها ، وكذلك أسألهم عن أمور بلادهم فيخبروني بها إلى أن
 سألتني ملكهم يوماً من الأيام عن أحوال بلادي وعن أحوال حكم الخليفة في بلاد مدينة بغداد ،
 فأخبرته بعدله في أحكامه فتعجب من أمره وقال لي : والله إن الخليفة له أمور عقلية وأحوال
 مرضية وأنت قد حبيتني فيه يومرادي أن أجهز له هدية وأرسلها معك إليه . فقلت : سمعاً وطاعة
 يا مولانا أوصلها إليه وأخبره أنك محب صادق . ولم أزل مقيماً عند ذلك الملك وأنا في غاية العز
 والإكرام وحسن معيشة مدة من الزمان إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام في دار الملك فسمعت
 بخبر جماعة من تلك المدينة أنهم جهزوا لهم مركباً يريدون السفر فيها إلى نواحي مدينة البصرة .
 فقلت في نفسي : ليس لي أوفق من السفر مع هؤلاء الجماعة . فأسرعت من وقتي وساعتي
 وقبّلت يد ذلك الملك وأعلمته بأن مرادي السفر مع الجماعة في المركب التي جهزوها لأنني
 اشتقت إلى أهلي وبلادي . فقال لي الملك : الرأي لك ، وإن شئت الإقامة عندنا فعلى الرأس
 والعين وقد حصل لنا أنسك . فقلت : والله يا سيدي قد غمرتني بجميلك وإحسانك ولكنني قد
 اشتقت إلى أهلي وبلادي وغيالي . فلما سمع كلامي أحضر التجار الذين جهزوا المركب
 وأوصاهم عليّ وقد وهب لي شيئاً كثيراً من عنده ودفع عني اجرة المركب وأرسل معي هدية
 عظيمة إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد . ثم إنني ودّعت الملك وودّعت جميع أصحابي
 الذين كنت أتردد عليهم . ثم نزلت تلك المركب مع التجار وسرنا ، وقد طاب لنا الريح والسفر
 ونحن متوكلون على الله سبحانه وتعالى . ولم نزل مسافرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى
 جزيرة إلى أن وصلنا بالسلامة بإذن الله تعالى إلى مدينة البصرة . فطلعت من المركب ولم أزل مقيماً
 بأرض البصرة أياماً وليالي حتى جهزت نفسي وحملت حمولي وتوجهت إلى مدينة بغداد دار
 السلام ، فدخلت على الخليفة هارون الرشيد وقدمت إليه تلك الهدية وأخبرته بجميع ما جرى
 لي . ثم خزنت جميع أموالي وأمعتني ودخلت حارتي وجاءني أهلي وأصحابي وفرقت الهدايا
 على جميع أهلي وتصدّقت ووهبت . وبعد مدة من الزمان أرسل إليّ الخليفة فسألني عن سبب
 تلك الهدية ومن أين هي . فقلت : يا أمير المؤمنين ، والله لا أعرف للمدينة التي هي منها إسماً ولا
 طريقاً . ولكن لما غرقت المركب التي كنت فيها ، طلعت على جزيرة وقد صنعت لي فلحاً ونزلت في

نهر كان في وسط جزيرة . وأخبرته بما جرى لي في السفرة، وكيف كان خلاصي من ذلك النهر إلى تلك المدينة وبما جرى لي فيها، وبسبب إرسال الهدية . فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وأمر المؤرخين أن يكتبوا حكايتي ويجعلوها في خزانته ليعتبر بها كل من رآها . ثم إنه أكرمني إكراماً زائداً . وقد أقمت بمدينة بغداد على ما كنت عليه في الزمن الأول ونسيت جميع ما جرى لي وما قاسيته من أوله إلى آخره . ولم أزل في لذّة عيش ولهو وطرب . وهذا ما كان من أمري في السفرة السادسة يا إخواني، وإن شاء الله تعالى في غد أحكي لكم حكاية السفرة السابعة فإنها أعجب وأغرب من هذه السفرات . ثم إنه أمر بمد السماط وتعشوا عنده وأمر السندباد البحري للسندباد الحمال بمائة مثقال من الذهب فأخذها وانصرف إلى حال سبيله . وانصرف الجماعة وهم متعجبون من ذلك غاية العجب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
563
قال : إعلموا يا جماعة أنني لما رجعت من السفرة السادسة وعدت لما

سفرته السادسة وراح كل واحد إلى حال سبيله . بات السندباد البري في منزله ثم صلّى الصبح وجاء إلى منزل السندباد البحري وأقبل الجماعة . فلما تكاملوا ابتداء السندباد البحري بالكلام في حكاية السفرة السابعة وقال : إعلموا يا جماعة أنني لما رجعت من السفرة السادسة وعدت لما كنت عليه في الزمن الأول من البسط والانشراح واللهو والطرب . أقمت على تلك الحالة مدة من الزمان وأنا متواصل الهناء والسرور ليلاً ونهاراً، وقد حصل لي مكاسب كثيرة وفوائد عظيمة . فاشتقت نفسي إلى الفرجة في البلاد وإلى ركوب البحر وعشرة التجار وسماع الأخبار، فهممت في ذلك الأمر وقد حزمت أحمالاً بحرية من الأمتعة الفاخرة وحملتها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة، فرأيت مركباً محضرة للسفر وفيها جماعة من التجار العظام . فنزلت معهم واستأنست بهم وقد سرنا بسلامة وعافية قاصدين السفر، وقد طاب لنا الريح حتى وصلنا إلى مدينة تسمى مدينة الصين ونحن في غاية الفرح والسرور، نتحدث مع بعضنا في أمر السفر والمتجر . فبينما نحن على هذه الحالة وإذا بريح عاصف هب من مقدم المركب ونزل علينا مطر شديد حتى ابتلنا وابتلت حمولنا، فغطينا الحمول باللباد والحيش خوفاً على البضاعة من التلف بالمطر وصرنا ندعو الله تعالى ونتضرع إليه في كشف ما نزل بنا مما نحن فيه . فعند ذلك قام رئيس المركب وشدّ حزامه وتشمر وطلع الصاري، ثم إنه صار يلتفت يميناً وشمالاً وبعد ذلك نظر إلى أهل المركب ولطم على وجهه ونتف لحيته . فقلنا : يا رئيس ما الخبر؟ فقال لنا : اطلبوا من الله تعالى النجاة مما وقعنا فيه وابكوا على أنفسكم وودّعوا بعضكم واعلموا أن الريح قد غلب علينا ورمانا في آخر بحار الدنيا . ثم أن الرئيس نزل من فوق الصاري وفتح صندوقه وأخرج منه كيساً قطناً وفكه وأخرج منه تراباً مثل الرماد وبلّه بالماء وصبر عليه قليلاً ثم شمّه . ثم إنه أخرج من ذلك الصندوق كتاباً صغيراً وقرأ فيه وقال لنا : إعلموا يا ركاب أن في هذا الكتاب أمراً عجيبياً يدل على أن كل من وصل إلى هذه الأرض لم ينج منها بل يهلك، فإن هذه الأرض تسمى إقليم الملوك وفيها قبر سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام، وفيه حيات عظام الخلقة هائلة المنظر . فكل مركب وصلت إلى هذا الإقليم يطلع لها حوت من البحر فيبتلعها بجميع ما فيها . فلما سمعنا هذا الكلام من الرئيس تعجبنا غاية العجب من حكايته، فلم يتم الرئيس كلامه لنا حتى صارت المركب ترتفع بنا عن

الماء ثم تنزل ، وسمعنا صرخة عظيمة مثل الرعد القاصف ، فارتعبنا منها وصرنا كالأموات وإيقنا بالهلاك في ذلك الوقت . وإذا بحوت قد أقبل على المركب كالجبل العالي ففزعنا منه وقد بكينا على أنفسنا بكاءً شديداً وتجهزنا للموت وصرنا ننظر إلى ذلك الحوت ونتعجب من خلقته الهائلة ، وإذا بحوت قد أقبل علينا فما رأينا أعظم منه ولا أكبر ، فعند ذلك ودعنا بعضنا ونحن نكي على أرواحنا ، وإذا بحوت ثالث قد أقبل وهو أكبر من الإثنين اللذين جاآنا قبله ، فصرنا لانهي ولا نعقل وقد اندهشت عقولنا من شدة الخوف والفرع . ثم إن هذه الحيتان الثلاثة صاروا يدورون حول المركب وقد أهوى الحوت الثالث ليلعب المركب بكل ما فيها ، وإذا بريح عظيم ثار فقامت المركب ونزلت على شعب عظيم فانكسرت وتفرقت جميع الألواح وغرقت جميع الحمول والتجار والركاب في البحر . فخلعت أنا جميع ما كان علي من الثياب ولم يبق علي غير ثوب واحد ، ثم عمت قليلاً فلحقت لوحاً من ألواح المركب وتعلقت به ، ثم إنني طلعت عليه وركبته وقد صارت الأمواج والأرياح تلعب بي على وجه الماء وأنا قابض على ذلك اللوح والموج يرفعني ويحطني وأنا في أشد ما يكون من المشقة والخوف والجوع والعطش ، وصرت ألوم نفسي على ما فعلته . وقد تعبت نفسي بعد الراحة وقلت لروحي : يا سندباد يا بحري ، أنت لم تتب وكل مرة تقاسي فيها الشدائد والتعب ولم تتب عن سفر البحر ، وإن تب تكذب في التوبة . فقاس كل ما تلقاه فإنك تستحق جميع ما يحصل لك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 564

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السندباد البحري لما غرق في البحر ، ركب لوحاً من الخشب وقال في نفسه : استحق جميع ما يجري لي وكل هذا مقدور علي من الله تعالى حتى أرجع عن ما أنا فيه من الطمع ، وهذا الذي أقاسيه من طمعي فإن عندي ما لا كثيراً . ثم إنه قال : وقد رجعت لعقلي وقلت : إنني في هذه السفرة قد تبنت إلى الله تعالى توبة نصوحاً عن السفر ، وما بقيت عمري أذكره على لساني ولا على بالي . ولم أزل أتضرع إلى الله تعالى وأبكي ، ثم إنني تذكرت في نفسي ما كنت فيه من الراحة والسرور واللهو والطرب والانشراح . ولم أزل على هذه الحال أول يوم وثاني يوم إلى أن طلعت على جزيرة عظيمة وفيها شيء كثير من الأشجار والأنهار ، فصرت أكل من ثمر تلك الأشجار وأشرب من ماء تلك الأنهار حتى انتعشت وردت لي روحي وقويت هممتي وانشرح صدري . ثم مشيت في الجزيرة فرأيت في جانبها الثاني نهراً عظيماً من الماء العذب ، ولكن ذلك النهر يجري جرياً قوياً . فتذكرت أمر الفلك الذي كنت فيه سابقاً وقلت في نفسي : لا بد أني أعمل لي فلكاً مثله فلعلني أنجو من هذا الأمر ، فإن نجوت به حصل المراد وتبت إلى الله تعالى من السفر ، وإن هلكت ارتاح قلبي من التعب والمشقة . ثم إنني قمت فجمعت أخشاباً من تلك الأشجار من خشب الصندل الغال الذي لا يوجد مثله وأنا لا أدري أي شيء هو . ولما جمعت تلك الأخشاب تحملت بأغصان ونبات من هذه الجزيرة وفتلتها مثل الحبال وشدت بها الفلك وقلت : إن سلمت فمن الله . ثم إنني نزلت في ذلك الفلك وسرت به في ذلك النهر حتى خرجت من آخر الجزيرة ثم بعدت عنها . ولم أزل سائراً أول يوم وثاني يوم وثالث يوم بعد مفارقة الجزيرة وأنا نائم ولم أكل في هذه المدة شيئاً ، ولكن إذا عطشت شربت من ذلك النهر وصرت مثل الفرخ الداخ من شدة التعب والجوع

والخوف، حتى انتهى بي الفلك إلى جبل عالٍ والنهر داخل من تحته. فلما رأيت ذلك خفت على نفسي من الضيق الذي كنت فيه أول مرة في النهر السابق وأردت أني أوقف الفلك وأطلع منه إلى جانب الجبل، فغلبني الماء فجذب الفلك وأنا فيه ونزل به تحت الجبل. فلما رأيت ذلك أيقنت بالهلاك وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولم يزل الفلك سائراً مسافة يسيرة، ثم طلع إلى مكان واسع وإذا هو وادٍ كبير والماء يهدر فيه وله دوي مثل دوي الرعد وجريان مثل جريان الرياح. فصرت قابضاً على ذلك الفلك بيدي وأنا خائف أن أقع من فوقه والأمواج تلعب بي يمناً وشمالاً في وسط ذلك المكان. ولم يزل الفلك منحدرًا مع الماء الجاري في ذلك الوادي وأنا لا أقدر على منعه ولا أستطيع الدخول به في جهة البر إلى أن رسي بي على جانب مدينة عظيمة المنظر مليحة البناء فيها خلق كثير. فلما رأوني وأنا في ذلك الفلك منحدرًا في وسط النهر مع التيار، رموا عليّ الشبكة والحبال في ذلك الفلك. ثم طلعا الفلك من ذلك النهر إلى البر وقد سقطت بينهم وأنا مثل الميت من شدة الجوع والسهر والخوف، فتلقاني من بين هؤلاء الجماعة رجل كبير السن وهو شيخ عظيم، وقد رحب بي ورمى عليّ ثياباً كثيرة جميلة فسترت بها عورتني. ثم إنه أخذني وسار بي وأدخلني الحمام وجاء لي بالأشربة المنعشة والروائح الزكية. ثم بعد خروجنا من الحمام أخذني إلى بيته وأدخلني فيه، وفرح بي أهل بيته. ثم أجلسني في مكان ظريف وهياً لي شيئاً من الطعام الفاخر فأكلت حتى شبعت وحمدت الله تعالى على نجاتي. وبعد ذلك قدم لي غلماناً ماءً ساخناً فغسلت يدي، وجاءتني جواريه بمناشف من الحرير فنشفت يدي ومسحت فمي. ثم إن ذلك الشيخ قام من وقته وأخلى لي مكاناً منفرداً وحده في جانب داره والزم غلماناً وجواريه بخدمتي وقضاء حاجتي وجميع مصالحي، فصاروا يتعهدونني. ولم أزل على هذه الحالة عنده في دار الضيافة ثلاثة أيام وأنا على أكل طيب وشرب طيب ورائحة طيبة حتى ردت لي روحي وسكن روحي وهذا قلبي وارتاحت نفسي. فلما كان اليوم الرابع تقدّم إليّ الشيخ وقال لي: أنستنا يا ولدي والحمد لله على سلامتك، فهل لك أن تقوم معي إلى ساحل البحر وتنزل السوق فتبيع البضاعة وتقبض ثمنها؟ لعلك تشتري لك بها شيئاً تتجر فيه. فسكت قليلاً وقلت في نفسي: من أين معي بضاعة؟ وما سبب هذا الكلام؟ ثم قال الشيخ: يا ولدي لا تهتم ولا تتفكر، فقم بنا إلى السوق فإن رأينا من يعطيك في بضاعتك ثمناً يرضيك أقبضه لك، وإن لم يجيء فيها شيء يرضيك أحطها لك عندي في حواصلي حتى تجيء أيام البيع والشراء. فتفكرت في أمري وقلت لعقلي: طواعه حتى تنظر أي شيء تكون هذه البضاعة. ثم إنني قلت له: سمعاً وطاعة يا عم الشيخ، والذي تفعله فيه البركة ولا يمكن مخالفتك في شيء. ثم إنني جئت معه إلى السوق فوجدته قد فكّ الفلك الذي جثت فيه وهو من خشب الصندل وأطلق المنادي عليه. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السندباد البحري لما ذهب مع الشيخ إلى شاطئ البحر ورأى الفلك الذي جاء فيه من خشب الصندل مفكوكاً ورأى الدلائل يدلّ عليه، جاء التجار وفتحوا باب سعره وتزايدوا فيه إلى أن بلغ ثمنه ألف دينار وبعد ذلك توقف التجار عن الزيادة. فالتفت إليّ الشيخ وقال: اسمع يا ولدي، هذا سعر بضاعتك

فلما كانت الليلة
565
التي
كانت
تلك
الليلة
التي
كانت
تلك
الليلة

في مثل هذه الايام فهل تبعها بهذا السعر أو تصبر وأنا أحطها لك عندي في حواصلي حتى يجيء
أوان زيادتها في الثمن فنبيعها لك؟ فقلت له: يا سيدي الأمر أمرك فافعل ما تريد. فقال: يا ولدي
أتبيني هذا الحطب بزيادة مائة دينار ذهباً فوق ما أعطى فيه التجار؟ فقلت له: نعم بعثك
وقبضت الثمن. فعند ذلك أمر غلمانه بنقل ذلك الخشب إلى حواصله، ثم إنني رجعت معه إلى
بيته فجلسنا وعدّ لي جميع ثمن ذلك الحطب وأحضر لي أكياساً وحط المال فيها وقفل عليها
بقفل حديد وأعطاني مفتاحه. وبعد مدة أيام وليال قال الشيخ: يا ولدي إنني أعرض عليك شيئاً
وأشتهي أن تطاوعني فيه. فقلت له: وما ذلك الأمر؟ فقال لي: أعلم أنني بقيت رجلاً كبير السن
ليس لي ولد ذكر وعندي بنت صغيرة السن ظريفة الشكل عندها مال كثير وجمال، فأريد أن
أزوجه لك وتقعّد معها في بلادنا، ثم إنني أملكك جميع ما هو عندي وما تملكه يدي فإني بقيت
رجلاً كبيراً وأنت تقوم مقامي. فسكت ولم أتكلم. فقال لي: أتعني يا ولدي في الذي أقوله لك
فإن مرادي لك الخير، فإن أعطتني زوجتك ابنتي وتبقى مثل ولدي وجميع ما في يدي وما هو
ملك ي يصير لك، وإن أردت التجارة والسفر إلى بلادك لا يمنعك أحد وهذا مالك تحت يدك
فافعل به ما تريده وما تختاره. فقلت له: والله يا عم الشيخ أنت صرت مثل والدي وأنا قاسيت
أهوالاً كثيرة ولم يبق لي رأي ولا معرفة فالأمر أمرك في جميع ما تريده. فعند ذلك أمر الشيخ
غلمانه بإحضار القاضي والشهود، فأحضروهم وزوجني ابنته وعمل لنا وليمة عظيمة وفرحاً
كبيراً وأدخلني عليها فرايتها في غاية الحسن والجمال، بقدر واعتدال وعليها شيء كثير من أنواع
الحلي والحلل والمعادن والمصاغ والعقود والجواهر الثمينة، وما قيمتها إلاّ ألوف الألوف من
الذهب، ولا يقدر أحد على ثمنها. فلما دخلت عليها أعجبتني ووقعت المحبة بيننا وأقمت معها
مدة من الزمان وأنا في غاية الأناج والانشراح. وقد توفي والدها إلى رحمة الله تعالى فجهزناه
ودفناه ووضعت يدي على ما كان معه، وصار جميع غلمانه غلماني وتحت يدي في خدمتي،
وولّاني التجار مرتبته فإنه كان كبيرهم ولم يأخذ أحد منهم شيئاً إلاّ بمعرفته وإذته لأنه شيخهم،
وصرت أنا في مكانه. فلما خالطت أهل تلك المدينة وجدتهم تنقلب حالتهم في كل شهر، فظهر
لهم أجنحة يطيرون إلى عنان السماء ولا يبقى متخلفاً في تلك المدينة غير الأطفال والنساء. فقلت
في نفسي: إذا جاء رأس الشهر أسأل أحداً منهم فلعلهم يحملوني معهم إلى أين يروحون. فلما
جاء رأس الشهر تغيرت ألوانهم وانقلبت صورهم فدخلت على واحد منهم وقلت له: بالله
عليك أنك تحملني معك حتى أتفرج وأعود معكم. فقال لي: هذا شيء لا يمكن. فلم أزل
أتداخل عليه حتى أنعم عليّ بذلك. وقد وافقتهم وتعلقت به فطار بي في الهواء ولم أعلم أحداً
من أهل بيتي ولا من غلماني ولا من أصحابي، ولم يزل طائراً بي ذلك الرجل وأنا على أكتافه
حتى علا بي في الجو فسمعت تسييح الأملاك في قبة الأفلاك. فتعجبت من ذلك وقلت: سبحان
الله والحمد لله. فلم أستتم التسييح حتى خرجت نار من السماء فكادت تحرقهم، فنزلوا جميعاً
وقد القوني على جبل عالٍ وقد صاروا في غاية الغيظ مني ورحلوا وخلّوني فصرت وحدي في
ذلك الجبل. فلمت نفسي على ما فعلت وقلت: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم، أنا كلما
أخلص من مصيبة أقع في مصيبة أقوى منها. ولم أزل في ذلك الجبل ولا أعلم أين أذهب، وإذا
بغلامين سائرين كأنهما قمران، وفي يد كل واحد منهما قضيب من ذهب يتعكّر عليه. فتقدمت

يا بري ما جرى لي وما وقع لي وما كان من أمري . فقال السندباد البري للسندباد البحري : بالله عليك لا تؤاخذني بما كان مني في حقل . ولم يزالوا في عشرة ومودة مع بسط زائد وفرح وانسراح إلى أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمّر القبور وهو كأس الممات فسبحان الحي الذي لا يموت .

53 - حكاية مدينة النحاس

وبلغني أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان . وكان جالساً يوماً من الأيام وعنده أكبر دولته من الملوك والسلطين فوقعت بينهم مباحثة في حديث الأمم السالفة وتذكروا أخبار سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وما أعطاه الله تعالى من الملك والحكم في الإنس والجن والطير والوحش وغير ذلك . وقالوا : قد سمعنا من كان قبلنا أن الله سبحانه وتعالى لم يعط أحداً مثل ما أعطى سيدنا سليمان ، وإنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن الجن والمردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة عبد الملك بن مروان لما تحدث مع أعوانه وأكابر دولته وتذكروا سيدنا سليمان وما أعطاه الله من الملك قال : إنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن المردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه وأخبر طالب أن رجلاً نزل في مركب مع جماعة وانحدروا إلى بلاد الهند ولم يزالوا سائرين حتى طلع عليهم ريح ، فوجههم ذلك الريح إلى أرض من أراضي الله تعالى ، وكان ذلك في سواد الليل . فلما أشرق النهار خرج إليهم من مغارات تلك الأرض أقوام سود الألوان عراة الاجساد كأنهم وحوش لا يفقهون خطاباً ، لهم ملك من جنسهم وليس منهم أحد يعرف العربية غير ملكهم . فلما رأوا المركب ومن فيها ، خرج إليهم في جماعة من أصحابه فسلم عليهم ورحب بهم وسألهم عن دينهم فأخبروه بحالهم . فقال لهم : لا بأس عليكم . وحين سألهم عن دينهم كان كل منهم على دين من الأديان قبل ظهور الإسلام وقبل بعث محمد ﷺ . فقال أهل المركب : نحن لانعرف ما تقول ولا نعرف شيئاً من هذا الدين . فقال لهم الملك : إنه لم يصل إلينا أحد من بني آدم قبلكم . ثم إنه ضيفهم بلحم الطيور والوحوش والسمك وليس لهم طعام غير ذلك . ثم إن أهل المركب نزلوا يتفرجون في تلك المدينة فوجدوا بعض الصيادين أرخى شبكة في البحر ليصطاد سمكاً ثم رفعها فإذا فيها قمقم من نحاس مرصص مختوم عليه بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام . فخرج به الصياد وكسره فخرج منه دخان أزرق التحق بعنان السماء . فسمعنا صوتاً منكراً يقول : التوبة التوبة يا نبي الله . ثم صار من ذلك الدخان شخص هائل المنظر مهول الخلقة يلحق رأسه الجبل ثم غاب عن أعينهم . فاما أهل المركب فكادت تنخلع قلوبهم ، وأما السودان فلم يفكروا في ذلك . فرجع رجل إلى الملك وسأله عن ذلك فقال له : أعلم أن هذا من الجن الذين كان سليمان

فلما كانت الليلة
كانت الليلة
567
كانت الليلة

بن داود إذا غضب عليهم سجنهم في هذه القمام و رصص عليهم و رماهم في البحر، فإذا رمى الصياد الشبكة تطلع بهذه القمام في غالب الأوقات، فإذا كسرت يخرج منها جني ويخطر بباله أن سليمان حي فيتوب ويقول: التوبة يا نبي الله. فتعجب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من هذا الكلام وقال: سبحان الله، لقد أوتي سليمان ملكاً عظيماً. وكان ممن حضر في ذلك المجلس النابغة الذبياني فقال: صدق طالب فيما أخبر به. والدليل على صدقه قول الحكيم الأول: [من البسيط]

وَفِي سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ قُمْ بِالْخِلَافَةِ وَأَحْكُمْ حُكْمَ مَجْتَهِدٍ
فَمَنْ أَطَاعَكَ فَآكِرْمُهُ بِطَاعَتِهِ وَمَنْ أَبَى عَنْكَ فَاجْحِسْهُ إِلَى الْأَبَدِ

وكان يجعلهم في قمام من النحاس ويرميهم في البحر. فاستحسن أمير المؤمنين هذا الكلام وقال: والله إنني لأشتهي أن أرى شيئاً من هذه القمام. فقال له طالب بن سهل: يا أمير المؤمنين إنك قادر على ذلك وأنت مقيم في بلادك، فأرسل إلى أخيك عبد العزيز بن مروان أن يأتيك بها من بلاد الغرب بأن يكتب إلى موسى أن يركب من بلاد الغرب إلى هذا الجبل الذي ذكرناه ويأتيك من هذه القمام بما تطلب، فإن البر متصل من آخر ولايته بهذا الجبل. فاستصوب أمير المؤمنين رايه وقال: يا طالب لقد صدقت فيما قلته، وأريد أن تكون أنت رسولي إلى موسى بن نصر في هذا الأمر، ولك الراية البيضاء وكل ما تريده من مال أو جاه أو غير ذلك وأنا خلقتك في أهلك. قال: حباً وكرامة يا أمير المؤمنين. فقال له: سرّ على بركة الله تعالى وعونه. ثم أمر أن يكتبوا له كتاباً لآخيه عبد العزيز نائبه في مصر، وكتاباً آخر إلى موسى نائبه في بلاد الغرب يأمره بالسير في طلب القمام السليمانية بنفسه ويستخلف ولده على البلاد ويأخذ معه الأدلة وينفق المال وليستكثر من الرجال ولا يلحقه في ذلك فترة ولا يحتج بحجة. ثم ختم الكتابين وسلّمهما إلى طالب بن سهل وأمره بالسرعة ونصب الرايات على رأسه. ثم إن الخليفة أعطاه الأموال والركاب والرجال ليكونوا أعواناً له في طريقه وأمر بإجراء النفقة على بيته من كل ما يحتاج إليه. وتوجه طالب يطلب مصر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة قال: قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن طالب بن سهل سار هو وأصحابه يقطعون البلاد من الشام إلى أن دخلوا مصر. فتلقاه أمير مصر وأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام في مدة إقامته عنده ثم بعث معه دليلاً إلى الصعيد الأعلى حتى وصلوا إلى الأمير موسى بن نصر. فلما علم به خرج إليه وتلقاه وفرح به فنأوله الكتاب. فأخذه وقرأه وفهم معناه ووضع على رأسه وقال: سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين. ثم إنه اتفق رايه على أن يحضر أرباب دولته فحضروا، فسألهم عن ما بدا له في الكتاب. فقالوا: أيها الأمير إن أردت من يدلك على طريق ذلك المكان فعليك بالشيخ عبد الصمد بن عبد القلوس الصمودي، فإنه رجل عارف وقد سافر كثيراً وهو خبير بالبراري والقفار والبحار وسكانها وعجائبها والأرضين وأقطارها فعليك به فإنه يرشدك إلى ما تريده. فأمر بإحضاره فحضر بين يديه وإذا هو شيخ كبير قد أهرمه تداول السنين والأعوام. فسلم عليه الأمير موسى وقال له: يا شيخ عبد الصمد، إن مولانا أمير المؤمنين

عبد الملك بن مروان قد أمرنا بكذا وكذا وأنا قليل المعرفة بتلك الأرض ، وقد قيل لي إنك عارف بتلك البلاد والطرق ، فهل لك رغبة في قضاء حاجة أمير المؤمنين ؟ فقال الشيخ : أعلم أيها الملك أن هذه الطريق وعرة بعيدة الغيبة قليلة المسالك . فقال له الأمير : كم مسير مسافتها ؟ فقال : مسير سنتين وأشهر ذهاباً ومثلها مجيئاً ، وفيها شدائد وأهوال وغرائب وعجائب ، وأنت رجل مجاهد وبلادنا بالقرب من العدو فربما تخرج النصارى في غيبتك والواجب أن تستخلف في مملكتك من يدبرها . قال : نعم . فاستخلف هارون عوضاً عنه في مملكته وأخذ عليه عهداً وأمر الجنود أن لا يخالفوه بل يطاعوه في جميع ما يأمرهم به . فسمعوا كلامه وأطاعوه . وكان ولده هارون عظيم البأس هماماً جليلاً وبتلاً كميأ . وأظهر له الشيخ عبد الصمد أن الموضع الذي فيه حاجة أمير المؤمنين مسير أربعة أشهر ، وهو على ساحل البحر وكله منازل تتصل ببعضها وفيها عشب وعيون . وقال : قد يهون الله علينا ذلك ببركتك يا نائب أمير المؤمنين . فقال الأمير موسى : هل تعلم أن أحداً من الملوك وطىء هذه الأرض قبلنا ؟ قال له : نعم يا أمير المؤمنين ، هذه الأرض لملك اسكندرية داران الرومي . ثم ساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى القصر . فقال : تقدم بنا إلى هذا القصر الذي هو عبدة لمن اعتبر . فتقدم الأمير موسى إلى القصر ومعه الشيخ عبد الصمد وخواص أصحابه حتى وصلوا إلى بابه فوجده مفتوحاً وله أركان طويلة ودرجات ، وفي تلك الدرجات درجتان ممتدتان وهما من الرخام الملون الذي لم ير مثله ، والسقوف والحيطان منقوشة بالذهب والفضة والمعدن ، وعلى الباب لوح مكتوب فيه باليوناني . فقال الشيخ عبد الصمد : هل أقرأه يا أمير ؟ فقال له : تقدم وقرأ بارك الله فيك فما حصل لنا في هذا السفر إلا بركتك . فقرأه فإذا فيه شعر وهو : [من الكامل]

قَوْمٌ تَرَاهُ بَعْدَ مَا صَنَعُوا	يَبْكِي عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي نَزَعُوا
فَالْقَصْرُ فِيهِ مُنْتَهَى خَبْرٍ	عَنْ سَادَةِ فِي التُّرْبِ قَدْ جُمِعُوا
أَبَادَهُمْ مَوْتُ وَفَرَقَهُمْ	وَضِعَعُوا فِي التُّرْبِ مَا جُمِعُوا
كَأَنَّمَا حَطُّوا رِحَالَهُمْ	لَيْسْتَرِيحُوا فَجَاءَ رَحَلُوا

قال : فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه وقال : لا إله إلا الله الحي الباقي بلا زوال . ثم إنه دخل القصر فتحير من حسنه وبنائه ونظر إلى ما فيه من الصور والتماثيل وإذا على الباب الثاني أبيات مكتوبة . فقال الأمير موسى : تقدم أيها الشيخ وقرأ . فتقدم وقرأ فإذا هي : [من المنسرح]

كَمْ مَعَشَرَ فِي قِيَابِهَا نَزَلُوا	عَلَى قَدِيمِ الزَّمَانِ وَأَرْتَحَلُوا
فَانظُرْ إِلَى مَا بَغَيْرِهِمْ صَنَعَتْ	حَوَادِثُ الدَّهْرِ إِذْ بِهَا نَزَلُوا
تَقَاسَمُوا كُلُّ مَا لَهُمْ جَمَعُوا	وَحَلَفُوا بَعْدَ فَارْتَحَلُوا
كَمْ لَابَسُوا نِعْمَةً وَكَمْ أَكَلُوا	فَأَصْبَحُوا فِي التُّرَابِ قَدْ أَكَلُوا

فبكى الأمير موسى بكاءً شديداً واصفرت الدنيا في وجهه ثم قال : لقد خلقنا لأمر عظيم . ثم تأملوا القصر فإذا هو قد خلا من السكان وعدم الأهل والقطان ، دوره موحشات وجهاته مقفرات وفي وسطه قبة عالية شاهقة في الهواء وحواليها أربعمائة قبر . قال : فدنى الأمير موسى إلى تلك

القبور وإذا بقبر بينهم مبني بالرخام منقوش عليه هذه الأبيات : [من المتقارب]

فَكَمْ قَدْ وَقَفْتُ وَكَمْ قَدْ فَتَكْتُ
وَكَمْ قَدْ أَكَلْتُ وَكَمْ قَدْ شَرِبْتُ
وَكَمْ قَدْ أَمَرْتُ وَكَمْ قَدْ نَهَيْتُ
فَحَاصِرْتُهَا ثُمَّ فَتَشْتُهَا
وَلَكِنْ بِجَهْلِي تَعَدَّيْتُ فِي
فَحَاسِبِ لِنَفْسِكَ يَا ذَا الْفَتَى
فَعَمَّا قَلِيلٍ يُهَالُ الثَّرَى
وَكَمْ قَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْكَائِنَاتِ
وَكَمْ قَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْغَايَاتِ
وَكَمْ مِنْ حُصُونٍ تُرَى مَائِنَاتِ
وَبَيِّنَتْ مِنْهَا حُلِي الْغَايَاتِ
حُصُولِ أَمَانٍ عَدَّتْ فَايَاتِ
قُبَيْلِ شَرَابِكَ كَأَسِّ الْمَمَاتِ
عَلَيْكَ وَأَنْتَ عَدِيمُ الْحَيَاةِ

قال : فيكى الامير موسى ومن معه . ثم دنى من القبة فإذا لها ثمانية أبواب من خشب الصندل بمسامير من الذهب مكوكبة بكواكب الفضة مرصعة بالمعادن من أنواع الجواهر مكتوب على الباب الاول هذه الأبيات : [من البسيط]

مَا قَدْ تَرَكْتُ فَمَا خَلَفْتَهُ كَرَمًا
فَطَالَ مَا كُنْتُ مَسْرُورًا وَمُغْتَبَطًا
لَا أَسْتَقِرُّ وَلَا أَسْخَى بِخَرْدَلَةٍ
حَتَّى رُمِيْتُ بِأَقْدَارِ مُقَدَّرَةٍ
إِنْ كَانَ مَوْتِي مَحْتَمًا عَلَى عَجَلٍ
وَلَا جُنُودِي الَّتِي جَمَعْتُهَا نَفَعَتْ
وَطُولُ عُمْرِي مَتَعُوبٌ عَلَى سَفَرٍ
عَادَتْ لِيَغْيِرَكَ قَبْلَ الصُّبْحِ كَامِلَةً
وَيَوْمَ عَرْضِكَ تَلَقَى اللَّهُ مُتَّفِرِدًا
فَلَا تَغَرَّنَكَ الدُّنْيَا بِزِينَتِهَا
بَلِ الْقَضَاءِ وَحُكْمِ فِي الْوَرَى جَارِ
أَحْمِي حِمَايَ لِمِثْلِ الضَّيِّغِ الضَّارِي
شَحًّا عَلَيْهِ وَلَوْ أَلْقَيْتُ فِي النَّارِ
مِنَ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ الْخَالِقِ الْبَارِي
فَلَمْ أَطِقْ دَفْعَهُ عَنِّي بِأَكْثَارِي
وَلَمْ يَغْنِي صَدِيقٌ لِي وَلَا جَارِي
تَحْتَ الْمَنِيَّةِ فِي يُسْرِ وَإِعْسَارِ
وَقَدْ أَتَوَكَ بِحِمَالٍ وَحَقَّارِ
بِحَمَلِ إِثْمٍ وَإِجْرَامِ وَأَوْزَارِ
وَأَنْظُرُ إِلَى فِعْلِهَا بِالْأَهْلِ وَالْجَارِ

فلما سمع الامير موسى هذه الابيات بكى بكاءً شديداً حتى غشي عليه . فلما افاق دخل القبة فرأى فيها قبراً طويلاً هائل المنظر وعليه لوح من الحديد الصيني . فدنى منه الشيخ عبد الصمد وقرأه فإذا فيه مكتوب : بسم الله الدائم الابدي الابد . بسم الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . بسم الله ذي العزة والجبروت . باسم الحي الذي لا يموت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ عبد الصمد لما قرأ ما ذكرناه رأى بعده مكتوباً في اللوح : أما بعد ، أيها الواصل الى هذا المكان اعتبر بما ترى من حوادث الزمان وطوارق الحدثان ، ولا تغتر بالدنيا وزينتها وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفها فإنها ملاقاة مكارة غدارة ، أمورها مستعارة تأخذ المعار من المستعير ، فهي كاضغات النائم وحلم الحالم ، كأنها اسراب بقية يحسبه الظمان ماء يزخرفها الشيطان للإنسان إلى الممات . فهذه

فلما كانت الليلة 569

صفات الدنيا فلا تثق بها ولا تمل إليها فإنها تخون من استند إليها وعول في أموره عليها، لا تقع في حبالها ولا تتعلق بأذيالها. فإني ملكت أربعة آلاف حصان أحمر في دار، وتزوجت ألف بنت من بنات الملوك نواهد أبحاراً كأنهن الأقمار، ورزقت ألف ولد كأنهم الليوث العوايس، وعشت من العمر ألف سنة منعم البال والأسرار، وجمعت من الأموال ما يعجز عنه ملوك الأقطار. وكان ظني أن النعيم يدوم لي بلا زوال، فلم أشعر حتى نزل بنا هادم اللذات ومفرق الجماعات. وقد تركنا في هذا القصر مطمئنين حتى نزل بنا حكم رب العالمين، رب السموات ورب الأرضين، فأخذتنا صيحة الحق المبين فصار يموت منا كل يوم اثنان حتى فنى منا جماعة كثيرة. فلما رأيت الفناء قد دخل ديارنا وقد حل بنا وفي بحر المنيا أغرقنا، أحضرت كاتباً وأمرته أن يكتب هذه الأشعار والمواعظ والاعتبارات، وقد جعلتها بالبيكار مسطرة على هذه الأبواب والألواح والقبور. وقد كان لي جيش ألف ألف عنان أهل جلاذ برماح وأزراد وسيوف حداد وسواعد شداد، فأمرتهم أن يلبسوا الدروع السابغات، ويتقلدوا السيوف الباترات، ويعتقلوا الرماح الهائلات، ويركبوا الخيول الصافنات. فلما نزل بنا حكم رب العالمين، رب الأرض والسموات. قلت: يا معاشر الجنود والعساكر، هل تقدرون أن تمنعوا ما نزل بي من الملك القاهر؟ فعجزت العساكر والجنود عن ذلك وقالوا: كيف نحارب من لم يحجب عنه حاجب، صاحب الباب الذي ليس له بواب؟ فقلت لهم: أحضروا لي الأموال وهي ألف جب. في كل جب ألف قنطار من الذهب الأحمر، وفيها أصناف الدرّ والجواهر، ومثلها من الفضة البيضاء والذخائر التي يعجز عنها ملوك الأرض ففعلوا ذلك. فلما أحضروا المال بين يدي قلت لهم: هل تقدرون أن تنقذوني بهذه الأموال كلها وتشتروا لي بها يوماً واحداً أعيشه؟ فلم يقدروا على ذلك. وصاروا مسلمين للقضاء والقدر، وصبرت لله على القضاء والبلاء حتى أخذ روعي وأسكنتني ضريحي. وإن سألت عن اسمي فإني: كوش بن شداد بن عاد الأكبر. وفي ذلك اللوح مكتوب أيضاً هذه الآيات: [من الكامل]

وَتَقَلَّبِ الْأَيَّامِ وَالْحَدَثَانِ	إِنْ تَذَكَّرُونِي بَعْدَ طُولِ زَمَانِي
وَالْأَرْضَ أَجْمَعَهَا بِكُلِّ مَكَانِ	فَأَنَا ابْنُ شَدَادِ الَّذِي مَلَكَ الْوَرَى
وَالشَّامُ مِنْ مِصْرَ إِلَى عَدْنَانِ	دَانَتْ لِي الزَّمْرُ الصَّعَابُ بِأَسْرِهَا
وَتَخَافُ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ سُلْطَانِي	قَدْ كُنْتُ فِي عِزٍّ أَدَلَّ مُلُوكَهَا
وَأَرَى الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا تَخْشَانِي	وَأَرَى الْقَبَائِلَ وَالْجَحَافِلَ فِي يَدِي
فَوْقَ الصَّوَاهِلِ أَلْفَ أَلْفِ عِنَانِ	وَإِذَا رَكِبْتُ رَأَيْتُ عِدَّةَ عَسْكَرِي
أَعَدَّدْتُهُ لِنَوَائِبِ الْحَدَثَانِ	وَمَلَكَتُ مَا لَا لَيْسَ يُحْصَرُ عَدُّهُ
رُوحِي إِلَى حِينٍ مِنْ الْأَحْيَانِ	وَعَزَمْتُ أَنْ أَقْدِي بِمَالِي كُلَّهُ
فَأَنَا الْوَحِيدُ إِذَنْ مِنَ الْإِخْوَانِ	فَأَبَى إِلَهُ سِوَى نَفَاذِ مُرَادِهِ
فَنُقِلْتُ مِنْ عِزٍّ لِدَارِ هَوَانِ	وَأَتَانِي الْمَوْتُ الْمَفْرَقُ لِلْوَرَى
فَأَنَا الرَّهِينُ بِهِ وَكُنْتُ الْجَانِي	وَلَقَدْ لَقِيتُ جَمِيعَ مَا قَدَّمْتُهُ

فَارْبَا بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ عَلَى شَفَا وَأَحْذَرُ، هُدَيْتَ طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه لما رأى من مصارع القوم . قال : فبينما هم يطوفون بناوحي القصر ويتأملون في مجالسه ومنتزهاته وإذا هم بمائدة على أربع قوائم من المرمر مكتوب عليها : قد أكل على هذه المائدة ألف ملك أعور ، وألف ملك سليم العينين كلهم فارقوا الدنيا وسكنوا الأرماس والقبور . فكتب الأمير موسى ذلك كله ثم خرج ولم يأخذ معه من القصر غير المائدة . وسار العسكر والشيخ عبد الصمد أمامهم يدلهم على الطريق حتى مضى ذلك اليوم كله وثانيه وثالثه وإذا هم برابية عالية ، فنظروا إليها فإذا عليها فارس من نحاس وفي رأس رمحه سنان عريض برآق يكاد أن يخطف البصر . مكتوب عليه : أيها الواصل إليّ ، إن كنت لا تعرف الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس ، فافرك كفّ الفارس فإنه يدور ثم يقف . فأي جهة وقف إليها فاسلكها ولا خوف عليك ولا حرج فإنها توصلك إلى مدينة النحاس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة : □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الأمير موسى لما فرك كفّ الفارس دار كأنه البرق الخاطف وتوجه إلى غير الجهة التي كانوا فيها . فتوجه القوم فيها وساروا فإذا هي طريق حقيقة فسلكوها . ولم يزالوا سائرين يومهم وليلتهم حتى قطعوا بلاداً بعيدة . فبينما هم سائرون يوماً من الأيام وإذا هم بعمود من الحجر الأسود وفيه شخص غائص في الأرض إلى إبطه وله جناحان عظيمان وأربع آياد ، يدان منها كأيدي الآدميين ، ويدان كأيدي السباع فيها مخالب ، وله شعر في رأسه كأنه أذتاب الخيل ، وله عينان كأنهما جمرتان ، وله عين ثالثة في جبهته كعين الفهد يلوح منها شرر النار وهو أسود طويل وينادي : سبحان ربي حكم عليّ بهذا البلاء العظيم والعذاب الاليم إلى يوم القيامة . فلما عاينه القوم طارت عقولهم واندھشوا لما رأوا من صفته وولوا هارين . فقال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد : ما هذا ؟ قال : لا أدري ما هو . فقال : ادنُ منه وابحث عن أمره ، ولعله يكشف عن أمره فلعلك تطلع على خبره . فقال الشيخ عبد الصمد : أصلح الله الأمير إنّنا نخاف منه . قال : لا تخافوا فإنه مكفوف عنكم وعن غيركم بما هو فيه . فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقال له : أيها الشخص ما اسمك ؟ وما شأنك ؟ وما الذي جعلك في هذا المكان على هذه الصورة ؟ فقال له : أما أنا فإني عفريت من الجن واسمي داهش بن الأعمش وأنا مكفوف ها هنا ، بالعظمة محبوس ، بالقدرة معذب إلى ما شاء الله عز وجل . قال الأمير موسى : يا شيخ عبد الصمد ، إسأله ما سبب سجنه في هذا العامود ؟ فسأله عن ذلك . فقال له العفريت : إن حديثي عجيب وذلك أنه كان لبعض أولاد إبليس صنم من العقيق الأحمر وكنت موكلأ به ، وكان يعبده ملك من ملوك البحر ، جليل القدر ، عظيم الخطر ، يقود من عساكر الجان ألف ألف ، يضربون بين يديه بالسيوف ويجيبون دعوته في الشدائد . وكان الجان الذين يطيعونه تحت أمري وطاعتي ، يتبعون قولني إذا أمرتهم ، وكانوا كلهم عصاة عن سليمان بن داود عليهما السلام ، وكنت أدخل في جوف الصنم فأمرهم وأناهم . وكانت ابنة ذلك الملك تحت ذلك الصنم كثيرة السجود له منهمكة على عبادته وكانت أحسن أهل زمانها ، ذات حسن وجمال وبهاء وكمال . فوصفتها لسليمان عليه السلام فأرسل إلى أبيها يقول

فلما كانت الليلة :
570
ما كانت الليلة

فإن قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة، وإن أبيت فلا يمنعك تحصنك مني في هذه الجزيرة، فإن الله تبارك وتعالى أمر الريح بطاعتي فأمرها أن تحملني إليك بالبساط وأجعلك عبرة ونكالا لغيرك . فجاءه الرسول وبلغه رسالة نبي الله سليمان عليه السلام . فقال له الملك : ليس لهذا الأمر الذي طلبه مني سبيل ، فاعلمه أني خارج إليه . فعاد الرسول إلى سليمان ورد عليه الجواب . ثم إن الملك أرسل إلى أهل أرضه وجمع له من الجن الذين كانوا تحت يده ألف ألف ، وضم إليهم غيرهم من المردة والشياطين الذين في جزائر البحار ورؤوس الجبال . ثم جهز عساكره وفتح خزائن السلاح وفرقها عليهم . وأما نبي الله سليمان عليه السلام فإنه رتب جنوده ، وأمر الوحوش أن تنقسم شطرين على يمين القوم وعلى شمالهم ، وأمر الطيور أن تكون في الجزائر وأمرها عند الحملة أن تخطف أعينهم بمناقيرها وأن تضرب وجوههم بأجنحتها ، وأمر الوحوش أن تفترس خيولهم . فقالوا : السمع والطاعة لله ولك يا نبي الله . ثم إن سليمان نبي الله نصب له سريراً من المرمر مرصعاً بالجواهر ، مصفحاً بصفائح الذهب الأحمر ، وجعل وزيره آصف بن برخيا على الجانب الأيمن ووزيره الدمرياط على الجانب الأيسر ، وملوك الإنس على يمينه وملوك الجن على يساره ، والوحوش والأفاعي والحيات أمامه . ثم زحفوا علينا زحفة واحدة وتحاربنا معه في أرض واسعة مدة يومين ، ووقع بنا البلاء في اليوم الثالث فنفذ فينا قضاء الله تعالى . وكان أول من حمل على سليمان أنا وجنودي وقلت لأصحابي : إلزموا مواطنكم حتى أبرز إليهم وأطلب قتال الدمرياط . وإذا به قد برز كأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخان مرتفع ، فأقبل ورماني بشهاب من نار فغلب سهمه على ناري وصرخ علي صرخة عظيمة تخيلت منها أن السماء انطبقت عليّ وانhezت لصوته الجبال . ثم أمر أصحابه فحملوا علينا حملة واحدة وحملنا عليهم ، وصرخ بعضنا على بعض وارتفعت النيران وعلا الدخان وكادت القلوب أن تنفطر ، وقامت الحرب على ساق ، وصارت الطيور تقاتل في الهواء والوحوش تقاتل في الثرى ، وأنا أقاتل الدمرياط حتى أعياني وأعيته . ثم بعد ذلك ضعفت وخذلت أصحابي وجنودي وانhezمت عشائري ، وصاح نبي الله سليمان : خذوا هذا الجبار العظيم ، النحاس الذميم . فحملت الإنس على الإنس والجن على الجن ووقعت بملكننا الهزيمة وكنا لسليمان غنيمة ، وحملت العساكر على جيوشنا والوحوش حولهم يميناً وشمالاً ، والطيور فوق رؤوسنا تخطف أبصار القوم تارةً بمخالبها وتارةً بمناقيرها وتارةً تضرب بأجنحتها في وجوه القوم ، والوحوش تنهش الخيول وتفترس الرجال حتى صار أكثر القوم على وجه الأرض كجدوع النخل . وأما أنا فطرت من بين أيادي الدمرياط فتبعني مسيرة ثلاثة أشهر حتى لحقني وقد وقعت كما ترونني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 572

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجنى الذي في العامود لما حكى لهم حكايته من أولها إلى أن سجن في العامود . قالوا له : أين الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس ؟ فأشار لنا إلى طريق المدينة ، وإذا بيننا وبينها خمسة وعشرون باباً لا يظهر منها باب واحد ولا يعرف له أثر ، وصورها كأنه قطعة من جبل أو حديد صب في قالب . فنزل القوم ونزل الأمير موسى والشيخ عبد الصمد واجتهدوا أن يعرفوا لها باباً أو يجدوا لها سبيلاً فلم يصلوا إلى ذلك .

فقال الأمير موسى : يا طالب كيف الحيلة في دخول هذه المدينة ؟ فلا بد أن نعرف لها باباً ندخل منه . فقال طالب : أصلح الله الأمير ، ليسترح يومين أو ثلاثة وندبر الحيلة إن شاء الله تعالى في الوصول إليها والدخول فيها . قال : فعند ذلك أمر الأمير موسى بعض غلمانه أن يركب جملًا ويطوف حول المدينة لعله يطلع على أثر باب أو موضع قصر في المكان الذي هم فيه نازلون . فركب بعض غلمانه وسار حولها يومين بلياليهما يجد السير ولا يستريح . فلما كان اليوم الثالث ، أشرف على أصحابه وهو مدهوش لما رأى من طولها وارتفاعها . ثم قال : أيها الأمير إن أهون موضع فيها هذا الموضع الذي أنتم نازلون فيه . ثم إن الأمير موسى أخذ طالب بن سهل والشيخ عبد الصمد وصعدوا على جبل مقابلهما وهو مشرف عليها . فلما طلعا ذلك الجبل راوا مدينة لم ترَ العيون أعظم منها ، قصورها عالية ، وقبابها زاهية ، ودورها عامرات ، وأنهارها جاريات ، وأشجارها مثمرات ، ورياضها يانعات . وهي مدينة بأبواب منيعة خالية خامدة لا حس فيها ولا أنيس ، يصفر البوم في جهاتها ، ويحوم الطير في عرصاتها ، وينعق الغراب في نواحيها وشوارعها ويكي على من كان فيها . فوقف الأمير موسى يتندّم على خلوها من السكان وخرابها من الأهل والقطان وقال : سبحان من لا تغيره الدهور والأزمان ، خالق الخلق بقدرته . فبينما هو يسبح الله عز وجل إذ حانت منه التفاتة إلى جهة ، وإذا فيها سبعة ألواح من الرخام الأبيض وهي تلوح من البعد . فدنا منها فإذا هي منقوشة مكتوبة ، فأمر أن تقرأ كتابتها . فتقدم الشيخ عبد الصمد وتأمّلها وقرأها فإذا فيها وعظ واعتبار وزجر لذوي الأبصار . مكتوب على اللوح الأول بالقلم اليوناني : يا ابن آدم ، ما أغفلك عن أمر هو أمامك قد ألهتك عنه سنينك وأعوامك . أما علمت أن كأس المنية لك يترع وعن قريب له تتجرّع . فانظر لنفسك قبل دخول رمسك . أين من ملك البلاد وذلّ العباد وقاد الجيوش ؟ نزل بهم والله هادم اللذات ومفرّق الجماعات ومخرّب المنازل العامرات فنقلهم من سعة القصور إلى ضيق القبور . وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الآيات : [من البسيط]

أَيْنَ الْمُلُوكُ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا	قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
وَأَصْبَحُوا رَهْنًا قَبْرِ بِالَّذِي عَمِلُوا	عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا دُبُرُوا
أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ	وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَدَّخَرُوا
أَنَّهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ	لَمْ يَنْجِهِمْ مِنْهُ أَمْوَالٌ وَلَا وَزَرٌ

فصعق الأمير موسى وجرت دموعه على خده وقال : والله إن الزهد في الدنيا هو غاية التوفيق ونهاية التحقيق . ثم إنه أحضر دواة وقرطاساً وكتب ما على اللوح الأول . ثم دنا من اللوح الثاني وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم ، ما غرّك بقديم الأزل وما ألهاك عن حلول الأجل . ألم تعلم أن الدنيا دار بوار ما لأحد فيها قرار ، وأنت ناظر إليها ومكب عليها . أين الملوك الذين عمروا العرق وملكوا الآفاق ؟ أين من عمروا أصفهان وبلاد خراسان ؟ دعاهم داعي المنيا فأجابوه وناداهم داعي الفناء فلبّوه . وما نفعهم ما بنوا وشيدوا ولا ردّ عنهم ما جمعوا وعددوا . وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الآيات : [من الكامل]

• أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا لِذَلِكَ وَشِيدُوا غُرْفًا بِهِ لَمْ يَحْكِيهَا بِنْيَانُ

جَمَعُوا الْعَسَاكِرَ وَالْجِيُوشَ مَخَافَةَ
مِنْ ذُلِّ تَقْدِيرِ الْإِلَهِ فَهَانُوا
أَيْنَ الْأَكَاسِرَةِ الْمَنَاعُ حِصْنُهُمْ
تَرَكُوا الْبِلَادَ كَانَتْهُمْ مَا كَانُوا

فبكى الأمير موسى وقال : والله لقد خلقنا لأمير عظيم . ثم كتب ما عليه ودنا من اللوح الثالث . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الأمير موسى دنا من اللوح الثالث فوجد فيه مكتوب : يا ابن آدم ، أنت بحب الدنيا لاه وعن أمر ربك ساه، كل يوم من عمرك ماض وأنت بذلك قانع وراض ، فقدم الزاد ليوم المعاد واستعدّ لردّ الجواب بين يدي ربّ العباد . وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الآيات : [من الكامل]

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
573
الليلة
التي كان فيها

أَيْنَ الَّذِي عَمَرَ الْبِلَادَ بِأَسْرِهَا
وَالزَّرْبُجُ وَالْحَبَشُ اسْتَقَادُوا لِأَمْرِهِ
سِنْدًا وَهِنْدًا وَأَعْتَدَى وَتَجَرَّأَ
وَالثُّوبُ لَمَّا أَنْ طَغَى وَتَكَبَّرَا
هَيْهَاتَ أَنْ تَلْقَى لِذَلِكَ مُخْبِرَا
لَمْ يَنْجِهْ مِنْ قِصْرِهَا مَا عَمَّرَا
لَا تَنْتَظِرُ خَبْرًا بِمَا فِي قَبْرِهِ
فَدَهَتْهُ مِنْ رَبِّبِ الْمُنُونِ حَوَادِثُ

فبكى الأمير موسى بكاءً شديداً ثم دنا من اللوح الرابع فرأى مكتوباً عليه : يا ابن آدم ، كم يمهلك مولاك وأنت غائص في بحر لهوك ؟ كل يوم خيره إليك حتى لا تموت . يا ابن آدم لا تغرنك أيامك ولياليك وساعاتك الملهية وغفلاتها . واعلم أن الموت لك مراصد وعلى كتفك صاعد . ما من يوم يمضي إلا أصبحك صباحاً ومساءً . فاحذر من هجمته واستعد له فكانني بك وقد سلبت طول حياتك وضيعت لذات أوقاتك . فاسمع مقالتي وثق بمولى الموالي . ليس للدنيا ثبوت إنما الدنيا كبيت العنكبوت . ورأى في أسفل اللوح مكتوباً هذه الآيات : [من الخفيف]

أَيْنَ مَنْ أَسَسَ الذَّرَى وَبَنَاهَا
أَيْنَ أَهْلُ الْحُصُونِ مَنْ سَكَنُوهَا
وَتَوَلَّى مَشِيدَهَا ثُمَّ عَلَى
كُلُّهُمْ عَنْ تِلْكَ الصَّيَاصِي وَكَلَى
أَصْبَحُوا فِي الْقُبُورِ رَهْنَا لِيَوْمِ
فِيهِ كُلُّ السَّرَائِرِ تَبْلَى
لَيْسَ يَبْقَى سِوَى الْإِلَهِ تَعَالَى
وَهُوَ مَا زَالَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلَا

فبكى الأمير موسى وكتب ذلك كله ونزل من فوق الجبل وقد صور الدنيا بين عينيه . فلما وصل إلى العسكر أقاموا يومهم يدبرون الحيلة في دخول المدينة . فقال الأمير موسى لوزيره طالب بن سهل ولمن حوله من خواصه : كيف تكون الحيلة في دخول المدينة لننظر عجائبها ؟ ولعلنا نجد فيها ما نتقرب به إلى أمير المؤمنين . فقال طالب بن سهل : أدام الله نعمة الأمير ، نعمل سلماً ونصعد عليه لعلنا نصل إلى الباب من داخل . فقال الأمير موسى : هذا ما خطر ببالي وهو نعم الرأي . ثم إنه دعا بالنجارين والحدادين وأمر أن يسووا الأخشاب ويعملوا سلماً مصفحاً بصفائح الحديد . ففعلوا واحكموه وقعدوا في عمله شهراً كاملاً واجتمعت عليه الرجال فأقاموه والصقوه بالسور ، فجاء مساوياً له كأنه قد عمل له قبل ذلك اليوم . فتعجب الأمير موسى منه وقال : بارك

الله فيكم كأنكم قستوه عليه من حسن صنعتكم . ثم إن الأمير موسى قال للناس : من يطلع منكم على هذا السلم ويصعد فوق السور ويمشي عليه ويتحایل في نزوله إلى أسفل المدينة لينظر كيف الأمر ثم يخبرنا بكيفية فتح الباب ؟ فقال أحدهم : أنا اصعد عليه أيها الأمير وأنزل أفتحه . فقال له الأمير موسى : إصعد بارك الله فيك . فصعد الرجل على السلم حتى صار في أعلاه . ثم إنه قام على قدميه وشخص إلى المدينة وصفق بكفيه وصاح بأعلى صوته وقال : أنت مليح . ورمى بنفسه من داخل المدينة فانهرس لحمه على عظمه . فقال الأمير موسى : هذا فعل العاقل فكيف يكون فعل المجنون ؟ إن كنا نفعل هكذا بجميع أصحابنا لم يبقَ منهم أحد فنعجز عن قضاء حاجتنا وحاجة أمير المؤمنين . إرحلوا فلا حاجة لنا بهذه المدينة . فقال بعضهم : لعل غير هذا أثبت منه . فصعد ثان وثالث ورابع وخامس ، فما زالوا يصعدون من على ذلك السلم إلى السور واحداً بعد واحد إلى أن راح منهم اثنا عشر رجلاً وهم يفعلون كما فعل الأول . فقال الشيخ عبد الصمد : ما لهذا الأمر غيري وليس المجرب كغير المجرب . فقال له الأمير موسى : لا تفعل ذلك ولا أمكنك من الطلوع إلى هذا السور لأنك إذا مت كنت سبباً لموتنا كلنا ولم يبقَ منا أحد لأنك أنت دليل القوم . فقال له الشيخ عبد الصمد : لعل ذلك يكون على يدي بمشيئة الله تعالى . فاتفق القوم كلهم على صعوده . ثم إن الشيخ عبد الصمد قام ونشط نفسه وقال : بسم الله الرحمن الرحيم . ثم إنه صعد على السلم وهو يذكر الله تعالى ويقرا آيات النجاة إلى أن بلغ أعلى السور . ثم إنه صفق بيديه وشخص بصره فصاح عليه القوم جمعاً وقالوا : أيها الشيخ عبد الصمد لا تفعل ولا تلق نفسك . وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم قال الشيخ عبد الصمد هلكتنا بأجمعنا . ثم إن الشيخ عبد الصمد ضحك ضحكاً زائداً طويلاً يذكر الله تعالى ويتلوا آيات النجاة . ثم إنه قام على حيله ونادى بأعلى صوته . أيها الأمير ، لا بأس عليكم فقد صرف الله عز وجل عني كيد الشيطان ومكره ببركة بسم الله الرحمن الرحيم . فقال له الأمير : ما رأيت أيها الشيخ ؟ قال : لما حصلت أعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهن يتادين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة كانت الليلة 574

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ عبد الصمد قال : لما حصلت أعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهن يشرن بأيديهن أن : تعال إلينا . وتخيل لي أن تحتي بحراً من الماء فأردت أن ألقى نفسي كما فعل أصحابنا فرأيتهم موتى ، فتماسكت عنهم وتلوت شيئاً من كتاب الله تعالى فصرف الله عني كيدهن وانصرفن عني فلم أرم نفسي ورد الله عني كيدهن وسحرهن . ولا شك أن هذا سحر ومكيدة صنعها أهل تلك المدينة ليرتدوا عنها كل من أراد أن يشرف عليها ويروم الوصول إليها ، وهؤلاء أصحابنا مطروحوون موتى . ثم إنه مشى على السور إلى أن وصل إلى البرجين النحاس فرأى لهما بابين من الذهب ولا قفل عليهما وليس فيهما علامة للفتح . ثم وقف الشيخ ما شاء الله وتأمل فرأى في وسط الباب صورة فارس من نحاس له كف عمود كأنه يشير به ، وفيه خط مكتوب . فقرأه الشيخ عبد الصمد فإذا فيه إفرك المسمار الذي في سرّة الفارس اثني عشر فرقة فإن الباب يفتح . فتأمل الفارس فإذا في سرّته مسمار محكم متقن مكين ، ففرکه اثني عشر فرقة فانفتح الباب في

الحال وله صوت كالرعد . فدخل منه الشيخ عبد الصمد وكان رجلاً فاضلاً عالماً بجميع اللغات والأقلام . فمضى إلى أن دخل دهليزاً طويلاً نزل منه على درجات فوجد مكاناً بدكك حسنة وعليها أقوام موتى ، وفوق رؤوسهم التروس المكلفة والحسامات المرهفة والقسي الموترة والسهام المفوقة . وخلف الباب عمود من حديد ومتاريس من خشب وأقفال رقيقة وآلات محكمة . فقال الشيخ عبد الصمد في نفسه : لعل المفاتيح عند هؤلاء القوم . ثم نظر بعينه وإذا هو بشيخ يظهر أنه أكبرهم سنّاً وهو على دكة عالية بين القوم الموتى . فقال الشيخ عبد الصمد : وما يدريك أن تكون مفاتيح هذه المدينة مع هذا الشيخ ؟ ولعله بواب المدينة وهؤلاء من تحت يده . فدنا منه ورفع ثيابه وإذا بالمفاتيح معلقة في وسطه . فلما رآها الشيخ عبد الصمد فرح فرحاً شديداً وقد كاد عقله أن يطير من الفرحة . ثم إن الشيخ عبد الصمد أخذ المفاتيح ودنا من الباب وفتح الأقفال وجذب الباب والمتاريس والآلات فانفتحت وانفتح الباب بصوت كالرعد لكبره وهوله وعظم آلاته . فعند ذلك كبر الشيخ وكبر القوم معه واستبشروا وفرحوا ، وفرح الأمير موسى بسلامة الشيخ عبد الصمد وفتح باب المدينة وقد شكره القوم على ما فعله . فبادر العسكر كلهم بالدخول من الباب فصاح عليهم الأمير موسى وقال لهم : يا قوم لا نأمن إذا دخلنا من أمر يحدث ولكن يدخل النصف ويتأخر النصف . ثم إن الأمير موسى دخل من الباب ومعه نصف القوم وهم حاملون آلات الحرب ، فنظر القوم إلى أصحابهم وهم ميتون فدفنوهم ، وراوا البوابين والخدم والحجاب والنواب راقدين فوق الفراش الحريز موتى كلهم . ودخلوا إلى سوق المدينة فنظروا سوقاً عظيماً عالي الأبنية لا يخرج بعضها عن بعض ، والدكاكين مفتحة والموازين معلقة والنحاس مصفوقاً والخانات مائة من جميع البضائع ، وراوا التجار موتى على دكاكينهم وقد بيست منهم الجلود ونخرت منهم العظام وصاروا عبدة لمن اعتبر . ونظروا إلى أربعة أسواق مستقلات دكاكينها مملوءة بالمال فتركوها ومضوا إلى سوق الخبز وإذا فيه من الحرير والديباج ما هو منسوج بالذهب الأحمر والفضة البيضاء على اختلاف الألوان وأصحابه موتى رقود على أنطاع الأديم يكادون أن ينطقوا . فتركوهم ومضوا إلى سوق الجواهر واللؤلؤ والياقوت ، فتركوه ومضوا إلى سوق الصيارف فوجدوهم موتى وتحتهم أنواع الحرير والإبريسم ودكاكينهم مملوءة من الذهب والفضة ، فتركوهم ومضوا إلى سوق العطارين فإذا دكاكينهم مملوءة بأنواع العطريات ونوافح المسك والعنبر والعود والند والكافور وغير ذلك ، وأهلها كلهم موتى ولم يكن عندهم شيء من المأكول . فلما طلوعوا من سوق العطارين وجدوا قريباً منه قصراً مزخرفاً مبنياً متقناً فدخلوه ، فوجدوا أعلاماً منشورة وسيوفاً مجردة وقسيماً موترة وتروساً معلقة بسلاسل من الذهب والفضة وخوداً مطلية بالذهب الأحمر . وفي دهاليز ذلك القصر دكك من العاج المصفح بالذهب الوهاج والإبريسم وعليها رجال قد بيست منهم الجلود على العظام ، يحسبهم الجاهل نياماً ولكنهم من عدم القوت ماتوا وذاقوا الحمايم . فعند ذلك وقف الأمير موسى يسبح الله تعالى ويقدمه وينظر إلى حسن ذلك القصر ومحكم بنائه وعجيب صنعه بأحسن صفة وأتقن هندسة وأكثر نقشه باللازورد الأخضر مكتوب على دائره هذه الأبيات : [من البسيط]

أَنْظُرْ إِلَى مَا تَرَى يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ قَبْلِ تَرْتَجِلُ
 وَقَدِّمِ الزَّادَ مِنْ خَيْرٍ تَقْزُ أَبَدًا فَكُلْ سَاكِنِ دَارٍ سَوْفَ يَرْتَجِلُ

وَأَنْظَرُوا إِلَى مَعْشَرِ زَانُوا مَنَازِلَهُمْ
بَنَوْا فَمَا نَقَعَ الْبَنِيَانُ وَأَدَّخَرُوا
كَمْ أَمَلُوا غَيْرَ مَقْدُورٍ لَهُمْ فَمَضَوْا
وَأَسْتَنْزَلُوا مِنْ أَعَالِي عِزِّ رَبَّتَيْهِمْ
فَجَاءَهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا
أَيْنَ الْوُجُوهِ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً
فَأُفْصِحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حَسَبَ سَائِلِهِمْ
قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا شَرَبُوا

فَأَصْبَحُوا فِي الثَّرَى رَهْنَا بِمَا عَمِلُوا
لَمْ يَنْجِهِمْ مَا لَهُمْ لَمَّا أَنْقَضَى الْأَجَلَ
إِلَى الْقُبُورِ وَلَمْ يَنْقَعَهُمُ الْأَمَلُ
لِذَلِكَ ضَيِّقٌ لِحُودًا سَاءَ مَا نَزَلُوا
أَيْنَ الْأَسْرَةِ وَالْتِيْجَانُ وَالْحَلَلُ
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْمَثَلُ
أَمَّا الْخُدُودُ فَعَنْهَا الْوَرْدُ مَنْتَقِلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَيْبِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه وأمر بكتابة هذا الشعر ودخل القصر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 575

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الأمير موسى دخل القصر فرأى حجرة كبيرة وأربع مجالس عالية كبار متقابلة واسعة منقوشة بالذهب والفضة مختلفة الألوان، وفي وسطها فسقية كبيرة من المرمر وعليها خيمة من الديباج . وفي تلك المجالس جهات، وفي تلك الجهات فساق مزخرفة وحيطان مرخمة ومجار تجري من تحت تلك المجالس . وتلك الأنهر الأربعة تجري وتجتمع في بحيرة عظيمة مرخمة باختلاف الألوان . ثم قال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد : أدخل بنا هذه المجالس . فدخلوا المجلس الأول فوجدوه مملوءاً من الذهب والفضة البيضاء واللؤلؤ والجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة . ووجدوا فيها صناديق مملوءة من الديباج الأحمر والأصفر والأبيض . ثم إنهم انتقلوا إلى المجلس الثاني ففتحوها خزانة فيه فإذا هي مملوءة بالسلاح وآلات الحرب من الخود المذهبة والدروع الداودية والسيوف الهندية والرماح الخطية والدبابيس الخوارزمية وغيرها من أصناف آلات الحرب والكفاح . ثم انتقلوا إلى المجلس الثالث فوجدوا فيه خزائن عليها أقفال مغلقة وفوقها ستارات منقوشة بأنواع الطراز . ففتحوها منها خزانة فوجدوها مملوءة بالسلاح المزخرف بأنواع الذهب والفضة والجواهر . ثم إنهم انتقلوا إلى المجلس الرابع فوجدوا فيه خزائن ففتحوها منها خزانة فوجدوها مملوءة بآلات الطعام والشراب من أصناف الذهب والفضة وسكارج البلور والأقداح المرصعة باللؤلؤ الرطب وكاسات العقيق وغير ذلك ، فجعلوا يأخذون ما يصلح لهم من ذلك ويحمل كل واحد من العسكر ما يقدر عليه . فلما عزموا على الخروج من تلك المجالس رأوا هناك باباً من الساج متداخلاً فيه العاج والأبنوس وهو مصفح بالذهب الوهاج في وسط ذلك القصر، وعليه ستر مسبول من حرير منقوش بأنواع الطراز، وعليه أقفال من الفضة البيضاء تفتح بالحيلة بغير مفتاح . فنقدم الشيخ عبد الصمد إلى تلك الأقفال ففتحها بمعرفته وشجاعته وبراعته . فدخل القوم من دهليز مرخم في جوانب ذلك الدهليز براقع عليها صور من أصناف الوحوش والطيور، وكل ذلك من ذهب أحمر وفضة بيضاء وأعينها من الدرر واليواقيت يتحير كل من رآها . ثم وصلوا إلى قاعة مصنوعة، فلما رآها الأمير موسى والشيخ عبد الصمد اندهشا من صنعتها . ثم إنهم عبروا فوجدوا قاعة مصنوعة من

رخام مسقول منقوش بالجواهر يتوهم الناظر أن في طريقه ماء جارياً لو مرّ عليه أحد لزلق . فأمر الأمير موسى الشيخ عبد الصمد أن يطرح عليها شيئاً حتى يتمكنوا من أن يمشوا عليها . ففعل ذلك وتحيل حتى عبروا فوجدوا فيها قبة عظيمة مبنية بحجارة مطلية بالذهب الأحمر لم يشاهد القوم في جميع ما رأوه أحسن منها . وفي وسط تلك القبة، قبة عظيمة كبيرة من المرمر بدائرها شبايك منقوشة مرصعة بقضبان الزمرد لا يقدر عليها أحد من الملوك، وفيها خيمة من الديباج منصوبة على أعمدة من الذهب الأحمر، وفيها طيور أرجلها من الزمرد الأخضر، وتحت كل طير شبكة من اللؤلؤ الرطب مجللة على فسقية، وموضوع على الفسقية سرير مرصع بالدر والجوهر والياقوت، وعلى السرير جارية كأنها الشمس الضاحية لم ير الراؤون أحسن منها وعليها ثوب من اللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر وعصابة من الجواهر، وفي عنقها عقد من الجواهر وفي وسطه جواهر مشرقة وعلى جبينها جوهرة تان نورهما كنور الشمس . وهي كأنها ناظرة إليهم تتاملهم يميناً وشمالاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الأمير موسى لما رأى هذه الجارية تعجب غاية العجب من جمالها وتحير من حسنها وحمرة خديها وسواد شعرها . يظن الناظر أنها بالحياة ولم تكن ميتة . فقالوا لها : السلام عليك أيتها الجارية . فقال له طالب بن سهل : أصلح الله شأنك ، أعلم أن هذه الجارية ميتة لا روح فيها فمن أين لها أن تردّ السلام ؟ ثم إن طالب بن سهل قال له : أيها الأمير إنها صورة مدبرة بالحكمة وقد قلعت عيناها بعد موتها وجعل تحتها زبيب وأعيدتا مكانهما ، فهما يلعبان كأنما يحركهما الهدب . يتخيل للناظر أنها ترمش بعينها وهي ميتة . فقال الأمير موسى : سبحان الله الذي قهر العباد بالموت . وأما السرير الذي عليه الجارية فله درج ، وعلى الدرج عبدان أحدهما أبيض والآخر أسود، ويبد أحدهما آلة من البولاد ويبد الآخر سيف مجوهر يخطف الأبصار ، وبين يدي العبدین لوح من ذهب وفيه كتابة تقرأ وهي : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله خالق الإنسان وهو رب الأرباب ومسبب الأسباب . بسم الله الباقي السرمدي . بسم الله مقدر القضاء والقدر . ويا ابن آدم ما أجهلك بطول الأمل وما أسهاك عن حلول الأجل . أما علمت أن الموت لك قد دعاك وإلى قبض روحك قد سعى ؟ فكأن على أهبة الرحيل وتزود من الدنيا فستفارقتها عن قليل . أين آدم أبو البشر ؟ أين نوح وما نسل ؟ أين الملوك الأكاصرة والقياصرة ؟ أين ملوك الهند والعراق ؟ أين ملوك الآفاق ؟ أين العمالقة ؟ أين الجبابرة ؟ خلعت منهم الديار وقد فارقوا الأهل والأوطان . أين ملوك العجم والعرب ؟ ماتوا بأجمعهم وصاروا أمماً . أين السادة ذو الرتب ؟ قد ماتوا جميعاً . أين قارون وهامان ؟ أين شداد بن عاد ؟ أين كنعان وذو الأوتاد ؟ قرضهم والله قارض الأعمار وأخلى منهم الديار . فهل قدموا الزاد ليوم المعاد واستعدّوا لجواب رب العباد . يا هذا إن كنت لا تعرفني فانا أعرفك بإسمي ونسبي ، أنا ترمز ابن بنت عمالقة الملوك من الذين عدلوا في البلاد، ملكت ما لم يملكه أحد من الملوك وأعدلت في القضية وأنصفت بين الرعية وأعطيت ووهبت . وقد عشت زماناً طويلاً في سرور وعيش رغيد، واعتقت الجوّاري والعبيد حتى نزل بي طارق المنايا وحلت بين يدي الرزايا . وذلك أنه قد تواترت علينا سبع سنين لم ينزل علينا ماء من السماء ولا نبت لنا عشب على وجه الأرض ،

فلما كانت الليلة
576
كانت الليلة

فأكلنا ما كان عندنا من القوت ثم عطفنا على المواشي من الدواب فأكلناها ولم يبق شيء . فحينئذ أحضرت المال واكتلته بمكيال وبعثته مع النقات من الرجال ، فطافوا به جميع الأقطار ولم يتركوا مصرأ من الأمصار في طلب شيء من القوت فلم يجدوه . ثم عادوا إلينا بالمال بعد طول الغيبة . فحينئذ أظهرنا أموالنا وذخائرنا وأغلقتنا أبواب الحصون التي بمدنتنا وسلمنا لحكم ربنا وفوضنا امرنا لمالكننا فمتنا جميعاً كما ترانا وتركتنا ما عمّرنا وما ادّخرنا . فهذا هو الخير وما بعد العين إلا الأثر . وقد نظروا في أسفل اللوح فرأوا مكتوباً فيه هذه الآيات : [من البسيط]

بُنِيَ آدَمَ لَا يَهْزَأُ بِكَ الْأَمَلُ عَنْ كُلِّ مَا أَدَّخَرْتَ كَفَّكَ تَنْتَقِلُ
أَرَاكَ تَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَقَدْ سَعَى قَبْلَكَ الْمَاضُونَ وَالْأَزَلُ
قَدْ حَصَلُوا الْمَالَ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ حُرْمٍ فَلَمْ يَرِدْ الْقَضَا لِمَا أَنْتَهَى الْأَجَلُ
قَادُوا الْعَسَاكِرَ أَفْوَاجاً وَقَدْ جَمَعُوا فَخَلَفُوا الْمَالَ وَالْبُنْيَانَ وَأَرْتَحَلُوا
إِلَى قُبُورٍ وَضِيْقٍ فِي الثَّرَى رَقَلُوا وَقَدْ أَقَامُوا بِهِ رَهْنًا بِمَا عَمَلُوا
كَأَنَّمَا الرِّكْبُ قَدْ حَطَّوْا رِحَالَهُمْ فِي جُمُعٍ لَيْلٍ بِدَارٍ مَا بِهَا نَزَلُ
فَقَالَ صَاحِبُهَا يَا قَوْمُ لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا مُقَامٌ فَشَلُّوا بَعْدَ مَا نَزَلُوا
فَكُلُّهُمْ خَائِفٌ أَضْحَى بِهَا وَجَلَّ وَلَا يَطِيبُ لَهُ حَلٌّ وَمُرْتَحَلُ
فَقَدَّمَ الزَّادَ مِنْ خَيْرٍ تُسْرُّ غَدَا وَلَيْسَ إِلَّا بِتَقْوَى رَبِّكَ الْعَمَلُ

فبكى الأمير موسى لما سمع هذا الكلام وقال : والله إن التقوى هي رأس الأمور والتحقيق والركن الوثيق . وإن الموت هو الحق المبين والوعد اليقين . وفيه يا هذا المرجع والمآب واعتبر بمن سلف قبلك في التراب وبادر إلى سبيل المعاد . أما ترى الشيب إلى القبر دعاك وبياض شعرك على نفسك قد نعاك ؟ فكن على يقظة الرحيل والحساب . يا ابن آدم ما أقسى قلبك فما غرك بربك . أين الأمم السالفة؟ العبدة لمن يعتبر . أين ملوك الصين أهل البأس والتمكين ؟ أين عاد ؟ أين شداد وما بنى وعمر ؟ أين النمرود الذي طغى وتجبّر ؟ أين فرعون الذي جحد وكفر ؟ كلهم قهرهم الموت على الأثر . فما أبقى صغيراً ولا كبيراً ولا أنثى ولا ذكراً . قرضهم قارض الأعمار ومكور الليل على النهار . أعلم أيها الواصل إلى هذا المكان ممن رأنا أنه لا يغتر بشيء من الدنيا وحطامها فإنها غدارة مكاراة ، دار بوار وغرور . فطوبى لعبد ذكر ذنبه وخشي ربه وأحسن المعاملة وقدم الزاد ليوم المعاد . فمن وصل إلى مدينتنا ودخلها وسهل الله عليه دخولها فليأخذ من المال ما يقدر عليه ولا يمس من فوق جسدي شيئاً فإنه ستر لعورتني وجهازي من الدنيا ، فليتنق الله ولا يسلب منه شيئاً فيهلك نفسه . وقد جعلت ذلك نصيحة مني إليه وأمانة مني لديه والسلام . فاسأل الله أن يكفيكم شرّ البلايا والسقام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الأمير موسى لما سمع هذا الكلام بكى بكاءً شديداً حتى غشي عليه . فلما أفاق كتب جميع ما رآه واعتبر بما شاهده ثم قال لأصحابه : أتتوا بالأعدال واملئوها من هذه الأموال وهذه الأواني والتحف والجواهر . فقال طالب بن سهل للأمير موسى : أيها الأمير ، انترك هذه الجارية بما عليها وهو شيء لا نظير له ولا

فلما كانت الليلة
577
الليلة

يوجد في وقت مثله أو هو أوفى ما أخذت من الأموال وأحسن هدية تتقرب بها إلى أمير المؤمنين . فقال الأمير موسى : يا هذا ، ألم تسمع ما أوصت به الجارية في هذا اللوح لا سيما وقد جعلته أمانة وما نحن من أهل الخيانة ؟ فقال الوزير طالب : وهل لأجل هذه الكلمات نترك هذه الأموال وهذه الجواهر وهي ميتة ؟ فما تصنع بهذا وهو زينة الدنيا ؟ وجمال الأحياء وثوب من القطن تستر به هذه الجارية ونحن أحق به منها . ثم دنا من السلم وصعد على الدرج حتى صار بين العامودين وحصل بين الشخصين ، وإذا بأحد الشخصين ضربه في ظهره وضربه الآخر بالسيف الذي في يده فرمى رأسه ووقع ميتاً . فقال الأمير موسى : لا رحم الله لك مضجعاً ، لقد كان في هذه الأموال ما فيه كفاية والطمع لا شك يزري بصاحبه . ثم أمر بدخول العساكر ، فدخلوا وحملوا الجمال من تلك الأموال والمعادن . ثم إن الأمير موسى أمرهم أن يغلقوا الباب كما كان . ثم ساروا على الساحل حتى أشرفوا على جبل عالٍ مشرف على البحر وفيه مغارات كثيرة ، وإذا فيها قوم من السودان وعليهم نظوع وعلى رؤوسهم برانس من نظوع لا يعرف كلامهم . فلما راوا العسكر ، أجفلوا منهم وولّوا هارين إلى تلك المغارات ونساؤهم وأولادهم على أبواب المغارات . فقال الأمير موسى : يا شيخ عبد الصمد ، ما هؤلاء القوم ؟ فقال : هؤلاء طلبة أمير المؤمنين . فنزلوا وضربت الخيام وحطت الأموال ، فما استقر بهم المكان حتى نزل ملك السودان من الجبل ودنا من العسكر وكان يعرف العربية ، فلما وصل إلى الأمير موسى سلّم عليه فردّ عليه السلام وأكرمه . فقال ملك السودان للأمير موسى : أنتم من الإنس أم من الجن ؟ فقال الأمير موسى : أمان نحن فمن الإنس ، وأما أنتم فلا شك أنكم من الجن لانفرادكم في هذا الجبل المنفرد عن الخلق ولعظم خلقتكم . فقال ملك السودان : بل نحن قوم آدميون من أولاد حام بن نوح عليه السلام . وأما هذا البحر فإنه يعرف بالكركر . فقال له الأمير موسى : ومن أين لكم علم ولم يبلغكم نبي أوحى إليه في مثل هذه الأرض ؟ فقال : أعلم أيها الأمير أنه يظهر لنا من هذا البحر شخص له نور تضيء له الآفاق فينادي بصوت يسمعه البعيد والقريب : يا أولاد حام ، استحووا عن يرى ولا يرى وقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا أبو العباس الخضر . وكنا قبل ذلك نعبد بعضنا فدعانا إلى عبادة ربّ العباد . ثم قال للأمير موسى : وقد علّمنا كلمات نقولها . فقال الأمير موسى : وما تلك الكلمات ؟ قال هي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . وما نتقرب إلى الله عزّ وجلّ إلا بهذه الكلمات ولا نعرف غيرها . وكل ليلة جمعة نرى نوراً على وجه الأرض ونسمع صوتاً يقول : سبح قلوب ربّ الملائكة ، والروح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . كل نعمة من الله فضل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال له الأمير موسى : نحن أصحاب ملك الإسلام عبد الملك بن مروان ، وقد جئنا بسبب القماقم النحاس التي عندكم في بحرکم وفيها الشياطين محبوسة من عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، وقد أمر أن تأتيه بشيء منها يصبره ويتفرّج عليه . فقال له ملك السودان : حباً وكرامةً . ثم أضافه بلحوم السمك . وأمر الغواصين أن يخرجوا من البحر شيئاً من القماقم السليمانية فأخرجوا لهم اثني عشر قمقماً . ففرح الأمير موسى بها ، والشيخ عبد الصمد والعساكر لأجل قضاء حاجة أمير المؤمنين . ثم إن الأمير موسى وهب لملك السودان مواهب كثيرة وأعطاه عطايا جزيلة . وكذلك ملك السودان أهدى إلى الأمير موسى هدية من عجائب البحر على

صفة الآدميين وقال : إن ضيافتكم في هذه الثلاثة أيام من لحوم هذا السمك . فقال الأمير موسى : لا بد أن نحمل معنا شيئاً حتى ينظر إليه أمير المؤمنين فيطمئن خاطره بذلك أكثر من القمامة السليمانية . ثم ودّعوه وساروا حتى وصلوا إلى بلاد الشام ، فدخلوا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فحدثه الأمير موسى بجميع ما رآه وما وقع له من الأشعار والأخبار والمواظع وأخبره بخبر طالب بن سهل . فقال له أمير المؤمنين : ليتني كنت معكم حتى أعاين ما عاينتم . ثم أخذ القمامة وجعل يفتح قممها بعد قمم والشياطين يخرجون منها ويقولون : التوبة يا نبي الله وما نعود لمثل ذلك أبداً . فتعجب عبد الملك بن مروان من ذلك . وأما بنات البحر التي أضافهم بنوعها ملك السودان فإنهم صنعوا لها حياضاً من خشب وملؤها ماء ووضعوها فيها فماتت من شدة الحر . ثم إن أمير المؤمنين أحضر الأموال وقسمها بين المسلمين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما رأى القمامة وما فيها ، تعجب من ذلك غاية العجب وأمر بإحضار الأموال وقسمها بين المسلمين وقال : لم يعط الله أحداً مثل ما أعطى سليمان بن داود . ثم إن الأمير موسى سأل أمير المؤمنين أن يستخلف ولده مكانه على بلاده وهو يتوجه إلى القدس الشريف يعبد الله فيه . فولّى أمير المؤمنين ولده وتوجّه هو إلى القدس الشريف ومات فيه . وهذا آخر ما انتهى إلينا من حديث مدينة النحاس على التمام والله أعلم .

فلما كانت الليلة
التي ولد فيها
578
الملك السعيد

54 - حكاية الملك وولده والجارية والوزراء السبعة

وقد بلغنا أيضاً أنه في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك الزمان كان كثير الجند والأعوان وصاحب جاه وأموال ، ولكنه بلغ من العمر مدة ولم يرزق ولداً ذكراً . فلما قلق لذلك توسل بالنبي ﷺ إلى الله تعالى وسأله بجاه الأنبياء والأولياء والشهداء من عباده المقربين أن يرزقه بولد ذكر حتى يرث الملك من بعده ويكون قرّة عينه . ثم قام من وقته وساعته ودخل إلى قاعة جلوسه وأرسل إلى بنت عمه فواصلها فصارت حاملة بإذن الله تعالى . فمكثت مدة حتى آن أوان وضعها فولدت ولداً ذكراً وجهه مثل دورة القمر ليلة أربعة عشر . فتربّى ذلك الغلام إلى أن بلغ من العمر خمس سنين . وكان عند ذلك الملك رجل حكيم من الحكماء الماهرين يسمى : السندباد . فسلم إليه ذلك الغلام . فلما بلغ من العمر عشر سنين علّمه الحكمة والأدب إلى أن صار ذلك الولد ليس أحد في هذا الزمان يناظره في العلم والأدب والفهم . فلما بلغ والده ذلك ، أحضر له جماعة من فرسان العرب يعلمونه الفروسية فمهر فيها وصال وجال في حومة الميدان إلى أن فاق أهل زمانه وسائر أقرانه . ففي بعض الأيام نظر ذلك الحكيم في النجوم فرأى طالع الغلام وأنه متى عاش سبعة أيام وتكلم بكلمة واحدة صار فيها هلاكه . فذهب الحكيم إلى الملك والده وأعلمه بالخبر . فقال له والده : فما يكون الرأي والتدبير يا حكيم ؟ فقال له الحكيم : أيها الملك ، الرأي والتدبير عندي أن تجعله في مكان نزهة وسماع آلات مطربة يكون فيه إلى أن تمضي السبعة أيام . فأرسل الملك إلى جارية من خواصه وكانت أحسن الجواري ، فسلم إليها الولد

وقال لها : خذي سيدك في القصر واجعليه عندك ولا ينزل من القصر إلا بعد سبعة أيام تمضي . فأخذته الجارية من يده وأجلسته في ذلك القصر . وكان في القصر أربعون حجرة ، وفي كل حجرة عشر جوار ، كل جارية معها آلة من آلات الطرب إذا ضربت واحدة منهن يرقص من نعمتها ذلك القصر . وحواليه نهر جار مزروع شاطئه بجميع الفواكه والمشموم . وكان ذلك الولد فيه من الحسن والجمال ما لا يوصف . فبات ليلة واحدة فرآته الجارية محظية والده فطرق العشق قلبها فلم تتمالك حتى رمت نفسها عليه . فقال لها الولد : إن شاء الله تعالى حين أخرج عند والدي أخبره بذلك فيقتلك . فتوجهت الجارية إلى الملك ورمت نفسها عليه بالبكاء والتحيب . فقال لها : ما خبرك يا جارية ؟ كيف سيدك أما هو طيب ؟ فقالت : يا مولاي ، إن سيدي راودني عن نفسي وأراد قتلي على ذلك فمنعته وهربت منه ، وما بقيت أرجع إليه ولا إلى القصر أبداً . فلما سمع والده ذلك الكلام حصل له غيظ عظيم ، فأحضر عنده الوزراء وأمرهم بقتله . فقالوا لبعضهم : إن الملك صمم على قتل ولده وإن قتله يندم عليه بعد قتله لا محالة فإنه عزيز عنده وما جاءه هذا الولد إلا بعد اليأس . ثم بعد ذلك يرجع عليكم باللوم فيقول لكم : لم لم تدبروا لي تدبيراً يمنعني عن قتله ؟ فاتفق رأيهم على أن يدبروا له تدبيراً يمنعه عن قتل ولده . فتقدم الوزير الأول وقال : أنا أكفيكم شرّ الملك في هذا اليوم . فقام ومضى إلى أن دخل على الملك وتمثل بين يديه ثم استأذنه في الكلام فأذن له . فقال له : أيها الملك ، لو قدر أنه كان لك ألف ولد لم تطع نفسك في أن تقتل واحداً منهم بقول جارية ، إما أن تكون صادقة أو كاذبة ، ولعل هذه مكيدة منها لولدك . فقال : وهل بلغك شيء من كيدهن أيها الوزير ؟ قال : نعم .

حكاية الملك وزوجة وزيره

بلغني أيها الملك أنه كان ملك من ملوك الزمان مغرباً بحب النساء . فبينما هو مختل في قصره يوماً من الأيام إذ وقعت عينه على جارية وهي في سطح بيتها وكانت ذات حسن وجمال . فلما رآها لم يتمالك نفسه من المحبة فسأل عن ذلك البيت . فقالوا له : هذا بيت وزيرك فلان . فقام من ساعته وأرسل إلى الوزير ، فلما حضر بين يديه أمره أن يسافر إلى بعض جهات المملكة ليطلع عليها ثم يعود . فسافر الوزير كما أمره الملك . فبعد أن سافر تحاليل الملك حتى دخل بيت الوزير ، فلما رآته الجارية عرفته فوثبت قائمة على قدميها وقبلت يديه ورجليه ورحبت به ووقفت بعيداً عنه مشتغلة بخدمته ثم قالت له : يا مولانا ، ما سبب القدوم المبارك ومثلي لا يكون له ذلك ؟ فقال : سببه أن عشقتك والشوق إليك أقدماني على ذلك . فقبلت الأرض بين يديه ثانياً وقالت له : يا مولانا ، أنا لا أصلح أن أكون جارية لبعض خدام الملك فمن أين يكون لي عندك هذا الحظ العظيم حتى صرت عندك بهذه المنزلة ؟ فمد الملك يده إليها فقالت : هذا الأمر لا يفوتنا ولكن إصبر أيها الملك وأقم عندي هذا اليوم كله حتى أصنع لك شيئاً تأكله . قال : فجلس الملك على مرتبة وزيره . ثم نهضت قائمة وآتته بكتاب فيه المواعظ والآداب ليقرأ فيه حتى تجهّز له الطعام ، فأخذته الملك وجعل يقرأ فيه فوجد فيه من المواعظ والحكم ما زجره عن الزنا وكسر همته عن ارتكاب المعاصي . فلما جهّزت له الطعام قدّمته بين يديه ، وكانت عدة الصحون تسعين صحناً . فجعل الملك يأكل من كل صحن ملعقة ، والطعام أنواع مختلفة وطعمها واحد . فتعجب الملك من ذلك غاية العجب ثم قال : أيتها الجارية ، أرى هذه الأنواع كثيرة وطعمها واحد . فقالت له

الجارية : أسعد الله الملك ، هذا مثل ضربته لك لتعتبر به . فقال لها : وما سببه ؟ فقالت : أصلح الله حال مولانا الملك إن في قصرك تسعين محظية مختلفات الألوان وطعمهنّ واحد . فلما سمع الملك ذلك الكلام خجل منها وقام من وقته وخرج من المنزل ولم يتعرّض لها بسوء ، ومن خجلته نسي خاتمه عندها تحت الوسادة ثم توجه إلى قصره . فلما جلس الملك في قصره حضر الوزير ذلك الوقت وتقدّم إلى الملك وقبّل الأرض بين يديه وأعلمه بحال ما أرسله إليه ثم سار الوزير إلى أن دخل بيته وقعد على مرتبته ومدّ يده تحت الوسادة فلقي خاتم الملك تحتها . فرفعه الوزير وحمله على قلبه وانعزل عن الجارية مدةً سنة كاملة ولم يكلمها وهي لا تعلم ما سبب غيظه . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير انعزل عن الجارية مدة سنة كاملة ولم يكلمها وهي لا تعلم ما سبب غيظه . فلما طال بها المطال ولم تعلم ما سبب ذلك ، أرسلت إلى أبيها وأعلمته بما جرى لها معه من انعزاله عنها مدة سنة كاملة . فقال لها أبوها : إنني أشكوه حين يكون بحضرة الملك . فدخل يوماً من الأيام فوجده بحضرة الملك وبين يديه قاضي العسكر . فادّعى عليه فقال : أصلح الله تعالى حال الملك ، إنه كان لي روضة حسنة غرستها بيدي وأنفقت عليها مالي حتى أثمرت وطاب جناها فأهديتها لوزيرك هذا فأكل منها ما طاب له ثم رفضها ولم يسقها ، فبیس زهرها وذهب رونقها وتغيّرت حالتها . فقال الوزير : أيها الملك صدق هذا في مقالته ، إنني كنت أحفظها وأكل منها فذهبت يوماً إليها فرأيت أثر الأسد هناك فخفت على نفسي منه فعزلت نفسي عنها . ففهم الملك أن الأثر الذي وجده الوزير هو خاتم الملك الذي نسيه في البيت . فقال الملك عند ذلك لوزيره : إرجع أيها الوزير لروضتك وأنت آمن مطمئن فإن الأسد لم يقربها وقد بلغني أنه وصل إليها ولكن لم يتعرض لها بسوء وحرمة أبائي وأجدادي . فقال الوزير عند ذلك : سمعاً وطاعةً . ثم إن الوزير رجع إلى بيته وأرسل إلى زوجته وصالحها ووثق بصيانتها .

حكاية التاجر وزوجته والدرّة

وبلغني أيها الملك أيضاً أن تاجراً كان كثير الأسفار ، وكانت له زوجة جميلة يحبها ويغار عليها من كثرة المحبة . فاشترى لها درة ، فكانت الدرّة تعلم سيدها بما جرى في غيبته . فلما كان في بعض أسفاره تعلّقت امرأة التاجر بغلام كان يدخل عليها فتكرمه وتواصله مدة غياب زوجها . فلما قدم زوجها من سفره أعلمته الدرّة بما جرى وقالت له : يا سيدي غلام تركي كان يدخل على زوجتك في غيابك فتكرمه غاية الإكرام . فهمّ الرجل بقتل زوجته . فلما سمعت زوجته ذلك قالت له : يا رجل ، أتق الله وأرجع إلى عقلك . هل يكون لطير عقل أو فهم ؟ وإن أردت أن أبين لك ذلك لتعرف كذبها من صدقها فامض هذه الليلة ونم عند بعض أصدقائك فإذا أصبحت تعال لها واسألها حتى تعلم هل تصدق هي فيما تقول أو تكذب ؟ فقام الرجل وذهب إلى بعض أصدقائه فبات عنده . فلما كان الليلة عمدت زوجة الرجل إلى قطعة نطع غطّت به قفص الدرّة وجعلت ترش على ذلك النطع شيئاً من الماء وتروح عليها بمروحة وتقرب إليها السراج على صورة لمعان البرق ، وصارت تدبر الرحي إلى أن أصبح الصباح . فلما جاء زوجها

قالت له : يا مولاي إسأل الدرّة . فجاء زوجها إلى الدرّة يحدثها ويسألها عن ليلتها الماضية . فقالت له الدرّة : يا سيدي ، ومن كان ينظر أو يسمع في الليلة الماضية ؟ فقال لها : لاي شيء ؟ فقالت : يا سيدي ، من كثرة المطر والريح والرعد والبرق . فقال لها : كذبت إن الليلة التي مضت ما كان فيها شيء من ذلك . فقالت له الدرّة : ما أخبرتك إلا بما عاينت وشاهدت وسمعت . فكذبها في جميع ما قالته عن زوجها وأراد أن يصلح زوجته فقالت : والله ما اصططح حتى تذبح هذه الدرّة التي كذبت عليّ . فقام الرجل إلى الدرّة وذبحها ثم أقام بعد ذلك مع زوجته مدة أيام قلائل ، ثم رأى في بعض الأيام ذلك الغلام التركي وهو خارج من بيته فعلم صدق قول الدرّة وكذب زوجته . فندم على ذبح الدرّة ودخل من وقته وساعته على زوجته وذبحها وأقسم على نفسه أنه لا يتزوج بعدها امرأة مدة حياته . وما أعلمتكم أيها الملك إلا لتعلم أن كيدهنّ عظيم والعجلة ترث الندامة . فرجع الملك عن قتل ولده . فلما كان في اليوم الثاني دخلت عليه الجارية وقبّلت الأرض بين يديه وقالت له : أيها الملك ، كيف أهملت حقي وقد سمع الملوك عنك أنك أمرت بأمر ثم نقضه وزيرك ؟ وطاعة الملك من نفاذ أمره وكل أحد يعلم عدلك وإنصافك فانصفتي من ولدك .

حكاية القصار وولده

فقد بلغني أن رجلاً قصاراً كان يخرج كل يوم إلى شاطئ دجلة يقصر القماش ويخرج معه ولده فينزل النهر ليعوم فيه مدة إقامته ولم ينهه والده عن ذلك . فبينما هو يعوم يوماً من الأيام إذ تعبت سواعده فغرق . فلما نظر إليه أبوه وثب عليه وترامى عليه ، فلما أمسكه أبوه تعلق به ذلك الولد فغرق الأب والابن جميعاً . فكذلك أنت أيها الملك إذا لم تنه على ولدك وتأخذ حقي منه أخاف عليك أن يغرق كل منكما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما حكّت للملك حكاية القصار وولده وقالت : أخاف أن تغرق أنت وولدك أيضاً .

حكاية اتهام غير عادل في زوجته

قالت : وكذلك بلغني من كيد الرجال أن رجلاً عشق امرأة وكانت ذات

حسن وجمال وكان لها زوج يحبها وتحبه . وكانت تلك المرأة صالحة

عفيفة ولم يجد الرجل العاشق إليها سبيلاً ، فطال عليه الحال ففكر في الحيلة . وكان لزوج المرأة غلام ربّاه في بيته وذلك الغلام أمين عنده . فجاء إليه ذلك العاشق وما زال يلاطفه بالهدية والإحسان إلى أن صار الغلام طوعاً له فيما يطلبه منه . فقال له يوماً من الأيام : يا فلان أما تدخل بي منزلكم إذا خرجت سيدتك منه ؟ فقال له : نعم . فلما خرجت سيدته إلى الحمام وخرج سيده إلى الدكان ، جاء الغلام إلى صاحبه وأخذ بيده إلى أن أدخله المنزل ، ثم عرض عليه جميع ما في المنزل . وكان العاشق مصمماً على مكيدة يكيد بها المرأة فأخذ بياض بيضة معه في إناء ودنا من فراش الرجل وسكبه على الفراش من غير أن ينظر إليه الغلام ثم خرج من المنزل ومضى إلى حال سبيله . ثم بعد ساعة دخل الرجل فأتى الفراش ليستريح عليه فوجد فيه بللاً ، فأخذه بيده فلما رآه ظن في عقله أنه مني رجل . فنظر إلى الغلام بعين الغضب ثم قال له : أين سيدتك ؟ فقال له : ذهبت إلى الحمام وتعود في هذه الساعة . فتحقّق ظنه وغلب على عقله أنه مني رجال فقال للغلام : أخرج في هذه الساعة واحضر سيدتك . فلما حضرت بين يديه وثب قائماً إليها

فلما كانت الليلة
580
عاشقاً

وضربها ضرباً عنيفاً ثم كتفها وأراد أن يذبحها . فصاحت على الجيران فادر كوها فقالت لهم : إن هذا الرجل يريد أن يذبحني ولا اعرف لي ذنباً . فقام عليه الجيران وقالوا له : ليس لك عليها سبيل ، إما أن تطلقها وإما أن تمسكها بمحروف ، فإننا نعرف عفافها وهي جارتنا مدة طويلة ولم نعلم عليها سوء أبداً . فقال لهم : إنني رأيت في فراشي منياً كمني الرجال وما أدري ما سبب ذلك ! فقام رجل من الحاضرين وقال له : أرني ذلك . فلما رآه الرجل قال : أحضر لي ناراً ووعاء . فلما أحضر له ذلك أخذ البياض وقلاه على النار وأكل منه الرجل وأطعمه للحاضرين . فتحقق الحاضرون أنه بياض بيض ، فعلم الرجل أنه ظالم لزوجته وأنها بريئة من ذلك . ثم دخل عليه الجيران وصالحوه هو وإياها بعد أن طلقها وبطلت حيلة ذلك الرجل فيما دبره من المكيدة لتلك المرأة وهي غافلة . فاعلم أيها الملك أن هذا من كيد الرجال . فأمر الملك بقتل ولده . فتقدم الوزير الثاني وقبل الأرض بين يديه وقال له : أيها الملك لا تعجل على قتل ولدك فإن أمه مارزقته إلا بعد بأس ، ونرجو أن يكون ذلك ذخيرة في ملكك وحافظاً على مالك فتصبر أيها الملك عليه لعل له حجة يتكلم بها ، فإن عجلت على قتله ندمت كما ندم الرجل التاجر . قال له الملك : وكيف كان ذلك ؟ وما حكايته يا وزير ؟

حكاية التاجر البخيل والخيز

قال : بلغني أيها الملك أنه كان تاجر لطيف في مأكله ومشربه ، فسافر يوماً من الأيام إلى بعض البلاد . فبينما هو يمشي في أسواقها وإذا بعجوز معها رغيفان فقال لها : هل تبيعيهما ؟ فقالت له : نعم . فساومها بأرخص ثمن واشتراهما منها وذهب بهما إلى منزله فأكلهما ذلك اليوم . فلما أصبح الصباح عاد إلى ذلك المكان فوجد العجوز ومعها الرغيفان فاشتراهما أيضاً منها ، ولم يزل كذلك مدة عشرين يوماً . ثم غابت العجوز عنه فسأل عنها فلم يجد لها خبراً . فبينما هو ذات يوم من الأيام في بعض شوارع المدينة إذ وجدها ، فوقف وسلم عليها وسألها عن سبب غيابها وانقطاع الرغيفين عنه . فلما سمعت العجوز كلامه تكاسلت عن ردّ الجواب . فأقسم عليها أن تخبره عن أمرها . فقالت له : يا سيدي إسمع مني الجواب ، وما ذلك إلا أنني كنت أخدم إنساناً وكانت به أكلة في صلبه ، وكان عنده طيب يأخذ الدقيق ويلته بسمن ويجعله على الموضع الذي فيه الوجع طول ليلته إلى أن يصبح الصباح ، فأخذ ذلك الدقيق وأجعله رغيفين وأبيعهما لك أو لغيرك ، وقد مات ذلك الرجل فانقطع عني الرغيفان . فلما سمع التاجر ذلك الكلام قال : إننا لله وإننا إليه راجعون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما أخبرت التاجر بسبب الرغيفين قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ولم يزل ذلك التاجر يتقايأ إلى أن مرض وندم ، ولم يفده الندم .

حكاية امرأة مع العاشقين

وبلغني أيها الملك من كيد النساء أن رجلاً كان يقف بالسيف على رأس ملك من الملوك ، وكان لذلك الرجل جارية يهواها . فبعث إليها يوماً من الأيام غلامه برسالة على العادة بينهما ، فجلس الغلام عندها ولأعجبها فمالت إليه وضمته إلى صدرها فطلب منها المجامعة

فلما كانت الليلة
الليلة
581
الليلة
الليلة

فطاوعته . فينما هما كذلك وإذا بسيد الغلام قد طرق الباب فأخذت الغلام ورمته في طبق عندها ثم فتحت الباب ، فدخل وسيفه بيده فجلس على فراش المرأة فأقبلت عليه تمازحه وتلاعبه وتضمنه إلى صدرها وتقبله ، فقام الرجل إليها وجامعها . وإذا بزوجها يدق عليها الباب فقال لها : من هذا ؟ قالت : زوجي . فقال لها : كيف أفعل ؟ وكيف الحيلة في ذلك ؟ فقالت له : قم سل سيفك وقف على الدهليز ثم سبني واشتمني فإذا دخل عليك زوجي فاذهب وامض إلى حال سبيلك . ففعل ذلك . فلما دخل زوجها رأى خازن دار الملك واقفاً وسيفه مسلول بيده وهو يشتم زوجته ويهددها ، فلما رآه الخازن دار استحمى وأغمد سيفه وخرج من البيت . فقال الرجل لزوجته : ما سبب ذلك ؟ فقالت له : يا رجل ، ما أبرك هذه الساعة التي آتيت فيها قد اعتقت نفساً مؤمنة من القتل ، وما ذاك إلا أنني كنت فوق السطح أغزل وإذا بغلام قد دخل عليّ مطروداً ذاهب العقل وهو يلهث خوفاً من القتل ، وهذا الرجل مجرد سيفه وهو يسرع وراءه ويجدّ في طلبه . فوقع الغلام عليّ وقبّل يدي ورجلي وقال : يا سيدتي اعتقيني ممن يريد قتلي ظلماً . فخبّأتها في الطابق الذي عندنا . فلما رأيت هذا الرجل قد دخل وسيفه مسلول أنكرته منه حين طلبه مني فصار يشتمني ويهددني كما رأيت . والحمد لله الذي ساقك لي فإني كنت حائرة وليس عندي أحد يتقدني . فقال لها زوجها : نعم ما فعلت يا امرأة ، أجرك على الله فيجازيك بفعلك خيراً . ثم إن زوجها ذهب إلى الطابق ونادى الغلام وقال له : إطلع لا بأس عليك . فطلع من الطابق وهو خائف والرجل يقول له : أرح نفسك لا بأس عليك . وصار يتوجّع لما أصابه والغلام يدعو لذلك الرجل . ثم خرجا جميعاً ولم يعلما بما دبّرت هذه المرأة . فاعلم أيها الملك إن هذا من جملة كيد النساء فإياك والركون إلى قولهن . فرجع الملك عن قتل ولده . فلما كان في اليوم الثالث دخلت الجارية على الملك وقبّلت الأرض بين يديه وقالت له : أيها الملك خذ لي حقي من ولدك ولا ترجع إلى قول وزرائك فإن وزراء السوء لا خير فيهم ، ولا تكن كالمملك الذي ركن إلى قول وزير السوء من وزرائه . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية ابن الملك والجارية الشنيعة المنظر

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد أن ملكاً من الملوك كان له ولد يحبه ويكرمه غاية الإكرام ويفضّله على سائر أولاده . فقال له يوماً من الأيام : يا أبتى ، إني أريد أن أذهب إلى الصيد والقنص . فأمر بتجهيزه ، وأمر وزيراً من وزرائه أن يخرج معه في خدمته ويقضي له جميع مهماته في سفره . فأخذ ذلك الوزير جميع ما يحتاج إليه الولد في السفر وخرج معهما الخدم والنواب والغلمان وتوجهوا إلى الصيد حتى وصلوا إلى أرض مخضرة ذات عشب ومرعى ومياه والصيد فيها كثير . فتقدم ابن الملك للوزير وعرفه بما أعجبه من النزه ، فأقاموا بتلك الأرض مدة أيام وابن الملك في أطيب عيش وأرغده . ثم أمرهم ابن الملك بالانصراف فاعترضته غزالة قد انفردت عن رفقتها فاشتاققت نفسه إلى اقتناصها وطمع فيها فقال للوزير : إني أريد أن أتبع هذه الغزالة . فقال له الوزير : إفعل ما بدا لك . فتبعها الولد منفرداً وحده وطلبها طول النهار إلى أن أمسى الليل ، فصعدت الغزالة إلى محل وعر ، وأظلم على الولد الليل وأراد الرجوع فلم يعرف أين يذهب . فبقي متحيراً في نفسه وما زال راكباً على ظهر فرسه إلى أن أصبح الصباح ولم يلق فرجاً لنفسه . ثم سار ، ولم يزل سائراً خائفاً جائعاً عطشاناً وهو لا يدري أين يذهب حتى

انتصف عليه النهار وحميت عليه الرمضاء، وإذا هو قد أشرف على مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان وهي قفراء خراب ليس فيها غير البوم والغراب. فبينما هو واقف عند تلك المدينة يتعجب من رسومها إذ لاحظ منه نظرة فرأى جارية ذات حسن وجمال تحت جدار من جدرانها وهي تبكي. فدنا منها وقال لها: من تكوني؟ فقالت له: أنا بنت التميمية ابنة الطياخ ملك الأرض الشهباء، خرجت ذات يوم من الأيام أقضي حاجة لي فاخطفتني عفريت من الجن وطار بي بين السماء والأرض، فنزل عليه شهاب من نار فاحترق فسقطت هاهنا ولي ثلاثة أيام بالجوع والعطش، فلما نظرتك طمعت في الحياة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ابن الملك لما خاطبته بنت الملك الطياخ وقالت له: لما نظرتك طمعت في الحياة. أدرك ابن الملك عليها الرافة فأركبها وراءه على جواده وقال لها: طيبي نفساً وقرى عيناً، إن ردني الله سبحانه وتعالى إلى قومي وأهلي أرسلتك إلى أهلك. ثم سار ابن الملك يلتمس الفرج. فقالت له الجارية التي وراءه: يا ابن الملك، أنزلني حتى أقضي حاجتي تحت هذا الحائط. فوقف وأنزلها ثم انتظرها، فتوارت في الحائط ثم خرجت بأشنع منظر. فلما رآها ابن الملك أقشع بدينه وطار عقله وخاف منها وتغيرت حالته. ثم وثبت تلك الجارية فركبت وراء ظهره على الجواد وهي في صورة أقبح ما يكون من الصور ثم قالت له: يا ابن الملك مالي أراك قد تغير وجهك؟ فقال لها: إنني تذكرت امرأة أهمني. فقالت له: إستعن عليه بجيوش أبيك وأبطاله. فقال لها: إن الذي أهمني لا تزعجه الجيوش ولا يهتم بالأبطال. فقالت له: إستعن عليه بمال أبيك وذخائره. فقال لها: إن الذي أهمني لا يقنع بالمال ولا بالذخائر. فقالت له: إنكم تزعمون أن لكم في السماء إلهاً يرى ولا يُرى وإنه قادر على كل شيء. فقال لها: نعم ما لنا إلا هو. قالت له: فادعوه لعله أن يخلصك مني. فرفع ابن الملك طرفه إلى السماء وأخلص بقلبه بالدعاء وقال: اللهم إنني استعنت بك على هذا الأمر الذي أهمني. وأشار بيده إليها فسقطت على الأرض محرقة مثل الفحمة فحمد الله وشكره. وما زال يجد في المسير والله سبحانه وتعالى يهون عليه السير ويدله في الطرق إلى أن أشرف على بلاده ووصل إلى ملك أبيه بعد أن كان قد يش من الحياة. وكان ذلك كله برأي الوزير الذي سافر معه لأجل أن يهلكه في سفرته فنصره الله تعالى. وإنما أخبرتك أيها الملك لتعلم أن وزراء السوء لا يصفون النية ولا يحسنون التوبة مع ملوكهم، فكن من ذلك الأمر على حذر. فاقبل عليها الملك وسمع كلامها وأمر بقتل ولده. فدخل الوزير الثالث وقال: أنا أكفيكم شرّ الملك في هذا النهار. ثم إن ذلك الوزير دخل على الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال له: أيها الملك، إنني ناصحك وشفيق عليك وعلى دولتك ومشير عليك برأي سديد، وهو أن لا تعجل على قتل ولدك وقرّة عينك وثمرة فؤادك فرمما كان ذنبه أمراً هيئاً قد عظّمته عندك هذه الجارية.

فلما كانت الليلة
582
كانت الليلة

حكاية قطرة العسل

فقد بلغني أن أهل قريتين أفنوا بعضهم على قطرة عسل. فقال له الملك: وكيف ذلك؟ فقال: أعلم أيها الملك أنه بلغني أنّ رجلاً صياداً كان يصيد الوحوش في البرية، فدخل يوماً من ذات

الايام كهفأ من كهوف الجبل فوجد فيه حفرة ممتلئة عسل نحل . فجمع شيئاً من ذلك العسل في قربة كانت معه ثم حملها على كتفه وأتى بها المدينة ومعه كلب صيد ، وكان ذلك الكلب عزيزاً عليه . فوقف الرجل الصياد على دكان زيات وعرض عليه العسل فاشتراه صاحب الدكان . ثم فتح القربة وأخرج منها العسل لينظره فقطرت من القربة قطرة عسل فسقط عليها طير ، وكان الزيات له قط فوثب على الطير ، فرآه كلب الصياد فوثب على القط فقتله ، فوثب الزيات على كلب الصياد فقتله ، فوثب الصياد على الزيات فقتله . وكان للزيات قرية وللصياد قرية فسمعوا بذلك ، فأخذوا أسلحتهم وعددهم وقاموا على بعضهم غضباً والتقى الصفان . فلم يزل السيف دائراً بينهم إلى أن مات منهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله تعالى .

حكاية امرأة والدرهم الضائع

وقد بلغني أيها الملك من جملة كيد النساء أن امرأة دفع لها زوجها درهماً لتشتري به أرزاً ، فأخذت منه الدرهم وذهبت به إلى بيع الأرز . فأعطها الأرز وجعل يلاعبها ويغامرها ويقول لها : إن الأرز لا يطيب إلا بالسكر فإن أردتبه فادخلي عندي قدر ساعة . فدخلت المرأة عنده في الدكان . فقال بيع الأرز لعبده : زن لها بدرهم سكرأ وأعطاه سيده رمزاً . فأخذ العبد المنديل من المرأة وفرغ منه الأرز وجعل في موضعه تراباً وجعل بدل السكر حجراً وعقد المنديل وتركه عندها . فلما خرجت المرأة من عنده أخذت منديلها وانصرفت إلى منزلها وهي تحسب أن الذي في منديلها أرز وسكر . فلما وصلت إلى منزلها وضعت المنديل بين يدي زوجها فوجد فيه تراباً وحجراً . فلما أحضرت القدر قال لها زوجها : هل نحن قلنا لك أن عندنا عمارة حتى جئت لنا بتراب وحجر ؟ فلما نظرت إلى ذلك علمت أن عبد البياع نصب عليها وكانت قد أتت بالقدر في يدها فقالت لزوجها : يا رجل ، من شغل البال الذي أصابني ذهبت لأجيء بالغيرال فجئت بالقدر . فقال لها زوجها : وأي شيء أشغل بالك ؟ قالت له : يا رجل ، إن الدرهم الذي كان معي سقط مني في السوق فاستحيت من الناس أن أدور عليه وما هان علي أن الدرهم يروح مني ، فجمعت التراب من ذلك الموضع الذي وقع فيه الدرهم وأردت أن أغربله ، وكنت رايدة أجيء بالغيرال فجئت بالقدر . ثم ذهبت وأحضرت الغيرال وأعطته لزوجها وقالت له : غربله فإن عينك أصح من عيني . فقعد الرجل يغربل في التراب إلى أن امتلأ وجهه وذقنه من الغبار وهو لا يدرك مكرها وما وقع منها . فهذا أيها الملك من جملة كيد النساء . وانظر إلى قول الله تعالى : ﴿إن كيدهن عظيم﴾ . وقوله سبحانه وتعالى ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ . فلما سمع الملك من كلام الوزير ما أقنعه وأرضاه وزجره عن هواه وتأمل ما تلاه عليه من آيات الله ، سطعت أنوار النصيحة في سماء عقله وخلده ورجع عن تصميمه على قتل ولده . فلما كان في اليوم الرابع دخلت الجارية على الملك وقبّلت الأرض بين يديه وقالت له : أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد ، قد اظهرت لك حقي عياناً فظلمتني وأهملت مقاصصة غريمي لكونه ولدك ومهجة قلبك ، وسوف ينصرنني الله سبحانه وتعالى وعليه كما نصر الله ابن الملك على وزير أبيه . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية عين الماء المسحورة

فقال له الجارية : بلغني أيها الملك أنه كان ملك من الملوك الماضية له ولد ، ولم يكن له من

الأولاد غيره . فلما بلغ ذلك الولد زوجته أبوه ابنة ملك آخر، وكانت جارية ذات حسن وجمال وكان لها ابن عم قد خطبها من أبيها ولم تكن راضية بزواجها منه . فلما علم ابن عمها أنها تزوجت بغيره أخذته الغيرة . فاتفق رأي ابن عم الجارية أن يرسل الهدايا إلى وزير الملك الذي تزوج بها ابنه ، فأرسل إليه هدايا عظيمة وأنفذ إليه أموالاً كثيرة وسأله أن يحتال على قتل ابن الملك بمكيدة تكون سبباً لهلاكه أو يتلطف به حتى يرجع عن زواج الجارية . وبعث يقول له : أيها الوزير لقد حصل عندي من الغيرة على ابنة عمي ما حملني على هذا الأمر . فلما وصلت الهدايا إلى الوزير قبلها وأرسل إليه يقول : طب نفساً وقر عيناً فلك عندي كل ما تريده . ثم إن الملك أبي الجارية أرسل إلى ابن الملك بالحضور إلى مكانه لأجل الدخول على ابنته . فلما وصل الكتاب إلى ابن الملك أذن له أبوه في المسير وبعث معه الوزير الذي جاءت له الهدايا وأرسل معهما ألف فارس وهدايا ومحامل وسراقات وخياماً ، فسار الوزير مع ابن الملك وفي ضميره أن يكيد بمكيدة وأضمر له في قلبه السوء . فلما صاروا في الصحراء تذكر الوزير أن في هذا الجبل عيناً جارية من الماء تعرف بالزهراء ، وكل من شرب منها إذا كان رجلاً يعود امرأة . فلما تذكر ذلك الوزير أنزل العسكر بالقرب منها وركب الوزير جواده ثم قال لابن الملك : هل لك أن تروح معي نتفرج على عين ماء في هذا المكان ؟ فركب ابن الملك وسار هو ووزير أبيه وليس معهما أحد ، وابن الملك لا يدري ما قد جرى له في الغيب ولم ير إلا سائرين حتى وصلا إلى تلك العين ، فنزل ابن الملك من فوق جواده وغسل يديه وشرب منها وإذا به صار امرأة . فلما عرف ذلك صرخ وبكى حتى غشي عليه . فأقبل عليه الوزير يتوجع لما أصابه ويقول له : ما الذي أصابك ؟ فأخبره الولد . فلما سمع الوزير كلامه توجع له وبكى لما أصاب ابن الملك ثم قال له : يعيدك الله تعالى من هذا الأمر ، كيف قد حلت بك هذه المصيبة وعظمت بك تلك الرزية ونحن سائرون بفرحة حيث تدخل على ابنة الملك ، والآن لا أدري هل نتوجه إليها أم لا ؟ والرأي لك ، فما تأمرني به ؟ فقال له الولد : إرجع إلى أبي وأخبره بما أصابني فاني لست أبرح من هاهنا حتى يذهب عني هذا الأمر أو أموت بحسرتي . فكتب الولد كتاباً لأبيه يعلمه بما جرى له . ثم أخذ الوزير الكتاب وانصرف راجعاً إلى مدينة الملك وترك العساكر والولد وما معه من الجيوش عنده وهو فرحان في الباطن بما فعل بابن الملك . فلما دخل الوزير على الملك أعلمه بقضية ولده وأعطاه كتابه . فحزن الملك على ولده حزناً شديداً ثم أرسل إلى الحكماء وأصحاب الأسرار أن يكشفوا له عن هذا الأمر الذي حصل لولده ، فما أحد ردّ عليه جواباً . ثم إن الوزير أرسل إلى ابن عم الجارية يبشره بما حصل لابن الملك . فلما وصل إليه الكتاب فرح فرحاً شديداً وطمع في زواج ابنة عمه وأرسل إلى الوزير هدايا عظيمة وأموالاً كثيرة وشكره شكرًا زائداً . وأما ابن الملك فإنه أقام على تلك العين مدة ثلاثة أيام بلياليها لا يأكل ولا يشرب واعتمد فيما أصابه على الله سبحانه وتعالى الذي ما خاب من توكل عليه . فلما كان في الليلة الرابعة وإذا هو بفارس على رأسه تاج وهو في صفة أولاد الملوك . فقال له الفارس : من أتى بك أيها الغلام إلى هاهنا ؟ فأعلمه الولد بما أصابه وأنه كان مسافراً إلى زوجته ليدخل عليها ، وأعلمه أن الوزير أتى به إلى عين الماء فشرب منها فحصل له ما حصل . وكلما تحدث الغلام يغلبه البكاء فيبكي . فلما سمع الفارس كلامه رثى لحاله وقال له : إن وزير أبيك هو الذي رماك في هذه المصيبة ، لأن هذه العين لم يعلم بها أحد من البشر إلا

رجل واحد . ثم إن الفارس أمره أن يركب معه فركب الولد . وقال له الفارس : إمضي معي إلى منزلي فانت ضيفي في هذه الليلة . فقال له الولد : أعلمني من أنت حتى أسير معك . فقال له : أنا ابن ملك الجان وأنت ابن ملك الإنس . فطب نفساً وقرّ عيناً بما يزيل همك وغمك فهو علي هين . فسار معه الولد من أول النهار وأهمل جيوشه وعساكره ، وما زال سائراً معه إلى نصف الليل . فقال له ابن ملك الجن : أتدري كم قطعنا في هذا الوقت ؟ فقال له الغلام : لا أدري . فقال له ابن ملك الجن : قطعنا مسيرة سنة للمجد المسافر . فتعجب ابن الملك من ذلك وقال له : كيف العمل والرجوع إلى اهلي ؟ فقال له : ليس هذا من شأنك إنما هو من شأني ، فحيث تبرأ من علتك تعود إلى أهلك في أسرع من طرفة العين وذلك علي هين . فلما سمع الغلام من الجنّي هذا الكلام طار من شدة الفرح وظن أنه أضغاث أحلام وقال : سبحان القدير على أن يرد الشقي سعيداً وفرح بذلك فرحاً شديداً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 583

□ قالت بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن ملك الجن قال لابن ملك الإنس : حيث تبرأ من علتك تعود إلى أهلك أسرع من طرفة عين . ففرح بذلك ولم يزال سائرين إلى أن أصبح الصباح ، وإذا هم بآرض مخضرة نظرة ذات أشجار باسقة وأطيار ناطقة ورياض فائقة وقصور رايقة . فنزل ابن ملك الجن عن جواده وأمر الولد بالنزول فنزل ، وأخذ بيده ودخلا في بعض تلك القصور . فنظر ابن الملك إلى ملك عال وسلطان له شان . فأقام عنده ذلك اليوم في أكل وشرب إلى أن أقبل الليل . فقام ابن ملك الجن وركب جواده وركب ابن ملك الإنس معه وخرجا تحت الليل مجددين السير إلى أن أصبح الصباح ، وإذا هما بآرض سوداء غير عامرة ، ذات صخور وأحجار سود كأنها قطعة من جهنم . فقال له ابن ملك الإنس : ما يقال لهذه الأرض ؟ فقال له : يقال لها : الأرض الدهماء لملك من ملوك الجن اسمه ذو الجناحين . لم يقدر أحد من الملوك أن يسطو عليه ولا يدخلها أحد إلا يذنه ، فقف في مكانك حتى نستأذنه . فوقف الشاب ثم غاب عنه ساعة وعاد إليه وسارا . ولم يزالا سائرين حتى انتهيا إلى عين ماء تسيل من جبال سود . فقال للشباب : إنزل . فنزل الشاب من فوق جواده ثم قال له : إشرب من هذه العين . فشرب منها الشاب فعاد لوقته وساعته ذكراً كما كان أولاً بقدره الله تعالى . ففرح الشاب فرحاً شديداً ما عليه من مزيد . ثم قال له : يا أخي ما يقال لهذه العين ؟ فقال له : يقال لها عين النساء لا تشرب منها امرأة إلا عادت رجلاً ، فاحمد الله واشكره على العافية واركب جوادك . فسجد ابن الملك شكراً لله تعالى ثم ركب وسارا يجدان السير بقية يومهما حتى رجعا إلى أرض ذلك الجنّي فبات الشاب عنده في أرغد عيش . ولم يزالا في أكل وشرب إلى أن جاء الليل . ثم قال له ابن ملك الجن : أتريد أن ترجع إلى أهلك في هذه الليلة ؟ فقال : نعم أريد ذلك لأنني محتاج إليه . فدعا ابن ملك الجان بعبد له من عبيد أبيه اسمه راجز وقال له : خذ هذا الفتى من عندي واحمله على عاتقك ولا تخل الصباح يصبح عليه إلا وهو عند صهره وزوجته . فقال له العبد : سمعاً وطاعةً وحباً وكرامةً . ثم غاب العبد عنه ساعة وأقبل وهو في صورة عفريت . فلما رآه الفتى طار عقله واندهش . فقال له ابن ملك الجن : لا بأس عليك ، إركب جوادك واعلُ به فوق عاتقه . فقال الشاب : بل أركب أنا وأترك الجواد عندك . ثم نزل الشاب عن الجواد وركب

على عاتقه . فقال له ابن ملك الجن : إغمض عينيك . فأغمض عينيه وطار به بين السماء والأرض . ولم يزل طائراً به ولم يدر الشاب بنفسه ، فما جاء ثلث الليل الأخير إلا وهو على قصر صهره . فلما نزل على قصره قال له العفريت : إنزل فنزل . وقال له : إفتح عينيك فهذا قصر صهرك وابنته ثم تركه ومضى . فلما اضاء النهار وسكن الشاب من روعه نزل من فوق القصر . فلما نظره صهره قام إليه وتلقاه وتعجب حيث رآه فوق القصر ثم قال له : إنا رأينا الناس تأتي من الأبواب وانت تنزل من السماء ؟ فقال له : قد كان الذي أراده الله سبحانه وتعالى . ثم تعجب الملك من ذلك وفرح بسلامته . فلما طلعت الشمس أمر صهره وزيره أن يعمل الولائم العظيمة . فعمل الولائم واستقام العرس ثم دخل على زوجته وأقام مدة شهرين ثم ارتحل بها إلى مدينة أبيه . وأما ابن عم الجارية فإنه هلك من الغيرة والحسد لما دخل بها ابن الملك ونصره الله سبحانه وتعالى عليه وعلى وزير أبيه . ووصل إلى أبيه بزوجه على أتم حال وأكمل سرور ، فتلقاه أبوه بعسكره ووزرائه . وأنا أرجو الله تعالى أن ينصرك على وزرائك أيها الملك ، وأنا أسألك أن تأخذ حقي من ولدك . فلما سمع الملك ذلك منها أمر بقتل ولده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما حكمت للملك وقالت : أسألك أن تأخذ حقي من ولدك . أمر بقتله وكان ذلك في اليوم الرابع . دخل على الملك الوزير الرابع وقبل الأرض بين يديه وقال : ثبت الله الملك وأيده أيها الملك ، تان في هذا الأمر الذي عزمتم عليه لأن العاقل لا يعمل عملاً حتى ينظر في عاقبته . وصاحب المثل يقول : من لم يتدبر العواقب ما الدهر له بصاحب . ومن عمل عملاً بغير تثبت أصابه ما أصاب الحمامي في زوجته . فقال له الملك : وما أصاب الحمامي في زوجته ؟

حكاية ولد الوزير وزوجة الحمامي
فقال له الوزير : بلغني أيها الملك أن حمامياً كان يدخل عنده أكابر الناس ورؤسائهم . فدخل عنده يوماً من الأيام شاب حسن الصورة من أولاد الوزراء ، وذلك الشاب سمين ضخم الجسم فصار الحمامي واقفاً في خدمته . فلما تجرد الشاب من ثيابه لم ير ذكره الحمامي لأنه غاب بين فخذه من شدة السمن ولم يظهر منه إلا مثل البندقة . فصار الحمامي يتأسف ويضرب يده على الأخرى . فلما رآه الشاب قال له : ما لك يا حمامي تتأسف ؟ فقال له : يا سيدي ، تأسفي عليك لأنك في حصر شديد مع أنك في هذه النعمة والحسن والجمال العظيم وليس معك شيء تتمتع به مثل الرجال . فقال له الشاب : صدقت فيما قلت ، ولكن ذكرتني بشيء كنت غافلاً عنه فقال له الحمامي : وما هو ؟ فقال له : تأخذ مني هذا الدينار وتحضر لي امرأة مليحة حتى أجرب نفسي فيها . فأخذ الحمامي الدينار وسار إلى زوجته وقال لها : يا امرأتي ، قد دخل عندني في الحمام شاب من أولاد الوزراء وهو كالبدر ليلة تمامه ، وليس له ذكر مثل الرجال وما معه إلا شيء يسير مثل البندقة . وقد تأسفت على شبابه وإنه أعطاني هذا الدينار وسألني أن آتيه بامرأة يجرب نفسه فيها وانت أحق بالدينار ، وما علينا في ذلك من بأس وأنا أستر عليك . فاقعدي معه ساعة تضحكين عليه وتخذي هذا الدينار منه . فأخذت زوجة الحمامي منه ذلك الدينار . ثم إنها

فلما كانت الليلة
584
الليلة
الليلة

قامت وتزينت ولبست أفخر ملبوسها، وكانت مليحة زمانها. ثم إنها خرجت مع زوجها إلى أن أدخلها على ابن الوزير في موضع خال. فلما حضرت عنده ورائه وجدته شاباً حسناً جميل المنظر كانه البدر في كماله، فاندھشت من حسنه وجماله. ثم إن الشاب لما نظر إليها زهل عقله ولبه من وقته ومكث هو وإياها وقفاً عليهما الباب. ثم إن الشاب أخذ تلك الصبية وضمها إلى صدره وتعانقا فانتشر من ذلك الشاب ذكر مثل ذكر الحمار، وركب على صدر زوجة الحمامي ساعة طويلة وهي تبكي وتصرخ تحته وتهرج وتمرج. فصار الحمامي يناديها ويقول لها: يا أم محمد يكفيكي، أخرجي قد طال النهار على ابنك الرضيع. فيقول لها الشاب: أخرجي إلى ابنك وتعالى. فتقول له: إني خرجت من عندك طلعت روعي، ومن قبل ابني فأنا أتركه يموت من البكاء أو يتربى يتيماً بلا أم. وما زالت عند الشاب إلى أن قضى حاجته منها عشر مرات، وزوجها قدام الباب ينادي ويصيح ويبكي ويستغيث فلا يغاث. وما زال كذلك وهو يقول: قتلت نفسي. ولم يجد إلى زوجته وصولاً. واشتد بالحمامي البلاء والغيرة فطلع على أعلى الحمام وارتمى من فوقه فمات.

حكاية امرأة جميلة والشاب والعجوز

وبلغني أيضاً أيها الملك من كيد النساء حكاية أخرى قال له الملك: وما بلغك؟ فقال له: بلغني أيها الملك أن امرأة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال ولم يكن لها نظير. فنظرها بعض الشباب الغاوين فتعلق بها شاب وأحبها محبة عظيمة، وكانت تلك المرأة عفيفة عن الزنا وليس لها فيه رغبة. فاتفق أن زوجها سافر يوماً من الأيام إلى بعض البلاد، فصار الشاب كل يوم يرسل إليها مرات عديدة ولم تجبه. فقصده الشاب عجوزاً كانت ساكنة بالقرب فسلم عليها وقعد يشكو إليها ما أصابه من المحبة وما هو عليه من عشق المرأة. وأخبرها أن مراده وصالها. فقالت له العجوز: أنا أضمن لك ذلك ولا بأس عليك، وأنا أبلغك ما تريد إن شاء الله تعالى. فلما سمع الشاب كلامها دفع لها ديناراً ثم انصرف إلى حال سبيله. فلما أصبح الصباح دخلت العجوز على المرأة وجددت معها عهداً ومعرفة. وصارت العجوز تتردد إليها في كل يوم وتتغدى وتتعشى عندها وتأخذ من عندها بعض الطعام إلى أولادها. وصارت تلك العجوز تلاعبها وتبسطها إلى أن أفسدت حالها وصارت لا تقدر على مفارقة العجوز ساعة واحدة. فاتفق في بعض الأيام أن العجوز وهي خارجة من عند المرأة كانت تأخذ خبزاً وتجعل فيه شحمًا ولفللاً وتطعمه إلى كلبة مدة أيام، فجعلت الكلبة تتبعها من أجل الشفقة والحسنة. فأخذت لها يوماً شيئاً كثيراً من الفلفل والشحم وأطعمته للكلبة، فلما أكلته صارت عينها تدمع من حرارة الفلفل ثم تبعتها الكلبة وهي تبكي. فتعجبت منها الصبية غاية العجب ثم قالت للعجوز: يا أمي، ما سبب بكاء هذه الكلبة؟ فقالت لها: يا بنتي هذه لها حكاية عجيبة. فإنها كانت صبية وكانت صاحبتى ورفيقتي، وكانت صاحبة حسن وجمال وبهاء وكمال، وكان قد تعلق بها شاب في الحارة وزاد بها حباً وشغفاً حتى لزم الوسادة وأرسل إليها مرات عديدة لعلها ترق له وترحمه فأبت. فنصحتها وقلت لها: يا بنتي أطيعيه في جميع ما قاله وارحميه واشفقي عليه. فما قبلت نصيحتي. فلما قل صبر هذا الشاب شكى لبعض أصحابه فعملوا لها سحراً وقلبوا صورتها من صورة البشر إلى صورة الكلاب. فلما رأت ما حصل لها وما هي فيه من الأحوال وانقلاب

الصورة ولم تجد أحداً من المخلوقين يشفق عليها غيري ، جاءتني إلى منزلي وصارت تستعطف بي وتقبل يدي ورجلي وتبكي وتنتحب . فعرفتها وقلت لها : كثيراً ما قد نصحتك فلم يفدك نصحي شيئاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
585
قال
قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز صارت تحكي للمرأة
خبر الكلبة وتعرفها عن حالها بمكر وخداع لأجل موافقتها لغرض تلك
العجوز . وجعلت تقول لها : لما جاءني هذه الكلبة المسحورة وبكت
قلت لها : كم نصحتك . ولكن يا بنتي لما رأيتها في هذه الحالة شفقت
عليها وأبقيتها عندي . فهي على هذه الحالة وكلما تتفكر حالتها الأولى
تبكي على نفسها . فلما سمعت الصبية كلام العجوز حصل لها رعب كبير وقالت لها : يا أمي
والله إنك خوفتيني بهذه الحكاية . فقالت لها العجوز : من أي شيء تخافين ؟ فقالت لها : إن شاباً
مليحاً متعلقاً بحبي ، وأرسل لي مرات وأنا امتنع منه ، وأنا اليوم أخاف أن يحصل لي مثل ما
حصل لهذه الكلبة . فقالت لها العجوز : إحدري يا بنتي أن تخالفي فإني أخاف عليك كثيراً ،
وإذا كنت لم تعرفي محله أخبريني بصفته وأنا أجيء به إليك ، ولا تخل قلب أحد يتغير عليك .
فوصفته لها وجعلت تتغافل وتريها أنها لم تعرفه وقالت لها : لما أقوم وأنا أسأل عنه . فلما
خرجت من عندها ذهبت إلى الشاب وقالت له : طب نفساً قد لعبت بعقل الصبية فأنت في غد
وقت الظهر تحضر وتقف لي عند رأس الحارة حتى أجيء فأخذك وأذهب بك إلى منزلها وتبسط
عندها بقية النهار وطول الليل . ففرح الشاب فرحاً شديداً وأعطاها دينارين وقال لها : لما أقضي
حاجتي أعطي لك عشرة دنائير . فرجعت إلى الصبية وقالت لها : عرفته وكلمته في شأن ذلك
فرايته غضباناً عليك كثيراً وعازماً على ضررك ، فما زلت أستعطف بخاطره على حضوره في غد
عند أذان الظهر . ففرحت الصبية فرحاً شديداً وقالت لها : يا أمي ، إن طاب خاطره وجاءني وقت
الظهر أعطيكي عشرة دنائير . فقالت لها العجوز : لا تعرفي حضوره إلاً مني . فلما أصبح قالت
لها العجوز : أحضري الغداً وتزيني والبسي أعز ما عندك حتى أذهب إليه وأجيء به إليك .
فقامت تزين نفسها وتهيء الطعام . وأما العجوز فإنها خرجت في انتظار الشاب فلم يأت ،
فدارت تفتش عليه فلم تقف له على خبر . فقالت في نفسها : كيف العمل ؟ أيروح هذا الأكل
الذي فعلته خسارة والوعد الذي وعدتني به من الدراهم ؟ ولكن لم أخل هذه الحيلة تروح بلا
شيء بل أفتش لها على غيره وأجيء به إليها . فبينما هي كذلك تدور في الشارع إذ نظرت شاباً
حسناً جميلاً على وجهه أثر السفر . فتقدمت إليه وسلمت عليه وقالت له : هل لك في طعام
وشراب وصيبة مهياة ؟ فقال لها الرجل : وأين هذا ؟ قالت : عندي في بيتي . فسار معها الرجل
والعجوز وهي لا تعلم أنه زوج الصبية حتى وصلت إلى البيت ودقت الباب . ففتحت لها الصبية
الباب فدخلت وهي تجري لتتھيا بالملبوس والبخور ، فدخلته العجوز في قاعة الجلوس وهي في
كيد عظيم . فلما دخلت المرأة عليه ووقع بصرها عليه والعجوز قاعدة عنده بادرت المرأة بالحيلة
والمكيدة ودبرت لها أمراً في الوقت والساعة . ثم سحبت الحفّ من رجلها وقالت لزوجها : ما
هكذا العهد الذي بيني وبينك ؟ فكيف تخونني وتفعل معي هذا الفعل ؟ فإني لما سمعت
بحضورك جربتك بهذه العجوز فأوقعتك فيما حدّرتك منه ، وقد تحققت أمرك وإنك نقضت

العهد الذي بيني وبينك . وكنت قبل الآن أظن أنك طاهر حتى شاهدتك بعيني مع هذه العجوز ،
 وأنت تتردد على النساء الفاجرات . وصارت تضربه بالخفّ على رأسه وهو يبتراً من ذلك ويحلف
 لها أنه ما خانها مدة عمره ولا فعل فعلاً بما اتهمته به . ولم يزل يحلف لها إيماناً بالله تعالى وهي
 تضربه وتبكي وتصرخ وتقول : تعالوا إليّ يا مسلمين . فيمسك فمها بيده وهي تعضه وصار
 متذلاًّ لها ويقبل يديها ورجليها وهي لا ترضى عليه ولا تكف يدها عن صفعه . ثم إنها غمزت
 العجوز أن تمسك يدها عنه ، فجاءتها العجوز وصارت تقبل يديها ورجليها إلى أن أجلستهما .
 فلما جلسا جعل الزوج يقبل يد العجوز ويقول لها : جزاك الله تعالى كل خير حيث خلصتيني
 منها . فصارت العجوز تتعجب من حيلة المرأة وكيدها . وهذا أيها الملك من جملة مكر النساء
 وحيلهن وكيدهن . فلما سمعه الملك انتصح بحكايته ورجع عن قتل ولده . وأدرك شهرزاد
 الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 586
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الرابع لما حكى الحكاية
 للملك رجع عن قتل ولده . فلما كان في اليوم الخامس دخلت الجارية
 على الملك وببدها قدح فيه سمّ واستغاثت ولطمت خديها ووجهها
 وقالت له : أيها الملك ، إما أن تنصفني وتأخذ حقي من ولدك وإلا أشرب
 هذا القدح السمّ وأموت ويبقى ذنبي متعلقاً بك إلى يوم القيامة . فإن
 وزراءك هؤلاء ينسبونني إلى الكيد والمكر وليس في الدنيا أمكر منهم . أما سمعت أيها الملك
 حديث الصائغ مع الجارية ؟ فقال لها الملك : ما جرى منهما يا جارية ؟

حكاية الصائغ والمغنية

فقلت له : بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صائغ مولعاً بالنساء وشرب الخمر . فدخل
 يوماً من الأيام عند صديق له فنظر إلى حائط من حيطان بيته فرأى فيها صورة جارية منقوشة لم
 ير الراؤون أحسن ولا أجمل ولا أظرف منها . فأكثر الصائغ من النظر إليها وتعجب من حسن
 هذه الصورة ، ووقع حب هذه الصورة في قلبه إلى أن مرض وأشرف على الهلاك . فجاءه بعض
 أصدقائه يزوره ، فلما جلس عنده سأله عن حاله وما يشكو منه . فقال له : يا أخي ، إن مرضي كله
 وجميع ما أصابني من العشق . وذلك إنني عشقت صورة منقوشة في حائط فلان أخي . فلما
 ذلك الصديق وقال له : إن هذا من قلة عقلك . فكيف تعشق صورة في حائط لا تضر ولا تنفع ولا
 تنظر ولا تسمع ولا تأخذ ولا تمنع ؟ فقال له : ما صورها المصور إلا على مثال امرأة جميلة . فقال له
 صديقه : لعل الذي صورها اخترعها من رأسه . فقال له : أنا في حبها ميت على كل حال . وإن
 كان لهذه الصورة شبيه في الدنيا فإنا أرجو الله تعالى أن يمدني بالحياة إلى أن أراه . فلما قام
 الحاضرون سألوها عن من صورها فوجده قد سافر إلى بلد من البلدان ، فكتبوا له كتاباً يشكون له
 فيه حال صاحبهم ويسألونه عن تلك الصورة ما سببها هل هو اخترعها من ذهنه أو رأى لها
 شبيهاً في الدنيا ؟ فأرسل إليهم : إنني صورت هذه الصورة على شكل جارية مغنية لبعض
 الوزراء ، وهي بمدينة كشمير بإقليم الهند . فلما سمع الصائغ بالخبر وكان ببلاد الفرس ، تجهز
 وسار متوجهاً إلى بلاد الهند . فوصل إلى تلك المدينة من بعد جهد جهيد . فلما دخل تلك المدينة
 واستقر فيها ، ذهب يوماً من الأيام عند رجل عطار من أهل تلك المدينة ، وكان ذلك العطار

حاذقاً فطناً لبيباً. فسأله الصائغ عن ملكهم وسيرته. فقال له العطار: أما ملكنا فعادل حسن السيرة محسن لاهل دولته منصف لرعيته وما يكره في الدنيا إلا السحرة. فإذا وقع في يده ساحراً وساحرة القاهما في خارج المدينة ويتركهما بالجوع إلى أن يموتا. ثم سأله عن وزرائه، فذكر له سيرة كل وزير وما هو عليه إلى أن انجبر الكلام إلى الجارية المغنية فقال له: عند الوزير الفلاني. فصبر بعد ذلك أياماً حتى أخذ في تدبير الحيلة. فلما كان في ليلة ذات مطر ورعد ورياح عاصفة، ذهب الصائغ وأخذ معه عدة من اللصوص وتوجه دار الوزير سيد الجارية وعلق فيه السلم بكلايب ثم طلع إلى اعلى القصر، فلما وصل إليه نزل إلى ساحته فرأى جميع الجواري نائمات كل واحدة على سريرها، ورأى سريراً من المرمز عليه جارية كأنها البدر إذا أشرق في ليلة أربعة عشر، فقصدها وقعد عند رأسها وكشف الستر عنها، فإذا عليها ستر من ذهب وعند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة كل شمعة منهما في شمعدان من الذهب الوهاج وهاتان الشمعتان من العنبر، وتحته الوسادة حتى من الفضة فيه جميع حليها وهو مغطى عند رأسها. فأخرج سكيناً وضرب بها كفل الجارية فجرحها جرحاً واضحاً، فانتبهت فزعة مرعوبة. فلما رأته خافت من الصباح فسكتت وظنت أنه يريد أخذ المال فقالت له: خذ الحق والذي فيه وليس بقتلي نفع، وأنا في جيرتك وفي حسابك. فتناول الرجل الحق بما فيه وانصرف. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 587
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصائغ حين طلع قصر الوزير ضرب الجارية على كفلها، جرحها وأخذ الحق الذي فيه حليها وانصرف. فلما أصبح الصباح لبس ثيابه وأخذ معه الحق الذي فيه الحللي ودخل به على ملك تلك المدينة ثم قبل الأرض بين يديه وقال له: أيها الملك إنني رجل ناصح لك وأنا من أرض خراسان، وقد أتيت مهاجراً إلى حضرتك لما شاع من حسن سيرتك وعدلك في رعيتك، فأردت أن أكون تحت لوائك. وقد وصلت إلى هذه المدينة آخر النهار فوجدت الباب مغلقاً فتمت من خارجه. فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت أربع نسوة إحداهن راكبة مكنسة وإحداهن راكبة مروحة، فعلمت أيها الملك أنهن سحرة يدخلن مدينتك. فدنت إحداهن مني ورفصتني برجلها وضربتني بذنب ثعلب كان في يدها، فأوجعتني فأخذتني الحدة من الضرب فضربتها بسكين كانت معي فأصابت كفلها وهي مولية شاردة. فلما جرحتها انهزمت قدأمي فوق منها هذا الحق بما فيه، فأخذته وفتحته فرأيت فيه هذا الحللي النفيس. فخذته فليس لي به حاجة لاني رجل سائح في الجبال وقد رفضت الدنيا عن قلبي وزهدتها بما فيها وإني قاصد وجه الله تعالى. ثم ترك الحق بين يدي الملك وانصرف. فلما خرج من عند الملك، فتح الملك ذلك الحق وأخرج جميع الحللي منه وصار يقلبه بيده فوجد فيه عقداً كان أنعم به على الوزير سيد الجارية، فدعا الملك بالوزير. فلما حضر بين يديه قال له: هذا العقد الذي أهديته إليك. فلما رآه الوزير عرفه وقال للملك: نعم وأنا أهديته إلى جارية مغنية عندي. فقال له الملك: أحضر لي الجارية في هذه الساعة فأحضرها. فلما حضرت الجارية بين يدي الملك قال له: إكشف عن كفلها وانظر هل فيه جرح أم لا؟ فكشف الوزير عنه فرأى فيه جرح سكين. فقال الوزير للملك: نعم يا مولاي فيها الجرح. فقال الملك للوزير: هذه ساحرة

كما قال لي الرجل الزاهد بلا شك ولا ريب . ثم أمر الملك بأن يجعلوها في جبّ السحرة . فأرسلوها إلى الجبّ في ذلك النهار . فلما جاء الليل وعرف الصائغ أن حيلته قد تمت ، جاء إلى حارس الجبّ وبيده كيس فيه ألف دينار وجلس مع الحارس يتحدث إلى ثلث الليل الأول . ثم دخل مع الحارس في الكلام وقال له : أعلم يا أخي أنّ هذه الجارية بريئة من هذه البلية التي ذكروها عنها وأنا الذي أوقعتها . وقصّ عليه القصة من أولها إلى آخرها ثم قال له : يا أخي ، خذ هذا الكيس فإن فيه ألف دينار واعطني الجارية أسافر بها إلى بلادي ، فهذه الدنانير أنفع لك من حبس الجارية واغتنم أجرنا ونحن الإثنين ندعوك بالخير والسلامة . فلما سمع حكايته تعجب غاية العجب من هذه الحيلة وكيف تمت . ثم أخذ الحارس الكيس بما فيه وتركها له وشرط عليه أن لا يقيم بها في هذه المدينة ساعة واحدة . فأخذها الصائغ من وقته وسار ، وجعل يجدر في السير إلى أن وصل إلى بلاده وقد بلغ مراده . فانظر أيها الملك إلى كيد الرجال وحيلهم ووزرائك يردونك عن أخذ حقي . وفي غد أقف أنا وأنت بين يدي حاكم عادل فيأخذ حقي منك أيها الملك . فلما سمع الملك كلامها أمر بقتل ولده . فدخل عليه الوزير الخامس وقبّل الأرض بين يديه ثم قال له : أيها الملك العظيم الشأن تمهّل ولا تعجل على قتل ولدك ، فرب عجلة أعقت ندامة . وأخاف عليك أن تندم ندامة الرجل الذي لم يضحك بقية عمره . فقال له الملك : وكيف ذلك أيها الوزير ؟

حكاية الرجل الحزين

قال : بلغني أيها الملك أنه كان رجل من ذوي البيوت والنعم وكان ذا مال وخدم وعبيد وأملاك ، فمات إلى رحمة الله تعالى وترك ولداً صغيراً . فلما كبر الولد أخذ في الأكل والشرب وسماع الطرب والأغاني وتكرم وأعطى وأنفق الأموال التي خلفها له أبوه حتى ذهب المال جميعه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 588

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الولد لما أذهب المال الذي خلفه له أبوه ولم يبق منه شيء ، رجع على بيع العبيد والجواري والأملاك وأنفق جميع ما كان عنده من مال أبيه وغيره ، فافتقر حتى صار يشتغل مع الفعلة . فمكث على ذلك مدة سنة . فبينما هو جالس يوماً من الأيام تحت حائط ينتظر من يستأجره وإذا هو برجل حسن الوجه والثياب قد دنا من الشاب وسلم عليه . فقال له الولد : يا عم هل أنت تعرفني قبل الآن ؟ فقال له : لم أعرفك يا ولدي أصلاً بل أرى آثار النعمة عليك وأنت في هذه الحالة . فقال له : يا عم نفذ القضاء والقدر ، فهل لك يا عم يا صبيح الوجه من حاجة تستخدمني فيها ؟ فقال له : يا ولدي أريد أن أستخدمك في شيء يسير . قال له الشاب : وما هو يا عم ؟ فقال له : عندي عشرة من الشيوخ في دار واحدة وليس عندنا من يقضي حاجتنا ولك عندنا من المأكل والملبس ما يكفيك ، فتقوم بخدمتنا ولك عندنا ما يصل إليك من الخير والدرهم ، ولعل يرد الله عليك نعمتك بسببنا . فقال له الشاب : سمعاً وطاعة . ثم قال له الشيخ : لي عليك شرط . فقال له الشاب : وما هو شرطك يا عم ؟ قال له : يا ولدي أن تكون كأنما لسرنا فيما ترانا عليه ، وإذا رأيتنا نكي فلا تسألنا عن سبب بكاتنا . فقال له الشاب : نعم يا عم . فقال له الشيخ : يا ولدي ، سرّ بنا على بركة الله تعالى . فقام

الشاب خلف الشيخ إلى أن أوصله إلى الحمام فأدخله فيه وأزال عن بدنه ما عليه من القشف . ثم أرسل الشيخ رجلاً فأتى له بحلة حسنة من القماش فألبسه إياها ومضى به إلى منزله عند جماعته . فلما دخل الشاب وجدها داراً عالية البنيان مشيدة الأركان واسعة بمجالس متقابلة وقاعات ، في كل قاعة فسقية من الماء عليها طيور تغرد وشبابيك تطل من كل جهة على بستان حسن في تلك الدار . فأدخله الشيخ في أحد المجالس فوجده منقوشاً بالرخام الملون ، ووجد سقفه منقوشاً باللأزورد والذهب الوهاج ، وهو مفروش ببسط الحرير ، ووجد فيه عشرة من الشيوخ قاعدين متقابلين وهم لابسون ثياب الحزن ويكون وينتحبون . فتعجب الشاب من أمرهم وهم أن يسأل الشيخ فتذكر الشرط فمنع لسانه . ثم إن الشيخ سلم إلى الشاب صندوقاً فيه ثلاثون ألف دينار وقال له : يا ولدي ، انفق علينا من هذا الصندوق وعلى نفسك بالمعروف وأنت أمين ، واحفظ ما استودعتك فيه . فقال الشاب : سمعاً وطاعة . ولم يزل الشاب ينفق عليهم مدة أيام وليال ، ثم مات واحد منهم فأخذه أصحابه وغسلوه وكفنوه ودفنوه في روضة خلف الدار . ولم يزل الموت يأخذ منهم واحداً بعد واحد إلى أن بقي الشيخ الذي استخدم الشاب ، فاستمر هو والشاب في تلك الدار وليس معهما ثالث وأقاما على ذلك مدة من السنين . ثم مرض الشيخ ، فلما يشس الشاب من حياته أقبل عليه وتوجع له ثم قال له : يا عم ، أنا خدمتكم ولا كنت أقصر في خدمتكم ساعة واحدة مدة اثني عشر سنة ، وإنما أنصح لكم وأخدمكم بجهدتي وطاقتي . فقال له الشيخ : نعم يا ولدي خدمتنا إلى أن توفيت هذه المشايخ إلى الله عز وجل ، ولا بد لنا من الموت . فقال الشاب : يا سيدي ، أنت على خطر وأريد منك أن تعلمني ما سبب بكائكم ودوام انتحابكم وحزنكم وتحسركم ؟ فقال له : يا ولدي ، ما لك بذلك من حاجة ولا تكلفني ما لا أطيق ، فإني سألت الله تعالى أن لا يبلي أحداً ببليتي . فإن أردت أن تسلم مما وقعنا فيه فلا تفتح ذلك الباب ، وأشار إليه بيده وحذّره منه . وإن أردت أن يصيبك ما أصابنا فافتحه فإنك تعلم سبب ما رأيت منا لكونك تندم حيث لا ينفعك الندم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
589
قال
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ الذي بقي من العشرة قال للشاب : إحذر أن تفتح هذا الباب فتندم حيث لا ينفعك الندم . ثم تزايدت العلة على الشيخ فمات ، فغسله الشاب بيده وكفنه ودفنه عند أصحابه . وقعد الشاب في ذلك الموضع وهو مختوم على ما فيه ، وهو مع ذلك قلق متفكر فيما كان فيه الشيوخ . فبينما هو يتفكر يوماً من الأيام في كلام الشيخ ووصيته له بعدم فتح الباب إذ خطر بباله أنه ينظر إليه ، فقام إلى تلك الجهة وفتش حتى رأى باباً لطيفاً قد عشش عليه العنكبوت وعليه أربعة أقفال من البولاد . فلما نظره تذكر ما حذّره منه الشيخ فانصرف عنه ، وصارت نفسه تراوده على فتح الباب وهو يمنعه مدة سبعة أيام . وفي اليوم الثامن غلبت عليه نفسه وقال : لا بد أن أفتح ذلك الباب وأنظر أي شيء يجري عليّ منه ، فإن قضاء الله تعالى وقدره لا يرده شيء ولا يكون أمر من الأمور إلا بإرادته . فنهض وفتح الباب بعد أن كسر الأقفال . فلما فتح الباب رأى دهليزاً ضيقاً ، فجعل يمشي فيه مقدار ثلاث ساعات ، وإذا به قد خرج على شاطئ نهر عظيم . فتعجب الشاب من ذلك ، فصار

يمشي على ذلك الشاطئ وينظر يميناً وشمالاً، وإذا بعقاب كبير قد نزل من الجو فحمل ذلك الشاب في مخالفه وطار به بين السماء والأرض إلى أن أتى به إلى جزيرة في وسط البحر فالتقاه فيها وانصرف عنه العقاب، فصار الشاب متحيراً في أمره لا يدري أين يذهب. فبينما هو جالس يوماً من الأيام وإذا بقلع مركب قد لاح له في البحر كالنجم في السماء، فتعلق خاطر الشاب بالمركب لعل نجاته تكون فيها وصار ينظر إليها حتى وصلت إلى قربه. فلما وصلت رأى زورقاً من العاج والأبنوس ومجاديفه من الصندل والعود وهو مصفح جميعه بالذهب الوهاج وفيه عشرة من الجوارى الأبارك كأنهن الأقمار. فلما نظره الجوارى طلعن إليه من الزورق وقبلن يديه وقلن له: أنت الملك العريس. ثم تقدمت إليه جارية وهي كالشمس الضاحية في السماء الصاحية، وفي يدها منديل حرير فيه خلعة ملوكية وتاج من الذهب مرصع بأنواع اليواقيت. فتقدمت إليه والبسته وتوجته وحملته على الأيدي إلى ذلك الزورق فوجد فيه أنواعاً من بسط الحرير الملون. ثم نشرت القلوع وسرن في لجج البحر. قال الشاب: فلما سرت معهن اعتقدت أن هذا منام ولا أدري أين يذهبن بي. فلما أشرفن على البر، رأيت البر قد امتلأ بعساكر لا يعلم عدتهم إلا الله سبحانه وتعالى وهم متدرعون. ثم قدموا إلي خمسة من الخيل المسومة بسروج من ذهب مرصعة بأنواع اللآلئ والفصوص الثمينة. فأخذت منها فرساً فركبته والأربعة سارت معي. ولما ركبت انعقدت على رأسي الرايات والأعلام ودقت الطبول وضربت الكاسات، ثم ترتبت العساكر ميمنة وميسرة وسرت أتردد: هل أنا نائم أم يقظان؟ ولم أزل سائراً ولا أصدق بما أنا فيه من الموكب بل أظن أنه أضغاث أحلام حتى أشرفنا على مرج أخضر فيه قصور وبساتين وأشجار وأنهار وأزهار وأطياف تسبح الله الواحد القهار. فبينما هم كذلك، وإذا بعسكر قد برز من بين تلك القصور والبساتين مثل السيل إذا انحدر إلى أن ملا ذلك المرج. فلما دنوا مني وقفت تلك العساكر، وإذا بملك منهم قد تقدم بمفرده راكب بين يديه بعض خواصه مشاة. فلما قرب الملك من الشاب نزل عن جواده، فلما رأى الملك نزل عن جواده نزل الآخر ثم سلما على بعضهما أحسن سلام، ثم ركبا خيولهم. فقال الملك للشاب: سر بنا فإنك ضيفي. فسار معه الشاب وهم يتحدثون والمواكب مرتبة وهي تسير بين أيديهما إلى قصر الملك، ثم نزلوا ودخلوا القصر جميعاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك لما أخذ الشاب وسار هو وآياه بالموكب حتى دخلا في القصر، ويد الشاب في يد الملك. ثم اجلسه على كرسي من الذهب وجلس عنده. فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه وإذا هو جارية كالشمس الضاحية في السماء الصاحية، حسن وجمال وبهاء وكمال وعجب ودلال. فنظر الشاب إلى نعمة عظيمة وسعادة جسيمة، وصار الشاب متعجباً من حسنها وجمالها. ثم قالت له: أعلم أيها الملك أنني ملكة هذه الأرض، وكل هذه العساكر التي رأيتها وجميع من رأيتهم من فارس أو راجل فهن نساء ليس فيهن رجال، والرجال عندنا في هذه الأرض يحراثون ويزرعون ويحصلون ويستغلون بعمارة الأرض وعمارة البلاد ومصالح الناس من سائر الصناعات. وأما النساء فهن الحكام وأرباب المناصب والعساكر. فتحجب الشاب من ذلك غاية العجب. فبينما هم كذلك

فلما كانت الليلة
590
كانت الليلة

وإذا بالوزير قد دخل، وإذا هي عجوز شمطاء وهي محتشمة ذات هيبة ووقار. فقالت لها الملكة: أحضري لنا القاضي والشهود. فمضت العجوز لذلك ثم عظفت الملكة على الشاب تناديه وتؤانسه وتزِيل وحشته بكلام لطيف. ثم أقبلت عليه وقالت: أترضى أن أكون زوجة؟ فقام وقبل الأرض بين يديها فمنعته. فقال لها: يا سيدتي، أنا أقل من الخدم الذي يخدمونك. فقالت له: أما ترى جميع ما نظرته من الخدم والعساكر والمال والخزائن والذخائر؟ فقال لها: نعم. فقالت له: جميع ذلك بين يديك تتصرف فيه إلا هذا الباب فلا تفتحه، وإذا فتحتة تندم حيث لا ينفعك الندم. فما استتم كلامها إلا والوزيرة والقاضي والشهود معها. فلما حضروا وكلهن عجائز ناشرات الشعر على أكتافهن وعليهن هيبة ووقار. قال: فلما حضرن بين يدي الملكة، امرتهن أن يعقدن العقد بالتزويج، فزوجنها الشاب وعملت الولائم وجمعت العساكر. فلما أكلوا وشربوا دخل عليها ذلك الشاب فوجدها بكرأ عذراء، فأزال بكراتها وأقام معها سبعة أعوام في الذَّ عيش وأرغده وأهناه وأطيبه. فتذكر ذات يوم من الأيام فتح الباب وقال: لولا أن يكون فيه ذخائر جلييلة مما رأيت، ما منعتني عنه. ثم قام وفتح الباب، وإذا داخله الطائر الذي حمله من ساحل البحر وحطه في الجزيرة. فلما نظر ذلك الطائر قال له: لا مرحباً بوجه لا يفلح أبداً. فلما نظره وسمع كلامه هرب منه، فتبعه وخطفه بين السماء والأرض مسافة ساعة وحطه في المكان الذي خطفه منه ثم غاب عنه، فجلس مكانه ثم تراجع إلى عقله وتذكر ما نظره قبل ذلك من النعمة والعز والكرامة وركوب العسكر أمامه والأمر والنهي فجعل يبكي ويتنحب. ثم أقام على ساحل البحر الذي وضعه فيه ذلك الطائر مدة شهرين وهو يتمنى أن يعود إلى زوجته. فبينما هو ذات ليلة من الليالي سهران حزين متفكر وإذا بقائل يقول وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو ينادي: ما أعظم اللذات، هيهات هيهات أن يرجع إليك ما فات. فأكثر الحسرات. فلما سمعه ذلك الشاب يتس من لقاء تلك الملكة ومن رجوع النعمة التي كان فيها إليه. ثم دخل الدار التي فيها المشايخ وعلم أنهم قد جرى لهم مثل ما جرى له وهذا الذي كان سبب بكائهم وحزنهم فعذرهم بعد ذلك. ثم إن الشاب أخذ الحزن والهَم ودخل ذلك المجلس، وما زال يبكي وينوح وترك المأكل والمشرب والروائح الطيبة والضحك إلى أن مات ودفنوه بجانب المشايخ. فاعلم أيها الملك أن العجلة ليست محمودة وإنما هي ترث الندامة. وقد نصحتك بهذه النصيحة. فلما سمع الملك ذلك الكلام، اتَّعظ به وانتصح ورجع عن قتل ولده. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 591

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك لما سمع حكاية الوزير رجع عن قتل ولده. فلما كان في اليوم السادس دخلت الجارية على الملك وفي يدها سكين مسلولة وقالت: أعلم يا سيدي أنك إن لم تقبل شكايتي وترعَ حقك وحرمتك فيمن تعدى عليّ، وهم زراؤك الذين يزعمون أن النساء صاحبات حيل ومكر وخديعة، ويقصدون بذلك ضيع حقي وإهمال الملك النظر في حقي، وما أنا أحق بين يديك أن الرجال أمكر من النساء بحكاية ابن ملك من الملوك حيث خلا بزوجة تاجر. فقال لها الملك: وأي شيء جرى له معها؟

فقالت: بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار غيوراً، وكان عنده زوجة ذات حسن وجمال. فمن كثرة خوفه وغيرته عليها لم يسكن بها في المدائن وإنما عمل لها خارج المدينة قصرأ منفرداً وحده عن البنيان، وقد أعلى بنيانه وشيد أركانه وحصن أبوابه واحكم أقفاله. فإذا أراد الذهاب إلى المدينة قفل الأبواب وأخذ مفاتيحها معه وعلّقها في رقبتة. فبينما هو يوماً من الأيام في المدينة إذ خرج ابن ملك تلك المدينة يتنزّه خارجها ويتفرّج على الفضاء، فنظر ذلك الخلاء وصار يتأمّل فيه زماناً طويلاً، فلاح لعينه ذلك القصر فنظر فيه جارية عظيمة تطل من بعض طيقان القصر. فلما نظرها صار متحيراً في حسنها وجمالها ويريد الوصول إليها فلم يمكنه ذلك. فدعا بغلام من غلمانة فاتاه بدواة وورقة وكتب فيها شرح حاله من المحبة وجعلها في سنان نشابة ثم رمى النشابة داخل القصر فنزلت عليها وهي تمشي في بستان. فقالت لجارية من جواربها: أسرعي إلى هذه الورقة وناولينيها، وكانت تقرأ الخط. فلما قرأتها وعرفت ما ذكر لها من الذي أصابه من المحبة والشوق والغرام، كتبت له جواب ورقته وذكرت له أنه قد وقع عندها من المحبة أكثر مما عنده. ثم طلّت له من طاقة القصر فرأته، فالقت إليه الجواب واشتد بها الشوق. فلما نظر إليها جاء تحت القصر وقال لها: إرمي من عندك خيطاً لأربط فيه هذا المفتاح حتى تأخذه عندك. فرمت له خيطاً وربط فيه المفتاح ثم انصرف إلى وزرائه فشكا إليهم محبة تلك الجارية وأنه قد عجز عن الصبر عنها. فقال له بعضهم: وما التدبير الذي تأمرني به؟ فقال له ابن الملك: أريد منك أن تجعلني في صندوق وتودعه عند هذا التاجر في قصره، وتجعل أن ذلك الصندوق لك حتى أبلغ أربي من تلك الجارية مدة أيام ثم تسترجع ذلك الصندوق. فقال له الوزير: حباً وكرامةً. ثم إن ابن الملك لما توجه إلى منزله جعل نفسه داخل صندوق كان عنده وأغلق الوزير عليه وأتى به إلى قصر التاجر. فلما حضر التاجر بين يدي الوزير قبل يديه. ثم قال له التاجر: لعلّ لمولانا الوزير خدمة أو حاجة نفوز بقضائتها. فقال له الوزير: أريد منك أن تجعل هذا الصندوق في أعز مكان عندك. فقال التاجر للحمالين: إحملوه. ثم أدخله التاجر في القصر ووضع في خزانة عنده ثم بعد ذلك خرج إلى بعض أشغاله. فقامت الجارية إلى الصندوق وفتحت بالمفتاح الذي معها فخرج منه شاب مثل القمر. فلما رآته لبست أحسن ملبوسها وذهبت به إلى قاعة الجلوس وقعدت معه في أكل وشرب مدة سبعة أيام، وكلما يحضر زوجها تجعله في الصندوق وتقفل عليه. فلما كان في بعض الأيام سأل الملك عن ولده، فخرج الوزير مسرعاً إلى منزل التاجر وطلب منه الصندوق. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير لما حضر إلى منزل التاجر لطلب الصندوق، جاء إلى قصره على خلاف العادة وهو مستعجل وطرق الباب. فحسّت به الجارية فأخذت ابن الملك وأدخلته في الصندوق وذهلت عن قفله. فلما وصل التاجر إلى المنزل هو والحمالون، حملوا الصندوق من غطائه فانفتح، فنظروا فيه فإذا فيه ابن الملك راقداً. فلما رآه التاجر وعرفه خرج إلى الوزير وقال له: أدخل أنت وخذ ابن الملك فلا يستطيع أحد منا

فلما كانت الليلة
592
الليلة

ان يمسه . فدخل الوزير وأخذه ثم انصرفوا جميعاً . فلما انصرفوا طلق التاجر الجارية واقسم على نفسه ان لا يتزوج أبداً .

حكاية الغلام ولغة الطير

وبلغني أيضاً أيها الملك ان رجلاً من الظرفاء دخل السوق فوجد غلاماً ينادى عليه للبيع . فاشتره وجاء به إلى منزله وقال لزوجته : استوصي به . فاقام الغلام مدة من الزمان . فلما كان في بعض الأيام قال الرجل لزوجته : أخرجني غداً إلى البستان ونفّر جي وتزهي وانشرحي . فقالت : حباً وكرامةً . فلما سمع الغلام ذلك عمد إلى طعام وجّهه في تلك الليلة ، وإلى شراب ونقل وفاكهة ثم توجه إلى البستان وجعل ذلك الطعام تحت شجرة ، وجعل ذلك الشراب تحت شجرة ، والفاكهة والنقل تحت شجرة في طريق زوجة سيده . فلما أصبح الصباح أمر الرجل الغلام ان يتوجه مع سيده إلى ذلك البستان ، وأمر بما يحتاجون إليه من المأكّل والمشرب والفاكهة . ثم طلعت الجارية وركبت فرساً والغلام معها حتى وصلوا إلى ذلك البستان . فلما دخلوا انعق غراب فقال له الغلام : صدقت . فقالت له سيده : هل أنت عرفت ما يقول الغراب ؟ فقال لها : نعم يا سيدتي . قالت له : فما يقول ؟ قال لها : يا سيدتي يقول : إن تحت هذه الشجرة طعام تعالوا كلوه . فقالت له : أراك تعرف لغات الطير . فقال لها : نعم . فتقدمت الجارية إلى تلك الشجرة فوجدت طعاماً مجهّزاً . فلما أكلوه تعجّبت منه غاية العجب واعتقدت أنه يعرف لغات الطير . فلما أكلوا ذلك الطعام تفرّجوا في البستان فنقع الغراب فقال له الغلام : صدقت . فقالت له سيده : أي شيء يقول ؟ قال : يا سيدتي يقول : إن تحت الشجرة الفلانية كوز ماء ممسك وخمراً عتيقاً . فذهبت هي وإياه فوجدوا ذلك ، فتزايد عجبها وعظم الغلام عندها فقعدت مع الغلام يشربان . فلما شربا مشيا في ناحية البستان فنقع الغراب فقال له الغلام : صدقت . فقالت له سيده : أي شيء يقول هذا الغراب ؟ قال : يقول : إن تحت الشجرة الفلانية فواكه ونقلاً . فذهبا إلى تلك الشجرة فوجدوا ذلك ، فأكلوا من تلك الفواكه والنقل . ثم مشيا في البستان فنقع الغراب فأخذ الغلام حجراً ورماه به . فقالت : ما لك تضربه ؟ وما الذي قاله ؟ قال : يا سيدتي إنه يقول كلاماً ما أقدر أن أقوله لك . قالت : قل ولا تستحي مني أنا ما بيني وبينك شيء . فصار يقول لا . وهي تقول قل . ثم أقسمت عليه فقال لها : إنه يقول لي : إفعل بسيدتك مثل ما يفعل بها زوجها . فلما سمعت كلامه ضحكت حتى استلقت على قفاها ثم قالت له : حاجة هينة لا أقدر أن أخالفك فيها . ثم توجهت نحو شجرة من الأشجار وفرشت تحتها الفرش ونادته ليقضي لها حاجتها ، وإذا بسيدته خلفه ينظر إليه . فناداه وقال له : يا غلام ، مال سيدتك راقدة هنا تبكي ؟ فقال : يا سيدي وقعت من فوق شجرة فماتت وما ردها عليك إلا الله سبحانه وتعالى ، فرقدت هاهنا ساعة لتستريح . فلما رأت الجارية زوجها فوق رأسها قامت وهي متمرضة تتوجع وتقول : آه يا ظهري ، يا جنبي ، تعالوا إلي يا أحبائي ما بقيت أعيش . فصار زوجها مبهوراً ثم نادى الغلام وقال له : هات لسيدتك الفرس وركبها . فلما ركبت أخذ الزوج بركابها والغلام بركابها الثاني ويقول لها : الله يعافيك ويشفيك . وهذا أيها الملك من جملة حيل الرجال ومكرهم . فلا يردك وزراؤك عن نصرتي والأخذ بحقي ثم بكت . فلما رأى الملك بكاءها وهي عنده أعزّ جواريه ، أمر بقتل ولده . فدخل عليه الوزير السادس وقبّل الأرض بين يديه وقال له : أعزّ الله تعالى الملك ، إني

ناصرحك ومشير عليك بالتمهل في أمر ولدك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير السادس قال له : أيها الملك تمهل في أمر ولدك فإن الباطل كالدخان والحق مشيد الأركان ونور الحق يذهب ظلام الباطل . واعلم أن مكر النساء عظيم . وقد قال الله في كتابه العزيز : إن كيدهن عظيم . وقد بلغني حديث امرأة فعلت مع أرباب الدولة مكيدة ما سبقها بمثلا أحد قط . فقال الملك : وكيف كان ذلك ؟

فلما كانت الليلة
593
الحكاية
الليلة

حكاية امرأة والمعجين الخمس

قال الوزير : بلغني أيها الملك أن امرأة من بنات التجار كان لها زوج كثير الأسفار . فسافر زوجها إلى بلاد بعيدة وأطال الغيبة، فزاد عليها الحال فعشقت غلاماً ظريفاً من أولاد التجار وكانت تحبه ويحبها محبة عظيمة . ففي بعض الأيام تنازع الغلام مع رجل فشكاه الرجل إلى والي تلك البلد فسجنه، فبلغ خبره زوجة التاجر معشوقته فطار عقلها عليه . فقامت ولبست أفخر ملبوسها ومضت إلى منزل الوالي فسلمت عليه ودفعت له ورقة تذكر فيها أن الذي سجنه وحبسته هو أخي فلان الذي تنازع مع فلان، والجماعة الذين شهدوا عليه قد شهدوا باطلاً، وقد سجن في سجنك وهو مظلوم، وليس عندي من يدخل علي ويقوم بحالي غيره، وأسأل من فضل مولانا إطلاقه من السجن . فلما قرأ الوالي الورقة نظر إليها فعشقها وقال لها : ادخلي المنزل حتى أحضره بين يدي ثم أرسل إليك فتأخذينه . فقالت له : يا مولانا، ليس لي أحد إلا الله تعالى وأنا امرأة غريبة لا أقدر على دخول منزل أحد . فقال لها الوالي : لا أطلقه لك حتى تدخلني المنزل وأقضي حاجتي منك . فقالت له : إن أردت ذلك فلا بد أن تحضر عندي في منزلي وتقعده وتنام وتستريح نهارك كله . فقال لها : وأين منزلك ؟ فقالت له : في الموضع الفلاني . ثم خرجت من عنده وقد اشتغل قلب الوالي . فلما خرجت دخلت على قاضي البلد وقالت له : يا سيدنا القاضي . قال لها : نعم . قالت له : أنظر في أمري وأجرك على الله . فقال لها : من ظلمك ؟ قالت له : يا سيدي، لي أخ وليس لي أحد غيره، وهو الذي كلّفني الخروج إليك لأن الوالي قد سجنه وشهدوا عليه بالباطل إنه ظالم، وإنما أطلب منك أن تشفع لي فيه عند الوالي . فلما نظرها القاضي عشقها فقال : لها ادخلي المنزل عند الجوّاري واستريحيني معنا ساعة ونحن نرسل إلى الوالي أن يطلق أخاك، ولو كنا نعرف الدراهم التي عليه كنا دفعناها من عندنا لأجل قضاء حاجتنا لأنك أعجبتينا من حسن كلامك . فقالت له : إذا كنت أنت يا مولانا تفعل ذلك فما نلوم الغير . فقال لها القاضي : إن لم تدخلني منزلنا فاخرجني إلى حال سبيلك . فقالت له : إن أردت ذلك يا مولانا فيكون عندي في منزلي أستر وأحسن من منزلك، فإن فيه الجوّاري والخدم والداخل والخارج وأنا امرأة ما أعرف شيئاً من هذا الأمر لكن الضرورة تحوج . فقال لها القاضي : وأين منزلك ؟ فقالت له : في الموضع الفلاني . وواعدته على اليوم الذي واعدت فيه الوالي . ثم خرجت من عند القاضي إلى منزل الوزير فرفعت إليه قصتها وشكته إليه ضرورة أخيها وإنه سجنه الوالي . فراودها الوزير عن نفسها وقال لها : نقضي حاجة منك ونطلق لك أخاك . فقالت له : إن أردت ذلك فيكون عندي في منزلي فإنه أستر لي ولك لأن المنزل ليس بعيداً وأنت تعرف ما نحتاج إليه من النظافة والظرافة . فقال لها الوزير : وأين منزلك ؟ فقالت له : في

الموضع الفلاني . وواعده على ذلك اليوم . ثم خرجت من عنده إلى ملك تلك المدينة ورفعت إليه قصتها وسألته إطلاق أخيها . فقال لها : مَنْ حبسه ؟ قالت له : حبسه الوالي . فلما سمع الملك كلامها رشقته بسهام العشق في قلبه فأمرها أن تدخل معه القصر حتى يرسل إلى الوالي ويخلص أخاها . فقالت له : أيها الملك ، هذا أمر يسهل عليك إما باختياري وإما قهراً عني . فإن كان الملك أراد ذلك مني فإنه من سعد حظي ولكن إذا جاء إلى منزلي يشرفني بنقل خطواته الكرام كما قال الشاعر : [من الطويل]

خَلِيلِيَّ هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا زِيَارَةَ مَنْ جَلَّتْ مَكَارِمُهُ عِنْدِي

فقال لها الملك : لا نخالف لك أمراً . فواعده باليوم الذي واعدت فيه غيره وعرفته منزلها . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 594

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المرأة لما أجابت الملك عرفته منزلها وواعده على ذلك اليوم الذي واعدت فيه الوالي والقاضي والوزير . ثم خرجت من عنده فجاءت إلى رجل نجار وقالت له : أريد منك أن تصنع لي خزانة بأربع طبقات بعضها فوق بعض ، كل طبقة بباب يقفل عليها ، واخبرني بقدر أجرتك فأعطيكه . فقال لها : أربعة دنانير وإن أنعمت عليّ أيها السيدة المصونة بالوصال فهو الذي أريد ولا آخذ منك شيئاً . فقالت له : إن كان لا بد من ذلك فاعمل لي خمس طبقات بأقفالها . فقال لها : حباً وكرامةً . وواعده أن يحضر لها بالخزانة في ذلك اليوم بعينه . فقال لها النجار : يا سيدتي ، أقعدي حتى تأخذي حاجتك في هذه الساعة وأنا بعد ذلك أجيء على مهلي . فقعدت عنده حتى عمل لها الخزانة بخمس طبقات وانصرفت إلى منزلها فوضعتها في المحل الذي فيه الجلوس . ثم إنها أخذت أربعة ثياب وحملتها إلى الصباغ فصبغ كل ثوب لوناً ، وكل لون خلاف الآخر . وأقبلت على تجهيز الماكول والمشروب والمشموم والفواكه والطيب . فلما جاء يوم الميعاد لبست أفخر ملبوسها وتزينت وتطيبت . ثم فرشت المجلس بأنواع البسط الفاخرة وقعدت تنتظر من يأتي وإذا بالقاضي قد دخل عليها قبل الجماعة . فلما رآته قامت واقفة على قدميها وقبّلت الأرض بين يديه وأخذته وأجلسته على ذلك الفرش ونامت معه ولاعبته ، فأراد منها قضاء الحاجة . فقالت له : يا سيدي إخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى نحضر بالماكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك . فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع ، وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها القاضي : من هذا الذي يطرق الباب ؟ فقالت له : هذا زوجي . فقال لها : وكيف العمل ؟ وأين أروح ؟ فقالت له : لا تخف فإنني أدخلك هذه الخزانة . فقال لها : إفعلي ما بدا لك . فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة السفلى وقفلت عليه . ثم إنها خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوالي . فلما رآته قبّلت الأرض بين يديه وأخذته بيدها وأجلسته على ذلك الفراش وقالت له : يا سيدي ، إن الموضع موضعك والمحل محلّك وأنا جاريتك ومن بعض خدامك وانت تقيم هذا النهار كله عندي ، فأخلع ما عليك من الملبوس والبس هذا الثوب

الأحمر فإنه ثوب النوم ، وقد جعلت على رأسه خلفاً من خرقة كانت عندها . فلما أخذت ثيابه أتت إليه في الفراش ولاعبته ولاعبها ، فلما مديده إليها . قالت له : يا مولانا هذا النهار نهارك وما أحد يشاركك فيه ، لكن من فضلك وإحسانك تكتب لي ورقة بإطلاق أخي من السجن حتى يطمن خاطري . فقال لها : السمع والطاعة على الرأس والعين . وكتب كتاباً إلى خازن داره يقول له فيه : ساعة وصول هذه المكاتب إليك تطلق فلاناً من غير إهمال ولا إهمال ولا تراجع حاملها بكلمة . ثم ختمها وأخذتها منه . ثم أقبلت تلاعبه على الفراش وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها : من هذا ؟ قالت : زوجي . قال : كيف أعمل ؟ فقالت له : أدخل هذه الخزانة حتى أصرفه وأعود إليك . فأخذته وأدخلته في الطبقة الثانية وقفلت عليه . كل هذا والقاضي يسمع كلامهما . ثم خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوزير قد أقبل . فلما رآته قبلت الأرض بين يديه وتلقته وخدمته وقالت له : يا سيدي ، لقد شرفتنا بقدمك في منزلنا يا مولانا فلا أعدمنا الله هذه الطلعة . ثم أجلسته على الفراش وقالت له : إخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة . فخلع ما كان عليه والبسته غلالة زرقاء وطرطوراً أحمر وقالت له : يا مولانا ، أما هذه ثياب الوزارة فخلها لوقتها ، وأما في هذه الساعة فهذه ثياب المنادمة والبسط والنوم . فلما لبسها الوزير لاعبته على الفراش ولاعبها وهو يريد قضاء الحاجة وهي تمنعه وتقول له : يا سيدي ، هذا ما يفوتنا . فبينما هم في الكلام وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها : من هذا ؟ فقالت له : زوجي . فقال لها : كيف التدبير ؟ فقالت له : قم وأدخل هذه الخزانة حتى أصرف زوجي وأعود إليك ولا تخف . ثم إنها أدخلته الطبقة الثالثة وقفلت عليه ، وخرجت ففتحت الباب وإذا هو الملك قد دخل . فلما رآته قبلت الأرض بين يديه وأخذت بيده وأدخلته في صدر المكان وأجلسته على الفراش وقالت : شرفتنا أيها الملك ، ولو قدمنا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك إلينا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما دخل دار المرأة قالت له : لو أهدينا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك إلينا . فلما جلس على الفراش قالت له : أعطني إذناً حتى أكلمك كلمة واحدة . فقال لها : تكلمي مهما شئت . فقالت له : إسترح يا سيدي واخلع ثيابك وعمامتك ، وكانت ثيابه في ذلك الوقت تساوي ألف دينار . فلما خلعهما البسته ثوباً خلقاً قيمته عشرة دراهم بلا زيادة وأقبلت تؤانسه وتلاعبه . هذا كله والجماعة التي في الخزانة يسمعون ما يحصل منهما ولا يقدر أحد أن يتكلم . فلما مديده إلى عنقها وأراد أن يقضي حاجته منها قالت له : هذا الأمر لا يفوتنا وقد كنت قبل الآن وعدت خدمتك بهذا المجلس فلك عندي ما يسرك . فبينما هما يتحدثان وإذا بطارق يطرق الباب . فقال لها : من هذا ؟ قالت له : زوجي . فقال لها : إصرفه عنا كراماً منه وإلا أطلع إليه أصرفه قهراً . فقالت له : لا يكون ذلك يا مولانا بل إصبر حتى أصرفه بحسن معرفتي . فقال لها : وكيف أفعل أنا ؟ فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة الرابعة وقفلت عليه ثم خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو النجار . فلما دخل سلم عليها . فقالت له : أي شيء هذه الخزائن التي عملتها ؟ فقال لها : ما لها يا سيدي . فقالت له : إن هذه الطبقة ضيقة . فقال لها : يا سيدي هذه واسعة . فقالت له : أدخل وانظرها فإنها لم

فلما كانت الليلة
595
الليلة

تسلك . فقال لها : هذه تسع أربعة . ثم دخل التجار . فلما دخل قفلت عليه الطيقة الخامسة ثم إنها قامت وأخذت ورقة الوالي ومضت بها إلى الخازن دار . فلما أخذها وقراها قبلها وأطلق لها الرجل عشيقها من الحبس فأخبرته بما فعلته . فقال لها : وكيف فعلت ؟ قالت له : نخرج من هذه المدينة إلى مدينة أخرى وليس لنا بعد هذا الفعل إقامة هنا . ثم جهزا ما كان عندهما وحملاه على الجمال وسافرا من ساعتها إلى مدينة أخرى . وأما القوم فإنهم أقاموا في طبقات الخزانة ثلاثة أيام بلا أكل ، فانحصروا لأن لهم ثلاثة أيام لم يبولوا . فبال التجار على رأس السلطان ، وبال السلطان على رأس الوزير ، وبال الوزير على رأس الوالي ، وبال الوالي على رأس القاضي . فصاح القاضي وقال : أي شيء هذه النجاسة ؟ أما يكفيننا ما نحن فيه حتى تبولوا علينا ؟ فرفع الوالي صوته وقال : عظم الله أجرك أيها القاضي . فلما سمعه عرفه أنه الوالي . ثم إن الوالي رفع صوته وقال : ما بال هذه النجاسة ؟ فرفع الوزير صوته وقال : عظم الله أجرك أيها القاضي . فلما سمعه الوالي عرفه أنه الوزير . ثم إن الوزير رفع صوته وقال : ما بال هذه النجاسة ؟ فرفع الملك صوته وقال : عظم الله أجرك أيها الوزير . ثم إن الملك لما سمع كلام الوزير عرفه ثم سكت وكنم أمره . ثم إن الوزير قال : لعن الله هذه المرأة بما فعلت معنا ، أحضرت جميع أرباب الدولة عندها ما عدا الملك . فلما سمعهم الملك قال لهم : اسكتوا فانا أول من وقع في شبكة هذه العاهرة الفاجرة . فلما سمع التجار قولهم قال لهم : وأنا أي شيء ذنبي ؟ قد عملت لها خزانة بأربعة دنانير ذهباً وجئت أطلب الأجرة فاحتالت عليّ وأدخلتني هذه الطيقة وقفلتها عليّ . ثم إنهم صاروا يتحدثون مع بعضهم وسلّوا الملك بالحديث وأزالوا ما عنده من الانقباض . فجاء جيران ذلك المنزل فراوه خالياً فقال بعضهم لبعض : بالأمس كانت جارتنا زوجة فلان فيه والآن لم نسمع في هذا الموضع صوت أحد ولا نرى فيه أنيساً ، فاكسروا هذه الأبواب وانظروا حقيقة الأمر لثلا يسمع الوالي أو الملك فيسجننا فنكون نادمين على أمر لم نفعله قبل ذلك . ثم إن الجيران كسروا الأبواب ودخلوا فراوا خزانة من خشب ووجدوا فيها رجالاً تثن من الجوع والعطش . فقالوا لبعضهم : هل جنني في هذه الخزانة ؟ فقال واحد منهم : نجتمع لها حطباً ونحرقها بالنار . فصاح عليهم القاضي وقال : لا تفعلوا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
596
فلما كانت الليلة
فقال القاضي
فقال الجيران
فلما سمعهم
ادنوا من الخزانة
فلان وفلان
فأعلمهم بالخبر
والوزير
كل منهم
جميع ما كان

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجيران لما أرادوا أن يحملوا الحطب ويحرقوا الخزانة صاح عليهم القاضي وقال : لا تفعلوا ذلك . فقال الجيران لبعضهم إن الجن يتصورون ويتكلمون بكلام الإنس . فلما سمعهم القاضي قرأ شيئاً من القرآن العظيم . ثم قال للجيران : ادنوا من الخزانة التي نحن فيها . فلما دنوا منها قال لهم : أنا فلان وأنتم فلان وفلان ونحن هنا جماعة . فقال الجيران للقاضي : ومن جاء بك هنا فاعلمنا بالخبر ؟ فأعلمهم بالخبر من أوله إلى آخره . فأحضروا لهم تجاراً ففتح للقاضي خزانته وكذلك الوالي والوزير والملك والتجار وكل منهم باللبوس الذي عليه . فلما طلعوا نظر بعضهم لبعض وصار كل منهم يضحك على الآخر . ثم إنهم خرجوا وطلبوا المرأة فلم يقفوا لها على خبر وقد أخذت جميع ما كان عليهم . فأرسل كل منهم إلى جماعته يطلب ثياباً ، فأحضروا لهم ملبوساً ثم

خرجوا مستورين به عند الناس . فانظر يا مولانا الملك هذه المكيدة التي فعلتها هذه المرأة مع هؤلاء القوم .

حكاية الدعوات الثلاث

وقد بلغني أيضاً أنه كان رجل يتمنى في عمره أن يرى ليلة القدر . فنظر ليلة من الليالي إلى السماء فرأى الملائكة وأبواب السماء قد فتحت ورأى كل شيء ساجداً في محله . فلما رأى ذلك قال لزوجته : يا فلانة ، إن الله قد أراني ليلة القدر ، ونذرت إن رأيتها أن أدعو ثلاث دعوات مستجابات . فانا اشاورك فماذا أقول ؟ فقالت المرأة : قل اللهم كبر لي أيري . فقال ذلك فصار ذكره مثل صرف القرع حتى صار ذلك الرجل لم يستطع القيام به ، وكانت زوجته إذا أراد أن يجامعها تهرب منه من موضع إلى موضع فقال لها الرجل : كيف العمل ؟ فهذه أمينتك لأجل شهوتك . فقالت له : أنا ما أشتهي أن يبقى بهذا الطول . فرفع الرجل رأسه إلى السماء وقال : اللهم أنقذني من هذا الأمر وخلصني منه . فصار الرجل ممسوحاً ليس له ذكر . فلما رآته زوجته قالت له : ليس لي بك حاجة حيث صرت بلا ذكر . فقال لها : هذا كله من شؤم رأيك وسوء تدبيرك . كان لي عند الله ثلاث دعوات أنال بها خيري الدنيا والآخرة ، فذهبت دعوتان وبقيت دعوة واحدة . فقالت له : ادعوا لله تعالى أن يرذك على ما كنت عليه أولاً . فدعا ربه فعاد كما كان . فهذا أيها الملك بسبب سوء تدبير المرأة وإنما ذكرت لك ذلك لتتحقق غفلة النساء وسخافة عقولهن وسوء تدبيرهن فلا تسمع قولها وتقتل ولدك مهجة قلبك وتمحو ذكرك من بعدك . فانتهى الملك عن قتل ولده . فلما كان في اليوم السابع حضرت الجارية صارخة بين يدي الملك واضرمت ناراً عظيمة ، فأتوا بها قدام الملك ماسكين بأطرافها . فقال لها الملك : لماذا فعلت ذلك ؟ قالت له : إن لم تصفني من ولدك أقيت نفسي في هذه النار فقد كرهت الحياة ، وقبل حضوري كتبت وصيتي وتصدقت بمالي وعزمت على الموت فنتدم كل الندم كما ندم الملك على عذاب حارسة الحمام . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية العقد المسروق

فقالت له الجارية : بلغني أيها الملك أن امرأة كانت عابدة زاهدة ناسكة ، وكانت تدخل قصر ملك من الملوك يتبركون بها ، وكان لها عندهم حظ عظيم . فدخلت يوماً من الأيام ذلك القصر على جري عاداتها وجلست بجانب زوجة الملك فناولتها عقداً قيمته ألف دينار وقالت لها : يا جارية خذي هذا العقد عندك واحرسيه حتى أخرج من الحمام فأخذه منك . وكان الحمام في القصر . فاخذته الجارية وجلست في موضع في منزل الملكة حتى تدخل الحمام الذي عندها في المنزل وتخرج . ثم وضعت ذلك العقد تحت السجادة وقامت تصلي ، فجاء طير وأخذ ذلك العقد وجعله في شق من زوايا القصر . وقد خرجت الحارسة لحاجة تقضيها وترجع ولم تعلم بذلك . فلما خرجت زوجة الملك من الحمام طلبت العقد من تلك الحارسة فلم تجده ، وجعلت تفتش عليه فلم تجده له خبراً ولم تقع له على أثر . فصارت الحارسة تقول : والله يا بنتي ما جاءني أحد وحين أخذته وضعت تحت السجادة ولم أعلم هل أحد من الخدم عاينه واستغفطني وأنا في الصلاة وأخذه؟ والعلم في ذلك لله تعالى . فلما سمع الملك بذلك أمر زوجته أن تعذب الحارسة بالنار والضرب الشديد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك أمر زوجته أن تعذب الحارسة بالنار والضرب الشديد . عذبتها بأنواع العذاب فلم تقر بشيء ولم تتهم أحداً . فبعد ذلك أمر بسجنها وأن يجعلوها في القيود فحبست . ثم إن الملك جلس يوماً من الأيام في وسط القصر والماء محلق به وزوجته بجانبه فوقعت عينه على طير وهو يسحب ذلك العقد

من شق من زوايا القصر ، فصاح على جارية عنده فأدرت ذلك الطير وأخذت العقد منه . فعلم الملك أن الحارسة مظلومة فندم على ما فعل معها وأمر بإحضارها . فلما حضرت أخذ يقبل رأسها ثم صار يبكي ويستغفر ويتندم على ما فعل معها ثم أمر لها بمال جزيل . فأبت أن تأخذه ثم سامحته وانصرفت من عنده وأقسمت على نفسها أنها لن تدخل منزل أحد . وساحت في الجبال والأودية وصارت تعبد الله تعالى إلى أن ماتت .

حكاية الحمامتين

ويلغني أيضاً أيها الملك من كيد الرجال أن حمامتين ذكراً وأنثى جمعا قمحاً وشعيراً في عشهما أيام الشتاء . فلما كان في زمن الصيف ضم الحَب ونقص فقال الذكر للأنثى : أنت أكلت ذلك الحَب . فصارت تقول : لا والله ما أكلت منه شيئاً . فلم يصدقها على ذلك وضربها بأجنحته ونقرها بمنقاره إلى أن قتلها . فلما كان زمن البرد عاد الحَب كما كان على حاله فعلم الذكر أنه قتل زوجته ظلماً وعدواناً وندم حيث لا ينفعه الندم ، فنام في جانبها ينوح عليها ويبكي تأسفاً وامتنع من الأكل والشرب وضعف ولم يزل ضعيفاً إلى أن مات .

حكاية الأمير بهرام وجارية الملك الدتما

ويلغني أيضاً من كيد الرجال للنساء حكاية أعجب من هؤلاء كلهم . فقال لها الملك : هات ما معك ! فقالت : أعلم أيها الملك أن جارية من جوار الملك ليس لها نظير في زمانها في الحسن والجمال والقد والاعتدال والبهاء والدلال والأخذ بعقول الرجال . وكانت تقول : ليس لي نظير في زمانني . وكان جميع أولاد الملوك يخطبونها فلم ترض أن تأخذ واحداً منهم وكان اسمها الدتما . وكانت تقول : لا يتزوجني إلا من يقهرني في حومة الميدان والضرب والطعان ، فإن غلبني أحد تزوجته بطيب قلبي ، وإن غلبته أخذت فرسه وسلاحه وثيابه وكتبت على جبهته : هذا عتيق فلانة . وكان أبناء الملوك يأتون إليها من كل مكان بعيد وقريب وهي تغلبهم وتعيبهم وتأخذ أسلحتهم وتسمهم بالنار . فسمع بها ابن ملك من ملوك العجم يقال له بهرام ، فقصدتها من مسافة بعيدة واستصحب معه مالا وخيلاً ورجالاً وذخائر من ذخائر الملوك حتى وصل إليها . فلما حضر عندها أرسل إلى والدها هدية سنية ، فأقبل عليه الملك وأكرمه غاية الإكرام . ثم إنه أرسل إليه مع وزرائه أنه يريد أن يخطب بنته فأرسل إليه والدها وقال له : يا ولدي أما ابنتي الدتما فليس لي عليها حكم لأنها أقسمت على نفسها أنها لا تتزوج إلا من يقهرها في حومة الميدان . فقال له ابن الملك : وأنا ما سافرت من مدينتي إلا على هذا الشرط . فقال له الملك : في غد تلتقي معها . فلما جاء الغد أرسل والدها إليها واستأذنها . فلما سمعت تأهب للحرب وليست آلة حربها وخرجت إلى الميدان فخرج ابن الملك إلى لقائها وعزم على حربها . فتسامعت الناس بذلك فأتت من كل مكان فحضروا في ذلك اليوم وخرجت الدتما وقد لبست وتمنطقت وتنقبت ، فبرز لها ابن

الملك وهو في أحسن حالة وأتقن آلة من آلات الحرب وأكمل عدة . فحمل كل واحد منهما على الآخر ثم تجاولا طويلاً واعتركا ملياً ، فنظرت منه من الشجاعة والفروسية ما لم تنظره من غيره فخافت على نفسها أن يخجلها بين الحاضرين وعلمت أنه لا محالة غالبها . فأرادت مكيدته وعملت له الحيلة فكشفت عن وجهها وإذا هو ضوء من البدر . فلما نظر إليها ابن الملك اندهش فيه وضعفت قوته وبطلت عزيمته . فلما نظرت ذلك منه حملت عليه واقتلعت من سرجه وصار في يدها مثل العصفور في مخلب العقاب وهو ذاهل في صورتها لا يدري ما يفعل به . فأخذت جواده وسلاحه وثيابه ووسمته بالنار وأطلقت سبيله . فلما أفاق من غشيته مكث أياماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من القهر وتمكن حب الجارية في قلبه . فصرف عبيده إلى والده وكتب له كتاباً أنه لا يقدر أن يرجع إلى بلده حتى يظفر بحاجته أو يموت دونها . فلما وصلت المكاتبه إلى والده حزن عليه وأراد أن يبعث إليه الجيوش والعساكر فمنعه الوزراء من ذلك وصبروه . ثم إن ابن الملك استعمل في حصول غرضه الحيلة ، فجعل نفسه شيخاً هرمياً وقصد بستان بنت الملك لأنها كانت أكثر أيامها تدخل فيه . فاجتمع ابن الملك بالخطولي وقال له : إنني رجل غريب من بلاد بعيدة وكنت مدة شبابي وإلى الآن أحسن الفلاحة وحفظ النبات والمشموم ولا يحسنه أحد غيري . فلما سمعه الخطولي فرح به غاية الفرح فادخله البستان ووصى عليه جماعة ، فأخذ في الخدمة وتربية الأشجار والنظر في مصالح أثمارها . فبينما هو كذلك يوماً من الأيام وإذا بالعبيد قد دخلوا إلى البستان ومعهم البغال عليها الفرش والأواني . فسأل عن ذلك فقالوا له : إن بنت الملك تريد أن تتفرج على ذلك البستان . فمضى وأخذ الحلبي والحلل التي كانت معه من بلاده وجاء بها إلى البستان وقعد فيه ووضع قدامه شيئاً من تلك الذخائر وصار يرتعش ويظهر أن ذلك من الهرم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن ملك العجم لما جعل نفسه شيخاً كبيراً وقعد في البستان ، حط بين يديه الحلبي والحلل وأظهر أنه يرتعش من الكبر والهرم والضعف . فلما كان بعد ساعة حضر الجوارى والخدم ومعهن ابنة الملك في وسطهن كأنها القمر بين النجوم . فأقبلن وجعلن يدرن في البستان ويقطفن الأثمار ويتفرجن ، فرأين رجلاً قاعداً تحت شجرة من الأشجار فقصدنه وهو ابن الملك ، ونظرنه وإذا به شيخ كبير يرتعش بيديه ورجليه ، وبين يديه حلبي وذخائر من ذخائر الملوك . فلما نظرنه تعجبين من أمره فسألنه عن هذا الحلبي ما يصنع به . فقال لهن : هذا الحلبي أريد أن أتزوج به واحدة منكن . فتضاحكن عليه وقلن له : إذا تزوجت ما تصنع بها ؟ فقال : كنت أقبلها قبلة واحدة وأطلقها . فقالت له ابنة الملك : قد زوجتك بهذه الجارية . فقام إليها وهو يتوكأ على عصي ويرتعش ويتعثر فقبلها ودفع لها ذلك الحلبي والحلل . ففرحت الجارية وتضاحكن عليه ثم ذهبن إلى منازلهن . فلما كان في اليوم الثاني دخلنا البستان وجئنا نحوه فوجدناه جالساً في موضعه وبين يديه حلبي وحلل أكثر من الأول . فقعدن عنده وقلن له : أيها الشيخ ما تصنع بهذا الحلبي ؟ فقال : أتزوج به واحدة منكن مثل البارحة . فقالت له ابنة الملك : قد زوجتك هذه الجارية . فقام إليها وقبلها وأعطاها ذلك الحلبي

فلما كانت الليلة
598
كانت الليلة

والحلل وذهبين إلى منزلهنّ. فلما رأت ابنة الملك الذي أعطاه للجواري من الحلبي والحللي قالت في نفسها: أنا كنت أحقّ بذلك وما علي في ذلك من بأس. فلما أصبح الصباح خرجت من منزلها وحدها وهي في صورة جارية من الجواري وأخفت نفسها إلى أن أتت عند الشيخ. فلما حضرت بين يديه قالت له: يا شيخ أنا ابنة الملك هل تريد أن تتزوج بي؟ فقال لها: حباً وكرامةً. وأخرج لها من الحلبي والحللي ما هو أعلى قدرأً وأغلى ثمناً ثم دفعه إليها وقام ليقبلها وهي آمنة مطمئنة. فلما وصل إليها قبض عليها بشدة وضرب بها الأرض وأزال بكارتها وقال لها: أما تعرفيني؟ فقالت له: من أنت؟ فقال لها: أنا بهرام ابن الملك العجم، قد غيرت صورتني وتغيرت عن أهلي ومملكتي من أجلك. فقامت من تحته وهي ساكتة لا ترد عليه جواباً ولا تبدي له خطاباً مما أصابها وقالت في نفسها: إن قتلتها فما يفيد قتله. ثم تفكرت في نفسها وقالت: ما يسعني في ذلك إلا أن أهرب معه إلى بلاده. فجمعت مالها وذخائرها وأرسلت إليه وأعلمته بذلك لأجل أن يتجهز أيضاً ويجمع ماله وتعاهدا على ليلة يسافران فيها ثم ركبا الخيل الجياد وسارا تحت الليل. فما أصبح الصباح حتى قطعاً بلاداً بعيدة. ولم يزا الا سائرين حتى وصلا إلى بلاد العجم، قرب من مدينة أبيه. فلما سمع والده تلقاه بالعساكر والجنود وفرح غاية الفرح. ثم بعد أيام قلائل أرسل إلى والد الدتما هدية سنوية وكتب له كتاباً يخبره فيه أن بنته عنده ويطلب جهازها. فلما وصلت الهدايا إليه تلقاها وأكرم من حضر بها غاية الإكرام وفرح بذلك فرحاً شديداً. ثم أولم الولاثم وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابها على ابن الملك وخلع على الرسل الذين حضروا بالكتاب من عند ابن ملك العجم، وأرسل إلى ابنته جهازها. ثم أقام معها ابن ملك العجم حتى فرّق الموت بينهما. فانظر أيها الملك كيد الرجال للنساء، وأنا لم أرجع عن حقي إلى أن أموت. فامر الملك بقتل ولده. فدخل عليه الوزير السابع. فلما حضر بين يديه قبل الأرض وقال: أيها الملك إمهلني حتى أقول لك هذه النصيحة فإن من صبر وتأتى أدرك الأمل ونال ما تمنى ومن استعجل يحصل له الندم. وقد رأيت ما تعهرته هذه الجارية من تحمل الملك على ركوب الأهوال والمملوك المغمور من فضلك وأنعامك ناصح لك. وأنا أيها الملك أعرف من كيد النساء ما لا يعرفه أحد غيري. وقد بلغني من ذلك حديث العجوز وولد التاجر. فقال له الملك: وكيف كان ذلك يا وزير؟

حكاية ابن التاجر والدار الحسن المليح

فقال له الوزير: بلغني أيها الملك أن تاجراً كان كثير المال وكان له ولد يعزّ عليه. فقال الولد لوالده يوماً من الأيام: يا والدي، أتمنى عليك أمنية تفرج عني بها. فقال له أبوه: وما هي يا ولدي حتى أعطيكمها ولو كانت نور عيني لأبلغك به مقصودك. فقال له الولد: أتمنى عليك أن تعطيني شيئاً من المال أسافر به مع التجار إلى بلاد بغداد لأتفرّج عليها وأنظر قصور الخلفاء، لأن أولاد التجار وصفوا لي ذلك وقد اشتقت أن أنظر إليها. فقال له والده: يا بني، من له صبر على غيبتك؟ فقال له الولد: أنا قلت لك هذه الكلمة ولا بد من السير إليها برضاء أو بغير رضاء. فقد وقع في نفسي وجد لا يزول إلا بالوصول إليها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ابن الملك قال لايه: لا بد من السفر والوصول إلى بغداد. فلما تحقق منه ذلك جهّز له متجراً بثلاثين ألف دينار وسفّره مع التجار الذين يثق بهم ووصى عليه التجار. ثم إن والده ودّعه ورجع إلى منزله، وما زال الولد مسافراً مع رفقاته التجار إلى أن وصلوا إلى مدينة بغداد دار السلام. فلما بلغوها دخل الولد

سوقها واكترى له داراً حسنة مليحة أذهلت عقله وأدهشت ناظره، فيها الطيور تغرد والمجالس يقابل بعضها بعضاً وأرضها مرخمة بالرخام الملون وسقوفها مذهبة باللازورد المعدني. فسأل البواب عن مقدار أجرتها كم في الشهر فقال له: عشرة دنائير. فقال له الولد: هل أنت تقول حقاً أو تهزأ بي؟ فقال له البواب: والله ما أقول إلا حقاً، فإن كل من سكن هذه الدار لا يسكنها إلا جمعة أو جمعتين. فقال له الولد: وما السبب في ذلك؟ فقال له: يا ولدي كل من سكنها لا يخرج منها إلا مريضاً أو ميتاً. وقد اشتهرت هذه الدار بهذه الأشياء عند جميع الناس فلم يقدم أحد على سكنها وقد قلت أجرتها لهذا القدر. فلما سمع الولد ذلك تعجب منه غاية العجب وقال: لا بد أن يكون لهذه الدار سبب من الأسباب حتى يحصل فيها ذلك المرض أو الموت. ثم تفكر الولد في نفسه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وأزال ذلك الوهم من خاطره وسكنها وباع واشترى، ومضى عليه مدة أيام وهو مقيم في الدار ولم يصبه شيء مما قاله ذلك البواب. فبينما هو جالس يوماً من الأيام على باب الدار إذ مرّت عليه عجوز شمطاء كأنها الحية الرقطاء وهي تكثر من التسييح والتقدّيس وتزِيل الحجارة والأذى من الطريق، فرأت الولد جالساً على الباب فنظرت إليه وتعجبت من أمره. فقال لها الولد: يا امرأة، هل تعرفيني أو تشبهين علي؟ فلما سمعت كلامه هرولت إليه وسلّمت عليه وقالت له: كم لك ساكناً في هذه الدار؟ فقال لها: يا أمي مدة شهرين. فقالت: من هذا تعجبت، وأنا يا ولدي لا أعرفك ولا تعرفني ولا شبّهت عليك بل إنني تعجبت من أنه لا أحد غيرك يسكنها إلا ويخرج منها ميتاً أو مريضاً، وما أشك في أنك يا ولدي مخاطر بشبابك. هل لا طلعت القصر ولا نظرت من المنظرة التي فيه؟ ثم إن العجوز مضت إلى حال سبيلها. فلما فارقت العجوز صار الولد متفكراً في كلامها وقال في نفسه: أنا ما طلعت أعلى القصر ولا أعلم أن به منظرة. ثم دخل من وقته وساعته وجعل يطوف في أركان البيت حتى رأى في ركن منها باباً لطيفاً معششاً عليه العنكبوت بين الأشجار. فلما رآه الولد قال في نفسه: لعل العنكبوت ما عشش على هذا الباب إلا لأن المتية داخله. فتمسك بقول الله تعالى: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. ثم فتح ذلك الباب وطلع في سلم لطيف حتى وصل إلى أعلاه فرأى منظرة فجلس فيها يستريح ويتفرج. فنظر إلى موضع لطيف نظيف بأعلاه مقعد منيف يشرف على جميع بغداد، وفي ذلك المقعد جارية كأنها حورية، فأخذت بمجامع قلبه وذهبت بعقله ولبّه وأورثته صبر أيوب وحزن يعقوب. فلما نظرها الولد وتأملها بالتحقيق قال في نفسه: لعل الناس يذكرون أنه لا يسكن هذه الدار واحد إلا مات أو مرض بسبب هذه الجارية، فيا ليت شعري كيف يكون خلاصي؟ فقد ذهب عقلي. ثم نزل من أعلى القصر متفكراً في أمره فجلس في الدار فلم يستقر له قرار حتى خرج وجلس على الباب متحيراً في أمره، وإذا بالعجوز ماشية وهي تذكر وتسبح في الطريق. فلما رآها الولد قام واقفاً على قدميه وبدأها بالسلام والتحية

وقال لها: يا أمي كنت بخير وعافية حتى أشرت عليّ بفتح الباب، فرأيت المنظرة وفتحتها ونظرت من أعلاها فرأيت ما أدهشني والآن أظن أنني هالك، وأنا أعلم أنه ليس لي طبيب غيرك. فلما سمعته ضحكت وقالت له: لا بأس عليك إن شاء الله تعالى. فلما كلمته بذلك الكلام قام الولد ودخل الدار وخرج لها وفي كفه مائة دينار وقال لها: خذيها يا أمي وعامليني معاملة السادات للعبيد وبالعجل أدر كيني وإذا مت فأنت المطالبة بدمي يوم القيامة. فقالت له العجوز: حباً وكرامةً. وإنما أريد منك يا ولدي أن تساعدني بمعونة لطيفة فيها تبلغ مرادك. فقال لها: وما تريد يا أمي؟ فقالت له: أريد منك أن تعينني وتروح إلى سوق الحرير وتسال عن دكان أبي الفتح بن قيدام، فإذا دلوك عليه فاقعد على دكانه وسلم عليه وقل له: اعطني القناع الذي عندك مرسوماً بالذهب، فإن ما عنده في دكانه أحسن منه، فاشتره منه يا ولدي بأعلى ثمن واجعله عندك حتى أحضر إليك في غد إن شاء الله تعالى. ثم إن العجوز انصرفت وبات الولد تلك الليلة يتقلب على جمر الغضا. فلما أصبح الصباح أخذ الولد في جيبه ألف دينار وذهب بها إلى سوق الحرير وسأل عن دكان أبي الفتح. فأخبره به رجل من التجار. فلما وصل إليه رأى بين يديه غلماناً وخداماً وحشماً، ورأى عليه وقاراً وهو في سعة مال، ومن تمام نعمته تلك الجارية التي ما مثلها عند أبناء الملوك. ثم إن الولد لما نظره سلم عليه فردّ عليه السلام ثم أمره بالجلوس فجلس عنده. فقال له الولد: يا أيها التاجر أريد منك القناع الفلاني لأنظره. فأمر التاجر العبد أن يأتيه بربطة الحرير من صدر الدكان. فأتاه بها ففتحتها وأخرج منها عدة قناعات، فتحير الولد من حسننها ورأى ذلك القناع بعينه فاشتراه من التاجر بخمسين ديناراً وانصرف به مسروراً إلى داره. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة قال
600
كانت الليلة
طارت الباب. فلما سمعت الجارية صوتها قامت وفتحت لها الباب. وكان للعجوز صحبة بأم الجارية وهي تعرفها، وذلك بسبب أنها رفيقة أمها. فقالت لها الجارية: وما حاجتك يا أمي وإن والدتي خرجت من عندي إلى منزلها. فقالت لها العجوز: يا بنتي أنا عارفة أن أمك ليست عندك وأنا كنت عندها في الدار، وما جئت إليك إلا خوف فوات وقت الصلاة فأريد الوضوء عندك، فإني أعلم منك أنك نظيفة ومنزلك طاهر. فأذنت لها الجارية بالدخول عندها. فلما دخلت سلمت عليها ودعت لها ثم أخذت الإبريق ودخلت بيت الخلاء ثم توضأت وصلّت في موضع وقامت بعد ذلك للجارية وقالت لها: يا بنتي، أظن أن هذا الموضع الذي صليت فيه مشى فيه الخدم وإنه نجس، فانظري لي موضعاً آخر لأصلي فيه فإني أبطلت الصلاة التي صليت بها. فأخذتها الجارية من يدها وقالت لها: يا أمي تعالي صلي على فرشي الذي يجلس عليه زوجي. فلما أوقفتها على الفرش قامت تصلي وتدعو وتركع، ثم غافلت الجارية وجعلت ذلك القناع تحت الحدة من غير أن تنظرها. ولما فرغت من الصلاة دعت لها وقامت فخرجت من عندها. فلما كان

آخر النهار دخل التاجر زوجها فجلس على الفرش فأتته بطعام فاكل منه كفايته وغسل يديه ثم أتكا على الوسادة، وإذا بطرف القناع خارج من تحت الحدة فأخرجه من تحتها. فلما نظره عرفه فظن بالجارية الفحشاء فناداها وقال لها: من أين لك هذا القناع؟ فحلقت له إيماناً وقالت له: إنه لم يأتي أحد غيرك. فسكت التاجر خوفاً من الفضيحة وقال في نفسه: متى فتحت هذا الباب افتضحت في بغداد. لأن ذلك التاجر كان جليس الخليفة فلم يسعه إلا السكوت ولم يخاطب زوجته بكلمة واحدة. وكان اسم الجارية محظية فناداها وقال لها: قد بلغني أن أمك راقدة ضعيفة من وجع قلبها وجميع النساء عندها يتباكين عليها، وقد أمرت أن تخرجي إليها. فمضت الجارية إلى أمها، فلما دخلت الدار وجدت أمها طيبة فجلست ساعة وإذا بالحمالين قد أقبلوا عليها بنقل حوائجها من دار التاجر فنقلوا جميع ما في الدار من الامتعة. فلما رأت ذلك أمها قالت: يا بنتي أي شيء جرى لك؟ فأنكرت منها ذلك ثم بكى أمها وحزنت على فراق بنتها من ذلك الرجل. ثم إن العجوز بعد مدة من الأيام جاءت إلى الجارية وهي في المنزل فسلمت عليها باشتياق وقالت لها: ما لك يا بنتي يا حبيبتي قد شويش فكري؟ ودخلت على أم الجارية فقالت لها: يا اختي ما الخبر؟ وما حكاية البنت مع زوجها؟ فإنه قد بلغني أنه طلقها فأبى شيء لها من الذنب يوجب هذا كله؟ فقالت لها أم الجارية: لعل زوجها يرجع إليها بركتي. فادعي لها يا اختي فإنك صوامة قوامة طول ليلك. ثم إن البنت لما اجتمعت هي وأمها والعجوز في البيت وتحدثن مع بعضهن قالت لها العجوز: يا ابنتي لا تحملي همّاً، إن شاء الله تعالى أجمع بينك وبين زوجك في هذه الأيام. ثم خرجت إلى الولد وقالت له: هيء لنا مجلساً مليحاً فإني أتيك بها في هذه الليلة. فنهض الولد وأحضر ما يحتاجن إليه من الأكل والشرب وقعد في انتظارهما. فجاءت العجوز إلى أم الجارية وقالت لها: يا اختي، عندنا فرح فارسلي البنت معي لتتفرج ويزول ما بها من الهم والغم ثم أرجع بها إليك مثل ما أخذتها من عندك. فقامت أم الجارية والبستها أفخر ملبوسها وزينتها بأحسن الزينة من الحلبي والحلل وخرجت مع العجوز. وذهبت أمها معها إلى الباب وصارت توصي العجوز وتقول لها: إحدري أن ينظرها أحد من خلق الله تعالى فإنك تعلمين منزلة زوجها عند الخليفة، ولا تتعوقني وارجعي بها في أسرع وقت. فأخذتها العجوز إلى أن وصلت بها إلى منزل الولد والجارية تظن أنه منزل العرس. فلما دخلت الدار ووصلت إلى قاعة الجلوس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجارية لما دخلت الدار ووصلت إلى قاعة الجلوس، وثب الولد إليها وعانقها وقبل يديها ورجليها. فاندھشت الجارية من حسن الولد وتخيّلت أن ذلك المكان وجميع ما فيه من مشوم ومأكول ومشروب منام. فلما نظرت العجوز اندهاشها قالت لها: اسم الله عليك يا بنتي فلا تخافي وأنا قاعدة لا أفارقك ساعة واحدة وأنت تصلحين له ويصلح لك. فقعدت الجارية وهي في شدة الخجل. فلم يزل الولد يلاعبها ويضاحكها ويؤانسها بالأشعار والحكايات حتى انشرح صدرها وانبسطت فأكلت وشربت. ولما طاب لها الشراب أخذت العود وغنّت ولحسن الولد مالت وحنّت. فلما رأى الولد

فلما كانت الليلة
كانت الليلة
601
كانت الليلة

منها ذلك سكر من غير مدام وهانت عليه روحه . وخرجت العجوز من عندهما ثم اتتهما في الصباح وصبّحت عليهما ثم قالت للجارية : كيف كانت ليلتك يا سيديتي ؟ فقالت لها : كانت طيبة بطول أياديك وحسن تعرضك . ثم قالت لها : قومي نروح إلى أمك . فلما سمع الولد كلام العجوز أخرج لها مائة دينار وقال لها : خليها عندي هذه الليلة . فخرجت العجوز من عندهما ثم ذهبت إلى والددة الجارية وقالت لها : بنتك تسلّم عليك وأم العروسة قد حلفت عليها أنها تبيت عندها هذه الليلة . فقالت لها أمها : يا אחتي سلمي عليهما وإذا كانت الجارية منشرحة لذلك فلا بأس ببياتها حتى تنبسط وتجيء على مهلها فإني ما أخاف عليها إلا من القهر من جهة زوجها . وما زالت العجوز تعمل لأم الجارية حيلة بعد حيلة إلى أن مكثت سبعة أيام ، وكل يوم تأخذ من الولد مائة دينار . فلما مضت هذه الأيام قالت أم الجارية للعجوز : هاتي لي بنتي في هذه الساعة فإن قلبي مشغول عليها وقد طال مدة غيبتها وتوهّمت من ذلك . فخرجت العجوز من عندها غضبانة من كلامها ثم جاءت إلى الجارية ووضعت يدها في يدها ثم خرجتا من عند الولد وهو نائم على فراشه من سكر المدام إلى أن وصلت إلى أم الجارية . فالتفتت أمها إليها ببسط وانشراح وفرحت بها غاية الفرح وقالت لها : يا بنتي ، إن قلبي مشغول بك ووقعت في حق אחتي بكلام أوجعتها به . فقالت لها : قومي وقبلي يديها ورجلها فإنها كانت لي كالخادم في قضاء حاجتي ، وإن لم تفعلني ما أمرتك به فما أنا بنتك ولا أنت أمي . فقامت من وقتها وصالحتها . ثم إن الولد قام من سكره فلم يجد الجارية لكنه استبشر بما ناله لما بلغ مقصوده . ثم إن العجوز ذهبت إلى الولد وسلمت عليه وقالت له : ماذا رأيت من فعالي ؟ فقال لها : نعم ما فعلتية من الرأي والتدبير . ثم قالت له : تعال لنصلح ما أفسدناه ونردّ هذه الجارية إلى زوجها فإننا كنا سبب الفراق بينهما . فقال لها : وكيف أفعل ؟ قالت : تذهب إلى دكان التاجر وتقعده عنده وتسلّم عليه وأنا أفوت على الدكان فلما تنظرني قم إليّ من الدكان بسرعة واقبض عليّ واجذبني من ثيابي واشتمني وخوفني وطالبني بالقناع وقل للتاجر : أنت يا مولاي ما تعرف القناع الذي اشتريته منك بخمسين ديناراً ؟ فقد حصل يا سيدي أن جاريتي لبسته فاحترق منها موضع من طرفه ، فأعطته جاريتي لهذه العجوز تعطيه لأحد يرفوه لها فأخذته ومضت ولم أرها من ذلك اليوم . فقال لها الولد : حباً وكراماً . ثم إن الولد تمشّى من وقته وساعته إلى دكان التاجر وجلس عنده ساعة وإذا بالعجوز جائزة على الدكان ويدها سبحة تسبّح بها . فلما رآها قام على رجله من الدكان وجذبها من ثيابها وصار يشتمها ويسبّها وهي تكلمه بلطافة وتقول له : يا ولدي أنت معذور . فاجتمع أهل السوق عليهما وقالوا : ما الخبر ؟ فقال : يا قوم ، إنني اشتريت من هذا التاجر قناعاً بخمسين ديناراً ولبسته الجارية ساعة واحدة ، فقعدت تبخره فطارت شرارة فأحرقت طرفه ، فدفعناه إلى هذه العجوز على أنها تعطيه لمن يرفوه وتردّه لنا فمن ذلك الوقت ما رأيناها أبداً . فقالت العجوز : صدق هذا الولد ، نعم إنني أخذته ودخلت به بيتاً من البيوت التي أدخلها على عادتي فنسيته في موضع من تلك الأماكن ولم أدر في أي موضع هو ، وأنا امرأة فقيرة وخفت من صاحبه فلم أواجهه . كل هذا والتاجر زوج المرأة يسمع كلامها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الولد لما قبض على العجوز وكلمها من قبل القناع كما علمته، كان التاجر زوج المرأة يسمع الكلام من أوله إلى آخره . فلما اطلع التاجر على الخبر الذي دبرته هذه العجوز الماكرة مع الولد . قام التاجر على قدميه ثم قال : الله أكبر، إني استغفر الله العظيم من ذنوبي وما توهمه خاطري وحمد الله الذي كشف له عن

الحقيقة . ثم أقبل التاجر وقال لها : هل تدخلين عندنا؟ فقالت له : يا ولدي، أنا أدخل عندك وعند غيرك لأجل الحسنة ومن ذلك اليوم لم يعطيني أحد خبر ذلك القناع . فقال لها التاجر : هل سألت أحداً عنه في بيتنا؟ فقالت له : يا سيدي، إني رحمت البيت وسألت فقالوا لي : إن أهل البيت قد طلقها التاجر . فرجعت ولم أسأل أحداً بعد ذلك إلى هذا اليوم . فالتفت التاجر إلى الولد وقال له : أطلق سبيل هذه العجوز فإن القناع عندي . وأخرجه من الدكان وأعطاه للرفاه قدام الحاضرين . ثم بعد ذلك ذهب إلى زوجته وأعطاه شيئاً من المال وراجعها إلى نفسه بعد أن بالغ في الاعتذار إليها واستغفر الله وهو لا يدري بما فعلت العجوز . فهذا من جملة كيد النساء أيها الملك .

حكاية ابن الملك والجارية والعفريت

ثم قال الوزير : وقد بلغني أيضاً أيها الملك أن بعض أولاد الملوك خرج منفرداً بنفسه ليتفرج فمرّ بروضة خضراء ذات أشجار وأثمار وأطيّار وأنهار تجري خلال تلك الروضة . فاستحسن الولد ذلك الموضع وجلس فيه وأخرج شيئاً من النقل الذي كان معه وجعل يأكل فيه . فبينما هو كذلك إذ رأى دخاناً عظيماً طالعاً إلى السماء من ذلك المكان . فخاف ابن الملك وقام فصعد على شجرة من الأشجار واختفى فيها . فلما طلع فوقها رأى عفريتاً طلع من وسط ذلك النهر وعلى رأسه صندوق من الرخام وعليه قفل ، فوضعه في تلك الروضة وفتح ذلك الصندوق فخرجت منه جارية كأنها الشمس الضاحية في السماء الصاحية وهي من الإنس ، فأجلسها بين يديه يتفرج عليها ثم حط رأسه على حجرها فنام . فأخذت رأسه وحطتها على الصندوق وقامت تتمشى . فلاح منها نظرة إلى تلك الشجرة فرأت ابن الملك ، فأومت إليه بالنزول فامتنع من النزول . فأقسمت عليه وقالت له : إن لم تنزل وتفعل بي الذي أقوله لك نبهت العفريت من النوم وأعلمته فيهلكك من ساعتك . فخاف الولد منها فنزل . فلما نزل قبلت يديه ورجليه وراودته على قضاء حاجتها فأجابها إلى سؤالها . فلما فرغ من قضاء حاجتها قالت له : أعطني هذا الخاتم الذي بيدك . فاعطاها الخاتم فصرت في مندبل حرير كان معها وفيه عدة من الخواتم تفوق عن ثمانين ، وجعلت ذلك الخاتم من جملتها . فقال لها ابن الملك : وما تصنعين بهذه الخواتم التي معك؟ فقالت له : إن هذا العفريت اختطفني من قصر أبي وجعلني في هذا الصندوق وقفل عليّ بقفل معه ووضعني فيه على رأسه حيثما توجه، ولا يكاد يصبر عني ساعة واحدة من شدة غيرته عليّ ويعنني بما اشتهيته . فلما رأيت ذلك منه حلفت أني لا أمنع أحداً من وصالي . وهذه الخواتم التي معي على قدر عدد الرجال الذين واصلوني ، لأن كل من واصلني أخذ خاتمه فأجعله في هذا المندبل . ثم قالت له : توجه إلى حال سبيلك لأنظر أحداً غيرك فإنه لم يقم في هذه الساعة . فما صدق الولد ابن الملك بذلك وانصرف إلى حال سبيله حتى وصل إلى منزل أبيه، والمملك لم يعلم

بكيد الجارية لابنه ولم تخف من ذلك ولم تحسب له حساباً. فلما سمع الملك أن خاتم ولده ضاع ، أمر أن يقتل ذلك الولد. ثم قام من موضعه فدخل قصره، وإذا بالوزراء رجعوه عن قتل ولده. فلما كان ذات ليلة أرسل الملك إلى الوزراء يدعوهم فحضرُوا جميعاً. فقام إليهم الملك وتلقاهم وشكرهم على ما كان منهم من مراجعته عن قتل ولده. وكذلك شكرهم الولد وقال لهم : نعم ما دبّرتُم إلى والدي في بقاء نفسي وسوف أجازيكم بخير إن شاء الله تعالى. ثم إن الولد بعد ذلك أخبرهم بسبب ضياع خاتمته، فدعوا له بطول البقاء وعلو الارتقاء ثم انصرفوا من المجلس. فانظر أيها الملك كيد النساء وما تفعله في الرجال. فرجع الملك عن قتل ولده.

فلما أصبح الصباح جلس والده في اليوم الثامن فدخل عليه ولده ويده في يد مؤدبه السنبداد وقبّل الأرض بين يديه ثم تكلم بأفصح لسان ومدح والده ووزرائه وأرباب دولته وشكرهم وأثنى عليهم. وكان حاضراً بالمجلس العلماء والأمراء والجند وأشراف الناس. فتعجب الحاضرون من فصاحة ابن الملك وبلاغته وبراعته في نطقه. فلما سمع والده ذلك فرح به فرحاً شديداً زائداً. ثم ناداه وقبّله بين عينيه ونادى مؤدبه السنبداد، سأله عن سبب صمت ولده مدة السبعة أيام. فقال له المؤدّب: يا مولانا، الإصلاح في أنه لا يتكلم. فإني خشيت عليه من القتل في تلك المدة وكنت يا سيدي أعرف هذا الأمر يوم ولادته. فإني لما رأيت طالعه دلّني على جميع ذلك وقد زال عنه السوء بسعادة الملك. ففرح الملك بذلك وقال لوزرائه: لو كنت قتلت ولدي هل يكون الذنب عليّ أو على الجارية أو على المؤدّب السنبداد؟ فسكت الحاضرون عن ردّ الجواب. فقال مؤدّب الولد السنبداد لولد الملك: رد الجواب يا ولدي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية اللبن المسموم

فلما كانت الليلة: □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السنبداد لما قال لابن الملك: ردّ الجواب يا ولدي قال ابن الملك: إني سمعت رجلاً من التجار حلّ به ضيف في منزله فأرسل جاريته لتشتري له من السوق لبناً في جرة. فأخذت اللبن في جرتها وطلبت الرجوع إلى منزل سيدها. فبينما هي في الطريق إذ مرت عليها حداة طائرة وفي مخلبها حية تعصرها به. فقطرت نقطة من الحية في الجرة وليس عند الجارية خبر بذلك. فلما وصلت إلى المنزل أخذ السيد منها اللبن وشرب منه هو وضيوفه، فما استقر اللبن في جوفهم حتى ماتوا جميعاً. فانظر أيها الملك لمن كان الذنب في هذه القضية؟ فقال أحد الحاضرين: الذنب للجماعة الذين شربوا. وقال آخر: الذنب للجارية التي تركت الجرة مكشوفة من غير غطاء. فقال السنبداد مؤدّب الغلام: ما تقول أنت في ذلك يا ولدي؟ فقال ابن الملك: أقول أن القوم أخطأوا، ليس الذنب للجارية ولا للجماعة وإنما أجال القوم فرغت مع أرزاقهم وقدرت ميّتهم بسبب ذلك الأمر. فلما سمع ذلك الحاضرون تعجبوا منه غاية العجب ورفعوا أصواتهم بالدعاء لابن الملك وقالوا له: يا مولانا قد تكلمت بجواب ليس له نظير، وأنت عالم أهل زمانك الآن: فلما سمعهم ابن الملك قال لهم: إني لست بعالم، وإن الشيخ الأعمى وابن الثلاث سنين وابن الخمس سنين أعلم مني. فقال له الجماعة الحاضرون: حدثنا بحديث هؤلاء الثلاثة الذين هم أعلم منك يا غلام.

فلما كانت الليلة: □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السنبداد لما قال لابن الملك: ردّ الجواب يا ولدي قال ابن الملك: إني سمعت رجلاً من التجار حلّ به ضيف في منزله فأرسل جاريته لتشتري له من السوق لبناً في جرة. فأخذت اللبن في جرتها وطلبت الرجوع إلى منزل سيدها. فبينما هي في الطريق إذ مرت عليها حداة طائرة وفي مخلبها حية تعصرها به. فقطرت نقطة من الحية في الجرة وليس عند الجارية خبر بذلك. فلما وصلت إلى المنزل أخذ السيد منها اللبن وشرب منه هو وضيوفه، فما استقر اللبن في جوفهم حتى ماتوا جميعاً. فانظر أيها الملك لمن كان الذنب في هذه القضية؟ فقال أحد الحاضرين: الذنب للجماعة الذين شربوا. وقال آخر: الذنب للجارية التي تركت الجرة مكشوفة من غير غطاء. فقال السنبداد مؤدّب الغلام: ما تقول أنت في ذلك يا ولدي؟ فقال ابن الملك: أقول أن القوم أخطأوا، ليس الذنب للجارية ولا للجماعة وإنما أجال القوم فرغت مع أرزاقهم وقدرت ميّتهم بسبب ذلك الأمر. فلما سمع ذلك الحاضرون تعجبوا منه غاية العجب ورفعوا أصواتهم بالدعاء لابن الملك وقالوا له: يا مولانا قد تكلمت بجواب ليس له نظير، وأنت عالم أهل زمانك الآن: فلما سمعهم ابن الملك قال لهم: إني لست بعالم، وإن الشيخ الأعمى وابن الثلاث سنين وابن الخمس سنين أعلم مني. فقال له الجماعة الحاضرون: حدثنا بحديث هؤلاء الثلاثة الذين هم أعلم منك يا غلام.

603

فقال لهم ابن الملك : بلغني أنه كان تاجر من التجار كثير الأموال والأسفار إلى جميع البلدان . فأراد المسير إلى بعض البلدان فسأل من جاء منها وقال لهم : أي بضاعة فيها كثيرة المكسب ؟ فقالوا له : حطب الصندل فإنه فيها يباع غالباً . فاشترى التاجر بجميع ما عنده من المال حطب صندل وسافر إلى تلك المدينة فلما وصل إليها كان قدومه إليها آخر النهار وإذا بعجوز تسوق غنماً لها . فلما رأت التاجر قالت له : من أنت أيها الرجل ؟ فقال لها : أنا رجل تاجر غريب . فقالت له : إحذر من أهل البلد فإنهم قوم مكّارون لصوص ، وإنهم يخدعون الغريب ليظفروا به ويأكلوا ما كان معه وقد نصحتك . ثم فارقت . فلما أصبح الصباح تلقاه رجل من أهل المدينة فسلم عليه وقال له : يا سيدي من أين قدمت ؟ فقال له : قدمت من البلد الفلانية . قال له : ما حملت معك من التجارة ؟ قال له : خشب صندل فإني سمعت أن له قيمة عندكم . فقال له الرجل : لقد أخطأ من أشار عليك بذلك فإننا لم نوقد تحت القدر إلا بذلك الحطب الصندل فقيمته عندنا هو والحطب سواء . فلما سمع التاجر كلام الرجل تأسّف وندم وصار بين مصدق ومكذب . ثم نزل ذلك التاجر في بعض خانات المدينة يقيد بالصندل تحت القدر . فلما رآه ذلك الرجل قال له : أتبيع هذا الصندل ؟ كل صاع بما تريده نفسك . فقال له : بعتك . فحوّل الرجل ما عنده من الصندل في منزله وقصد البائع أن يأخذ ذهباً بقدر ما يأخذ المشتري . فلما أصبح الصباح تمسّى التاجر في المدينة فلقى رجل أزرق العينين من أهل تلك المدينة وهو أعور ، فتعلّق بالتاجر وقال له : أنت الذي أتلفت عيني فلم أطلقك أبداً . فأنكر التاجر ذلك وقال له : إن هذا الأمر لا يتم . فاجتمع الناس عليهما وسألوا الأعور المهلة إلى غد ويعطيه ثمن عينه . فاقام الرجل التاجر له ضماناً حتى أطلقوه . ثم مضى التاجر وقد انقطع نعله من مجاذبة الرجل الأعور فوقف على دكان الإسكافي ودفعه له وقال له : أصلحه ولك عندي ما يرضيك . ثم انصرف عنه . وإذا بقوم قاعين يلعبون فجلس عندهم من الهمّ والغمّ ، فسأله اللعب فلعب معهم . فأوقعوا عليه الغلب وغلّبوه وخيروه إما أن يشرب البحر وإما أن يخرج من ماله جميعاً . فقام التاجر وقال : امهلوني إلى غد . ثم مضى التاجر وهو مغموم على ما فعل ولا يدري كيف يكون حاله . فقعد في موضع متفكراً مغموماً مهموماً وإذا بالعجوز جائزة عليه فنظرت نحو التاجر فقالت له : لعل أهل المدينة ظفروا بك فإني أراك مهموماً من الذي أصابك . فحكى لها جميع ما جرى من أوله إلى آخره . قالت له : من الذي عمل عليك في الصندل ؟ فإن الصندل عندنا قيمته كل رطل بعشرة دنانير . ولكن أنا ادبر لك رأياً أرجو به أن يكون لك خلاص نفسك ، وهو أن تسير نحو الباب الفلاني فإن في ذلك الموضوع شيخاً أعمى مقعداً وهو عالم عارف كبير خبير وكل الناس تحضر عنده يسألونه عن ما يريدونه فيشير إليهم بما يكون لهم فيه الصلاح لأنه عارف بالمكر والسحر والنصب ، وهو شاطر فتجتمع الشطار عنده بالليل . فاذهب عنده واخف نفسك من غرماثك بحيث تسمع كلامهم ولا يرونك فإنه يخبرهم بالغالبية والمغلوبية . لعلك تسمع منه حجة تخلصك من غرماثك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز قالت للتاجر: إذهب
الليلة إلى العالم الذي يجتمع عليه أهل البلد واخف نفسك لعلك
تسمع منه حجة تخلصك من غمائك. فانصرف التاجر من عندها إلى
الموضع الذي أخبرته به واخفى نفسه ثم نظر إلى الشيخ وجلس قريباً
منه. فما كان إلا ساعة وقد حضر جماعته الذين يتحاكمون عنده. فلما

صاروا بين يدي الشيخ سلموا عليه وسلم بعضهم على بعض وقعدوا حوله. فلما رآهم التاجر
وجد غرماؤه الأربعة من جملة الذين حضروا. فقدم لهم الشيخ شيئاً من الأكل فاكلوا ثم أقبل
كل واحد منهم يخبره بما جرى له في يومه. فتقدم صاحب الصندل وأخبر الشيخ بما جرى له في
يومه من أنه اشترى صندلاً من رجل بغير قيمته واستقرّ البيع بينهما على ملء صاع مما يحب.
فقال له الشيخ: قد غلبك خصمك. فقال له: وكيف يغلبني؟ قال الشيخ: فإذا قال لك أنا أخذ
ملكه ذهباً أو فضة فهل أنت تعطيه؟ قال: نعم أعطيه وأنا أكون الراجح. فقال له الشيخ: فإذا قال
لك: أنا أخذ ملء صاع براغيث، النصف ذكور والنصف إناث فماذا تصنع؟ فعلم أنه مغلوب.
ثم تقدم الأعور وقال: يا شيخ، إني رأيت اليوم رجلاً أزرق العينين وهو غريب البلاد.
فتقاويت عليه وتعلقت به وقلت له: أنت قد أتلفت عيني. وما تركته حتى ضمنه لي جماعة أنه
يعود إليّ ويرضيني في عيني. فقال له الشيخ: لو أراد غلبك لغلبك. قال: وكيف يغلبني؟ قال:
يقول لك: إقلع عينك وأنا أقلع عيني ونزن كل منهما فإن تساوت عيني بعينك فأنت صادق فيما
ادّعيته. ثم تغرم دية عينه وتكون أنت أعمى ويكون هو بصيراً بعينه الثانية. فعلم أنه يغلبه بهذه
الحجة. ثم تقدم الإسكافي وقال له: يا شيخ، إني رأيت اليوم رجلاً أعطاني نعلة وقال لي:
أصلحه. فقلت له: ألم تعطني الأجرة؟ فقال لي: أصلحه ولك عندي ما يرضيك. وأنا لا
يرضيني إلا جميع ماله. فقال له الشيخ: إذا أراد أخذ نعله منك ولا يعطيك شيئاً أخذه. فقال له:
وكيف ذلك؟ قال: يقول لك أن السلطان هزمت أعداؤه وضعفت أضداده وكثرت أولاده
وأنصاره. أرضيت أم لا؟ فإن قلت: أرضيت. أخذ نعله منك وانصرف، وإن قلت: لا. أخذ
نعله وضرب به وجهك وفضاك. فعلم أنه مغلوب. ثم تقدم الرجل الذي لعب معه بالمرهنة وقال
له: يا شيخ، إني لقيت رجلاً فراهنته وغلبته فقلت له: إن شربت هذا البحر فانا أخرج عن
جميع مالي لك، وإن لم تشربه فاخرج عن جميع مالي لي. فقال له الشيخ: لو أراد غلبك
لغلبك. فقال له: وكيف ذلك؟ قال: يقول لك: إمسك لي فم البحر بيدك وناوله لي وأنا أشربه
فلا تستطيع ويغلبك بهذه الحجة. فلما سمع التاجر ذلك عرف ما يحتج به على غرمائه. ثم
قاموا من عند الشيخ وانصرف التاجر إلى محله. فلما أصبح الصباح أتاه الذي راهنه على شرب
البحر فقال له التاجر: ناولني فم البحر وأنا أشربه. فلم يقدر فغلبه التاجر وفدى الراهن نفسه
بمائة دينار وانصرف. ثم جاءه الإسكافي وطلب منه ما يرضيه. فقال له التاجر: إن السلطان غلب
أعداؤه وأهلك أضداده وكثرت أولاده أرضيت أم لا؟ قال له: نعم أرضيت. فأخذ مركوبه بلا
أجرة وانصرف. ثم جاءه الأعور وطلب منه دية عينه. فقال له التاجر: إقلع عينك وأنا أقلع
عيني ونزنهما فإن استوتا فأنت صادق فخذ دية عينك. فقال له الأعور: إمهلني. ثم صالح
التاجر على مائة دينار وانصرف. ثم جاء الذي اشترى الصندل فقال له: خذ ثمن صندلك. فقال

له : أي شيء تعطيني ؟ فقال له : قد اتفقنا على أن صاعاً صندلاً بصاع من غيره ، فإن أردت خذ ملوّه ذهباً أو فضةً . فقال له التاجر : أنا لا آخذ إلا ملوّه براغيث ، النصف ذكور والنصف إناث . فقال له : أنا لا أقدر على شيء من ذلك . فغلبه التاجر وفدى المشتري نفسه منه بمائة دينار بعد أن رجّع له صندله . وباع التاجر الصندل كيف أراد وقبض ثمنه وسافر من تلك المدينة إلى بلده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الرجل التاجر لما باع صندله وقبض ثمنه سافر من تلك المدينة إلى مدينة . ثم قال ابن الملك : وأما ابن الثالث سنين ، فإنه كان رجل فاسق مغرم بالنساء قد سمع بامرأة ذات حسن وجمال وهي ساكنة في مدينة غير مدينته . فسافر إلى المدينة التي هي فيها وأخذ معه هدية وكتب لها رقعة يصف لها شدة ما يقاسيه من الشوق والغرام ، وقد حمّله حبه إياها على المهاجرة إليها والقدوم عليها . فأذنت له في الذهاب إليها . فلما وصل إلى منزلها ودخل عليها قامت له على قدميها وقد تلقتة بالإكرام والإحترام وقبّلت يديه وضيقتة ضيافة لا مزيد عليها من المأكول والمشروب . وقد كان لها ولد صغير له من العمر ثلاث سنين فتركته واشتغلت بطهي الطبايح . فقال لها الرجل : قومي بنا ننام . فقالت له : إن ولدي قاعد ينظرنا . فقال لها : هذا ولد صغير لا يفهم ولا يعرف أن يتكلّم . فقالت له : لو علمت معرفته ما تكلمت . فلما علم الولد أن الأرز استوى بكى بكاءً شديداً . فقالت له أمه : ما يبكيك يا ولدي ؟ فقال لها : أغرفني لي من الأرز واجعلي لي فيه سمناً . فغرفت له وجعلت عليه السمن ، فأكل الولد ثم بكى ثانياً . فقالت له أمه : ما يبكيك يا ولدي ؟ فقال لها : يا أماه اجعلي لي عليه سكرأ . فقال له الرجل وقد اغتاظر منه : ما أنت إلا ولد مشؤوم . فقال له الولد : والله ما مشؤوم إلا أنت حيث تعبت وسافرت من بلد إلى بلد في طلب الزنا ، وأما أنا فبكائي من أجل شيء كان في عيني فأخرجته بالدموع وأكلت بعد ذلك أرزاً وسمناً وسكرأً وقد اكتفيت . فمن المشؤوم منا ؟ فلما سمعه الرجل خجل من كلام ذلك الولد الصغير ثم أدركته الموعظة فتأدّب من وقته وساعته ولم يتعرّض لها بشيء وانصرف إلى بلده ولم يزل تائباً إلى أن مات . ثم قال ابن الملك : وأما ابن الخمس سنين ، فإنه بلغني أيها الملك أن أربعة من التجار اشتركوا في ألف دينار وقد خلطوها بينهم وجعلوها في كيس واحد . فذهبوا بها ليشتروا بضاعة فلقوا في طريقهم بستاناً حسناً فدخلوه وتركوا الكيس عند حارسة ذلك البستان . فلما دخلوا تفرجوا في ناحية البستان فأكلوا وشربوا وانشرحوا . فقال واحد منهم : أنا معي طيب تعالوا نغسل رؤوسنا من هذا الماء الجاري ونتطيب . قال آخر : نحتاج إلى مشط . قال آخر : نسأل الحارسة لعل أن يكون عندها مشط . فقام واحد منهم إلى الحارسة وقال لها : إُدفعي لي الكيس . فقالت له : حتى تحضروا كلكم أو يأمرني رفقاًؤك أن أعطيك إياه . وكان رفقاًؤه في مكان بحيث تراهم الحارسة وتسمع كلامهم . فقال الرجل لرفقائه : ما هي راضية أن تعطيني شيئاً . فقالوا لها : أعطه . فلما سمعت كلامهم أعطته الكيس ، فأخذه الرجل وخرج هارباً منهم . فلما أبطأ عليهم جاؤوا إلى الحارسة وقالوا لها : ما لك لم تعطه المشط ؟ قالت لهم : ما طلب مني إلا الكيس ولم أعطه إياه إلا بإذنكم وخرج من هنا إلى حال سبيله . فلما سمعوا كلام الحارسة لطموا على وجوههم وقبضوا عليها

فلما كانت الليلة
605
كانت الليلة

بأيديهم وقالوا لها: نحن ما أدتاك إلا بإعطاء المشط. فقالت لهم: ما ذكر لي مشطاً. فقبضوا عليها ورفعوها إلى القاضي. فلما حضروا بين يديه قصّوا عليه القصة، فالزم الحارسة بالكيس والزم بها جماعة من غرمانها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
606
قال لها: ما بالك يا أماء؟ فلم تردّ عليه جواباً واستحقرته لصغر سنه. فكررّ عليها الكلام أولاً وثانياً وثالثاً. فقالت له: إن جماعة دخلوا على البستان ووضعوا عندي كيساً فيه ألف دينار وشرطوا عليّ أني لا أعطي أحداً الكيس إلاّ بحضرتهم كلهم. ثم دخلوا البستان يتفرجون ويتزهدون فيه فخرج واحد منهم وقال لي: أعطيني الكيس. فقلت له: حتى يحضر رفقاًؤك. فقال لي: قد أخذت الإذن منهم. فلم أرض ان أعطيه الكيس. فصاح على رفقائه وقال لهم: ما هي راضية أن تعطيني شيئاً؟ فقالوا لي: أعطيه. وكانوا بالقرب مني فأعطيته الكيس فأخذه وخرج إلى حال سبيله. فاستبطاه رفقاًؤه فخرجوا إليّ وقالوا: لأي شيء لم تعطه المشط؟ فقلت لهم: ما ذكر لي مشطاً وما ذكر لي إلاّ الكيس. فقبضوا عليّ ورفعونني إلى القاضي والزمني بالكيس. فقال لها الغلام: أعطيني درهماً آخذ به حلوة وأنا أقول لك شيئاً يكون لك فيه الخلاص. فأعطته الحارسة درهماً وقالت له: ما عندك من القول؟ فقال لها الغلام: إرجعي إلى القاضي وقولي له: كان بيني وبينهم أني لا أعطيهم الكيس إلاّ بحضرتهم الأربعة. قال: فرجعت الحارسة إلى القاضي وقالت له ما قاله لها الغلام. فقال لهم القاضي: أكان بينكم وبينها هكذا؟ قالوا: نعم. فقال لهم القاضي: أحضروا لي رفيقكم وخذوا الكيس. فخرجت الحارسة سالمة ولم يحصل لها ضرر وانصرفت إلى حال سبيلها.

فلما سمع الملك كلام ولده والوزراء ومن حضر ذلك المجلس قالوا للملك: يا مولانا الملك، إن ابنتك هذا أبرع أهل زمانه. فدعوا له وللملك. فضمّ الملك ولده إلى صدره وقبّله بين عينيه وسأله عن قضيته مع الجارية. فحلف ابن الملك بالله العظيم وبنبيه الكريم أنها هي التي راودته عن نفسه. فصدّق الملك في قوله وقال له: قد حكمتك فيها إن شئت فاقتلها أو فافعل فيها ما تشاء. فقال الولد لأبيه: انفيها من المدينة. وقعد ابن الملك مع والده في أرغد عيش وأهناه إلى أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات. وهذا آخر ما انتهى إلينا من قصة الملك ولده والجارية والوزراء السبعة.

55 - حكاية جودر الصياد وأخويه

وبلغني أيضاً أن رجلاً تاجراً اسمه عمر، قد خلف من الذرية ثلاثة اولاد: أحدهم يسمّى سالماً والأصغر يسمّى جودراً والأوسط يسمّى سليماً، وربّاهم إلى أن صاروا رجالاً ولكنه كان يحب جودراً أكثر من أخويه. فلما تبين أنه يحب جودراً، أخذتهما الغيرة وكرها جودر. فبان لآبيهما أنهما يكرهان أخاهما. وكان والدهم كبير السن وخاف أنه إذا مات يحصل لجودر مشقة

من أخويه، فأحضر جماعة من أهله وأحضر جماعة قسامين من طرف القاضي وجماعة من أهل العلم وقال: هاتوا لي مالي وقماشي. فأحضروا له جميع المال والقماش فقال: يا ناس، اقسوا هذا المال والقماش أربعة أقسام بالموضع الشرعي. فقسموه فأعطى كل ولد قسماً وأخذ هو قسماً وقال: هذا مالي وقسمته بينهم ولم يبقَ لهم عندي ولا عند بعضهم شيء، فإذا مت لا يقع بينهم اختلاف لأنني قسمت بينهم الميراث في حال حياتي، وهذا المال الذي أخذته أنا فإنه يكون لزوجتي أم هذه الأولاد فتستعين به على معيشتها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن التاجر لما قسم ماله وقماشه أربعة أقسام، أعطى كل ولد من الأولاد الثلاثة قسماً وأخذ هو القسم الرابع وقال: هذا القسم يكون لزوجتي أم هذه الأولاد تستعين به على معيشتهم. ثم بعد مدة قليلة مات والدهم. فما أحد رضي بما فعل والدهم عمر بل طلبوا الزيادة من جودر وقالوا له: إن مال أبينا عندك. فترافع معهم إلى الحكام وجاء المسلمون الذين كانوا حاضرين وقت القسمة وشهدوا بما علموا ومنعهم الحاكم عن بعضهم. فخرس جودر جانباً من المال وخسر أخوته كذلك بسبب النزاع. فتركوه مدة ثم مكروا به ثانياً فترافع معهم إلى الحكام فخرسوا جملة من المال أيضاً من أجل الحكام. وما زالوا يطلبون أذيته من ظالم إلى ظالم وهم يخسرون ويخسر حتى اطعموا جميع مالهم للظالمين وصار الثلاثة فقراء. ثم جاء أخواه إلى أمهم وضحكا عليها وأخذوا مالها وضرباها وطردها. فجاءت إلى ابنها جودر وقالت له: قد فعل أخواك معي كذا وكذا وأخذوا مالي وصارت تدعو عليهما. فقال لها جودر: يا أمي، لا تدعي عليهما والله يجازي كلاهما بعمله. ولكن يا أمي أنا بقيت فقيراً وأخوأي فقيران والمخاصمة تحتاج لخسارة المال، واختصمت أنا وإياهما كثيراً بين أيدي الحكام ولم يفدنا ذلك شيئاً بل خسرنا جميع ما خلفه لنا والدنا وهتكنا الناس بسبب الشهادة. وهل بسببك اختصم وإياهما وترافع إلى الحكام؟ فهذا شيء لا يكون. إنما تقعدين عندي والرغيف الذي أكله أخليه لك، وادعي لي والله يرزقني برزقك واتركيهما يلقىان من الله فعلهما. وتسلي بقول من قال: [من الكامل]

إِنْ يَنْبَغُ ذُو جَهْلٍ عَلَيْكَ فَخَلِّهِ وَأَرْقُبْ زَمَانًا لِانْتِقَامِ الْبَاغِي
وَتَجْتَبِ الظُّلْمَ الْوَحِيمَ فَلَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدَكُ الْبَاغِي

وصار يطيب خاطر أمه حتى رضيت ومكثت عنده. فأخذ له شبكة وصار يذهب إلى البحر والبرك وإلى كل مكان فيه ماء، وصار يذهب كل يوم إلى جهة. فصار يعمل يوماً بعشرة ويوماً بعشرين ويوماً بثلاثين ويصرفها على أمه ويأكل طيباً ويشرب طيباً ولا صنعة ولا بيع ولا شراء لأخويه. ودخل عليهما الساحق والمالحق والبلاء اللاحق وقد ضيعا الذي أخذاه من أمهما وصاروا من الصعاليك المعاكيس عريانين، فتارة يأتیان إلى أمهما ويتواضعان لها زيادة ويشكوان إليها الجوع وقلب الوالدة رؤوف فتقطعهما عيشاً معفتاً، وإن كان هناك طيبخ بايت تقول لهما: كلاه سريعاً وروحا قبل أن يأتي أخوكما فإنه ما يهون عليه ويقسو قلبه علي وتفضحاني معه.

مزرکش وکل ما علی البغلة مزرکش . فنزل من فوق ظهر البغلة وقال : السلام عليك يا جودر يا ابن عمر . فقال له : وعليك السلام يا سيدي الحاج . فقال له المغربي : يا جودر ، إن لي عندك حاجة فإن طوعتني تنال خيراً كثيراً وتكون بسبب ذلك صاحبي وتقضي لي حوائجي . فقال : يا سيدي الحاج قل لي أي شيء في خاطرك وأنا أطاوعك وما عندي خلاف . فقال له : إقرأ الفاتحة . فقرأها معه وبعد ذلك أخرج له قبطاناً من حرير وقال له : كتفتني وشد كتافي شداً قوياً وارمني في البركة واصبر عليّ قليلاً ، فإن رأيتني أخرجت يدي من الماء مرتفعة قبل أن أبان فاطرح أنت الشبكة عليّ واجذبني سريعاً ، وإن رأيتني أخرجت رجلي فاعلم أنني ميت . فاتركني وخذ البغلة والخرج وامض إلى سوق التجار تجد يهودياً اسمه شميعة ، فاعطه البغلة وهو يعطيك مائة دينار فخذها واكتم السرّ وروح إلى حال سبيلك . فكتفته كتافاً شديداً فصار يقول له : شدّ الكتاف . ثم إنه قال له : إدفني إلى أن ترميني في البركة . فدفعه ورماه فغطس ، ووقف ينتظره ساعة من الزمان وإذا بالمغربي خرجت رجلاه . فعلم أنه مات فأخذ البغلة وتركه وراح إلى سوق التجار فرأى اليهودي جالساً على كرسي في باب الحاصل . فلما رأى البغلة قال اليهودي : إن الرجل هلك . ثم قال : ما أهلكه إلا الطمع . وأخذ منه البغلة وأعطاه مائة دينار وأوصاه بكتم السرّ . فأخذ جودر الدنانير وراح ، فأخذ ما يحتاج إليه من العيش من الخبز وقال له : خذ هذا الدينار . فأخذه وحسب الذي له وقال له : عندي بعد ذلك عيش يومين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
609
الليلة
الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخباز لما حاسب جودر على ثمن العيش وقال له : بقي لك عندي من الدنيا عيش يومين . انتقل من عنده إلى الجزار وأعطاه ديناراً آخر وشدّ اللحم وقال له : خل عندك بقية الدينار تحت الحساب . وأخذ الخباز وراح فرأى أخويه يطلبان من أهمهم شيئاً يأكلونه وهي تقول لهما : اصبرا حتى يأتي أخوكما فما عندي شيء . فدخل عليهم وقال لهم : خذوا كلوا . فوقعوا على العيش مثل الغيلان . ثم إن جودر أعطى أمه بقية الذهب وقال : خذي يا أمي ، وإذا جاء أخوأي فاعطيهاما ليشتريا ويأكلان في غيابي وبات تلك الليلة . ولما أصبح أخذ الشبكة وراح إلى بركة قارون ووقف وأراد أن يطرح الشبكة وإذا بمغربي آخر أقبل وهو راكب بغلة ومهياً أكثر من الذي مات ومعه خرج وحقان في الخرج في كل عين منه حق . وقال : السلام عليك يا جودر . فقال : عليك السلام يا سيدي الحاج . فقال : هل جاءك بالأمس مغربي راكب بغلة مثل هذه البغلة ؟ فخاف وانكروا وقال : ما رأيت أحداً . خوفاً أن يقول : راح إلى أين ؟ فإن قال له غرق في البركة ربما يقول أنت غرقت فما ساعه إلا الإنكار . فقال له : يا مسكين هذا أخي وسبقني . قال : ما معي خبر . قال : أما كتفتته أنت ورميته في البركة وقال لك : إن خرجت يداي إرم عليّ الشبكة وأسحبني بالعجل وإن خرجت رجلاي أكون ميتاً وخذ أنت البغلة وأديها إلى اليهودي شميعة وهو يعطيك مائة دينار ؟ وقد خرجت رجلاه وأنت أخذت البغلة وأديتها إلى اليهودي وأعطاك مائة دينار . فقال : حيث أنك تعرف ذلك فلا شيء تسألني ؟ قال : مرادي أن تفعل بي كما فعلت بأخي . وأخرج له قبطاناً من حرير وقال : كتفتني وارمني وإن جرى لي مثل ما جرى لأخي خذ البغلة وأديها إلى اليهودي وخذ منه مائة دينار . فقال

له : قدّم . فتقدم فكتفه ودفعه، فوق في البركة وغطس . فانتظره ساعة فطلعت رجلاه . فقال : مات في داهية إن شاء الله . كل يوم يجيئني المغاربة وأنا أكتفهم ويموتون ويكفيني من كل ميت مائة دينار ثم إنه أخذ البغلة . فلما رآه اليهودي قال له : مات الآخر . قال له : تعيش رأسك . قال له : هذا جزء الطماعين وأخذ البغلة منه وأعطاه مائة دينار . فأخذها وتوجه إلى أمه فأعطاها إياها . فقالت له : يا ولدي من أين لك هذا؟ فأخبرها . فقالت له : ما بقيت تروح بركة قارون فإني أخاف عليك من المغاربة . فقال لها : يا أمي ، أنا لا أرميهم إلا برضاهم وكيف يكون العمل؟ هذه صنعة يأتيها منها كل يوم مائة دينار وأرجع سريعاً . فوالله لا أرجع عن ذهابي إلى بركة قارون حتى ينقطع أثر المغاربة ولا يبقى منهم أحد . ثم إنه في اليوم الثالث راح ووقف وإذا بمغربي راكب بغلة ومعه خرج ولكنه مهيباً أكثر من الأولين وقال : السلام عليك يا جودر يا ابن عمر . فقال في نفسه : من أين كلهم يعرفونني؟ ثم ردّ عليه السلام . فقال : هل جاز على هذا المكان مغاربة؟ قال له : اثنان . قال له : أين راحا؟ قال : كتفتهما ورميتهما في هذه البركة فغرقا والعاقبة لك أنت الآخر . فضحك ثم قال : يا مسكين كل حي ووعده . ونزل عن البغلة وقال له : يا جودر ، إعمل معي كما عملت معهما . وأخرج القيطان الحرير فقال له جودر : أدر يدريك حتى اكتفك فإني مستعجل وراح عليّ الوقت . فأدار له يديه فكتفه ودفعه فوق في البركة ووقف ينتظره وإذا بالمغربي أخرج له يديه وقال له : إرم الشبكة يا مسكين . فرمى عليه الشبكة وجذبه وإذا هو قابض في يديه سمتين لونهما أحمر مثل المرجان في كل يد سمكة وقال له : إفتح الحقين . ففتح له الحقين فوضع في كل حق سمكة وسد عليهما فم الحقين . ثم إنه حضن جودرا وقبّله ذات اليمين وذات الشمال في خديّه وقال له : الله ينجيك من كل شدة ، والله لولا أنك رميت عليّ الشبكة وأخرجتني لكنت ما زلت قابضاً على هاتين السمكتين وأنا غاطس في الماء حتى أموت ولا أقدر أن أخرج من الماء . فقال له : يا سيدي الحاج ، بالله عليك أن تخبرني بشأن اللذين غرقا أولاً وبحقيقة هاتين السمكتين وبشأن اليهودي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً لما سأل المغربي وقال له : أخبرني عن اللذين غرقا أولاً . قال له : يا جودر ، أعلم أن اللذين غرقا أولاً أخوأي أحدهما اسمه عبد السلام والثاني اسمه عبد الأحد وأنا اسمي عبد الصمد واليهودي أخونا اسمه عبد الرحيم وما هو يهودي إنما هو مسلم مالكي المذهب ، وكان والدنا علمنا حل الرموز وفتح الكنوز والسحر وصرنا نعالج حتى خدمتنا مرّة الجن والعفاريت . ونحن أربعة أخوة والدنا اسمه عبد الودود ، ومات أبونا وخلف لنا شيئاً كثيراً فقسمنا الذخائر والأموال والأرصاد حتى وصلنا إلى الكتب فقسمناها ، فوقع بيننا اختلاف في كتاب اسمه أساطير الأولين ليس له مثل ولا يقدر له على ثمن ولا يعادل بجواهر ، لأنه مذكور فيه سائر الكنوز وحلّ الرموز . وكان أبونا يعمل به ونحن نحفظ منه شيئاً قليلاً ، وكل منا غرضه أن يملكه حتى يطلع على ما فيه . فلما وقع الخلاف بيننا حضر مجلسنا شيخ أينا الذي كان ربّه وعلمه السحر والكهانة وكان اسمه الكهين الأبطن . فقال لنا : هاتوا الكتاب فأعطيناه الكتاب . فقال : أنتم أولاد ولدي ولا يمكن أن أظلم منكم

فلما كانت الليلة
610
الليلة

أحداً، فليذهب من أراد أن يأخذ هذا الكتاب إلى معالجة فتح كنز الشمردل ويأتي بدائرة الفلك والمكحلة والخاتم والسيف . فإن الخاتم له مارد يخدمه اسمه الرعد القاصف، ومن ملك هذا الخاتم لا يقدر عليه ملك ولا سلطان، وإن أراد أن يملك به الأرض بالطول والعرض يقدر على ذلك . وأما السيف فإنه لو جرد على جيش وهزه حامله لهزم الجيش . وإن قال له وقت هزه : اقتل هذا الجيش . فإنه يخرج من ذلك السيف برق من نار فيقتل جميع الجيش . وأما دائرة الفلك فإن الذي يملكها إن شاء أن ينظر جميع البلاد من المشرق إلى المغرب فإنه ينظرها ويتفرج عليها وهو جالس . فأي جهة أرادها يوجه الدائرة إليها وينظر في الدائرة فإنه يرى تلك الجهة وأهلها كان الجميع بين يديه . وإذا غضب على مدينة ووجه الدائرة إلى قرص الشمس وأراد احتراق تلك المدينة فإنها تحترق . وأما المكحلة فإن كل من اكتحل منها يرى كنوز الأرض . ولكن لي عليكم شرط : وهو أن كل من عجز عن فتح هذا الكنز ليس له في الكتاب استحقاق، ومن فتح هذا الكنز وآتاني بهذه الذخائر الأربعة فإنه يستحق أن يأخذ هذا الكتاب . فرضينا بالشرط . فقال لنا : يا أولادي، أعلموا أن كنز الشمردل تحت حكم أولاد الملك الأحمر وأبوكم أخبرني أنه كان عالج فتح ذلك الكنز فلم يقدر ولكن هرب منه أولاد الملك الأحمر إلى بركة في أرض مصر تسمى بركة قارون وعصوا في البركة، فلحقهم إلى مصر ولم يقدر عليهم بسبب انسيابهم في تلك البركة لأنها مرصودة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الكهين الأبطن لما أخبر الأولاد بذلك الخبر قال لهم : ثم إنه رجع غلبان ولم يقدر على فتح كنز الشمردل من أولاد الملك الأحمر . فلما عجز أبوكم عنهم جاءني وشكا إليّ، ففرضت له تقويماً فرأيت أن هذا الكنز لا يفتح إلا على وجه غلام من أبناء مصر اسمه جودر بن عمر فإنه يكون سبباً في قبض أولاد الملك الأحمر . وذلك الغلام يكون صياداً والإجماع به يكون على بركة قارون ولا ينفك ذلك الرصد إلا إذا كان جودر يكتف صاحب النصيب ويرميه في البركة فيتحارب مع أولاد الملك الأحمر . وكل من كان له نصيب فإنه يقبض أولاد الملك الأحمر، والذي ليس له نصيب يهلك وتظهر رجلاه من الماء، والذي يسلم تظهر يده فيحتاج أن جودر يرمي عليه الشبكة ويخرجه من البركة . فقال إخوتي : نحن نروح ولو هلكنا . وأنا قلت : أروح أيضاً . وأما أخونا الذي في هيئة يهودي فإنه قال : أنا ليس لي غرض . فاتفقنا معه أنه يتوجه إلى مصر في صفة يهودي تاجر حتى إذا مات منا أحد في البركة يأخذ البغلة والخروج منه ويعطيه مائة دينار . فلما أتاك الأول قتله أولاد الملك الأحمر وقتلوا أخي الثاني وأنا لم يقدرنا عليّ فقبضتهم . فقال : أين الذين قبضتهم ؟ فقال : أما رأيتهم قد حبستهم في الحقيين ؟ قال : هذا سمك . قال له المغربي : ليس هذا سمكاً إنما هم عفاريت بهيئة السمك . ولكن يا جودر أعلم أن فتح الكنز لا يكون إلا على وجهك، فهل تطاروني وتروح معي إلى مدينة فاس ومكناس ونفتح الكنز وأعطيك ما تطلب ؟ وأنت بقيت أخي في عهد الله وترجع إلى عيالك مجبور القلب . فقال له : يا سيدي الحاج ، أنا في رقبتني أمي وأخوأي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
الستون والستون
611
الليلة

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان جودراً قال للمغربي : انا في رقتي امني واخواي وانا الذي اجري عليهم ، وإن رحمت معك من يطعمهم العيش ؟ فقال له : هذه حجة بطالة فإن كان من شان المصروف فنحن نعطيك الف دينار ، تعطي امك اياها لتصرفها حتى ترجع إلى بلادك ، وانت إن غبت ترجع قبل اربعة اشهر . فلما سمع جودر بالالف دينار قال : هات يا حاج الالف دينار اتركها عند امني واروح معك . فأخرج له الالف دينار ، فأخذها وراح إلى امه وأخبرها بالذي جرى بينه وبين المغربي وقال لها : خذي هذا الالف دينار واصرفي منه عليك وعلى اخواي وانا مسافر مع المغربي إلى الغرب فأغيب اربعة اشهر ويحصل لي خير كثير فادعي لي يا والدتي . فقالت له : يا ولدي توحشني وأخاف عليك . فقال : يا امني ، ما على من يحفظه الله بأس والمغربي رجل طيب وصار يشكر لها حاله . فقالت : الله يعطف قلبه عليك ، رح معه يا ولدي لعله يعطيك شيئاً . فودّع امه وراح ، ولما وصل عند المغربي عبد الصمد قال له : هل شاورت امك ؟ قال : نعم ودعت لي . فقال له : اركب ورائي . فركب على ظهر البغلة وسافرا من الظهر إلى العصر ، فجاع جودر ولم ير مع المغربي شيئاً يؤكل فقال له : يا سيدي الحاج ، لعلك نسيت أن تجيء لنا بشيء نأكله في الطريق ؟ فقال : هل أنت جائع ؟ قال : نعم . فنزل من فوق ظهر البغلة هو وجودر ثم قال : نزل الخرج فنزله . ثم قال له : اي شيء تشتهي يا اخي ؟ فقال له : اي شيء كان . قال له : بالله عليك أن تقول لي اي شيء تشتهي ؟ قال : عيشاً وجبناً . قال : يا مسكين ، العيش والجن ما هو مقامك فاطلب شيئاً طيباً . قال جودر : انا عندي في هذه الساعة كل شيء طيب . فقال له : اتحب الفراخ المحمرة ؟ قال : نعم . قال : اتحب الارز بالعسل ؟ قال : نعم . قال : اتحب اللون الفلاني واللون الفلاني حتى سمى له من الطعام اربعة وعشرين لوناً ؟ ثم قال في باله : هل هو مجنون ؟ من أين يجيء لي بالاطعمة التي سماها وما عنده مطبخ ولا طباطخ ؟ لكن قل له : يكفي . فقال له : يكفي . هل أنت تشهيني الالوان ولا أنظر شيئاً ؟ فقال المغربي : مرحباً بك يا جودر . وحطّ يده في الخرج فأخرج صحناً من الذهب فيه فرختان محمرتان سخنتان ثم حط يده ثاني مرة فأخرج صحناً من الذهب فيه كباب ، ولا زال يخرج من الخرج حتى أخرج الاربعة وعشرين لوناً التي ذكرها بالتمام والكمال . فبهت جودر . فقال له : كل يا مسكين . فقال : يا سيدي ، أنت جاعل في هذا الخرج مطبخاً وناساً تطبخ ؟ فضحك المغربي وقال له : هذا مرصود له خادم ، لو نطلب في كل ساعة ألف لون يجيء بها الخادم ويحضرها في الوقت . فقال : نعم هذا الخرج . ثم إنهما اكلا حتى اكتفيا والذي فضل كباّه وردّ الصحنون فارغة في الخرج وحطّ يده فأخرج إبريقاً فشربا وتوضأً وصلّى العصر وردّ الإبريق في الخرج . ثم إنه حط فيه الحقيّن وحمله على تلك البغلة وركب وقال : إركب حتى نسافر . ثم إنه قال : يا جودر ، هل تعلم ما قطعنا من مصر إلى هنا ؟ قال له : والله لا أدري . فقال له : قطعنا مسيرة شهر كامل . قال : وكيف ذلك ؟ قال له : يا جودر ، أعلم أن البغلة التي تحتنا مارد من مردة الجن تسافر في اليوم مسافة سنة ، ولكن من شان خاطرك مشيت على مهلها . ثم ركبوا وسافروا إلى المغرب ، فلما امسياً أخرج من الخرج العشاء وفي الصباح أخرج الفطور . وما زال على هذه الحالة مدة اربعة ايام وهما يسافران إلى نصف الليل وينزلان فينامان ويسافران في

الصباح وجميع ما يشتهي جودر يطلبه المغربي فيخرجه له من الخرج . وفي اليوم الخامس وصلا إلى فاس ومكناس ودخلا المدينة . فلما دخلا صار كل من قابل المغربي يسلم عليه ويقبل يده ، ولا زال كذلك حتى وصل إلى باب ، فطرقة وإذا بالباب قد فتح وبان منه بنت كأنها القمر . فقال لها : يا رحمة يا بنتي إفتحي لنا القصر . قالت : على الرأس والعين يا ابني . ودخلت تهز أعطافها . فطار عقل جودر وقال : ما هذه إلا بنت ملك . ثم إن البنت فتحت القصر فأخذ الخرج من فوق البغلة وقال لها : انصرف بارك الله فيك . وإذا بالأرض انشقت ونزلت البغلة ورجعت الأرض كما كانت . فقال جودر : يا ستار ، الحمد لله الذي نجّانا فوق ظهرها . ثم إن المغربي قال : لا تعجب يا جودر فإني قلت لك أن البغلة عفريت لكن إطلع بنا القصر . فلما دخلا ذلك القصر اندهش جودر من كثرة الفرش الفاخر ومما رأى فيه من التحف وتعاليق الجواهر والمعادن . فلما جلسا أمر البنت وقال : يا رحمة ، هاتي البقجة الفلانية . فقامت وأقبلت ببقجة ووضعتها بين يدي أبيها . ففتحها وأخرج منها حلة تساوي ألف دينار وقال له : إلبس يا جودر مرحباً بك . فلبس الحلة وصار كناية عن ملك من ملوك الغرب . ووضع الخرج بين يديه ثم مد يده فيه وأخرج منه اصحناً فيها ألوان مختلفة حتى صارت سفرة فيها أربعون لوناً فقال : يا مولاي تقدّم وكل ولا تؤاخذنا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 613

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المغربي لما أدخل جودر القصر مدّ له سفرة فيها أربعون لوناً وقال له : تقدّم كل ولا تؤاخذنا نحن لا نعرف أي شيء تشتهي من الأطعمة ؟ فقل لنا على ما تشتهي ونحن نحضره إليك من غير تأخير . فقال له : والله يا سيدي الحاج إني أحب سائر الأطعمة ولا أكره شيئاً فلا تسألني عن شيء فهات جميع ما يخطر ببالك . وناما على الأكل . ثم إنه أقام عنده عشرين يوماً ، كل يوم يلبسه حلة والأكل من الخرج والمغربي لا يشتري شيئاً من اللحم ولا عيشاً ولا يطبخ ، ويخرج كل ما يحتاجه من الخرج حتى أصناف الفاكهة . ثم إن المغربي في اليوم الحادي والعشرين قال : يا جودر ، قم بنا فإن هذا هو اليوم الموعود لفتح كنز الشمردل . فقام معه ومشيا إلى المدينة ثم خرجا منها . فركب جودر بغلة وركب المغربي بغلة ولم يزا مسافرين إلى وقت الظهر ، فوصلا إلى نهر ماء جار فنزل عبد الصمد وقال : إنزل يا جودر . فنزل . ثم إن عبد الصمد قال : هيا . وأشار للعبدتين بيده فأخذا البغلتين وراح كل عبد من طريق . ثم غابا قليلاً وقد أقبل أحدهما بخيمة فنصبها ، وأقبل الثاني بفراش وفرشة في الخيمة ووضع في دائرها وسائل ومساند . ثم ذهب واحد منهم وجاء بالحقيّن اللذين فيهما السمكتان ، والثاني جاء بالخرج . فقام المغربي وقال : تعال يا جودر . فأتى وجلس بجانبه وأخرج المغربي من الخرج اصحن الطعام وتغديا . وبعد ذلك أخذ الحقيّن ثم إنه عزم عليهما فصارا من داخل يقولان : لبيك يا كهين الدنيا إرحمنا . وهما يستغيثان وهو يعزم عليهما حتى تمزّق الحقان فصار قطعاً ، وتطايرت قطعهما فظهر منهما اثنان مكتفان يقولان : الأمان يا كهين الدنيا ، مرادك أن تعمل فينا أي شيء ؟ فقال : مرادي أن أحرقكما أو أنكما تعاهداني على فتح كنز الشمردل . فقالا : نعاهدك ونفتح لك الكنز لكن بشرط أن تحضر جودر الصياد فإن الكنز لا يفتح إلا على وجهه ، ولا يقدر أحد أن يدخل فيه إلا جودر بن عمر . فقال لهما : الذي تذكرانه قد جثت

به وهو هاهنا يسمعكما وينظر كما فعاهدها على فتح الكنز وأطلقهما . ثم إنه أخرج قصة والوواحاً من العقيق الأحمر وجعلها على القصة وأخذ مجمرة ووضع فيها فحمًا ونفخها نفخة واحدة فأوقد فيها النار وأحضر البخور وقال : يا جودر ، أنا أتلو العزيمة وألقي البخور فإذا ابتدأت في العزيمة لا أقدر أن أتكلم فتبطل العزيمة ، ومرادي أن أعلمك كيف تصنع حتى تبلغ مرادك ؟ فقال له : علّمني . فقال له : أعلم أنني متى عزمت وألقيت البخور نشّف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقيتين من المعدن فانزل إلى الباب واطرقه طرقة خفيفة واصبر مدة واطرق الثانية طرقة أثقل من الأولى واصبر مدة واطرقه ثلاث طرقات متتابعات وراء بعضها فتسمع قائلاً يقول : من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحل الرموز ؟ فقل : أنا جودر الصياد بن عمر . فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك : إن كنت ذلك الرجل فمدّ عنقك حتى أرمي رأسك ؛ فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصاً من غير روح وأنت لا تتألم بالضربة ولا يجري عليك شيء . وأما إذا خالفته فإنه يقتلك . ثم إنك إذا أبطلت رصده بالامثال فادخل حتى ترى باباً آخر فاطرقه يخرج لك فارس راكب على فرس وعلى كتفه رمح فيقول : أي شيء أوصلك إلى هذا المكان الذي لا يدخله أحد من الإنس ولا من الجن ؟ ويهز عليك الرمح . فافتح له صدرك فيضربك ويقع في الحال فتراه جسماً من غير روح . وإن خالفت قتلك . ثم ادخل الباب الثالث يخرج لك آدمي وفي يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس ، فافتح له صدرك فيضربك ويقع قدامك جسماً من غير روح . وإن خالفت قتلك . ثم ادخل الباب الرابع . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
 614
 قال جودر : يا عيسى قل لموسى يفتح الباب . فيفتح لك ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك وإليك فاعطه يدك ، فمتى عضّ على يدك فإنه يقع في الحال ولا يصيبك شيء . ثم ادخل الباب الخامس يخرج لك عبد أسود ويقول لك : من أنت ؟ فقل له : أنا جودر . فيقول لك : إن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس . فتقدم إلى الباب وقل : يا عيسى قل لموسى يفتح الباب . فيفتح الباب ، فادخل تجرد ثعبانين : أحدهما على الشمال والآخر على اليمين ، كل واحد منهما يفتح فاه ويهجمان عليك في الحال . فمدّ إليهم يديك فيعض كل واحد منهما في يد وإن خالفت قتلاك . ثم ادخل إلى الباب السابع واطرقه تخرج لك أمك وتقول لك : مرحباً يا ابني قدم حتى أسلم عليك . فقل لها : خليكبي بعيداً عني واخليني ثيابك . فتقول لك : يا ابني أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية كيف تعزيتني ؟ فقل لها : إن لم تجلعي ثيابك قتلتك . وانظر جهة يمينك تجرد سيفاً معلّقاً في الحيط فخذها واسحبها عليها وقل لها : إخليني . فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها . فكلما تخلع لك شيئاً قل لها : إخلي الباقي . ولم تزل تهدّها بالقتل حتى تخلع لك جميع ما عليها وتسقط . وحينئذ قد حللت الرموز وأبطلت الارصاد وقد أمنت على نفسك . فادخل تجرد الذهب كيماً داخل الكنز فلا تعتن بشيء منه وإنما ترى مقصورة في صدر الكنز وعليها ستارة ، فاكشف الستارة فإني ترى

الكهين الشمردل راقداً على سرير من الذهب وعلى رأسه شيء مدور يلمع مثل القمر فهو دائرة الفلك وهو مقلد بالسيف وفي إصبعه خاتم وفي رقبته سلسلة فيها مكحلة . فهات الأربع ذخائر وإياك أن تنسى شيئاً مما أخبرتك به ولا تخالف فتندم ويخشى عليك . ثم كرر عليه الوصية ثانياً وثالثاً ورابعاً حتى قال : حفظت . لكن من يستطيع أن يواجه هذه الأرصاء التي ذكرتها ويصبر على هذه الأهوال العظيمة ؟ فقال له : يا جودر لا تخف إنهم أشباح من غير أرواح وصار يطمئنه . فقال جودر : توكلت على الله . ثم إن المغربي عبد الصمد القى البخور وصار يعزم مدة وإذا بالماء قد ذهب وبانت أرض النهر وظهر باب الكنز . فنزل إلى الباب وطرقه فسمع قائلاً يقول : من يطرق أبواب الكنوز ولم يعرف أن يحل الرموز ؟ فقال : أنا جودر بن عمر . فانفتح الباب وخرج له الشخص وجرد السيف وقال له : مد عنقك . فمد عنقه وضربه ثم وقع وكذلك الباب الثاني إلى أن أبطل أرساء السبعة أبواب وخرجت أمه وقالت له : سلامات يا ولدي . فقال لها : أنت أي شيء ؟ قالت : أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية وحملتك تسعة أشهر يا ولدي . فقال لها : إخلعي ثيابك . فقالت : أنت ولدي كيف تعريني ؟ قال لها : إخلعي وإلا أرمي رأسك بهذا السيف . ومد يده فأخذ السيف وشهره عليها وقال لها : إن لم تخلعي تقتلك . وطال بينها وبينه العلاج . ثم إنه لما أكثر عليها التهديد خلعت شيئاً فقال : إخلعي الباقي . وعالجها كثيراً حتى خلعت شيئاً آخر . ولا زال على هذه الحالة وهي تقول له : يا ولدي خابت فيك التربية حتى لم يبقَ عليها غير اللباس . فقالت : يا ولدي هل قلبك حجر ؟ فتفضحني بكشف العورة ؟ يا ولدي أما هذا حرام ؟ فقال : صدقت فلا تخلعي اللباس . فلما نطق بهذه الكلمة صاحت وقالت : قد غلط فاضربوه . فنزل عليه ضرب مثل قطر المطر واجتمعت عليه خدام الكنز فاضربوه علقه لم ينسها في عمره، ودفعوه فرموه خارج باب الكنز وانغلقت أبواب الكنز كما كانت . فلما رموه خارج الباب أخذه المغربي في الحال وجرت المياه كما كانت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن جودراً لما ضربه خدام الكنوز ورموه خارج الباب وانغلقت الأبواب وجرى النهر كما كان أولاً . قام عبد الصمد المغربي وقرأ على جودر حتى أفاق وصحا من سكرته فقال له : أي شيء عملت يا مسكين ؟ فقال له : أبطلت الموانع كلها ووصلت إلى أمي ووقع بيني وبينها معالجة طويلة وصارت يا أخي تخلع ثيابها حتى لم يبقَ عليها إلا اللباس . فقالت لي : لا تفضحني فإن كشف العورة حرام . فتركت لها اللباس شفقة عليها . وإذا بها صاحت وقالت : قد غلط فاضربوه . فخرج لي ناس لا أدري أين كانوا ثم إنهم ضربوني علقه حتى أشرفت على الموت ودفعوني ولم أدري بعد ذلك ما جرى لي . فقال له : أما قلت لك لا تخالف ؟ قد أسأتني وأسأت نفسك ، فلو خلعت لباسها كنا بلغنا المراد . ولكن حينئذ تقيم عندي إلى العام القابل لمثل هذا اليوم . ونادى العبدان في الحال فحلا الخيمة وحملها ثم غابا قليلاً ورجعا بالبعثتين ، فركب كل واحد بغلة ورجعا إلى مدينة فاس . فأقام عنده في أكل طيب وشرب طيب وكل يوم يلبسه حلة فاخرة إلى أن فرغت السنة وجاء ذلك اليوم . فقال له المغربي : هذا هو اليوم الموعود فامض بنا . قال له : نعم . فآخذه إلى خارج المدينة

فلما كانت الليلة
615
الليلة
الليلة

فرايا العبدین بالبغلتین ثم ركباً إلى أن وصلاً عند النهر . فنصب العبدان الخيمة وفرشاها وأخرج السفرة فتغديا . وبعد ذلك أخرج القصبه والألواح مثل الأول وأوقد النار واحضر له البخور وقال : يا جودر ، مرادي أن أوصيك . فقال له : يا سيدي الحاج ، إن كنت نسيت العلقه أكون نسيت الوصية . فقال له : هل أنت حافظ الوصية ؟ قال : نعم . قال : إحفظ روحك ولا تظن أن المرأة أمك وإنما هي رصد في صورة أمك ومرادها أن تغلظك ، وإن كنت أول مرة طلعت حياً فإنك في هذه المرة إن غلظت يرمونك مقتولاً . قال : إن غلظت أستحق أن يحرقوني . ثم إن المغربي وضع البخور وعزم فنشف النهر . فتقدم جودر إلى الباب وطرقه فانفتح وأبطل الأرصاء السبعة إلى أن وصل إلى أمه فقالت له : مرحباً يا ولدي . فقال لها : من أين أنا ولدك يا ملعونه ؟ إخلعي . فجعلت تخادعه وتخلع شيئاً بعد شيء حتى لم يبق غير اللباس . فقال : إخلعي يا ملعونه . فخلعت اللباس وصارت شبحاً بلا روح . فدخل ورأى الذهب كيماً فلم يعتن بشيء ثم أتى المقصورة ورأى الكهين الشمردل راقداً متقلداً بالسيف والخاتم في إصبعه والمكحلة على صدره ورأى دائرة الفلك فوق رأسه . فتقدم وفك السيف وأخذ الخاتم ودائرة الفلك والمكحلة وخرج . وإذا بنوبة دقت له وصار الخدام ينادون : هنيئ بما أعطيت يا جودر . ولم تنزل النوبة تدق إلى أن خرج من الكنز ووصل إلى المغربي . فأبطل العزيمة والبخور وقام وحضنه وسلم عليه وأعطاه جودر الأربع ذخائر . فأخذها وصاح على العبدین فأخذوا الخيمة ورداها ورجعا بالبغلتين فركباهما ودخلا مدينة فاس . فأحضر الخرج وجعل يطلع منه الصحون وفيها الألوان وكملت قدامه سفرة وقال : يا أخي يا جودر كل . فأكل حتى اكتفى وفرغ بقية الأطعمة في صحون غيرها ورد الفوارغ في الخرج . ثم إن المغربي عبد الصمد قال : يا جودر ، أنت فارقت أرضك وبلادك من أجلنا وقضيت حاجتنا وصار لك علينا أمنية ، فتمن ما تطلب فإن الله تعالى أعطاك ونحن السبب ، فاطلب مرادك ولا تستحي فإنك تستحق . فقال : يا سيدي ، تمنيت على الله ثم عليك أن تعطيني هذا الخرج . قال : هات الخرج فجاء به . قال : خذه فإنه حقك ولو كنت تمنيت غيره لأعطيناك إياه . ولكن يا مسكين هذا ما يفيدك غير الأكل وأنت تعبت معنا ونحن وعدناك أن نرجعك إلى بلادك مجبور الخاطر ، والخرج هذا تأكل منه ونعطيك خرجاً آخر ملاناً من الذهب والجواهر ونوصلك إلى بلادك فتصير تاجراً . واكس نفسك وعيالك ولا تحتاح إلى مصروف وكل أنت وعيالك من هذا الخرج . وكيفية العمل به أنك تمد يدك فيه وتقول : بحق ما عليك من الأسماء العظام يا خادماً هذا الخرج أن تأتيني باللون الفلاني . فإنه يأتيك بما تطلبه ولو طلبت كل يوم ألف لون . ثم إنه أحضر عبداً ومعه بغلة وملا له خرجاً عيناً بالذهب وعيناً بالجواهر والمعادن وقال له : إركب هذه البغلة والعبد يمشي قدامك فإنه يعرفك الطريق إلى أن يوصلك إلى باب دارك ، فإذا وصلت فخذ الخرجين وأعطه البغلة فإنه يأتي بها ولا تظهر أحداً على سرك واستودعناك الله . فقال له : كثر الله خيرك . وحط الخرجين على ظهر البغلة وركب ، والعبد مشى قدامه وصارت البغلة تتبع العبد ذلك النهار وطول الليل . وثاني يوم في الصباح دخل من باب النصر فرأى أمه قاعدة تقول : شيئاً لله . فطار عقله ونزل من فوق ظهر البغلة ورمى روحه عليها . فلما رآته بكت . ثم إنه ركبها ظهر البغلة ومشى في ركابها إلى أن وصل إلى البيت ، فنزل أمه وأخذ الخرجين وترك البغلة للعبد فأخذها وراح لسيدته لأن العبد شيطان والبغلة شيطان . وأما ما

كان من جودر فإنه صعب عليه كون أمه تسأل . فلما دخل البيت قال لها : يا أمي ، هل أخوأي طيبان ؟ قالت : طيبان . قال : لاي شيء تسألين في الطريق ؟ قالت : يا ابني من جوعي . قال : أنا اعطيتك قبل ما أسافر مائة دينار في أول يوم ومائة دينار ثاني يوم وأعطيتك ألف دينار يوم سافرت . فقالت : يا ولدي ، قد مكرا بي وأخذها مني وقالوا : مرادنا أن نشترى بها سبباً . فأخذها وطرّداني ، فصرت أسأل في الطريق من شدة الجوع . فقال : يا أمي ، ما عليك بأس حيث جئت فلا تحملي همّاً أبداً . هذا خرج ملآن ذهباً وجواهر والخير كثير . فقالت له : يا ولدي أنت مسعد ، الله يرضى عليك ويزيدك من فضله . قم يا ابني هات لنا عيشاً فأني بايئة بشدة الجوع من غير عشا ء . فضحك وقال لها : مرحباً بك يا أمي ، فاطلبي أي شيء تأكلينه وأنا أحضره في هذه الساعة ولا احتاج لشراء من السوق ولا احتاج لمن يطبخ . فقالت : يا ولدي ما أنا ناظرة معك شيئاً ؟ فقال : معي في الخرج من جميع الألوان . فقالت : يا ولدي كل شيء حضر يسد . قال : صدقت . فعند عدم الموجود يقنع الإنسان بأقل الشيء ، وأما إذا كان الموجود حاضراً فإن الإنسان يشتهي أن يأكل من الشيء الطيب ، وأنا عندي الموجود فاطلبي ما تشتهين . قالت له : يا ولدي عيشاً سخناً وقطعة جبن . فقال : يا أمي ما هذا من مقامك ؟ فقالت له : أنت تعرف مقامي فالذي من مقامي أطعمني منه . فقال : يا أمي أنت من مقامك اللحم المحمّر والفراخ المحمّرة والأرز المقلقل ، ومن مقامك المنبار المحشي والقرع المحشي والخاروف المحشي والضلع المحشي والكنافة بالمكسرات والعسل النحل والسكر والقطناف والبقالوة . فظنت أمه أنه يضحك عليها ويسخر منها فقالت له : يوه يوه ، أي شيء جرى لك ؟ هل أنت تحلم وإلاّ جننت ؟ فقال لها : من أين علمت أنني جننت ؟ قالت له : لأنك تذكر لي جميع الألوان الفاخرة ، فمن يقدر على ثمنها ؟ ومن يعرف أن يطبخها ؟ فقال لها : وحياتي لا بد أن أطعمك من جميع الذي ذكرته لك في هذه الساعة . فقالت له : أنا ناظرة شيئاً . فقال لها : هاتي الخرج . فجاءت له بالخرج وجسّته فرأته فارغاً وقدمته إليه . فصار يمد يده ويخرج صحوناً ملآنة حتى أنه أخرج لها جميع ما ذكره . فقالت له أمه : يا ولدي ، إن الخرج صغير وكان فارغاً وليس فيه شيء وقد أخرجت منه هذا كله . فهذه الصحون أين كانت ؟ فقال : يا أمي ، أعلمي أن هذا الخرج أعطانيه المغربي وهو مرصود وله خادم إذا أراد الإنسان شيئاً وتلا عليه الأسماء وقال : يا خادم هذا الخرج هات لي اللون الفلاني فإنه يحضره . فقالت له أمه : هل أمديدي وأطلب منه ؟ قال : مدي يدك . فمدت يدها وقالت : بحق ما عليك من الأسماء يا خادم هذا الخرج أن تجيء لي بضلع محشي . فرأت الصحن صار في الخرج ، فمدت يدها فأخذته فوجدت فيه ضلعاً محشياً نقيساً . ثم طلبت العيش وطلبت كل شيء أرادته من أنواع الطعام . فقال لها : يا أمي ، بعد أن تفرغي من الأكل افرغي بقية الأطعمة في صحون غير هذه الصحون وارجمي الفوارغ في الخرج فإن الرصد على هذه الحالة ، واحفظي الخرج . فنقلت الخرج وحفظته وقال لها : يا أمي ، اكتمي السر وابقه عندك وكلما احتجتني لشيء أخرجيه من الخرج وتصدقي واطعمي أخوي سواء كان في حضورني أو في غيابي . وجعل يأكل هو وإياها وإذا بأخويه داخلان عليه وكان بلغهم الخبر من رجل من أولاد حارته وقال لهم : أخوكم أتى وهو راكب على بغلة وقدامه عبد وعليه حلة ليس لها نظير . فقالا لبعضهما : يا ليتنا ما كنا شوشنا على أمنا ، لا بد أنها تخبره بما عملنا فيها ، يا فضيحتنا منه . فقال واحد منهما : أمنا

شفيقة ، فإن أخبرته فإن أخونا أشفق منها علينا وإذا اعتذرتنا إليه يقبل عذرتنا . ثم دخلا عليه فقام لهما على الأقدام وسلّم عليهما غاية السلام وقال لهما : اقعدا وكلا . فقعدا وأكلا وكانا ضعيفين من الجوع فما زالا ياكلان حتى شبعوا . فقال لهما جودر : يا أخوي ، خذا بقية الطعام وفرّقاها على الفقراء والمساكين . فقالا له : يا أخانا خله لتتعشى به . فقال لهما : وقت العشاء يأتيكما أكثر منه . فأخرجوا بقية الأطعمة وصارا كل فقير جاز عليهما يقولان له : خذ وكُل حتى لم يبق شيء . ثم ردا الصحون فقالا لأمه : حطّيهما في الخرج . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
616
قال لهما :
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً لما خلص أخواه من
الغداء قال لأمه : حطّيهما في الخرج . وعند المساء دخل القاعة
وأخرج من الخرج سماطاً أربعين لوناً وطلع . فلما جلس بين أخواه
قال لأمه : هاتي العشاء . فلما دخلت رأت الصحون ممتلئة فحطت
السفرة ونقلت الصحون شيئاً بعد شيء حتى كملت الأربعين صحناً .

فتعشوا وبعد العشاء قال : خذوا واطعموا الفقراء والمساكين . فأخذوا بقية الأطعمة وفرقوها . وبعد العشاء أخرج لهم حلويات فاكلوا منها والذي فضل منهم قال : اطعموه للجيران . وفي ثاني يوم الفطور كذلك . وما زالوا على هذه الحالة مدة عشرة أيام . ثم قال سالم لسليم : ما سبب هذا الأمر؟ إن أخانا يخرج لنا ضيافة في الصباح وضيافة في الظهر وضيافة في المغرب وفي آخر الليل حلويات ، وكل شيء فضل يفرّقه على الفقراء وهذا فعل السلاطين . ومن أين أتته هذه السعادة؟ ألا تسأل عن هذه الأطعمة المختلفة وعن هذه الحلويات؟ وكل شيء فضل يفرّقه على الفقراء والمساكين ولا نراه يشتري شيئاً أبداً ولا يوقد ناراً وليس له مطبخ ولا طبّاخ . فقال له أخوه : والله لا أدري ، ولكن هل تعرف من يخبرنا بحقيقة هذا الأمر؟ قال له : لا يخبرنا إلا أمانا . فذبرا لهما حيلة ودخلا على أمهما في غياب أخيهما وقالا : يا أمانا نحن جائعان . فقالت لهما : ابشرا . ودخلت القاعة فطلبت من خادم الخرج وأخرجت لهما أطعمة سخنة . فقالا : يا أمانا هذا الطعام سخن وأنت لم تطبخي ولم تنفخي . فقالت لهما : إنها من الخرج . فقالا لها : أي شيء هذا الخرج؟ فقالت لهما : إن الخرج مرصود والطلب من الرصد . وأخبرتاهما بالخبر وقالت لهما : اكتما السر . فقالا لها : السر مكتوم يا أمانا ، ولكن علّمينا كيفية ذلك . فعلمتهما وصارا يمدان أيديهما ويخرجان الشيء الذي يطلبانه وأخوهما ما عنده خبر بذلك . فلما علما بصفة الخرج قال سالم لسليم : يا أخوي ، إلى متى ونحن عند جودر في صفة الخدامين ونأكل صدقته؟ ألا نعمل عليه حيلة ونأخذ هذا الخرج ونفوز به؟ فقال : كيف تكون الحيلة؟ قال : نبيع أخانا لرئيس بحر السويس . فقال له : وكيف نصنع حتى نبيعه؟ فقال : أروح أنا وأنت لذلك الرئيس ونعزمه مع اثنين من جماعته والذي أقوله لجودر تصدقني عليه ، وآخر الليل أريك ما أصنع . ثم اتفقا على بيع أخيهما وراحا بيت رئيس بحر السويس ودخل سالم وسليم على الرئيس وقالوا له : يا رئيس ، جئتاك في حاجة تسرك . فقال : خيراً . قالوا له : نحن أخوان ولنا أخ ثالث معكوس لا خير فيه ، ومات أبونا وخلف لنا جانباً من المال . ثم إننا قسمنا المال وأخذ هو ما نابه من الميراث فصرفه في الفسق والفساد ، ولما افتقر تسلط علينا وصار يشكونا إلى الظلمة ويقول : أنتما أخذتما مالي ومال أبي . وبقينا نترافع إلى الحكام وخسرنا المال وصبر علينا مدة واشتكانا ثانياً حتى أفقرنا ولم

يرجع عنا وقد قلنا منه . والمراد أنك تشتريه منا . فقال لهما : هل تقدران أن تحتالا عليه وتأتيه به إلى هنا؟ وأنا أرسله سريعاً إلى البحر . فقالا : ما نقدر أن نحجيء به ، ولكن أنت تكون ضيفنا وهات معك اثنين من غير زيادة فلما ينام نتعاون عليه نحن الخمسة فنقبضه ونجعل في فمه العقلة وتأخذه تحت الليل وتخرج به من البيت وافعل فيه ما شئت . فقال لهما : سمعاً وطاعة . أتبعانه باربعين ديناراً؟ فقالا له : نعم . وبعد العشاء تأتي الحارة الفلانية فتجد واحداً منا ينتظركم . فقال لهما : روحا . فقصدا جودر وصبوا ساعة ثم تقدم إليه سالم وقبّل يده . فقال له : ما لك يا أخي؟ فقال له : أعلم أن لي صاحباً وعزمي مرات عديدة في بيته في غيابك وله علي ألف جميلة ودائماً يكرمني بعلم أخي . فسلمت عليه اليوم فعزمي فقلت له : أنا ما أقدر أن أفارق أخي . فقال : هاته معك . فقلت : لا يرضى بذلك ، ولكن إن كنت تضيفنا أنت وأخوتك ، وكانا أخوته جالسين عنده فعزمتهم وقد ظننت أنني أعزمهم ويمتنعوا . فلما عزمته هو وأخوته رضي وقال : انتظرني على باب الزاوية وأنا أجيء بإخوتي . فانا خائف أن يجيء ومستحي منك . فهل تجبر خاطري وتضيفهم في هذه الليلة؟ وأنت خيرك كثير يا أخي . وإن كنت لم ترض فأذن لي أن أدخلهم بيت الجيران . فقال له : لأي شيء تدخلهم بيت الجيران؟ فهل بيتنا ضيقاً وما عندنا شيء نعشّهم به؟ عيب عليك أن تشاورني ، ما لك إلا أطعمه طيبة وحلاويات إلى أن يفضل عنهم . وإن جئت بناس وكنت أنا غائباً فاطلب من أمك تخرج لك اطعمة بزيادة . رح هاتهم حلت علينا البركات . فقبّل يده وراح فقعد على باب الزاوية لبعث العشاء وإذا بهم قد أقبلوا عليه ، فأخذهم ودخل بهم البيت . فلما رأهم جودر قال لهم : مرحباً بكم ، وأجلسهم وعمل معهم صحبة وهو لا يعلم ما في الغيب منهم . ثم إنه طلب العشاء من أمه فجعلت تخرج من الخرج وهو يقول : هات اللون الفلاني حتى صار قدامهم أربعون لوناً ، فأكلوا حتى اكتفوا ورفعت السفرة والبحرية يظنون أن هذا الإكرام من عند سالم . فلما مضى ثلث الليل أخرج لهم الحلاويات ، وسالم هو الذي يخدمهم وجودر وسليم قاعدان إلى أن طلبوا المنام . فقام جودر نام وناموا حتى غفل ، وقاموا وتعاونوا عليه فلم يبق والعقلة في فمه وكتفوه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 617

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً لما أخذه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل أرسلوه إلى السويس وحطوا في رجليه القيد وأقام يخدم وهو ساكت . ولم يزل يخدم خدمة الأسارى والعبيد سنة كاملة . هذا ما كان من أمر جودر . وأما ما كان من أمر أخويه فإنهما لما أصبحا دخلا على أمهما وقالوا لها : يا أمنا ، إن أخانا جودر لم يستيقظ . فقالت لهما : أيقظاه . قالوا لها : أين راقد؟ قالت لهما : عند الضيوف . قالوا : لعله راح مع الضيوف ونحن نائمان يا أمي ، كان أخانا ذاق الغربة ورغب في دخول الكنوز وقد سمعناه يتكلم مع المغاربة فيقولون له : نأخذك معنا ونفتح لك الكنز . فقالت : هل اجتمع مع المغاربة؟ قالوا لها : أما كانوا ضيوفاً عندنا؟ قالت : لعله راح معهم . ولكن الله يرشد طريقه ، هذا مسعد لا بد أن يأتي بخير كثير . وبكت وعزّ عليها فراقه . فقالوا لها : يا ملعونة ، أتحبين جودر كل هذه المحبة ونحن إن غبنا أو حضرنا فلا تفرحي بنا ولا تحزني علينا . أما نحن ولدناك كما أن جودراً ابنك؟

فقلت : أنتما ولدائي ولكن أنتما شقيان ولا لكما عليّ فضل ، ومن يوم مات أبوكما ما رايت منكما خيراً . وأما جودر فرايت منه خيراً كثيراً وجبر خاطري وأكرمني فيحق لي أن أبكي عليه لأن خيره عليّ وعليكما . فلما سمعا هذا الكلام شتماها وضرباها ودخلا وصارا يفتشان على الخرج حتى عثرا به وأخذا الجواهر من العين الأولى والذهب من العين الثانية والخرج المرصودة . فقالا لها : هذا مال أينا . فقلت : لا والله إنما هو مال أخيكما جودر ، جاء به من بلاد المغاربة . فقالا لها : كذبت بل هذا مال أينا ونحن نتصرف فيه فقسّماه بينهما ، ووقع الاختلاف بينهما في الخرج المرصود . فقال سالم : أنا آخذه . وقال سليم : أنا آخذه . ووقعت بينهما المعاندة . فقلت أمهما : يا ولدائي ، الخرج الذي فيه الجواهر والذهب قسمتماه وهذا لا ينقسم ولا يعادل بمال وإن انقطع قطعتم بطل رصده . ولكن أتركاه عندي وأنا أخرج لكما ما تأكلانه في كل وقت وأرضي بينكما باللقمة ، وإن كسوتما شيئاً من فضلكما وكل منكما يجعل له معاملة مع الناس . وأنتما ولدائي وأنا أمكما وخلونا على حالنا ربما يأتي أخوكما خوف الفضيحة . فما قبلا كلامها وباتا يختصمان تلك الليلة ، فسمعهما رجل قواص من أعوان الملك كان معزوماً في بيت بجنب بيت جودر طاقته مفتوحة ، فطل القواص من الطاقة وسمع جميع الخصام وما قالوه من الكلام والقسمة . فلما أصبح الصباح دخل ذلك الرجل القواص على الملك وكان اسمه شمس الدولة وكان ملك مصر في ذلك العصر . فلما دخل عليه القواص أخبره بما قد سمعه ، فأرسل الملك إلى أخوي جودر وجاء بهما ورماهما تحت العذاب ، فأقرأ وأخذ الخرجين منهما ووضعهما في السجن . ثم إنه عين إلى أم جودر من الجرايات في كل يوم ما يكفيها . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر جودر فإنه أقام سنة كاملة يخدم في السويس ، وبعد السنة كانوا في المركب فخرج عليهم ريح رمى المركب التي هم فيها على جبل فانكسرت وغرق جميع ما فيها ولم يحصل البر إلا جودر والبقية ماتوا . فلما حصل البر سافر حتى وصل إلى نجع عرب فسأله عن حاله ، فأخبرهم أنه كان بحرياً في مركب وحكى لهم قصته . وكان في النجع رجل تاجر من أهل جدة فحنّ عليه وقال له : هل تخدم عندنا يا مصري ؟ وأنا أكسوك وأخذك معي إلى جدة . فخدم عنده وسافر معه إلى أن وصلا إلى جدة فأكرمه كثيراً . ثم إن سيده التاجر طلب الحج فأخذه معه إلى مكة ، فلما دخلها راح جودر ليطوف في الحرم . فبينما هو يطوف وإذا هو بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً لما كان ماشياً بالطواف وإذا هو بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف ، فلما رآه سلّم عليه وسأله عن حاله . فبكى ثم أخبره بما جرى له . فأخذه معه إلى أن دخل منزله وأكرمه وألبسه حلّة ليس لها نظير وقال له : زال عنك الشر يا جودر . وضرب له تخت رمل فبان له الذي جرى لأخويه فقال له : أعلم يا

فلما كانت الليلة
كانت
618
كانت
الليلة

جودر أن أخويك جرى لهما كذا وكذا وهما محبوسان في سجن ملك مصر ، ولكن مرحباً بك حتى تقضي مناسكك ولا يكون إلا خيراً . فقال له : يا سيدي ، حتى أروح أخذ خاطر التاجر الذي أنا عنده وأجيء إليك . فقال : هل عليك مال ؟ قال : لا . فقال : رح خذ بخاطره وتعال في الحال فإن العيش له حق عند أولاد الحلال . فراح وأخذ بخاطر التاجر وقال له : إنني اجتمعت على

أخي . فقال له : رح هاته ونعمل له ضيافة . فقال له : ما يحتاج فإنه من أصحاب النعم وعنده خدم كثير . فأعطاه عشرين ديناراً وقال له : أبرء ذمتي . فودعه وخرج من عنده فرأى رجلاً فقيراً فأعطاه العشرين ديناراً . ثم إنه ذهب إلى عبد الصمد المغربي فأقام عنده حتى قضيا مناسك الحج وأعطاه الخاتم الذي أخرجته من كنز الشمردل وقال له : خذ هذا الخاتم فإنه يبلغك مرادك لأن له خادماً اسمه الرعد القاصف ، فجميع ما تحتاج إليه من حوائج الدنيا فادعك الخاتم يظهر لك الخادم وجميع ما تأمره به يفعله لك . ودعك قدومه فظهر له الخادم ونادى : لبيك يا سيدي أي شيء تطلب فتعطى ، فهل تعمّر مدينة خربة أو تخرب مدينة عامرة أو تقتل ملكاً أو تكسر عسكر؟ فقال له المغربي : يا رعد ، هذا صار سيدك فاستوص به . ثم صرفه وقال : ادعك الخاتم يحضر بين يديك خادمه فأمره بما في مرادك فإنه لا يخالفك وامض إلى بلادك واحفظ عليه فإنك تكيد به أعدائك ولا تجهل مقدار هذا الخاتم . فقال له : يا سيدي ، عن إبتك أسير إلى بلادي . قال له : ادعك الخاتم يظهر لك الخادم فاركب على ظهره ، وإن قلت له أوصلني في هذا اليوم إلى بلادي فلا يخالف أمرك . ثم ودّع جودر عبد الصمد ودعك الخاتم فحضر له الرعد القاصف وقال له : لبيك أطلب تعط . فقال له : أوصلني إلى مصر في هذا اليوم . فقال له : لك ذلك . وحمله وطار به من وقت الظهر إلى نصف الليل ثم نزل به في وسع بيت أمه وانصرف . فدخل على أمه ، فلما رآته قامت وبكت وسلّمت عليه وأخبرته بما قد جرى لأخويه من الملك وكيف ضربهم وأخذ الخرج المرصود والخرج الذهب والجواهر . فلما سمع جودر ذلك لم يهن عليه أخواه فقال لأمه : لا تخزني على ما فاتك ففي هذه الساعة أريك ما أصنع وأجيء بأخوي . ثم إنه دعك الخاتم فحضر له الخادم وقال : لبيك أطلب تعط . فقال له : أمرتك أن تجيء لي بأخوي من سجن الملك . فنزل إلى الأرض ولم يخرج إلّا من وسط السجن . وكان سالم وسليم في أشد ضيق وكرب عظيم من ألم السجن وصاروا يتمنيان الموت وأحدهما يقول للأخر : والله يا أخي قد طالت علينا المشقة ، وإلى متى ونحن في هذا السجن ؟ فالموت فيه راحة لنا . فبينما هما كذلك وإذا بالأرض انشقت وخرج لهما الرعد القاصف وحمل الإثنين ونزل بهما في الأرض ، فغشي عليهما من شدة الخوف . فلما أفقا وجدا أنفسهما في بيتهما ورأيا أخاهما جودر جالساً وأمّه في جانبه فقال لهما : سلامات يا أخوي أنستماني . فطاطاً وجهيهما في الأرض وصاروا يبكيان . فقال لهما : لا تبكيا ، فالشيطان والطمع الجأكما إلى ذلك . وكيف تبيعاني ؟ ولكن أتسل بيوسف فإنه فعل به أخوته أبلغ من فعلكم معي حيث رموه في الجب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت ليلة 619

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جودراً قال لأخويه : كيف فعلتما معي هذا الأمر؟ ولكن توبا إلى الله واستغفراه فيغفر لكما وهو الغفور الرحيم ، وقد عفوت عنكما ومرحّباً بكما ولا بأس عليكم . وجعل يأخذ بخواطرهما حتى طيّب قلوبهما وصار يحكي لهما جميع ما قاساه في السويس إلى أن اجتمع بالشيخ عبد الصمد وأخبرهما بالخاتم . فقالا : يا أخانا لا تؤاخذنا في هذه المرة ، إن عدنا لما كنا فيه فافعل بنا مرادك . فقال : لا بأس ، ولكن أخبران بما فعل بكما الملك . فقالا : ضربنا وهددنا وأخذ الخرجين منا . فقال : أما يبالي ؟ ودعك

الخاتم فحضر له الخادم . فلما رآه أخواه خافا منه وظنّآ أنه يأمر الخادم بقتلهما فذهبا إلى أمهما وصارا يقولان : يا أمنا، نحن في عرضك يا أمنا إشفعي فينا . فقالت لهما : يا ولدي لا تخافا . ثم إنه قال للخادم : أمرتك أن تأتيني بجميع ما في خزانة الملك من الجواهر وغيرها ولا تبق فيها شيئا، وتأتي بالخرج المرصود والخرج الجواهر اللذين أخذهما الملك من أخوي . فقال : السمع والطاعة . وذهب في الحال وجمع ما في الخزانة وجاء بالخرجين بأمانتهما ووضع جميع ما كان في الخزانة قدام جودر وقال : يا سيدي ، ما أبقيت في الخزانة شيئا . فأمر أمه أن تحفظ خرج الجواهر وحطّ الخرج المرصود قدامه وقال للخادم : أمرتك أن تبني لي في هذه الليلة قصرأ عالياً وتزوّقه بماء الذهب وتفرشه فرشاً فاخراً ولا يطلع النهار إلآ وأنت خالص من جميعه . فقال له : لك ذلك . ونزل في الأرض وبعد ذلك أخرج جودر الأطعمة وأكلوا وانبسطوا وناموا . وأما ما كان من أمر الخادم فإنه جمع أعوانه وأمر ببناء القصر . فصار البعض منهم يقطع الأحجار والبعض يبني والبعض يبيض والبعض ينقش والبعض يفرش ، فما طلع النهار حتى تم انتظام القصر . ثم طلع الخادم إلى جودر وقال : يا سيدي ، إن القصر كمل وتمّ نظامه فإن كنت تطلع تتفرّج عليه فاطلع . فطلع هو وأمّه وأخواه فراوا هذا القصر ليس له نظير ، يحير العقول من حسن نظامه . ففرح به جودر ، وكان على قارعة الطريق ومع ذلك لم يتكلّف عليه شيء . فقال لأمه : هل تسكنين في هذا القصر ؟ فقالت : يا ولدي أسكن ودعت له . فدعك الخاتم وإذا بالخادم يقول : ليك . فقال له : أمرتك أن تأتيني بأربعين جارية بيض ملاح وأربعين جارية سود وأربعين مملوكاً وأربعين عبداً . فقال : لك ذلك . وذهب مع أربعين من أعوانه إلى بلاد الهند والسند والعجم وصاروا كلما يروا بنتاً جميلة يخطفونها أو غلاماً يخطفونه وأنفذ أربعين . فجاؤوا بجوار سود ظراف وأربعين جاؤوا بعبيد وأتى الجميع دار جودر فملأوها . ثم عرضهم على جودر فأعجبوه فقال : هات لكل شخص حلة من أفخر الملبوس . قال : حاضر . وقال : هات حلة تلبسها أمي وحلة البسها أنا . فأتى بالجميع والبس الجواري وقال لهم : هذه سيدتكم فقبلوا يدها ولا تخالفوها واخدموها بيضاً وسوداً . ولبس الممالك وقبلوا يد جودر ، ولبس أخواه . وصار جودر كناية عن ملك وأخواه مثل الوزراء . وكان بيته واسعاً فأسكن سالمأ وجواريه في جهة وسليماً وجواريه في جهة وسكن هو وأمّه في القصر الجديد وصار كل منهم في محله مثل السلطان . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر خازندار الملك فإنه أراد أن يأخذ بعض مصالح من الخزانة فدخل فلم يرَ فيها شيئاً بل وجدها كقول من قال : [من البسيط]

كَانَتْ خَلِيَّاتُ نَحْلِ وَهِيَ عَامِرَةٌ لَمَّا خَلَى نَحْلُهَا صَارَتْ خَلِيَّاتٍ

فصاح صبيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه . فلما أفاق خرج من الخزانة وترك بابها مفتوحاً ودخل على الملك شمس الدولة وقال : يا أمير المؤمنين ، الذي نعلمك به أن الخزانة فرغت في هذه الليلة . فقال الملك : ما صنعت بأموالي التي في خزانتني ؟ فقال : والله ما صنعت فيها شيئاً ولا أدري ما سبب فراغها . بالأمس دخلتها فرأيتها ممتلئة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة ليس فيها شيء والأبواب مغلوقة ولا نقبت ولا كسرت ضبتها ولم يدخلها سارق . فقال له : هل راح منها الحرجان ؟ فقال : نعم . فطار عقله من رأسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن خازن دار الملك لما دخل عليه وأعلمه أن ما في الخزانة ضاع وكذلك الخرجان، طار عقله من رأسه وقام على قدميه. ثم إنه قال للخازن دار: إمض قدامي. فمضى وتبعه الملك حتى أتيا الخزانة فلم يجد فيها شيئاً. فانقهر الملك وقال: من سطا على خزانتني ولم يخف من سطوتي؟ وغضب غضباً شديداً ثم خرج ونصب الديوان، فجاءت أكابر العساكر وصار كل منهم يظن أن الملك غضبان عليه فقال: يا عساكر أعلموا أن خزانتني انتهبت في هذه الليلة ولم أعلم من فعل هذه الفعال وسطا عليّ ولم يخف مني؟ فقالوا: وكيف ذلك؟ فقال: إسألوا الخازن دار. فسألوه قال الخازن دار: بالأمس كانت ممتلئة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة ولم تنقب ولم يكسر بابها. فتعجب جميع العسكر من هذا الكلام. فلم يحصل ردّ الجواب من العسكر إلا والقواص الذي نَم سابقاً على سليم وسالم داخل على الملك وقال: يا ملك الزمان، طول الليل وأنا أتفرّج على بنائين يبنون. فلما طلع النهار رايت قصرأ مبنياً ليس له نظير فسألت فليل لي: إن جودر أتى وبني هذا القصر وعنده ممالك وعبيد وجاء بأموال كثيرة وخلص أخويه من السجن وهو في داره كأنه سلطان. فقال الملك: انظروا السجن. فنظروه فلم يروا سالماً وسليماً فرجعوا وأعلموه بما جرى. فقال الملك: بأنّ غريمي، فالذي خلص سالماً وسليماً من السجن هو الذي أخذ مالي. فقال الوزير: يا سيدي من هو؟ قال: أخوهم جودر وأخذ الخرجين، ولكن يا وزير أرسل له أميراً بخمسين رجلاً يقبضون عليه وعلى أخويه ويضعون الختم على جميع ماله ويأتوني بهم حتى أشنقهم. وقد غضب غضباً شديداً وقال: هيا بالعجل إبعث لهم أميراً يأتيني بهم لأقتلهم. قال له الوزير: إحلم فإن الله حلیم لا يعجل على عبده إذا عصاه، فإن الذي يكون بنى قصرأ في ليلة واحدة كما قالو لم يقس عليه أحد في الدنيا، وإنني أخاف على الأمير أن يجري له مشقة من جودر. فاصبر حتى أدبر لك تدبيرأ وتنظر حقيقة الأمر والذي في مرادك أنت لاحقه يا ملك الزمان. فقال الملك: دبر لي تدبيرأ يا وزير. قال له: أرسل له الأمير واعزمه ثم إنني أتقيد لك به وأظهر له الود وأسأله عن حاله وبعد ذلك ننظر إن كان عزمه شديداً نحتال عليه بحيلة وإن كان عزمه ضعيفاً فاقبض عليه وافعل به مرادك. فقال الملك: أرسل اعزمه. فأمر أميرأ اسمه الأمير عثمان أن يروح إلى جودر ويعزمه ويقول له: الملك يدعوك للضيافة. وقال له الملك: لا تجيء إلا به. وكان ذلك الأمير أحمق متكبرأ في نفسه. فلما نزل رأى قدام باب القصر طواشياً جالساً على كرسي في باب القصر. فلما وصل الأمير عثمان إلى القصر لم يقم له وكأنه لم يكن مقبلاً عليه أحد. ومع ذلك كان مع الأمير عثمان خمسون رجلاً. فوصل الأمير عثمان وقال له: يا عبد أين سيدك؟ قال له: في القصر، وصار يكلمه وهو متكىء. فغضب الأمير عثمان وقال له: يا عبد النحس أما تستحي مني وأنا أكلمك وأنت مضطجع مثل العلوق؟ فقال له: إمشي لا تكن كثير الكلام. فما سمع منه هذا الكلام حتى امتزج بالغضب وسحب الدبوس وأراد أن يضرب الطواشي ولم يعلم أنه شيطان. فلما رآه سحب الدبوس قام واندفع عليه وأخذ منه الدبوس وضربه به أربع ضربات. فلما رآه الخمسون رجلاً صعّب عليهم ضرب سيدهم فسحبوا السيوف وأرادوا أن يقتلوا العبد فقال لهم: أتسحبون السيوف يا كلاب؟ وقام عليهم وصار كل من لطشه دبوساً يهشمه ويغرقه في الدم.

فانهزموا قدامه ولا زالوا هارين وهو يضربهم إلى أن بعدوا عن باب القصر، ورجع وجلس على كرسيه ولم يبال بأحد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الطواشي لما شئت الأمير عثمان تابع الملك وجماعته إلى أن أبعدهم عن باب دار جودر، ورجع وجلس على الكرسي عند باب القصر ولم يبال بأحد. وأما ما كان من أمر الأمير عثمان وجماعته فإنهم رجعوا منهزمين مضروبين إلى أن وقفوا قدام الملك شمس الدولة وأخبروه بما جرى لهم . وقال الأمير عثمان للملك :

فلما كانت الليلة
والليل
621
الليلة
الليلة

يا ملك الزمان لما وصلت إلى باب القصر رأيت طواشياً جالساً في الباب على كرسي من الذهب وهو متكبر، فلما رأني مقبلاً عليه اضطجع بعد أن كان جالساً واحتقرني ولم يقم لي . فصرت أكلمه فيجيني وهو مضطجع ، فأخذتني الحدة وسحبت عليه الدبوس وأردت ضربه فأخذ الدبوس مني وضربني به وضرب جماعتي وبطحهم وهربنا من قدامه ولم نقدر عليه . فحصل للملك غيظ وقال : ينزل إليه مائة رجل . فنزلوا إليه وأقبلوا عليه ، فقام لهم بالدبوس ولا زال يضرب فيهم حتى هربوا من قدامه ورجع وجلس على الكرسي . فرجع المائة رجل ولما وصلوا إلى الملك أخبروه وقالوا له : يا ملك الزمان، هربنا من قدامه خوفاً منه . فقال الملك : تنزل مائتان . فنزلوا فكسرهم ثم رجعوا . فقال الملك للوزير : ألزمتك أيها الوزير أن تنزل بخمسمائة رجل وتأتيني بهذا الطواشي سريعاً وتأتي بسيدة جودر وأخويه . فقال له : يا ملك الزمان، لا احتاج لعسكر بل أروح إليه وحدي من غير سلاح . فقال له : رح وافعل الذي تراه مناسباً . فرمى الوزير السلاح ولبس حلة بيضاء وأخذ في يده سبحة ومشى وحده من غير ثاب حتى وصل إلى قصر جودر فرأى العبد جالساً . فلما رآه أقبل عليه من غير سلاح وجلس جنبه بأدب ثم قال : السلام عليكم . فقال : وعليك السلام يا إنسي ، ما تريده ؟ فلما سمعه يقول : يا إنسي . علم أنه من الجن وارتعش من خوفه فقال له : يا سيدي، هل سيدك جودر هنا ؟ قال : نعم في القصر . فقال له : يا سيدي إذهب إليه وقل له : إن الملك شمس الدولة يدعوك وعامل لك ضيافة ويقرؤك السلام ويقول لك : شرف منزله وكل ضيافته . فقال له : قف أنت هنا حتى أشاوره . فوقف الوزير مؤدباً وطلع المارد القصر وقال لجودر : أعلم يا سيدي أن الملك أرسل إليك أميراً فضربته وكان معه خمسون رجلاً فهزمتهم ، ثم إنه أرسل مائة رجل فضربتهم ، ثم أرسل مئتا رجل فهزمتهم ، ثم أرسل إليك الوزير من غير سلاح يدعوك إليه لتأكل ضيافته ، فماذا تقول ؟ فقال له : رح هات الوزير إلى هنا . فنزل من القصر وقال له : يا وزير كلم سيدي . فقال : على الرأس . ثم إنه طلع ودخل على جودر فرآه أعظم من الملك جالساً على فرش لا يقدر الملك أن يفرش مثله ، وتحير فكره من حسن القصر ومن نقشه وفرشه حتى كان الوزير بالنسبة إليه فقير ، فقَبِل الأرض ودعا له . فقال له : ما شأنك أيها الوزير ؟ فقال له : يا سيدي إن الملك شمس الدولة حبيك يقرؤك السلام ومشتاق إلى النظر لوجهك وقد عمل لك ضيافة فهل تجبر خاطره ؟ فقال جودر : حيث كان حبيبي فسلم عليه وقل له يجيء هو عندي . فقال له : على الرأس . وأخرج الخاتم ودعكه فحضر الخادم فقال له : هات لي حلة من خيار الملبوس . فأحضر له حلة فقال : لبس هذه يا وزير فلبسها . ثم قال له : رح أعلم الملك بما قلته . فنزل لابساً تلك الحلة التي لم

يلبس مثلها، ثم دخل على الملك وأخبره بحال جودر وشكر القصر وما فيه وقال: إن جودر عزمك. فقال: قوموا يا عسكري. فقاموا كلهم على الأقدام. وقال: إركبوا خيلكم وهاتوا لي جوادي حتى نروح إلى جودر. ثم إن الملك ركب وأخذ العساكر وتوجهوا إلى بيت جودر. وأما جودر فإنه قال للمارد: مرادي أن تحيي لنا من أعوانك بعفاريت في صفة الإنس يكونون عسكرياً ويقفون في ساحة البيت حتى يراهم الملك فيرعبونه ويفزعونه، فيرتجف قلبه ويعلم أن سطوتي أعظم من سطوته. فأحضر مائتين في صفة عسكري متقلدين بالسلاح الفاخر وهم شداد غلاظ. فلما وصل الملك رأى القوم الشداد الغلاظ فخاف قلبه منهم. ثم إنه طلع القصر ودخل على جودر فرآه جالساً جلسة لم يجلسها ملك ولا سلطان، فسلم عليه وتمتى بين يديه وجودر لم يقم له ولا يعمل له مقاماً ولم يقل له إجلس بل تركه واقفاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جودراً لما دخل عليه الملك لم يقم له ولم يعتبره ولم يقل له إجلس بل تركه واقفاً حتى داخله الخوف، فصار لا يقدر أن يجلس ولا أن يخرج وصار يقول في نفسه: لو كان خائفاً مني ما كان تركني عن باله وربما يؤذيني بسبب ما فعلت مع أخويه. ثم إن جودر قال: يا ملك الزمان، ليس شأن مثلكم أن يظلم الناس ويأخذ أموالهم. فقال له: يا سيدي لا تؤاخذني، فإن الطمع أحوجني إلى ذلك ونفذ القضاء، ولولا الذنب ما كانت المغفرة. وصار يعتذر إليه على ما سلف منه ويطلب منه العفو والسماح. حتى من جملة الإعتذار أنشده هذا الشعر: [من الخفيف]

يا أصيلاً الجُدودِ سَمَحَ السَّجَايَا لا تَلْمَنِي فِيمَا تَحَصَّلَ مِنِّي
إِنْ تَكُنْ ظَالِماً فَعَنكَ عَقُونَا أَوْ أَكُنْ ظَالِماً فَعَفْوِكَ عَنِّي

ولا زال يتواضع بين يديه حتى قال له: عفا الله عنك. وأمره بالجلوس فجلس وخلع عليه ثياب الأمان وأمر أخويه بمد السماط. وبعد أن أكلوا، كسا جماعة الملك وأكرمهم. وبعد ذلك أمر الملك بالمسير فخرج من بيت جودر. وصار كل يوم يأتي إلى بيت جودر، ولا ينصب الديوان إلا في بيت جودر، وزادت بينهما العشرة والمحبة. ثم إنهم أقاموا على هذه الحالة مدة وبعد ذلك خلا بوزيره وقال له: يا وزير، أنا خائف أن يقتلني جودر ويأخذ الملك مني. فقال له: يا ملك الزمان، أما من قضية أخذ الملك فلا تخف فإن حالة جودر التي هو فيها أعظم من حالة الملك، وأخذ الملك حطة في قدره، فإن كنت خائفاً أن يقتلك فإن لك بنتاً فزوجها له وتصير أنت وإياه حالة واحدة. فقال له: يا وزير، أنت تكون واسطة بيني وبينه. فقال له: إن عزمه عندك، ثم إننا نسهر في قاعة وأمر بنتك أن تتزين بأفخر زينة وتمر عليه من باب القاعة فإنه متى رأنا عشقها، فإذا فهمنا منه ذلك فإنا أميل عليه وأخبره أنها ابنتك وأدخل وأخرج معه في الكلام بحيث أنه لم يكن عندك خبر بشيء من ذلك حتى يخاطبها منك، ومتى زوجته البنت سرت أنت وإياه شيئاً واحداً وتأمين منه، وإن مات ترث منه الكثير. فقال له: صدقت يا وزير. وعمل الضيافة وعزمه، فجاء إلى سراية السلطان وقعدوا في القاعة مع أنس زائد إلى آخر النهار. وكان الملك أرسل إلى

زوجته أن تزين البنت بأفخر زينة وتمرّ بها على باب القاعة فعملت كما قال ومرّت بالبنت ، فنظرها جودر وكانت ذات حسن وجمال وليس لها نظير . فلما حقّق جودر النظر فيها قال : آه . وتفكّكت أعضاؤه واشتدّ به العشق والغرام وأخذه الوجد والهيام واصفرّ لونه . فقال له الوزير : لا بأس عليك يا سيدي . مالي أراك متغيّراً متوجعاً؟ فقال : يا وزير ، هذه البنت بنت من ؟ فإنها سلبتني وأخذت عقلي . فقال : هذه بنت حبييك الملك ، فإن كانت أعجبتك أنا أتكلّم مع الملك يزوّجك إياها . فقال : يا وزير كلّمه ، وأنا وحياتي أعطيك ما تطلب وأعطي للملك ما يطلبه في مهرها ونصير أحبّاباً وأصهاراً . فقال له الوزير : لا بد من حصول غرضك . ثم إن الوزير حدّث الملك سرّاً وقال له : يا ملك الزمان ، إن جودر حبييك يريد القرب منك وقد توسّل بي إليك أن تزوّجه ابنتك السيدة آسية فلا تخييني وأقبل سياقي ، ومهما تطلبه في مهرها يدفعه . فقال الملك : المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وأنا أزوجه إياها وله الفضل في القبول . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 623

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك شمس الدولة لما قال له وزيره : إن جودر يريد القرب منك بتزويجه ابنتك . قال له : المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وله الفضل في القبول . وباتوا تلك الليلة ثم أصبح الملك . نصب ديواناً وأحضر فيه الخاص والعام وحضر شيخ الإسلام وجودر خطب البنت وقال الملك : المهر قد وصل . وكتبوا الكتاب فارسل جودر بإحضار الخرج الذي فيه الجواهر وأعطاه للملك في مهر البنت ، ودقّت الطبول وغنّت الزمور وانتظمت عقود الفرح ودخل على البنت ، وصار هو والمملك شيئاً واحداً وأقاما مع بعضهما مدة من الأيام . ثم مات الملك فصارت العساكر تطلب جودر للسلطنة ، ولم يزلوا يرغبونه وهو يمتنع منهم حتى رضي فجعلوه سلطاناً . فأمر ببناء جامع على قبر الملك شمس الدولة ورتّب له الأوقاف وهو في خط البندقيين . وكان بيت جودر في حارة اليمانية ، فلما تسلطن بنى أبنية وجامعاً وقد سمّيت الحارة به وصار اسمها حارة الجودرية . وأقام ملكاً مدة وجعل أخويه وزيرين ، سالماً وزير ميمنته ، وسليماً وزير ميسرته . فأقاموا عاماً واحداً من غير زيادة . ثم إن سالماً قال لسليم : يا أخي إلى متى هذا الحال ؟ فهل نقضي عمرنا كله ونحن خادمان لجودر؟ ولا نفرح بسيادة ولا سعادة ما دام جودر حيّاً . قال : وكيف نصنع حتى نقتله ونأخذ منه الخاتم والخرج ؟ فقال سليم لسالم : أنت أعرف مني فدبر لنا حيلة لعلنا نقتله بها . فقال : إذا دبرت لك حيلة على قتله هل ترضى أن أكون أنا سلطاناً وأنت وزير ميمنة ويكون الخاتم لي والخرج لك ؟ قال : رضيت . فاتفقا على قتل جودر من شأن حب الدنيا والرئاسة . ثم إن سليماً وسالماً دبرا حيلة لجودر وقالوا له : يا أخانا ، إن مرادنا أن نفتخر بك فتدخل بيوتنا وتأكل ضيافتنا وتجبر خاطرنا . وصارا يخادعانه ويقولان له : أجبر خاطرنا وكُل ضيافتنا . فقال : لا بأس ، فالضيافة في بيت من فيكم ؟ قال سالم : في بيتي ، وبعدهما تأكل ضيافتي تأكل ضيافة أخي . قال : لا بأس . وذهب مع سليم إلى بيته فوضع له الضيافة وحطّ فيها السم . فلما أكل تفتّت لحمه مع عظمه ، فقام سالم لياخذ الخاتم من إصبعه فعصى منه فقطع إصبعه بالسكين . ثم إنه دعك الخاتم فحضر له المارد وقال : لبيك فاطلب ما تريد ؟ فقال له : إمسك أخي واقتله واحمل الإثنين ،

المسموم والمقتول وارمهما قدام العسكر . فأخذ سليماً وقتله وحمل الإثنين وخرج بهما ورمهما قدام أكابر العسكر، وكانوا جالسين على السفرة في مقعد البيت يأكلون . فلما نظروا جودر وسليماً مقتولين، رفعوا أيديهم من الطعام وأزعجهم الخوف وقالوا للمارد : مَنْ فعل بالملك والوزير هذه الفعالة ؟ فقال لهم : أخوهم سالم . وإذا بسالم أقبل عليهم وقال : يا عسكر ، كُلُوا وانبسطوا فإني ملكت الخاتم من أخي جودر ، وهذا المارد خادم قدامكم وأمرته بقتل أخي سليم حتى لا ينازعني في الملك لأنه خائن وأنا أخاف أن يخونني ، وهذا جودر صار مقتولاً وأنا بقيت سلطاناً عليكم هل ترضون بي ؟ وإلا أدعك الخاتم فيقتلكم خادمه كباراً وصغاراً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن سالماً لما قال للعسكر : هل ترضون بي عليكم سلطاناً ؟ وإلا أدعك الخاتم فيقتلكم كباراً وصغاراً . قالوا له : رضينا بك ملكاً وسلطاناً . ثم أمر بدفن أخويه ونصب الديوان وذهب ناس في تلك الجنازة وناس مشوا قدامه بالموكب ، ولما وصلوا إلى الديوان جلس على الكرسي وبايعوه على الملك وبعد ذلك قال : أريد أن اكتب كتابي على زوجة أخي . فقالوا له : حتى تنقضي العدة . فقال لهم : أنا لا اعرف عدة ولا غيرها ، وحياء رأسي لا بد أن أدخل عليها في هذه الليلة . فكتبوا له الكتاب وأرسلوا أعلموا زوجة جودر بنت الملك شمس الدولة فقالت : دعوه ليدخل . فلما دخل عليها أظهرت له الفرح وأخذته بالترحيب وحطت له السم في الماء فأهلكته . ثم إنها أخذت الخاتم وكسرتة حتى لا يملكه أحد ، وشقت الخرج . ثم أرسلت أخبرت شيخ الإسلام وأرسلت تقول لهم : اختاروا لكم ملكاً يكون عليكم سلطاناً . وهذا ما انتهى إلينا من حكاية جودر بالتمام والكمال .

فلما كانت الليلة
624
كانت ليلة
الملك

56 - حكاية عجيب وغريب

وبلغني أيضاً أنه كان في قديم الزمان ملك من الملوك العظام يقال له : الملك كندمر . وكان ملكاً شجاعاً وقرماً مناعاً ولكنه شيخ هرم كبير . وقد رزقه الله تعالى في حال هرمه ولداً ذكراً فسمّاه عجيباً لحسنه وجماله ، وسلّمه إلى القوابل والمرضعات والجواري والسراري حتى نشأ وكبر حتى بلغ من العمر سبع سنين من الأعوام على التمام . فرتب له أبوه كاهناً من أهل ملته ودينه ، فعلمه شريعتهم وكفرهم وما يحتاج إليه في مدة ثلاث سنين كوامل إلى أن مهر وقويت عزيمته وصحت فكرته وصار عارفاً فصيحاً فيلسوفاً موصوفاً يناظر العلماء ويجالس الحكماء . فلما رأى أبوه ذلك منه أعجبه ، ثم علّمه ركوب الخيل والطعن بالرمح والضرب بالسيف إلى أن صار فارساً شجاعاً . فما تمّ عمره عشر سنين حتى فاق أهل زمانه في جميع الأشياء وعرف أبواب الحرب ، فصار جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً . وكان إذا ركب للصيد والقنص يركب في ألف فارس ويشن الغارات على الفوارس ويقطع الطرق ويسبي بنات الملوك والسادات وكثرت فيه لأبيه الشكايات . فصاح الملك على خمسة من العبيد فحضرُوا فقال لهم : امسكوا هذا الكلب . فهجم الغلمان على عجيب وكتفوه وأمرهم بضربه فضرّبوه حتى غاب عن الوجود وسجنه في قاعة لا يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض ، فمكث ليلة محبوساً . فتقدّم الأمراء

إلى الملك وقبّلوا الأرض بين يديه وشفعوا في عجيب فأطلقه . فصبر عجيب على أبيه عشرة أيام ودخل عليه في الليل وهو نائم وضربه فرمى عنقه . فلما طلع النهار ركب عجيب على كرسي مملكة أبيه وأمر رجاله أن يقفوا بين يديه ويلبسوا البولاد ويسحبوا سيوفهم وأوقفهم ميمنة وميسرة . فلما دخل الأمراء والمقدمون وجدوا ملكهم مقتولاً وابنه جالساً على كرسي مملكته فتحيّرت عقولهم . فقال لهم عجيب : يا قوم لقد رأيتم ما حصل للملكم ، فمن أطاعني أكرمته ومن خالفني فعلت به مثله . فلما سمعوا كلامه خافوا منه أن يبطش بهم فقالوا له : أنت ملكنا وابن ملكنا وقبّلوا الأرض بين يديه . فشكرهم وفرح بهم وأمر بإخراج المال والقماش . ثم إنه خلع عليهم الخلع السنينة وغمرهم بالمال ، فحبّوه كلهم وأطاعوه . وخلع على النواب ومشايخ العريان العاصي والطائع فدانت له البلاد وأطاعته العباد ، وحكم وأمر ونهى مدة خمسة أشهر . ثم رأى في منامه رؤيا فانتبه فزعاً مرعوباً ولم يأخذه منام حتى أصبح الصباح . فجلس على الكرسي ووقفت الجنود بين يديه ميمنة وميسرة ثم دعا بالمعبرين والمنجمين فقال لهم : فسروا لي هذا المنام . فقالوا له : وما المنام الذي رأيته أيها الملك ؟ فقال : رأيت كأن والدي قدامي وانكشف إحليله وخرج منه شيء قدر النحلة ، فكبر حتى صار كالسبع العظيم بمخالب مثل الخناجر وقد خفت منه ، فبينما أنا باهت فيه إذ همّ عليّ وضربني بمخالبه فشقّ بطني فانتبهت فزعاً مرعوباً . فنظر المعبرون إلى بعضهم وتفكّروا في ردّ الجواب ثم قالوا : أيها الملك العظيم هذا المنام يدل على مولود لك من أبيك وتقع العداوة بينك وبينه ويظهر عليك . فخذ حذرَكَ منه بسبب هذا المنام . فلما سمع عجيب كلام المعبرين قال : ليس لي أخ أخاف منه فقولكم هذا كذب . فقالوا له : ما أخبرنا إلا بما علمنا . فنفر فيهم وضربهم وقام ودخل قصر أبيه واختبر سراري أبيه فوجد فيهن جارية لها سبعة أشهر . فأمر عبيدين من عبيده وقال لهما : خذا هذه الجارية وامضيا بها إلى البحر وغرقاها . فأخذاها من يدها وذهبا بها إلى البحر وأرادا أن يغرقاها فنظرا إليها فوجداهما بديعة الحسن والجمال فقالا : لاي شيء نغرق هذه الجارية ؟ وإنما نأخذها إلى الغابة ونعيش بها في تعريض عجيب . فأخذاها وسارا أياماً وليالي حتى بعدا عن الديار ، فتوجها بها إلى غابة كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار واتفق رأيهم على أن يقضوا غرضهم منها وصار كل واحد منهما يقول : أنا أفعل قبلك واختلفا مع بعضهما . فطلع عليهما ناس من السودان فسلبوا سيوفهم وحملوا على بعضهم واشتدّ بينهم القتال والحرب والطعان ، ولم يزالوا يحاربون العبيدين حتى قتلوهما في أسرع من أنهارها . ولم تنزل على هذه الحالة حتى وضعت غلاماً أسمر نظيفاً ظريفاً وسمته الغريب لغريته ، وقطعت سرّته ولقّته في بعض ثيابها وصارت ترضعه وهي حزينة القلب والفؤاد على ما كانت فيه من العزّ والذلّال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية صارت مقيمة في الغابة وهي حزينة القلب والفؤاد وصارت ترضع ولدها مع ما حصل لها من غاية الحزن والخوف من وحدتها . فبينما هي في بعض الأيام على تلك الحالة وإذا هي بفارسان ورجال مشاة ومعهم بزة وكلاب صيد وقد حملوا خيولهم من كركي وبلشون ووز عراقي وغطاس وطيّر ماء

فلما كانت الليلة
625
الأمير

ووحوش وأرانب وغزلان وبقر وحش وفراخ النعام وتفه وذئب وسباع . ثم دخل هؤلاء العربان في تلك الغابة فوجدوا الجارية وابنها في حجرها ترضعه . فتقربوا منها وقالوا لها : هل أنت إنسية أو جنية؟ قالت : إنسية يا سادات العرب . فأعلموا أميرهم وكان اسمه مرداساً سيد بني قحطان ، وقد خرج إلى الصيد في خمسمائة أمير من قومه وبني عمه . فلم يزالوا يصطادون حتى وصلوا إلى الجارية ونظروها ، وأعلمتهم بما جرى من أوله إلى آخره . فتعجب الملك من أمرها وصاح على قومه وبني عمه ، فلم يزالوا يصطادون حتى وصلوا إلى بني قحطان فأخذها وأفردها بمحل ووكل بها خمس جوار من أجل الخدمة وقد أحبها حباً شديداً وقد دخل عليها وواقعها فحملت على الدم . ولما انقضت شهورها وضعت غلاماً ذكراً فسمته سهيم الليل . فترى بين القوابل مع أخيه حتى نشأ ومهر في حجر الأمير مرداس فسلمهما إلى فقيه فعلمهما أمر دينهما ، وبعد ذلك سلمهما إلى شجعان العرب فعلمهما طعن الرمح وضرب السيف ورمي النشاب . فما كمالا خمس عشرة سنة حتى تعلمتا ما يحتاجان إليه وفاقا على كل شجيع في الحي . فكان غريب يحمل على ألف فارس وكذا أخوه سهيم الليل . وكان لمرداس أعداء كثيرة وكانت عربيه أشجع العرب ، فكلمهم أبطال فرسان لا يصطلي لهم بنار . وكان بجواره أمير من أمراء العرب يقال له : حسان بن ثابت وهو صديقه وقد خطب كريمة من كرام قومه فدعى جميع أصحابه ومن جملتهم مرداس سيد بني قحطان . فأجاب وأخذ معه من قومه ثلاثمائة فارس وترك أربعمائة فارس لحفظ الحرم وسار حتى وصل إلى حسان . فتلقاه وأجلسه في أحسن مكان وجاءت كل الفرسان لأجل العرس ، وعمل لهم الولائم وفرح بعروسه وانصرف العربان إلى منزلهم . فلما وصل مرداس إلى حيه رأى قتيلين مطروحين والطير حائم عليهما يميناً وشمالاً . فارتجف قلبه ودخل الحي فتلقاه غريب وهو متدرج بالزرد وهنأه بالسلامة . فقال مرداس : ما هذا الحال يا غريب؟ قال : هجم علينا الحمل بن ماجد وقومه في خمسمائة فارس . وكان السبب في هذه الواقعة أن الأمير مرداس كان له بنت تسمى مهديّة ما رأى الرائي أحسن منها ، فسمع بها الحمل سيد بني نهبان فركب في خمسمائة فارس وتوجه إلى مرداس وخطب مهديّة فلم يقبله وردّه خائباً . فصار الحمل يرصد مرداساً حتى غاب وعزمه حسان ، فركب في أبطاله وهجم على بني قحطان فقتل جماعة من الفرسان وهرب بقية الأبطال في الجبال . وكان غريب وأخوه قد ركبا في مائة خيال وخرجا للصيد والقنص فما رجعا حتى انتصف النهار فوجدا الحمل وقومه ملكوا الحي وما فيه وأخذوا بنات الحي وأخذ مهديّة بنت مرداس وساقها مع السبي . فلما نظر غريب إلى هذا الحال غاب عن الصواب وصاح على أخيه سهيم الليل وقال : يا ابن الملعونة ، نهبوا حينا وأخذوا حريمنا فدونك والأعداء وخلص السبي والحريم . فحمل سهيم وغريب بالمائة فارس على الأعداء ولم يزد غريب إلا غيظاً ، وصار يحصد الرؤوس ويسقي الأبطال من البتون كؤوساً حتى وصل الحمل ونظر إلى مهديّة وهي مسبية . فحمل على الحمل وطعنه وعن جواده قلبه . فما جاء وقت العصر حتى قتل أكثر الأعداء وأنهزم الباقون وخلص غريب السبي ورجع إلى البيوت ورأس الحمل على رمحه وهو ينشد هذه الأبيات : [من الوافر]

أنا المعروفُ في يومِ المجالِ وجرُّ الأرضِ تَفْرَعُ مِنْ خَيْبِ

ولي سيفٌ، إذا هزّت يميني تبادرت النية من شمالي
 ولي رُمحٌ إذا نظروا إليّه يروا فيه سناناً كالهلال
 وأدعى بالغريب، شجيعٌ قومي ولا أخشى إذا قلت رجالي

فما فرغ غريب من شعره حتى وصل مرداس ونظر القتلى مطروحين والطير حائم عليهم ميناً وشمالاً، فطار عقله وارتجف قلبه . فسلاه غريب وهناه بالسلامة وأخبره بجميع ما جرى للحج بعد غيابه . فشكره مرداس على ما فعل وقال : ما خابت التربة فيك يا غريب . ونزل مرداس في سرادقه ووقفت الرجال حوله وصار أهل الحي يثنون على غريب ويقولون : يا أميرنا، لولا غريب ما سلم أحد من الحي . فشكره مرداس على ما فعل . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن مرداساً لما رجع إلى حيّه وأقبل عليه رجاله، أثنوا على غريب فشكره مرداس على فعله . ولما نظر غريب الحمل سبي مهدية خلصها منه وقتله، فرمت غريباً بسهام لحظها فوق في شرك هواها وصار قلبه لا ينساها وغرق في العشق والغرام وفارقه لذيد المنام ولم يلتذ بشراب ولا طعام، وصار يركض جواده ويصعد الجبال وينشد الأشعار ويرجع آخر النهار وقد لاح عليه آثار العشق والهيام . فافشى سرّه لبعض أصحابه، فشاغ في الحي جميعه حتى وصل إلى مرداس . فبرق ورعد وقام وقعد وشخر ونخر وسبّ الشمس والقمر وقال : هذا جزاء من يربي أولاد الزنا . ولكن إن لم أقتل غريباً ركبني العار . ثم إنه استشار رجلاً من عقلاء قومه في قتل غريب وأظهر سرّه عليه . فقال له : يا أمير، إنه بالأمس خلّص بنتك من السبي، فإن كان لا بدّ من قتله فاجعله على يد غيرك حتى لا يشك أحد فيك . فقال مرداس : دبر لي حيلة في قتله، فما أعرف قتله إلاّ منك . فقال : يا أمير ارصده حتى يخرج إلى الصيد والقنص وخذ معك مائة خيال واكمن له في المغارة وغافله حتى ينتهي، فاحملوا عليه وقطعوه وحينئذ تيراً من عاره . فقال مرداس : هذا هو الصواب . واختار مرداس من قومه مائة وخمسين فارساً عمالقة شداد وأوصاهم وحرّضهم على قتل غريب . ولم يزل يورقه حتى خرج غريب ليصطاد وقد بعد في الأودية والجبال، فذهب بفرسانه الأنجاس وكمنوا لغريب في طريقه حتى يرجع من الصيد فيخرجون عليه ليقتلوه . فبينما مرداس وقومه كامنون بين الأشجار وإذا بخمسائة من العمالقة هجموا عليهم فقتلوا منهم ستين وأسروا التسعين وكتفوا مرداساً . وكان السبب في ذلك أنه لما قتل الحمل وقومه انهزم الباقون، ولم يزالوا في هزيمتهم حتى وصلوا إلى أخيه وأعلموه بما جرى . فقامت قيامته وجمع العمالقة واختار منهم خمسمائة فارس، طول كل واحد منهم خمسون ذراعاً، وتوجه لطلب ثار أخيه . فوقع بمرداس هو وأبطاله وجرى بينهم ما جرى . فلما أسروا مرداس وقومه، نزل أخو الحمل وقومه وأمرهم بالراحة وقال : يا قوم، إن الأصنام هونت علينا أخذ الثار فاحتفظوا على مرداس وقومه حتى أمضي بهم وأقتلهم أشنع قتلة . فنظر مرداس روحه مربوطاً وندم على ما فعل وقال : هذا جزاء البغي . ونامت القوم فرحانين بالنصر ومرداس وأصحابه مربوطون وقد يشوا من الحياة وأيقنوا

فلما كانت الليلة ما
 كان
 626
 ليلة

بالوفاة . هذا ما كان من أمر مرداس . وأما سهيم الليل فإنه دخل على أخته مهدية وهو مجروح . فقامت له وقبلت يديه وقالت له : لا شلت يداك ولا شمتت عداك ، فلولا أنت وغريب ما خلصنا من السبي والاعداء . واعلم يا أخي أن أباك ركب في مائة وخمسين فارساً وهو يريد قتل غريب . وقد علمت أن غريباً خسارة في القتل لأنه صان عرضكم وخلّص أموالكم . فلما سمع سهيم هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً ولبس آلة حربته وركب جواده وطلب المكان الذي يصطاد فيه أخوه ، فوجده اصطاد شيئاً كثيراً . فتقدم إليه وسلم عليه وقال : يا أخي هل تسرح ولا تعلمني ؟ فقال غريب : والله ما معني من ذلك إلا أنني رأيتك مجروحاً فقصدت راحتك . فقال سهيم : يا أخي خذ حذرک من أبي . ثم حكى له ما جرى وأنه خرج في مائة وخمسين فارساً يريدون قتله . قال له غريب : الله يرمي كيده في نحره . ورجع غريب وسهيم طالين الديار ، فأمسى عليهما المساء وسارا على ظهور الخيل حتى وصلا الوادي الذي فيه القوم وسمعا سهيل الخيل في ظلام الليل . فقال سهيم : يا أخي ، هذا أبي وقومه كامنون في هذا الوادي ، ففتح بنا عن هذا الوادي . وكان غريب قد نزل عن جواده وألقى لجامه لأخيه وقال له : قف مكانك حتى أعود إليك . وسار غريب حتى رأى القوم فلم يجدهم من حيّهم وسمعهم يذكرون مرداساً ويقولون : ما نقتله إلا في أرضنا . فعرف أن مرداساً عمه مربوطاً معهم فقال : وحيات مهدية ما أروح حتى أخلّص أباه ولا أشوش عليها . ولم يزل يفتش على مرداس حتى وقع به وهو مربوط في الجبال . فقع بجانبه وقال له : سلامتك يا عمي من هذا الذل والإعتقال . فلما نظر مرداس غريباً خرج عقله وقال : يا ولدي أنا في جيرتك فخلّصني بحق التربية . فقال له غريب : إذا خلصتك تعطيني مهدية . فقال له : يا ولدي وحق ما اعتقد هي لك على طول الزمان . فحلّه وقال له : إمض نحو الخيل فإن ولدك سهيم هناك . فعند ذلك انسل مرداس حتى وصل إلى ولده سهيم ففرح به وهناه بالسلامة . ولم يزل غريب يحل واحداً بعد واحد حتى حل التسعين فارساً وصار الكل بعيداً عن الاعداء . وأرسل غريب إليهم العدد والخيول وقال لهم : اركبوا وتفرجوا حول الاعداء وصيخوا ويكون صياحكم : يا آل قحطان . وإذا صحا القوم فابعدوا عنهم وتفرقوا حولهم . وصبر غريب إلى الثلث الأخير من الليل وصاح : يا آل قحطان . وصاح قومه كذلك : يا آل قحطان صيحة واحدة . فجاوبتهم الجبال حتى تخيل للاعداء أن القوم قد هجموا عليهم فخطفوا سلاحهم جميعاً ووقعوا في بعضهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 627

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القوم لما انتهبوا من منامهم وسمعوا غريباً وقومه يصيحون ويقولون : يا آل قحطان . تخيل لهم أن آل قحطان هجموا عليهم ، فحملوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم قتلاً ، فتأخّر غريب وقومه . ولم تزل الاعداء يقتلون بعضهم إلى أن طلع النهار . فحمل غريب ومرداس والتسعون بطلاً على بقية الاعداء فقتلوا منهم جملة وانهزم الباقون وأخذ بنو قحطان الخيل الشاردة والعدد المهية وتوجهوا إلى حيّهم وما صدق مرداس أنه تخلّص من الاعداء . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى حيّهم ، فلاقاهم المقيمون وفرحوا بسلامتهم ونزلوا في خيامهم ونزل غريب في خيمته واجتمعت عليه شباب الحي وحيّاه الكبار والصغار . فلما نظر مرداس إلى غريب والشباب حوله ، بغضه أكثر من الأول

والتفت إلى عشيرته وقال : قد زاد بغض غريب في قلبي وما غمّني إلا اجتماع هؤلاء حوله، وفي غد يطلب مني مهدية . فقال له المشير : يا أمير، اطلب منه ما لا يقدر عليه . ففرح مرداس وبات إلى الصباح . فجلس في مرتبه ودارت العرب حوله، وجاء غريب برجاله والشباب حوله فأقبل على مرداس وقبّل الارض بين يديه ففرح به وقام إليه وأجلسه بجانبه . فقال غريب : يا عم ، قد وعدتني وعداً فأنجزه . فقال مرداس : يا ولدي، هي لك على طول المدى ولكن أنت قليل المال . فقال غريب : يا عم ، اطلب ما شئت حتى أغير على أمراء العرب في مواطنهم وعلى الملوك في مدائنهم وأجيء لك بمال يسد الخافقين . فقال مرداس : يا ولدي، إنني حلفت بجميع الأصنام إنني لا أعطي مهدية إلا لمن يأخذني ثاري ويكشف عني عاري . فقال غريب : قل لي يا عم ثارك عند مَنْ مِنَ الملوك حتى أسير إليه واكسر تخته على رأسه ؟ فقال مرداس : يا ولدي، قد كان لي ولد بطل من الأبطال فخرج في مائة بطل لطلب الصيد والقنص فسار من وادٍ إلى وادٍ وقد بعد بين الجبال حتى وصل وادي الأزهار وقصر حام بن شيث بن شدّاد بن خلد . وذلك المكان يا ولدي ساكن فيه رجل أسود طويل طوله سبعون ذراعاً يقاتل بالأشجار، فيقتلع الشجرة من الأرض ويقاثل بها . فلما وصل ولدي إلى ذلك الوادي، خرج عليه هذا الجبار فأهلكه هو والمائة فارس ، فما سلم منهم إلا ثلاثة أبطال أتوا أخبرونا بما جرى . فجمعت الأبطال وسرت لقتاله فما قدرنا عليه وأنا مقهور على نار ولدي، وقد حلفت أنني لا أزوّج ابنتي إلا لمن يأخذ نار ولدي . فلما سمع غريب كلام مرداس قال : يا عم ، أنا أسير إلى هذا العملاق وأخذ نار ولدك بعون الله تعالى . قال مرداس : يا غريب، إن ظفرت به تغنم منه ذخائر وأموالاً لا تأكلها نيران . فقال غريب : إشهد لي بالزواج حتى يقوى قلبي وأسير في طلب رزقي . فاعترف وأشهد كبار الحي وانصرف غريب وهو فرحان ببلوغ الآمال ودخل على أمه وأخبرها بما تمّ له . فقالت له : يا ولدي، أعلم أن مرداساً يبغضك وما بعثك لذلك الجبل إلا ليعذمني حسك، فخذني معك وارحل من ديار هذا الظالم . قال غريب : يا أمي لا ارحل حتى أبلغ أملي وأقهر عدوي . وبات غريب حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، فماركب جواده حتى أقبل أصحابه الشباب، وكانوا مائتا فارس شداد وهم غارقون في السلاح . وصاحوا على غريب وقالوا له : سرّ بنا نعاونك ونؤانسك في طريقك . ففرح غريب بهم وقال لهم : جزاكم الله عنا خيراً . وقال لهم : سيروا يا أصحابي . فسار غريب بأصحابه أول يوم وثاني يوم ثم نزلوا عند المساء تحت جبل شامخ وعلقوا على خيولهم ، فغاب غريب يتمشى في ذلك الجبل حتى وصل إلى مغار فطلع منه نور . فسار غريب إلى صدر المغار فوجد شيخاً له من العمر ثلاثمائة سنة وأربعين سنة، حاجباه غطياً عينيه وشارباه غطياً فمه . فلما نظر غريب إلى ذلك الشيخ هابه واستعظم خلقته . فقال له الشيخ : كانك من الكفار يا ولدي، الذين يعبدون الأحجار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار والفلك الدوّار . فلما سمع غريب كلام الشيخ ارتعدت فرائصه وقال : يا شيخ، أين يكون هذا الرب حتى أعبده وأتملى برؤيته ؟ قال الشيخ : يا ولدي، هذا الرب العظيم لا ينظره أحد في الدنيا وهو يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى وهو حاضر في كل مكان بآثار صنعه ومكوّن الأكوان ومدبر الزمان، خلق الإنس والجان وبعث الأنبياء لهداية الخلق إلى طريق الصواب، فمن أطاعه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار . فقال غريب : يا عم ، فما يقول من يعبد هذا الرب العظيم الذي هو على كل شيء قدير ؟

قال الشيخ : يا ابني ، إني من قوم عاد الذين طغوا في البلاد فكفروا ، فأرسل الله إليهم نبياً اسمه هود فكذبوه ، فأهلكهم بالريح العقيم . وكنت أنا آمنت مع جماعة من قومي فسلمنا من العذاب وحضرت قوم ثمود وما جرى لهم مع نبيهم صالح . وأرسل الله تعالى بعد صالح نبياً اسمه إبراهيم الخليل إلى عمرد بن كنعان وجرى له معه ما جرى ومات قومي الذين آمنوا . فصرت أعبد الله في هذا المغار والله تعالى يرزقني من حيث لا احتسب . فقال غريب : يا عم ، ماذا أقول حتى أصير من حزب هذا الرب العظيم ؟ قال له الشيخ : قل : لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله . فأسلم غريب قلباً ولساناً . فقال له الشيخ : ثبتت في قلبك حلوة الإسلام والإيمان . ثم علمه شيئاً من الفرائض وشيئاً من الصحف وقال له : ما اسمك ؟ قال : إسمي غريب . قال له الشيخ : وأين تقصد يا غريب ؟ فحكى له ما جرى من أوله إلى آخره حتى وصل إلى حديث غول الجبل الذي جاء في طلبه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما أسلم وحكى للشيخ جميع ما جرى له من أوله إلى آخره حتى وصل إلى حديث غول الجبل الذي جاء في طلبه . قال له : يا غريب ، هل أنت مجنون تسير إلى غول الجبل وحدك ؟ فقال له : يا مولاي ، معي مائتا فارس . فقال له الشيخ : يا غريب ، ولو كان معك عشرة آلاف فارس ما تقدر عليه ، فإن اسمه الغول

فلما كانت الليلة فلما كانت الليلة
628
كانت الليلة

يأكل الناس نسأل الله السلامة ، وهو من أولاد حام وأبوه هندي الذي عمر الهند وسمي به وقد خلفه وسماه سعدان الغول . فكان يا ولدي جبّاراً عنيداً وشيطاناً مريداً ما له ماكول إلا ابن آدم ، فنهاه أبوه قبل موته عن ذلك فما انتهى وزاد في الطغيان . فطرده أبوه بعد ذلك ونفاه من بلاد الهند بعد حروب وتعب عظيم ، فجاء إلى هذه الأرض وتحصن بها وسكن فيها وصار يقطع الطرق على الرياح والجائي ويرجع إلى مسكنه بهذا الوادي ، ورزق بخمسة أولاد غلاظ شداد يحمل أحدهم على ألف بطل . وقد جمع أموالاً وغنائم وخيلاً وجمالاً وبقراً وغنماً قد سدّت الوادي ، وأنا خائف عليك منه . فاسأل الله تعالى أن ينصرك عليه بكلمة التوحيد ، فإذا حملت على الكفار فقل : الله أكبر . فإنها تنخذل من كفر . ثم إن الشيخ أعطى غريباً عاموداً من بولاد وزنه مائة رطل وفيه عشر حلقات إذا هزّه حامله طنت حلقاته مثل الرعد ، وأعطاه سيفاً مجوهرأ من صاعقة طوله ثلاثة أذرع وعرضه ثلاثة أشبار إذا ضرب به صخرة قدّها نصفين . وأعطاه درعاً وترساً ومصحفاً وقال له : سرّ إلى قومك واعرض عليهم الإسلام . فخرج غريب وهو فرحان بالإسلام وسار حتى وصل إلى قومه . فتلقوه بالسلام وقالوا له : ما ابظاك عنا ؟ فحكى لهم جميع ما جرى له من أوله إلى آخره وعرض عليهم الإسلام فأسلموا جميعاً وباتوا إلى الصباح . فركب غريب وأتى الشيخ يودّعه ، فودّعه وخرج وسار حتى وصل إلى قومه وإذا بفارس وهو في الحديد غاطس لم يظهر منه غير أمانق البصر . فحمل على غريب وقال له : إخلع ما عليك يا قطاعة العرب وإلا رميتك بالعطب . فحمل غريب عليه وجرى بينهم حرب يشيب المولود ويذيب من هوله الحجر الجلمود ، فكشف البدوي البرقع فإذا هو سهيم الليل أخو غريب من أمه ابن مرداس . وسبب خروجه وإتيانه إلى ذلك المحل ، أن غريباً لما سار إلى غول الجبل كان سهيم غائباً . فلما رجع لم ينظر غريباً فدخل على أمه فوجدها تبكي ، فسألها عن سبب بكائها فأخبرته

بما جرى من سفر أخيه . فما تمهل على نفسه ليستريح فلبس آلة حربته وركب جواده وسار حتى وصل إلى أخيه وجرى بينهما ما جرى . فلما كشف سهيم وجهه عرفه غريب وسلم عليه وقال : ما حملك على هذا؟ قال له : حتى عرفت طبقتي معك في الميدان وقدري في الضرب والطعان . وسارا فعرض غريب على سهيم الإسلام فأسلم ، ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على الوادي . فلما نظر غول الجبل غبار القوم قال : يا أولادي ، إركبوا واثبوني بهذه الغنيمة . فركبت الخمسة وساروا نحوهم . فلما رأى غريب الخمسة العمالقة قد هجموا عليهم لكز جواده وقال : من أنتم ؟ وما جنسكم ؟ وما تريدون ؟ فتقدم فلحون بن سعدان غول الجبل وهو أكبر أولاده وقال : إنزلوا عن خيولكم وكتفوا بعضكم حتى نسوقكم إلى أينا يشوي بعضكم ويطبخ بعضكم ، فإن له زماناً طويلاً ما أكل آدمياً . فلما سمع غريب هذا الكلام حمل على فلحون وهز العمود حتى طنت حلقاته مثل الرعد القاصف . فاندھش فلحون فضربه غريب بالعمود وكانت ضربته خفيفة وقد وقعت بين أكتافه فسقط مثل النخلة السحوق ، فنزل سهيم وبعض القوم على فلحون وكتفوه ثم إنهم وضعوا في رقبتة حبلاً وسحبوه مثل البقرة . فلما رأى إخوته أخاهم أسيراً حملوا على غريب فأسر منهم أربعة والخامس فرّ هارباً حتى دخل على أبيه . فقال له أبوه : ما وراك؟ وأين إخوتك؟ فقال له : أسرهم صبي ما خط عذاره ، طوله أربعون ذراعاً . فلما سمع غول الجبل كلام ابنه قال : لا طرحت الشمس فيكم من بركة . ثم إنه نزل من الحصن واقتلع شجرة عظيمة وطلب غريب وقومه وهو راجل على قدميه لأن الخيل لم تحمله لعظم جثته ، وتبعه ابنه وسارا حتى أشرفا على غريب وحمل على القوم من غير كلام وضرب بالشجرة فهشم خمسة رجال وحمل على سهيم وضربه بشجرة فزاع عنها وراحت خالية ، فغضب الغول ورمى الشجرة من يده وانقض على سهيم فخطفه مثل ما يخطف الباشق العصفور . فلما نظر غريب إلى أخيه وهو في يد الغول صاح وقال : الله أكبر يا جاه إبراهيم الخليل ومحمد ﷺ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
629
قال : يا جاه إبراهيم الخليل ومحمد ﷺ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما نظر أخاه وهو أسير في يد الغول صاح وقال : الله أكبر يا جاه إبراهيم الخليل ومحمد ﷺ ووجه جواده إلى غول الجبل وهز العمود فطنت حلقاته وصاح : الله أكبر ، وضرب غريب الغول بالعمود على صف أضلاعه فوقع في الأرض مغشياً عليه وانفلت سهيم من يديه ، فما أفاق الغول إلا وهو مكتف مقيد . فلما نظره ابنه وهو أسير ولّى هارباً ، فساق غريب جواده خلفه ثم ضربه بالعمود بين أكتافه فوقع عن جواده ، فكتفه عند أخوته وأبيه وأوثقوهم بالحبال وسحبوه مثل الجمال وساروا حتى وصلوا إلى الحصن فوجدوه ملاناً بالخيرات والأموال والتحف ، ووجد الفأ وماتتي أعجمي مربوطين مقيدتين . فقعده غريب على كرسي غول الجبل وكان أصله لصاص بن شيث بن شداد بن عاد ، وأوقف سهيماً أخاه على يمينه ووقف أصحابه ميمنة وميسرة . وبعد ذلك أمر بإحضار غول الجبل وقال له : كيف رأيت روحك يا ملعون؟ فقال له : يا سيدي ، في أقبح حال من الذل والحبال ، أنا وأولادي مربوطين في الحبال مثل الجمال . فقال غريب : أريد أن تدخلوا في ديني وهو دين الإسلام ، وتوحدوا الملك العلام خالق الضياء والظلام وخالق كل شيء . لا إله

إلا هو الملك الديان، وتقروا بنبوة الخليل إبراهيم عليه السلام . فاسلم غول الجبل وأولاده وحسن أسلامهم ، فأمر بحلّهم فحلّوهم من الرباط، فبكى سعدان الغول وأقبل على أقدام غريب يقبلها وكذلك أولاده، فمنعهم من ذلك فوقفوا مع الواقفين . فقال غريب : يا سعدان . فقال : لييك يا مولاي . فقال : ما شأن هؤلاء الأعجم ؟ فقال : يا مولانا هذا صيدي من بلاد العجم وليسوا وحدهم . قال غريب : ومنّ معهم ؟ قال : يا سيدي معهم بنت الملك سابور ملك العجم واسمها فخرتاج ، ومعها مائة جارية كأنهنّ الأقمار . فلما سمع غريب كلام سعدان تعجّب وقال : كيف وصلت إلى هؤلاء ؟ فقال : يا أمير ، سرحت أنا وأولادي وخمسة عبيد من عبيدي فما وجدنا في طريقنا صيداً ففترقنا في البراري والقفار فما وجدنا روحنا إلّا في بلاد العجم ونحن ندور على غنيمة نأخذها ولا نرجع خائبين . فلاحتنا لنا غبرة فأرسلنا عبداً من عبيدنا ليعرف الحقيقة فغاب ساعة ثم عاد وقال : يا مولاي هذه الملكة فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم والترك والديلم ومعها ألفا فارس وهم سائرون . فقلت للعبد : بشرت بالخير فليس غنيمة اعظم من هذه الغنيمة . ثم حملت أنا وأولادي على الأعجم فقتلنا منهم ثلاثمائة فارس وأسرنا ألفا ومائتين وغمنا بنت سابور وما معها من التحف والأموال وجئنا بهم إلى هذا الحصن . فلما سمع غريب كلام سعدان قال : هل فعلت بالملكة فخرتاج معصية ؟ قال : لا وأحياة رأسك وحقّ هذا الدين الذي دخلت فيه . فقال غريب : قد فعلت حسناً يا سعدان لأن أباه ملك الدنيا ولا بد أن يجرد العساكر خلفها ويخرب ديار الذين أخذوها، ومنّ لا يدري العواقب ما الدهر له بصاحب . وأين هذه الجارية يا سعدان ؟ فقال : قد أفردت لها قصرأ هي وجواربها . فقال : أرني مكانها . فقال : سمعاً وطاعةً . فقام غريب وسعدان الغول يمحيان حتى وصلا إلى قصر الملكة فخرتاج فوجداها حزينة ذليلة تبكي بعد العزّ والدلال . فلما نظرها غريب ظن أن القمر منه قريب ، فعظّم الله السميع العليم . ونظرت فخرتاج إلى غريب فوجدته فارساً صنديداً والشجاعة تلوح بين عينيه تشهد له لا عليه ، فقامت له وقبّلت يديه وبعد يديه انكبّت على رجليه وقالت له : يا بطل الزمان أنا في جبرتك فأجرني من هذا الغول فأنا خائفة أن يزيل بكارتي وبعد ذلك يا كلني ، فخذني أخدم جواربك . فقال غريب : لك الامان حتى تصلي إلى أبيك ومحل عزك . فدعت له بالبقاء وعزّ الارتقاء . فأمر غريب بحلّ الأعجم فحلّوهم . والتفت إلى فخرتاج وقال لها : ما الذي أخرجك من قصرك إلى هذه البراري والقفار حتى أخذك قطع الطريق ؟ فقالت له : يا مولاي ، إن أبي وأهل مملكته وبلاد الترك والديلم والمجوس يعبدون النار دون الملك الجبار ، وعندنا في مملكتنا دير اسمه دير النار . وفي كل عيد تجتمع فيه بنات المجوس وعباد النار ويقمون فيه شهراً مدة عيدهم ثم يعودون إلى بلادهم . فخرجت أنا وجواري على العادة وأرسل معي أبي ألفي فارس يحفظونني ، فخرج علينا هذا الغول فقتل بعضنا وأسر الباقي وحبسنا في هذا الحصن . وهذا ما جرى يا بطل الشجعان ، كفاك الله نوائب الزمان . فقال غريب : لا تخافي فأنا أوصلك إلى قصرك ومحل عزك . فدعت له وقبّلت يديه ورجليه ثم خرج من عندها وأمر بإكرامها وبات تلك الليلة حتى أصبح الصباح . فقام وتوضأ وصلّى ركعتين على ملة أبينا الخليل إبراهيم عليه السلام ، وكذا الغول وأولاده وجماعة غريب كلّهم صلّوا خلفه . ثم التفت غريب إلى سعدان وقال له : يا سعدان ، أما تفرّجني على وادي الأزهار ؟ قال : نعم يا مولاي . فقام

سعدان وأولاده وغريب والملكة فخرتاج وجواربها وخرج الجميع ، فأمر سعدان عبده وجواربه أن يذبخوا ويطبخوا الغداء ويقدموه بين الأشجار ، وكان عنده مائة وخمسون جارية وألف عبد ترعى الجمال والبقر والغنم . وسار غريب والقوم معه إلى وادي الأزهار ، فلما رآه وجد شيئاً صنواً وغير صنوان وأطياراً تغرد بالألحان على الأغصان والهزار يرجع بانغام الألحان والقمري قد ملا بصوته الأمكنة خلقة الرحمن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً توجه هو وقومه والغول وقومه إلى وادي الأزهار ، رأى فيه الطيور ومن جملتها القمرى ملا بصوته الأمكنة خلقة الرحمن ، والبلبل يغرد بحسن صوته كالإنسان ، والشجر يكلّ عن وصفه اللسان ، والفاخت أضحى بصوته يهيم الإنسان ، والمطوق تجاوبه الدرة بأفصح لسان ، والأشجار المثمرة من كل فاكهة زوجان ، والرمان حامض وحلو على الأفنان ، والمشمش لوزي وكافوري ولوز خراسان ، والبرقوق يختلط بأشجار اغصان البان ، والتارنج كأنه مشاعل النيران ، والكباد مالت به الأغصان ، والليدون دواء لكل قرفان ، والحامض يشفي من علة اليرقان ، والبلح على أمه أحمر وأصفر صنع الله العظيم الشأن . وفي مثل هذا المكان يقول الشاعر الولهان : [من الكامل]

وَإِذَا تَرَّمَ طَيْرُهُ يَغْدِيهِ
يَشْتَاقُهُ الْوَلْهَانُ فِي الْأَسْحَارِ
فَكَأَنَّهُ الْفِرْدَوْسُ فِي نَفْحَاتِهِ
ظِلُّ وَفَاكِهِ وَمَاءٌ جَارِ

فاعجب غريباً هذا الوادي فأمر أن ينصبوا فيه سرادق فخرتاج الكسروية ، فنصبوه بين الأشجار وفرشوه بالفرش الفاخر ، وقعد غريب وجاءهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا . ثم قال غريب : يا سعدان . قال : لييك يا مولاي . قال : هل عندك شيء من الخمر ؟ قال : نعم عندي صهريج ملآن بالعتيق . فقال : اثنتا بشيء منه . فأرسل عشرة من العبيد فجاؤوا من الخمر بشيء كثير . فأكلوا وشربوا واستلذوا وطربوا وطرب غريب وتذكر مهدياً فأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْوَصَالِ بِقُرْبِكُمْ
فَهَيَّجَ قَلْبِي بِالْغَرَامِ لَهَيْبِ
فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ بِأَرَادَتِي
وَلَكِنْ تَصْرِيْفَ الزَّمَانِ غَرِيبِ
سَلَامٌ وَتَسْلِيمٌ وَأَلْفُ تَحِيَّةٍ
عَلَيْكُمْ وَإِنِّي مُدْتَفٍ وَكُتِيبِ

ولم يزالوا يأكلون ويشربون ويتفرجون ثلاثة أيام . ثم رجعوا إلى الحصن ودعا غريب بسهيم أخيه فحضر فقال له : خذ معك مائة فارس وسر إلى أبيك وأمك وقومك بني قحطان فأت بهم إلى هذا المكان ليعيشوا فيه بقية الزمان ، وأنا أسير إلى بلاد العجم بالملكة فخرتاج إلى أبيها ، وأنت يا سعدان أقم أنت وأولادك في هذا الحصن حتى تعود إليك . قال له : ولم لم تأخذني معك إلى بلاد العجم ؟ قال له : لأنك أسررت بنت سابور ملك العجم ، وإن وقعت عينه عليك أكل من لحمك وشرب من دمك . فلما سمع غول الجبل ذلك ضحك ضحكاً عالياً مثل الرعد القاصف وقال : يا مولاي وحياة رأسك ، لو تجتمع عليّ العجم والديلم لاسقيتهم شراب العدم . فقال غريب : أنت كما تقول ولكن أقعد في حصنك حتى أعود إليك . فقال : سمعاً وطاعة . فرحل

سهيماً ، وتوجه هو إلى بلاد العجم ومعه قومه من بني قحطان ومعه الملكة فخر تاج وقومها وساروا قاصدين مدائن سابور ملك العجم . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر الملك سابور فإنه انتظر مجيء ابنته من دير النار فما عادت وفات الميعاد ، فالتهمت في قلبه النار . وكان له أربعون وزيراً وكان أكبرهم وأعرفهم وأعلمهم وزيراً اسمه ديدان . فقال له الملك : يا وزير ، إن ابنتي أبطأت ولم يجئنا خبر عنها وقد فات ميعاد مجيئها فارسل ساعياً إلى دير النار ليتحقق الأخبار . فقال : سمعاً وطاعة . ثم خرج الوزير ونادى مقدم السعادة وقال له : سر من وقتك إلى دير النار . فخرج وسافر حتى وصل إلى دير النار وسأل الرهبان عن بنت الملك فقالوا : ما رأيناها في هذا العام . فعاد على أثره حتى وصل إلى مدينة اسبانيير ودخل على الوزير وأعلمه بما كان . فدخل الوزير على الملك سابور وأعلمه ، فقامت قيامته ورمى تاجه في الأرض وتنف لحيته ووقع على الأرض مغشياً عليه . فرشوا عليه الماء فأفاق وهو باكي العين حزين القلب فأنشد قول الشاعر : [من الطويل]

ولمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ والبُكَاءُ أَجَابَ البُكَاءَ طَوْعاً وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
وإنْ كَانَتْ الأَيَّامُ تَفْرُقُ بَيْنَنَا لَتَقْتُلُنَا بِالغَدْرِ يا حَبِذا الغَدْرُ

ثم دعا الملك بعشرة قواد وأمرهم أن يركبوا بعشرة آلاف فارس وكل قائد يتوجه إلى إقليم ليفتشوا على الملكة فخر تاج . فركبوا وتوجه كل قائد وجماعته إلى إقليم . وأما أم فخر تاج فإنها لبست هي وجواربها السواد وفرشوا الرماد وقعدوا في البكاء والعديد . هذا ما جرى لهؤلاء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 631

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك سابور أرسل عسكريه يفتشون على بنته ولبست أمها وجواربها السواد . وأما ما كان من أمر غريب وما جرى له في طريقه من الأمر العجيب فإنه سار عشرة أيام ، وفي اليوم الحادي عشر ظهرت له غيرة وارتفعت إلى عنان السماء . فدعا غريب بالأمير الذي يحكم على العجم فحضر فقال له : تحقق لنا خبر هذا الغبار الذي ظهر . فقال : سمعاً وطاعة . ثم ساق جواده حتى دخل تحت الغبار فنظر القوم وسألهم . فقال واحد منهم : نحن من بني هطال وأميرنا الصمصام بن الجراح ونحن دائرون على شيء ننهبه وقومنا خمسة آلاف فارس . فرجع العجمي مسرعاً بجواده حتى وصل إلى غريب وأخبره بالأمر . فصاح غريب على رجال بني قحطان وعلى العجم وقال : إحملوا سلاحكم . فحملوه وساروا ، فقابلتهم العربان وهم ينادون : الغنيمة ! الغنيمة ! فصاح غريب وقال : أخزاكم الله يا كلاب العرب . ثم حمل وصددهم صدمة بطل صنديد وهو يقول : الله أكبر ، يا لدين إبراهيم الخليل عليه السلام . ووقع بينهم القتال وعظم النزال ودار السيف وكثر القيل والقال . ولم يزلوا في حرب حتى ولَّى النهار وأقبل الظلام ، فانفصلوا من بعضهم وتفقّد غريب القوم فوجد المقتول من بني قحطان خمسة رجال ومن العجم ثلاثة وسبعين ، ومن قوم الصمصام ما يزيد على خمسمائة فارس . ثم نزل الصمصام ولم يطب له طعام ولا منام ثم قال لقومه : عمري ما رأيت مثل قتال هذا الصبي ، لأنه تارة يقاتل بالسيف وتارة بالعمود . ولكني

أبرز له غداً في حومة الميدان وأطلبه إلى مقام الضرب والطعان وأقطع هؤلاء العربان . أما غريب فإنه لما رجع إلى قومه لاقته الملكة فخرتاج باكية مرعوبة من هول ما جرى ، وقبّلت رجله في الركاب وقالت له : لا شئت يدك ولا شمتت عداك يا فارس الزمان ، والحمد لله الذي سلمك في هذا النهار واعلم أنني خائفة عليك من هذه العربان . فلما سمع غريب كلامها ضحك في وجهها وطيب قلبها وطمئنها وقال لها : لا تخافي يا ملكة ، فلو كانت الأعداء ملء هذه البيداء لافتيهم بقوة العلي الأعلى . فشكرته ودعت له بالنصر على الأعداء . ثم إنها انصرفت إلى جواربها ونزل غريب فغسل يديه وما عليه من دم الكفّار وياتوا يتحارسون إلى الصباح . ثم ركب الفريقان وطلبوا الميدان ومقام الحرب والطعان فكان السابق للميدان غريب ، فساق جواده حتى قرب من الكفّار وصاح : هل من مبارز يخرج لي غير كسلان ؟ فبرز إليه عملاق من العمالقة الشداد من نسل قوم عاد ثم حمل على غريب وقال : يا قطاعة العرب ، خذ ما جاءك وابشر بالهلاك . وكان معه دبوس حديد وزنه عشرون رطلاً ، فرفع يده وضرب غريباً فزاع عنه فغاص الدبوس في الأرض ذراعاً وقد انثنى العملاق مع الضربة ، فضربه غريب بالعامود الحديد فشقّ جبهته فخر صريعاً وعجل الله بروحه إلى النار . ثم إن غريباً صالح وجال وطلب البراز فبرز له ثانٍ فقتله وثالث وعاشر ، وكل من برز له قتله . فلما نظر الكفّار إلى قتال غريب وضربه ، زاغوا منه وتأخروا عنه ونظر أميرهم إليهم وقال : لا بارك الله فيكم ، أنا أبرز له . فلبس آلة حربيه وساق جواده حتى ساوى غريباً في حومة الميدان وقال له : ويلك يا كلب العرب ، هل بلغ من قدرك أن تبارزني في الميدان وتقتل رجالي ؟ فجأوبه غريب وقال : دونك والقتال وخذ ثار من قتل من الفرسان . فحمل الصمصام على غريب فتلقاه بصدر رحيب وقلب عجيب فتضارب الإثنان بالعمودين حتى حيرا الفريقين ورمقتهم كل عين وقد جالا في الميدان وضربا بعضهما ضربتين . فأما غريب فإنه خيب ضربة الصمصام في الحرب والإصطدام ، وأما الصمصام فسقطت عليه ضربة غريب فخشفت صدره وأوقعته في الأرض قتيلاً . فحمل قومه على غريب حملة واحدة وحمل غريب عليهم وصاح : الله أكبر ، فتح ونصر وخذل من كفر بدين إبراهيم الخليل عليه السلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 632

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما حمل عليه قوم الصمصام حملة واحدة حمل عليهم وصاح : الله أكبر ، فتح ونصر وخذل من كفر . فلما سمع الكفّار ذكر الملك الجبار الواحد القهار الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . نظر بعضهم إلى بعض وقالوا : هذا الكلام الذي أردد فرائضنا وأضعف هممنا وقصر أعمارنا ، فما سمعنا في عمرنا أطيب من هذا الكلام . ثم إنهم قالوا لبعضهم : إرجعوا عن القتال حتى نسأل عن هذا الكلام . فرجعوا عن القتال ونزلوا عن الخيول واجتمع كبارهم وتشاوروا وطلبوا المسير إلى غريب وقالوا : يمضي إليه منا عشرة . واختاروا عشرة من خيارهم فتوجهوا إلى خيام غريب . وأما غريب وقومه فإنهم نزلوا في خيامهم وتعجبوا من رجوع القوم عن الحرب . فبينما هم كذلك وإذا بالعشرة رجال قد أقبلوا وطلبوا الحضور بين يدي غريب وقبّلوا الأرض ودعوا له بالعز والبقاء . فقال لهم : ما لكم رجعتن عن القتال ؟ فقالوا : يا مولانا ، أرعبتنا بالكلام الذي صحت

به علينا . فقال لهم : ما تعبدون من المصائب ؟ فقالوا : نعبد وداً وسواعاً ويغوث أرباب قوم نوح . قال غريب : إننا لا نعبد إلا الله تعالى ، خالق كل شيء ورازق كل حي وهو الذي خلق السموات والأرض وأرسى الجبال وأنبع الماء من الأحجار وأنبث الأشجار ورزق الوحوش في القفار ، فهو الله الواحد القهار . فلما سمع القوم كلام غريب ، انشرفت صدورهم بكلمة التوحيد وقالوا : إن هذا الإله ربّ عظيم ، راحم رحيم . ثم قالوا : فما نقول حتى نصير مسلمين ؟ قال غريب : قولوا : لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله . فأسلم العشرة إسلاماً صحيحاً . ثم قال غريب : إن دليل حلاوة الإسلام في قلوبكم أن تمضوا إلى قومكم وتعرضوا عليهم الإسلام ، فإن أسلموا أسلموا وإن أبوا نحرقهم بالنار . فسار العشرة حتى وصلوا إلى قومهم وعرضوا عليهم دين الإسلام وشرحوا لهم طريق الحق والإيمان . فأسلموا قلباً ولساناً وسعوا على الأقدام حتى وصلوا إلى غريب وقبلوا الأرض بين يديه ودعوا له بالعزّ وعلو الدرجات وقالوا : يا مولانا ، نحن صرنا عبيدك فأمرنا بما تريد فإننا لك سامعون مطيعون ، وما بقينا نفارقك لأن الله هدانا على يدك . فجازاهم خيراً وقال لهم : امضوا إلى منازلكم وارحلوا بأموالكم وأولادكم واسبقونا على وادي الأزهار وحصن صاصابن شيث حتى أشيع فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم وأعود إليكم . فقالوا : سمعاً وطاعة . ثم إنهم رحلوا من وقتهم وقصدوا حيّهم وهم فرحون بالإسلام ، وعرضوا الإسلام على عيالهم وأولادهم فأسلموا . ثم هدوا بيوتهم وأخذوا أموالهم ومواشيهم ورحلوا إلى وادي الأزهار ، فخرج غول الجبل وأولاده واستقبل القوم . فكان غريب أوصاهم وقال لهم : إذا خرج إليكم غول الجبل وأراد أن يبطش بكم فاذكروا الله تعالى خالق كل شيء ، فإنه متى سمع ذكر الله تعالى يرجع عن القتال ويلقاكم بالترحيب . فلما خرج غول الجبل بأولاده وأراد أن يبطش بهم أعلنوا بذكر الله تعالى فتلقاهم بأحسن ملتقى وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم مع غريب . ففرح بهم سعدان وأنزلهم وغمرهم بالإحسان . هذا ما جرى لهم . وأما غريب فإنه رحل بالملكة فخرتاج وتوجه إلى مدينة اسباينير ، فسار خمسة أيام . وفي اليوم السادس ظهر له غبار ، فأرسل رجلاً من الأعمام يتحقق له الأخبار . فسار إليه ثم عاد أسرع من الطير إذا طار وقال : يا مولاي هذا غبار ألف فارس من أصحابنا الذين أرسلهم الملك يفتشون على الملكة فخرتاج . فلما بلغ غريب ذلك ، أمر أصحابه بالنزول وأن يضربوا الخيام . فنزلوا وضربوا خيامهم حتى وصل إليهم القادمون فتلقاهم رجال الملكة فخرتاج وأخبروا طومان الحاكم عليهم وأعلموه بالملكة فخرتاج . فلما سمع طومان بذكر الملك غريب دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وسأله عن حال الملكة فإرساله إلى خيمتها . فدخل عليها وقبل يديها ورجليها وأخبرها بما جرى لأبيها وأمها ، فأخبرته بجميع ما جرى لها وكيف خلّصها غريب من غول الجبل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة فخرتاج لما حكمت لطومان جميع ما حصل لها من غول الجبل وأسرها وكيف خلّصها غريب وإلاّ كان أكلها قالت : فوجب على أبي أن يعطيه نصف ملكه . ثم إنه قام طومان وقبل يدي غريب ورجليه وشكر إحسانه وقال : عن إذنك يا مولاي ، هل أرجع إلى مدينة اسباينير فأبشّر الملك ؟ فقال له : توجه وخذ

فلما كانت الليلة
التي كانت الليلة
633
التي كانت الليلة

منه البشارة . فسار طومان ورحل غريب بعده . فأما طومان فإنه جدّ في السير حتى أشرف على اسبائير المدائن فظلع القصر وقبّل الأرض قدام الملك سابور . فقال الملك : ما الخبر يا بشير الخير ؟ فقال له طومان : ما أقول لك حتى تعطيني بشارتي . فقال له الملك : بشرني حتى أرضيك . فقال : يا ملك الزمان أبشر بالملكة فخرتاج . فلما سمع سابور ذكر ابنته وقع مغشياً عليه ، فرشوا عليه ماء الورد فافاق وصاح على طومان وقال له : تقرّب إليّ وبشرني . فتقدّم وشرح له ما جرى للملكة فخرتاج . فلما سمع الملك ذلك الكلام خطب كفيه على بعضهما وقال : مسكينة يا فخرتاج . ثم إنه أمر لطومان بعشرة آلاف دينار وانعم عليه بمدينة أصبهان وأعمالها . ثم صاح على أمرائه وقال : إركبوا بأجمعكم حتى نلاقي الملكة فخرتاج . ودخل الخادم الخاص أعلم أمها وكامل الحريم ، ففرح بذلك وخلعت أمها على الخادم خلعة وأعطته ألف دينار . وسمع أهل المدينة بذلك فزينوا الأسواق والبيوت . وركب الملك طومان وساروا حتى رأوا غريباً ، فترجّل الملك سابور ومشى خطوات ليستقبل غريباً ، وترجّل غريب ومشى إليه واعتنقا وسلّما على بعضهما وانكبّ سابور على يدي غريب فقبلهما وشكر إحسانه . ونصبوا الخيام قبال الخيام ودخل سابور على ابنته ، فقامت له واعتنقت وصارت تحدّثه بما جرى لها وكيف خلّصها غريب من قبضة غول الجبل . فقال لها أبوها : وحياتك يا سيدة الملاح إني أعطيه حتى أغمره بالعطاء . فقالت له : صاهره يا أبتى حتى يكون لك عوناً على الأعداء فإنه شجاع . وما قالت هذا الكلام إلا لأن قلبها تعلّق بغريب . فقال : يا بنتي ، أما تعلمين أن الملك خردشاه رمى الديباج ووهب مائة ألف دينار وهو ملك شيراز وأعمالها وهو صاحب ملك وجنود وعساكر . فلما سمعت فخرتاج كلام أبيها قتت : يا أبتى ، ما أريد ما ذكرت لي ، وإن أكرهتني على ما لا أريد قتلت روحي . فخرج الملك وتوجه إلى غريب فقام له ، وجلس سابور وصار لا يشبع نظره من غريب وقال في نفسه : والله إن ابنتي معذورة حيث حبّبت هذا البدوي . ثم حضر الطعام ، فأكلوا وباتوا . ثم أصبحوا ساترين إلى أن وصلوا إلى المدينة ودخل الملك وغريب ركابه في ركابه وكان لهم يوم عظيم . ودخلت فخرتاج قصرها ومحل عزّها وتلقته أمها وجواربها وقمن بالفرح والزغاريد . وجلس الملك سابور على كرسي مملكته وأجلس غريباً على يمينه ووقف الملوك والحجاب والأمراء والنواب والوزراء ميمنة وميسرة وقد هنّؤوا الملك بابنته . فقال الملك لأرباب دولته : من أحبّني يخلع على غريب . فوقع عليه خلع مثل المطر ، وأقام غريب في الضيافة عشرة أيام . ثم أراد المسير فخلع عليه الملك وحلف بدينه أنه لا يرحل إلا بعد شهر . فقال غريب : يا ملك ، إني خطبت بنتاً من بنات العرب وأريد أن أدخل عليها . فقال الملك : أيتها أحسن أمخطوبتك أم فخرتاج ؟ فقال غريب : يا ملك الزمان أين العبد من المولى ؟ فقال الملك : فخرتاج صارت جاريتك لأنك خلصتها من مخالب الغول وما لها بعل سواك . فقام غريب وقبّل الأرض وقال : يا ملك الزمان ، أنت ملك وأنا رجل فقير وربما تطلب مهراً ثقيلاً . فقال له الملك سابور : يا ولدي ، أعلم أن الملك خردشاه صاحب شيراز وأعمالها خطبها وجعل لها مائة ألف دينار ، وأنا قد اخترتك دون الناس أجمعين وقد جعلتك سيف مملكتي وترس نعمتي . ثم التفت لكبراء قومه وقال : إشهدوا عليّ يا أهل مملكتي أنني زوجت ابنتي فخرتاج لولدي غريب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك سابور ملك العجم قال لكبراء قومه: إشهدوا علي أنني زوجت ابنتي فخرتاج لولدي غريب. فعند ذلك صافحه وصارت زوجته. فقال له غريب: إشرط علي مهر أحمله إليك فإن عندي في حصن صاصا مالا وذخائر لا تحصى. فقال سابور: يا ولدي، ما أريد منك مالا ولا ذخائر ولا آخذ مهرها إلا رأس

الجمرقان ملك الدشت ومدينة الأهواز. فقال: يا ملك الزمان، سوف أمضي وأجيء بقومي وأسير لعدوي وأحرب دياره. فجازاه الملك خيراً وانفض القوم والأكابر، وظن الملك أن غريباً إذا توجه إلى الجمرقان ملك الدشت لا يعود أبداً. فلما أصبح الصباح ركب الملك وركب غريب وأمر العسكر بالركوب، فركبوا ونزلوا الميدان. فقال لهم الملك: إلبعوا بالرمح وفرحوا قلبي. فلعب أبطال العجم مع بعضهم ثم قال غريب: يا ملك الزمان، مرادي أن العب مع فرسان العجم على شرط. فقال له: وما شرطك؟ قال له: ألبس ثوباً رقيقاً على بدني وآخذ رمحاً بلا سنان وأجعل عليه خرقة مغموسة بالزعفران ويبرز لي كل شجاع ويطل رمحه بسنان فإن غلبني فقد وهبته روحي وإن غلبته علمت عليه في صدره فيخرج من الميدان. فصاح الملك على نقيب الجيش أن يقدم أبطال العجم، فانتخب ألفاً ومائتين من ملوك العجم واختارهم أبطالاً شجعاناً. وقال لهم الملك بلسان العجم: كل من قتل هذا البدوي يتمني علي حتى أرضيه. فتسابقوا إلى غريب وحملوا عليه وقد بان الحق من الباطل والجد من المزاح وقال: توكلت على الله إله إبراهيم الخليل وإله كل شيء قدير، الذي لا يخفى عليه شيء وهو الواحد القهار الذي لا تدركه الأبصار. فبرز له عملاق من أبطال العجم فما أمهله في الثبات قدامه حتى علم عليه وملا صدره بالزعفران، ولما ولّى لطمشه غريب بالرمح على رقبتة فوقع في الأرض وحمله علمانه من الميدان. فبرز له ثان فعلم عليه وثالث ورابع وخامس، ولم يزل يبرز له بطل بعد بطل حتى علم على الجميع ونصره الله تعالى عليهم وطلعوا من الميدان وقدم لهم الطعام فأكلوا وأحضروا الشراب وشربوا. فشرب غريب وطاش عقله فقام يزيل ضرورة وأراد أن يعود فناه ودخل في قصر فخرتاج. فلما رآته خرج عقلها وصاحت على جواربها وقالت: أخرجني إلى مواضعكن. فتفرقن وتوجهن إلى مواضعهن. ثم قامت وقبّلت يد غريب وقالت: مرحباً بسيدي الذي اعتقني من الغول فانا جاريتك على الدوام. وجذبتة إلى فراشها واعتنقتة فاشتدت شهرته واقتضتها وبات عندها إلى الصباح. هذا ما جرى والملك يظن أن غريباً مضى. فلما أصبح الصباح دخل على الملك، فقام له وأجلسه بجانبه. ثم دخل الملوك وقبّلوا الأرض ووقفوا ميمنة وميسرة وصاروا يتحدثون في شجاعة غريب ويقولون: سبحان من أعطاه الشجاعة على صغر سنه. فبينما هم في الكلام إذ نظروا من شبك القصر غبار خيل مقبله. فصاح الملك على الساعة وقال: ويلكم، اتنوني بخبر هذا الغبار. فسار فارس منهم حتى كشف الغبار وعاد وقال: أيها الملك، وجدنا تحت الغبار مائة فارس من الفرسان أميرهم يقال له: سهيم الليل. فلما سمع غريب هذا الكلام قال: يا مولاي هذا أخي، كنت بعثته في حاجة وأنا خارج لألقيه. ثم ركب غريب في قومه المائة فارس من بني قحطان وركب معه ألف من العجم وسار في موكب عظيم ولا عظمة إلا الله، ولم يزل غريب سائراً حتى وصل إليه فترجل الإثنان واعتنقا ثم ركبوا. فقال غريب: يا أخي، هل

أوصلت قومك إلى حصن صاصا ووادي الأزهار؟ فقال: يا أخي، إن الكلب الغدار لما سمع أنك ملكت حصن غول الجبل زاد به الضجر وقال: إن لم أرحل من هذه الديار يجيء غريب فيأخذ بنتي مهدية بلا صداق. ثم أخذ بنته وأخذ قومه وعياله وماله وقصد أرض العراق ودخل الكوفة واحتمى بالملك عجيب وهو طالب أن يعطيه ابنته مهدية. فلما سمع غريب كلام أخيه سهيم الليل كادت روحه أن تزهق من القهر وقال: وحقّ دين الإسلام دين الخليل إبراهيم وحقّ الرب العظيم لأسيرن إلى أرض العراق وأقيم الحرب فيها على ساق. ودخل المدينة وطلع غريب وأخوه سهيم الليل إلى قصر الملك وقبّلوا الأرض، فقام الملك لغريب وسلّم على سهيم. ثم إن غريباً أخبر الملك بما جرى، فأمر له بعشرة قواد مع كل قائد عشرة آلاف فارس من شجعان العرب والعجم. فجهّزوا حالهم في ثلاثة أيام ثم رحل غريب وسار حتى وصل إلى حصن صاصا، فخرج له غول الجبل وأولاده ولاقوا غريباً. ثم ترجل سعدان وأولاده وقبّلوا أقدام غريب في الركاب وحكى لغول الجبل ما جرى. فقال: يا مولاي، أقعد في حصنك وأنا أسير بأولادي وأجنادي نحو العراق وأخرب مدينة الرستاق وأجيبك بجميع جنودها مربوطين بين يديك في أشد الوثاق. فشكره غريب وقال: يا سعدان نسير كلنا. فجهّز حاله وفعل ما أمره وساروا كلّهم وتركوا في الحصن ألف فارس يحفظونه ورحلوا قاصدين العراق. هذا ما كان من أمر غريب. وأما ما كان من أمر مرداس، فإنه سار بقومه حتى وصل أرض العراق وأخذ معه هدية حسنة ومضى بها إلى الكوفة وأحضرها قدام عجيب. ثم قبّل الأرض ودعاه بدعاء الملوك وقال: يا سيدي، إني أتيت مستجيراً بك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن مرداساً لما طلع بين يدي عجيب قال له: إني أتيت مستجيراً بك. فقال: من ظلمك حتى أجيرك منه؟ ولو كان سابوراً ملك العجم والترك والديلم. فقال مرداس: يا ملك الزمان، ما ظلمني إلا صبي ربيته في حجري وقد وجدته في حجر أمه في وادٍ فتزوجت بأمه فجاءت مني بولد فسميته سهيم الليل وولدها إسمه

فلما كانت الليلة
635
التي ولد فيها
الملك السعيد

غريب، فنشأ في حجري وطلع صاعقة محرقة وداهية عظيمة فقتل حسان سيد بني نهبان وأفنى الرجال وقهر الفرسان. وعندي بنت ما تصلح إلا لك وقد طلبها مني فطلبت منه رأس غول الجبل، فسار له وبارزه وأسره وصار من جملة رجاله. وسمعت أنه أسلم وصار يدعو الناس إلى دينه وخلص بنت سابور من الغول وملك حصن صاصا بن شيث بن شداد بن عاد وفيه ذخائر الأولين والآخرين وكنوز السابقين. وقد سار يشيع بنت سابور وما يرجع إلا بأموال العجم. فلما سمع عجيب كلام مرداس اصفّر لونه وتغيّر حاله وأيقن بهلاك نفسه وقال: يا مرداس، وهل أم هذا الصبي عندك أو عنده؟ قال: عندي في خيامي. قال: فما اسمها؟ قال: إسمها نصره. قال: هي إياها. فأرسل أحضرها فنظر عجيب إليها فعرّفها فقال: يا ملعونة، أين العبدان اللذان أرسلتهما معك؟ قالت: قتلا بعضهما على شأني. فسلّ عجيب سيفه وضربها فشققها نصفين وسحبوها ورموها. ودخل في قلبه الوسواس فقال: يا مرداس زوجني بنتك. فقال مرداس: هي من بعض جواريك وقد زوجتك بها وأنا عبدك. فقال عجيب: مرادي أن أنظر إلى ابن الزانية غريب حتى أهلكه وأذيقه أصناف العذاب. وأمر لمرداس بثلاثين ألف دينار مهر ابنته ومائة شقة

من الحرير منسوجة بطراز الذهب مزر كشة ومائة مقطع بحاشية ومناديل وأطواق ذهب . ثم خرج مرداس بهذا المهر العظيم فاجتهد في جهاز مهديّة . هذا ما جرى لهؤلاء . وأما ما كان من أمر غريب فإنه سار حتى وصل إلى جزيرة وهي أول بلاد العراق وهي مدينة حصينة منيعة ، فأمر غريب بالنزول عليها . فلما نظر أهل المدينة نزول العسكر عليهم ، أغلقوا الأبواب وحصنوا الأسوار وطلّعوا الملك فأعلموه . فنظر من شرفات القصر فوجد عسكراً جرّاراً وكلهم أعجم فقال : يا قوم ، ما يريدون هؤلاء الأعجم ؟ فقالوا : لاندرى . وكان الملك إسمه الدامغ ، لأنه كان يدمغ الأبطال في حومة الميدان ، وكان من جملة أعوانه رجل شاطر كأنه شعلة نار اسمه سبع القفار . فدعاه الملك وقال له : إمض إلى هذا العسكر وانظر أخبارهم وما يريدون منا وارجع عاجلاً . فخرج سبع القفار كأنه الريح إذا سار حتى وصل إلى خيام غريب . فقام جماعة من العرب فقالوا : من أنت وما تريد ؟ فقال : أنا قاصد ورسول من عند صاحب المدينة إلى صاحبكم . فاخذوه وشقّوا به الخيام والمضارب والأعلام حتى وصلوا به إلى سرادق غريب . فدخلوا على غريب وأعلموه به فقال : اثنتوني به . فأتوا به ، فلما دخل قبّل الأرض ودعا له بلوام العز والبقاء . قال له غريب : ما حاجتك ؟ قال : أنا رسول صاحب مدينة الجزيرة الدامغ أخو الملك كندمر صاحب مدينة الكوفة وأرض العراق . فلما سمع غريب كلام الرسول جرت دموعه مدراراً ونظر إلى الرسول وقال له : ما اسمك ؟ قال : إسمي سبع القفار . فقال له : إمض إلى مولاك وقل له : إن صاحب هذه الخيام اسمه غريب بن كندمر صاحب الكوفة الذي قتله ابنه وقد أتى إلى أخذ الثار من عجيب الكلب الغدار . فخرج الرسول حتى وصل إلى الملك الدامغ وهو فرحان ثم قبّل الأرض . فقال الملك : ما وراؤك يا سبع القفار ؟ قال : يا مولاي إن صاحب هذا العسكر ابن أخيك . ثم حكى له جميع الكلام فظن أنه في المنام وقال : يا سبع القفار . فقال له : نعم يا ملك . قال له : هل الذي قتله حق ؟ قال له : وحياة رأسك إنه حق . فعند ذلك أمر كبار قومه بالركوب ، فركبوا وركب الملك وساروا حتى وصلوا إلى الخيام . فلما علم غريب بحضور الملك الدامغ ، خرج إليه ولاقاه واعتنق الإثنان وسلّما على بعضهما ورجع غريب بالملك إلى الخيام وجلسا على مراتب العزّ وفرح الدامغ بغريب ابن أخيه . ثم التفت الملك الدامغ إلى غريب وقال له : إن في قلبي حسرة من ثار أبيك وما لي قدرة على الكلب أخيك لأن عسكره كثير وعسكري قليل . فقال غريب : يا عم ، ها أنا قد أتيت آخذ الثار وأزيل العار وأخلي منه الديار . فقال الدامغ : يا ابن أخي ، إن لك ثارين : ثار أبيك وثار أمك . فقال غريب : ما بال أمي ؟ قال : قتلها عجيب أخوك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما سمع كلام عمه الدامغ حين قال له : إن أمك قتلها عجيب أخوك . قال غريب : يا عم ، وما سبب قتلها ؟ فحكى له ما جرى لأمه وكيف زوج مرداس بنته بعجيب وهو يريد أن يدخل عليها . فلما سمع غريب كلام عمه ، طار عقله من رأسه وغشي عليه حتى كاد أن يهلك . فلما صحا بن غشيته صاح في عسكره وقال : إركبوا . فقال الدامغ : يا ابن أخي ، إصبر حتى أهيء حالي وأركب في رجالي وأسير معك في ركابك . فقال : يا عم ، ما بقي لي صبر فجهّز حالك والحقني في الكوفة . ثم إن

فلما كانت الليلة
الليلة
636
الليلة

غريباً سار حتى وصل إلى مدينة بابل وقد ارتعب أهلها . وكان فيها ملك إسمه جمك ، وكان تحته عشرة آلاف فارس واجتمع عنده من القرى خمسون ألف فارس وضربوا الخيام قبال بابل . ثم كتب غريب كتاباً وأرسله لصاحب بابل . فسار الرسول فلما وصل إلى المدينة صاح وقال : إني رسول . فسار بواب الباب متوجهاً إلى الملك جمك وأخبره بالرسول . فقال : اثنتي به . فخرج وأتى بالرسول بين يديه ، فقَبِلَ الأرض وأعطى جمكاً الكتاب . ففكّه وقراه فإذا فيه : الحمد لله رب العالمين ، رب كل شيء ورازق كل حي وهو على كل شيء قدير . من عند غريب بن الملك كندمر صاحب العراق وأرض الكوفة إلى جمك . فساعة وصول الكتاب إليك لا يكون جوابك إلا أن تكسر الأصنام وتوحد الملك العلام خالق النور والظلام وخالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ، وإن لم تفعل ما أمرتك به جعلت اليوم عليك أشام الأيام . والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى رب الآخرة والأولى الذي يقول للشيء : كن فيكون . فلما قرأ الكتاب ، أزرقّت عيناه واصفرّ وجهه وصاح على الرسول وقال له : إمض إلى صاحبك وقل له : غداً عند الصباح يكون الحرب والكفاح وبيان الجحجاج . فمضى الرسول وأعلم غريباً بما كان ، فأمر غريب قومه بأخذ الأهبة للقتال . ثم أمر جمك بنصب الخيام قبال خيام غريب وخرج عساكر مثل البحر الزاخر وباتوا على نية القتال . فلما أصبح الصباح ركبت الطائفتان واصطفتا صفوفاً ودقوا الكاسات ورمحوا على الصافنات فملؤوا الأرض والفلوات وتقدّمت الأبطال . وكان أول من برز إلى ميدان الحرب والنزال غول الجبل ، وعلى كتفه شجرة هائلة فصاح بين الفريقين وقال : أنا سعدان الغول . ونادى : هل من مبارز ؟ هل من مناجز لا يأتي كسلان ولا عاجز ؟ ثم صاح على أولاده : يا ويلكم ، فاثبتوني بالخطب والنار لأنني جائع . فصاحوا على عبيدهم فجمعوا الخطب وأشعلوا النار في وسط الميدان ، فبرز له رجل من الكفار عملاق من العمالقة العتاة وعلى كتفه عمود مثل صاري مركب فحمل على سعدان وقال : يا ويلك يا سعدان . فلما سمع كلام العملاق ساءت منه الأخلاق ولفّ الشجرة فزمرت في الهواء وضرب بها العملاق فلاقت الضربة بالعمود فنزلت الشجرة بثقلها مع عمود العملاق على دماغه فهشمته ووقع كالنخلة السحوق . فصاح سعدان على عبيده وقال : إسحبوا هذا العجل السمين واشووه سريعاً . فأسرعوا وسلخوا العملاق وشووه وقدموه لسعدان الغول ، فأكله ومرمش عظامه . فلما نظر الكفار إلى فعل سعدان بصاحبهم ، اقشعرت جلودهم وأبدانهم وانعكست أحوالهم وتغيّرت ألوانهم وقالوا لبعضهم : كل من خرج لهذا الغول أكله ومرمش عظامه وأعدمه نسيم الدنيا . فتوقفوا عن القتال وقد فزعوا من الغول وأولاده ثم ولّوا هارين وإلى بلدهم قاصدين . فعند ذلك صاح غريب على قومه وقال : عليكم بالمنهزمين . فحمل العجم والعرب على ملك بابل وقومه وأوقفوا فيهم ضرب السيف حتى قتلوا منهم عشرين ألفاً وأزيد ، وازدحموا في الباب فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ولم يقدروا على غلق الباب . فهجمت عليهم العرب والعجم وأخذ سعدان عموداً من بعض القتلى وهزّه قدام القوم ونزل به في الميدان ، ثم هجم على قصر الملك جمك فواجهه وضربه بالعمود فوقع على الأرض مغشياً عليه ، وحمل سعدان على من في القصر فجعلهم هشيماً . فعند ذلك صاحوا : الأمان الأمان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن سعدان الغول لما هجم على قصر الملك جمك وهشم من فيه صاحوا : الأمان الأمان . فقال لهم سعدان : كتفؤوا ملككم . فكتفؤوه وحملوه وساقهم سعدان قدماه مثل الغنم بعد فناء أكثر أهل المدينة بسيف عسكر غريب وأوقفهم قدام غريب . فلما أفاق جمك ملك بابل من غشيته وجد نفسه مربوطاً والغول يقول :

الليلة أتعشى بهذا الملك جمك . فلما سمعه التفت إلى غريب وقال له : أنا في جيرتكَ . قال غريب : اسلم تسلّم من الغول ومن عذاب الحي الذي لا يزول . فاسلم جمك قلباً ولساناً . فأمر غريب بحل كتافه ثم عرض الإسلام على قومه فاسلموا جميعاً وقد وقفوا في خدمة غريب . ودخل جمك مدينته وأخرج الطعام والشراب وباتوا على بابل حتى أصبح الصباح ، فأمر غريب بالرحيل وساروا حتى وصلوا إلى ميفارقين فأروها خالية من أهلها . وكان أصحابها قد سمعوا ما جرى لبابل فأخلوا الديار وساروا حتى وصلوا إلى مدينة الكوفة فأخبروا عجبياً بما جرى . فقامت قيامته وجمع أبطاله وأخبرهم بقدم غريب وأمرهم أن يأخذوا الأهبة لقتال أخيه ، وقد أحصى قومه فكانوا ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل . ثم طلب غيرهم للحضور فحضر له خمسون ألفاً من فارس وراجل . ثم ركب في عسكر جرّار وسار خمسة أيام فوجد عسكر أخيه نازلاً بالموصل فنصب خيامه قبال خيامهم . ثم كتب غريب كتاباً والتفت إلى رجاله وقال : من فيكم يوصل هذا الكتاب إلى عجيب ؟ فوثب سهيم قائماً وقال : يا ملك الزمان ، أنا أروح بكتابك وأجيب بجوابك . فأعطاه الكتاب وسار به حتى وصل إلى سراق عجبياً فأخبروا عجبياً به فقال : اتنوني به . فلما أحضروه بين يديه قال له : من أين جئت ؟ قال : جئت من عند ملك العجم والعرب صهر كسرى ملك الدنيا وقد أرسل إليك كتاباً فردّ جوابه . فقال له عجيب : هات الكتاب . فأعطاه إياه ففكّه وقرأه فوجد فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام على الخليل إبراهيم . أما بعد ، فساعة وصول الكتاب إليك توحد الملك الوهاب مسبب الأسباب ومسير السحاب وتترك عبادة الأصنام ، فإن أسلمت كنت أخي والحاكم علينا وأترك لك ذنب أبي وأمي ولا أؤاخذك بما فعلت ، وإن لم تفعل ما أمرتك به قطعت عنقك وأخربت ديارك وعجلت عليك وقد نصحتك والسلام على من اتبع الهدى وأطاع الملك الأعلى . فلما قرأ عجيب كلام غريب وفهم ما فيه من التهديد ، صارت عيناه في أم رأسه وقرش على أضراسه واشتد غضبه ثم مزق الكتاب ورماه . فصعب على سهيم فصاح على عجيب وقال له : شلّ الله يدك بما فعلت . فصاح عجيب على قومه وقال : امسكوا هذا الكلب وقطّعوه بسيوفكم . فهجموا على سهيم ، فسحب سهيم سيفه وبطش بهم فقتل منهم ما يزيد على خمسين بطلاً ومزق سهيم حتى وصل إلى أخيه وهو غاطس في الدم . فقال له غريب : أي شيء هذا الحال يا سهيم ؟ فحكى له ما جرى . فصاح غريب : الله أكبر . وامتزج بالغضب ودقّ طبل الحرب وركب الأبطال واصطف الرجال واجتمع الأقران ورقصوا الخيل في المجال ولبس الرجال الحديد والزررد النضيد وتقلّدوا بالسيوف واعتقلوا الرماح الطوال وركب عجيب بقومه وحملت الأمم على الأمم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان غريباً لما ركب هو وقومه وركب عجيب هو وقومه ، حملت الامم على الامم وحكم قاضي الحرب وفي حكمه ظلم وختم على فمه ولم يتكلم ، وجرى الدم وانسجم ونقش على الارض طرازاً محكماً وشابت الامم واشتد الحرب واحتدم وزلت القدم ، وثبت الشجاع واقتحم وولّى الجبان وانهزم . ولم يزالوا في حرب وقتال حتى ولّى النهار واقبل الليل بالإعتكار ، فدقوا كؤوس الانفصال وانفروا بعضهم عن بعض ورجعت كل طائفة إلى خيامها وباتوا . فلما أصبح الصباح ، دقوا كؤوس الحرب والكفاح وقد لبسوا آلة الحرب وتقلدوا بالسيوف الملاح واعتقلوا سمر الرماح وركبوا الجرد القداح ونادوا : اليوم لا براح . واصطف العساكر مثل البحر الزاخر فكان اول من فتح باب الحرب سهيم ، فساق جواده بين الصفين ولعب بالسيفين والرمحين وقلب أبواباً في الحرب حتى حير وليّ الالباب ثم نادى : هل من مبارز ؟ هل من مناجز لا يأتني كسلان ولا عاجز ؟ فبرز له فارس من الكفار كأنه شعلة من نار فما أمهله سهيم في الثبات قدماه حتى طعنه فالفاه . فبرز له الثاني فقتله والثالث فمزقه والرابع فأهلكه . ولم يزل كل من برز له قتله إلى نصف النهار حتى قتل مائتي بطل . فعند ذلك صاح عجيب في قومه وأمرهم بالحملة ، فحمل الأبطال على الأبطال وعظم النزال وكثر القيل والقال ورنت السيوف الصقال وفتكت الرجال بالرجال وصاروا في أنحس حال ، وجرى الدم وسال وصارت الجماجم للخيول نعال . ولم يزالوا في ضرب شديد حتى ولّى النهار واقبل الليل بالإعتكار وانفصلوا من بعضهم ومضوا إلى خيامهم وباتوا إلى الصباح . ثم ركب الطائفتان وطلبوا الحرب والكفاح وانتظر المسلمون غريباً يركب تحت الأعلام على جري عادته فما ركب . فذهب عبد سهيم إلى سرادق أخيه فلم يجده . فسأل الفرّاشين فقالوا : ما لنا به علم . فاغتمّ غمّاً شديداً وخرج وأعلم العسكر . فامتنعوا من الحرب وقالوا : إن غاب غريب يهلكنا علوه . وكان لغياب غريب أمر عجيب نذكره على الترتيب . وهو أنه لما رجع عجيب من حرب أخيه غريب دعا رجلاً من أعوانه يقال له : سيّار وقال له : يا سيّار ، ما أذخرتك إلاّ لمثل هذا اليوم وقد أمرتك أن تدخل عسكر غريب وتصل إلى سرادق الملك وتجيء بغريب وتريني شطارتك . فقال : سمعاً وطاعة . ثم إن سيّاراً سار حتى تمكّن من سرادق غريب وقد اظلم الليل وانصرف كل إنسان إلى مرقد . هذا كله وسيّار واقف بسبب الخدمة ، فعطش غريب فطلب الماء من سيّار فقدم له كوز ماء وشغله بالبنج ، فما فرغ غريب من الشرب حتى سبقت رأسه رجله فلقه في رداثه وحمله وسار به حتى دخل خيام عجيب ثم وقف بين يديه ورماه قدّامه . فقال له : ما هذا يا سيّار ؟ قال له : هذا أخوك غريب . ففرح عجيب وقال له : باركت فيك الاصنام حلّه ونبيّه . فشقه بالخل فافاق وفتح عينه فوجد نفسه مربوطاً وهو في خيمة غير خيمته فقال : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم . فصاح عليه أخوه وقال له : أتجد عليّ يا كلب وتطلب قتلي وتطالبني بشأ أهلك وأملك ؟ فانا اليوم ألحقك بهما وأريح الدنيا منك . فقال له غريب : يا كلب الكفار سوف تنظر من تدور عليه الدوائر ويقهره الملك القاهر العالم بما في السرائر ، الذي يتركك في جهنم معذباً جائراً . فارحم نفسك وقل معي : لا إله إلاّ الله إبراهيم خليل الله . فلما سمع عجيب كلام غريب ، شخر وسبّ إلهه الحجر وأمر بإحضار السيّاف

ونطح الدم . فهض الوزير وقبّل الارض وكان مسلماً في الباطن كافرأ في الظاهر وقال : يا ملك ، إمهل لا تعجل حتى نعرف الغالب من المغلوب ، فإن كنا غاليين فنحن متمكنون من قتله وإن كنا مغلوبين يكون إيقاؤه في أيدينا قوة لنا . فقال الأمراء : صدق الوزير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة قال
الوزير وقال : لا تعجل فإننا متمكنون من قتله . فأمر عجيب لآخيه
بقيدين وغلّين وجعله في خيمته وحرّس عليه ألف بطل شداداً . وأصبح
قوم غريب فاقدين ملكهم فلم يجدوه ، فلما أصبح الصباح صاروا
غنماً من غير راع . فصاح سعدان الغول وقال : يا قوم ، إلبسوا آلة
حربكم وتوكلوا على ربكم يدفع عنكم . فركب العرب والعجم خيولهم بعد أن لبسوا الحديد
وتسربلوا بالزرد النضيد وبرزت السادات وتقدّم أصحاب الرايات ، فعند ذلك برز غول الجبل
وعلى كتفه عمود وزنه مائتا رطل فجال وصال وقال : يا عبدة الاصنام ، ابرزوا اليوم فإنه يوم
الإصطدام ، من عرفني فقد اكتفى شرّي ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي ، أنا سعدان غلام
الملك غريب . هل من مبارز؟ هل من مناجز لا يأتني اليوم جبان ولا عاجز؟ فبرز له بطل من
الكفّار كأنه شعلة من نار ، فحمل على سعدان فتلقاه سعدان وضربه بالعمود فكسر أضلاعه
ووقع على الأرض ليس فيه روح . فصاح على أولاده وعبيده وقال لهم : أشعلوا النار فكل من
وقع من الكفّار اشووه واصلحوا شأنه ونضجوه بالنار وقدموه إليّ حتى أتغدى به . ففعلوا ما
أمرهم به وأطلقوا النار في وسط الميدان وطرحوا ذلك المقتول في النار حتى استوى قدّموه
لسعدان ، فنهش لحمه ومرمش عظمه . فلما نظر الكفّار ما فعل غول الجبل ، فزعوا فرعاً شديداً .
فصاح عجيب على قومه وقال : ويلكم ، فاحملوا على هذا الغول واضربوه بسيوفكم وقطّعوه .
فحمل عشرون ألفاً على سعدان ودارت حوله الرجال ورشقوه بالنبال والنشاب فصار فيه أربعة
وعشرون جرحاً وجرى دمه على الأرض وصار وحده . فعند ذلك حملت أبطال المسلمين على
المشركين واستغاثوا برب العالمين ولم يزالوا في حرب وقتال حتى فرغ النهار ، فافترقوا من
بعضهم وقد أسر سعدان وهو مثل السكران من نزيف الدم وشدّوا وثاقه وأضافوه إلى غريب .
فلما نظر غريب إلى سعدان وهو أسير قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقال له : يا
سعدان ، ما هذا الحال؟ فقال : يا مولاي حكم الله سبحانه وتعالى بالشدة والفرج ولا بد من هذا
وهذا ، قال : صدقت يا سعدان . ويات عجيب وهو فرحان وقال لقومه : إركبوا غداً واهجموا على
عسكر المسلمين حتى لا يبقى منهم بقية . فقالوا : سمعاً وطاعة . وأما ما كان من أمر المسلمين
فإنهم باتوا وهم منهزمون باكون على ملكهم وعلى سعدان . فقال لهم سهيم : يا قوم ، لا تهتموا
ففرج الله تعالى قريب . ثم صبر سهيم إلى نصف الليل وتوجه إلى عسكر عجيب ولم يزل يخترق
المضارب والحيام حتى وجد عجيباً جالساً على سرير عزة والملوك حوله . كل هذا وسهيم في صفة
فراش ، وتقدّم إلى الشمع الموقود وقطف زهرته وأشعله بالبنج الطيّار وخرج منه خارج
السرادق وصبر ساعة حتى طلع دخان البنج على عجيب وملوكه فوقعوا على الأرض كأنهم
موتى . فتركهم سهيم وأتى إلى خيمة السجن فوجد فيها غريباً وسعدان ووجد عليها ألف بطل

وقد غلبهم النعاس . فصاح عليهم سهيم وقال : ويلكم لا تناموا واحتفظوا على غريمكم واوقلوا المشاعل . ثم أخذ سهيم مشعلاً وأشعله بالخطب وملاه بنجاً وحمله ودار حول الخيمة ، فطلع دخان البنج ودخل في خياشيمهم فرقدوا جميعهم وتبّنج جميع العسكر من دخان البنج فرقدوا . وكان مع سهيم الليل الخل في اسفنجة ، فنشقّه حتى أفاقوا وقد حلّهم من السلاسل والاعلال . فنظروا إلى سهيم ودعوا له وفرحوا به ثم خرجوا وحملوا جميع السلاح من الحراس وقال لهم : امضوا إلى عسكركم . فساروا ودخل سهيم إلى سرادق عجيب ولقّه في برده وحمله وسار قاصداً خيام المسلمين . وقد ستر عليه الرب الرحيم حتى وصل إلى سرادق غريب وحلّ البردة . فنظر غريب إلى ما في البردة فوجده أخاه عجيباً وهو مكتف فصاح : الله أكبر ، فتح ونصر . ودعا غريب لسهيم وقال : يا سهيم نبّهه . فتقدّم وأعطاه الخل مع الكندز ، فافاق من البنج وفتح عينيه فوجد روحه مكتفاً مقيداً فأطرق رأسه إلى الأرض . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 640

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عجيباً لما قبضه سهيم وتبّجه جاء به عند أخيه غريب ونبّهه ، ففتح عينيه فوجد نفسه مكتفاً مقيداً فأطرق رأسه إلى الأرض . فقال له : يا ملعون إرفع رأسك . فرفع رأسه فوجد نفسه بين عجم وعرب وأخوه جالس على سرير ملكه ومحل عزّه فسكت ولم يتكلم . فصاح غريب وقال : اعروا هذا الكلب . فأعروه ونزلوا عليه بالسياط حتى أضعفوا جسمه وأخمدوا حسّه ، وحرس عليه مائة فارس . فلما فرغ غريب من عذاب أخيه سمعوا التهليل والتكبير في خيام الكفّار . وكان السبب في ذلك أن الملك الدامغ عمّ غريب ، لما رحل غريب من عنده من الجزيرة أقام بعد رحيله عشرة أيام ثم ارتحل بعشرين ألف فارس وسار حتى صار قريباً من الواقعة ، فأرسل ساعي ركابه يكشف له الأخبار فغاب يوماً ثم عاد وأخبر الملك الدامغ بما جرى لغريب مع أخيه ، فصبر حتى أقبل الليل ثم كبر على الكفّار ووضع فيهم الصارم . فسمع غريب وقومه التكبير . فصاح غريب على أخيه سهيم الليل وقال له : إكشف لنا خبر هذا العسكر وما سبب هذا التكبير ؟ فذهب سهيم حتى قرب من الواقعة وسأل الغلمان ، فأخبروه أن الملك الدامغ عمّ غريب وصل في عشرين ألف فارس وقال : وحقّ الخليل إبراهيم ما أترك ابن أخي بل أعمل عمل الشجعان وأردع القوم الكافرين وأرضي الملك الجبار . ثم هجم بقومه في ظلام الليل على القوم الكفرة . فرجع سهيم إلى أخيه غريب وأخبره بما عمل عمه . فصاح على قومه وقال لهم : إحملوا سلاحكم واركبوا خيولكم وساعدوا عمي . فركب العسكر وهجموا على الكفّار ووضعوا فيهم الصارم البتّار ، فما أصبح الصباح حتى قتلوا من الكفّار نحو خمسين ألفاً وأسروا نحو ثلاثين ألفاً وأنهزم باقيهم في الأرض طولاً وعرضاً ، ورجع المسلمون مؤيدين منصورين وركب غريب ولاقى عمه الدامغ وسلّم عليه وشكره على فعله . وقال الدامغ : يا ترى هذا الكلب وقع في هذه الواقعة . فقال غريب : يا عم طيب نفساً وقرّ عيناً واعلم أنه عندي مربوط . ففرح الدامغ فرحاً شديداً ودخلوا الخيام وترجّل الملكان ودخلا السرادق فما وجدا عجيباً . فصاح غريب وقال : يا جاه إبراهيم الخليل عليه السلام . ثم قال : يا له من يوم عظيم ما أشنعه . وصاح على الفّراشين وقال : يا ويلكم أين

غريمي؟ فقالوا: لما ركبت وسرنا حولك لم تأمرنا بسجنه. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقال له عمه: لا تعجل ولا تحملهما فأين يروح ونحن له في الطلب؟ وكان السبب في هروب عجيب غلامه سيّار فإنه كان في العسكر كامناً فما صدق بركوب غريب وما ترك في الخيام من يحرس غريمه، فصبر وأخذ عجيباً وحمله على ظهره وتوجه إلى البر وعجيب مدهوش من ألم العذاب. ثم سار به يجد السير من أول الليل إلى ثاني يوم حتى وصل به إلى عين ماء عند شجرة تفاح، فنزله عن ظهره وغسل وجهه ففتح عينيه فوجد سيّاراً فقال له: يا سيّار رح بي الكوفة حتى أفيق وأجمع الفرسان والجيوش والعساكر وأقهر بها عدوي، واعلم يا سيّار أنني جيعان. فنهض سيّار إلى الغابة واصطاد فرخ نعام وأتى به مولاه وذبحه وقطعه وجمع الحطب وقده النار وأشعل النار وشواه وأطعمه وسقاه من العين فردت روحه. ومضى سيّار إلى بعض أحياء العرب وسرق منهم جواداً وأتى به عجيباً فأركبه وقصد به الكوفة. فسار أياماً حتى وصلا قريباً من المدينة، فخرج النائب للنتقى الملك عجيب وسلّم عليه فوجده ضعيفاً من العذاب الذي عدّبه إياه أخوه. فدخل المدينة ودعا الملك بالحكماء فحضرُوا. فقال لهم: داووني في أقل من عشرة أيام. فقالوا: سمعاً وطاعة. وجعل الحكماء يلاطفون عجيباً حتى شفي وتعافى من المرض الذي كان فيه ومن العذاب. ثم أمر وزيره أن يكتب الكتب إلى جميع النواب، فكتب واحداً وعشرين كتاباً وأرسلهم إليهم، فجهّزوا العساكر وقصدوا الكوفة مجدّين السير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 641 كانت الليلة

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عجيباً أرسل يحضر العسكر فقصدوا الكوفة وحضروا. وأما غريب فإنه صار متأسفاً على هروب عجيب وأرسل خلفه ألف بطل وفرّقهم في جميع الطرق، فساروا يوماً وليلة فلم يجدوا له خبراً. ثم رجعوا وأخبروا غريباً فطلب أخاه سهيماً فما وجده، فخاف عليه من نواب الزمان واغتمّ غمّاً شديداً. فبينما هو كذلك وإذا بسهيم داخل عليه وقبّل الأرض بين يديه. فقام غريب لما نظر إليه وقال: أين كنت يا سهيم؟ فقال له: يا ملك، قد وصلت إلى الكوفة فوجدت الكلب عجيباً وصل إلى محل عزه وأمر الحكماء أن يداووه بما به. فداووه فتعافى وكتب الكتب وأرسلها لنوابه فاتوه بالعساكر. فأمر غريب عسكره بالرحيل، فهلّوا الخيام وصاروا قاصدين الكوفة. فلما وصلوا إليها وجدوا لها عساكر مثل البحر الزاخر ليس لها أول من آخر. فنزل غريب بعسكره مقابل عسكر الكفار ونصبوا الخيام وأقاموا الأعلام ودخل على الطائفتين الظلام فاوقدوا النيران وتحارس الفريقان حتى طلع النهار. فقام الملك غريب توضاً وصلّى ركعتين على ملّة أبينا الخليل إبراهيم عليه السلام وأمر بندق طبول الحرب. فدقت والأعلام خفقت والفرسان لدروها لبست ولخيلوها ركبت ولأنفسها أشهرت وليدان الحرب طلبت. فأول من فتح باب الحرب الملك الدامغ عم الملك غريب وقد ساق جواده بين الصفيين واشتهر بين الفريقين ولعب بالرمحين والسيّفين حتى حير الفرسان وتعجب منه الفريقان. فصاح: هل من مبارز؟ من لا يأتيك كسلان ولا عاجز؟ أنا الملك الدامغ أخو الملك كندمر. فبرز له بطل من فوارس الكفار كأنه شعلة نار وحمل على الدامغ من غير كلام، فلاقاه الدامغ وطعته في صدره فخرج السنان من كتفه وعجل الله بروحه

اي شيء الخبير؟ قالوا: هذا حريم مرداس سيد بني قحطان وأمواله وأموال الحي الذي معه . فإن الجمرقان بالأمس قتل مرداساً ونهب أمواله وسبى عياله وأخذ أموال الحي جميعه . والجمرقان من دابه شن الغارات وقطع الطرقات وهو جبار عنيد ما تقدر عليه العربان ولا الملوك لانه شرمكان . فلما سمع سهيم بقتل ابيه وسبى الحريم ونهب الاموال ، عاد إلى اخيه غريب وأعلمه بذلك . فازداد ناراً على نار وهاجت به الحمية لكشف العار وأخذ النار . فركب في قومه طالبين الفرصة وسار إلى أن وصل إلى القوم فصاح على الرجال : الله أكبر على من طغى وبغى وكفر . وقتل منهم في حملة واحدة واحداً وعشرين بطلاً . ثم وقف في حومة الميدان بقلب غير جبان وقال : أين الجمرقان يبرز لي حتى اذيقه كأس الهوان واخلي منه الاوطان؟ فما فرغ غريب من كلامه حتى برز الجمرقان كأنه جلة من الجلل أو قطعة من جبل بالحديد مسربل . وكان عملاقاً طويلاً جداً فصدم غريباً صدمة جبار عنيد من غير كلام ولا سلام ، فحمل عليه غريب ولاقاه كالاسد الضاري . وكان مع الجمرقان عمود من الحديد الصيني ثقيل رزين لو ضرب به جبلاً لهدمه ، فحملة في يده وضرب به غريباً على رأسه فزاع عنه غريب فنزلت في الأرض فغاصه فيها نصف ذراع ، ثم إن غريباً تناول الدبوس وضرب الجمرقان على مقبض كفه فهرس أصابعه فوق العمود من يده فانحنى غريب من بحر سرجه وخطفه أسرع من البرق الخاطف وضرب به الجمرقان على صف اضلاعه فوق وقع على الأرض كالنخلة السحوق ، فأخذه سهيم وأدار كتافه وسحبه بحبل . واندفعت فرسان غريب على فرسان الجمرقان فقتلوا خمسين وولّى الباقي هارين ، ولم يزلوا في هزيمتهم حتى وصلوا حيهم وأعلنوا بالصياح . فركب كل من في الحصن ولاقوهم وسألوهم عن الخبر فأعلموهم بما كان . فلما سمعوا بأسر سيدهم تسابقوا إلى خلاصه وساروا قاصدين الوادي . وكان الملك غريب لما أسر الجمرقان وهربت أبطاله ، نزل عن جواده وأمر بإحضار الجمرقان . فلما حضر خضع له وقال : أنا في جيرتك يا فارس الزمان . فقال له غريب : يا كلب العرب ، هل تقطع الطريق على عباد الله تعالى ولا تخف من رب العالمين؟ فقال له الجمرقان : يا سيدي ، وما رب العالمين؟ قال غريب : يا كلب ، وما تعبد من المصائب؟ قال له : يا سيدي ، أعبد إلهاً من عجوة بالسمن والعسل ، وفي بعض الأوقات أكله وأعمل غيره . فضحك غريب حتى استلقى على قفاه وقال : يا تعيس ، ما يعبد إلا الله تعالى الذي خلقك وخلق كل شيء ورزق كل حي ولا يخفى عليه شيء وهو على كل شيء قدير . فقال الجمرقان : وأين هذا الإله العظيم حتى أعبده؟ قال له غريب : يا هذا ، أعلم أن ذلك الإله اسمه الله وهو الذي خلق السموات والأرض وأنبت الأشجار وأجرى الأنهار وخلق الوحوش والأطيار والجنة والنار واحتجب عن الأبصار يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى وهو الذي خلقنا ورزقنا سبحانه لا إله إلا هو . فلما سمع الجمرقان كلام غريب انفتحت مسامع قلبه واقشعر جلدده وقال : يا مولاي ، فما أقول حتى أصير منكم ويرضى عليّ هذا الرب العظيم؟ قال له : قل : لا إله إلا الله إبراهيم الخليل رسول الله . فنطق الجمرقان بالشهادة فكتب من أهل السعادة . فقال له : هل ذقت حلوة الإسلام؟ قال : نعم . قال غريب : حلّوا قيوده فحلّوها . فقبل الأرض قدام غريب وقبل رجل غريب . فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الأقطار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجمرقان لما أسلم قبل الأرض بين يدي غريب. فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الاقطار. فقال غريب: يا سهيم، اكشف لنا خبر هذا الغبار. فخرج مثل الطير إذا طار وغاب ساعة ثم عاد وقال: يا ملك الزمان، هذا غبار بني عامر أصحاب الجمرقان. فقال له: إركب ولاق قومك واعرض عليهم

الإسلام، فإن اطاعوك سلموا وإن أبوا عملنا فيهم الحسام. فركب الجمرقان وساق جواده حتى لاقاهم وصاح عليهم. فعرفوه ونزلوا عن الخيل وأتوا على أقدامهم وقالوا: قد فرحنا بسلامتك يا مولانا. فقال: يا قوم، من أطاعني نجا ومن خالفني قصمته بهذا الحسام. فقالوا له: أمرنا بما شئت فإننا لا نخالف لك أمراً. قال: قولوا معي: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله. فقالوا: يا مولانا، من أين لك هذا الكلام؟ فحكى لهم ما جرى له مع غريب وقال لهم: يا قوم، أما تعلمون أنني معادل بكم في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان؟ وقد أسرنني فرد إنسان وإذا قني الذل والهوان. فلما سمع قومه كلامه نطقوا بكلمة التوحيد. ثم توجه بهم الجمرقان إلى غريب وجدّوا إسلامهم بين يديه ودعوا له بالنصر والعزّ بعد أن قبلوا الأرض. ففرح بهم وقال لهم: امضوا إلى حبيكم واعرضوا عليهم الإسلام. فقال الجمرقان وقومه: يا مولانا، ما بقينا نفارقك ولكن نروح نحيء بأولادنا ونأتي إليك. فقال غريب: يا قوم، امضوا والحقوني في مدينة الكوفة. فركب الجمرقان وقومه حتى وصلوا حبيهم وعرضوا على حريمهم وأولادهم الإسلام فأسلموا عن آخرهم، وهدّوا البيوت والحيام وساقوا الخيل والجمال والغنم وساروا إلى نحو الكوفة. وسار غريب فلما وصل إلى الكوفة لاقاه الفرسان بموكب، ثم دخل قصر الملك وجلس على تخت أبيه ووقفت الأبطال ميمنة وميسرة ودخل عليه الجواسيس وأخبروه أن أخاه وصل إلى الجبلد بن كركر صاحب مدينة عمان وأرض اليمن. فلما سمع غريب خبر أخيه صاح على قومه وقال: يا قوم، خنوا أهبتكم للسفر بعد ثلاثة أيام. واعرض على الثلاثين ألفاً الذين أسروهم أول الواقعة الإسلام والسير معهم. فأسلم منهم عشرون ألفاً وأبى عشرة آلاف فقتلهم. ثم قدم الجمرقان وقومه وقبلوا الأرض بين يديه وخلع عليهم الخلع السنّي وجعله مقدّم الجيش وقال: يا جمرقان، إركب في كبار بني عمك وعشرين ألف فارس وسرّ في مقدم العسكر واقصد بلاد الجبلد بن كركر صاحب مدينة عمان. فقال: السمع والطاعة. فتركوا حريمهم وأولادهم في الكوفة ورحلوا. ثم تفقّد حريم مرداس فوَقعت عينه على مهدية وهي بين النساء فوق مغشياً عليه، فرشوا على وجهه ماء الورد. فلما أفاق اعتنقها ودخل بها قاعة الجلوس. ثم جلس معها وناما من غير زنى حتى أصبح الصباح، خرج وجلس على سرير ملكه وخلع على عمه الدامغ وجعله نائباً على العراق جميعه وأوصاه على مهدية حتى يرجع من غزوة أخيه فامتثل أمره. ثم رحل في عشرين ألف فارس وعشرة آلاف راجل وسار متوجّهاً إلى أرض عمان وبلاد اليمن. وكان عجيب قد وصل مدينة عمان بقومه وهم منهزمون وقد ظهر لأهل عمان غبارهم. فنظر الجبلد بن كركر ذلك الغبار فأمر الساعة أن يكشفوا له الخبر. فغابوا ساعة ثم عادوا وأخبروه أن هذا غبار ملك يقال له عجيب صاحب العراق. فتعجب الجبلد من مجيء عجيب إلى أرضه. فلما صحّ ذلك عنده قال لقومه: أخرجوا ولاقوه. فخرجوا ولاقوا عجيباً ونصبوا له الحيام على

باب المدينة وطلع عجيب إلى الجلند وهو باكٍ حزين القلب . وكانت بنت عم عجيب زوجة الجلند وله أولاد منها . فلما نظر صهره وهو في هذه الحالة قال له : أعلمني ما خبرك ؟ فحكى له جميع ما جرى له من أوله إلى آخره مع أخيه وقال له : يا ملك ، إنه يأمر الناس بعبادة رب السماء وينهاهم عن عبادة الأصنام وغيرها من الآلهة . فلما سمع الجلند هذا الكلام طغى وبغى وقال : وحق الشمس ذات الأنوار لا أبقى من قوم أخيك دياراً ، فأين تركت القوم ؟ وكم هم ؟ قال : تركتهم بالكوفة وهم خمسون ألف فارس . فصاح على قومه وعلى وزيره جوامرد وقال له : خذ معك سبعين ألف فارس واذهب إلى المسلمين وأتني بهم بالحياة حتى أعاقبهم بأنواع العذاب . فركب جوامرد بالجيش قاصداً الكوفة أول يوم وثاني يوم إلى سابع يوم . فبينما هم سائرون إذ نزلوا على وادٍ ذي أشجار وأنهار وأثمار ، فأمر جوامرد قومه بالنزول . وأدرك شهراد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
644
فأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

أخوضُ بجيشي بحرَ كلِّ عِجاجةٍ أقودُ الأسارىَ بإجتِهادي وقوتي
وتعلمُ فرسانُ البلادِ بأنَّني مهابٌ لدى الفرسانِ حامي عَشيرتي
سأسبي غريباً في القيودِ مكبلاً وأرجعُ مسروراً وتكلمُ قرحتي
وألبسُ درعي ثمَّ آخذُ عدتي وأمضي إلى الهيجاءِ في كلِّ وجْهتي

فما فرغ جوامرد من شعره حتى خرج عليه من بين الأشجار فارس أشم المعاطس في الحديد غاطس فصاح على جوامرد وقال له : قف يا شلح العرب واشلح ثيابك وعدتك وانزل عن جوادك وأنج بنفسك . فلما سمع جوامرد هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وسلَّ حسامه وهجم على الجمرقان وقال له : يا شلح العرب ، انقطع الطريق علي وأنا مقدم جيش الجند بن كركر لاجيء بغريب وقومه مربوطين . فلما سمع الجمرقان هذا الكلام قال : ما أبرده على كبدي . ثم حمل جوامرد وهو ينشد هذه الأبيات : [من الطويل]

أنا الفارسُ المعروفُ في حومةِ الوغى تخافُ العدى من صارمي وسناني
أنا الجمرقانُ المرتجى لكريهةٍ وتعلمُ فرسانُ الأنامِ طعاني
غريبُ أميري بلِ إمامي وسيدي همامُ الوغى يومَ التقي الجمعانِ
إمامٌ له دينٌ وزهدٌ وسطوةٌ يبئدُ العدى في حومةِ الميدانِ
ويدعو إلى دينِ الخليلِ مرتلاً على رَعْمِ أوثانِ الجحودِ مثاني

ثم إن الجمرقان لما سار بقومه من مدينة الكوفة ، استمر على السير عشرة أيام ، ثم نزلوا في

الحادي عشر وأقاموا إلى نصف الليل . ثم أمرهم الجمرقان بالرحيل فرحلوا، وسار قدامهم وانحدر في ذلك الوادي فسمع جوامرد وهو ينشد ما تقدم ذكره، فحمل عليه حملة أسد كاسر وضربه بالسيف فشقه نصفين . وصبر حتى أقبل المقدمون وأعلمهم بما جرى وقال : تفرقوا كل خمسة منكم تأخذ خمسة آلاف وتلور حول الوادي وأنا ورجال بني عامر، فإذا وصلني أول الأعداء أحمل عليهم وأصيح : الله أكبر . فإذا سمعتم صباحي فاحملوا وكبروا واضربوا فيهم بالسيف . فقالوا : سمعاً وطاعة . ثم داروا على أبطالهم وأعلموهم فتفرقوا في جهات الوادي عند انشقاق الفجر وإذا بالقوم قد أقبلوا مثل قطع الغنم وقد ملؤوا السهل والجبل . فعند ذلك حمل الجمرقان وبنوا عامر وصاحوا : الله أكبر . فسمع المؤمنون والكفار وصاح المسلمون من سائر الجهات : الله أكبر، ففتح ونصر وخذل من كفر . فأربت الجبال والتلال وكل يابس وأخضر يقول : الله أكبر . فاندھش الكفار وضرب بعضهم بعضاً بالصارم البتار وحمل المسلمون الأبرار كأنهم شعل النار فما يرى إلا رأس طائر ودم فاتر وجبان حائر، ولم تظهر الوجوه إلا وقد فنى ثلثا الكفار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار . وانهزم الباقون وتشتتوا في القفار وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون إلى نصف النهار . ثم رجعوا وقد أسروا سبعة آلاف ولم يرجع من الكفار غير ستة وعشرين ألفاً وأكثرهم مجروحون . ورجع المسلمون مؤيدين منصورين وجمعوا الخيل والعدد والأثقال والخيام وأرسلوها مع ألف فارس إلى الكوفة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 645

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الجمرقان لما وقع بينه وبين جوامرد القتال، قتله وقتل قومه وأسر منهم خلقاً كثيراً وأخذ أموالهم وخيلهم وأثقالهم وأرسلها مع ألف فارس إلى الكوفة . وأما الجمرقان وعساكر الإسلام فإنهم نزلوا عن الخيل وعرضوا الإسلام على الأسارى فأسلموا قلباً ولساناً، فحلّوهم من الرباط وعانقوهم وفرحوا بهم . وقد سار الجمرقان في جيش عظيم وأراح قومه يوماً وليلة ثم رحل بهم عند الصباح قاصداً بلاد الجلند بن كركر، وسار الألف فارس بالغنيمة حتى وصلوا إلى الكوفة وأعلموا الملك غريباً بما جرى . ففرح فاستبشر والتفت إلى غول الجبل وقال له : إركب وخذ معك عشرين ألفاً واتبع الجمرقان . فركب سعدان الغول وأولاده في عشرين ألف فارس وقصدوا مدينة عمان ووصل المنهزمون من الكفار إلى المدينة وهم يبكون ويدعون بالويل والثبور . فاندھش الجلند بن كركر وقال لهم : ما مصيبتكم ؟ فآخبروه بما جرى لهم . فقال لهم : ويلكم ، وكم كانوا ؟ فقالوا : يا ملك ، كانوا عشرين عدماً، وكل علم تحته فارس . فلما سمع الجلند هذا الكلام قال : لا طرحت الشمس فيكم بركة يا ويلكم ، أيغلبكم عشرون ألفاً وأنتم سبعون ألف فارس وجوامرد مقوم بثلاثة آلاف في حومة الميدان ؟ ومن شدة غمّه سلّ سيفه وصاح فيهم وقال لمن حضر : عليكم بهم . فسلّ القوم سيوفهم على المنهزمين فأفنوهم عن آخرهم ورموهم للكلاب . ثم بعد ذلك صاح الجلند على ابنه وقال له : إركب في مائة ألف فارس وامض إلى العراق واخربه على الإطلاق . وقد كان ابن الملك الجلند اسمه القورجان، ولم يكن في عسكر أبيه أفرس منه وكان يحمل على ثلاثة آلاف فارس . فأخرج القورجان خيامة وابتدرت الأبطال وخرجت الرجال وأخذوا أهبتهم

ولبسوا عدتّهم ورحلوا يتلو بعضهم بعضاً والقورجان قدام العسكر . وقد اعجب بنفسه وأنشد هذه الأبيات : [من المتقارب]

أنا القورجانُ وِدِكْرِي أَشْتَهَرُ قَهَرْتُ أَهْلِي أَلْفَلا وَالْحَضْرُ
فَكَمْ فَارِسٍ حِينَ أَرَدْتُهُ يَخُورُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الْبَقْرِ
وَكَمْ مِنْ عَسَاكِرٍ فَرَّقْتُهُمْ وَدَحْرَجْتُ هَامَاتِهِمْ كَالْأَكْرُ
فَلَا بَدُّ لِي أَنِّي أَعَزُّو الْعِرَاقَ وَأَبْدِي دِمَاءَ الْعِدَاءِ كَالْمَطَرِ
وَأَسْبِي غَرِيباً وَأَبْطَالَهُ فَيَضْجُوا نِكَالاً لِأَهْلِ النَّظْرِ

ثم سار القوم اثني عشر يوماً . فبينما هم سائرون وإذا هم بغبار قد ثار حتى سدّ الأفق . فصاح القورجان على السعاة وقال : اتنوني بخبر هذا الغبار . فساروا حتى عبروا تحت الأعلام وعادوا للقورجان وقالوا : يا ملك ، إن هذا غبار المسلمين . ففرح وقال لهم : هل احصيتوهم ؟ فقالوا : عددنا من الأعلام عشرين معلماً . فقال : وحق هيني ما أجرد عليهم أحداً وإنما أخرج لهم وحدي وأجعل رؤوسهم تحت حوافر الخيل . وكان هذا الغبار غبار الجمرقان وقد نظر إلى عساكر الكفار فرأهم مثل البحر الزاخر ، فأمر قومه بالنزول ونصب الخيام . فنزلوا وأقاموا الأعلام وهم يذكرون الملك العلام خالق النور والظلام ، ربّ كل شيء الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى سبحانه وتعالى ، لا إله إلا هو . ونزل الكفار ونصبوا خيامهم وقال لهم : خذوا أهبتكم واحملوا عددكم ولا تناموا إلا وأنتم بأسلحتكم ، فإذا كان الثلث الأخير فاركبوا ودوسوا هذه الشرذمة القليلة . وكان جاسوس الجمرقان واقفاً يسمع ما دبّته الكفار فعاد وأخبر الجمرقان . فالتفت لأبطاله وقال : إحملوا سلاحكم وإذا أقبيل الليل اتنوني بالبعال والجمال واتنوني بالجلال والقلال والأجراس واجعلوها في أعناق الجمال والبعال . وكانت أكثر من عشرين ألف جمل وبعال وصبروا على الكفار حتى دخلوا في المنام . ثم أمر الجمرقان قومه بالركوب وعلى الله توكلوا وطلبوا النصر من ربّ العالمين . ثم قال لهم : سوقوا الجمال والدواب نحو الكفار وانخسوها بأسنة الرماح . ففعلوا ما أمرهم بسائر البغال والجمال ثم هجموا على خيام الكفار وقد قعقت الجلال والقلال والأجراس والمسلمون خلفهم وهم يقولون : الله أكبر . وقد طنت الجبال والتلال بذكر الملك المتعال ، من له العظمة والجلال ، وهجمت الخيل لما سمعت هذه الحيلة العظيمة وداست الخيام والناس نيام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجمرقان لما هجم على الكفار بقومه وخيوله وجماله في الليل والناس نيام ، قام المشركون مدهوشين فحفظوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم ضرباً حتى قُتل أكثرهم . وقد نظروا إلى بعضهم فلم يجدوا قتيلاً من المسلمين بل وجلوهم راكبين متسلحين فعلموا أنها حيلة عملت عليهم . فصاح القورجان على بقية قومه وقال : يا بني الزواني ، الذي أردنا أن نفعله بهم فعلوه بنا وقد غلب مكرهم على مكرنا . فإرادوا أن يحملوا وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الأقطار ، فضرته الرياح فعلاً وتسردق وفي الجو

فلما كانت الليلة
646
الليلة
الليلة

تعلّق وبان من تحت الغبار لمعان الخود ويريق الزرد، وما معهم إلا كل بطل أمجد قد تقلّد بسيف مهند وقد اعتقل برمح أمدد. فلما نظر الكفّار الغبار توقفوا عن القتال وأرسلت كل طائفة ساعياً. فساروا تحت الغبار، ثم نظروا وعادوا فأخبروا أنهم مسلمون. وكان الجيش القادم الذي أرسله غريب غول الجبل، وكان هو سائراً قدام جيشه فوصل إلى عسكر المسلمين الأبرار. فعندها حمل الجمرقان وقومه وقد هجموا على الكفّار كأنهم شعلة نار وأعملوا فيهم السيف البتار والرمح الرديني الخطّار، واسودّ النهار وعميت الأبصار من كثرة الغبار وثبت الشجاع الكرار وهرب الجبان الفرار وطلب البراري والقفار وصار الدماء على الأرض كالتيار. ولم يزالوا في حرب وقتال حتى فرغ النهار وأقبل الليل بالإعتكار. ثم انفصل المسلمون من الكفّار ونزلوا في الخيام وأكلوا الطعام وباتوا حتى ولّى الظلام وأقبل النهار بالإلتصام. ثم صلّى المسلمون صلاة الصبح وركبوا للحرب. وكان القورجان قد قال لقومه لما انفصلوا من الحرب وقد وجدوا أكثرهم مجروحاً وقد فنى منهم الثلثان بالسيف والسنان. فقال: يا قوم، غداً أبرز أنا لحومة الميدان ومقام الحرب والطعام وأخذ الشجاعان في المجال. فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح، ركب الطائفتان وأكثروا الصباح وشهروا السلاح ومدّوا سمر الرماح واصطفوا للحرب والكفاح، وكان أول من فتح باب الحرب القورجان بن الجلند بن كركر وقال: لا يأتي اليوم كسلان ولا عاجز. كل هذا والجمرقان وسعدان الغول تحت الأعلام. فبرز مقدم بني عامر وبارز القورجان في حومة الميدان، فحمل الإثنين كأنهما كبشان يتناطحان مدة من الزمان. بعد ذلك هجم القورجان على المقدم ومسكه من جلباب ذراعه وجذبه فاقتلعه من سرجه وقد خبطه في الأرض وأشغله بنفسه، فكتفه الكفّار وساروا به إلى الخيام. ثم إن القورجان جال وصال وطلب النزال، فبرز له ثاني مقدم حتى أسر سبعة مقدمين قبل الظهر. ثم صاح الجمرقان صيحة دوى لها الميدان وسمعها العسكران وهجم على القورجان بقلب وجدان وأنشد هذه الأبيات: [من المتقارب]

أنا الجمرقانُ قوياً الجنانِ	جميعُ الفوارسِ تخشى قتالي
هدمتُ الحصونَ وخليتها	تنوحُ وتبكي لفقد الرجالِ
فيا قورجانُ طريقَ الهدى	عليك، وفارقَ طريقَ الضلالِ
ووحّدْ إلهاً رفيعَ السماءِ	ومجزي البحورِ ومُرسي الجبالِ
إذا أسلمَ العبدُ يأوي غداً	جاناً ويكفي أليمُ النكالِ

فلما سمع القورجان كلام الجمرقان، شخر ونخر وسبّ الشمس والقمر وحمل على الجمرقان وهو ينشد هذه الأبيات: [من المتقارب]

أنا القورجانُ شجاعُ الزمانِ	وتفرّعُ أسدُ الشرى من خيالي
ملكْتُ القلاعَ وصدتُ السباعَ	وكلُّ الفوارسِ تخشى قتالي
فيا جمرقان إذا لم تنق	بقولي، فدونك، بارز نزالي

فلما سمع الجمرقان كلامه، حمل عليه بقلب قوي وتضاربا بالسيف حتى ضجت منهم

الصفوف، وتطاعنا بالرمح وكثر بينهما الصباح . ولم يزالا في حرب وقتال حتى فات العصر وقد وتى النهار، ثم هجم الجمرقان على القورجان وضربه بالعمود على صدره فألقاه على الأرض مثل جذع النخلة، فكثفه المسلمون وسحبوه بحبل مثل الجمال . فلما نظرت الكفار إلى سيدهم اسيراً، أخذتهم حمية الجاهلية فحملوا على المسلمين يريدون خلاص مولاها، فقابلتهم أبطال المسلمين وتركتهم على الأرض مطروحين ووتى بقيتهم هارين وللنجاة طالبين والسيوف في قفاهم له طنين . فلم يزالوا خلفهم حتى شتتوهم في الجبال والقفار . ثم رجعوا عنهم إلى الغنيمة وكانت شيئاً كثيراً، من خيل وخيام وغيرهما، وقد غنموا غنيمة يالها من غنيمة . ثم توجهوا وعرض الجمرقان الإسلام على القورجان وهدده وخوفه فلم يسلم، فقطعوا رقبته وحملوا رأسه على رمح ثم رحلوا قاصدين مدينة عمان . وأما ما كان من أمر الكفار، فإنهم أخبروا الملك بقتل ولده وهلاك العسكر . فلما سمع الجلند هذا الخبر، ضرب بتاجه الأرض ولطم على وجهه حتى طلع الدم من منخره ووقع على الأرض مغشياً عليه . فرشوا على وجهه ماء الورد فأفاق وصاح على وزيره وقال له : أكتب الكتب إلى جميع النواب وأمرهم أن لا يتركوا ضارب سيف ولا طاعناً برمح ولا حامل قوس إلا ويأتون بهم جميعاً . فكتب الكتب وأرسلها مع الساعة . فتجهز النواب وسار في عسكر جرار قدره مائة ألف وثمانون ألفاً، فهيووا الخيام والجمال وجياد الخيل وأرادوا أن يرحلوا وإذ بالجمرقان وسعدان الغول قد أقبلا في سبعين ألف فارس كأنهم ليوث عوابس وكل منهم في الحديد غاطس . فلما نظر الجلند إلى المسلمين قد أقبلوا فرح وقال : بحق الشمس ذات الأنوار ما أ بقي من الأعداء دياراً ولا من يرد الأخبار، وأخرب العراق وآخذ نار ولدي الفارس المغوار ولا تبرد لي نار . ثم التفت إلى عجيب وقال له : يا كلب العراق، هذه جلبتك لنا فانا وحق معبودي إن لم انتصف من عدوي لأقتلنك أشرتك قلة . فلما سمع عجيب هذا الكلام اغتم غمّاً شديداً وصار يلوم نفسه . ثم صبر حتى نزل المسلمون ونصبوا خيامهم وأظلم الليل، وكان منعزلاً عن الخيام مع من بقي من عشيرته . فقال لهم : يا بني عمي، أعلموا أنه لما أقبلت المسلمون فزعت منهم أنا والجلند غاية الفزع، وقد علمت أنه لم يقدر أن يحميني من أخي ولا من غيره . والرأي عندي أن ترحلوا بنا إذا نامت العيون ونقصد الملك يعرب بن قحطان لأنه أكثر جنداً وأقوى سلطاناً . فلما سمع قومه هذا الكلام قالوا : هذا هو الصواب . فأمرهم أن يوقدوا النار على أبواب الخيام ويرحلوا في حندس الظلام . ففعلوا ما أمرهم به وساروا، فما أصبحوا حتى قطعوا بلاد بعيدة . ثم أصبح الجلند ومائتان وستون ألف مدرع غاطسين في الحديد والزرذ النضيد ودقوا كؤوس الحرب واصطفوا للطعن والضرب، وركب الجمرقان وسعدان في أربعين ألف فارس أبطال شداد، تحت كل علم ألف فارس شداد جياد مقدمون في الطراد . فاصطف العسكران وطلبوا الضرب والطعان وسحبا السيوف وأسنة المران لشرب كأس المنون، وكان أول من فتح باب الحرب سعدان، وهو كأنه جبل صوان أو من مرده الجان، فبرز له بطل من الكفار فقتله ورماه في الميدان وصاح على أولاده وغلمانه وقال : أشعلوا النار واشووا هذا القليل . ففعلوا ما أمرهم به وقدموه له مشوياً فأكله ونهش عظمه . والكفار واقفون ينظرون من بعيد فقالوا : يا للشمس ذات الأنوار . وفزعوا من قتال سعدان . فصاح الجلند في قومه وقال : أقتلوا هذا القرمان . فنزل له مقدم من الكفار فقتله سعدان، ولم يزل يقتل فارساً

بعد فارس حتى قتل ثلاثين فارساً . فعندها توقف الكفّار اللثام عن قتال سعدان وقالوا : من يقاتل الجان والغيلان؟ فصاح الجلند وقال : تحمل عليه مائة فارس وتأتيني به أسيراً أو قتيلاً . فبرز مائة فارس وحملوا على سعدان وقصدوه بالسيوف والسنان فتلقّاهم بقلب أقوى من الصوان وهو يوحد الملك الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن وقال : الله أكبر . وضرب فيهم بالسيف حتى ألقى رؤوسهم ، فما جال فيهم غير جولة واحدة فقتل منهم أربعة وسبعين وهرب الباقي . فصاح الجلند على عشرة مقدمين تحت كل مقدم ألف بطل وقال : أرموا جواده بالنبل حتى يقع من تحته فاقبضوه باليد . فحمل على سعدان عشرة آلاف فارس فتلقّاهم بقلب قوي . فنظر الجمرقان والمسلمون إلى الكفّار وقد حملوا على سعدان ، فكبروا وحملوا عليهم فما وصلوا إلى سعدان حتى قتلوا جواده وأخذوه أسيراً . ولم يزالوا حاملين على الكفّار حتى أظلم النهار وعميت الأبصار ورنّ السيف البتار وثبت كل فارس مغوار ولحق الجبان والانبهار وبقيت المسلمون في الكفّار كالشامة البيضاء في الثور الأسود . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الحرب اشتدّ بين المسلمين والكفّار حتى صارت المسلمون في الكفّار كالشامة البيضاء في الثور الأسود . ولم يزالوا في ضرب واصطدام حتى أقبل الظلام وافترقوا من بعضهم وقد قتل من الكفّار خلق كثير ما لها عدد . ورجع الجمرقان وقومه وهم في غاية الحزن على سعدان ، ولم يطب لهم طعام ولا منام ، وتفقدوا قومهم فوجدوا المقتول منهم دون ألف . فقال الجمرقان : يا قوم ، إني أبرز في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان وأقتل أبطالهم وأسبي عيالهم وأخذهم أسارى وأفدي بهم سعدان بإذن الملك الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن . فطابت قلوبهم وفرحوا ، ثم تفرقوا إلى خيامهم . وأما الجلند فإنه قام ودخل سرادقه وجلس على سرير ملكه ودارت قومه من حوله ودعا بسعدان فأحضره بين يديه . فقال له : يا كلب ويا أقل العرب ويا حمّال الحطب ، من قتل ولدي القورجان شجيع الزمان قاتل الأقران ومجدل الأبطال؟ قال له سعدان : قتله الجمرقان مقدم عسكر الملك غريب سيد الفرسان ، وأنا شويته وأكلته وكنت جائعاً . فلما سمع الجلند كلام سعدان ، صارت عيناه في أم رأسه وأمر بضرب رقبته . فأتى السيّاف بهمته وتقدّم لسعدان . فعند ذلك تمطّع سعدان في الكتاف فقطعه وهم على السيّاف وخطف السيف منه وضربه فرمى رأسه ، وقصد الجلند فرمى روحه عن السرير وهرب . فوقع سعدان في الحاضرين فقتل منهم عشرين من خواص الملك وهرب باقي المقدمين ، وارتفع الصياح في عسكر الكفّار وهجم سعدان على الحاضرين من الكفّار وضرب فيهم يميناً وشمالاً . فعند ذلك تفرقوا من بين يديه فأخلوا له الزقاق . ولم يزل سائراً يضرب في العدى بالسيف حتى خرج من الخيام وقصد خيام المسلمين . وسمع المسلمون ضجيج الكفّار فقالوا : لعلهم جاءتهم نجدة . فبينما هم باهتون وإذا بسعدان قد أقبل عليهم ، ففرحوا بقدمه فرحاً شديداً وكان أكثرهم به فرحاً الجمرقان ، فسلم عليه وسلّم عليه المسلمون وهنّأوه بالسلامة . هذا ما كان من أمر المسلمين . وأما ما كان من أمر الكفّار فإنهم رجعوا وملكهم إلى السرادق بعد رواح سعدان . فقال لهم الملك : يا قوم ، وحق

فلما كانت الليلة 647
ما كانت الليلة

الشمس ذات الأنوار وحق ظلام الليل ونور النهار والكواكب السيار، ما كنت أظن اني اسلم من القتل في هذا النهار، ولو وقعت في يده لاكلني ولا كنت اساوي عنده قمحاً ولا شعيراً ولا حبة من الحبوب . فقالوا : يا ملك ، ما رأينا من يعمل مثل هذا الغول ؟ فقال لهم : يا قوم ، إذا كان في غد فاحملوا عددكم واركبوا خيولكم ودوسوهم تحت حوافر الخيل . وأما المسلمين فإنهم اجتمعوا وهم فرحون بالنصر وخلص سعدان الغول . فقال الجمرقان : غداً في الميدان اريكم فعلي وما يليق بمثلي ، وحق الخليل إبراهيم لأقتلنهم أشنع القتلات ولاضربن فيهم بالبتار حتى يحير فيهم كل فهم . ولكن قد نويت اني أحمل على الميمنة والميسرة فإذا رأيتموني قد هجمت على الملك تحت الاعلام ، فاحملوا خلفي بالإهتمام ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . وبات الفريقان يتحارسان حتى طلع النهار وبانت الشمس للنظار وركب الفريقان أسرع من لحة العين وصاح غراب الين ونظروا بعضهم بالعين واصطفوا للحرب والقتال . فأول من فتح باب الحرب الجمرقان ، فجال وصال وطلب النزال . فأراد الجلند أن يحمل بقومه وإذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وأظلم النهار وضربت الرياح الأربع ، فتمزق وتقطع وبان من تحته كل فارس أدرع وبطل سميدع وسيوف تقطع ورماح تصدع ورجال كأنهم السباع لا تخاف ولا تجزع . فلما نظر العسكران الغبار امسكوا عن القتال وأرسلوا من يكشف لهم الأخبار ، من أي قوم هؤلاء القادمون المثيرون لهذا الغبار ؟ فسار السعاة وعبروا تحت الغبار وغابوا عن الأبصار ثم عادوا بعد ساعة من النهار . فأما ساعي الكفار فإنه أخبرهم أن هؤلاء القادمين طائفة من المسلمين وملكهم غريب . وأما ساعي المسلمين فإنه رجع وأخبرهم بمجيء الملك غريب وقومه . ففرحوا بقدومه ، ثم إنهم ساقوا خيلهم ولاقوا ملكهم ونزلوا وقبلوا الأرض بين يديه وسلموا عليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 648

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عسكر المسلمين لما حضر لهم الملك غريب ، فرحوا فرحاً شديداً وقبلوا الأرض بين يديه وداروا حوله . فرحب بهم وفرح بسلامتهم ووصلوا الخيام ونصبوا له السراقات والاعلام وجلس الملك غريب على سرير ملكه وأرباب دولته من حوله ، فحكوا له جميع ما جرى لسعدان . وأما الكفار فإنهم اجتمعوا يفتشون على عجيب فلم يجدوه بينهم ولا في خيامهم ، فأخبروا الجلند بن كركر بهروبه . فقامت عليه القيامة وعض على أصبعه وقال : وحق الشمس ذات الأنوار ، إنه كلب غدار هرب مع قومه الأشرار في البراري والقفار . ولكن ما بقى يدفع هذه الأعداء إلا القتال الشديد ، فشدوا عزمكم وقووا قلوبكم واحذروا من المسلمين . وأما الملك غريب فإنه قال لقومه : شدوا عزمكم وقووا قلوبكم واستعينوا بربكم واسألوه أن ينصركم على عدوكم . فقالوا : يا ملك ، سوف تنظر ما نفعل في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان . وبات الطائفتان حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرقت الشمس على رؤوس الربي والبطاح ، فصلى غريب ركعتين على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم كتب مكتوباً وأرسله مع أخيه سهيم إلى الكفار . فلما وصل إليهم قالوا له : ما تريد ؟ قال لهم : أريد الحاكم عليكم . فقالوا : قف حتى نشاوره عليك . فوقف ثم شاوروا عليه الجلند وأخبروه بحاله . فقال : علي به فأحضروه بين يديه . فقال له : من أرسلك ؟

قال : الملك غريب الذي حكمه الله على العرب والعجم ، فخذ كتابه وردّ جوابه . فاخذ الجلند الكتاب ففكّه وقراه فوجد : باسم الله الرحمن الرحيم الرب القديم الواحد العظيم الذي هو بكل شيء عليم ، رب نوح وصالح وهود وإبراهيم وربّ كل شيء ، والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى واطاع الملك الاعلى واتبع طريق الهدى واختار الآخرة على الأولى . أما بعد يا جلند ، فإنه لا يعبد إلاّ الله للمواحد القهار خالق الليل والنهار والفلك الدوار وأرسل الأنبياء الأبرار وأجرى الأنهار ورفع السماء وبسط الأرض وأنبت الأشجار ورزق الطير في الأوكار ورزق الوحوش في القفار . فهو الله العزيز الغفار الحليم الستار الذي لا تدركه الأبصار ، مكور الليل على النهار الذي أرسل وأنزل الكتب . واعلم يا جلند أنه لا دين إلاّ دين إبراهيم الخليل . فاسلم تسلّم من السيف البتار وفي الآخرة من عذاب النار ، وإن آبيت الإسلام فابشر بالدمار وخراب الديار وقطع الآثار وارسل إليّ الكلب عجيباً لآخذ ثار أبي وامي . فلما قرأ الجلند الكتاب قال لسهيم : قل لمولاك إن عجيباً هرب هو وقومه وما ندري أين ذهب . وأما الجلند فلا يرجع عن دينه وغداً يكون الحرب بيننا والشمس تنصرنا . فرجع سهيم لأخيه وأعلمه بما قد جرى . فباتوا حتى أصبح الصباح ثم اخذ المسلمون آلة السلاح وركبوا الخيل القراح وأعلنوا بذكر الملك الفتاح خالق الأجساد والأرواح وأعلنوا بالتكبير ودقوا طبول الحرب حتى ارتجت الأرض ، وتكلّم كل فارس جحجاح وبطل وقاح وقصدوا الحرب حتى ارتجت الأرض . فأول من فتح باب الحرب الجمرقان ، وساق جواده في حومة الميدان ولعب بالسيف والنشاب حتى حير أولي الألباب ثم صاح : هل من مبارز؟ هل من مناجز لا يأتي اليوم كسلان ولا عاجز؟ أنا قاتل القورجان بن الجلند فمن يبرز لآخذ الثار؟ فلما سمع الجلند ذكر ولده صاح على قومه وقال : يا أولاد الزواني ، اثنتوني بهذا الفارس الذي قتل ولدي حتى أكل لحمه وأشرب دمه . فحمل عليه مائة بطل فقتل أكثرهم وهزم أميرهم . فلما نظر الجلند ما فعل الجمرقان صاح على قومه وقال : احملوا عليه حملة واحدة . فهزوا العلم المدهش وانطبقت الأمم على الأمم وحمل غريب بقومه والجمرقان ، وتصادم الفريقان كأنهم بحران يلتقيان ، فاعمل السيف اليماني والرمح حتى مزق الصدور والأبدان ورأى الصفان ملك الموت بالعيان ، وطلع الغبار إلى العنان وصمّت الآذان وخرس اللسان واحاط الموت من كل مكان وثبت الشجاع وولّى الجبان . ولم يزالوا في حرب وقتال حتى ولّى النهار ودقوا طبول الإنفصال وافترقوا من بعضهم ورجعت كل طائفة إلى خيامها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك غريباً لما انقضى الحرب وافترقوا من بعضهم ورجعت كل طائفة إلى خيامها جلس على سرير ملكه ومحل سلطانه واصطفّت أصحابه حوله قال لقومه : أنا جزعت من القهر وبهروب هذا الكلب عجيب ولا اعرف أين مضى؟ وإن لم ألقه وآخذ ثاري أموت من القهر . فتقدّم أخاه سهيم الليل وقبل الأرض وقال : يا ملك ، أنا أمضي إلى عسكر الكفار وأكشف خبر الكلب الغدار عجيب . فقال غريب : سر وتحقق خبر هذا الخنزير . فتزى سهيم بزي الكفار ولبس لبسه فصار كأنه منهم ، ثم قصد خيام الأعداء فوجدهم نياماً وهم سكارى من الحرب والقتال ولم يبق من القوم بلا نوم

فلما كانت الليلة 649 كانت الليلة

سوى الحراس . فعبر سهيم وهجم على السرادق فوجد الملك نائماً وما عنده أحد ، فتقدم وشمه البنج الطيار فكان كأنه ميت ، وخرج فأحضر بغلاً ولف الملك في ملاءة الفرش وحطه فوق البغل وحط فوقه الحصى وسار حتى وصل إلى سرادق غريب ودخل على الملك . فانكره الحاضرون وقالوا له ! من أنت ؟ فضحك سهيم وكشف وجهه فعرفوه . فقال له غريب : ما حملك يا سهيم ؟ فقال له : يا ملك ، هذا الجلند بن كركر . ثم حله فعرفه غريب وقال : يا سهيم نبهه . فأعطاه الخل والكندز فرمى البنج من أنفه وفتح عينيه فوجد نفسه بين المسلمين فقال : أي شيء هذا المنام القبيح ؟ ثم إنه أطبق عينيه ونام . فلكره سهيم وقال له : إفتح عينيك يا ملعون . ففتح عينيه وقال : أين أنا ؟ فقال سهيم : أنت في حضرة الملك غريب بن كندمر ملك العراق . فلما سمع الجلند هذا الكلام قال : يا ملك أنا في جيرتك ، واعلم أن مالي ذنب ، والذي أخرجنا نقاتل هو أخوك ورمي بيننا وبينك وهرب . فقال غريب : وهل تعلم طريقه ؟ فقال : لا . وحق الشمس ذات الأنوار ما أعلم أين سار . فأمر غريب بتقييده والمحافظة عليه وتوجه كل مقدم إلى خيمته ورجع الجمرقان وقومه وقال : يا بني عمي ، قصدي أن أعمل في هذه الليلة عملة أبيض بها وجهي عند الملك غريب . فقالوا له : إفعل ما تشاء فنحن لأمرك سامعون مطيعون . فقال : إحملوا سلاحكم وأنا معكم وخففوا خطوكم ولا تخلوا النمل يدري بكم ، وتفرقوا حول خيام الكفار فلذا سمعتم تكبير فكبروا وصيحوا قائلين : الله أكبر . وتأخروا وأقصدوا باب المدينة ونطلب النصر من الله تعالى . فاستعد القوم بالسلاح الكامل وصبروا إلى نصف الليل وتفرقوا حول الكفار وصبروا ساعة وإذا بالجمرقان ضرب بسيفه على ترسه وقال : الله أكبر . فدوى الوادي وفعل قومه مثله وصاحوا : الله أكبر . حتى دوى لهم الوادي والجبال والرمال والتلال وسائر الأطلال . فانتبه الكفار وقد اندهشوا ووقعوا في بعضهم وقد دار السيف بينهم وتأخر المسلمون وطلبوا أبواب المدينة وقتلوا البوابين ودخلوا المدينة وملكوها بما فيها من مال وحريم . هذا ما جرى للجمرقان . وأما الملك غريب فإنه سمع الصياح بالتكبير فركب وركب العسكر عن آخرهم وتقدم سهيم حتى قرب من الوقعة فنظر بني عامر والجمرقان قد شتوا الغارة على الكفار وأسقوهم كأس المنون ، فرجع وأخبر أخاه بما كان فدعا للجمرقان . ولم تزل الكفار نازلين في بعضهم بالصارم البتار باذلين جهدهم حتى طلع النهار وأضاء بنوره على الأقطار . فعند ذلك صاح غريب على قومه وقال : إحملوا يا كرام وارضوا الملك العلام . فحملت الأبرار على الفجار ولعب السيف البتار وجال الرمح الخطار في صدر كل منافق كفار وأرادوا أن يدخلوا مدينتهم ، فخرج لهم الجمرقان وبنو عمه وصادروهم بين جبلين محيطين وقتلوا منهم خلقاً ما لها عدد وتشتت الباقي في البراري والقفار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
650
وَأَحْضَرُوهُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ غَرِيبٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَبَى ، فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ رَمَوْهُ

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عسكر المسلمين لما حملوا على الكفار مزقوهم بالصارم البتار وتشتتوا في البراري والقفار . ولم يزالوا خلف الكفار بالسيف حتى انتشروا في السهل والأوعار . ثم رجعوا إلى مدينة عمان ودخل الملك غريب قصر الجلند وجلس على كرسي مملكته ودارت أصحابه حوله ميمنة وميسرة . فدعا بالجلند فأسرعوا إليه

بالنبال إلى أن صار مثل القنفذ . ثم إن غريباً خلع على الجمرقان وقال له : أنت صاحب البلد
 وحاكمها وصاحب ربطها وحلّها، فإنك فتحتها بسيفك ورجالك . فقَبِلَ الجمرقان رجل الملك
 غريب وشكره ودعا له بدوام النصر والعزّ والنعم . ثم إن غريباً فتح خزائن الجبلد ونظر إلى ما
 فيها من الاموال وبعد ذلك فرّق على المقدمين والرجال أصحاب الرايات والقتال ، وفرق على
 البنات والصبيان ، وصار يفرّق من الاموال مدة عشرة أيام . ثم إنه بعد ذلك كان نائماً في بعض
 الليالي فرأى في منامه رؤيا هائلة . فانتبه فرعاً مرعوباً ثم نبّه اخاه سهيماً وقال له : إني رأيت في
 منامي اني في وادٍ ، وذلك الوادي في مكان متسع وقد انقضّ علينا من الطير جارحان لم أر في
 عمري أكبر منهما، ولهما سيقان مثل الرماح وقد هجما علينا ففزعا منهما . فهذا الذي رأيته .
 فلما سمع سهيم هذا الكلام قال : يا ملك ، هذا علو كبير فاحترس على نفسك منه . فلم ينم
 غريب بقية الليلة . فلما أصبح الصباح طلب جواده وركبه فقال له سهيم : إلى أين تذهب يا
 اخي ؟ فقال : أصبحت ضيق الصدر فقصدي أن أسير عشرة أيام حتى ينشرح صدري . فقال له
 سهيم : خذ معك ألف بطل . فقال غريب : لا أسير إلا أنا وأنت لا غير . فعند ذلك ركب غريب
 وسهيم وقصدا الاودية والمروج ، ولم يزا الا سائرين من وادٍ إلى وادٍ ومن مرجٍ إلى مرجٍ حتى عبوا
 على وادٍ كثير الأشجار والاثمار والانهار فائح الأزهار ، أطياره تغرد بالألحان على الأغصان والهزار
 يرجع بطيب الألحان والقمرى قد ملا بصوته المكان والبلبل بحسه يوقظ الوسنان والشحرور كأنه
 إنسان والفاخت والمطوق تجاوبهما الدرّة بأفصح لسان والأشجار في أثمارها من كل مأكول
 وفاكهة زوجين . فاعجبهما ذلك الوادي فأكلا من أثماره وشربا من أنهاره وقعدا تحت ظل
 أشجاره فغلب عليهما النعاس فناما وسبحان من لا ينام . فبينما هما نائمين وإذا بماردين
 شديدين قد انقضّ عليهما وحطّ كل واحد منهما أحدهما على كاهله وارتفعا إلى أعلى الجو حتى
 صارا فوق الغمام . فانتبه سهيم وغريب فوجدا أنفسهما بين السماء والأرض ونظر إلى من
 حملاهما وإذا هما ماردان ، رأس أحدهما رأس كلب ورأس الآخر رأس قرد وهو كالنخلة
 السحوق ، ولهما شعر مثل أذتاب الخيل ومخالب مثل مخالب السباع . فلما نظر غريب وسهيم
 إلى ذلك الحال قالا : لا حول ولا قوة إلا بالله . وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوك الجن اسمه
 مرعش ، وكان له ولد اسمه صاعق يحب جارية من الجن اسمها نجمة . وكان صاعق ونجمة
 مجتمعين في ذلك الوادي وهما في صفة طيرين ، وكان غريب وسهيم نظرا إلى صاعق ونجمة
 فظنّاهما طائرين فرمياهما بنشاب فلم يصب إلا صاعقاً فسال دمه ، فحزنت نجمة على صاعق
 وخطفته وطارت خوفاً أن يصيبها ما أصاب صاعقاً . ولم تزل طائرة به حتى رمته على باب قصر
 أبيه ، فحملة البوابون حتى رموه قدام أبيه . فلما نظر مرعش إلى ولده ورأى النبلة في ضلعه قال :
 واولداه ، من فعل بك هذه الفعال حتى أخرب دياره وأعجل دماره ؟ ولو كان أكبر ملوك الجن .
 فعند ذلك فتح عينيه وقال : يا ابنتي ، ما قتلتني إلاّ رجل من الإيس بوادي العيون . فما فرغ من
 كلامه حتى طلعت روحه . فلطم أبوه حتى طلع الدم من فيه وصاح على ماردين وقال لهما :
 سيرا إلى وادي العيون واثنياني بكل من فيه . فسافر الماردان حتى وصلا إلى وادي العيون ، فرأيا
 غريباً وسهيماً نائمين فخطفاهما وسارا بهما حتى وصلا بهما إلى مرعش . فلما انتبه سهيم
 وغريب من نومهما وجدا أنفسهما بين السماء والأرض فقالا : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي

العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
651
كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الماردین لما خطفا غريباً وسهيماً
جاءا بهما إلى مرعش ملك الجن . ولما وضعاهما قدام مرعش وجداه
جالساً على كرسي مملكته وهو كالجلبل العظيم وعلى جثته أربع رؤوس :
رأس سبع ورأس فيل ورأس نمر ورأس فهد . فقدما غريباً وسهيماً
قدام مرعش وقالوا : يا ملك ، هذان اللذان وجدناهما في وادي العيون .
فنظر إليهما بعين الغضب وقد شخر ونخر وطار من أنفه الشرر وقد خاف منه كل من حضر .
وقال : يا كلاب الإنس ، قتلتما ولدي وأوقدتما النار في كبدي . فقال غريب : ومن هو ولدك الذي
قتلناه ؟ ومن هو الذي نظر ولدك ؟ فقال : أما كنتما أنتما في وادي العيون ونظرتما ولدي في صفة
طير ورميتماه بعود نشاب فمات . فقال غريب : أنا لا أدري من قتله وحق الرب العظيم الواحد
القديم الذي هو بكل شيء عليم ؟ وحق الخليل إبراهيم ما رأينا طيراً ولا قتلنا وحشاً ولا طيراً .
فلما سمع مرعش كلام غريب حين حلف بالله وعظمته ونبيه الخليل إبراهيم ، علم أنه مسلم .
وكان مرعش يعبد النار دون الملك الجبار فصاح على قومه وقال : اثنوني بربتي . فاتوه بتنور من
ذهب فوضعوه بين يديه وأشعلوه بالنار ورموا عليه العقاقير فطلع له لهيب أخضر ولهيب أزرق
ولهيب أصفر فسجد له الملك والحاضرون . كل هذا وغريب وسهيم يوحدان الله تعالى ويكبرانه
ويشهدان أن الله على كل شيء قدير . فرفع الملك رأسه فرأى غريباً وسهيماً واقفين لا يسجدان
فقال : يا كلبان ، ما لكما لا تسجدان ؟ فقال غريب : ويلكم يا ملاحين ، إن السجود لا يكون إلا
للملك المعبود مبرز الموجود من العدم إلى الوجود ومنبع الماء من الحجر الجلمود ، الذي حن
الولد على المولود ولا يوصف بقيام ولا قعود ، رب نوح وصالح وإبراهيم الخليل وهو الذي خلق
الجنة والنار وخلق الأشجار والأثمار ؛ فهو الله الواحد القهار . فلما سمع مرعش هذا الكلام
انقلبت عيناه في أم رأسه وصاح على قومه وقال : كتفوا هذين الكلبين وقربوهما لربتي . فكتفوا
سهيماً وغريباً وأرادوا أن يرموهما في النار وإذا بشرافة من شراريف القصر وقعت على التنور
فانكسر وانطفأت النار وصارت رماداً طائراً في الهواء . فقال غريب : الله أكبر ، فتح ونصر وخذل
من كفر ، الله أكبر على من يعبد النار دون الملك الجبار . فعندها قال الملك : إنك ساحر وسحرت
ربتي حتى جرى لها هذا الحال . فقال غريب : يا مجنون ، لو كان للنار سر وبرهان كانت منعت
عن نفسها ما ضرها . فلما سمع مرعش هذا الكلام هدر وزمجر وسب النار وقال : وحق ديني
ما أقتلكم إلا فيها . وأمر بجسهما ودعا بمائة مارد وأمرهم أن يحملوا الحطب كثيراً وأن يطلقوا
فيه النار . ففعلوا والتهبت نار عظيمة ولم تزل مشتعلة إلى الصباح . ثم ركب مرعش على فيل في
تخت من ذهب مرصع بالجواهر وصارت حوله قبائل الجن وهم أصناف مختلفة ثم أحضروا
غريباً وسهيماً ، فلما رأيا لهيب النار استغاثا بالواحد القهار ، خالق الليل والنهار ، العظيم الشأن
الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، ولم يزالا يتوسلان وإذا بسحابة
طلعت من الغرب إلى الشرق وأمطرت مثل البحر الزاخر فاطفأت النار . فخاف الملك والجند
ودخلوا في قصرهم ثم التفت الملك إلى الوزير وأرباب الدولة وقال لهم : ما تقولون في هذين
الرجلين ؟ فقالوا : يا ملك ، لولا أنهما على الحق ما جرى للنار هذه الفعال . ونحن نقول : إنهما

على الحق صادقان . قال الملك : قد بان لي الحق والطريقة الواضحة فعبادة النار باطلة ، فلو كانت ربة لمنعت عن نفسها المطر الذي أطفاها والحجر الذي كسر تنورها وقد صارت رماداً . فانا آمنت بالذي خلق النار والنور والظل والحرور وأنتم ما تقولون؟ فقالوا : يا ملك ونحن كذلك تابعون سامعون طائعون . ثم دعا بغريب فأحضره بين يديه ، فقام له واعتنقه وقبّله بين عينيه وقبّل سهيماً مثل ذلك . ثم إن الأجناد تزاحموا على غريب وسهيم يقبلون أيديهما ورأسهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 652

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مرعشاً ملك الجن لما اهتدى هو وقومه للإسلام أحضر غريباً وأخاه وقبّلهما بين أعينهما ، وكذلك أرباب دولته ازدحموا على تقبيل أيديهما ورأسهما . ثم إن الملك مرعشاً جلس على كرسي مملكته وأجلس غريباً عن يمينه وسهيماً عن يساره وقال : يا إنسي ، ما نقول حتى نصير مسلمين؟ فقال غريب : قولوا : لا إله إلا الله ، إبراهيم خليل الله . فأسلم الملك وقومه قلباً ولساناً وقعد غريب يعلمهم الصلاة . ثم إن غريباً تذكّر قومه فتنهّد . فقال له ملك الجن : قد ذهب الغمّ وراح وجاء البسط والإنشراح . فقال له غريب : يا ملك ، إن لي أعداء كثيرة وأنا خائف على قومي منهم . وحكى له ما جرى له مع أخيه عجيب من أوله إلى آخره . فقال له ملك الجن : يا ملك الإنس ، أنا أبعث لك من يكشف خبر قومك وما أخليك تروح حتى أتملّى بوجهك . ثم دعا بماردين شديدين ، أحدهما اسمه الكيلجان والآخر اسمه القورجان . فلما حضر الماردان قبلاً الأرض فقال لهما : سيرا إلى اليمن واكشفا خبر جنودهما وعساكرهما . فقالا : سمعاً وطاعة . ثم سار الماردان وطارا نحو اليمن . هذا ما جرى لغريب وسهيم . وأما عسكر المسلمين فإنهم أصبحوا راكبين هم والمقدمون وقصدوا قصر الملك غريب لأجل الخدمة . فقال لهم الخدم : إن الملك وأخاه ركبا سحراً وخرجا . فركب المقدمون وقصدوا الأودية والجبال ولم يزالوا يقصون الأثر حتى وصلوا إلى وادي العيون ، فوجدوا عدة غريب وسهيم مرمية والجوادين يرعيان . فقال المقدمون : إن الملك فقد من هذا المكان ، يا لجاه الخليل إبراهيم . ثم إنهم تفرّقوا في الوادي والجبال ثلاثة أيام فما ظهر لهم خبر . فأقاموا العزاء وطلبوا السعاة وقالوا لهم : تفرّقوا في الميدان والحصون والقلاع واكشفا خبر ملكنا . فقالوا : سمعاً وطاعة . وقد تفرّقوا وطلب كل واحد إقليماً ، ووصل لعجيب مع الجواسيس خبر أخيه أنه فقد ولم يقعوا له على خبر . ففرح عجيب بفقد أخيه غريب واستبشر ودخل على الملك يعرب بن قحطان وكان استجار به فأجاره وأعطاه مائتي ألف عملاق ، وسار عجيب بعسكره حتى نزل على مدينة عمان . فخرج لهم الجمرقان وسعدان وقاتلهم وقتل من المسلمين خلق كثير ودخلوا المدينة وغلقوا الأبواب وحصنوا الأسوار . ثم أقبل الماردان الكيلجان والقورجان وقد نظرا المسلمين محصورين ، فصبرا حتى أقبل الليل وأعمالا في الكفّار سيفين باترين من سيوف الجن ، كل سيف طوله اثنا عشر ذراعاً لو ضرب به إنسان حجراً لقصمه . فحملا عليهم وهما يقولان : الله أكبر ، فتح ونصر وخذل من كفر بدين الخليل إبراهيم . ثم إنهما بطشا بالكفّار وأكثرافهم القتل وخرجت النار من أفواههما ومناخيرهما ، فبرز الكفّار من سرادقهم فنظروا إلى أشياء عجيبة تشعّر منها الأبدان واختبلوا وطارت عقولهم . ثم إنهم خطفوا أسلحتهم وبتشوا

بعضهم والماردان يحصدان في رقاب الكفّار ويصيحان : الله أكبر ، نحن غلمان الملك غريب صاحب الملك مرعش ملك الجان . ولم يزل السيف دائراً فيهم حتى انتصف الليل وقد تخيل للكفّار أن الجبال كلها عفاريت . فحملوا الخيام والثقل والمال على الجمال وقصدوا الذهب وكان أولهم هروباً عجيب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها اختها : يا اختي ، ما أحسن هذا الكلام وأعذبه وأحلاه وأطيبه . فقالت لها : وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 653
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الكفّار قصدوا الذهب وكان أولهم هروباً عجيب . ثم قد اجتمع المسلمون وتعجبوا من هذا الأمر الذي جرى للكفّار وخافوا من قبائل الجان ، ولم يزل الماردان في أافية الكفّار حتى شنتوهم في البراري والقفار وما سلم من الماردان سوى خمسين ألف عملاق من أصل مائتي ألف ، وقد قصدوا بلادهم وهم منهزمون مجروحون وقالوا : يا عسكري ، إن الملك غريباً سيدكم وإخاه يسلمان عليكم وهما مستضافان عند الملك مرعش ملك الجان ، وعن قريب يكونان عندكم . فلما سمع العساكر بخبر غريب وإنه طيب فرحوا فرحاً شديداً وقالوا لهما : بشركما الله بالخير يا أرواحاً كراماً . ثم إن الماردين رجعا ودخلا على الملك غريب والملك مرعش فوجداهما جالسين ، فأخبراهما بما جرى وما فعلا فجازياهما خيراً وقد اطمأن قلب غريب . فعند ذلك قال الملك مرعش : يا أخي ، مرادي أن أفرجك على أرضنا وأريك مدينة يافث بن نوح عليه السلام . قال : يا ملك ، إفعل ما بدالك . فدعا بجوادين لهما وركب هو وغريب وسهيم وركب معه ألف مارد وساروا كأنهم قطعة جبل مشقوقة بالطول ، فساروا يتفرجون على أودية وجبال حتى أتوا مدينة يافث بن نوح عليه السلام . فخرج أهل المدينة كباراً وصغاراً ولاقوا مرعشاً فدخل في موكب عظيم . ثم إنه طلع إلى قصر يافث بن نوح وجلس على كرسي ملكه وهو من المرمر مشبك بقضبان الذهب ، علوه عشر درج وهو مفروش بأنواع الحرير الملون . ولما وقف أهل المدينة قال لهم : يا ذرية يافث بن نوح ، ما كان يعبد أبائكم وأجدادكم ؟ قالوا : إننا وجدنا أبائنا يعبدون النار فتبعناهم وأنت أخبر بذلك . قال : يا قوم ، أنا رأيت النار مخلوقة من مخاليق الله تعالى الذي خلق كل شيء ، فلما علمت ذلك أسلمت لله الواحد القهّار خالق الليل والنهار والفلك الدوار الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، فأسلموا تسلموا من غضب الجبار وفي الآخرة من عذاب النار . فأسلموا قلباً ولساناً وأخذ مرعش بيد غريب وفرّجه على قصر يافث وبنائه وما فيه من العجائب . ثم دخل دار السلاح وفرجه على سلاح يافث ، فنظر غريب إلى سيف معلق في وتد من ذهب . فقال غريب : يا ملك ، هذا لمن ؟ قال : هذا سيف يافث بن نوح الذي كان يقاتل به الإنس والجن ، صاغه الحكيم جردوم وكتب على ظهره أسماء عظيمة فلو ضرب به الجبل لهدمه ، واسمه الماحق ، ما نزل على شيء إلا محقه ولا جني إلا دمّره . فلما سمع غريب كلامه وما ذكره في فضائل هذا السيف قال : مرادي أن أنظر هذا السيف . فقال مرعش : دونك وما تريد . فمدّ غريب يده وأخذ السيف وسحبه من جفيره فسطع ودبّ الموت على حده وشعشع ، وكان طوله اثني عشر

شيراً وعرضه ثلاثة أشبار ، فأراد غريب أن يأخذه . فقال الملك مرعش : إن كنت تقدر أن تضرب به فخذ . فقال غريب : نعم . ثم أخذه في يده فصار في يده كالعصى . فتعجب الحاضرون من الإنس وقالوا : أحسنت يا سيد الفرسان . فقال له مرعش : ضع يدك على هذه الذخيرة التي بحسرتها ملوك الأرض واركب حتى أفرجك . فركب وركب مرعش ومشت الإنس والجن في خدمته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها اختها : ما أحسن هذا الكلام وأطيبه وأحلاه واعذبه . فقالت : وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القبلية إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
654
الليلة
التي كان فيها

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك غريباً والملك مرعشاً لما ركبنا من مدينة يافث والإنس والجن سائرون في خدمتهما ، مشياً بين قصور ودور خاليات وشوارع وأبواب مذهبات ، ثم خرجا من أبواب المدينة وتفرجاً في بساتين ذات أشجار مثمرات وأنهار جاريات وأطيوار ناطقات تسبح من له القدرة والبقاء . ولم يزالا يتفرجان حتى أقبل المساء ، رجعا وباتا في قصر يافث بن نوح ، فلما وصلا قدمت لهما مائدة فأكلوا والتفت غريب الملك الجان وقال : يا ملك ، إن قصدي الذهاب إلى قومي وجندي فلم أعلم حالهم بعدي . فلما سمع مرعش كلام غريب قال له : يا أخي ، والله ما مرادي فراقك ولا أخليك تروح ولا بعد شهر كامل حتى أتملى برؤيتك . فما قدر أن يخالفه فقعده شهراً كاملاً في مدينة يافث ، ثم أكل وشرب وأعطاه الملك مرعش هدايا من التحف والمعادن والجواهر والزمرد والبلخش وحجر الماس وقطعاً من ذهب وفضة وكذلك مسك وعنبر ومقاطع حرير منسوجة بالذهب ، وعمل لغريب وسهم خلعتين من الوشي منسوجتين بالذهب ، وعمل لغريب تاجاً مكللاً بالدرّ والجوهر لا يعادل بأثمان . ثم عبى له ذلك كله في أعدال ودعا بخمسائة مارد وقال لهم : جهّزوا حالكم إلى السفر في غد حتى نؤدي الملك غريباً وسهمياً إلى بلادهما . قالوا : سمعاً وطاعة . وباتوا على نية السفر حتى أتى وقت السفر ، وإذا هم بخيول وطبول ونفير تصيح حتى ملأت الأرض وهم سبعون ألف مارد طيارة غواصة وملكهم اسمه برقان . وكان لمحيء هذا الجيش سبب عظيم عجيب وأمر مطرب غريب سنذكرة على التراتيب . وكان برقان هذا صاحب مدينة العقيق وقصر الذهب ، وكان يحكم على خمس قتل كل قلة فيها خمسمائة ألف مارد وهو وقومه يعبدون النار دون الملك الجبار وكان هذا الملك ابن عم مرعش . وكان في قوم مرعش مارد كافر أسلم نفاقاً وغطس من بين قومه وسار حتى وصل إلى وادي العقيق ودخل قصر الملك برقان وقبّل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العزّ والأنعام ثم أخبره بإسلام مرعش فقال له برقان : كيف مرق من دينه ؟ فحكى له جميع ما جرى . فلما سمع برقان كلامه شخر ونخر وسبّ الشمس والقمر والنار ذات الشرر وقال : وحق ديني لأقتلن ابن عمي وقومه وهذا الإنسي ولا أترك منهم أحداً . ثم صاح على أرهاط الجن واختار منهم سبعين ألف مارد وسار بهم حتى وصل إلى مدينة جابرصا ، وداروا حول المدينة كما ذكرنا ونزل الملك برقان مقابل باب المدينة ونصب خيامه . فدعا مرعش بمارد وقال له : إمض إلى هذا العسكر وانظر ما يريدون واتني عاجلاً . فمرق المارد حتى دخل خيام برقان فتسارع إليه المردة وقالوا له : من أنت ؟ قال : رسول مرعش . فأخذوه وأوقفوه بين يدي

برقان فسجد له وقال: يا مولاي، إن سيدي أرسلني إليك لأنظر خبركم . فقال له : إرجع إلى سيدك وقل له : هذا ابن عمك برقان أتى يسلم عليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها: ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه . فقالت: وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن المارد رسول مرعش لما دخل على برقان وقال له: إن سيدي أرسلني إليك لأنظر خبركم . قال له: إرجع إلى سيدك وقل له: إن ابن عمك برقان أتى يسلم عليك . فرجع المارد إلى مولاه وأخبره بذلك . فقال لغريب: أقعد على سريرك حتى أسلم على ابن عمي وأعود إليك ثم ركب وسار قاصداً الخيام . وكان برقان عملها حيلة حتى يخرج مرعش ويقبض عليه . ثم أوقف حوله مرده وقال لهم: إذا رأيتموني حضنته فامسكوه وكتفوه فقالوا: سمعاً وطاعة . ثم بعد ذلك وصل الملك مرعش ودخل سرادق ابن عمه فقام إليه واعنتقه، فهجم عليه الجان وكتفوه وقيده فنظر مرعش إلى برقان وقال له: ما هذا الحال؟ فقال له: يا كلب الجان، أتترك دينك ودين آبائك وأجدادك وتدخل في دين لا تعرفه؟ فقال له مرعش: يا ولد عمي، قد وجدت دين إبراهيم الخليل هو الحق وغيره باطل . فقال: ومن أخبركم؟ قال: غريب ملك العراق وهو عندي في اعز مكان . فقال له برقان: وحق النار والنور والظل والحرور لاقتلتكم جميعاً ثم سجنه . فلما نظر غلام مرعش ما حل بمولاه، ولَّى هارباً إلى المدينة وأعلم أرهاط الملك مرعش بما حصل لمولاه فصاحوا وركبوا خيولهم . فقال غريب: ما الخبر؟ فأعلموه بما جرى . فصاح على سهيم وقال له: شد لي جواداً من الجوادين اللذين أعطانيهما الملك مرعش . فقال له: يا أخي، أتقاتل الجان؟ قال: نعم أقاتلهم بسيف يافث بن نوح وأستعين برب الخليل إبراهيم عليه السلام ، فهو رب كل شيء وخالقه . فشد له جواداً أشقراً من خيل الجن كأنه حصن من الحصون . ثم أخذ آلة الحرب وخرج وركب وخرجت الأرهاط وهم لابسون الدروع ، وركب برقان وقومه وتقاتل الفريقان واصطف العسكران وكان أول من فتح باب الحرب الملك غريباً، فساق جواده في حومة الميدان وجرّد سيف يافث بن نوح عليه السلام فخرج منه نور ساطع انبهرت منه عيون الجن أجمعين ووقع في قلوبهم الرعب . فلعب غريب بالسيف حتى أذهل عقول الجان ثم نادى: الله أكبر . أنا الملك غريب ملك العراق لا دين إلا دين إبراهيم الخليل . فلما سمع برقان كلام غريباً قال: هذا الذي غير دين ابن عمي وأخرجه من دينه، فوحد ديني لا أقعد على سريري حتى أقطع رأس غريب وأحمد أنفاسه وأرد ابن عمي وقومه إلى دينهم ومن خالفني أهلكته . ثم ركب على فيل أبيض قرطاسي كأنه برج مشيد وصاح عليه وضربه بسنان من بولاد ففرق في لحمه، فصرخ الفيل وقصد الميدان ومقام الحرب والطعان حتى قرب من غريب فقال له: يا كلب الإنس، ما أدخلك أرضنا حتى أفسدت ابن عمي وقومه وأخرجتهم من دين إلى دين؟ أعلم أن اليوم آخر أيامك من الدنيا . فلما سمع غريب هذا الكلام قال له: إحصاً يا أقل الجان . فسحب برقان حربة وهزها وضرب بها غريباً فاخطاه، فضربه بحربة ثانية فخطفها غريب من الهواء وهزها وأرسلها نحو الفيل فدخلت في

فلما كانت الليلة
655
الليلة
الليلة

جنبه وخرجت من الجانب الآخر فوق القيل على الأرض قتيلاً وارتمى برقان كأنه نخلة سحق، فما خلاه غريب يتحرك من مكانه حتى ضربه بسيف يافث بن نوح على جذع رقبته صفحاً فغشي عليه، فاندفعت عليه المردة وأداروا اكتافه. فلما نظر قومه إلى ملكهم هجموا وأرادوا خلاصه فحمل عليهم غريب وحملت معه الجن المؤمنون، فلله درّ غريب لقد أَرْضَى الرب المحيب وأشفى الغليل بالسيف المطلسم وكل من ضربه به قصمه فما تطلع روحه حتى يصير في النار رماداً، وهجمت المؤمنون على الجن الكافرين وتراموا بشهب النار وعمّ الدخان وغريب قد جال فيهم يميناً وشمالاً ففترقوا بين يديه. وقد وصل الملك غريب إلى سرادق الملك برقان وكان إلى جانبه الكيلجان والقورجان، فصاح غريب عليهما وقال: حلاً مولاكما. فحلّاه وكسرا قيده. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. قالت لها أختها: ما أحلى حديثك وأعذبه والذّه وأطيبه. فقالت: واين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة 656

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك غريباً لما صاح على الكيلجان والقورجان وقال لهما: حلاً مولاكما. فحلّاه وكسرا قيده. فقال لهما الملك مرعش: اثنياني بعدتي وجوادي الطيار. وكان عند الملك جوادان يطيران في الهواء فأعطى غريباً واحداً وبقي عنده واحد، فأتوه به بعد أن لبس آلة الحرب وحمل مع غريب وطارا بهما الجوادان وقومهما خلفهما وهما يصيحان: الله أكبر الله أكبر. فاجابتها الأرض والجبال والأودية والتلال ورجعوا من خلفهم بعد أن قتلوا منهم خلقاً كثيراً تزيد عن ثلاثين ألف مارد وشیطان ودخلوا مدينة يافث وجلس الملكان على مراتب العزّ وطلبوا برقان فما وجداه، لأنهما حين أسراه اشتغلا عنه بالقتال وقد سبقه عفریت من غلمانة فحلّه ومرّ به على قومه فوجد البعض مقتولاً والبعض هارباً. فطار به نحو السماء وحط على مدينة العقيق وقصر الذهب وجلس الملك برقان على تخت مملكته ووصل قومه إليه الذين فضلوا من القتل، فدخلوا عليه وهنّوه بالسلامة. فقال: يا قوم، واين السلامة؟ وقد قتل عسكري وأسروني وخرقوا حرمتي بين قبائل الجان. فقالوا: يا ملك، ما دامت الملوك تصيب وتصاب. قال لهم: لا بد من أن آخذ ثأري وأكشف عاري وإلا أكون معيرة بين قبائل الجان. ثم إنه كتب الكتب وأرسل إلى قبائل الحصون فأتوه مدعين مطيعين، فتفقدهم فوجدهم ثلاثمائة ألف وعشرين ألفاً من المردة الجبارين والشیاطين. فقالوا: أي حاجة لك؟ فقال: خذوا أهبتكم للسفر بعد ثلاثة أيام. فقالوا: سمعاً وطاعة. هذا ما كان من أمر الملك برقان. وأما ما كان من أمر الملك مرعش فإنه لما رجع وطلب برقان ولم يجده صعب عليه وقال: لو كنا حفظناه بمائة مارد ما كان يهرب ولكن أين يروح منا؟ ثم قال مرعش لغريب: أعلم يا أخي أن برقان غدار ما يقعد عن أخذ الثأر ولا بد أن يجمع أرهاطه ويأتوا إلينا، وأنا قصدي أن الحقه وهزّ ضعيف على أثر هزيمته. فقال غريب: هذا هو الرأي الصواب والأمر الذي لا يعاب. ثم قال مرعش لغريب: يا أخي، خلّ المردة يوصلونكم إلى بلادكم واطركوني أجاهد الكفّار حتى تخف عني الأوزار. فقال غريب: لا وحق الحليم الكريم الستار ما أروح هذه الديار حتى أفني جميع الجان الكفّار ويعجل الله بارواحهم إلى النار وبسّ القرار، ولا ينجو إلا من يعبد الله

الواحد القهّار، ولكن أرسل سهيماً إلى مدينة عمان لعله يشفى من المرض وكان سهيم ضعيفاً. فصاح مرعش على المردة وقال لهم: احمّلوا سهيماً وهذه الأموال والهدايا إلى مدينة عمان. فقالوا: سمعاً وطاعة. فحمّلوا سهيماً والهدايا وقصدوا بلاد الإنس. ثم كتب مرعش الكتب إلى حصونه وجميع عماله فحضروا فكانت عدتهم مائة ألف وستين ألفاً، فتجهّزوا وساروا قاصدين بلاد العقيق وقصر الذهب. فقطعوا في يوم واحد مسيرة سنة ودخلوا وادياً فنزلوا فيه للراحة وباتوا حتى أصبح الصباح وأرادوا أن يرحلوا وإذا بطلّائع الجان قد طلعت والجن قد صاحت والتقى العسكران في ذلك الوادي، فحمّلوا على بعضهم وقد وقع القتل بينهم واشتد النزال وعظم الزلزال وساءت الأحوال وجاء الجد وذهب المجال وبطل القيل والقال وقصرت الأعمار الطوال، وصارت الكفرة في الذل والخبال وحمل غريب وهو يوحد الواحد المعبود المستعان فقطع الرقاب وقد ترك الرؤوس مدحرجة على التراب، فما أمسى المساء حتى قتل من الكفّار نحو سبعين ألفاً. فعند ذلك دقوا كؤوس الإنفصال وافترقوا من بعضهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها: ما أطيب حديثك وأحسنه وأحلاه وأعذبه. فقالت: وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة 657
 قالت: يا أباي
 قال: يا بني
 قالت: يا أباي
 قال: يا بني

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العسكرين لما انفصلا من بعضهما وافترقا، نزل مرعش وغريب في خيامهما بعد أن مسحوا سلاحهما، ثم حضر العشاء فأكلا وهنّيا بعضهما بالسلامة، وقد قتل منهم أكثر من عشرة آلاف مارد. وأما برقان فإنه نزل في خيامه وهو ندمان على من قتل من الأعوان وقال: يا قوم، إن قعدنا نقاتل هذا القوم ثلاثة أيام أفنونا عن آخرنا. فقالوا: وما نفعك يا ملك؟ قال: نهجم عليهم في الليل وهم نيام فما يبقى منهم من يرد الأخبار، فخذلوا أهبتكم واهجموا على أعنائكم واحملوا حملة رجل واحد. فقالوا: سمعاً وطاعة ثم إنهم تجهّزوا للهجوم. وكان فيهم مارد اسمه جندل وكان قلبه لان للإسلام، فلما نظر الكفّار وما عزموا عليه، مرق من بينهم ودخل على مرعش والملك غريباً وأخبرهما بما دبر الكفّار. فالتفت مرعش لغريب وقال له: يا أخي، ما يكون العمل؟ فقال: الليلة نهجم على الكفّار ونشتتهم في البراري والقفار بقدرة الملك الجبار. ثم دعا بالمقدمين من الجان وقال لهم: إحملوا آلة حربكم أنتم وقومكم، فإذا أسبل الظلام فأنسلوا على أقدامكم مائة بعد مائة واخلوا الخيام خالية واكمنوا بين الجبال، فإذا رأيتم الأعداء صاروا بين الخيام فاحملوا عليهم من سائر الجهات وقوّوا عزمكم واعتمدوا على ربكم فإنكم تنصرون وها أنا معكم. فلما جاء الليل هجموا على الخيام وقد استغاثوا بالنار والنور. فلما وصلوا بين الخيام هجم المؤمنون على الكفّار وهم يستغيثون ربّ العالمين ويقولون: يا أرحم الراحمين، يا خالق الخلق أجمعين، حتى تركوهم حصيداً خامدين. فما أصبح الصباح إلا والكفّار أشباح بلا أرواح، والذين فضلوا طلبوا البراري والبطاح ورجع مرعش وغريب وهم منصورون مؤيدون ونهبوا أموال الكفّار وباتوا حتى أصبح الصباح وساروا طالين مدينة العقيق وقصر الذهب. وأما برقان فإنه لما دار الحرب عليه وقتل أكثر قومه في ظلام الليل، وتى هارباً مع من بقي من قومه حتى وصل إلى

مدينته ودخل قصره وجمع أرهاطه وقال: يا بني، من كان عنده شيء فليأخذه ويلحقني في جبل قاف عند الملك الأزرق صاحب القصر الأبلق فهو الذي يأخذ ثارنا. فأخذوا حريمهم وأولادهم وأموالهم وقصدوا جبل قاف. ثم وصل مرعش وغريب إلى مدينة العقيق وقصر الذهب فوجدوا الأبواب مفتوحة وليس فيها من يخبر بخبر، فأخذ مرعش غريباً يفرّجه على مدينة العقيق وقصر الذهب. وكان أساسات صورها من الزمرد وبابها من العقيق الأحمر بمسامير من الفضة وسقوف بيوتها وقصورها العود والصندل. فمشوا وتفرّقوا في شوارعها وأزقتها حتى وصلوا إلى قصر الذهب. ولم يزالوا يدخلون من دهليز إلى دهليز وإذا هم ببناء من البلخش الملوكي ورخامه زمرد وياقوت. ودخل مرعش وغريب في القصر فأندهشا من حسنه، ولم يزالا يدخلان من موضع إلى موضع حتى قطعاً سبعة دهاليز. فلما وصلا إلى داخل القصر وإذا هما بأربعة لوائين، كل ليوان لا يشبه الآخر، وفي وسط القصر فسقية من الذهب الأحمر وعليها صور سباع من الذهب والماء يجري من أفواهاها نظراً شيئاً يحير الأفكار، والليوان الذي في الصدر مفروش بالبسط المنسوجة بالحرير الملون وفيه كرسيان من الذهب الأحمر مرصّعان بالدرّ والجوهر. فعند ذلك قعد مرعش وغريب على كرسي بركان وعملا في قصر الذهب موكباً عظيماً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها اختها: يا اختي، ما أحسن حديثك والذّه واعذبه. فقالت: وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا اقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن مرعشاً وغريباً جلسا على كرسي بركان وأوكبا موكباً عظيماً. وبعد ذلك قال غريب لمرعش: أي شيء دبرت من الرأي؟ قال: يا ملك الإنس قد أرسلت مائة فارس يكشفون لي خبر بركان في أي مكان هو حتى نسير خلفه. ثم قعدا في قصر الذهب ثلاثة أيام حتى وصل المردة ورجعوا أخبروا أن بركان سار إلى جبل قاف واستجار بالملك الأزرق فأجاره. فقال مرعش لغريب: ما تقول يا أخي؟ قال: إن لم نهجم عليهم يهجموا علينا. ثم أمر مرعش وغريب العسكر أن يأخذوا الأهبة للسفر بعد ثلاثة أيام. فأصلحوا أحوالهم وأرادوا أن يرحلوا وإذا هم بالمردة الذين وصلوا سهيماً والهدايا قد أقبلوا على غريب وقبّلوا الأرض. فسألهم عن قومه فقالوا له: إن أخاك عجباً لما هرب من الوقعة ذهب إلى يعرب بن قحطان وقصد بلاد الهند ودخل على ملكها وحكى له ما جرى له من أخيه واستجار به. فأجاره وأرسل كتبه إلى جميع عماله فاجتمع عسكره مثل البحر الزاخر ما له أول من آخر وهو عازم على خراب العراق. فلما سمع غريب كلامه قال: تعس الكفّار فإن الله تعالى ينصر الإسلام وسوف أريهم ضرباً وطعاناً. ثم قال مرعش: يا ملك الإنس وحق الإسم الأعظم لا بد أن أسير معك إلى ملكك وأهلك أعداءك وأبلغك هناك. فشكره غريب وباتوا على نية الرحيل إلى أن أصبح الصباح، فرحلوا وصاروا قاصدين جبل قاف ومشوا يومهم، وبعد ذلك ساروا قاصدين القصر الأبلق ومدينة المرمر. وكانت هذه المدينة مبنية بالحجارة والمرمر بناها بارق بن فاقع أبو الجن وبنى القصر الأبلق، وسمي بذلك لأنه مبني بطوبة من فضة وطوبة من ذهب، ما بني مثله في سائر الأقطار. فلما قربوا من مدينة المرمر وبقي بينهم وبينها نصف يوم نزلوا للراحة،

فلما كانت الليلة
658
الليلة

فأرسل مرعش من يكشف له الأخبار . فغاب الساعي ثم عاد وقال له : يا ملك ، إن في مدينة المرمز من أرهاط الجن عدد أوراق الشجر وقطر المطر . فقال الملك مرعش : أي شيء يكون العمل يا ملك الإنس ؟ فقال غريب : يا ملك ، أقسم قومك أربعة أقسام حول العسكر ثم يقولون : الله أكبر . وبعد أن يصيحوا بالتكبير يتأخرون عنهم ويكون ذلك الأمر في نصف الليل وانظر ما يجري بين قبائل الجان . فأحضر مرعش قومه وفرّقهم مثل ما قال غريب . فحملوا سلاحهم وصبروا حتى انتصف الليل فساروا حتى داروا حول العسكر وصاحوا : الله أكبر ، يا لدين الخليل إبراهيم عليه السلام . فانتبه الكفّار مرعوبين من هذه الكلمة وخطفوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم حتى لاح الفجر وقد فنى أكثرهم وبقي أقلّهم . فصاح غريب على الجن المؤمنين وقال : احملوا على من بقي من الكافرين وها أنا معكم والله ناصركم . فحمل مرعش وصحبته غريب وجرّد غريب سيفه الماحق الذي من سيوف الجن ، فجدع الأنوف وهزم الصفوف وقد ظفر ببرقان وضربه فأعدمه الحياة ونزل مختضباً بدمائه . ثم فعل بالملك الأزرق كذلك . فلما أضحى النهار لم يبق من الكفّار ديار ولا من يرد الأخبار ودخل مرعش وغريب القصر الأبلق فرأيا حيطانه طوية من ذهب وطوية من فضة وأعتابه من البلور وهو معقود بالزمرد الأخضر وفيه فسقية وشاذروان مفروش بالحرير المزركش بشرائط الذهب المرصّع بالجوهر ، ووجدا أموالاً لا تحصى ولا توصف . ثم دخلا قاعة الحریم فوجدا فيها حريمًا ظريفًا ، فنظر غريب إلى حريم الملك الأزرق فرأى في بنته بنتاً ما رأى أحسن منها وعليها بدلة تساوي ألف دينار وحولها مائة جارية ترفع أذيالها بكلايب من الذهب ، وهي مثل القمر بين النجوم . فلما رأى غريب هذه البنت طاش عقله وحار فقال لبعض تلك الجواري : من تكون هذه الجارية ؟ فقالوا له : هذه كوكب الصباح بنت الملك الأزرق . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : ما أطيب حديثك وأحسنه وأحلاه وأعذبه . فقالت لها : وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما سأل بعض الجواري وقال : من هذه الجارية ؟ فقالوا له : هذه كوكب الصباح بنت الملك الأزرق . فالتفت غريب للملك مرعش وقال : يا ملك الجان ، مرادي أن أتزوج بهذه البنت ؟ فقال له الملك مرعش : القصر وما فيه من الأموال والأولاد كسب يدك ، ولولا أنت عملت الحيلة حتى أهلكت برقان

والملك الأزرق وقومهما لكانوا أهلكونا عن آخرنا ، فالملك مالك وأهله عبيدك . فشكره غريب على حسن كلامه وتقدّم إلى البنت ونظر إليها وحقّق النظر فيها فأحبها حبّاً شديداً ونسي فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم والترك والديلم ونسي مهديّة . وكانت والدّة هذه البنت بنت ملك الصين خطفها الملك الأزرق من قصرها وافتضحها فعلقته منه وجاءت بهذه البنت ، فمن حسننها وجمالها سمّاها كوكب الصباح وهي سيّدة الملاح . فماتت أمها وهي بنت أربعين يوماً فريتها القوابل والخدام حتى صار لها من العمر سبع عشرة سنة ، فجرى هذا الأمر وقتل أبوها وحبها غريب حبّاً شديداً وصافحها ودخل عليها من ليلته فوجدها بكرأ . وكانت تبغض أباهها وقد فرحت بقتله وقد أمر غريب أن يهدم القصر الأبلق ، فهدموه وفرّقه غريب على الجان فتاب غريباً

فلما كانت الليلة 659
كانت الليلة

إحدى وعشرون ألف طوية من الذهب والفضة، ونابه من المال والمعادن ما لا يحصى ولا يعد . ثم إن الملك مرعشاً أخذ غريباً وفرّجه على جبل قاف وعجابه وساروا قاصدين حصن برقان . فلما وصلوا إليه أخربوه وقسموا أمواله ، وساروا إلى حصن مرعش فأقاموا فيه خمسة أيام وطلب غريب الرواح إلى بلاده . فقال مرعش : يا ملك الإنس ، أنا أسير في ركابك حتى أوصولك إلى بلادك . فقال غريب : لا وحق الخليل إبراهيم ما أخليك تتعب سرّك ولم آخذ من قومك سوى الكيلجان وإلقورجان . فقال مرعش : يا ملك ، خذ عشرة آلاف فارس من الجن يكونون معك في خدمتك . فقال غريب : ما آخذ إلا ما أخبرتك به . فأمر مرعش ألف مارد أن يحملوا ما ناب غريباً من الغنيمة ويصحبوه إلى ملكه ، وأمر الماردان الكيلجان والقورجان أن يكونا مع غريب ويطيعاه . فقالا : سمعاً وطاعة . ثم قال غريب للمردة : احملا ما أنتم المال وكوكب الصباح . وأراد غريب أن يرحل بركب جواده الطيار فقال مرعش : هذا الجواد يا أخي لا يعيش إلا في أرضنا وإن وصل إلى أرض الإنس مات ، ولكن عندي جواد يجري وما يوجد له مثل في أرض العراق وجميع الآفاق . ثم أمر بإحضار الجواد فأحضره ، فلما نظره غريب حال بينه وبين عقله ثم كبلوا الجواد وحمله الكيلجان وحمل القورجان ما أطاقه . ثم إن مرعشاً اعتنق غريباً وبكى على فراقه وقال له : يا أخي ، إذا حصل لك ما لا طاقة لك به فارسل إليّ وأنا أتيك بعسكر يخربون الأرض وما عليها . فشكره غريب على معرفته وحسن إسلامه وسار الماردان بغريب والجواد يومين وليلة وقد قطعوا مسيرة خمسين سنة حتى قربوا من مدينة عمان فنزلوا قريباً منها ليأخذوا الراحة . فالتفت غريب إلى الكيلجان وقال له : سرّ واكشف لي خبر قومي . فسار المارد ثم عاد وقال : يا ملك ، إن على مدينتك عسكر الكفار مثل البحر الزخار ، وقومك تقاتلهم وقد دقوا طبول الحرب والجمرقان برز لهم إلى الميدان . فلما سمع غريب هذا الكلام صاح : الله أكبر . وقال : يا كيلجان شدّ لي الحصان وقدم عدتي والسنان ، اليوم يظهر الفارس من الجبان في مقام الحرب والطعان . فقام الكيلجان وقد أحضر له ما طلب ، فأخذ عدة الحرب وتقلّد بسيف يافث بن نوح وركب الجواد البحري وقصد العساكر والجنود . فقال الكيلجان والقورجان : أرح قلبك ودعنا نسير إلى الكفار فنشنتهم في البراري والقفار حتى لا يبقى منهم ديار ولا نافخ نار بعون الله العلي الجبار . فقال لهم غريب : وحق الخليل إبراهيم ما أخليكم تقاتلون إلا وأنا على ظهر جوادي . وقد كان لمحيء هذه العساكر سبب عجيب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
660
كانت الليلة
قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما قال للكيلجان : سرّ واكشف لي خبر قومي . فرجع وقال : إن على مدينتك عسكراً كثيراً . وكان السبب في مجيئهم أن عجيباً لما أتى بعسكر يعرب بن قحطان وحاصر المسلمين وخرج الجمرقان وسعدان وجاءهم الكيلجان والقورجان وكسروا عساكر الكفار وهرب عجيب قال : يا قوم ، إن رجعتم إلى يعرب بن قحطان وقد قتل قومه يقول : يا قوم ، لولا أنتم ما قتل قومي . فيقتلنا عن آخرنا ، والرأي عندي أن تسيروا إلى بلاد الهند وتدخل على الملك طركانن فيأخذ بثأرنا . فقال له قومه : سر بنا باركت النار فيك . فساروا أياماً وليالي حتى وصلوا إلى مدينة الهند ، واستأذنوا في

الدخول على الملك طركنان . فأذن لعجيب في الدخول ، فدخل وقبّل الأرض ودعاه بدعاء الملوك وقال : يا ملك ، أجزني أجاتك النار ذات الشرر وحمالك الدجى بالظلام المعتكر . فلما نظر ملك الهند إلى عجيب قال له : من أنت ؟ وما تريد ؟ قال له : أنا عجيب ملك العراق ، وقد جار عليّ أخي وقد تبع دين الإسلام وأطاعته العباد وقد ملك البلاد ، ولم يزل يطردني من أرض إلى أرض وما أنا آتيت إليك أستجير بك وبهمتكم . فلما سمع ملك الهند كلام عجيب قام وقعد وقال : وحق النار لآخذنّ بئارك ولا أدع أحداً يعبد غير النار . ثم إنه صاح على ولده وقال له : يا ولدي ، هيء حالك واذهب إلى العراق واهلك كل من فيها واربط الذين لا يعبدون النار وعذبهم ومثل بهم ولا تقتلهم وأتني بهم عندي حتى أصنع في عذابهم أنواعاً وأذيقهم الهوان وأتركهم عبرة لمن اعتبر في هذا الزمان . ثم اختار معه ثمانين ألف مقاتل على الخيل وثمانين ألف مقاتل على الزرافات وبعث معهم عشرة آلاف فيل ، كل فيل عليه تخت من الصندل مشبك بقضبان الذهب وصفائح من مساميره من الذهب والفضة ، وفي كل تخت سرير من الذهب والزمرد . وأرسل معهم تخوت السلاح ، في كل تخت ثمان رجال يقاتلون بسائر السلاح . وكان ابن الملك شجاع الزمان ما له في شجاعته نظير وكان اسمه رعد شاه ، وجهز نفسه في عشرة أيام وساروا مثل قطع الغمام مدة شهرين من الزمان حتى وصلوا مدينة عمان وداروا حولها ، وعجيب فرحان ويظن أنه ينتصر . وقد خرج الجمرقان وسعدان وجميع الأبطال في حومة الميدان ودقت الطبول وصهلت الخيول وأشرف على ذلك الكيليجان ورجع أخبر الملك غريب وركب كما ذكرنا وساق جواده ودخل بين الكفار ينتظر من يبرز له ويفتح باب الحرب . فبرز سعدان الغول وطلب البراز ، فبرز له بطل من أبطال الهند فما أمهله سعدان في الثبات قدامه حتى ضربه بالعمود فهشم عظمه وصار على الأرض ممدوداً . فبرز له ثان فقتله وثالث فجندله ، ولم يزل سعدان يقتل حتى قتل ثلاثين بطلاً . فعند ذلك برز له بطل من الهند اسمه بطاش الأقران وكان فارس الزمان ، يعد بخمسة آلاف فارس في الميدان للحرب والطعان وهو عم الملك طركنان . فلما برز بطاش لسعدان قال له : يا شلح العرب ، هل بلغ من قدرك أن تقتل ملوك الهند وأبطالها وتأسر فرسانها؟ اليوم آخر أيامك من الدنيا . فلما سمع سعدان هذا الكلام أحمرت عيناه وهجم على بطاش فضربه بالعمود فخابت الضربة ولف سعدان مع العمود فوق على الأرض ، فما أفاق إلا وهو مكتف مقيد فسحبوه إلى خيامهم . فلما نظر الجمرقان إلى صاحبه أسيراً قال : يا لدين الخليل إبراهيم ، ولكز جواده وحمل على بطاش الأقران فتجاولا ساعة ثم هجم بطاش على الجمرقان فجذبه من جلبات ذراعه واقتلعه من سرجه ورماه على الأرض فكتفوه وسحبوه إلى خيامهم . ولم يزل بطاش يبرز له مقدم حتى أسر من المسلمين أربعة وعشرين مقدماً . فلما نظر المسلمون إلى ذلك ، اغتموا غمّاً شديداً . فلما نظر غريب ما حلّ بأبطاله ، سحب من تحت ركبته عموداً من الذهب وزنه مائة وعشرون رطلاً وهو عمود برقان ملك الجان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها أختها : ما أحلى حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه . فقالت لها : وابن هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا اقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك غريباً لما نظر ما حلّ بأبطاله، سحب عموداً من الذهب كان لبرقان ملك الجان ثم ساق جواده البحري فجرى تحته مثل هبوب الريح واندفع حتى صار في وسط الميدان وصاح: الله أكبر، فتح ونصر وخذل من كفر بدين إبراهيم الخليل. ثم حمل على بطاش وضربه بالعمود فوقع على الأرض. فالتفت نحو المسلمين ونظر إلى أخيه سهيم الليل وقال له: كتّف هذا الكلب. فلما سمع سهيم كلام غريب اندفع على بطاش فشدّ وثاقه وأخذه وصار أبطال المسلمين يتعجبون من ذلك الفارس وصار الكفّار يقولون لبعضهم: من هذا الفارس الذي خرج من بينهم وأسر صاحبنا؟ كل هذا وغريب يطلب البراز، فيرز له مقدّم من الهنود فضربه غريب بالعمود فوقع على الأرض ممدوداً، فكثفه الكيليجان والقورجان وسلّمناه إلى سهيم. ولم يزل غريب يأسر بطلاً بعد بطل حتى أسر اثنين وخمسين بطلاً مقدمين أعياناً وقد فرغ النهار، فدقوا طبول الإنفصال وطلع غريب من الميدان وقصد عسكر المسلمين وكان أول من لاقاه سهيم، فقبل رجله في الركاب وقال له: لا شئت يداك يا فارس الزمان فاخبرنا من أنت من الشجعان؟ فعند ذلك رفع البرقع الزرد عن وجهه فعرفه وقال سهيم: يا قوم، هذا ملككم وسيدكم غريب وقد أتى من أرض الجان. فلما سمع المسلمون بذكر ملكهم، رموا أرواحهم عن ظهور الخيل وقدموا إليه وقبلوا رجله في الركاب وسلموا عليه وفرحوا بسلامته ودخلوا به إلى مدينة عمان ونزل على كرسي مملكته ودار قومه حوله في غاية الفرح. ثم قدموا الطعام فأكلوا، وبعد ذلك حكى لهم جميع ما جرى له في جبل قاف من قبائل الجان. فتعجبوا غاية العجب وحملوا الله على سلامته. وكان الكيليجان والقورجان لا يفارقان غريباً. ثم أمر غريب قومه بالإنصراف إلى مراقدهم فتفرقوا إلى بيوتهم ولم يبقَ عنده إلا الماردان فقال لهما: هل تقدران أن تحملاني إلى الكوفة لأتملى بحريمي وترجعاني في آخر الليل؟ فقالا: يا مولانا هذا أهون ما طلبت. وكان بين الكوفة وعمان ستون يوماً للفارس المجّد. فقال الكيليجان للقورجان: أنا أحمله في الذهاب وأنت تحمله في المجيء. فحملة الكيليجان وحاذاه القورجان، فما كان إلا ساعة حتى وصلوا الكوفة وعدلوا به إلى باب القصر فدخل على عمه الدماغ. فلما رآه قام له وسلم عليه ثم قال له: كيف حال زوجتي فخرتاج وزوجتي مهدية؟ قال: إنهما طيبتان بخير وعافية. ثم دخل الخادم فأخبر الحريم بمجيء غريب، ففرحوا وزلغظوا ووهبوا للخادم بشارته، ثم دخل الملك غريب فقاموا له وسلّموا عليه. ثم بعد ذلك تحدثوا وحضر الدماغ فحكى له ما جرى له مع الجن. فتعجب الدماغ والحريم ونام بقية الليل مع فخرتاج إلى أن قرب الفجر، فخرج إلى المايدين وودّع أهله وحرمله وعمه الدماغ ثم ركب ظهر القورجان وحاذاه الكيليجان فما انكشف الظلام إلا وهو في مدينة عمان، ولبس آلة حربته وكذلك قومه وأمر بفتح الأبواب، وإذا بفارس قد وصل من عسكر الكفّار ومعه الجمرقان وسعدان الغول والمقدمون الماسورون وقد خلصهم ثم سلّمهم لغريب ملك المسلمين. ففرح المسلمون بسلامتهم ثم تدرعوا وركبوا وقد دقوا كؤوس الحرب واعتلوا للظعن والضرب وركب الكفّار واصطفوا صفوفاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها اختها: ما أحسن هذا الحديث وأطيبه وأحلاه وأعذبه. فقالت: وأين هذا مما

أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وإبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عسكر المسلمين لما ركبوا في الميدان للحرب والطعان فأول من فتح باب الحرب الملك غريب وسحب سيفه الماحق وهو سيف يافث بن نوح عليه السلام، وساق جواده بين الصفيين ونادى: من عرفني فقد اكتفى شرّي ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا الملك غريب ملك العراق واليمن، أنا غريب أخو عجيب.

فلما سمع رعد شاه ابن ملك الهند كلام غريب صاح على المقدمين وقال: اتنوني بعجيب. فاتوا به. فقال له: أنت تعلم بأن هذه الفتنة فتنتك وأنت كنت السبب فيها، وهذا أخوك في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان، فاخرج له وأتني به أسيراً حتى أركبه على جمل بالمقلوب وأمثل به حتى أصل إلى بلاد الهند. فقال له عجيب: يا ملك، أرسل له غيري فإنني أصبحت ضعيفاً. فلما سمع رعد شاه كلامه شخر ونخر وقال: وحق النار ذات الشرر والنور والظل والحرور إن لم تخرج إلى أخيك وتأتني به سريعاً قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك. فخرج عجيب وساق جواده وقد شجع قلبه وقارب أخاه في حومة الميدان وقال له: يا كلب العرب وأخس من دق ظنب، اتضاهي الملوك؟ فخذ ما جاءك وابشر بموتك. فلما سمع الملك غريب هذا الكلام قال له: من أنت من الملوك؟ قال له: أنا أخوك فاليوم آخر أيامك من الدنيا. فلما تحقق غريب أنه أخوه عجيب صاح وقال: يا لئار أبي وأمي. ثم أعطى الكيلجان سيفه وحمل عليه وضربه بالدبوس ضربة جبار عنيد كادت أن تخرج أضلاعه وقبضه من أطواقه وجذبه فاقتلعه من سرجه وضرب به الأرض، فاندفع عليه الماردان وشدأ وثاقه ثم قاده ذليلاً حقيراً. كل هذا وغريب قد فرح بأسر عدوه وأنشد قول الشاعر: [من المتقارب]

بَلَّغْتُ الْمُرَادَ وَزَالَ الْعَنَا لَكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ يَا رَبَّنَا
نَشَأْتُ ذَلِيلًا فَقَبِيرًا حَقِيرًا فَأَعْطَانِي اللَّهُ كُلَّ الْمُنَى
مَلَكَتُ الْبِلَادَ قَهَرْتُ الْعِبَادَ فَلَوْلَاكَ مَا كُنْتُ يَا رَبَّنَا

فلما نظر رعدشاه ما حلّ بعجيب من أخيه غريب، دعا بجواده ولبس آلة حربه وجلبابه وخرج إلى الميدان وساق جواده إلى أن قارب الملك غريباً في مقام الحرب والطعان وصاح عليه وقال: يا أخس العرب وحمال الحطب، بلغ من قدرك أن تأسر الملوك والأبطال؟ فانزل عن جوادك وكتف نفسك وقبّل رجلي واطلق أبطالي وسر معي إلى ملكي وأنت مقيد مسلسل حتى أعفو عنك وأجعلك شيخ بلادنا تاكل فيها لقمة الخبز. فلما سمع غريب منه هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له: يا كلب، أكلب ودثب أجرب، سوف تنظر من تدور عليه اللوائر. ثم صاح على سهيم وقال له: اثنتي بالأسارى. فاتاه بهم فضرب رقابهم. فعند ذلك حمل رعدشاه على غريب حملة صناديد وصدمه صدمة جبار عنيد ولم يزالا في كر وفر وصدام حتى هجم الظلام فدقوا أطول الإنفصال. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها: ما أحسن هذا الحديث وأطيبه وأحلاه وأعذبه. فقالت: وأين هذا مما أحدثكم به الليلة

القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة: □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنهم لما دقوا طبول الإنفصال وافترقا من بعضهما ذهب كل ملك إلى موضعه فهنوهما بالسلامة. فقال المسلمون للملك غريب: ما هي عادتك يا ملك أن تطول في القتال. فقال: يا قوم، قاتلت الأبطال والأقيال فما رأيت أحسن ضرباً من هذا البطل، وكنت أردت أن أسحب سيف يافث وأضربه فأهشمت عظامه وأفني إيامه، ولكن طاولته ظناً مني أنني آخذه أسيراً ويكون له حظ في الإسلام. هذا ما كان من أمر غريب. وأما ما كان من أمر رعدشاه فإنه دخل السرادق وجلس على سريره ودخل عليه كبراء قومه فسألوه عن خصمه فقال لهم: وحق النار ذات الشر ما رأيت عمري مثل هذا البطل وفي غد آخذه أسيراً وأقوده ذليلاً حقيراً وابتوا إلى الصباح. فدقوا طبول الحرب واعتدوا للطعن والضرب وتقلدوا الصفاح وأقاموا الصياح وركبا الجرد القوارح وخرجوا من الحيام فملؤوا الأرض والآكام والبطاح والأماكن الفساح. وكان أول من فتح باب الحرب والطعان الفارس المقدام والأسد الضرعام الملك غريب، فجال وصال وقال: هل من مبارز؟ هل من مناجز لا يخرج لي اليوم كسلان ولا عاجز؟ فما استتم كلامه حتى برز له رعدشاه وهو راكب على فيل كانه قبة عظيمة، وعلى ظهر الفيل تخت مخرم بشرائط حرير، والفيال راكب بين آذان الفيل وفي يده كلاب يضرب به الفيل ويهتز يميناً وشمالاً. فلما قرب الفيل من جواد غريب وقد نظر الجواد شيئاً ما رآه قط فجفل منه، فنزل غريب عنه وسلّمه للكيلجان وسحب سيفه الماحق وتقدم نحو رعدشاه ماشياً على أقدامه حتى صار قدام الفيل، وكان رعدشاه إذا رأى نفسه مغلوباً مع بطل من الأبطال يركب في تخت الفيل ويأخذ معه شيئاً اسمه الوهق وهو في هيئة الشبكة واسع من أسفل وضيق من فوق وفي ذيله حلق وفيه قنّب حرير، فيقصد الفارس والفرس ويضعه عليهما ويسحب القنّب فينزل عن الجواد راكبه فيأخذه أسيراً وقد قهر الفرسان بهذا الشأن. فلما قارب غريب رفع يده بالوهق وفرشه على غريب فانتشر عليه وسحبه فصار عنده على ظهر الفيل، وصاح على الفيل أن يرد إلى عسكره. وكان الكيلجان والقورجان ما يفارقان غريباً، فلما رأيا ما حلّ بصاحبهما أمسكا الفيل، كل هذا وغريب قد تمطع في الوهق فمزقه وهجم الكيلجان والقورجان على رعدشاه وكتفاه وقاده في جبل ليف وقد حمل الناس على بعضهم كأنهم بحران يلتظمان أو جبلان يصطدمان، والغبار قد طلع إلى عنان السماء وعاین العسكران العمى وقوي الحرب وسالت الدماء. ولم يزلوا في حرب شديدة وطعن أكيد وضرب ما عليه من مزيد حتى ولّى النهار وأقبل الليل بالإعتكار، فدقوا طبول الإنفصال وافترقوا من بعضهم. وكان المسلمون حاضرين في ذلك اليوم وقد قتل منهم جماعة كثيرة وجرح أكثرهم وذلك من ركاب الفيلة والزرافات، فصعبوا على غريب فأمر أن يداوى الجرحى والتفت إلى كبار جماعته وقال: ما عندكم من الرأي؟ قالوا: يا ملك، ما ضرنا إلا الفيلة والزرافات فلو سلمنا منهم كنا غلبناهم. فقال الكيلجان والقورجان: نحن الإثنين نسحب سيوفنا ونهجم عليهم فنقتل أكثرهم. فتقدم رجل من أهل عمان وكان صاحب رأي عند الجلند وقال: يا ملك، ضمان هذا العسكر عليّ إذا طاوعتني وسمعت مني. فالتفت غريب إلى المقدمين وقال: مهما قاله لكم هذا المعلم فأطيعوه.

فقالوا: سمعاً وطاعة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 664
□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك غريباً لما قال للمقدمين: كل ما قاله لكم هذا المعلم فأطيعوه. قالوا: سمعاً وطاعة. فاختر ذلك الرجل عشرة مقدمين وقال: ما تحت أيديكم من الأبطال؟ فقالوا: عشرة آلاف بطل. فأخذهم ودخل دار السلاح فأعطى خمسة آلاف منهم بنديقيات وعلمهم كيفية الرمي بها. فلما لاح الفجر جهز الكفار أرواحهم وقدموا القبلة والزرافات ورجالهم حاملون السلاح الكامل، وقدموا الوحوش وأبطالهم قدام العسكر، وركب غريب وأبطاله واصطفوا صفوفاً ودقت الكاسات وقدمت السادات وتقدم الوحوش والفيلة. فصاح الرجل على الرماة فاشتغلوا بالسهم والبنديقيات فخرج النبل والرصاص فدخلت في أضلاع الوحوش، فصاحت الوحوش وانقلبت على الأبطال والرجال وداستهم بأرجلها ثم هجم المسلمون على الكفار وأحاطوا بهم من الشمال إلى اليمين وداستهم الفيلة وشتتهم في البراري والقفار، وسار المسلمون في أقيمتهم بالسيوف المهندة فما سلم من الفيلة والزرافات إلا القليل ورجع الملك غريب وقومه فرحين بالنصر، فلما أصبحوا فرقوا الغنائم وقعدوا خمسة أيام. ثم بعد ذلك جلس الملك غريب على كرسي المملكة وطلب أخاه عجيباً وقال له: يا كلب، ما لك تحشد علينا الملوك والقادر على كل شيء ينصرني عليك؟ فاسلم تسلم وأترك لك ثار أبي وأمي من أجل ذلك وأجعلك ملكاً كما كنت وأكون أنا من تحت يدك. فلما سمع عجيب كلام غريب قال له: ما أفارق ديني. فجعله في قيد حديد ووكل به مائة عبد شديد والتفت إلى رعدشاه وقال له: ما تقول في دين الإسلام. فقال: يا مولاي، أنا أدخل في دينكم ولولا أنه دين صحيح مليح ما غلبتونا. امدد يدك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن الخليل إبراهيم رسول الله. ففرح غريب بإسلامه وقال له: هل ثبتت في قلبك حلاوة الإيمان. قال: نعم يا مولاي. ثم قال له غريب: يا رعدشاه، هل تمضي إلى بلادك وملكك؟ فقال: يا ملك، يقتلني أبي لأنني خرجت من دينه. فقال غريب: أنا أسير معك وأملكك الأرض حتى تطيعك البلاد والعباد بعون الله الكريم الجواد. فقبل يده ورجله. ثم أنعم على صاحب الرأي الذي هو سبب انهزام العدو وأعطاه أموالاً كثيرة. والتفت إلى الكيلجان والقورجان وقال لهما: يا أرهط الجن. قال: لبيك. قال: مرادي أن تحملاني إلى بلاد الهند. فقالا: سمعاً وطاعة. فأخذ معه الجمرقان وسعدان وحملهما القورجان وحمل الكيلجان غريباً ورعدشاه وقصدا أرض الهند. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها: ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه. فقالت: وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك؟ فقال الملك في نفسه: والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة 665
□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك غريباً والجمرقان وسعدان الغول ورعدشاه لما حملهم الماردان وقصدا بهم أرض الهند وكان المسير وقت الغروب، فما جاء آخر الليل إلا وهم في كشمير، فانزلاهم في قصر وانحدروا من سلام القصر. وكان طرفكان بلغه الخبر من المنهزمين بما جرى لابنه وعسكره وأنهم في هم عظيم وأن ابنه لا ينام ولا يلتذ بشيء،

فصار متفكراً في أمره وما جرى له وإذا بالجماعة دخلوا عليه . فلما نظر الملك ابنه ومن معه بهت وأخذ الفزع من المردة والتفت اليه ابنه رعدشاه فقال له : إلى أين يا غدار يا عابد النار يا ويلك ، فترك عبادة النار وعبد الملك الجبار خالق الليل والنهار الذي لا تدركه الأبصار . فلما سمع أبوه هذا الكلام ، كان معه دبوس حديد فرماه به فخلعا عنه ووقع في ركن القصر فهدم ثلاثة أحجار وقال له : يا كلب ، أهلك العساكر وضيعت دينك وجئت تخرجني من ديني ؟ فتلقاه غريب ولكمه في عنقه فرماه ، فشد الكيلجان والقورجان وثاقه وهرب الحریم جميعاً . ثم إنه جلس على كرسي مملكته وقال لرعدشاه : أعدل أباك . فالتفت إليه وقال له : يا شيخ الضلال ، أسلم تسلم من النار ومن غضب الجبار . فقال طركنان : ما أموت إلا على ديني . فعند ذلك سحب غريب سيفه الماحق وضربه به فوق على الأرض شطرين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . ثم أمر بتعليقه على باب القصر فعلقوه وجعلوا شطراً يميناً وشطراً شمالاً وباتوا حتى فرغ النهار . فأمر غريب رعدشاه أن يلبس بدلة الملك ، فلبس وجلس على تخت أبيه وقعد غريب عن يمينه ووقف الكيلجان والقورجان والجمرقان وسعدان الغول يميناً وشمالاً وقال لهم الملك غريب : كل من دخل من الملوك اربطوه ولا تخلوا مقدماً ينفلت من أيديكم . فقالوا : سمعاً وطاعة . ثم بعد ذلك طلع المقدمون وقصدوا قصر الملك لأجل الخدمة ، فأول من طلع المقدم الكبير فنظر الملك طركنان معلقاً شطرين ، فاندھش وحرار ولحقه الإنبهار فهم عليه الكيلجان وجذبه من أطواقه فرماه وكتفه ثم جذبه إلى داخل القصر ثم ربطه وسجبه . فما طلعت الشمس حتى ربط ثلاثمائة وخمسين مقدماً وأوقفهم بين يدي غريب فقال لهم : يا قوم ، هل نظرتم ملككم وهو معلق على باب القصر ؟ فقالوا : من فعل به هذه الفعال ؟ فقال غريب : أنا فعلت به ذلك بعون الله تعالى ومن خالفني فعلت به مثله . فقالوا : ما تريد منا ؟ فقال : أنا غريب ملك العراق ، أنا الذي أهلكت ابطالكم وإن رعدشاه دخل في دين الإسلام وقد صار ملكاً عظيماً وحاكماً عليكم ، فاسلموا تسلموا ولا تخالفوا تتدموا . فنطقوا بالشهادة وكتبوا من أهل السعادة . فقال غريب : هل صحت في قلوبكم حلوة الإيمان ؟ قالوا : نعم . فأمر بحلّهم فحلّوهم . فخلع عليهم وقال لهم : امضوا إلى قومكم وارضضوا عليهم الإسلام ، فمن أسلم فابقوه ومن أبى فاقتلوه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . فقالت لها اختها : ما أحلى هذا الحديث وأطيبه وأعذبه . فقالت : وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فقال الملك في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة 666
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك غريباً لما قال لعسكر رعدشاه : امضوا إلى قومكم وارضضوا عليهم دين الإسلام فمن أسلم فابقوه ومن أبى فاقتلوه . فمضوا وجمعوا رجالهم الذين تحت أيديهم ويحكمون عليهم وأعلموهم بما كان ثم عرضوا عليهم الإسلام فاسلموا إلا قليلاً فقتلوهم وأخبروا غريباً بذلك . فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : الحمد لله الذي هوّن علينا من غير قتال . وأقام غريب في كشمير الهند أربعين يوماً حتى مهد البلاد وأخرب بيوت النار وأماكنها وبني في مواضعها مساجد وجوامع . وقد حزم رعدشاه من الهدايا والتحف شيئاً كثيراً لا يوصف وأرسله في المراكب . ثم ركب غريب على ظهر

الكيلجان وركب سعدان والجمرقان على ظهر القورجان بعد أن ودّعوا بعضهم وساروا إلى آخر الليل . فما لاح الفجر إلا وهم في مدينة عمان ، فتلقاهم قومهم وسلّموا عليهم وفرحوا بهم . فلما وصل غريب إلى باب الكوفة أمر بإحضار أخيه عجيب فأحضره وأمر بصلبه . فاحضر له سهيم كلاب من حديد وجعلها في عراقيبه وعلّقه على باب الكوفة ثم أمر برميّه بالنبال ، فرموه بها حتى صار كالقنفذ . ثم دخل الكوفة ودخل قصره وجلس على تخت ملكه فحكم ذلك اليوم حتى فرغ النهار ، ثم دخل على حريمه فقامت له كوكب الصباح واعتنقته وكذلك الجوارى هنينه بالسلامة . ثم أقام عند كوكب الصباح ذلك اليوم وتلك الليلة ، فلما أصبح الصباح قام واغتسل وصلى صلاة الصبح وجلس على سرير ملكه وشرع في عرس مهديّة ، فذبح ثلاثة ألف رأس من الغنم والفين من البقر والفا من المعز وخمسائة من الجمال وأربعة آلاف من الدجاج ومن الأرز كثيراً ومن الخيل خمسمائة ، وكان هذا العرس لم يعمل مثله في الإسلام في ذلك الزمان . ثم دخل غريب على مهديّة وأزال بكراتها وقعد في الكوفة عشرة أيام ثم وصى عمه بالعدل في الرعية وسار بحريمه وأبطاله حتى وصل إلى مراكب الهذايا والتحف فغرقها بجميع ما فيها واستغنت الأبطال بالأموال . ولم يزالوا في سيرهم حتى وصلوا إلى مدينة بابل فخلع على أخيه سهيم الليل وجعله فيها سلطاناً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت ليلة 667

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك غريباً لما خلع على أخيه سهيم خلعة وجعله سلطاناً فيها أقام عنده عشرة أيام ثم رحل . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى حصن سعدان الغول ، فاستراحوا خمسة أيام . ثم إن غريباً قال للكيلجان والقورجان : امضيا إلى اسبائير المدائن وادخلا قصر كسرى واكشفا لي خبر فخرتاج وهاتيا لي رجلاً من أقارب الملك يخبرني بما جرى . فقالا : سمعاً وطاعة . ثم إنهما سارا الإثنان إلى اسبائير المدائن فبينما هما سائران بين السماء والأرض وإذا هما بعسكر جرار مثل البحر الزاخر . فقال الكيلجان لقورجان : انزل بنا لنكشف خبر هذا العسكر . فنزلا ومشيا بين العساكر فوجداهم أعجماً . فسألا بعض الرجال : من هذا العسكر ؟ وإلى أين سائرون ؟ فقالوا لهما : إلى غريب نقتله ونقتل كل من معه . فلما سمعا هذا الكلام توجهّا إلى سرداق الملك المقدم عليهم وكان اسمه رستم ، وصبراً حتى نام الأعجم في مراقدهم ونام رستم على تخته فحملوه بتخته وتجاوزوا الحصن ، فما جاء نصف الليل إلا وهم في خيام الملك غريب . فعند ذلك تقدّما إلى باب السرداق وقالوا : دستور : فلما سمع غريب ذلك الكلام جلس وقال : ادخلوا . فدخلوا بذلك التخت ورستم راقده عليه . فقال لهم غريب : من يكون هذا ؟ فقالوا : هذا ملك من ملوك العجم ومعه عسكر عظيم وقد أتى يريد قتلك أنت وقومك ، وقد جئناك به ليخبرك عما تريد . فقال غريب : اثنتوني بمائة بطل . فأتوا بهم . فقال : اسحبوا سيوفكم وقفوا على رأس هذا العجمي . ففعلوا ما أمرهم به ونهبوه ففتح عينيه فوجد على رأسه قبة من سيف . فغمض عينيه وقال : أي شيء هذا المنام القبيح ؟ فوكزه الكيلجان بذياب السيف فقعد فقال له رستم : أين أنا ؟ فقال : أنت في حضرة الملك غريب صهر ملك العجم ، فما اسمك ؟ وإلى أين تذهب . فلما سمع اسم غريب تفكّر وقال في نفسه : هل أنا نائم أم يقظان ؟ فضره سهيم وقال له : لم لا ترد الكلام . فرفع رأسه وقال : من أتى بي من

خيمتي وأنا بين رجالي؟ فقال غريب: جاء بك هذان الماردان. فلما نظر إلى الكيلجان والقورجان تغوط في لباسه. فهم عليه الماردان وقد كثرَا عن أنيابهما وسحبا سيوفهما وقالوا له: أما تقدم تقبل الأرض قدام الملك غريب؟ فارتعب من الماردين وتحقق أنه غير نائم، فوقف على أقدامه وقبل الأرض وقال: باركت النار فيك وطال عمرك يا ملك. فقال غريب: يا كلب العجم، النار ليست معبوداً لأنها تضر ولا تنفع إلا للطعام. فقال: فمن هو المعبود؟ فقال غريب: المعبود الذي خلقك وصورك وخلق السموات والأرض. فقال الأعجمي: فما أقول حتى أصير من حزب ذلك الرب وأدخل في دينكم؟ فقال غريب: تقول: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله. فنطق بالشهادة فكتب من أهل السعادة وقال: أعلم يا مولاي أن صهرك الملك سابور طلب قتلك وقد بعثني في مائة ألف وأمرني أن لا أبقى منكم أحداً. فلما سمع غريب كلامه قال: أهذا جزائي حيث خلصت ابنته من الضيق ومن الردى؟ ولكن يجازيه الله بما أضمره. ولكن فما اسمك؟ قال: رستم مقدم سابور. فقال له غريب: وكذلك مقدم عسكري ثم قال له: يا رستم، كيف حال الملكة فخرتاج. فقال له: تعيش رأسك يا ملك الزمان. فقال: ما سبب موتها؟ قال: يا مولاي لما سرت إلى أخيك أتت جارية للملك سابور صهرك وقالت له: يا سيدي، أنت أمرت غريباً أن ينام عند سيدتي فخرتاج؟ قال: لا وحق النار. ثم إنه سحب سيفه ودخل عليها وقال لها: يا خبيثة، كيف خلّيت هذا البلوي ينام عندك ولا اعطاك مهراً ولا عمل عرساً. قالت له: يا أبت، أنت أذنت له أن ينام عندي. فقال لها: هل قرب منك؟ فسكتت وأطرقت رأسها إلى الأرض. فصاح على القوابل والجواري وقال لهن: كتفن هذه العاهرة وابصرن فرجها. فكتفنها وابصرن فرجها وقلن: يا ملك قد ذهبت بكارتها. فحمل عليها وأراد قتلها فقامت أمها ومنعت عنها وقالت: يا ملك، لا تقتلها فتبقى معيرة ولكن احبسها في مخدع حتى تموت. فحبسها حتى هجم الليل فأرسلها مع اثنين من خواصه وقال لهما: ابعدا بها والقيها في بحر جيحون ولا تخبرا أحداً. ففعلا ما أمرهما وقد خفي ذكرها ومضى زمانها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن

الكلام المباح
فلما كانت الليلة
الليلة
668
الليلة
الليلة

□ قالت: بلغني أيها الملك، أن غريباً لما سأل عن فخرتاج أخبره رستم بخبرها وأن أباهم غرقها في البحر. فلما سمع غريب كلامه اسودت الدنيا في عينيه وساءت أخلاقه وقال: وحق الخليل لاسيرن إلى هذا الكلب وأهلكه وأخرب دياره. ثم أرسل الكتب للمجرقان ولصاحب ميافارقين ولصاحب الموصل. ثم التفت إلى رستم وقال له: كم معك من العسكر؟ فقال له: معي ألف من فرسان العجم. فقال له: خذ معك عشرة آلاف وسر إلى قومك وشاغلهم بالحرب وأنا على أثرك. فركب رستم في عشرة آلاف فارس من عسكره ثم سافر إلى قومه وقال في نفسه: إني أعمل عملاً يبيّض وجهي عند الملك غريب. فسار رستم سبعة أيام وقد قرب من عسكر العجم وبقي بينه وبينهم نصف يوم، ففرق أربع فرق وقال لهم: دوروا حول العسكر وواقعوا فيهم السيف. فقالوا: سمعاً وطاعة. فركبوا من العشاء إلى نصف الليل حتى داروا حول العسكر وكانوا آمنين بعد فقد رستم من بينهم. فهجم عليهم المسلمون وصاحوا: الله أكبر. فقام الأعجم من النوم ودار فيهم الحسام وزلت منهم الأقدام وغضب

عليهم الملك العلام وعمل فيهم رستم مثل عمل النار في الحطب اليابس ، فما فرغ الليل إلا وعسكر العجم ما بين قتيل وهارب ومجروح ، وغنم المسلمون الثقل والخيام وخزائن الأموال والخيل والجمال . ثم نزلوا في خيام الأعجم واستراحوا حتى أقبل الملك غريب ونظر ما فعل رستم وكيف دبر الحيلة وقتل الأعجم وكسر عسكرهم . فخلع عليه وقال له : يا رستم ، أنت الذي كسرت العجم فجميع الغنيمة لك . فقبل يد الملك وشكره واستراحوا يومهم ثم ساروا طالبين ملك العجم . ووصل المهزومون ودخلوا على الملك سابور وشكوا له الويل والثبور وعظائم الأمور . فقال لهم سابور : ما الذي دهاكم ؟ ومن بشره رماكم ؟ فحكوا له ما جرى وكيف هُجم عليهم في ظلام الليل . فقال سابور : ومن الذي هجم عليكم ؟ فقالوا : ما هجم إلا مقدمٌ عسكرك لأنه أسلم وأما غريب فلم يأتنا . فلما سمع الملك بذلك رمى تاجه على الأرض وقال : ما بقي لنا قيمة . ثم التفت إلى ولده وردشاه وقال : يا ولدي ، ما لهذا الأمر إلا أنت . فقال وردشاه : وحياتك يا والدي لا بد من أن أجيء بغريب وكبراء قومه في الحبال وأهلك كل من كان معه . وأحصى عسكره فوجدهم مائتي ألف وعشرين ألفاً وباتوا على نية الرحيل . وقد أصبح الصباح وأرادوا أن يرحلوا وإذا هم بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وقد حجب أعين النظر . وكان الملك سابور راكباً لوداع ولده ، فلما نظر إلى هذا العجاج العظيم صاح على ساع وقال : إكشف لي خبر هذا الغبار . فراح وعاد ثم قال : يا مولاي ، قد أتى غريب وأبطاله . فعند ذلك حطوا الأجمال واصطف الرجال للحرب والقتال . فلما أقبل غريب على اسبائير المدائن ونظر الأعجم وقد عزموا على الحرب والكفاح ، نذب قومه وقال : احملوا باركت النار فيكم . فعندها هزوا العلم وانطبقت العرب والعجم والأمم على الأمم وجرى الدم وانسجم وعابنت النفوس العدم وتقدم الشجاع وهجم وولّى الجبان وانهمزم . ولم يزلوا في حرب وقتال حتى ولّى النهار ، فدقوا طبول الإنفصال وافترقوا من بعضهم وأمر الملك سابور أن ينصبوا الخيام على باب المدينة ، وكذلك الملك غريب نصب خيامه قبال خيام الأعجم ونزل كل واحد في خيامه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 669 كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عسكر الملك غريب وعسكر الملك سابور لما انفصلوا من بعضهم ذهب كل واحد إلى خيامه حتى أصبح الصباح ، ثم ركبوا الجرد القراح وأقاموا الصباح وقد حملوا الرماح ولبسوا عدة الكفاح وتقدم كل بطل جحجح وليث وقاح . فأول من فتح باب الحرب رستم ، فقدم جواده إلى وسط الميدان وصاح : الله أكبر . أنا رستم مقدم أبطال العرب والعجم ، هل من مبارز ؟ هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز ؟ فبرز له طومان من العجم وحمل على رستم ورستم حمل عليه ووقع بينهما حملات منكرات ، فوثب رستم على غريمه وضربه بعمود كان معه وزنه سبعون رطلاً فخسف رأسه في صدره فوقع على الأرض قتيلاً وفي دمه غريقاً . فما هان ذلك على الملك سابور فأمر قومه بالحملة ، فحملوا على المسلمين واستغاثوا بالشمس ذات الأنوار واستغاث المسلمون بالملك الجبار وتكاثر العجم على العرب وسقوهم كأس العطب . فعند ذلك صاح غريب وتقدم بهمته وسحب سيفه الماحق سيف يافث ، وحمل على الأعجم . وكان الكيليجان

والقورجان بركاب الملك غريب، ولم يزل مكرراً سيفه حتى وصل إلى رافع العلم فضربه على رأسه صفحاً فوق في الأرض مغشياً عليه، فأخذه الماردان إلى خيامهم. فلما نظرت الأعجم العلم قد وقع ولّوا هارين وإلى أبواب المدينة طالين. فتبعهم المسلمون بالسيوف حتى وصلوا إلى الأبواب وازدحموا فيها، فمات منهم خلق كثير ولم يقدرُوا على غلق الأبواب. فهجم رستم والجمرقان وسعدان وسهيم والدامغ والكيلجان والقورجان وجميع أبطال المسلمين وفرسان الموحدين على الأعجم والمارقين في الأبواب وجرى الدم من الكفار وفي الأزقة مثل التيار. فعند ذلك نادوا الأمان، فرفعوا السيف عنهم فرموا سلاحهم وعددهم وساقوهم سوق الغنم إلى خيامهم. وكان غريب قد رجع إلى سرادقه وقلع سلاحه ولبس ثياب العز بعدما اغتسل من دم الكفار وقعد على تخت ملكه وطلب ملك العجم فجاؤوا به وأوقفه بين يديه. فقال له: يا كلب العجم، ما حملك على ما فعلت بابتك؟ كيف تراني لا أصلح لها بعلاً؟ فقال: يا ملك لا تؤاخذني بما فعلت فأني ندمت وما واجهتك بالقتال إلا خوفاً منك. فلما سمع غريب هذا الكلام أمر أن يصطحوه ويضربوه. ففعلوا ما أمرهم به حتى قطع الأين ثم أدخلوه عند المحبوسين. ثم دعا بالأعجم وعرض عليهم الإسلام فأسلم منهم مائة وعشرون ألفاً والباقي راحوا على السيف. وأسلم كل من في المدينة من الأعجم وركب غريب في موكب عظيم ودخل اسبائير المدائن وجلس على كرسي سابور ملك العجم، وخلع ووهب وفرق الغنيمة والذهب وفرق على الأعاجم، فأحبه ودعوا له بالنصر والعز والبقاء. ثم إن أم فخرتاج تذكرت بنتها وأقامت العزاء وامتلاً القصر بالصراخ والصرخ. فسمعهم غريب فدخل عليهم وقال: ما خبركم؟ فتقدمت أم فخرتاج وقالت له: يا سيدي، إنك لما حضرت تذكرت ابنتي وقلت: لو كانت طيبة كانت فرحت بقدمك. فبكى غريب عليها وجلس على تخته وقال: اثتوني بسابور. فاتوا به وهو يحجل في القيود فقال له: يا كلب العجم، ما فعلت بابتك؟ قال: أعطيتها لهذا وهذا وقلت لهما: غرقاها في بحر جيحون. فدعا غريب بالرجلين وقال لهما: هل ما ذكره هذا حق؟ قالوا: نعم. ولكن يا ملك ما غرقناها بل شفقتنا عليها وتركناها على شاطئ جيحون وقلنا لها: اطلبي النجاة لنفسك ولا ترجعي إلى المدينة فيقتلك ويقتلنا معك وهذا ما عندنا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة كانت ليلة 670
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الرجلين لما حكيا للملك غريب على قصة فخرتاج وقالوا له: تركناها على شاطئ بحر جيحون. فلما سمع غريب منهم هذا، دعا بالمنجمين فحضروا. فقال لهم: اضربوا لي تخت رمل وانظروا حال فخرتاج هل هي في قيد الحياة أو ماتت؟ فضربوا تخت رمل وقالوا: يا ملك الزمان، ظهر لنا أن الملكة في قيد الحياة وقد جاءت بولد ذكر وهما عند طائفة من الجان ولكن تغيب عنك عشرين سنة، فاحسب كم لك في سفرتك؟ فحسب مدة الغيبة فكانت ثمان سنين فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وبعث رسلاً إلى القلاع والحصون التي في حكم سابور فاتوا طائعين. فبينما هو جالس في قصره إذ نظر غباراً ثار حتى سد الأقطار وأظلم الآفاق. فصاح على الكيلجان والقورجان وقال: اثتيان بخير هذا الغبار. فسار الماردان ودخلا تحت الغبار وخطفا فارساً من الفرسان وأتيا به إلى غريب

وأوقفاه بين يديه وقال له : إسال هذا فإنه من العسكر . فقال له غريب : لمن هذا العسكر ؟ فقال : يا ملك ، إن هذا الملك وردشاه صاحب شيراز أتى يقاتلك . وكان السبب في ذلك أن سابور ملك العجم لما وقعت الواقعة بينه وبين غريب وجرى ما جرى ، قد هرب ابن الملك سابور في شردمة من عسكر أبيه فسار حتى وصل إلى مدينة شيراز ودخل على الملك وردشاه وقبّل الأرض ودموعه نازلة على خدوده . فقال له : إرفع رأسك يا غلام وقل لي ما يبكيك ؟ فقال : يا ملك ، ظهر لنا ملك من العرب إسمه غريب أخذ ملك أبي وقتل الأعجام وسقاهم كأس الحمام . وحكى له ما جرى من غريب من أوله إلى آخره . فلما سمع وردشاه كلام ابن سابور قال : هل امرأتي طيبة ؟ فقال له : أخذها غريب . فعند ذلك قال : وحياء رأسي ما بقيت أبقي على وجه الأرض بدويّاً ولا مسلماً . ثم كتب الكتب وأرسلها إلى نوابه فأقبلوا ، فعدهم فوجدهم خمسة وثمانين ألفاً . ثم فتح الخزائن وفرّق على الرجال الدروع وآلات السلاح وسار بهم حتى وصلوا إلى اسبائير المدائن ونزلوا جميعهم قبال باب المدينة . فتقدم الكيلجان والقورجان وقبلا ركة غريب وقالوا : يا مولانا ، اجبر قلوبنا واجعل هذا العسكر من قسمنا . فقال لهما : دونكما وإياهم . فعند ذلك طار الماردان حتى نزل على سرادق وردشاه فوجداه على كرسي عزّه وابن سابور جالس على يمينه والمقدمون حوله صفّان وهم يتشاورون على قتل المسلمين . فتقدم الكيلجان وخطف ابن سابور والقورجان خطف وردشاه وسارا بهما إلى غريب ، فأمر بضربهما حتى غابا عن الوجود . ثم عاد الماردان وسحبا سيفين ، كل سيف لا يقدر أحد أن يحمله ، وحقاً في الكفار وعجل الله بأرواحهم إلى النار وبئس القرار . فلم تنظر الكفار سوى سيفين يلمعان ويحصدان الرجال حصد الزرع ولا يرون أحداً . ففاتوا خيامهم وساروا على مجرد الخيل ، فتبعاهم يومين وقد أفنيا منهم خلقاً كثيراً ورجع الماردان قبلاً يد غريب . فشكرهما على ما فعلا وقال لهما : غنيمة الكفار لكما وحدكما لا يشار ككما فيها أحد . فدعوا له وانصرفا ولما أموالهما واطمانا في أوطانهما . هذا ما كان من أمر غريب وقومه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً بعدما هزم عسكر وردشاه أمر الكيلجان والقورجان أن يأخذا أموالهم غنيمة ولم يشار كهما فيها أحد . فجمعا أموالهم وقعدا في أوطانهما . وأما الكفار فإنهم لم يزالوا في هزيمتهم حتى وصلوا إلى شيراز وأقاموا العزاء على من قتل منهم . وكان للملك وردشاه أخ اسمه سيران الساحر ، ليس في زمانه أسحر منه . وكان منعزلاً عن أخيه في حصن من الحصون كثير الأشجار والأنهار والأطيار والأزهار ، وكان بينه وبين مدينة شيراز نصف يوم . فسار القوم المنهزمون إلى الحصن ودخلوا على سيران الساحر وهم باكون صارخون . فقال لهم : ما أبكاكم يا قوم ؟ فأعلموه بالخبر وكيف خطف الماردان أخاه وردشاه وابن سابور . فلما سمع سيران هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال : وحق ديني لاقتلن غريباً ورجاله ولا أترك منهم دياراً ولا من يرد الأخبار . ثم إنه تلى كلمات وطلب الملك الأحمر فحضر فقال له : إمض إلى اسبائير المدائن واهجم على غريب وهو جالس على سريره . فقال له : سمعاً وطاعة . ثم إنه سار حتى وصل إلى الملك غريب . فلما رآه غريب سحب سيفه الماحق وحمل عليه ، وكذلك الكيلجان والقورجان وقصدا عسكر الملك الأحمر فقتلوا

فلما كانت الليلة
671
الليلة
الليلة

منهم خمسمائة وثلاثين وجرحوا الملك الأحمر جرحاً بالغاً فولّى هارباً وولّى قومه مجروحين . ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا حصن الفواكه ودخلوا على سيران الساحر وهم يدعون بالويل والثبور . فقالوا له : يا حكيم ، إن غربياً معه سيف يافث بن نوح المطلس فكل من ضربه به قصمه ، ومعه ماردان من جبل قاف قد أعطاه إياهما الملك مرعش وهو الذي قتل برقان حين دخل جبل قاف وقتل الملك الأزرق وأفى من الجن شيئاً كثيراً . فلما سمع الساحر كلام الملك الأحمر قال له : إمض . فمضى إلى حال سبيله . ثم إن الساحر عزم واحضر مardاً إسمه زعازع وأعطاه قدر درهم بنج طيار وقال : إمض إلى اسبائير المدائن واقصد قصر غربياً وتصوّر في صورة عصفور وارصده حتى ينام ولا يبقى عنده أحد ، فخذ البنج وحطّه في أنفه وأتني به . فقال : سمعاً وطاعة . وسار حتى وصل إلى اسبائير المدائن وقصد قصر غريب وهو في صورة عصفور وقعد في طاقة من طيقان القصر وصبر حتى دخل الليل وذهبت الملوك إلى مراقدهم ونام غريب على تخته وصبر المارد حتى نام غريب ، فنزل وأخرج البنج المطحون وذره في أنفه فخدمت أنفاسه ، فلقه في ملأية الفرش وحمله ومرق به مثل الريح العاصف . فما جاء نصف الليل إلا وهو في حصن الفواكه ودخل به على سيران الساحر . فشكره على فعله وأراد أن يقتله وهو في حالة تبيجه فهناه رجل من قومه عن قتله وقال له : يا حكيم إنك إن قتلته أخرب ديارنا الجان لأن الملك مرعش صاحبه يحمل علينا بكل عفريت عنده . قال له : وما تصنع به ؟ فقال : إرمه في جيحون وهو مبنج فلا يدري من رماه ويغرق ولا يعلم به أحد . فأمر المارد أن يحمل غربياً ويرميه في جيحون . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 672
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن المارد حمل غربياً وأتى به إلى جيحون . فأراد أن يرميه في جيحون فلم يهن عليه ، فعمل رومس خشب وربطه بالحبال ودفع الروموس بغريب في التيار فأخذه التيار وراح . هذا ما كان من أمر غريب . وأما قومه فإنهم أصبحوا يقصدون خدمته فلم يجلدوه ، ووجدوا سبخته على تخته وانتظروه أن يخرج فما خرج . فطلبوا الحاجب وقالوا له : أدخل الحريم وانظر الملك فإنه ما له عادة أن يغيب إلى هذا الوقت . فدخل الحاجب وسأل من في الحريم فقالوا له : من البارحة ما رأيناه . فرجع إليهم الحاجب وأخبرهم بذلك . فتحيروا وقال بعضهم لبعض : ننظر أن يكون راح ليتنزه نحو البساتين . ثم إنهم سألوا البساتينية : هل الملك مرّ عليكم ؟ فقالوا : ما رأيناه . فاعتموا وفتشوا جميع البساتين ورجعوا آخر النهار باكين ، وطاف الكيلجان والقورجان يفتشان عليه في المدينة فلم يعرفوا له خبراً وعادا بعد ثلاثة أيام فلبس القوم السواد وشكوا لرب العباد الذي يفعل ما أراد . فهذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر غريب فانه صار ملقى على الروموس وهو يجري به في التيار خمسة أيام ، ثم قذفه التيار في البحر المالح فلعبت به الأمواج واختضّ بطنه فخرج منه البنج ، ففتح عينيه فوجد نفسه في وسط البحر والأمواج تلعب به فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا ترى من فعل بي هذا الفعل ؟ فبينما هو متحيراً في أمره وإذا بمركب سائرة ، فلوّح للركاب بكمه فاتوه وأخذوه ثم قالوا له : من تكون ؟ ومن أي البلاد أنت ؟ فقال لهم : اطعموني واسقوني حتى تردّ لي روحي وأقول لكم من أنا . فاتوه بالماء والزاد ، فاكل

وشرب ورد الله عليه عقله فقال: يا قوم، ما جنسكم؟ وما دينكم؟ فقالوا: نحن من الكرج ونعبد صنماً اسمه منقاش. فقال لهم: تبا لكم ولعبودكم يا كلاب، ما يُعبد إلا الله الذي خلق كل شيء ويقول للشيء: كن فيكون. فعندها قاموا عليه بقوة وجنون وأرادوا القبض عليه وهو بلا سلاح، فصار كل من لكمه رماه وأعدمه الحياة. فبطح أربعين رجلاً فتكاثروا عليه وشدوا وثاقه وقالوا: ما نقتله إلا في أرضنا حتى نعرضه على الملك. ثم ساروا حتى وصلوا إلى مدينة الكرج. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أهل المركب لما قبضوا على غريب وكتفوه قالوا: ما نقتله إلا في أرضنا. ثم ساروا إلى مدينة الكرج، وكان الذي بناها عملاقاً جباراً وقد جعل على كل باب من أبوابها شخصاً من نحاس بالحكمة، فإذا دخل المدينة أحد غريب يصيح ذلك الشخص بالبوq فيسمعه كل من في المدينة، فيمسكونه ويقتلونه إن لم يدخل في دينهم. فلما دخل غريب صاح ذلك الشخص صيحة عظيمة وصرخ حتى أفزع قلب الملك، فقام ودخل على صنمه فوجد النار والدخان يخرجان من فيه وأنفه وعينه وكان الشيطان دخل في الصنم ونطق على لسانه وقال: يا ملك قد وقع لك واحد اسم غريب وهو ملك العراق، وهو يأمر الناس أن يتركوا دينهم ويعبدوا ربه. فإذا دخلوا عليك به فلا تبقه. فخرج الملك وجلس على تخته وإذا بهم قد دخلوا بغريب ثم أوقفوه بين يدي الملك وقالوا: يا ملك، قد وجدنا هذا الغلام كافراً بالهتنا ووجدناه غريقاً وحكوا له حكايات غريب. فقال: اذهبوا به إلى بيت الصنم الكبير وانحروه أمامه لعله يرضى عنا. فقال الوزير: يا ملك، نحره ما هو ملبح فإنه يموت في ساعة. فقال: نجسه ونجم الحطب ونطلق فيه النار. فجمعوا الحطب وأطلقوا فيه النار إلى الصباح وخرج الملك وخرج أهل المدينة وأمروا بإحضار غريب، فذهبوا إليه ليحضره فلم يجدوه فعادوا وأعلموا الملك بهروبه. فقال: وكيف هرب؟ قالوا: وجدنا السلاسل والقيود مرمية والأبواب مغلقة. فتعجب الملك وقال: هل هذا في السماء طار أو في الأرض غار؟ فقالوا: لا نعلم. ثم قال: أنا أمضي إلى إلهي وأسأله عنه فانه يخبرني أين مضى. ثم إنه قام وقصد الصنم ليسجد له فلم يجده، فصار يمعك عينيه ويقول: هل أنت نائم أم يقظان؟ والتفت إلى وزيره وقال: يا وزير، أين إلهي وأين الأسير؟ وحق ديني يا كلب الوزراء لو أنت أشرت عليّ بحرقه لكنت نحرته، فهو الذي سرق إلهي وهرب ولا بد أن آخذ ثاره. ثم سحب سيفه وضرب الوزير فقطع رقبتة. وكان لرواح غريب والصنم سبب عجيب، وذلك أنه لما حبس غريباً في المخدع قعد بجانب القبة التي فيها الصنم، فقام غريب لذكر الله تعالى وطلب من الله عز وجل. فسمعه المارد الموكل بالصنم الناطق على لسانه فخشع قلبه وقال: يا خجلتاه من الذي يراني ولا أراه. ثم إنه تقدم إلى غريب وانكب على قدميه وقال له: يا سيدي، ما الذي أقول حتى أصير من حزبك وأدخل في ملتك؟ قال: تقول: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله. فنطق المارد بالشهادة فكتب من أهل السعادة. وكان اسم المارد زلزال بن المزلزل وأبوه من كبار ملوك الحان. ثم إنه حلّ غريباً من القيود وحمله الصنم وقصد الجو الأعلى. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
673
الملك السعيد

سنين . فينما هو ذات يوم جالس إذ نزل عليه من الجو مردان ، مع كل مارد رجل ، وقد نظروا الى غريب فقالوا له : ما تكون يا هذا ؟ ومن أي القبائل انت ؟ وكان غريب قد طال شعره فحسبوه من الجن فسألوه عن حاله فقال لهم : ما أنا من الجن . ثم أخبرهم بما جرى له من أوله إلى آخره . فحزنوا عليه فقال عفريت منهما : استمر مكانك حتى نؤدي هذين الخروفين إلى ملكنا يتغدى بواحد ويتعشى بواحد ونعود إليك ونؤديك إلى بلادك . فشكرهما غريب وقال لهما : أين الخروفان اللذان معكما ؟ فقالا : هذان الآدميان . فقال غريب : استجرت بإله ابراهيم الخليل رب كل شيء وهو على كل شيء قدير . ثم إنهما طارا وقعد غريب ينتظر المارد . فبعد يومين أتاه ذلك المارد بكسوة فستره وحمله وطار به إلى الجو الأعلى حتى غاب عن الدنيا ، فسمع غريب تسييح الملائك في الهواء فأصاب المارد منهم سهم من نار ، فهرب وقصد الأرض حتى بقي بينه وبين الأرض رمية رمح وقد قرب السهم منه وأدركه ، فنهض غريب ونزل عن كاهله ولحقه السهم فصار رماداً ولم يكن نزول غريب إلا في البحر ، فغطس مقدار قامتين وطلع . فعام ذلك اليوم وليته وثاني يوم حتى ضعفت نفسه وأيقن بالموت . فما جاء اليوم الثالث إلا وقد يش من الحياة ، فبان له جبل شامخ فقصدته وطلعه ومشى فيه وتقوّت من نبات الأرض واستراح يوماً وليلة . ثم طلع من أعلى الجبل ونزل من خلفه وسار يومين فوصل إلى مدينة ذات أشجار وأنهار وأسوار وأبراج . فلما وصل إلى أبواب المدينة قام إليه البوابون وقبضوا عليه وأتوا به إلى ملكتهم . وكان اسمها جانشاه وكان لها من العمر خمسمائة سنة وكل من دخل مدينتها يعرضونه عليها فتأخذها وترافقه فلما يفرغ عمله تقتله ، وقد قتلت ناساً كثيراً . فلما أتوا بغريب إليها أعجبها فقالت له : ما اسمك ؟ وما دينك ؟ ومن أي البلاد أنت ؟ فقال : إسمي غريب ملك العراق وديني الإسلام . فقالت له : أخرج من دينك في ديني وأنا أتزوج بك وأجعلك ملكاً . فنظر غريب إليها بعين الغضب وقال لها : تبا لك ولدينك . صاحت عليه وقالت له : أتسبّ صنمي وهو من العقيق الأحمر مرصع بالدر والجواهر ؟ ثم إنها قالت : يا رجال احبسوه في قبة الصنم لعله يلين قلبه . فحبسوه في قبة الصنم وقفلوا عليه الأبواب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة ما
كانت الليلة
676
كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنهم لما أخذوا غريباً وحبسوه في قبة الصنم وأغلقوا عليه الأبواب ومضوا إلى حال سبيلهم ، نظر غريب إلى الصنم وهو من العقيق الأحمر وفي عنقه قلائد الدر والجواهر ، فتقدّم غريب إلى الصنم وحمله وضرب به الأرض فصار هسيماً ونام حتى طلع النهار . فلما أصبح الصباح جلست الملكة على سريرها وقالت : يا رجال اثنوني بالأسير . فساروا إلى غريب وفتحوا القبة ودخلوا فوجدوا الصنم مكسوراً ، فلطموا على وجوههم حتى نزل الدم من آفاق عيونهم ثم تقدموا إلى غريب ليمسكوه ، فلكم منهم واحداً فمات وآخر فقتله حتى قتل خمسة وعشرين وهرب الباقي . فدخلوا على الملكة جانشاه وهم صارخون فقالت لهم : ما الخبر ؟ قالوا لها : إن الأسير كسر صنمك وقتل رجالك وأخبروها بما كان . فرمت تاجها على الأرض وقالت : ما بقي للأصنام قيمة . ثم إنها ركبت في ألف بطل وقصدت بيت الصنم فوجدت غريباً قد خرج من القبة وقد أخذ سيفاً وصار يقتل الأبطال ويجندل الرجال . فنظرت جانشاه إلى غريب وشجاعته وغرقت في محبته وقالت : ليس لي حاجة

بالصنم وما مرادي إلا هذا الغريب يرقد في حضني بقية عمري . ثم إنها قالت لرجالها : ابعثوا عنه وانزلوا . ثم إنها تقدمت وهممت فوق ذراع غريب وارتخت سواعده وسقط السيف من يده ، فمسكوه وكتفوه ذليلاً حقيراً متحيراً . ثم رجعت جانشاه وجلست على سرير ملكها وأمرت قومها بالإصراف واختلت به في المكان فقالت له : يا كلب العرب ، أتكسر صنمي وتقتل رجالي ؟ فقال لها : يا ملعونة ، لو كان إلهاً لمنع عن نفسه ؟ فقالت له : ضاجعني وأنا أترك لك ما صنعت . فقال لها : ما أفعَل شيئاً من ذلك . فقالت : وحق ديني لأعذبك عذاباً شديداً . ثم إنها أخذت ماء وعزمت عليه ورشته عليه فصار قرداً ، وصارت تطعمه وتسقيه ثم حبسته في مخدع ووكلت به من يقوم به سنتين . ثم دعت يوماً من الأيام فأحضرتة إليها وقالت : أسمع مني ؟ فقال لها برأسه : نعم . ففرحت وخلصته من السحر وقدمت له الأكل ، فأكل معها ولاعبها وقبلها فاطمأنت له . وأقبل الليل فرقدت وقالت له : قم اعمل شغلك . فقال لها : نعم . ثم ركب على صدرها وقبض على رقبتها فكسرها ولم يبق عنها حتى خرجت روحها . ثم نظر إلى خزانة مفتوحة فدخلها فوجد فيها سيفاً مجوهرأ ودرقة من الحديد الصيني ، فلبس كامل العدة وصبر إلى الصباح . ثم خرج ووقف على باب القصر فأقبل الأمراء وأرادوا أن يدخلوا إلى الخدمة فوجدوا غريباً وهو لابس آلة الحرب . فقال لهم : يا قوم ، اتركوا عبادة الأصنام وابعثوا الملك العلام خالق الليل والنهار رب الآنام ومحيي العظام وخالق كل شيء وهو على كل شيء قدير . فلما سمع الكفار ذلك الكلام هجموا عليه ، فحمل عليهم كأنه أسد كاسر فجال فيهم وقتل منهم خلقاً كثيراً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني ؟ أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما حمل على الكفار قتل منهم خلقاً كثيراً ، وهجم الليل وهم يتكاثرون عليه وكلهم سعوا له وأرادوا أن يأخذوه وإذا هو بالف مارد قد هجموا على الكفار بالف سيف ورئيسهم ززال بن المزلزل وهو في أولهم . فاعملوا فيهم السيف البتار وأسقوهم كأس البوار وعجل الله تعالى بارواحهم إلى النار ، ولم يبقوا من قوم جانشاه من يرد الأخبار . فصاح الأعوان : الأمان الأمان . وآمنوا بالملك الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن ، مبيد الأكاسرة ومفني الجبابرة ورب الدنيا والآخرة . ثم سلم ززال على غريب وهناه بالسلامة . فقال له غريب : من أعلمك بحالي ؟ فقال : يا مولاي لما حبسني أبي وأرسلك إلى وادي النار ، أقمت في الحبس سنتين ثم أطلقني . فأقمت بعد ذلك ثم عدت إلى ما كنت عليه ، فقتلت أبي وطاعتني الجنود ولي سنة وأنا أحكم عليهم . فتمت وأنت في خاطري فرايتك في المنام وأنت تقاتل قوم جانشاه ، فأخذت هؤلاء الألف مارد وأتيت إليك . فتعجب غريب من هذا الإتفاق ثم أخذ أموال جانشاه وأموال قومه ونصب على المدينة حاكماً ، وحملت المردة الأموال وغريباً وما باتوا ليلتهم إلا في مدينة ززال ، واستضاف غريب عند ززال ستة أشهر ثم أراد الرواح ، فأحضر ززال الهدايا وبعث ثلاثة آلاف مارد فجاؤوا بالمال من مدينة الكرج ووضعوه على أموال جانشاه . ثم أمرهم أن يحملوا الهدايا والأموال ، وحمل ززال غريباً وقصداً إلى مدينة اسبانيير المدائن . فما جاء نصف الليل إلا وهم فيها . فنظر غريب فرأى المدينة محصورة محيطاً بها عسكر جرار مثل البحر الزاخر فقال غريب لززال : يا أخي ، ما سبب هذه المحاصرة ؟

فلما كانت الليلة
الليلة
677
الليلة

ومن أين هذا العسكر؟ ثم نزل غريب على سطح القصر ونادى: يا كوكب الصباح، يا مهدية. فقامتا من نومهما مدهوشتين وقالتا: من ينادينا في هذا الوقت؟ قال: أنا مولاكما غريب صاحب الفعل العجيب. فلما سمع السيدتان كلام مولاهما فرحتا، وكذلك الجوارى والخدم. ونزل غريب فترامين عليه وزلغظن فدوى لهن القصر. فأتى المقدمون من مراقدهم وقالوا: ما الخبر؟ وطلعوا القصر وقالوا للطواشية: هل ولدت واحدة من الجوارى؟ قالوا: لا، ولكن أبشروا فقد وصل إليكم الملك غريب. ففرح الأمراء وسلّم غريب على الحريم وخرج إلى أصحابه فتراموا عليه وقبلوا يديه ورجليه وحمدوا الله تعالى وأثنوا عليه. وقعد غريب على سريره ونادى أصحابه فحضرُوا وجلسوا حوله. فسألهم عن العسكر النازلين عليهم فقالوا: يا ملك، إن لهم ثلاثة أيام من حين نزلوا علينا ومعهم جن وإنس وما ندري ما يريدون وما وقع بيننا وبينهم قتال ولا كلام. فقال غريب: غداً نبعث إليهم كتاباً وننظر ما يريدون. ثم قالوا: وملككم إسمه مرادشاه وتحت يده مائة ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ومائتان من أرهاط الجنان. وكان لهجيء هذا العسكر سبب عظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
التي كانت الليلة
678
التي كانت الليلة
التي كانت الليلة

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنه كان لهجيء هذا العسكر ونزوله على مدينة أسبانيير سبب عظيم. وذلك أنه لما بعث الملك سابور ابنته مع اثنتين من قومه وقال لهن: غرقاها في جيحون. فخرجا بها وقال لها: إمضي إلى حال سبيلك ولا تظهري لأبيك فيقتلنا ويقتلك. فهجت فخرتاج وهي حيرانة لا تعرف أين تتوجه وقالت: أين عينك يا غريب تنظر حالي والذي أنا فيه؟ ولم تزل سائرة من أرض إلى أرض ومن واد إلى واد حتى مرت بواد كثير الأشجار والأنهار وفي وسطه حصن مبني، عالي البنيان مشيد الأركان كأنه روضة من الجنان. فتنحت فخرتاج إلى الحصن ودخلته فوجدته مفروشاً بالسط الحرير وفيه من أواني الذهب والفضة شيء كثير، ووجدت فيه مائة جارية من الجوارى الحسان. فلما نظرت الجوارى فخرتاج، قمن إليها وسلمن عليها وهن يحسبن أنها من جوارى الجن. فسألنها عن حالها فقالت لهن: أنا بنت ملك العجم. وحكت لهن ما جرى لها. فلما سمعت الجوارى هذا الكلام حزن عليها، ثم إنهن طين قلبها وقلن لها: طيبي نفساً وقرى عيناً ولك ما تأكلين وما تشربين وما تلبسين وكلنا في خدمتك. فدعت لهن. ثم إنهن قدمن إليها الطعام فأكلت حتى اكتفت. وقالت فخرتاج للجوارى: ومن صاحب هذا القصر والحاكم عليكم؟ قالوا: سيدنا الملك صلصال بن دال وهو يأتي في كل شهر ليلة ويصبح متوجهاً ليحكم في قبائل الجنان. فأقامت عندهن فخرتاج خمسة أيام فوضعت ولدأ ذكراً مثل القمر، فقطعن سرته وكحلن مقلته وسمينه مرادشاه. فتربى في جحر أمه وعن قليل أقبل الملك صلصال وهو راكب على فيل أبيض قرطاسي قدر البرج المشيد، وحوله طوائف الجنان. ثم دخل القصر وتلقته المائة جارية وقبلن الأرض ومعهن فخرتاج. فنظر الملك فقال لجواريه: من تكون هذه الجارية؟ فقالوا له: بنت سابور ملك العجم والترك والديلم. فقال: من أتى بها إلى هذا المكان؟ فحكين له ما جرى لها. فحزن عليها وقال: لا تحزني واصبري حتى تربى ولدك ويكبر، ثم إنني أسير إلى بلاد العجم وأقطع رأس أبيك من بين أكتافه وأجلس لك ولدك على تخت العجم والترك والديلم. فقامت

فخرتاج وقبلت يديه ودعت له وقعدت تربي ولدها مع أولاد الملك، وصاروا يركبون الخيل ويسيروا إلى الصيد والقنص . فتعلّم صيد الوحش وصيد السباع الضارية ويأكل من لحومها حتى صار قلبه من الحجر . فلما صار له من العمر خمسة عشر عاماً كبرت عنده نفسه فقال لأمه : يا أماه، ومن هو أبي ؟ فقالت : يا ولدي أبوك غريب ملك العراق وأنا بنت ملك العجم . ثم إنها حكّت له ما جرى . فلما سمع كلامها قال : وهل أمر جدي بقتلك وقتل أبي ؟ قالت : نعم . فقال لها : بحق ما لك عليّ من التربية لأسيرين إلى مدينة أبيك وأقطع رأسه وأقدمها إلى حضرتك . ففرحت بقوله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 679

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن مرادشاه بن فخرتاج صار يركب مع المائتي مارد حتى إنه تربي معهم وصاروا يشنون الغارات ويقطعون الطرقات . ولم يزالوا في سيرهم حتى أشرفوا على بلاد شيراز ، فهجموا عليها وهجم مرادشاه على قصر الملك فرمى رأسه وهو على تخته وقتل من جنده خلقاً كثيراً وصاح الباقي باللسان : الأمان الأمان . ثم إنهم قبلوا ركة مرادشاه ، فعدهم فوجدهم عشرة آلاف فارس . فركبوا في خدمته ثم ساروا إلى بلخ فقتلوا ملكها وأهلكوا جندها وتملكوا أهلها وساروا إلى نورين . وقد سار مرادشاه في ثلاثين ألف فارس ، وقد خرج إليهم صاحب نورين طائعاً وقدم إليهم الأموال والتحف وركب في ثلاثين ألف فارس وساروا قاصدين مدينة سمرقند العجم . فأخذوها وساروا إلى أخلاط فأخذوها . ثم ساروا ولم يصلوا إلى مدينة إلا أخذوها وقد صار مرادشاه في جيش عظيم ، والذي يأخذه من الأموال والتحف من المدائن يفرقه على الرجال ، فحبّوه لأجل شجاعته وكرمه . وقد وصل إلى اسبانيير المدائن فقال : اصبروا حتى أحضر باقي عسكري وأقبض على جدي وأحضره قدام أمي وأشفي قلبها بضرب عنقه . ثم إنه أرسل من يجيء بها . فلأجل هذا لم يحصل القتال ثلاثة أيام ، وقد وصل غريب ومعه زلزال في أربعين ألف مارد حاملين الأموال والهدايا وسأل عن العسكر النازلين فقالوا : لانعلم من أين هم ، ولهم ثلاثة أيام لم يقاتلونا ولم نقاتلهم . ووصلت فخرتاج فاعتنقها ولدها مرادشاه وقال لها : اقعدي في خيمتك حتى أجيء لك بأبيك . فدعت له بالنصر من ربّ العالمين ربّ السموات وربّ الأرضين . فلما أصبح الصباح ركب مرادشاه والمائتا مارد على يمينه وملوك الإنس على شماله ودقوا طبول الحرب ، فسمع غريب فركب وخرج ودعا قومه للحرب ووقفت الجن على يمينه والإنس على يساره . فبرز مرادشاه وهو غارق في عدة الحرب فساق جواده يميناً وشمالاً ثم نادى : يا قوم ، لا يبرز لي إلا ملككم ، فإن قهربي كان هو صاحب العسكرين وإن قهرته قتلته مثل غيره . فلما سمع غريب كلام مرادشاه قال : إخسأ يا كلب العرب . ثم حملا على بعضهما وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيف حتى تثلمت . ولم يزالا في كرّ وفرّ وقُرب وبُعد حتى انتصف النهار وقد وقعت الخيل من تحتها فنزلا على الأرض وقد قبضا بعضهما . فعند ذلك هجم مرادشاه على غريب وخطفه وعلقه وأراد أن يضرب به الأرض فقبض غريب على أذنيه وجدهما بشدة ، فحس مرادشاه أن السماء انطبقت على الأرض فصاح بملء فمه وقال : أنا في جيرتك يا فارس الزمان فكثّفه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن غريباً لما قبض على أذني مرادشاه وجذبهما فقال له : أنا في جيرتك يا فارس الزمان فكثفه . فأراد المردة أصحاب مرادشاه أن يهجموا ويخلصوه ، فحمل غريب بالثف وارد وأرادوا أن يبطشوا بمردة مرادشاه فصاحوا : الامان الامان ورموا سلاحهم . فجلس غريب في سرادقه وكان من الحرير الأخضر مطرزاً بالذهب الأحمر مكللاً بالدر والجوهر ، ثم دعا بمرادشاه فأحضره بين يديه وهو يحجل في القيود والأغلال . فلما نظر مرادشاه إلى غريب اطرق برأسه إلى الأرض من الحياء . فقال له غريب : يا كلب العرب ، أي شيء وصفك حتى تركب وتضاهي الملوك ؟ فقال : يا مولاي لا تواخذني فإني معذور . قال له غريب : ما وجه عذرك ؟ قال مرادشاه : يا مولاي أعلم أنني قد خرجت آخذ ثأر أبي وأمي من سابور ملك العجم فإنه أراد قتلهما ، فسلمت أمي وما أدري هل قتل أبي أم لا ؟ فلما سمع غريب كلامه قال : والله إنك معذور ، فمن هو أبوك ومن هي أمك وما اسم أهلك وما اسم أمك ؟ فقال : إسم أبي غريب ملك العراق ، واسم أمي فخرتاج بنت سابور ملك العجم . فلما سمع غريب كلامه صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فرشوا عليه ماء الورد . فلما أفاق قال له : هل أنت ابن غريب من فخرتاج ؟ قال : نعم . قال غريب : أنت فارس ابن فارس ، حلوا القيود عن ولدي . فتقدم سهيم والكيلجان وحلا مرادشاه واحتضن ولده وأجلسه في جانبه وقال له : أين أمك ؟ قال : هي عندي في خيمتي . قال : اثنتي بها . فركب مرادشاه إلى خيامه فتلقاه أصحابه وفرحوا بسلامته وسألوه عن حاله فقال : ما هذا وقت سؤال ؟ ثم إنه دخل على أمه وحدثها بما جرى . ففرحت فرحاً شديداً وأتى بها إلى أبيه فتعانقا وفرحا ببعضهما . وأسلمت فخرتاج وأسلم مرادشاه وعرضا على عسكرهما الإسلام فأسلموا جميعاً قلباً ولساناً وفرح غريب بإسلامهم . ثم أحضر الملك سابور ووبّخه على فعاله هو وولده وعرض عليهما الإسلام فأبيا ، فصلبهما على باب المدينة . وزينوا المدينة وفرح أهل المدينة وزينوها والبسوا مرادشاه التاج الكسروي وجعلوه ملك العجم والترك والديلم . وبعث الملك غريب عمه الملك الدامغ ملكاً على العراق وقد أطاعته كل البلاد والعباد وقعد غريب في مملكته يعدل في الرعية وقد أحبه الخلق أجمعون . ولم يزلوا في أرغد عيش إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات . فسبحان من يدوم عزه وبقاؤه وعلى خلقه جلت الأؤة . وهذا ما بلغنا من حكاية غريب وعجيب .

57 - حكاية عتبة ورياً

وحكي أيضاً أن عبد الله بن معمر القيسي قال : حججت سنة إلى بيت الله الحرام ، فلما قضيت حجي عدت إلى زيارة قبر النبي ﷺ . فبينما أنا ذات ليلة جالس في الروضة بين القبر والمنبر إذ سمعت أنيناً رقيقاً بصوت رقيم . فانصت إليه وإذا هو يقول : [من الكامل]

أشجاك نوح حمائم السدر فأهاج منك بلايل الصدر
 أم ساء حالك ذكر غانية أهدت إليك وساوس الفكر
 يا لئلة طالت على ذنب يشكو الغرام وقلة الصبر

أَسْهَرْتَ مَنْ يُصَلِّي بِحَرِّ جَوَى مَتَوَقَّدٌ كَتَوَقَّدِ الْجَمْرِ
فَالْبَدْرُ يَشْهَدُ أَنَّنِي كَلْفٌ صَبٌّ بِحُبِّ شَيْبَةِ الْبَدْرِ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّنِي كَلْفٌ حَتَّى بُلَيْتُ وَكُنْتُ لَا أَدْرِي

ثم انقطع صوته ولم أدر من أين جاءني فبقيت حائراً وإذا به أعاد الأنين وأنشد يقول: [من الكامل]

أَشْجَاكَ مِنْ رِيَا خِيَالٍ زَائِرُ وَاللَّيْلُ مُسَوِّدُ النَّوَابِ عَاكِرُ
وَأَعْتَادَ مَقْلَتِكَ الْهَوَى بِسُهُادِهِ وَأَهْتَجَ مَهْجَتَكَ الْخِيَالُ الزَّائِرُ
نَادَيْتُ لَيْلِي وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ بَحْرٌ تَلَاطَمَ فِيهِ مَوْجٌ زَاخِرُ
يَا لَيْلُ طَلْتِ عَلَى مُجِبِّ مَا لَهُ إِلَّا الصَّبَاحُ مُسَاعِدٌ وَمُوَازِرُ
فَأَجَابَنِي لَا تَشْكُونُ إِطَالَتِي إِنَّ الْهَوَى لَهُوَ الْهَوَانُ الْحَاضِرُ

قال: فنهضت إليه عند ابتداء الأبيات أقصد جهة الصوت فما انتهى إلى آخر الأبيات إلا وأنا عنده، فرايت غلاماً في غاية الجمال لم ينبت عذاره وقد خرق الدمع من وجنتيه خرقين. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 681
□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن معمر القيسي قال: فنهضت عند ابتداء الأبيات أقصد جهة الصوت فما انتهى إلى آخر الأبيات إلا وأنا عنده، فرايت غلاماً لم ينبت عذاره وقد خرق الدمع من وجنتيه خرقين. فقلت له: نعمت غلاماً؟ فقال: وأنت فمن الرجل؟ قلت: عبد الله بن معمر القيسي. قال: أفلك حاجة؟ قلت له: كنت جالساً في الروضة فما راعني هذه الليلة إلا صوتك فبنفسي أفديك ما الذي تجده؟ قال: إجلس فجلست. قال: أنا عتبة بن الجبان بن المنذر بن الجموح الأنصاري، عدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راکعاً وساجداً ثم اعتزلت أتعبد وإذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحظة فوقفت علي وقالت: يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك؟ ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبراً ولا وقعت لها على أثر وها أنا حيران أنتقل من مكان إلى مكان، ثم صرخ وانكب على الأرض مغشياً عليه. ثم أفاق كأنما صبغت ديباجة خديه بورس وأنشأ يقول هذه الأبيات: [من الطويل]

أَرَاكُمْ بِقَلْبِي مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ تَرَاكُمْ تَرَوْنِي بِالْقُلُوبِ عَلَى بُعْدِ
فُوَادِي وَطَرْفِي يَا سَفَانَ عَلَيَّكُمْ وَعِنْدَكُمْ رُوحِي وَذِكْرُكُمْ عِنْدِي
وَلَسْتُ. أَلَدُّ الْعَيْشِ حَتَّى أَرَاكُمْ وَلَوْ كُنْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ أَوْ جَنَّةِ الْخُلْدِ

فقلت له: يا عتبة يا ابن أخي، تب إلى ربك واستغفر من ذنبك فإن بين يديك هول الموقف. فقال: هيهات ما أنا سال حتى يؤوب القارظان. ولم أزل معه حتى طلع الفجر فقلت له: قم بنا إلى المسجد. فجلسنا فيه حتى صلينا الظهر وإذا بالنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن: يا عتبة، ما ظنك بطالبة وصلك؟ قال: وما بالها؟ قلن: أخذها أبوها وارتحل إلى

السماوة . فسالتهن عن اسم الجارية فقلن : رياً بنت الغطريف السليمي . فرفع رأسه وانشد هذين البيتين : [من الطويل]

خَلِيلِي رِيًّا قَدْ أَجَدَّ بِكُورِهَا وَسَارَتْ إِلَى أَرْضِ السَّمَاءِ عَيْرُهَا
خَلِيلِي إِنِّي قَدْ غُشِيْتُ مِنَ الْبُكَاءِ فَهَلْ عِنْدَ غَيْرِي عِبْرَةٌ أَسْتَعِيرُهَا

فقلت له : يا عتبة إني وردت بمال جزيل أريد به ستر أهل المروة، والله لا بذلته أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى، فقم بنا إلى مجلس الأنصار . فقمنا حتى أشرفنا على ملائهم فسلمت عليهم فاحسنوا الردّ ثم قلت : أيها الملا ما تقولون في عتبة وأبيه ؟ فقالوا : من سادات العرب . قلت : اعلموا أنه رمى بدهاية الهوى، فأريد منكم المساعدة إلى . السماوة قالوا : سمعاً وطاعة . فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على مكان بني سليم . فعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادراً واستقبلنا وقال : حبيتم يا كرام . فقلنا له : وأنت حبيت إنّا لك أضياف . فقال : نزلتم بأكرم منزل رحب . فنزل ثم نادى : يا معشر العبيد انزلوا . فنزلت العبيد وفرشت الأنطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم . فقلنا : نحن لا نذوق طعامك حتى تقضي حاجتنا . قال : وما حاجتكم ؟ قلنا : نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الجبان بن المنذر العالي الفخر الطيب العنصر . فقال : يا إخواني، إن التي تخطبونها امرها لنفسها وأنا أدخل وأخبرها . ثم نهض مغضباً ودخل إلى ربا فقالت : يا ابت ما لي أرى الغضب بايناً عليك ؟ فقال : ورد علي قوم من الأنصار يخاطبونك مني . فقالت : سادات كرام ، استغفر لهم النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فلمن الخطبة فيهم ؟ فقال لها : لفتى يُعرف بعتبة بن الجبان . قالت : سمعت عتبة هذا إنه يفي بما وعد ويدرك ما طلب . فقال : أقسمت لا أزوّجك به أبداً فقد نما إليّ بعض حديثك معه . قالت : ما كان ذلك، ولكن أقسمت أن الأنصار لا يردّون مرداً قبيحاً فاحسن لهم الردّ . قال : بأي شيء ؟ قالت : أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون . قال : ما أحسن ما قلت . ثم خرج مبادراً فقال : إن فتاة الحي قد أجابت ولكن تريد لها مهر مثلها، فمن القائم به ؟ قال : عبد الله . فقلت : أنا . قال : أريد لها ألف أسورة من الذهب الأحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الأبراد والحبر وخمسة أكرشة من العنبر . قال : قلت لك ذلك فهل أجبت ؟ قال : أجبت . فأنفذ عبدالله نفراً من الأنصار إلى المدينة المنورة فاتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام . قال : فاقمنا على هذا الحال أربعين يوماً ثم قال : خذوا فتاتكم . فحملناها على هودج وجهرها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة . ثم خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب أنها من بني سليم ، فحمل عليها عتبة بن الجبان فقتل عدة رجال وانحرف وبه طعنة ثم سقط إلى الأرض، وأتتنا النصره من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نجه . وقلنا : واعتبته . فسمعت الجارية ذلك فالقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح بحرقة وتقول هذه الأبيات : [من الطويل]

تَصَبَّرْتُ لَا كَوْنِي صَبَّرْتُ وَإِنَّمَا أَعْلَلُّ نَفْسِي أَنَّهُا بِكَ لَاحِقَةٌ
وَلَوْ أَنصَفْتُ رُوحِي لَكَانَتْ إِلَى الرَّدَى أَمَامَكَ مِنْ دُونِ الْبَرِيَّةِ سَابِقَةٌ
فَمَا أَحَدٌ بَعْدِي وَبَعْدَكَ مُنصِفٌ خَلِيلًا وَلَا نَفْسٌ لِنَفْسٍ مُوَافِقَةٌ

ثم شهقت شهقة واحدة وانقضى نحبها . فحفرنا لهما قبراً واحداً وواريناهما في التراب ورجعت إلى ديار قومي واقمت سبع سنين ثم عدت إلى الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة فقلت : والله لأعودن إلى قبر عتبة . فأتيت إليه فإذا هو عليه شجرة عالية عليها عصائب حمر وصفر وخضر . فقلت لأرباب المنزل : ما يقال لهذه الشجرة ؟ فقالوا : شجرة العروسين . فأقمت عند القبر يوماً وليلة وانصرفت . وكان آخر العهد به رحمه الله تعالى .

58- حكاية طلاق هند بنت النعمان

وحكي أيضاً أن هنداً بنت النعمان كانت أحسن نساء زمانها . فوصف للحجاج حسننها وجمالها فخطبها وبذل لها مالاً كثيراً وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ، فلما دخل بها مكث معها مدة طويلة . ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر وجهها في المرآة وتقول : [من الطويل]

وما هندُ إلا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سُلَالَةٌ أَفْرَاسٍ تَحَلَّلَهَا بَغْلُ
فإنْ وكدتُ أنثى فليله درُّها وإنْ وكدتُ بَغْلًا فجاءَ به البَغْلُ

فلما سمع الحجاج ذلك انصرف راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به ، فاراد الحجاج طلاقها فبعث إليها عبدالله بن طاهر يطلِّقها . فدخل عبدالله بن طاهر عليها فقال لها : يقول لك الحجاج أبو محمد ، كان تأخر لك عليه من الصداق مائتا ألف درهم . وهي هذه حضرت معي ووكلني في الطلاق . فقالت : أعلم يا ابن طاهر أننا كنا معاً والله ما فرحت به يوماً قط ، وإن تفرقنا والله لا أندم عليه أبداً ، وهذه المائتا ألف درهم لك بشارة بخلاصي من كلب ثقيف . ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له حسننها وجمالها وقدها واعتدالها وعذوبة ألفاظها وتغزل الحاظها فأرسل إليها يخطبها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما بلغه حسن الجارية وجمالها أرسل إليها يخطبها . فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه : بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه محمد ﷺ ، أما بعد فاعلم يا أمير المؤمنين أن الكلب ولغ في الإناء . فلما قرأ كتابها أمير المؤمنين ضحك من قولها وكتب لها قوله ﷺ : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب . وقال : اغسلي القذى عن محل الإستعمال . فلما رأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة وكتبت إليه تقول : بعد الثناء على الله تعالى أعلم يا أمير المؤمنين أتني لا اجري العقد إلا بشرط ، فإن قلت : ما الشرط ؟ أقول : أن يقود الحجاج محملي إلى بلدك التي أنت فيها ويكون حافياً بملبوسه الذي هو لابس . فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك ضحكاً عالياً شديداً وأرسل إلى الحجاج يأمره بذلك . فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب ولم يخالف وامتلأ الأمر . ثم أرسل الحجاج إلى هند يأمرها بالتجهيز ، فتجهزت في محمل وجاء الحجاج في موكبه حتى وصل إلى باب هند . فلما ركبت المحمل وركب حولها جواربها وخدمها

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
الطلاق
682

ترجل الحجاج وهو حاف وأخذ بزمام البعير يقوده وسار بها، فصارت تسخر منه وتهزأ به وتضحك عليه مع بلانتها وجواربها. ثم إنها قالت لبلانتها: اكشفي لي ستارة الحمل. فكشفتها حتى قابل وجهها وجهه فضحكت عليه. فانشد هذا البيت: [من الطويل]

فإن تضحكي يا هند ربة ليلة
فاجابته بهذين البيتين: [من البسيط]

وما نبالي إذا أرواحنا سلمت
بما فقدناه من مالٍ ومن نشب
فالمالُ مكتسبٌ والعزُّ مرتجعٌ
إذا أشتقى المرءُ من داءٍ ومن عطبٍ

ولم تزل تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة. فلما وصلت إلى البلد رمت من يدها ديناراً على الأرض وقالت له: يا جمال، إنه قد سقط مئاً درهم فانظره وناولنا إياه. فنظر الحجاج إلى الأرض فلم ير إلا ديناراً فقال لها: هذا دينار. فقالت له: بل هو درهم. فقال لها: بل دينار. فقالت: الحمد لله الذي عوضنا بالدرهم الساقط ديناراً فناولنا إياه. فحجل الحجاج من ذلك ثم إنه أوصلها إلى قصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ودخلت عليه وكانت محظية عنده. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

59 - حكاية خزيمه بن بشر وعكرمة الفياض

فلما كانت الليلة فلما كانت الليلة
683
قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنه كان في أيام أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك رجل يقال له: خزيمه بن بشر من بني أسد، كان له مروءة ظاهرة ونعمة وإفرة وفضل وبر بالإخوان. فلم يزل على ذلك الحال حتى أقعده الدهر فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضل عليهم ويواسيهم، فواسوه حيناً ثم ملوا به. فلما لاح له تغييرهم عليه ذهب إلى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها: يا ابنة عمي، قد رأيت من إخواني تغييراً وقد عزمت على أن ألزم بيتي إلى أن يأتيني الموت. فأغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفذ وصار حائراً، وكان يعرفه عكرمة الفياض الربيعي متولي الجزيرة. فبينما هو في مجلسه إذ ذكر خزيمه بن بشر فقال عكرمة الفياض: ما حاله؟ فقالوا له: قد صار إلى أمر لا يوصف، وإنه أغلق بابه ولزم بيته. فقال عكرمة الفياض: إنما حصل له ذلك لشدة كرمه، وكيف لم يجد خزيمه بن بشر مواسياً ولا موافياً؟ فقالوا: إنه لم يجد شيئاً من ذلك. فلما جاء الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر بإسراج دابته وخرج سراً من أهله وركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمه فأخذ الكيس من غلامه ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمه فناوله الكيس وقال له: أصلح بهذا شأنك. فأخذه فرأه ثقيلاً، فوضعه عن يده ومسك بلجام الدابة وقال له: من أنت؟ جعلت نفسي فذاك. فقال له عكرمة: يا هذا، ما جئتك في مثل هذا الوقت وأريد أن تعرفني؟ قال: فما أقبلك حتى تعرفني من أنت؟ فقال: أنا جابر عثرات الكرام. قال: فزدني. قال: لا. ثم مضى ودخل خزيمه بالكيس إلى ابنة عمه فقال لها: أبشري فقد أتى الله بالفرج القريب والخير، فإن كان هذا دراهم فإنها كثيرة، قومي فاسرجي.

قالت : لا سبيل إلى السراج . فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير فلا يصدق أنها دنانير . وأما عكرمة فإنه رجع إلى منزله فوجد أمراته قد تفقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه . فأنكرت ذلك عليه وارتابت منه وقالت له : إن والي الجزيرة لا يخرج بعد مدة من الليل منفرداً عن غلمانة في سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية . فقال لها : علم الله أنني ما خرجت في واحدة منهما . فقالت : أخبرني فيم خرجت . قال لها : ما خرجت في هذا الوقت إلا لأجل أن لا يعلم به أحد . قالت : لا بد من إخباري . قال : هل تكتمينه إذا قلت لك ؟ قالت : نعم . فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من أمره ثم قال لها : تحبين أن أحلف لك أيضاً قالت : لا ، لا ، فإن قلبي قد سكن وركن إلى ما ذكرت . وأما خزيمه فإنه لما أصبح صالح الغرما وأصلح حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلاً يومئذ بفلسطين . فلما وقف ببابه واستأذن حجابيه ، دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهوراً بالمروءة وكان سليمان به عارفاً فأذن له في الدخول . فلما دخل سلّم عليه سلام الخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك : يا خزيمه ، ما أبطأك عنا ؟ قال : سوء الحال . قال : فما منعك من النهضة إلينا ؟ قال : ضعفي يا أمير المؤمنين . قال : فيم نهضت الآن ؟ قال له : أعلم يا أمير المؤمنين أنني كنت في بيتي بعد مدة من الليل وإذا برجل طرق الباب وكان من أمره كذا وكذا ، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها . فقال سليمان : هل تعرف الرجل ؟ فقال خزيمه : لا أعرفه يا أمير المؤمنين وذلك إنه كان متكبراً وما سمعت من لفظه إلا قوله : أنا جابر عثرات الكرام . فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال : لو عرفناه لكافأناه على مروءته . ثم عقد لخزيمه بن بشر لواء وجعله عاملاً على الجزيرة عوضاً عن عكرمة الفياض . فخرج خزيمه قاصداً الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة ولاقاه وخرج أهل الجزيرة في ملاقاته ، فسَلّمَا على بعضهما ثم ساروا جميعاً إلى أن دخل البلد . فنزل خزيمه دار الإمارة وأمر أن يؤخذ من عكرمة كفيلاً وأن يحاسب . فحوسب فوجد عليه أموالاً كثيرة فطالبه بأدائها . قال : ما لي إلى شيء من سبيل ؟ قال : لا بد منها . قال : ليست عندي فاصنع ما أنت صانع . فأمر به إلى الحبس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كما كانت الليلة 684 كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خزيمه أمر بحبس عكرمة الفياض . أرسل إليه يطالبه بما عليه ، فأرسل يقول له : إنني لست بمن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت . فأمر أن يكبل بالحديد ويسجن . فأقام شهراً أو أكثر حتى أضناه ذلك وأضر به حبسه . ثم بلغ ابنة عمه خبره واغتمت لذلك غاية الغم ودعت مولاة لها كانت ذات عقل وافر ومعرفة وقالت لها : إمضي في هذه الساعة إلى باب الأمير خزيمه بن بشر وقولي : إن عندي نصيحة . فإذا طلبها منك أحد فقولي : لا أقولها إلا للأمير . فإذا دخلت عليه فأسأله الخلو ، فإذا اختليت به فقولي له : ما هذا الفعل الذي فعلته ، ما كان جزاء جابر عثرات الكرام منك إلا أن كافأته بالحبس الشديد والضيق في الحديد . ففعلت الجارية ما أمرت به ، فلما سمع خزيمه كلامها نادى بأعلى صوته : واسوأناه ، وإنه له و قالت : نعم . فأمر من وقته بدابته فأسرحت ودعا بوجوه البلد فجمعهم إليه وأتى بهم إلى باب الحبس وفتحهم ودخل خزيمه ومن معه ، فرأوه قاعداً متغير الحال وقد أضناه الضرب والألم . فلما نظر إليه عكرمة ، أخجله ذلك فنكس رأسه فأقبل خزيمه

وانكبَّ على رأسه فقبلها . فرفع عكرمة إليه رأسه وقال : ما أعقب هذا منك ؟ قال : كريم أفعالك وسوء مكافأتي . قال : يغفر الله لنا ولك . ثم أمر خزيمة السجان أن يفك القيود عنه وأمر أن توضع القيود في رجليه . فقال عكرمة : ماذا تريد ؟ قال : أريد أن ينالني مثل ما نالك . فقال عكرمة : أقسم عليك بالله أن لا تفعل . ثم خرجا جميعاً حتى وصلا إلى دار خزيمة فودَّعه عكرمة وأراد الإنصراف فمنعه خزيمة من ذلك . فقال عكرمة : ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير حالك فإن حياتي من ابنة عمك أشد من حياتي منك . ثم أمر بإخلاء الحمام ، فأخلى ودخلا جميعاً . فقام خزيمة وتولَّى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه خلعة نفيسة وأركبه وحمل معه مالاً كثيراً ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الإعتذار إلى ابنة عمه ، فاعتذر إليها . ثم سال بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ مقيماً بالرمل ، فأجابه إلى ذلك وسارا جميعاً حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب وأعلمه بقدم خزيمة بن بشر . فراعه ذلك وقال : هل والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا ؟ ما هذا إلا لحادث عظيم ، فأذن له في الدخول . فلما دخل قال له قبل أن يسلم عليه : ما وراءك يا خزيمة ؟ قال له : الخير يا أمير المؤمنين . قال له : فما الذي أقدمك ؟ قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك به لما رايت من تلهفك على معرفته وشوقك إلى رؤيته . قال : ومن هو ؟ قال : عكرمة الفياض . فأذن له بالتقرب فتقرب وسلّم عليه بالخلافة . فرحّب به وأدناه من مجلسه وقال له : يا عكرمة ، ما كان خيرك له إلا وبالاً عليك . ثم قال سليمان : اكتب حوايجك كلها جميعاً وما تحتاج إليه في رقعة . ففعل ذلك فأمر بقضائها من ساعته وأمر له بعشرة آلاف دينار خلاف الحوايج التي كتبها وعشرين تختاً من الثياب زيادة على ما كتبه ، ثم دعا بقناة وعقد له لواء على الجزيرة وأرمانية وأزربيجان وقال له : أمر خزيمة إليك أن شئت أبقيته وإن شئت عزلته . قال : بل أرده إلى محله يا أمير المؤمنين . ثم انصرفا من عنده جميعاً ولم يزا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته .

60 - حكاية يونس الكاتب والوليد بن سهل

وحكى أيضا انه كان في مدة خلافة هشام بن عبد الملك رجل يسمّى يونس الكاتب وكان مشهوراً . فخرج مسافراً إلى الشام ومعه جارية في غاية الحسن والجمال وكان عليها جميع ما تحتاج إليه ، وكان قدر ثمنها مائة ألف درهم . فلما قرب من الشام نزلت القافلة على غدِير ماء ونزل هو بناحية من نواحيه وأصاب من طعام كان معه وأخرج ركوة كان فيها نبيذ . فبينما هو كذلك إذا بفتى حسن الوجه والهيبة على فرس أشقر ومعه خادمان فسلم عليه وقال له : أتقبل ضيفاً ؟ قال : نعم . فنزل عنده وقال له : اسقنا من شرابك فاسقاه . فقال : إن شئت أن تغني لنا صوتاً . فغنى منشداً هذا البيت : [من البسيط]

حَوَتْ مِنَ الْحُسْنِ مَا لَمْ تَحْوِهِ بَشَرٌ فَلَدَّ لِي فِي هَوَاهَا الدَّمْعُ وَالسَّهْرُ

فطرب طرباً شديداً وأسقاه مراراً حتى مال به السكر . ثم قال : قل لجاريتك أن تغني . فغنت منشدة هذا البيت : [من البسيط]

حُورِيَّةٌ حَارَ قَلْبِي فِي مَحَاسِنِهَا فَلَا قَضِيْبٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ

فطرب طرباً شديداً وأساقه مراراً. ولم يزل مقيماً عنده إلى أن صلبا العشاء ثم قال له : ما أقدمك على هذا البلد؟ قال : ما أفضي به ديني وأصلح به حالي . فقال له : أتبعني هذه الجارية بثلاثين ألف درهم؟ قلت : ما أحوجني إلى فضل الله والمزيد منه . قال : أيقنعك فيها أربعون ألفاً؟ قال : فيها قضاء ديني وأبقى صفر اليدين . قال : قد أخذناها بخمسين ألفاً من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك وأشركك في حالي ما بقيت . فقال : قد بعته . قال : أفنتق بي أن أوصل إليك ثمنها في غد وأحملها معي أو تكون عندك إلى أن أحمل ذلك إليك غداً؟ فحمله السكر والحياء مع الخشية منه على أن قال له : نعم قد وثقت بك ، فخذها قد بارك الله لك فيها . فقال لأحد غلاميه : إحملها على دابتك وارثد فراءها وامض بها ، ثم ركب فرسه وودعه وانصرف . فما هو إلا أن غاب عن البائع ساعة ، فتفكر البائع في نفسه وعرف أنه أخطأ في بيعها وقال في نفسه : ماذا صنعت حتى أسلمت جاريته إلى رجل لا أعرفه ولا أدري من هو ، وهب أني عرفته فمن أين الوصول إليه؟ ثم جلس متفكراً إلى أن صلى الصبح ودخل أصحابه دمشق وجلس هو حائراً لا يدري ما يفعل ، واستمر جالساً حتى أحرقت الشمس وكره المقام . فهم بالدخول في دمشق ثم قال في نفسه : إن دخلت لم آمن أن الرسول يأتي فلا يجدني فأكون قد جنيت على نفسي جنابة ثانية ، فجلس في ظل جدار كان هناك . فلما ولى النهار وإذا بأحد الخادمين للذين كانا مع الغلام قد أقبل عليه ، فلما رآه حصل له سرور عظيم وقال في نفسه : ما أعرف أني سررت بشيء أعظم من سروري هذا الوقت بالنظر إلى الخادم . فلما جاءه الخادم قال له : يا سيدي قد أبطأنا عليك . فلم يذكر له شيئاً من الوله الذي كان به . ثم قال له الخادم : هل تعرف الرجل الذي أخذ الجارية؟ فقال له : لا . قال : هو الوليد بن سهل ولي العهد . فسكت عند ذلك ثم قال : قم فاركب . وكان معه دابة فأركبه إياها وساراً إلى أن وصل إلى دار فدخلها . فلما رآته الجارية وثبت إليه وسلمت عليه فقال لها : ما كان من أمرك مع من اشتراك؟ قالت : أنزلني في هذه الحجرة وأمر لي بما أحتاج إليه . فجلس عندها ساعة وإذا بخادم صاحب الدار قد جاء إليه ثم قال له : قم . فقام معه ودخل به على سيده فوجده ضيفه بالأمس ورآه جالساً على سريره . فقال لي : من أنت؟ فقال له : يونس الكاتب . قال : مرحباً بك قد كنت والله أتشوق إلى رؤيتك فإني كنت أسمع بخبرك ، فكيف كان مبيتك في ليلتك؟ فقال له : بخير أعزك الله تعالى . ثم قال : لعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت في نفسك : إني دفعت جاريته إلى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من أي البلاد هو؟ فقال له : معاذ الله أيها الأمير أن أندم عليها ، ولو أهديتها إلى الأمير لكانت أقل ما يهدى إليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 685
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن يونس الكاتب لما قال للوليد بن سهل : معاذ الله أن أندم ، ولو أهديتها للأمير لكانت أقل ما يهدى إليه ، وما هذه الجارية بالنسبة إلى مقامه؟ فقال له الوليد : والله إني ندمت على أخذها منك وقلت : هذا رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي بأخذ الجارية ، أفأذكر ما كان بيننا؟ قلت : نعم . قال : أتبعني هذه الجارية بخمسين ألف درهم؟ قال : نعم . قال : هات يا غلام المال . فوضعه بين يديه فقال : يا غلام هات ألفاً وخمسمائة دينار . فأتى بها ثم قال : هذا ثمن جاريته فضمه إليك وهذا

الالف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك ، ارضيت ؟ قال : رضيت . وقبلت يديه وقلت : والله قد ملأت عيني ويدي وقلبي . ثم قال الوليد : والله اني لم اخل بها ولا شبت من غنائها ، علي بها . فجاءت فأمرها بالجلوس فجلست . فقال لها : غني . فأنشدت هذا الشعر : [من الوافر]

أَيَا مَنْ حَازَ كُلَّ الْحُسْنِ طُرّاً	وَيَا حُلُوَ الشَّمَائِلِ وَالذَّلَالِ
جَمِيعُ الْحُسْنِ فِي تَرْكِ وَعَرْبٍ	وَمَا فِي الْكُلِّ مِثْلُكَ يَا غَزَالِي
تَعَطَّفَ يَا مَلِيحٌ عَلَى مُجِبِّ	بِوَعْدِكَ لَوْ بِطَيْفٍ مِنْ خِيَالِ
حَلَالِي فِيكَ ذَلِّي وَأَفْضَاحِي	وَطَابَ لِمَقْلَتِي سَهْرُ اللَّيَالِي
وَمَا أَنَا فِيكَ أَوْلُ مُسْتَهَامِ	فَكَمْ قَبْلِي قَتَلْتَ مِنَ الرَّجَالِ
رَضِيْتُكَ لِي مِنَ الدُّنْيَا نَصِيباً	وَأَنْتَ أَعَزُّ مِنْ رُوْحِي وَمَالِي

فطرب طرباً شديداً وشكر حسن تاديبها لها وتعليمي إيها ثم قال : يا غلام قدم له دابة بسرجهها وآلاتها لركوبه وبغلاً لحمل حواججه . ثم قال : يا يونس ، إذا بلغك أن هذا الامر قد أفضى إلي فالحق بي ، فوالله لاملان بالخير يدك ولاعين قدرك ولاغنينك ما بقيت . فأخذت المال وانصرفت . فلما أفضت إليه الخلافة سرت إليه فوفى لي والله بوعده وزاد في إكرامي وكنت معه على أسرّ حال وأسنى منزلة . وقد اتسعت أحوالي وكثرت أموالي وصار لي من الضياع والأموال ما يكفيني إلى مماتي ويكفي ورثتي من بعدي . ولم أزل معه حتى قتل رحمه الله تعالى .

61 - حكاية هارون الرشيد والبنات البدوية

وحكى أيضاً أن أمير المؤمنين هارون الرشيد مرّ في بعض الأيام وصحبته جعفر البرمكي وإذا هو بعدة بنات يسقين الماء ، فعرج عليهم يريد الشرب . وإذا إحداهن التفتت إليه وأنشدت هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

قُولِي لَطِيفِكَ يَنْثَنِي	عَنْ مَضْجَعِي وَقَتَ الْمَنَامِ
كَيْ أَسْتَرِيحَ وَتَنْظِفِي	نَارَ تَأَجَّجٍ فِي الْعِظَامِ
دَنْفُ تَقْلَبُهُ الْأَكْ	فُ عَلَى بِسَاطٍ مِنْ سَقَامِ
أَمَّا أَنَا فَكَمَا عَلِمَ	سَ فَهَلْ لِي وَصْلِكَ مِنْ دَوَامِ

فأعجب أمير المؤمنين ملاحظتها وفصاحتها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين لما سمع هذه الأبيات من البنات أعجبه ملاحظتها وفصاحتها فقال لها : يا بنت الكرام ، أهذا من مقولك أم من منقولك ؟ قالت : من مقولي . قال : إذا كان كلامك صحيحاً فامسكي المعنى وغيري القافية . فأنشدت تقول :

فلما كانت الليلة
كانت الليلة
686
قالوا
قالوا
قالوا

[من مجزوء الكامل]

قُولِي لَطِيفِكَ يَنْثَنِي	عَنْ مَضْجَعِي وَقَتَ الْوَسَنِ
----------------------------	---------------------------------

كَيَّ اسْتَرِيحَ وَتَنْطَفِي نَارٌ تَأْجَجُ فِي الْبَدَنِ
 دَنْفٌ تُقَلِّبُهُ الْأَكُفُ فُءٌ عَلَى بِسَاطٍ مِنْ شَجْنٍ
 أَمَّا أَنَا فَكَمَا عَلِمْتُ فَهَلْ لِيُوصِلِكَ مِنْ تَمَنِّ

فقال لها : والآخر مسروق . قالت : بل كلامي . فقال : إن كان كلامك أيضاً فامسكي المعنى
 وغيري القافية . فجعلت تقول : [من مجزوء الكامل]

قُولِي لَطِيفِكَ يَنْتَنِي عَنْ مَضْجَعِي وَقْتَ الرَّقَادِ
 كَيَّ اسْتَرِيحَ وَتَنْطَفِي نَارٌ تَأْجَجُ فِي الْفُوَادِ
 دَنْفٌ تُقَلِّبُهُ الْأَكُفُ فُءٌ عَلَى بِسَاطٍ مِنْ سَهَادِ
 أَمَّا أَنَا فَكَمَا عَلِمْتُ فَهَلْ لِيُوصِلِكَ مِنْ سَدَادِ

فقال لها : والآخر مسروق . فقالت : بل كلامي . فقال لها : إن كان كلامك فامسكي المعنى
 وغيري القافية . فقالت : [من مجزوء الكامل]

قُولِي لَطِيفِكَ يَنْتَنِي عَنْ مَضْجَعِي وَقْتَ الْهَجُوعِ
 كَيَّ اسْتَرِيحَ وَتَنْطَفِي نَارٌ تَأْجَجُ فِي الضُّلُوعِ
 دَنْفٌ تُقَلِّبُهُ الْأَكُفُ فُءٌ عَلَى بِسَاطٍ مِنْ دُمُوعِ
 أَمَّا أَنَا فَكَمَا عَلِمْتُ فَهَلْ لِيُوصِلِكَ مِنْ رُجُوعِ

فقال لها أمير المؤمنين : من أي هذا الحي ؟ قالت : من أوسطه بيتاً وأعله عموداً . فلم أمير
 المؤمنين أنها بنت كبير الحي . ثم قالت له : وأنت من أي رعاة الخيل ؟ فقال : من أعلاها شجرة
 وأينعها ثمرة . فقبلت الأرض وقالت : أيذك الله يا أمير المؤمنين . ودعت له ثم انصرفت مع بنات
 العرب . فقال الخليفة لجعفر : لا بد من زواجها . فتوجه جعفر إلى أبيها وقال له : إن أمير المؤمنين
 يريد ابنتك . فقال : حباً وكرامة تهدي جارية إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين . ثم جهّزها وحملها إليه
 وتزوجها ودخل بها ، فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الأنعام .
 ثم بعد ذلك انتقل والدها إلى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاة أبيها فدخل عليها وهو
 كئيب ، فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت إلى حجرتها وقلعت كل ما كان عليها من
 الثياب الفاخرة ولبست الحداد وأقامت النعي عليه . فقيل لها : ما سبب هذا ؟ قالت : مات والدي .
 فمضوا إلى الخليفة فأخبروه ، فقام وأتى إليها وسألها من أخبرها بهذا الخبر قالت : وجهك يا أمير
 المؤمنين . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأنني منذ استقرت عندك ما رأيتك هكذا إلا في هذه المرة
 ولم يكن لي من أخاف عليه إلا والدي لكبره ، وتعيش رأسك يا أمير المؤمنين . فتغرغرت عيناه
 بالدموع وعزأها فيه وأقامت مدة حزينة على والدها ، ثم لحقت به رحمة الله عليهم أجمعين .

62 - حكاية الأصمعي والبنات الثلاث

وحكى أيضاً أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق أرقاً شديداً في ليلة من الليالي ، فقام من
 فراشه وتمشّى من مقصورة إلى مقصورة ولم يزل قلقاً في نفسه قلقاً زائداً . فلما أصبح قال : علي

بالاصمعي . فخرج الطواشي إلى البوابين وقال : يقول لكم امير المؤمنين أرسلوا لي الاصمعي . فلما حضر أعلم به امير المؤمنين فأمر بإدخاله واجلسه ورحب به وقال له : يا اصمعي ، اريد منك ان تحدثني باجود ما سمعت من اخبار النساء وأشعارهن . فقال : سمعاً وطاعة . لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاث أبيات أنشدن ثلاث بنات . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الاصمعي قال لامير المؤمنين : لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاثة أبيات أنشدن ثلاث بنات . فقال : حدثني بحديثهن . فقال : أعلم يا امير المؤمنين أنني أقمت سنة في البصرة فاشتد عليّ الحرّ ، فطلبت مقيلاً أقيّل فيه فلم أجد . فبينما أنا التفت يمناً وشمالاً وإذا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شبك مفتوح يفوح منه رائحة المسك . فدخلت الساباط وجلست على الدكة وأردت الإضطجاع فسمعت كلاماً عذباً من جارية وهي تقول : يا أخواتي ، إننا جلسنا يومنا هذا على وجه المؤانسة ، فتعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل واحدة مائة تقول بيتاً من الشعر ، فكل من قالت البيت الأعدب الأملح كانت الثلثمائة دينار لها . فقلن : حباً وكرامة . فقالت الكبرى بيتاً وهو هذا : [من الطويل]

فلما كانت الليلة
كانت
687
كانت
الليلة

عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَ فِي النَّوْمِ مَضْجَعِي
فَقَالَتِ الْوَسْطَى بَيْتاً وَهُوَ هَذَا : [من الطويل]

وَمَا زَارَنِي فِي النَّوْمِ إِلَّا خِيَالُهُ
فَقَالَتِ الصَّغْرَى بَيْتاً وَهُوَ هَذَا : [من الطويل]

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ أَرَى كُلَّ لَيْلَةٍ
ضَجِيعِي وَرِيَاءَهُ مِنَ الْمِسْكِ أَطْيَا
فقلت : إن كان لهذا المثال جمال فقد تمّ الأمر على كل حال . فنزلت من على الدكة وأردت الإنصراف وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول : إجلس يا شيخ . فطلعت على الدكة ثانياً وجلست ، فدفعت لي ورقة فنظرت فيها خطأ في نهاية الحسن ، مستقيم الالفات مجوّف الهآت مدور الواوات مضمونها : نعلم الشيخ أطال الله بقاءه أننا ثلاث بنات أخوات جلسن على وجه المؤانسة وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا أن كل من قالت البيت الأعدب الأملح كان لها الثلثمائة دينار ، وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما ترى والسلام . فقلت للجارية : عليّ بدواة وقرطاس . فغابت قليلاً وخرجت إليّ بدوات مفضضة وأقلام مذهبة . فكتبت هذه الأبيات : [من الطويل]

أَحَدْتُ عَنْ حَوْدٍ تَحَدَّنْ مَرَّةً
ثَلَاثُ كَبْكُرَاتِ الصَّبَاحِ صَبَاحَةً
خَلَوْنَ وَقَدْ نَامَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ
فَبِحَنْ يَمَا يَخْفَيْنَ مِنْ دَاخِلِ الْحَشَى

حَدِيثَ أَمْرٍ قَاسَ الْأُمُورَ وَجَرَبًا
تَمَلَّكْنَ قَلْبًا بِالْغَرَامِ مُعَدَّبًا
مِنَ النَّاسِ قَدْ أَعْرَضْنَ عَمَّنْ تَجَنَّبًا
نَعَمْ وَأَتَّخَذْنَ الشُّعْرَ لَهَوًا وَمَلْعَبًا

وَتَبَسَّمُ عَنْ عَذَابِ الْمَقَالَةِ أَشْنَبَا
 وَلَوْ زَارَنِي مُسْتَقِظًا كَانَ أَعْجَبَا
 تَنَفَّسَتِ الْوَسْطَى، وَقَالَتْ تَطْرُبَا
 فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبَا
 بِلَفْظِ لَهَا قَدْ كَانَ أَشْهَى وَأَعَذْبَا
 ضَجِيعِي وَرِيَاهُ مِنَ الْمِسْكِ أَطْيَبَا
 لِي الْحُكْمُ لَمْ أَتْرُكْ لِذِي اللَّبِّ مَلْعَبَا
 رَأَيْتُ الَّذِي قَالَتْ إِلَى الْحَقِّ أَقْرَبَا

فَقَالَتْ عَرُوبٌ ذَاتُ تَيْهِ عَزِيزَةٌ
 عَجِبْتُ لَهُ أَنْ زَارَ فِي النَّوْمِ مَضْجَعِي
 فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا زَخَرَفَتْ بِتَضَاحِكِ
 وَمَا زَارَنِي فِي النَّوْمِ إِلَّا خِيَالَهُ
 وَأَحْسَنْتِ الصَّغْرَى وَقَالَتْ مُجِيبَةً
 بِتَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ أَرَى كُلَّ لَيْلَةٍ
 فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الَّذِي قُلْنَ وَأَنْبَرَى
 حَكَمْتُ لِصَغْرَاهُنَّ فِي الشَّعْرِ أَنِّي

قال الأصمعي: ثم دفعت الورقة إلى الجارية. فلما صعدت عادت إلى القصر وإذا برقص وصفق وقيامه قائمة فقلت: ما بقي لي إقامة. فنزلت من فوق الدكة وأردت الإنصراف وإذا بالجارية تنادي وتقول: إجلس يا أصمعي. فقلت: ومن أعلمك أنني الأصمعي؟ فقالت: يا شيخ، إن خفي علينا اسمك ما خفي علينا نظمك. فجلست وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الأولى وفي يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى، فتفككته وتحليت وشكرت صنيعها وأردت الإنصراف وإذا بالجارية تنادي وتقول: إجلس يا أصمعي. فرفعت بصري إليها فنظرت كفاً أحمر في كم أصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام، ورمت صرة فيها ثلاثمائة دينار وقالت: هذا لي وهو مني إليك هدية في نظير حكومتك. فقال له أمير المؤمنين: لم حكمت للصغرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، إن الكبرى قالت: عجبت له أن زار في النوم مضجعي وهو محجوب معلق على شرط قد يقع وقد لا يقع. وأما الوسطى قد مر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه. وأما بيت الصغرى فإنها ذكرت فيه أنها ضاجعته مضاجعة حقيقية وسمت منه أنفاساً أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها، ولا يفدى بالنفس إلا من هو أعز منها. فقال الخليفة: أحسنت يا أصمعي. ودفع إليه ثلاثمائة دينار مثلها في نظير حكايته.

63 - حكاية إبراهيم الموصللي وإبليس

وحكى أيضاً أن أبا إسحاق إبراهيم الموصللي قال: استأذنت الرشيد في أن يهب لي يوماً من الأيام للإنفراد بأهل بيتي وإخواني فأذن لي في يوم السبت. فأتيت منزلي وأخذت في إصلاح طعامي وشرايبي وما احتاج إليه وأمرت البوابين أن يغلقوا الأبواب وأن لا يأتوا لأحد في الدخول علي. فبينما أنا في مجلسي والحريم قد حقفن بي وإذا بشيخ ذي هيبة وجمال وعليه ثياب بيض وقميص ناعم، وعلى رأسه طليسان وفي يده عكاز قبضته من فضة، وروايح الطيب تفوح منه حتى ملأت الذار والرواق. فدخلني غيظ عظيم بدخوله علي وهممت بطرد البوابين، فسلم علي بأحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس. فجلس وأخذ يحدثني بحديث العرب وأشعارها حتى ذهب ما بي من الغضب وظننت أن غلماني تحمروا مسرتي بإدخال مثله علي لأدبه وظرافته فقلت له: هل لك في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي فيه. فقلت له: وفي الشراب. قال: ذلك إليك. فشربت رطلاً وسقيته مثله ثم قال: يا أبا إسحاق، هل لك أن تغنينا شيئاً؟ فنسمع من صنعتك

فتعجبت منه وقمت إلى السيف وجذبتني ثم غدت نحو باب الحرم فوجدته مغلقاً فقلت للجواري: أي شيء سمعتم؟ فقلن: سمعنا أطيب غناء وأحسنه. فخرجت متحيراً إلى باب الدار فوجدته مغلقاً فسالت البوابين عن الشيخ فقالوا لي: شيخ! فوالله ما دخل إليك اليوم أحد. فرجعت أتأمل أمره فإذا هو قد هتف من جانب الدار فقال: لا بأس عليك يا أبا إسحاق، إنما أنا أبو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع. فركبت إلى الرشيد فأخبرته الخبر. فقال: أعد الأصوات التي أخذتها منه. فأخذت العود وضربت فإذا هي راسخة في صدري. فطرب بها الرشيد وجعل يشرب عليها ولم يكن له انهماك على الشراب وقال: ليته متعنا بنفسه يوماً واحداً كما متعك. ثم أمر لي بصلة فأخذتها وانصرفت.

64 - عاشقان من بني عذرة

وحكى أيضاً أن مسرور الخادم قال: أرق أمير المؤمنين هارون الرشيد ليلة أرقاً شديداً فقال لي: يا مسرور، من الباب من الشعراء؟ فخرجت إلى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذري فقلت له: أجب أمير المؤمنين. فقال: سمعاً وطاعة. فدخلت ودخل معي إلى أن صار بين يدي هارون الرشيد فسلمت بسلام الخلافة فردّ عليه السلام وأمره بالجلوس ثم قال له الرشيد: يا جميل، عندك شيء من الأحاديث العجيبة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أيما أحب إليك ما عاينته ورأيت أو ما سمعته ووعيته؟ فقال: حدثني بما عاينته ورأيت. قال: نعم يا أمير المؤمنين، أقبل عليّ بكلك واصغ إليّ بأذنيك. فعمد الرشيد إلى مخدة من الدياتج الأحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخدیه ثم مكّن منها مرفقيه وقال: هلمّ بحديثك يا جميل. فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أنني كنت مفتوناً بفتاة محبباً لها وكنت أتردد إليها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أمير المؤمنين هارون الرشيد لما أتكا على مخدة من الدياتج قال: هلمّ بحديثك يا جميل. فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أنني كنت مفتوناً بفتاة محبباً لها وكنت أتردد إليها إذ هي سولي وبغيتي من الدنيا. ثم إن أهلهما رحلوا لقلة المرعى فأقمت مدة لم أرها، ثم إن الشوق أقلقني وجذبني إليها فحدثتني نفسي بالمسير إليها. فلما كان ذات ليلة من الليالي هزني الشوق إليها، فقامت وشددت رحلي على ناقتي وتعممت بعمامتي ولبست أطماري وتقلدت بسيفي واعتقلت رمحي وركبت ناقتي وخرجت طالباً لها وكنت أسرع في السير. فسرت ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وأنا مع ذلك أكابد هبوط الأودية وصعود الجبال فاسمع زئير الأسود وعي الذئاب وأصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلي وطاش لبي، ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى. فبينما أنا أسير على هذا الحال إذ غلبني النوم فأخذت بي الناقة على غير الطريق التي كنت فيها وغلب عليّ النوم وإذا أنا بشيء لطمني في رأسي فانتبهت فرعاً مرعوباً وإذا بأشجار وأنهار وأطيّار على تلك الأغصان تغرّد بلغاتها والحنانها، وأشجار تلك المرج مشتبك بعضها ببعض. فنزلت عن ناقتي وأخذت بزمامها في يدي ولم أزل أتلفظ في الخلاص إلى أن خرجت بها من تلك الأشجار إلى أرض فلاة، فأصلحت

فلما كانت الليلة 689

كورها واستويت راجباً على ظهرها ولا ادري إلى أين اذهب ولا إلى أي مكان تسوقني الاقدار . فمددت نظري في تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها، فوكزت ناقتي وصرت متوجهاً إليها حتى وصلت إلى تلك النار ، فقربت منها وتأملت وإذا بخباء مضروب ورمح مركز و دابة قائمة وخيل واقفة وإبل سائمة . فقلت في نفسي : يوشك أن يكون لهذا الخباء شأن عظيم فإنني لا أرى في تلك البرية سواه . ثم تقدمت إلى جهة الخباء وقلت : السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة الله وبركاته . فخرج إليّ من الخباء غلام من أبناء التسعة عشر سنة فكانه البدر إذا أشرق والشجاعة بين عينيه فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب ، إنني أظنك ضالاً عن الطريق . فقلت : الأمر كذلك ، أرشدني يرحمك الله . فقال : يا أخا العرب إن بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش أن يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فإذا كان الغد أرشدتك إلى الطريق . فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفضل زمامها ونزعت ما كان عليّ من الثياب وتخففت وجلست ساعة ، وإذا بالشاب قد عمد إلى شاة فذبحها وإلى نار فأضرمها وأججها ثم دخل الخباء وأخرج إيزاراً ناعمة وملحاً طيباً وأقبل يقطع من ذلك اللحم قطعاً ويشويهاً على النار ويعطيني ويتنهد ساعة ويبكي أخرى . ثم شق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديداً وأنشد يقول هذه الأبيات : [من السريع]

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ هَائِتٌ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهِتٌ
لَمْ يَبْقَ فِي أَعْضَائِهِ مَفْصِلٌ إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ
وَدَمْعُهُ جَارٍ وَأَحْشَاؤُهُ تَوَقَّدُ لَكِنَّهُ سَاكِتٌ
تَبْكِي لَهُ أَعْدَاؤُهُ رَحْمَةً يَا وَيْحَ مَنْ يَرِحْمُهُ الشَّامِتُ

قال جميل : فعلمت عند ذلك يا أمير المؤمنين أن الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى إلا من ذاق طعم الهوى . فقلت في نفسي : هل أسأله ؟ ثم راجعت نفسي وقلت : كيف اتهجم عليه في السؤال وأنا في منزله ؟ فردعت نفسي وأكلت من ذلك اللحم بحسب كفايتي . فلما فرغنا من الأكل قام الشاب ودخل الخباء وأخرج طشتاً نظيفاً وإبريقاً حسناً ومنديلاً من الحرير وأطرافه مزركشة بالذهب الأحمر وقمقماً ممتلئاً من ماء الورد المسك . فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي : لم أعرف الظرف في البادية . ثم غسلنا أيدينا وتحدثنا ساعة ثم قام ودخل الخباء وفصل بيني وبينه بفاصل من الديباج الأحمر وقال : ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرتك هذه نصب مفرط . فدخلت وإذا أنا بفراش من الديباج الأخضر ، فعند ذلك نزعت ما عليّ من الثياب وبت ليلة لم أبت في عمري مثلها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جميلاً قال : فبت ليلة لم أبت عمري مثلها ، فكل ذلك وأنا متفكر في أمر هذا الشاب إلى أن جن الليل ونامت العيون فلم أشعر إلا بصوت خفي لم أسمع اللفظ منه ولا أرق حاشية ، فرفعت الفاصل المضروب بيننا وإذا أنا بصبية لم أر أحسن منها وجهاً وهي في جانبه وهما ييكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة

فلما كانت الليلة
كانت الليلة
690
بَابُ الْوَدَاعِ

والجوى وشدة اشتياقهما إلى التلاقي . فقلت : يا لله العجب من هذا الشخص الثلثي ، وحين دخلت هذا البيت لم أر فيه غير هذا الفتى وما عنده أحد . ثم قلت في نفسي : لاشك أن هذه من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرّد بها في هذا المكان وتفرّدت به . ثم أمعنت النظر فيها فإذا هي إنسية عربية إذا أسفرت عن وجهها تخجل الشمس المضيئة ، وقد أضاء الخباء من نور وجهها . فلما تحققت أنها محبوبته تذكّرت غيرة المحب فارخيت الستر وغطّيت وجهي ونمت ، فلما أصبحت لبست ثيابي وتوضّأت لصلاتي وصلّيت ما كان عليّ من الفرض ثم قلت له : يا أخا العرب ، هل لك أن ترشدني إلى الطريق وقد تفضلت عليّ ؟ فنظر إليّ وقال : على رسلك يا وجه العرب ، إن الضيافة ثلاثة أيام وما كنت بالذي يدعك إلا بعد ثلاثة أيام . قال جميل : فأقمت عنده ثلاثة أيام . فلما كان في اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال : أما نسبي فأنا من بني عذرة ، وأما إسمي فأنا فلان بن فلان وعمي فلان . فإذا هو ابن عمي يا أمير المؤمنين وهو من أشرف بيت من بني عذرة . فقلت : يا ابن العم ، ما حملك على ما أراه منك من الإنفراد في هذه البرية ؟ وكيف تركت نعمتك ونعمة آبائك ؟ وكيف تركت عبيدك وإمائك وانفردت بنفسك في هذا المكان . فلما سمع يا أمير المؤمنين كلامي اغرورقت عيناه بالدموع والبكاء ثم قال : يا ابن العم ، إنني كنت محباً لابنة عمي مفتوناً بها هائماً بحبها مجنوناً في هواها لا أطيق الفراق عنها ، فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فأبى وزوجها لرجل من بني عذرة ودخل بها وأخذها إلى المحلة التي هو فيها من العام الأول . فلما بعدت عني واحتجبت عن النظر إليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على ترك أهلي ومفارقة عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت بهذا البيت في هذه البرية وألفت وحدتي . فقلت : وابن بيوتهم ؟ قال : هي قريب في ذروة هذا الجبل ، وهي كل ليلة عند نوم العيون وهدوء الليل تنسلّ من الحي سراً بحيث لا يشعر بها أحد فأقضي منها بالحديث وطراً وتقضي هي كذلك ، وها أنا مقيم على ذلك الحال أتسلى بها ساعة من الليل ليقضي الله أمراً كان مفعولاً أو يأتيني الأمر على رغم الحاسدين أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . ثم قال جميل : فلما أخبرني الغلام يا أمير المؤمنين ، غمّني أمره وصرت من ذلك حيراناً لما أصابني من الغيرة فقلت له : يا ابن العم ، وهل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك وفيها إن شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يزيل الله عنك الذي تخشاه ؟ فقال الغلام : قل لي يا ابن العم . فقلت له : إذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتي فإنها سريعة الرواح واركب أنت جوادك وأنا أركب بعض هذه النياق وأسير بكما الليلة جميعها ، فما يصبح الصباح إلا وقد قطعت بكما براري وقفار أو تكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها ، وأنا والله مساعدك ما حييت بروحي ومالي وسيفي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جميلاً لما قال لابن عمه على أخذ الجارية ويذهبان بها في الليل ويكون عوناً له ومساعداً مدة حياته . فلما سمع ذلك قال : يا ابن العم ، حتى أشلورها في ذلك فإنها عاقلة لبيبة بصيرة بالأمور . قال جميل : فلما جنّ الليل وحان وقت مجيئها وهو ينظرها في الوقت المعلوم فأبطأت عن عاداتها ، فرأيت الفتى يخرج من

فلما كانت الليلة
 691
 في ليلة
 الجمعة
 في شهر
 ربيع
 الثاني
 سنة
 ١٠١٠

باب الخباء وفتح وجعل يتنسم هبوب الريح الذي يهب من نحوها وينشق ريأها وينشد هذين البيتين: [من الكامل]

رِيحُ الصَّبَا تُهْدِي إِلَى نَسِيمٍ مِنْ بَلَدَةٍ فِيهَا الْحَيِّبُ مُقِيمٌ
يَا رِيحُ فِيكَ مِنْ الْحَيِّبِ عِلَامَةٌ أَفَتَعْلَمِينَ مَتَى يَكُونُ قُلُومٌ؟

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكي ثم قال: يا ابن العم، إن لابنة عمي في هذه الليلة نأ وقد حدث لها حادث أو عاقها عني عائق. ثم قال لي: كن مكانك حتى آتيك بالخبر. ثم أخذ سيفه وترسه ثم غاب عني ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يديه شيء يحمله، ثم صاح عليّ فأسرعت إليه فقال ابن العم: أتدري ما الخبر؟ فقلت: لا والله. فقال: لقد فجعت في ابنة عمي هذه الليلة، لأنها قد توجهت إلينا فتعرض لها في طريقها أسد فافترسها ولم يبق منها إلا ما ترى. ثم طرح ما كان على يده فإذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها، ثم بكى بكاء شديداً ورمى القوس من يده وأخذ كيساً على يده ثم قال لي: لا تبرح إلى أن آتيك إن شاء الله تعالى. ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد ويده رأس أسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتيته به، فغسل فم الأسد وجعل يقبله ويبكي وزاد حزنه وجعل ينشد هذه الأبيات: [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمَغْرُ يُنْفِسِيهِ هَلِكْتَ وَقَدْ هَيَّجْتَ لِي بَعْدَهَا حُزْنَا
وَصَيَّرْتَنِي فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ إِلْفَهَا وَصَيَّرْتَ بَطْنَ الْأَرْضِ قَبْرًا لَهَا هُنَا
أَقُولُ لِذَهْرِ سَاءَتِي بِفِرَاقِهَا: أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ تُرِينِي لَهَا حِدْنَا

ثم قال: يا ابن العم، سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك أن تحفظ وصيتي، فستراني الساعة ميتاً بين يديك فإذا كان ذلك فغسلني وكفني أنا وهذا الفاضل من عظام ابنة عمي في هذا الثوب وادفنا جميعاً في قبر واحد واكتب على قبرنا هذين البيتين: [من البسيط]

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالْعَيْشُ فِي رَعْدٍ وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ وَالِدَارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الذَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ الْفَتْنَا وَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ

ثم بكى بكاء شديداً ثم دخل الخباء وغاب عني ساعة وخرج وصار يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة ففارق الدنيا. فلما رأيت ذلك منه، عظم عليّ وكبر عندي حتى كدت أن الحق به من شدة حزني عليه. ثم تقدمت إليه فاضجعته وفعلت به ما أمرني به من العمل وكفنتهما جميعاً ودفنتهما جميعاً في قبر واحد وأقمت عند قبرهما ثلاثة أيام، ثم ارتحلت وأقمت سنتين أتردد إلى زيارتهما. وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين. فلما سمع الرشيد كلامه استحسنته وخلع عليه وأجازته جائزة حسنة.

65 - حكاية الأعرابي وزوجته الوفية

وحكى أيضاً أيها الملك السعيد، أن أمير المؤمنين معاوية جلس يوماً في مجلس له بدمشق وكان الموضع مفتوح الطيقان من الجهات الأربع يدخل فيه النسيم من كل جانب. فبينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات وكان يوماً شديداً الحر لا نسيم فيه، وكان ذلك في وسط النهار وقد

اشتدت الهاجرة إذ نظر إلى رجل يمشي وهو يتلظى من حرّ التراب ويحجل في مشيه حافياً . فتأملّه وقال لجلسائه : هل خلق الله سبحانه وتعالى أشقى ممن يحتاج إلى الحركة في هذا الوقت وفي هذه الساعة مثل هذا؟ قال بعضهم : لعله يقصد أمير المؤمنين . فقال : والله لئن قصدني لأعطينه وإن كان مظلوماً لأنصرنه . يا غلام قف بالباب فإذا طلب الدخول عليّ هذا الاعرابي لا تمنعه من الدخول عليّ . فخرج فوافاه الاعرابي فقال له : ما تريد؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال له : ادخل . فدخل وسلم عليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
 692
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الخادم لما أذن للاعرابي في الدخول، دخل وسلّم على أمير المؤمنين . فقال له معاوية : ممن الرجل؟ فقال : من بني تميم . قال : فما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ فقال : جئتك مشتكياً وبك مستجيراً . قال : ممن؟ قال : من مروان بن الحكم عاملك . ثم إنه أنشد وجعل يقول : [من الطويل]

مُعَاوِيَ يَا ذَا الْجُودِ وَالْحِلْمِ وَالْفَضْلِ
 أَيْتُّكَ لَمَّا ضَاقَ فِي الْأَرْضِ مَذْهَبِي
 وَجُدُّ لِي بِإِنْصَافِ مِنَ الْجَائِرِ الَّذِي
 سَبَّانِي سَعَادَ وَأَنْبَرِي لِحُصُونَتِي
 وَهَمٌّ بِقَتْلِي غَيْرَ أَنْ مَنِيَّتِي
 وَيَا ذَا النَّدَى وَالْعِلْمِ وَالرُّشْدِ وَالنُّبْلِ
 فَيَا عَوْثَ لَا تَقْطَعْ رَجَائِي مِنَ الْعَدْلِ
 بِلَانِي بِشَيْءٍ كَانَ أَيْسَرَهُ قَتْلِي
 وَجَارَ وَلَمْ يَعْدِلْ وَأَفْقَدَنِي أَهْلِي
 تَأْتَتْ وَلَمْ أَسْتَكْمِلِ الرُّزْقَ مِنْ إِنْجَلِي

فلما سمع معاوية إنشاده والنار تتوقد من فيه قال له : أهلاً وسهلاً يا أخا العرب ، أذكر قصتك وانبئ عن أمرك . فقال له : يا أمير المؤمنين ، كان لي زوجة وكنيت لها محباً وبها كلفاً وكنيت قرير العين طيب النفس ، وكانت لي جملة من الإبل وكنيت أستعين بها على قيام حالي ، فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر وبقيت لا أملك شيئاً . فلما قلّ ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهاناً ثقيلاً على الذي كان يرغب في زيارتي ، فلما علم أبوها ما بي من سوء الحال وشر المال ، أخذها مني وجحدني وطردي وأغلظ عليّ ، فاتيت إلى عاملك مروان بن الحكم راجباً لنصرته . فلما أحضر أباه وسأله عن حالي قال : ما أعرفه قط . فقلت : أصلح الله الأمير إن رأى أن يحضر المرأة ويسألها عن قول أبيها تبين الحق . فبعث خلفها وأحضرها . فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب فصار لي خصماً وعليّ منكرًا وأظهر لي الغضب وبعثني إلى السجن ، فصرت كأنما نزلت من السماء واستوى بي الريح في مكان سحيق . ثم قال لأبيها : هل لك أن تزوجها مني على ألف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصها من هذا الاعرابي؟ فرغب أبوها في البدل وأجابني إلى ذلك . فأحضرني ونظر إليّ كالأسد الغضبان وقال : يا أعرابي ، طلق سعاد . قلت : لا أطلقها . فسلط جماعة من غلمانها فصاروا يعذبونني بأنواع العذاب فلم أجد لي بداً إلا إطلاقها ففعلت ، فأعادني إلى السجن فمكثت فيه إلى أن انقضت العدة فتزوج بها وأطلقني . وقد جئتك راجباً وبك مستجيراً وإليك ملتجئاً . وأنشد هذه الأبيات : [من مجزوء المحبت]

فِي الْقَلْبِ مِنِّي نَارٌ وَالنَّارُ فِيهَا أَسْتَعَارُ
 وَالْجِسْمُ مِنِّي سَقِيمٌ فِيهِ الطَّيِّبُ يُحَارُ

وَفِي قُوَادِي جَمْرٌ وَالجَمْرُ فِيهِ شَرَارٌ
وَالعَيْنُ تَهْطَلُ دَمْعًا وَدَمْعُهَا مِدْرَارٌ
وَلَيْسَ إِلَّا بِرَبِّي وَبِالأمِيرِ اتِّصَارٌ

ثم اضطرب واصطكت أسنانه ووقع مغشياً عليه وصار يتلوّى كالحية المقتولة . فلما سمع معاوية كلامه وإنشاده قال : تعدّى بن الحكم في حدود الدين وظلم واجترى على حريم المسلمين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أمير المؤمنين معاوية لما سمع كلام الأعرابي قال : تعدّى بن الحكم في حدود الدين وظلم واجترى على حريم المسلمين . ثم قال : يا أعرابي ، لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله قط . ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى مروان بن الحكم : قد بلغني أنك تعدّيت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن يكون والياً أن يكفّ

فلما كانت الليلة
693
كانت ليلة

بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاتها . ثم كتب بعد ذلك كلاماً طويلاً اختصرته . من جملته هذه الأبيات : [من البسيط]

وَلَيْتَ وَيَحَكَ أَمْراً لَسْتَ تَدْرِكُهُ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ فِعْلِ أَمْرٍ زَانِي
وَقَدْ أَنَا الْفَتَى الْمُسْكِينُ مُتَّجِباً يَشْكُو إِلَيْنَا بَيْنِ ثُمَّ أَحْزَانِ
أَعْطِي إِلَهَ يَمِينَا لَا أَكْفَرُهَا نَعَمْ وَأَبْرءُ مِنْ دِينِي وَإِيمَانِي
إِنَّ أَنْتَ خَالَفْتَ فِيمَا قَدْ كَتَبْتُ بِهِ لِأَجْعَلَنَّكَ لَحْماً بَيْنَ عَقْبَانِي
طَلَّقْ سَعَادَ وَعَجَّلْهَا مُجَهَّزَةً مَعَ الْكَمِيَّتِ وَمَعَ نَصْرِ بْنِ ذُبْيَانَ

ثم طوى الكتاب وطبعه بخاتمه واستدعى الكميث ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهم . فأخذ الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلّما عليه وسلّما إليه الكتاب وأعلماه بصورة الحال . فصار مروان يقرأه ويبكي ، ثم قام إلى سعد وأخبرها ولم يسعه مخالفة معاوية ، فطلقها بمحضر من الكميث ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهم سعد . ثم كتب مروان كتاباً إلى معاوية يقول فيه : [من البسيط]

لَا تُعْجَلَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ أَوْفِي بِتَذْرِكَ فِي رَفْقِي وَإِحْسَانِي
وَمَا أَتَيْتُ حَرَاماً حِينَ أَعْجَبَنِي فَكَيْفَ أَدْعَى بِأَسْمِ الْخَائِنِ الرَّزَائِي
وَسَوْفَ تَأْتِيكَ شَمْسٌ لَا نَظِيرَ لَهَا عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مِنْ إِتْسَرٍ وَمِنْ جَانِ

وختم الكتاب ودفعه إلى الرسولين . فسارا حتى وصلا إلى معاوية وسلّما إليه الكتاب فقرأه وقال : لقد أحسن في الطاعة وأظن في ذكر الجارية . ثم أمر باحضارها ، فلما رآها رأى صورة حسنة لم ير مثلها في الحسن والجمال والقد والإعتدال ، فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان . فقال : عليّ بالأعرابي . فاتوا به وهو في حالة مزعجة من تغير الزمان عليه . فقال : يا أعرابي ، هل لك عنها من سلوة وأعوّضك عنها جواري نهذاً أباكراً كأنهن أقمار ومع كل جارية ألف دينار وأجعل لك في بيت المال في كل سنة ما يكفيك ويغنيك ؟ فلما سمع الأعرابي

كلام معاوية شهق شهقة فظن معاوية أنه قد مات . فلما قال له معاوية : ما بالك ؟ قال : بشر بال
وسوء حال ، استجرت بعدلك من جور بن الحكم فبمن استجير من جورك ؟ وأنشد هذه
الآيات : [من البسيط]

لا تَجْعَلْنِي فَدَاكَ اللهُ مِنْ مَلِكٍ كَأَمْسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
أُرْدُدُ سَعَادَ عَلَى حَيْرَانَ مُكْتَتِبٍ يُنْسِي وَيُضِيحُ فِي هَمٍّ وَتَذْكَارِ
أَطْلُقُ وَثَائِي وَلَا تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهَا فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنِّي غَيْرُ كَفَّارِ

ثم قال : والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني ما خولتني من الخلافة ما أخذته دون سعاد . وأنشد
هذا البيت : [من المتقارب]

أَبَى الْقَلْبُ فِي الْحُبِّ إِلَّا سَعَادَا هَوَاهَا غَدَا لِي رِيًّا وَزَادَا

فقال له معاوية : إنك مقرّب بانك طلقتها ومروان مقرّب بأنه طلقها ونحن نخيرها ، إن اختارت
سواك زوجناها إياه وإن اختارتك حولناها إليك . قال : إفعل . فقال معاوية : ما تقولين يا سعاد ،
من أحب إليك أمير المؤمنين في شرفه وعزه وقصوره وسلطانه وأمواله وما أبصرته عنده ؟ أو
مروان بن الحكم وعسفه وجوده ؟ أو هذا الأعرابي وجوعه وفقره ؟ فأنشدت هذين البيتين : [من
البسيط]

هَذَا وَإِنْ كَانَ فِي جُوعٍ وَأَضْرَارِ أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ قَوْمِي وَمِنْ جَارِي
وَصَاحِبُ التَّاجِ أَوْ مَرَوَانَ عَامِلُهُ وَكُلُّ ذِي دِرْهَمٍ عِنْدِي وَدِينَارِ

ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين ما أنا بخاذلته لحادثته الزمان ولا لغدرات الأيام وإن له صحبة
قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى ، وأنا أحق من صبرٍ معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء .
فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم ودفعها للأعرابي وأخذ
زوجته وانصرف .

66 - حكاية عاشقان من البصرة

وحكي أيضاً أيها الملك السعيد ، أن هارون الرشيد أرق ليلة فوجه إلى الأصمعي وإلى حسين
الخليع فأحضرهما وقال : حدثاني وأبدا أنت يا حسين . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، خرجت في
بعض السنين منحدرًا إلى البصرة ممتدحًا محمد بن سليمان الربيعي بقصيصة ، فقبلها وأمرني
بالمقام . فخرجت ذات يوم إلى المريد وجعلت المهالية طريقي فأصابني حرٌّ شديد ، فدنوت من
باب كبير لأستسقي وإذا أنا بجارية كأنها قضيب ينثي وسناء العينين زجاء الحاجبين أسيلة
الخددين عليها قميص جلناري ورداء صنعاني قد غلبت شدة بياض يديها حمرة قميصها ، يتلالا
من تحت القميص ثديان كرمانتين وبطن كطي القباطي بعكن كالفراطيس الناصعة المعقودة
بالمسك محشوة ، وهي يا أمير المؤمنين متقلدة بخرز من الذهب الأحمر وهو بين نهديها وعلى
صحن جبينها طرة كالسبع ولها حاجبان مقرونان وعينان نجلاوران وخدان أسيلان وأنف أفتى ،
تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدرّ ، وقد غلب عليها الطيب وهي والهة خيرانة ذاهبة في الدهليز

تروح ونحيء وتخطر على أكباد محبيها في مشيتها وقد أحرست سيقانها أصوات خلاخيلها . فهي
كما قال فيها الشاعر : [من الرمل]

كُلُّ جُزْءٍ مِنْ مَحَاسِنِهَا مُرْسِلٌ مِنْ حُسْنِهَا مَثَلًا

فهبته يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فإذا الدار والدهليز والشارع قد عقب
بالمسك ، فسلمت عليها فردت عليّ بلسان خاشع وقلب حزين بلهيب الوجد محترق . فقلت
لها : يا سيدتي ، إني شيخ غريب وأصابني عطش أفتأمرين لي بشربة ماء تؤجرين عليها ؟ قالت :
إليك عني يا شيخ فإني مشغولة عن الماء والزاد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت : إني مشغولة عن
الماء والزاد . فقلت : لاي علة يا سيدتي ؟ قالت : لاني أعشق من لا
ينصفني وأريد من لا يريدني ، ومع ذلك فإني ممتحنة بمراقبة الرقباء .
قلت : وهل يا سيدتي على بسطة الأرض من تريدينه ولا يريدك ؟ قالت :
نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال . قلت : وما
وقوفك في هذا الدهليز ؟ قالت : ها هنا طريقه وهذا وقت اجتيازه . قلت لها : يا سيدتي ، فهل
اجتمعتما في وقت من الأوقات وتحدثتما حديثاً أوجب هذا الوجد ؟ فتفتست الصعداء وأرخت
دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم أنشدت هذين البيتين : [من الطويل]

وَكُنَّا كَغُصْنِي بَانَةٌ فَوْقَ رَوْضَةٍ نَشْمُ جَنَى اللَّذَاتِ فِي عَيْشَةٍ رَعْدٍ
فَأَفْرَدَ هَذَا الْغُصْنُ مِنْ ذَاكَ قَاطِعٌ قِيَا مَنْ رَأَى قَرْدًا يَحِنُّ إِلَى قَرْدٍ

قلت : يا هذه ، فما بلغ من عشقك لهذا الفتى ؟ قالت : أرى الشمس على حيطان أهله
فأحسب أنها هو ، وربما أراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدي وأبقى الأسبوع
والأسبوعين بغير عقل . فقلت لها : اعذريني فإني على مثل ما بك من الصبابة مشتغل البال
بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى بك من شحوب اللون ورقة البشرة ما يشهد بتباريح
الهوى ، وكيف لم يمسك الهوى وأنت مقيمة في أرض البصرة ؟ قالت والله كنت قبل محبتي هذا
الغلام في غاية الدلال بهيئة الجمال والكمال ، ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتتن بي هذا
الغلام . قلت : يا هذه ، ما الذي فرق بينكما ؟ قالت : نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شأن عجيب .
وذلك إني قعدت في يوم نيروز ودعوت عدة من جواري البصرة وفي تلك الجوارى جارية سيران
وكان ثمنها عليه من عمان ثمانين ألف درهم ، وكانت لي مَحَبَّةٌ وبني مولعة . فلما دخلت رمت
نفسها عليّ وكادت تقطعني قرصاً وعضاً ، ثم خلونا نعم بالشراب إلى أن يتهاى طعامنا ويتكامل
سرورنا ، وكانت تلاعبني والأعبا فتارة أنا فوقها وتارة هي فوقي . فحملها السكر على أن ضربت
يدها إلى دكتي فحلتها من غير رية كانت بيننا ونزل سروالي بالملاعبة . فبينما نحن كذلك إذ
دخل هو على حين غفلة فرأى ذلك ، فاغتاض لذلك وانصرف عني انصراف المهرة العربية إذا
سمعت صلاصل لجامها فوئى خارجاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية قالت لحسين الخليع : إن محبوبي لما رأى ما ذكرت لك من ملاعبي مع جارية سيران خرج مغضباً مني . فانا يا شيخ من منذ ثلاث سنين لم أزل اعتذر إليه واتلطف به وأستعطفه فلا ينظر إليّ بطرف ولا يكتب إليّ بحرف ولا يكلم لي رسولاً ولا يسمع مني قليلاً . قلت لها : يا هذه ، أمن العرب هو أم من العجم ؟ قالت : ويحك ، هو من جملة ملوك البصرة . فقلت لها : أشيخ هو أم شاب ؟ فنظرت إليّ شذراً وقالت : إنك أحمق ، هو مثل القمر ليلة البدر أجرد أمرد لا يعيبه شيء غير انحرافه عني . فقلت لها : ما اسمه ؟ قالت : ما تصنع به ؟ قلت : اجتهد في لقائه لتحصيل الوصال بينكما . قالت : على شرط أن تحمل إليه رقعة . قلت : لا أكره ذلك . فقالت : إسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بأبي السخاء وقصره بالمريد . ثم صاحت على من في الدار : هاتوا الدواة والقرطاس . وشمرت عن ساعدين كأنهما طوقان من فضة وكتبت بعد التسمية : سيدي ، ترك الدعاء في صدر رقتي ينبئ عن تقصيري واعلم أن دعائي لو كان مستجاباً ما فارقتني لأني كثيراً ما دعوت أن لا تفارقني وقد فارقتني ، ولولا أن الجهد تجاوز بي حد التقصير لكان ما تكلفته خادمك من كتابة هذه الرقعة معيناً لها مع ياسها منك لعلها أنك تترك الجواب ، وأقصى مرادها سيدي نظرة إليك وقت اجتيازك في الشارع إلى الدهليز تحمي بها نفساً ميتة . وأجل من ذلك عندها أن تخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة ، رقعة وتجعلها عوضاً عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكر لها سيدي ، ألسنت لك محبة مدنفه ؟ فإن أجبت إلى المسألة كنت لك شاكراً والله حامداً والسلام . فتناولت الكتاب وخرجت وأصبحت غدوت إلى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلساً محتفلاً بالملوك ورأيت غلاماً قد زان المجلس وفاق على من فيه جمالاً وبهجة قد رفعه الأمير فوجه . فسألت عنه فإذا هو ضمرة بن المغيرة . فقلت في نفسي : بالحقيقة حلّ بالمسكينة ما حلّ بها . ثم قمت وقصدت المريد ووقفت على باب داره فإذا هو قد ورد في موكب ، فوثبت إليه وبالغت في الدعاء وناولته الرقعة . فلما قرأها وفهم معناها قال لي : يا شيخ قد استبدلنا بها ، فهل لك أن تنظر إلى البديل ؟ قلت : نعم . فصاح على فتاة وإذا هي جارية تخجل القمرين ، ناهدة الثديين تمشي مشية مستعجل من غير وجل ، فناولها الرقعة وقال : أجيبني عنها . فلما قرأتها اصفرّ لونها حيث عرفت ما فيها وقالت : يا شيخ ، استغفر الله مما جئت فيه . فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر رجلي حتى آتيتها واستأذنت عليها ودخلت . فقالت : ما وراءك ؟ قلت : البأس واليأس . قالت : ما عليك منه فإين الله والقدرة . ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وخرجت . ثم جزت على ذلك المكان بعد أيام فوجدت غلماناً وفرساناً فدخلت ، وإذا هم أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع إليه وهي تقول : لا والله لا نظرت له في وجه . فسجدت شكراً لله يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة وتقربت من الجارية فأبرزت لي رقعة فإذا فيها : بعد التسمية سيدي ، لولا إيقائي عليك أدام الله حياتك لو وضعت شطراً مما حصل منك وبسطت عذري في ظلامتك إياي إذ كنت الجانية على نفسك ونفسي المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا ، فخالفت هواي والله المستعان على ما كان من اختيارك والسلام . وأوقفتني على ما حمله إليها من الهدايا والتحف وإذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار . ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة . فقال الرشيد : لولا أن ضمرة سبقني إليها لكان لي معها شأن من الشؤون .

وحكى أيضاً أيها الملك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : بينما أنا ذات ليلة في منزلي وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكت الأمطار تقطر كافواه القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الأمطار والوحل وأنا ضيق الصدر حيث لم يأتي أحد من إخواني ولم أقدر أن أسير إليهم من شدة الوحل والطين . فقلت لغلامي : أحضر لي ما أتشغل به . فأحضر لي طعاماً وشرباً ، فتنفصته إذ لم يكن معي من يؤانسني . ولم أزل أتطلع من الطاقات وأراقب الطرقات حتى أقبل الليل ، فتذكرت جارية لبعض أولاد المهدي كنت أهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك آلات الملاهي . فقلت في نفسي : لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وقصرت ليلتي مما أنا فيه من الفكر والقلق . وإذا بدق الباب وهو يقول : أيدخل محبوب على الباب واقف ؟ فقلت في نفسي : لعل غرس التمني قد أثمر . فقمتم إلى الباب فإذا بصاحبتي وعليها مرط أخضر قد أتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديداج تقيها من المطر وقد غرقت في الطين إلى ركبتيها وابتل ما عليها من الميازيب وهي في قالب عجيب . فقلت لها : يا سيدتي ماذا الذي أتى بك في مثل هذه الأحوال فقالت : قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني إلا الإجابة والإسراع نحوك . فتعجبت من ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما أتت وطرقت باب إسحاق خرج لها وقال : يا سيدتي ، ما الذي أتى بك في هذه الأحوال ؟ قالت له : قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني إلا الإجابة والإسراع نحوك . فتعجبت من ذلك وكرهت أنني أقول لها لم أرسل إليك أحداً فقالت : الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من ألم الصبر ، ولو كنت أبطأت علي ساعة كنت أحق بالسعي إليك لأنني اشتاق إليك كثير الصبابة نحوك . ثم قلت لغلامي : هات الماء . فأقبل بمسخنة فيها ماء حار حتى تصلح حالها ثم أمرته أن يصب الماء على رجليها وتوليت غسلهما بنفسي ، ثم دعوت ببدة من أفخر الملبوس فلبستها إياها بعد أن نزع ما كان عليها وجلسنا ، ثم استدعيت بالطعام فأبت . فقلت : هلي لك في الشراب ؟ قالت : نعم . فتناولت أقداحاً ثم قالت : من يغن ؟ فقلت : أنا يا سيدتي فقالت : لا أحب . فقلت : بعض جواري . قالت : لا أريد . قلت : غني بنفسك . قالت : ولا أنا . قلت لها : فمن يغن لك ؟ قالت : أخرج الشمس من يغني لي . فخرجت طاعة لها إلا أنني يائس ومتيقن أن لا أجد أحداً في مثل هذا الوقت . فلم أزل ماشياً حتى بلغت الشارع وإذا أنا بأعمى يخبط الأرض بعصاه وهو يقول : لا جزى الله من كنت عندهم خيراً ، إن غنيت لم يسمعوا وإن سكت استخفوا بي . فقلت له : أمغن أنت ؟ قال : نعم . قلت له : فهل لك أن تتم ليلتك عندنا وتؤنسنا ؟ قال : إن شئت خذ بيدي . فأخذت بيده وسرت إلى الدار وقلت لها : يا سيدتي ، قد أتيت بمغن أعمى نلتذ به ولا يرانا . فقالت : علي به . فأدخلته وعزمت عليه بالطعام فأكل أكلاً لطيفاً وغسل يديه ، وقدمت إليه الشراب فشرب ثلاثة أقداح ثم قال : من تكن ؟ قلت : إسحاق بن

فلما كانت الليلة
كانت
696
كانت
الليلة

ابراهيم الموصلي . قال : لقد كنت أسمع بك والآن فرحت بمنامتك . فقلت : يا سيدي فرحت بفرحك . ثم قال : غن لي يا اسحاق . فأخذت العود على سبيل الجون وقلت : السمع والطاعة . فلما أن غنيت وانتقضى الصوت قال : يا اسحاق ، قاربت أن تكون مغنياً . فصغرت إلى نفسي وأقيت العود من يدي فقال : أما عندك من يحسن الغناء ؟ قلت : عندي جارية . قال : امرها أن تغني . فقلت : هل تغني وأنت واثق بغنائها ؟ قال : نعم فغنت . قال : لا ما صنعت شيئاً . فرمت العود من يدها مغضبة وقالت : الذي عندنا جدنا به فإن كان عندك شيء فتصدق به علينا . فقال : عليّ بعود لم تمسه يد . فأمرت الخادم فجاء بعود جديد . فجسّ العود وضرب في طريق لا أعرفها واندفع يغني وينشد هذين البيتين : [من الطويل]

سَرَى يَقْطَعُ الظُّلْمَاءُ وَاللَّيْلُ عَاكِفٌ حَيِّبٌ بِأَوْقَاتِ الزِّيَارَةِ عَارِفٌ
وما راعنا إلا سلامٌ وقولها أَيْدُخُلُ مَحْبُوبٍ عَلَى الْبَابِ وَاقِفٌ؟

قال : فنظرت إليّ الجارية شزراً وقالت : سرّ بيني وبينك ما يسعه صدرك ساعة وأودعته لهذا الرجل ؟ فحلفت لها واعتذرت إليها ثم أخذت أقبل يديها وأزغزغ ثديها وأعض خديها حتى ضحكت . ثم التفت إلى الأعمى وقلت له : غن يا سيدي . فأخذ العود وغنى بهذين البيتين : [من الطويل]

أَلَا رَبِّمَا زُرْتُ الْمَلِاحَ وَرَبِّمَا لَمَسْتُ بِكَفِّيَّ الْبَنَانَ الْمُخْضَبَا
وَزَغَزَعْتُ رُمَانَ الصُّدُورِ وَلَمْ أَزْكُ أَعْضِعُصُ تَفَّاحَ الْخُدُودِ الْمَكْبِيَا

فقلت لها : يا سيدتي من أعلمه بما نحن فيه ؟ قالت : صدقت . ثم تجنّبها فقال : إني حاقن . فقلت : يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه . فخرج وأبطأ ، فخرجنا في طلبه فلم نجده فإذا الأبواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة فلا ندري أفي السماء صعدا أم في الأرض هبط ؟ فعلمت أنه ابليس وأنه قاد لي . ثم انصرفت فتذكّرت قول أبي نواس حيث قال هذين البيتين : [من السريع]

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي كِبْرِهِ وَخَبْتُ مَا أَضْمَرَ فِي نَيْتِهِ
تَاهَ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَادًا لِذُرِّيَّتِهِ

68 - حكاية عاشقان من أهل المدينة

وحكي أيضاً أن ابراهيم بن اسحاق قال : كنت منقطعاً إلى البرامكة فينما أنا يوماً في منزلي وإذا ببابي يدق ، فخرج غلامي وعاد وقال لي : على الباب فتى جميل يستأذن فأذنت له . فدخل شاب عليه أثر السقم فقال : إن لي مدة أحاول لقائك ولي إليك حاجة . فقلت : ما هي ؟ فأخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي وقال : أسالك أن تقبلها مني وتصنع لي لحناً في بيتين قلتهما . فقلت له : أنشدنيهما . فأنشد وجعل يقول : وأدرك شهرزاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ابراهيم بن اسحاق لما دخل عليه الفتى ووضع بين يديه الدنانير وقال له: أسألك أن تقبلها وتصنع لي لحناً في بيتين قلتها. فقال له: أنشدنيهما. فأنشد يقول:

[من البسيط]

بالله يا طرفي الجاني على كيدي لتطفين بدمعي لوعة الحزن
الدهر من جملة العدل في سكتي فلا أراه ولو أدرجت في كفني

قال: فصنعت له لحناً يشبه النوح ثم غنيت فاعمي عليه حتى ظننت أنه مات ثم أفاق وقال: أعد. فناشدته الله وقلت: أخشى أن تموت. قال: ليت ذلك لو كان. وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته وأعدته. فصعق صعقة أشد من الأولى فلم أشك في موته، وما زلت أنضح عليه من ماء الورد حتى أفاق وجلس. فحمدت الله على سلامته ووضعت دنانيره بين يديه وقلت له: خذ مالك وانصرف عني. فقال: لا حاجة لي به ولك مثلها إن أعدت اللحن. فانشرح صدري إلى المال فقلت له: أعيد ولكن بثلاثة شروط: أولها أن تقيم عندي وتأكل طعامي حتى تقوي نفسك. والثاني أن تشرب من الشراب ما يمسك قلبك. والثالث أن تحدثنني بحديثك. ففعل ذلك ثم قال: إني رجل من أهل المدينة، خرجت متنزهاً وقد سلكت طريق العقيق مع إخوتي فرايت جارية مع فتيات كأنهن غصن جلله الندى، تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس ملاحظتهما، فأظللن حتى فرغ النهار ثم انصرفن وقد وجدت بقلبي جراحاً بطيئة الإندمال. فعدت أنتسم أخبارها فلم أجد أحداً، فصرت أتبعها في الأسواق فلم أقع لها على خبر. ومرضت أسى وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقال: لا بأس عليك، هذه أيام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ وأخرج أنا معك فأفعل مرادك. فاطمأنت نفسي بذلك إلى أن سال العقيق وخرج الناس فخرجت مع إخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه، فما لبثنا إلا والنسوة أقبلن كفرسي رهان. فقلت لجارية من أقاربي: قولي لهذه الجارية، يقول لك هذا الرجل: لقد أحسن من قال هذا البيت: [من الطويل]

رمتني بسهم أفضد القلب وأثنت وقد عاودت جرحاً به وندوبا

فمضت إليها وقالت لها ذلك. فقالت: قولي له: لقد أحسن من أجاب بهذا البيت: [من الطويل]

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعنا نرى فرجاً يشفي القلوب قريباً

وامسكت عن الكلام خوف الفضيحة وقمت منصرفاً. فقامت لقيامي وتبعته فراثني حتى عرفت منزلها. وصارت تسير إليّ وأسير إليها حتى اجتمعنا وكثر ذلك حتى شاع وظهر وعلم أبوها. فلم أزل مجتهداً في لقاءها وشكوت ذلك إلى أبي، فجمع أهلنا ومضى إلى أبيها راغباً في خطبتها فقال: لو بدا لي ذلك قبل أن يفضحها لفعلت، ولكن اشتهر ذلك فما كنت لأحقق قول الناس. قال ابراهيم: فاعدت عليه الصوت فعرفني منزله ثم انصرف وكان بيننا عشرة. ثم جلس

جعفر بن يحيى وحضرت على عادتِي فغَنَيْتِه شعر الفتى . فطرب وشرب اقداحاً وقال : ويلك ، لمن هذا الصوت ؟ فحدَّثته حديث الفتى . فأمرني بالركوب إليه وأن أجعله على ثقة من بلوغ إربه . فمضيت إليه فاحضرته ، فاستعاده الحديث فحدَّثته . فقال : أنت في ذمتي حتى أزوجهك إياها . فطابت نفسه وأقام معنا ، فلما أصبح الصباح ركب جعفر إلى الرشيد وحدَّته بذلك . فاستظرفه وأمر أن نحضر جميعاً ، فاستعاد الصوت وشرب عليه ثم أمر بكتب كتاب إلى عامل الحجاز بإحضار أبي المرأة وأهلها مبعلاً إلى حضرته والإنفاق عليهم نفقة واسعة . فلم يمض إلا يسير حتى حضروا ، فأشار الرشيد بإحضار الرجل بين يديه فحضر ، وأمره بتزويج ابنته من الفتى واعطاه مائة ألف دينار وانقلب إلى أهله . ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث ، فعاد الفتى بأهله إلى المدينة فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين .

69 - حكاية الملك الناصر ووزيره

وحكي أيضاً أيها الملك السعيد ، أن الوزير أبا عامر بن مروان كان قد أهدى إليه غلام من النصراني لا تقع العيون على أحسن منه . فلمحه الملك الناصر فقال لسيدته : من أين هذا ؟ قال : هو من عند الله . فقال له : اتخوفنا بالنجوم وتأسرنا بالأقمار ؟ فاعتذر إليه ثم احتفل في هدية بعثها إليه مع الغلام وقال له : كن داخلًا في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي . وكتب معه هذين البيتين : [من الطويل]

أَمْوَلَايَ هَذَا الْبَدْرُ سَارَ لِأَفْقِكُمْ أَرَى الْأَفْقَ أَوْلَى بِالْبُدُورِ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَرْضِيكُمْ بِالنَّفْسِ وَهِيَ نَفْسِي وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ بِمُهْجَتِهِ يُرْضِي

فحسن ذلك عند الناصر وأتحفه بمال جزيل وتمكَّن عنده . ثم بعد ذلك أهديت للوزير جارية من أجلاء نساء الدنيا ، فخاف أن ينمي ذلك إلى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام . فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وأرسلها مع الجارية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير أبا عامر لما أهديت إليه الجارية خاف أن يصل خبرها إلى الملك الناصر وتكون قصتها مثل قصة الغلام . فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وأرسلها وصحبها الجارية وكتب معها هذه الأبيات :

[من الطويل]

أَمْوَلَايَ هَذِي الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ أَوْلَى تَقَدَّمُ إِلَيْهَا يَلْتَقِي الْقَمَرَانِ
قِرَانُ لَعَمْرِي بِالسَّعَادَةِ نَاطِقٌ قَدَّمُ مِنْهُمَا فِي كَوْنِي وَجِنَانِ
فَمَا لَهُمَا وَاللَّهِ فِي الْحُسْنِ ثَالِثٌ وَمَا لَكَ فِي مُلْكِ الْبَرِيَّةِ ثَانِ

فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض أعدائه عند الناصر بأن عنده من الغلام بقية حرارة وإنه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على إهداء الغلام . فقال الناصر : لا

فلما كانت الليلة
698
عاشق

تحرك به لسانك وإلا أطرت رأسك . وكتب إليه على لسان الغلام ورقة فيها : يا مولاي ، أنت تعلم أنك كنت لي على الإنفراد ولم أزل معك في نعيم ، وأنا وإن كنت عند السلطان فإني أحب انفرادي بك ولكنني أخشى من سطوة الملك . فتحيل في استدعائي منه . ثم بعثها مع غلام صغير وأوصاه أن يقول : هي من عند فلان وإن الملك لم يكلمه قط . فلما أوقف عليها أبو عامر ودلس عليه الخادم أحس بالشربة . فكتب على ظهر الورقة هذه الأبيات : [من الطويل]

أَمِنْ بَعْدِ إِحْكَامِ التَّجَارِبِ يَنْبَغِي لِدِّي الحَزْمُ أَنْ يَسْعَى إِلَى غَابَةِ الأَسَدِ
وَلَا أَنَا مَمَّنْ يُغْلَبُ الحُبُّ عَقْلَهُ وَلَا جَاهِلٌ مَا يَدْعِيهِ أَوْلُو الحَسَدِ
فَإِنْ كُنْتُ رُوحِي قَدْ وَهَبْتُكَ طَائِعًا وَكَيْفَ تُرَدُّ الرُّوحُ إِنْ فَارَقَتْ جَسَدًا

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد إلى استماع واش فيه بعد ذلك . ثم قال له : كيف خلصت من الشرك ؟ قال : لأن عقلي بالهوى غير مشترك والله أعلم .

70 - حكاية دليلة المحتالة

وحكي أيضاً أيها الملك السعيد ، أنه كان في زمن خلافة هارون الرشيد رجل يسمى أحمد الدنف وآخر اسمه حسن شومان . وكانا صاحباً مكر وحيل ولهما أفعال عجيبة . فبسبب ذلك خلع الخليفة على أحمد الدنف خلعة وجعله مقدّم الميمنة وخلع على حسن شومان خلعة وجعله مقدّم الميسرة ، وجعل لكل واحد منهما جامكية في كل شهر ألف دينار ، وكان لكل واحد منهما أربعون رجلاً من تحت يده وكان مكتوباً بأعلى : أحمد الدنف درك البر . فنزل أحمد الدنف معه حسن شومان ومن تحت أيديهما راكبين والأمير خالد الوالي بصحبتهم والمناوي ينادي حسبما رسم الخليفة أنه : لا مقدّم بغداد في الميمنة إلا المقدّم أحمد الدنف ، ولا مقدّم بغداد في الميسرة إلا حسن شومان ، وإنهما مسموعان الكلمة واجبان الحرمة . وكان في البلدة عجوز تسمى دليلة المحتالة ولها بنت تسمى زينب النصابة ، فسمعنا المناذاة بذلك فقالت زينب لامها دليلة : أنظري يا أمي هذا أحمد الدنف جاء من مصر مطروداً ولعب مناصف في بغداد إلى أن تقرب عند الخليفة وبقي مقدّم الميمنة ، وهذا الولد الأقرع حسن شومان صار مقدّم الميسرة وله سماط في الغداة وسماط في العشي ، ولهما جوامك لكل واحد منهما ألف دينار في كل شهر ، ونحن قاعدون معطلون في هذا البيت لا مقام لنا ولا حرمة وليس لنا من يسأل عنا . وكان زوج دليلة مقدّم بغداد سابقاً وكان له عند الخليفة في كل شهر ألف دينار ، فمات عن بنتين : بنت متزوجة ومعها ولد يسمى أحمد اللقيط ، وبنت عازبة تسمى زينب النصابة . وكانت دليلة صاحبة حيل وخداع ومناصف وكانت تتحيل على الثعبان حتى تطلعه من وكرة ، وكان إبليس يتعلم منها المكر . وكان زوجها برّاج عند الخليفة وكان له جامكية في كل شهر ألف دينار ، وكان يربي حمام البطاقة الذي يسافر بالكتب والرسائل . وكان عند الخليفة كل طير لوقت حاجته أعز من واحد من أولاده . فقالت زينب لامها : قومي اعلمي حياً ومناصف لعل بذلك يشتهر لنا صيت في بغداد وتكون لنا جامكية أيها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن زينب النصابة لما قالت لأمها :
قومي اعلمي لنا حيلاً ومناصف لعل بذلك يشيع لنا صيت في بغداد
فتكون لنا جامكية أينا . فقالت لها : وحياتك يا بنتي لألعب في بغداد
مناصف أقوى من مناصف أحمد الدنف وحسن شومان . فقامت
ضربت على وجهها لثاماً وليست لباس الفقراء من الصوفية ولبست لباساً
نازلاً لوجهها وجبة صوف وتحزمت بمنطقة عريضة وأخذت إبريقاً وملاته ماء لرقبته وحطت في فمه
ثلاثة دنانير وغطت فم الإبريق بليفة وتقلدت بسبح قدر حملة حطب، وأخذت راية في يدها
وفيها شراميط حمر وصفر وطلعت تقول : الله واللسان ناطق بالتسبيح والقلب راكض في ميدان
القبيح . وصارت تتلمح لمنصف تلعبه في البلد . فسارت من زقاق إلى زقاق حتى وصلت إلى
زقاق مكنوس مرشوش وبالرخام مفروش فرأت باباً مقوصراً بعتبة من مرمر ورجلاً مغربياً بواباً
واقفاً بالباب ، وكانت تلك الدار لرئيس الشاوشية عند الخليفة ، وكان صاحب الدار ذا زرع
وبلاد وجامكية واسعة وكان يسمى بالأمير حسن شر الطريق ، وما سمّوه بذلك إلا لكون ضربته
تسبق كلمته ، وكان متزوجاً بصبية مليحة وكان يحبها . وكانت ليلة دخلته بها حلفتة انه لا
يتزوج عليها ولا يبيت في غير بيته ، إلى أن طلع زوجها يوماً من الأيام إلى الديوان فرأى كل أمير
معه ولد أو ولدان ، وكان قد دخل الحمام ورأى وجهه في المرآة فرأى بياض شعر ذقنه غطى
سوادها . فقال في نفسه : هل الذي أخذ أباك لا يرزقك ولدأ . ثم دخل على زوجته وهو مغتاض
فقال له : مساء الخير . فقال لها : روحي من قدامي ، من يوم رأيتك ما رأيت خيراً . فقالت له :
لاي شيء ؟ فقال لها : ليلة دخلت عليك حلفتيني أنني ما أتزوج عليك . ففي هذا اليوم رأيت
الأمراء كل واحد معه ولد وبعضهم معه ولدان فتذكرت الموت وأنا ما رزقت بولد ولا بنت ،
ومن لا ذكر له لا يذكر . وهذا سبب غيظي فإنك عاقر لا تحبلين مني . فقالت له : اسم الله عليك ،
أنا خرقت الأهوان من دق الصوف والعقاير وأنا ما لي ذنب والعاقاة منك لأنك بغل أفسس
وبيضك رايق لا يحبل ولا يجيء بأولاد . فقال لها : لما أرجع من السفر أتزوج عليك . فقالت له :
نصبي على الله . وطلع من عندها وندا على معايرة بعضهما . فبينما زوجته تطل من طاقتها
وهي كأنها عروسة ، كنز من المصاغ الذي عليها وإذا بدليلة واقفة فرأتها فنظرت عليها صيغة
وثياباً مثمنة . فقالت لنفسها : يا بدليلة ، لا أصنع من أن تأخذي هذه الصبية من بيت زوجها
وتعريها من المصاغ والثياب وتأخذي جميع ذلك . فوقففت وذكرت تحت شباك القصر وقالت :
الله الله . فرأت الصبية هذه العجوز وهي لابسة من الثياب البيض ما يشبه قبة من نور متهيئة بهيئة
الصوفية وهي تقول : احضروا يا أولياء الله . فطلت نساء الحارة من الطيقان . وقالت : شيئاً الله من
المدد هذه شيخة طالع من وجهها النور . فبكت خاتون زوجة الأمير حسن وقالت لجاريتها :
انزلي قبلي يد الشيخ أبي علي البواب وقولي له خليه يدخل الشيخة لتتبرك بها . فنزلت وقبلت
يده وقالت : سيدتي تقول لك خل هذه الشيخة تدخل إلى سيدتي لتتبرك بها . وأدرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الجارية لما نزلت للبواب وقالت له : سيدتي تقول لك : خل هذه الشيخة تدخل لسيدتي لتتبرك بها لعل بركتها تعم علينا . فتقدم البواب وقبل يدها فمنعته وقالت له : ابعده عني لثلاث تنقض وضوئي ، انت الآخر مجذوب وملحوظ من الاولياء ، الله يعتقك من هذه الخدمة يا ابا علي . وكان للبواب اجرة ثلاثة اشهر على الامير ، وكان معسراً ولم يعرف ان يخلصها من ذلك الامير . فقال لها : يا امي ، اسقيني من إبريقك لاتبرك بك . فاخذت الإبريق من كتفها وبرمت به في الهواء وهزّت يدها حتى طارت الليفة من فم الإبريق فنزلت الثلاثة دنانير على الأرض . فنظرها البواب والتقطها وقال في نفسه : شيء لله ، هذه الشيخة من أصحاب التصرف فإنها كاشفت عليّ وعرفت اني محتاج للمصروف فتصرّفت لي في حصول ثلاثة دنانير من الهواء . ثم اخذها في يده وقال لها : خذي يا خالتي الثلاثة دنانير التي وقعت في الأرض من إبريقك . فقالت له العجوز : ابعدها عني فاني من ناس لا يشغلون بدنيا أبداً ، خذها ووسّع بها على نفسك عوضاً عن الذي لك على الامير . فقال : شيئاً لله من المدد وهذا من باب الكشف وإذا بالجارية قبّلت يدها وأطلعتها لسيدتها . فلما دخلت رأت سيدة الجارية كأنها كنز انفكت عنه الطلاس ، فرحبت بها وقبلت يدها فقالت لها : يا بنتي ، انا ما جئتك إلا بمشورة . فقدمت لها الاكل فقالت : يا بنتي ، انا ما أكل إلا من ماكل الجنة وأديم صيامي فلا أظفر إلا خمسة ايام في السنة . ولكن يا بنتي انا انظرك مكدره ومرادي أن تقولي لي على سبب تكديرك . فقالت : يا امي ، في ليلة ما دخلت حلقت زوجي انه لا يتزوج غيري ، فرأى الاولاد فتشوق إليهم فقال لي : انت عاقر . فقلت له : انت بغل لا تحبل . فخرج غضباناً وقال : لما ارجع من السفر أتزوج عليك . وانا خائفة يا امي ان يطلقني ويأخذ غيري ، فإن له بلاداً وزروعاً وجامكية واسعة فإذا جاء له اولاد من غيري يملكون المال والبلاد مني . فقالت لها : يا بنتي ، هل انت عمياء عن شيخي ابي الحملات ؟ فكل من كان مديوناً وزاره قضى الله دينه وإن زارته عقيم فإنها تحبل . فقالت : يا امي ، انا من يوم دخلت ما خرجت لا معزية ولا مهنية . وقالت لها العجوز : يا بنتي ، انا آخذك معي وأزورك ابا الحملات وأرمي حملتك عليه وانذري له عسى انه يجيء زوجك من السفر ويجامعك فتحبلي منه بنت أو ولد ، وكل شيء ولدته إن كان انثى أو ذكراً يبقى درويش الشيخ ابي الحملات . فقامت الصبية ولبست مصاغها جميعه ولبست أفر ما كان عندها من الثياب وقالت للجارية : إلقي نظرك على البيت . فقالت : سمعاً وطاعة يا سيدتي . ثم نزلت فقابلها الشيخ ابو علي البواب فقال لها : إلى أين يا سيدتي ؟ فقالت له : انا رايحة لأزور الشيخ ابا الحملات . فقال البواب : صوم العام يلزمني ، إن هذه الشيخة من الاولياء وملآنة بالولاية ، وهي يا سيدتي من أصحاب التصريف لأنها اعطتني ثلاثة دنانير من الذهب الاحمر وكاشفت عليّ من غير ان أسألها وعلمت اني محتاج . فخرجت العجوز والصبية زوجة الامير حسين شر الطريق معها . والعجوز الدليلة المحتالة تقول للصبية : إن شاء الله يا بنتي لما تزورين الشيخ ابا الحملات يحصل لك جبر الخاطر وتحبلين بإذن الله تعالى ، ويحبك زوجك الامير حسن ببركة هذا الشيخ ولا يسمعك كلمة تؤذي خاطرک بعد ذلك . فقالت لها : أزوره يا امي . ثم قالت العجوز في نفسها : اين أعريها وأخذ ثيابها والناس رايحة وغادية ؟ فقالت لها : يا بنتي ، إذا

مشيت فامشي وراثي على قدر ما تنظريني، لان أمك صاحبة حمل كثيرة وكل من كان عليه حملة يرميها عليّ، وكل من كان معه نذر يعطيه لي ويقبل يدي. فمشت الصبية وراءها بعيداً عنها والعجوز قدامها إلى أن وصلنا إلى سوق التجار والخلخال يرن والعقوص تشن. فمرت على دكان ابن تاجر يسمي سيدي حسن وكان مليحاً جد الانبات بعارضيه فرأى الصبية مقبلة وصار يلحظها شذراً. فلما لحظت ذلك العجوز، غمزت الصبية وقالت لها: اقعدي على هذا الدكان حتى اجيء إليك. فامثلت أمرها وقعدت قدام دكان ابن التاجر، فنظرها ابن التاجر نظرة اعقبته ألف حسرة. ثم آتته العجوز وسلّمت عليه وقالت له: هل أنت اسمك سيدي حسن ابن التاجر محسن؟ فقال لها: نعم من أعلمك باسمي؟ فقالت: دلّني عليك أهل الخير، لي واعلم ان هذه الصبية بنتي وكان أبوها تاجراً فمات وخلف لها مالاً كثيراً وهي بالغة وقالت العقلاء: اخطب لبتك ولا تخطب لابنك. وعمرها ما خرجت إلا في هذا اليوم وقد جاءت الإشارة ونوديت في سرّي اني أزوجك بها، وإن كنت فقيراً أعطيتك رأس مال وأفتح لك عوض الدكان اثنين. فقال ابن التاجر في نفسه: قد سألت الله عروسة فمن علي بثلاثة أشياء: كيس وكس وكساء. ثم قال لها: يا أمي، نعم ما أشرت به عليّ، فإن أمي طالما قالت لي: أريد أن أزوجك. لم أرض بل أقول: أنا لا أتزوج إلا على نظر عيني. فقالت له: قم على قدميك واتبعني وأنا أريها لك عريانة. فقام معها وأخذ معه ألف دينار وقال في نفسه: ربما نحتاج شيئاً نشتريه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 701

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز قالت لحسن ابن التاجر محسن: قم اتبعني وأنا أريها لك عريانة. فقام معها وأخذ معه ألف دينار وقال في نفسه: ربما نحتاج إلى شيء فنشتريه ونحطّ معلوم عقد العقد. ثم قالت له العجوز: كن ماشياً بعيداً عنها على قدر ما تنظرها بالعين. وقالت العجوز في نفسها: أين تروحين بابن التاجر وقد قفل دكانه فتعريه هو والصبية؟ ثم مشت والصبية تابعة العجوز وابن التاجر تابع الصبية إلى أن أقبلت على مصبغة كان فيها واحد معلم يسمي الحاج محمد، وكان مثل سكين القلاقي يقطع الذكر والأنثى، يحب أكل التين والرمان. فسمع الخلخال يرن فرفع عينه فرأى الصبية والغلام وإذا بالعجوز قعدت عنده وسلّمت عليه وقالت له: أنت الحاج محمد الصباغ؟ فقال لها: نعم أنا الحاج محمد، أي شيء تطلبين؟ فقالت له: أنا دلّني عليك أهل الخير، فانظر هذه الصبية المليحة بنتي وهذا الشاب الامرد المليح إبني، وأنا ريبتهما وصرفت عليهما أموالاً كثيرة. واعلم أن لي بيتاً كبيراً خسعاً وصلبته على خشب وقال لي المهندس: اسكني في مطرح غيره ربما يقع عليك حتى تعمريه وبعد ذلك إرجعي إليه واسكني فيه. فطلعت أفتش لي على مكان فدلّني عليك أهل الخير، ومرادي أن أسكن عندك بنتي وابني. فقال الصباغ في نفسه: قد جاءتك زبدة على فطيرة فقال لها: صحيح أن لي بيتاً وقاعة وطبقة ولكن أنا ما أستغني عن مكان منها للضيوف والفلاحين أصحاب النيلة. فقالت له: يا إبني، معظمه شهر أو شهران حتى نعلم البيت، ونحن ناس غرباء فاجعل مكان الضيوف مشتركاً بيننا وبينك. وحياتك يا إبني إن طلبت أن ضيوفك تكون ضيوفنا فمرحبا بهم، ناكل معهم وننام معهم. فاعطاها المفاتيح واحداً كبيراً والآخر صغير

ومفتاحاً أعوج وقال لها: المفتاح الكبير للبيت والأعوج للقاعة والصغير للطبقة. فاخذت المفاتيح وتبعها الصبية ووراءها ابن التاجر إلى أن أقبلت على زقاق فرات الباب ففتحته ودخلت ودخلت الصبية وقالت لها: يا بنتي، هذا بيت الشيخ أبي الحملات. وأشارت لها إلى القاعة، ولكن اطلعي الطبقة وحلي إزارك حتى أجيء إليك فدخلت الصبية في الطبقة وقعدت. فأقبل ابن التاجر فاستقبلته العجوز وقالت له: أقعد في القاعة حتى أجيء إليك بينتي لتنظرها. فدخل وقعد في القاعة ودخلت العجوز على الصبية فقالت لها الصبية: أنا مرادي أن أزور أبا الحملات قبل أن يجيء الناس. فقالت لها: يا بنتي، يخشى عليك. فقالت لها: من أي شيء؟ فقالت لها: هناك ولدي أبهل لا يعرف صيفاً من شتاء دائماً عريان وهو نقيب الشيخ، فإن دخلت بنت مثلك لتزور الشيخ يأخذ حلقها ويشرم أذنها ويقطع ثيابها الحرير. فانت تقلعين صيغتك وثيابك لاحتفظها لك حتى تزوري. فقلعت الصبية الصيغة والثياب وأعطت العجوز إياها وقالت لها: إني أضعها لك على ستر الشيخ فتحصل لك البركة. ثم أخذتها العجوز وطلعت وخلتها بالقميص واللباس وخبأتها في محل في السلال ثم دخلت على ابن التاجر فوجدته في انتظار الصبية فقال لها أين ابنتك حتى أنظرها؟ فلطمت على صدرها فقال لها: ما لك؟ فقالت له: لا عاش جار السوء ولا كان جيران يحسدون لأنهم رأوك داخلًا معي فسألوني عنك فقلت: أنا خطبت لبنتي هذا العريس. فحسدوني عليك فقالوا لبنتي: هل أمك تعبت من مؤنتك حتى تزوجك لواحد مبتل؟ فحلفت لها أنني ما أخليها تنظرك إلا وأنت عريان. فقال: أعود بالله من الحاسدين. وكشف عن ذراعيه فرأتهما مثل الفضة فقالت له: لا تخشى من شيء فإني أدعك تنظرها عريانة مثل ما تنظرك عريان. فقال لها: خليها تجيء لتنظري. وقلع الفروة السمور والحياصة والسكين وجميع الثياب حتى صار بالقميص واللباس وحط الألف دينار في الحوائج. فقالت له: هات حوائجك حتى أحفظها لك. وأخذتها ووضعها على حوائج الصبية وحملت جميع ذلك وخرجت به من الباب وقفلته عليهما وراحت إلى حال سبيلها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما أخذت حوائج ابن التاجر وحوائج الصبية وقفلت الباب عليهما وراحت إلى حال سبيلها، أودعت الذي كان معها عند رجل عطار وراحت إلى الصباغ فرأته قاعداً في انتظارها فقال لها: إن شاء الله يكون البيت أعجبكم؟ فقالت: فيه بركة وأنا رايحة أجيء بالحمالين يحملون حوائجنا وفرشنا وأولادي قد اشتهاوا عليّ عيشاً بلحم، فانت تأخذ هذا الدينار وتعمل لهما عيشاً بلحم وتروح تغدّي معهم. فقال الصباغ: ومن يحرس المصبغة وحوائج الناس فيها؟ فقالت: صبيك. قال: وهو كذلك. ثم أخذ صحنًا ومكبة معه وراح يعمل الغداء. هذا ما كان من أمر الصباغ وله كلام يأتي. وأما ما كان من أمر العجوز فإنها أخذت من العطار حوائج الصبية وابن التاجر ودخلت المصبغة وقالت لصبي الصباغ: إلحق معلمك وأنا لا أبرح حتى تاتيان. فقال لها: سمعاً وطاعة. ثم أخذت جميع ما فيها وإذا برجل حمّار حشاش له أسبوع وهو بطل. فقالت له العجوز: تعال يا حمّار فجاءها. فقالت له: هل أنت تعرف ابن الصباغ؟ قال لها: أعرفه. قالت له: هذا

فلما كانت الليلة
702
الليلة

مسكين قد أفلس وبقي عليه ديون، وكلما يجبس أطلقه. ومرادنا أن نثبت إعساره وأنا رايحة أعطي الحوايج لأصحابها، ومرادي أن تعطيني الحمار حتى أحمل عليه الحوايج للناس وخذ هذا الدينار كراه، وبعد أن أروح تأخذ الدسترة وتنزح بها الذي في الخوابي ثم تكسر الخوابي والدنان لأجل إذا نزل كشف من طرف القاضي لا يجد شيئاً في المصبغة. فقال لها: إن المعلم فضله عليّ وأعمل شيئاً لله. فأخذت الحوايج وحملتها فوق الحمار وستر عليها الستار وعمدت إلى بيتها فدخلت على بنتها زينب. فقالت لها: قلبي عندك يا أمي، أي شيء عملت من المناصف؟ فقالت لها: أنا لعبت ربع مناصف على أربعة أشخاص، ابن تاجر وامرأة شاويش وصباغ وحمّار، وجئت لك بجميع حوائجهم على حمار الحمار. فقالت لها: يا أمي، ما بقيت تقدرني أن تشقي في البلد من الشاويش الذي أخذت حوائج امراته، وابن التاجر الذي عريته، والصباغ الذي أخذت حوائج الناس من مصبغته، والحمار صاحب الحمار. فقالت: آه يا بنتي، أنا ما أحسب إلا حساب الحمّار فإنه يعرفني. وأما ما كان من أمر المعلم الصباغ فإنه جهز العيش باللحم وحمله على رأس خادمه وفات على المصبغة فرأى الحمّار يكسر في الخوابي ولم يبق فيها قماش ولا حوايج ورأى المصبغة خراباً فقال له: إرفع يدك يا حمّار. فرفع يده وقال له الحمّار: الحمد لله على السلامة يا معلم، قلبي عليك. فقال له: لأي شيء؟ وما حصل لي؟ فقال له: قد صرت مفلساً وكتبوا حجة إعسارك. فقال له: من قال لك؟ فقال له: أمك قالت لي وأمرتني بكسر الخوابي ونزح الدنان خوفاً من الكشاف إذا جاء ربما يجد في المصبغة شيئاً. فقال له: الله يخيب البعيد، إن أمي ماتت من منذ زمان. ودق صدره بيده وقال: يا ضياع مالي ومال الناس. فبكى الحمّار وقال: يا ضيعة حماري. ثم قال للصباغ: هات لي حماري يا صباغ من أمك. فتعلق الصباغ بالحمّار وصار يلكمه ويقول: أحضر لي العجوز. فقال له: أحضر لي الحمار. فاجتمعت عليهما الخلائق. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 703
 □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصباغ تعلق بالحمّار والحمّار تعلق بالصباغ وتضاربا وصار كل منهما يدعي على صاحبه. فاجتمعت عليهما الخلائق فقال واحد منهم: أي شيء الحكاية يا معلم محمد؟ قال له الحمّار: أنا أحكي لكم الحكاية. وحدثهم بما جرى له وقال: إني أظن أنني مشكور عند المعلم. فلما رأني دق صدره وقال لي: أمي ماتت. وأنا الآخر اطلب حماري منه لأنه عمل عليّ هذا المنصف لأجل أن يضع حماري عليّ. فقالت الناس: يا معلم محمد، وهذه العجوز أنت تعرفها لأنك استأمنتها على المصبغة والذي فيها. فقال: لا أعرفها وإنما سكنت عندي في هذا اليوم هي وابنها وبنتها. فقال واحد: في ذمتي أن الحمار في عهدة الصباغ. فقيل له: ما أصله؟ فقال: لأن الحمّار ما اطمأن وأعطى العجوز حماره إلا لما رأى الصباغ استأمن العجوز على المصبغة والذي فيها. فقال واحد: يا معلم، لما سكنتها عندك وجب عليك أنك تجيء له بحماره. ثم تمشوا قاصدين البيت ولهم كلام يأتي. وأما ابن التاجر فإنه انتظر مجيء العجوز فلم تجيء ببنتها. وأما الصبية فإنها انتظرت العجوز أن تجيء لها بإذن من ابنتها المحبوب الذي هو نقيب الشيخ أبي الحملات فلم ترجع إليها. فقامت لتزور وإذا بابن التاجر يقول لها حين دخلت: تعالي أبن أمك التي جاءت بي لآنزوج بك؟ فقالت: إن أمي

ماتت فهل أنت ابنها المحذوب نقيب الشيخ أبي الحملات؟ فقال: هذه ما هي أمي، هذه عجوز نصابة نصبت عليّ حتى أخذت ثيابي والألف دينار. فقالت له الصبية: وأنا الأخرى نصبت عليّ وجاءت بي لأزور أبا الحملات وأعرنتي. فصار ابن التاجر يقول للصبية: أنا ما أعرف ثيابي والألف دينار إلا منك. والصبية تقول: أنا ما أعرف حوائجي وصيغتي إلا منك فاحضر لي أمك. وإذا بالصباغ داخل عليهما فرأى ابن التاجر عرباناً والصبية عريانة. فقال: قولاً لي أين أمكما؟ فحككت الصبية جميع ما وقع لها، وحكى ابن التاجر جميع ماجرى له. فقال الصباغ: يا ضباغ مالي ومال الناس! وقال الحمّار: يا ضباغ حماري! أعطني يا صباغ حماري. فقال الصباغ: هذه عجوز نصابة اطلعوا حتى أقفل الباب. فقال ابن التاجر: يكون عيباً عليك أن ندخل بيتك لابسين ونخرج منه عريانين. فكساه وكسى الصبية وروّحها بيتها ولها كلام يأتي بعد قدوم زوجها من السفر. وأما ما كان من أمر الصباغ فإنه قفل المصبغة وقال لابن التاجر: إذهب بنا لنفتش على العجوز ونسلّمها للوالي. فراح معه وصحبتهما الحمّار ودخلوا بيت الوالي وشكوا إليه. فقال لهم: يا ناس، أي شيء خبركم؟ فحكوا له ماجرى. فقال لهم: وكم عجوز في البلد؟ روحوا وفتشوا عليها وامسكوها وأنا أقررها لكم. فداروا يفتشون عليها ولهم كلام يأتي. وأما العجوز دليّة المحتالة فإنها قالت لبنتها زينب: يا بنتي، أنا أريد أن أعمل منصفاً. فقالت لها: يا أمي أخاف عليك. فقالت لها: أنا مثل سقط الفول عاص عن الماء والنار. فقامت ولبست ثياب خادمة من خدام الأكابر وطلعت تتلمّح لمنصف تعمله، فمرّت على زقاق مفروش فيه قماش ومعلق فيه قناديل وسمعت فيه مغانياً ونقر دفوف، وراّت جارية على كتفها ولد بلباس مطرّز بالفضة وعنيه ثياب جميلة وعلى رأسه طربوش مكّلل باللؤلؤ وفي رقبته طوق ذهب مجوهر وعليه عباءة من قטיפه. وكان هذا البيت لشاه بندر التجار ببغداد والولد ابنه وله أيضاً بنت بكر مخطوبة وهم يعملون أملاكها في ذلك اليوم، وكان عند أمها جملة نساء مغنيات. فكلما تطلع أمه أو تنزل يشبب معها الولد. فنادت الجارية وقالت لها: خذي سيدك لاعبيه حتى ينفض المجلس. ثم إن العجوز دليّة لما دخلت راّت الولد على كتف الجارية فقالت لها: أرى شيء عند سيدتك اليوم من الفرح. فقالت: تعمل أملاك بنتها وعندها المغاني. فقالت في نفسها: يا دليّة، ما منصف إلا أخذ هذا الولد من هذه الجارية. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما قالت لنفسها: يا دليّة، ما منصف إلا أخذ هذا الولد من هذه الجارية. قالت بعد ذلك: يا فضيحة الشوم. ثم طلعت من جيبيها برقة صغيرة من الصفر مثل الدينار وكانت الجارية غشيمة. ثم قالت العجوز للجارية: خذي هذا الدينار وادخلي لسيدتك وقولي لها: أم الخير فرحت لك وفضلك عليها ويوم المحضر تجيء هي وبناتها وينعمن على المواشط بالنقوظ. فقالت الجارية: يا أمي، وسيدي هذا كلما ينظر أمه يتعلّق بها. فقالت: هاتيه معي حتى تروحي وتجيئي. فأخذت الجارية البرقة ودخلت. وأما العجوز فإنها أخذت الولد وراحت إلى زقاق فقلّعت الصيغة والثياب التي عليه وقالت لنفسها: يا دليّة، ما شطارة إلا مثل ما لعبت على الجارية وأخذته منها أن تعلمي منصفاً وتجعليه رهناً على شيء بالف دينار. ثم ذهبت إلى سوق الجواهر جارية فرأت يهودياً صائغاً وقد أمه قفص

فلما كانت الليلة
كانت الليلة
704
كانت الليلة

ملاك صبيغة فقالت لنفسها: ما شطارة إلا أن تحتالي على هذا اليهودي وتأخذي منه صبيغة بالف دينار وتحطي الولد رهناً عنده عليها. فنظر اليهودي بعينه فرى الولد مع العجوز فعرفه أنه ابن شاه بندر التجار، وكان اليهودي صاحب مال كثير وكان يحسد جاره إذا باع بيعة ولم يبع هو. فقال لها: أي شيء تطلين يا سيدتي؟ فقالت له: أنت المعلم عذرة اليهودي لأنها كانت سألت عن اسمه. فقال لها: نعم. فقالت له: أخت هذا الولد بنت شاه بندر التجار مخطوبة وفي هذا اليوم عملوا أملاكها وهي محتاجة لصبيغة فأت لنا بزوجين خلاخيل ذهباً وزوج أساور ذهباً وحلق لؤلؤ وحياسة وخنجر وخاتم. فأخذت منه شيئاً بالف دينار وقالت له: أنا آخذ هذا المصاغ على المشاورة، فالذي يعجبهم يأخذونه وآتي إليك بشمته وخذ هذا الولد عندك. فقال: الأمر كما تريد. فأخذت الصبيغة وراحت بيته. فقالت لها بنتها: أي شيء فعلت من المناصف؟ فقالت: لعبت منصفاً فأخذت ابن شاه بندر التجار وأعريته، ثم رحت رهنته على مصالح بالف دينار فأخذتها من يهودي. فقالت لها بنتها: ما بقيت تقدرين أن تمشي في البلد. وأما الجارية فإنها دخلت لسيدتها وقالت: يا سيدتي إن أم الخير تسلم عليك وفرحت لك، ويوم المحضر تجيء هي وبناتها ويعطين النقوط. فقالت لها سيدتها: وأين سيدك؟ فقالت لها: خلتها عندها خوفاً أن يتعلق بك وأعطتني نقوطاً للمغنيات. فقالت لرئيسة المغنيات: خذي نقوطك. فأخذته فوجدته برقة من الصفر. فقالت لها سيدتها: انزلي يا عاهرة انظري سيدك. فنزلت الجارية فلم تجد الولد ولا العجوز، فصرخت وانقلبت على وجهها وتبدل فرحهم بحزن وإذا بشاه بندر التجار أقبل، فحكمت له زوجته جميع ما جرى، فقطع يفتش عليه وصار كل تاجر يفتش من طريق. ولم يزل شاه بندر التجار يفتش حتى رأى ابنه عرياناً على دكان اليهودي. فقال له: هذا ولدي. فقال اليهودي: نعم. فأخذه أبوه ولم يسأل عن ثيابه لشدة فرحه به. وأما اليهودي فإنه لما رأى التاجر أخذ ابنه، تعلق به وقال: الله ينصر فيك الخليفة. فقال له التاجر: ما بالك يا يهودي؟ فقال اليهودي: إن العجوز أخذت مني صبيغة لبنتك بالف دينار ورهنت هذا الولد عندي، وما أعطيتها إلا لأنها تركت هذا الولد عندي رهناً على الذي أخذته، وما ائتمنتها إلا لكوني أعرف أن هذا الولد ولدك. فقال التاجر: إن بنتي لا تحتاج إلى صبيغة، فاحضر لي ثياب الولد. فصرخ اليهودي وقال: أدر كوني يا مسلمون! وإذا بالحمار والصباغ وابن التاجر دائرون يفتشون على العجوز، فسألوا التاجر واليهودي عن سبب خناقهما، فحكيا لهما ما حصل. فقالوا: إن هذه عجوز نصابة ونصبت علينا قبلكما وحكوا لهما جميع ما جرى لهما معها. فقال شاه بندر التجار: لما لقيت ولدي، الثياب فداه. وإن وقعت العجوز طلبت الثياب منها. فتوجه شاه بندر التجار بابنه لأمه ففرحت بسلامته. وأما اليهودي فإنه سأل الثلاثة وقال لهما: أين تذهبون أنتم؟ فقالوا له: إننا نريد أن نفتش عليها. فقال لهما: خذوني معكم. ثم قال لهما: هل فيكم من يعرفها؟ قال الحمار: أنا أعرفها. فقال لهما اليهودي: إن طلعتنا سواء لا يمكن أن نجدها وتهرب منا ولكن كل واحد منا يروح من طريق ويكون اجتماعنا على دكان الحاج مسعود المزين المغربي. فتوجه كل واحد من طريق وإذا هي طلعت لتعمل منصفاً فرأها الحمار فعرفها فتعلق بها وقال لها: ويحك، ألك زمان على هذا الأمر؟ فقالت له: ما خبرك؟ قال لها: حماري هاتيه. فقالت له: أستمر ما ستر الله يا ابني، أنت طالب حمارك وإلا حوائج الناس؟ فقال: طالب حماري فقط. فقالت له: أنا رأيتك فقيراً

وحمارك أودعته لك عند المزين المغربي ، فقف بعيداً حتى أصل إليه وأقول له بلطافة أن يعطيك إياه . وتقدّمت للمغربي وقبلت يده وبكت . فقال لها : ما بالك ؟ فقالت له : يا ولدي ، أنظر ولدي الذي واقف كان ضعيفاً واستهوى فأفسد الهواء عقله وكان يقني الحمير ، فإن قام يقول حماري وإن قعد يقول حماري وإن مشى يقول حماري . فقال لي حكيم من الحكماء : إنه اختل في عقله ولا يطيبه إلا قلع ضرسين ويكوى في اصداغه مرتين . فخذ هذا الدينار وناده وقل له : حمارك عندي . فقال المغربي : صوم العام يلزمني لأعطينه حماره في كفّه . وكان عنده اثنان صنائعية فقال لواحد منهما : رح إحم مسمارين . ثم نادى الحمار والعجوز راحت إلى حال سيبلها . فلما جاءه قال : إن حمارك عندي يا مسكين تعال خذه وحياتي لأعطينك إياه في كفك . ثم أخذه ودخل به في قاعة مظلمة وإذا بالمغربي لكمه فوق ، فسحبوه وربطوا يديه ورجليه وقام المغربي قلع له ضرسين وكواه على صدغيه كيين ثم تركه . فقام وقال : يا مغربي ، لأي شيء عملت معي هذا الأمر ؟ فقال له : إن أمك أخبرتني أنك مختل العقل لأنك هويت وأنت مريض وإن قمت تقول حماري وإن قعدت تقول حماري وإن مشيت تقول حماري ، وهذا حمارك في يدك . فقال له : تلقى من الله بسبب تقليعك أضراسي . فقال له : إن أمك قالت لي : وحكى له جميع ما قالت . فقال : الله ينكّد عليها . وذهب الحمار هو والمغربي يتخاضمان وترك الدكان . فلما رجع المغربي إلى دكانه لم يجد فيها شيئاً . وكانت العجوز حين راح المغربي هو والحمار أخذت جميع ما في دكانه وراحت لبنتها وحكت لها جميع ما وقع لها وما فعلت . وأما المزين فإنه لما رأى دكانه خالية تعلق بالحمار وقال له : أحضر لي أمك ؟ فقال له : ما هي أمي وإنما هي نصابة نصبت على ناس كثير وأخذت حماري . وإذا بالصباغ واليهودي وابن التاجر مقبلون فراوا المغربي متعلقاً بالحمار والحمار مكوباً في اصداغه فقالوا له : ما جرى لك يا حمار فحكى لهم جميع ما جرى وكذلك المغربي حكى قصته . فقالوا له : إن هذه عجوز نصابة نصبت علينا ، وحكوا له ما وقع . فقفل دكانه وراح معهم إلى بيت الوالي وقالوا للوالي : ما نعرف حالنا ومالنا إلا منك . فقال الوالي : وكم عجائز في البلد ؟ هل فيكم من يعرفها ؟ فقال الحمار : أنا أعرفها ولكن أعطنا عشرة من أتباعك . فخرج الحمار باتباع الوالي والباقي ورائهم ورأى الحمار بالجميع وإذا بالعجوز دليمة مقبلة فقبضها هو وأتباع الوالي ، وراحوا بها إلى الوالي فوقفوا تحت شبك القصر حتى يخرج الوالي . ثم إن أتباع الوالي ناموا من كثرة سهرهم مع الوالي فجعلت العجوز نفسها نائمة فنام الحمار ورفقاؤه كذلك ، فانسلت منهم ودخلت إلى حريم الوالي فقبلت يد سيدة الحريم وقالت لها : أين الوالي ؟ فقالت : نائم ، أي شيء تطلين ؟ فقالت : إن زوجي يبيع الرقيق فأعطاني خمسة ممالك أبيعهم وهو مسافر ، فقابلني الوالي ففصلهم مني بألف دينار ومائتين لي وقال لي : أوصليهم إلى البيت . فأنا جئت بهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما طلعت حريم الوالي قالت لزوجته : إن الوالي فصل مني الممالك بألف دينار ومائتي دينار لي وقال لي : أوصليهم البيت . وكان الوالي عنده ألف دينار وقال لزوجته : إحفظيها حتى نشترى بها ممالك . فلما سمعت من العجوز هذا الكلام تحققت من زوجها ذلك فقالت : وأين الممالك ؟ قالت

فلما كانت الليلة
705
كانت الليلة

العجوز : يا سيدتي هم ناثمون تحت شباك القصر الذي أنت فيه . فطلت السيدة من الشباك فرأت المغربي لابساً لبس الممالك وابن التاجر في صورة مملوك والصبّاغ والحمار واليهودي في صورة الممالك الحليق . فقالت زوجة الوالي : هؤلاء كل مملوك أحسن من ألف دينار . ففتحت الصندوق وأعطت العجوز الألف دينار وقالت لها : سيّري حتى يقوم الوالي من النوم وتأخذ لك منه المائتي دينار . فقالت لها : يا سيدتي ، منهم مائة دينار لك تحت القلة الشربات التي شربتها والمائة الأخرى احفظيها لي عندك حتى أحضر . ثم قالت : يا سيدتي ، أطلعيني من باب السرّ . فطلعتها منه وستر عليها الستار وراحت لبنتها . فقالت لها : يا أمي ما فعلت ؟ فقالت : يا بنتي لعبت منصفاً وأخذت هذا الألف دينار من زوجة الوالي وبعث الخمسة لها : الحمار واليهودي والصبّاغ والمزين وابن التاجر وجعلتهم ممالك . ولكن يا بنتي ما عليّ أضرّ من الحمار فإنه يعرفني . فقالت لها : يا أمي أقعدي يكفي ما فعلت ، فما كل مرة تسلم الجرّة . وأما الوالي فإنه لما قام من النوم قالت له زوجته : فرحت لك بالخمسة ممالك الذين اشتريتهم من العجوزة . فقال لها : أي ممالك ؟ فقالت له : لأي شيء تنكر مني ؟ إن شاء الله يصيرون مثلك أصحاب مناصب . فقال لها : وحياتك رأسي ما اشتريت ممالك ، من قال ذلك ؟ فقالت : العجوز دليّة التي فصلتهم منها وواعتدها أنك تعطيتها حقهم ألف دينار ومائتين لها . فقال لها : هل أعطيتها المال ؟ قالت له : نعم وأنا رأيت الممالك بعيني كل واحد عليه بدلة تساوي الألف دينار ، وأرسلت وصيت عليهم المقدّمين فنزل الوالي فرأى اليهودي والحمار والمغربي والصبّاغ وابن التاجر . فقال : يا مقدّمين أين الخمسة ممالك الذين اشتريناهم من العجوز بألف دينار ؟ فقالوا : ما هناك ممالك ولا رأينا إلا هؤلاء الخمسة الذين أمسكوا العجوز وقبضوا عليها ، فنمنا كلنا . ثم إنها انسلت ودخلت الحريم وأتت الجارية تقول : هل الخمسة الذين جاءت بهم العجوز عندكم ؟ فقلنا : نعم . فقال الوالي : والله إن هذا أكبر منصف . والخمسة يقولون : ما نعرف حوائجنا إلا منك . فقال لهم : إن العجوز صاحبتمكم باعتكم لي بألف دينار . فقالوا : ما يحلّ من الله ، نحن أحرار لا نباع ونحن وإياك للخليفة . فقال لهم : ما عرف العجوز طريق البيت إلا أنتم ، ولكن أنا أبيعكم للغراب كل واحد بمائتي دينار . فبينما هم كذلك وإذا بالأمير حسن شرفان الطريق جاء من سفره ورأى زوجته عريانة وحكت له جميع ما جرى لها . فقال : أنا ما خصمي إلا الوالي . فدخل عليه وقال له : هل أنت تأذن للعجوز أن تدور في البلد وتنصب على الناس وتأخذ أموالهم ؟ هذا عهدتك ولا أعرف حوايج زوجتي إلا منك . ثم قال للخمسة : ما خبركم ؟ فحكوا له جميع ما جرى . فقال لهم : أنتم مظلومون . والتفت للوالي وقال له : لأي شيء تسجنهم ؟ فقال له : ما عرف العجوز طريق بيتي إلا هؤلاء الخمسة حتى أخذت مالي الألف دينار وبعثتهم للحريم . فقالوا : يا أمير حسن ، أنت وكيلنا في هذه الدعوة . ثم إن الوالي قال للأمير حسن : حوايج امرأتك عندي وضمان العجوز عليّ ولكن من يعرفها منكم ؟ فقالوا كلهم : نحن نعرفها ، أرسل معنا عشرة مقدّمين ونحن نمسكها . فاعطاهم عشرة مقدّمين فقال لهم الحمار : إتبعوني فإني أعرفها بعينون زرق . وإذا بالعجوز دليّة مقبلة من زقاق وإذا بهم قبضوها وساروا بها إلى بيت الوالي . فلما رآها الوالي قال : أين حوايج الناس ؟ فقالت : لا أخذت ولا رأيت . فقال للسجان : إحبسها عندك للغد . قال السجان : أنا لا آخذها ولا أسجنها مخافة أن تعمل منصفاً وأصير أنا ملزماً بها . فركب الوالي

وأخذ العجوز والجماعة وخرج بهم إلى شاطئ دجلة ونادى للمشاعلي وأمره بصلبها من شعرها . فسحبها المشاعلي في البكر واستحفظ عليها عشرة من الناس وتوجه الوالي لبيته إلى أن أقبل الظلام ، غلب النوم على المحافظين . وإذا برجل يدوي سمع رجلاً يقول لرفيقه : الحمد لله على السلامة ، أين هذه الغيبة ؟ فقال له : في بغداد ، وتغديت زلابية بعسل . فقال البدوي : لا بد من دخولي بغداد وأكل فيها زلابية بعسل وكان عمره ما رآها ولا دخل بغداد . فركب حصانه وسار وهو يقول لنفسه : الزلابية كلها زين ، وذمة العرب ما أكل إلا زلابية بعسل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 706

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البدوي لما ركب حصانه وأراد دخول بغداد ، سار وهو يقول لنفسه : أكل الزلابية زين ، وذمة العرب أنا لا أكل إلا زلابية بعسل إلى أن وصل عند مصلب دليمة . فسمعتة وهو يقول لنفسه هذا الكلام فأقبل عليها وقال لها : أي شيء أنت ؟ فقالت له : أنا في جيرتكم يا شيخ العرب . فقال لها : إن الله قد أجارك ، ولكن ما سبب صلبك ؟ فقالت له : لي عدو زيات يقلي الزلابية فوفقت أشتري منه شيئاً فبزقت فوقعت بزقتي على الزلابية فاشتكاني للحاكم فامر الحاكم بصلبي وقال : حكمت أنكم تأخذون لها عشرة أرطال زلابية بعسل وتطعمونها إياها وهي مصلوبة ، فإن أكلتها فحلّوها وإن لم تأكلها فحلّوها مصلوبة ، وأنا نفسي ما تقبل الحلو . فقال البدوي : وذمة العرب ما جئت من النجع إلا لأجل أكل الزلابية بالعسل وأنا أكلها عوضاً عنك . فقالت له : هذه ما يأكلها إلا الذي يتعلّق موضعي . فانطبقت عليه الحيلة فحلّوها وربطته موضعها بعدما قلّعت الثياب التي كانت عليه ثم إنها لبست ثيابه وتعمّمت بعمامته وركبت حصانه وراحت لبيتها . فقالت لها بنتها : ما هذا الحال ؟ فقالت لها : صلبوني . وحكت لها ما وقع لها مع البدوي . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر المحافظين فإنه لما صحوا واحد منهم نبه جماعته ، رأوا النهار قد طلع فرفع واحد منهم عينه وقال : دليمة . فأجابه البدوي وقال : والله ما نأكل بليمة ، هل أحضرتم الزلابية بالعسل ؟ فقالوا : هذا رجل بدوي . فقالوا له : يا بدوي ، أين دليمة ؟ ومن فكها ؟ فقال : أنا فككتها ما تأكل الزلابية بالعسل غضباً لأن نفسها لم تقبلها . فعرفوا أن البدوي جاهل بحالها فلعبت عليه منصفاً . وقالوا لبعضهم : هل نهرب أو نستمر حتى نستوفي ما كتبه الله علينا ؟ وإذا بالوالي مقبل ومعه الجماعة الذين نصبت عليهم فقال الوالي للمقدّمين : قوموا فكوا دليمة . فقال البدوي : ما نأكل بليمة ، هل أحضرتم الزلابية بالعسل . فرفع الوالي عينه إلى المصلب فرأى بدويّاً بدل العجوز فقال للمقدّمين : ما هذا ؟ فقالوا : الأمان يا سيدي . فقال لهم : إحكوا لي ما جرى . فقالوا : نحن كنّا سهرنا معك في العسس وقلنا : دليمة مصلوبة ونعسنا ، فلما صحونا رأينا هذا البدوي مصلوباً ونحن بين يديك . فقال : يا ناس ، هذه نصّابة وأمان الله عليكم فحلّوها البدوي . فتعلّق البدوي بالوالي وقال : الله ينصر فيك الخليفة أنا ما أعرف حصاني وثيابي إلا منك . فسأله الوالي ، فحكى له البدوي قصّته . فتعجب الوالي وقال له : لأي شيء حللتها ؟ فقال له : ما عندي خبر إنها نصّابة . فقال الجماعة : نحن ما نعرف حوايجنا إلا منك يا والي ، فإننا سلّمناها إليك وصارت في عهدتك ونحن وإياك إلى ديوان الخليفة . فكان حسن شر الطريق طلع الديوان وإذا بالوالي

والبدوي والخمسة مقبلون وهم يقولون : إننا مظلومون . فقال الخليفة : من ظلمكم ؟ فتقدم كل واحد منهم وحكى له ما جرى عليه حتى الوالي قال : يا أمير المؤمنين ، إنها نصبت عليّ وباعت لي هؤلاء الخمسة بالف دينار مع أنهم أحرار . فقال الخليفة جميع ما عدم لكم عندي . وقال للوالي : الزمتك بالعجوز . فنفض الوالي طوقه وقال : لا التزم بذلك بعدما علقتها في المصلب فلعبت على هذا البدوي حتى خلصها وعلّفته في موضعها وأخذت حصانه وثيابه . فقال الخليفة : هل ألزم بها من غيرك ؟ فقال له : إلزم بها أحمد الدنف فإن له في كل شهر ألف دينار ، ولأحمد الدنف من الأتباع واحد وأربعون ، لكل واحد في كل شهر مائة دينار . فقال الخليفة : يا مقدم أحمد . قال له : لبيك يا أمير المؤمنين . قال له : الزمتك بحضور العجوز . فقال : ضمانها عليّ . ثم إن الخليفة حجز الخمسة والبدوي عنده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت ليلة 707

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة لما ألزم أحمد الدنف بإحضار العجوز قال له : ضمانها عليّ يا أمير المؤمنين . ثم نزل هو واتباعه إلى القاعة فقالوا لبعضهم : كيف يكون قبضنا إياها ؟ وكم عجائز في البلد ؟ فقال واحد منهم يقال له علي كتف الجمل لأحمد الدنف : على أي شيء تشاورون حسن شومان ؟ وهل حسن شومان أمر عظيم ؟ فقال حسن : يا علي ، كيف تستقلّني ؟ والإسم الأعظم لم أرافقكم في هذه المرة وقام غضبان . فقال أحمد الدنف : يا شباب ، كل قيم يأخذ عشرة ويتوجه بهم إلى حارة ليفتشوا على ديلة . فذهب علي كتف الجمل بعشرة وكذلك كل قيم وتوجه كل جماعة إلى حارة وقالوا قبل توجيههم وافتراقهم : يكون اجتماعنا في الحارة الفلانية في الزقاق الفلاني . فشاع في البلدان : أحمد الدنف التزم بالقبض على ديلة المحتالة . فقالت زينب : يا أمي ، إن كنت شاطرة تلعب علي أحمد الدنف وجماعته . فقالت : يا بنتي ، أنا ما أخاف إلا من حسن شومان . فقالت البنت : وحية مقصوصي لأخذن لك ثياب الواحد وأربعين . ثم قامت ولبست بدلة وتبرقت وأقبلت على واحد عطّار له قاعة بباين فسلمت عليه وأعطته ديناراً وقالت له : خذ هذا الدينار حلوان قاعتك وأعطنيها إلى آخر النهار . فأعطها المفاتيح وراحت أخذت فرشاً على حمار الحمار وفرشت القاعة وحطّت في كل ليوان سفرة طعام ومدام ووقفت على الباب مكشوفة الوجه وإدا بعلي كتف الجمل وجماعته مقبلون ، فقبّلت يده فرأها صبية مليحة فحبّتها فقال لها : أي شيء تطلين ؟ فقالت : هل أنت المقدم أحمد الدنف ؟ فقال : لا ، بل أنا من جماعته واسمي علي كتف الجمل . فقالت لهم : أين تذهبون ؟ فقال : نحن دائرون نفتش على عجوز نصابة أخذت أرزاق الناس ومرادنا أن نقبض عليها . ولكن من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقالت : إن أبي كان خمّاراً في الموصل فمات وخلّف لي مالاً كثيراً فجئت هذا البلد خوفاً من الحكام وسألت الناس من يحمني ؟ فقالوا لي : ما يحميك إلا أحمد الدنف . فقال لها جماعته : اليوم تحتمين به . فقالت لهم : أقصدوا جبر خاطري بلقيمة وشربة ماء . فلما أجابوها ادخلتهم فأكلوا وسكروا وحطّت لهم البنج فبنّجتهم وقبّعتهم حوايجهم ومثل ما عملت فيهم عملت في الباقي . فدار أحمد الدنف يفتش على ديلة فلم يجدها ولم ير من أتباعه أحداً إلى أن أقبل على الصبية ، فقبّلت يده فرأها فحبّتها . فقالت له : أنت المقدم أحمد الدنف ؟ فقال لها : نعم . ومن أنت ؟ قالت : غريبة

من الموصل وأبي كان خماراً ومات وخلف لي مالاً كثيراً وجئت به إلى هنا خوفاً من الحكام ،
فتحت هذه الخمارة فجعل الوالي عليّ قانوناً . ومرادي أن أكون في حمايتك والذي يأخذه
الوالي أنت أولى به . فقال أحمد الدنف : لا تعطيه شيئاً ومرحباً بك . فقالت له : أقصد جبر
خاطري وكُل طعامي . فدخل وأكل وشرب مداماً فانقلب من السكر ، فبتجته وأخذت ثيابه
وحملت الجميع على فرس البلوي وحمّار الحمّار وأيقظت عليّاً كتف الجمل وراحت . فلما
أفاق رأى نفسه عريان ورأى أحمد الدنف والجماعة مبنجين فأيقظهم بضد البنج . فلما أفاقوا
رأوا أنفسهم عرايا . فقال أحمد الدنف : ما هذا الحال يا شباب ؟ نحن دائرون نفتش عليها
لنصطادها فاصطادتنا هذه العاهرة ، يا فرحة حسن شومان فينا . ولكن نصبر حتى تدخل العتمة
ونروح . وكان حسن شومان قال للنتيب : أين الجماعة ؟ فينما هو يسأله عنهم وإذا بهم قد
أقبلوا وهم عرايا . فأنشد حسن شومان هذين البيتين : [من الكامل]

وَالنَّاسُ مُشْتَبِهُونَ فِي إِيرَادِهِمْ وَتَبَايُنُ الْأَقْوَامِ فِي الْإِصْدَارِ
وَمِنَ الرَّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ وَمِنَ النُّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي

فلما رأهم قال لهم : من لعب عليكم وعراكم ؟ فقالوا : تعهدنا بعجوز نفتش عليها ولا عرانا
إلا صبية مليحة . فقال حسن شومان : نعم ما فعلت بكم . فقالوا : هل أنت تعرفها يا حسن ؟
فقال : أعرفها أعرف العجوز . فقالوا له : أي شيء تقول عند الخليفة ؟ فقال شومان : يا دنف ،
انفض طوقك قدماه فيقول الخليفة : من يتعهد بها ؟ فإن قال لك : لاي شيء ما قبضت عليها ؟
فقل : أنا ما أعرفها والزم بها حسن شومان . فإن الزمني بها فانا أقبضها وياتوا . فلما أصبحوا
طلعوا إلى ديوان الخليفة فقبلوا الأرض . فقال الخليفة : أين العجوز يا مقدم أحمد ؟ فنفض طوقه
فقال له : لاي شيء ؟ فقال : أنا ما أعرفها والزم بها شومان فإنه يعرفها هي وبنتها . وقال : إنها ما
عملت هذه الملاعب طمعاً في حوايج الناس ولكن لبيان شطارتها وشطارة بنتها لأجل أن ترتب
لها راتب زوجها ولبنتها مثل راتب أبيها . فشفع فيها شومان من القتل وهو يأتي بها . فقال
الخليفة : وحية أجدادي إن أعادت حوايج الناس عليها الأمان وهي في شفاعته . فقال شومان :
أعطني الأمان يا أمير المؤمنين . فقال له : هي في شفاعتك . واعطاه منديل الأمان . فنزل شومان
وراح إلى بيت دليلة فصاح عليها ، فجوابته بنتها زينب . فقال لها : أين أمك ؟ فقالت : فوق .
فقال لها : قولي لها تحييء بحوايج الناس وتذهب معي لتقابل الخليفة وقد جئت لها بمنديل
الأمان ، فإن كانت لا تحييء بالمعروف لا تلوم إلا نفسها . فنزلت دليلة وعلقت المحرمة في رقبته
وأعطته حوايج الناس على حمّار الحمّار وفرس البلوي . فقال لها شومان : بقي ثياب كبيرتي
وثياب جماعته . فقالت : والإسم الأعظم إني ما عريتهم . فقال : صدقت . ولكن هذا منصف
بنتك زينب وهذه جميلة عملتها معك . وسار وهي معه إلى ديوان الخليفة فتقدّم حسن وعرض
حوايج الناس على الخليفة وقدم دليلة بين يديه ، فلما رآها أمر برميها في بقعة الدم . فقالت : أنا في
جيرتك يا شومان . فقام شومان وقبل أيادي الخليفة وقال له : العفو ، أنت أعطيتها الأمان . فقال
الخليفة : وهي في كرامتك ، تعالي يا عجوز ما اسمك ؟ فقالت : إسمي دليلة . فقال : ما أنت إلا
حيالة ومحتملة فلقبت بدليلة المحتالة . ثم قال لها : لاي شيء عملت هذه المناصف وأتعبت قلوبنا ؟

فقلت : أنا ما فعلت هذه المناصف بقصد الطمع . في متاع الناس ولكن سمعت بمناصف أحمد الدنف التي لعبها في بغداد ومناصف حسن شومان فقلت : أنا الأخرى أعمل مثلهما ، وقد رددت حوايج الناس إليهم . فقام الحمّار وقال : شرع الله بيني وبينها فإنها ما كفاها أخذ حماري حتى سلّطت عليّ المزين المغربي فقلع أضراسي وكواني في أصداعي كيين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الحمّار لما قام وقال : شرع الله بيني وبينها ، ما كفاها أخذ حماري حتى سلّطت عليّ المزين فقلع أضراسي وكواني في أصداعي كيين . أمر الخليفة للحمّار بمائة دينار وللصباغ بمائة دينار وقال : إنزل عمّر مصبغتك . فدعوا للخليفة ونزلا . وأخذ البلوي حوايجه وحصانه وقال : حرام عليّ دخول بغداد وأكل الزلاية بالعسل . وكل من كان له شيء أخذه وانفضوا كلهم . وقال الخليفة : تمّني عليّ يا دليّة . فقلت : إن أبي كان عندك حاكم البطاقة وأنا ربيت حمام الرسائل وزوجي كان مقدم بغداد ومرادي استحقاق زوجي ومراد بنتي استحقاق أبيها . فرسم لهما الخليفة بما أرادتاه . ثم قالت له : أتمني عليك أن أكون بوابة الخان . وكان الخليفة قد عمل خاناً بثلاثة أدوار ليسكن فيه التجار وكان متدرّكاً بالخان أربعون عبداً وأربعون كلباً ، وكان الخليفة جاء بهم من ملك السلیمانية حين عزله وعمل للكلاب أطواقاً . وكان في الخان عبد طبّاح يطبخ الطعام للعبيد ويطعم الكلاب اللحم . فقال الخليفة : يا دليّة ، أكتب عليك درك الخان وإن ضاع منه شيء تكوني مطالبة به . فقلت : نعم . ولكن أسكن بنتي في القصر الذي على باب الخان فإن القصر له سطوح ولا يصح تربية الحمام إلا في الوسع . فأمر لها بذلك . وحوّكت بنتها جميع حوايجها في القصر الذي على باب الخان وتسلمت الأربعين طيراً التي تحمل الرسائل . وأما زينب فإنها علفت الأربعين بدلة وبدلة أحمد الدنف عندها في القصر ، وكان الخليفة جعل دليّة المحتالة رئيسة على الأربعين عبداً وأوصاهم بإطاعتها وجعلت محل قعودها خلف باب الخان وصارت كل يوم تطلع الديوان لربما يحتاج الخليفة إلى إرسال بطاقة للبلاد ، فلم تنزل من الديوان إلا آخر النهار والأربعون عبداً واقفون يحرسون الخان ، فإذا دخل الليل تطلق الكلاب لأجل أن تحرس الخان بالليل . هذا ما جرى لدليّة المحتالة في مدينة بغداد .

حكاية عليّ الزبيق المصري

وأما ما كان من أمر عليّ الزبيق المصري فإنه كان شاطراً بمصر في زمن رجل يسمّى صلاح المصري مقدم ديوان مصر ، وكان له أربعون تابعاً . وكان أتباع صلاح المصري يعملون مكائد للشاطر عليّ ويظنون أنه يقع فيها فيفتشون عليه فيجدونه قد هرب كما يهرب الزبيق ، فمن أجل ذلك لقبوه بالزبيق المصري . ثم إن الشاطر عليّ كان جالساً يوماً من الأيام في قاعة بين أتباعه فانقبض قلبه وضاق صدره فرأه نقيب القاعة قاعداً عابس الوجه فقال له : ما لك يا كبير؟ إن ضاق صدرك فشقّ شقة في مصر فإنه يزول عنك الهم إذا مشيت في أسواقها . فقام وخرج ليشتق في مصر فزاد غمّاً وهمّاً . فمرّ على خمارة فقال لنفسه : أدخل وأسكر . فدخل فرأى في الخمارة سبعة صفوف من الخلق . فقال : يا خمّار ، أنا ما أقعد إلا وحدي . فأجلسه الخمّار في طبقة وحده

واحضر له المدام فشرب حتى غاب عن الوجود ثم طلع من الخمارة وسار في مصر . ولم يزل سائراً في شوارعها حتى وصل إلى الدرب الأحمر وخلت الطريق قدامه من الناس هيبة له ، فالتفت فرأى رجلاً سقاءً يسقي بالكوز ويقول في الطريق : يا معوض ، ما شراب إلا من زبيب ولا وصال إلا من حبيب ولا يجلس في الصدر إلا لبيب . فقال له : تعال اسقني . فنظر إليه السقاء وأعطاه الكوز ، فظل في الكوز وخضه وكبه على الأرض . فقال له السقاء : فقال له : اسقني . فملاه فأخذه وخضه وكبه في الأرض ، وثالث مرة كذلك . فقال له : إن كنت ما تشرب روح . فقال له : اسقني . فملاً الكوز وأعطاه إياه فأخذه منه وشرب ثم أعطاه ديناراً . وإذا بالسقاء نظر إليه واستقل به وقال له : أنعم بك ، أنعم بك يا غلام ، صغار قوم كبار قوم آخرين . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 709
قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاطر علي لما أعطى السقاء ديناراً ، نظر إليه واستقل به وقال له : أنعم بك ، أنعم بك ، صغار قوم كبار قوم آخرين . فنهض الشاطر علي وقبض على جلايب السقاء وسحب عليه خنجراً مثنياً . كما قيل فيه هذين البيتين :
[من الكامل]

إِضْرِبْ بِخَنْجَرِكَ الْعَيْدَ وَلَا تَخَفْ أَحَدًا سِوَى مَنْ سَطَوَةَ الْخَلْقِ
وَتَجَنَّبِ الْخُلُقَ الدَّمِيمَ وَلَا تَكُنْ أَبَدًا بِغَيْرِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

فقال له : يا شيخ كلمني بمعقول ، فإن قربتك إن غلا ثمنها يبلغ ثلاثة دراهم والكوزان اللذان دلقتهما على الأرض مقدار رطل من الماء . قال له : نعم . قال له : فانا اعطيتك ديناراً من الذهب ، ولاي شيء تستقل بي ؟ فهل رأيت أحداً أشجع مني أو أكرم مني ؟ فقال له : رأيت أشجع منك وأكرم منك فإنه ما دامت النساء تلد ، ما على الدنيا شجاع ولا كريم . فقال له : من الذي رأيت أشجع مني وأكرم مني ؟ فقال له : أعلم أن لي واقعة من العجب . وذلك إن أبي كان شيخ السقايين بالشربة في مصر ، فمات وخلف لي خمسة جمال وبغلاً ودكاناً وبيتاً ولكن الفقير لا يستغني وإذا استغنى مات . فقلت في نفسي : أنا أطلع الحجاز . فأخذت قطار جمال ومازلت أقترض حتى صار علي خمسمائة دينار وضاع مني جميع ذلك في الحج . فقلت في نفسي : إن رجعت إلى مصر تحبسني الناس على أموالهم . فتوجهت مع الحج الشامي حتى وصلت إلى حلب وتوجهت من حلب إلى بغداد ، ثم سألت عن شيخ السقايين ببغداد فدلوني عليه . فدخلت وقرأت له الفاتحة ، فسألني عن حالي . فحكيت له جميع ما جرى لي . فأخلى لي دكاناً وأعطاني قربة وعدة وسرحت على باب الله وطفقت في البلد ، فأعطيت واحداً الكوز ليشرب فقال لي : لم أكل شيئاً حتى أشرب عليه لأنه عزمي بخيل في هذا اليوم وجاءني بقلتين بين يديه . فقلت له : يا ابن الخسيس ، هل أطعمتني شيئاً حتى تسقيني عليه ؟ فرح يا سقاء حتى أكل شيئاً وبعد ذلك اسقني . فجتت للثاني فقال : الله يرزقك . فصرت على هذا الحال إلى وقت الظهر ولم يعطني أحد شيئاً . فقلت : يا ليتني ما جئت إلى بغداد . وإذا أنا بناس يسرعون في الجري فتبعتهم ، فرأيت موكباً عظيماً منجراً اثنين اثنين وكلهم بالطوق والشدود والبرانس واللبد والبولاد . فقلت لواحد :

هذا موكب من ؟ فقال : موكب المقدم أحمد الدنف . فقلت له : أي شيء رتبته ؟ فقال : مقدم الديوان ومقدم بغداد وعليه درك البرّ وله على الخليفة في كل شهر ألف دينار ولكل واحد من أتباعه مائة مائة دينار ، حسن شومان له مثله ألف دينار وهم نازلون من الديوان إلى قاعتهم . وإذا بأحمد الدنف رأني فقال : تعال اسقني . فمالت الكوز وأعطيته إياه ، فحضّه وكبّه وثاني مرة كذلك ، وثالث مرة شرب رشفة مثلك وقال لي : يا سقاء ، من أين أنت ؟ فقلت له : من مصر . فقال : حي الله مصر وأهلها ، وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة ؟ فحكيت له قصتي وأفهمته أنني مديون وهربان من الدين والعيلة . فقال : مرحباً بك . ثم أعطاني خمسة دنانير وقال لاتباعه : اقصدا ووجه الله واحسنوا إليه . فأعطاني كل واحد ديناراً وقال لي : يا شيخ ، ما دمت في بغداد لك علينا ذلك كلما أسقيتنا . فصرت أتردد عليهم وصار يأتي الخير من الناس . ثم بعد أيام أحصيت الذي اكتسبته منهم فوجدته ألف دينار فقلت في نفسي : صار رواحك إلى البلاد أصوب . فرحت له القاعة وقبّلت يديه . فقال : أي شيء تطلب ؟ فقلت له : أريد السفر . وأنشدته هذين البيتين : [من الوافر]

إقاماتُ الغريبِ بكلِّ أرضٍ كَبْنِيانِ القُصُورِ عَلَى الرِّيحِ
هَبُوبُ الرِّيحِ يَهْدُمُ ما بَنَاهُ لَقَدْ عَزَمَ الغَرِيبُ عَلَى الرِّواحِ

وقلت له : إن القافلة متوجهة إلى مصر ومرادي أن أروح إلى عيالي . فأعطاني بغلة ومائة دينار وقال : غرضنا أن نرسل معك أمانة يا شيخ فهل أبت تعرف أهل مصر ؟ فقلت له : نعم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 710
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السقاء لما قال : إن أحمد الدنف أعطاني بغلة ومائة دينار وقال : غرضنا أن نرسل معك أمانة فهل أنت تعرف أهل مصر ؟ قال السقاء : فقلت له نعم . فقال : خذ هذا الكتاب وأوصله إلى علي الزبيق المصري وقل له : كبيرك يسلم عليك وهو الآن عند الخليفة . فأخذت منه الكتاب وسافرت حتى دخلت مصر فرأني أرباب الديون فأعطيهم الذي عليّ ، ثم عملت سقاء ولم أوصل الكتاب لاني لم أعرف قاعة علي الزبيق المصري . فقال له : يا شيخ طب نفساً وقرّ عيناً ، فأنا علي الزبيق المصري أول صبيان المقدم أحمد الدنف . فهات الكتاب فأعطاه إياه . فلما فتحه وقرأه رأى فيه هذين البيتين : [من الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكَ يا زَيْنَ المِلاحِ عَلَى وَرَقٍ يَسِيرٌ مَعَ الرِّيحِ
وَلَوْ أَنِّي أَطِيرُ لَطَرْتُ شَوْقاً وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الجَنَاحِ ؟

وبعد ، فالسلام من المقدم أحمد الدنف إلى أكبر أولاده علي الزبيق المصري ، والذي نعلمك به أنني تقصدت صلاح الدين المصري ولعبت معه مناصف حتى دفنته بالحياة وأطاعتني صبيانه ومن جملتهم علي كتف الجمل وتوليت مقدم مدينة بغداد في ديوان الخليفة ومكتوب علي درك البر ، فإن كنت تراعي العهد الذي بيني وبينك فانت عندي لعلك تلعب منصفاً في بغداد يقربك

من خدمة الخليفة فيكتب لك جامكية وجراية ويعمر لك قاعة هذا هو المرام والسلام . فلما قرأ الكتاب قبله وحطه على رأسه وأعطى السقاء عشرة دنائير بشارة ثم توجه إلى القاعة ودخل على صبيانه وأعلمهم بالخبر وقال لهم : أوصيكم ببعضكم . ثم قلع ما كان عليه ولبس مشلحاً وطربوشاً وأخذ عليه فيها مزراق من عود القناطوله أربعة وعشرون ذراعاً وهو معشوق في بعضه . فقال له النقيب : أتستأفر والمخزن قد فرغ ؟ فقال له : إذا وصلت إلى الشام أرسل إليكم ما يكفيكم وسار إلى حال سبيله . فلحق ركباً مسافراً فرأى فيه شاه بندر التجار ومعه أربعون تاجراً قد حملوا حمولهم وحمول شاه بندر التجار على الأرض ورأى مقدمه رجلاً شامياً وهو يقول للبالغين : واحد منكم يساعدني . فسبوه وشتموه . فقال علي في نفسه : لا يحسن سفري إلا مع هذا المقدم . وكان علي أمرد مليحاً فتقدم إليه وسلم عليه فرحب به وقال له : أي شيء تطلب ؟ فقال له : يا عمي ، رأيتك وحيداً وحمولتك أربعون بغلاً ولأي شيء ما جئت لك بناس يساعدونك ؟ فقال : يا ولدي ، قد اكرتيت ولدين وكسيتهما ووضعتهما لكل واحد في جيبه مائتي دينار فساعداني إلى الخانكة وهربا . فقال له : وإلى أين تذهبون ؟ قال : إلى حلب . فقال له : أنا أساعدك . فحملوا الحمول وساروا وركب شاه بندر التجار بغلته وسار . ففرح المقدم الشامي بعلي وعشقه إلى أن أقبل الليل ، فنزلوا وأكلوا وشربوا فجاء وقت النوم ، فحط على جنبه على الأرض وجعل نفسه نائماً ، فنام المقدم قريباً منه . فقام علي من مكانه وقعد على باب صيوان التاجر فانقلب المقدم وأراد أن يأخذ علي في حضنه فلم يجده فقال في نفسه : لعله واعد واحداً فأخذه ولكن أنا أولى وفي غير هذه الليلة أحجزه . وأما علي فإنه لم يزل على باب صيوان التاجر إلى أن قرب الفجر فجاء ورقد عند المقدم . فلما استيقظ المقدم وجده فقال في نفسه : إن قلت له أين كنت يتركني ويروح ، ولم يزل يخادعه إلى أن أقبلوا على مغارة فيها غابة . وفي تلك الغابة سبع كاسر وكلما تمر قافلة يعملون القرعة بينهم ، فكل من خرجت عليه القرعة يرمونه إلى السبع . فعملوا القرعة فلم تخرج إلا على شاه بندر التجار وإذا بالسبع قطع عليهم الطريق ينتظر الذي يأخذه من القافلة ، فصار شاه بندر التجار في كرب شديد وقال للمقدم : الله يخيب كعبك وسفرتك ، ولكن وصيتك بعد موتي أن تعطي أولادي حمولي . فقال الشاطر علي : ما سبب هذه الحكاية ؟ فأخبروه بالقصة . فقال : ولأي شيء تهربون من قط البر ؟ فانا التزم لكم بقتله . فراح المقدم إلى التاجر وأخبره فقال : إن قتله أعطيته ألف دينار . وقال بقية : التجار ونحن كذلك نعطيه . فقام علي وخلع المشلح فبان عليه عدة من بولاد ، فأخذ شريط بولاد وفرك لولبه وانفرد قدام السبع وصرخ عليه ، فهجم عليه السبع فضربه علي المصري بالسيف بين عينيه فقسمه نصفين ، والمقدم والتاجر ينظرونه وقال للمقدم : لا تخف يا عمي . فقال له : يا ولدي ، أنا بقيت صيبك . فقام التاجر واحتضنه وقبله بين عينيه وأعطاه الألف دينار ، وكل تاجر أعطاه عشرين ديناراً . فحط جميع المال عند التاجر وباتوا وصبحوا عامدين إلى بغداد فوصلوا إلى غابة الآساد ووادي الكلاب وإذا فيه رجل بلدي عاص قاطع الطريق ومعه قبيلة ، فطلع عليهم فولت الناس من بين أيديهم . فقال التاجر : ضاع مالي . وإذا بعلي أقبل عليهم وهو لابس جلدأ ملآن جلاجل واطلع المزراق وركب عقله في بعضها واختلس حصاناً من خيل البدوي وركبه وقال للبلدي : بارزني بالرمح أ وهز الجلاجل فجفلت فرس البلدي من الجلاجل وضرب مزراق البلدي فكسره وضربه على

رقبته فرمى دماغه . فنظره قومه فانطبقوا على علي فقال : الله اكبر . وماك عليهم فهزمهم وولّوا هاربين . ثم رفع دماغ البدوي على رمح وانعم عليه التجار وسافروا حتى وصلوا إلى بغداد ، فطلب الشاطر علي المال من التاجر فاعطاه اياه . فسلمه إلى المقدم وقال له : لما تروح مصر إسأل عن قاعتي واعط المال لنقيب القاعة . ثم بات علي وأصبح دخل المدينة وشقّ فيها وسأل عن قاعة أحمد الدنف فلم يدله أحد عليها . ثم تمشّى حتى وصل إلى ساحة النفض فرأى أولاداً يلعبون وفيهم ولد يسمّى أحمد اللقيط . فقال علي : لا تأخذ أخبارهم إلا من صغارهم . فالتفت علي فرأى حلوانياً فاشترى منه حللوة وصاح على الأولاد وإذا بأحمد اللقيط طرد الأولاد عنه ثم تقدّم هو وقال لعلي : أي شيء تطلب ؟ فقال له : أنا كان معي ولد ومات فرايته في المنام يطلب حللوة فاشتريتها فأريد أن اعطي لكل ولد قطعة ، واعطى أحمد اللقيط قطعة فنظرها فرأى فيها ديناراً لاصقاً بها فقال له : رح أنا ما عندي فاحشة وأسأل عني . فقال له : يا ولدي ، ما يأخذ الكرى إلا شاطر ولا يحط الكرى إلا شاطر ، أنا درت في البلد أفتش على قاعة أحمد الدنف فلم يدلني عليها أحد ، وهذا الدينار كراك وتدلني على قاعة أحمد الدنف . فقال له : أنا أروح اجري قدامك وأنت تجري ورائي إلى أن أقبل على القاعة فأخذ في رجلي حصوة فأرميها على الباب فتعرفها . فجري الولد وجري علي وراه إلى أن اخذ الحصوة برجله ورامها على باب القاعة فعرفها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت الليلة 711 كانت الليلة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أحمد اللقيط لما جرى قدّام الشاطر علي وأراه القاعة وعرفها قبض على الولد وأراد أن يخلص منه الدينار فلم يقدر فقال له : رح تستاهل الإكرام لأنك ذكي كامل العقل والشجاعة وإن شاء الله إن عملت مقدماً عند الخليفة أجعلك من صبياني . فراح الولد . وأما علي الزبيق المصري فإنه أقبل على القاعة وطرق الباب فقال أحمد الدنف : يا نقيب إفتح الباب هذه طرقة علي الزبيق المصري . ففتح له الباب ودخل على أحمد الدنف وسلّم عليه وقابله بالعناق وسلّم عليه الأربعون . ثم إن أحمد الدنف ألبسه حلّة وقال له : إني لما ولاني الخليفة مقدماً عنده كسا صبياني فأبقيت لك هذه الحلّة . ثم اجلسوه في صدر المجلس بينهم وأحضروا الطعام فأكلوا والشراب فشرّبوا وسكروا إلى الصباح . ثم قال أحمد الدنف لعلي المصري : إياك أن تشق في بغداد بل استمر جالساً في هذه القاعة . فقال له : لأي شيء ؟ فهل جئت لأنجس ؟ أنا ما جئت إلا لأجل أن أتفرج . فقال له : يا ولدي ، لا تحسب أن بغداد مثل مصر ، هذه بغداد محل الخلافه وفيها شطار كثير وتبت فيها الشطارة كما ينبت البقل في الأرض . فأقام علي في القاعة ثلاثة أيام . فقال أحمد الدنف لعلي المصري : أريد أن أقربك عند الخليفة لأجل أن يكتب لك جامكية . فقال له : حتى يؤون الآوان فترك سيبله . ثم إن علياً كان قاعداً في القاعة يوماً من الأيام فانقبض قلبه وضاق صدره فقال لنفسه : قم شق في بغداد ينشرح صدرك . فخرج وسار من زقاق إلى زقاق فرأى في وسط السوق دكاناً فدخل وتغذى فيه وطلع يغسل يديه وإذا بأربعين عبداً بالشريطات البولاد واللبد وهم سائرون اثنين اثنين وآخر الكل دليلة المحتالة ، راكبة فوق بغلة وعلى رأسها خودة مطلية بالذهب

وبيضة من بولاد وزردية وما يناسب ذلك وكانت دليلاً نازلة من الديوان إلى الخان . فلما رأت علي الزبيق المصري تأملت فيه فرأته يشبه أحمد الدنف في طولهِ وعرضهِ وعليهِ عباءة وبرنس وشريط من بولاد ونحو ذلك والشجاعة لا يحة عليه تشهد له ولا تشهد عليه . فسارت إلى الخان واجتمعت ببنتها زينب واحضرت تخت رمل ، فضربت الرمل فطلع لها اسمه علي المصري وسعده غالب على سعدها وسعد بنتها زينب . فقالت لها : يا أمي ، أي شيء ظهر لك حين ضربت هذا التخت ؟ فقالت : أنا رأيت اليوم شاباً يشبه أحمد الدنف وخائفة أن يسمع أنك أعريت أحمد الدنف وصبيانه فيدخل الخان ويلعب معنا منصفاً لأجل أن يخلص ثار كبيره وثار الأربعين وأظن أنه نازل في قاعة أحمد الدنف . فقالت لها بنتها زينب : أي شيء هذا ؟ أظن أنك حسبت حسابهِ . ثم لبست بدلة أفخر ما عندها وخرجت تشق في البلد ، فلما رآها الناس صاروا يتعشّقون فيها وهي تواعد وتحلف وتسمع وتسطمح ، وسارت من سوق إلى سوق حتى رأت علياً المصري مقبلاً عليها فزاحمته بكتفها والتفتت وقالت : الله يحيي أهل النظر . فقال لها : ما أحسن شكلك ؟ لمن أنت ؟ فقالت : للغنودور الذي مثلك . فقال لها : هل أنت متزوجة أو عازبة ؟ فقالت : متزوجة . فقال لها : عندي أو عندك ؟ فقالت : أنا بنت تاجر وزوجي تاجر وعمري ما خرجت إلا في هذا اليوم ، وما ذاك إلا أنني طبخت طعاماً وأردت أن أكل فما لقيت لي نفساً ولما رأيتك وقعت محبتك في قلبي ، فهل يمكن أن تقصد جبر قلبي وتأكل عندي لقمة ؟ فقال لها : من دُعي فليُجب . ومشت وتبعها من زقاق إلى زقاق ثم قال في نفسه وهو ماش خلفها : كيف تفعل وأنت غريب ؟ وقد ورد من زني في غربته رده الله خائباً ولكن ادفعها عنك بلطف . ثم قال : خذي هذا الدينار واجعلي الوقت غير هذا . فقالت له : والإسم الأعظم ما يمكن إلا أن تروح معي في هذا الوقت إلى البيت وأصافيك . فتبعها إلى أن وصلت باب دار عليها بوابة عالية والضبة مغلقة . فقالت له : افتح هذه الضبة . فقال لها : وأين مفتاحها ؟ فقالت له : ضاع . فقال لها : كل من فتح ضبة بغير مفتاح يكون مجرمًا وعلى الحاكم تأديبه ، وأنا ما أعرف شيئاً حتى أفتحها بلا مفتاح . فكشفت الإزار عن وجهها فنظرها نظرة أعقبته ألف حسرة ، ثم أسبلت إزارها على الضبة وقرأت عليها أسماء أم موسى ففتحتها بلا مفتاح ودخلت ، فتبعها فرأى سيوفاً وأسلحة من البولاد . ثم إنها خلعت الإزار وقعدت معه فقال لنفسه : استوف ما قدره الله عليك . ثم مال عليها ليأخذ قبلة من خدّها فوضعت كفها على خدّها وقالت له : ما صفاء إلا في الليل . واحضرت سفرة طعام ومدام فأكلا وشربا وقامت ملأت الإبريق من البئر وكبّت له على يديه فغسلهما . فبينما هما كذلك وإذا بها دقت على صدرها وقالت : إن زوجي كان عنده خاتم ياقوت مرهون على خمسمائة دينار فلبسته فجاء واسعاً فضيقت به بشمعة ، فلما أدليت الدلو سقط الخاتم في البئر . ولكن التفت إلى جهة الباب حتى أتعرّى وأنزل البئر لاجيء به . فقال لها : عيب علي أن تنزلي وأنا موجود فما ينزل إلا أنا فقلع ثيابه وربط نفسه في السلبة وأدلته في البئر وكان الماء فيه غزيراً ثم قالت له : إن السلبة قد قصرت مني ولكن فك نفسك وانزل . ففك نفسه ونزل في الماء وغطس فيه قامات ولم يحصل قرار البئر . وأما هي فإنها لبست إزارها وأخذت ثيابه وراحت إلى أمها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن علياً المصري لما نزل في البئر وأخذت ثيابه، راحت إلى أمها وقالت لها: قد عرّيت علي المصري وأوقعتة في بئر الأمير حسن صاحب الدار، وهيهات أن يخلص. وأما الأمير حسن صاحب الدار فإنه كان في وقتها غائباً في الديوان، فلما أقبل رأى بيته مفتوحاً فقال للسايس: لأي شيء ما أغلقت الضبة؟ فقال: يا سيدي إنني أغلقتها بيدي. فقال: وحياء رأسي إن بيتي قد دخله حرامي. ثم دخل الأمير حسن وتلفت في البيت فلم يجد أحداً فقال للسايس: إملأ الإبريق حتى أتوضأ. فأخذ السايس الدلو وأدلاه فلما سحبه وجدته ثقيلاً، فظل في البئر فرأى شيئاً قاعداً في السطل فالفاه في البئر ثانياً ونادى وقال: يا سيدي، قد طلع لي عفريت من البئر. فقال له الأمير حسن: رح هات أربعة فقهاء يقرؤون القرآن عليه حتى يتصرف. فلما أحضر الفقهاء قال لهم: احتاطوا بهذا البئر واقروا على هذا العفريت. ثم جاء العبد والسايس وأنزلا الدلو وإذا بعلي المصري تعلق به وخبأ نفسه في الدلو وصبر حتى صار قريباً منهم ووثب من الدلو وقعد بين الفقهاء. فصاروا يلطشون بعضهم ويقولون: عفريت عفريت. فرآه الأمير حسن غلاماً إنسياً فقال له: هل أنت حرامي؟ فقال: لا. فقال له: ما سبب نزولك في البئر؟ فقال له: أنا نمت واحتلمت فنزلت لأغتسل في بحر الدجلة فغطست وجذبني الماء تحت الأرض حتى خرجت من هذا البئر. فقال له: قل الصدق. فحكى له جميع ما جرى له، فأخرجه من البيت بثوب قديم فتوجه إلى قاعة أحمد الدنف وحكى له ما وقع له. فقال: أما قلت لك أن بغداد فيها نساء تلعب على الرجال؟ فقال علي كتف الجمل: بحق الإسم الأعظم أن تخبرني كيف تكون رئيس فتیان مصر وتعريك صبية؟ فصعب عليه ذلك وندم، فكساه أحمد الدنف بدلة غيرها. ثم قال حسن شومان: هل أنت تعرف الصبية؟ فقال له: هذه زينب بنت دليلة المحتالة بوابة خان الخليفة، فهل وقعت في شبكتها يا علي؟ قال: نعم. فقال له: يا علي، إن هذه أخذت ثياب كبيرك وثياب جميع صبيانه. فقال هذا عار عليكم. فقال له: وأي شيء مرادك؟ فقال: مرادي أن أتزوج بها. فقال له: هيهات، سل فؤادك عنها. فقال له: وما حيلتي في زواجها يا شومان؟ فقال: مرحباً بك إن كنت تشرب من كفي وتمشي تحت رايتي بلغتك مرادك منها. فقال له: نعم. فقال له: يا علي، إقلع ثيابك. فقلع ثيابه وأخذ قدراً وغلى فيه شيئاً مثل الزفت ودهنه به فصار مثل العبد الأسود ودهن شفثيه وخديه وكحلّه بكحل أحمر وألبسه ثياب خدام وأحضر عنده سفرة كباب ومدام وقال له: إن في الخان عبداً طباحاً وأنت صرت شبيهه ولا يحتاج من السوق إلا اللحم والخضار، فتوجه إليه بلطف وكلمه بكلام العبيد وسلم عليه وقل له: زمان ما اجتمعت بك في البوطة. فيقول لك: أنا مشغول وفي رقبتي أربعون عبداً أطبخ لهم سماطاً في الغداء وسماطاً في العشاء وأطعم الكلاب وسفرة لدليلة وسفرة لبنتها زينب. ثم قل له: تعال نأكل كباباً ونشرب بوطة، وادخل وإياه القاعة واسكره ثم أسأله عن الذي يطبخه كم لون هو، وعن أكل الكلاب وعن مفتاح المطبخ وعن مفتاح الكرار فإنه يخبرك، لأن السكران يخبر بجميع ما يكتمه في حال صحوه. وبعد ذلك بنجه والبس ثيابه وخذ السكاكين في وسطك وخذ مقطف الخضار واذهب إلى السوق واشتر اللحم والخضار، ثم ادخل المطبخ والكرار واطبخ الطبخ، ثم اغرفه وخذ الطعام وادخل به على دليلة في الخان وحط البنج

في الطعام حتى تبنج الكلاب والعييد ودليلة وبنتها زينب، ثم اطلع القصر واثت بجميع الثياب منه. وإن كان مرادك أن تزوج بزینب تجيء معك بالأربعين طيراً التي تحمل الرسائل. فطلع فرأى العبد الطباخ فسلم عليه وقال له: زمان ما اجتمعنا بك في البوطة. فقال: أنا مشغول بالطبخ للعييد والكلاب. فأخذه وأسكره وسأله عن الطبخ كم لون هو. فقال له: كل يوم خمسة ألوان في الغداء وخمسة ألوان في العشاء، وطلبوا مني أمس لوناً سادساً وهو الزردة ولوناً سابعاً وهو طبخ حب الرمان. فقال: وأي شيء حال السفارة التي عملها؟ فقال: أؤدي سفرة إلى زينب وبعدها أؤدي سفرة لدليلة وأعشي العبيد وبعدهم أعشي الكلاب وأطعم كل واحد كفايته من اللحم وأقل ما يكفيه رطل. وأنسته المقادير أن يسأله عن المفاتيح. ثم قلعه ثيابه ولبسها هو وأخذ المقطف وراح السوق فأخذ اللحم والخضار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 713

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن علياً الزبيق المصري لما بنج العبد الطباخ، أخذ السكاكين وحطها في حزامه وأخذ مقطف الخضار ثم ذهب إلى السوق واشترى اللحم والخضار ثم رجع ودخل من باب الخان فرأى دليلاً قاعدة تنتقد الداخل والخارج ورأى الأربعين عبداً مسلحة فتوى قلبه. فلما رآته دليلاً عرفته فقالت له: إرجع يا رئيس الحرامية أتعلم علياً منصفاً في الخان؟ فالتفت علي المصري وهو في صورة العبد إلى دليلاً وقال لها: ما تقولين يا بوابة؟ فقالت له: ماذا صنعت بالعبد الطباخ؟ وأي شيء فعلت فيه؟ فهل قتلته أو بنجته؟ فقال لها: أي عبد طباخ؟ فهل هناك عبد طباخ غيري؟ فقالت: تكذب، أنت علي الزبيق المصري. فقال لها بلغة العبيد: يا بوابة هل المصرية بيضة أو سودة؟ أنا ما بقيت أخدم. فقال العبيد: ما لك يا ابن عمنا؟ فقالت دليلاً: هذا ما هو ابن عمكم هذا علي الزبيق المصري وكأنه بنج ابن عمكم أو قتله. فقالوا: هذا ابن عمنا سعد الله الطباخ. فقالت لهم: ما هو ابن عمكم بل هو علي المصري وصيغ جلده. فقال لها: من علي؟ أنا سعد الله. فقالت: إن عندي دهان الاختبار. وجاءت بدهان فدهنت به ذراعه وحكته فلم يطلع السواد. فقال العبيد: خليه يروح ليعمل لنا الغداء. فقالت لهم: إن كان هو ابن عمكم يعرف أي شيء طلبتم منه ليلة أمس ويعرف كم لون يطبخها في كل يوم. فسألوه عن الألوان وعن ما طلبوه ليلة أمس. فقال: عدس وأرز وشوربة ويخني وماء وردية ولون سادس وهو زردة ولون سابع وهو حب الرمان، وفي العشاء مثلها. فقال العبيد: صدق. فقالت لهم: ادخلوا معه فإن عرف المطبخ والكرار فهو ابن عمكم وإلا فاقتلوه. وكان الطباخ قد ربي قطعاً، فكلما يدخل الطباخ يقف القط على باب المطبخ ثم ينط على اكتافه إذا دخل. فلما دخل ورآه القط نط على اكتافه فرماه فجرى قدامه إلى المطبخ، فلحظ أن القط ما وقف إلا على باب المطبخ، فأخذ المفاتيح فرأى مفتاحاً عليه أثر الريش فعرف أنه مفتاح المطبخ، ففتحه وحط الخضار وخرج فجرى القط قدامه وعمد باب الكرار فلحظ أنه الكرار، فأخذ المفاتيح ورأى مفتاحاً عليه أثر الدهان فعرف أنه مفتاح الكرار ففتحه. فقال العبيد: يا دليلاً، لو كان غريباً ما عرف المطبخ والكرار ولا عرف مفتاح مثل مكان من بين المفاتيح وإنما هذا ابن عمنا سعد الله. فقالت: إنما عرف الأماكن من القط وميز المفاتيح من بعضها

بالقرينة، وهذا الامر لا يدخل عليّ. ثم إنه دخل المطبخ وطبخ الطعام وطلّع سفرة إلى زينب فرأى جميع الثياب في قصرها، ثم نزل وخطّ سفرة لدليلة وغدّى العبيد وأطعم الكلاب، وفي العشاء كذلك. وكان الباب لا يفتح ولا يقفل إلا بشمس في الغداة والعشي. ثم إن علياً قام ونادى في الخان: يا سكان، قد سهرت العبيد للحرس وأطلقنا الكلاب وكل من طلع فلا يلوم إلا نفسه. وكان علي آخر عشاء الكلاب وخطّ فيه السم ثم قدّمه إليها فلما أكلته ماتت، وبنّج جميع العبيد ودليلة وبنّتها زينب. ثم طلع أخذ جميع الثياب وحمام البطاقة وفتح الخان وخرج وسار إلى أن وصل إلى القاعة. فرآه حسن شومان فقال له: أي شيء فعلت؟ فحكى له جميع ما كان فشكره. ثم إنه قام ونزع ثيابه وغلى له عشباً وغسله به فعاد أبيض كما كان وراح إلى العبد والبسه ثيابه وأيقظه من البنج. فقام العبد وذهب إلى الخضري فأخذ الخضار ورجع إلى الخان. هذا ما كان من أمر علي الزبيق المصري. وأما ما كان من امر دليلة المحتالة فإنه طلع من طبقته رجل تاجر من السكان عندما لاح الفجر فرأى باب الخان مفتوحاً والعبيد مبنجة والكلاب ميتة، فنزل إلى دليلة فرأها مبنجة وفي رقبتها ورقة ورأى عند رأسها اسفنجة فيها ضد البنج، فحطّها على مناخير دليلة فأفاقت. فلما أفاقت قالت: أين أنا؟ فقال لها التاجر: أنا نزلت فرايت باب الخان مفتوحاً ورأيتك مبنجة وكذلك العبيد وأما الكلاب فرايتها ميتة. فأخذت الورقة فرأت فيها ما عمل هذا العمل إلا علي المصري. فشمت العبيد وزينب بنتها ضد البنج وقالت: اما قلت لكم أن هذا علي المصري؟ ثم قالت للعبيد: اكنتموا هذا الأمر. وقالت لبنتها: كم قلت لك إن علياً ما يخلي ثاره؟ وقد عمل هذا العمل في نظير ما فعلت معه وكان قادراً أن يفعل معك شيئاً غير هذا ولكنه اقتصر على هذا إبقاء للمعروف وطلباً للمحبة بيننا. ثم إن دليلة خلعت لباس الفتوة ولبست لباس النساء وربطت المحرمة في رقبتها وقصدت قاعة أحمد الدنف. وكان علي حين دخل بالثياب وحمام الرسائل قام شومان وأعطى للنقيب حق أربعين حمامة فاشتراها وطبخها بين الرجال وإذا بدليلة تدق الباب. فقال أحمد الدنف: هذه دقة دليلة قم افتح لها يا نقيب. فقام وفتح لها فدخلت دليلة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 714
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن النقيب لما فتح القاعة لدليلة دخلت فقال لها شومان: ما جاء بك هنا يا عجوز النحس وقد تحزبت انت واخوك زريق السمّك؟ فقالت: يا مقدم إن الحق علي وهذه رقبتني بين يديك، ولكن الفتى الذي عمل معي هذا المنصف من هو منكم؟ فقال أحمد الدنف: هو أول صبياني. فقالت له: أنت سياق الله عليه أنه يجيء لي بحمام الرسائل وغيره وتجعل ذلك أنعاماً عليّ. فقال حسن شومان: الله يقابلك بالجزاء يا علي لأي شيء طبخت ذلك الحمام؟ فقال علي: ليس عندي خبر إنه حمام الرسائل. ثم قال أحمد: يا نقيب هات نائبها. فأعطاها فأخذت قطعة من حمامة ومضغتها فقالت: هذا ما هو لحم طير الرسائل فإني أعلفه حب المسك ويبقى لحمه كالمسك. فقال لها شومان: إن كان مرادك أن تأخذي حمام الرسائل فاقضي حاجة علي المصري. فقالت: أي شيء حاجته. فقال لها: أن تزوجه بنتك زينب. فقالت: أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف. فقال حسن لعلي المصري: أعطها الحمام فأعطاها إياه فأخذته وفرحت به. فقال شومان: لا بد أن تروي علينا جواباً

كافياً . فقالت : إن كان مراده أن يتزوج بها فهذا المنصف الذي عمله هو شطارة ، وما الشطارة إلا أن يخطبها من خالها المقدم زريق فإنه وكيلها ، الذي ينادي : يا رطل سمك بجديدين . وقد علق في دكانه كيساً حطّ فيه من الذهب الفين . فعندما سمعوها تقول ذلك قاموا وقالوا : ما هذا الكلام يا عاهرة ، إنما أردت أن تعمدينا أخانا علياً المصري . ثم إنها راحت من عندهم إلى الخان فقالت لبنتها : قد خطبك مني علي المصري . ففرحت لأنها أحبته لعفته عنها وسألته عن ما جرى . فحكّت لها ما وقع وقالت : شرطت عليه أن يخطبك من خالك وأوقعته في الهلاك . وأما علي المصري فإنه التفت إليهم وقال : ما شأن زريق؟ وأي شيء يكون هو؟ فقالوا : هو رئيس فتيان أرض العراق يكاد أن ينقب الجبل ويتناول النجم ويأخذ الكحل من العين ، وهو في هذا الأمر ليس له نظير . ولكنه تاب عن ذلك وفتح دكان سماك ، فجمع من السمك ألفي دينار ووضعها في كيس وربط في الكيس قيطاناً من حرير ووضع في القيطان جلاجل وأجراساً من نحاس وربطه في وتد من داخل باب الدكان متصلاً بالكيس . وكلما يفتح الدكان يعلق الكيس وينادي : أين أنتم يا شطار مصر ويا فتيان العراق ويا مهرة بلاد العجم؟ زريق السماك علق كيساً على وجه الدكان كل من يدعي الشطارة ويأخذه بحيلة فإنه يكون له . فتأتي الفتیان أهل الطمع ويريدون أنهم يأخذونه فلم يقدروا ، لأنه واضع تحت رجليه أرغفة من رصاص وهو يقلي ويوقد النار فإذا جاء الطماع ليساهيه ويأخذه ، يضربه برغيف من رصاص فيتلفه أو يقتله . فيا علي ، إذا تعرضت له تكون كمن يلطم في الجنازة ولا يعرف من مات ، فما لك قدرة على مقارعة فإنه يُخشى عليك منه ولا حاجة لك بزواجك زينب ، ومن ترك شيئاً عاش بلاه . فقال : هذا عيب يا رجال فلا بد لي من أخذ الكيس ، ولكن هاتوا لي لبس صبيبة . فاحضروا له لبس صبيبة فلبسه وتحتى وأرخصي لثاماً وذبح خاروفاً وأخذ دمه وطلع المصران ونظفه وعقده من تحت وملاه بالدم وربطه على فخذه ولبس عليه اللباس والخف وعمل له نهدين من حواصل الطير وملاهما باللبن وربط على بطنه بعض قماش ووضع بينه وبين بطنه قطناً وتحزّم عليه بفوطة كلها نشاء . فصار كل من ينظره يقول : ما أحسن هذا الكفل ! وإذا بحمّار مقبل فأعطاه ديناراً وأركبه وسار به إلى جهة دكان زريق السماك فرأى الكيس معلقاً ورأى الذهب ظاهراً منه وكان زريق يقلي في السمك . فقال : يا حمّار ما هذه الراححة؟ فقال له : رايحة سمك زريق . فقال له : أنا امرأة حامل والراححة تضرني هات لي منه قطعة سمك . فقال الحمّار لزريق : هل أصبحت تفوح الراححة على النساء الحوامل؟ أنا معي زوجة الأمير حسن شر الطريق قد شمّت الراححة وهي حامل ، فهات لها قطعة سمك لأن الجنين تحرك في بطنها . يا ستار اللهم اكفنا شر هذا النار . فأخذ قطعة سمك وأراد أن يقلبها فانطفت النار ، فدخل ليوقد النار وكان علي المصري قاعداً فاتكأ على المصران فقطعه فساح الدم من بين رجليه فقال : آه يا جنبي يا ظهري . فالتفت الحمّار فرأى الدم سايحاً فقال لها : ما لك يا سيدتي؟ فقال له وهو في صورة المرأة : قد أسقطت الجنين . فطلّ زريق فرأى الدم فهرب في الدكان وهو خائف فقال له الحمّار : الله ينكد عليك يا زريق ، إن الصبيبة قد أسقطت الجنين وإنك ما تقدر على زوجها ، فلاي شيء أصبحت تفوح الراححة؟ وأنا أقول لك : هات لها قطعة سمك ما ترضى . ثم أخذ الحمّار حماره وتوجه إلى حال سبيله . وحين هرب زريق داخل الدكان مدّ علي المصري يده إلى الكيس فلما حصله خشخش الذهب الذي فيه وصلصت

الجلال والالجراس والحلق فقال زريق: ظهر خداعك يا علق، اتعمل عليّ منصفاً وانت في صورة صبية؟ ولكن خذ ما جاءك. وضربه برغيف من رصاص فراح خائباً وحط في غيره. فقام عليه الناس وقالوا: هل أنت سوقي وإلا مضارب؟ فإن كنت سوقياً فنزل الكيس واكف الناس شرك. فقال لهم: بسم الله على الرأس. وأما علي فإنه راح إلى القاعة فقال له شومان: ما فعلت؟ فحكى له جميع ما وقع له. ثم قلع لبس النساء وقال: يا شومان، أحضر لي ثياب سايس. فأحضرها له فأخذها ولبسها ثم أخذ صحناً وخمسة دراهم وراح لزريق السماك. فقال له: أي شيء تطلب يا اسطأ؟ فأراه الدراهم في يده فأراد زريق أن يعطي له من السمك الذي على الطبلية فقال له: أنا ما أخذ إلا سمكاً سخناً. فحط السمك في الطاجن وأراد أن يقلبه فانطفت النار، فدخل ليوقدها فمدّ علي المصري يده لياخذ الكيس فحصل طرفه فخشخت الأجراس والحلق والجلال فقال له زريق: ما دخل عليّ منصفك ولو جئتني في صورة سايس وأنا عرفتك من قبض يدك على الفلوس والصحن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
715
فقال القاضي وهو سائر، ونزل الجميع في عبّ القاضي حتى وصل إلى محاشمه. فقال القاضي: يا محاشمي! ما أقبحك يا شقي؟ من عمل معي هذه العملة؟ فقال له الناس: يا مولانا، هذا ولد صغير رجم بحجر فوقع في الطاجن، ما دفع الله كان أعظم. ثم التفتوا فوجدوا الرغيف الرصاص، والذي زماه إنما هو زريق السماك. فقاموا عليه وقالوا: ما يحل من الله يا زريق، نزل الكيس أحسن لك. فقال: إن شاء الله أنزله. وأما علي المصري فإنه راح إلى القاعة ودخل على الرجال فقالوا له: أين الكيس؟ فحكى لهم جميع ما جرى له. فقالوا له: أنت أضعت ثلثي شطارتك. فقلع ما عليه ولبس بدلة تاجر وخرج فرأى حاوياً معه جراب فيه ثعابين وجربندية فيها أمتعته فقال له: يا حاوي، مرادي أن تفرج أولادي وتأخذ إحساناً. فأتى به إلى القاعة وأطعمه وبنّجه ولبس بدلته وراح إلى زريق السماك وأقبل عليه وزمّر بالزمارة فقال له: الله يرزقك. وإذا به طلع الثعابين ورماها قدماه، وكان زريق يخاف من الثعابين فهرب منها داخل الدكان. فأخذ الثعابين ووضعها في الجراب ومدّ يده إلى الكيس فحصل طرفه فشن الحلق والجلال والالجراس. فقال له: ما زلت تعمل عليّ المناصف حتى عملت حاوياً؟ ورماه برغيف من رصاص وإذا بواحد جندي سائر ووراءه السايس فوقع الرغيف في رأس السايس فبطحه فقال الجندي: من بطحه؟ فقال له الناس: هذا حجر نزل من السقيفة. فسار الجندي والتفتوا فرأوا الرغيف الرصاص فقاموا عليه وقالوا له: نزل الكيس. فقال: إن شاء الله أنزله في هذه الليلة. وما زال علي يلعب مع زريق حتى عمل معه سبعة مناصف ولم يأخذ الكيس. ثم إنه أرجع ثياب الحاوي ومتاعه إليه وأعطاه إحساناً ورجع إلى دكان زريق فسمعه يقول: أنا إن بيت الكيس في الدكان نقب عليه وأخذه، ولكن أخذه معي إلى البيت. ثم قام زريق وعزل الدكان

ونزل الكيس وحطّه في عبّه . فتبعه علي إلى أن قرب من البيت فرأى زريق جاره عنده فرح . فقال زريق في نفسه : حتى أروح البيت وأعطي زوجتي الكيس والبس حوائجي ثم أعود إلى الفرع . ومشى وعلي تابعه ، وكان زريق متزوجاً بجارية سوداء من معاتيق الوزير جعفر ورزق منها بولد وسمّاه عبد الله وكان يوعدها أنه يظاهر الولد بالكيس ويروّجه ويصرفه في فرحه . ثم دخل زريق على زوجته وهو عابس الوجه فقالت له : ما سبب عبوسك ؟ فقال لها : ربّنا بلاني بشاطر لعب معي سبعة مناصف على أنه يأخذ الكيس فما قدر أن يأخذه . فقالت : هاته حتى أدخره لفرح الولد . فأعطاه إياه . وأما علي المصري فإنه تخبأ في مخدع وصار يسمع ويرى . فقام زريق وقلع ما عليه ولبس بدلته وقال لها : إحفظي الكيس يا أم عبد الله وأنا رايح إلى الفرع . فقالت له : نم لك ساعة . فقام علي ومشى على أطراف أصابعه وأخذ الكيس وتوجه إلى بيت الفرع ووقف يتفرّج . وأما زريق فإنه رأى في منامه أن الكيس أخذه طائر . فافاق مرعوباً وقال لا م عبد الله : قومي انظري الكيس . فقامت تنظره فما وجدته ، فلطمت على وجهها وقالت : يا سواد حظك يا أم عبد الله ، الكيس أخذه الشاطر . فقال : والله ما أخذه إلا الشاطر علي وما أحد غيره أخذ الكيس ولا بد أني أجيء به . فقالت : إن لم تجيء به وإلا قفلت عليك الباب وتركتك تبيت في الحارة . فأقبل زريق على الفرع فرأى الشاطر علي يتفرّج فقال : هذا الذي أخذ الكيس ولكنه نازل في قاعة أحمد الدنف . فسبقه زريق إلى القاعة وطلع على ظهرها ونزل فرأهم نائمين وإذا بعلي أقبل ودق الباب . فقال زريق : من بالباب ؟ فقال : علي المصري . فقال له : هل جئت بالكيس ؟ فظن أنه شومان فقال له : جئت به فافتح الباب . فقال له : ما يمكن أن أفتح لك حتى أنظره فإنه وقع بيني وبين كبيرك رهان . فقال : مد يدك . فمدّ يده من جنب عقب الباب فأعطاه الكيس ، فأخذه زريق وطلع من الموضع الذي نزل منه وراح إلى الفرع . وأما علي فإنه لم يزل واقفاً على الباب ولم يفتح له أحد ، فطرق الباب طرقة مزعجة فصحا الرجال وقالوا : هذه طرقة علي المصري . ففتح له النقيب وقال له : جئت بالكيس ؟ فقال : يكفي مزاحاً يا شومان أما أعطيتك إياه من جنب عقب الباب وقلت لي : أنا حالف أني لا أفتح لك الباب حتى تريني الكيس . فقال : والله ما أخذته وإنما زريق هو الذي أخذه منك . فقال له : لا بد أني أجيء به . ثم خرج علي المصري متوجهاً إلى الفرع فسمع الخلبوص يقول : شوبش يا أبا عبد الله ، العاقبة عندك لولدك . فقال علي : أنا صاحب السعد . وتوجه إلى بيت زريق وطلع من فوق ظهر البيت ونزل فرأى الجارية نائمة ، فبنّجها ولبس بدلته وأخذ الولد في حجره ودار يفتش ، فرأى مقطفاً فيه كعك العيد من بخل زريق . ثم إن زريقاً أقبل إلى البيت وطرق الباب فجأبه الشاطر علي وجعل نفسه الجارية وقال له : من بالباب ؟ فقال : أبو عبد الله . فقال : أنا حلفت ما أفتح لك الباب حتى تجيء بالكيس ؟ فقال : جئت به . فقال : هاته قبل فتح الباب . فقال : ادلي المقطف وخذيه فيه . فأدلى المقطف فحطّه فيه ثم أخذه الشاطر علي وبنّج الولد وأيقظ الجارية ونزل من الموضع الذي طلع منه وقصد القاعة ، فدخل على الرجال وأراهم الكيس والولد معه . فشكروه وأعطاهم الكعك فاكلوه وقال : يا شومان هذا الولد بن زريق فأخفه عندك . فأخذه وأخفاه وأتى بخروف فذبحه وأعطاه للنقيب فطبخه قممة وكفّنه وجعله كالمت . وأما زريق فإنه لم يزل واقفاً على الباب ثم دق الباب دقة مزعجة . فقالت له الجارية : هل جئت بالكيس ؟ فقال لها : أما أخذته

في المقطف الذي أدليته؟ فقالت: أنا ما أدليت مقطفاً ولا رأيت كيساً ولا أخذته. فقال: والله إن الشاطر علي سبقني وأخذه. ونظر في البيت فرأى الكعك معدوماً والولد مفقوداً فقال: واولداه. فذقت الجارية على صدرها وقالت: أنا وإياك للوزير، ما قتل ابني إلا الشاطر الذي يفعل معك المتناصف وهذا بسبيك. فقال لها: ضمانه علي. ثم طلع زريق وربط المحرمة في رقبته وراح إلى قاعة أحمد الدنف ودق الباب، ففتح له النقيب ودخل على الرجال فقال شومان: ما جاء بك؟ فقال: أنتم سيق على علي المصري ليعطيني ولدي وأسامحه في الكيس الذهب. فقال شومان: الله يقابلك يا علي بالجزء، لأي شيء ما أعلمتني أنه ابنه؟ فقال زريق: أي شيء جرى عليه؟ فقال شومان: أطعمناه زيباً فشرق ومات وهو هذا. فقال: واولداه، ما أقول لأمه؟ ثم قام وفك الكفن فرآه قممة فقال له: أطربني يا علي. ثم إنهم أعطوه ابنه. فقال أحمد الدنف: أنت كنت معلقاً الكيس لكل من كان شاطراً يأخذه فإن أخذه شاطر يكون حقه، وإنه صار حق علي المصري. فقال: وأنا وهبته له. فقال له علي الزبيق المصري: إقبله من شأن بنت أختك زينب. فقال له: قبلته. فقالوا: نحن خطبناها لعلي المصري. فقال: أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف. ثم إنه أخذ ابنه وأخذ الكيس. فقال شومان: هل قبلت منا الخطبة؟ فقال: قبلتها ممن كان يقدر على مهرها. فقال له: أي شيء مهرها؟ فقال: إنها خالفة أن لا يركب صدرها إلا من يجيء لها ببدة قمر بنت عذرة اليهودي وباقي حوائجها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أبها الملك السعيد، أن زريقاً قال لشومان: إن زينب خالفة أن لا يركب صدرها إلا الذي يجيء لها ببدة قمر بنت عذرة اليهودي والتاج والحياصة والتاسومة الذهب. فقال علي المصري: إن لم أجيء ببدلتها في هذه الليلة لا حق لي في الخطبة. فقال له: يا علي تموت إن عملت معها منصفاً. فقال له: ما سبب ذلك؟ فقالوا له: إن

فلما كانت الليلة
716
كانت الليلة

عذرة اليهودي ساحر مكار غدار يستخدم الجن، وله قصر خارج المملكة حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة، وذلك القصر ظاهر للناس ما دام قاعداً فيه ومتى خرج منه فإنه يختفي، ورزق بنت أسمها قمر وجاء لها بهذه البدلة من كنز. فيضع البدلة في صينية من الذهب ويفتح شبابيك القصر وينادي: أين شطّار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم؟ كل من أخذ البدلة تكون له. فحاوله المتناصف سائر الفتيان فلم يقدروا أن يأخذوها وسحرهم قروداً وحميراً. فقال علي: لا بد من أخذها وتتجلى بها زينب بنت دليمة المحتالة. ثم توجه علي المصري إلى دكان اليهودي فرآه فظاً غليظاً وعنده ميزان وحسبج وذهب وفضة ومناقد، ورأى عنده بغلة. فقام اليهودي وقتل الدكان وحطّ الذهب والفضة في كيسين وحطهما في خرج وحطه على البغلة وركب وسار إلى أن وصل خارج البلد وعلي المصري وراءه وهو لم يشعر. ثم أطلع اليهودي تراباً من كيس في جيبه وعزم عليه ورشّه في الهواء فرأى الشاطر علي قصراً ما له نظير، ثم طلعت البغلة باليهودي في السلام وإذا بالبغلة عون يستخدمه اليهودي، فنزّل الخرج عن البغلة وراحت البغلة واختفت. وأما اليهودي فإنه قعد في القصر وعلي ينظر فعله، فأحضر اليهودي قصبه من ذهب وعلق فيها صينية من ذهب بسلاسل من ذهب وحطّ البدلة في الصينية، فرأها علي من خلف الباب. ونادى

اليهودي : أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم ؟ من اخذ هذه البدلة بشطارته فهي له . وبعد ذلك عزم فوضعت سفرة طعام فأكل ثم رفعت السفرة بنفسها ، وعزم مرة أخرى فوضعت بين يديه سفرة مدام فشرّب . فقال علي : أنت لا تعرف أن تأخذ هذه البدلة إلا وهو يسكر . فجاء علي من خلفه وسحب شريط البولاد في يده فالتفت اليهودي وعزم وقال ليده : قفي بالسيف . فوقفت يده بالسيف في الهواء ، فمد يده الشمال فوقفت في الهواء وكذلك رجله اليمنى وصار واقفاً على رجل ، ثم إن اليهودي صرف عنه الظلم فعاد علي المصري كما كان أولاً . ثم إن اليهودي ضرب تحت رمل فطلع له أن اسمه علي الزبيق المصري . فالتفت إليه وقال له : تعال ، من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال : أنا علي المصري صبي أحمد الدنف وقد خطبت زينب بنت دليلة المحتالة وعملوا علي مهرها بدلة بنتك ، فانت تعطيها إلي إن أردت السلامة وتسلم . فقال له : بعد موتك ، فإن ناساً كثيراً عملوا علي مناصف من شأن أخذ البدلة فلم يقدروا أن يأخذوها مني ، فإن كنت تقبل النصيحة تسلم بنفسك فإنهم ما طلبوا منك البدلة إلا لأجل هلاكك ولولا أنني رأيت سعدك غالباً على سعدي لكنك رميت رقبتيك . ففرح علي لكون اليهودي رأى سعده غالباً على سعده فقال له : لا بد لي من أخذ البدلة وتسلم . فقال له : هل هذا مرادك ولا بد . قال : نعم . فأخذ اليهودي طاسة وملاها ماء وعزم عليها وقال : أخرج من الهيئة البشرية إلى هيئة حمار . ورشّه منها فصار حماراً بحوافر وأذان طوال وصار ينهق مثل الحمير . ثم ضرب عليه دائرة فصارت عليه صوراً وصار اليهودي يسكر إلى الصباح . فقال له : أنا أركبك وأريح البغلة . ثم إن اليهودي وضع البدلة والصينية والقصبه والسلاسل في خشخانة ثم طلع وعزم عليه ، فتبعه وحط على ظهره الخرج وركب عليه واختفى القصر عن الاعين وسار وهو راكبه إلى أن نزل على دكانه وفرغ كيس الذهب وكيس الفضة في المتقد قدامه . وأما علي فإنه مربوط في هيئة حمار ولكنه يسمع ويعقل ولا يقدر أن يتكلم . وإذا برجل ابن تاجر جار عليه الزمن فلم يجد له صنعة خفيفة إلا السقاية ، فأخذ أساور زوجته وأتى إلى اليهودي وقال له : أعطني ثمن هذه الأساور لأشتري لي به حماراً ؟ فقال اليهودي : تحمل عليه أي شيء ؟ فقال له : يا معلم ، أملا عليه ماء من البحر واقتات من ثمنه . فقال له اليهودي : خذ مني حماري هذا . فباع له الأساور وأخذ ثمنها الحمار وأعطاه اليهودي الباقي وسار بعلي المصري وهو مسحور إلى بيته . فقال علي لنفسه : متى ما حط عليك الحمار الخشب والقربة وذهب بك عشرة مشاوير أعدمك العافية وتموت . فتقدمت امرأة السقاء تحط له عليه وإذا به لظشها بدماعه ، فانقلبت على ظهرها ونظ عليها ودق بغمه في دماغها وأدلى الذي خلقه له الوالد فصاحت ، فأدركها الجيران فضربوه ورفعوه عن صدرها وإذا بزوجها الذي أراد أن يعمل سقاء جاء إلى البيت . فقالت له : إما أن تطلقني وإما أن ترد الحمار إلى صاحبه . فقال لها : أي شيء جرى ؟ فقالت له : هذا شيطان في صفة حمار ، فإنه نظّ علي ولولا الجيران رفعوه من فوق صدري لفعل بي القبيح . فأخذه وراح إلى اليهودي . فقال له اليهودي : لأي شيء رددته ؟ فقال له : هذا فعل مع زوجتي فعلاً قبيحاً . فأعطاه دراهمه وراح . وأما اليهودي فإنه التفت إلى علي وقال له : أتدخل باب المكر يا مشؤوم حتى ردك إلي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن اليهودي لما ردَّ له السقاء الحمار أعطاه دراهمه والتفت إلى علي المصري وقال له : أتدخل باب المكري يا مشؤوم حتى ردَّك إليّ؟ ولكن حينما رضيت أن تكون حماراً أنا أخليك فرجة للكبار والصغار . وأخذ الحمار وركبه وسار خارج البلد وأخرج الرماد وعزم عليه ورشّه في الهواء وإذا بالقصر ظهر ، فطلع القصر ونزل الخرج من على ظهر الحمار وأخذ كيسي المال وأخرج القصبه وعلّق فيها الصينية بالبدلة ونادى مثل ما ينادي كل يوم : أين الفتيان من جميع الأقطار؟ من يقدر أن يأخذ هذه البدلة؟ وعزم مثل الأول فوضع له سماط فأكل ، وعزم فحضر المدام بين يديه فسكرو وأخرج طاسة فيها ماء وعزم عليها ورشَّ منها على الحمار وقال له : انقلب من هذه الصورة إلى صورتك الأولى . فعاد إنساناً كما كان أولاً . فقال له : يا علي ، إقبل النصيحة واكتف شرّي ولا حاجة لك بزواج زينب وأخذ بدلة ابنتي فإنها ما هي سهلة عليك وترك الطمع أولى لك وإلا أسحرك دباً أو قرداً أو أسلّط عليك عوثاً يرميك خلف جبل قاف . فقال له : يا عذرة ، أنا التزمت بأخذ البدلة ولا بد من أخذها وتسلم وإلا أقتلك . فقال له : يا علي أنت مثل الجوز ، لو لم تكسر ما تؤكل . وأخذ طاسة فيها ماء وعزم عليها ورشَّ منها عليه وقال : كن في صورة دب . فانقلب دباً في الحال وحط الطوق في رقبته وربط فمه ودق له وتدّاً من حديد وصار يأكل ويرمي له بعض لقم ويكبّ عليه فضل الكأس . فلما أصبح الصباح قام اليهودي ورفع الصينية والبدلة وعزم على الدب فتبعه إلى دكانه . ثم قعد في الدكان وفرغ الذهب والفضة في النقد وربط السلسلة التي في رقبة الدب في الدكان ، فصار علي يسمع ويعقل ولا يقدر أن ينطق . وإذا برجل تاجر أقبل على اليهودي في دكانه وقال : يا معلم ، اتبعني هذا الدب؟ فإن لي زوجة وهي بنت عمي قد وصفوا لها أن تاكل لحم دب وتندهن بشحمه . ففرح اليهودي وقال في نفسه : أبيع له لأجل أن يذبحه ونرتاح منه . فقال علي في نفسه : والله إن هذا يريد أن يذبحني والخلاص عند الله . فقال اليهودي : هو من عندي إليك هدية . فأخذه التاجر ومرّ به على جزّار فقال له : هات العدة وتعال معي . فأخذ السكاكين وتبعه ثم تقدّم الجزار وربطه وصار يسن السكين وأراد أن يذبحه ، فلما رآه علي المصري قاصده فرّ من بين يديه وطار بين السماء والأرض ولم يزل طائراً حتى نزل في القصر عند اليهودي . وكان السبب في ذلك أن اليهودي ذهب إلى القصر بعد أن أعطى التاجر الدب فسألته بنته فحكى لها جميع ما وقع . فقالت : احضر عوثاً واسأله عن علي المصري هل هو هذا أو رجل غيره يعمل منصفاً؟ فعزم وأحضر عوثاً وسأله : هل هذا علي المصري أو هو رجل آخر يعمل منصفاً؟ فاخططفه العون وجاء به وقال : هذا هو علي المصري بعينه ، فإن الجزار كتفه وسنّ السكين وشرع في ذبحه فخطفته من بين يديه وجئت به . فأخذ اليهودي طاسة فيها ماء وعزم عليها ورشّه منها وقال له : إرجع إلى صورتك البشرية . فعاد كما كان أولاً ، فرأته قمر بنت اليهودي شاباً مليحاً فوقعت محبته في قلبها ووقعت محبتها في قلبه . فقالت له : يا مشؤوم ، لاي شيء تطلب بدلتي حتى يفعل بك أبي هذه الفعال؟ فقال : أنا التزمت بأخذها لزينب النصابة لأجل أن أتزوج بها . فقالت له : غيرك لعب مع أبي مناصف لأجل أخذ بدلتي فلم يتمكن منها . ثم قالت له : أترك الطمع . فقال : لا بد لي من أخذها ويسلم أبوك وإلا اقتله . فقال لها

أبوها: انظري يا بنتي هذا المشؤوم كيف يطلب هلاك نفسه! ثم قال له: أنا اسحرك كلباً. وياخذ طاسة مكتوبة وفيها ماء وعزم عليها ورشته منها وقال له: كن في صورة كلب. فصار كلباً وصار اليهودي يسكر هو وبنته إلى الصباح. ثم قام رفع البدلة والصينية وركب البغلة وعزم على الكلب فتبعه، وصارت الكلاب تنبح عليه. فمر على دكان سقطي، فقام السقطي منع عنه الكلاب فنام قدامه، والتفت اليهودي فلم يجده. فقام السقطي عزّل دكانه وراح بيته والكلب تابعه، فدخل السقطي داره فنظرت بنت السقطي فرأت الكلب. فغطت وجهها وقالت: يا أبي، اتجيء بالرجل الأجنبي فتدخله علينا؟ فقال: يا بنتي هذا كلب؟ فقالت له: هذا علي المصري سحره اليهودي. فالتفت إليه وقال له: أنت علي المصري؟ فأشار له برأسه: نعم. فقال لها أبوها: لأي شيء سحره اليهودي؟ قالت له: بسبب بدلة بنته قمر وأنا أقدر أن أخلصه. فقال: إن كان خيراً فهذا وقته. فقالت: إن كان يتزوج بي خلصته. فأشار لها برأسه: نعم. فأخذت طاسة مكتوبة وعزمت عليها وإذا بصرخة عظيمة والطاسة وقعت من يدها. فالتفت فرأت جارية أبيها هي التي صرخت وقالت لها: يا سيدتي، أهذا هو العهد الذي بيني وبينك؟ وما أحد علمك هذا الفن إلا أنا، واتفقت معي أنك لا تفعلين شيئاً إلا بمشورتي والذي يتزوج بك يتزوجني وتكون لي ليلة ولك ليلة. قالت: نعم. فلما سمع السقطي هذا الكلام من الجارية قال لبنته: ومن علم هذه الجارية؟ قالت له: يا أبت، هي التي علمتني وأسألها عن الذي علمها. فسأل الجارية فقالت له: أعلم يا سيدي، أني لما كنت عند عذرة اليهودي كنت أتسلل عليه وهو يتلو العزيمة، ولما يذهب إلى الدكان أفتح الكتب وأقرأ فيها إلى أن عرفت علم الروحاني. فسكر اليهودي يوماً من الأيام وطلبني للفراش فأبيت وقلت: لا أمكنك من ذلك حتى تسلم فأبى. فقلت له: سوق السلطان. فباعني وأتيت إلى منزلك فعلمت سيدتي واشترط عليها أن لا تفعل منه شيئاً إلا بمشورتي، والذي يتزوج بها يتزوجني ولي ليلة ولها ليلة. وأخذت الجارية طاسة فيها ماء وعزمت عليها ورشّت منها الكلب وقالت له: إرجع إلى صورتك البشرية. فعاد إنساناً كما كان أولاً، فسلم عليه السقطي وسأله عن سبب سحره. فحكى له جميع ما وقع له. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 718

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السقطي لما سلم على علي المصري وسأله عن سبب سحره وما وقع له، حكى له جميع ما جرى له. فقال له: أتكفيك بنتي والجارية؟ فقال: لا بد من أخذ زيتب. وإذا بذاق يدق الباب فقالت الجارية: من بالباب؟ فقالت: قمر بنت اليهودي، هل علي المصري عندهم؟ فقالت لها بنت السقطي: يا ابنة اليهودي، وإذا كان عندنا أي شيء تفعلين به؟ إنزلي يا جارية افتحي لها الباب. ففتحت لها الباب فدخلت، فلما رأت علياً ورآها قال لها: ما جاء بك هنا يا بنت الكلب؟ فقالت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فأسلمت وقالت له: هل الرجال في دين الإسلام يمهرون النساء أو النساء تمهر الرجال؟ فقال لها: الرجال يمهرون النساء. فقالت: وأنا جئت أمهر نفسي لك بالبدلة والقصة والسلاسل ودماع أبي عدوك وعدو الله. ورمت دماغ أبيها قدامه وقالت: هذا رأس أبي عدوك وعدو الله. وسبب قتلها أبها أنه لما سحر علياً كلباً رأت في المنام

قائلاً يقول لها: أسلمي فأسلمت. فلما انتهت عرضت على أبيها الإسلام فابى، فلما أبى الإسلام بنجته وقتلته. فأخذ علي الامتعة وقال للسقطي: في غد نجتمع عند الخليفة لاجل أن تزوج بنتك والجارية. وطلع وهو فرحان قاصد القاعة ومعه الامتعة وإذا برجل حلواني يخبط على يديه ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الناس صار كدهم حراماً لا يروح إلا في الغش، سألتك بالله أن تنوق هذه الحلوة. فأخذ منه قطعة وأكلها فإذا فيها البنج، فبنجه وأخذ منه البدلة والقصبه والسلاسل وحطها داخل صندوق الحلوة وحمل الصندوق وطبق الحلوة وسار. وإذا بقاض يصيح عليه ويقول له: تعال يا حلواني. فوقف وحط القاعدة والطبق فوقها وقال: أي شيء تطلب؟ فقال له: حلوة وملبساً. ثم أخذ منهما في يده شيئاً وقال: إن هذه الحلوة والملبس مغشوشان. وأخرج القاضي حلوة من عبه وقال للحلواني: انظر هذه الصنعة ما أحسنها فكل منها واعمل نظيرها. فأخذها الحلواني فأكل منها وإذا فيها البنج، فبنجه وأخذ القاعدة والصندوق والبدلة وغيرها وحط الحلواني في القاعدة وحمل الجميع وتوجه إلى القاعة التي فيها الدنف. وكان القاضي حسن شومان. وسبب ذلك أن علياً لما التزم بالبدلة وخرج في طلبها لم يسمعوا عنه خبراً فقال أحمد الدنف: يا شباب اطلعوا فتشوا على أخيكم علي المصري. فطلعوا يفتشون عليه في المدينة، فطلع حسن شومان في صفة قاض فقابل الحلواني فعرفه أنه أحمد اللقيط، فبنجه وأخذه وصحبتة البدلة وسار به إلى القاعة. وأما الأربعة فإنهم داروا يفتشون في شوارع البلد، فخرج علي كتف الجمل من بين أصحابه فرأى زحمة، وقصد الناس المزدحمين فرأى علياً المصري بينهم مبتجاً فأيقظه من البنج. فلما أفاق رأى الناس مجتمعين عليه فقال علي كتف الجمل: أفق لنفسك. فقال: أين أنا؟ فقال له علي كتف الجمل وأصحابه: نحن رأيناك مبتجاً ولم نعرف من بنجك. فقال: بنجني واحد حلواني وأخذ مني الامتعة ولكن أين ذهب؟ فقالوا له: ما رأينا أحداً ولكن تعال رح بنا القاعة. فتوجهوا إلى القاعة ودخلوا فوجدوا أحمد الدنف فسلم عليهم وقال: يا علي، هل جئت بالبدلة؟ فقال: جئت بها وبغيرها وجئت برأس اليهودي وقابلني حلواني فبنجني وأخذها مني. وحكى له جميع ما جرى له. وقال له: لو رأيت الحلواني لجازيته. وإذا بحسن شومان طالع من مخدع فقال له: هل جئت بالامتعة يا علي؟ فقال له: جئت بها وجئت برأس اليهودي وقابلني حلواني فبنجني وأخذ البدلة وغيرها ولم أعرف أين ذهب، ولو عرفت مكانه لنكيتته. فهل تعرف أين ذهب ذلك الحلواني؟ فقال: أعرف مكانه. ثم قام وفتح له المخدع فرأى الحلواني مبتجاً فيه، فأيقظه من البنج ففتح عينيه فرأى نفسه قدام علي المصري وأحمد الدنف والأربعين. فانصرع وقال: أين أنا؟ ومن قبضني؟ فقال شومان: أنا الذي قبضتك. فقال له علي المصري: يا ماكرأ تفعل هذه الفعال؟ وأراد أن يذبحه فقال له حسن شومان: إرفع يدك هذا صار صهرك. فقال: صهري! من أين؟ فقال له: هذا أحمد اللقيط ابن أخت زينب. فقال علي: لأي شيء هكذا يا لقيط؟ فقال له: أمرتني به جدتي الدليلة المحتملة وما ذاك إلا أن زريقاً السماك اجتمع بجدتي الدليلة المحتملة وقال لها: إن علياً المصري شاطر بارع الشطارة ولا بد أن يقتل اليهودي ويجيء بالبدلة. فاحضرتني وقالت لي: يا أحمد هل تعرف علياً المصري؟ فقلت: أعرفه وكنت أرشدته إلى قاعة أحمد الدنف. فقالت لي: رح انصب له شركك فإن كان جاء بالامتعة فاعمل عليه منصفاً وخذ منه

الامتعة . فطفت في شوارع المدينة حتى رأيت حلوانياً واعطيته عشرة دنانير واخذت بدلته وحلاوته وعدته وجرى ما جرى . ثم إن علياً المصري قال لاحمد اللقيط : رح إلى جدتك وإلى زريق السماك وأعلمهما بأنني جئت بالامتعة ورأس اليهودي وقل لهما : غداً قابلاه في ديوان الخليفة وخذ منه مهر زينب . ثم إن أحمد الدنف فرح بذلك وقال : لا خابت فيك التربية يا علي . فلما أصبح الصباح ، أخذ علي المصري البدلة والصينية والقصبه والسلاسل الذهب ورأس عذرة اليهودي على مزارق وطلع إلى الديوان مع عمه وصبيانه وقبلوا الأرض بين يدي الخليفة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 719 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن علياً المصري لما طلع الديوان مع عمه أحمد الدنف وصبيانه ، قبلوا الأرض بين يدي الخليفة . فالتفت الخليفة فرأى شاباً ما في الرجال أشجع منه ، فسأل الرجال عنه . فقال أحمد الدنف ، يا أمير المؤمنين ، هذا علي الزبيق المصري رئيس فتيان مصر وهو أول صبياني . فلما رآه الخليفة أحبه لكونه رأى الشجاعة لايحة بين عينيه تشهد له لا عليه . فقام علي ورمى دماغ اليهودي بين يدي الخليفة وقال له : عدوك مثل هذا يا أمير المؤمنين . فقال له الخليفة : دماغ من هذا؟ فقال له : دماغ عذرة اليهودي . فقال الخليفة : ومن قتله؟ فحكى له علي المصري ما جرى له من الأول إلى الآخر . فقال الخليفة : ما ظننت أنك قتلته لأنه كان ساحراً . فقال له : يا أمير المؤمنين أقدرني ربي على قتله . فارسل الخليفة الوالي إلى القصر فرأى اليهودي بلا رأس فاخذه في تابوت وأحضره بين يدي الخليفة فأمر بحرقه ، وإذا بقمر بنت اليهودي أقبلت وقبّلت الأرض بين يدي الخليفة وأعلمته بأنها ابنة عذرة اليهودي وأنها أسلمت . ثم جددت إسلامها ثانياً بين يدي الخليفة وقالت له : أنت سباق على الشاطر علي الزبيق المصري أن يتزوجني . ووكّلت الخليفة في زواجها بعلي . فوهب الخليفة لعلي المصري قصر اليهودي بما فيه وقال له : تمنّ علي . فقال : تمنيت عليك أن أقف على بساطك وأكل من بساطك . فقال الخليفة : يا علي ، هل لك صبيان؟ فقال : لي أربعون صبياً ولكنهم في مصر . فقال الخليفة : أرسل إليهم ليحيثوا من مصر . ثم قال له الخليفة : يا علي ، هل لك قاعة؟ قال : لا . فقال حسن شومان : قد وهبت له قاعتي بما فيها يا أمير المؤمنين . فقال الخليفة : قاعتك لك يا حسن . وأمر الخازن دار أن يعطي المعمار عشرة آلاف دينار ليني له قاعة بأربعة لواوين وأربعين مخدعاً لصبيانه . وقال الخليفة : يا علي ، هل بقي لك حاجة نامر لك بقضائها؟ فقال : يا ملك الزمان ، أن تكون سيفاً على الدليلة المحتالة أن تزوجني بنتها زينب وتأخذ بدلة بنت اليهودي وأمتعتها في مهرها . فقبلت دليلاً على الخليفة وأخذت الصينية والبدلة والقصبه والسلاسل الذهب وكتبوا كتابها عليه ، وكتبوا أيضاً كتاب بنت السقطي والجزارية وقمر بنت اليهودي عليه ، ورتّب له الخليفة جامكية وجعل له سماطاً في الغداء وسماطاً في العشاء وجراية وعلوفة ومسموحاً ، وشرع علي المصري في الفرحة حتى كمل مدة ثلاثين يوماً . ثم إن علياً المصري أرسل إلى صبيانه بمصر كتاباً يذكر لهم فيه ما حصل له من الإكرام عند الخليفة وقال لهم في المكتوب : لا بد من حضوركم لأجل أن تحصلوا الفرحة ، لاني تزوجت بأربع بنات . فبعد مدة يسيرة حضر صبيانه الأربعون وحصلوا الفرحة ، فوطنهم في القاعة وأكرمهم غاية الإكرام . ثم

عرضهم على الخليفة فخلع عليهم . وجلت المواشيط زينب بالبدلة على علي المصري ودخل عليها فوجدها درة ما ثقت ومهرة لغيره ما ركبت ، وبعدها دخل على الثلاث بنات فوجدهن كاملات الحسن والجمال . ثم بعد ذلك اتفق ان علياً المصري سهر عند الخليفة ليلة من الليالي فقال له الخليفة : مرادي يا علي ان تجي لي جميع ما جرى لك من الاول إلى الآخر . فحكى له جميع ما جرى من الديلة المحتالة وزينب النصابة وزريق السماك . فأمر الخليفة بكتابة ذلك وأن يجعلوه في خزانة الملك . فكتبوا جميع ما وقع له وجعلوه من جملة السير لامة خير البشر ، ثم قعدوا في أرغد عيش وأهناء إلى أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات والله سبحانه وتعالى أعلم .

71 - حكاية أردشير و حياة النفوس

وما يحكى أيضاً ايها الملك السعيد ، انه كان بمدينة شيراز ملك عظيم يسمّى السيف الاعظم شاه . وكان قد كبر سنه ولم يرزق ولدأ ، فجمع الحكماء والاطباء وقال لهم : اني قد كبر سني وقد علمتم حالي وحال المملكة ونظامها واني خائف على الرعية من بعدي ، وإلى الآن لم أرزق ولدأ . فقالوا : نحن نصنع لك شيئاً من العقاقير يكون فيه النفع إن شاء الله تعالى . فصنعوا له شيئاً واستعمله ثم واقع زوجته فحملت بإذن الله تعالى الذي يقول للشيء : كن فيكون . فلما استكملت شهورها وضعت ولدأ ذكراً مثل القمر فسماه أردشير . فكبر وانتشى وتعلم العلم والادب إلى أن صار له من العمر خمسة عشر سنة . وكان بالعراق ملك يسمّى الملك عبد القادر ، وكان له بنت كالبدر الطالع وكانت تسمى حياة النفوس ، وكانت تبغض الرجال فلا يكاد أحد أن يذكر الرجال بحضرتها ، وقد خطبها من ايها الملوك الاكاسرة . فيكلمها ابوها فتقول : لا افعل هذا أبداً وإن غضبتني عليه قتلت نفسي . فسمع ابن الملك أردشير بذكرها فاعلم والده بذلك ، فنظر إلى حاله ورق له وصار كل يوم يوعده بزواجها . ثم أرسل وزيره إلى ايها ليخطبها فأبى . فلما رجع الوزير من عند الملك عبد القادر أخبره بما اتفق له معه وأعلمه بعدم قضاء حاجته . فصعب ذلك على الملك واغتاظ غيظاً شديداً وقال : هل مثلي يرسل إلى أحد من الملوك في حاجة فلم يقضها ؟ ثم أمر منادياً أن ينادي في العسكر بتبريز الخيام وكثرة الإهتمام ولو بالقرض في النفقة وقال : ما بقيت أرجع حتى أخرب ديار الملك عبد القادر وأقتل رجاله وأمحو آثاره وأنهب أمواله . فلما بلغ ولده أردشير هذا الخبر ، قام عن فراشه ودخل على ابيه الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال له : ايها الملك الاعظم ، لا تكلف نفسك بشيء من هذا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، أن ابن الملك لما بلغه هذا الخبر ، دخل على ابيه الملك وقبّل الأرض بين يديه وقال له : ايها الملك الاعظم ، لا تكلف نفسك بشيء من هذا وتجرد هذه الأبطال وهذا العسكر وتتفق مالك فإنك أقوى منه ، ومتى جردت عليه هذا العسكر الذي معك أخربت دياره وبلادته وقتلت رجاله وأبطلته ونهبت أمواله ويقتل هو أيضاً ، فيبلغ ابنته ذلك مما حصل لاييها وغيره من تحت رأسها فتقتل نفسها وأنا أموت بسببها ولا أعيش بعدها أبداً . فقال له الملك : فما يكون رأيك يا ولدي ؟ قال له : أنا أتوجه في حاجتي بنفسي والبس لبس التجار وأتحيل في الوصول إليها وأنظر كيف يكون قضاء حاجتي منها . فقال له ابوه :

فلما كانت الليلة
والملك والنفس
720
الليلة

هل اخترت هذا الرأي؟ فقال له: نعم يا والدي. فدعا الملك بالوزير وقال له: سافر مع ولدي وثمره فؤادي وساعده على مقاصده واحتفظ عليه ودبره برايك الرشيد، فإنك معه عوضاً عني. فقال الوزير: سمعاً وطاعة. ثم إن الملك أعطى ولده ثلثمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه جواهر وفصوصاً ومصاعاً ومتاعاً وذخائر وما أشبه ذلك. ثم إن الولد دخل إلى والدته وقبل يديها وسألها الدعاء، فدعت له. ثم قامت من ساعتها وفتحت خزانتها وأخرجت له ذخائر وقلائد ومصاعاً وملابس وتحفاً وجميع الشيء الذي كان مدخراً من عهد الملوك السالفة مما لا تعادله أموال. ثم أخذ معه من ممالিকে وغلمانه ودوابه جميع ما يحتاج إليه في الطريق وغيره وتزى بزي التجار هو والوزير ومن معهما، وودع والدته وأهله وقراييه وساروا يقطعون البراري والقفار إناء الليل والنهار. فلما طالت عليه الطريق أنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

عَرَامِي مِنَ الْأَشْوَاقِ وَالسَّقْمِ زَائِدُ	وما لي على جورِ الزَّمانِ مُسَاعِدُ
أُرَاعِي الثَّرِيًّا وَالسَّمَاكَ إِذَا بَدَا	كَأَنِّي مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ عَابِدُ
أُرَاقِبُ نَجْمَ الصُّبْحِ حَتَّى إِذَا آتَى	أَهِيمُ بِأَشْوَاقِي وَوَجْدِي زَائِدُ
أُحِبُّكُمْ لَسْتُ أَحِبُّ سِوَاكُمْ	سَقِيمُ فُؤَادِي سَاهِرُ الْجَفْنِ وَأَجِدُ
فَإِنْ عَزَّ مَا أَرْجُوهُ زَادَ بِي الضَّنَا	وَقَلَّ أَصْطِبَارِي بَعْدَكُمْ وَالْمُسَاعِدُ
صَبَّرْتُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ شَمْلَنَا	وَتَكْمَدُ مِنْ ذَلِكَ الْعِدَى وَالْحَوَاسِدُ

فلما فرغ من شعره غشي عليه ساعة، فرش الوزير عليه ماء الورد. فلما أفاق قال له: يا ابن الملك صبر نفسك فإن الصبر عاقبته الفرج، وها أنت سائر إلى ما تريد. ولم يزل الوزير يلاطفه ويسليه إلى أن سكن روعه وجدوا في السير. فلما طالت على ابن الملك الطريق تذكر محبوبته فأنشد هذه الأبيات: [من البسيط]

طَالَ الْعِبَادُ وَزَادَ الْهَمُّ وَالْقَلْقُ	وَمُهَجَّتِي فِي لَهَيْبِ النَّارِ تَحْتَرِقُ
وَشَابَ رَأْسِي مِمَّا قَدْ بُلِيَتْ بِهِ	مِنَ الْغَرَامِ وَوَدَمْعُ الْعَيْنِ يَنْدَفِقُ
أَقْسَمْتُ يَا مُنِيَّتِي يَا مُنْتَهَى أَمَلِي	بِخَالِقِ الْخَلْقِ مِنْهَا الْغُصْنُ وَالْوَرَقُ
سَهْلًا حَمَلْتُ عَذَابًا مِنْكَ يَا قَدْرِي	فَلَمْ يُطِقْ حَمَلُهُ فِي النَّاسِ مَنْ عَشِقُوا
فَاسْتَحْيِرُوا اللَّيْلَ عَنِّي فَهُوَ يُخْبِرُكُمْ	إِنْ كَانَ جَفْنِي طَوَّلَ اللَّيْلَ يَنْطَبِقُ

فلما فرغ من إنشاد شعره بكى بكاء شديداً مما يلاقيه من شدة الغرام. فلاطفه الوزير وسلاه ووعده ببلوغ مناه وساروا أياماً قلائل حتى أشرفوا على المدينة البيضاء بعد طلوع الشمس. فقال الوزير لابن الملك: أبشر يا ابن الملك بكل خير وانظر هذه المدينة البيضاء التي أنت طالبها. ففرح ابن الملك بذلك فرحاً شديداً وأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

خَلِيلِيَّ إِنِّي مُغْرَمُ الْقَلْبِ هَانِمُ	وَوَجْدِي مُقِيمُ الْغَرَامِ مُلَازِمُ
أَنُوحُ كَمَا التَّكْلَانُ أَسْهَرَةُ الْأَسَى	إِذَا جَنَّ لَيْلِي لَيْسَ فِي الْعِشْقِ رَاحِمُ
وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْبَاحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ	وَجَدْتُ لَهَا بَرْدًا عَلَى الْقَلْبِ قَادِمُ

وتنهّلُ أجفاني كغيمٍ مَوَاطِرٍ فقي بحرٍ دَمعي ذا فؤادي عائمٌ .

فلما وصلا إلى المدينة البيضاء دخلها وسألا عن خان التجار ومحل أرباب الأموال فدلّوهما عليه، فنزلا فيه وأخذا لهما ثلاثة حواصل . فلما أخذتا المفاتيح فتحاها وأدخلا فيها بضائعهما وأمتعتهما وأقاما حتى استراحا . ثم قام الوزير يتحجّل في أمر ابن الملك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 721
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير وابن الملك لما نزلا في الخان وأدخلا بضائعتهما في الحواصل وأجلسا هناك غلمانهما . ثم أقاما حتى استراحا . قام الوزير يتحجّل في أمر ابن الملك فقال له : قد خطر ببالي شيء وأظن أن فيه الصلاح لك إن شاء الله تعالى . فقال له : أيها الوزير الحسن التدبير ، إفعل ما خطر ببالك سدّد الله رايتك . قال له الوزير : أريد أن أستكري لك دكاناً في سوق البزازين وتقعد فيها ، لأن كل أحد من الخاص والعام يحتاج إلى السوق وأنا أظن أنك إذا جلست في الدكان ونظرت إليك الناس بالعيون تميل إليك القلوب فتقوى على نيل المطلوب ، لأن صورتك جميلة وتميل إليك الخواطر وتبتهج بك النواظر . فقال له : إفعل ما تختار وتريد . فعند ذلك نهض الوزير من ساعته ولبس أوفر ثيابه وكذلك ابن الملك ، وأخذ في جيبه كيساً فيه ألف دينار ثم خرجا يمشيان في المدينة . فنظرت الناس إليهما وبهتوا في حسن ابن الملك وقالوا : سبحان من خلق هذا الشاب من ماء مهين ، فتبارك الله أحسن الخالقين . وكثر الكلام فيه وقالوا : ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم . ومن الناس من يقول : هل سها رضوان خازن الجنان عن باب الجنة فخرج منها هذا الغلام ؟ وصارت الناس تتبعهما إلى سوق القماش حتى دخلا فيه ووقفنا . فتقدّم إليهما شيخ ذو هبة ووقار فسلم عليهما فرداً عليه السلام ثم قال لهما : يا سادتي ، هل لكم من حاجة تشرف بقضائها ؟ قال له الوزير : ومن تكون أنت يا شيخ ؟ قال : أنا عريف السوق . فقال له الوزير : أعلم يا شيخ أن هذا الشاب ولدي وأنا أشتهي أن أخذ له دكاناً في هذا السوق ليجلس فيها ويتعلّم البيع والشراء والأخذ والعطاء ويتخلّق بأخلاق التجار . قال العريف : سمعاً وطاعة . ثم إن العريف أحضر لهما مفتاح دكان في الوقت والساعة وأمر الدالين أن يكنسوها . فكنسوها ونظفوها وأرسل الوزير أحضر من أجل الدكان مرتبة عالية محشوة بريش النعام وعليها سجادة صغيرة وداثرها مزركش بالذهب الأحمر ، وأحضر أيضاً مخدة وأحضر من المتاع والقماش الذي حضر معه ما يملا الدكان . فلما كان في اليوم الثاني ، حضر الغلام وفتح الدكان وجلس على تلك المرتبة وأوقف قدامه مملوكين لابسين أحسن الملابس ، وأوقف في أسفل الدكان عبيدين من أحسن الحبوش . وقد أوصاه الوزير بكتمان سرّه عن الناس ليجد بذلك الإعانة على قضاء حوائجه . ثم تركه ومضى إلى الخازن وأوصاه أن يعرفه بجميع ما يتفق له في الدكان يوماً بيوم . فصار الغلام جالساً في دكانه كأنه البدر في تمامه ، وكانت الناس تتسامع به ويحسّنه فيأتون إليه لغير حاجة ويحضرون السوق حتى ينظروا إلى حسنه وجماله وقده واعتداله ويسبحون الله تعالى الذي خلقه وسوّاه . وصار ذلك السوق لا يقدر أحد أن يشقّه من فرط ازدحام الخلق عليه ، وصار ابن الملك يتلقّت يميناً وشمالاً وهو متحير في أمره من الناس الذين هم باهتون له ويترجّى أن يعمل

صحبة مع أحد من المقرّبين إلى الدولة لعلّه أن يجلب إليه ذكر ابنة الملك ، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً . وضاق صدره لذلك والوزير يمنيّه في كل يوم بحصول مراده ، ولم يزل على هذا الحال مدة مديدة . فبينما هو جالس في الدكان يوماً من الأيام ، وإذا بامرأة عجوز عليها حشمة وهيبة ووقار وهي لابسة ثياب الصلاح وخلفها جاريتان كأنهما قمران . فوقفت على الدكان وتاملت الغلام ساعة وقالت : سبحان من خلق هذه الطلعة وآتقن هذه الصنعة ، ثم إنها سلّمت عليه فردّ عليها السلام وأجلسها إلى جانبه . فقالت له : من أي البلاد أنت يا مليح الوجه ؟ قال لها : أنا من نواحي الهند يا أمي ، وقد جئت إلى هذه المدينة على سبيل الفرجة . فقالت له : كرمت من قادم . ثم قالت له : أي شيء عندك من البضائع والمتاع والقماش ؟ أرني شيئاً مليحاً يصلح للملوك . فلما سمع كلامها قال : أتريدين المليح حتى أعرضه عليك ؟ فإن عندي كل شيء يصلح لأربابه . قالت له : يا ولدي ، أنا أريد شيئاً يكون غالي الثمن مليح الشكل ، أغلى شيء يكون عندك . قال لها : لا بد أن تعلميني لمن تطلبين البضاعة حتى أعرض عليك مقام الطالب . قالت : صدقت يا ولدي ، أنا أريد شيئاً لسيدتي حياة النفوس بنت الملك عبد القادر صاحب هذه الأرض وملك هذه البلاد . فلما سمع ابن الملك كلامها ، طار عقله فرحاً وخفق قلبه ، فمدّ يده إلى خلفه ولم يامر مماليكه ولا عبيده وأخرج صرة فيها مائة دينار ودفعها للعجوز وقال لها : هذه الصرة من أجل غسيل ثيابك . ثم مديده إلى بقجة وأخرج منها حلّة تساوي عشرة آلاف ديناراً وأكثر وقال : هذا من جملة ما جئت به إلى أرضكم . فلما نظرت إليها العجوز اعجبتها وقالت : بكم هذه الحلّة يا كامل الأوصاف ؟ فقال : بغير ثمن . فشكرته وأعدت عليه القول فقال : والله ما آخذ لها ثمناً بل هي هبة مني إليك إذا لم تقبله الملكة ، ويكون ضيافة مني لك والحمد لله الذي جمع بيني وبينك حتى إذا احتجت في بعض الأيام حاجة وجدتك معينة لي على قضائها . فتعجبت العجوز من حسن ذلك الكلام وكثرة كرمه وزيادة أدبه فقالت له : ما الإسم يا سيدي ؟ قال لها : أزدشير . قالت : والله هذا إسم عجيب تسمّى به أولاد الملوك ، وأنت في زي بني التجار . قال لها : من محبة والدي إياي سمّاني بهذا الإسم وليس الإسم يدل على شيء . فتعجبت منه العجوز وقالت : يا ولدي ، خذ ثمن بضاعتك . فحلف أنه لا يأخذ شيئاً . ثم قالت له العجوز : يا حبيبي أعلم أن الصدق أعظم الأشياء ، وما هذا الكرم الذي أنت تصنعه معي إلا من أجل أمر ، فاعلمني بأمرك وضميرك لعل لك حاجة فأساعدك على قضائها . فعند ذلك حطّ يده في يدها وعاهدها على الكتمان وحدثها بحدثه كله وأخبرها بمحبته لبنت الملك وبما هو فيه من أجلها . فهزّت العجوز رأسها وقالت : هذا هو الصحيح ، ولكن يا ولدي قالت العقلاء في المثل السائر : إذا أردت أن تطاع فاسل عن ما لا يستطاع . وأنت يا ولدي إسمك تاجر ولو كان معك مفاتيح الكنوز لا يقال لك إلا تاجر وإذا أردت أن تعطي درجة عالية عن درجتك فاطلب بنت قاض أو بنت أمير ، فلا شيء يا ولدي ما تطلب الابنت ملك العصر والزمان ؟ وهي بنت بكر عذراء لم تعلم شيئاً من أمور الدنيا ولا رأت في عمرها غير قصرها الذي هي فيه ، ومع صغر سنّها فإنها عاقلة لبيبة فطنة حاذقة ذات عقل راجح وفعل صالح ورأي قادح ، وإن أباهما ما رزق إلهي ، وهي عنده أعز من روحه ، وفي كل يوم يأتي إليها ويصيح عليها وكل من في قصرها يخاف منها . ولا تظن يا ولدي أن أحداً يقدر أن يكلمها بشيء من هذا الكلام فلا سبيل إلى ذلك . والله يا ولدي إن قلبي وجوارحي تحبك ومرادي لو كنت مقيماً عندها ، ولكن أنا أعرفك بشيء لعل

الله أن يجعل فيه شفاء قلبك، وأخاطر معك بروحي ومالي حتى أقضي لك حاجتك. فقال لها: وما هو يا أمي؟ قالت له: أطلب مني بنت وزير أو بنت أمير، فإن طلبت مني ذلك فانا أجيبك إلى سؤالك، لانه لا يمكن لأحد أن يصعد من الأرض إلى السماء بوثة واحدة. فقال لها الغلام بأدب وعقل: يا أمي أنت امرأة عاقلة تعرفين مواقع الأمور، هل الإنسان إذا وجعته رأسه يربط يده؟ قالت: لا والله يا ولدي. قال: وهكذا إن قلبي ما يطلب أحداً سواها ولم يقتلني غير هواها، والله إنني من الهالكين إذا لم أجد لي إرشاد معين. فبالله عليك يا أمي أن ترحمني غربتي وانسكاب عبرتي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أزدشير ابن الملك قال للعجوز: بالله عليك يا أمي أن ترحمني غربتي وانسكاب عبرتي. قالت له: والله يا ولدي إن قلبي يتقطع من أجل كلامك هذا وليس في يدي حيلة أفعلها. قال: أريد من إحسانك أن تحملي مني هذه الورقة وتوصلها إليها وتقبلي لي يديها. فحنت عليه وقالت له: أكتب فيها ما تريد وأنا أوصلها إليها. فلما سمع ذلك كاد أن يطير من الفرح ودعا بدواة وقرطاس وكتب إليها هذه الآيات: [من الخفيف]

فلما كانت الليلة
722
كانت ليلة

يا حياة الثُّمُوسِ جُودِي بَوَصِّلِ	لِمُحِبِّ أَدَابِهِ الْهَجْرَانُ
كُنْتُ فِي لَذَّةٍ وَفِي طِيبِ عَيْشِ	فَأَنَا الْيَوْمَ وَالِهُ حَيْرَانُ
وَلَزِمْتُ السُّهَادَ فِي طُولِ لَيْلِي	وَسَمِيرِي بِطُولِهِ أَجْنَانُ
فَارْحَمِي عَاشِقًا كَثِيرًا مَعْنَى	مِنْهُ شَوْقًا تَقَرَّرْتُ أَجْفَانُ
قَلْبِي الْقَلْبُ إِنْ أَحْسَّ بِنَشْوَةِ	فَهُوَ مِنْ قَرَقَفِ الْهَوَى نَشْوَانُ

فلما فرغ من رقم الكتاب، طواه وقبله وأعطى العجوز إياه ثم مده إلى الصندوق وأخرج لها صرة أخرى فيها مائة دينار وأعطها إياها وقال لها: فرقي هذه على الجواري. فامتنت وقالت: والله يا ولدي ما أنا معك بسبب شيء من ذلك. فشكرها وقال: لا بد من ذلك. فأخذتها منه وقبلت يديه وانصرفت. فدخلت عليها وقالت: يا سيدتي، جئت بك بشيء ما هو عند أهل مدينتنا، وهو من عند شاب مليح ما على وجه الأرض أحسن منه. قالت: يا دايتي، ومن أين الشاب؟ قالت: هو من نواحي الهند، أعطاني هذه الحلة المنسوجة بالذهب مرصعة بالدر والجوهر تساوي ملك كسرى وقيصر. فلما فتحتها أضاء القصر من نور تلك الحلة بسبب حسن صنعتها وكثرة الفصوص والجواهر التي فيها. فتعجب منها كل من في القصر وتاملتها بنت الملك فلم تجد لها قيمة ولا ثمناً إلا خراج ملك أبيها عاماً كاملاً. فقالت للعجوز: يا دايتي، هل هذه الحلة من عنده أو من عند غيره؟ قالت: هي من عنده. قالت: يا دايتي، هل هذا التاجر من مدينتنا أو غريب؟ قالت: هو غريب يا سيدتي وما نزل مدينتنا إلا عن قريب، وهو والله صاحب حشم وخدم، مليح الوجه معتدل القد كريم الأخلاق واسع الصدر، ما رأيت أحسن منه إلا أنت. قالت بنت الملك: إن هذا الشيء عجيب، كيف تكون هذه الحلة التي لا يفي بثمنها مال مع تاجر من التجار؟ وما قدر ثمنها الذي أخبرك به يا دايتي؟ فقالت العجوز: والله يا سيدتي ما أخبرني بمقدار ثمنها وإنما قال لي: لا أخذ لها

ثمناً وإنما هي هدية مني لابنة الملك فإنها لا تصلح لأحد غيرها . وردّ الذهب الذي أرسلته معي وحلف أنه لا يأخذه وقال : هو لك إن لم تقبله الملكة . قالت بنت الملك : والله ما هذا إلا سماح عظيم وكرم جزيل وأخشى من عاقبة أمره ربما يؤدي إلى ضرر فلاي شيء لم تسأله يا دايتي إن كان له حاجة تقضيها له ؟ فقالت : يا سيدتي سألته وقلت له : هل لك حاجة ؟ فقال : لي حاجة ؟ ولم يطلعني عليها إلا أنه قد أعطاني هذه الورقة وقال لي : قدّميتها للملكة . فأخذتها منها وفتحتها وقرأتها إلى آخرها ، فتغير حالها وغاب صوابها واصفرّ لونها وقالت للعجوز : وبلك يا دايتي ، ما يقال لهذا الكلب الذي يقول هذا الكلام لبنت الملك ؟ وما المناسبة بيني وبين هذا الكلب حتى يكاتبنني ؟ والله العظيم رب زمزم والحطيم لولا أنني أخاف الله تعالى لأبعثن إلى هذا الكلب بتكثيف يديه وشرم مناخيره وقطع أنفه وأذنه وأمثل به وبعد هذا أصلبه على باب السوق الذي فيه دكانه . فلما سمعت العجوز الكلام ، اصفرّ لونها وارتعدت فرائصها وانعدت لسانها ثم قوت قلبها وقالت : خيراً يا سيدتي ، وما في الورقة حتى أزعجك ؟ هل هو غير قصة رفعها إليك تتضمن شكاية حاله من فقر أو ظلم يرجو بها إحسانك إليه أو كشف ظلامته ؟ قالت : لا والله يا دايتي بل هي شعر وكلام مستهجن ، ولكن يا دايتي هذا الكلب ما يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون مجنوناً ليس عنده عقل ، وإما أن يكون قاصداً قتل نفسه أو مستعيئاً على مراده مني بذي قوة شديدة وسلطان عظيم ، وإما أن يكون سمع بأني من بغايا هذه المدينة التي تبيت عند من يطلبها ليلة أو ليلتين حتى يرأسلني بالأشعار المستهجنة ليفسد عقلي بذلك الأمر . قالت لها العجوز : والله يا سيدتي لقد صدقت ، ولكن لا تعتني بهذا الكلب الجاهل فأنت قاعدة في قصرك العالي المشيد المتبع الذي لا تعلقه الطيور ولا يمرّ عليه الهواء وهو حائر ، ولكن اكتبني له كتاباً ووبخه فيه ولا تتركي له شيئاً من أنواع التوبيخ وهدديه غاية التهديد واعرضي عليه الموت وقولي له : من أين تعرفني حتى تكاتبنني يا كلب التجار ؟ يا من هو طول دهره مشّت في البراري والقفار على درهم يكتسبه أو دينار . والله إن لم تنتبه من رقدتك وتصح من سكرتك لأصلبناك على باب السوق الذي فيه دكانك . قالت بنت الملك : إني أخاف إن كاتبته أن يطمع . قالت العجوز : وما مقداره ؟ وما درجته حتى يطمع فينا ؟ وإنما نكتب له لأجل أن ينقطع طمعه ويكثر خوفه . ولم تزل تتحيل على بنت الملك حتى أحضرت دواة وقرطاساً وكتبت إليه هذه الأبيات : [من البيهيط]

يا مدعي الحبّ والبلوى مع السهر	تقضي الليالي في وجد وفي فكر
أطلب الوصل يا مغرور من قمر	وهل ينال المتى شخص من القمر
إني نصحتك في الأقوال مستمعاً	أقصر فإنك بين الموت والخطر
فإن رجعت إلى هذا السؤال فقد	أناك منا عذاب زائد الضرر
فكن أديباً لبيباً عاقلاً فطناً	ها قد نصحتك في شعري وفي خبري
وحق من خلق الأشياء من عدم	وزان وجه السما بالأنجم الزهر
لئن رجعت إلى ما أنت قائله	لأصلبتك في جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب وأعطت العجوز إياه . فأخذته وسارت إلى أن وصلت إلى دكان الغلام فأعطته إياه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، ان العجوز لما اخذت الكتاب من حياة النفوس وسارت إلى أن اعطت الغلام إياه وهو في دكانه وقالت له : اقرأ جوابك واعلم انها لما قرأت الكتاب اغتاضت غيظاً عظيماً وما زلت الاطفها بالحديث حتى ردت لك الجواب . فاخذ الكتاب بفرحة وقرأه وفهم معناه ، فلما فرغ من قراءته بكى بكاء شديداً . فتألم قلب العجوز وقالت : يا ولدي ، لا ابكى الله لك عيناً ولا احزن لك قلباً ، فاي شيء الطف من هذا في جواب كتابك حين فعلت هذه الفعال ؟ فقال : يا امي ، وماذا افعل من الحيل الطف من هذا وهي ترسل تهددني بالقتل وبالصلب وتنهاني عن مكاتبتها ؟ ويني والله ارى موتي خيراً من حياتي . ولكن اريد من فضلك ان تاخذي هذه الورقة وتوصليها إليها . فقالت له : اكتب وعلي رد الجواب . والله لا اخاطرن معك بروحي في حصول مرادك ولو هلكت في رضاك . فشكرها وقبل يديها وكتب إليها هذه الايات : [من البسيط]

تُهَدِّدُونِي بِقَتْلِي فِي مَحَبَّتِكُمْ
 وَالْمَوْتُ أَهْنَى لِي صَبُّ أَنْ تَطُولَ بِهِ
 فَإِنْ تَزُورُوا مُحِبًّا قَلَّ نَاصِرُهُ
 وَإِنْ عَزَمْتُمْ عَلَى أَمْرِ فِدُونِكُمْ
 كَيْفَ السَّبِيلُ وَلَا لِي عِنَّا مُصْطَبْرٌ
 يَا سَادَتِي فَارْحَمُوا فِي حُبِّكُمْ دَفْقًا
 وَالْقَتْلُ لِي رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ مَقْدُورٌ
 حَيَاتُهُ وَهُوَ مَطْرُودٌ وَمَنْهُورٌ
 فَإِنَّ سَعْيَ الْوَرَى فِي الْخَيْرِ مَشْكُورٌ
 قَدْ صِرْتُ عَبْدًا لَكُمْ وَالْعَبْدُ مَأْسُورٌ
 فَكَيْفَ هَذَا وَقَلْبُ الصَّبِّ مَجْبُورٌ
 فَكُلُّ مَنْ يَعَشِقُ الْأَحْرَارَ مَعْدُورٌ

ثم طوى الكتاب واعطى العجوز إياه واعطاها صرتين ، من اخذهما ، فحلف عليها . فاخذتهما وقالت : لا بد انني ابدى . وسارت حتى دخلت على حياة النفوس واعطتها الكتاب فقالت لها : ما هذا يا دايتي ؟ قد صرنا في مراسلة وانت رايحة جائية ، اني اخاف ان ينكشف خبرنا فنفضح . قالت العجوز : وكيف ذلك يا سيدتي ؟ ومن يقدر ان يتكلم بهذا الكلام ؟ فاخذت الكتاب منها وقرأته وفهمت معناه ودقت بدأ على يد وقال : قد بلينا بهذا ، ما عرفنا من أين جاءنا هذا الغلام ! قالت العجوز : يا سيدتي ، بالله عليك ان تكتبي له كتاباً ولكن اغلظي عليه القول وقولي له : ان ارسلت كتاباً بعد ذلك ضربت عنقك . فقالت لها : يا دايتي ، انا اعرف ان هذا ما ينتهي على هذه الصورة والاليق عدم المكتابة ، وإن لم يرجع هذا الكلب بالتهديد السابق ضربت عنقه . قالت لها العجوز : اكتبي له كتاباً وعرفيه بهذا الحال . فدعت بنت الملك بدواة وقرطاس وكتبت له تهدده بهذه الايات : [من الطويل]

أَيَا غَافِلًا عَن حَادِثَاتِ الطَّوَارِقِ
 تَأَمَّلْ أَيَا مَغْرُورٌ هَلْ تُذَرِّكُ السَّمَاءُ
 سَأَصْنِيكَ نَارًا لَيْسَ يَخْبُو لَهَا
 وَيَا مَنْ إِلَى وَصَلٍ لَهُ قَلْبٌ عَاشِقٍ
 وَهَلْ أَنْتَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ بِلَاحِقٍ
 وَتُضْحِي قَتِيلًا بِالسُّيُوفِ الْمَوَاحِقِ

قَمَنْ دُونَهُ يَا صَاحُ أَبْعَدُ شِقَّةً وَأَمْرٌ خَفِيٌّ فِيهِ شَيْبُ الْمَفَارِقِ
خُذِ النَّصِيحَ مِنِّي ثُمَّ كَفَّ عَنِ الْهَوَى وَعَنْ أَمْرِكَ أَرْجِعْ إِنَّهُ غَيْرُ لَائِقِ

ثم طوت الكتاب وأعطت العجوز إياه وهي في حال عجيب من أجل هذا الكلام . فأخذته العجوز وسارت حتى وصلت به إلى الغلام فنالته إياه ، فأخذته منها وقرأه وأطرق برأسه إلى الأرض يخط بإصبعه ولم يتكلم . فقالت له العجوز : يا ولدي ، ما لي أراك لا تبدي خطاباً ولا ترد جواباً؟ قال لها : يا أمي ، أي شيء أقول وهي تهددني وما تزداد إلا قسوة ونفوراً؟ قالت : اكتب لها كتاباً بما تريد وأنا أذاع عنك ولا يكون قلبك إلا طيباً ، فلا بد أن أجمع بينكما . فشكر فضلها وقبل يديها وكتب إليها هذه الأبيات : [من الطويل]

فَلِلَّهِ قَلْبٌ لَا يَلِينُ لِعَاشِقٍ وَصَبَّ إِلَى وَصَلِ الْأَجِيَّةِ شَائِقُ
وَأَجْفَانُ عَيْنٍ لَا تَزَالُ قَرِيحَةً إِذَا جَنَّهَا مِنْ حَالِكِ اللَّيْلِ غَاسِقُ
فَمِنُوا وَجِدُوا وَأَرْحَمُوا وَتَصَدَّقُوا عَلَى مَنْ ضَنَاهُ الْعِشْقُ وَهُوَ مَفَارِقُ
يُقَاسِي طَوَالَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُسَهَّدٌ حَرِيْقًا وَفِي بَحْرِ الْمَدَامِيعِ غَارِقُ
فَلَا تَقْطَعِي أَطْمَاعَ قَلْبِي لِأَنَّهُ كَثِيبٌ مُعْنَى وَهُوَ فِي الْحُبِّ خَافِقُ

ثم طوى الكتاب وأعطى العجوز إياه وأعطاهها ثلثمائة وقال لها : هذه غسيل يدك . فشكرته وقبلت يديه وسارت حتى دخلت على بنت الملك وأعطتها الكتاب . فأخذته وقرأته إلى آخره ورمته من يدها ونهضت قائمة على رجليها وتمشّت على قبقاب من الذهب مرصع بالدرّ والجوهر حتى وصلت إلى قصر أبيها وعرق الغضب قائم بين عينيهما وما جسر أحد أن يسأل عن حالها . فلما وصلت إلى القصر سألت عن الملك والدها فقال لها الجوّاري والمحاطي : يا سيدتي ، إنه قد خرج إلى الصيد والقنص . فرجعت وهي مثل الأسد الضاري ولم تكلم أحداً إلا بعد ثلاث ساعات ، وقد راق وجهها وسكن غيظها . فلما رأت العجوز أنها زال عنها ما عندها من الكدر والغيط ، تقدّمت إليها وقبلت الأرض بين يديها وقالت لها : يا سيدتي ، أين كانت هذه الخطوات الشريفة؟ قالت لها الملكة : إلى قصر أبي . قالت : يا سيدتي ، أما كان أحد يقضي حاجتك؟ قالت : أنا ما رحلت إلا لأجل أن أعلمه بما جرى لي من كلب التجار ، وأسلّط عليه أبي فيمسكه ويمسك جميع من كان في سوقه ويصلبهم على دكاكينهم ولا يدع أحداً من التجار الغرباء يقيم في مدينتنا . فقالت لها العجوز : وهل ما ذهبت إلى أبيك يا سيدتي إلا لهذا السبب؟ قالت لها : نعم . إلا أنني ما وجدته حاضراً بل رأيته غائباً في الصيد والقنص ، وأنا منتظرة رجوعه . قالت العجوز : أعوذ بالله السميع العليم يا سيدتي ، الحمد لله أنت أعقل الناس ، وكيف تُعلمين الملك بهذا الكلام الهديان الذي لا ينبغي لأحد إفشاؤه؟ قالت : ولم ذلك؟ قالت العجوز : افرضي أنك لقيت الملك في قصره وعرفتيه بهذا الحديث وأرسل خلف التجار وأمر بشنقهم على دكاكينهم ورأهم الناس ، ألا يسألون عن ذلك ويقولون : ما سبب شنقهم؟ فيقال لهم في الجواب : إنهم أرسلوا ليفسدوا بنت الملك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان العجوز قالت لبنت الملك : افرضي انك اعلمت الملك بذلك وامر بشنق التجار، اليس يراهم الناس ويسالون : ما سبب شنقهم ؟ فيقال لهم في الجواب : إنهم ارادوا ان يفسدوا بنت الملك . فيختلفون في نقل الحكايات عنك ! فبعضهم يقول : قعدت عندهم عشرة ايام وهي غائبة عن قصرها حتى شعبوا منها . وبعضهم يقول غير ذلك . والعرض يا سيدتي مثل اللبن ادنى غبار يدنسه، وكالزجاج إذا انصدع لا يلتئم . فإياك ان تخبري اباك او غيره بهذا الامر لئلا ينهتك عرضك يا سيدتي، ولا يفيدك إخبار الناس شيئاً ابداً، وميزي هذا الكلام بعقلك الراجح فإن لم تجديه صحيحاً فافعلي ما تريدن . فلما سمعت بنت الملك من العجوز هذا الكلام تألمته فوجدته في غاية الصواب فقالت لها : ما قلته يا دايتي صحيح ، ولكن كان الغيظ طمس على قلبي . قالت العجوز : إن نيتك طيبة عند الله تعالى حيث لم تخبري أحداً ولكن بقي شيء آخر، وهو أننا لا نسكت عن قلة حياء هذا الكلب أخس التجار، فاكتبي له كتاباً وقولي له : يا أخس التجار، لولا اني وجدت الملك غائباً لكنت في هذه الساعة امرت بصلبك أنت وجميع جيرانك، ولكن ما يفوتك من هذا الامر شيء . وأنا اقسم بالله تعالى متى رجعت إلى مثل هذا الكلام قطعت اثرك من على وجه الارض . واغلظي عليه بالكلام حتى ترديه عن هذا الامر ونبيهه من غفلته . قالت لها بنت الملك : وهل يرجع عما هو فيه بهذا الكلام ؟ قالت : وكيف لا يرجع وانا اكلمه واعرفه بما وقع . فدعت بدواة وقرطاس وكتبت إليه هذه الايات : [من الطويل]

تَعَلَّقْتَ الْأَمَالَ مِنْكَ بِوَصَلْنَا	وَتَقْصِدُ مِنَّا أَنْ تَنَالَ الْمَارِبَا
وَمَا يَقْتُلُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عُرُورُهُ	وَيُؤَلِّيهِ مَا يَبْغِيهِ مِنَّا الْمَصَابِبا
فَمَا أَنْتَ دُوَّ بَاسِرٍ وَلَا لَكَ عَصَبَةٌ	وَلَا كُنْتَ سُلْطَانًا وَلَا كُنْتَ نَابِبا
وَلَوْ كَانَ هَذَا فِعْلًا مِنْ هُوَ مِثْلُنَا	لَعَادَ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْحَرْبِ شَائِبا
وَلَكِنْ سَاعَفُو الْآنَ عَمَّا جَنَيْتُهُ	لَعَلَّكَ مِنْ ذَا الْحِينِ تَرْجِعُ نَابِبا

ثم قدمت الكتاب للعجوز وقالت لها : يا دايتي، انهي هذا الكلب لئلا اقطع راسه وندخل في خطيئته . قالت لها العجوز : والله يا سيدتي ما اخلي له جنباً ينقلب عليه . واخذت الكتاب وسارت به حتى وصلت إلى الغلام وسلّمت عليه فرد عليها السلام وناولته الكتاب . فأخذه وقراه وهز راسه وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . وقال : يا امي، ما يكون عملي وقد قل صبري وضعف جلدي ؟ فقالت له العجوز : يا ولدي، صبر نفسك لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً واكتب ما في نفسك وأنا اجيء إليك بالجواب، وطب نفساً وقرّ عيناً فلا بد ان اجمع بينك وبينها إن شاء الله تعالى . فدعا لها وكتب كتاباً وضمّنه هذه الايات : [من الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْهَوَى مِنْ يُجِيرُنِي	وَجَوْرُ غَرَامِي قَاتِلِي وَمُمِيتُ
أَقَاسِي لَهَيْبِ النَّارِ مِنْ دَاخِلِ الْحَشَى	نَهَارًا وَلَيْلِي لَيْسَ فِيهِ مَيِّتُ
فَمَا لِي لَا أَرْجُوكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى	وَأَرْضِي عَلَى مَا بِالْغَرَامِ لَقِيتُ

سَأَلْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ يَرْزُقُنِي الرِّضَا لَأَنِّي بِحُبِّ الْغَانِيَاتِ قَنِينُ
وَيَقْضِي بَوْصَلَ عَاجِلٍ لِي فَأَرْتَضِي لِكُونِي بِأَهْوَالِ الْغَرَامِ رَمِيمُ

ثم طوى الكتاب وأعطى العجوز إياه وأخرج لها صرة فيها أربعمائة دينار . فأخذت الجميع وانصرفت إلى أن وصلت لبنت الملك وأعطتها الكتاب فلم تأخذه منها وقالت لها ما هذه الورقة ؟ فقالت لها : يا سيدتي هذه جواب الكتاب الذي أرسلته إلى هذا الكلب العاجر . قالت لها : هل نهيته كما عرفتك ؟ قالت : نعم وهذا جوابه . فأخذت الكتاب منها وقراته إلى آخره ثم التفتت نحو العجوز وقالت : أين نتيجة كلامك ؟ قالت : يا سيدتي ، ما ذكره في جوابه من أنه رجع وتاب واعتذر عن ما مضى . قالت : لا والله بل زاد . قالت : يا سيدتي ، اكتبي له كتاباً وسوف يبلغك ما أفعَل به . فقالت : ما لي حاجة بكتاب ولا جواب . قالت العجوز : لا بد من جواب حتى أزجره وأقطع أمه . قالت لها بنت الملك : إقطعني أمه من غير استصحاب كتاب . فقالت العجوز : لا بد في زجره وقطع أمه من استصحاب كتاب . فدعت بدواة وقرطاس وكتبت إليه هذه الأبيات : [من البسيط]

طَالَ الْعِتَابُ وَلَمْ تَمْتَعَكَ مَعْتَبَةٌ وَكَمْ يَحْطُ يَدِي بِالشَّعْرِ أَنهَاكَ
أَكْتُمُ هَوَاكَ وَلَا تَجْهَرُ بِهِ أَبَدًا وَإِنْ تُخَالِفُ فَإِنِّي لَسْتُ أَرْعَاكَ
وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى مَا أَنْتَ قَائِلُهُ فَإِنَّمَا جَاءَ نَاعِي الْمَوْتِ يُنْعَاكَ
فَعَنْ قَلِيلٍ تَرَى الْأَرْيَاحَ عَاصِفَةً عَلَيْكَ وَالطَّيْرُ فِي الْبَيْدَاءِ تَغْشَاكَ
إِرْجِعْ إِلَى خَيْرِ أَعْمَالٍ تَفْرُ زَمَانًا فَإِنْ قَصَدْتَ خَتَى أَوْ فُحْشَ أَرْدَاكَ

فلما فرغت من كتابتها رمت الورقة من يدها بغيط ، فأخذتها العجوز وسارت حتى وصلت إلى الغلام فأخذها منها . فلما قراها إلى آخرها علم أنها لم ترق له ولم تزد إلا غيظاً عليه وإنه ما يصل إليها ، فخطر بقلبه أنه يكتب جوابها ويدعو عليها . فكتب إليها هذه الأبيات : [من البسيط]

يَا رَبُّ بِالْحَمْسَةِ الْأَشْيَاحِ تُتَقَدِّنِي مِنْ الَّتِي فِي هَوَاهَا صِرْتُ فِي مِحْرٍ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا بِي مِنْ لَهِيْبِ جَوِي وَقَرِطِ شَوْقِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي
فَلَمْ تَرُقْ إِلَى مَا قَدْ بُلِيْتُ بِهِ كَمْ قَدْ تَجَوَّرُ عَلَى ضَعْفِي وَتَظْلِمُنِي
أَهِيْمُ فِي غَمْرَاتِ الْانْقِطَاعِ لَهَا وَلَمْ أَجِدْ مُسْعِفًا يَا قَوْمُ يُسْعِفُنِي
وَكَمْ أَيْتُ وَجَنَحُ اللَّيْلِ مُنْسِلٌ أَرَدُّ النَّوْحَ فِي سِرِّي وَفِي عَلْنِي
وَلَمْ أَجِدْ لِي سُلُوءًا عَنْ مَحَبَّتِكُمْ وَكَيْفَ أَسْأَلُو وَصَبْرِي فِي الْغَرَامِ فُنِي
يَا طَائِرَ الْبَيْنِ أَخْبِرْنِي فَهَلْ أَمِنْتُ مِنْ نَائِبَاتِ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالْمِحْرِ؟

ثم طوى الكتاب وأعطى العجوز إياه وأعطاه صرة فيها خمسمائة دينار . فأخذت الورقة وسارت حتى دخلت على بنت الملك وأعطتها الورقة . فلما قرأتها وفهمت ما رمتها من يدها وقالت لها : عرفيني يا عجوز السوء ، سبب جميع ما جرى لي منك ومن مكرك واستحسانك منه حتى كتبت لك ورقة بعد ورقة ، ولم تزال في حمل الرسائل بيننا حتى جعلت له معنا

مكاتبات وحكايات وفي كل وقت تقولين : أنا أكفيك شره وأقطع عنك كلامه . وما تقولين هذا الكلام إلا لاجل أن اكتب له كتاباً وتصيرين بيننا رايحة غادية حتى هتكت عرضي . ويلكم يا خدام امسكوها . وأمرت الخدام بضربها ، فضربوها إلى أن جرت دماؤها من جميع بدنها وغشي عليها ، وأمرت الجوارى أن يجرّوها فجرّوها من رجليها إلى آخر القصر . وأمرت أن تقف جارية عند رأسها فإذا أفاقت من غشيتها تقول لها : إن الملكة حلفت يميناً أنك لا تعودين إلى هذا القصر ولا تدخلينه ، فإن عدت إليه أمرت بقتلك جرماً . فلما أفاقت من غشيتها بلّغتها الجارية ما قالته الملكة فقالت : سمعاً وطاعة . ثم إن الجوارى أحضرت لها قفصاً وأمرت حملاً أن يحملها إلى بيتها . فحملها الحمّال وأوصلها إلى بيتها وأرسلت وراءها طبيياً وأمرته أن يداويها بملاطفة حتى تبرا ، فامثل الطبيب الأمر . فلما أفاقت ركبت وتوجهت عند الغلام وكان قد حزن حزناً شديداً لانقطاعها عنه وصار متشوقاً إلى أخبارها ، فلما رآها قام إليها ناهضاً وتلقاها وسلّم عليها فوجدها متضعفة . فسألها عن حالها ، فأخبرته بجميع ما جرى لها من الملكة . فصعب عليه ذلك الأمر ودقّ يداً على يد وقال : والله عسر على ما جرى لك ، لكن يا أمي ما سبب كون الملكة تبغض الرجال ؟ فقالت : يا ولدي ، أعلم أنّ لها بستاناً مليحاً ما على وجه الأرض أحسن منه ، فاتفق أنها كانت نائمة فيه ذات ليلة من الليالي فيبينما هي في لذيذ النوم إذ رأت في المنام أنها نزلت في البستان فرأت صياداً قد نصب شركاً ونثر حوله قمحاً وقعد على بعد منه ينظر ما يقع فيه من الصيد ، فلم يكن إلا مقدار ساعة وقد اجتمعت الطيور لتلتقط القمح فوق طير ذكر في الشرك وصار يتخبّط فيه فنفرت الطيور عنه وأثاء من جملتها ، فلم تغب عنه غير ساعة لطيفة ثم عادت إليه وتقدمت إلى الشرك وحاولت العين التي في رجل طيرها ولم تزل تعالج فيها بمنقارها حتى قرضتها وخلّصت طيرها ، كل هذا والصيد قاعد ينعس . فلما أفاق نظر إلى الشرك فرآه قد انفسد ، فأصلحه وجدّد نثر القمح وقعد على بعد من الشرك . فبعد ساعة وإذا بالطيور قد اجتمعت عليه ومن جملتها الأنثى والذكر ، فتقدّمت الطيور لتلتقط الحب وإذا بالأنثى قد وقعت في الشرك وصارت تختبئ فيه ، فطار الحمام جميعه عنها وطيرها الذي خلّصته من جملة الطيور ولم يعد إليها ، وكان الصياد غلب عليه النوم ولم يفق إلا بعد مدة مديدة . فلما أفاق من نومه وجد الطيرة وهي في الشرك ، فقام وتقدّم إليها وخلّص رجلها من الشرك وذبحها . فانتبهت بنت الملك وهي مرعوبة وقالت : هكذا تفعل الرجال مع النساء ، فالمرأة تشفق على الرجال وترمي روحها عليه وهو في المشقة وبعد ذلك إذا قضى عليها المولى ووقعت في مشقة فإنه يفوتها ولم يخلّصها وضاع ما فعلته معه من المعروف ، فلعن الله من يثق بالرجال فإنهم ينكرون المعروف التي تفعله معهم النساء . ثم إنها بغضت الرجال من ذلك اليوم . فقال ابن الملك للعجوز : يا أمي ، هل هي ما تخرج إلى الطريق ابداً ؟ قالت : لا يا ولدي ، إلا أن لها بستاناً وهو نزهة من أحسن منتزهات الزمان ، وفي كل عام عند انتهاء الأثمار فيه تنزل إليه وتتفرّج فيه يوماً واحداً ولا تبيت إلا في قصرها ، وما تنزل إلى البستان إلا من باب السرّ وهو واصل إلى البستان ، وأنا أريد أن أعلمك شيئاً وإن شاء الله يكون فيه صلاح لك . فاعلم أنه بقي إلى آوان النمر شهر واحد وتنزل تتفرّج فيه ، فمن يومنا هذا أوصيك أن تروح إلى خولي ذلك البستان وتعمل بينك وبينه

صحبة مودة، فإنه ما يدع أحداً من خلق الله تعالى يدخل هذا البستان لكونه متصلاً بقصر بنت الملك، فإذا نزلت بنت الملك كون قد؟ أعلمتك قبل نزولها بيومين فتروح أنت على جاري عادتك وتدخل البستان وتحيل على بياتك فيه، فإذا نزلت بنت الملك تكون أنت مختفياً في بعض الأماكن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
725
وقالت له : إن بنت الملك تنزل في البستان وقبل نزولها بيومين أعلمك، فإذا نزلت تكون أنت فيه مختفياً في بعض الأماكن فإذا رأيتها فاخرج لها فإنها إذا رأتك تحبك فإن الحبة تستر كل شيء . واعلم يا ولدي أنها لو نظرتك لافتتنت بحبك لأنك جميل الصورة، فقرعنا وطب نفساً يا ولدي فلا بد أن أجمع بينك وبينها. فقبل يدها وشكرها ودفع إليها ثلاث شقات من الحرير الإسكندراني وثلاث شقات من الأطلس ألوانهن مختلفة، ومع كل شقة تفصيلة من أجل القمصان وخرقة من أجل السراويل ومنديل من أجل العصابة وثوب بعلبكي من أجل البطانة حتى كمل لها ثلاث بدلات، كل بدلة أحسن من أختها، ودفع لها صرة فيها ستمائة دينار وقال لها : هذه من أجل الخياطة . فاخذت الجميع وقالت له : يا ولدي، أتحب أن تعرف طريق بيتي ؟ وأنا أيضاً أعرف مكانك . قال : نعم . فأرسل معها مملوكاً ليعرف مكانها ويعرفها بيته . فلما توجهت العجوز، قام ابن الملك وأمر غلمانه أن يغلقوا الدكان وتوجه إلى الوزير وأعلمه بما جرى مع العجوز من أوله إلى آخره . فلما سمع الوزير كلام ابن الملك قال له : يا ولدي، فإذا خرجت حياة النفوس ولم يحصل لك منها إقبال فما تفعل ؟ قال : ما يصير في يدي حيلة غير أنني أخرج من القول إلى الفعل وأخاطر بنفسي معها وأخطفها من بين خدمها وأردفها على الحصان وأطلب بها عرض البر الأفقر، فإن سلمت حصل المراد وإن عطبت فإني أستريح من هذه الحياة الذميمة . قال له الوزير : يا ولدي، أبهذا العقل تعيش ؟ كيف يكون سفرنا وبيننا وبين بلدنا مسافة بعيدة ؟ وكيف تفعل هذه الفعال مع ملك من ملوك الزمان تحت يده مائة ألف عنان ؟ وربما لا نأمن من أن يأمر بعض عساكره فتقطع علينا الطرق، وهذا ما هو مصلحة ولا يفعلها عاقل . قال ابن الملك : فكيف يكون العمل أيها الوزير الحسن التدبير، فإني ميت لا محالة . قال له الوزير : إصبر إلى غد حتى نرى هذا البستان ونعلم حاله وما يجري لنا مع الخولي الذي فيه . فلما أصبح الصباح، نهض الوزير هو وابن الملك وأخذ في جيبه ألف دينار وتمشياً حتى وصلا إلى البستان فرآياه عالي الحيطان قوي الأركان كثير الأشجار غزير الأنهار مليح الأثمار، قد فاحت أزهاره وترنمت أطياره كأنه روضة من رياض الجنان، ومن داخل الباب رجل شيخ كبير جالس على مصطبة . فلما رأهما وعاین هيبتهما، قام على قدميه بعد أن سلماً عليه . فرد عليهما السلام وقال لهما : يا أسيادي، لعل لكما حاجة أتشرف بقضائها . قال له الوزير : أعلم يا شيخ، أننا قوم غرباء وقد حمى علينا الحر ومنزلنا بعيد في آخر المدينة وقصدنا من إحسانك أن تأخذ منا هذين الدينارين وتشتري لنا شيئاً نأكله وتفتح لنا باب هذا البستان وتقعدينا في مكان مظل فيه ماء بارد لتتبرّد به حتى تحضر لنا بالأكل فنأكل نحن وأنت ونكون قد

استرحنا ونروح إلى حال سبيلنا. ثم إن الوزير حطَّ يده في جيبه فأخرج دينارين وحطَّهما في يد الخولي، وكان هذا الخولي عمره سبعون سنة ما نظر في يده شيئاً من ذلك. فلما نظر الخولي الدينارين في يده، طار عقله وقام من وقته وفتح الباب وأدخلهما وأجلسهما تحت شجرة مثمرة كثيرة الظل وقال لهما: إجلسا في هذا المكان ولا تدخلنا البستان أبداً لأن فيه باب السر الموصل إلى قصر الملكة حياة النفوس. قالوا له: ما ننتقل عن مكاننا أبداً. ثم توجه الشيخ البستاني ليشتري لهما ما أمراه به، فغاب ساعة وأتى إليهما ومعه حمال على رأسه خاروف مشوي وخبز، فأكلوا وشربوا جميعاً وتحدثوا ساعة. ثم تطلع الوزير والتفت يميناً وشمالاً إلى جوانب البستان فنظر في داخله قصرأً عالي البنيان إلا أنه عتيق، قد تقشّرت حيطانه من البياض وتهدمت أركانه. فقال الوزير: يا شيخ، هل هذا البستان ملكك أو أنت مستأجره؟ قال: يا مولاي، هو ليس ملكي ولا أنا مستأجره وإنما أنا حارس فيه. قال له الوزير: فكم أجرتك؟ قال: يا سيدي، في كل شهر دينار. قال الوزير: إنهم ظلموك وخصوصاً إن كنت صاحب عيال. قال الشيخ: والله يا سيدي، إن لي من العيال ثمانية أولاد وأنا. قال الوزير: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله لقد حملتني همك يا مسكين. لكن ما تقول فيمن يفعل معك خيراً لأجل هذه العيال التي معك؟ قال الشيخ: يا مولاي، مهما فعلته من الخير يكون لك ذخيرة عند الله تعالى. قال الوزير: أعلم يا شيخ أن هذا البستان مكان مليح وفيه هذا القصر، ولكنه عتيق خرب وأنا أريد أن أصلحه وأبيضه وأدهنه دهاناً مليحاً حتى يصير هذا المكان أحسن ما يكون في هذا البستان، فإذا حضر صاحب البستان ووجده قد تعمّر وصار مليحاً فإنه لا بد أن يسألك عن عمارته. فإن سألك فقل له: أنا يا مولاي عمّرت لما رأيته خراباً لا ينتفع به أحد ولا يقدر أن يقعد فيه لانه خرب دائر، فعمّرت وصرفت عليه. فإذا قال لك: من أين لك المال الذي صرفته عليه؟ فقل له: من مالي لأجل بياض وجهي عندك ورجاء إنعامك. فلا بد أنه ينعم عليك في نظير ما صرفته في المكان. وفي غد أحضر البنائين والمبيضين والدهانين لأجل أن يصلحوا شأن هذا المكان وأعطيك ما وعدتك به. ثم أخرج من جيبه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال له: خذ هذه الدنانير وانفقها على عيالك ودعهم يدعون إلي وإلى ولدي هذا. فقال له ابن الملك: ما سبب ذلك؟ قال له الوزير: ستظهر لك نتيجته. وأدرك شهرزاد للصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة كانت عيالك ودعهم يدعون لي ولولدي هذا. فنظر الشيخ إلى ذلك الذهب، فخرج عقله وانطرح على قدمي الوزير يقبلهما وصار يدعو له ولولده. ولما انصرفا من عنده قال لهما: إني لكما غداً في الإنتظار والله تعالى لا يفرق بيني وبينكما لا ليلاً ولا نهاراً. فلما كان في اليوم الثاني جاء الوزير إلى ذلك المكان وطلب عريف البنائين، فلما حضر بين يديه أخذه الوزير وتوجه به إلى البستان، فلما رآه الخولي فرح به. ثم إن الوزير أعطاه ثمن المؤونة وما يحتاج إليه العملة في عمارة ذلك القصر، فبنوه وبيضوه ودهنوه. فقال الوزير للدهانين: يا أيها المعلمون، أصغوا إلى كلامي وافهموا قصدي ومرامي، واعلموا أن لي بستاناً مثل هذا المكان كنت نائماً فيه ليلة من الليالي فرأيت في المنام أن صياداً

726

نصب شركاً ونثر حوله قمحاً، فاجتمعت عليه الطيور لتلتقط القمح فوق طير ذكر في الشرك ونفرت عنه جميع الطيور ومن حملتها انثى ذلك الذكر. ثم إن تلك الأنثى غابت ساعة وعادت إليه وحدها وقرضت العين التي في رجل ذكرها حتى خلصته، وكان الصياد في ذلك الوقت نائماً. فلما أفاق من نومه وجد الشرك مختلاً فأصلحه وجدد نثر القمح مرة ثانية وقعد بعيداً عنه ينتظر وقوع صيد في ذلك الشرك، فتقدمت الطيور لتلتقط القمح، فتقدم الطير والطيخة من جملة الطير فانشبكت الطيخة في الشرك ونفر الطير جميعه عنها وطيرها الذكر من جملة الطير ولم يعد إليها. فقام الصياد وأخذ الطيخة وضمحها. وأما الذكر فإنه لما نفر مع الطيور قد اختطفه جارح من الجوارح وذبحه وشرب دمه وأكل لحمه. وأنا أشتهي منكم أن تصوروا لي هذا المنام جميعه على صفات ما ذكرت لكم بالدهان الجيد وتجعلوا ذلك منالاً في تراويق البستان وحيطانه وأشجاره وأطياره، وتصوروا مثال الصياد وشركه وصفة ما جرى للطير الذكر مع الجارح حين اختطفه. فإذا فعلتم ما شرحت لكم ونظرته وأعجبني فإني أنعم عليكم بما يسر خاطركم زيادة عن أجرتك. فلما سمع كلامه الدهانون اجتهدوا في الدهان وأتقنوه غاية الإتقان. فلما انتهى وخلص أطلعوا الوزير عليه، فأعجبه ونظر إلى تصوير المنام الذي وصفه للدهانين كأنه هو. فشكرهم وأنعم عليهم بجزيل الانعام. ثم أتى ابن الملك على العادة ودخل ذلك القصر ولم يعلم بما فعله الوزير، فلما نظر إليه رأى صفة البستان والصياد والشرك والطيور والطير الذكر وهو بين مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه وأكل لحمه فتحير عقله. ثم رجع إلى الوزير وقال: أيها الوزير الحسن التدبير، إنني رأيت اليوم عجباً لو كتب بالإبر على آماقي البصر لكان عبرة لمن اعتبر. قال: وما هو يا سيدي؟ قال: أما أخبرتك بالمنام الذي رأته بنت الملك وإنه هو السبب في بغضها الرجال؟ قال: نعم. ثم قال: والله يا وزير لقد رأته مصوراً في جملة النقش بالدهان حتى كأنني عاينته عياناً ووجدت شيئاً آخر خفي أمره على ابنة الملك فما رأته، وهو الذي اعتمد في نيل المراد. قال: وما هو يا ولدي؟ قال: وجدت الطير الذكر لما غاب عن طيرته حين وقعت في الشرك ولم يرجع إليها، قد قبض عليه جارح وذبحه وشرب دمه وأكل لحمه. فيا ليت بنت الملك كانت رأت المنام كله وقصته لآخره وعابنت الطير الذكر لما اختطفه الجارح، وهذا سبب عدم عوده إليها وتخليصها من الشرك. قال له الوزير: أيها الملك السعيد، والله إن هذا أمر عجيب وهو من الغرائب. وصار ابن الملك يتعجب من هذا الدهان ويتأسف حيث لم تراه ابنة الملك إلى آخره ويقول في نفسه: يا ليتها رأت هذا المنام إلى آخره أو تراه جميعه مرة ثانية ولو في أضغاث الأحلام. قال الوزير: إنك كنت قلت لي: ما سبب عمارتك في هذا المكان؟ فقلت لك: سوف يظهر لك نتيجة ذلك. والآن قد ظهر لك نتيجته وأنا الذي قد فعلت ذلك الأمر وأمرت الدهانين بتصوير المنام وأن يجعلوا الطير الذكر في مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه وأكل لحمه، حتى إذا نزلت بنت الملك ونظرت إلى هذا الدهان ترى صورة هذا المنام وتنتظر إلى الطير وقد ذبحه الجارح فتعذره وترجع عن بغضها الرجال. فلما سمع ابن الملك هذا الكلام، قبل أيادي الوزير وشكره على فعله وقال له: مثلك يكون وزير الملك الأعظم، والله لئن بلغت قصدي ورجعت مسروراً إلى الملك لأعلمنه بذلك حتى يزيدك في الإكرام ويعظم شانك ويسمع كلامك. فقبل الوزير يده ثم إنهما ذهبا إلى الشيخ البستاني وقالوا له: انظر إلى هذا المكان وما

أحسنه . قال الشيخ : كل هذا بسعادتك . ثم قال له : يا شيخ ، إذا سألك أصحاب هذا المكان عن عمارة هذا القصر فقل لهم : أنا عمرته من مالي لأجل أن يحصل لك الخير والأنعام . فقال : سمعاً وطاعة . وصار ابن الملك لا ينقطع عن ذلك الشيخ . هذا ما جرى من الوزير وابن الملك . وأما ما كان من أمر حياة النفوس ، فإنها لما انقطعت عنها الكتب والمراسلة وغابت عنها المعجوز ، فرحت فرحاً شديداً واعتقدت أن الغلام سافر إلى بلاده . فلما كان في بعض الأيام حضر إليها طبق مغطى من عند أبيها ، فكشفته فوجدت فيه فاكهة مليحة . فسألت وقالت : هل جاء آوآن هذه الفاكهة ؟ قالوا : نعم . قالت : يا ليتني تجهزت للفرجة في البستان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بنت الملك لما أرسل إليها أبوها الفاكهة سألت وقالت : هل جاء آوآن هذه الفاكهة ؟ فقالوا لها : نعم . قالت : يا ليتنا نتجهز للفرجة في البستان . فقال لها جواريتها : نعم الرأي يا سيدتي ، والله لقد اشتقنا إلى ذلك البستان . قالت : كيف العمل ؟ وفي كل سنة ما يفرجنا في البستان ويبين لنا اختلاف هذه الأغصان إلا الداية ، وأنا قد ضربتها ومنعتها عني وقد ندمت على ما كان مني في حقها لأنها على كل حال دايتي ولها عليّ حق التربية ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فلما سمعت الجواري ذلك الكلام من بنت الملك ، نهضن جميعاً وقبلن الأرض بين يديها وقلن لها : بالله عليك يا سيدتي أن تصفحي عنها وتأمري بإحضارها . قالت : والله إنني عزمت على ذلك الأمر ، فمن فيكم يروح لها ؟ فإني قد جهزت لها خلعة سنينة . فتقدم إليها جاريتان : إحداها تسمى بلبل والأخرى تسمى سواد العين ، وهما أكبر جواري بنت الملك وخواصها عندها ، وهما ذاتا حسن وجمال . فقالتا : نحن نروح إليها أيتها الملكة . قالت : إفعلا ما بدا لكما . فذهبتا إلى بيت الداية وطرقا عليها الباب ودخلا عليها . فلما عرفتهما تلقتهما بأحضانها ورحبت بهما . فلما استقر بهما الجلوس قالتا لها : يا داية ، إن الملكة قد حصل منها العفو والرضى عنك . قالت الداية : لا كان ذلك أبداً ولو سقيت كؤوس الردى . فهل نسيت تعزيري قدام من يحبني ومن يبغضني حين صبغت أنوابي بالدم وكدت أن أموت من شدة الضرب وبعد ذلك سحبونني من رجلي مثل الكلب الميت حتى رموني خارج الباب ؟ فوالله لا أرجع إليها أبداً ولا أملأ عيني من رؤيتها . فقال لها الجاريتان : لا تردّي سعينا إليك خائباً ، فأين إكرامك إيانا ؟ فابصري من حضر عندك ودخل عليك ، فهل تريدان أحداً أكبر منا منزلة عند بنت الملك ؟ قالت : أعوذ بالله ، أنا أعرف أن مقداري أقل منكما ، لولا أن ابنة الملك عظمت قدري عند جواريها وخدمها فكنت إذا غضبت على أكبر من فيهن تموت في جلدها . فقالت الجاريتان : إن الحال باق على عهدك لم يتغير أبداً بل هو أكثر مما تعهدين ، فإن بنت الملك وضعت نفسها لك وطلبت الصلح من غير واسطة . فقالت : والله لولا حضوركما عندي ما كنت أرجع إليها ولو أمرت بقتلي . فشكرتاها على ذلك ، ثم قامت من وقتها ولبست ثيابها وطلعت معهما وسرن جميعاً حتى دخلت على بنت الملك . فلما دخلت عليها قامت على قدميها فقالت لها الداية : الله يا بنت الملك هل الخطأ مني أو منك ؟ فقالت بنت الملك : الخطأ مني والعفو والرضى منك ، والله يا دايتي إن قدرك عال عندي ولك عليّ حق التربية . ولكن أنت

فلما كانت الليلة
727
كانت الليلة

تعلمين ان الله سبحانه وتعالى قسم للخلق أربعة أشياء: الخلق والعمر والرزق والاجل، وليس في قدرة الإنسان أن يرد القضاء وإني ما ملكت نفسي ولا قدرت على رجوعها، وأنا يا دايتي ندمت على ما فعلت. فعند ذلك زال ما عند العجوز من الغيظ فنهضت وقبّلت الأرض بين يديها، فدعت الملكة بخلعة سنية وأفرغتها عليها. ففرحت بتلك الخلعة فرحاً شديداً والخدم والجواري واقفات بين يديها. فلما انتهى ذلك المجلس قالت لها: يا دايتي، كيف حال الفواكه وثمر غيطاننا؟ قالت: والله يا سيدتي، نظرت غالب الفواكه في البلد، ولكن في هذا اليوم أفتش على هذه القضية وأرد لك الجواب. ثم نزلت من عندها وهي مكرّمة في غاية الإكرام وسارت حتى أتت ابن الملك، فتلقأها بفرح وعانقها واستبشر بقدمها وانشرح خاطره لأنه كان كثير الإنتظار لرؤيتها. ثم إن العجوز حكّت له على ما وقع لها مع بنت الملك وأن بنت الملك مرادها أن تنزل إلى البستان في اليوم الفلاني. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 728
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز لما أتت عند ابن الملك وأخبرته بما جرى لها مع الملكة حياة النفوس وأنها تنزل البستان اليوم الفلاني. قالت له: هل فعلت ما أمرتك به من قضية بواب البستان؟ وهل وصل إليه شيء من إحسانك؟ قال لها: نعم، إنه صار صديقي وطريقه طريقي وفي خاطره لو يكون لي إليه حاجة. ثم أخبرها بما جرى له من أمر الوزير وتصويره المنام الذي رآته بنت الملك وخبر الصياد والشرك والجراح. فلما سمعت العجوز هذا الكلام فرحت فرحاً شديداً ثم قالت له: بالله عليك أن تجعل وزيرك في وسط قلبك، فإن فعله يدل على رجاحة عقله ولأنه أعانك على بلوغ مرادك. فانفض يا ولدي من ساعتك وادخل الحمام والبس أفخر الثياب فما بقي لنا حيلة أكبر من هذه، واذهب إلى البواب واعمل عليه حيلة حتى يمكنك من بياتك في البستان، فلو أعطي ملا الأرض ذهباً ما يمكن أحداً من الدخول في البستان، فإذا دخلت فاخترت حتى لا تراك العيون. ولا تنزل مخفياً حتى تسمعني أقول: يا خفي الألفاظ أماناً مما نخاف. فاخرج من خباتك واطهر حسنك وجمالك وتوارى في الأشجار فإن حسنك يخجل الأعمار حتى تنترك الملكة حياة النفوس وتملا قلبها وجوارحها بهواك فتبلغ قصدك ومنك ويذهب همك. قال الغلام: سمعاً وطاعة. وأخرج صرة فيها ألف دينار فأخذتها منه ومضت، وخرج ابن الملك من وقته وساعته ودخل الحمام وتنعّم ولبس أفخر الثياب من لباس الملوك الأكاصرة وتوشّح بوشاح قد جمع فيه من أصناف الجواهر المثمّنة وتعمّم بعمامة منسوجة بشرايط الذهب الأحمر مكلّلة بالدر والجوهر، وقد تورّدت وجنتاه واحمرت شفثاه وغازلت أجفانه الغزلان وهو يتمايل كما النشوان، وعمّه الحسن والجمال وفضح الأغصان قوامه الميال. ثم إنه حطّ في جيبه كيساً فيه ألف دينار وسار إلى أن أقبل على البستان ودقّ بابه. فأجابته البواب وفتح له الباب، فلما نظره فرح فرحاً شديداً وسلّم عليه أفخر السلام. ثم إنه وجد ابن الملك عابس الوجه فسأله عن حاله. فقال له: أعلم أيها الشيخ أنني عند والدي مكرم ولا وضع يده عليّ إلا في هذا اليوم، فوقع بيني وبينه كلام فشتمني ولطمني على وجهي وبالعضى ضربني وطردني فصرت لا أعرف صديقاً، فخفت من غدر الزمان وأنت تعرف أن غضب الوالدين ما هو قليل. وقد حضرت إليك يا عم، فإن والدي بك خبير وأريد من

إحسانك أن أقيم في البستان إلى آخر النهار وأبيت فيه إلى أن يصلح الله الشأن بيني وبين والدي . فلما سمع كلامه ، توجّع لما جرى له مع والده فقال له : يا سيدي ، أتأذن لي أن أروح إلى والدك وأدخل عليه وأكون سبباً في الصلح بينك وبينه ؟ قال له الغلام : يا عم ، إن والدي له أخلاق لا تطاق ومتى عارضته في الصلح وهو في حرارة خلقه لا يرجع إليك . قال الشيخ : سمعاً وطاعة . ولكن يا سيدي إمش معي إلى بيتي فإيتك بين أولادي وعيالي ولا ينكر أحد علينا . فقال له الغلام : يا عم ، ما أقيم إلا وحدي في حالة الغيظ . فقال الشيخ : يعز عليّ أن تنام وحدك في البستان وأنا لي بيت . قال : يا عم ، لي في ذلك غرض حتى يزول العارض عني ، وأنا أعلم أن في هذا الأمر رضاه فيعطف عليّ خاطره . قال له الشيخ : فإن كان ولا بد فإني أحضر لك فراشاً تنام عليه وغطاء تتغطى به . قال له : يا عم لا بأس بذلك . فنهض الشيخ وفتح له باب البستان وأحضر له الفرش والغطاء والشيخ لا يعلم أن بنت الملك تريد الخروج إلى البستان . هذا ما كان من أمر ابن الملك . وأما ما كان من أمر الداية ، فإنها لما ذهبت إلى بنت الملك وأخبرتها بأن الأثمار طابت على أشجارها قالت لها : يا دايتي ، إنزلي معي إلى البستان لتتفرجي في غد إن شاء الله تعالى ، ولكن أرسلني إلى الحارس وعرفيه أننا في غد نكون عنده في البستان . فأرسلت له الداية أن الملكة تكون عنده غداً في البستان وأنه لا يترك في البستان سواقين ولا مرابعين ولا يدع أحداً من خلق الله أجمعين يدخل البستان . فلما جاءه الخبر من عند بنت الملك ، أصلح المجاري واجتمع بالغلام وقال له : إن بنت الملك صاحبة هذا البستان ، ويا سيدي لك المعذرة والمكان مكانك وأنا ما أعيش إلا في إحسانك ، غير أن لساني تحت قدمي فأعرفك أن الملكة حياة النفوس تريد الخروج إلى البستان غداً في أول النهار وقد أمرت أنني لا أخلي أحداً في البستان يراها ، وأريد من فضلك أن تخرج من البستان في هذا النهار فإن الملكة لم تقم فيه سوى هذا اليوم إلى العصر ويصير لك مدة الشهر والدهور والأعوام . قال له : يا شيخ ، لعلك حصل لك من جهتنا ضرر . قال : لا والله يا مولاي ما حصل لي من جهتك إلا الشرف . فقال له الغلام : إن كان الأمر كذلك فما يحل لك من جهتنا إلا كل خير فإني أختفي في هذا البستان ولا يراني أحد حتى تروح بنت الملك إلى قصرها . قال الخولي : يا سيدي ، متى نظرت خيال بشر من خلق الله تعالى ضربت عنقي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ لما قال للغلام : إن بنت الملك متى رأت خيال بشر ضربت عنقي . قال له الغلام : أنا ما أخلي أحداً يراني جملة كافية ، ولا شك أنك اليوم مقصّر في النفقة على العيال . ومد يده إلى الكيس وأخرج منه خمسمائة دينار وقال له : خذ هذا الذهب وانفقه على عيالك فيطيب قلبك من جهتهم . فلما نظر الشيخ إلى الذهب هانت عليه نفسه وأكد على ابن الملك في عدم الظهور في البستان ثم تركه جالساً . هذا ما كان من أمر الخولي وابن الملك . وأما ما كان من أمر بنت الملك ، فإنه لما كان بكرة النهار دخل عليها خدامها فأمرت بفتح باب السر الموصل إلى البستان الذي فيه القصر ، وليست حلة كسروية مرصعة باللؤلؤ والدرّ والجوهر ، وليست حلة ومن تحتها قميص لطيف مرصع بالياقوت ، ومن تحت الجميع ما يعجز عن وصفه اللسان ويتحير فيه الجنان وفي هواه يشجع الجبان ، ومن فوق

رأسها تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدرّ والجوهر وهي تخطر في قبقاب من اللؤلؤ الرطب
 مصوغ من الذهب الأحمر مرصع بالفصوص والمعادن، وجعلت يدها على كتف العجوز
 وأمرت بالخروج من باب السرّ. وإذا بالعجوز قد نظرت إلى البستان فوجدته قد امتلأ من الخدم
 والجواري وهن ياكلن الثمار ويعكرون الأنهار ويردن التمتع باللعب والفرجة في هذا النهار .
 فقالت للملكة : إنك صاحبة العقل الوافر والفتنة الكاملة وأنت تعلمين أنك غير محتاجة لهذه
 الخدم في البستان، ولو كنت خارجة من قصر أبيك لكان سيرهم معك احتراماً لك ولكنك يا
 سيدتي طالعة من باب السرّ إلى البستان بحيث لا يراك أحد من خلق الله تعالى . قالت لها : لقد
 صدقت يا دايتي، فكيف يكون العمل ؟ ثم قالت لها العجوز : أمري الخدام أن ترجع وما أخبرك
 بهذا إلا احتراماً للملك . فأمرت الخدام بالرجوع . قالت الداية : بقي بقية من الخدام الذين يبغون
 في الأرض الفساد، فاصرفهم ولا تدعي معك غير جاريتين من الجواري لنشرح معهما . فلما
 نظرتها الداية قد صفى قلبها وراق لها الوقت قالت : الآن قد نفرجنا فرجة مليحة فقومي بنا الآن
 إلى البستان . فقامت بنت الملك وجعلت يدها على كتف الداية وخرجت من باب السرّ وجاريتها
 يمشيان قدامها وهي تضحك عليهما وتتمايل في غلالها والداية تمشي قدامها وترهبها الأشجار
 وتطمعها من الأثمار وهي تروح من مكان إلى مكان، ولم تزل سائرة بها إلى أن وصلت إلى ذلك
 القصر . فلما نظرت الملكة رآته الجديدة فقالت : يا دايتي ، أما تنظرين هذا القصر قد عمرت أركانه
 وابتضت حيطانه ؟ قالت الداية : والله يا سيدتي إني سمعت كلاماً وهو أن جماعة من التجار أخذ
 منهم الخولي قماشاً وباعه وأخذ بثمنه طوباً وجيراً وجبساً وحجراً وغير ذلك . فسألته ما فعل
 بذلك . فقال لي : عمرت به القصر الذي كان دائراً . ثم قال الشيخ : إن التجار طالبوني بحقهم
 الذي لهم عليّ فقلت : حتى تنزل بنت الملك إلى البستان وتنظر العمارة وتعجبها فإذا طلعت
 أخذت منها ما تتفضل به عليّ وأعطتهم حقهم الذي لهم . فقلت له : ما حملك على ذلك ؟
 قال : رأيت قد وقع وتهدمت أركانه وتقرّش بياضه وما رأيت لأحد مروءة أن يعمره فاقترضت في
 ذمتي وعمرته ، وأرجو من ابنة الملك أن تعمل ما هي أهله . فقلت له : إن ابنة الملك كلها خير
 وعوض . وما فعل هذا كله إلا طمعاً في إحسانك . قالت بنت الملك : والله لقد بناه عن مروءة
 وفعل فعل الأجداد، ولكن نادي لي الخازندارة . فنادت الداية الخازندارة فحضرت في الحال عند
 ابنة الملك ، فأمرتها أن تعطي الخولي ألفي دينار . فأرسلت العجوز رسولاً إلى الخولي ، فلما وصل
 إليه الرسول قال له : واجب عليك امتثال أمر الملكة . فلما سمع الخولي من الرسول هذا الكلام ،
 ارتعدت مفاصله وضعفت قوته وقال في نفسه : لا شك أن ابنة الملك نظرت الغلام ولا يكون هذا
 اليوم عليّ إلا أشام الأيام . فخرج حتى وصل إلى داره وأعلم زوجته وأولاده بذلك وأوصى
 وودعهم فتباكوا عليه . ثم إنه تمشى إلى أن وقف بين يدي ابنة الملك ووجهه مثل الكركم وهو
 يكاد أن يسقط من طوله . فعلمت العجوز منه ذلك فأدرّكته بكلامها وقالت : يا شيخ ، قبل
 الأرض شكراً لله تعالى وابتهل بالدعاء للملكة، فقد أعلمتها بما فعلت من عمارة القصر الدائر
 ففرحت بذلك وقد أنعمت عليك في نظير ذلك بألفي دينار ، فاقبضهما من الخازندارة وادع لها
 وقبل الأرض بين يديها وارجع إلى حالك . فلما سمع الخولي ذلك الكلام من الداية ، قبض
 الألفي دينار وقبل الأرض بين يدي ابنة الملك ودعا لها . ثم عاد إلى منزله وفرحت عياله به ودعوا

لمن كان سبباً في هذا الأمر كله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
730
قال
قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ الحارس لما أخذ الألفي دينار من الملكة وعاد إلى منزله ، فرحت عياله ودعوا لمن كان سبباً في ذلك كله . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر العجوز ، فإنها قالت : يا سيدتي ، لقد صار هذا المكان مليحاً وما رأيت قط أنصع من بياضه ولا أحسن من دهانه . يا ترى هل الأصلح ظاهره أو باطنه ؟ وإلا عمل ظاهره بياضاً وباطنه سواداً ؟ فادخلي بنا حتى نتفرج على باطنه . فدخلت الداية وبنت الملك خلفها فوجداه مدهوناً ومزوقاً من داخل بأحسن التزويق . فنظرت بنت الملك يميناً وشمالاً إلى أن وصلت إلى صدر الإيوان ، فشخصت إليه وأطالت النظر فيه . فعلمت الداية أن عينها لحظت تصوير ذلك المنام ، فأخذت الجاريتين عندها حتى لا يشغلاها . فلما انتهت بنت الملك إلى رؤية تصوير المنام التفتت إلى العجوز وهي متعجبة تدق يداً على يد وقالت : يا دايتي ، تعالي انظري شيئاً عجيباً لو كتب بالإير على آفاق البصر لكان عبرة لمن اعتبر . قالت العجوز : وما هو يا سيدتي ؟ قالت لها الملكة : ادخلي صدر الإيوان وانظري ، وأي شيء تنظرينه فعرفني به . فدخلت العجوز وتأملت تصوير المنام وخرجت وهي متعجبة وقالت : والله يا سيدتي ، إن هذا هو صورة البستان والصيد والشرك وجميع ما رأيته في المنام ، وما منع الذكر لما طار من أن يعود إلى أناه ويخلصها من شرك الصيد إلا مانع عظيم ، فإني نظرت تحت مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه ومزق لحمه وأكله ، وهذا يا سيدتي سبب تأخيره عن العود إليها وتخليصها من الشرك . ولكن يا سيدتي إنما العجب من تصوير هذا المنام بالزواق ، ولو كنت أنت أردت أن تفعل ذلك لعجزت عن تصويره ، والله إن هذا الشيء عجيب يؤرخ في السير . ولكن يا سيدتي لعل الملائكة الموكلين ببني آدم علموا أن الطير الذكر مظلوم حيث ظلمناه ولمناه على عدم عوده . فاقاموا حجة الذكر وبينوا عذره . وها أنا قد رأيته في هذه الساعة بين مخالب الجارح وهو مذبوح . قالت بنت الملك : يا دايتي ، هذا الطير الذي جرى عليه القضاء والقدر ونحن قد ظلمناه . قالت العجوز : يا سيدتي ، بين يدي الله تعالى تلتقي الخصوم ، ولكن يا سيدتي قد تبين لنا الحق ووضح لنا عذر الطير الذكر ، ولولا أنه تعلقت به مخالب الجارح وذبحه وشرب دمه وأكل لحمه ما تأخر عن الرجوع إلى الطيرة بل كان يرجع إليها ويخلصها من الشرك . ولكن الموت ما فيه حيلة وخصوصاً ابن آدم ، فإنه يجوع نفسه ويطعم زوجته ويعرّي نفسه ويكسوها ويغضب أهله ويرضيها ويعصي والديه ويطيعها ، وهي تطلع على سره وخبيثته ولا تصبر عنه ساعة واحدة ، فلو غاب عنها ليلة واحدة لم تنم عنها ولم يكن عندها أعز منه ، فتعزّه أكثر من والديها . وإذا ناما يتعانقان ويجعل يده تحت عنقها وهي تجعل يدها تحت عنقه كما قال الشاعر : [من الطويل]

تَوَسَّدَتْهَا زَنْدِي وَبِتُّ صَجِيعَهَا
وَقُلْتُ لِلْيَلِي طُلُّ فَقَدْ أَشْرَقَ الْبَدْرُ
فِيَا لَيْلَةً لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِثْلَهَا
فَأَوْلَّهَا حَلْوً وَأَخْرَهَا مَرُّ

وبعد ذلك فهو يقبلها وتقبله . ومن جملة ما جرى لبعض الملوك مع زوجته أنها ضعفت وماتت ، فدفن نفسه معها بالحياة ورضي لنفسه بالموت من محبته إياها ومن فرط الإلفة التي كانت بينهما . وكذلك جرى لبعض الملوك حين ضعف ومات ، فلما قصدوا أن يدفنوه قالت

زوجته لاهلها: دعوني ادفن نفسي معه بالحياة وإلا اقتل نفسي وأبقي في ذمتكم . فلما علموا أنها لا ترجع عن ذلك تركوها، فرمت نفسها في القبر معه من كثرة محبتها إياه وشفقتها عليه . وما زالت العجوز تحدثها بحدِيث أخبار الرجال والنساء حتى زال ما كان في قلبها من بغض الرجال . فلما عرفت العجوز المودة التي تجددت عندها للرجال قالت : إنه آن آوان تفرّجنا في البستان . فخرجتا من القصر يتمشيان بين الأشجار فلاحت من ابن الملك التفاتة فوقعت عينه عليها ونظر إلى شكلها واعتدال قدّها وتوردّ خدّها وسواد طرفها وبارع ظرفها وياهر جمالها ووافر كمالها، فاندھش عقله وشخص إليها بصره وعدم في الغرام رشده وتجاوز به العشق حدّه واشتعلت بخدمتها جوارحه والتھبت بنار العشق جوانحه، فغشي عليه ووقع على الأرض مغمى عليه . فلما أفاق وجدها غابت عن عينه وتوارت منه في الأشجار . وأدرك شہرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 731 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن ابن الملك ازدشير لما كان مختفياً في البستان ونزلت بنت الملك هي والعجوز مشيا بين الأشجار، رآها ابن الملك فغشي عليه من شدة ما حصل له من العشق . فلما أفاق وجدها غابت عن عينه وتوارت منه في الأشجار . فتهد من قلبه وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

ولما رأت عيني بديع جمالها
فأصبحت مرمياً طريحاً على الثرى
ثنت فأحمت قلب صبّ متيم
فيا ربّ قرب لي الوصال وأحظني
أقبلها عشراً وعشراً وعشرة
تمزق قلبي بالصباية والوجد
وما علمت بنت المليك بما عندي
فيا لله رقي وأرحمي صادق الوجد
بمهجة قلبي، خشيتي ظلمة اللحد
تكون من المضيئ الكئيب على الحد

ولم تزل العجوز تفرّج بنت الملك في البستان إلى أن وصلت إلى المكان الذي فيه ابن الملك وإذا بالعجوز قالت : يا خفي الألفاظ أمنا مما نخاف . فلما سمع ابن الملك الإشارة خرج من خبائه وتعجب في نفسه وتاه وتمشى بين الأشجار بقدر يخجل الأغصان وتكلل جبينه بالعرق وصارت وجنتاه كالشفق، فسبحان الله العظيم فيما خلق . فلاحت التفاتة من بنت الملك فنظرته، فلما رآته صارت شاخصة له ساعة طويلة ورأت حسنه وجماله وقده واعتداله وعيونه التي تغازل الغزلان وقامته التي تفضح غصون البان، فاذهل عقلها وسلب لبيها ورشقها بسهام عينه في قلبها فقالت للعجوز : يا دايتي، من أين لنا هذا الغلام المليح القوام ؟ قالت : أين هو يا سيدتي ؟ قالت : ها هو قريب بين الأشجار . فصارت العجوز تتلفّت يمينا وشمالاً كأنه لم يكن عندها خبر به وقالت : ومن عرف هذا الشاب طريق ذلك البستان ؟ قالت لها حياة النفوس : ومن يعرفنا بخبر هذا الشاب ؟ فسبحان من خلق الرجال . ولكن يا دايتي، هل أنت تعرفينه ؟ قالت لها : يا سيدتي، هو الشاب الذي كان يرأسك معي . قالت لها بنت الملك وهي غريقة في بحر هواها ونار شوقها وجواها : يا دايتي، ما أحسن هذا الشاب فإنه مليح الطلعة وأظن أنه ما على وجه الأرض أحسن منه . فلما علمت العجوز أن هواه ملكها قالت لها : أما قلت لك يا سيدتي إنه شاب مليح بوجه صبيح . قالت لها بنت الملك : يا دايتي، إن بنات الملوك لا يعرفن أحوال الدنيا ولا يعرفن صفات

من فيها ولا عاشرون ولا أخذن ولا أعطين . يا دايتي ، كيف الوصول إليه ؟ وبأي حيلة أقبل بوجهي عليه ؟ وماذا أقول له ويقول لي ؟ قالت العجوز : أي شيء في يدي الآن من الحيلة ؟ قد صرنا متحيرين في هذا الأمر من أجلك . قالت بنت الملك : يا دايتي أعلمي أنه ما مات أحد بالغرام إلا أنا ، فها أنا أيقنت باللمات من وقتي وكل هذا من نار وجددي . فلما سمعت العجوز كلامها ورات في هواه غرامها قالت لها : يا سيدتي ، أما حضوره عندك فلا سبيل إليه وأنت معذورة في عدم رواحك إليه لأنك صغيرة ، لكن قومي معي وأنا قدامك إلى أن تصلي إليه وأنا أكون مخاطبة له فما يحصل لك خجل وهي لحظة عين ، حتى يحصل الإنس بينكما . قالت الملكة : قومي قدامي فقضاء الله لا يرد . ثم قامت الداية وبنت الملك حتى أقبلتا على ابن الملك وهو جالس كأنه البدر في تمامه . فلما وصلتا إليه قالت له العجوز : أنظر يا فتى من حضر بين يديك وهي بنت ملك الزمان حياة النفوس ، فاعرف قيمتها ومقدار مشيها إليك وقدمها عليك ، قم تعظيماً لها وتمثل قائماً على قدميك . فنهض الغلام من وقته وساعته قائماً على قدميه ووقعت عينه في عينها فصار كل واحد منهما كالسكران بغير مدام وقد زاد بها شوقه وغرامه ، ففتحت بنت الملك يديها وكذلك الغلام واعتنقا وهما في غاية الإشتياق ، فغلب عليهما الهوى والغرام فغشي عليهما الإثنان ووقعا على الأرض واستمرأ ساعة طويلة . فخشيت العجوز من الهتكة فأدخلتهما القصر وقعدت على بابه وقالت للجواري : اغتموا الفرجة فإن الملكة نائمة ، فرجع الجواري إلى الفرجة . ثم إنهما قاما من غشيتهما فوجدا أنفسهما داخل القصر ثم قال الغلام : بالله عليك يا سيدة الملاح هل هذا منام أو أضغاث أحلام ؟ ثم اعتنقا الإثنان وسكرا من غير مدام وتشاكيا لوعة الغرام فانشد الغلام هذه الأبيات : [من البسيط]

الشمسُ من وجهها الوضاح طالعة
فإنه حينما للناظرين بدا
وإن بدا بارق من تغري مبسمها
وإن تُشني قواماً من معاطفها
عندي عن الكل ما يُغني برؤيتها
أعارت البدر جزءاً من محاسنها
من أين للشمس أعطاف تُميسُ بها
فمن يلمني وكلّي في محبتّها
هي التي ملكت قلبي بلفتتها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن الملك لما فرغ من شعره ضمته بنت الملك إلى صدرها وقبلت فاه وما بين عينيه ، فعادت إليه روحه وصار يشكو إليها ما قاساه من شدة العشق وجور الغرام وكثرة الشوق والهيام ، وما جرى له من قسوة قلبها . فلما سمعت كلامه قبلت يديه وقدميه وكشفت رأسها فأظلم الليجور وأشرقت فيه البدر

فلما كانت الليلة
732
الليلة

وقالت : يا حبيبي وغاية مرادي ، لا كان يوم الصلود ولا جعله الله بيننا يعود . فعندها تعانقا وتباكيا وانشدت بنت الملك هذه الايات : [من السريع]

يا مَخْجِلَ الْبَدْرِ وَشَمْسَ النَّهَارِ	حَكَمْتَ فِي قَتْلِ مُحِبِّ فَحَارِ
يَسِيفٍ لَحْظٍ قَاطِعٍ فِي الْحَشَى	وَأَيْنَ مِنْ سَيْفِ اللَّحَاطِ الْفِرَارِ
وَشِبْهُ قَوْسٍ حَاجِبِكَ أَرْتَمِي	مِنْهَا بِقَلْبِي سَهْمٌ وَجَدَ وَنَارِ
وَمِنْ جَنَى خَدَيْكَ لِي جَنَّةٌ	فَهَلْ لِقَلْبِي عَنْ جَنَاهَا أَصْطَبَارِ
وَقَدْكَ الْمَائِسُ غُصْنٌ زَهَا	مِنْ حَمَلِ هَذَا الْغُصْنِ تُجَنِّي الشَّمَارِ
جَذَبْتَنِي قَهْرًا وَأَسْهَرْتَنِي	وَقَدْ خَلَعْتُ فِي هَوَاكَ الْعِدَارِ
أَعَانِكَ اللَّهُ بِنُورِ الضِّيَا	وَقَرَّبَ الْبُعْدَ وَأَدْنَى الْمَزَارِ
فَارْحَمْ فُوَادًا فِي هَوَاكَ أَنْكَوَى	وَقَلْبَ مُضْنَى بَعْلَاكَ أَسْتَجَارِ

فلما فرغت من شعرها ، فاض عليها الغرام وهامت وبكت بدموع غزار سجام فاحرقت قلب الغلام فتغنى في هواها وهام وتقدم إليها وقبل يديها وبكا بكاء شديداً . ولم يزالا في عتاب ومنادمات وأشعار إلى أن أذن العصور ولم يكن بينهما غير ذلك . فهما بالإنصراف فقالت له بنت الملك : يا نور عيني وحشاشة كبدي ، هذا وقت الفراق فمتى يكون التلاق ؟ قال الغلام وقد اصابه من كلامها سهام : والله لا أحب ذكر الفراق . ثم إنها خرجت من القصر فالتفت إليها فوجدها تنن انيناً يذيب الحجر وتبكي بدموع كالقطر . فغرق من العشق في بحر الهلكات وانشد هذه الايات : [من المتقارب]

أَيَا مَنِيَّةَ الْقَلْبِ زَادَ اسْتِغَالِي	لِفِرْطِ هَوَاكَ فَكَيْفَ أَحْتِيَالِي
فَوَجْهَكَ كَالصَّبْحِ مَهْمًا بَدَا	وَشَعْرُكَ فِي اللَّوْنِ بِحِكْمِي اللَّيَالِي
وَقَدْكَ غُصْنٌ إِذَا مَا أَتْنِي	وَقَدْ حَرَّكَتَهُ رِيَا حُ الشَّمَالِي
وَالْحَاطِظُ عَيْنِيكَ تَحْكِي الظَّبَالِي	إِذَا رَمَقْتَهَا كِرَامُ الرَّجَالِي
وَحَصْرُكَ مُضْنَى بِرَذْفِ ثَقِيلِ	فَهَذَا ثَقِيلٌ وَهَذَاكَ بِالِ
وَمِنْ خَمْرِ رَيْقِكَ أَحْلَى شَرَابِ	وَمِسْكَ زَكِيٍّ وَبَرْدِ الزُّلَالِ
فَيَا طَبِيَّةَ الْحَيِّ كَفِّي الْأَسَى	وَجُودِي عَلَيَّ بِطَيْفِ الْخَيَالِ

فلما سمعت ذلك بنت الملك في وصفها رجعت إليه واعتنقته بقلب حريق أضرم ناره الفراق ولا يطفؤه غير التقييل والعناق وقالت : إن صاحب المثل السائر يقول : الصبر على الحبيب ولا يفقه . ولا بد أن أدير حيلة في الإجتماع ، ثم ودعته وراحت وهي لا تدري أين تضع قدمها من شدة عشقها . ولم تزل سائرة حتى ألفت نفسها في مقصورتها . وأما الغلام فإنه قد زاد به الشوق والهيام وحرم لذيد المنام . ثم إن الملكة لم تذوق طعاماً وفرغ صبرها وضعف جلدتها . فلما أصبح الصباح طلبت الداية ، فلما حضرت بين يديها وجدت حالها تغير فقالت لها : لا تسالي عما أنا فيه لأن جميع ما أنا فيه من يدك . ثم قالت لها : أين محبوب قلبي ؟ قالت لها العجوز : يا سيدتي ، ومتى فارقتك ؟ هل بعد عنك غير هذه الليلة ؟ قالت لها : وهل يمكنني أن اصبر عنه

ساعة واحدة؟ قومي تحيَّلي واجمعي بيني وبينه بسرعة فإن روعي كادت أن تخرج . قالت لها الداية : طوكي روحك يا سيدتي حتى أدبر لكما امرأً لطيفاً لا يشعر به أحد . فقالت لها : والله العظيم إذا لم تأت به في هذا اليوم لأقولن للملك وأخبره أنك أفسدت حالي ، فبير عنقك . قالت العجوز : سألتك بالله أن تصبري عليّ فإن هذا الأمر خطر . ولم تزل تخضع لها حتى صبرتها ثلاثة أيام وبعد ذلك قالت لها : يا دايتي ، إن الثلاثة أيام مقومة عليّ بثلاث سنين ، فإن فات اليوم الرابع ولم تحضره عندي سعيت في قتلك . فخرجت الداية من عندها وتوجهت إلى منزلها . فلما كان صبح اليوم الرابع دعت بمواشط البلد وطلبت منهن نقشاً مليحاً من أجل تزويق بنت بكر وتنقيشها وتكثيها ، فأحضرن إليها مطلوبها من أحسن ما يكون . ثم دعت بالغلام فحضر ، وفتحت صندوقها وأخرجت منه بقعة فيها حلة من ثياب النساء تساوي خمسة آلاف دينار بعصابة مطرزة بأنواع الجواهر وقالت : يا ولدي ، أتحب أن تجتمع بحياة النفوس ؟ قال لها : نعم . فأخرجت محفة وحففته بها وكحلته ثم أعرته وركبت النقش على يديه من ظفره إلى كتفه ومن مشط رجليه إلى فخذه وكتبت سائر جسده ، فصار كأنه ورد أحمر على صفائح المرمر . ثم بعد مدة لطيفة غسلته ونظفته وأخرجت له قميصاً ولباساً ثم البسته تلك الحلة الكسرية وعصبته وقنعتة وعلمته كيف يمشي وقالت له : قدّم الشمال وآخر اليمين . ففعل ما أمرته به ومشى قدامها فصار كأنه حورية خرجت من الجنة . ثم قالت له : قو قلبك فإنك قادم على قصر ملك ولا بد أن يكون على باب القصر جنود وخدم ، ومتى فزعت منهم أو حصل عندك وهم ، تفرسوا فيك وعرفوك فيحصل لنا الأذى وتروح أرواحنا ، فإن لم يكن عندك مقدرة على ذلك فاعلمني . قال : إن هذا الأمر لا يروعي فطبيي نفساً وقرّي عيناً . فخرجت تمشي أمامه إلى أن وصل إلى باب القصر وهو ملائ بالخدام ، والتفتت العجوز إليه لتتنظر هل حصل عنده وهم أم لا ؟ فوجدته على حاله ولم يتغيّر . فلما وصلت العجوز نظر إليها رئيس الخدام فعرّفها ووجد خلفها جارية تتحير العقول في وصفها . فقال في نفسه : أما العجوز فهي الداية ، وأما التي خلفها فما في أرضنا من يشبه شكلها ولا يقارب حسنها ولا ظرفها إلا إن كانت الملكة حياة النفوس ، ولكنها محجوبة لا تخرج أبداً . فيا ليت شعري كيف خرجت في الطريق ؟ ويا ترى هل خرجت بإذن الملك أم بغير إذنه ؟ فنهض قائماً على قدميه حتى يكشف خبرها فتبعه نحو ثلاثين خادماً . فلما نظرتهم العجوز طار عقلها وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قد راحت أرواحنا في هذه الساعة بلا شك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 733
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما رأت رئيس الخدام مقبلاً هو وغلمانه حصل لها غاية الخوف وقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، قد راحت أرواحنا في هذه الساعة بلا شك . فلما سمع رئيس الخدام من العجوز هذا الكلام ، أدركه الوهم لما يعلمه من سطوة بنت الملك وإن أباهما تحت حكمها . ثم قال في نفسه : لعل الملك أمر الداية أن تأخذ ابنته لقضاء حاجة ولا تريد أن يعلم أحد بحالها ، ومتى تعرّضت لها يصير في نفسها شيء عظيم مني وتقول : إن هذا الطواشي واجهني ليكشف عن حالي . فتسعى في قتلي ، فليس لي بهذا الأمر حاجة . فولّى راجعاً ورجع الثلاثون خادماً معه نحو باب القصر ،

وطردوا الخلق من عند باب القصر . فدخلت الداية وسلّمت برأسها، فوقف الثلاثون خادماً إجلالاً لها وردّوا عليها السلام . ثم دخلت ودخل ابن الملك خلفها، ولم يزالا داخلين من الابواب حتى عدّوا جميع الدركات وستر عليهما الستار إلى أن وصلا إلى الباب السابع ، وهو باب القصر الأكبر الذي فيه سرير الملك ومنه يتوصل إلى مقاصير السراري وقاعات الحريم وقصر بنت الملك . فوفقت العجوز هناك وقالت : يا ولدي ، ها نحن قد وصلنا إلى ها هنا ، فسبحان من أوصلنا إلى هذا المكان . ويا ولدي ، ما يتأتى لنا الإجتماع إلا في الليل فإنه ستر على الخائف . قال لها : صدقت . فكيف الحيلة ؟ قالت له : اختف في هذا المكان المظلم . فقعدي في الجب وراحت العجوز إلى محل آخر وخلّته فيه حتى ولّى النهار ، فحضرت إليه وأخرجته ودخلا من باب القصر . ولم يزالا داخلين حتى وصلا إلى مقصورة حياة النفوس ، فطرت الداية الباب فخرجت جارية صغيرة وقالت : من بالباب ؟ فقالت الداية : أنا . فرجعت الجارية واستأذنت سيدتها في دخول الداية فقالت لها : إفتحي لها ودعيها تدخل هي ومن معها . فدخلها ، فلما أقبلت التفتت الداية إلى حياة النفوس فوجدتها قد جهّزت المجلس وصفّت القناديل وفرشت المراتب واللواوين باليسط وحطّت المساند وأوقدت الشموع على الشمعدانات الذهب والفضة ، وحطّت السماط والفواكه والحلويات وأطلقت المسك والعود والعنبر وقعدت بين القناديل والشموع ، فصار ضوء وجهها يغلب ضوء الجميع . فلما نظرت الداية قالت لها : يا دايتي ، أين محبوب قلبي ؟ قالت لها : يا سيدتي ، ما لقبته ولا وقعت عيني عليه ولكن جئت لك بأخته شقيقته بين يديك . قالت لها : هل أنت مجنونة ؟ ليس لي حاجة بأخته ، فهل إذا وجع الإنسان رأسه يربط يده ؟ قالت : لا والله يا سيدتي ، ولكن انظري إليها فإن أعجبتك خلّيتها عندك . وكشفت عن وجهها ، فلما عرفته قامت على أقدامها وضمتّه إلى صدرها وضمّتها إلى صدره ثم وقعا على الأرض مغشياً عليهما ساعة طويلة ، فرشت عليهما الداية ماء الورد فأفاقا . ثم إنها قبّلته في فمه ما ينوف عن ألف قبلة وأنشدت هذه الأبيات : [من الرمل]

زارني محبوب قلبي في الغلس
قلت : يا سؤلي ويا كلّ المتى
قال لي : خفتُ ولكنّ الهوى
فاعتقنا والتزمنا ساعة
ثمّ قمنا ما بنا من ربيّة
فمّتُ إجلالاً له حتّى جلّس
زرّتي في الليل ما خفت العسس
أخذ للروح مني والنفس
ها هنا أمنّ فلا تخش حرس
نفض الأذيال ما فيها دس

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حياة النفوس لما آتاها محبوبها في القصر ، تعانقا وأنشدت أشعاراً فيما يناسب ذلك . فلما فرغت من إنشادها قالت : هل هذا صحيح من كوني نظرتك في منزلي وأنت نديمي ومؤنسي ؟ ثم قوي بها الهوى وأضرها الجوى حتى كاد أن يطير عقلها من الفرح به فأنشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

بنفسي الذي قد زار في عسو الدجى
وكنّت إلى ميعاده مترقبا

فلما كانت الليلة
كانت
734
كانت
الليلة

فَمَا رَاعَيْنِي إِلَّا رَاحِمَ بُكَائِهِ فَقُلْتُ لَهُ: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
 وَقَبْلَتُهُ فِي خَدِّهِ أَلْفَ قَبْلَةٍ وَعَانَقْتُهُ أَلْفًا وَكَانَ مُحَجَّبًا
 وَقُلْتُ: لَقَدْ نِلْتُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي فَلِلَّهِ حَمْدٌ قَدْ أَحَقَّ وَأَوْجَبًا
 وَبِتَنَا كَمَا شِئْنَا بِأَحْسَنِ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ جَلَا مِن لَيْلِنَا الصُّبْحُ غَيْهَا

فلما أصبح الصباح أدخلته في محل عندها لم يطلع عليها أحد إلى أن أتى الليل، فاطلعتة وجلسا يتنادمان. فقال لها: قصدي أن أعود إلى ديارى وأعلم أبى بأخبارك لأجل أن يجهز وزيره إلى أبيك فيخطبك منه. قالت: يا حبيبي، أخشى أن تروح إلى أرضك وحكمك فتلتهي عني وتسلا محبتي، أو إن أباك لا يوافقك على هذا الكلام فأموت أنا والسلام. والرأي السديد أن تكون أنت معي وفي قبضتي فتنظر إلى طلعتي وأنظر إلى طلعتك حتى أدبر لك حيلة وأخرج أنا وأنت في ليلة فتنزح إلى بلادك، فإني قطعت رجائي ويشتت من أهلي. فقال لها: سمعاً وطاعة. واستمرراً على ما هما فيه من شرب الخمر. ثم إنه طاب لهما الشراب في ليلة من الليالي فلم يهجعوا ولم يناما إلى أن لاح الفجر وإذا بأحد الملوك أرسل إلى أبيها هدية ومن جملتها قلادة من الجواهر اليتيم، وهي تسعة وعشرون حبة لا تفي خزائن ملك بثمانها. ثم إن الملك قال: ما تصلح هذه القلادة إلا لبنتي حياة النفوس. والتفت إلى خادم كانت قلعت أضراسه لمقتضى ذلك، فناداه الملك وقال: خذ هذه القلادة وأوصلها إلى حياة النفوس وقل لها: إن أحد الملوك أرسلها هدية لأبيك ولا يوجد مال يفي لها بقيمة، فضعيها في عنقك. فأخذها الغلام وهو يقول: الله تعالى يجعلها آخر لبسها من الدنيا، لقد أعدمتني نفع أضراسي. ثم إنه سار حتى وصل إلى باب المقصورة فوجد الباب مغلقاً والعجوز نائمة على الباب، فأيقظها فانتبهت مرعوبة وقالت له: ما حاجتك؟ قال لها: إن الملك أرسلني في حاجة إلى ابنته. قالت: إن المفتاح ما هو حاضر، رح إلى أن أحضر المفتاح. قال لها: ما أقدر أن أروح للملك. فراحت العجوز لأجل أن تحضر المفتاح فأدركها الخوف، فطلبت النجاة لنفسها. فلما أبطأت على الخادم خاف من إيظائه على الملك، فحرك الباب وهزه فانكسر القفيز وانفتح الباب فدخل. ولم يزل داخلاً إلى أن وصل إلى الباب السابع، فلما دخل المقصورة وجدها مفروشة بفرش عظيم وهناك شموع وقناني. فتعجب الخادم من ذلك الأمر وتمشى إلى أن وصل إلى التخت وعليه ستر من الإبريسم وعليه شبكة من الجواهر، فكشف الستر عنه فوجد بنت الملك وهي راقدة وفي حضنها شاب أحسن منها. فعظم الله تعالى الذي خلقه من ماء مهين ثم قال: ما أحسن هذه الفعال ممن تبغض الرجال؟ ومن أين وصلت إلى هذا؟ وأظنها ما قلعت أضراسي إلا من أجله. ثم إنه رد الستر إلى مكانه وأخرج طالب الباب. فانتبهت مرعوبة ونظرت للخادم كافور ونادته فلم يجبها، فنزلت ولحقتها وأخذت ذيله ووضعته على رأسها وقبّلت رجليه وقالت له: استر ما ستر الله. فقال: الله لا يستر عليك ولا على من يستر عليك، أنت قلعت أضراسي وتقولين لي: لا يذكر لي أحد شيئاً من صفات الرجال. وانفلت منها وأخرج وهو يجري وقفل عليهما الباب وخطّ عليه خادماً يحرسه ودخل على الملك. فقال له الملك: هل أعطيت القلادة لحياة النفوس؟ فقال الخادم: والله إنك تستحق أكثر من هذا كله. فقال الملك: وما حصل قل لي وأسرع في الكلام. قال: لا أقول لك

إلا في خلوة بيني وبينك . فقال له : قل بلا خلوة . فقال الخادم : أعطني الأمان . فرمى له منديل الأمان . فقال الخادم : أيها الملك ، دخلت على الملكة حياة النفوس فوجدتها في مجلس مفروش وهي نائمة وفي حضنها شاب ، ففقلت عليهما الباب وحضرت بين يديك . فلما سمع الملك كلامه ، نهض قائماً وأخذ سيفاً في يده وصاح على رئيس الخدام وقال له : خذ معك صبيانك وادخل على حياة النفوس وهاتها هي ومن معها وهما على التخت نائمان وغطوهما بغطائهما . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 735

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما أمر الخادم أن يأخذ صبيانه ويتوجهوا إلى حياة النفوس ويأتوا بها هي ومن معها بين يديه . خرج الخادم ومن معه ودخلوا فوجدوا حياة النفوس واقفة على أقدامها والبكاء والعيول قد أذابها ، وكذلك ابن الملك . فقال رئيس الخدام للغلام : اتضعج على السرير كما كنت وكذلك ابنة الملك . فخشيت بنت الملك عليه وقالت له : ما هذا وقت المخالفة ، فاتضعج الإثنان وحملوهما إلى أن أوصلوهما بين يدي الملك . فلما كشف الملك عنهما نهضت ابنة الملك على أقدامها ، فنظر لها الملك وأراد أن يضرب عنقها ، فسبق الغلام ورمى نفسه في صدر الملك وقال : أيها الملك ، ليس لها ذنب الذنب مني أنا ، فاقتلني قبلها . فقصده ليقته فرمت حياة النفوس نفسها على أبيها وقالت : اقتلني أنا ولا تقتله فإنه ابن الملك الأعظم صاحب جميع الأرض في طولها والعرض . فلما سمع الملك كلام ابنته ، التفت إلى وزيره وكان محضر سوء وقال له : ما تقول يا وزير في هذا الأمر؟ قال الوزير : الذي أقوله : كل من وقع في هذا الأمر يحتاج للكذب ، وما لهما إلا ضرب أعناقهما بعد أن تعذبهما بأنواع العذاب . فعندها دعا الملك بسيف نغمته فجاء ومعه صبيانه . فقال الملك : خنوا هذا العلق واضربوا عنقه ، وبعده هذه الفاجرة واحرقوهما ولا تشاوروني في أمرهما مرة ثانية . فعند ذلك حط السيف يده في ظهرها ليأخذها ، فصاح الملك عليه ورجمه بشيء كان في يده كاد أن يقتله وقال له : يا كلب ، كيف تكون حليماً عند غضبي ؟ حط يدك في شعرها وجرحها منه حتى تقع على وجهها . ففعل كما أمره الملك وسحبها على وجهها وكذلك الغلام إلى أن وصل بهما إلى محل الدم ، وقطع من ذيل ثوبه وعصب عينيه وجرّد سيفه وكان ماضياً ، وأخر بنت الملك ترجياً أن تقع فيها شفاعاً وقد اشتغل بالغلام ولعب السيف ثلاث مرات وجميع العسكر يتباكون ويدعون الله أن يحصل لهما شفاعاً . فرفع السيف يده وإذا بغبار قد ثار حتى ملا الأقطار . وكان السبب في ذلك أن الملك أبا الغلام لما أبطا عليه خبر ولده ، تجهّز في عسكر عظيم وتوجه بنفسه للبحث عن ولده . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الملك عبد القادر فإنه لما ظهر ذلك الغبار قال : يا قوم ما الخبر؟ وما هذا الغبار الذي قد غشي الأبصار؟ فنهض الوزير الأكبر ونزل من بين يديه متوجّهاً إلى ذلك الغبار ليعرف حقيقة أمره ، فوجد خلقاً كالجراد لا يحصى لهم عدد ولا ينفذ لهم مدد ، قد ملأوا الجبال والأودية والتلال . فعاد الوزير إلى الملك وأخبره بالقضية . فقال الملك للوزير : إنزل واعرف لنا خبر هذا العسكر وما السبب في مجيئهم إلى بلادنا؟ وأسأل عن قائد هذا الجيش وبلغه مني السلام وأسأله : ما سبب حضوره؟ فإن كان يقصد قضاء حاجة ساعدناه وإن كان له ثار عند أحد من الملوك ركبنا معه ، وإن كان يريد هدية هادينا . فإن هذا عدد

براءة عرضي وعرضها . فدعا القوابل ، فلما كشفت عليها وجدتها عذراء فأخبرن الملك بذلك وطلبن منه الأنعام . فأنعم عليهن وخلع ما كان عليه وكذلك أنعم على جميع من في الحرم وأخرجوا طاسات الطيب فطيبوا أرباب الدولة وفرحوا غاية الفرح . ثم إن الملك اعتنق الغلام وعامله بالتعظيم والإكرام وأمر بإدخاله الحمام مع خاصته من الخدام . فلما خرج أفرغ عليه خلعة سنية وتوجّه بتاج من الجواهر ووشحه بوشاح من الإبريسم مزركش بالذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر، وأركبه فرساً من أحسن الخيل بسرج من الذهب مرصع بالدر والجوهر، وأمر أرباب ورؤساء مملكته بالركوب في خدمته إلى أن يصل إلى أبيه . ثم أوصى الغلام أن يقول لأبيه الملك الأعظم : إن الملك عبد القادر تحت أمرك ، سامع مطيع لك في جميع ما تأمره وتنهاه . فقال الغلام : لا بد من ذلك ، ثم ودعه وسار متوجّهاً إلى أبيه . فلما نظر إليه أبوه طار عقله من الفرح ، ثم نهض له قائماً على قدميه ومشى له خطوات وعانقه وشاع الفرح والسرور في عسكر الملك الأعظم . ثم حضر جميع الوزراء والحجاب وجميع الجند والقواد وقبّلوا الأرض بين يديه وفرحوا بقدومه . وكان لهم في الفرح يوم عظيم ، وأباح ابن الملك لمن معه وغيرهم من مدينة الملك عبد القادر أن يتفرجوا على ما عليه عساكر الملك الأعظم ولا يعارضهم أحد حتى يروا كثرة جنوده وقوة سلطانه . فصار كل من دخل سوق البزازين ونظر الغلام قبل ذلك وهو جالس في المكان ، يتعجب منه كيف رضي لنفسه ذلك مع شرف نفسه وعظيم منزلته ، ولكن أحوجه إلى ذلك حبه وميله لبنت الملك . وشاعت الأخبار بكثرة عساكره فبلغ ذلك حياة النفوس فأشرفت من أعلى القصر ونظرت إلى الجبال فرأتها امتلات بعساكر وجيوش ، وكانت في قصر أبيها مسجونة تحت الأمر حتى يعلموا ما يأمر به الملك في شأنها إما بالرضى والإطلاق وإما بالقتل والإحراق . فلما رأت حياة النفوس هذه العساكر وعلمت أنها عساكر أبيه خافت أن ابن الملك ينساها ويلتهي عنها بأبيه ثم يرحل عنها فيقتلها أبوها ، فأرسلت إليه الجارية التي كانت عندها في المقصورة برسم الخدمة وقالت له : امضي إلى أزدشير ابن الملك ولا تخافي ، فإذا وصلت إليه فقبلي الأرض بين يديه وعرفيه بنفسك وقولي له : إن سيدتي تسلّم عليك وإنها الآن محبوسة في قصر أبيها تحت الأمر فإما أن يقصد العفو عنها وإما أن يقصد قتلها وتساالك أنك لا تنساها ولا تتركها ، فإنك اليوم ذو مقدرة ومهما أشرت إليه لا يقدر أحد أن يخالف أمرك . فإن حسن عندك أن تخلصها من أبيها وتأخذها عندك كان من فضلك فإنها قد تحملت هذه المكاره من أجلك ، وإن لم يحسن عندك ذلك حيث فرغ غرضك منها فقل لوالدك الملك الأعظم لعله يشفع لها عند أبيها ولا يرحل حتى يطلقها من أبيها ويأخذ عليه العهد والميثاق أن لا يفعل بها سوءاً ولا يتعمد قتلها . وهذا آخر الكلام ولا أوحش الله منك والسلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية حين أرسلتها حياة النفوس إلى أزدشير ابن الملك الأعظم وصلت إليه وأخبرته بكلام سيدتها . فلما سمع منها ذلك الكلام بكاء شديداً وقال لها : اعلمي أن حياة النفوس سيدتي وأنا عبد هواها وأسيرها ولا نسيت ما كان بيننا ولا مرارة يوم الفراق فقولي لها بعد أن تقبلي قدميها : إني أحدث أبي في

فلما كانت الليلة
737
الليلة

أمرها ويرسل وزيره الذي خطبك منه أولاً يخطبك فإنه لم يقدر أن يخالف، فإن أرسل إليك أبوك ليشاورك في ذلك فلا تخالفي فإنني لا أروح بلادي إلا بك. فرجعت الجارية إلى سيدتها وقبلت يديها وبلغتها رسالته. فلما سمعت ذلك بكت من شدة الفرح وحمدت الله تعالى. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر الغلام فإنه اختلى بأبيه في الليل وسأله عن حاله وما جرى له، فحدثه بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره. فقال له: ما تريد أن أفعل لك يا ولدي؟ فإن اردت إتلافه أخربت دياره ونهبت أمواله وهتكت حرمة. فقال له: لا أريد ذلك يا أبي فإنه لم يفعل معي شيئاً يوجب ذلك بل أريد اتصالي بها وأريد من إحسانك أن تجهز هدية وتقدمها لأبيها ولكن تكون هدية نفيسة وترسلها مع وزيرك صاحب الرأي السديد. فقال له أبوه: سمعاً وطاعة. ثم إن أباه قصد ما ادخره من قديم الزمان وأخرج منه كل شيء نفيس ثم عرضه على ولده فأعجبه، ثم دعا بالوزير وأرسل ذلك صحبته وأمره أن يسير بذلك إلى الملك عبد القادر ويخطب منه بنته لابنه ويقول له: إقبل هذه الهدية وردّ له الجواب. فسار الوزير متوجهاً إلى الملك عبد القادر، وكان الملك عبد القادر حزيناً من وقت فارق الغلام ولم يزل مشغول الخاطر متوقفاً خراب ملكه وأخذ ضياعه وإذا بالوزير قد أقبل عليه وسلم وقبل الأرض بين يديه. فقام له الملك على الاقدام وقابله بالإكرام، فأسرع الوزير ووقع على قدميه وقبلهما وقال له: العفو يا ملك الزمان، إن مثلك لا يقوم لمثلي وأنا أقل عبيد الخدام. واعلم أيها الملك أن ابن الملك تكلم مع أبيه وعرفه ببعض فضلك عليه وإحسانك له فشكرك الملك على ذلك وقد جهز لك صحبة خادمك الذي بين يديك هدية وهو يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام. فلما سمع الملك منه ذلك لم يصدقه من شدة خوفه حتى تقدمت إليه الهدية، فلما عرضت عليه وجدها هدية لا يفي بقدرها مالا ولا يقدر ملك من ملوك الأرض على مثلها فصغرت نفسه عنده. فعند ذلك نهض الملك قائماً على قدميه وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقد شكر الملك ذلك الغلام. ثم قال له الوزير: أيها الملك الكريم إصغ لكلامي واعلم أن الملك الأعظم قد ورد عليك واختار القرب منك وقد جئتك قاصداً راعباً في بنتك السيدة المصونة والجوهرة المكنونة حياة النفوس وزواجها بولده أزدشير، فإن أجبته لهذا الأمر وكنت به راضياً فاتفق معي على صداقها. فلما سمع منه ذلك الكلام قال: سمعاً وطاعة. أما من جهتي أنا فليس عندي مخالفة وهو أحب ما يكون عندي، وأما من جهة البنت فإنها بالغة رشيدة وأمرها بيد نفسها، واعلم أن ذلك الأمر راجع إلى البنت فإنها بالإختيار إلى نفسها. ثم إنه التفت إلى رئيس الخدام وقال له: إمض إلى بنتي وعرفها بهذه الأحوال. فقال رئيس الخدام: سمعاً وطاعة. ثم إنه مشى حتى طلع قصر الحريم ودخل على بنت الملك وقبل يديها وأخبرها بما ذكره الملك. ثم قال لها: ما تقولين أنت في جواب هذا الكلام؟ فقالت: سمعاً وطاعة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن رئيس خدام الحريم لما أخبر بنت الملك بخطبتها لابن الملك الأعظم قالت: سمعاً وطاعة. فلما سمع رئيس خدام الحريم هذا الكلام رجع إلى الملك وأعلمه بالجواب. ففرح بذلك فرحاً شديداً ثم إنه دعا بخلعة سنوية وأفرغها على الوزير وأمر له بعشرة آلاف دينار وقال له: أوصل الجواب إلى الملك واستأذنه

فلما كانت الليلة
738
كانت الليلة

لي في أن أنزل إليه . فقال الوزير : سمعاً وطاعة . ثم إن الوزير خرج من عند الملك عبد القادر ومشى حتى وصل إلى الملك الأعظم وأوصل إليه الجواب وبلغه ما معه من الكلام . ففرح الملك بذلك ، وأما ابن الملك فإنه قد طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح . ثم أذن الملك الأعظم بأن الملك عبد القادر ينزل إليه ويقابله . فلما كان في اليوم الثاني ، ركب الملك عبد القادر وحضر عند الملك الأعظم فتلقاه ورفع مكانه وحيّاه وجلس هو وإياه ووقف ابن الملك بين أيديهما . ثم قام خطيب من خاصة الملك عبد القادر وخطب خطبة بليغة وهنّى ابن الملك بما قد حصل له من بلوغ مراده بتزويجه بالملكة سيدة بنات الملوك . ثم إن الملك الأعظم بعد جلوس الخطيب أمر بإحضار صندوق مملوء بالدر والجوهر وخمسين ألف دينار وقال للملك عبد القادر : إني وكيل عن ولدي في جميع ما استقرّ عليه الأمر . فاعترف الملك عبد القادر بقبض الصداق ومن جملة خمسون ألف دينار من أجل فرح بنته سيدة بنات الملوك حياة النفوس . وبعد هذا الكلام أحضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب بنت الملك عبد القادر على ابن الملك الأعظم ازدشير وكان يوماً مشهوداً ، وفرحت فيه سائر المحبين واغتاظ به سائر المبغضين والحاسدين . ثم إنهم عملوا الولائم والدعوات . وبعد ذلك دخل عليها ابن الملك فوجدها درة ما ثقت بمهر لغيره ما ركبت ، فريدة مصونة وجوهرة مكنونة وظهر ذلك لآبيها . ثم إن الملك الأعظم سأل ولده : هل بقي في نفسه حاجة قبل الرحيل ؟ قال : نعم أيها الملك ، أعلم أنني أريد الإنتقام من الوزير الذي أساءنا والطواشي الذي افترى الكذب علينا . فبعث الملك الأعظم إلى الملك عبد القادر في الحال يطلب منه ذلك الوزير والطواشي فأرسلهما إليه . فلما حضرا بين يديه أمر بشنقهما على باب المدينة . ثم أقاموا بعد ذلك مدة يسيرة وطلبوا من الملك عبد القادر إذناً لابنته أن تتجهز للسفر . فجهّزها أبوها وأركبوا ابنة الملك في تخت من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر تجرّه الخيل الجياد ، وأخذت معها جميع جواربها وخدمها وعادت الداية إلى مكانها بعد هروبها وصارت على عاداتها . وركب الملك الأعظم وولده وركب الملك عبد القادر وجميع أهل مملكته لوداع صهره وابنته وكان يوماً يعد من أحسن الأيام . فلما بعدوا عن الديار حلف الملك الأعظم على صهره أن يرجع إلى بلاده ، فودّعه ورجع إلى دياره بعد أن ضمّه إلى صدره وقبله بين عينيه وشكره على فضله وإحسانه وأوصاه على ابنته . وبعد وداع الملك الأعظم وولده رجع إلى ابنته وعانقها ثم قبلت يديه وبكيا في موقف الوداع . ثم رجع إلى مملكته وسار ابن الملك الأعظم هو وزوجته ووالده إلى أن وصلوا إلى أرضهم وجدّوا فرحهم . ثم أقاموا في الذ عيش وأهناه وأرغده وأحلاه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات ومخرّب القصور ومعمر القبور . وهذا آخر القصة .

72 - حكاية جلنار ويدر باسم

ومما يحكى أيضاً أيها الملك السعيد ، انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان في أرض العجم ملك يقال له : شهرمان . وكان مستقرّه خراسان وكان عنده مائة سرية ولم يرزق منهن في طول عمره بذكر ولا أنثى . فتذكر ذلك يوماً من الأيام وصار يتأسف حيث مضى غالب عمره ولم يرزق بولد ذكر يرث الملك من بعده كما ورثه هو عن آبائه وأجداده ، فحصل له بسبب ذلك

غاية الغم والقهر الشديد . فبينما هو جالس يوماً من الأيام إذ دخل عليه بعض مماليكه وقال له : يا سيدي ، إن على الباب جارية مع تاجر لم ير أحسن منها . فقال له : عليّ بالتاجر والجارية . فاتاه التاجر والجارية فلما رآها وجدها تشبه الرمح الرديني وهي ملفوفة في إزار من حرير مزركش بالذهب . فكشف التاجر عن وجهها فاضاء المكان من حسننها وارتخى لها سبع ذوائب حتى وصلت إلى خلاخلها كأذيال الخيل ، وهي بطرف كحيل وردف ثقيل وخصر نحيل تشفي سقام العليل وتطفىء نار الغليل . كما قال الشاعر في المعنى هذه الأبيات : [من الوافر]

كَلِّفْتُ بِهَا وَقَدْ تَمَّتْ بِحُسْنٍ وَكَمَّلَهَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ
فَلَا طَالَتْ وَلَا قَصُرَتْ وَلَكِنْ رَوَدِفُهَا يَضِيقُ بِهَا الْإِزَارُ
قَوَامٌ بَيْنَ إِيْجَازٍ وَيَسْطٍ فَلَا طُولٌ يُعَابَ وَلَا اقْتِنَارُ
وَشِعْرٌ يَسْبِقُ الْخُلُخَالَ مِنْهَا وَلَكِنْ وَجْهَهَا أَبَدًا نَهَارُ

فتعجب الملك من رؤيتها وحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وقال للتاجر : يا شيخ بكم هذه الجارية ؟ قال التاجر : يا سيدي اشتريتها بألفي دينار من التاجر الذي كان ملكها قبلي ، ولي ثلاث سنين مسافراً بها فتكلفت إلى أن وصلت إلى هذا المكان ثلاثة آلاف دينار وهي هدية مني إليك . فخلع عليه الملك خلعة سنية وأمر له بعشرة آلاف دينار . فأخذها وقبل يدي الملك وشكر فضله وإحسانه وانصرف . ثم إن الملك سلم الجارية إلى المواشط وقال لهن : أصلحن أحوال هذه الجارية وزينها وافرشن لها مقصورة وادخلنها فيها ، وأمر حجابها أن تنقل إليها جميع ما تحتاج إليه . وكانت المملكة التي هو مقيم فيها على جانب البحر وكانت مدينته تسمى المدينة البيضاء . فأدخلوا الجارية في مقصورة ، وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تظل على البحر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما أخذ الجارية وسلمها للمواشط وقال لهن : أصلحن شأنها وادخلنها في مقصورة ، وأمر حجابها أن تغلق عليها جميع الأبواب بعد أن ينقلوا لها جميع ما تحتاج إليه . فأدخلوها في مقصورة وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تظل على البحر . ثم إن الملك دخل على الجارية فلم تقم له ولم تفكر فيه فقال الملك : كأنها كانت عند قوم لم يعلموها الأدب . ثم إنه التفت إلى تلك الجارية فرأها بارعة في الحسن والجمال والقدر والإعتدال ، ووجهها كأنه دائرة القمر عند تمامه والشمس الضاحية في السماء الصاحية . فتعجب من حسننها وجمالها وقدها واعتدالها فسيح الله الخالق جلت قدرته . ثم إن الملك تقدم إلى الجارية وجلس بجانبها وضمها إلى صدره وأجلسها على فخذه ومصّ رضاب ثغرها فوجده أحلى من الشهد . ثم إنه أمر بإحضار الموائد من أفخر الطعام وفيها من سائر الألوان ، فأكل الملك وصار يلقيها حتى شبعت وهي لم تتكلم بكلمة واحدة . فصار الملك يحدثها ويسألها عن اسمها وهي ساكتة لم تنطق بكلمة ولم ترد عليه جواباً ولم تزل مطرقة برأسها إلى الأرض ، وكان الحافظ لها من غضب الملك عليها فرط حسننها وجمالها والدلال الذي كان لها . فقال الملك في نفسه : سبحان الله خالق هذه الجارية ما أظرفها إلا أنها لا تتكلم ولكن

فلما كانت الليلة
739
الليلة

الكمال لله تعالى . ثم إن الملك سأل الجوارى : هل تكلمت ؟ فقلن له : من حين قدومها إلى هذا الوقت لم تتكلم بكلمة واحدة ولم نسمع لها خطاباً . فاحضر الملك بعض الجوارى والسراري وأمرهن أن يغنين لها وينشرحن معها لعلها أن تتكلم . فلعبت الجوارى والسراري قدامها بسائر الملاهي واللعب وغير ذلك وغنين حتى طرب كل من في المجلس والجارية تنظر إليهن وهي ساكنة ولم تضحك ولم تتكلم . فضاق صدر الملك ثم إنه صرف الجوارى واختلى بتلك الجارية ، ثم إنه خلع ثيابه وخلع ثيابها ونظر إلى بدنها فرأه كأنه سبيكة فضة فأحبها محبة عظيمة . ثم قام الملك وأزال بكارتها فوجدها بنتاً بكرأ ففرح فرحاً شديداً وقال في نفسه : يا لله العجب ، كيف تكون جارية مليحة القوام والمنظر وأبقاها التجار بكرأ على حالها ؟ ثم إنه مال إليها بالكلية ولم يلتفت إلى غيرها وهجر جميع سراريه والمحظي وأقام معها سنة كاملة كأنها يوم واحد وهي لم تتكلم . فقال لها يوماً من الأيام وقد زاد عشقه بها والغرام : يا منية النفوس ، إن محبتك عندي عظيمة وقد هجرت من أجلك جميع جوارى والسراري والنساء والمحظي وجعلتك نصيبي من الدنيا ، وقد طولت روحي عليك سنة كاملة وأسأل الله تعالى من فضله أن يلين قلبك لي فتكلميني وإن كنت خرساء فاعلميني بالإشارة حتى أقطع العشم من كلامك ، وأرجو الله سبحانه أن يرزقني منك بولد ذكر يرث ملكي من بعدي فإني وحيد فريد ليس لي من يرثني وقد كبر سني . فبالله عليك إن كنت تحييني أن تردي عليّ الجواب . فاطرقت الجارية رأسها إلى الأرض وهي تتفكر ثم إنها رفعت رأسها وتبسمت في وجه الملك ، فتخيل للملك البرق قد ملأ المقصورة وقالت : أيها الملك الهمام والأسد الضرغام ، قد استجاب الله دعائك وإني حامل منك وقد آن آوان الوضع ، ولكن لا أعلم هل الجنين ذكر أو أنثى ؟ ولولا أنني حملت منك ما كلمتك كلمة واحدة . فلما سمع الملك كلامها تهلّل وجهه بالفرح والإنشراح وقبّل رأسها ويديها من شدة الفرح وقال : الحمد لله الذي منّ عليّ بأشياء كنت أتمناها ، الأول كلامك والثاني إخبارك بالحمل مني . ثم إن الملك قام من عندها وخرج وجلس على كرسي مملكته وهو في الإنشراح الزائد وأمر الوزير أن يخرج للفقراء والمساكين والأرامل وغيرهم مائة ألف دينار شكراً لله تعالى وصدقة عنه . ففعل الوزير ما أمره به الملك . ثم إن الملك دخل بعد ذلك على الجارية وجلس عندها وحضنها وضمّمها إلى صدره وقال لها : يا سيدتي ومالكة رقي لماذا السكوت ولك عندي سنة كاملة ليلاً ونهاراً قائمة نائمة ولم تكلميني في هذه السنة إلا في هذا النهار ؟ فما سبب سكوتك ؟ فقالت الجارية : إسمع يا ملك الزمان واعلم أنني مسكينة غريبة مكسورة الخاطر فارقت أمي وأهلي . فلما سمع الملك كلامها عرف مرادها فقال لها : أما قولك مسكينة فليس لهذا الكلام محل فإن جميع ملكي ومتاعي وما أنا فيه في خدمتك وأنا أيضاً صرت مملوكك ، وأما قولك فارقت أمي وأهلي وأخي فاعلميني في أي مكان هم وأنا أرسل إليهم وأحضرهم عندك . فقالت له : أعلم أيها الملك السعيد أن اسمي جنناز البحرية ، وكان أبي من ملوك البحر ومات وخلف لنا الملك . فبينما نحن فيه إذ تحرك علينا ملك من الملوك وأخذ الملك من أيدنا ولي أخ يسمّى صالح وأمي من نساء البحر ، فتنازعت أنا وأخي فحلقت أن أرمي نفسي عند رجل من أهل البر . فخرجت من البحر وجلست على طرف جزيرة في القمر فجاز بي رجل فأخذني وذهب بي إلى منزله وراودني عن نفسي فضربته على رأسه فكاد أن يموت ، فخرج بي وباعني

لهذا الرجل الذي أخذتني منه وهو رجل جيد صالح صاحب دين وأمانة ومروءة . ولولا أن قلبك جبني فقدمتني على جميع سراريك ما كنت قعدت عندك ساعة واحدة وكنت رميت نفسي إلى البحر من هذا الشباك وأروح إلى أمي وجماعتي وقد استحييت أن أسير إليهم وأنا حامل منك فيظنون بي سوءاً ولا يصدقونني ولو حلفت لهم إذا أخبرتهم أنه اشترايني ملك بدرامه وجعلني نصيبه من الدنيا واختص بي عن زوجاته وسائر ما ملكت يمينه . وهذه قصتي والسلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 740
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن جلناز البحرية لما سألها الملك شهرمان حكى له قصتها من أولها إلى آخرها . فلما سمع كلامها شكرها وقبلها بين عينها وقال لها : والله يا سيدتي ونور عيني إني لم أقدر على فراقك ساعة واحدة وإن فارقتيني مت من ساعتني فكيف يكون الحال ؟ فقالت : يا سيدي ، قد قرب آوان ولادتي ولا بد من حضور أهلي لأجل أن يباشروني ، لأن نساء البر لا يعرفن طريقة ولادة بنات البحر وبنات البحر لا يعرفن طريقة ولادة بنات البر ، فإذا حضر أهلي أنقلب معهم وينقلبون معي . فقال لها الملك : وكيف يمشون في البحر ولا يبتلون ؟ فقالت : إنا نمشي في البحر كما تمشون أنتم في البر ببركة الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام . ولكن أيها الملك إذا جاء أهلي وإخوتي فإني أعلمهم أنك اشتريتنني بمالك وفعلت معي الجميل والإحسان فينبغي أن تصدق كلامي عندهم ويشاهدون حالك بعيونهم ويعلمون أنك ملك ابن ملك . فعند ذلك قال الملك : يا سيدتي إفعلي ما بدا لك مما تحبين فإني مطيع لك في جميع ما تفعلينه . فقالت الجارية : أعلم يا ملك الزمان إنا نسير في البحر وعيوننا مفتوحة وننظر ما فيه وننظر الشمس والقمر والنجوم والسماء كأنها على وجه الأرض ولا يضرنا ذلك ، وأعلم أيضاً أن في البحر طوائف كثيرة وأشكالاً مختلفة من سائر الاجناس التي في البر ، وأعلم أيضاً أن جميع ما في البر بالنسبة لما في البحر شيء قليل جداً . فتعجب الملك من كلامها . ثم إن الجارية أخرجت من كتفها قطعتين من العود القماري وأخذت منهما جزءاً وأوقدت مجمرة النار وألقت ذلك الجزء فيها وصفرت وصفرة عظيمة وصارت تتكلم بكلام لا يفهمه أحد ، فطلع دخان عظيم والملك ينظر . ثم قالت للملك : يا مولاي قم واخطف في مخدع حتى أريك أخي وأمي وأهلي من حيث لا يرونك فإني أريد أن احضرهم وتنظر في هذا المكان في هذا الوقت العجب ، وتتعجب مما خلق تعالى من الأشكال المختلفة والصور الغريبة . فقام الملك من وقته وساعته ودخل مخدعاً وصار ينظر ما تفعل ، فصارت تبخر وتعزم إلى أن أزبد البحر واضطرب وخرج منه شاب مليح الصورة بهي المنظر كأنه البدر في تمامه ، بجبين أزهر وخذ أحمر وشعر كأنه الدر والجوهر وهو أشبه الخلق بأخته ولسان الحال في حقه ينشد هذين البيتين : [من الكامل]

الْبَدْرُ يَكْمُلُ كُلَّ شَهْرٍ مَرَّةً وَجَمَالُ وَجْهِكَ كُلَّ يَوْمٍ يَكْمُلُ
 وَحُلُولُهُ فِي قَلْبِ بَرْجٍ وَاحِدٍ وَلَكَ الْقُلُوبُ جَمِيعُهُنَّ الْمَنْزِلُ

ثم خرج من البحر عجوز شمطاء ومعها خمس جوار كأنهن الأقمار وعليهن شبه من

الجارية التي اسمها جلتاز . ثم إن الملك رأى الشاب والعجوز والجواري يمشين على وجه الماء حتى قدموا على الجارية، فلما قربوا من الشباك ونظرتهم جلتاز قامت لهم وقابلتهم بالفرح والسرور، فلما رآها عرفوها ودخلوا عندها وعانقوها وبكوا بكاء شديداً ثم قالوا لها : يا جلتاز، كيف تركيننا أربع سنين ولم نعلم المكان الذي أنت فيه؟ والله إنها ضاقت علينا الدنيا من شدة فراقك ولا نلتذ بطعام ولا شراب يوماً من الأيام، ونحن نبكي بالليل والنهار من فرط شوقنا إليك . ثم إن الجارية صارت تقبل يد الشاب أخيها ويد أمها وكذلك بنات عمها وجلسوا عندها ساعة وهم يسألونها عن حالها وما جرى لها وعن ما هي فيه . فقالت لهم : اعلموا أنني لما فارقتكم وخرجت من البحر جلست على طرف جزيرة فأخذني رجل وباعني لرجل تاجر، فأتى بي التاجر إلى هذه المدينة وباعني للملكها بعشرة آلاف دينار . ثم إنه احتفل بي وترك جميع سراريه ونسائه ومحاطيه من أجلي واشتغل بي عن جميع ما عنده وما في مدينته . فلما سمع أخوها كلامها قال : الحمد لله الذي جمع شملنا بك، لكن قصدي يا אחتي أن تقومي وتروحي معنا إلى بلادنا واهلنا . فلما سمع الملك كلام أخيها طار عقله خوفاً على الجارية أن تقبل كلام أخيها ولا يقدر هو أن يمنعها مع أنه مولع بحبها، فصار متحيراً شديداً الخوف من فراقها . وأما الجارية جلتاز فإنها لما سمعت كلام أخيها قالت : والله يا أخي إن الرجل الذي اشترائني ملك هذه المدينة وهو ملك عظيم ورجل عاقل كريم جيد في غاية الجود وقد أكرمني، وهو صاحب مروءة ومال كثير وليس له ولد ذكر ولا أنثى، وقد أحسن إليّ وصنع معي كل خير، ومن يوم جننته إلى هذا الوقت ما سمعت منه كلمة رديئة تسوء خاطري ولم يزل يلاطفني ولا يفعل شيئاً إلا بمشاورتي وأنا عنده في أحسن الأحوال وأتم النعم، وأيضاً متى فارقته يهلك فإنه لم يقدر على فراقني أبداً ولا ساعة واحدة وإن فارقته أنا الأخرى مت من شدة محبتي إياه بسبب فرط إحسانه لي مدة مقامي عنده . فإنه لو كان أبي حياً ما كان لي مقام عنده مثل مقامي عند هذا الملك العظيم الجليل المقدار، وقد رأيتوني حاملة منه والحمد لله الذي جعلني بنت ملك البحر وزوجي أعظم ملوك البر، ولم يقطع الله تعالى بي وعوضني خيراً . وأذنك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن جلتاز البحرية لما حكّت لأخيها جميع حكايتها وقالت : إن الله تعالى لم يقطع بي وعوضني خيراً وإن الملك ليس له ولد ذكر ولا أنثى، وأطلب من الله تعالى أن يرزقني بولد ذكر يكون وارثاً عن هذا الملك العظيم ما خوّله الله تعالى من هذه العمارات والقصور والأملاك . فلما سمع أخوها وبنات عمها كلامها، قرّت أعينهن بذلك الكلام وقالوا لها : يا جلتاز، أنت تعلمين بمنزلتك عندنا وتعرفين محبتنا إياك وتحققين أنك أعز الناس جميعاً عندنا وتعقدين أن قصدنا لك الراحة من غير مشقة ولا تعب، فإن كنت في غير راحة فقومي معنا إلى بلادنا واهلنا، وإن كنت مرتاحة هنا في معزة وسرور فهذا هو المراد والنتى فإننا لا نريد إلا راحتك على كل حال . فقالت جلتاز : والله إنني في غاية الراحة والهناء والعز والنتى . فلما سمع الملك منها ذلك الكلام فرح واطمان قلبه وشكرها على ذلك وازداد فيها حباً ودخل حبه في صميم قلبه وعلم منها أنها تحبه كما يحبها وأنها تريد القعود عنده حتى ترى ولده منها . ثم إن الجارية التي هي جلتاز البحرية أمرت جواريها أن تقدم الموائد

فلما كانت الليلة
741
الليلة

والطعام من سائر الألوان، وكانت جلناز هي التي باشرت الطعام في المطبخ، فقدمت لهم الجوارى الطعام والحلويات والفواكه. ثم إنها أكلت هي وأهلها وبعد ذلك قالوا لها: يا جلناز، إن سيدك رجل غريب منا وقد دخلنا بيته من غير إذنه ولم يعلم بنا وانت تشكرين لنا فضله وأيضاً أحضرتي لنا طعامه فأكلنا، ولم نجتمع به ولم نره ولم يرنا ولا حضر عندنا ولا أكل معنا حتى يكون بيننا وبينه خبز وملح، وامتنعوا كلهم من الأكل واغتاظوا عليها وصارت النار تخرج من أفواههم كالمشاعل. فلما رأى الملك ذلك طار عقله من شدة الخوف منهم ثم إن جلناز قامت إليهم وطيبت خواطرهم ثم بعد ذلك تمشت إلى أن دخلت المخدع الذي فيه الملك سيدها وقالت له: يا سيدي، هل رأيت وسمعت شكري لك وثنائي عليك عند أهلي وسمعت ما قالوا لي من أنهم يريدون أن يأخذوني معهم إلى أهلنا وبلادنا. فقال لها الملك: سمعت ورأيت جزاك الله عتاً خيراً، والله ما علمت قدر محبتي عندك إلا في هذه الساعة المباركة ولم أشك في محبتك إياي. فقالت له: يا سيدي، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وانت قد أحسنت إلي وتكرمت عليّ بجلائل النعم وأراك تحبني غاية المحبة وعملت معي كل جميل واخترتني على جميع من تحب وتريد، فكيف يطيب قلبي على فراقك والرواح من عندك؟ وكيف يكون ذلك وانت تحسن وتتفضل عليّ؟ فأريد من فضلك أن تأتي وتسلم على أهلي وتراهم ويروك ويحصل الصفاء والود بينكما. ولكن أعلم بما ملك الزمان، أن أخي وأمي وبنات عمي قد أحبوكم محبة عظيمة لما شكرتكم لهم وقالوا: ما نروح إلى بلادنا من عندك حتى نجتمع بالملك ونسلم عليه. فيريدون أن ينظروك ويأتسوا بك. فقال لها الملك: سمعاً وطاعة. فإن هذا هو مرادي. ثم إنه قام من مقامه وسار إليهم وسلم عليهم بأحسن سلام، فبادروا إليه بالقيام وقابلوه أحسن مقابلة وجلس معهم في القصر واكل معهم على المائدة وأقام هو وإياهم مدة ثلاثين يوماً. ثم بعد ذلك أرادوا التوجه إلى بلادهم ومحلّهم، فاحزنوا خاطر الملك والملكة جلناز البحرية ثم ساروا من عندهما بعد أن أكرمهم الملك غاية الإكرام. وبعد ذلك استوفت جلناز أيام حملها وجاء أوان الوضع، فوضعت غلاماً كانه البدر في تمامه، فحصل للملك بذلك غاية السرور لأنه ما رزق بولد ولا بنت في عمره. فاقاموا الأفرح والزينة مدة سبعة أيام وهم في غاية السرور والهناء، وفي اليوم السابع حضرت أم الملكة جلناز وأخوها وبنات عمها الجميع لما علموا أن جلناز قد وضعت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 742
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جلناز لما وضعت وجاء إليها أهلها قابلهم الملك وفرح بقدمهم وقال لهم: أنا قلت ما اسمي ولدي حتى تحضروا وتسموه أنتم بمعرفتكم. فسموه بدر باسم وانفقوا جميعاً على هذا الإسم. ثم إنهم عرضوا الغلام على خاله صالح فحمله على يديه وقام به من بينهم وتمشى في القصر يميناً وشمالاً، ثم خرج به من القصر ونزل به إلى البحر المالح ومشى حتى خفي عن عين الملك. فلما رآه الملك أخذ ولده وغاب عنه في قاع البحر يش منه وصار يبكي وينتحب. فلما رآته جلناز على هذه الحالة قالت له: يا ملك الزمان لا تخف ولا تحزن على ولدك فانا أحب ولدي أكثر منك، وإن ولدي مع أخي فلا تبالي من البحر ولا تخشى عليه من الغرق، ولو علم أخي أنه يحصل للصغير ضرر ما فعل الذي

فعله وفي هذه الساعة يأتيك بولئك سالماً إن شاء الله تعالى . فلم يكن غير ساعة إلا والبحر قد اختببط واضطرب وطلع منه خال الصغير ومعه ابن الملك سالماً، وطار من البحر إلى أن وصل إليهم والصغير على يديه وهو ساكت ووجهه كالقمر في ليلة تمامه . ثم إن خال الصغير نظر إلى الملك وقال له : لعلك خفت على ولدك ضرراً لما نزلت به في البحر وهو معي . فقال : نعم يا سيدي ، خفت عليه وما ظننت أنه يسلم منه قط . فقال له : يا ملك البرّ، إنّنا كحلناه بكحل نعرفه وقرآنا عليه الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام . فإن المولود إذا ولد عندنا صنعنا به ما ذكرت لك ، فلا تخف عليه من الغرق ولا الخنق ولا من سائر البحار إذا نزل فيها ، ومثل ما تمشون أنتم في البرّ تمشي نحن في البحر . ثم أخرج من جيبه محفظة مكتوبة ففصّ ختامها ونثرها فنزل منها جواهر منظومة من سائر أنواع اليواقيت والجواهر وثلاثمائة قضيب من الزمرد وثلاثمائة قصبة من الجواهر الكبار التي قدر بيض النعام ، نورها أضوء من نور الشمس والقمر وقال : يا ملك الزمان ، هذه الجواهر واليواقيت هدية مني إليك لأننا ما أتيناك بهدية قط ، لأننا ما كنا نعلم موضع جلتناز ولا نعرف لها أثراً ولا خبراً . فلما رأيناك اتصلت بها وقد صرنا كلنا شيئاً واحداً أتيناك بهذه الهدية ، وبعد كل قليل من الأيام نأتيك بمنثلها إن شاء الله تعالى . لأن هذه الجواهر واليواقيت عندنا أكثر من الحصى في البرّ ، ونعرف جيدها ورديتها وجميع طرقها ومواضعها وهي سهلة علينا . فلما نظر الملك إلى تلك الجواهر واليواقيت اندهش عقله وحرار له وقال : والله إن جوهرة من هذه الجواهر تعادل ملكي . ثم إن الملك شكر فضل صالح البحري ونظر إلى الملكة جلتناز وقال لها : أنا استحييت من أخيك لأنه تفضّل عليّ وهداني بهذه الهدية السنينة التي يعزّ عنها أهل الأرض . فشكرت جلتناز أخاها على ما فعل . فقال أخوها : يا ملك الزمان لك ، علينا حقاً قد سبق وشكرك علينا قد وجب لأنك قد أحسنت إلى أختي ودخلنا منزلك واكلنا زادك . وقد قال الشاعر : [من الطويل]

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بَسَعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَبَّجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

ثم قال صالح : ولو وقفنا في خدمتك يا ملك الزمان الف سنة على وجوهنا ما قدرنا أن نكافئك وكان ذلك في حقد قليل . فشكره الملك شكراً بليغاً وأقام صالح عند الملك هو وأمه وبنات عمه أربعين يوماً . ثم إن صالحاً أخا جلتناز قام وقبّل الأرض بين يدي الملك زوج أخته فقال له : ما تريد يا صالح ؟ فقال صالح : يا ملك الزمان ، قد تفضلت علينا والمراد من إحسانك أن تصدّق علينا وتعطينا إذناً فإننا قد اشتقنا إلى أهلنا وبلادنا وأقاربنا وأوطاننا ، ونحن ما بقينا ننتقع عن خدمتك ولا عن أختي ولا عن ابن أختي . فوالله يا ملك الزمان ما يطيب لقلبي فراقكم ، ولكن كيف نعمل ونحن قد ربينا في البحر وما يطيب لنا البرّ ؟ فلما سمع الملك كلامه نهض قائماً على قدميه وودّع صالحاً البحري وأمه وبنات عمه وتباكوا للفراق ثم قالوا له : عن قريب نكون عندكم ولا نقطعكم أبداً ، وبعد كل قليل من الأيام نزوركم . ثم إنهم طاروا وقصدوا البحر حتى صاروا فيه وغابوا عن العين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

كَتَبَ الْعِدَارُ بِعَنْبَرٍ فِي لَوْلُؤِي سَطْرَيْنِ مِنْ سَبَجٍ عَلَى تَفَّاحٍ
الْقَتْلُ فِي الْحَدَقِ الْمِرَاضِ إِذَا رَنْتُ وَالسُّكْرُ فِي الْوَجَنَاتِ لَا فِي الرَّاحِ

فكان الملك يحبه محبة عظيمة . ثم إن الملك أحضر الوزير والأمراء وأرباب الدولة وأكابر
المملكة وحلّفهم الإيمان الوثيقة أنهم يجعلون بدر باسم ملكاً عليهم بعد أبيه . فحلفوا له الإيمان
الوثيقة وفرحوا بذلك . وكان الملك محسناً في حق العالم وكان لطيف الكلام محضر خير لا
يتكلم إلا بما فيه المصلحة للناس . ثم إن الملك ركب في ثاني يوم هو وأرباب الدولة وسار الأمراء
وجميع العساكر ، مشوا في المدينة ورجعوا . فلما قاربوا القصر ترجل الملك في خدمة ولده وصار
هو وسائر الأمراء وأرباب الدولة يحملون الغاشية قدامه ، فصار كل واحد من الأمراء وأرباب
الدولة يحمل الغاشية ساعة . فلم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دهليز القصر وهو راكب ثم
ترجل ، فحضره أبوه هو والأمراء وأجلسوه على سرير الملك ووقف أبوه وكذلك الأمراء قدامه . ثم
إن بدر باسم حكم بين الناس وعزل الظالم وولّى العادل واستمرّ في الحكومة إلى قريب الظهر ،
ثم قام عن سرير الملك ودخل على أمه جلتناز البحرية وعلى رأسه التاج وهو كأنه القمر . فلما
رأته أمه والملك بين يديه قامت إليه وقبلته وهنته بالسلطنة ودعت له ولوالده بطول البقاء والنصر
على الأعداء ، فجلس عند والدته واستراح . ولما كان وقت العصر ركب والأمراء بين يديه حتى
وصل إلى الميدان ولعب بالسلاح إلى وقت العشاء مع أبيه وأرباب دولته ثم رجع إلى القصر
والناس جميعهم بين يديه ، وصار في كل يوم يركب إلى الميدان وإذا رجع يقعد للحكومة بين
الناس وينصف بين الأمير والفقير . ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة ، وبعد ذلك صار يركب للصيد
والقنص ويدور في البلدان والأقاليم التي تحت حكمه وينادي بالأمان والإطمئنان ويفعل ما تفعل
الملوك ، وكان أوجد أهل زمانه في العز والشجاعة والعدل بين الناس . فاتفق أن الملك والد بدر
باسم مرض يوماً من الأيام ففحق قلبه وحسّ بالانتقال إلى دار البقاء ، ثم ازداد به المرض حتى
أشرف على الموت . فأحضر ولده ووصّاه بالرعية ووصّاه بوالدته وبسائر أرباب دولته وجميع
الأتباع وحلّفهم وعاهدهم على طاعة ولده ثاني مرة واستوثق منهم بالإيمان ، ثم مكث بعد ذلك
أياماً قلائل وتوفي إلى رحمة الله تعالى . فحزن عليه ولده بدر باسم وزوجته جلتناز والأمراء

والوزراء وأرباب الدولة وعملوا له تربة ودفنوه بها، ثم إنهم قعدوا في عزائه شهراً كاملاً. وأتى صالح أخو جلناز وأمها وبنات عمها وعزّوهم في الملك وقالوا: يا جلناز، إن كان الملك مات فقد خلف هذا الغلام الماهر، ومن خلف مثله ما مات. وهذا هو العديم النظير الأسد الكاسر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أخا جلناز صالحاً وأمها وبنات عمها قالوا لها: إن كان الملك قد مات فقد خلف هذا العديم النظير الأسد الكاسر والقمر الزاهر. ثم إن أرباب الدولة والأكابر دخلوا على الملك بدر باسم وقالوا له: يا ملك، لا بأس بالحزن على الملك، ولكن الحزن لا يصلح إلا للنساء فلا تشغل خواطرك وخاطرننا بالحزن على والدك فإنه قد مات وخلفك، ومن خلف مثلك ما مات. ثم إنهم لاطفوه وسلوه وبعد ذلك أدخلوه الحمام . فلما خرج من الحمام لبس بدلة فاخرة منسوجة من الذهب مرصعة بالجواهر والياقوت، ووضع تاج الملك على رأسه وجلس على سرير ملكه وقضى أشغال الناس وأنصف القوي من الضعيف وأخذ للفقير حقه من الأمير. فأحبه الناس حباً شديداً ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة، وبعد كل مدة قليلة تزوره أهله البحرية فطاب عيشه وقرت عينه. ولم يزل على هذه الحالة مدة مديدة. فاتفق أن خاله دخل ليلة من الليالي على جلناز وسلم عليها، فقامت له واعتنقتة وأجلسته إلى جانبها وقالت له: يا أخي، كيف حالك وحال والدتي وبنات عمي؟ فقال لها: يا اختي، إنهم طيبون بخير وحظ عظيم ولم ينقص عليهم إلا النظر إلى وجهك. ثم إنها قدمت له شيئاً من الأكل فأكل، ودار الحديث بينهما وذكروا الملك بدر باسم وحسنه وجماله وقده واعتداله وفروسيته وعقله وأدبه. وكان الملك بدر باسم متكئاً فلما سمع أمه وخاله يذكرانه ويتحدثان في شأنه أظهر أنه نائم وصار يسمع حديثهما. فقال صالح لأخته جلناز: إن عمر ولدك سبعة عشر عاماً ولم يتزوج ونخاف أن يجري له أمر ولم يكن له ولد، فأريد أن أزوجه بملكة من ملكات البحر تكون في حسنه وجماله. فقالت جلناز: أذكرهن لي فيأني أعرفهن. فصار يعدهن لها واحدة بعد واحدة وهي تقول: ما أرضى هذه لولدي ولا أزوجه إلا بمن تكون مثله في الحسن والجمال والعقل والدين والأدب والمروءة والملك والحسب والنسب. فقال لها: ما بقيت أعرف واحدة من بنات الملوك البحرية، وقد عددت لك أكثر من مائة بنت وأنت ما يعجبك واحدة منهن. ولكن انظري يا اختي هل ابنتك نائم أو لا؟ فجسته فوجدت عليه آثار النوم فقالت له: إنه نائم، فما عندك من الحديث؟ وما قصدك بنومه؟ فقال لها: يا اختي، أعلمني أنني قد تذكرت بنتاً من بنات البحر تصلح لابنك وأخاف أن أذكرها فيكون ولدك منتبهاً فيتعلق قلبه بمحبتها، وربما لا يمكننا الوصول إليها فيتعب هو ونحن وأرباب دولته ويصير لنا شغل بذلك. وقد قال الشاعر: [من الكامل]

العِشْقُ أَوْكٌ مَا يَكُونُ مَجَاجَةً فَإِذَا تَحَكَّمَ صَارَ بَحْرًا وَسَاعَا

فلما سمعت أخته كلامه قالت له: قل لي ما شأن هذه البنت؟ وما اسمها؟ فانا أعرف بنات البحر من ملوك وغيرهم فإذا رأيتها تصلح له خطبتها من أيها ولو إني أصرف جميع ما تملكه يدي عليها، فاخبرني بها ولا تخش شيئاً فإن ولدي نائم. فقال: أخاف أن يكون يقظانا. وقد قال

عَشِيقَتُهُ عِنْدَمَا أَوْصَافُهُ ذَكَرَتْ وَالْأَذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحياناً

فقال له : جلناز : قل واوجز ولا تخف يا أخي . فقال : والله يا אחتي ما يصلح لابنك إلا الملكة
جوهرة بنت الملك السمندل ، وهي مثله في الحسن والجمال والبهاء والكمال ، ولا يوجد في البحر
ولا في البر الطف ولا أحلى شمائل منها لأنها ذات حسن وجمال وقد واعتدال وخذ أحمر وجين
أزهر وشعر كأنه الجواهر وطرف أحور وردف ثقيل وخصر نحيل ووجه جميل ، إن التفتت
تخجل المهى والغزلان وإن خطرت يغار غصن البان وإذا أسفرت تخجل الشمس والقمر وتسي
كل من نظر ، عذبة المرافف لينة المعاطف . فلما سمعت كلام أخيها قالت له : صدقت يا أخي ،
والله إنني رأيتها مراراً عديدة وكانت صاحبتني ونحن صغار وليس لنا اليوم معرفة ببعضنا لموجب
البعد ، ولي اليوم ثمانية عشر عاماً ما رأيتها ، والله ما يصلح لولدي إلا هي . فلما سمع بدر باسم
كلامهما وفهم ما قالاه من أوله إلى آخره في وصف البنت التي ذكرها صالح وهي جوهرة بنت
الملك السمندل ، عشقها بالسمع وأظهر لهم أنه نائم وصار في قلبه من أجلها لهيب النار وغرق
في بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك بدر باسم لما سمع كلام
خاله صالح وأمه جلناز في وصف بنت الملك السمندل ، صار في قلبه من
أجلها لهيب النار وغرق في بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار . ثم إن
صالحاً نظر إلى أخته جلناز وقال لها : والله يا אחتي ما في ملوك البحر
أحمق من أيها ولا أقوى سطوة منه ؛ فلا تعلمي ولدك بحديث هذه
الجارية حتى نخطبه لها من أيها ، فإن أنعم بإجابتنا حمدنا الله تعالى وإن دنا ولم يزوجه لابنك
فنستريح ونخطب غيرها . فلما سمعت جلناز كلام أخيها صالح قالت : نعم الرباي الذي رأيت .
ثم إنهما سكتا وباتا تلك الليلة ، والملك بدر باسم في قلبه لهيب النار من عشق الملكة جوهرة ،
وكنم حديثه ولم يقل لأمه ولا لخاله شيئاً من خبرها مع أنه من حبها على مقالها الجمر . فلما
أصبحوا دخل الملك هو وخاله الحمام واغتسلا ، ثم خرجا وشربا الشراب وقدموا بين أيديهم
الطعام ، فأكل الملك بدر باسم وأمه وخاله حتى اكتفوا ، ثم غسلوا أيديهم . وبعد ذلك قام
صالح على قدميه وقال للملك بدر باسم وأمه جلناز : عن إذتكما ، قد عزمت على الرواح إلى
الوالدة فإن لي عندكم مدة أيام وخاطرهم مشغول علي وهم في انتظاري . فقال الملك بدر باسم
لخاله صالح : أقعد عندنا هذا اليوم . فامتثل كلامه . ثم إنه قال : قم بنا يا خالي واخرج بنا إلى
البيستان . فذهبا إلى البيستان وصارا يتفرجان ويتنزهان ، فجلس الملك بدر باسم تحت شجرة مظلة
وأراد أن يستريح وينام فتذكر ما قاله خاله صالح من وصف الجارية وما فيها من الحسن
والجمال ، فبكى بدموع غزار وأنشد هذين البيتين : [من البسيط]

لَوْ قِيلَ لِي وَلَهَيْبِ النَّارِ مَتَّقِدٌ وَالنَّارُ فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءُ تَضْطَرِّمُ
أَهْمُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تُشَاهِدَهُمْ أَمْ شُرْبَةُ مِنْ زَلَالِ الْمَاءِ قُلْتُ : هُمُ .

ثم شكى وأن وبكى وأنشد هذين البيتين : [من الخفيف]

مَنْ مُجِيرِي مِنْ عِشْقِ ظَبِيَّةِ أَنْسِ ذَاتِ وَجْهِ كَالشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَجْمَلُ
كَانَ قَلْبِي مِنْ حُبِّهَا مُسْتَرِيحاً فَتَلَطَّى يَحِبُّ بِنْتَ السَّمْنَدَلِ

فلما سمع خاله صالح مقاله ، دق يداً على يد وقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم قال له : هل سمعت يا ولدي ما تكلمت به أنا وأمك من حديث الملكة جوهرة وذكرنا لأوصافها . فقال بدر باسم : نعم يا خالي وعشقتها على السماع حين سمعت ما قلت من الكلام ، وقد تعلق قلبي بها وليس لي صبر عنها . فقال له : يا ملك ، دعنا نرجع إلى أمك ونعلمها بالقضية واستأذنها في أني آخذك معي وأخطب لك الملكة جوهرة ثم نوذعها وأرجع أنا وأنت ، لأنني أخاف إن أخذتك وسرت من غير إذنتها أن تغضب علي ويكون الحق معها ، لأنني أكون السبب في فراقكما كما أني كنت السبب في افتراقها منا ، وتبقى المدينة بلا ملك وليس عندهم من يسوسهم وينظر أحوالهم فيفسد عليك أمر الملكة ويخرج الملك من يدك . فلما سمع بدر باسم كلام خاله صالح قال له : أعلم يا خالي أني متى رجعت إلى أمي وشاورتها في ذلك لم تمكّني من ذلك ، فلا أرجع إليها ولا اشاورها أبداً . وبكى قدام خاله وقال له : أروح معك ولا أعلمها ثم أرجع . فلما سمع صالح كلام ابن أخته حار في أمره وقال : استعنت بالله تعالى على كل حال . ثم إن خاله صالحاً لما رأى ابن أخته على هذه الحالة وعلم أنه لا يحب أن يرجع إلى أمه بل يروح معه ، أخرج من إصبغه خاتماً منقوشاً عليه أسماء من أسماء الله تعالى وناول الملك بدر باسم إياه وقال له : إجعل هذا في إصبعك تأمن من الغرق ومن غيره ومن شر دواب البحر وحيثانه . فاخذ الملك بدر باسم الخاتم من خاله صالح وجعله في إصبغه ، ثم إنهما غطسا في البحر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك بدر باسم وخاله صالحاً لما غطسا في البحر سارا ، ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قصر صالح فدخلاه ، فرأته جدته أم أمه وهي قاعدة وعندها أقاربها . فلما دخلا عليهم قبلاً أيديهم ، فلما رأته جدته قامت إليه واعتنقته وقبّلت ما بين عينيه وقالت له : قدوم مبارك يا ولدي ، كيف خلقت أمك جلتناز ؟ قال لها : طيبة بخير وعافية وهي تسلم عليك وعلى بنات عمها . ثم إن صالحاً أخبر أمه بما وقع بينه وبين أخته جلتناز وأن الملك بدر باسم عشق الملكة جوهرة بنت الملك السمندل على السماع ، وقصّ لها القصة من أولها إلى آخرها وقال : إنه ما أتى إلا ليخطبها من أبيها ويتزوجها . فلما سمعت جدة الملك بدر باسم كلام صالح ، اغتاظت عليه غيظاً شديداً وانزعجت واغتمت وقالت له : يا ولدي ، لقد أخطأت بذكر الملكة جوهرة بنت الملك السمندل قدام ابن أختك ، لأنك تعلم أن الملك السمندل أحق جبار قليل العقل بشديد السطوة بخيل بابنته جوهرة على خطابها ، فإن سائر ملوك البحر خطبوها منه فأبى ولم يرض بأحد منهم بل ردّهم وقال لهم : ما أنتم أكفاء لها في الحسن ولا في الجمال ولا في غيرها . ونخاف أن نخطبها من أبيها فيردّنا كما ردّ غيرنا ، ونحن أصحاب مروءة فنرجع مكسورين الخاطر . فلما سمع صالح كلام أمه قال لها : يا أمي ، كيف يكون العمل ؟ فإن الملك بدر باسم قد عشق هذه البنت لما ذكرتها لأختي جلتناز وقال : لا بد

فلما كانت الليلة
746
كانت الليلة

ان نخطبها من أبيها ولو أبذل جميع ملكي وزعم أنه إن لم يتزوج بها يموت فيها عشقاً وGRAMA . ثم إن صالحاً قال لأمه : أعلمني أن ابن اختي أحسن وأجمل منها، وإن أباه كان ملك العجم بأسره وهو الآن ملكهم ولا تصلح جوهره إلا له . وقد عذمت على أنني آخذ جواهر من يواقيت وغيرها وأحمل هدية تصلح له وأخطبها منه، فإن احتج علينا بأنه ملك فهو أيضاً ملك ابن ملك، وإن احتج علينا بالجمال فهو أجمل منها، وإن احتج علينا بسعة المملكة فهو أوسع مملكة منها ومن أبيها وأكثر أجنادا وأعواناً . فإن ملكه أكبر من ملك أبيها ولا بد أن أسعى في قضاء حاجة ابن اختي ولو أن روحي تذهب لأنني كنت سبب هذه القضية، ومثل ما رميته في بحار عشقها أسعى في زواجه بها والله تعالى يساعطني على ذلك . فقالت له أمه : إفل ما تريد وإياك أن تغلظ عليه بالكلام إذا كلمته، فإنك تعرف حماقته وسطوته وأخاف أن يبطش بك لأنه لم يعرف قدر احد . فقال لها : السمع والطاعة . ثم إنه نهض وأخذ معه جرابين مملأتين من الجواهر واليواقيت وقضبان الزمرد ونفائيس المعادن من سائر الأحجار وحملهما لغلمانه وسار بهم هو وابن أخته إلى قصر الملك السمندل واستأذن في الدخول عليه، فأذن له . فلما دخل قَبْل الأرض بين يديه وسلم بأحسن سلام، فلما رآه الملك السمندل قام إليه وأكرمه غاية الإكرام وأمره بالجلوس فجلس . فلما استقر به الجلوس قال له الملك : قدامك أوحشتنا يا صالح، ما حاجتك حتى أنك أتيت إلينا؟ فأخبرني بحاجتك حتى أقضيها لك . فقام وقَبْل الأرض ثاني مرة وقال : يا ملك الزمان، حاجتي إلى الله وإلى الملك الهمام والأسد الضرعام الذي بمحاسن ذكره سارت الركبان وشاع خبره في الأقاليم والبلدان بالجلود والإحسان والعفو والصفح والإمتنان . ثم إنه فتح الجرابين وأخرج منهما الجواهر وغيرهما ونثرها قدام الملك السمندل وقال له : يا ملك الزمان، عساک تقبل هديتي وتفضل عليّ وتجبّر قلبي بقبولها مني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أبيها الملك السعيد، أن صالحاً لما قدم الهدية إلى الملك السمندل وقال له : القصد من الملك أن يتفضل عليّ ويجبر قلبي بقبولها مني . قال له الملك السمندل : لأي سبب أهديت لي هذه الهدية؟ قل لي قصتك وأخبرني بحاجتك، فإن كنت قادراً على قضائها قضيتها لك في هذه الساعة ولا أحوجك إلى تعب، وإن كنت عاجزاً عن قضائها فلا

فلما كانت الليلة
747
الليلة
الليلة

يكلف الله نفساً إلا وسعها . فقام وقَبْل الأرض ثلاث مرات وقال : يا ملك الزمان، إن حاجتي أنت قادر على قضائها وهي تحت حوزك وأنت مالكها ولم أكلف الملك مشقة ولم أكن مجنوناً حتى أخاطب الملك في شيء لا يقدر عليه . فبعض الحكماء قال : إذا أردت أن تطاع فسل عن ما يستطيع . فاما حاجتي التي جئت في طلبها فإن الملك حفظه الله قادر عليها فقال له الملك : إسأل حاجتك واشرح قضيتك واطلب مرادك . فقال له : يا ملك الزمان، أعلم أنني قد أتيتك خاطباً راعباً في الدرّة اليتيمة والجوهرة المكنونة الملكة جوهرة بنت مولانا فلا تخيب أبيها الملك قاصدك . فلما سمع الملك كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه استهزاء به وقال : يا صالح، كنت أحسبك رجلاً عاقلاً وشاباً فاضلاً لا تسعى إلا بسداد ولا تنطق إلا برشاد، وما الذي أصاب عقلك ودعاك إلى هذا الأمر العظيم والخطر الجسيم حتى أنك تخطب بنات الملوك أصحاب البلدان والأقاليم؟

وهل بلغ من قدرك أنك انتهيت إلى هذه الدرجة العالية؟ وهل نقص عقلك إلى هذه الغاية حتى تواجهني بهذا الكلام؟ فقال صالح: أصلح الله الملك، إني لم أخطبها لنفسي ولو خطبتها لنفسي كنت كفوؤها بل أكثر لأنك تعلم أن أبي ملك من ملوك البحر وإن كنت اليوم ملكنا، ولكن أنا ما خطبتها إلا للملك بدر باسم صاحب أقاليم العجم وأبوه الملك شهرمان وأنت تعرف سطوته، وإن زعمت أنك ملك عظيم فالملك بدر باسم ملك أعظم، وإن ادعيت أن ابنتك جميلة فالملك بدر باسم أجمل منها وأحسن صورة وأفضل حسباً ونسباً فإنه فارس زمانه. فإن اجبت إلى ما سألتك تكن يا ملك الزمان قد وضعت الشيء في محله، وإن تعاضمت علينا فإنك ما انصفتنا ولا سلكت بنا الطريق المستقيم. وأنت تعلم أيها الملك أن هذه الملكة جوهرة بنت مولانا الملك لا بدلها من الزواج، فإن الحكيم يقول: لا بد للبنت من الزواج أو القبر. فإن كنت عزمت على زواجها فإن ابن أختي أحق بها من سائر الناس. فلما سمع الملك كلام الملك صالح، اغتاض غيظاً شديداً وكاد عقله أن يذهب وكادت روحه أن تخرج من جسده وقال له: يا كلب الرجال، هل مثلك يخاطبني بهذا الكلام وتذكر ابنتي في المجالس وتقول: أن ابن أختك جلتناز كفوؤها؟ فمن هو أنت؟ ومن هي أختك؟ ومن هو ابنها؟ ومن هو أبوه؟ حتى تقول لي هذا الكلام وتخاطبني بهذا الخطاب. فهل أنتم بالنسبة إليها إلا كلاب؟ ثم صاح على غلمانه وقال: يا غلمان، خذوا رأس هذا العلق. فأخذوا السيوف وجردوها وطلبوه فولئى هارباً ولباب القصر طالباً. فلما وصل إلى باب القصر رأى أولاد عمه وقرابه وعشيرته وغلمانه وكانوا أكثر من ألف فارس، غارقين في الحديد والزررد النضيد وبأيديهم الرماح وبيض الصفاح. فلما رأوا صالحاً على تلك الحالة قالوا له: ما الخبر؟ فحدثهم بحديثه. وكانت أمه قد أرسلتهم إلى نصرته، فلما سمعوا كلامه علموا أن الملك أحق شديد السطوة، فترجلوا عن خيولهم وجردوا سيوفهم ودخلوا على الملك السمندل فأروه جالساً على كرسي مملكته غافلاً عن هؤلاء وهو شديد الغيظ على صالح، ورأوا خدامه وغلمانه وأعوانه غير مستعدين. فلما رأهم وبأيديهم السيوف مجردة صاح على قومه وقال: يا ويلكم، خذوا رؤوس هؤلاء الكلاب. فلم تكن غير ساعة حتى انهزم قوم الملك السمندل وركنوا إلى الفرار، وكان صالح وأقاربه قد قبضوا على الملك السمندل وكتفوه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن صالحاً وأقاربه كتفوا الملك السمندل. ثم إن جوهرة لما انتهت علمت أن أباه قد أسر وأن أعوانه قد قتلوا فخرجت من القصر هاربة إلى بعض الجزائر، ثم إنها قصدت شجرة عالية واختفت فوقها. ولما اقتتل هؤلاء الطائفتان فر بعض غلمان الملك السمندل هارين فرأهم بدر باسم فسألهم عن حالهم، فأخبروه بما وقع. فلما سمع أن الملك السمندل قبض عليه، ولئى هارباً وخاف على نفسه وقال في قلبه: إن هذه الفتنة كانت من أجلي وما المطلوب إلا أنا. فولئى هارباً وللنجاة طالباً وصار لا يدري أين يتوجه، فساقته المقادير الأزلية إلى تلك الجزيرة التي فيها جوهرة بنت الملك السمندل. فأتى عند الشجرة وانطرح مثل القليل وأراد الراحة بانطراحه ولا يعلم أن كل مطلوب لم يسترح ولا يعلم أحد ما خفي له في الغيب من التقادير. فلما رقد رفع بصره نحو الشجرة فوقعت عينه في

فلما كانت الليلة
748
الملك السمندل

عين جوهرة، فنظر إليها فرأها كأنها القمر إذا أشرق فقال: سبحان خالق هذه الصورة البديعة وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير، سبحان الله العظيم الخالق البادئ المصور، والله إن صدقتي حذري تكون هذه جوهرة بنت الملك السمندل. وأظنها لما سمعت بوقوع الحرب بينهما هربت وآتت إلى هذه الجزيرة واختفت فوق هذه الشجرة، وإن لم تكن هذه هي الملكة جوهرة فهذه أحسن منها. ثم إنه صار متفكراً في أمرها وقال في نفسه: أقوم أمسكها وأسألها عن حالها، فإن كانت هي فإني أخطبها من نفسها وهذا هو بغيتي. فانتصب قائماً على قدميه وقال لجوهرة: يا غاية المطلوب، من أنت؟ ومن أتى بك إلى هذا المكان؟ فنظرت جوهرة إلى بدر باسم فرأته كأنه البدر إذا ظهر من تحت الغمام الأسود وهو رشيق القوام مليح الإبتسام فقالت له: يا مليح السمائل، أنا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل، وقد هربت في هذا المكان لأن صالحاً وجنده تقاتلوا مع أبي وقتلوا جنده وأسروه هو وبعض جنده فهربت أنا خوفاً على نفسي. ثم إن الملكة جوهرة قالت للملك بدر باسم: وأنا ما أتيت إلى هذا المكان إلا هاربة خوفاً من القتل، ولم أدر ما فعل الزمان بأبي. فلما سمع الملك بدر باسم كلامها، تعجب غاية العجب من هذا الإتفاق الغريب وقال: لا شك أنني نلت غرضي بأسر أبيها. ثم إنه نظر إليها وقال لها: انزلي يا سيدتي فإني قتيل هواك وأسرتني عينك، وعلى شأني وشأنك كانت هذه الفتنة وهذه الحروب. واعلمي أنني أنا الملك بدر باسم ملك العجم وأن صالحاً هو خالي وهو الذي أتى إلى أبيك وخطبك منه، وأنا قد تركت ملكي لأجلك واجتماعنا في هذا الوقت من عجائب الإتفاق. فقومي وانزلي عندي حتى أروح أنا وأنت إلى قصر أبيك وأسأل خالي صالحاً في إطلاقه وأتزوج بك في الحلال. فلماً سمعت جوهرة كلام بدر باسم قالت في نفسها: على شأن هذا العلق اللثيم كانت هذه القضية وأسر أبي وقتل حجابيه وحشمه وتشتت أنا عن قصري وخرجت مسبية إلى تلك الجزيرة؟ فإن لم أعمل معه حيلة أتحصن بها منه تمكّن مني ونال غرضه لأنه عاشق، والعاشق مهما فعله لا يلام عليه فيه. ثم إنها خادعته بالكلام ولين الخطاب وهو لا يدري ما أضمرته له من المكائد وقالت له: يا سيدي ونور عيني، هل أنت الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز؟ فقال لها: نعم يا سيدتي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن جوهرة بنت الملك السمندل قالت للملك بدر باسم: هل أنت يا سيدي الملك بدر باسم بن الملكة جلناز؟ قال لها: نعم يا سيدتي. فقالت: قطع الله أبي وأزال ملكه عنه ولا جبر له قلباً ولا ردّ له غربة إن كان يريد أحسن منك وأحسن من هذه السمائل الظريفة، والله إنه قليل العقل والتدبير. ثم قالت له: يا ملك الزمان لا تؤاخذ أبي بما فعل، وإن كنت أحببتي شبراً فانا أحببتك ذراعاً وقد وقعت في شرك هواك وصرت من جملة قتلاك، وقد انتقلت المحبة التي كانت عندك وصارت عندي وما بقي عندك منها إلا معشار ما عندي. ثم إنها نزلت من فوق الشجرة وقربت منه وآتت إليه واعتنقته وضمته إلى صدرها تقبله. فلما رأى الملك بدر باسم فعلها فيه ازدادت محبته لها واشتد غرامه بها وظن أنها عشقته، ووثق بها وصار يضمها ويقبلها. ثم إنه قال لها: يا ملكة، والله لم يصف لي خالي صالح ربع معشار ما أنت عليه من الجمال ولا ربع قيراط من أربعة وعشرين قيراطاً.

فلما كانت الليلة
749
الليلة

ثم إن جوهرة ضمته إلى صدرها وتكلمت بكلام لا يفهم وتفلت في وجهه وقالت له : اخرج من هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر أحسن الطيور أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين . فما تم كلامها حتى انقلب الملك بدر باسم إلى صورة طائر أحسن ما يكون من الطيور وانتفض ووقف على رجله وصار ينظر إلى جوهرة . وكان عندها جارية من جواربها تسمى مرسينة فنظرت إليها وقالت : والله لولا أخاف من كون أبي أسيراً عند خاله لقتلته فلا جزاءه الله خيراً ، فما أشام قدومه علينا فهذه الفتنة كلها من تحت رأسه . ولكن يا جارية خذيه واذهبي به إلى الجزيرة المعطشة واتركيه هناك حتى يموت عطشاً . فأخذته الجارية وأوصلته إلى الجزيرة وأرادت الرجوع من عنده ثم قالت في نفسها : والله إن صاحب هذا الحسن والجمال لا يستحق أن يموت عطشاً . ثم إنها أخرجته من الجزيرة المعطشة وأتت به إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار فوضعت فيها ورجعت إلى سيدتها وقالت لها : قد وضعت في الجزيرة المعطشة . هذا ما كان من أمر بدر باسم . وأما ما كان من أمر صالح خال الملك بدر باسم ، فإنه لما احتوى على الملك السمندل وقتل أعوانه وخدمه وصار تحت أسره ، قد طلب جوهرة بنت الملك فلم يجدها . فرجع إلى قصره عند أمه وقال : يا أمي أين ابن أختي الملك بدر باسم ؟ فقالت : يا ولدي ، والله مالي به علم ولا أعرف أين ذهب . فإنه لما بلغه أنك تقاتلت مع الملك السمندل وجرت بينكم الحروب والقتال فزع وهرب . فلما سمع صالح كلام أمه حزن على ابن أخته وقال : يا أمي ، والله إننا قد فرطنا في الملك بدر باسم وأخاف أن يهلك أو يقع به أحد من جنود الملك السمندل أو تقع به ابنة الملك جوهرة ، فيحصل لنا من أمه خجل ولا يحصل لنا منها خير لأنني قد أخذته بغير إذنها . ثم إنه بعث خلفه الأعوان والجواسيس إلى جهة البحر وغيره فلم يقفوا له على خير ، فرجعوا أعلموا الملك صالحاً بذلك فزاد همّه وغمّه وقد ضاق صدره على الملك بدر باسم . هذا ما كان من أمر الملك بدر باسم وخاله صالح . وأما ما كان من أمر أمه جلناز البحرية ، فإنها لما نزل ابنها بدر باسم مع خاله صالح ، انتظرت فلم يرجع إليها وأبطأ خبره عنها . فقعدت أياماً عديدة في انتظاره ثم إنها قامت ونزلت في البحر وأتت أمها . فلما نظرتها أمها قامت إليها وقبّلتها واعتنقتها وكذلك بنات عمها ، ثم إنها سألت أمها عن الملك بدر باسم فقالت لها : يا بنتي ، قد أتى هو وخاله . ثم إن خاله قد أخذ يواقيت وجواهر وتوجه بها هو وإياه إلى الملك السمندل وخطب ابنته فلم يجبه ، وشدد على أخيك في الكلام . فأرسلت إلى أخيك نحو ألف فارس ووقع الحرب بينهم وبين الملك السمندل فنصر الله أخاك عليه وقتل أعوانه وجنوده وأسر الملك السمندل ، فبلغ ذلك الخبر ولذلك فكانه خاف على نفسه فهرب من عندنا بغير اختيارنا ولم يعد إلينا بعد ذلك ولم نسمع له خبراً . ثم إن جلناز سألتها عن أخيها صالح فأخبرتها أنه جالس على كرسي المملكة في محل الملك السمندل ، وقد أرسل إلى جميع الجهات بالتفتيش على ولدك وعلى الملكة جوهرة . فلما سمعت جلناز كلام أمها حزنت على ولدها حزناً شديداً واشتد غضبها على أخيها صالح لكونه أخذ ولدها ونزل به البحر من غير إذنها . ثم إنها قالت : يا أمي ، إنني خائفة على الملك الذي لنا لأنني أتيتكم وما أعلمت أحداً من أهل المملكة وأخشى إن أبطأت عليهم أن يفسد الملك علينا وتخرج المملكة من أيدينا . والرأي السديد أنني أرجع وأسوس المملكة إلى أن يدبر الله لنا أمر ولدي ، ولا تنسوا ولدي ولا تتهاونوا في أمره فإنه إن حصل له ضرر هلكت لا محالة لأنني لا أرى الدنيا إلا به ولا

وما عندك غير الجوارى والخدام التي في خدمتك وزوجك . فقالت له : أيها الملك ، إن هذا الطير ليس بطائر وإنما هو رجل مثلك . فلما سمع كلام زوجته قال لها : تكذبي ، ما أكثر ما تمزحين ، كيف يكون غير طائر ؟ فقالت له : والله ما مزحت معك ولا قلت لك إلا حقاً ، إن هذا الطير الملك بدر باتم ابن الملك شهرمان صاحب بلاد العجم وأمه جنانز البحرية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت ليلة 751

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زوجة الملك لما قالت للملك : إن هذا ليس بطائر وإنما هو رجل مثلك وهو الملك بدر باسم ابن الملك شهرمان وأمه جنانز البحرية قال لها : وكيف صار إلى هذا الشكل ؟ قالت له : إنه قد سحرته الملكة جوهره بنت الملك السمندل ثم حدثته بما جرى له من أوله إلى آخره وأنه قد خطب جوهره من أبيها فلم يرض أبوها بذلك ، وإن خاله صالحاً أقتل هو والملك السمندل وانتصر صالح عليه وأسره . فلما سمع الملك كلام زوجته تعجب غاية العجب ، وكانت هذه الملكة زوجته أسحر أهل زمانها . فقال لها الملك : بحياتي عليك أن تخليه من سحره ولا تخليه معذباً قطع الله تعالى يد جوهره ما أقبحها وما أقل دينها وأكثر خداعها ومكرها . قالت له زوجته : قل له : يا بدر باسم أدخل هذه الخزانة ، فأمره الملك أن يدخل الخزانة . فلما سمع كلام الملك دخل الخزانة ، فقامت زوجة الملك وسترت وجهها وأخذت في يدها طاسة ماء ودخلت الخزانة وتكلمت على الماء بكلام لا يفهم وقالت له : بحق هذه الاسماء العظام والآيات الكرام وبحق الله تعالى خالق السموات والأرض ومحيط الاموات وقاسم الارزاق والآجال أن تخرج من هذه الصورة التي أنت فيها وترجع إلى الصورة التي خلقك الله عليها . فلم يتم كلامها حتى انتفض نفضة ورجع إلى صورته ، فرآه الملك شجباً مليحاً ما على وجه الأرض أحسن منه . ثم إن الملك بدر باسم لما نظر إلى هذه الحالة قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، سبحان خالق الخلائق ومقدر أرزاقهم وآجالهم . ثم إنه قبل بيدي الملك ودعا له بالبقاء ، وقبل الملك رأس بدر باسم وقال له : يا بدر باسم ، حدثني بحديثك من أوله إلى آخره . فحدثه الملك بحديثه ولم يكتب منه شيئاً . فتعجب الملك من ذلك ثم قال له : يا بدر باسم ، قد خلصك الله من السحر فما الذي اقتضاه رأيك ؟ وما تريد أن تصنع ؟ قال له : يا ملك الزمان ، أريد من إحسانك أن تجهز لي مركباً وجماعة من خدامك وجميع ما احتاج إليه ، فإن لي زماناً طويلاً وأنا غائب وأخاف أن تروح المملكة مني ، وما أظن أن والدتي بالحياة من أجل فراقى والغالب على ظني أنها ماتت من حزنها علي لأنها لا تدري ما جرى لي ولا تعرف هل أنا حي أم ميت ؟ وأنا أسالك أيها الملك أن تتم إحسانك علي بما طلبته منك . فلما نظر الملك إلى حسنه وجماله وفصاحته أجابه وقال له : سمعاً وطاعة . ثم إنه جهز له مركباً ونقل فيها ما يحتاج إليه وسير معه جماعة من خدامه ، فنزل في المركب بعد أن ودّع الملك وساروا في البحر وسباعدهم الريح . ولم يزلوا سائرين عشرة أيام متوالية . ولما كان اليوم الحادي عشر هاج البحر هيجاناً شديداً ، وصارت المركب ترتفع وتنخفض ولم تقدر البحرية أن يمسكوها ، ولم يزلوا على هذه الحالة والأمواج تلعب بهم حتى قربوا إلى صخرة من صخر البحر ، فوقعت تلك الصخرة على المركب فانكسرت وغرق جميع من كان فيها إلا الملك بدر باسم فإنه ركب على لوح من

الألواح بعد أن أشرف على الهلاك . ولم يزل ذلك اللوح يجري به في البحر ولا يدري إلى أين هو ذاهب وليس له حيلة في منيع اللوح ، بل سار اللوح به مع الماء والريح ولم يزل كذلك مدة ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع طلع به اللوح على ساحل البحر فوجد هناك مدينة بيضاء مثل الحمامة الشديدة البياض ، وهي مبنية في الجزيرة التي على ساحل البحر لكنها عالية الأركان مليحة البنيان رفيعة الخيطان والبحر يضرب في سورها . فلما عاين الملك بدر باسم تلك الجزيرة التي فيها هذه المدينة ، فرح فرحاً شديداً وقد كان أشرف على الهلاك من الجوع والعطش . فنزل من فوق اللوح وأراد أن يصعد إلى المدينة فأتت إليه بغال وحمير وخيول عدد الرمل ، فصاروا يضربونه ويمنعونه أن يطلع من البحر إلى المدينة . ثم إنه عام خلف تلك المدينة وطلع إلى البر فلم يجد هناك أحداً فتعجب وقال : يا ترى ، لمن هذه المدينة ؟ وهي ليس لها ملك ولا فيها أحد ، ومن أين هذه البغال والحمير والخيول التي منعوني من الطلوع ؟ وصار متفكراً في أمره وهو ماش وما يدري أين يذهب . ثم بعد ذلك رأى شيخاً بقالاً ، فلما رآه الملك بدر باسم سلم عليه فردّ عليه السلام ونظر إليه الشيخ فرآه جميلاً فقال له : يا غلام ، من أين أقبلت ؟ وما أوصلك إلى هذه المدينة ؟ فحدثه بحديثه من أوله إلى آخره . فتعجب منه وقال له : يا ولدي ، أما رأيت أحداً في طريقك ؟ فقال له : يا ولدي ، إنما أتعجب من هذه المدينة حيث كانت خالية من الناس . فقال له الشيخ : يا ولدي ، اطلع إلى الدكان لثلاث تهنك . فطلع بدر باسم وقعد في الدكان ، فقام الشيخ وجاء له بشيء من الطعام وقال له : يا ولدي ، أدخل في داخل الدكان فسبحان من سلمك من هذه الشيطانة . فخاف الملك بدر باسم خوفاً شديداً ثم أكل من طعام الشيخ حتى اكتفى وغسل يديه ونظر إلى الشيخ وقال له : يا سيدي ، ما سبب هذا الكلام ؟ فقد خوفتني من هذه المدينة ومن أهلها . فقال له الشيخ : يا ولدي ، أعلم أن هذه المدينة مدينة السحرة وبها ملكة ساحرة كأنها شيطانة وهي كاهنة سحارة مكاراة غدارة ، والتي تنظرها من الخيل والبغال والحمير هؤلاء كلهم مثلك ومثلي من بني آدم لكنهم غرباء ، لأن كل من يدخل هذه المدينة وهو شاب مثلك تأخذه هذه الكافرة الساحرة وتقعده معه أربعين يوماً وبعد الأربعين يوماً تسحره فيصير بغلاً أو فرساً أو حماراً من هذه الحيوانات التي نظرتها على جانب البحر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 752

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ البقال لما حكى للملك بدر باسم وأخبره بحال الملكة السحارة قال له : إن كل أهل هذه المدينة قد سحرتهم وإنك لما أردت الطلوع إلى البر خافوا عليك أن تسحرك مثلهم فقالوا لك بالإشارة : لا تطلع لثلاث تراك الساحرة شفقة عليك ، فربما تعمل فيك مثل ما عملت فيهم . وقال له : إنها قد ملكت هذه المدينة من أهلها بالسحر واسمها الملكة لآب ، وتفسيره بالعربي تقويم الشمس . فلما سمع الملك بدر باسم ذلك الكلام من الشيخ ، خاف خوفاً شديداً وصار يرتعد مثل القصبية الروحية وقال له : أنا ما صدقت أنني خلصت من البلاء الذي كنت فيه من السحر حتى ترميني المقادير في مكان أقبح منه ؟ فصار متفكراً في حاله وما جرى له . فلما نظر إليه الشيخ رآه قد اشتد خوفه فقال له : يا ولدي ، قم واجلس على عتبة الداكان وانظر إلى تلك الخلائق وإلى لباسهم وألوانهم وما هم فيه من السحر ولا تخف فإن الملكة وكل من في المدينة يحبني ويراعيني ولا يرجفون لي قلباً ولا

يتعبون لي خاطرأ. فلما سمع الملك بدر باسم كلام الشيخ خرج وقعد على باب الدكان يتفرج فجازت عليه الناس فنظر إلى عالم لا يحصى عدده. فلما نظره الناس تقدموا إلى الشيخ وقالوا له: يا شيخ، هل هذا أسيرك وصيدك في هذه الأيام؟ فقال لهم: هذا ابن أخي وسمعت أن أباه قد مات فأرسلت خلفه وأحضرت له لاطفىء نار شوقي به. فقالوا له: إن هذا شاب مليح الشباب، ولكن نحن نخاف عليه من الملكة لاب لثلاثا ترجع عليك بالغدر وتأخذ منك لأنها تحب الشباب الملاح. فقال لهم الشيخ: إن الملكة لا تعصي أمري وهي تراعيني وتحبني، وإذا علمت أنه ابن أخي لا تتعرض له ولا تسوءني فيه ولا تشوش خاطرني به. فأقام الملك بدر باسم عند الشيخ مدة أشهر في أكل وشرب وحبه الشيخ محبة عظيمة. ثم إن بدر باسم كان جالساً على دكان الشيخ ذات يوم على جري عادته وإذا بالف خادم وبأيديهم السيوف مجردة وعليهم أنواع الملابس وفي وسطهم المناطق المرصعة بالجواهر وهم راكبون الخيول العربية متقلدون السيوف الهندية وقد جاؤوا على دكان الشيخ وسلموا عليه ثم مضوا، وجاء بعدهم ألف جارية كأنهن الأعمار وعليهن أنواع الملابس من الحرير الأطلس مطرزة بطرازات الذهب مرصعة بأنواع الجواهر، وكلهن متقلدات الرماح وفي وسطهن جارية راكبة على فرس عربية عليها سرج من الذهب مرصع بأنواع الجواهر واليواقيت، ولم يزلن سائرات حتى وصلن إلى دكان الشيخ وسلمن عليه. ثم توجهن وإذا بالملكة لاب قد أقبلت في موكب عظيم، وما زالت مقبلة إلى أن وصلت إلى دكان الشيخ فرأت الملك بدر باسم وهو جالس على الدكان كأنه البدر في تمامه، فلما رآته الملكة لاب حارت في حسنه وجماله واندهشت وصارت ولهانة به. ثم أقبلت على الدكان ونزلت وجلست عند الملك بدر باسم وقالت للشيخ: من أين لك هذا المليح؟ فقال: هذا ابن أخي جاءني عن قريب. فقالت: دعه يكون الليلة عندي لأتحدث أنا وإياه. قال لها: أتأخذينه مني ولا تسحرينه؟ قالت: نعم. قال: إحلفي لي. فحلفت له أنها لا تؤذيه ولا تسحره. ثم أمرت أن يقدموا له فرساً مليحاً مسرجاً ملجماً بلجام من ذهب وكل ما عليه ذهب مرصع بالجواهر ووهبت للشيخ ألف دينار وقالت له: استعن به. ثم إن الملكة لاب أخذت الملك بدر باسم وراحت به وهو كأنه البدر في ليلة أربعة عشر، وسار معها وصارت الناس كلما نظروا إليه وإلى حسنه يتوجعون عليه ويقولون: والله إن هذا الشاب لا يستحق أن تسحره هذه الملعونة. والملك بدر باسم يسمع كلام الناس ولكنه ساكت وقد سلم أمره إلى الله تعالى، ولم يزالوا سائرين إلى القصر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك بدر باسم لم يزل سائراً هو والملكة لاب وأتباعها إلى أن وصلوا إلى باب القصر، ثم ترجل الأمراء والخدام وأكابر الدولة وقد أمرت الحجاب أن يأمروا أبواب الدولة كلهم بالإنصراف، فقبلوا الأرض وانصرفوا ودخلت الملكة والخدام والجواري في القصر. فلما نظر الملك بدر باسم إلى القصر رأى قصرأ لم ير مثله قط، وحيطانه مبنية بالذهب وفي وسط القصر بركة عظيمة غزيرة الماء في بستان عظيم. فنظر الملك بدر باسم إلى البستان فرأى فيه طيورأ تناغي بسائر اللغات والأصوات المفرحة والمحزنة، وتلك الطيور من سائر الأشكال والألوان. فنظر الملك بدر باسم إلى ملك عظيم فقال: سبحان الله من

فلما كانت الليلة
753
الملك السعيد

كرمه وحلمه يرزق من يعبد غيره . فجلست الملكة في شباك يشرف على البستان وهي على سرير من العاج وفوق السرير فرش عال، وجلس الملك بدر باسم إلى جانبها فقبّلته وضمّته إلى صدرها ثم أمرت الجوّاري بإحضار مائدة . فحضرت مائدة من الذهب الأحمر مرصّعة بالدر والجوهر وفيها من سائر الأطعمة، فأكلتا حتى اكتفيا وغسلا أيديهما . ثم أحضرت الجوّاري أواني الذهب والفضة والبلور وأحضرت أيضاً جميع أجناس الأزهار وأطباق النقل . ثم إنها أمرت بإحضار مغنيات، فحضر عشر جوار كأنهن الأقمار وبأيديهن سائر آلات الملاهي . ثم إن الملكة ملأت قدحاً وشربته وملأت آخر وناولت الملك بدر باسم إياه فأخذه وشربه، ولم يزال كذلك يشربان حتى اكتفيا . ثم أمرت الجوّاري أن يغنين، فغنين بسائر الألحان وتخيل للملك بدر باسم أنه يرقص به القصر طرباً، فطاش عقله وانشرح صدره ونسي الغربة وقال : إن هذه الملكة شابة مليحة ما بقيت أروح من عندها أبداً لأن ملكها أوسع من ملكي وهي أحسن من الملكة جوهرة . ولم يزل يشرب معها إلى أن أمسى المساء وأوقدت القناديل والشموع وأطلقوا البخور، ولم يزالا يشربان إلى أن سكرا والمغنيات يغنين . فلما سكرت الملكة لاب، قامت من موضعها ونامت على سرير وأمرت الجوّاري بالإصراف، ثم أمرت الملك بدر باسم بالنوم إلى جانبها . فنام معها في أطيب عيش إلى أن أصبح الصباح . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 754
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملكة لما قامت من النوم دخلت الحمام الذي في القصر والملك بدر باسم صحبتها واغتسلا، فلما خرجا من الحمام أفرغت عليه أجمل القماش وأمرت بإحضار آلات الشراب، فأحضرتها الجوّاري فشربا . ثم إن الملكة قامت وأخذت بيد الملك بدر باسم وجلسا على الكرسي وأمرت بإحضار الطعام، فأكلا وغسلا أيديهما ثم قدمت الجوّاري لهما أواني الشراب والفواكه والأزهار والنقل . ولم يزالا يأكلان ويشربان والجوّاري تغني باختلاف الألحان إلى المساء، ولم يزالا في أكل وشرب وطرب مدة أربعين يوماً ثم قالت له : يا بدر باسم، هل هذا المكان أطيب أو دكان عمك البقال؟ قال لها : والله يا ملكة إن هذا طيب وذلك إن عمي رجل صعلوك يبيع الباقلا . فضحكت من كلامه ثم إنهما رقدتا في أطيب حال إلى الصباح . فانتبه الملك بدر باسم من نومه فلم يجد الملكة لاب بجانبه فقال : يا ترى، أين راحت؟ وصار مستوحشاً من غيبتها ومتحيراً في أمره وقد غابت عنه مدة طويلة ولم ترجع . فقال في نفسه : أين ذهبت؟ ثم إنه لبس ثيابه وصار يفتش عليها فلم يجدها . فقال في نفسه : لعلها ذهبت إلى البستان . فمضى إلى البستان فرأى فيه نهراً جارياً وبجانبه طيرة بيضاء وعلى شاطئ ذلك النهر شجرة وفوقها طيور مختلفة الألوان . فصار ينظر إلى الطيور والطيور لا تراه وإذا بطائر أسود نزل على تلك الطيرة البيضاء فصار يزقها زق الحمام، ثم إن الطير الأسود وثب على تلك الطيرة ثلاث مرات . ثم بعد ساعة انقلبت تلك الطيرة في صورة بشر فتأملها وإذا هي الملكة لاب، فعلم أن الطير الأسود إنسان مسحور وهي تعشقه وتسحر نفسها طيرة ليجامعها، فأخذته الغيرة واغتاض على الملكة لاب من أجل الطير الأسود . ثم إنه رجع إلى مكانه ونام على فراشه وبعد ساعة رجعت إليه وصارت الملكة لاب تقبّله وتمزح معه وهو شديد الغيظ عليها فلم يكلمها كلمة واحدة فعلمت ما به وتحققت أنه رآها حين صارت طيرة وكيف

واقعها ذلك الطير، فلم تظهر له شيئاً بل كتمت ما بها. فلما قضى حاجتها قال لها: يا ملكة أريد أن تأذني لي في الرواح إلى دكان عمي فإنني قد تشوقت إليه ولي أربعون يوماً ما رأيته. فقالت له: رح إليه ولا تبطئ عليّ فإنني ما أقدر أن أفارقك ولا أصبر عنك ساعة واحدة. فقال لها: سمعاً وطاعة. ثم إنه ركب ومضى إلى دكان الشيخ البقال فرحّب به وقام إليه وعانقه وقال له: كيف أنت مع هذه الكافرة؟ فقال له: كنت طيباً في خير وعافية إلا أنها كانت في هذه الليلة نائمة في جانبي فاستيقظت فلم أرها، فلبست ثيابي ودرت أفتش عليها إلى أن أتيت إلى البستان وأخبره بما رآه من النهر والطيور التي كانت فوق الشجرة. فلما سمع الشيخ كلامه قال له: إحذر منها واعلم أن الطيور التي كانت على الشجرة كلهم شباب غرباء عشقتهم وسحرتهم طيوراً، وذلك الطير الأسود الذي رأيته كان من جملة مماليكها وكانت تحبه محبة عظيمة، فمد عينه إلى بعض الجوارى فسحرتة في صورة طير أسود. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
755
جميع حكاية الملكة لاب وما رآه منها اعلمه الشيخ بأن الطيور التي على الشجرة كلهم شباب غرباء وسحرتهم، وكذلك الطير الأسود كان من مماليكها وسحرتة في صورة طير أسود، وكلما اشتاقت إليه تسحر نفسها طيرة ليجامعها لأنها تحبه محبة عظيمة. ولما علمت أنك علمت بحالها اضمرت لك السوء ولا تصفى لك. ولكن ما عليك بأس منها ما دمت أراعيك أنا فلا تخف، فإنني رجل مسلم واسمي عبد الله وما في زماني أسحر مني، ولكن لا أستعمل السحر إلا عند اضطراري إليه وكثيراً ما أبطل سحر هذه الملعونة وأخلص الناس منها ولا أبالي بها لأنها ليس لها عليّ سبيل بل هي تخاف مني خوفاً شديداً، وكذلك كل من كان في المدينة ساحراً مثلها على هذا الشكل يخافون مني وكلهم على دينها يعبدون النار دون الملك الجبار. فإذا كان غد تعال عندي واعلمني بما تعمله معك فإنها في هذه الليلة تسعى في هلاكك، وأنا أقول لك على ما تفعله معها حتى تتخلص من كيدها. ثم إن الملك بدر باسم ودّع الشيخ ورجع إليها فوجدها جالسة في انتظاره، فلما رآته قامت إليه وأجلسته ورحبت به وجاءت له بأكل وشرب، فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم أمرت بإحضار الشراب فحضر، وصارا يشربان إلى نصف الليل. ثم مالت عليه بالأقداح وصارت تعاطيه حتى سكر وغاب عن حسه وعقله، فلما رآته كذلك قالت له: بالله عليك وبحق معبودك إن سألتك عن شيء هل تخبرني عنه بالصدق وتجيبي إلى قلبي؟ فقال لها وهو في حالة السكر: نعم يا سيدتي. قالت له: يا سيدي ونور عيني، لما استيقظت من نومك لم ترني وفتشت عليّ وجتنتني في البستان ورأيت الطير الأسود الذي وثب عليّ فانا أخبرك بحقيقة هذا الطائر، إنه كان من مماليكها وكنت أحبه محبة عظيمة، فتطلع يوماً لجارية من جوارى فحصلت لي غيرة وسحرتة في صورة طير أسود وأما الجارية فإنني قتلتها وإني اليوم لم أصبر عنه ساعة واحدة، وكلما اشتقت إليه أسحر نفسي طيرة وأروح إليه لينظّ عليّ ويتمكن مني كما رأيته. أما أنت لاجل هذا معتاذ مني؟ مع أنني وحق النار والنور والظل والحرور قد ازددت فيك محبة وجعلتك نصيبي من الدنيا. فقال وهو سكران: إن الذي فهمته من غيظي بسبب ذلك صحيح وليس لغيظي سبب غير ذلك. فضمّته وقبّلته وأظهرت له المحبة ونامت ونام

الأخر جانبها . فلما كان نصف الليل قامت من الفراش والملك بدر باسم منتبه وهو يظهر أنه نائم وصار يسرق النظر وينظر ما تفعل ، فوجدها قد أخرجت من كيس أحمر شيئاً أحمر وغرسته في وسط القصر فإذا هو صار نهراً يجري مثل البحر ، وأخذت كبشة شعير بيدها وبذرتها فوق التراب وسقته من هذا الماء فصار زرعاً مسنبلاً ، فأخذته وطحنته دقيقاً ثم وضعت في موضع ورجعت نامت عند بدر باسم إلى الصباح . فلما أصبح الصباح قام الملك بدر باسم وغسل وجهه ثم استأذن الملكة في الرواح إلى الشيخ فأذنت له ، فذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى منها وما عاين . فلما سمع الشيخ كلامه ضحك وقال : والله إن هذه الكافرة الساحرة قد مكرت بك ، ولكن لا تبال بها أبداً . ثم أخرج له قدر رطل سويقاً وقال له : خذ هذا معك واعلم أنها إذا رآته تقول لك : ما هذا؟ وما تعمل به؟ فقل لها : زيادة الخير خير وكُل منه ، فإذا أخرجت هي سويقها وقالت لك : كُـل من هذا السويق . فأرها أنك تأكل منه وكُل من هذا وإياك أن تأكل من سويقها شيئاً ولو حبة واحدة . فإن أكلت منه ولو حبة واحدة فإن سحرها يتمكّن منك فتسحرك وتقول لك : أخرج من هذه الصورة البشرية . فتخرج من صورتك إلى أي صورة أردت ، وإذا لم تأكل منه فإن سحرها يبطل ولا يضرّك منه شيء فتخجل هي غاية الخجل وتقول لك : إنما أنا أمزح معك وتقرّ لك بالحبّة والمودة وكل ذلك نفاق ومكر منها . فإظهر لها أنت المحبة وقل لها : يا سيدتي ويا نور عيني ، كُلي من هذا السويق وانظري لذّته . فإذا أكلت منه ولو حبة واحدة فخذ في كفك ماء واضربه في وجهها وقل لها : أخرجي من هذه الصورة البشرية إلى أي صورة أردت ، ثم خلتها وتعال إليّ حتى أدبر لك أمراً . ثم ودّعه بدر باسم وسار إلى أن طلع القصر ودخل عليها ، فلما رآته قالت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً . ثم قامت له وقبلته وقالت له : أبطأت عليّ يا سيدي . فقال لها : كنت عند عمي . ورأى عندها سويقاً فقال لها : وقد أطعمني عمي من هذا السويق فإن عندنا سويقاً أحسن منه . ثم إنها حطت سويقه في صحن وسويقها في صحن آخر وقالت له : كُـل من هذا فإنه أطيب من سويقك . فإظهر لها أنه يأكل منه . فلما علمت أنه أكل منه أخذت في يدها ماء ورشته به وقالت له : أخرج من هذه الصورة يا علق يا لثيم وكن في صورة بغل أعور قبيح المنظر ، فلم يتغيّر . فلما رآته على حاله لم يتغيّر قامت له وقبلته بين عينيه وقالت له : يا محبوبي ، إنما كنت أمزح معك فلا تتغيّر عليّ بسبب ذلك . فقال لها : والله يا سيدتي ما تغيّرت عليك أصلاً بل اعتقد أنك تحبينني ، فكُلي من سوقي هذا . فأخذت لقمته وأكلتها فلما استقرت في بطنها اضطربت ، فأخذ الملك بدر باسم في كفه ماء ورشته به في وجهها وقال لها : أخرجي من هذه الصورة البشرية إلى صورة بغلة زرزورية . فما نظرت نفسها إلا وهي في تلك الحالة ، فصارت دموعها تنحدر على خديها وصارت تمرغ خديها على رجليه ، فقام يلجمها فلم تقبل اللجم فتركها وذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى . فقام الشيخ وأخرج له لجاماً وقال له : خذ هذا اللجام والجمها به . فأخذته وأتى عندها ، فلما رآته تقدمت إليه وحطّ اللجام في فمها وربكها وخرج من القصر وتوجه إلى الشيخ عبد الله . فلما رآها قام لها وقال لها : خزاك الله تعالى يا ملعونة . ثم قال له الشيخ : يا ولدي ، ما بقي لك في هذه البلد إقامة فاركبها وسر بها إلى أي مكان شئت وإيّاك أن تسلم اللجام إلى أحد . فشكره الملك بدر باسم وودّعه وسار ، ولم يزل سائراً ثلاثة أيام . ثم أشرف على مدينة فلقية شيخ مليح الشيبة فقال له : يا ولدي ، من أين أقبلت؟

قال : من مدينة هذه الساحرة . قال له : أنت ضيفي في هذه الليلة . فأجابه وسار معه في الطريق وإذا بامرأة عجوز كلما نظرت البغلة بكت وقالت : لا إله إلا الله ، إن هذه البغلة تشبه بغلة ابني التي ماتت وقلبي متشوش عليها ، فبالله عليك يا سيدي أن تبيعني إياها . فقال لها : والله يا أمي ما أقدر أن أبيعها . قالت له : بالله عليك لا ترد سؤالي فان ولدي إن لم أشتري له هذه البغلة ميت لا محالة . ثم إنها أظنبت عليه في السؤال فقال : ما أبيعها إلا بألف دينار . وقال بدر باسم في نفسه : من أين لهذه العجوز تحصيل ألف دينار . فعند ذلك أخرجت من حزامها ألف دينار فلما نظر الملك بدر باسم إلى ذلك قال لها : يا أمي ، إنما أنا أمزح معك وما أقدر أن أبيعها . فنظر إليه الشيخ وقال له : يا ولدي ، إن هذه البلد ما يكذب فيها أحد ، وكل من كذب في هذه البلد قتلوه . فنزل الملك بدر باسم من فوق البغلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك بدر باسم لما نزل من فوق البغلة وسلمها إلى المرأة العجوز أخرجت اللجام من فمها وأخذت في يدها ماء ورشتها به وقالت : يا بنتي ، أخرجني من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها . فانقلبت في الحال وعادت إلى صورتها الأولى وأقبلت كل واحدة منهما على الأخرى وتعانقتا . فعلم الملك بدر باسم أن هذه العجوز أمها وقد تمت الحيلة عليه ، فأراد أن يهرب وإذا بالعجوز صفرت صفرة عظيمة فتمثل بين يديها عفريت كأنه الجبل العظيم ، فخاف الملك بدر باسم ووقف فركبت العجوز على ظهره وأردفت بنتها خلفها وأخذت الملك بدر باسم قدامها وطار بهم العفريت ، فما مضى عليهم غير ساعة ووصلوا إلى قصر الملكة لاب . فلما جلست على كرسي الملكة التفتت إلى الملك بدر باسم وقالت له : يا علق ، قد وصلت إلى هذا المكان ونلت ما تمنيت وسوف أريك ما أعمل بك وبهذا الشيخ البقال ، فكم أحسنت له وهو يسوءني وأنت ما وصلت إلى مرادك إلا بواسطته . ثم أخذت ماء ورشته به وقالت له : أخرج من هذه الصورة التي أنت فيها إلى صورة طير قبيح المنظر أقبح ما يكون من الطيور . فانقلب في الحال وصار طيراً قبيح المنظر ، فجعلته في قفص وقطعت عنه الأكل والشرب . فنظرت إليه جارية فرحمته وصارت تطعمه وتسقيه وبغير علم الملكة . ثم إن الجارية وجدت سيدتها غافلة في يوم من الأيام فخرجت وتوجهت إلى الشيخ البقال وأعلمته بالحديث وقالت له : إن الملكة لاب عازمة على هلاك ابن أخيك . فشكرها الشيخ وقال لها : لا بد أن آخذ المدينة منها وأجعلك ملكتها عوضاً عنها . ثم صفر صفرة عظيمة فخرج له عفريت له أربعة أجنحة فقال له : خذ هذه الجارية وامض بها إلى مدينة جلتناز البحرية وأمها فراشة فإنهما أسحر من يوجد على وجه الأرض وقال للجارية : إذا وصلت إلى هناك فاخبريهما بأن الملك بدر باسم في أسر الملكة لاب . فحملها العفريت وطار بها ، فلم يكن إلا ساعة حتى نزل بها على قصر الملكة جلتناز البحرية ، فنزلت الجارية من فوق سطح القصر ودخلت على الملكة جلتناز وقبلت الأرض وأعلمتها بما قد جرى لولدها من أول الأمر إلى آخره . فقامت إليها جلتناز وأكرمتها وشكرتها ودقت البشائر في المدينة وأعلمت أهلها وأكابر دولتها بأن الملك بدر باسم وجد . ثم إن جلتناز البحرية وأمها فراشة وأخاها صالحاً أحضروا جميع قبائل الجان وجنود البحر ، لأن ملوك الجان قد أطاعوهم بعد أسر الملك السمندل . ثم إنهم طاروا في الهواء ونزلوا

فلما كانت الليلة
756
التي كان فيها
الملك بدر

على مدينة الساحرة ونهبوا القصر وقتلوا جميع من كان فيه، ونهبوا المدينة وقتلوا جميع من كان فيها من الكفرة في طرفة عين وقالت للجارية: أين ابني؟ فأخذت الجارية القفص وأتت به بين يديها وأشارت إلى الطائر الذي فيه وقالت: هذا ولدك. فأخرجته الملكة جليزاً من القفص ثم أخذت بيدها ماء ورشته به وقالت له: أخرج من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها. فلم يتم كلامها حتى انتفض وصار بشراً كما كان. فلما رآته أمه على صورته الأصلية قامت إليه واعتنقته، فبكى بكاء شديداً وكذلك خاله صالح وجدته فراشة وبنات عمه وصاروا يقبلون يديه ورجليه. ثم إن جليزاً أرسلت خلف الشيخ عبد الله وشكرته على فعله الجميل مع ابنها، وزوجته بالجارية التي أرسلها إليها بأخبار ولدها ودخل بها. ثم جعلته ملك تلك المدينة وأحضرت ما بقي من أهل المدينة من المسلمين وبايعتهم للشيخ عبد الله وعاهدتهم وحلفتهم أن يكونوا في طاعته وفي خدمته. فقالوا: سمعاً وطاعة. ثم إنهم ودّعوا الشيخ عبد الله وساروا إلى مدينتهم، فلما دخلوا قصرهم تلقاهم أهل مدينتهم بالبشائر والفرح وزينوا المدينة ثلاثة أيام لشدة فرحهم بملكهم بدر باسم، وفرحوا فرحاً شديداً. ثم بعد ذلك قال الملك بدر باسم لأمه: يا أمي، ما بقي إلا أني أتزوج ويجتمع شملنا ببعضنا أجمعين. فقالت: يا ولدي، نعم الرأي الذي رأيته ولكن إصبر حتى نسال على من يصلح لك من بنات الملوك. فقالت جدته فراشة وبنات عمه وخاله: نحن يا بدر باسم كلنا في الوقت نساعدك على ما تريد. ثم إن كل واحدة منهن نهضت ومضت تفتش في البلاد وكذلك جليزاً البحرية بعثت جواربها على أعناق العفاريت وقالت لهن: لا تتركن مدينة ولا قصرأ من قصور الملوك حتى تتأملن جميع من فيه من البنات الحسان. فلما رأى الملك بدر باسم اعتناءهن بهذا الأمر قال لأمه جليزاً: يا أمي، اتركي هذا الأمر فإنه ليس يرصيني إلا جوهرة بنت الملك السمندل، لأنها جوهرة كاسمها. فقالت أمه: قد عرفت مقصودك. ثم أرسلت في الحال من يأتيها بالملك السمندل، ففي الوقت احضروه بين يديها ثم أرسلت إلى بدر باسم. فلما جاء باسم أعلمته بمجيء الملك السمندل فدخل عليه، فلما رآه الملك السمندل مقبلاً قام له وسلم عليه ورحب به. ثم إن الملك بدر باسم خطب منه بنته جوهرة. فقال له: هي في خدمتك وجاريتك وبين يديك. ثم إن الملك السمندل أرسل بعض أصحابه إلى بلاده وأمرهم بإحضار بنته جوهرة وأن يعلموها أن أباه عند الملك بدر باسم ابن جليزاً البحرية. فطاروا في الهواء وغابوا ساعة ثم جاؤا معهم الملكة جوهرة، فلما عاينت أباها تقدمت إليه واعتنقته. فنظر إليها وقال: يا بنتي، اعلمي أنني قد زوجتك بهذا الملك الهمام والأسد الضرغام الملك بدر باسم ابن الملكة جليزاً، وإنه أحسن أهل زمانه وأجملهم وأرفهم قدراً وأشرفهم حسباً، ولا يصلح إلا لك ولا تصلحين إلا له. فقالت له: يا أبي، أنا ما أقدر أن أخالفك فافعل ما تريد، فقد زال الهم والتنكيد وأنا له من جملة الخدام. فعند ذلك أحضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب الملك بدر باسم ابن الملكة جليزاً البحرية على الملكة جوهرة، وأهل المدينة زينوها وأطلقوا البشائر وأطلقوا كل من في الحبوس، وكسا الملك الأراذل والأيتام وخلع على أرباب الدولة والأمرء والأكابر. ثم أقاموا الفرح العظيم وعملوا الولائم وأقاموا في الأفراح مساءً وصباحاً مدة عشرة أيام، وجلوها على الملك بدر باسم بتسع خلع. ثم خلع الملك بدر باسم على الملك السمندل وردّه إلى بلاده وأهله وأقاربه. ولم يزالوا في الذ عيش وأهني أيام،

يأكلون ويشربون ويتنعمون إلى أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات . وهذا آخر حكايتهم
رحمة الله عليهم أجمعين .

73 - حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال

واعلم أيها الملك السعيد، أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان ملك من ملوك
العجم إسمه محمد بن سبائك، وكان يحكم على بلاد خراسان . وكان في كل عام يغزو بلاد
الكفار في الهند والسند والصين والبلاد التي وراء النهر وغير ذلك من بلاد العجم وغيرها . وكان
ملكاً عادلاً شجاعاً كريماً جواداً، وكان ذلك الملك يحب المناديات والروايات والأشعار والأخبار
والحكايات والأسمار وسير المتقدمين، وكان كل من يحفظ حكاية غريبة ويحكيها له ينعم عليه .
وقيل : إنه كان إذا أتاه رجل غريب بسم غريب وتكلم بين يديه واستحسنه وأعجبه كلامه يخلع
عليه خلعة سنية ويعطيه ألف دينار ويركبه فرساً مسرجاً ملجماً ويكسوه من فوق إلى أسفل
ويعطيه عطايا عظيمة فيأخذها الرجل وينصرف لحال سيبه . فاتفق أنه أتاه رجل كبير بسم
غريب فتحدث بين يديه، فاستحسنه وأعجبه كلامه فأمر له بجائزة سنية ومن جملتها ألف دينار
خراسانية وفرس بعدة كاملة . ثم بعد ذلك شاعت هذه الأخبار عن هذا الملك في جميع البلدان
فسمع به رجل يقال له : التاجر حسن . وكان كريماً جواداً عالماً شاعراً فاضلاً . وكان عند ذلك
الملك وزير حسود محضر سوء لا يحب الناس جميعاً، لا غنياً ولا فقيراً . وكان كلما ورد على
ذلك الملك أحد وأعطاه شيئاً يحسده ويقول : إن هذا الأمر يفني المال ويخرب الديار وإن الملك
دأبه هذا الأمر . ولم يكن ذلك الكلام إلا حسداً وبغضاً من ذلك الوزير . ثم إن الملك سمع بخبر
التاجر حسن فأرسل إليه واحضره، فلما حضر بين يديه قال له : يا تاجر حسن ، إن الوزير
خالفتني وعاداني من أجل المال الذي أعطيه للشعراء والندماء وأرباب الحكايات والأشعار، وإني
أريد منك أن تحكي لي حكاية مليحة وحديثاً غريباً بحيث لم أكن سمعت مثله قط . فإن أعجبتني
حديثك أعطيتك بلداً كثيرة بقلاعها وأجعلها زيادة على إقطاعك وأجعل مملكتي كلها بين يديك
وأجعلك كبير وزرائي تجلس على يميني وتحكم في رعيتي، وإن لم تأتني بما قلت لك أخذت
جميع ما في يدك وطردتك من بلادي . فقال التاجر حسن : سمعاً وطاعة لمولانا الملك، لكن
يطلب منك المملوك أن تصبر عليه سنة ثم أحدثك بحديث ما سمعت مثله في عمرك ولا سمع
غيرك بمثله ولا بأحسن منه قط . فقال الملك : قد أعطيتك مهلة سنة كاملة . ثم دعا بخلعة سنية
فألبسه إياها وقال له : إلزم بيتك ولا ترح ولا تحييء مدة سنة كاملة حتى تحضر بما طلبته
منك . فإن جئت بذلك فلك الأنعام الخاص وأبشر بما وعدتك به، وإن لم تجيء بذلك فلا أنت منا
ولا نحن منك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك محمد بن سبائك لما قال
للتاجر حسن : إن جئتني بما طلبته منك فلك الأنعام الخاص وأبشر بما
وعدتك به، وإن لم تجئتني بذلك فلا أنت منا ولا نحن منك . فقيل
للتاجر حسن الأرض بين يديه وخرج . ثم اختار من ممالিকে خمسة
أنفس كلهم يكتبون ويقرؤون، وهم فضلاء عقلاء أدباء من خواص

فلما كانت الليلة
757
الليلة

ماليكه، وأعطى كل واحد خمسة آلاف دينار وقال لهم : أنا ما ربيتكم إلا مثل هذا اليوم ، فأعينوني على قضاء غرض الملك وانقذوني من يده . فقالوا له : وما الذي تريد أن تفعل ؟ فأرواحنا فداءك . قال لهم : أريد أن يسافر كل واحد منكم إلى إقليم وأن تستقصوا على العلماء والأدباء والفضلاء وأصحاب الحكايات الغربية والأخبار العجيبة ، وابحثوا لي عن قصة سيف الملوك وتأتوني بها وإذا لقيتموها عند أحد فرغوه في ثمنها ، ومهما طلب من الذهب والفضة فاعطوه إياه ولو طلب منكم ألف دينار فاعطوه المتيسر وعدّوه بالباقي وأتوني بها . ومن وقع منكم بهذه القصة وأتاني بها فإنني أعطيه الخلع السنينة والنعم الوفية ولم يكن عندي أعز منه . ثم إن التاجر حسن قال لواحد منهم : رح أنت إلى بلاد الهند والسند وأعمالها وأقاليمها . وقال للآخر : رح أنت إلى بلاد العجم والصين وأقاليمها . وقال للآخر : رح أنت إلى بلاد المغرب وأقطارها وأقاليمها وأعمالها وجميع أطرافها . وقال للآخر وهو الخامس : رح أنت إلى بلاد الشام ومصر وأعمالها وأقاليمها . ثم إن التاجر اختار لهم يوماً سعيداً وقال لهم : سافروا في هذا اليوم واجتهدوا في تحصيل حاجتي ولا تتهاونوا ولو كان فيها بذل الأرواح . فودّعوه وساروا وكل واحد منهم ذهب إلى الجهة التي أمره بها ، فممنهم أربعة أنفس غابوا أربعة أشهر وفتشوا ولم يجدوا شيئاً . فضاقت صدر التاجر حسن لما رجع إليه الأربعة ممالك وأخبروه أنهم فتشوا المدائن والبلاد والأقاليم على مطلوب سيدهم فلم يجدوا شيئاً منه . وأما المملوك الخامس فإنه سافر إلى أن دخل بلاد الشام ووصل إلى مدينة دمشق ، فوجدها مدينة طيبة أمينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيّار ، تسبح الله الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار ، فأقام فيها أياماً وهو يسأل عن حاجة سيده فلم يجبه أحد . ثم إنه أراد أن يرحل منها ويسافر إلى غيرها وإذا هو بشاب يجري ويتعثّر في أذياله فقال له المملوك : ما بالك تجري وأنت مكروب ؟ وإلى أين تقصد ؟ فقال له : هنا شيخ كل يوم يجلس على كرسي في مثل هذا الوقت ويحدث حكايات وأخبار وأسماراً ملاحاً لم يسمع أحد مثلاً ، وأنا أجري حتى أجد لي موضعاً قريباً وأخاف إنني لم أحصل لي موضعاً من كثرة الخلق . فقال له المملوك : خذني معك . فقال له الفتى : أسرع في مشيك . فغلق بابه وأسرع في السير معه حتى وصل إلى الموضع الذي يحدث فيه الشيخ بين الناس ، فرأى ذلك الشيخ صبيح الوجه وهو جالس على كرسي يحدث الناس فجلس قريباً منه وصغى ليسمع حديثه . فلما جاء وقت غروب الشمس فرغ الشيخ من الحديث وسمع الناس ما تحدّث به وانفضوا من حوله ، فعند ذلك تقدّم إليه المملوك وسلّم عليه فردّ عليه وزاده في التحية والإكرام . فقال له المملوك : إنك يا سيدي الشيخ ، رجل مليح محتشم وحديثك مليح ، وأريد أن أسالك على شيء . فقال له : إسأل عما تريد . فقال له المملوك : هل عندك قصة سمر سيف الملوك وبديع الجمال ؟ فقال له الشيخ : وبمن سمعت هذا الكلام ؟ ومن الذي أخبرك بذلك ؟ فقال المملوك : أنا ما سمعت ذلك من أحد ولكن أنا من بلاد بعيدة وجئت قاصداً لهذه القصة ، فمهما طلبت من ثمنها أعطيك إن كانت عندك وتنعم وتصدق عليّ بها وتجعلها من مكارم أخلاقك صدقة عن نفسك ، ولو أن روحي في يدي وبذلتها لك فيها لطاب خاطري بذلك . فقال له الشيخ : طب نفساً وقرّ عيناً وهي تحضر لك ، ولكن هذا سمر لا يتحدث به أحد على قارعة الطريق ولا أعطي هذه القصة لكل أحد . فقال له المملوك : بالله يا

سيدي لا تبخل عليّ بها واطلب مهما أردت . فقال له الشيخ : إن كنت تريد هذه القصة فاعطني مائة دينار وأنا اعطيك إياها ولكن بخمس شروط . فلما عرف أنها عند الشيخ وأنه سمح له بها فرح فرحاً شديداً وقال له : اعطيك مائة دينار ثمنها وعشرة جعالة وأخذها بالشروط التي ذكرتها . فقال له الشيخ : رح هات الذهب وخذ حاجتك . فقام المملوك وقبّل يدي الشيخ وراح إلى منزله فرحاً مسروراً وأخذ في يده مائة دينار وعشرة ووضعها في كيس كان معه . فلما أصبح الصباح قام ولبس ثيابه وأخذ الدنانير وأتى بها إلى الشيخ فرأه جالساً على باب داره ، فسلم عليه فردّ عليه السلام فأعطاه المائة دينار وعشرة ، فأخذها منه الشيخ وقام ودخل داره وأدخل المملوك وأجلسه في مكان وقدم له دواة وقلماً وقرطاساً وقدم له كتاباً وقال له : اكتب الذي أنت طالبه من هذا الكتاب من قصة سمر سيف المملوك . فجلس المملوك يكتب هذه القصة إلى أن فرغ من كتابتها ، ثم قرأها على الشيخ وصحّحها وبعد ذلك قال له الشيخ : أعلم يا ولدي أن أول شرط أنك لا تقول هذه القصة على قارة الطريق ولا عند النساء والجواري ولا عند العبيد والسفهاء ولا عند الصبيان ، وإنما تقرؤها عند الأمراء والملوك والوزراء وأهل المعرفة من المفسرين وغيرهم . فقبل المملوك الشروط وقبّل يدي الشيخ وودّعه وخرج من عنده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 758

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مملوك التاجر حسن لما نقل القصة من كتاب الشيخ الذي بالشام وأخبره بالشروط وودّعه وخرج من عنده وسافر في يومه فرحاناً مسروراً ، ولم يزل مجدداً في السير من كثرة الفرح الذي حصل له بسبب تحصيله لقصة سمر سيف المملوك حتى وصل إلى بلاده وأرسل تابعه يبشّر التاجر ويقول له : إن مملوكك قد وصل سالمًا وبلغ مراده ومقصوده . وحين وصل المملوك إلى مدينة سيده وأرسل إليه البشير لم يبقَ من الميعاد الذي بين الملك وبين التاجر حسن غير عشرة أيام ، ودخل على سيده التاجر وأخبره بما حصل له . ففرح فرحاً عظيماً واستراح المملوك في مكان خلوته وأعطى سيده الكتاب الذي فيه قصة سيف المملوك وبديع الجمال . فلما رأى سيده ذلك خلع على المملوك جميع ما كان عليه من ملابسه وأعطاه عشرة من الخيل الجياد وعشرة من الجمال وعشرة من البغال وثلاثة عبيد ومملوكين . ثم إن التاجر أخذ القصة وكتبها بخطه مفسّرة وطلع إلى الملك وقال له : أيها الملك السعيد ، إنني جئت بسمر وحكايات مليحة نادرة لم يسمع مثلها أحد قط . فلما سمع الملك كلام التاجر حسن أمر في وقته وساعته بأن يحضر كل أمير عاقل وكل عالم فاضل وكل أديب وشاعر ولبيب ، وجلس التاجر حسن وقرأ هذه السيرة عند الملك . فلما سمعها الملك وكل من كان حاضراً تعجبوا واستحسنوها وكذلك استحسناها الذين كانوا حاضرين ونثروا عليه الذهب والفضة والجواهر . ثم أمر الملك للتاجر حسن بخلعة سنوية من أفخر ملبوسه وأعطاه مدينة كبيرة بقلعها وضياعها وجعله من أكابر وزرائه وأجلسه على يمينه ، ثم أمر الكتاب أن يكتبوا هذه القصة بالذهب ويجعلوها في خزائنه الخاصة . وصار الملك كلما ضاق صدره يحضر التاجر حسن فيقرؤها .

ومضمون هذه القصة أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان في مصر ، ملك يسمّى

عاصم بن صفوان . وكان ملكاً سخياً جواداً صاحب هبة ووقار ، وكان له بلاد كثيرة وقلاع وحصون وجيوش وعساكر ، وكان له وزير يسمّى فارس بن صالح ، وكانوا جميعاً يعبدون الشمس والنار دون الملك الجبار الجليل القهار . ثم إن هذا الملك صار شيخاً كبيراً قد اضعفه الكبر والسقم والهزم لأنه عاش مائة وثمانين سنة ولم يكن له ولد ذكر ولا أنثى ، وكان بسبب ذلك في هم وغم ليلاً ونهاراً . فاتفق أنه كان جالساً يوماً من الأيام على سرير ملكه والأمراء والوزراء والمقدمون وأرباب الدولة في خدمته على جري عادتهم وعلى قدر منازلهم ، وكل من دخل عليه من الأمراء ومعه ولد أو ولدان يحسده الملك ويقول في نفسه : كل واحد مسرور فرحان بأولاده وأنا مالي ولد ، في غد أموت وأترك ملكي وتختي وضياعي وخزائني وأموالي وتأخذها الغرباء وما يذكرني أحد قط ولا يبقى لي ذكر في الدنيا . ثم إن الملك عاصم استغرق في بحر الفكر ومن كثرة توارد الأحزان والأفكار على قلبه ، بكى ونزل من فوق تخته وجلس على الأرض يبكي ويتضرع . فلما رآه الوزير والجماعة الحاضرون من أكابر الدولة فعل بنفسه ذلك صاحوا على الناس وقالوا لهم : اذهبوا إلى منازلكم واستريحوا حتى يفيق الملك مما هو فيه . فانصرفوا ولم يبق غير الملك والوزير . فلما أفاق الملك قبل الوزير الأرض بين يديه وقال له : يا ملك الزمان ، ما سبب هذا البكاء ؟ فآخبرني بمن عادك من الملوك وأصحاب القلاع أو من الأمراء وأرباب الدولة ؟ وعرفني بمن يخالفك أيها الملك حتى نكون كلنا عليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ؟ فلم يتكلم الملك ولم يرفع رأسه . ثم إن الوزير قبل الأرض بين يديه ثانياً وقال له : يا ملك الزمان ، أنا مثل ولدك وعبدك وقد ربيتني ، فأنا لم أعرف سبب غمك وهمك وجزعك وما أنت فيه ، فمن يعرف غيري ويقوم مقامي بين يديك ؟ فآخبرني بسبب هذا البكاء والحزن . فلم يتكلم ولم يفتح فاه ولم يرفع رأسه ، وما زال يبكي ويصوت بصوت عال وينوح بنواح زائد ويتأوه والوزير صابر له . ثم بعد ذلك قال له الوزير : إن لم تقل لي ما سبب ذلك وإلا قتلت نفسي بين يديك من ساعتني وأنت تنظر ولا أراك مهموماً . ثم إن الملك عاصماً رفع رأسه ومسح دموعه وقال : يا أيها الوزير الناصح خلّني بهميّ وغميّ فالذي في قلبي من الأحزان يكفيني . فقال له الوزير : قل لي أيها الملك : ما سبب هذا البكاء ؟ لعلّ الله يجعل الفرج على يدي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير لما قال للملك عاصم : قل لي ما سبب هذا البكاء لعلّ الله يجعل لك الفرج على يدي . قال له الملك : يا وزير ، إن بكائي ما هو على مال ولا على خيل ولا على شيء ولكن أنا بقيت رجلاً كبيراً وصار عمري نحو مائة وثمانين سنة ولا رزقت ولداً ذكر ولا أنثى فإذا مت يدفونني ثم يتمحي رسمي وينقطع إسمي ويأخذ الغرباء تختي وملكتي ولا يذكرني أحداً أبداً . فقال الوزير : يا ملك الزمان ، أنا أكبر منك بمائة سنة ولا رزقت بولد قط ، ولم أزل ليلاً ونهاراً في همّ وغمّ وكيف نفعل أنا وأنت ؟ ولكن سمعت بخبر سليمان بن داود عليهما السلام وأن له رباً عظيماً قادراً على كل شيء ، فينبغي أن أتوجه إليه بهدية وأقصده في أن يسأل ربّه لعله يرزق كل واحد منّا بولد . ثم إن الوزير تجهّز للسفر وأخذ هدية فاخرة وتوجه بها إلى سليمان بن داود عليهما السلام . هذا ما كان من أمر

فلما كانت الليلة
759
الليلة

الوزير . وأما ما كان من أمر سليمان بن داود عليهما السلام ، فإن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه وقال : يا سليمان ، إن ملك مصر أرسل إليك وزيره الكبير بالهدايا والتحف وهي كذا وكذا ، فأرسل إليه وزيرك آصف بن برخيا لاستقباله بالإكرام والزاد في مواضع الإقامات فإذا حضر بين يديك فقل له : إن الملك أرسلك تطلب كذا وكذا ، وإن حاجتك كذا وكذا ثم اعرض عليه الإيمان . فحينئذ أمر سليمان وزيره آصف أن يأخذ معه جماعة من حاشيته للقائهم بالإكرام والزاد الفاخر في مواضع الإقامات ، فخرج آصف بعد أن جهّز جميع اللوازم إلى لقاهم وسار حتى وصل إلى فارس وزير ملك مصر ، فاستقبله وسلّم عليه وأكرمه هو ومن معه إكراماً زائداً وصار يقدم إليهم الزاد والعلوفات في مواضع الإقامات وقال لهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً بالضيوف القادمين ، فأبشروا بقضاء حاجتكم وطيبوا نفساً وقروا عيناً وانشروا صلوراً . فقال الوزير في نفسه : من أخبرهم بذلك ؟ ثم إنه قال لآصف بن برخيا : ومن أخبركم بنا وبأغراضنا يا سيدي ؟ فقال له آصف : إن سليمان بن داود عليهما السلام هو الذي أخبرنا بهذا . فقال الوزير فارس : ومن أخبر سيدنا سليمان ؟ قال له : أخبره رب السموات والأرض وإله الخلق أجمعين . فقال له الوزير فارس : ما هذا إلا إله عظيم . فقال له آصف بن برخيا : وهل أنتم لا تعبدونه ؟ فقال فارس وزير ملك مصر : نحن نعبد الشمس ونسجد لها . فقال له آصف : يا وزير فارس ، إن الشمس كوكب من جملة الكواكب المخلوقة لله سبحانه وتعالى وحاشي أن تكون رباً ، لأن الشمس تظهر أحياناً وتغيب أحياناً وربنا حاضر لا يغيب وهو على كل شيء قدير . ثم إنهم سافروا قليلاً حتى وصلوا إلى قرب تخت ملك سليمان بن داود عليهما السلام . فأمر سليمان بن داود عليهما السلام جنوده من الإنس والجن وغيرهما أن يصطفوا في طريقهم صفوفاً . فوقفت وحوش البحر والأفيلة والنمورة والفهودة جميعاً واصطفوا في الطريق صفين ، وكل جنس انحازت أنواعه وحدها وكذلك الجن ، كل منهم ظهر للعيون من غير خفاء على صورة هائلة مختلفة الأحوال . فوقفوا جميعاً صفين والطيور نشرت أجنحتها على الخلائق لتظلمهم وصارت الطيور تناعي بعضها بسائر اللغات وبسائر الألسان . فلما وصل أهل مصر إليهم هابوهم ولم يجسروا على المشي . فقال لهم آصف : ادخلوا بينهم وامشوا ولا تخافوا منهم فإنهم رعايا سليمان بن داود وما يضرّكم منهم أحد . ثم إن آصف دخل بينهم فدخل ورآه الخلق أجمعون ، ومن جملتهم جماعة وزير ملك مصر وهم خائفون . ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى المدينة فأنزلوهم في دار الضيافة وأكرمهم غاية الأكرام وأحضروا لهم الضيافات الفاخرة مدة ثلاثة أيام . ثم أحضروهم بين يدي سليمان نبي الله عليه السلام ، فلما دخلوا عليه أرادوا أن يقبلوا الأرض بين يديه فمنعهم من ذلك سليمان بن داود وقال : لا ينبغي أن يسجد إنسان على الأرض إلا لله عزّ وجلّ خالق الأرض والسموات وغيرهما ، ومن أراد منكم أن يقف فليقف ، ولكن لا يقف أحد منكم في خدمتي . فامتلوا وجلس الوزير فارس وبعض خدامه ووقف في خدمته بعض الأصاغر ، فلما استقر بهم الجلوس مدوا لهم الأسمطة فأكل العالم والخلق أجمعون من الطعام حتى اكتفوا . ثم إن سليمان أمر وزير مصر أن يذكر حاجته لتقضى وقال له : تكلم ولا تخف شيئاً مما جئت بسببه فإنك ما جئت إلا لقضاء حاجة وأنا أخبرك بها ، وهي كذا وكذا وأن ملك مصر الذي أرسلك إسمه عاصم ، وقد صار شيخاً كبيراً هرمًا ضعيفاً ولم يرزقه الله تعالى

بولد ذكر ولا اننى فصار في الغم والهم والفكر ليلاً ونهاراً، حتى اتفق له انه جلس على كرسي مملكته يوماً من الايام ودخل عليه الامراء والوزراء واكابر دولته فرأى بعضهم له ولدان وبعضهم له ولد وبعضهم له ثلاثة اولاد وهم يدخلون ومعهم اولادهم ويقفون في الخدمة . فتذكر في نفسه وقال من فرط حزنه : ياترى ، من يأخذ مملكتي بعد موتي ؟ وهل يأخذها إلا رجل غريب وأصير انا كائني لم أكن ؟ ففرق في بحر الفكر بسبب هذا ، ولم يزل متفكراً حزيناً حتى فاضت عيناه بالدموع ، فغطى وجهه بالتمديد ويكى بكاء شديداً . ثم قام من فوق سريره وجلس على الارض يبكي ويتحجب ولم يعلم ما في قلبه إلا الله تعالى ، وهو جالس على الارض . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 760
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما أخبر الوزير فارساً بما حصل للملك من الحزن والبكاء وما حصل بينه وبين وزيره فارس من أوله إلى آخره قال بعد ذلك للوزير فارس : هل هذا الذي قلته لك يا وزير صحيح ؟ فقال الوزير فارس : يا نبي الله ، إن الذي قلته حق وصدق ، ولكن يا نبي الله لما كنت أتحدث أنا والملك في هذه القضية ولم يكن عندنا أحد قط ولم يشعر بخبرنا أحد من الناس ، فمن أخبرك بهذه الامور كلها ؟ قال له : أخبرني ربي الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . فحينئذ قال الوزير فارس : يا نبي الله ، ما هذا إلا رب كريم عظيم على كل شيء قدير . ثم أسلم الوزير فارس هو ومن معه . ثم قال نبي الله سليمان للوزير : إن معك كذا وكذا من التحف والهدايا . قال الوزير : نعم . فقال له سليمان : قد قبلت منك الجميع ولكني وهبتها لك ، فاسترح أنت ومن معك في المكان الذي نزلتم فيه حتى يزول عنكم تعب السفر وفي غد إن شاء الله تعالى نقضي حاجتك على أتم ما يكون بمشيئة الله تعالى رب الأرض والسماة وخالق الخلق أجمعين . ثم إن الوزير فارساً ذهب إلى موضعه وتوجه إلى السيد سليمان ثاني يوم فقال له نبي الله سليمان : إذا وصلت إلى الملك عاصم بن صفوان واجتمعت أنت وإياه فاطلعا فوق الشجرة الفلانية واقعدا ساكتين ، فإذا كان بين الصلاتين وقد برد حرّ القائلة فانزلا إلى أسفل الشجرة وانظرا هناك تجدا ثعبانين يخرجان ، رأس أحدهما كراس القرد ورأس الآخر كراس العفريت . فإذا رأيتاهما فارمياهما بالنشاب واقتلاههما ثم ارميا من جهة رؤوسهما قدر شبر واحد ومن جهة أذيالهما كذلك فتبقى لحومهما ، فاطبخاها واتقنا طبخها وأطعماها زوجتيكما وناما معهما تلك الليلة فإنهما يحملان بإذن الله تعالى بأولاد ذكور . ثم إن سليمان عليه السلام أحضر خاتماً وسيفاً وبقجة فيها قبآن مكلّان بالجواهر وقال : يا وزير فارس ، إذا كبر ولدكما وبلغا مبلغ الرجال فاعطوا كل واحد منهما قباء من هذين القبأين . ثم قال للوزير : بسم الله ، قضى الله تعالى حاجتك وما بقي لك إلا أن تسافر على بركة الله تعالى فإن الملك ليلاً ونهاراً ينتظر قدمك وعينه دائماً تلاحظ الطريق . ثم إن الوزير فارساً تقدم لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وودّعه وخرج من عنده بعد أن قبّل يديه وسافر بقية يومه وهو فرحان بقضاء حاجته ، وجدّ في السفر ليلاً ونهاراً . ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى قرب مصر ، فأرسل بعض خدامه ليعلم الملك عاصماً بذلك . فلما سمع عاصم بقدومه وقضاء حاجته ، فرح فرحاً شديداً هو وخواصه وأرباب مملكته

وجميع جنوده وخصوصاً بسلامة الوزير فارس . فلما تلاقى الملك هو والوزير، ترجل الوزير وقبل الأرض بين يديه وبشر الملك بقضاء حاجته على أتم الوجوه، وعرض عليه الإيمان والإسلام . فأسلم الملك عاصم وقال للوزير فارس : رح بيتك واسترح هذه الليلة واسترح أيضاً جمعة من الزمان وادخل الحمام وبعد ذلك تعال عندي حتى أخبرك بشيء نتدبر فيه . فقبل الوزير الأرض وانصرف هو وحاشيته وغلمانه وخدمه إلى داره واستراح ثمانية أيام ، ثم بعد ذلك توجه إلى الملك وحدثه بجميع ما كان بينه وبين سليمان بن داود عليهما السلام . ثم إنه قال للملك : قم وحدك وتعال معي . فقام هو والوزير وأخذا قوسين ونشابين وطلعا فوق الشجرة وقعدا ساكتين إلى أن مضى وقت القائلة ولم يزالا إلى قرب العصر، ثم نزلا ونظرا فرأيا ثعبانين خرجا من أسفل تلك الشجرة . فظفرهما الملك وأحبهما لأنهما أعجباه حين رأهما بالأطواق الذهب وقال : يا وزير، إن هذين الثعبانين مطوقان بالذهب والله إن هذا شيء عجيب، خلنا نمسكهما ونجعلهما في قفص ونفرض عليهما . فقال الوزير : هذان خلقهما الله لمنفعتهما، فارم أنت واحداً بنشابة وأرمي أنا واحداً بنشابة، فرمى الإثنين عليهما بالنشاب فقتلاهوا وقطعا من جهة رؤوسهما شبراً ومن جهة أذنايهما شبراً وأرمياه، ثم ذهبا بالباقي إلى بيت الملك وطلبوا الطباخ وأعطياه ذلك اللحم وقالاه : اطبخ هذا اللحم طبخاً مليحاً بالتقلية والأبازير، واغرفه في زبديتين وهاتهما وتعال هنا في الوقت الفلاني والساعة الفلانية ولا تبطىء . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 761

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك والوزير لما أعطيا الطباخ لحم الثعبانين وقالاه : اطبخه واغرفه في زبديتين وهاتهما هنا ولا تبطىء . أخذ الطباخ اللحم وذهب به إلى المطبخ وطبخه وأتقن طبخه بتقلية عظيمة ثم غرفه في زبديتين وأحضرهما بين يدي الملك والوزير . فآخذ الملك زبدية والوزير زبدية وأطعماهما لزوجتهما وباتا تلك الليلة معهما . فبإرادة الله سبحانه وتعالى وقدرته ومشيتته حملا في تلك الليلة، فمكث الملك بعد ذلك ثلاثة أشهر وهو متشوش الخاطر يقول في نفسه : يا ترى، هل هذا الأمر صحيح أم غير صحيح ؟ ثم إن زوجته كانت جالسة يوماً من الأيام فتحرّك الولد في بطنها فعلمت أنها حامل، فتوجعت وتغيّر لونها وطلبت واحداً من الخدام الذين عندها وهو أكبرهم وقالت : إذهب إلى الملك في أي موضع يكون وقل له : يا ملك الزمان، أبشرك أن سيدتنا ظهر حملها والولد قد تحرّك في بطنها . فخرج الخادم سريعاً وهو فرحان فرأى الملك وحده ويده على خده وهو متفكر في ذلك، فأقبل عليه الخادم وقبل الأرض بين يديه وأخبره بحمل زوجته . فلما سمع كلام الخادم نهض قائماً على قدميه، ومن شدة فرحه قبل يد الخادم ورأسه وخلع ما كان عليه وأعطاه إياه وقال لمن كان حاضراً في مجلسه : من كان يجبني فلينعم عليه . فأعطوه من الأموال والجواهر واليوافيت والخيل والبغال والبساتين شيئاً لا يعد ولا يحصى . ثم إن الوزير دخل في ذلك الوقت على الملك وقال : يا ملك الزمان، أنا في هذه الساعة كنت قاعداً في البيت وحدي وأنا مشغول الخاطر متفكر في شأن الحمل وأقول في نفسي : يا ترى هل هو حق ؟ وإن خاتون تحبل أم لا ؟ وإذا بالخادم دخل عليّ وبشرني بأن زوجتي خاتون حامل وأن الولد قد تحرّك في بطنها وتغيّر لونها، فمن فرحتي خلعت

ما كان عليّ من القماش وأعطيت الخادم إياه وأعطيته ألف دينار وجعلته كبير الخدام . ثم إن الملك عاصمًا قال : يا وزير ، إن الله تبارك وتعالى أنعم علينا بفضلته وإحسانه وجوده وامتنانه وبالدين القويم وأكرمنا بكرمه وفضلته وقد أخرجنا من الظلمات إلى النور ، وأريد أن أفرج على الناس وأفرحهم . فقال له الوزير : إفعل ما تريد؟ فقال : يا وزير ، إنزل في هذا الوقت وأخرج كل من كان في الحبس من أصحاب الجرائم ومن عليهم ديون وكل من وقع منه ذنب . بعد ذلك نجأزيه بما يستحقه ونرفع عن الناس الخراج ثلاث سنوات وانصب في دائر هذه المدينة مطبخاً حول الحيطان وأمر الطبأخين أن يعلقوا عليه جميع أنواع القدور وأن يطبخوا سائر أنواع الطعام ويداوموا الطبخ بالليل والنهار ، وكل من كان في هذه المدينة وما حولها من البلاد البعيدة والقريبة يأكلون ويشربون ويحملون إلى بيوتهم . وأمرهم أن يفرحوا ويزينوا المدينة سبعة أيام ولا يقفلوا حوانيتهم ليلاً ولا نهاراً . فخرج الوزير من وقته وساعته وفعل ما أمره به الملك عاصم وزينوا المدينة والقلعة والأبراج أحسن الزينة ولبسوا أحسن ملبوس . وصار الناس في أكل وشرب ولعب وانسراح إلى أن حصل الطلق لزوجة الملك بعد انقضاء أيامها ، فوضعت ولدًا ذكرًا كالقمر ليلة تمامه فسماه سيف الملوك . وكذلك زوجة الوزير وضعت ولدًا كالصباح فسماه ساعدًا . فلما بلغا رشدتهما صار الملك عاصم كلما ينظرهما يفرح بهما الفرح الشديد . فلما صار عمرهما عشرين سنة طلب الملك وزيره فارس في خلوة وقال له : يا وزير ، قد خطر ببالي أمر أريد أن أفعله ولكن استشيرك فيه . فقال له الوزير : مهما خطر ببالك فافعله فإن رأيك مبارك . فقال الملك عاصم : يا وزير ، أنا صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرمًا لأنني طعنت في السن وأريد أن أقعد في زاوية لأعبد الله تعالى وأعطي ملكي وسلطنتي لولدي سيف الملوك ، فإنه صار شاباً مليحاً كامل الفروسية والعقل والأدب والحشمة والرياسة . فما تقول أيها الوزير في هذا الرأي؟ فقال الوزير : نعم الرأي الذي رأيته وهو رأي مبارك سعيد ، فإذا فعلت أنت هذا فأنا الآخر أفعل مثلك ويكون ولدي ساعدًا وزيراً له ، لأنه شاب مليح ذو معرفة ورأي ويصير الإثنان مع بعضهما ونحن ندبر شأنهما ولا نتهاون في أمرهما بل ندللهما على الطريق المستقيم . ثم قال الملك عاصم لوزيره : اكتب الكتب وارسلها مع السعاة إلى جميع الأقاليم والبلاد والحصون والقلاع التي تحت أيدينا وأمر أكابرها أن يكونوا في الشهر الفلاني حاضرين في ميدان الفيل . فخرج الوزير فارس من وقته وساعته وكتب إلى جميع العمال وأصحاب القلائع ومن كان تحت حكم الملك عاصم أن يحضروا جميعهم في الشهر الفلاني ، وأمر أن يحضر كل من في المدينة من قاص ودان . ثم إن الملك عاصمًا بعد مضي غالب تلك المدة أمر الفراشين أن يضربوا القباب في وسط الميدان وأن يزينوها بأفخر الزينة وأن ينصبوا التخت الكبير الذي لا يقعد عليه الملك إلا في الأعياد . ففعلوا في الحال جميع ما أمرهم به ونصبوا التخت وخرجت النواب والحجاب والأمراء وخرج الملك وأمر أن ينادى في الناس : بسم الله ابرزوا إلى الميدان . فبرز الأمراء والوزراء وأصحاب الأقاليم والضياع إلى ذلك الميدان ودخلوا في خدمة الملك على جري عادتهم واستقرؤا كلهم في مراتبهم ، فمنهم من قعد ومنهم من وقف إلى أن اجتمعت الناس جميعهم ، وأمر الملك أن يمدوا السماط ، فمدوه وأكلوا وشربوا ودعوا للملك . ثم أمر الملك الحجاب أن ينادوا في الناس بعدم الذهاب . فنادوا وقالوا في المناذاة : لا يذهب منكم أحد حتى يسمع كلام الملك . ثم رفعوا الستور فقال الملك :

من أحببني فليمكث حتى يسمع كلامي . فقعد الناس جميعهم مطمئين النفوس بعد أن كانوا خائفين . ثم قام الملك على قدميه وحلفهم أن لا يقوم أحد من مقامه وقال لهم : أيها الأمراء والوزراء وأرباب الدولة، كبيركم وصغيركم ومن حضر من جميع الناس ، هل تعلمون أن هذه المملكة لي وراثه عن آبائي وأجدادي ؟ قالوا له : نعم أيها الملك كلنا نعلم ذلك . فقال لهم : أنا وأنتم كنا كلنا نعبد الشمس والقمر ورزقنا الله تعالى الإيمان وأنقذنا من الظلمات إلى النور وهدانا الله سبحانه وتعالى إلى دين الإسلام ، واعلموا اني الآن صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرمأ عاجزاً وأريد أن اجلس في زاوية أعبد الله تعالى فيها وأستغفره من الذنوب الماضية ، وهذا ولدي سيف الملوك حاكم وتعرفون أنه شاب مليح فصيح خبير بالأمور عاقل فاضل عادل . فأريد في هذه الساعة أن اعطيه مملكتي واجعله ملكاً عليكم عوضاً عني واجلسه سلطاناً في مكاني واتخلى أنا لعبادة الله تعالى في زاوية ، وابني سيف الملوك يتولى الملك ويحكم بينكم ، فأني شيء قلتكم كلكم بأجمعكم ؟ فقاموا كلهم وقبلوا الأرض بين يديه واجابوا : بالسمع والطاعة . وقالوا : يا ملكنا وحامينا ، لو أقمتم علينا عبداً من عبيدك لأطعنناه وسمعنا قولك وامثلتنا أمرك فكيف بولدك سيف الملوك ؟ قبلناه ورضيناه على العين والراس . فقام الملك عاصم بن صفوان ونزل من فوق سريره واجلس ولده على التخت الكبير ورفع التاج من فوق رأس نفسه ووضع فوق رأس ولده وشد وسطه بمنطقة الملك وجلس الملك عاصم على كرسي مملكته بجانب ولده ، فقام الأمراء والوزراء وأكابر الدولة وجميع الناس وقبلوا الأرض بين يديه وصاروا وقوفاً يقولون لبعضهم : هو حقيق بالملك وهو أولى به من الغير ، ونادوا بالامان ودعوا له بالنصر والإقبال . ونثر سيف الملوك الذهب والفضة على رؤوس الناس أجمعين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك عاصماً لما اجلس ولده سيف الملوك على التخت ودعا له كامل الناس بالنصر والإقبال ، نثر الذهب والفضة على رؤوس الناس أجمعين وخلع الخلع وهب واعطى . ثم بعد لحظة قام الوزير فارس وقبل الأرض وقال : يا أمراء ، يا أرباب الدولة ، هل تعرفون اني وزير ووزارتي قديمة من قبل أن يتولى الملك عاصم بن صفوان ؟ وهو الآن قد خلع نفسه من الملك وولّى ولده عوضاً عنه . قالوا : نعم . نعرف وزارتك أباً عن جد . فقال : والآن أخلع نفسي وأولي ولدي ساعداً هذا فإنه عاقل فطن خبير ، فأني شيء تقولون بأجمعكم ؟ فقالوا : لا يصلح وزيراً للملك سيف الملوك إلا ولدك ساعد ، فإنهما يصلحان لبعضهما . فعند ذلك قام الوزير فارس وقلع عمامة الوزارة ووضعها فوق رأس ولده ساعد وحطّ دواة الوزارة قدّامه أيضاً . وقالت الحجاب والأمراء : إنه يستحق الوزارة . فعند ذلك قام الملك عاصم والوزير فارس وفتحا الخزانين وخلعا الخلع السنية على الملوك والأمراء والوزراء وأكابر الدولة والناس أجمعين ، واعطى النفقة والأنعام وكتبها لهم المناشير الجديدة والمراسيم بعلامة سيف الملوك وعلامة الوزير ساعد بن الوزير فارس ، وأقام الناس في المدينة جمعة وبعدها كل منهم سافر إلى بلاده ومكانه . ثم إن الملك عاصماً أخذ ولده سيف الملوك وساعداً ولد الوزير ثم دخلوا المدينة وطلعوا القصر وأحضروا الخازن دار وأمره

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
762
كانت الليلة

بإحضار الخاتم والسيف والبقجة . وقال الملك عاصم : يا أولادي تعالوا كل واحد منكم يختار من هذه الهدية شيئاً ويأخذه . فأول من مديده سيف الملوك فأخذ البقجة والخاتم ، ومدّ ساعد يده فأخذ السيف والمهر ، وقبلما يدي الملك وذهباً إلى منازلهم . فلما أخذ سيف الملوك البقجة لم يفتحها ولم ينظر ما فيها بل رماها فوق التخت الذي ينام عليه بالليل هو وساعد وزيره ، وكان من عادتهما أن يناما مع بعضهما . ثم إنهم فرشوا لهما فراش النوم وردد الإثنان مع بعضهما على فراشهما والشموع تضيء عليهما واستمرا إلى نصف الليل ، ثم أنتبه سيف الملوك من نومه فرأى البقجة عند رأسه . فقال في نفسه : يا ترى أي شيء في هذه البقجة التي أهداها لنا الملك من التحف ؟ فأخذها وأخذ الشمعة ونزل من فوق التخت وترك ساعداً نائماً ودخل الخزانة وفتح البقجة فرأى فيها قباء من شغل الجان ، ففتح القباء وفرده فوجد على البطانة التي من داخل في جهة ظهر القباء صورة بنت منقوشة بالذهب ، ولكن جمالها شيء عجيب . فلما رأى هذه الصورة طار عقله من رأسه وصار معجوناً بعشق تلك الصورة ووقع في الأرض مغشياً عليه ، وصار يبكي وينتحب ويلطم على وجهه وصدره ويقبلها . ثم أنشد هذين البيتين : [من الكامل]

الحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ مُجَاغَةً تَأْتِي بِهِ وَتَسُوقُهُ الْأَقْدَارُ
حَتَّى إِذَا خَاضَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

ولم يزل سيف الملوك ينتحب ويبكي ويلطم على وجهه وصدره حتى أنتبه الوزير ساعد وتأمّل الفرش فلم ير سيف الملوك ، فرأى شمعة . فقال في نفسه : أين راح سيف الملوك ؟ ثم أخذ الشمعة وقام يدور في القصر جميعه حتى وصل إلى الخزانة التي فيها سيف الملوك فرأه وهو يبكي بكاء شديداً وينتحب . فقال له : يا أخي ، لأي سبب هذا البكاء ؟ أي شيء جرى لك ؟ فحدثني واخبرني بسبب ذلك . وسيف الملوك لم يكلمه ولم يرفع رأسه بل يبكي وينتحب ويدق يده على صدره . فلما رآه ساعد على هذه الحالة قال : أنا وزيرك وأخوك وتربيت أنا وإياك ، وإن لم تبين لي أمورك وتطلبني على سرّك ، فعلى من تخرج سرّك وتطلعه عليه ؟ ولم يزل ساعد يتضرع ويقبل الأرض ساعة زمانية وسيف الملوك لم يلتفت إليه ولم يكلمه كلمة واحدة بل يبكي . فلما راع ساعداً حاله وأعياه أمره خرج من عنده وأخذ سيفاً ودخل الخزانة التي فيها سيف الملوك وحطّ ذبابه على صدر نفسه وقال لسيف الملوك : أنتبه يا أخي ، إن لم تقل لي أي شيء جرى ، قتلت روحي ولا أراك في هذه الحال . فعند ذلك رفع سيف الملوك رأسه إلى وزيره ساعد وقال له : يا أخي ، أنا استحييت أن أقول لك وأخبرك بالذي جرى لي . فقال له ساعد : سألتك بالله ربّ الأرباب ومعقّ الرقاب ومسبّب الأسباب الواحد التوّاب الكريم الوهاب أن تقول لي ما الذي جرى لك ؟ ولا تستحي مني فأنا عبدك ووزيرك ومشيرك في الأمور كلها . فقال سيف الملوك : تعال انظر إلى هذه الصورة . فلما رأى ساعد تلك الصورة تأمّل فيها ساعة زمانية ورأى مكتوباً على رأس الصورة باللؤلؤ المنظوم : هذه الصورة صورة بديع الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك من ملوك الجان المؤمنين الذين هم نازلون في مدينة بابل وساكنون في بستان إرم بن عاد الأكبر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان سيف الملوك ابن الملك عاصم
 والوزير ساعد بن الوزير فارس لما قرأا الكتابة التي على القباء ورأيا فيها
 صورة بديع الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك بابل ، من ملوك
 الجان المؤمنين النازلين بمدينة بابل الساكنين في بستان إرم بن عاد الأكبر .
 قال الوزير ساعد للملك سيف الملوك : يا أخي ، أتعرف من صاحبة هذه

الصورة من النساء حتى تفتش عليها ؟ فقال سيف الملوك : لا والله يا أخي ما اعرف صاحبة هذه
 الصورة . فقال ساعد : تعال اقرأ هذه الكتابة . فتقدم سيف الملوك وقرأ الكتابة التي على التاج
 وعرف مضمونها فصرخ من صميم قلبه وقال : آه آه . فقال له ساعد : يا أخي ، إن كانت صاحبة
 هذه الصورة موجودة واسمها بديعة الجمال وهي في الدنيا فانا أسرع في طلبها من غير مهلة حتى
 تبلغ مرادك ، فبالله يا أخي أن تترك البكاء لأجل أن تدخل أهل الدولة في خدمتك ، فإذا كان
 ضحوة النهار فاطلب التجار والفقراء والسواحين والمساكين واسألهم عن صفات هذه المدينة لعل
 أحداً ببركة الله سبحانه وتعالى وعونه يدلنا عليها وعلى بستان إرم . فلما أصبح الصباح ، قام
 سيف الملوك وطلع فوق التخت وهو معانق للقباء لأنه صار لا يقوم ولا يقعد ولا يأتيه نوم إلا
 وهو معه . فدخلت عليه الامراء والوزراء والجنود وأرباب الدولة ، فلما تم الديوان وانتظم الجمع
 قال الملك سيف الملوك لوزيره ساعد : ابرز لهم وقل لهم : إن الملك حصل له تشويش ، والله ما
 بات البارحة إلا وهو ضعيف . فطلع الوزير ساعد وأخبر الناس بما قال الملك . فلما سمع الملك
 عاصم ذلك لم يهن عليه ولده ، فعند ذلك دعا بالحكماء والمنجمين ودخل بهم على ولده سيف
 الملوك فنظروا إليه ووصفوا له الشراب واستمر موضعه مدة ثلاثة أشهر . فقال الملك عاصم
 للحكماء الحاضرين وهو مغتاض عليهم : ويلكم يا كلاب ، هل عجزتم كلكم عن مداواة ولدي ؟
 فإن لم تداووه في هذه الساعة أقتلكم جميعاً . فقال رئيسهم الكبير : يا ملك الزمان ، إننا نعلم أن
 هذا ولدك وأنت تعلم أننا لا نتساهل في مداواة الغريب فكيف بمدواة ولدك ؟ ولكن ولدك به
 مرض صعب ، إن شئت معرفته نذكره لك ونحدثك به . قال الملك عاصم : أي شيء ظهر لكم
 من مرض ولدي ؟ فقال له الحكيم الكبير : يا ملك الزمان ، إن ولدك الآن عاشق ويحب من لا
 سبيل إلى وصاله . فاغتاظ الملك عليهم وقال : من أين علمتم أن ولدي عاشق ؟ ومن أين جاء
 العشق لولدي . فقالوا له : إسأل أخاه ووزيره ساعداً فإنه هو الذي يعلم حاله . فعند ذلك قام
 الملك عاصم ودخل في خزانة وحده ودعا بساعد وقال له : أصدقني بحقيقة مرض أخيك . فقال
 له : ما أعلم حقيقته . فقال الملك للسياف : خذ ساعداً واربط عينيه واضرب رقبتة . فخاف ساعد
 على نفسه وقال : يا ملك الزمان أعطني الأمان . فقال له : قل لي ولك الأمان . فقال له ساعد : إن
 ولدك عاشق . فقال له الملك : ومن معشوقه ؟ فقال ساعد : بنت ملك من ملوك الجان فإنه رأى
 صورتها في قباء من البقعة التي أهداها إليكم سليمان نبي الله . فعند ذلك قام الملك عاصم
 ودخل على ابنه سيف الملوك وقال له : يا ولدي ، أي شيء دهاك ؟ وما هذه الصورة التي عشقتها ؟
 ولاي شيء لم تخبرني ؟ فقال سيف الملوك : يا أبت ، كنت أستحي منك وما كنت أقدر أن أذكر
 لك ولا أقدر أن أظهر أحداً على شيء منه أبداً ، والآن قد علمت بحالي فانظر كيف تعمل في
 مداواتي . فقال له أبوه : كيف تكون الحيلة ؟ لو كانت هذه من بنات الإنس كنا دبرنا حيلة في

الوصول إليها ولكن هذه من بنات ملوك الجان ومن يقدر عليها إلا إذا كان سليمان بن داود؟ فإنه هو الذي يقدر على ذلك. ولكن يا ولدي قم في هذه الساعة وقوروحك واركب ورح إلى الصيد والقنص واللعب في الميدان واشتغل بالأكل والشرب واصرف الهمّ والغمّ عن قلبك وأنا اجيء لك بمائة بنت من بنات الملوك، وما لك حاجة بينات الجان التي ليس لنا قدرة عليهم ولا هم من جنسنا. فقال له: أنا ما أتركها ولا أطلب غيرها. فقال له: كيف يكون العمل يا ولدي؟ فقال له ابنه: أحضر لنا جميع التجار والمسافرين والسواحين في البلاد لنسألهم عن ذلك لعل الله يدلنا على بستان إرم وعلى مدينة بابل. فأمر الملك عاصم أن يحضر كل تاجر في المدينة وكل غريب فيها وكل رئيس في البحر. فلما حضروا سألهم عن مدينة بابل وعن جزيرتها وعن بستان إرم فما أحد منهم عرف هذه الصفة ولا أخبر عنها بخبر. وعند انقضاء المجلس قال واحد منهم: يا ملك الزمان، إن كنت تريد أن تعرف ذلك فعليك ببلاد الصين، فإنها مدينة كبيرة ولعل أحداً منها يدلّك على مقصودك. ثم إن سيف الملوك قال: يا أبي، جهّز لي مركباً للسفر إلى بلاد الصين. فقال له أبوه الملك عاصم: يا ولدي، إنجلس أنت على كرسي مملكتك واحكم في الرعية وأنا أسافر إلى بلاد الصين وأمضي إلى هذا الأمر بنفسي. فقال سيف الملوك: يا أبي إن هذا الأمر متعلّق بي وما يقدر أحد أن يفتش عليه مثلي، وأي شيء يجري إذا كنت تعطيني إذنّاً بالسفر وأتغرب مدة من الزمان؟ فإن وجدت لها خبراً حصل المراد وإن لم أجد لها خبراً يكون في السفر انشراح صدري ونشاط خاطري ويهون أمري بسبب ذلك، وإن عشت رجعت إليك سالمًا. وأدرك شهزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن سيف الملوك قال لوالده الملك عاصم: جهّز لي مركباً لأسافر فيها إلى بلاد الصين حتى أفتش على مقصودي، فإن عشت رجعت إليك سالمًا. فنظر الملك إلى ابنه فلم ير له حيلة غير أنه يعمل له الذي يرضيه، فأعطاه إذنّاً بالسفر وجهّز له أربعين مركباً وعشرين ألف مملوك غير الاتباع وأعطاه أموالاً وخزائن وكل شيء يحتاج إليه من آلات الحرب وقال له: سافر يا ولدي في خير وعافية وسلامة وقد استودعتك عند من لا تخيب عنده الودائع. فعند ذلك ودّعه أبوه وأمه وشحنت المراكب بالماء والزاد والسلاح والعساكر ثم سافروا. ولم يزلوا مسافرين حتى وصلوا إلى مدينة الصين. فلما سمع أهل الصين أنه وصل إليهم أربعون مركباً مشحونة بالرجال والعدد والسلاح والذخائر اعتقدوا أنهم أعداء جاؤوا إلى قتالهم وحصارهم، فقفلوا أبواب المدينة وجهّزوا المتجنقات. فلما سمع الملك سيف الملوك ذلك، أرسل إليهم مملوكين من مماليكه الخواص وقال لهم امضوا إلى ملك الصين وقولوا له: إن هذا سيف الملوك ابن الملك عاصم، جاء إلى مدينتك ضيفاً ليتفرّج في بلادك مدة من الزمان ولا يقاتل ولا يخاصم، فإن قبلته نزل عندك وإن لم تقبله رجع ولا يشوش عليك ولا على أهل مدينتك. فلما وصل المماليك إلى المدينة قالوا لأهلها: نحن رسل الملك سيف الملوك. ففتحوا لهم الباب وذهبوا بهم وأحضروهم عند ملكهم وكان اسمه قعفوشاه، وكان بينه وبين الملك عاصم قبل تاريخه معرفة. فلما سمع أن الملك القادم عليه هو سيف الملوك ابن الملك عاصم، خلع على الرسل وأمر بفتح الابواب وجهّز الضيافات وخرج بنفسه مع خواص دولته

فلما كانت الليلة
764
كانت الليلة

وجاء إلى سيف الملوك وتعانقا وقال له : اهلاً وسهلاً ومرحباً بمن قدم علينا، وأنا مملوكك ومملوك أبيك ومدينتي بين يديك وكل ما تطلبه يحضر إليك . وقدّم له الضيافات والزاد في مواضع الإقامات وركب الملك سيف الملوك وساعد وزيره ومعهم خواص دولتهم وبقية العساكر، وساروا في ساحل البحر إلى ان دخلوا المدينة وضربت الكاسات ودقت البشائر وأقاموا فيها مدة أربعين يوماً في ضيافات حسنة . ثم بعد ذلك قال له : يا ابن أخي ، كيف حالك ؟ هل أعجبتك بلادي ؟ فقال له سيف الملوك : أدام الله تعالى تشریفها بك أيها الملك . فقال الملك قعفوشاه : ما جاء بك إلا حاجة طرأت لك ، وأي شيء تريده من بلادي فأنا أقضيه لك . فقال له سيف الملوك : إن حديثي عجيب ، وهو أنني عشقت صورة بديع الجمال . فبكى ملك الصين رحمة له وشفقة عليه وقال له : وما تريد الآن يا سيف الملوك ؟ فقال له : أريد منك أن تحضر لي جميع السواحين والمسافرين ومن له عادة بالأسفار حتى أسألهم عن صاحبة هذه الصورة لعل أحداً منهم يخبرني بها . فأرسل الملك قعفوشاه النواب والحجاب والأعوان وأمرهم أن يحضروا جميع من في البلاد من السواحين والمسافرين ، فأحضرهم وكانوا جماعة كثيرة فاجتمعوا عند الملك قعفوشاه . ثم سأل الملك سيف الملوك عن مدينة بابل وعن بستان إرم فلم يرد عليه أحد منهم جواباً . فتحير الملك سيف الملوك في أمره . ثم بعد ذلك قال واحد من الرؤساء البحرية : أيها الملك ، إن أردت أن تعلم هذه المدينة وذلك البستان فعليك بالجزائر التي في بلاد الهند . فعند ذلك أمر سيف الملوك أن يحضروا المركب . ففعلوا ونقلوا فيها الماء والزاد وجميع ما يحتاجون إليه وركب سيف الملوك وساعد وزيره بعد أن ودّعوا الملك قعفوشاه وسافروا في البحر مدة أربعة أشهر في ريح طيبة سالمين مطمئنين . فاتفق أن يخرج عليهم ريح في يوم من الأيام وجاءهم الموج من كل مكان ونزلت عليهم الأمطار وتغيّر البحر من شدة الريح ، ثم ضربت المراكب بعضها بعضاً من شدة الريح فانكسرت جميعها وكذلك الزوارق الصغيرة وغرقوا جميعهم وبقي سيف الملوك مع جماعة من مماليكه في زورق صغير . ثم سكت الريح وسكن بقدرة الله تعالى وطلعت الشمس ، ففتح سيف الملوك عينه فلم ير شيئاً من المراكب ولم ير غير السماء والماء وهو ومن معه في الزورق الصغير . فقال لمن معه من مماليكه : أين المراكب والزوارق الصغيرة ؟ وأين أخي ساعد ؟ فقالوا له : يا ملك الزمان ، لم يبق مراكب ولا زوارق ولا من فيها فإنهم غرقوا كلهم وصاروا طعماً للسماك . فصرخ سيف الملوك وقال كلمة لا يخجل قائلها وهي : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وصار يلطم على وجهه وأراد أن يرمي نفسه في البحر فمنعه المماليك وقالوا له : يا ملك ، أي شيء يفيدك من هذا ؟ فأنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ولو سمعت كلام أبيك ما كان جرى عليك من هذا شيء ، ولكن كل هذا مكتوب من القدم بإرادة باريء النسم . وأذرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن سيف الملوك لما أراد أن يرمي نفسه في البحر منعه المماليك وقالوا له : أي شيء يفيدك من هذا ؟ فأنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ، ولكن هذا شيء مكتوب من القدم بإرادة باريء النسم حتى يستوفي العبد ما كتب الله عليه . وقد قال المنجمون لأبيك عند ولادتك : إن ابنك هذا تجري عليه الشدائد كلها ،

فلما كانت الليلة
765
كانت الليلة

وحينئذ ليس لنا حيلة إلا الصبر حتى يفرج الله علينا الكرب الذي نحن فيه . فقال سيف الملوك :
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لا مفر من قضاء الله تعالى ولا مهرب . ثم إنه تنهد وأنشد
هذه الأبيات : [من الطويل]

تَحَيَّرْتُ وَالرَّحْمَنُ لَا شَكَّ فِي أَمْرِي وَأَدْرَكْتَنِي الْوَسْوَاسُ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّي صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
وَمَا طَعَمُ صَابِ الصَّبْرِ صَبْرِي وَإِنَّمَا صَبَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَحْرَّ مِنَ الْجَمْرِ
وَمَا حِيلَتِي فِي الْأَمْرِ هَذَا وَإِنَّمَا أَقْوَصُ أَحْوَالِي إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ

ثم غرق في بحر الأفكار وجرت دموعه على خده كالمدرار ونام ساعة من النهار ، ثم استفاق
وطلب شيئاً من الأكل فاكل حتى اكتفى ورفعوا الزاد من قدامه والزورق سائر بهم ولم يعلموا
إلى أي جهة يتوجه بهم . ولم يزل يسير بهم مع الأمواج والرياح ليلاً ونهاراً مدة مديدة من
الزمان حتى فرغ منهم الزاد وذهلوا عن الرشاد ، وصاروا في أشد ما يكون من الجوع والعطش
والقلق وإذا بجزيرة قد لاحت لهم على بعد ، فصارت الأرياح تسوقهم إلى أن وصلوا إليها
وآرسوا عليها وطلعوا من الزورق وتركوا فيه واحد . ثم توجهوا إلى تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه
كثيرة من سائر الألوان ، فأكلوا منها حتى اكتفوا وإذا بشخص جالس بين تلك الأشجار ، طويل
الوجه رؤيته عجيبة أبيض اللحية والبدن . فنادى بعض الممالك باسمه وقال له : لا تأكل من هذه
الفواكه لأنها لم تستو وتعال عندي حتى أطعمك من هذه الفواكه المستوية . فنظر إليه المملوك
وظن أنه من جملة الغرقى الذين غرقوا وطلع على هذه الجزيرة ، ففرح برؤيته غاية الفرح ومشى
حتى وصل قريباً منه وذلك المملوك لا يعلم الذي قدر عليه في الغيب وما هو مسطر على جبينه .
فلما صار ذلك المملوك قريباً منه وثب عليه ذلك الرجل لأنه مارد ، وركب فوق اكتافه ولف
إحدى رجله على رقبته والأخرى أركانها على ظهره وقال له : امش ما بقي لك مني خلاص
وأنت بقيت حماري . فصاح ذلك المملوك على رفقائه وصار يبكي ويقول : واسيداه ، اخرجوا
وانجوا بأنفسكم من هذه الغابة واهربوا لأن واحداً من سكانها ركب فوق اكتافي وإن البقية
يطلبونكم ويريدون أن يركبوكم مثلي . فلما سمعوا ذلك الكلام الذي قاله المملوك ، هربوا كلهم
ونزلوا في الزورق . فتبعوهم في البحر وقالوا لهم : اين تذهبون ؟ تعالوا اقلعوا عندنا ولنركب فوق
ظهوركم ونطعمكم ونسقيكم وتبقوا حميرنا . فلما سمعوا منهم هذا الكلام أسرعوا بالسير في
البحر إلى أن بعدوا عنهم وتوجهوا متوكلين على الله تعالى ، ولم يزلوا كذلك مدة شهر حتى بان
لهم جزيرة أخرى . فطلعوا في تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه مختلفة الأنواع ، فاشتغلوا بأكل
الفواكه وإذا هم بشيء في الطريق يلوح على بعد . فلما قربوا منه نظروا إليه فراوه بشع المنظر مرمياً
مثل عمود من فضة ، فلكره مملوك برجله وإذا هو شخص طويل العينين مشقوق الرأس وهو
مخنف تحت إحدى أذنيه لأنه كان إذا نام يحط أذنه تحت رأسه ويتغطى بالأذن الأخرى . ثم
خطف ذلك المملوك الذي لكره وراح به في وسط الجزيرة فإذا هي كلها غيلان يأكلون بني آدم .
ثم إن ذلك المملوك صاح على رفقائه وقال لهم : فوزوا بأنفسكم فإن هذه الجزيرة جزيرة الغيلان ،
يأكلون بني آدم ويريدون أن يقطنوني ويأكلوني . فلما سمعوا هذا الكلام ولّوا معرضين ونزلوا

أرغى وأزبد وطلع له أمواج عالية، فأقبل عليهم تمساح هائل ومدّ يده وخطف مملوكاً من المماليك وبلعه. فلما رأى سيف الملوك ذلك التمساح فعل بالمملوك ذلك الفعل بكى بكاء شديداً وسار في القلك هو والمملوك الباقي وحدهما وبعدا عن مكان التمساح وهما خائفان، ولم يزايا كذلك حتى ظهر لهما يوماً من الأيام جبل عظيم هائل عال شاهق في الهواء ففرحا به. وظهر لهما بعد ذلك جزيرة، فجداً في السير إليها وهما مستبشران بدخولهما الجزيرة. فبينما هما على تلك الحالة وإذا بالبحر قد هاج وعلت أمواجه وتغيّرت حالته فرفع تمساح رأسه ومدّ يده فأخذ المملوك الذي بقي من مماليك سيف الملوك وبلعه، فصار سيف الملوك وحده حتى وصل إلى الجزيرة وصار يعالج إلى أن صعد فوق الجبل ونظر فرأى غابة. فدخل الغابة ومشى بين الأشجار وصار يأكل من الفواكه، فرأى الأشجار قد طلع فوقها ما يزيد عن عشرين قرداً كبار كل واحد منهم أكبر من البغل. فلما رأى سيف الملوك هذه القردة حصل له خوف شديد، ثم نزلت القردة واحتاطوا به من كل جانب وبعد ذلك ساروا أمامه وأشاروا إليه أن يتبعهم ومشوا، فمشى سيف الملوك خلفهم. وما زالوا سائرين وهو تابعهم حتى أقبلوا على قلعة عالية النيان مشيدة الأركان، فدخلوا تلك القلعة ودخل سيف الملوك وراءهم فرأى فيها من سائر التحف والجواهر والمعادن ما يكمل عنه وصف اللسان. ورأى في تلك القلعة شاباً لا نبات بعرضه لكنه طويل زائد الطول فلما رأى سيف الملوك ذلك الشاب استأنس به، ولم يكن في تلك القلعة غير ذلك الشاب من البشر. ثم إن الشاب لما رأى سيف الملوك أعجبه غاية الإعجاب فقال له: ما اسمك؟ ومن أي البلاد أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ فأخبرني بحديثك ولا تكتم منه شيئاً. فقال له سيف الملوك: أنا والله ما وصلت إلى هنا بخاطري ولا كان هذا المكان مقصودي وأنا لا أقدر أن أسير من مكان إلى مكان حتى أنال مطلوبي. فقال له الشاب: وما مطلوبك؟ فقال له سيف الملوك: أنا من بلاد مصر واسمي سيف الملوك وأبي اسمه الملك عاصم بن صفوان. ثم إنه حكى له ما جرى له من أول الأمر إلى آخره. فقام ذلك الشاب في خدمة سيف الملوك وقال: يا ملك الزمان، أنا كنت في مصر وسمعت بأنك سافرت إلى بلاد الصين، وأين هذه البلاد من بلاد الصين؟ إن هذا لشيء عجيب وأمر غريب. فقال له سيف الملوك: كلامك صحيح. ولكن سافرت بعد ذلك من بلاد الصين إلى بلاد الهند، فخرج علينا ريح وهاج البحر وكسرت جميع المراكب التي كانت معي. وذكر له جميع ما جرى له إلى أن قال: وقد وصلت إليك في هذا المكان. فقال له الشاب: يا ابن الملك، يكفي ما جرى لك من هذه الغربية وشدائدها والحمد لله الذي أوصلك إلى هذا المكان، فأقعد عندي لأنتس بك إلى أن أموت وتكون أنت ملكاً على هذا الإقليم، فإن فيه هذه الجزيرة التي لا يعرف لها حد وإن هذه القردة أصحاب صنائع وكل شيء طلبته تجده ها هنا. فقال سيف الملوك: يا أخي، ما أقدر أن أقعد في مكان حتى تقضى حاجتي ولو أطوف جميع الدنيا وأسأل عن غرضي لعل الله يبلغني مرادي أو يكون سعي إلى مكان فيه أجلي فأموت. ثم إن الشاب التفت إلى قرد وأشار إليه، فغاب القرد ساعة ثم أتى ومعه قردة مشدودة الوسط بالفوط الحرير وقدّما السماط ووضعوا فيه نحو مائة صحفة من الذهب والفضة وفيها من سائر الأطعمة، وصارت القردة واقفة على عادة الاتباع بين أيدي الملوك. ثم أشار للحجاب بالعود، فقعدها ووقف الذي عادته الخدمة ثم أكلوا حتى اكتفوا. ثم رفعوا السماط وأتوا بطشوط وأباريق من الذهب فغسلوا

أيديهم . ثم جاؤا بأواني الشراب نحو أربعين آنية، كل آنية فيها نوع من الشراب، فشربوها وتلذذوا واطربوا وطاب وقتهم وجميع القروذ يرقصون ويلعبون وقت اشتغال الآكلين بالأكل . فلما رأى سيف الملوك ذلك، تعجب منهم ونسي ما جرى له من الشدائد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
768
قال
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن سيف الملوك لما رأى فعل القروذ ورقصهم تعجب منهم ونسي ما جرى له من الغربة وشدائدها . فلما كان الليل أوقدوا الشموع ووضعوها في الشمعدانات الذهب والفضة ثم أتوا بأواني النقل والفاكهة فأكلوا، ولما جاء وقت النوم فرشوا لهم الفرش وناموا . فلما أصبح الصباح قام الشاب على عادته ونبه سيف الملوك وقال له : أخرج رأسك من هذا الشباك وانظر أي شيء هذا الواقف تحت الشباك . فنظر فرأى قروذاً ملأت الفلا واسع والبرية كلها وما يعلم عدد تلك القروذ إلا الله تعالى . فقال سيف الملوك : هؤلاء قروذ كثيرون قد ملؤوا الفضاء ولاي شيء اجتمعوا في هذا الوقت ؟ فقال له الشاب : إن هذه عادتهم وجميع ما في الجزيرة قدامي، وبعضهم جاء من سفر يومين أو ثلاثة أيام ، فإنهم يأتون في كل يوم سبت ويقفون هنا حتى أنتبه من منامي وأخرج رأسي من هذا الشباك فحين يبصرونني يقبلون الأرض بين يدي ثم ينصرفون إلى أشغالهم . وأخرج رأسه من الشباك حتى راوه، فلما نظروه قبلوا الأرض بين يديه وانصرفوا . ثم إن سيف الملوك قعد عند الشاب مدة شهر كامل وبعد ذلك ودّعه وسافر، فأمر الشاب نقرأ من القروذ نحو المائة قرد بالسفر معه . فسافروا في خدمة سيف الملوك مدة سبعة أيام حتى أوصلوه إلى آخر جزائرهم ثم ودّعه ورجعوا إلى أمانتهم . وسافر سيف الملوك وحده في الجبال والتلال والبراري والقفار مدة أربعة أشهر، يوم يجوع ويوم يشبع ويوم يأكل من الحشيش ويوم يأكل من ثمر الأشجار . وصار يتندم على ما فعل بنفسه وعلى خروجه من عند ذلك الشاب وأراد أن يرجع إليه على أثره فرأى شبحاً أسود يلوح على بعد فقال في نفسه : هل هذه بلدة سوداء أم كيف الحال ؟ ولكن لا أرجع حتى أنظر أي شيء هذا الشبح . فلما قرب منه رآه قصراً عالي البنيان وكان الذي بناه يافث بن نوح عليه السلام ، وهو القصر الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله : وبئر معطلة وقصر مشيد . ثم إن سيف الملوك جلس على باب القصر وقال في نفسه : يا ترى ما شأن داخل هذا القصر ؟ ومن فيه من الملوك ؟ فمن يخبرني بحقيقة الامر ؟ وهل سكانه من الإنس أو من الجن ؟ ففعد يتفكر ساعة زمانية ولم يجد أحداً يدخله ولا يخرج منه . فقام يمشي وهو متوكّل على الله حتى دخل القصر وعدّ في طريقه سبعة دهاليز فلم ير أحداً ونظر على يمينه ثلاثة أبواب وقدامه باب عليه ستارة مسبولة . فتقدّم إلى ذلك الباب ورفع الستارة بيده ومشى داخل الباب وإذا هو بإيوان كبير مفروش بالسطح الحرير، وفي صدر ذلك الإيوان تخت من الذهب وعليه بنت جالسة وجهها مثل القمر، وعليها ملبوس الملوك وهي كالعروس في ليلة زفافها، وتحت التخت أربعون سباطاً وعليها صحاف الذهب والفضة وكلها ملائكة بالأطعمة الفاخرة . فلما رآها سيف الملوك أقبل عليها وسلّم فردّت عليه السلام وقالت له : هل أنت من الإنس أو من الجن ؟ فقال : أنا من خيار الإنس ، فإني ملك بن ملك . فقالت له : أي شيء تريد ؟ دونك وهذا الطعام وبعد ذلك حدثني

بحديثك من اوله إلى آخره وكيف وصلت إلى هذا الموضع . فجلس سيف الملوك على السماط وكشف المكبة عن السفارة وكان جائعاً وأكل من تلك الصحاف حتى شبع ، وغسل يديه وطلع على التخت وقعد عند البنت . فقالت له : من أنت ؟ وما اسمك ؟ ومن أين جئت ؟ ومن أوصلك إلى هنا ؟ فقال لها سيف الملوك : أما أنا فحدِيثِي طويل . فقالت له : قل لي من أين أنت ؟ وما سبب مجيئك إلى هنا ؟ وما مرادك ؟ فقال لها : أخبريني أنت ما شأنك ؟ وما اسمك ؟ ومن جاء بك إلى هنا ؟ ولأي شيء أنت قاعدة في هذا المكان وحدك ؟ فقالت له البنت : أنا إسمي دولة خاتون بنت ملك الهند ، وأبي ساكن في مدينة سرنديب ، وأبي بستان مليح كبير ما في الهند واقطارها أحسن منه وفيه حوض كبير . فدخلت في ذلك البستان يوماً من الأيام مع جواري وتقرّبت أنا وجواري ونزلنا في ذلك الحوض وصرنا نلعب وننشرح فلم أشعر إلا وشيء مثل السحاب نزل عليّ وخطفني من بين جواري وطار بي بين السماء والأرض وهو يقول : يا دولة خاتون ، لا تخافي وكوني مطمئنة القلب . ثم طار بي مدة قليلة وبعد ذلك أنزلني هذا القصر ثم انقلب من وقته وساعته فإذا هو شاب مليح حسن الشباب نظيف الثياب وقال لي : تعرفيني ؟ فقلت : لا يا سيدي . فقال : أنا ابن الملك الأزرق ملك الجان وأبي ساكن في قلعة القلزم وتحت يديه ستمائة ألف من الجن الطيارة والغواصين ، واتفق لي أنني كنت عابراً في طريق ومتوجهاً إلى حال سبيلي ، فرايتك وعشقتك ونزلت عليك وخطفتك من بين الجواري وجئت بك إلى هذا القصر المشيد ، وهو موضعي ومسكني فلا أحد يصل إليه قط لا من الجن ولا من الإنس ، ومن الهند إلى هنا مسيرة مائة وعشرين سنة . فتحققني أنك لا تنظرين بلاد أبيك وأملك أبداً ، فاقعدي عندي في هذا المكان مطمئنة القلب وال خاطر وأنا أحضر بين يديك كل ما تطلبينه . ثم بعد ذلك عانقني وقبّلتني . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البنت قالت لسيف الملوك : ثم إن ملك الجان بعد أن أخبرني عانقني وقبّلتني وقال لي : اقعدي هنا ولا تخافي من شيء . ثم تركني وغاب ساعة وبعد ذلك أتى ومعه هذا السماط والفرش والبسط . ولكن يجتني في كل يوم الثلاثاء على هذه الحالة ، وعند مجيئه يأكل ويشرب معي ويعانقني ويقبّلتني وأنا بنت بكر على الحالة التي خلقتني الله تعالى عليها ولم يفعل بي شيئاً . وأبي إسمه تاج الملوك ولم يعلم لي بخبر ولم يقع لي على أثر . وهذا حدِيثِي فحدِيثِي أنت بحدِيثك . فقال لها سيف الملوك : إن حدِيثِي طويل وأخاف إن حدثتك يطول الوقت علينا فيجيء العفريت . فقالت له : إنه لم يسافر من عندي إلا قبل دخولك بساعة ، ولن يأت إلا في يوم الثلاثاء فاقعد واطمئن وطيب خاطرک وحدّثني بما جرى لك من الأول إلى الآخر . فقال سيف الملوك : سمعاً وطاعة . ثم ابتدا بحدِيثه حتى أكمله من الأول إلى الآخر ، فلما وصل إلى حكاية بديع الجمال تغرغرت عيناها بالدموع الغزار وقالت : ماهو ظني فيك يا بديع الجمال ، أه من الزمان يا بديع الجمال ، أما تذكّرني ولا تقولين أختي دولة خاتون أين راحت ! ثم إنها زادت في البكاء وصارت تتأسف حيث لم تذكرها بديع الجمال . فقال لها سيف الملوك : يا دولة خاتون ، إنك إنسية وهي جنية فمن أين تكون هذه أختك ؟ فقالت له : إنها أختي من الرضاع ، وسبب ذلك أن أمي نزلت تتفرج في البستان

فلما كانت الليلة
769
كانت الليلة

فجاءها الطلق فولدتني في البستان، وكانت أم بديع الجمال في البستان هي وأعوانها فجاءها الطلق فنزلت في طرف البستان وولدت بديع الجمال وأرسلت بعض جواربها إلى أمي تطلب منها طعاماً وحوايح للولادة. فبعثت إليها أمي ما طلبته وعزمت عليها، فقامت وأخذت بديع الجمال معها وأتت إلى أمي، فأرضعت أمي بديع الجمال. ثم أقامت أمها وهي معها عندنا في البستان مدة شهرين وبعد ذلك سافرت إلى بلادها وأعطت أمي حاجة وقالت لها: إذا احتجت إليّ أجيئك في وسط البستان. وكانت تأتي بديع الجمال مع أمها في كل عام ويقيمان عندنا مدة من الزمان ثم يرجعان إلى بلادهما. فلو كنت أنا عند أمي يا سيف الملوك ونظرتك عندنا في بلادنا ونحن مجتمع شملنا مثل العادة، كنت أتجمل عليها بحيلة حتى أوصلك إلى مرادك. ولكن أنا في هذا المكان ولا يعرفون خبري، فلو عرفوا خبري وعلموا أنني هنا كانوا قادرين على خلاصي من هذا المكان ولكن الأمر إلى الله سبحانه وتعالى وأي شيء أعمل؟ فقال سيف الملوك: قومي وتعالى معي نهرب ونسير إلى حيث يريد الله تعالى. فقالت له: لا تقدر على ذلك، والله لو هربنا مسيرة سنة لجاء بنا هذا الملعون في ساعة ويهلكنا. فقال سيف الملوك: أنا أختفي في موضع فإذا جاز عليّ أضره بالسيف فأقتله. فقالت له: ما تقدر أن تقتله إلا إن قتلت روحه. فقال لها سيف الملوك: وروحه في أي مكان؟ فقالت: أنا سألته عنها مرات عديدة فلم يقرّ لي بمكانها، فاتفق أني ألححت عليه يوماً من الأيام فاغتاظ مني وقال لي: كم تسأليني عن روحي! ما سبب سؤالك عن روحي؟ فقلت له: يا حاتم، أنا ما بقي لي أحد غيرك إلا الله، وأنا ما دمت بالحياة لم أزل معانقة لروحك، وإن كنت أنا ما أحفظ روحك وأحطها في وسط عيني فكيف تكون حياتي بعدك؟ وإذا عرفت روحك حفظتها مثل عيني اليمين. فعند ذلك قال لي: إني حين ولدت أخبر المنجمون أن هلاك روحي يكون على يد واحد من أولاد الملوك الإنسية، فأخذت روحي ووضعتها في حوصلة عصفور وحبست العصفور في حق ووضعت الحق في علة ووضعت العلة في داخل سبع علب ووضعت العلب في قلب سبع صناديق ووضعت الصناديق في طابق من رخام في جانب هذا البحر المحيط، لأن هذا الجانب بعيد عن بلاد الإنس وما يقدر أحد من الإنس أن يصل إليه. وها أنا قلت لك ولا تقولي لأحد على هذا فإنه سرّ بيني وبينك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
770
الملك بروح الجنّي الذي خطفها وبينت له ما قاله الجنّي إلى أن قال لها: وهذا سرّ بيننا. قالت له: من أحدثه به؟ وما يأتيني أحد غيرك حتى أقول له؟ ثم والله إنك جعلت روحك في حصن حصين عظيم لا يصل إليه أحد فكيف يصل إلى ذلك أحد من الإنس؟ حتى لو فرض المحال وقدر الله مثل ما قال المنجمون فكيف يكون أحد من الإنس يصل إلى هذا؟ فقال: ربما كان أحد منهم في إصبه خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ويأتي إلى هنا ويضع يده بهذا الخاتم على وجه الماء ثم يقول: بحق هذه الأسماء إن روح فلان تطلع. فيطلع التابوت فيكسره والصناديق كذلك والعلب ويخرج العصفور من الحق ويخنقه فأموت أنا. فقال سيف الملوك: هو أنا ابن الملك وهذا خاتم سليمان بن داود عليهما السلام في إصبعي، قفومي بنا إلى شاطئ هذا البحر

حتى تبصر هل كلامه هذا كذب أم صدق؟ فعند ذلك قام الإثنين ومشياً إلى أن وصلا إلى البحر ووقفت دولة خاتون على جانب البحر ودخل سيف الملوك في الماء إلى وسطه وقال: بحق ما في هذا الخاتم من الأسماء والطلاسم وبحق سليمان عليه السلام أن تخرج روح فلان ابن الملك الأزرق الجني. فعند ذلك هاج البحر وطلع الثابت فأخذه سيف الملوك وضربه على الحجر فكسره وكسر الصناديق والعلب وأخرج العصفور من الحق وتوجها إلى القصر وطلعا فوق التخت، وإذا بغبرة هائلة وشيء عظيم طائر وهو يقول: ابقي يا ابن الملك ولا تقتلني واجعلني عتيقك وأنا أبلغك مقصودك. فقالت له دولة خاتون: قد جاء الجني فاقتل العصفور لئلا يدخل هذا الملعون القصر ويأخذه منك ويقتلك ويقتلني بعدك. فعند ذلك خنق العصفور فمات فوقع الجني على الأرض كوم رماد أسود. فقالت خاتون: قد خلصنا من يد هذا الملعون وكيف نعمل؟ فقال سيف الملوك: المستعان بالله تعالى الذي بلانا فإنه يدبرنا ويعيننا على خلاصنا مما نحن فيه. ثم قام سيف الملوك وقلع من أبواب القصر نحو عشرة أبواب، وكانت تلك الأبواب من الصندل والعود ومساميره من الذهب والفضة. ثم أخذ حبلاً كانت هناك من الحرير والإبريسم وربط الأبواب بعضهما في بعض وتعاون هو ودولة خاتون إلى أن وصلا بها إلى البحر ورمياها فيه بعد أن صارت فلكاً، وربطوه على الشاطئ ثم رجعا إلى القصر وحملا الصحف الذهب والفضة وكذلك الجواهر والياقوت والمعادن النفيسة، ونقلوا جميع ما في القصر من الذي خفّ حمله وغلا ثمنه وحطّاه في ذلك الفلك وركبا فيه متوكلين على الله تعالى الذي من توكلّ عليه كفاه ولا يخيبه. وعملا لهما خشبتين على هيئة المجاديف ثم حلا الحبال وتركا الفلك يجري بهما في البحر، ولم يزالا سائرين على تلك الحالة مدة أربعة أشهر حتى فرغ منهم الزاد واشتد عليهما الكرب وضاعت أنفسهما فطلبا من الله أن يرزقهما النجاة مما هما فيه. وكان سيف الملوك في مدة سيرهما إذا نام يجعل دولة خاتون خلف ظهره فإذا انقلب كان السيف بينهما. فبينما هما على تلك الحالة ليلة من الليالي، فاتفق أن سيف الملوك كان نائماً ودولة خاتون يقظانة وإذا بالفلك مال إلى طرف البر وجاء إلى مينة وفي تلك المينة مراكب، فنظرت دولة خاتون المراكب وسمعت رجلاً يتحدث مع البحرية. وكان الذي يتحدث رئيس الرؤساء وكبيرهم، فلما سمعت دولة خاتون صوت الرئيس علمت أن هذا البر مينة مدينة من المدن وأنها وصلا إلى العمار. ففرحت فرحاً شديداً ونبّهت سيف الملوك من النوم وقالت له: قم واسأل هذا الرئيس عن اسم هذه المدينة وعن هذه المينة. فقام سيف الملوك وهو فرحان وقال له: يا أخي، ما اسم هذه المدينة؟ وما يقال لهذه المينة؟ وما اسم ملكها؟ فقال له الرئيس: يا ساقع الوجه يا بارد اللحية، إذا كنت لا تعرف هذه المينة ولا هذه المدينة فكيف جئت إلى هنا؟ فقال سيف الملوك: أنا غريب وقد كنت في سفينة من سفن التجار فانكسرت وغرقت بجميع ما فيها وطلعت على لوح فوصلت إلى هنا، فسألتك والسؤال ما هو عيب. فقال الرئيس: هذه مدينة عمارية وهذه المينة تسمى مينة كمين البحرين. فلما سمعت دولة خاتون هذا الكلام فرحت فرحاً شديداً وقالت: الحمد لله. فقال سيف الملوك: ما الخبر؟ فقال: يا سيف الملوك أبشر بالفرج القريب، فإن ملك هذه المدينة عمي أخو أبي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن دولة خاتون لما قالت لسيف الملك: ابشر بالفرج القريب فإن ملك هذه المدينة حمي أخو أبي واسمه عالي الملك. ثم قالت له: أسأله وقل له: هل سلطان هذه المدينة عالي الملك طيب؟ فسأله عن ذلك فقال له الريس وهو مغتاض منه: أنت تقول عمري ما جئت إلى هنا وإنما أنا رجل غريب فمن عرفك باسم صاحب المدينة؟ ففرحت دولة خاتون وعرفت الريس وكان اسمه معين الدين وهو من رؤساء أبيها، وإنما خرج ليفتش عليها حين قعدت فلم يجدها ولم يزل دائراً حتى وصل إلى مدينة عمها. ثم قالت لسيف الملك: قل له: يا ريس معين الدين تعال كلم سيدتك. فناداه بما قالته له. فلما سمع الريس كلام سيف الملك، اغتاض غيظاً شديداً وقال له: يا كلب، من أنت؟ وكيف عرفني؟ ثم قال لبعض البحرية: ناولوني عصي من الشوم حتى أروح إلى هذا النحس وأكسر رأسه. فأخذ العصي وتوجه إلى جهة سيف الملك فرأى الفلك ورأى فيه شيئاً عجيباً بهيجاً فاندھش عقله، ثم تأمله وحقق النظر فرأى دولة خاتون وهي جالسة مثل فلقة القمر. فقال له الريس: ما الذي عندك؟ فقال له: عندي بنت تسمى دولة خاتون. فلما سمع الريس هذا الكلام وقع مغشياً عليه حين سمع باسمها وعرف أنها سيدته وبنت ملكه. فلما أفاق ترك الفلك وما فيه وتوجه إلى المدينة وطلع قصر الملك فاستأذن عليه. فدخل الحاجب إلى الملك وقال: إن الريس معين جاء إليك ليبشرك. فأذن له بالدخول، فدخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وقال له: يا ملك عندك البشارة فإن بنت أخيك دولة خاتون وصلت إلى المدينة طيبة بخير وهي في الفلك وصحبتها شاب مثل القمر ليلة تمامه. فلما سمع الملك خبر بنت أخيه، فرح وخلع على الريس خلعة سنبة وأمر من ساعته أن يزينوا المدينة لسلامة بنت أخيه وأرسل إليها وأحضرها عنده هي وسيف الملك وسلّم عليهما وهنأهما بالسلامة. ثم إنه أرسل إلى أخيه ليعلمه بأن ابنته وجدت وهي عنده. ثم إنه لما وصل إليه الرسول تجهّز واجتمعت العساكر وسافر تاج الملك أبو دولة خاتون حتى وصل إلى أخيه عالي الملك واجتمع بينته دولة خاتون وفرحوا فرحاً شديداً وقعد تاج الملك عند أخيه جمعة من الزمان. ثم إنه أخذ بنته وكذلك سيف الملك وسافروا حتى وصلوا إلى مرنديب بلاد أبيها، واجتمعت دولة خاتون بأماها وفرحوا بسلامتها وأقاموا الأفراح وكان ذلك يوماً عظيماً لا يرى مثله. وأما الملك فإنه أكرم سيف الملك وقال له: يا سيف الملك إنك فعلت معي ومع ابنتي هذا الخير كله وأنا لا أقدر أن أكافئك عليه وما يكافئك إلا الرب العالمين، ولكن أريد منك أن تقعد على التخت في موضعي وتحكم في بلاد الهند فإني قد وهبت لك ملكي وتختي وخزائني وخدمي وجميع ذلك يكون هبة مني لك. فعند ذلك قام سيف الملك وقبل الأرض بين يدي الملك وشكره وقال له: يا ملك الزمان، قد قبلت جميع ما وهبت لي وهو مردود مني إليك هدية أيضاً، وأنا يا ملك الزمان ما أريد مملكة ولا سلطنة وما أريد إلا أن الله تعالى يبلغني مقصودي. فقال له الملك: هذه خزائني بين يديك يا سيف الملك مهما طلبته منها خذ ولا تشاورني فيه وجزاك الله عني كل خير. فقال سيف الملك: أعز الله الملك، لا حظ لي في الملك ولا في المال حتى أبلغ مرادي. ولكن غرضي الآن أن أتفرج في هذه المدينة وأنظر شوارعها وأسواقها. فأمر تاج الملك أن يحضروا له فرساً من جياد الخيل، فاحضروا له فرساً مسرجاً ملجماً من جياد الخيل، فركبها

وطلع إلى السوق وشقّ في شوارع المدينة. فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً إذ رأى شاباً ومعه قباء وهو ينادي عليه بخمسة عشر ديناراً. فتأملّه فوجده يشبه أخاه ساعداً وفي نفس الأمر هو بعينه إلا أنه تغير لونه وحاله من طول الغربة ومشقات السفر فلم يعرفه. ثم قال لمن حوله: هاتوا هذا الشاب لاستخبره. فاتوا به إليه فقال: خذوه وأوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه وخلّوه عندكم إلى ان ارجع من الفرجة. فظنوا أنه قال لهم: خذوه وأوصلوه إلى السجن. وقالوا: لعل هذا مملوك من ممالكه هرب منه. فأخذوه وأوصلوه إلى السجن وقيدوه وتركوه قاعداً. فرجع سيف الملوك من الفرجة وطلع القصر ونسي أخاه ساعداً ولم يذكره له أحد. فصار ساعد في السجن ولما خرجوا بالأسارى إلى أشغال العمارات أخذوا ساعداً معهم وصار يشتغل مع الأسارى وكثر عليه الوسخ. ومكث ساعد على هذه الحالة مدة شهر وهو يتذكر في أحواله ويقول في نفسه: ما سبب سجنى؟ وقد اشتغل سيف الملوك بما هو فيه من السرور وغيره. فاتفق أن سيف الملوك جلس يوماً من الأيام وتذكر أخاه ساعداً فقال للمماليك الذين كانوا معه: أين المملوك الذي كان معكم في اليوم الفلاني؟ فقالوا: أما قلت لنا أوصلوه إلى السجن؟ فقال سيف الملوك: أنا ما قلت لكم هذا الكلام وإنما قلت لكم: أوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه. ثم إنه أرسل الحجاب إلى ساعد فاتوا به إليه وهو مقيد، ثم فكوه من قيده وأوقفوه بين يدي سيف الملوك فقال له: يا شاب، من أي البلاد أنت؟ فقال له: أنا من مصر واسمي ساعد بن الوزير فارس. فلما سمع سيف الملوك كلامه نهض من فوق التخت وألقى نفسه عليه وتعلّق برقبته ومن فرحه صار يبكي بكاء شديداً وقال: يا أخي ساعد، الحمد لله حيث عشت ورايتك فانا أخوك سيف الملوك ابن الملك عاصم. فلما سمع ساعد كلام أخيه وعرفه، تعانقا مع بعضهما وتباكيا فتعجب الحاضرون منهما. ثم أمر سيف الملوك أن يأخذوا ساعداً ويذهبوا به إلى الحمام. فذهبوا به إلى الحمام وعند خروجه من الحمام البسوه ثياباً فاخرة وآتوا به إلى مجلس سيف الملوك فأجلسه معه على التخت. ولما علم تاج الملوك فرح فرحاً شديداً باجتماع سيف الملوك وأخيه ساعد، وحضر وجلس الثلاثة يتحدثون فيما قد جرى لهم من الأول إلى الآخر. ثم إن ساعداً قال: يا أخي يا سيف الملوك، لما غرقت المركب وغرقت المماليك طلعت أنا وجماعة من المماليك على لوح خشب وسار بنا في البحر مدة شهر كامل. ثم بعد ذلك رمانا الريح بقدرة الله تعالى على جزيرة فطلعنا عليها ونحن جوع، فدخلنا بين الأشجار وأكلنا من الفواكه واشتغلنا بالأكل فلم نشعر إلا وقد خرج علينا أقوام مثل العفاريت، فوثبوا علينا وركبوا فوق أكتافنا وقالوا لنا: إمشوا بنا فأنتم صرتم حميرنا. فقلت للذي ركبني: ما أنت؟ ولاي شيء ركبتني؟ فلما سمع مني ذلك الكلام لفّ رجله على رقبتي حتى كدت أن أموت وضرب ظهري برجله الأخرى فظننت أنه قطع ظهري، فوقعت في الأرض على وجهي وما بقي عندي قوة بسبب الجوع والعطش. فحيث وقعت عرف أنني جائع فأخذ بيدي وأتى بي إلى شجرة كثيرة الأثمار وهي من الكمثري فقال لي: كل من هذه الشجرة حتى تشبع. فأكلت من تلك الشجرة حتى شبعت وقمت أمشي بغير اختياري، فما مشيت غير قليل حتى ولّى ذلك الشخص وركب فوق أكتافي فصرت ساعة أمشي وساعة أجري وساعة أهرول وهو راكب يضحك ويقول: عمري ما رأيت حماراً مثلك. فاتفق أننا جمعنا شيئاً من عناقيد العنب يوماً من الأيام ثم وضعناه في حفرة بعد أن دسناه بأرجلنا فصارت تلك الحفرة بركة

كبيرة، فصبنا مدة وأتينا إلى تلك الحفرة فوجدنا الشمس قد ضربت ذلك الماء فصار خمر. فبقينا نشرب منه ونسكر فتحمر وجوهنا ونغني ونرقص من نشوة السكر. فقالوا: ما الذي يحمر وجوهكم ويصيركم ترقصون وتغنون؟ فقلنا لهم: لا تسألون عن هذا وما تريدون بالسؤال عنه؟ فقالوا: أخبرونا حتى نعرف حقيقة الأمر. فقلنا: عصير العنب. فذهبوا بنا إلى وادي ولم نعرف له طولاً من عرض، وفي ذلك الوادي كروم من العنب لا يعرف أولها من آخرها، وكل عنقود من العناقيد التي فيها قدر عشرين رطلاً وكله ذاتي القطوف. فقالوا لنا: اجتمعوا من هذه. فجمعنا منه شيئاً كثيراً ورايت هناك حفرة كبيرة أكبر من الحوض الكبير، فلأناها عنباً وديناها بارجلنا وقلنا كما فعلنا أول مرة، فصار خمرًا وقلنا لهم: هذا بلغ حد الإستواء فأي شيء تشربون به؟ فقالوا لنا: إنه كان عندنا حمير مثلكم فأكلناهم وبقيت رؤوسهم، فاسقونا في جماجمهم. فاسقيناهم فسكروا ثم رقدوا وكانوا نحو المائتين فقلنا لبعضنا: أما يكفي هؤلاء أن يركبونا حتى يأكلونا أيضاً! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولكن نحن نقوى عليهم السكر ثم نقتلهم ونستريح منهم ونخلص من أيديهم. فنبهناهم وصرنا غملاً لهم تلك الجماجم ونسقيهم فيقولون: هذا مر. فقلنا لهم: لأي شيء تقولون هذا مر؟ وكل من قال ذلك إن لم يشرب منه عشر مرات فإنه يموت من يومه. فخافوا من الموت وقالوا لنا: اسقونا تمام العشر مرات. فلما شربوا بقية العشر مرات سكروا وزاد عليهم السكر وهمدت قوتهم، فجررناهم من أيديهم. ثم إننا جمعنا من حطب تلك الكروم شيئاً كثيراً وجعلناه حولهم وفوقهم وأوقدنا النار في الحطب ووقفنا من بعيد ننظر ما يكون منهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 772
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ساعد؛ قال: لما أوقدت النار في الحطب أنا ومن معي من الممالك وصارت الغيلان في وسطها، ووقفنا من بعيد لننظر ما يكون منهم. ثم قدمنا إليهم بعد أن خمدت النار فرأيناهم صاروا كوم رماد، فحمدنا الله تعالى الذي خلصنا منهم وخرجنا من تلك الجزيرة وطلبنا ساحل البحر ثم افترقنا من بعضنا. فأما أنا وأثنان من الممالك فمشينا حتى وصلنا إلى غابة كبيرة كثيرة الأشجار فاشتغلنا بالأكل، وإذا بشخص طويل القامة طويل اللحية طويل الأذنين كأنهما مشعلان، وقدامه غنم كثير يرعاها وعنده جملة آخر في كفيته. فلما رأنا استبشر وفرح ورحب بنا وقال: أهلاً وسهلاً تعالوا عندي حتى أذبح لكم شاة من هذه الأغنام وأشويها وأطعمكم. فقلنا له: وأين موضعك؟ فقال: قريب من هذا الجبل، فذهبوا إلى هذه الجهة حتى تروا مغارة فادخلوا فيها فإن فيها ضيوفاً كثيراً مثلكم، فروحوا واقعدوا معهم حتى نجهز لكم الضيافة. فاعتقدنا أن كلامه حق، فسرنا إلى تلك الجهة ودخلنا تلك المغارة فرأينا الضيوف الذين فيها كلهم عمياناً. فحين دخلنا عليهم قال واحد منهم: أنا مريض. وقال الآخر: أنا ضعيف. فقلنا لهم: أي شيء هذا القول الذي تقولونه؟ ما سبب ضعفكم ومرضكم؟ فقالوا: من أنتم؟ فقلنا لهم: نحن ضيوف. قالوا لنا: ما الذي أوقعكم في يد هذا الملعون؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا غول يأكل بني آدم وقد أعمانا ويريد أن يأكلنا. فقلنا لهم: كيف أعماكم هذا الغول؟ فقالوا: إنه في هذا الوقت يعميكم مثلنا. فقلنا لهم: وكيف يعمينا؟ فقالوا لنا: إنه يأتيكم بأقداح من اللبن ويقول لكم: أنتم تعبت من السفر

فخذوا هذا اللبن واشربوا منه . فحين تشربون منه تصيرون مثلنا . فقلت في نفسي : ما بقي لنا خلاص إلا بحيلة ، فحفرت حفرة في الأرض وجلست عليها . ثم بعد ساعة دخل الملعون الغول علينا ونمعه أقداح من اللبن فناولني قدحاً وناول من معي كل واحد قدحاً وقال لنا : أنتم جئتم من البر عطاشاً فخذوا هذا اللبن واشربوا منه حتى أشوي لكم اللحم . فاما أنا فأخذت القدح وقربته من فمي ودلقته في الحفرة وصحت : آه ، قد راحت عيني وعميت . وأمسكت عيني بيدي وصرت أبكي وأصيح وهو يضحك ويقول : لا تخف . وأما الإثنان رفيقاي فإنهما شربا اللبن فعميا . فقام الملعون من وقته وساعته وغلقت باب المغارة وقرب مني وجس أضلاعي فوجدني هزيلاً وما علي شيء من اللحم ، فجس غيري فرآه سميناً ففرح . ثم ذبح ثلاثة أغنام وسلخها وجاء بأسياخ من الحديد ووضع فيها لحم الأغنام ووضعها على النار وشواه وقدمه إلى رفيقي فأكلوا واكل معهما ، ثم جاء بزق ملآن خمراً وشربه ورقد على وجهه وشخر . فقلت في نفسي : إنه غرق في النوم وكيف أقتله ؟ ثم تذكرت الأسياخ فأخذت منها سيخين ووضعتهما في النار وصبرت عليهما حتى صارا مثل الجمر ، ثم قمت وشددت وسطي ونهضت على أقدامي وأخذت السيخين الحديد بيدي وتقربت من الملعون وأدخلتهما في عينيه وأتكات عليهما بقوتي ، فنهض من حلاوة الروح قائماً على قدميه وأراد أن يسكنني بعد أن عمي فهربت منه داخل المغارة وهو يسعى خلفي . فقلت للعميان الذين عنده : كيف العمل مع هذا الملعون ؟ فقال واحد منهم : يا ساعد ، إنهض واصعد إلى الطاقة ، وأخذت السيف وأتيت عند ذلك الرجل فقال : خذ واضربه في وسطه فإنه يموت في الحال . فقممت وجريت خلفه وقد تعب من الجري فجاء إلى العميان ليقتلهم فجئت إليه وضربته بالسيف في وسطه فصار نصفين فصاح علي وقال لي : يا رجل ، حيث أردت قتلي فاضربني ضربة ثانية . فهممت أن اضربه ضربة ثانية فقال الذي دلتني على السيف : لا تضربه ضربة ثانية فإنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ساعداً قال : لما ضربت الغول بالسيف قال لي : يا رجل ، حيث ضربتني وأردت قتلي فاضربني ضربة ثانية . فهممت أن اضربه فقال لي الذي دلتني على السيف : لا تضربه ضربة ثانية فإنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا . فامتثلت أمر ذلك الرجل ولم اضربه فمات الملعون . فقال لي الرجل : قم افتح المغارة ودعنا نخرج منها لعل الله يساعدنا ونستريح من هذا الموضع . فقلت له : ما بقي علينا ضرر بل نستريح ونذبح من هذه الأغنام ونشرب من هذا النبيذ لأن البر طويل ، فأقمنا في هذا المكان مدة شهرين ونحن نأكل من هذه الأغنام ومن هذه الفواكه . فاتفق أننا جلسنا على شاطئ البحر يوماً من الأيام فرأينا مركباً كبيرة تلوح في البحر على بعد ، فأشرنا إلى أهلها وصحنا عليهم ، فخافوا من ذلك الغول وكانوا يعرفون أن هذه الجزيرة فيها غول يأكل آدميين فطلبوا الهروب ، فأشرنا إليهم بفاضل عمائنا وقربنا منهم وصرنا نصيح عليهم . فقال واحد من الركاب وكان حديد البصر : يا معاشر الركاب ، إنني أرى هذه الأشباح آدميين مثلنا وليس عليهم زي الغيلان . ثم إنهم ساروا جهتنا قليلاً إلى أن قربوا منا ، فلما تحققوا أننا آدميون سلموا علينا فرددنا عليهم

فلما كانت الليلة
773
الليلة

السلام ويشرناهم بقتل الغول الملعون فشكرونا . ثم إننا تزودنا من الجزيرة بشيء من الفواكه فيها ثم نزلنا المركب وسارت بنا في ريح طيبة مدة ثلاثة أيام ، وبعد ذلك ثارت علينا ريح وازداد ظلام الجو فما كان غير ساعة واحدة حتى جذب الريح المركب إلى جبل فانكسرت وتمزقت الواحها ، فقدر الله العظيم اني تعلقت بلوح منها وركبته وسار بي يومين وقد آتت ريح طيبة فصرت فوق اللوح أقذف برجلي ساعة زمانية حتى أوصلني الله تعالى إلى البر بالسلامة ، فطلعت إلى هذه المدينة وقد صرت غريباً فريداً وحيداً لا أدري ما أصنع ، وقد أضربني الجوع وحصل لي الجهد الأكبر . فاتيت إلى سوق المدينة وقد تواريت وقلعت هذا القباء وقلت في نفسي : أبيعهُ وأكل بشمته حتى يقضي الله ما هو قاض . ثم إني يا أخي أخذت القباء في يدي والناس ينظرونه ويتزايدون في ثمنه حتى آتيت أنت ونظرتني وأمرت بي إلى القصر فاخذني الغلمان وسجنوني . ثم إنك تذكرتني بعد هذه المدة فأحضرتني عندك ، وقد أخبرتك بما جرى لي والحمد لله على الاجتماع . فلما سمع سيف الملوك وتاج الملوك أبو دولة خاتون حديث الوزير ساعدت تعجباً من ذلك عجباً شديداً ، وقد أعدت تاج الملوك أبو دولة خاتون مكاناً مليحاً لسيف الملوك وأخيه ساعد ، وصارت دولة خاتون تأتي لسيف الملوك وتشكره وتتحدث معه على إحسانه . فقال الوزير ساعد : ايتها الملكة ، المراد منك المساعدة على بلوغ غرضه . فقالت : نعم أسعى في مراده حتى يبلغ مراده إن شاء الله تعالى . ثم التفتت إلى سيف الملوك وقالت له : طب نفساً وقر عيناً هذا ما كان من أمر سيف الملوك ووزيره ساعد . وأما ما كان من أمر الملكة بديع الجمال فإنها وصلت إليها الأخبار برجوع أختها دولة خاتون إلى أبيها ومملكتها فقالت : لا بد من زيارتها والسلام عليها في زينة بهية وحلى وحلل . فتوجهت إليها ، فلما قربت من مكانها قابلتها الملكة دولة خاتون وسلمت عليها وعانقتها وقبلتها بين عينها وهنتها الملكة بديع الجمال بالسلامة ثم جلسنا نتحدثان . فقالت بديع الجمال لدولة خاتون : أي شيء جرى لك في الغربية ؟ فقالت دولة خاتون : يا أختي ، لا تسأليني عما جرى لي من الأمور ، يا ما تقاسي الخلائق من الشدائد . فقالت لها بديع الجمال : وكيف ذلك ؟ قالت : يا أختي ، إني كنت في القصر المشيد وقد احتوى عليّ فيه ابن الملك الأزرق . ثم حدثتها ببقية الحديث من أوله إلى آخره وحديث سيف الملوك ، وما جرى له في القصر وما قاسى من الشدائد والأحوال حتى وصل إلى القصر المشيد ، وكيف قتل ابن الملك الأزرق ، وكيف قلع الأبواب وجعلها فلماً وعمل لها مجاديف ، وكيف دخل إلى ها هنا . فتعجبت بديع الجمال ثم قالت : والله يا أختي ، إن هذا من أغرب العجائب ، وأريد أن أخبرك بأصل حكايته لكن يمنعني الحياء من ذلك . فقالت لها بديع الجمال : ما سبب الحياء ؟ وأنت أختي ورفيقتي وبينني وبينك شيء كثير وأنا أعرف أنك ما تطلين لي إلا الخير ، فمن أي شيء تستحيين مني ؟ فأخبريني بما عندك ولا تستحي مني ولا تخفي مني شيئاً من ذلك . فقالت لها دولة خاتون : إنه نظر صورتك في القباء الذي أرسله أبوك إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، فلم يفتحه ولم ينظر ما فيه بل أرسله إلى الملك عاصم بن صفوان ملك مصر في جملة الهدايا والتحف التي أرسلها إليه والملك عاصم أعطاه لولده سيف الملوك قبل أن يفتحه . فلما أخذه سيف الملوك فتحه وأراد أن يلبسه فرأى فيه صورتك ، فعشقه وخرج في طلبك وقاسى هذه الشدائد كلها من أجلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، إن دولة خاتون أخبرت بديع الجمال بأصل محبة سيف الملوك لها وعشقه إياها وأن سببها القباء الذي فيه صورتها، وحين عاين الصورة خرج من ملكه هائماً وغاب عن أهله من أجلها. وقالت لها: إنه قاسى من الأهوال ما قاساه من أجلك.

فقالت بديع الجمال وقد احمر وجهها وخجلت من دولة خاتون: إن هذا شيء لا يكون أبداً فإن الإنس لا يتفقون مع الجن. فصارت دولة خاتون تصف لها سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ولم تزل تثني عليه وتذكر لها صفاته حتى قالت: يا اختي، لأجل الله تعالى ولأجلي، تعالي تحدثي معه ولو كلمة واحدة. فقالت بديع الجمال: إن هذا الكلام الذي تقولينه لا أسمعه ولا أطيعك فيه، وكأنها لم تسمع منه شيئاً ولم يقع في قلبها شيء من محبة سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته. ثم إن دولة خاتون صارت تتضرع لها وتقبل رجلها وتقول: يا بديع الجمال، بحق اللبن الذي رضعناه أنا وأنت وبحق النقش الذي على خاتم سليمان عليه السلام أن تسمعي كلامي هذا، فإني تكفّلت له في القصر المشيد بأني أريه وجهك، فبالله عليك أن تريه صورتك مرة واحدة لأجل خاطري وأنت الأخرى تنظرينه. وصارت تبكي لها وتتضرع إليها وتقبل يديها ورجليها حتى رضيت وقالت: لأجلك أريه وجهي مرة واحدة. فعند ذلك طاب قلب دولة خاتون وقبّلت يديها ورجليها وخرجت وجاءت إلى القصر الأكبر الذي في البستان وأمرت الجوارى أن يفرشنه وينصبن فيه تختاً من الذهب ويجعلن أواني الشراب مصفوفة. ثم إن دولة خاتون قامت ودخلت على سيف الملوك وساعد وزيره وهما جالسان في مكانهما وبشّرت سيف الملوك ببلوغ إربه وحصول مراده وقالت له: توجه إلى البستان أنت وأخوك وادخلا القصر واختفيا عن أعين الناس بحيث لا ينظركما أحد ممن في القصر حتى أجيء أنا وبديع الجمال. فقام سيف الملوك وساعد وتوجها إلى المكان الذي دلّتهما عليه دولة خاتون، فلما دخلاه رأيا تختاً من الذهب منصوباً وعليه الوسائد وهناك الطعام والشراب. فجلسا ساعة من الزمان ثم إن سيف الملوك تذكر معشوقته فضاق صدره وهاج عليه الشوق والغرام فقام ومشى حتى خرج من دهليز القصر، فتبعه أخوه ساعد فقال له: يا أخي، أقم أنت مكانك ولا تتبعني حتى أجيء إليك. ففقد ساعد ونزل سيف الملوك ودخل البستان وهو سكران من خمر الغرام، حيران من فرط العشق والهيام. وقد هزه الشوق وغلب عليه الوجد فأنشد هذه الأبيات: [من الخفيف]

فَارْحَمِينِي، إِنِّي أَسِيرٌ هَوَاكِ
قَدْ أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يُحِبَّ سِوَاكِ
طُولَ لَيْلِي مُسَهِّدُ الْجَفْنِ بَاكِ
فَعَسَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَرَاكِ
أَنْقِذِيهِ مِنْ مُهْلِكَاتِ جَفَاكِ
وَجَمِيعُ الْعِدَى تَكُونُ فِدَاكِ
وَجَمِيعُ الْمَلَايحِ تَحْتَ لِوَاكِ

يَا بَدِيعَ الْجَمَالِ مَا لِي سِوَاكِ
أَنْتِ سِوَاكِ وَمُنِيِّتِي وَسِرُّوْرِي
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ قَدْ عَلِمْتَ بُكَائِي
فَأْمُرِي النَّوْمَ أَنْ يَلِمَّ بِجَفْنِي
فَاعْطِفِي فِي الْهَوَى عَلَى مُسْتَهَامِ
زَادَكَ اللَّهُ بِهَجَّةٍ وَسِرُّوْرًا
يُحْشِرُ الْعَاشِقُونَ تَحْتَ لِوَايِي

ان تحضره فاحضره . فعند ذلك نادته دولة خاتون وقالت له : يا ابن الملك ، إصعد إلينا واقدم بحسبك وجمالك علينا . فعرف سيف الملوك صوت دولة خاتون فصعد إلى القصر فلما وقع نظره على بديع الجمال خر مغشياً عليه ، فرشت عليه دولة خاتون قليلاً من ماء الورد فافاق من غشيته . ثم نهض وقبل الارض قدام بديع الجمال ، فبهتت من حسنه وجماله . فقالت بديع الجمال وقد أعلمني أيتها الملكة ان هذا سيف الملوك الذي كانت نجاتي بقضاء الله تعالى على يديه ، وهو الذي جرى عليه كامل المشقات من أجلك وقصدي أن تشمليه بنظرك . فقالت بديع الجمال وقد ضحكت : ومن يفي بالعهود حتى يفي بها هذا الشاب ؟ لأن الإنس ليس لهم مودة . فقال سيف الملوك : أيتها الملكة ، إن عدم الوفاء لا يكون عندي أبداً وما كل الخلق سواء . ثم إنه بكى بين يديها وأنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

أَيَا بَدِيعَ الْجَمَالِ إِنِّي شَجَّ
مُضْنَى أَهِيمٍ بِطَرْفِ سَاحِرِ جَانِ
بِحَقِّ مَا جَمَعْتَ خَدَاكَ مِنْ مَلْحٍ
مِنْ أَيْضِ وَشَقِيقِ أَحْمَرَ قَانِ
لَا تَنْقِمْ بِنِكَالِ الْهَجْرِ مِنْ ذَنْفٍ
فَإِنَّ جِسْمِي مِنْ طُولِ النَّوَى فَانَ
هَذَا مُرَادِي وَهَذَا مُنْتَهَى أَمَلِي
وَالْوَصْلُ قَصْدِي عَلَى تَقْدِيرِ إِمْكَانِ

ثم إنه بكى بكاء شديداً وتحكم عنده العشق والهيام فصار يسلم عليها بهذه الأبيات : [من الطويل]

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ مُحِبٍّ مُتِّمٍ
وَكُلُّ كَرِيمٍ لِلْكَرِيمِ جَمِيلٌ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا عَدِمْتُ خَيَالَكُمْ
وَلَمْ يَخْلُ مِنْكُمْ مَجْلِسٌ وَمَقِيلٌ
أَغَارُ عَلَيْكُمْ لَسْتُ أَذْكَرُ أَسْمَكُمْ
وَكُلُّ حَبِيبٍ لِلْحَبِيبِ يَمِيلُ
فَلَا تَقْطَعُوا حَسَنَاتِكُمْ عَنْ مُحِبِّكُمْ
فَإِنَّ الْأَسَى يُرْدِيهِ وَهُوَ عَلِيلٌ
أُرَاعِي النُّجُومَ الزُّهْرَ وَهِيَ تَرُوعُنِي
وَلَمْ يَبْقَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي حِيلَةٌ
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ فِي سَاعَةِ الْجَفَا
فَأَيُّ كَلَامٍ فِي السُّؤَالِ أَقُولُ
سَلَامٌ مِنَ الْوَلَهَانِ وَهُوَ حَمُولُ

ثم إنه من كثرة وجده وغرامه أنشد أيضاً هذه الأبيات : [من الكامل]

إِنْ كَانَ قَصْدِي غَيْرَكُمْ يَا سَادَتِي
لَا نِلْتُ مِنْكُمْ بُغْيَتِي وَإِرَادَتِي
مَنْ ذَا الَّذِي حَازَ الْجَمَالَ سِوَاكُمْ
حَتَّى تَقُومَ الْآنَ فِيهِ قِيَامَتِي
هِيَاتِ أَنْ أَسْأَلُ الْهَوَى وَأَنَا الَّذِي
أَفْتَيْتُ فِيكُمْ مُهْجَتِي وَحُشَاشَتِي

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً . فقالت له بديع الجمال : يا ابن الملك ، إنني أخاف أن أقبل عليك بالكلية فلا أجد منك إلفة ولا محبة ، فإن الإنس ربما كان خيره م قليلاً وغدرهم جليلاً . وأعلم أن السيد سليمان بن داود عليهما السلام أخذ بلقيس بالحب فلما رأى غيرها أحسن منها أعرض عنها إليه . فقال لها سيف الملوك : يا عيني ويا روحي ، ما خلق الله كل الإنس سواء ، وأنا إن شاء الله أفي بالعهد وأموت تحت أقدامك وسوف تبصرين ما أفعل موافقاً لما أقول ،

والله على ما أقول وكيل . فقالت له بديع الجمال : اقعِدْ واطمئن واحلف لي على قدر دينك ونتعاهد على أننا لا نخون بعضنا، ومن خان صاحبه ينتقم الله تعالى منه . فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام ، قعد ووضع كل منهما يده في يد صاحبه وتحالفا أن كلا منهما لا يختار على صاحبه أحداً لا من الإنس ولا من الجن . ثم إنهما تعانقا ساعة زمانية وتباكيا من شدة فرحهما وغلب الوجد على سيف الملوك فانشد هذه الأبيات : [من الطويل]

بَكَيْتُ غَرَاماً وَأَشْتِيقاً وَلَوْعَةً عَلَى شَأْنٍ مَنْ يَهْوَاهُ قَلْبِي وَمُهْجَتِي
وَيِي زَادَتِ الْآلَامُ مِنْ طُولِ هَجْرِكُمْ وَبَاعِي قَصِيرٌ عَنْ تَقَارُبِ نَسَبِي
وَحَزْنِي مِمَّا ضَاقَ عَنْهُ تَجَلُّدِي يُوَضِّحُ لِلْوَأْمِ بَعْضَ بَلِيَّتِي
وَقَدْ ضَاقَ بَعْدَ الْإِتْسَاعِ حَقِيقَةً مَجَالُ أَصْطِبَارِي لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي
فَيَا هَلْ تَرَى قَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمَلَنَا وَتَبْرَى مِنَ الْآلَامِ وَالسَّقَمِ غُصَّتِي

وبعد أن تحالفت بديع الجمال هي وسيف الملوك، قام سيف الملوك بمشي وقامت بديع الجمال تمشي أيضاً ومعها جارية حاملة شيئاً من الأكل وحاملة أيضاً قنانية ملأنة خمراً . ثم قعدت بديع الجمال ووضعت الجارية بين يديها الأكل والمداوم فلم يمكثا غير ساعة إلا وسيف الملوك قد أقبل ، فلاقته بالسلام وتعانقا وقعدا . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن بديع الجمال لما أحضرت الطعام والشراب وجاء سيف الملوك فلاقته بالسلام . ثم قعدا ياكلان ويشربان ساعة فقالت بديع الجمال : يا ابن الملك، إذا دخلت بستان إرم ترى خيمة كبيرة منصوبة وهي من أطلس أحمر وبطانتها من حرير أخضر، فادخل الخيمة وقو قلبك فإنك ترى عجوزاً جالسة على تخت من الذهب

فلما كانت الليلة من
الليلة
776
الليلة

الأحمر مرصع بالدر والجوهر، فإذا دخلت فسلم عليها بأدب واحتشام وانظر إلى جهة التخت تجد تحته نعلاً منسوجة بقضبان الذهب مزر كشة بالمعادن، فخذ تلك النعال وقبلها وضعها على رأسك ثم حطها تحت إبطك اليمنى وقف قدام العجوز وأنت ساكت مطرق الرأس، فإذا سألتك وقالت لك : من أين جئت؟ وكيف وصلت إلى ها هنا؟ ومن عرفك هذا المكان؟ ومن شأن أي شيء أخذت هذه النعال؟ فاسكت أنت حتى تدخل جارياتي هذه وتتحدث معها وتستعطفها عليك وتسترضي خاطرها بالكلام لعل الله تعالى يعطف قلبها عليك وتجيئك إلى ما تريد . ثم إنها نادت تلك الجارية وكانت اسمها مرجانة وقالت لها : بحق محبتي أن تقضي هذه الحاجة في هذا اليوم ولا تتهاوني في قضائها، وإن قضيتها في هذا اليوم فانت حرة لوجه الله تعالى ولك الإكرام ولا يكون عندي أعز منك ولا أظهر سري إلا عليك . فقالت لها : يا سيدتي ونور عيني، قول لي ما حاجتك حتى أقضيها لك على رأسي وعيني . فقالت لها : أن تحملي هذا الإنسى على اكتافك وتوصليه إلى بستان إرم عند جدتي أم أبي وتوصليه إلى خيمتها وتحفظني عليه، وإذا دخلت الخيمة أنت وإياه ورايته أخذ النعال وخدمها وقالت له : من أين أنت؟ ومن أي طريق آتيت؟ ومن أوصلك إلى هذا المكان؟ ومن شأن أي شيء أخذت هذه النعال؟ وأي شيء حاجتك حتى أقضيها لك؟ فعند ذلك ادخلي بسرعة وسلمي عليها وقولي لها : يا سيدتي،

أنا الذي جئت به هنا وهو ابن ملك مصر وهو الذي راح إلى القصر المشيد وقتل ابن الملك الأزرق وخلص الملكة دولة خاتون وأوصلها إلى أبيها سالمة وقد أوصلته إليك لأجل أن يخبرك ويشارك بسلامتها فتتعمي عليه . ثم بعد ذلك قولني لها : يا سيدتي ، إنه كامل العرض والمروءة والشجاعة وهو صاحب مصر وملكها وقد حوى سائر الخصال الحميدة . فإذا قالت لك : أي شيء حاجته ؟ فقولني لها : إن سيدتي تسلّم عليك وتقول لك : إلى متى وهي قاعدة في البيت عازبة بلا زواج ؟ فقد طالت عليها المدة فما مرادكم بعدم زواجها ؟ ولأي شيء ما تزوجينها في حياتك ؟ وحياتة أمها مثل البنات . فإذا قالت لك : كيف نعمل في زواجها ؟ فإن كانت هي تعرف أحداً أو وقع في خاطرها أحد تخبرنا عنه ونحن نعمل لها على مرادها على غاية ما يمكن . فعند ذلك قولني لها : يا سيدتي ، إن بنتك تقول لك : أنتم كنتم تريدون تزويجي بسليمان عليه السلام ، وصورتهم له صورتني في القباء فلم يكن له نصيب فيّ وقد أرسل القباء إلى ملك مصر فأعطاه لولده فرأى صورتني منقوشة فيه فعشقتني وترك ملك أبيه وأمه وأعرض عن الدنيا وما فيها وخرج هائماً في الدنيا على وجهه وقاسى أكبر الشدائد والأهوال من أجلي . ثم إن الجارية حملت سيف الملوك وقالت له : غمّض عينيك . ففعل ، فطارت به إلى الجو ثم بعد ساعة قالت له : يا ابن الملك إفتح عينيك . ففتح عينيه فنظر البستان وهو بستان إرم . فقالت له الجارية مرجانة : أدخل يا سيف الملوك هذه الخيمة . فذكر الله سيف الملوك ودخل ومد عينيه بالنظر في البستان فرأى العجوز قاعدة على التخت وفي خدمتها الجوارى ، فقرب منها بأدب واحتشام وأخذ النعال وقبّلها وفعل ما وصفته له بديع الجمال . فقالت له العجوز : من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ ومن أي البلاد أنت ؟ ومن جاء بك إلى هذا المكان ؟ ولأي شيء أخذت هذه النعال وقبّلتها ؟ ومتى قلت لي على حاجة ولم أقضها لك ؟ فعند ذلك دخلت الجارية مرجانة وسلّمت عليها بأدب واحتشام ثم تحدّثت بحديث بديع الجمال الذي قالته لها . فلما سمعت العجوز هذا الكلام صرخت عليها واغتاضت منها وقالت : من أين يحصل بين الإنس والجن اتفاق ؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما سمعت الكلام من الجارية اغتاضت غيظاً شديداً وقالت : من أين للإنس مع الجن اتفاق ؟ فقال سيف الملوك : أنا أتفق معك وأكون غلامك وأموت على حبك واحفظ عهدك ولا أنظر غيرك وسوف تنظرين صدقي وعدم كذبي وحسن مروءتي معك إن شاء الله تعالى . ثم إن العجوز تفكّرت ساعة زمانية ورأسها مطرق ثم رفعت رأسها وقالت : أيها الشاب المليح ، هل تحفظ العهد والميثاق ؟ فقال لها : نعم وحق من رفع السماء وبسط الأرض على الماء إنني أحفظ العهد . فعند ذلك قالت العجوز : أنا أقضي لك حاجتك إن شاء الله تعالى ، ولكن رح في الساعة إلى البستان وتفرّج فيه وكُل من الفواكه التي لا نظير لها ولا في الدنيا مثلها حتى أبعث إلى ولدي شهيال فيحضر وأحدّث معه في شأن ذلك ولا يكون إلا خيراً إن شاء الله تعالى ، لأنه لا يخالفني ولا يخرج عن أمري وأزوّجك بنته بديع الجمال ، فطب نفساً فإنها تكون زوجة لك يا سيف الملوك . فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام شكرها وقبّل يديها ورجليها وخرج من عندها متوجهاً إلى البستان .

فلما كانت الليلة
كانت الليلة
777
كانت الليلة

وأما العجوز فإنها التفتت إلى تلك الجارية وقالت لها : اطلعي فتشي على ولدي شهيال وانظريه في أي الأقطار والأماكن واحضريه عندي . فراحت الجارية وفتشت على الملك شهيال فاجتمعت به واحضرته عند أمه هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر سيف الملوك فإنه صار يتفرج في البستان وإذا بخمسة من الجان وهم من قوم الملك الأزرق قد نظروه فقالوا : من أين هذا؟ ومن جاء به إلى هذا المكان : ولعله الذي قتل ابن الملك الأزرق . ثم إنهم قالوا لبعضهم : إننا نحتال عليه بحيلة ونسأله ونستخبر منه . ثم صاروا يتمشوا قليلاً قليلاً إلى أن وصلوا إلى سيف الملوك في طرف البستان وقعدوا عنده وقالوا له : أيها الشاب المليح ، ما قصرت في قتل ابن الملك الأزرق وخلص دولة خاتون منه ، فإنه كلب غدار قد مكر بها ولولا أن الله قيضك لها ما خلصت أبداً ، وكيف قتلته ؟ فنظر إليهم سيف الملوك وقال لهم : قد قتلته بهذا الخاتم الذي في إصبعي . فثبت عندهم أنه هو الذي قتله ، فقبض اثنان على يديه واثنان على رجليه والآخر قبض على فمه حتى لا يصيح فيسمعه قوم الملك شهيال فينقذوه من أيديهم ، ثم إنهم حملوه وطاروا به . ولم يزالوا طائرين حتى نزلوا عند ملكهم وأوقفوه بين يديه وقالوا : يا ملك الزمان ، قد جئناك بقاتل ولدك . فقال : وأين هو ؟ قالوا : هذا . فقال له الملك الأزرق : هل قتلت ولدي وحشاشة كبدي ونور بصري بغير حق وبغير ذنب فعله معك ؟ فقال له سيف الملوك : نعم أنا قتلته ولكن لظلمه وعدوانه ، لأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم إلى البئر المعطلة والقصر المشيد ويفرق بينهم وبين أهليهم ويفسق فيهم ، وقتلته بهذا الخاتم الذي في إصبعي وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . فثبت عند الملك الأزرق أن هذا هو قاتل ولده بلا شك . فعند ذلك دعا بوزيره وقال له : هذا قاتل ولدي ولا محالة من غير شك فماذا تشير علي في أمره ؟ فهل أقتله أقبح قتلة أو أعذبه أصعب عذاب أو كيف أعمل ؟ فقال الوزير الأكبر : إقطع منه عضواً . وقال آخر : اضربه كل يوم ضرباً شديداً وقال آخر : اقطعوا وسطه . وقال آخر : اقطعوا أصابعه جميعاً واحرقوهم بالنار . وقال آخر : اصلبوه . وصار كل واحد منهم يتكلم بحسب رأيه . وكان عند الملك الأزرق أمير كبير له خبرة بالأمور ومعرفة بأحوال الدهور فقال له : يا ملك الزمان ، إنني أقول لك كلاماً ما والرأي لك في سماع ما أشير به عليك ، وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته وكان الملك يسمع كلامه ويعمل برأيه ولا يخالفه في شيء . فقام على قدميه وقبّل الأرض بين يديه وقال له : يا ملك الزمان ، إذا أشرت عليك برأي في شأن هذا الأمر هل تتبعه وتعطيني الأمان ؟ فقال له الملك : بين رأيك وعليك الأمان . فقال : يا ملك ، إن أنت قتلت هذا ولم تقبل نصحي ولم تتعقل كلامي فإن قتله في هذا الوقت غير صواب لأنه تحت يدك وفي حماك وأسيرك ومتى طلبته وجدته وتفعل به ما تريد ، فاصبر يا ملك الزمان فإن هذا قد دخل بستان إرم وتزوج بديع الجمال بنت الملك شهيال وصار منهم واحداً ، وجماعتك قبضوا عليه وأتوا به إليك وما أخفى حاله منهم ولا منك فإن قتلته فإن الملك شهيال يطلب ناره منك ويعاديك ويأتيك بالعسكر من أجل بنته ولا مقدرة لك على عسكره وليس لك به طاقة . فسمع منه ذلك وأمر بسجنه . هذا ما جرى لسيف الملوك . وأما ما كان من أمر السيدة بديع الجمال فإنها لما اجتمعت بالدها شهيال أرسلت الجارية تفتش على سيف الملوك فلم تجده ، فرجعت إلى سيدتها وقالت : ما وجدته في البستان . فأرسلت إلى عملة البستان وسألته عن سيف الملوك فقالوا : نحن رأينا قاعداً تحت شجرة وإذا بخمسة أشخاص

من جماعة الملك الأزرق نزلوا عنده وتحدثوا معه ثم إنهم حملوه وسدّوا فمه وطاروا به وراحوا . فلما سمعت السيدة بديع الجمال ذلك الكلام لم يهن عليها واغتاضت غيظاً شديداً وقامت على أقدامها وقالت لابنها الملك شهيال : كيف تكون ملكاً وتجيء جماعة الملك الأزرق إلى بستاننا وياخذون ضيفناً ويروحون به سالمين وأنت بالحياة وكذلك أمه ؟ وصارت تحرضه وتقول : لا ينبغي أن يتعدّى علينا أحد في حياتك . فقال لها : يا أمي ، إن هذا الإنسي قتل ابن الملك الأزرق وهو جني فرماه الله في يده فكيف أذهب وأعاديه من أجل الإنسي ؟ فقالت له أمه : إذهب إليه واطلب منه ضيفنا فإن كان بالحياة وسلّمه إليك فخذّه وتعال ، وإن كان قتله فامسك الملك الأزرق بالحياة هو وأولاده وحرّيمه وكل من يلوذ به من أتباعه وائتني بهم بالحياة حتى أذبّحهم بيدي وأخرب دياره . وإن لم تفعل ما أمرتك به لا أجعلك في حل من لبني والتربية التي رببتها لك تكون حراماً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التي
778
كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بديع الجمال قالت لابنها شهيال : اذهب إلى الملك الأزرق وانظر سيف الملوك ، فإن كان باقياً بالحياة فهاته وتعال وإن كان قتله فامسكه هو وأولاده وحرّيمه وكامل من يلوذ به وائتني بهم بالحياة حتى أذبّحهم بيدي وأخرب ملكه . وإن لم تذهب إليه وتفعل ما أمرتك به فلا أجعلك في حل من لبني وتكون تربيتك حراماً . فعند ذلك قام الملك شهيال وأمر عسكره بالخروج وتوجه إليه كرامة لأمه ورعاية لحاظها وخواطر أحبائها ولأجل شيء كان مقدراً في الأزل . ثم إن شهيال سافر بعسكره ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى الملك الأزرق وتلاقى العسكران ، فانكسر الملك الأزرق هو وعسكره ومسكوا أولاده كباراً وصغاراً وأرباب دولته وأكابرها وربطوهم وأحضرهم بين يدي الملك شهيال فقال له : يا أزرق ، أين سيف الملوك الإنسي الذي هو ضيفني ؟ فقال له الملك الأزرق : يا شهيال ، أنت جني وأنا جني وهل لأجل إنسي قتل ولدي تفعل هذه الفعّال ؟ وهو قاتل ولدي وحشاشة كبدي وراحة روجي ، وكيف عملت هذه الاعمال كلها وأهرقت دم كذا وكذا الف جني ؟ فقال له : خل عنك هذا الكلام فإن كان هو بالحياة فاحضره وأنا اعتقك وأعتق كل من قبضت عليه من أولادك ، وإن كنت قتلته فانا أذبّحك أنت وأولادك . فقال له الملك الأزرق : يا ملك ، هل هذا أعز عليك من ولدي ؟ فقال له الملك شهيال : إن ولدك ظالم لكونه يخطف أولاد الناس وبنات الملوك ويضعهم في القصر المشيد والبئر المعطلة ويفسق فيهم . فقال له الملك الأزرق : إنه عندي ، ولكن أصلح بيننا وبينه . فأصلح بينهم وخلع عليهم وكتب بين الملك الأزرق وبين سيف الملوك حجة من جهة قتل ولده ، وتسلمه الملك شهيال وضيّفهم ضيافة مليحة وأقام الملك الأزرق عنده هو وعسكره ثلاثة أيام . ثم أخذ سيف الملوك وأتى به إلى أمه ففرحت به فرحاً شديداً ، وتعجب شهيال من حسن سيف الملوك وكماله وجماله ، وحكى له سيف الملوك حكايته من أولها إلى آخرها وما وقع له مع بديع الجمال . ثم إن الملك شهيال قال : يا أمي ، حيث رضيت بذلك فسمعاً وطاعة لكل أمر فيه رضاؤك ، فخذيه وروحي به إلى سرنديب واعلمي هناك فرحاً عظيماً فإنه شاب مليح وقاسي الأهوال من أجلها . ثم إنها سافرت هي وجواربها إلى أن وصلن إلى سرنديب ودخلن البستان الذي لام دولة خاتون ونظرت به بديع الجمال بعد أن مضين

إلى الخيمة واجتمعن وحدثتهن العجوز بما جرى له من الملك الأزرق، وكيف كان أشرف على الموت في سجن الملك الأزرق وليس في الإعادة إفادة. ثم إن الملك تاج الملوك قال له: يا ملك العفو، أنا اطلب منك حاجة وأخاف أن تردني عنها خائباً. فقال له تاج الملوك: والله لو طلبت روحي ما منعته عنك لما فعلت من الجميل. فقال سيف الملوك: أريد أن تزوج دولة خاتون بأخي ساعد حتى نصير كلنا غلمانك. فقال تاج الملوك: سمعاً وطاعة. ثم إنه جمع أكابر دولته ثانياً وعقد عقد بنته دولة خاتون على ساعد. ولما خلصوا من كتب الكتاب نثروا الذهب والفضة وأمر أن يزينوا المدينة ثم أقاموا الفرح ودخل سيف الملوك على بديع الجمال ودخل ساعد على دولة خاتون في ليلة واحدة. ولم يزل سيف الملوك يختلي ببديع الجمال أربعين يوماً. فقالت له في بعض الأيام: يا ابن الملك، هل بقي في قلبك حسرة على شيء؟ فقال سيف الملوك: حاش الله، قد قضيت حاجتي وما بقي في قلبي حسرة أبداً، ولكن قصدي الإجتماع بأبي وأمي بارض مصر وأنظر هل استمروا طيبين أم لا؟ فأمرت جماعة من خدمها أن يوصلوه هو وساعداً إلى أرض مصر. فوصلوهم إلى أهلهم بارض مصر واجتمع سيف الملوك بأبيه وأمه وكذلك ساعد، وقعدا عندهم جمعة ثم إن كل منهما ودع أباه وأمه وسارا إلى مدينة سرندب. وصارا كلما اشتاقا إلى أهلها يروحان ويرجعان. وعاش سيف الملوك هو وبديع الجمال في أطيب عيش وأهناء وكذلك ساعد مع دولة خاتون إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، فسبحان الحي الذي لا يموت وخلق الخلق وقضى عليهم بالموت وهو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء.

74 - حكاية حسن الصايغ

ومما حكى أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان رجل تاجر من التجار مقيم بارض البصرة، وكان ذلك التاجر له ولدان ذكران وكان عنده مال كثير. فقدر الله السميع العليم أن التاجر توفي إلى رحمة الله تعالى وترك تلك الاموال، فأخذ ولده في تجهيزه ودفنه وبعد ذلك اقتسما الاموال بينهما بالسوية وأخذ كل واحد منهما قسمة وفتح لهما دكانين: أحدهما نجاس والثاني صايغ. فبينما الصايغ جالس في دكانه يوماً من الأيام وإذا برجل أعجمي ماش في السوق بين الناس حتى مرّ على دكان الولد الصايغ، فنظر إلى صنعته وتاملها بمعرفته فأعجبته. وكان اسم الولد الصايغ حسن. فهزّ الأعجمي رأسه وقال: والله إنك صايغ مليح. وصار ينظر إلى صناعته وهو ينظر إلى كتاب عتيق كان بيده والناس مشغولون بحسنه وجماله وقده واعتداله. فلما كان وقت العصر خلت الدكان من الناس، فعند ذلك أقبل الرجل الأعجمي عليه وقال له: يا ولدي، أنت شاب مليح، ما هذا الكتاب؟ وأنا مالي ابن وقد عرفت صنعة ما في الدنيا أحسن منها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجمي لما أقبل على حسن الصايغ قال له: يا ولدي، أنت شاب مليح، ما هذا الكتاب؟ وأنا مالي ابن، وقد عرفت صنعة ما في الدنيا أحسن منها وقد سألتني خلق كثير من الناس في شأن تعليمها فما رضيت أن أعلمها أحداً منهم، ولكن قد سمحت نفسي أن أعلمك إياها وأجعلك ولدي وأجعل بينك وبين

فلما كانت الليلة
779
كانت الليلة

الفقر حجاباً وتسترٍ من هذه الصنعة والتعب في المطرقة والفحم والنار . فقال له حسن : يا سيدي ، ومتى تعلمني ؟ فقال : في غد آتيك وأصنع لك من النحاس ذهباً خالصاً بحضرتك . ففرح حسن وودّع الأعجمي وسار إلى والدته ، فدخل وسلّم عليها وأكل معها وهو مدهوش بلا وعي ولا عقل . فقالت له أمه : ما بالك يا ولدي ، إحدّر أن تسمع كلام الناس خصوصاً الأعجام فلا تطاوعهم في شيء ، فإن هؤلاء غشاشون يعملون صنعة الكيمياء وينصبون على الناس ويأخذون أموالهم ويأكلونها بالباطل . فقال لها : يا أمي ، نحن ناس فقراء وما عندنا شيء يطعم فيه حتى ينصب علينا ، وقد جاءني رجل أعجمي لكنه شيخ صالح عليه أثر الصلاح وإنما هو قد حنّ الله عليّ . فسكتت أمه على غيظ وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذ نوم في تلك الليلة من شدة فرحه بقول الأعجمي له . فلما أصبح الصباح قام وأخذ المفاتيح وفتح الدكان وإذا بالأعجمي قد أقبل عليه ، فقام له وأراد حسن أن يقبل يديه فامتنع ولم يرض بذلك وقال : يا حسن ، عمّر البودقة وركّب الكير . ففعل ما أمره به الأعجمي وأوقد الفحم . فقال له الأعجمي : يا ولدي ، هل عندك نحاس ؟ قال : عندي طبق مكسور . فأمره أن يتكئ عليه بالكاز ويقطعه قطعاً صغيراً ، ففعل كما قال له وقطعه قطعاً صغيراً ورماه في البودقة ونفخ عليه بالكير حتى صار ماء . فمدّ الأعجمي يده إلى عمامته وأخرج منها ورقة ملفوفة وفتحها وذرّ منها شيئاً في البودقة مقدار نصف درهم ، وذلك الشيء يشبه الكحل الأصفر ، وأمر حسناً أن ينفخ عليه بالكير . ففعل مثل ما أمره حتى صار سبيكة ذهب . فلما نظر حسن إلى ذلك اندهش وتخيّر عقله من الفرح الذي حصل له وأخذ السبيكة وقلبها وأخذ المبرد وبردها فرآها ذهباً خالصاً من عال العال ، فطار عقله واندهش من شدة الفرح . ثم انحنى على يد الأعجمي ليقبلها فقال له : خذ هذه السبيكة وانزل بها إلى السوق وبعها واقبض ثمنها سريعاً ولا تتكلم . فنزل حسن إلى السوق وأعطى السبيكة إلى الدلال فأخذها منه وحكّها فوجدها ذهباً خالصاً ، ففتحوا بابها بعشرة آلاف درهم ، وقد تزايد فيها التجار فباعها بخمسة عشر ألف درهم وقبض ثمنها ومضى إلى البيت وحكى لأمه جميع ما فعل . وقال لأمه : يا أمي ، إني قد تعلّمت هذه الصنعة . فضحكت عليه وقالت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 780
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً الصائغ لما حكى لأمه ما فعل الأعجمي وقال لها : إني قد تعلّمت هذه الصنعة . قالت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسكتت على غيظ منها . ثم إن حسناً أخذ من جهله هوناً وذهب به إلى الأعجمي وهو قاعد في الدكان ووضعه بين يديه . فقال له : يا ولدي ، ما تريد أن تصنع بهذا الهون ؟ قال : ندخله النار ونعمله سبائك ذهب . فضحك الأعجمي وقال له : يا ولدي ، هل أنت مجنون حتى تنزل السوق بسبيكتين في يوم واحد ؟ أما تعلم أن الناس ينكرون علينا وتروح أرواحنا ؟ ولكن يا ولدي إذا علمت هذه الصنعة لا تعملها في السنة إلا مرة واحدة ، فهي تكفيك من السنة إلى السنة . قال : صدقت يا سيدي . ثم إنه قعد في الدكان وركب البودقة ورمى الفحم في النار فقال له الأعجمي : يا ولدي ، ماذا تريد ؟ قال : علمني هذه الصنعة . فضحك الأعجمي وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أنت يا ابني قليل العقل ما تصلح لهذه الصنعة قط ، هل أحد في عمره

يتعلم هذه الصنعة على قارعة الطريق أو في الأسواق؟ فإن اشتغلنا بها في هذا المكان يقول الناس علينا: إن هؤلاء يصنعون الكيمياء. فتسمع بنا الحكام فتروح أرواحنا، فإن كنت يا ولدي تريد أن تتعلم هذه الصنعة فإذهب معي إلى بيتي. فقام حسن وأغلق الدكان وتوجه مع الأعجمي، فيبما هو في الطريق إذ تذكر قول أمه وحسب في نفسه ألف حساب ووقف وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية. فالتفت الأعجمي فرآه واقفاً فضحك وقال له: هل أنت مجنون؟ كيف أضمر لك في قلبي الخير وأنت تحسب أنني أضرك؟ ثم قال له الأعجمي: إن كنت خائفاً من ذهابك معي إلى بيتي فإنا أروح معك إلى بيتك وأعلمك هناك. فقال له حسن: نعم يا عم. فقال له: امش قدامي. فسار حسن قدامه إلى منزله وسار الأعجمي خلفه إلى أن وصل منزله، فدخل حسن إلى داره فوجد والدته فأعلمها بحضور الأعجمي معه والأعجمي واقف على الباب، ففرشت لهما البيت ورتبته فلما فرغت من أمرها راحت. ثم إن حسناً أذن للأعجمي أن يدخل فدخل. ثم إن حسناً أخذ في يده طبقاً وذهب به إلى السوق ليبيعه فيه بشيء يأكله، فخرج وجاء بأكل وأحضره بين يديه وقال له: كل يا سيدي لأجل أن يصير بيننا خبز وملح والله تعالى ينتقم ممن يخون الخبز والملح. فقال له: صدقت يا ولدي. ثم تبسم وقال: يا ولدي، من يعرف قدر الخبز والملح؟ ثم تقدم الأعجمي وأكل مع حسن حتى اكتفيا ثم قال له الأعجمي: يا ولدي يا حسن، هات لنا شيئاً من الحلوى. فمضى حسن إلى السوق وأحضر عشر قبات من الحلوى وفرح حسن بكلام الأعجمي. فلما قدم له الحلوى أكل منها وأكل معه حسن. ثم قال له الأعجمي جزاك الله خيراً يا ولدي، مثلك من يصاحبه الناس ويظهرونه على أسرارهم ويعلمونه ما ينفعه. ثم قال الأعجمي: يا حسن، أحضر العدة. فما صدق حسن بهذا الحديث وقد خرج مثل المهر إذا انطلق من الربيع حتى أتى إلى الدكان وأخذ العدة ورجع ووضعها بين يديه، فأخرج الأعجمي قرطاساً من الورق وقال: يا حسن، وحق الخبز والملح لولا أنت أعز من ولدي ما أطلعتك على هذه الصنعة وما بقي معي شيء من هذا الإكسير إلا هذا القرطاس، ولكن تأمل حين أركب العقاقير وأضعها قدامك. واعلم يا ولدي يا حسن أنك تضع على كل عشرة أرتال نحاساً نصف درهم من هذا الذي في الورقة فتصير العشرة أرتال ذهباً خالصاً إبيرياً. ثم قال له: يا ولدي يا حسن، إن في هذه الورقة ثلاثة أوراق بالوزن المصري وبعد أن يفرغ ما في هذه الورقة أعمل لك غيره. فأخذ حسن الورقة فرأى فيها شيئاً أصفر انعم من الأول فقال: يا سيدي، ما اسم هذا؟ وأين يوجد؟ وفي أي شيء يعمل؟ فضحك الأعجمي وطمع في حسن وقال له: عن أي شيء تسأل؟ إعمل وأنت ساكت. وأخرج طاسة من البيت وقطعها وألقاها في البودقة ورمى عليها قليلاً من الذي في الورقة فصارت سبيكة من الذهب الخالص، فلما رأى حسن ذلك فرح فرحاً شديداً وصار متحيراً في عقله مشغولاً بتلك السبيكة. فأخرج الأعجمي صرة من رأسه بسرعة وقطعها ووضعها في قطعة من الحلوى وقال له: يا حسن، أنت بقيت ولدي وصرت عندي أعز من روحي ومالي، وعندني بنت أزوجك بها. فقال حسن: أنا غلامك، ومهما فعلته معي كان عند الله تعالى. فقال الأعجمي: يا ولدي، طوّل بالك وصبر نفسك فيحصل لك الخير. ثم ناوله القطعة الحلوى فأخذها وقبّل يده ووضعها في فمه وهو لا يعلم ما له في الغيب، ثم بلع القطعة الحلوى فسبقت رأسه رجليه وغاب عن الدنيا. فلما رآه الأعجمي وقد حل به البلاء فرح

فقدته وكانت لا تفارق ذلك القبر . ولم يزل ذلك دأبها من حين فارقتها ولدها . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر ولدها حسن مع الأعجمي ، فإن الأعجمي كان مجوسياً وكان يبغض المسلمين كثيراً وكلما قدر على أحد من المسلمين يهلكه . وهو خبيث لثيم كيماوي كما قال فيه الشاعر : [من الطويل]

هُوَ الْكَلْبُ وَأَبْنُ الْكَلْبِ وَالْكَلْبُ جَدُّهُ وَلَا خَيْرَ فِي كَلْبٍ تَنَاسَلَ مِنْ كَلْبٍ

وكان إسم ذلك الملعون بهرام المجوسي ، وكان له في كل سنة واحد من المسلمين يأخذه ويذبحه على مطلب . فلما تمت حيلته على حسن الصايغ وسار به من أول النهار إلى الليل رست المركب على بر إلى الصباح ، فلما طلعت الشمس وسارت المركب أمر الأعجمي عبيده وغلمانه أن يحضروا له الصندوق الذي فيه حسن فأحضروه له ، ففتحه وأخرجه منه ونشقه بالخل ونفخ في أنفه ذروراً فعطس وتقايا البنج وفتح عينيه ونظر يميناً وشمالاً فوجد نفسه في وسط البحر والمركب سائرة والأعجمي قاعد عنده ، فعلم أنها حيلة عملت عليه قد عملها الملعون المجوسي وأنه وقع في الأمر الذي كانت أمه تحذره منه فقال كلمة لا يخجل قائلها وهي : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إن الله وإنا إليه راجعون ، اللهم اطفئ بي في قضائك وصبرني على بلائك يا رب العالمين . ثم التفت إلى الأعجمي وكلمه بكلام رقيق وقال له : يا والدي ، ما هذه الفعال ؟ وأين الخبز والملح واليمين التي حلفتها لي ؟ فنظر إليه وقال له : يا كلب ، هل مثلي يعرف خبزاً وملحاً ؟ وأنا قد قتلت مثلك ألف صبي إلا صيباً وأنت تمام الألف ، وصاح عليه فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما رأى نفسه وقع مع الأعجمي الملعون كلمه بكلام رقيق فلم يفده بل صاح عليه ، فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه . فعند ذلك أمر الملعون بحل كتافه ثم سقوه قليلاً من الماء والمجوسي يضحك ويقول : وحق النار والنور والظل والحرور ما كنت أظن أنك تقع في شبكتي ، ولكن النار قوتني عليك وأعانتني على قبضك حتى أقضي حاجتي وأرجع وأجعلك قرباناً لها حتى ترضى عني . فقال حسن : قد خنت الخبز والملح . فرفع المجوسي يده وضربه ضربة فوق وعرض الأرض بأسنانه وغشي عليه وجرت دموعه على خده . ثم أمر المجوسي أن يوقدوا له ناراً فقال له حسن : ما تصنع بها ؟ فقال له : هذه النار صاحبة النور والشرر وهي التي أعبدتها فإن كنت تعبدتها مثلي فأنا أعطيك نصف مالي وأزوجه بنتي . فصاح حسن عليه وقال له : ويلك ، إنما أنت مجوسي كافر تعبد النار دون الملك الجبار ، خالق الليل والنهار وما هذه إلا مصيبة في الأديان . فعند ذلك غضب المجوسي وقال : أما توافقني يا كلب العرب وتدخل في ديني ؟ فلم يوافق حسن على ذلك ، فقام المجوسي الملعون وسجد للنار وأمر غلमानه أن يرموا حسناً على وجهه ، فرموه على وجهه وصار المجوسي يضربه بسوط مطفور من جلد حتى شرح جوانبه وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجيره أحد . فرفع طرفه إلى الملك القهار وتوسل إليه بالنبي المختار وقد عدم الإصطبار وجرت دموعه على خديه كالامطار وأنشد هذين البيتين : [من الكامل]

فلما كانت الليلة
782
كانت الليلة

صَبْرًا لِحُكْمِكَ يَا إِلَهِي فِي الْقَضَا أَنَا صَابِرٌ إِنْ كَانَ فِي هَذَا رِضَى
جَارُوا عَلَيْنَا وَأَعْتَدُوا وَتَحَكَّمُوا فَعَسَاكَ بِالْإِحْسَانِ تَغْفِرُ مَا مَضَى

ثم إن المجوسي أمر العبيد أن يقعدوه وأمر أن يأتوا إليه بشيء من المأكول والمشروب، فأحضره فلم يرض أن يأكل ولا يشرب. وصار المجوسي يعذبه ليلاً ونهاراً مسافة الطريق وهو صابر ويتضرع إلى الله عز وجل وقد قسى قلب المجوسي عليه، ولم يزالوا سائرين في البحر مدة ثلاثة أشهر وحسن معه في العذاب. فلما كملت الثلاثة أشهر أرسل الله تعالى على المركب ريحاً، فاسود البحر وهاج بالمركب من كثرة الريح. فقال الريس والبحرية: هذا والله كله ذنب هذا الصبي الذي له ثلاثة أشهر في العقوبة مع هذا المجوسي وهذا ما يحل من الله تعالى، ثم إنهم قاموا على المجوسي وقتلوا غلماناً وكل من معه. فلما رأهم المجوسي قتلوا الغلمان أيقن بالهلاك وخاف على نفسه وحل حسناً من كتافه وقلعه ما كان عليه من الثياب الرثة والبس غير ما وصالحه ووعد أن يعلمه الصنعة ويرده إلى بلده وقال له: يا ولدي، لا تؤاخذني بما فعلت معك. فقال له حسن: كيف بقيت أركن إليك؟ فقال له: يا ولدي، لولا الذنب ما كانت المغفرة وأنا ما فعلت معك هذه الفعال إلا لأجل أن أنظر صبرك وأنت تعلم أن الأمر كله بيد الله. ففرحت البحرية والريس بخلاصه، ودعا لهم حسن وحمد الله تعالى وشكره فسكتت الرياح وانكشفت الظلمة وطاب الريح والسفر. ثم إن حسناً قال للمجوسي: يا أعجمي، إلى أين تتوجه؟ قال: يا ولدي، أتوجه إلى جبل السحاب الذي فيه الأكسير الذي نعمله كيميائياً. وحلف له المجوسي بالنار والنور أنه ما بقي لحسن عنده ما يخيفه. فطاب قلب حسن وفرح بكلام المجوسي وصار يأكل معه ويشرب وينام ويلبسه من ملبوسه، ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثة أشهر آخر. وبعد ذلك رست المركب على بر طويل كله حصى أبيض وأصفر وأزرق وأسود وغير ذلك من جميع الألوان. فلما رست المركب نهض الأعجمي قائماً وقال: يا حسن، قم اطلع فإننا قد وصلنا إلى مطلوبنا ومرادنا. فقام حسن وطلع مع الأعجمي وأوصى المجوسي الريس على مصالحه ثم مشى حسن مع المجوسي إلى أن بعدا عن المركب وغابا عن العين. ثم قعد المجوسي وأخرج من جيبه طبلاً نحاساً وزخمة من حرير منقوشة بالذهب وعليها طلاس و ضرب الطبل، فلما فرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية. فتعجب حسن من فعله وخاف منه وندم على طلوعه معه وتغير لونه فنظر إليه المجوسي وقال له: ما لك يا ولدي؟ وحق النار والنور ما بقي عليك خوف مني، ولولا أن حاجتي ما تقضى إلا على اسمك ما كنت طلعتك من المركب. فابشر بكل خير، وهذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الأعجمي قال: إن هذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها. فما كان إلا قليل حتى انكشفت الغبرة عن ثلاث نجائب: فركب الأعجمي واحدة وركب حسن واحدة وحملا زادهما على الثالثة وسارا سبعة أيام، ثم انتهيا إلى أرض واسعة. فلما نزلا في تلك الأرض نظرا إلى قبة معقودة على أربعة أعمدة من الذهب الأحمر، فنزلا من فوق النجائب ودخلا تحت القبة وأكلا وشربا واستراحا. فلاحت التفاتة من حسن فرأى شيئاً عالياً فقال له حسن: ما هذا يا عم؟ فقال

فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ
وَجَاءَ الْغَمَامُ
وَالرَّيْسُ وَالْمَجُوسِيُّ
وَالصَّبِيُّ
وَالرَّيْسُ وَالْمَجُوسِيُّ
وَالصَّبِيُّ
783
عَلَى
الْبَرِّ
وَالرَّيْسُ وَالْمَجُوسِيُّ
وَالصَّبِيُّ

المجوسي : هذا قصر . فقال له حسن : أما تقوم ندخله لنستريح فيه ونتفرج عليه ؟ فذهب المجوسي وقال له : لا تذكر لي هذا القصر فإن فيه عدوي ووقعت لي حكاية ليس هذا وقت إخبارك بها ، ثم دق الطبل فأقبلت النجائب فركبا وسارا سبعة أيام . فلما كان اليوم الثامن قال المجوسي : يا حسن ، ما الذي تنظره ؟ فقال حسن : انظر سحابة وغماماً بين المشرق والمغرب . فقال له المجوسي : ما هذا سحاب ولا غمام وإنما هو جبل عظيم شاهق ينقسم عليه السحاب وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوه وعظم ارتفاعه ، وهذا الجبل هو المقصود لي وفوقه حاجتنا ولأجل هذا جئت بك معي وحاجتي تقضى على يديك . فعند ذلك يش حسن من الحياة ثم قال للمجوسي : بحق معبودك وبحق ما تعتقده من دينك أي شيء الحاجة التي جئت بي من أجلها ؟ فقال له : إن صنعة الكيمياء لا تصلح إلا بحشيش ينبت في المحل الذي يمر به السحاب وينقطع عليه ، وهو هذا الجبل والحشيش فوقه فإذا حصلنا الحشيش أريك أي شيء هذه الصنعة . فقال له حسن من خوفه : نعم يا سيدي . وقد يش من الحياة وبكى لفراق أمه وأهله ووطنه وندم على مخالفته أمه وأنشد هذين البيتين : [من الوافر]

تَأْمَلْ صُنْعَ رَبِّكَ كَيْفَ تَأْتِي لَكَ السَّرَّاءُ مَعَ فَرَجٍ قَرِيبٍ
وَلَا تَيَأَسْ إِذَا مَا نِلْتَ خَطْبًا فَكَمْ فِي الْخَطْبِ مِنْ لُطْفٍ عَجِيبٍ

ولم يزا سائرين إلى أن وصلا إلى ذلك الجبل ووفقا تحته ، فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصرأ فقال للمجوسي : ما هذا القصر ؟ فقال المجوسي : هذا مسكن الجان والغيلان والشياطين . ثم إن المجوسي نزل من فوق نجبيه وأمره بالنزول وقام إليه وقبل رأسه وقال : لا تؤأخذني بما فعلته معك فانا أحفظك عند طلوعك القصر وينبغي أنك لا تخونني في شيء من الذي تحضره منه وأكون أنا وأنت فيه سواء . فقال له : السمع والطاعة . ثم إن الأعجمي فتح جراباً وأخرج منه طاحوناً وأخرج منه أيضاً مقداراً من القمح وطحنه على تلك الطاحون وعجن منه ثلاثة أقراص وأوقد النار وخبز الأقراص ، ثم أخرج الطبل النحاس والزخمة المنقوشة ودق الطبل فحضرت النجائب ، فاختار منها نجيباً وذبحه وسلخ جلده ثم التفت إلى حسن وقال له : إسمع يا ولدي يا حسن ما أوصيك به . قال : نعم . قال : أدخل في هذا الجلد وأخيط عليك وأطرحك على الأرض فتأتي طيور الرخم فتحملك وتطير بك إلى أعلى الجبل وتخذه هذه السكين معك ، فإذا فرغت من طيرانها وعرفت أنها حطت فوقه فشق بها الجلد وأخرج فإن الطير يخاف منك ويطير عنك ، وظل لي من فوق الجبل وكلمني حتى أخبرك بالذي تعمله . ثم هيا له الثلاثة أقراص وركوة فيها ماء وحطها معه في الجلد وبعد ذلك خيطه عليه ثم بعد عنه ، فجاء طير الرخم حمله وطار به إلى أعلى الجبل ووضعها هناك . فلما عرف حسن أن الرخم وضعه على الجبل ، شق الجلد وأخرج منه وكلم المجوسي . فلما سمع المجوسي كلامه فرح وورقص من شدة الفرح وقال له : إمض إلى ورائك ومهما رأيتة فاعلمني به . فمضى حسن فرأى رماً كثيرة وعندهم حطب كثير فأخبره بجميع ما رآه . فقال : هذا هو المقصود والمطلوب ، فخذ من الحطب ست حزم وارمها لي فإنها هي التي نعملها كيمياء . فرمى له الست حزم . فلما رأى المجوسي تلك الحزم قد وصلت عنده قال لحسن : يا علق ، قد انقضت الحاجة التي أردتها منك وإن شئت فدم على هذا الجبل أو الق

نفسك على الأرض حتى تهلك ثم مضى المجوسي . فقال حسن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قد مكربني هذا الكلب . ثم قعد ينوح على نفسه وأنشد هذه الأبيات : [من الرجز]

إذا أرادَ اللهُ أمراً بامرئٍ وكانَ ذا عقلٍ وسَمْعٍ وبَصَرٍ
أصمَّ أدتِيه وأعمى قلبه وسلَّ منه عقله سلَّ الشَّعرِ
حتى إذا أنفذَ فيه حكمه ردَّ إليه عقله ليَعتبرِ
فلا تَقُلْ فيما جرى كيف جرى فكلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرِ

وأدرک شهرزاد الصباح فسکتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن المجوسي لما طلع حسن الجبل ورمى له حاجته من فوقه وبخه ثم تركه وسار . فقال حسن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قد مكربني هذا الكلب الملعون . ثم إنه وقف على قدميه والتفت يمينا وشمالاً ثم مضى فوق الجبل وأيقن في نفسه بالموت، وصار يتمشى حتى وصل إلى الطرف الآخر من الجبل فرأى بجانب الجبل بحر أزرق متلاطم الأمواج قد أزيد، وكل موجة منه كالجبل العظيم . فقعد وقرأ ما تيسر من القرآن وسأل الله تعالى أن يهون عليه، إما بالموت وإما بالخلاص من هذه الشدائد . ثم صلى على نفسه صلاة الجنائز ورمى نفسه في البحر، فحملته الأمواج على سلامة الله تعالى إلى أن طلع من البحر سالماً بقدره الله تعالى . ففرح وحمد الله تعالى وشكره ثم قام يمشي ويفتش على شيء يأكله . فبينما هو كذلك وإذا هو بالمكان الذي كان فيه هو وبهرام المجوسي ، ثم مشى ساعة فإذا هو بقصر عظيم شاهق في الهواء فدخله ، فإذا هو القصر الذي كان سأل عنه المجوسي وقال له : إن هذا القصر فيه عدوي . فقال حسن : والله لا بد من دخولي هذا القصر لعل الفرج يحصل لي فيه . فلما جاءه رأى بابه مفتوحاً ، فدخل من الباب فرأى مصطبة في الدهليز وعلى المصطبة بنتان كالقمرين بين أيديهما رقعة شطرنج وهما يلعبان . فرفعت واحدة منهما رأسها إليه وصاحت من فرحتها وقالت : والله إن هذا آدمي وأظنه الذي جاء به بهرام المجوسي في هذه السنة . فلما سمع حسن كلامهما رمى نفسه بين أيديهما وبكى بكاء شديداً . وقال : يا سيداتي ، هو أنا ذلك المسكين . فقالت البنت الصغرى لأختها الكبرى : إشهدني علي يا اختي أن هذا أخي في عهد الله وميثاقه وإني أموت لموته وأحیی لحياته وأفرح لفرحه وأحزن لحزنه . ثم قامت له وعانقته وقبلته وأخذته من يده ودخلت به القصر وأختها معها وقلعته ما كان عليه من الثياب الرثة وأتت له ببذلة من ملابس الملوك والبسته إياها وهيأت له الطعام من سائر الألوان وقدمته له وقعدت هي وأختها وأكلتا معه وقالتا له : حدثنا بحدثك مع الكلب الفاجر الساحر من حين وقعت في يده إلى حين خلصت منه ، ونحن نحدثك بما جرى لنا معه من أول الأمر إلى آخره حتى تصير على حذر إذا رأته . فلما سمع حسن منهما هذا الكلام ورأى الإقبال منهما عليه اطمأن نفسه ورجع له عقله وصار يحدثهما بما جرى له معه من الأول إلى الآخر . فقالتا له : هل سألته عن هذا القصر؟ قال : نعم سألته فقال لي : لا أحب سيرته فإن هذا القصر للشياطين والابالسة . فغضبت البنتان غضباً شديداً وقالتا : هل جعلنا هذا الكافر شياطين

فلما كانت الليلة
784
الليلة

وإبالسة؟ فقال لهما حسن: نعم. فقالت الصغيرة أخت حسن: والله لأقتلنه أقبح قتلة وأعدمنه نسيم الدنيا. فقال حسن: وكيف تصلين إليه وتقتلينه؟ قالت: هو في بستان يسمى المشيد ولا بد لي عن قتله قريباً. فقالت لها اختها: صدق حسن وكل ما قاله عن هذا الكلب صحيح، ولكن حديثه بحديثنا كله حتى يبقى في ذهنه. فقالت البنت الصغيرة: أعلم يا أخي أننا من بنات الملوك وأبونا ملك من ملوك الجان العظام الشأن وله جنود وأعوان وخدم من المردة، ورزقه الله تعالى بسبع بنات من امرأة واحدة، ولحقه من الحماقة والغيرة وعزة النفس ما لا مزيد عليه حتى أنه لم يزوجنا لأحد من الرجال. ثم إنه أحضر وزراه وأصحابه وقال لهم: هل أنتم تعرفون لي مكاناً لا يطرقة طارق لا من الإنس ولا من الجن ويكون كثير الأشجار والأثمار والأنهار؟ فقالوا له: ما الذي تصنع به يا ملك الزمان؟ فقال: أريد أن أجعل فيه بناتي السبعة. فقالوا له: يا ملك، يصلح لهن قصر جبل السحاب الذي كان أنشأه عفريت من الجن المردة الذين تمردوا على عهد سليمان عليه السلام، فلما هلك لم يسكنه أحد بعده لا من الجن ولا من الإنس لأنه منقطع لا يصل إليه أحد، وحوله الأشجار والأثمار والأنهار، وحوله ماء جار أحلى من الشهد وأبرد من الثلج، ما شرب منه أحد به برص أو جذام أو غيرهما إلا عوفي من وقته وساعته. فلما سمع والدنا بذلك، أرسلنا إلى هذا القصر وأرسل معنا العساكر والجنود وجمع لنا ما نحتاج فيه إليه. وكان إذا أراد الركوب يضرب الطبل فيحضر له جميع الجنود، فيختار ما يركبه منهم وينصرف الباقون. فإذا أراد والدنا أننا نحضر عنده، أمر أتباعه من السحرة بإحضارنا فيأتوننا ويأخذوننا ويوصلوننا بين يديه حتى يأتس بنا ونقضي أغراضنا منه ثم يرجعوننا إلى مكاننا. ونحن لنا خمس أخوات ذهبن يتصيدن في هذه الفلاة فإن فيها من الوحوش ما لا يعد ولا يحصى، وكل اثنتين مناهما نوبة في القعود لتسوية الطعام، فجاءت النوبة علينا أنا وأختي هذه فقعدنا لنسوي لهن الطعام. وكنا نسال الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا شخصاً آدمياً يؤانسنا فالحمد لله الذي أوصلك إلينا، فطب نفساً وقرّ عيناً ما عليك بأس. ففرح حسن وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى طريق الخلاص وحتن علينا القلوب. ثم قامت وأخذته من يده وأدخلته مقصورة وأخرجت منها من القماش والفرش ما لا يقدر عليه وأحد من المخلوقات. ثم بعد ساعة حضر أخواتهما من الصيد والقصص فأخبرتاها بحديث حسن، ففرحن به ودخلن عليه في المقصورة وسلمن عليه وهنئنه بالسلامة. ثم أقام عندهن في أطيب عيش وأهني سرور، وصار يخرج معهن إلى الصيد والقصص ويذبح الصيد واستانس حسن بهن. ولم يزل معهن على هذه الحالة حتى صح جسده وبريء من الذي كان به وقوي جسمه وغلظ سمن بسبب ما هو فيه من الكرامة وعوده عندهن في ذلك الموضع، وهو يتفرج ويتفسح معهن في ذلك القصر المزخرف وفي جميع البساتين والأزهار، وهن يأخذن بخاطره ويؤانسنه بالكلام. وقد زالت عنه الوحشة وزادت البنات به فرحاً وسروراً وكذلك هو فرح بهن أكثر مما فرحن به. ثم إن أخته الصغيرة حدثت أخواتها بحديث بهرام الجوسي وإنه جعلهن شياطين وإبالسة وغيلاناً، فحلفن لها أنه لا بد من قتله. فلما كان العام الثاني، حضر الملعون ومعه شاب مليح مسلم كأنه القمر وهو مقيد بقيد ومعذب غاية العذاب. فنزل به تحت القصر الذي دخل فيه حسن على البنات وكان حسن جالساً على النهر تحت الأشجار، فلما رآه حسن خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت

الروح والهيء وإقامة شهرين . فقامت البنات ودخلن القصر على حسن واعلمنه بالحال وقلن له : إن هذا الموضع موضعك وبيتنا بيتك فطب نفساً وقر عيناً ولا تخف ولا تحزن فإنه لا أحد يقدر أن يجيء إلينا في هذا المكان ، فكن مطمئن القلب منشرح الخاطر حتى نحضر إليك وهذه مفاتيح مقاصيرنا معك ، ولكن يا أخانا نسالك بحق الأخوة أنك لا تفتح هذا الباب فإنه ليس لك بفتحها حاجة . ثم إنهن ودَّعنه وانصرفن صحبة العساكر وقعد حسن في القصر وحده ، ثم انه قد ضاق صدره وفرغ صبره وزاد كربه واستوحش وحزن لفراقهن حزناً عظيماً وضاق عليه القصر مع اتساعه . فلما رأى نفسه وحيداً مستوحشاً تذكرهن وأنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

ضَاقَ الْفَضَاءُ جَمِيعُهُ فِي نَاطِرِي وَتَكَدَّرَتْ مِنْهُ جَمِيعُ خَوَاطِرِي
مُدَّ سَارَتِ الْأَحْيَابِ صَفْوِي بَعْدَهُمْ كَدَّرُ وَدَمَعِي فَائِضٌ بِمَحَاجِرِي
وَالنُّومُ فَارِقَ مَقَلَّتِي لِفِرَاقِهِمْ وَتَكَدَّرَتْ مِنِّي جَمِيعُ سَرَائِرِي
أَتَرَى الزَّمَانَ يَعُودُ يَجْمَعُ شَمَلْنَا وَيَعُودُ لِي إِلْفِي بِهِمْ وَمُسَامِرِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً بعد ذهاب البنات من عنده ، قعد في القصر وحده فضاق صدره من أجل فراقهن . ثم إنه صار يذهب وحده إلى الصيد في البراري فيأتي به ويذبحه ويأكل وحده . وزادت به الوحشة والقلق من انفراده ، فقام ودار في القصر وفتش جميع جهاته وفتح مقاصير البنات فرأى فيها من الأموال ما يذهب

فلما كانت الليلة
786
كانت الليلة

عقول الناظرين ، وهو لا يلتذ بشيء من ذلك بسبب غيبتهن . والتهبت في قلبه النار من أجل الباب الذي أوصته أخته بعدم فتحه وأمرته أنه لا يقربه ولا يفتحه أبداً . فقال في نفسه : ما أوصتني أختي بعدم فتح هذا الباب إلا لكونه فيه شيء تريد أن لا يطلع عليه أحد ، والله إنني لأقوم وأفتحه وأنظر ما فيه ولو كان فيه المنية . فأخذ المفتاح وفتحه فلم ير فيه شيئاً من المال ، ولكنه رأى سلماً في صدر المكان معقوداً بحجر من جزع يمانى . فرقى على ذلك السلم وصعد إلى أن وصل إلى سطح القصر . فقال في نفسه : هذا الذي منعتني عنه . ودار فوفقه فأشرف على مكان تحت القصر مملوء بالمزارع والبساتين والأشجار والأزهار والوحوش والطيور وهي تغرد وتسبح الله الواحد القهار ، وصار يتأمل في تلك المنتزهات فرأى بحراً عجاجاً متلاطماً بالأمواج . ولم يزل دائراً حول ذلك القصر يميناً وشمالاً حتى انتهى إلى قصر على أربعة أعمدة فرأى فيه مقعداً منقوشاً بسائر الأحجار التي كالياقوت والزمرد والبلخش وأصناف الجواهر ، وهو مبني طوبة من ذهب وطوبة من فضة وطوبة من ياقوت وطوبة من زمرد أخضر ، وفي وسط ذلك القصر بحيرة ملآنة بالماء وعليها مكعب من الصندل وعود الند وهو مشبك بقضبان الذهب الأحمر والزمرد الأخضر ومزركش بأنواع الجواهر واللؤلؤ التي كل حبة منه قدر بيضة الحمامة ، وعلى جانب البحيرة تخت من العود الند مرصع بالدر والجوهر ، مشبك بالذهب الأحمر وفيه من سائر الفصوص الملونة والمعادن النفيسة وهي في الترصيع يقابل بعضها بعضاً ، وحوله الأطيوار تغرد بلغات مختلفة وتسبح الله تعالى بحسن أصواتها واختلاف لغاتها ، وهذا القصر لم يملك مثله

كسرى ولا قيصر . فاندھش حسن لما رأى ذلك وجلس فيه ينظر ما حوله . فبينما هو جالس فيه وهو يتعجب من حسن صنعته ومن بهجة ما حواه من الدر والياقوت وما فيه من سائر الصناعات ومتعجب أيضاً من تلك المزارع والأطيار التي تسبح الله الواحد القهار ويتأمل في آثار من قدرة الله تعالى على عمارة هذا القصر فإنه عظيم الشأن ، وإذا هو بعشرة طيور قد أقبلوا من جهة البر وهم يقصدون ذلك القصر وتلك البحيرة . فعرف حسن أنهم يقصدون البحيرة ليشربوا من مائها ، فاستتر منهم خوفاً أن ينظروه فيفروا منه . ثم إنهم نزلوا على شجرة عظيمة مليحة وداروا حولها ونظر منهم طيراً عظيماً مليحاً وهو أحسن ما فيهم والبقية محتاطون به وهم في خدمته . فتعجب حسن من ذلك وصار ذلك الطير ينقر التسعة بمنقاره ويتعاطم عليهم وهم يهربون منه وحسن واقف يتفرّج عليهم من بعيد . ثم إنهم جلسوا على السرير وشقّ كل طير منهم جلده بمخاليبه وخرج منه فإذا هو ثوب من ريش وقد خرج من الثياب عشر بنات أبنكار يفضحن بحسنهن بهجة الأعمار . فلما تعرّين من ثيابهن نزلن كلهن في البحيرة واغتسلن وصرن يلعبن ويتمازحن ، وصارت الطيرة الفائقة عليهن ترميهن وتغطسهن فهربن منها ولم يقدرن أن يمددن أيديهن إليها . فلما نظرها حسن غاب عن صوابه وسلب عقله وعرف أن البنات ما نهينه عن فتح هذا الباب إلا لهذا السبب ، فشغف حسن بها حباً لما رأى من حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها ، وهي في لعب ومزاح ومراشة بالماء وحسن واقف ينظر إليهن ويتحسّر حيث لم يكن معهن . وقد حار عقله من حسن الجارية الصغيرة وتعلّق قلبه بشرك محبتها ووقع في شرك هواها والعين ناظرة وفي القلب نار محرقة والنفس أمارة بالسوء ، فبكى حسن شوقاً لحسنها وجمالها وانطلقت في قلبه النيران من أجلها وزاد به لهيب لا يطفىء شرره وغرام لا يخفى أثره . ثم بعد ذلك طلعت البنات من تلك البحيرة وحسن واقف ينظر إليهن وهن لا ينظرنه وهو يتعجب من حسنهن وجمالهن ولطف معانيهن وظرف شمائلهن ، فحانت منه التفاتة فنظر حسن إلى الجارية الكبيرة وهي عريانة فبان له ما بين فخذيها وهو قبة عظيمة مدورة بأربعة أركان كأنه طاسة من فضة أو من بلور . يذكر قول الشاعر : [من الطويل]

وَلَمَّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كَسْهَا وَجَدْتُ بِهِ ضَيْقًا كَخَلْفِي وَأَرْزَاقِي
فَأَوْلَجْتُ فِيهَا نِصْفَهُ فَتَنَهَّدْتُ فَقُلْتُ: لِمَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: عَلَى الْبَاقِي

فلما خرجن من الماء لبست كل واحدة ثيابها وحليها ، وأما الجارية الكبيرة فإنها لبست حلة خضراء ففاقت بجمالها ملاح الآفاق وزهت ببهجة وجهها على بدور الإشراق وفاقت على الغصون بحسن الثني واذهلت العقول بوهم التجني . وهي كما قال الشاعر : [من المتقارب]

وَجَارِيَةٍ فِي نَشَاطٍ بَدَتْ تَرَى الشَّمْسَ مِنْ خَدِّهَا مُسْتَعَارَةً
أَتَتْ فِي قَمِيصٍ لَهَا أَخْضَرَ كَخُضْرِ الغُصُونِ عَلَى جِلْنَارَةٍ
فَقُلْتُ لَهَا: مَا أَسْمُ هَذَا اللَّبَاسِ؟ فَقَالَتْ: كَلَامًا مَلِيحَ العِبَارَةِ
شَقَقْنَا مَرَائِرَ أَحْبَابِنَا فَفَاحَ نَسِيمٌ يَشُقُّ المَرَارَةَ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما رأى البنات قد خرجن من البحيرة والكبيرة فيهن أخذت عقله بحسناها وجمالها أنشد تلك الأبيات . ثم إن البنات لما لبسن ثيابهن جلسن يتحدثن ويتصاحكن وحسن واقف ينظر إليهن وهو غريق في بحر عشقه وتائه في فكره وهو يقول في نفسه : والله ما قالت لي أختي لا تفتح هذا الباب إلا من شان هؤلاء البنات وخوفاً من أن أتعلق بإحداهن . ثم إنه صار ينظر في محاسن هذه الجارية وكانت أجمل ما خلق الله في وقتها وقد فاقت بحسناها جميع البشر، لها فم كأنه خاتم سليمان، وشعر أسود من ليل الصدود على الكئيب الولهان، وغرة كهلال عيد رمضان، وعيون تحاكي عيون الغزلان، وأنف أقتى كثير اللمعان، وخدان كأنهما شقائق النعمان، وشفتان كأنهما مرجان وأسنان كأنها لؤلؤ منظوم في قلائد العقيان، وعنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان، وبطن طيات وأركان يبتهل فيه العاشق الولهان وسرة تسع أوقية مسك طيب الأردان، وأفخاذ غلاظ سمان كأنها عواميد رخام أو مخدتين محشوتين من ريش النعام وبينهما شيء كأنه أعظم العقبان أو أرنب مقطوش الأذان وله سطوح وأركان . وهذه الصبية فاقت بحسناها وقدّها على غصون البان وعلى قضيب الخيزران . وهي كما قال الشاعر الولهان : [من الطويل]

وَحَوْدَاءَ أَضْحَى رَيْفُهَا حَاكِي الشَّهْدِ	لَهَا مُقَلَّةٌ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الْهِنْدِيِّ
وَتُخَجِّلُ غُصْنَ الْبَانَ مِنْ حَرَكَاتِهَا	إِذَا ابْتَسَمَتْ فَالْبَرْقُ مِنْ تُغْرِهَا تُبْدِي
وَقَايَسْتُ بِالْوَرْدِ الْمُصَفَّفِ خَدَّهَا	فَصَدَّتْ وَقَالَتْ مَنْ يَقَايِسُ بِالْوَرْدِ
وَشَبَّهَ بِالرُّمَّانِ نَهْدِي فَمَا اسْتَحَى	وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمَّانِ غُصْنٌ حَوَى نَهْدِي
وَحَقٌّ جَمَالِي وَالْعَيُونِ وَمُهَجَّتِي	وَجَنَّةٍ وَصَلِي وَالتَّسْنَهُدِ فِي الصَّدْرِ
لَيْنٌ عَادَ لِلتَّشْبِيهِ حَقًّا حَرَمَتُهُ	لَذِيذٍ وَصَالِي ثُمَّ أَقْلِبُهُ بِالصَّدِّ
يَقُولُونَ فِي الْبُسْتَانِ وَرْدٌ مُصَفَّفٌ	وَمَا وَرَدُهُ خَدِّي وَلَا غُصْنُهُ قَدِّي
إِذَا كَانَ مِنْبُلِي فِي الْبَسَاتِينِ عِنْدَهُ	فَمَاذَا الَّذِي قَدْ جَاءَ يَطْلُبُهُ عِنْدِي

ثم إن البنات لم يزلن في ضحك ولعب وهو واقف على قدميه ينظر إليهن ونسي الأكل والشرب إلى أن قرب العصر . فقالت الصبية لصواحبها : يا بنات الملوك، إن الوقت أمسى علينا وبلادنا بعيدة ونحن قد سئمنا المقام هنا فقمين لنروح محلنا . فقامت كل واحدة منهن ولبست ثوبها الريش ، فلما اندرجن في ثيابهن صرن طيوراً كما كن أولاً وطرن كلهن سوية وتلك الصبية في وسطهن . فيئس حسن منهن وأراد أن يقوم وينزل فلم يقدر أن يقوم وصار دمه يجري على خده . ثم اشتد به الغرام فأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

حُرِمْتُ وَفَاءَ الْعَهْدِ إِنْ كُنْتُ بَعْدَكُمْ	عَرَفْتُ لَذِيذَ النَّوْمِ كَيْفَ يَكُونُ
وَلَا أُغْمِضْتُ عَيْنَايَ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ	وَلَا لَدَّ لِي بَعْدَ الرَّحِيلِ سُكُونُ
يُخَيِّلُ لِي فِي النَّوْمِ أَنِّي أَرَاكُمْ	فَيَا لَيْتَ أَحْلَامَ الْمَنَامِ يَقِينُ
وَإِنِّي لَأَهْوَى النَّوْمَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ	لَعَلَّ لِقَاكُمْ فِي الْمَنَامِ يَكُونُ

ثم إن حسناً مشى قليلاً وهو لا يهتدي إلى الطريق حتى نزل إلى أسفل القصر، ولم يزل يزحف إلى أن وصل إلى باب المخدع، فدخل وأغلقه عليه واضطجع عليه لا يأكل ولا يشرب وهو غريق في بحر أفكاره فبكى وناح نفسه إلى الصباح. فلما أصبح الصباح أنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

فَطَارَتْ طَيُورٌ بِالْعِشَاءِ وَصَاحُوا
أَسِرُّ حَدِيثِ الْعَشَقِ مَا أَمَكْنَ الْبَقَا
سَرَى طَيْفٌ مَن يَحْكِي بِطَلْعَتِهِ الضُّحَى
أَنُوحٌ عَلَيْهِمْ وَالْحَلِيلُونَ نُومٌ
سَمَحَتْ بِدَمْعِي ثُمَّ مَالِي وَمُهْجَتِي
وَأَقْبَحُ أَنْوَاعِ الْمَكَارِهِ وَالْأَذَى
يَقُولُونَ وَصَلُ الْغَانِيَاتِ مُحَرَّمٌ
وَمَا حِيلَةُ الْمُضْنَى سِوَى بَدَلِ نَفْسِهِ
أَصْبَحُ أَشْتِيَاقًا لِلْحَبِيبِ وَلَوْعَةً
وَمَنْ مَاتَ وَجَدًا مَا عَلَيْهِ جُنَاحٌ
وَإِنْ غَلَبَ الشَّوْقُ الشَّدِيدُ يَبَاحٌ
وَلَيْسَ لِلَّيْلِ فِي الْغَرَامِ صَبَاحٌ
وَقَدْ لَعِبَتْ بِي فِي الْغَرَامِ رِيَّاحٌ
وَعَقْلِي وَرُوحِي وَالسَّمَاحُ رَبَّاحٌ
إِذَا كَانَ مِنْ عِنْدِ الْمَلَّاحِ كِفَاحٌ
وَسَفْكَ دِمَاءَ الْعَاشِقِينَ مَبَاحٌ
يَجُودُ بِهَا، هَلْ فِي الْغَرَامِ مُرَاحٌ
وَعَايَةُ جَهْدِ الْمُسْتَهَامِ نُوَاحٌ

فلما طلعت الشمس فتح باب المخدع وطلع إلى المكان الذي كان فيه أولاً وجلس في مكان قبل المنطرة إلى أن أقبل الليل فلم يحضر أحد من الطيور وهو جالس في انتظارهم، فبكى بكاء شديداً حتى غشي عليه ووقع على الأرض مطروحاً، فلما أفاق من غشيته زحف ونزل إلى أسفل القصر وقد أقبل الليل وضاعت عليه الدنيا بأسرها. وما زال يبكي وينوح على نفسه طول ليله إلى أن أتى الصباح وطلعت الشمس على الروابي والبطاح وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقرله قرار، وفي نهاره حيران وفي ليله سهران مدهوش سكران من الفكر الذي هو فيه ومن شدة الغرام. وأنشد قول الشاعر الولهان: [من الطويل]

أَمْحُجِلَةَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةَ فِي الضُّحَى
تُرَى تَسْمَحُ الْأَيَّامُ مِنْكَ بِعُودَةٍ
وَيَجْمَعُنَا عِنْدَ الْلِقَاءِ تَعَانِقٌ
فَمَنْ قَالَ إِنَّ الْحُبَّ فِيهِ حَلَاوَةٌ
وفاضحة الأغصان من حيث لا تدري
وتخمد نيراناً توقد في صدري
وخدك في خدي ونحرك في تحري
ففي الحب أيام أمر من الصبر
وإدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 788
□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً الصايغ لما زاد عشقه أنشد الأشعار وهو في القصر وحده ولم يجد من يؤانسه. فبينما هو في شدة ولهه وإذا هو بغبرة قد طلعت من البر، فقام يجري إلى أسفل واختفى وعرف أن أصحاب القصر قد أتوا. فلم يكن غير ساعة إلا والعسكر قد نزلوا وداروا بالقصر، ونزلت السبع بنات ودخلن القصر فزعن سلاحهن وما كان عليهن من آلات الحرب. وأما البنت الصغيرة أخته فإنها لم تنزع ما عليها من آلة الحرب بل جاءت إلى مقصورة حسن فلم تره، ففتشت عليه فوجدته في مخدع من المخدع

وهو ضعيف نحيل قد كل جسمه ورق عظمه واصفر لونه وغابت عيناه في وجهه من قلة الاكل والشرب ومن كثرة الدموع بسبب تعلقه بالصبية وعشقه لها . فلما رآته اخته الجنية على هذه الحالة اندهشت وغاب عنها عقلها فسألته عن حاله وما هو فيه وأي شيء أصابه وقالت له : أخبرني يا أخي حتى أتحيل لك في كشف ضرك وأكون فدائك . فبكى بكاء شديداً وأنشد يقول :
[من الطويل]

مُحِبٌّ إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ حَبِيبُهُ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الْكَأَبُ وَالضَّرُّ
فَبَاطِنُهُ سَقَمٌ وَظَاهِرُهُ جَوَى وَأَوَّلُهُ ذِكْرٌ وَآخِرُهُ فِكْرٌ

فلما سمعت اخته منه ذلك تعجبت من فصاحته ومن بلاغة قوله ومن حسن لفظه ومجاوبته لها بالشعر فقالت له : يا أخي ، متى وقعت في هذا الامر الذي أنت فيه ؟ ومتى حصل لك ؟ فإني أراك تتكلم بالأشعار وترخي الدموع الغزار ، فبالله عليك يا أخي وحرمة الحب الذي بيننا أن تخبرني بحالك وتطلعني على سرِّك ولا تخف مني شيئاً مما جرى لك في غيابنا ، فإنه قد ضاق صدري وتكدَّر عيشي بسببك . فتنهَّد وارخى الدموع مثل المطر وقال : أخاف يا اختي إذا أخبرتك أنك لم تساعدني على مطلوبي وتركيني أموت كمدماً بغصتي . فقالت : لا والله يا أخي ما أتخلى عنك ولو كانت روحي تروح . فحدثها بما جرى له وما عينه حين فتح الباب وأخبرها أن سبب الضرر والبلاء عشق الصبية التي رآها ومحبه لها وأن له عشرة أيام لم يستطع بطعام ولا شراب . ثم إنه بكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين : [من الكامل]

رُدُّوا الْفُؤَادَ وَالْهَنَاءَ إِلَى الْحَشَى وَالْمُقَلَّتَيْنِ إِلَى الْكَرَى ثُمَّ أَهْجُرُوا
أَزَعَمْتُمْ أَنَّ اللَّيَالِي غَيْرَتْ عَهْدَ الْهَوَى ، لَا كَانَ مِنْ يَتَغَيَّرُ

فبكت اخته لبكائه ورقَّت لحاله ورحمت غربته ثم قالت له : يا أخي ، طب نفساً وقر عيناً فإنا أخاطر بنفسي معك وأبذل روحي في رضائك وأدبر لك حيلة ولو كان فيها ذهاب نفائسي ونفسي حتى أقضي غرضك إن شاء الله تعالى ، ولكن أوصيك يا أخي بكتمان السر عن أخواتي فلا تظهر حالك على واحدة منهن لئلا تروح روحي وروحك ، وإن سألتك عن فتح الباب فقل لهن : ما فتحته أبداً ولكن أنا مشغول القلب من أجل غيابكن عني ووحشتي إليكن وعودي في القصر وحدي . فقال لها : نعم هذا هو الصواب . ثم إنه قبل رأسها وطاب خاطره وانشرح صدره ، وكان خائفاً من اخته بسبب فتح الباب فردَّت إليه روحه بعد أن كان مشرفاً على الهلاك من شدة الخوف . ثم إنه طلب من اخته شيئاً يأكله . فقامت وخرجت من عنده ثم دخلت على أخواتها وهي حزينة باكية عليه فسألنها عن حالها فأخبرتهن أن خاطرها مشغول على أخيها وأنه مريض وله عشرة أيام ما نزل في بطنه زاد أبداً . فسألنها عن سبب مرضه فقالت لهن : سببه غيابنا عنه حيث أوحشناه ، فإن هذه الأيام التي غبناها عنه كانت عليه أطول من ألف عام . وهو معذور لانه غريب ووحيد ونحن تركناه وحده وليس عنده من يؤانسه ولا من يطيب خاطره ، وهو شاب صغير على كل حال وربما تذكر أهله وأمه وهي امرأة كبيرة فظن أنها تبكي عليه آناء الليل وأطراف النهار ولم تزل حزينة عليه ، وكنا نسليه بصحبتنا له . فلما سمع أخواتها كلامها بكين من شدة التأسف عليه وقلن لها : والله إنه معذور . ثم خرجن إلى العسكر وصرفنهم ودخلن على

حسن فسلمن عليه ورأينه قد تغيّرت محاسنه واصفرّ لونه وانتحل جسمه، فبكين شفقة عليه وقعدن عنده وآسنه وطيين قلبه بالحديث وحكين له جميع ما رأين من العجائب والغرائب وما جرى للعريس مع العروسة. ثم إن البنات أقمن عنده مدة شهر كامل وهن يؤانسنه ويلاطفتهن وهو في كل يوم يزداد مرضاً على مرضه، وكلما رأينه على هذه الحالة يبكين عليه بكاء شديداً وأكثرهن بكاء البنت الصغيرة. ثم بعد الشهر اشتاقت البنات إلى الركوب للصيد والقنص فعزمن على ذلك وسألن اختهن الصغيرة أن تركب معهن فقالت لهن: والله يا أخواتي ما أقدر أن أخرج معكن وأخي على هذه الحالة حتى يتعافى ويوزل عنه ما هو فيه من الضرر، بل أجلس عنده لأعلله. فلما سمعن كلامها شكرنها على مروءتها وقلن لها: كل ما تفعلينه مع هذا الغريب تؤجرين عليه. ثم تركنها عنده في القصر وركبن وأخذن معهن زاد عشرين يوماً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن البنات لما ركنن ورحن إلى الصيد والقنص تركن اختهن الصغرى قاعدة عند حسن في القصر. فلما بعدن عن القصر عرفت اختهن أنهن قطعن مسافة بعيدة فأقبلت على أخيها وقالت له: يا أخي، قم أرني هذا الموضع الذي رأيت فيه البنات. فقال: بسم الله على الرأس. وفرح بقولها وأيقن ببلوغ مقصوده. ثم إنه أراد أن يقوم معها ويربها المكان فلم يقدر على المشي فحملته في حضنها وجاءت به إلى القصر، فلما صارا فوقه أراها الموضع الذي رأى فيه البنات وأراها المقعد وبركة الماء. فقالت له اخته: صف لي يا أخي حالهن كيف جئن. فوصف لها ما رأى منهن وخصوصاً البنت التي تعلق بها. فلما سمعت وصفها عرفتها، فاصفرّ وجهها وتغيّر حالها فقال لها: يا اختي قد اصفر وجهك وتغيّرت حالتك. فقالت له: يا أخي أعلم أن هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشأن، قد ملك أبوها إنساً وجاناً وسحرة وكهاناً وأرهاطاً وأعواناً وأقاليم وبلداناً كثيرة وأموراً عظاماً وأبونا نائب من جملة نوابه، فلا يقدر عليه أحد من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله. وقد جعل لأولاده البنات التي رأيتن مسيرة سنة كاملة طولاً وعرضاً، وقد زاد على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلا يقدر أن يصل إلى ذلك المكان لا من الإيس ولا من الجان. وله من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات بالرماح خمسة وعشرون ألفاً كل واحدة منهن إذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم ألف فارس من الشجعان، وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما في أخواتهن وأزيد. وقد ولّى على هذا القطر الذي عرفتك به ابنته الكبرى وهي أكبر أخواتها وفيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلب به جميع أهل مملكته، وأما البنات التي معها فهن أرباب دولتها وأعوانها وخواصها من ملكها. وهذه الجلود الريش التي يطرن بها إنما هي صنعة سحرة الجان. وإذا أردت أن تملك هذه الصبية وتتزوج بها فاقعد هنا وانتظرها لأنهن يحضرن على رأس كل شهر في هذا المكان، فإذا رأيتن قد حضرن فاخفف وإياك أن تظهرن منهن بحيث أنك تراهن وهن لا يرينك، فإذا قلعن ثيابهن فالتق نظرك على الثوب الريش الذي هو للكبيرة التي في مرادك وخذه ولا تأخذ شيئاً غيره فإنه هو الذي يوصلها إلى بلادها فإنك إذا ملكته

فلما كانت الليلة كانت
789
كانت الليلة

ملكته . وإياك أن تخذعك وتقول : يا من سرق ثوبي ردّه عليّ وها أنا عندك وبين يديك وفي حوزتك . فإنك إن أعطيتها إياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل أبانا فأعرف حالك كيف تكون . فإذا رأى أخواتها أن ثوبها قد سرق ، طرن وتركها قاعدة وحدها ، فادخل عليها وامسكها من شعرها واجذبها فإذا جذبتها إليك فقد ملكتها وصارت في حوزتك . فاحتفظ بعد هذا على الثوب الريش فإنه ما دام عندك فهي في قبضتك وأسرّك لأنها لا تقدر أن تطير إلى بلادها إلا به ، فإذا أخذتها فاحملها وانزل بها إلى مقصورتك ولا تبين لها أنك أخذت الثوب . فلما سمع حسن كلام أخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الألم ثم انتصب قائماً على قدميه وقبل رأس أخته ، وبعد ذلك قام ونزل من فوق القصر هو وأخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه إلى أن أصبح الصباح . فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع إلى فوق وقعد ولم يزل قاعداً إلى العشاء ، فطلعت له أخته بشيء من الأكل والشرب وغيرت ثيابه ونام . ولم تزل معه على هذه الحالة في كل يوم إلى أن هلّ الشهر ، فلما رأى الهلال صار يرتقبهم . فبينما هو كذلك وإذا بهن قد أقبلن عليه مثل البرق ، فلما رآهن اختفى في مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه . فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن في مكان وقطن ثيابهن وكذلك البنت التي يحبها ، وكان ذلك في مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع أخواتها . فعند ذلك قام حسن ومشى قليلاً وهو مختف وستر الله عليه فأخذ الثوب ، ولم تنظره واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهن . فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش فجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده ، فصاحت ولطمت على وجهها وشقت ثيابها فأقبلت عليها أخواتها وسألنها عن حالها ، فأخبرت أن ثوبها الريش قد فقد . فبكين وصرخن ولطمن على وجوههن ، وحين أمسى عليهن الليل لم يقدرن أن يقعدن عندها فتركها فوق القصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده ، وطار أخواتها وتركها وحدها . فلما رآهن حسن طرن وغبن عنها صغى إليها فسمعها تقول : يا من أخذ ثوبي وأعراني ، سألتك أن ردّه عليّ وتستر عورتني فلا أذاقك الله حسرتي . فلما سمع حسن هذا الكلام منها ، سلب عقله في عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها ، فقام من مكانه وصار يجري حتى هجم عليها وامسكها ثم جذبها إليه ونزل بها إلى أسفل القصر وأدخلها مقصورته ورمى عليها عباءته وهي تبكي وتعض على يديها . فأغلق عليها الباب وراح لأخته وأعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها إلى مقصورته وقال لها : إنها الآن قاعدة تبكي وتعض على يديها . فلما سمعت أخته كلامه قامت وتوجهت إلى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكي وهي حزينة . فقبلت الأرض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية : يا بنت الملك ، أهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك ؟ وأنت تعرفين أن أبي ملك عظيم وأن ملوك الجن تفرح منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء والكهّان والشياطين والمردة من لا طاقة لأحد عليه ، وتحت يده خلق لا يعلم عددهم إلا الله . وكيف يصح لكم يا بنات الملوك أن تأوين رجال الإنس عندكن وتطلعنهم على أحوالنا وأحوالكن ؟ وإلا فمن أين أن يصل هذا الرجل إلينا ؟ فقالت لها أخت حسن : يا بنت الملك ، إن هذا الإنسي كلعل

790
 كتاب
 شهرزاد
 الحكيم
 الجزء
 الثاني

المروءة وليس قصده امرأً قبيحاً وإنما هو يحبك وما خلقت النساء إلا للرجال ، ولولا أنه يحبك ما مرض لاجلك وكادت روحه أن تزهى في هواك . وحكت لها جميع ما أخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرهن واغتسالهن وإنه لم يعجبه من جميعهن غيرها لأن كلهن جوار لها ، وإنما كانت تغطسهن في البحيرة وليس واحدة منهن تقدر أن تمد يدها إليها . فلما سمعت كلامها يشت من الخلاص . فعند ذلك قامت أخت حسن وخرجت من عندها وأحضرت لها بدلة فاخرة فألبستها إياها وأحضرت لها شيئاً من الأكل والشرب ، فأكلت هي وإياها وطيب قلبها وسكنت روعها . ولم تزل تلاطفها بلين ورفق وتقول لها : ارحمني من نظرك نظرة فأصبح قتيلاً في هواك . ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهي تبكي إلى أن طلع الفجر . فطابت نفسها وأمسكت عن بكائها لما علمت أنها وقعت ولم يمكن خلاصها قالت لأخت حسن : يا بنت الملك ، بهذا حكم الله على ناصيتي من غربتي وانقطاعي عن بلدي وأهلي وأخواتي ، فصبر جميل على ما قضاه ربي . ثم إن أخت حسن أدخلت لها مقصورة في القصر لم يكن هناك أحسن منها ، ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وأنشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الأهل والأوطان وفراق أخواتها وأبويها وملكها . ثم إن أخت حسن خرجت إليه وقالت له : قم ادخل عليها في مقصورتها وقبّل يديها ورجليها . فدخل وفعل ذلك ثم قبّل ما بين عينيها وقال لها : يا سيدة الملاح ، وحياة الأرواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب أنا ما أخذتك إلا لاجل أن أكون عبدك إلى يوم القيامة وأختي هذه جاريتك وأنا ، يا سيدتي ما قصدي إلا أن أتزوجك بسنة الله ورسوله وأسافر إلى بلادي وأكون أنا وأنت في مدينة بغداد وأشتري لك الجوارى والعبيد ، ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك . وليس هناك بلاد أحسن من بلادنا وكل ما فيها أحسن مما في غيرها من سائر البلاد وأهلها ، وناسها ناس طيبون بوجوه صباح . فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهي لا تخاطبه بحرف واحد وإذا بداق يدق باب القصر ، فخرج حسن ينظر من الباب وإذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقصص ، ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعين له بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر . ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن في مقصورتها ونزعت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشاً مليحاً وخرجن إلى الصيد والقصص ، فاصطدن شيئاً كثيراً من الغزلان وبقر الوحش والأرانب والسباع والضباع وغير ذلك ، وقدمن منه شيئاً إلى الذبح وتركن الباقي عندهن في القصر ، وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحاً شديداً . فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيئاً ليتغدين به ، فتقدم حسن إلى البنت الكبيرة وقبل رأسها وصار يقبل رأسهن واحدة بعد واحدة . فقلن له : لقد أكثرت التنازل إلينا يا أخانا وعجبنا من فرط تردّدك إلينا وأنت رجل آدمي ونحن من الجن . فدمعت عيونه وبكى بكاء شديداً فقلن : ما الخبر ؟ وما يبكيك ؟ فقد كدرت عيشنا ببكائك في هذا اليوم ! كأنك اشتقت إلى والدتك وإلى بلادك . فإن كان الأمر كذلك فنجهزك ونسافر بك إلى وطنك وأحبابك . فقال لهن : والله ما مرادي فراقكن . فقلن له : وحيثنذ من شوش عليك منا حتى تكدرت ؟ فحجل أن يقول : ما شوش عليّ إلا عشق الصبية خيفة أن ينكرن عليه فسكنت ولم يعلمهن بشيء من حاله . فقامت أخته وقالت لهن : إنه اصطاد طيرة من

الهواء ويريد منكن أن تعتنه على تأهيلها . فالتفتن إليه وقلن له : نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه ، لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئاً من حالك . فقال لاخته : قصي خبري عليهن فإني استحي منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت
791
كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً قال لاخته : قصي عليهن قصتي فإني استحي ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام . فقالت أخته لهن : يا أخواتي ، إننا لما سافرنا وخلينا هذا المسكين وحده ، ضاق عليه القصر وخاف أن يدخل عليه أحد وأنتم تعرفن أن عقول بني آدم خفيفة ، ففتح الباب الموصل إلى سطح القصر حين ضاق صدره وصار منفرداً وحده وطلع فوقه وقعد هناك وأشرف على الوادي وصار يطل على جهة الباب خوفاً أن يقصد أحد القصر . فبينما هو جالس يوماً من الأيام وإذا بالعشر طيور قد أقبلن عليه قاصدات القصر ، ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التي فوق المنظرة ، فنظر إلى الطيرة التي هي أحسنهن وهي تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها ثم جعلن مخالبهن في أطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه . ثم خلعن ما عليهن وحسن واقف ينظر إليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها وهي أحسنهن وجهاً وأعدلهن قدراً وأنظفهن لباساً ، ولم يزلن على هذه الحالة إلى أن قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن في القماش الريش والتفتفن فيه وطرن . فاشتغل فؤاده واشتغل قلبه بالنار من أجل الطيرة الكبيرة وندم لأنه لم يسرق قماشها الريش ، فمرض وأقام فوق القصر ينتظرها . فامتنع من الأكل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لاح الهلال . فبينما هو قاعد وإذا بهن قد أقبلن على عادتتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة ، فلما عرف أنها لم تقدر أن تطير إلا به أخذه وأخفاه خفية أن يطلعن عليه فيقتلنه ، ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر . فقلن لها أخواتها : وأين هي ؟ قالت لهن : هي عنده في الخدع الفلاني . فقلن : صفيها لنا يا أختي . فقالت : هي أحسن من القمر ليلة تمامه ووجهها أضوأ من الشمس وريقها أحلى من الشراب وقدها أرشق من القضيب ، ذات طرف أحور ووجه أقرم وجبين أزهر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن مطوي الأعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن وساقين كأنهما من المرمز عمودان ، تأخذ القلوب بطرف كحيل ودقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشف العليل ، مليحة القوام حسنة الإبتسام كأنها البدر التمام . فلما سمعت البنات هذه الأوصاف التفتن إلى حسن وقلن له : أرنا إياها . فقام معهن وهو ولهان إلى أن أتى بهن إلى الخدع الذي فيه بنت الملك وفتحته ودخل وهن خلفه ، فلما رأينها وعابن جمالها قبلن الأرض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها : والله يا بنت الملك الأعظم إن هذا شيء عظيم ، ولو سمعتي بوصف هذا الإنسي عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك ، وهو متعلق بك غاية التعلق إلا أنه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك إلا في الحلال . ولو علمنا أن البنات تستغني عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع أنه لم

يرسل اليك رسولا بل أتى إليك بنفسه وأخبرنا أنه أحرق الثوب الريش وإلا كنا أخذناه منه . ثم إن واحدة من البنات اتفقت هي وإياها وتوكلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها وزوجتها له بإذنها ، وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وأدخلته عليها . فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاضم وجده شغفاً بها . وحيث حصل مطلوبه هتئى نفسه وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

قَوَامُكَ فَتَانٌ وَطَرْفُكَ أَحْوَرُ وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْمَلَاخَةِ يَقْطُرُ
تَصَوَّرْتَ فِي عَيْنِي أَجَلَ تَصَوُّرِ فَنَصْفُكَ يَا قَوْتُ وَتِلْكَ جَوْهَرُ
وَخَمْسُكَ مِنْ مِسْكَ وَسُدْسُكَ عَنَبْرُ وَأَنْتَ شَبِيهُ الدَّرِّ بَلْ أَنْتَ أَزْهَرُ
وَمَا وَكَلْتِ حَوَاءَ مِثْلَكَ وَاحِدًا وَلَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ مِثْلَكَ آخَرَ
فَإِنْ شِئْتَ تَعْدِيبي فَمِنْ سُنَنِ الْهَوَى وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْفُو فَأَنْتَ مُخَيَّرُ
فِيَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَيَا غَايَةَ الْمَتَى فَمَنْ ذَا الَّذِي عَنْ حُسْنِ وَجْهِكَ يَصْبِرُ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 792

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما دخل على بنت الملك وأزال بكارتها ، التذ بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فأنشد فيها الأبيات المذكورة . وكانت البنات واقفات على الباب ، فلما سمعن الشعر قلن لها : يا بنت الملك ، أسمعت قول هذا الإنسي ؟ كيف تلوينا وقد أنشد الشعر في هواك ؟ فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت . ثم إن حسناً أقام معها مدة أربعين يوماً في حظ وسرور ولذة وجور والبنات تجدد له كل يوم فرحاً ونعمة وهدايا وتحفاً وهو يبتهن في سرور وانسراح ، وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت أهلها . ثم بعد الأربعين يوماً كان حسن نائماً فرأى والدته حزينة عليه وقد رقت عظامها وانتحل جسمها واصفر لونها وتغير حالها وكان هو في حالة حسنة . فلما رآته على هذه الحالة قالت له : يا ولدي يا حسن ، كيف تعيش في الدنيا منعماً وتنساني ؟ فانظر لحالي بعدك وأنا ما أنساك ولا لساني يترك ذكرك حتى أموت ، وقد عملت لك قبراً عندي في الدار حتى لا أنساك أبداً ، أترى أعيش يا ولدي وأنظرك عندي ويعود شملنا مجتمعاً كما كان ؟ فانتبه حسن من نومه وهو يبكي وينوح ودموعه تجري على خديه مثل المطر ، وصار حزيناً كثيراً لا ترتفع دموعه ولم يجته نوم ولم يقر له قرار ولم يبق عنده اضطراب . فلما أصبح دخلت عليه البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عاداتهن فلم يلتفت إليهن ، فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن : ما أدري . فقلن لها : إسأليه عن حاله . فتقدمت إليه وقالت له : ما الخبر يا سيدي ؟ فتنهد وتضجر وأخبرها بما رآه في منامه ثم أنشد هذين البيتين : [من الخفيف]

قَدْ بَقِينَا مَوْسُوسِينَ حَيَارَى نَطْلُبُ الْقُرْبَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَلَوْاهِي الْهَوَى تَزِيدُ عَلَيْنَا وَمُقَامُ الْهَوَى عَلَيْنَا ثَقِيلُ

فاخبرتهن زوجته بما قال لها . فلما سمعت البنات الشعر رقين لحاله وقلن له : تفضل بسم الله

ما نقدر أن نمنعك من زيارتها، بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه. ولكن ينبغي أن تزورنا ولا تنقطع عنا ولو في كل سنة مرة واحدة. فقال لهن: سمعاً وطاعة. فقامت البنات من وقتهن وعملن له الزاد وجهزن له العروسة بالحلي والحلل وكل شيء غال يعجز عنه الوصف، وهيان له تحفا تعجز عن حصرها الأرقام. ثم إنهن ضربن الطبل فجاءت النجائب إليهن من كل مكان، فاخترن منها ما يحمل جميع ما جهزته وأركبن الجارية وحسناً وحملن إليهما خمسة وعشرين تختاً من الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلاثة أيام فقطعن فيها مسافة ثلاثة أشهر. ثم إنهن ودعنهما وأردن الرجوع عنهما فاعتنقته أخته الصغيرة وبكت حتى غشي عليها. فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين: [من البسيط]

لَا كَانَ يَوْمُ الْفِرَاقِ أَصْلًا لَمْ يَبْقَ فِي الْمُقْلَتَيْنِ نَوْمًا
شَتَّتَ مِنَّا وَمِنْكَ شَمْلًا وَهَدَّ مِنَّا قَوْيَ وَجِسْمًا

فلما فرغت من شعرها ودعته وأكدت عليه أنه إذا وصل إلى بلده واجتمع بأمه واطمان قلبه لا يقطعها من الزيارة في كل ستة أشهر مرة وقالت له: إذا أهملك أمراً وخفت مكروهاً فصدق طبل المجوسي فتحضر لك النجائب واركب وارجع إلينا ولا تتخلف عنا. فحلف لها على ذلك ثم أقسم عليهن أن يرجعن بعد أن ودعنه وحزن على فراقه، وأكثرهن حزناً أخته الصغيرة فإنها لم يستقر لها قرار ولم يطاوعها اصطبار وصارت تبكي ليلاً ونهاراً. هذا ما كان منهن. وأما ما كان من أمر حسن، فإنه صار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البراري والقفار والأودية والأوعار في الهواجر والأسحار، وكتب الله لهما السلامة فسلما ووصلا إلى مدينة البصرة. ولم يزالا سائرين حتى أناخا على باب داره نجائبهما. ثم صرف النجائب وتقدم إلى الباب ليفتحه فسمع والدته وهي تبكي بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريق وهي تشد هذه الأبيات: [من الطويل]

وَكَيْفَ يَلُوقُ النَّوْمَ مَنْ عَدِمَ الْكَرَى وَيَسْهَرُ لَيْلًا وَالْأَنَامُ رُقُودُ
وَقَدْ كَانَ ذَا مَالٍ وَأَهْلٍ وَعِزَّةٍ فَأَضْحَى غَرِيبَ الدَّارِ وَهُوَ وَحِيدُ
لَهُ جَمْرَةٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَأَنَّهُ وَشَوْقٌ شَدِيدٌ مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ
تَوَلَّى عَلَيْهِ الْوَجْدُ وَالْوَجْدُ حَاكِمٌ يَنْوَحُ بِمَا يَلْقَاهُ وَهُوَ جَلِيدُ
وَحَالَتُهُ فِي الْحُبِّ تُخْبِرُ أَنَّهُ حَزِينٌ كَثِيبٌ وَالْدُّمُوعُ شُهُودُ

فبكى حسن لما سمع والدته تبكي وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت أمه: من بالباب؟ فقال لها: إفتحي. ففتحت الباب ونظرت إليه فلما عرفته خرت مغشياً عليها، فما زال يلاطفها إلى أن أفاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوائجه ومناعه إلى داخل الدار والجارية تنظر إلى حسن وأمه. ثم إن أم حسن لما اطمان قلبها وجمع الله شملها بولدها أنشدت هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

رَقَّ الزَّمَانُ لِحَالَتِي وَرَنَى لِطُولِ نَحْرَتِي
وَأَنَائِي مَا أَشْتَهِي وَأَزَالَ خَصْمًا أَنَّتِي

فَلأَصْفَحَنُ عَمَّا جَنَى مِن الدُّنُوبِ السُّبُوحِ
حَتَّى جَنَائِئُهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ بِمَقْرَمِي

وادرک شهرزاد الصباح فسکتت عن الکلام المباح .

فلما كانت الليلة 793
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن والده حسن قعدت هي وإياه يتحدثان وصارت تقول له : كيف كان حالك يا ولدي مع الأعجمي ؟ فقال لها : يا أمي ، ما كان أعجمياً بل كان مجوسياً يعبد النار دون الملك الجبار . ثم إنه أخبرها بما فعل به من أنه سافر به وحطه في جلد الجمل وخطه عليه وحملته الطيور وحطته فوق الجبل ، وأخبرها بما رآه فوق الجبل من الخلايق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسي ويتركهم فوق الجبل بعد أن يقضوا حاجته ، وكيف رمى روحه في البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى وأوصله إلى قصر البنات ومؤاخات البنت له وعوده عند البنات ، وكيف أوصل الله المجوسي إلى المكان الذي هو فيه ، وأخبرها بعشق الصبية وكيف اصطادها وبقصتها كلها إلى أن جمع الله شملهما ببعضهما . فلما سمعت أمه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته وسلامته ، ثم قامت إلى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فأخبرها بما فيها ففرحت فرحاً عظيماً . ثم تقدمت إلى الجارية تحدثها وتؤانسها ، فلما وقعت عينها عليها اندهش عقلها من ملاحظتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها وأعتدالها ثم قالت له : يا ولدي ، الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالمًا . ثم إن أمه قعدت جنب الصبية وأنستها وطيبت خاطرها . ثم نزلت في بكرة النهار إلى السوق فاشتريت عشر بدلات أفخر ما في المدينة من الثياب ، وأحضرت لها الفرش العظيم والبست الصبية وجملتها بكل شيء مريح . ثم أقبلت على ولدها وقالت : يا ولدي ، نحن بهذا المال لم نقدر أن نعيش في هذه المدينة وأنت تعرف إننا ناس فقراء والناس يتهمونا بعمل الكيمياء ، فقم بنا نسافر إلى مدينة بغداد دار السلام لنقيم في حرم الخليفة ونقعد أنت في دكان فتبيع وتشتري وتتقي الله عز وجل فيفتح عليك بهذا المال . فلما سمع حسن كلامها استصوبه وقام من وقته وخرج من عندها وباع البيت وأحضر النجائب وحمل عليها جميع أمواله وأمتعته وأمه وزوجته وسار . ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى الدجلة ، فاشتري مركباً لبغداد ونقل فيها جميع ماله وحوايجه والودته وزوجته وكل ما كان عنده ، ثم ركب المركب وسارت بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى أشرفوا على بغداد . فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة ، فطلع من وقته وساعته إلى المدينة واكترى مخزناً في بعض الخانات ثم نقل حوايجه من المركب إليه وطلع وأقام ليلة في الخان . فلما أصبح غير ما عليه من الثياب ، فلما رآه الدلال سأله عن حاجته وعن ما يريد . فقال له : أريد داراً تكون مليحة واسعة . فعرض عليه الدور التي عنده ، فأعجبه دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه الثمن . ثم عاد إلى الخان الذي نزل فيه ونقل جميع ماله وحوايجه إلى الدار ، ثم خرج إلى السوق وأخذ ما تحتاج إليه الدار من آنية وفرش وغير ذلك ، واشتري خدماً ومن جملة عبد صغير للدور . وأقام مطمئناً مع زوجته في الذ عيش وسرور مدة ثلاث سنين وقد رزق منها بغلامين سمى أحدهما ناصراً والآخر منصوراً . وبعد هذه المدة تذكر أخواته البنات وتذكر إحسانهن إليه وكيف

ساعده على مقصوده، فاشتاق إليهن وخرج إلى أسواق المدينة فاشترى منها شيئاً من حلى وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه . فسألته أمه عن سبب اشتراء تلك التحف فقال لها : إني عزمت على أن أسافر إلى أخواتي التي فعلن معي كل جميل ، ورزقي الذي أنا فيه من خيرهن وإحسانهن إليّ ، فإني أريد أن أسافر إليهن وأنظرهن وأعود قريباً إن شاء الله تعالى . فقالت له : يا ولدي ، لا تغب عليّ . فقال لها : أعلمي يا أمي كيف تكونين مع زوجتي ، وهذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الأرض فاحرصي عليه لئلا تقع فيه فتأخذه وتطير هي وأولادها ويروحون وأبقى لا أقع لهم على خير فأموت كمداً من أجلهم . وأعلمي يا أمي اني أحذرک من أن تذكري ذلك لها ، وأعلمي أنها بنت ملك الجان وما في ملوك الجان أكبر من أبيها ولا أكثر منه جنوداً ولا مالاً . وأعلمي أنها سيدة قومها وأعز ما عند أبيها ، فهي عزيزة النفس جداً فأخدمها أنت بنفسك ولا تمكيتها من أن تخرج من الباب أو تطل من الطاقة أو من حائط فإني أخاف عليها من الهواء إذا هب ، وإذا جرى عليها أمر من أمور الدنيا فإنا أقتل روجي من أجلها . فقالت أمه : أعود بالله من مخالفتك يا ولدي ، هل أنا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية وأخالفك فيها؟ سافر يا ولدي وطب نفساً وسوف تحضر في خير وتظهرها إن شاء الله تعالى وتخبرك بما جرى لها مني ، ولكن يا ولدي لا تقعد غير مسافة الطريق . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما أراد السفر إلى البنات وصى أمه على زوجته حِكْم ما ذكرنا ، وكانت زوجته بالأمر المقدر تسمع كلامه لأمه وهما لا يعرفان ذلك . ثم إن حسناً قام وخرج إلى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين من تحف العراق وودّع والدته وزوجته وأولاده ، وكان عمر واحد من ولديه سنة وعمر الآخر سنتان . ثم إنه رجع إلى والدته وأوصاها ثانياً ثم إنه ركب وسافر إلى أخواته ، ولم يزل مسافراً ليلاً ونهاراً في أودية وجبال وسهل وأوعار مدة عشرة أيام . وفي اليوم الحادي عشر وصل إلى القصر ودخل على أخواته ومعه الذي أحضره إليهن ، فلما رأينه فرحن به وهنينه بالسلامة . وأما أخته فإنها زينت القصر ظاهره وباطنه ثم إنهن أخذن الهدية وأنزلنه في مقصورة مثل العادة وسألنه عن والدته وعن زوجته ، فأخبرهن أنها ولدت منه ولدين . ثم إن أخته الصغيرة لما رآته طيباً بخير فرحت فرحاً شديداً وأنشدت هذا البيت : [من البسيط]

وَأَسْأَلُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كَلِّمًا خَطَرَتْ وَغَيْرُكُمْ فِي فُؤَادِي قَطُّ مَا خَطَرَ

ثم إنه أقام عندهن في الضيافة والكرامة مدة ثلاثة أشهر وهو في فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص . هذا ما كان من حديثه . وأما ما كان من حديث أمه وزوجته فإنه لما سافر حسن أقامت زوجته يوماً وثانياً مع أمه وقالت لها في اليوم الثالث : سبحان الله ، هل أقعد معك ثلاث سنين ما أدخل الحمام ؟ وبكت . فرقت أمه لحالها وقالت لها : يا بنتي ، نحن هنا غرباء وزوجك ما هو في البلد ، فلو كان حاضراً كان يقوم بخدمتك أما أنا فلا أعرف أحداً ، ولكن يا بنتي أسخن لك الماء وأغسل رأسك في حمام البيت . فقالت لها : يا سيدتي ، لو قلت هذا القول لبعض

الجواري كانت طلبت البيع في السوق وما كانت تقعد عندكم ، ولكن يا سيدتي إن الرجال معذرون فإن عندهم غيرة وعقولهم تقول لهم : إن المرأة إذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة . والنساء يا سيدتي ما كلهن سواء ، وأنت تعرفين أن المرأة إذا كان لها غرض في شيء ما يغلبها أحد ولا يقدر أن يحرص عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمام ولا غيره ولا من أن تعمل كل ما تختاره . ثم انها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدد على نفسها وغربتها ، فرقت لحالها أم زوجها وعلمت أن كل ما قالت لا بد منه . فقامت وهيات حوايج الحمام التي يحتاجان إليها وأخذتها وراحت إلى الحمام . فلما دخلنا الحمام قلعتا ثيابهما فصار النساء جميعاً ينظرن إليها ويسبحن الله عز وجل ويتاملن فيما خلق من الصورة البهية ، وصار كل من جاز من النساء على الحمام يدخل ويتفرج عليها . وشاع في البلد ذكرها وازدحم النساء عليها وصار الحمام لا ينشق من كثرة النساء التي فيه . فاتفق بسبب ذلك الامر العجيب أنه حضر إلى الحمام في ذلك اليوم جارية من جواري أمير المؤمنين هارون الرشيد يقال لها : تحفة العوادة . فرأت النساء في زحمة والحمام لا ينشق من كثرة النساء والبنات ، فسألت عن الخبر فأخبرنها بالصيبة . فجاءت عندها ونظرت إليها وتأملت فيها فتحير عقلها من حسنها وجمالها وسبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح ، ولم تدخل ولم تغسل وإنما صارت قاعدة وباهتة في الصيبة إلى أن فرغت الصيبة من الغسل وخرجت لبست ثيابها فزادت حسناً على حسنها . فلما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرة إليها ، فالتفتت اليهن وخرجت . فقامت تحفة العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت إلى قصر الخليفة ، وما زالت سائرة حتى وصلت بين أيادي السيدة زبيدة وقبّلت الأرض بين يديها . فقالت السيدة زبيدة : يا تحفة ، ما سبب إبطائك في الحمام ؟ فقالت : يا سيدتي ، رأيت أعجوبة ما رأيت مثلها في الرجال ولا في النساء وهي التي أشغلتني وأدهشت عقلي وحيرتني حتى أنني ما غسلت رأسي . فقالت : وما هي يا تحفة ؟ قالت : يا سيدي ، رأيت جارية في الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأى أحد مثلها ، لا قبلها ولا بعدها ، وليس مثل صورتها في الدنيا بأسرها وحق نعمتك يا سيدتي إن عرفت بها أمير المؤمنين قتل زوجها وأخذها منه لأنه لا يوجد مثلها واحدة من النساء . وقد سألت عن زوجها فقالوا : إن زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصري . وتبعته من الحمام إلى أن دخلت بيتها فرأيت بيت الوزير الذي له بابان ، باب من جهة البحر وباب من جهة البر . وأنا أخاف يا سيدتي أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن جارية أمير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصري ووصفت حسنها للسيدة زبيدة قالت : يا سيدتي ، إني أخاف أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها . فقالت السيدة زبيدة : ويحك يا تحفة ، هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدينها ويخالف الشرع لاجلها ؟ والله لا بد لي من النظر إلى هذه الصيبة ، فإن لم تكن كما ذكرت أمرت بضرب عنقك يا فاجرة . إن في سراية أمير المؤمنين ثلاثمائة وستين جارية بعدد أيام السنة ما فيهن واحدة

فلما كانت الليلة
795
الليلة

بالصفات التي تذكريها . فقالت : يا سيدتي ، لا والله ولا في بغداد بأسرها مثلها ، بل ولا في العجم ولا في العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها . فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبل الأرض بين يديها فقالت له : يا مسرور ، اذهب إلى دار الوزير التي بالبابين ، باب على البحر وباب على البر وأنتي بالصبية التي هناك هي وأولادها والعجوز التي عندها بسرعة ولا تطيء . فقال مسرور : السمع والطاعة . ثم خرج من بين يديها وسار حتى وصل إلى باب الدار ، فطرق الباب فخرجت له العجوز أم حسن وقالت : من بالبواب ؟ فقال لها : مسرور خادم أمير المؤمنين . ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال لها : إن السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي ﷺ تدعوك إليها أنت وزوجة ابنك وأولادها ، فإن النساء أخبرننا عنها وعن حسنها . فقالت أم حسن : يا مسرور ، نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدي وما هو في البلد ولم يأمرني بالخروج أنا ولا هي لأحد من خلق الله تعالى ، وأنا أخاف أن يجري أمر ويحضر ولدي فيقتل روحه . فمن إحسانك يا مسرور أن لا تكلفنا ما لا نطبق ؟ فقال مسرور : يا سيدتي ، لوعلمت أن في هذا خوفاً عليكم ما كلفتكم الرواح ، وإنما مراد السيدة زبيدة أن تنظرها وترجع ، فلا تخالفي تندي وكما آخذكما أردكما إلى هنا سالمتين إن شاء الله تعالى . فما قدرت أم حسن أن تخالفه فدخلت وهيات الصبية وأخرجتها هي وأولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم إلى قصر الخليفة ، فطلع بهم حتى أوقفهم قدام السيدة زبيدة . فقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه . فقالت لها السيدة زبيدة : أما تكشفين عن وجهك لأنظره ؟ فقبلت الصبية الأرض بين يديها وأسفرت عن وجه يخجل البدر في أفق السماء . فلما نظرتها السيدة زبيدة شخصت إليها وسرحت فيها البصر وأضاء القصر من نورها وضوء وجهها واندهمت زبيدة من حسنها وكذلك كل من في القصر ، وصار كل من رآها مجنوناً لا يقدر أن يكلم أحداً . ثم إن السيدة زبيدة قامت وأوقفت الصبية وضمتها إلى صدرها وأجلستها معها على السرير وأمرت أن يزينوا القصر ، ثم أمرت بأن يحضروا لها بدلة من أفخر الملبوس وعقداً من أنف الجواهر والبست الصبية يابها وقالت لها : يا سيدة الملاح ، إنك أعجبتني وملأت عيني أي شيء عندك من الذخائر ؟ فقالت الصبية : يا سيدتي ، لي ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت من أحسن الصنائع ما تتعجبي منه وتحدث بحسنه كل من يراه جيلاً بعد جيل . فقالت : وأين ثوبك هذا ؟ قالت : هو عند أم زوجي فاطميه لي منها . فقالت السيدة زبيدة : يا أمي ، بحياتي عندك أن تنزلي وتأتي لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذي تعلمه وخذيه ثانياً . فقالت العجوز : يا سيدتي هذه كذابة ، هل رأينا أحداً من النساء له ثوب من الريش ؟ فهذا لا يكون إلا للطيور . فقالت الصبية للسيدة زبيدة : وحياتك يا سيدتي لي عندها ثوب ريش وهو في صندوق مدفون في الخزانة التي في الدار . فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوي خزائن كسرى وقبصر وقالت لها : يا أمي ، خذي هذا العقد . وناولتها إياه وقالت لها : بحياتي أن تنزلي وتأتي بذلك الثوب لتفرج علي وخذيه بعد ذلك . فحلفت لها أنها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقاً . فصرخت السيدة زبيدة على العجوز وأخذت منها المفتاح ونادت مسروراً فحضر فقالت له : خذ هذا المفتاح واذهب إلى الدار وافتحها وادخل الخزانة التي بابها كذا وكذا وفي وسطها صندوق فاطلعه واكسره وهات الثوب

الريش الذي فيه واحضره بين يدي . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
796
قال
قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن السيدة زبيدة لما أخذت المفتاح من أم حسن وأعطته لمسرور وقالت له : خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واطلع منها الصندوق واكسره واطلع منه الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي . قال : سمعاً وطاعة . ثم إنه تناول المفتاح من يد السيدة زبيدة وسار . فقامت العجوز أم حسن وهي باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها، ولم تكن الصبية طلبت الحمام إلا مكيدة . ثم إن العجوز دخلت هي ومسرور وفتحت باب الخزانة، فدخل وأخرج الصندوق وأخرج منه القميص الريش ولفه معه في فوطة وأتى به إلى السيدة زبيدة . فأخذته وقلبتة وقد تعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها وقالت لها : هل هذا ثوبك الريش ؟ قالت : نعم يا سيدتي . ومدت الصبية يدها إليه وأخذته منها وهي فرحانة . ثم إن الصبية افتقدته فرأته صحيحاً كما كان عليها ولم يضع منه ريشة، فقرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة وأخذت القميص وفتحتة وأخذت أولادها في حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عز وجل . فتعجبت السيدة زبيدة من ذلك وكذلك كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها . ثم إن الصبية تمايلت وتمشّت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان فصيح : يا سادتي، هل هذا مليح ؟ فقال لها الحاضرون : نعم يا سيدة الملاح كل ما فعلته مليح . ثم قالت لهم : وهذا الذي عمله أحسن منه يا سادتي . وفتحت أجنحتها وطارت بأولادها وصارت فوق القبة ووقفت على سطح القاعة، فنظروا إليها بالأحداق وقالوا لها : والله إن هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط . ثم إن الصبية لما أرادت أن تطير إلى بلادها تذكّرت حسناً وقالت : إسمعوا يا ساداتي . وانشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

نَحْوَ الْحَبَابِ مُسْرِعًا فَرَّارًا
وَالْعَيْشُ مِنْكُمْ لَمْ يَكُنْ أَكْدَارًا
جَعَلَ الْهُوَى سِجْنِي وَشَطَّ مَزَارًا
لَمْ أَدْعُ فِيهِ الْوَاحِدَ الْقَهَّارًا
فِي مَخْدَعٍ وَعَدَا عَلِيَّ وَجَارًا
وَرَجَوْتُ خَيْرًا زَائِدًا مِذْرَارًا
حَتَّى غَدْتُ فِي الْعُقُولِ حَيَّارًا
إِذْ شَاهَدْتَنِي يُمَنَّةٌ وَيَسَارًا
تُوبًا مِنَ الرَّيْشِ الْعَلِيِّ فَخَارًا
تَمَحُّو الْعَنَا وَتُبَدُّ الْأَكْدَارًا
فَأَجَبْتُ فِي دَارِ الَّذِي قَدْ دَارَى
وَإِذَا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْأَنْوَارَ

يَا مَنْ خَلَا عَن ذِي الدِّيَارِ وَسَارَ
أَنْظَنُ أَنِّي فِي نَعِيمٍ بَيْنَكُمْ
لَمَّا أُسِرْتُ وَصِرْتُ فِي شَرِكِ الْهُوَى
لَمَّا أَخْتَفَى نُوبِي تَبَقَّنَ أَنِّي
قَدْ صَارَ يُوصِي أُمَّهُ بِحِفَاظِهِ
فَسَمِعْتُ مَا قَالُوهُ ثُمَّ حَفِظْتُهُ
فَرَوَّاحِي الْحَمَّامَ كَانَ وَسِيلَةَ
وَتَعَجَّبْتُ عِرْسُ الرَّشِيدِ لِبَهْجَتِي
نَادَيْتُ يَا أُمْرَأَةَ الْخَلِيفَةِ إِنَّ لِي
لَوْ كَانَ فَوْقِي تَنْظِيرِينَ عَجَائِبًا
فَاسْتَفْسَرْتُ عِرْسُ الْخَلِيفَةِ أَيْنَ ذَا
فَانْقَضَ مَسْرُورٌ وَحَضْرَهُ لَهَا

فَأَخَذْتُهُ مِنْ كَفِّهِ وَقَفَّحْتُهُ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ الْجَيْبَ وَالْأَزْرَارَا
فَدَخَلْتُ فِيهِ ثُمَّ أَوْلَادِي مَعِي
وَقَرَدْتُ أَجْنَحِي وَطَرْتُ فِرَارَا
يَا أُمَّ زَوْجِي أَخْبِرِي إِذَا آتَى
إِنْ حَبَّ وَصَلِي فَلْيُفَارِقْ دَارَا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة: أما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسبك يا سيدة الملاح، سبحان من أعطاك الفصاحة والبصاحة. قالت: هيهات أن يرجع ما فات. ثم قالت لام حسن الحزين المسكين: والله يا سيدتي يا أم حسن إنك توحشيني، فإذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجثني إلى جزائر واق. ثم طارت هي وأولادها وطلبت بلادها. فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها وانتحبت حتى غشي عليها. فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة: يا سيدتي الحجة، ما كنت أعرف أن هذا يجري ولو كنت أخبرتني بها ما كنت أتعرض لك، وما عرفت أنها من الجن الطيارة إلا في هذا الوقت، ولو عرفت أنها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تأخذ أولادها، ولكن يا سيدتي اجعليني في حل. فقالت العجوز وما وجدت في يدها حيلة: أنت في حل. ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشي عليها. فلما أفاقت من غشيتها استوحشت إلى الصبية وإلى أولادها وإلى رؤية ولدها فأنشدت هذه الأبيات: [من الكامل]

يَوْمَ الْفِرَاقِ بِعَادِكُمْ أَبْكَلْنِي
أَسْفًا لِبُعْدِكُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ
نَادَيْتُ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ بِحُرْقَةٍ
وَالدَّمْعُ قَرَّحَ بِالْبُكَاءِ أَجْفَانِي
هَذَا الْفِرَاقُ فَهَلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ
فَلَقَدْ أَزَالَ فِرَاقِكُمْ كَيْتْمَانِي
يَا لَيْتَهُمْ عَادُوا إِلَى حُسْنِ الْوَفَا
فَلَعَلَّ إِنْ عَادُوا يَعُودُ زَمَانِي

ثم قامت وحفرت في البيت ثلاثة قبور وأقبلت عليها بالبكاء آناء الليل وأطراف النهار. وحين طالت غيبية ولدها وزاد بها القلق والشوق والحزن أنشدت هذه الأبيات: [من الوافر]

خِيَالِكَ بَيْنَ طَابِقَةِ الْجُفُونِ
وَذِكْرِكَ فِي الْخَوَافِقِ وَالسُّكُونِ
وَحُبِّكَ قَدْ جَرَى فِي الْعَظْمِ مِنِّي
كَجَرِي الْمَاءِ فِي ثَمْرِ الْعُصُونِ
وَيَوْمٌ لَا أَرَاكَ يَضِيقُ صَدْرِي
وَتَعْذِرُنِي الْعَوَادِلُ فِي شُجُونِي
أَيَا مَنْ قَدْ تَمَلَّكَنِي هَوَاهُ
وَزَادَ عَلَى مَحَبَّتِهِ جُنُونِي
خَفِ الرَّحْمَنُ فِيَّ وَكُنْ رَحِيمًا
هَوَاكَ أَذَاقَنِي رَيْبَ الْمُنُونِ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أم حسن صارت تبكي آناء الليل وأطراف النهار لفراق ولدها وزوجته وأولاده. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر ولدها حسن فإنه لما وصل إلى البنات حلفن عليه أن يقيم عندهن ثلاثة أشهر، ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيآن له عشرة أحمال: خمسة من الذهب وخمسة من الفضة، وهيآن له من

فلما كانت الليلة
797
بسم الله الرحمن الرحيم

الزاد حملاً واحداً وسفرته وخرجن معه . فحلف عليهن ان يرجعن ، فاقبلن على عناقه من أجل التوديع ، فتقدمت إليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشي عليها وانشدت هذين البيتين :
[من الطويل]

مَتَى تَنْطَفِي نَارُ الْفِرَاقِ بِقُرْبِكُمْ وَتَقْضِي عَلَى الْفِرْقَةِ وَتَبْقَى كَمَا كُنَّا
لَقَدْ رَاعَيْتِي يَوْمَ الْفِرَاقِ وَضُرَّيْتِي وَقَدْ زَادَنِي التَّوْدِيْعُ يَا سَادَتِي وَهَنَا

ثم تقدمت البنت الثانية وعانقته وانشدت هذين البيتين : [من المتقارب]

وَدَاعَكَ مِثْلُ وَدَاعِ الْحَيَاةِ وَفَقَدَكَ يَشْبُهُ فَقْدَ النَّدِيمِ
وَبُعْدَكَ نَارٌ كَوَتْ مُهْجَتِي وَقُرْبَكَ عِنْدِي أَرْضُ النَّعِيمِ

ثم تقدمت البنت الثالثة وعانقته وانشدت هذين البيتين : [من الخفيف]

مَا تَرَكْنَا الْوَدَاعَ يَوْمَ أَفْتَرَقْنَا عَنْ مَلَالٍ وَلَا لَوْجِهِ قَبِيحِ
أَنْتَ رُوْحِي عَلَى الْحَقِيْقَةِ قَطْعاً كَيْفَ اخْتَارُ أَنْ أُوْدَعَ رُوْحِي

ثم تقدمت البنت الرابعة وعانقته وانشدت هذين البيتين : [من الكامل]

لَمْ يُبْكِنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِهِ لَمَّا أَسْرَّ بِهِ إِلَيَّ مُوَدَّعِي
هُوَ ذَلِكَ الْقَوْلُ الَّذِي أُوْدَعْتَهُ فِي مَسْمَعِي أَجْرِيْتَهُ مِنْ مَدْمَعِي

ثم تقدمت البنت الخامسة وعانقته وانشدت هذين البيتين : [من البسيط]

لَا تَرَحَّلَنَّ فَنَنْكُمُ لَيْسَ لِي جِلْدُ كَيْمَا أُوْدَعَكُمْ تُوْدِيْعَ مَرْتَحِلِ
وَلَا مِنْ الصَّبْرِ مَا أَلْقَى الْفِرَاقُ بِهِ وَلَا مِنْ الدَّمْعِ مَا أُذْرِي عَلَى طَلْلِ

ثم تقدمت البنت السادسة وعانقته وانشدت هذين البيتين : [من الكامل]

قَدْ قُلْتُ مَدْ سَارَ السَّفِينُ بِهِمْ وَالشَّوْقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهْبَا
لَوْ كَانَ لِي مُلْكٌ أَصُولُ بِهِ لِأَخَذْتُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَضْبَا

ثم تقدمت البنت السابعة وعانقته وانشدت هذين البيتين : [من المنسرح]

إِذَا رَأَيْتَ الْوَدَاعَ فَاصْبِرْ وَلَا يَهْوُلَنَّكَ الْبِعَادُ
تَرَقَّبِ الْعَوْدَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنْ هَجَرْتَ الْوَدَاعَ عَادُوا

ثم إن حسناً ودَّعهن وبكى إلى أن غشي عليه بسبب فراقه وانشد هذه الأبيات : [من الكامل]

وَلَقَدْ جَرَّتْ يَوْمَ الْفِرَاقِ سَوَامِحِي دُرّاً نَظَّمْتُ عَقُوْدَهَا مِنْ أَدْمُعِي
وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الرُّكَابِ فَلَمْ أَجِدْ جِلْدًا وَلَا صَبْرًا وَلَا قَلْبِي مَعِي
وَدَّعْتُهُمْ ثُمَّ أَنْشَيْتُ بِحَسْرَةٍ وَتَرَكْتُ أَنْسَ مَعَاهِدِي وَالْأَرْبَعِ
فَرَجَعْتُ لَا دَرَ الطَّرِيقُ وَلَمْ تَطْبُ نَفْسِي سِوَى أَتْيِ أَرَاكَ بِمَرْجِعِي
يَا صَاحِبِي أَنْصِتْ لِأَخْبَارِ الْهَوَى حَاشَى لِقَلْبِكَ أَنْ أَقُولَ وَلَا يَعِي

يا نَفْسُ مَذْفَرْتِهِنَّ قَهْرِي طِبَّ الحَيَاةِ فِي البَقَا لَا تَطْمَئِي
 ثم إنه جد في المسير ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى بغداد دار السلام وحرّم الخلافة العباسية ولم
 يدرك بالذي جرى بعد سفره، فدخل الدار على والدته ليسلم عليها فرأها قد انتحل جسمها ورقّ
 عظمها من كثرة النوح والسهر والبكاء والعيول حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر أن ترد
 الكلام . فصرف النجائب وتقدم عليها، فلما رآها على تلك الحالة قام في الدار وفتش على
 زوجته وعلى أولاده فلم يجد لهم أثراً، ثم إنه نظر في الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق
 مفتوحاً ولم يجد فيه الثوب . فعند ذلك عرف أنها تمكنت من الثوب الريش وأخذته وطارته
 وأخذت أولادها معها . فرجع إلى أمه فرأها قد أفادت من غشيتها، فسألها عن زوجته وعن
 أولاده فبكت وقالت : يا ولدي، عظم الله أجرك فيهم وهذه قبورهم الثلاثة . فلما سمع كلام
 أمه صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه واستمر كذلك من أول النهار إلى الظهر، فازدادت أمه
 غمّاً على غمّها وقد يشت من حياته . فلما أفاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار دائراً في
 الدار متحيراً . ثم إنه أنشد هذين البيتين : [من الوافر]

شَكَى أَلَمَ الفِرَاقِ النَّاسُ قَبْلِي وَرَوَّعَ بِالنَّوَى حَيٌّ وَمَيَّتٌ
 وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضَلُوعِي فَإِنِّي لَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

فلما فرغ من شعره أخذ سيفه وسلّه وجاء إلى أمه وقال لها : إن لم تعلميني بحقيقة الحال
 ضربت عنقك وقتلت روعي . فقالت له : يا ولدي لا تفعل ذلك وأنا أخبرك . ثم قالت له : اغمد
 سيفك واقعد حتى أحدثك بالذي جرى . فلما اغمد سيفه وجلس إلى جانبها أعادت عليه القصة
 من أولها إلى آخرها وقالت له : يا ولدي، لولا أنني رايتها بكت على طلب الحمام وخفت منك أن
 تجيء وتشكو إليك فتغضب عليّ ما كنت ذهبت بها إليه، ولولا أن السيدة زبيدة غضبت عليّ
 وأخذت مني المفتاح قهراً ما كنت أخرجت الثوب ولو كنت أموت . ويا ولدي، أنت تعرف أن يد
 الخلافة لا تطاولها يد . فلما أحضروا لها الثوب أخذته وقلبته وكانت تظن أنه فقد منه شيء،
 فوجدته لم يصبه شيء ففرحت وأخذت أولادها وشدتهم في وسطها ولبست الثوب الريش بعدما
 قلعت لها الست زبيدة كل ما عليها إكراماً لها وجمالها . فلما لبست الثوب الريش انتفضت
 وصارت طيرة ومشت في القصر وهم ينظرون إليها ويتعجبون من حسنها وجمالها . ثم طارت
 وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت إليّ وقالت لي : إذا جاء ولدك وطالت عليه ليالي الفراق
 واشتهى القرب مني والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق، فليفارق وطنه ويذهب إلى جزائر وراق .
 هذا ما كان من حديثها في غيبتك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما سمع كلام أمه حين
 حكّت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت، صرخ صرخة عظيمة
 ووقع مغشياً عليه، ولم يزل كذلك إلى آخر النهار . فلما أفاق لطم على
 وجهه وصار يتقلّب على الأرض مثل الحية، فقعدت أمه تبكي عند
 رأسه إلى نصف الليل . فلما أفاق من غشيتها بكى بكاءً عظيماً وأنشد

فلما كانت الليلة
 798
 فلما كانت الليلة

هذه الأبيات : [من الطويل]

فَقُوا وَأَنْظُرُوا حَالَ الَّذِي تَهْجُرُونَهُ
فَإِنْ تَنْظُرُونَهُ تُتَكَرَّرُ لِسْمِهِ
وَمَا هُوَ إِلَّا مَيِّتٌ فِي هَوَاكُمُ
وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ التَّفَرُّقَ هَيِّنٌ
لَعَلَّكُمْ بَعْدَ الْجَفَا تَرْحَمُونَهُ
كَأَنَّكُمْ وَاللَّهُ لَا تَعْرِفُونَهُ
يُعَدُّ مِنَ الْأَمْوَاتِ إِلَّا أَيْنَهُ
يَعِزُّ عَلَى الْمُشْتَقِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ

فلما فرغ من شعره قام وجعل يلور في البيت وينوح ويبكي وينتحب مدة خمسة أيام ولم يذق فيها طعاماً ولا شرباً. فقامت إليه أمه وحلقته وأقسمت عليه أن يسكت من البكاء وهو لا يقبل كلامها، ولا زال يبكي وينتحب وأمّه تسليه وهو لا يسمع منها شيئاً. ثم أنشد هذه الأبيات: [من الكامل]

أَكْذَا يُجَازَى وَدُّ كُلِّ قَرِينٍ
أَفَمَا بِيوتِ النَّحْلِ بَيْنَ شَفَاهِمِمْ
قُصُوا عَلَيَّ حَدِيثَ مَنْ قَتَلَ الْهَوَى
وَوَرَاءَ ذِيكَ الْمُصَلَّى مُؤَرِّدٌ
لَوْ كُنْتُ زَرْقَاءَ الْيَمَامَةِ مَا رَأَيْتُ
تَرْمِي بِعَيْنَيْكَ الْفَجَاجَ مُقَلِّبًا
أَمْ هَذِهِ شِيمُ الطَّبَّاءِ الْعَيْنِ
مَنْصُوضَةٌ أَوْ حَانَةُ الزَّرْجُونِ
إِنَّ التَّكَاسِي رُوحُ كُلِّ حَزِينٍ
حَصْبَاؤُهُ مِنْ لُؤْلُؤِ مَكْتُونِ
مِنْ بَارِقِ حَيَا عَلَى جَيْرُونِ
ذَاتِ الشَّمَالِ بِهَا وَذَاتِ يَمِينِ

وما زال حسن على هذه الحالة يبكي إلى الصباح، ثم إنه أغفت عيناه فرأى زوجته حزينة وهي تبكي. فقام من نومه وهو صارخ وأنشد هذين البيتين: [من الطويل]

خَيَالُكَ عِنْدِي لَيْسَ يَبْرَحُ سَاعَةً
وَلَوْلَا رَجَاءُ الْوَصْلِ مَا عَشْتُ لِحَظَّةٍ
جَعَلْتُ لَهُ فِي الْقَلْبِ أَشْرَفَ مَوْضِعٍ
وَلَوْلَا خَيَالُ الطَّيْفِ لَمْ أَنْتَهَجْ

فلما أصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه، ولم يزل باكي العين حزين القلب ساهر الليل قليل الأكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل. فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله أنه يسافر إلى أخواته لأجل أن يساعدهن على قصده من حصولها. فأحضر النجائب ثم حمل هجينة من تحف العراق وركب واحدة منهن، ثم أوصى والدته على البيت وأودع جميع حوايجه إلا قليلاً أبقيه في الدار ثم سار متوجهاً إلى أخواته لعله أن يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته. ولم يزل ساعثراً حتى وصل إلى قصر البنات في جبل السحاب، فلما دخل عليهن قدم إليهن الهدايا ففرحن بها وهنينه بالسلامة وقلن له: يا أخانا، ما سبب مجيئك بسرعة وما لك غير شهرين؟ فبكى وأنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

أَرَى النَّفْسَ فِي فِكْرٍ لَفَقَدَ حَبِيبَهَا
سَقَامِي دَاءٌ لَيْسَ يُعْرِفُ طِبَّهُ
فَيَا مَانِعِي طِيبِ الْمَنَامِ تَرَكْتَنِي
قَرِيبَةً عَهْدٍ مِنْ حَبِيبِي وَقَدْ حَوَى
فَيَا أَيُّهَا الشَّخْصُ الْمِلْمُ بَارِضِهِ
فَلَا تَتَهَنَّى بِالْحَيَاةِ وَطِيبِهَا
وَهَلْ يَبْرِيءُ الْأَسْقَامَ غَيْرُ طِيبِهَا
أَسْأَلُ عَنْكَ الرِّيحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
مَحَاسِنَ تَدْعُو مُقَلَّتِي لِصَبِيبِهَا
عَسَى نَفْحَةُ تُحْيِي الْقُلُوبَ بِطِيبِهَا

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه . وقعدت البنات حوله يبكين عليه حتى أفاق من غشيته . فلما أفاق انشد هذين البيتين : [من الطويل]

عَسَى وَلَعَلَّ الدَّهْرَ يَلْوِي عِنَانَهُ وَيَأْتِي بِحِجْبِي والزَّمَانُ غَيُورُ
وَيُسْعِدُنِي دَهْرِي فَتَقْضَى حَوَائِجِي وَتَحْصُلُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق انشد هذين البيتين : [من البسيط]

بِاللَّهِ يَا مُنْتَهَى سَقَمِي وَأَمْرَاضِي هَلْ أَنْتَ رَاضٍ فَإِنِّي فِي الْهَوَى رَاضٍ
أَتَهْجُرِينَ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا سَبَبٍ فَوَاصِلِي وَأَرْحَمِي مِنْ هَجْرِكَ الْمَاضِي

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق انشد هذه الايات : [من الكامل]

هَجَرَ الْمَنَامَ وَوَصَلَ التَّسْهِيدَ وَالْعَيْنُ بِالذَّمْعِ الْمَصُونِ تَجُودُ
تَبْكِي بِدَمْعٍ كَالعَقِيقِ صَبَابَةً يَرَبُّو عَلَى طُولِ الْمَدَى وَيَزِيدُ
أَهْدَى إِلَيَّ الشُّوقُ يَا أَهْلَ الْهَوَى نَاراً لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ وَقُودُ
وَإِذَا ذَكَرْتِكِ لَمْ تَقْضُ لِي دَمْعَةً إِلَّا فِيهَا بَارِقٌ وَرَعُودُ

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق من غشيته انشد هذه الايات : [من

الطويل]

أَفِي الْعِشْقِ وَالتَّبَرُّيحِ دُنْتُمْ كَمَا دَنَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى مَا أَمَرَهُ
وَجُوهُكُمْ الْحَسَنَاءُ إِنْ شَطَطَ النَّوَى تَمَثَّلُ فِي أَبْصَارِنَا أَيُّمَا كُنَّا
فَقَلْبِي مَشْغُولٌ بِتَذْكَارِ حَبِيبِكُمْ وَيُطْرِبُنِي صَوْتُ الْحَمَامِ إِذَا عَنَى
أَلَا يَا حَمَاماً بَاتَ يَدْعُو أَلَيْفَهُ لَقَدْ زِدْتَنِي شَوْقاً وَأَصْحَبْتَنِي حُزْناً
تَرَكْتَ جُفُونِي لَا تَمَلُّ مِنْ الْبُكَاءِ عَلَى سَادَةِ غَابُوا بِرُؤْيَتِهِمْ عَنَّا
أَجِنُ إِلَيْهِمْ كُلَّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ وَأَشْتَاقُهُمْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ قَدْ جَنَّ

فلما سمعت كلامه أخته خرجت إليه فرأته راقداً مغشياً عليه ، فصرخت ولطمت وجهها فسمعا أخواتها فخرجن إليها فراين حسناً راقداً مغشياً عليه ، فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام . فسألته عن حاله ، فبكى وأخبرهن بما جرى له في غيابته حيث طارت زوجته وأخذت أولادها معها . فحزن عليه وسألته عن الذي قالت عندما راحت قال : يا أخواتي إنها قالت لوالدتي : قلولي لولدك إذا جاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتفى القرب مني والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئني في جزائر واق . فلما سمعن كلامه تغامزن وتذكرن وصارت كل واحدة تنظر إلى أختها وحسن ينظرهن ، ثم أطرقن برؤوسهن إلى الأرض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم قلن له : امدد يدك إلى السماء فإن وصلت إلى السماء تصل إلى زوجتك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان البنات لما قلن لحسن : امدد يدك إلى السماء فإن وصلت إليها تصل إلى زوجتك وأولادك . جرت دموعه على خديه مثل المطر حتى بليت ثيابه وأنشد هذه الايات :

[من البسيط]

قَدْ هَيَّجْتَنِي الخُودُ الحُمْرُ والحدقُ
يَبِضُ نَوَاعِمُ أَضْنَتْ بِالْجَمِّ جَسَدِي
حُورٌ تَمِيسُ كَغَزَلَانِ النَّقَا سَفَرَتْ
يَمِشِينَ مِثْلَ نَسِيمِ الرُّوضِ فِي سَمَرٍ
عَلَّقْتُ مِنْهُنَّ آمَالِي بَغَانِيَةً
خُودَاءُ نَاعِمَةٌ الأَطْرَافِ مَايَسَّةُ
قَدْ هَيَّجْتَنِي وَكَمْ فِي الحُبِّ مِنْ بَطَلٍ
وفارِقَ الصَّبْرَ لَمَّا أَقْبَلَ الأَرْقُ
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ لأَبْصَارِ الوَرَى رَمَقُ
عَنْ بَهْجَةٍ لَوْ رَأَاهَا الأَوْلِيَا عَلِقُوا
بِعِشْقِهِنَّ عَرَانِي الهَمُّ وَالقَلْقُ
قَلْبِي لَهَا يَلْطَى النِّيرَانَ يَحْتَرِقُ
فِي وَجْهَهَا الصُّبْحُ بَلْ فِي شَعْرِهَا الغَسَقُ
قَدْ هَيَّجْتُهُ جُفُونُ البِضْرِ والحدقُ

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه وأخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يتلطفن به ويصبرنه ويدعين له بجمع الشمل . فاقبلت عليه أخته وقالت له : يا أخي طب نفسك وقر عيناً واصبر تبلغ مرادك ، فمن صبر وتأتى نال ما تمنى ، والصبر مفتاح الفرج . فقد قال الشاعر : [من البسيط]

دَعِ الأَمْقَادِيرَ تَجْرُ فِي أعينِهَا
مَا بَيْنَ غَمَضَةِ عَيْنٍ وَأَنْتِبَاهَتِهَا
وَلَا تَبَيِّنَنَّ إِلاَّ خَالِي البَالِ
يُغَيِّرُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ثم قالت له : قو قلبك واشدد عزمك فإن ابن عشرة لا يموت وهو في تسعة ، والبكاء والغم والحزن تمرض وتسقم ، واقعد عندنا حتى تستريح وأنا التحيل لك في الوصول إلى زوجتك وأولادك إن شاء الله تعالى . فبكى بكاءً شديداً وأنشد هذين البيتين : [من الوافر]

لَيْتَنُ عَوْفِيَتْ مِنْ مَرَضٍ بِجَسْمِي
وَلَيْسَ دَوَاءُ أَمْرَاضِ التَّصَابِي
فَمَا عَوْفِيَتْ مِنْ مَرَضٍ بِقَلْبِي
سِوَى وَصْلِ الحَبِيبِ مَعَ المُحِبِّ

ثم جلس إلى جانب أخته وصارت تحدّثه وتسليه وتساله عن الذي كان سبباً في رواحها ، فأخبرها عن سبب ذلك . فقالت له : والله يا أخي إني أردت أن أقول لك أحرق الثوب الريش فأنساني الشيطان ذلك . وصارت تحدّثه وتلاطفه . فلما طال عليه الأمر وزاد به القلق أنشد هذه الايات : [من الطويل]

تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِي حَبِيبٌ أَلْفَتْهُ
مِنْ العُرْبِ قَدْ حَازَ المَلاحَةَ كُلَّهَا
لَيْتَنُ عَزَّ صَبْرِي فِي هَوَاهُ وَحِيلَتِي
مَلِيحٌ لَهُ سَبْعٌ وَسَبْعٌ كَأَنَّهُ
وَلَيْسَ لِمَا قَدْ قَدَّرَ اللهُ مَدْفَعُ
عَزَالٌ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي يَرْتَعُ
بَكَيْتُ عَلَى أَنَّ البِكَاءَ لَيْسَ يَنْفَعُ
هِلَالَ لَهُ خَمْسٌ وَخَمْسٌ وَأَرْبَعُ

فلما نظرت أخته إلى ما هو فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام ، قامت إلى أخواتها وهي باكية العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن ورمت نفسها عليهن وقبّلت أقدامهن وسألتهن مساعدة أخيها على قضاء حاجته واجتماعه بأولاده وزوجته وعاهدتهن على أن يدبرن أمراً يوصله إلى جزائر واق . وما زالت تبكي بين يدي أخواتها حتى أبكتهن وقلن لها : طيبي قلبك فإننا مجتهدات في اجتماعه بأهله إن شاء الله . ثم إنه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع ، وكان لأخواتها عم أخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبد القلوس ، وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة ، وكان في كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضي حوايجها . وكانت البنت قد حدثته بحديث حسن وما وقع له مع المجوسي وكيف قدر على قتله . ففرح عمهن بذلك ودفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور وقال لها : يا بنت أخي ، إذا أهملك أمراً وأنا لك مكروه أو عرضت لك حاجة فالقي هذا البخور في النار واذكريني فإني أحضر لك بسرعة وأقضي حاجتك . وكان هذا الكلام في أول يوم من السنة . فقالت تلك البنت لبعض أخواتها : إن السنة مضت بتمامها وعمي لم يحضر ، قومي اقدحي الزناد وأتتني بعلبة البخور . فقامت البنت وهي فرحانة وأحضرت علبة البخور وفتحتها وأخذت منها شيئاً يسيراً وناولته لاختها فأخذته ورمته في النار وذكرت عمها ، فما فرغ البخور إلا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادي . ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحته ، فلما نظرت البنت صار يشير إليهن بيديه ورجليه ، ثم بعد ساعة وصل إليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقته وقبلن يديه وسلمن عليه . ثم إنه جلس وصارت البنات يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه فقال : إني كنت في هذا الوقت جالساً أنا وزوجة عمك فشممت البخور فحضرت إليكن على هذا الفيل ، فما تريدن يا بنت أخي ؟ فقالت : يا عم ، إننا اشتقنا إليك وقد مضت السنة وما عادتك أن تغيب عنا أكثر من سنة . فقال لهن : إني كنت مشغولاً وكنت عزمتم على أن أحضر إليكن غداً . فشكرنه ودعين له وقعدن يتحدثن معه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 800

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت له البنت الكبيرة : يا عمي ، إننا كنا حدثناك بحديث حسن البصري الذي جاء به بهرام المجوسي وكيف قتله ، وحدثناك بالصبية بنت الملك الأكبر التي أخذها وما قاسى من الأمور الصعاب والأهوال ، وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها ، وكيف سافر بها إلى بلاده . قال : نعم . فما حدث له بعد هذا ؟ قالت له : إنها غدرت به وقد رزق منها بولدين فأخذتهما وسافرت بهما إلى بلاده وهو غائب وقالت لأمه : إذا حضر ولدك وطالت عليه ليالي الفراق وأراد مني القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والإشتياق فليجثني إلى جزائر واق . فحرك رأسه وعض على إصبعه ثم طرق رأسه إلى الأرض وصار ينكت في الأرض بإصبعه ، ثم التفت يميناً وشمالاً وحرك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه . فقالت البنات لعمهن : ردّ علينا الجواب فقد تفتتت منا الأكباد . فhez رأسه إليهن وقال لهن : يا بناتي ، لقد أتعب هذا الرجل نفسه ورمي روحه في هول عظيم وخطر جسيم فإنه لا يقدر أن يقبل على جزائر واق . فعند ذلك نادى البنات حسناً فخرج إليهن وتقدّم إلى الشيخ عبد القلوس وقبل يده وسلم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه . فقالت

البنات لعمهن : يا عم ، بينَ لآخينا حقيقة ما قلته . فقال له : يا ولدي ، أترك عنك هذا العذاب الشديد فإنك لا تقدر أن تصل إلى جزائر واق ولو كان معك الجن الطائرة والنجوم السيارة ، لأن بينك وبين الجزائر سبعة أودية وسبعة بحار وسبعة جبال عظام ، وكيف تقدر أن تصل إلى هذا المكان؟ ومن يوصلك إليه؟ بالله عليك أن ترجع من قريب ولا تتعب سرك . فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشي عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه ، وأما البنت الصغيرة فإنها شقت ثيابها ولطمت على وجهها حتى غشي عليها . فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن ، رق لهم وأخذته الرافة عليهم فقال : أسكتوا . ثم قال لحسن : طيب قلبك وابشر بقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى . ثم قال له : يا ولدي ، قم وشد حيلك واتبعني . فقام حسن على حيله بعد أن ودّع البنات وتبعه وقد فرح بقضاء حاجته . ثم إن الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر ، فركبه وأردف حسناً خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل إلى جبل عظيم أزرق وحجارته كلها زرق ، وفي ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصيني . فأخذ الشيخ بيد حسن وأنزله ، ثم نزل الشيخ وأطلق الفيل . ثم تقدّم إلى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب وخرج إليه عبد أسود أجروود كانه عفريت ، ويده اليمنى سيف والأخرى ترس من بولاد . فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمى السيف والترس من يده وتقدّم إلى الشيخ عبد القدوس وقبل يده ثم أخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو وإياه وقفل العبد الباب خلفهما ، فرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جداً ولها دهليز معقود . ولم يزالوا سائرين مقدار ميل ، ثم انتهى بهم السير إلى فلاة عظيمة وتوجهوا إلى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الأصفر ، ففتح الشيخ عبد القدوس باباً منهما ودخل ورده وقال لحسن : اقعده على هذا الباب واحذر أن تفتحه وتدخل حتى أدخل وأرجع إليك عاجلاً . فلما دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان مسرج ملجم ، إن سار طار وإن طار لم يلحقه غبار . فقدّمه الشيخ لحسن وقال : إركب . ثم إن الشيخ فتح الباب الثاني فبان منه بركة واسعة ، فركب حسن الحصان وخرج الإثنين من الباب وسارا في تلك البرية . فقال الشيخ لحسن : يا ولدي ، خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان إلى الموضع الذي يوصلك إليه فإذا نظرته وقف على باب مغارة مثل هذه ، فانزل عن ظهره واجعل عنانه في قربوص السرج واطلقه فإنه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فإنه في اليوم السادس يخرج إليك شيخ أسود عليه لباس أسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة إلى سرتة ، فاذا رأيته فقبل يديه وامسك ذيله واجعله على رأسك وابك بين يديه حتى يرحمك فإنه يسألك عن حاجتك . فإذا قال لك : ما حاجتك؟ فادفع إليه هذا الكتاب فإنه يأخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك . فقف مكانك خمسة أيام آخر ولا تضجر ، وفي اليوم السادس انتظره فإنه يخرج إليك . فإن خرج إليك بنفسه فاعلم أن حاجتك تقضى ، وإن خرج إليك أحد من غلماناه فاعلم أن الذي خرج إليك يريد قتلك والسلام . واعلم يا ولدي أن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسناً الكتاب أعلمه بما يتحصل له وقال له : إن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه . فإن كنت تخاف على نفسك فلا تلق بها إلى الهلاك ، وإن كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الأمور ، وإن شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضر فإنه يسير بك إلى بنات أخي وهن يوصلنك إلى بلادك ويرددنك إلى وطنك ويرزقك الله خيراً من هذه البنت التي تعلقت بها . فقال حسن للشيخ : وكيف تطيب لي الحياة من غير أن أبلغ مرادي ، والله إنني لا أرجع أبداً حتى أبلغ حبيتي أو تدركني منيتي . ثم بكى وانشد هذه الأبيات : [من الطويل]

عَلَى فَقْدِ حَبِيٍّ مَعَ تَزَايُدِ صَبَوْتِي
وَقَبْلَتْ تَرْبُ الرُّبْعِ شَوْقًا لِأَجْلِهِ
رَعَى اللهُ مَنْ بَانُوا فِي الْقَلْبِ ذِكْرُهُمْ
يَقُولُونَ لِي صَبْرًا وَقَدْ رَحَلُوا بِهِ
وَمَا رَاعَيْتَنِي إِلَّا الْوَدَاعُ وَقَوْلُهُ
لِمَنْ أَلْتَجِي مَنْ أَرْتَجِي بَعْدَ فَقْدِهِمْ
فَوَاحَسْرَتِي لَمَّا رَجَعْتُ مُودَعًا
فَوَا أَسْفَا هَذَا الَّذِي كُنْتُ حَادِرًا
فَإِنَّ غَابَ أَحْبَابِي فَلَا عَيْشَ بَعْدَهُمْ
فَوَاللهِ لَمْ يَنْفَضْ دَمْعِي مِنَ الْبُكَاءِ
وَقَفْتُ أَنَادِي بَانِكِسَارِي وَدَلَّتِي
وَلَمْ يُجِدْنِي إِلَّا تَزَايُدَ حَسْرَتِي
فَوَاصَلْتُ آلَامِي وَفَارَقْتُ لَذَّتِي
وَقَدْ أَضْرَمُوا يَوْمَ التَّرْحَلِ زُفْرَتِي
إِذَا غَبَتْ فَأَذْكُرْنِي وَلَا تَنْسَ صُحْبَتِي
وَكَانُوا رَجَائِي فِي رَحَائِي وَشِدَّتِي
وَسَرَّ عِدَاكَ الْمُبْغِضُونَ بِرَجْعَتِي
وَيَا لَوْعَتِي زَيْدِي لَهَيْبًا بِمُهْجَتِي
وَإِنْ رَجَعُوا يَا فُرْحَتِي وَمَسْرَتِي
عَلَى فَقْدِهِمْ بَلْ عِبْرَةٌ بَعْدَ عِبْرَةٍ

فلما سمع الشيخ عبد القدوس إنشاده وكلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وأن الكلام لا يؤثر فيه ، وتيقن أنه لا بد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته . فقال : أعلم يا ولدي أن جزائر واق سبع جزائر فيها عسكر عظيم ، وذلك العسكر كله بنات أبقار . وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وأرهاط مختلفة ، وكل من دخل أرضهم لا يرجع وما وصل إليهم أحد قط ورجع . فبالله عليك أنت ترجع إلى أهلك من قريب ، وأعلم أن البنت التي قصدها بنت ملك هذه الجزائر كلها ، وكيف تقدر أن تصل إليها ؟ فاسمع مني يا ولدي ولعل الله يعوضك خيراً منها . فقال حسن : والله يا سيدي ، لو قطعت في هواها إرباً إرباً ما ازددت إلا حباً وطرباً ، ولا بد من رؤية زوجتي وأولادي والدخول في جزائر واق ، وإن شاء الله تعالى ما أرجع إلا بها وبأولادي . فقال له الشيخ عبد القدوس : حينئذ لا بد لك من السفر . فقال : نعم . وإنما أريد منك الدعاء بالإسعاف والإعانة لعل الله يجمع شملي بزوجتي وأولادي عن قريب . ثم بكى من عظم شوقه وانشد هذه الأبيات : [من البسيط]

أَنْتُمْ مُرَادِي وَأَنْتُمْ أَحْسَنُ الْبَشَرِ
مَلَكَتُمُ الْقَلْبَ مِنِّي وَهُوَ مَنْزِلُكُمْ
فَلَا تَنْظُنُوا أَنْتِقَالِي عَنْ مَحَبَّتِكُمْ
أَحْلَكُكُمْ فِي مَحَلِّ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
وَبَعْدَكُمْ سَادَتِي أَصْبَحْتُ فِي كَدْرِ
فَحَبُّكُمْ صَيْرَ الْمُسْكِينِ فِي حَدَرِ

غَيْثُمْ فَغَابَ سُرُورِي بَعْدَ غَيْثِكُمْ
تَرَكْتُمُونِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ الْمِ
يَدَ لَيْلٍ طُلَّتْ عَلَيَّ مِنْ بَاتٍ فِي قَلْبِي
إِنْ جُرْتُ يَا رِيحُ حَيًّا فِيهِ قَدْ نَزَلُوا
وَقُلْ لَهُمْ بَعْضَ مَا لَاقَيْتُ مِنَ الْمِ

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه . فلما أفاق قال له الشيخ عبد
القدوس : يا ولدي ، إن لك والدة فلا تذقها فقدك . فقال حسن للشيخ : والله يا سيدي ما بقيت
أرجع إلا بزوجتي أو تدركتي منيتي . ثم بكى وناح وأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

وَحَقُّ الْهَوَى مَا غَيْرَ الْبُعْدِ عَهْدَكُمْ وَمَا أَنَا مِمَّنْ لِلْعُهُودِ يَخُونُ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مَا لَوْ شَرَحْتُهُ إِلَى النَّاسِ قَالُوا: قَدْ عَرَاهُ جُنُونُ
فَوَجَدْتُ وَحْزَنُ وَأَتَّحَابُ وَلَوْعَةٌ وَمَنْ حَالُهُ هَذَا فَكَيْفَ يَكُونُ؟

فلما فرغ من شعره علم الشيخ أنه لا يرجع عن ما هو فيه ولو ذهب روحه ، فنأوله الكتاب
ودعا له وأوصاه بالذي يفعله وقال له : إنني قد أكدت لك في الكتاب على أبي الرويش بن بلقيس
بنت معين ، فهو شيعي ومعلمي وجميع الإنس والجن يخضعون له ويخافون منه . ثم قال له :
توجه على بركة الله . فتوجه وأرخى عنان الحصان فطار به أسرع من البرق ، ولم يزل حسن
مسرعاً بالحصان مدة عشرة أيام حتى نظر أمامه شبحاً عظيماً أسود من الليل قد سد ما بين
المشرق والمغرب . فلما قرب حسن منه سهل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا
يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان ، فخاف حسن منها وفرغ ولم
يزل سائراً والخيول حوله إلى أن وصل إلى المغارة التي وصفها له الشيخ عبد القدوس . فوقف
الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه ووضع عنانه في سرجه ، فدخل الحصان المغارة ووقف
حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكراً في عاقبة أمره كيف تكون ، حيران
والهان لا يعلم الذي يجري له . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 802
□ قالت : يلغني أيها الملك السعيد ، أن حسنا لما نزل من فوق ظهر
الحصان وقف على باب المغارة متفكراً في عاقبة أمره كيف تكون ، لا يعلم
الذي يجري له . ولم يزل واقفاً على باب المغارة خمسة أيام بلياليها وهو
سهران حزنان حيران متفكراً حيث فارق الأهل والأوطان والأصحاب
والخلان ، باكي العين حزين القلب . ثم إنه تذكر والدته وتفكر فيما
يجري له ، وفي فراق زوجته وأولاده وفي ما قاساه . فأنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

لَدَيْكُمْ دَوَاءُ الْقَلْبِ وَالْقَلْبُ ذَاهِبٌ وَمِنْ سَفْحِ أَجْفَانِي دُمُوعٌ سَوَابِغُ
فِرَاقٌ وَحْزَنٌ وَأَشْتِيَاقٌ وَعُرْبَةٌ وَبُعْدٌ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالشُّوقُ غَالِبُ
وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ دُوَّ صَبَابَةٍ يَبْعُدُ الَّذِي يَهْوَى دَهْتَهُ الْمَصَابِغُ
فَإِنْ كَانَ عِشْقِي قَدْ رَمَانِي بِنَكْبَةٍ فَايُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبهُ النَّوَابِغُ

فلم يفرغ حسن من شعره إلا والشيخ أبو الرويش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس أسود. فلما نظره حسن عرفه بالصفات التي أخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميه ومسك رجله وحطها على رأسه وبكى قدامه. فقال له الشيخ أبو الرويش: ما حاجتك يا ولدي؟ فمدّ يده بالكتاب وناوله للشيخ أبي الرويش، فأخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جواباً. ففعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكي، وما زال قاعداً مكانه مدة خمسة أيام وقد ازداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الأرق فصار يبكي ويتضجر من ألم البعاد وكثرة السهاد. ثم أنشد هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

سُبْحَانَ جِبَارِ السَّمَاءِ	إِنَّ الْمُحِبَّ لَفِي عَنَاءِ
مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْهَوَى	لَمْ يَدْرِ مَا جَهْدُ الْبَلَاءِ
لَوْ كُنْتُ أَحْسِبُ عَبْرَتِي	لَوَجَدْتُ أَنْهَارَ الدَّمَاءِ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ قَدْ قَسَى	قَلْبًا وَأَوْلَعَ بِالشَّقَاءِ
فَإِذَا تَعَطَّفَ لِأَمْنِي	فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَاءِ
لَكَ قَدْ ذَهَبْتُ لِأَرْتَدِي	فَأَصَابَ عَيْنِي رِدَائِي
بَكَتِ الْوُحُوشُ لِوَحْشَتِي	وَكذَلِكَ سُكَّانُ الْهَوَاءِ

ولم يزل حسن يبكي إلى أن لاح الفجر وإذا بالشيخ أبو الرويش قد خرج إليه وهو لباساً أبيض وأوماً إليه بيده أن يدخل، فدخل حسن فأخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وايقن أن حاجته قد قضيت. ولم يزل الشيخ سائراً وحسن معه مقدار نصف نهار، ثم وصلا إلى باب مقنطر عليه باب من البولاد، ففتح الباب ودخل هو وحسن في دهليز معقود بحجارة من الحجزع المنقوش بالذهب. ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قاعة كبيرة مرخمة واسعة وفي وسطها بستان فيه من سائر الأشجار والأزهار والأثمار والأطيار على الأشجار تناغي وتسبح الله الملك القهار. وفي القاعة أربع لوابين يقابل بعضها بعضاً، وفي كل لوان مجلس فيه فسقية، وعلى كل ركن من أركان كل فسقية صورة سبع من الذهب، وفي كل مجلس كرسي وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جداً وبين أيديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور، وكل شيخ منهم بين يديه طلبة يقرؤون عليه الكتب. فلما دخلا عليهم قاموا إليهما وعظموهما، فأقبل عليهم وأشار لهم أن يصرفوا الحاضرين فصرفوهم. وقام الأربعة مشايخ وجلسوا بين يدي الشيخ أبي الرويش وسألوه عن حال حسن. فعند ذلك أشار الشيخ أبو الرويش إلى حسن وقال له: حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من أول الأمر إلى آخره. فعند ذلك بكى حسن بكاء شديداً وحدثهم بحديثه. فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشايخ كلهم وقالوا: هل هذا هو الذي أطلعه المحوسي إلى جبل السحاب بالنسور وهو في جلد الجمل؟ فقال لهم حسن: نعم. فأقبلوا على الشيخ أبي الرويش وقالوا له: يا شيخنا، إن بهرام تحمّل في طلوعه على الجبل وكيف نزل؟ وما الذي رآه فوق الجبل من العجائب؟ فقال الشيخ أبو الرويش: يا حسن، حدثهم كيف نزلت وأخبرهم بالذي رأيته من العجائب. فأعاد عليهم ما جرى له من أوله إلى

آخره وكيف ظفرت به وقتله وكيف غدرت به زوجته واخذت اولاده وطارت وبجميع ما قاساه من الاهوال والشدائد . فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم اقبلوا على الشيخ ابي الرويش وقالوا له : يا شيخ الشيوخ ، والله إن هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته واولاده . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 803

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد ، أن حسناً لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ ابي الرويش : هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته واولاده . فقال لهم الشيخ ابو الرويش : يا اخواني ، إن هذا أمر عظيم خطر وما رأيت أحداً يكره الحياة غير هذا الشاب ، وأنتم تعرفون أن جزائر واق صعبة الوصول ، ما وصل إليها أحد إلا خاطر بنفسه وتعرفون قوتهم واعوانهم ، وأنا حالف إني ما أدوس لهم أرضاً ولا أتعرض لهم في شيء ، وكيف يصل هذا إلى بيت الملك الأكبر؟ ومن يقدر أن يوصله إليها أو يساعده على هذا الأمر؟ فقالوا: يا شيخ الشيوخ ، إن هذا الرجل أتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر إليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القلوس فحيثنذ يجب عليك مساعدته . فقام حسن وقبل قدم أبي الرويش ورفع ذيله ووضع على رأسه وبكى وقال له : سألتك بالله أن تجمع بيني وبين اولادي وزوجتي ولو كان في ذلك ذهاب روحي ومهجتي . فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ ابي الرويش : اغتنم اجر هذا المسكين وافعل معه جميلاً لأجل أخيك الشيخ عبد القلوس . فقال : إن هذا الشاب مسكين ما يعرف الذي هو قادم عليه ، ولكن نساعده على قدر الطاقة . ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه وقبل أيادي الحاضرين واحداً بعد واحد وسألهم المساعدة . فعند ذلك أخذ أبو الرويش ورقة ودواة وكتب كتاباً وختمه واعطاه لحسن ودفع له خريطة من الأدم فيها بخور وآلات نار من زناد وغيره وقال له : احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت في شدة فبخر بقليل منه واذكرني فإني احضر عندك وأخلصك منها . ثم أمر بعض الحاضرين أن يحضر له عفريتاً من الجن الطائرة في ذلك الوقت فحضر . فقال له الشيخ : ما اسمك؟ قال : عبدك دهنش بن قفطش . فقال له أبو الرويش : اذن مني . فدنى منه فوضع الشيخ أبو الرويش فاه على أذن العفريت وقال له كلاماً ، فحرك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن : يا ولدي ، قم اركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فإذا رفعتك إلى السماء وسمعت تسييح الملائكة في الجو فلا تسيح فتهلك أنت وهو . فقال حسن : لا أتكلم أبداً . ثم قال له الشيخ : يا حسن ، إذا سار بك فإنه يضعك ثاني يوم في وقت السحر على أرض بيضاء نقية مثل الكافور ، فإذا وضعك هناك فامش عشرة أيام وحدك حتى تصل إلى باب المدينة . فإذا وصلت إليها فادخل واسأل عن ملكها ، فإذا اجتمعت به فسلم عليه وقبل يده واعطه هذا الكتاب ومهما أشار به إليك فافهمه . فقال حسن : سمعاً وطاعة . وقام مع العفريت وقام المشايخ ودعوا له ووصوا العفريت عليه . فلما حملة العفريت على عاتقه ارتفع به إلى عنان السماء ومشى به يوماً وليلة حتى سمع تسييح الملائكة في السماء ، فلما كان الصبح وضعه في أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف . فلما أدرك حسن أنه على الأرض ولم يكن عنده أحد ، سار في الليل والنهار مدة عشرة أيام إلى أن وصل إلى باب المدينة ، فدخلها وسأل عن الملك فدلوه عليه وقالوا : إن اسمه الملك حسون ملك

أرض الكافور، وعنده من العساكر والجنود ما يملا الأرض في طولها والعرض . فاستأذن فاذن له، فلما دخل عليه وجده ملكاً عظيماً فقبل الأرض بين يديه . فقال له الملك : ما حاجتك ؟ فقبل حسن الكتاب وناوله إياه . فأخذه وقرأه ثم حرك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه : خذ هذا الشاب وانزله في دار الضيافة . فأخذه وسار حتى أنزله هناك فأقام بها مدة ثلاثة أيام في أكل وشرب وليس عنده إلا الخادم الذي معه ، فصار ذلك الخادم يحدثه ويؤانسه ويسأله عن خبره وكيف وصل إلى هذه الديار . فأخبره بجميع ما حصل له وكل ما هوفيه . وفي اليوم الرابع أخذه الغلام وأحضره بين يدي الملك فقال له : يا حسن ، أنت قد حضرت عندي تريد أن تدخل جزائر واق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ ، يا ولدي أنا أرسلتك في هذه الأيام إلا أن في طريقك مهالك كثيرة وبراري معطشة كثيرة المخاوف ، ولكن إصبر ولا يكون إلا خيراً فلا بد أن أتجمل وأوصلك إلى ما تريد إن شاء الله تعالى . واعلم يا ولدي أن هنا عسكرياً من الديلم يريدون الدخول في جزائر واق مهيؤون بالسلاح والخيول والعدد وما قدروا على الدخول ، ولكن يا ولدي لأجل شيخ الشيوخ أبي الرويش ابن بنت اللعين ابليس ما أقدر أن أركبك إليه إلا مقضي الحاجة ، وعن قريب تأتي إلينا مراكب من جزائر واق وما بقي لها إلا القليل . فإذا حضرت واحدة منها أنزلتك فيها وأوصي بالبحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك إلى جزائر واق ، وكل من سألك عن حالك وخبرك فقل له : أنا صهر الملك حسون صاحب أرض الكافور ، وإذا رست المركب على جزائر واق وقال لك الرئيس : اطلع البر . فاطلع ، ترى دككاً كثيرة في جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها ولا تتحرك . فإذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد أحاط بالبضائع ، فمد يدك وامسك صاحبة هذه الدكة التي أنت تحتها واستجر بها . واعلم يا ولدي أنها إذا أجارتك قضيت حاجتك فتصل إلى زوجتك وأولادك ، وإن لم تجرك فاحزن على نفسك وايش من الحياة وتيقن بهلاك نفسك . واعلم يا ولدي أنك مخاطر بنفسك ولا أقدر لك على شيء غير هذا والسلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذي ذكرناه وقال له : أنا لا أقدر لك على شيء غير هذا . قال له بعد ذلك : واعلم أنه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت إلى هنا . فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق أنشد هذين البيتين : [من الكامل]

فلما كانت الليلة
فلم يكن لها
804
كانت الليلة
فلم يكن لها

لا بُدَّ لي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُمَةٍ فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا مُتُّ
لَوْ صَارَ عَنِّي الْأَسَدُ فِي غَابَاتِهَا لَقَهَرْتَهَا مَا دَامَ لِي وَقْتُ

فلما فرغ حبسن من شعره قبل الأرض بين يدي الملك وقال له : أيها الملك العظيم ، وكم بقي من الأيام حتى تأتي المراكب ؟ قال : مدة شهر ، ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين ثم يرجعون إلى بلادهم ، فلا ترجى سفرك فيها إلا بعد ستة أشهر كاملة . ثم إن الملك أمر حسناً أن يذهب إلى دار الضيافة وأمر أن يحمل له كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذي يناسب الملوك . فأقام في دار الضيافة شهراً وبعد الشهر حضرت المراكب . فخرج الملك والتجار وأخذ

حسناً معه إلى المراكب، فرأى مركباً فيها خلق كثير مثل الحصى ما يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وتلك المركب في وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيها من البضائع إلى البر. فأقام حسن عندهم حتى نزع البضائع منها إلى البر وباعوا واشتروا وما بقي للسفر إلا ثلاثة أيام، فأحضر الملك حسناً بين يديه وجهاز له ما يحتاج إليه وأنعم عليه أنعاماً عظيماً ثم بعد ذلك استدعى ريس تلك المركب وقال له: خذ هذا الشاب معك في المركب ولا تعلم به أحداً وأوصله إلى جزائر واق واتركه هناك ولا تأت به. فقال الريس: سمعاً وطاعة. ثم إن الملك أوصى حسناً وقال له: لا تعلم أحداً من الذين معك في المركب بشيء من حالك ولا تطلع أحداً على قصتك فتهلك. قال: سمعاً وطاعة. ثم ودّعه بعد أن دعا له بطول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والأعداء، وشكره الملك على ذلك ودعا له بالسلامة وقضاء حاجته ثم سلّمه للريس، فأخذه وحطّه في صندوق وأنزله ولم يطلعه في المركب إلا والناس مشغولون في نقل البضائع، وبعد ذلك سافرت المراكب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام. فلما كان اليوم الحادي عشر وصلوا إلى البر فطلّعه الريس من المركب، فلما طلع من المركب إلى البر رأى فيه دككاً لا يعلم عددها إلا الله، فمشى حتى وصل إلى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها. فلما أقبل الليل جاءت خلق كثير من النساء كالجراد المنتشر وهن ماشيات على أقدامهن وسيوفهن مشهورة في أيديهن ولكنهن غائصات في الزرد، فلما رأت النساء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لأجل الإستراحة. فجلست واحدة منهن على الدكة التي تحتها حسن، فأخذ حسن طرف ذيلها وحطّه فوق رأسه ورمى نفسه عليها وصار يقبّل يديها وقدميها وهو يبكي فقالت له: يا هذا، قم واقفاً قبل أن يراك أحد فيقتلك. فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائماً على قدميه وقبّل يديها وقال لها: يا سيدتي أنا في جيرتك. ثم بكى وقال لها: أرحمني من فارق أهله وزوجته وأولاده وبادر إلى الإجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته، فأرحمني وايقني أنك تزجرين على ذلك بالجنة، وإن لم تقبليني فأسألك بالله العظيم الستار أن تستري علي. فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها، فلما سمعت كلامه ونظرت تضرّعه رحمته ورق قلبها إليه وعلمت أنه ما خاطر بنفسه وجاء إلى هذا المكان إلا لأمر عظيم. فعند ذلك قالت لحسن: يا ولدي، طب نفساً وقر عيناً وطيب قلبك وخاطرك وارجع إلى مكانك واختف تحت الدكة كما كنت أولاً إلى الليلة الآتية يفعل الله ما يريد، ثم ودّعه ودخل حسن تحت الدكة كما كان. ثم إن العساكر بنن يوقدن الشموع الممزوجة بالعود والند والعنبر الحام إلى الصباح، فلما طلع النهار رجعت المراكب إلى البر واشتغل التجار بنقل البضائع والأمتعة إلى أن أقبل الليل وحسن مختف تحت الدكة باكي العين حزين القلب ولم يعلم بالذي قدّر له في الغيب. فبينما هو كذلك إذ أقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها وناولته زردية وسيفاً وحياسة مذهبة ورمحاً ثم انصرفت عنه خوفاً من العسكر، فلما رأى ذلك علم أن التاجرة ما أحضرت له هذه العدة إلا ليلبسها. فقام حسن ولبس الزردية وشدّ الحياسة على وسطه وتقلّد بالسيف تحت إبطه وأخذ الرمح بيده وجلس على تلك الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى بل يطلب منه الستار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما أخذ السلاح الذي أعطته إياه الصبية التاجرة التي استجار بها وقالت له: إجلس تحت الدكة ولا تخل أحداً يفهم حالك، تقلد به ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله وصار يطلب من الله الستر. فبينما هو جالس إذ أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع وأقبلت عساكر النساء، فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن. فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصل إلى خيامهن، دخلت كل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن وإذا هي خيمة صاحبه التي كان استجار بها. فلما دخلت خيمتها ألقت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب وألقى حسن سلاحه ونظر إلى صاحبه فوجدها زرقاء العينين كبيرة الأنف وهي داهية من الدواهي، أقبح ما يكون في الخلق، بوجه أجدر وحاجب أمعط وأسنان مكسرة وخلود معجرة وشعر شايب وفم بالريالة سائل. وهي كما قال في مثلها الشاعر: [من الطويل]

لَهَا فِي زَوَايَا الْوَجْهِ تَسْعُ مَصَائِبَ فَوَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ تُبَدِّي جَهَنَّمَ
بِوَجْهِ بَشِيعٍ ثُمَّ ذَاتِ قَيْبِحَةٍ كَصُورَةِ خَنْزِيرٍ تَرَاهُ مُرْمَرًا

وهي بذات معطاء كحبة رقطاء. فلما نظرت العجوز إلى حسن تعجبت وقالت: كيف وصل هذا إلى هذه الديار؟ وفي أي المراكب حضر؟ وكيف سلم؟ وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله. فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشي عليه. فلما أفاق أنشد هذه الأبيات: [من الوافر]

مَتَى الْأَيَّامُ تَسْمَحُ بِالتَّلَاقِي وَأَحْظَى بِالَّذِي أَرْضَاهُ مِنْهُمْ
عِتَابًا يَنْقُضِي وَالْوُدَّ بَاقِي لَوْ أَنَّ النَّيْلَ يَجْرِي مِثْلَ دَمْعِي
لَمَا خَلَّى عَلَي الدُّنْيَا شَرَاقِي وَفَاضَ عَلَى الْحِجَازِ وَأَرْضَ مِصْرَ
كَذَلِكَ الشَّامُ مَعَ أَرْضِ الْعِرَاقِ وَذَلِكَ لِأَجْلِ صَدِّكَ يَا حَبِيبِي
تَرَفَّقْ بِي وَوَاعِدْ بِالتَّلَاقِي

فلما فرغ من شعره أخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكي ويستجير بها. فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وتوجهه وكربته، حن قلبها إليه وأجارته وقالت له: لا تخف أبداً. ثم سألته عن حاله، فحكى لها جميع ما جرى له من المبتدا إلى المنتهى. فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له: طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقي عليك خوف وقد وصلت إلى مطلوبك وقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى. ففرح حسن بذلك فرحاً شديداً ثم إن العجوز أرسلت إلى قواد العسكر أن يحضروا، وكان ذلك في آخر يوم من الشهر. فلما حضروا بين يديها قالت لهم: أخرجوا ونادوا في جميع العسكر أن يخرجوا في غد بكرة النهار ولا يتخلف أحد منهم، فإن تخلف أحد راحت روحه. فقالوا لها: سمعاً وطاعة. ثم خرجوا ونادوا في جميع العسكر بالرحيل في غد بكرة النهار، ثم عادوا وأخبروها بذلك. فعلم حسن أنها هي رئيسة العسكر وصاحبة الراي فيه وهي المقدمة عليه. ثم إن حسناً لم يقلع السلاح من فوق بدنه في ذلك النهار

وكان إسم تلك العجوز التي هو عندها شواهي وتكنى بام اللواهي . فما فرغت العجوز من أمرها ونهيتها إلا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من اماكنه ولم تخرج العجوز معهم . فلما سار العسكر وخلت منه الاماكن قالت شواهي لحسن : ادن مني يا ولدي . فدنى منها ووقف بين يديها فاقبلت عليه وقالت له : ما السبب في مخاطرتك بنفسك ودخولك إلى هذه البلاد؟ وكيف رضيت نفسك بالهلاك؟ فاجبرني بالصحيح عين جميع شائك ولا تخف عني منه شيئاً ولا تخف فإنك قد صرت في عهدي وقد أجرتك ورخصتكم ورثيت لحالك ، فإن أخبرتني بالصدق اعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح الارواح وهلاك الاشياخ ، وحيث وصلت إليّ ما بقي عليك بأس ولا أخلي أحداً يصل إليك بسوء أبداً من كل ما في جزائر واق . فحكى لها قصته من أولها إلى آخرها وعرفها بشأن زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوج بها ثم أقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف أخذت اولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش ، ولم يخف من حديثه شيئاً من أوله إلى يومه الذي هو فيه . فلما سمعت العجوز كلامه حركت رأسها وقالت له : سبحان الله الذي سلمك وأوصلك إلى هنا وأوقعت عندي ، ولو كنت وقعت عند غيري كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ، ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك إلى زوجتك واولادك هو الذي أوصلك إلى حصول بغيتك ، ولولا أنك لها محب وبها ولهان ما كنت خاطرت بنفسك هذه المخاطرة والحمد لله على السلامة . وحينئذ يجب علينا أن نقضي لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب إن شاء الله تعالى . ولكن أعلم يا ولدي أن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر ليلاً ونهاراً ، فإننا نسير من هنا حتى نصل إلى أرض يقال لها : أرض الطيور ، فمن شدة صياح الطيور وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 806
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز قالت لحسن : إن زوجتك في الجزيرة السابعة وهي الجزيرة الكبيرة من جزائر واق ، ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر فإننا نسير من هنا إلى أرض الطيور ، ومن شدة طيرانها وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض . ثم نسير في تلك الأرض مدة أحد عشر يوماً ليلاً ونهاراً ، ثم بعد ذلك نخرج منها إلى أرض يقال لها : أرض الوحوش ، فمن شدة صياح السباع والضباع والوحوش وعي الذئاب وزئير الاسود لا نسمع شيئاً ، فنسير في تلك الأرض مدة عشرين يوماً . ثم نخرج منها إلى أرض يقال لها : أرض الجن ، فمن شدة صياح وصعود الثيران وتطاير الشرار والدخان من أفواههم وتصاعد زفراتهم وتمردهم يسدون الطريق قدامنا وتصم آذاننا وتغشى أبصارنا حتى لا نسمع ولا نرى ، ولا يمكن أن يلتفت منا أحد إلى خلفه فيهلك ، ويضع الفارس في ذلك المكان رأسه على قربوص سرجه ولا يرفعهها مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك يقابلنا جبل عظيم ونهر جار متصلان بجزائر واق . وأعلم يا ولدي أن جميع هذا العسكر بنات أبكار والحاكم علينا من الملوك امرأة من جزائر واق السبع ، ومسيرة تلك السبع جزائر سنة كاملة للراكب المجيد في السير . وعلى شاطئ هذا النهر جبل يسمى جبل واق ، وهذا الإسم علم على شجرة أغصانها تشبه رؤوس بني

آدم فإذا طلعت عليها الشمس تصيح تلك الرؤوس جميعاً وتقول في صباحها: واق واق سبحان الملك الخلاق . فإذا سمعنا صباحها نعلم أن الشمس قد طلعت وكذلك إذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤوس وتقول في صباحها أيضاً: واق واق سبحان الملك الخلاق . فنعلم أن الشمس قد غربت ولا يقدر أحد من الرجال أن يقيم عندنا ولا يصل إلينا ولا يطأ أرضنا، وبيننا وبين الملكة التي تحكم على هذه الأرض مسافة شهر من هذا البر، وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة، وتحت يدها أيضاً قبائل الجان المردة والشياطين، وتحت يدها من السحرة ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم . فإن كنت تخاف أرسلت معك من يوصلك إلى الساحل وأجيء بالذي يحملك معه في مركب ويوصلك إلى بلادك، وإن كان يطيب على قلبك الإقامة معنا فلا أمنعك وأنت عندي في عيني حتى تقضي حاجتك إن شاء الله تعالى . فقال لها: يا سيدتي، ما بقيت أفارقك حتى أجتمع بزوجتي أو تذهب روحي . فقالت له: هذا أمر يسير، فطيب قلبك وسوف تصل إلى مطلوبك إن شاء الله تعالى ولا بد أن اطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك . فدعا لها حسن وقبل يديها ورأسها وشكرها على فعلها وفرط مروءتها وسار معها وهو متفكر في عاقبة أمره وأحوال غربته . فصار يبكي وينتحب وجعل ينشد هذه الآيات:

[من الخفيف]

مِنْ مَكَانِ الْحَبِيبِ هَبَّ نَسِيمٌ	فَتَرَانِي مِنْ فَرَطٍ وَجَدِي أَهِيمٌ
إِنَّ لَيْلَ الْوِصَالِ صَبْحٌ مُضِيٌّ	وَنَهَارُ الْفِرَاقِ لَيْلٌ بَوِيمٌ
وَوَدَاعُ الْحَبِيبِ صَعْبٌ شَدِيدٌ	وَفِرَاقُ الْأَيْسِرِ خَطْبٌ جَسِيمٌ
لَسْتُ أَشْكُو جَفَاهُ إِلَّا إِلَيْهِ	لَمْ يَكُنْ فِي الْوَرَى صَدِيقٌ حَسِيمٌ
وَسُلُوبِي عَنْكُمْ مِحَالٌ فَإِنِّي	لَيْسَ يَسْلِي قَلْبِي عَذُولٌ دَمِيمٌ
يَا وَجِيدَ الْجَمَالِ عَشِقِي وَجِيدٌ	يَا عَدِيمَ الْمِثَالِ قَلْبِي عَدِيمٌ
كُلُّ مَنْ يَدْعِي الْمَحَبَّةَ فِيكُمْ	وَيَهَابُ الْمَلَامَ فَهَوَّ مَلُومٌ

ثم إن العجوز أمرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن صحبة العجوز وهو من الغرق في بحر الأفكار يتضجر وينشد الأشعار والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعي ما إليه تلقيه . ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى أول جزيرة من الجزائر السبع وهي جزيرة الطيور، فلما دخلوها ظن حسن أن الدنيا قد انقلبت من شدة الصباح وأوجعته رأسه وطاش عقله وعمي بصره وانسدَّت أذناه وخاف خوفاً شديداً وأيقن بالموت وقال في نفسه: إذا كانت هذه أرض الطيور فكيف تكون أرض الوحوش؟ فلما رآته العجوز المسماة بشواهي على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له: يا ولدي، إذا كان هذا حالك من أول جزيرة فكيف بك إذا وصلت إلى بقية الجزائر؟ فسأل الله وتضرع إليه وطلب منه أن يعينه على ما يلاه به وأن يبلغه مناه . ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا أرض الطيور وخرجوا منها ودخلوا في أرض الجان، فلما رأها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم ثم استعان بالله تعالى وسار معهم، فعند ذلك خلصوا من أرض الجان ووصلوا إلى النهر . فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطئ النهر ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر مرصعة بالدر والجوهر وسبائك الذهب الأحمر على جنب

النهر، فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه. ثم بعد ذلك نصبوا خيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم أكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لأنهم وصلوا إلى بلادهم. وكان حسن واضعاً على وجهه لثاماً بحيث لم يظهر منه غير عينيه، وإذا بجماعة من البنات مشين إلى قرب خيمة حسن ثم قلعن ثيابهن ونزلن في النهر، فصار حسن ينظر إليهن وهن يغتسلن، فصرن يلعبن وينشرحن ولا يعلمن أنه ناظر إليهن لأنهن ظنن أنه من بنات الملوك. فاشتد على حسن وتره حيث كان ينظر إليهن وهن مجردات من ثيابهن وقد رأى ما بين أفخاذهن أنواعاً مختلفة، ما بين ناعم مققب وسمين مريرب وغلظ المشافر وكامل وبسيط وافر، ووجوههن كالأقمار وشعورهن كليل على نهار لأنهن من بنات الملوك. ثم إن العجوز نصبت له سريراً وأجلسته فوقه، فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجردات كالقمر ليلة البدر. وقد اجتمع جميع العسكر قدام حسن لأن العجوز أمرت أن ينادى في جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهن وينزلن في النهر ويغتسلن فيه لعل زوجته أن تكون فيهن فيعرفها، وصارت العجوز تسأله عنهن طائفة بعد طائفة فيقول: ما هي في هؤلاء يا سيدتي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 807

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز كانت تسأل حسناً عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعرف زوجته من بينهن، وكلما سأله عن طائفة يقول: ما هي في هؤلاء يا سيدتي. ثم بعد ذلك تقدمت جارية في آخر الناس وفي خدمتها ثلاثون خادمة كلهن نهد أبكار، فنزعن ثيابهن ونزلن معها في النهر فصارت تتدل علىهن وترميهن في البحر وتغطسهن ولم تزل معهن على هذا الحال ساعة زمانية، ثم طلعن من النهر وقعدن فقدمن إليها مناشف من حرير مزر كشة بالذهب فأخذتها وتنشفت بها، ثم قدموا إليها ثياباً وحلاً وحلياً من عمل الجن فأخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العسكر هي وجواربها. فلما رآها حسن طار قلبه وقال: هذه أشبه الناس بالطيرة التي رأيتها في البحيرة في قصر أخواتي البنات، وكانت تتدل على أتباعها مثلها. فقالت العجوز: يا حسن، هل هذه زوجتك؟ فقال: لا وحياتك يا سيدتي ما هذه زوجتي ولا عمري رأيتها وما في جميع البنات التي رأيتها في هذه الجزيرة مثل زوجتي ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها. فقالت العجوز: صفها لي وعرفني بجميع أوصافها حتى تكون في ذهني، فإني أعرف كل بنت في جزائر واق لأنني نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن، وإن وصفتها لي عرفتها وتحيلت لك في أخذها. فقال لها حسن: إن زوجتي صاحبة وجه مليح وقد رجج، أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الأسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كانها غصن مائل، بدبعة الصفة حمراء الشفة بعيون كحال وشفاف رقاق، على خدها الأيمن شامة وعلى بطنها من تحت سرتها علامة وجهها منير كقمر مستدير، وخصرها نحيل وردفها ثقيل وريقها يشفي العليل كأنه الكوثر أو السلسيل. فقالت العجوز: زدني في أوصافها بياناً زادك الله فيها افتتانياً لها. فقال حسن: إن زوجتي ذات وجه جميل وخذ أسيل وعتق طويل وطرف كحيل وخلود كالشقيق وفم كخاتم عقيق وثغر لامع البريق يغني عن الكأس والإبريق، قد ركبت في هيكل اللطافة وبين فخذيهما تحت الخلافة. ما مثل حرمة بين المشاعر كما قال في حقه

الشاعر: [من مجزوء الرجز]

إِسْمُ الَّذِي حَيْرَنِي حُرُوفُهُ مُشْتَهَرَةٌ
أَرْبَعَةٌ فِي خَمْسَةٍ وَسِتَّةٌ فِي عَشْرَةٍ

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموالم :

وَجَدِي بِكُمْ وَجَدَ هِنْدِي ضَيْعَ الْقَصْعَةِ أَوْ وَجَدَ سَاعِي فِي رِجْلُو الْيَمِينِ قُصْعَةَ
أَوْ وَجَدَ مُضَنِّي عَلِيلَ بِجُرُوحِ مُتْسَعَةٍ أَوْ وَجَدَ مِنْ حَرِّ السَّبْعَةِ عَلَى الْعِشْرِينَ
وَلَعَنَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ يَتَّبِعُ التَّسْعَةَ

فاطرت العجوز برأسها إلى الارض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها إلى حسن وقالت : سبحان الله العظيم الشأن، إني بليت بك يا حسن فيا ليتني ما كنت عرفتك لأن المرأة التي وصفتها لي هي زوجتك بعينها فإني قد عرفتها بصفاتهما وهي بنت الملك الاكبر الكبيرة التي يحكم على جزائر واق بأسرها . فافتح عينيك وتدبر امرك، وإن كنت نائماً فانتبه فإنه لا يمكنك الوصول إليها أبداً، وإن وصلت إليها لا تقدر على تحصيلها لأن بينك وبينها مثل ما بين السماء والارض . فارجع يا ولدي من قريب ولا ترم نفسك في الهلاك وترميني معك فإني اظن أنه ليس لك فيها نصيب، وارجع من حيث أتيت لثلاث تروح ارواحنا وخافت على نفسها وعليه . فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه . فما زالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى افاق من غشيته، وصار يبكي حتى بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يشس من الحياة . ثم قال للعجوز : ياسيدتي، وكيف أرجع بعد أن وصلت إلى هنا؟ وما كنت اظن في نفسي أنك تعجزين عن تحصيل غرضي خصوصاً وأنت نقيية عسكر البنات والحاكمة عليهن . فقالت : بالله عليك يا ولدي أن تختار لك بنتاً من هؤلاء البنات وأنا اعطيك اياها عوضاً عن زوجتك لثلاث تقع في يد الملوك فلا يبقى لي في خلاصك حيلة، فبالله عليك ان تسمع مني وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع إلى بلادك من قريب سالماً ولا تجر عني غصتك . والله رميت نفسك في بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر احد أن يخلصك منه . فعند ذلك اطرق حسن رأسه وبكى بكاء شديداً وانشد هذه الابيات : [من الوافر]

قُلْتُ لِعُدِّي لَا تَعْدِلُونِي لِغَيْرِ الدَّمْعِ مَا خَلَقْتُ جَفُونِي
مَدَامُ مَقْلَتِي طَفَحَتْ فَفَاضَتْ عَلَى خَدِّي وَأَحْبَابِي جَفُونِي
دَعُونِي فِي الْهُوَى قَدْرَقَ جِسْمِي لِأَنِّي فِي الْهُوَى أَهْوَى جُنُونِي
وَيَا أَحْبَابُ قَدْ زَادَ أَشْتِيَاقِي إِلَيْكُمْ مَا لَكُمْ لَا تَرْحَمُونِي
جَفُونُكُمْ بَعْدَ مِيثَاقِ وَعَهْدِ وَخَنْتُمْ صُحْبَتِي وَتَرَكَتُمُونِي
وَيَوْمَ الْبَيْنِ لَمَّا قَدْ رَحَلْتُمْ سَقَيْتُمْ مِنَ الصُّلُودِ شَرَابُ هُونِ
فِيَا قَلْبِي عَلَيْهِمْ ذُبْ غَرَامًا وَجُودِي بِالْمَدَامِ يَا عِيُونِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما قالت لحسن : بالله يا ولدي أن تسمع مني كلامي وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع إلى بلادك من قريب سالماً . فأطرق رأسه وبكى بكاء شديداً وأنشد الأبيات المذكورة ، فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه . فما زالت العجوز ترش الماء على وجهه حتى أفاق من غشيته ثم أقبلت عليه وقالت : يا سيدي ، إرجع إلى بلادك فإنني متى سافرت بك إلى المدينة راحت روحي وروحي ، لأن الملكة إذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك إلى بلادها وجزائرها التي لم يصلها أحد من أولاد بني آدم وتقتلني حيث حملتك معي وأطعنتك على هذه الأبيات التي رأيتهن في البحر مع أنه لم يمسهن فحل ولم يقرهن بعل . فحلف حسن أنه ما نظر إليهن نظر سوء قط . فقالت له : يا ولدي ، إرجع إلى بلادك وأنا أعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغني به عن جميع النساء ، فاسمع كلامي وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك . فلما سمع حسن كلامها بكى ومرغ خديه على قدميها وقال : يا سيدتي ومولاتي وقرّة عيني ، كيف أرجع بعد ما وصلت إلى هذا المكان ولا أنظر من أريد ؟ وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب ولعله أن يكون لي في الإجتماع نصيب . ثم أنشد هذه الأبيات : [من الخفيف]

يا مُلُوكَ الجَمالِ رِفْقاَ بِأَسرى	لِجَفُونٍ تَمَلَّكَتْ مُلْكَ كِسرى
قَدْ غَلَبْتُمْ رِواحَ المِسْكِ طِيباً	وَبَهَرْتُمْ مَحاسِنَ الوَرْدِ زَهراً
وَنَسِيمُ النِّعِيمِ حَيْثُ حَلَلْتُمْ	فَالصِّبَا مِنْ هُنَاكَ تَعَبُّ نَشْراً
عادِلِي كَفَّ عَنْ مَلامِي ونُصْحي	إِنما جِئْتَ بالنَّصِيحَةِ نُكْراً
ما عَلى صَبُوتِي مِنَ العَدْلِ واللُّو	م إِذا لَمْ تُحِطْ بِذَلِكَ خِبراً
أَسرَّتْني العُيُونُ وَهِيَ مِراضُ	وَرَمْتَنِي في الحُبِّ عَنفاً وَقَهْراً
أَنثَرُ الدَّمْعَ حِينَ أَنظَمُ شِعْري	هاكَ مِنِّي الحَدِيثَ نَظْماً وَنَثْراً
حُمْرَةُ الحَدِّ قَدْ أَذابتُ فُؤادِي	فَتَلَطَّتْ مِنِّي الجِوارِحُ جَمْراً
خَبْرانِي مَتى تَرَكَتْ حَديثِي	فَبأيِّ الحَدِيثِ أَشْرَحُ صَدْراً
طُولُ عُمري في هَوَى الغَيْدِ لَكِنْ	يُحَدِّثُ اللهُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته وأقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له : طب نفساً وقر عيناً واخلفك من الهم ، والله لأخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك أو تدركني منيتي . فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز إلى آخر النهار . فلما أقبل الليل تفرقت البنات كلهن ، فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الحيام . ثم إن العجوز أخذت حسناً معها ودخلت به البلد فأخلت له مكاناً وحده لثلا يطلع عليه أحد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من أتى به . ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الأكبر أبي زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول : يا سيدتي ، قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا إن لم أجتمع بزوجتي وأولادي فانا أخاطر بروحي ، إما أن أبلغ مرادي وإما أن أموت .

فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصاله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في أمر هذا المسكين الذي رمى روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا نفسه . وصاحب المثل يقول : العاشق لا يسمع كلام خلي . وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى ، وكان لهذه الملكة سبع أخوات بنات أبنكار مقيمات عند أبيهن الملك الأكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر وأقطار واق ، وكان تخت ذلك الملك في المدينة التي هي أكبر مدن ذلك البر . وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلى سائر أقطارها . ثم إن العجوز لما رأت حسناً محترقاً على الاجتماع بزوجته وأولاده ، قامت وتوجهت إلى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبّلت الأرض بين يديها ، وكان للعجوز فضل عليها لأنها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة ، وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك . فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها وأجلستها جنبها وسألته عن سفرتها فقالت لها : والله يا سيدتي إنها كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معي هدية سأحضرها بين يديك . ثم قالت لها : يا بنتي ، يا ملكة العصر والزمان ، إنني قد أتيت معي بشيء عجيب وأريد أن أطلعك عليه لأجل أن تساعديني على قضاء حاجته . فقالت لها : وما هو ؟ فأخبرتها بحكاية حسن من أولها إلى آخرها وهي ترتعد كالقصبه في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك وقالت لها : يا سيدتي ، قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفياً تحت الدكة فأجرته وأتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه أحد وأدخلته البلد . ثم قالت لها : وقد خوفته من سطوتك وعرفته ببأسك وقوتك ، وكلما أخوفه يبكي وينشد الأشعار ويقول لي : لا بد من زوجتي وأولادي أو أموت ولا أرجع إلى بلادي من غيرهم . وقد خاطر بنفسه وجاء إلى جزائر واق ولم أر عمري آدمياً أقوى قلباً منه ولا أشد بأساً ، إلا أن الهوى قد تمكّن منه غاية التمكّن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 809
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما حكّت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها : ما رايت أقوى قلباً منه إلا أن الهوى قد تمكّن منه غاية التمكّن . فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن ، غضبت غضباً شديداً وأطرقت رأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى العجوز وقالت لها : يا عجوز النحس ، هل بلغ من خبتك أنك تحمّلين الذكور وتأتين بهم معك إلى جزائر واق وتدخلين بهم علي ولم تخافي من سطوتي ؟ وحق رأس الملك لولا ما لك علي من التربية لقتلتك أنت وإياه في هذه الساعة أقبح قتلة حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لثلاث يفعل أحد مثل ما فعلت من هذه الفعل العظيمة التي لم يقدر أحد عليها ، ولكن أخرجني واحضره في هذه الساعة حتى أنظره . فخرجت العجوز من بين يديها وهي مدهوشة لا تدري أين تذهب وتقول : كل هذه المصيبة ساقها الله لي من هذه الملكة على يد حسن ومضت إلى أن دخلت على حسن فقالت له : قم كلم الملكة يا من آخر عمره قد دنا . فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ويقول : اللهم الطف بي في قضائك وخلّصني من بلائك . فسارت به حتى أوقفت بين يدي الملكة نور الهدى وأوصته العجوز في

الطريق بما يتكلم به معها . فلما تمثل بين يدي نور الهدى رأها ضاربة لثاماً، فقبل الأرض بين يديها وسلّم عليها وأنشد هذين البيتين : [من الوافر]

أدامَ اللهُ عِزَّكَ في سُرُورٍ وخَوَّلَكَ إِيْلَهُ بما حَبَاكَ
وزادَكَ رَبُّنا عِزًّا ومَجْدًا وأَيَّدَكَ القَدِيرُ على عِدَاكَ

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة إلى العجوز أن تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته . فقالت العجوز : إن الملكة ترد عليك السلام وتقول لك : ما اسمك ؟ ومن أي البلاد أنت ؟ وما اسم زوجتك وأولادك الذين جئت من أجلهم ؟ وما اسم بلادك ؟ فقال لها وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير : يا ملكة العصر والآوان ووحيدة الدهر والزمان ، أما أنا فاسمي حسن الكثير الحزن وبلدي البصرة ، وأما زوجتي فما أعرف لها اسماً ، وأما اسم أولادي فواحد اسمه ناصر والآخر اسمه منصور . فلما سمعت الملكة كلامه وحديثه قالت : فمن أين أخذت أولادها ؟ فقال لها : يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة . فقالت له : وهل قالت لكم شيئاً عندما طارت ؟ قال : إنها قالت لوالدني : إذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاقي وهزته رياح الإشتياق فليجئني إلى جزائر واق . فحررت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له : إنها لو كانت ما تريدك ما قالت لأملك هذا الكلام ، ولولا أنها تريدك وتشتهي قربك ما كانت أعلمتك بمكانها ولا طلبتك إلى بلادها . فقال حسن : يا سيدة الملوك والحاكمة على كل ملك وصعلوك ، الذي جرى أخبرتكم به ولا أخفيت منه شيئاً ، وأنا استعجرت بالله وبك أن لا تظلميني ، فارحميني واربحي أجري وثوابي وساعديني على الإجتماع بزوجتي وأولادي وردّي لهفتي وقرّة عيني بأولادي واسعفيني برؤيتهم . ثم بكى وحن واشتكى وأنشد هذين البيتين : [من البسيط]

لأشكرَنَّكَ ما ناحَتْ مُطَوِّقَةٌ جهدي وإن كنتُ لا أفضي الذي وجبا
فما تقَلَّبْتُ في نَعْماءَ سايِقَةٍ إلاَّ وجدتُكَ فيها الأصلَ والسَّيِّبا

فأطرقت الملكة نور الهدى رأسها إلى الأرض وحررت زماماً طويلاً ثم رفعت وقالت له : قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت على أن أعرض عليك كل بنت في المدينة وفي بلاد جزيرتي ، فإن عرفت زوجتك سلّمتها إليك وإن لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز . فقال لها حسن : قبلت ذلك منك يا ملكة الزمان . ثم أنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

أَقَمْتُمْ عَرَامِي في الهوا وَقَعَدْتُمْ وأسهرتُمُو جفني القريحَ ونمتمُ
وعاهدتُموني أنكم لن تَماطلُوا فلما أخذتُم بالقيادِ عَدَرْتُمُ
عَشِقْتُمْكُمْ طِفْلاً ولم أدر ما الهوى فلا تَقْتُلُونِي إنني مُتَظَلِّمُ
أما تَتَّقُونَ اللهَ في قتلِ عاشِقِي يبيتُ يراعي النجمَ والناسُ نومُ
فبالله يا قومي إذا متُّ فأكتبُوا على لوحِ قبري : إن هَذَا مُتَمِّمُ
لعلَّ قَتِي نِثْلي أضربَ به الهوى إذا ما رأى قبري عليَّ يُسَلِّمُ

فلما فرغ من شعره قال : رضيت بالشرط الذي شرطته ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم . فعند ذلك أمرت الملكة نور الهدى أن لا تبقى بنت في المدينة حتى تطلع القصر وتقرأ أمامه . ثم إن

الملكة أمرت العجوز شواهي أن تنزل بنفسها إلى المدينة وتحضر كل بنت كانت في المدينة إلى الملكة في قصرها، وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق في المدينة بنت إلا وقد عرضتها على حسن فلم يرَ زوجته فيهن . فسألت الملكة وقالت له : هل رأيتها في هؤلاء ؟ فقال لها : وحياتك يا ملكة ما هي فيهن . فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز : ادخلي وأخرجي كل من كان في القصر واعرضيه عليه . فلما عرضت عليه كل من في القصر لم يرَ زوجته فيهن وقال للملكة : وحياتك رأسك يا ملكة ما هي فيهن . فغضبت وصرخت على من حولها وقالت : خذوه واسحبوه على وجهه فوق الأرض واضربوا عنقه لئلا يخاطر بنفسه أحد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا في بلادنا ويظا أرضنا وجزائرنا . فسحبوه على وجهه وطرحوا ذيله فوقه وغمضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الإذن . فعند ذلك تقدمت شواهي إلى الملكة وقبّلت الأرض بين يديها ومسكت ذيلها ورفعته فوق رأسها وقالت لها : يا ملكة، بحق التربية لا تعجلي عليه خصوصاً وأنت تعرفين أن هذا المسكين غريب قد تخاطر بنفسه وقاسى أموراً ما قاساها أحد قبله ونجّاه الله عزّ وجل من الموت لطول عمره، وقد سمع بعدلك قد دخل بلادك وحماك . فإن قتلته تنتشر الأخبار عنك مع المسافرين بأنك تبغضين الأعراب وتقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك ومقتول سيفك إن لم تظهر زوجته في بلدك، وأي وقت تشتهين حضوره فانا قادرة على رده إليك، وأيضاً فانا ما أجرته إلا طمعاً في كرمك بسبب مالي عليك من التربية حتى ضمنت له أنك توصلينه إلى بغيته لعلمي بعدلك وشفقتك . ولولا أنني أعلم منك هذا ما كنت أدخلته بلدك . وقلت في نفسي : إن الملكة تنفرج عليه وعلى ما يقوله من الأشعار والكلام المليح الفصيح الذي يشبه الدر المنظوم ، وهذا قد دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب حقّه علينا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 810
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملكة نور الهدى لما أمرت غلمانها بأخذ حسن وضرب عنقه، صارت العجوز تأخذ بخاطرهما وتقول لها : إنه دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب حقّه علينا خصوصاً وقد وعدته بالإجماع بك، وأنت تعرفين أن القراق صعب وتعرفين أن الفراق قتال خصوصاً فراق الأولاد، وما بقي علينا من النساء واحدة إلا أنت فأريه وجهك . فتبسّمت الملكة وقالت : من أين له أن يكون زوجي وخلف مني أولاداً حتى أريه وجهي . ثم أمرت بحضوره فأدخلوه عليها وأوقفوه بين يديها وكشفت وجهها، فلما رآه حسن صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه، فلم تنزل العجوز تلاحظه حتى أفاق . فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات : [من الرمل]

يا تَسِيمًا هَبَّ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ فِي زَوَايا أَرْضٍ مَنْ قَدْ ظَلَّ وَأَقَّ
 بَلَّغَ الْأَجْبَابَ عَنِّي أَنَّنِي مِتُّ مِنْ طَعْمِ الْهُوَى الْمُرِّ الْمَدَّاقِ
 يا أَهْيَلَّ الْحُبِّ مِنْوَا وَأَعْطِفُوا ذابَ قَلْبِي مِنْ تَبَارِيحِ الْقِرَاقِ

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصر أن يسقط على من فيه ثم وقع مغشياً عليه . فما زالت العجوز تلاحظه حتى أفاق وسألت عن حاله فقال : إن هذه

الملكة إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان العجوز لما سألته عن حاله قال لها : إن هذه الملكة إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي . فقالت الملكة للعجوز : ويملك يا دابة ، إن هذا الغريب مجنون أو مختل لأنه ينظر في وجهي ويحملق عينيه . فقالت لها العجوز : يا ملكة ، إن هذا معذور فلا تؤاخذه ، فإنه يقال في المثل : مريض الهوى ما له دواء وهو والمجنون سواء . ثم إن حسناً بكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين : [من الوافر]

أَرَى آثارَهُمْ فَأَذُوبُ شَوْقًا وَأَسْكُبُ فِي مَوَاطِنِهِمْ دُمُوعِي
وَأَسْأَلُ مَنْ يَفْرُقَتِيهِمْ بِلَانِي يَمُنُّ عَلَيَّ مِنْهُمْ بِالرُّجُوعِ

ثم إن حسناً قال للملكة : والله ما انت زوجتي ولكنك أشبه الناس بها . فضحكت الملكة نور الهدى حتى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت : يا حبيبي تمهل على روحك وميزني وجاوبني عن الذي أسألك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول فإنه قد قرب لك الفرج . فقال حسن : يا سيدة الملوك وملجأ كل غني ، إنني حين نظرتك جنتت لأنك إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي ، فأسأليني الآن عما تريدين . فقالت : أي شيء في زوجتك يشبهني ؟ فقال : يا سيدتي ، جميع ما فيك من الحسن والجمال والظرف والدلال ، كاعتدال قوامك وعذوبة كلامك وحمرة خلودك وبروز نهودك وغير ذلك يشبهها . ثم إن الملكة التفتت إلى شواهي أم اللواهي وقالت لها : يا أمي ، أرجعيه إلى موضعه الذي كان فيه عندك واخدميه أنت بنفسك حتى أتفحص عن أمره ، فإن كان هذا الرجل صاحب مروءة بحيث يحفظ الرفق والصحبة والودّ وجب علينا مساعدته على قضاء حاجته خصوصاً وقد نزل أرضنا واكل طعامنا مع ما تحمله من مشقات الأسفار ومكابدة أهوال الاخطار . ولكن إذا أوصلته إلى بيتك فاوصي عليه أتباعك وأرجعي إليّ بسرعة وإن شاء الله تعالى لا يكون إلا خير . فعند ذلك خرجت العجوز وأخذت حسناً ومضت به إلى منزلها وأمرت جواربها وخدمها وحشمها بخدمته وأمرتهم أن يحضروا له جميع ما يحتاج إليه وأن لا يقصّروا في حقّه ثم عادت إلى الملكة بسرعة . فأمرتها أن تحمل سلاحها وتأخذ معها ألف فارس من الشجعان . فامتثلت العجوز شواهي أمرها ولبست درعها وأحضرت الألف فارس . ولما وقفت بين يديها وأخبرتها بإحضار الألف فارس ، أمرتها أن تسير إلى مدينة الملك الأكبر أبيها وتنزل عند بنته منار السنأ أختها وتقول لها : البسي ولديك الدرعين اللذين عملتهما لهما وارسلهما إلى خالتهما فإنها مشتاقة إليهما . وقالت لها : أوصيك يا أمي بكتمان أمر حسن ، فإذا أخذتهما قولي لها : إن أختك تستدعيك إلى زيارتها . فإذا أعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة ، فاحضري بهما سريعاً وخليها تحضر على مهلها وتعالني من طريق غير الطريق التي تجيء منها ويكون سفرك ليلاً ونهاراً ، واحذري أن يطلع على هذا الأمر أحد أبداً . ثم إنني أحلف بجميع الأقسام إن طلعت أختي زوجته وظهر أن ولديها ولداه لا أمنعه من أخذها ولا من سفرها معه بأولادها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملكة قالت: إني أحلف بالله وأقسم جميع الأقسام أنها إن طلعت زوجته لا أمنعه من أخذها، بل أساعده على أخذها وعلى سفرها معه إلى بلاده. فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما أضمرته في نفسها. وقد أضمرت العاهرة في نفسها أنها إن لم تكن زوجته ولا أولادها يشبهونه تقتله. ثم إن الملكة قالت للعجوز:

يا أمي، إن صدق حذري تكون زوجته אחتي منار السناء والله أعلم، فإن هذه الصفات صفاتها وجميع الأوصاف التي ذكرها من الجمال البارح والحسن الباهر لا يوجد في أحد غير أخواتي خصوصاً الصغيرة. ثم إن العجوز قبلت يدها ورجعت إلى حسن وأعلمته بما قالته الملكة، فطار عقله من الفرح وقام إلى العجوز وقبل رأسها. فقالت له: يا ولدي، لا تقبل رأسي وقبلني في فمي واجعل هذه القبله حلاوة السلامة، وطب نفساً وقر عيناً ولا يكن صدرك إلا منشرحاً ولا تستكره تقبيلي في فمي فإني أنا السبب في اجتماعك بها، فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن إلا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت. فأنشد حسن هذين البيتين:

[من الكامل]

لي في مَحَبَّتِكُمْ شَهُودٌ أَرَبِعُ وشُهُودٌ كُلُّ قَضِيَّةٍ أَثْنَانِ
 خَفَقَانُ قَلْبِي وَأَضْطِرَابُ جَوَارِحِي وَنُحُولُ جِسْمِي وَأَنْعِقَادُ لِسَانِي

ثم أنشد أيضاً هذين البيتين: [من الكامل]

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى يُؤْذِنَا بِذَهَابِ
 لَمْ يَقْضِيَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقِّيهِمَا: شَرَحُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ

ثم إن العجوز حملت سلاحها وأخذت معها ألف فارس حاملين السلاح وتوجهت إلى تلك الجزيرة التي فيها أخت الملكة. وسارت إلى أن وصلت إلى أخت الملكة، وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة أختها ثلاثة أيام. فلما وصلت شواهي إلى المدينة وطلعت إلى أخت الملكة منار السناء، سلمت عليها وبلغتها السلام من أختها نور الهدى وأخبرتها باشتياقها إليها وإلى أولادها وعرفت أنها إن الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها إياها. فقالت لها الملكة منار السناء: الحق علي لأختي وأنا مقصرة بعدم زيارتي لها ولكن أزورها الآن. ثم أمرت بتبريز خيامها إلى خارج المدينة وأخذت لأختها معها ما يصلح لها من الهدية والتحف. ثم إن الملك أباهما نظر من طيقان القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له: إن الملكة منار السناء نصبت خيامها بتلك الطريق لأنها تريد زيارة أختها نور الهدى. فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكرياً يوصلها إلى أختها وأخرج من خزائنه من الأموال ومن المأكول والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف. وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من أب واحد وأم واحدة إلا الصغيرة. وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السناء وهي الصغيرة فيهن وهي زوجة حسن، وكانت أختهن من أبيهن فقط. ثم إن العجوز قدمت وقبلت الأرض بين يدي منار السناء فقالت لها منار السناء: هل لك حاجة يا أمي؟ فقالت لها: إن الملكة نور الهدى أختك تأمرك أن تغيري

على ولدك وتلبسيهما الدرعين اللذين فصلتهما لهما وإن ترسليهما معي إليها فأخذهما وأسبق بهما وأكون المبشرة بقدمك عليها . فلما سمعت منار السنا كلام العجوز اطرقت رأسها إلى الأرض وقد تغير لونها ولم تزل مطرقة زماناً طويلاً ، ثم حرّكت رأسها ورفعتها إلى العجوز وقالت لها : يا أمي ، قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عندما ذكرت أولادي فإنهم من حين ولادتهم لم ينظر أحد وجوههم من الجن والبشر لا أنثى ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم إذا سرى . فقالت لها العجوز : أي شيء هذا الكلام يا سيدتي ؟ أتخافين عليهم من أختك ؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت الساعة 813

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن العجوز لما قالت للسيدة منار السنا : أي شيء هذا الكلام يا سيدتي ؟ أتخافين عليهم من أختك ؟ سلامة عقلك ، وإن خالفت الملكة في هذا الأمر لا يمكنك المخالفة فإنها تعتب عليك . ولكن يا سيدتي أولادك صغار وأنت معذورة في الخوف عليهم والمحبة مولع بسوء الظن ، ولكن يا بنتي أنت تعلمين شفقتي ومحبتي لك ولأولادك وقد ربيتكم قبلهم ، وأنا اتسّمهم وأخذهم وأفرش لهم خدي وافتح قلبي واجعلهم في داخله ولا احتاج إلى الوصية عليهم في مثل هذا الأمر . فطببي نفساً وقرّبي عيناً وارسلهم لها ، وأكثر ما أسبقك به يوم واحد أو يومان . ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبأ لها في الغيب فسمحت بإرسالهم مع العجوز . ثم إنها دعت بهم وحمّتهم وهياتهم وغيّرت عليهم والبستهم الدرعين وسلّمتهم للعجوز ، فأخذتهم وسارت بهم مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها أمهم مثل ما أوصتها الملكة نوز الهدى . ولم تزل تجدّ في السير وهي خائفة عليهم إلى أن وصلت بهم إلى مدينة الملكة نور الهدى ، فعَدّت بهم البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهم إلى الملكة نور الهدى خالتهم . فلما رأتهم الملكة فرحت بهم وعانقتهم وضمّتهم إلى صدرها وأجلست واحداً على فخذاها الأيمن والثاني على فخذاها الأيسر ثم التفتت إلى العجوز وقالت لها : احضري الآن حسناً فانا قد أعطيته زمامي وأجرته من حسامي وقد تحصّن بداري ونزل في جواربي بعد أن قاسى الأهوال والشدائد وتعدي أسباب الموت التي همّها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كأسه وقطع أنفاسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت الساعة 814

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز بإحضار حسن قالت لها : إنه قاسى الأهوال والشدائد وتعدي أسباب الموت التي همّها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كأسه وقطع أنفاسه . فقالت لها العجوز : إذا أحضرته بين يديك هل تجمعين بينه وبينهم ؟ وإن لم يظهر أنهم أولاده تعفي عنه وترديه إلى بلاده ؟ فلما سمعت الملكة كلامها غضبت غضباً شديداً وقالت : ويحك يا عجوز التحس ، إلى متى هذه الخادعة في شأن هذا الرجل الغريب الذي تجاسر علينا وكشف سترنا واطّلع على أحوالنا ؟ هل يظن أنه يجيء أرضنا وينظر وجوهنا ويوسخ أعضائنا ويرجع إلى بلاده سالماً ؟ فيفضح أحوالنا في بلاده وبين أهله وتبلغ أخبارنا سائر الملوك في أقطار الأرض وتساخر التجار بأخبارنا في

جميع الجهات ويقولون : إنسيّ دخل جزائر واق وعدّي بلاد السحرة والكهنة وتخطى أرض الجان وأرض الوحوش والطيور ورجع سالماً؟ فهذا لا يكون أبداً، وأنا أقسم بخالق السماء وبانيتها وساطح الأرض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها إن لم يكونوا أولاده لأقتلته وأنا الذي أضرب عنقه بيدي . ثم إنها صرخت على العجوز فوَقعت من الخوف وأغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكاً وقالت لهم : امضوا مع هذه العجوز وأتوني بالصبي الذي عندها في بيتها بسرعة . فخرجت العجوز مجرورة مع الحاجب والماليك وقد اصفرّ لونها وارتعدت فرائصها ، ثم سارت إلى منزلها ودخلت على حسن . فلما دخلت عليه قام إليها وقبّل يديها وسلّم عليها فلم تسلّم عليه وقالت له : قم كَلّم الملكة ، أما قلت لك إرجع إلى بلادك ونهيتك عن هذا كله ؟ فما سمعت قولِي . وقلت لك : أعطيك شيئاً لا يقدر عليه أحد وارجع إلى بلادك من قريب ؟ فما اطعنتي ولا سمعت مني بل خالفتني واخترت الهلاك لي ولك . فدونك وما اخترت فإن الموت قريب ، قم كَلّم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة . فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول : يا سلام سلّم ، اللهم الطف بي فيما قدرته عليّ من بلاتك واسترني يا أرحم الراحمين . وقد يش من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكاً والحاجب والعجوز ، فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصراً ومنصوراً جالسين في حجرها وهي تلاعبهما وتؤنسهما . فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشياً عليه من شدة الفرح بولديه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشياً عليه . فلما أفاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلّصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وانطقهما الله عز وجل بقولهما : يا أبانا . فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا : الحمد لله الذي جمع شملكما بأبيكما . فلما أفاق حسن من غشيبته عانق أولاده ثم بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق من غشيبته أنشد هذه الأبيات : [من لسيط]

فلما كانت الليلة
والأبيات
815
التي
كانت

وَحَقِّكُمْ إِنَّ قَلْبِي لَمْ يُطِقْ جَلْدَ
يَقُولُ لِي طَيْفُكُمْ إِنَّ اللَّقَاءَ عَدَا
وَحَقِّكُمْ يَا سَادَتِي مِنْ يَوْمِ فُرْقَتِكُمْ
وَأَنْ قَضَى اللَّهُ نَحْيِي فِي مَحَبَّتِكُمْ
وِظِيَّةٍ فِي زَوَايَا الْقَلْبِ مَرَّتْهَا
إِنْ أَنْكَرْتُ فِي مَجَالِ الشَّرْعِ سَفَكَ دَمِي
عَلَى الْفِرَاقِ وَلَوْ كَانَ الْوِصَالُ رَدَى
وَهَلْ أَعِيشُ عَلَى رَغْمِ الْعِدَاةِ عَدَا
مَا لَدَّ لِي طَيْبُ عَيْشٍ بَعْدَكُمْ أَبَدَا
أَمُوتُ فِي حُبِّكُمْ مِنْ أَعْظَمِ الشُّهَدَا
وَشَخْصُهَا كَالْكَرَى عَنْ مُقَلَّتِي شَرَدَا
فَإِنَّهُ فَوْقَ خَدَّيْهَا لَقَدْ شَهَدَا

فلما تحققت الملكة أن الصغار أولاد حسن وأن أختها السيدة منار السناء زوجته التي جاء في طلبها ، غضبت عليها غضباً شديداً ما عليه من مزيد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان الملكة نور الهدى لما تحققت ان الصغار اولاد حسن وان اختها منار السنا زوجته الذي جاء في طلبها، غضبت عليها غضباً شديداً ما عليه من مزيد وصرخت في وجه حسن فغشي عليه . فلما افاق من غشيته انشد هذه الابيات :

[من الطويل]

بُعِدْتُمْ وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ فِي الْحَشَى
 قَوْلَهُ مَا قَدْ مَلْتُ عَنْكُمْ لِغَيْرِكُمْ
 تَمْرُ اللَّيَالِي فِي هَوَاكُمُ وَتَقْضِي
 وَكُنْتُ قَتَى لَا أَرْضِيهِ الْبُعْدُ سَاعَةً
 وَأَغَارُ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْكَ نُسَيْمَةٌ
 وَغَيْبْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي الْفُؤَادِ حُضُورُ
 وَإِنِّي عَلَى جَوْرِ الزَّمَانِ صَبُورُ
 وَفِي الْقَلْبِ مِنِّي زَفْرَةٌ وَسَمِيرُ
 فَكَيْفَ وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ شُهُورُ
 وَإِنِّي عَلَى الْغَيْدِ الْمَلِاحِ غَيُورُ

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشياً عليه . فلما افاق رآهم قد اخرجوه مسحوباً على وجهه ، فقام يمشي ويتعثر في اذياله وهو لم يصدق بالنجاة مما قاساه منها . فعز ذلك على العجوز شواهي ولم تقدر ان تخاطب الملكة في شأنه من قوة غضبها . فلما خرج حسن من القصر صار متحيراً لا يعرف أين يروح ولا أين يجيء ولا أين يذهب ، وضاعت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد من يحدّثه ويؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده ويلجأ إليه ، فأيقن بالهلاك لانه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر ان يجوز على وادي الجان وارض الوحوش وجزائر الطيور . فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه ، فلما افاق تفكر اولاده وزوجته وقدمها على اختها وتفكر فيما يجري لها مع الملكة اختها . ثم ندم على حضوره في هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام احد فانشد هذه الابيات : [من الطويل]

دَعُوا مُقْلَتِي تَبْكِي عَلَى فَقْدِ مَنْ أَهْوَى
 فَكَاسَ صُرُوفِ الْبَيْنِ صِرْفًا شَرِبْتُهَا
 بَسَطْتُمْ بِسَاطِ الْعَتَبِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 سَهَرْتُ وَنِمْتُمْ إِذْ زَعَمْتُمْ بَأَنِّي
 أَلَا إِنَّ قَلْبِي مُوَلَعٌ بِوَصَالِكُمْ
 أَلَمْ تَنْظُرُوا مَا حَلَّ بِي مِنْ صُدُودِكُمْ
 كَتَمْتُ هَوَاكُمُ وَالْغَرَامُ يَدْبِعُهُ
 فَرَقُوا لِحَالِي وَأَرْحَمُونِي لِأَنَّنِي
 فَيَا هَلْ تَرَى الْأَيَّامُ تَجْمَعُنِي بِكُمْ
 فُؤَادِي جَرِيحٌ بِالْفِرَاقِ قَلْبِيكُمْ

فَقَدْ عَزَّ سُلُؤَانِي وَزَادَتْ بِي الْبَلْوَى
 فَمَنْ ذَا عَلَى فَقْدِ الْأَحِبَّةِ قَدْ يَقْوَى
 أَلَا يَا بِسَاطِ الْعَتَبِ عَنَّا مَتَى تُطْوَى
 سَلَوْتُ هَوَاكُمُ إِذْ سَلَوْتُ عَنِ السَّلْوَى
 وَأَنْتُمْ أَطْبَائِي حَفِظْتُمْ مِنَ الْأَدْوَا
 دَلَّلْتُ لِمَنْ يَسُوءِي وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَسُوءِي
 وَقَلْبِي بِنيرانِ الْهَوَى أَبَدًا يُكْوَى
 أَقَمْتُ عَلَى الْمِيثَاقِ فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى
 فَأَنْتُمْ مَتَى قَلْبِي وَرُوحِي لَكُمْ تَهْوَى
 تُفِيدُونَنَا عَنْ حَبِكُمْ خَبْرًا يُرْوَى

ثم إنه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهباً إلى أن خرج إلى ظاهر المدينة فوجد النهر، فسار على جانبه وهو لا يعلم أين يتوجه . هذا ما كان من امر حسن . وأما ما كان من أمر زوجته منار السنا فإنها ارادت الرحيل في اليوم الثاني بعد اليوم الذي رحلت فيه العجوز . فبينما هي عازمة على

الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبّل الأرض بين يديها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
817

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن منار السنّا بينما هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبّل الأرض بين يديها وقال لها : يا ملكة ، إن أباك الملك الأكبر يسلم عليك ويدعوك إليه . فنهضت متوجهة مع الحاجب إلى أبيها تنظر حاجته ، فلما رآها أبوها أجلسها إلى جانبه فوق السرير وقال لها : يا بنتي ، إعلمي أنني رأيت في هذه الليلة رؤيا وأنا خائف عليك منها وخائف أن يصل لك من سفرك هذا هم طويل . فقالت له : لأي شيء يا أبتى ؟ وأي شيء رأيت في المنام ؟ قال : رأيت كاني دخلت كنزاً فرائت فيه أموالاً عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكانه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها إلا سبع حبات وهن أحسن ما فيه . فاخترت من السبع جواهر واحدة وهي أصغرها وأحسنها وأعظمها نوراً وكاني أخذتها في كفي لما أعجبني حسنها وخرجت بها من الكنز ، فلما خرجت من بابه فتحت يدي وأنا فرحان وقلبت الجوهرة وإذا بطائر غريب قد أقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد انقضّ عليّ من السماء وخطف الجوهرة من يدي ورجع بها إلى المكان الذي أتيت بها منه . فلحقني الهم والحزن والضيق وفزعت فزعاً عظيماً أيقظني من المنام ، فانتبهت وأنا حزين متأسف على تلك الجوهرة . فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامي فقالوا لي : إن لك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهراً بغير رضاك . وأنت يا بنتي أصغر بناتي وأعزهن عندي وأكرمهن عليّ ، وها أنت مسافرة إلى أختك ولا أعلم ما يجري عليك منها فلا تروحي وارجمي إلى قصرك . فلما سمعت منار السنّا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على أولادها واطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعته إلى أبيها وقالت له : أيها الملك ، إن الملكة نور الهدى قد هيأت لي ضيافة وهي في انتظار قدومي عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع سنين ما رأيتني ، وإن قعدت عن زيارتها تغضب عليّ ، ومعظم قعودي عندها شهر زمان وأحضر عندك . ومن هذا الذي يطرق بلادنا ويصل إلى جزائر واق ؟ ومن يقدر أن يصل إلى الأرض البيضاء والجبل الأسود ويصل إلى جزيرة الكافور وقلعة الطيور ؟ وكيف يقطع وادي الطيور ثم وادي الوحوش ثم وادي الجان ثم يدخل جزائرها ؟ ولو دخل إليها غريب لغرق في بحار الهلكات ، فطب نفساً وقرّ عيناً من شأن سفري فإنه لا قدرة لأحد على أن يدوس أرضنا . ولم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
818

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أنها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير، ثم إنه أمر ألف فارس أن يسافروا معها ليوصلوها إلى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل إلى مدينة أختها فتدخل قصر أختها، وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها ويحضرها بها إلى أبيها . وأوصاها أبوها أن تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم إنها نهضت وخرجت وخرج معها أبوها وودّعها وقد أثار كلام أبيها

في قلبها فخافت على اولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر . فجدت في السير ثلاثة ايام بلياليها حتى وصلت إلى النهر وضربت خيامها على ساحله ، ثم عدت النهر ومعها بعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها . ولما وصلت إلى مدينة الملكة نور الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت اولادها يكون عندها ويصيحون : يا ابانا ! فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت اولادها إلى صدرها وقالت لهم : هل رأيتم اباكم ؟ فلا كانت الساعة التي فارقت فيها ، ولو عرفت انه في دار الدنيا لكننت وصلتكم إليه . ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء اولادها وانشدت هذه الايات : [من الطويل]

أَحْبَابَنَا إِنِّي عَلَى الْبُعْدِ وَالْجَفَا
وَقَلْبِي عَلَى أَيَّامِكُمْ مُتَلَهِّفُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ بَتْنَا عَلَى غَيْرِ رَبِيَّةٍ
مُحِبِّينَ يَهْنِئِنَا الْوَقَى وَالْتَلَطَّفُ
وَأَعْظَفُ

فلما رأتها اختها قد ضمت اولادها وقالت : أنا التي فعلت بنفسي وبأولادي هكذا وأخبرت بيتي فلم تسلّم عليها اختها نور الهدى بل قالت لها : يا عاهرة ، من أين لك هذه الأولاد ؟ هل تزوجت بغير علم إبيك أو زנית ؟ فإن كنت زנית وجب تنكيلك وإن كنت تزوجت من غير علمنا ، فلاي شيء فارقت زوجك وأخذت اولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا ؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت الساعة 819

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملكة نور الهدى قالت لاختها نور السنا : وإن كنت تزوجت من غير علمنا فلاي شيء فارقت زوجك وأخذت اولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وقد أخفيت اولادك عنا ؟ أتظنين أننا لا ندري بذلك ، والله تعالى علام الغيوب قد أظهر لنا أمرك وكشف حالك وبين عوراتك . ثم بعد ذلك أمرت أعوانها أن يمسكوها فقبضوا عليها ، فكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضرباً وجيعاً حتى شرحت جسدها وصلبتها من شعرها ووضعتها في سجن وكتبت كتاباً إلى الملك الأكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له : إنه قد ظهر في بلادنا رجل من الإنس وأختي نور السنا تدعي أنها تزوجته في الحلال وجاءت منه بولدين وقد أخفتهمما عنا وعنك ولم تظهر على نفسها شيئاً إلى أن أتانا ذلك الرجل الذي من الإنس وهو يسمى حسناً وأخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم أخذت اولادها وراحت من غير علمه وأخبرت والدته عند رواحها وقالت لها : قولي لولدك إذا حصل له اشتياق أن يجيئني إلى جزائر واق . فقبضنا على الرجل عندنا وأرسلت إليها المعجوز شواهي تحضرها عندي هي وأولادها فجهزت نفسها وحضرت . وقد كنت أمرت المعجوز أن تحضر لي اولادها أولاً فتسبق بهم إليّ قبل حضورها . فجاءت المعجوز بالاولاد قبل حضورها ، فأرسلت إلى الرجل الذي ادعى أنها زوجته فلما دخل عليّ ورأى الاولاد عرفهم فتحققت أن الاولاد اولاده وأنها زوجته ، وعلمت أن كلام الرجل صحيح ولم يكن عنده عيب ورأيت أن القبح والعيب عند أختي مخفت من هتك عرضنا عند أهل جزائرونا . فلما دخلت عليّ هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضرباً وجيعاً وصلبتها من شعرها .

وقد أعلمتك بخبرها والامر بمرك فالذي تامرنا به نفعله . وانت تعلم ان هذا الامر فيه هتكة لنا وعيب في حقنا وحقك وربما تسمع اهل الجزائر بذلك فنصبر بينهم مثله فينبغي ان ترد لنا جواباً سريعاً . ثم أعطت المكتوب للرسول وسار به إلى الملك . فأقره الملك الاكبر واعتاظ غيظاً شديداً على ابنته منار السنأ وكتب إلى ابنته نور الهدى مكتوباً يقول لها فيه : انا قد فوّضت امرها إليك وحكمتك في دمها ، فإن كان الامر كما ذكرت فاقتليها ولا تشاوريني في امرها . فلما وصل إليها كتاب أبيها وقرأته أرسلت إلى منار السنأ واحضرتها بين يديها وهي غريقة في دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر ثم أوقفوها بين يدي الملكة فوقف حقيرة ذليلة . فلما رأت نفسها في هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد ، تفكرت ما كانت فيه من العز وبكت بكاء شديداً وأنشدت هذين البيتين : [من البسيط]

يَا رَبِّ إِنَّ الْعَدَى بَسَعُونَ فِي تَلْفِي وَيَزْعُمُونَ بِأَنِّي لَسْتُ بِالنَّاجِي
وَقَدْ رَجَوْتُكَ فِي إِيْطَالٍ مَا صَنَعُوا يَا رَبِّ أَنْتَ مَلَأَ الْخَائِفِ الرَّاجِي

ثم بكت بكاء شديداً حتى وقعت مغشياً عليها فلما أفادت أنشدت هذين البيتين : [من الكامل]

أَلَفَ الْخَوَادِثُ مَهْجَتِي وَأَلْفَتْهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ : وَالكَرِيمُ أَلُوفُ
لَيْسَ الْهَمُومُ عَلَيَّ صِنْفًا وَاحِدًا عِنْدِي بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْهُ أَلُوفُ

ثم أنشدت أيضا هذين البيتين : [من الكامل]

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا أَسْتَمَكَنْتُ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة : □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، ان الملكة نور الهدى لما أمرت بإحضار أختها الملكة منار السنأ ، أوقفوها بين يديها وهي مكتفة فانشدت الأشعار السابقة . ثم إن أختها أحضرت لها سلماً من خشب ومدتها عليه وأمرت أن يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربطتها في الحبال ، ثم كشفت رأسها ولفت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها . فلما رأت منار السنأ نفسها في هذه الحالة من الذل والهوان صاحت وبكت فلم يغثها أحد . فقالت لها : يا أختي ، كيف قسا قلبك عليّ؟ فما ترحميني ولا ترحمي هذه الاطفال الصغار؟ فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشتمتها وقالت لها : يا عاشقة يا عاهرة ، لا رحم الله من يرحمك كيف أشفق عليك يا خائنة؟ فقالت لها منار السنأ وهي مشبوحة : احتسبت عليك برب السماء فيما تسبيني به وأنا بريئة منه ، والله ما زينت وإنما تزوجت في الحلال وربّي يعلم هل قلوي صحيح أم لا . وقلبي قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك عليّ ، فكيف ترميني بالزنا من غير علم؟ ولكن ربي يخلصني منك . وإن كان الذي قذفتني به من الزنا حقاً فسيعاقبني الله عليه . فتفكرت أختها في نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها : كيف تخاطبيني بهذا الكلام؟ ثم قامت لها وضربتها حتى غشي عليها . فرشوا على وجهها الماء حتى أفادت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب ومن قوة الرباط ومن فرط ما

820

حصل لها من الإهانة ثم انشدت هذين البيتين: [من مجزوء الكامل]

وَإِذَا جَنَيْتُ جِنَايَةً وَأَتَيْتُ شَيْئًا مُنْكَرًا
أَنَا تَائِبٌ عَمَّا مَضَى وَأَتَيْتُكُمْ مُسْتَغْفِرًا

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضباً شديداً وقالت لها: أنتكلمين يا عاهرة قدأسي بالشعر وتستعذرين من الذي فعلته من الكبائر؟ وكان مرادي أن ترجعي لزوجك حتى أشاهد فجورك وقوة عينك لأنك تفتخرين بالذي وقع منك من الفجور والفحش والكبائر. ثم إنهما أمرت الغلمان أن يحضروا لها الجريد فأحضروه. فقامت وشمّرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها إلى قدميها. ثم دعت بسوط مظفور لو ضرب به الفيل لهول مسرعاً، فنزلت بذلك السوط على ظهرها وبطنها وجميع أعضائها حتى غشي عليها. فلما رأت العجوز شواهي ذلك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهي تبكي وتدعو عليها. فصاحت على الخدم وقالت لهم: ائتوني بها. فتجاروا عليها ومسكوها وأحضروها بين يديها، فأمرت برميها على الأرض وقالت للجوارى: اسحبوها على وجهها وأخرجوها. فسحبوها وأخرجوها من بين يديها. هذا ما كان من أمر هؤلاء. وأما ما كان من أمر حسن فإنه قام متجلداً ومشى في شاطئ النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد ينس من الحياة وصار مدهوشاً لا يعرف الليل من النهار لشدة ما أصابه. وما زال يمشي إلى أن قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة، فتناولها حسن بيده ونظرها فإذا مكتوب فيها هذه الآيات: [من مجزوء الكامل]

دَبَّرْتَ أَمْرَكَ عِنْدَمَا كُنْتَ الْجَيْنِ بِيَطْنَ أُمَّكَ
وَعَلَيْكَ قَدْ حَنَنْتَهَا حَتَّى لَقَدْ جَادَتْ بِضَمِّكَ
وَأَنَا لَكَافُوكَ الَّذِي يَأْتِي بِهَمِّكَ أَوْ بِعَمِّكَ
فَأَضْرَعُ إِلَيْنَا نَاهِضًا نَأْخُذُ بِكَفِّكَ فِي مُهَمِّكَ

فلما فرغ من قراءة الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وظفره بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع قفر ذي خطر لا يجد فيه أحداً يستأنس به. فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائضه من هذا المكان المخوف وانشد هذه الآيات: [من الطويل]

نَسِيمُ الصَّبَا إِنْ جُرْتُ أَرْضَ أَحْبَبْتِي فَبَلَّغَهُمْ عَنِّي جَزِيلَ سَلَامِي
وَقُلْ لَهُمْ إِيَّيْ رَهِينُ صَبَابَةٍ وَإِنَّ غَرَامِي فَوْقَ كُلِّ غَرَامٍ
عَسَى عَطْفَةٌ مِنْهُمْ يَهْبُ نَسِيمُهَا فَيَحْيَا بِهَا صَبُّ رَمِيمِ عِظَامٍ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما قرأ الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وتحقق الظفر بجمع الشمل. ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع ذي خطر ولم يكن عنده أحد يؤانسه، فبكى بكاء شديداً وانشد الأشعار التي ذكرناها. ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من أولاد السحرة والكهان وبين أيديهما

فلما كانت الليلة
821
الليلة
الليلة

قضيبي من النحاس منقوش بالطلاسم، وبجانبي القضيبي طاقية من الادم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد أسماء وخواتم، والقضيبي والطاقية مرميان على الأرض والولدان يختصمان ويتضاربان عليهما حتى سال الدم بينهما. وهذا يقول: ما يأخذ القضيبي إلا أنا والآخر يقول: ما يأخذ القضيبي إلا أنا. فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما وقال لهما: ما سبب هذه المحاصمة؟ فقالا له: يا عم، احكم بيننا فإن الله تعالى ساقك إلينا لتقضي بيننا بالحق. فقال: قصاً عليّ حكايتكما وأنا احكم بينكما. فقالا له: نحن الإثنان أخوان شقيقان، وكان أبونا من السحرة الكبار وكان مقيماً في مغارة في هذا الجبل، ثم مات وخلّف لنا هذه الطاقية وهذا القضيبي. وأخي يقول: ما يأخذ القضيبي إلا أنا. وأنا أقول: ما يأخذه إلا أنا. فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا. فلما سمع حسن كلامهما قال لهما: ما الفرق بين القضيبي والطاقية؟ وما مقدارهما؟ فإن القضيبي بحسب الظاهر يساوي ستة جدد والطاقية تساوي ثلاثة جدد. فقالا له: أنت ما تعرف فضلها. فقال لهما: أي شيء فضلها؟ قالوا له: في كل منهما سر عجيب، وهو أن القضيبي يساوي خراج جزائر واق بأقطارها والطاقية كذلك. فقال له حسن: يا ولدي، بالله إكشف لي عن سرهما. فقال له: يا عم، إن سرهما عظيم لأن أبانا عاش مائة وخمسة وثلاثين سنة يعالج تدبيرهما حتى أحكمهما غاية الإحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما الإستخدامات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحلّ بهما جميع الطلسمات، وعندما فرغ من تدبيرهما أدركه الموت الذي لا بد لكل أحد منه. فأما الطاقية فإن سرها أن كل من وضعها على رأسه اختفى عن أعين الناس جميعاً فلا ينظره أحد ما دامت على رأسه. وأما القضيبي فإن سره أن كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيبي. فكلمهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه وصار في يده إذا ضرب به الأرض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن في خدمته. فلما سمع حسن هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم قال في نفسه: والله إنني لمنصور بهذا القضيبي وبهذه الطاقية إن شاء الله تعالى، فانا أحق بهما منهما. ففي هذه الساعة أنحى على أخذهما منهما لاستعين بهما على خلاصي وخلّص زوجتي وأولادي من هذه الملكة الظالمة ونسافر من هذا المكان المظلم الذي ما لأحد من الإنس خلاص منه ولا مفر، ولعل الله ما ساقني لهذين الغلامين إلا لاستخلص منهما القضيبي والطاقية. ثم رفع رأسه إلى الغلامين وقال لهما: إن شئتما فصل القضية فانا امتحنكما، فمن غلب رفيقه يأخذ القضيبي ومن عجز يأخذ الطاقية. فإن امتحنكما وميّزت بينكما عرفت ما يستحقّه كل منكما. فقالا له: يا عم، وكلنا في امتحاننا والحكيم بيننا بما تختار. فقال لهما حسن: هل تسمعان مني وترجعان إليّ قولي؟ فقالا له: نعم. فقال لهما حسن: أنا أخذ حجراً وأرميه فمن سبق منكم إليّ وأخذه قبل رفيقه يأخذ القضيبي ومن تأخّر ولم يلحقه يأخذ الطاقية. فقالا: قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به. ثم إن حسناً أخذ حجراً ورماه بعزمه فغاب عن العيون، فتسارع الغلامان تحته. فلما بعدا أخذ حسن الطاقية ولبسها وأخذ القضيبي في يده وانتقل من موضعه لينظر صحة قولهما في شأن سر أبيهما. فسبق الولد الصغير إلى الحجر وأخذه ورجع به إلى المكان الذي فيه حسن فلم ير له أثراً. فصاح على أخيه وقال له: أين الرجل الحاكم بيننا؟ فقال: لا أراه ولم أعرف هل طلع إلى السماء العليا أو نزل إلى الأرض السفلى. ثم إنهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف في مكانه.

فشتما بعضهما وقالوا: قد راح القضيب والطاقي لابي ولالك وكان ابونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكننا نسينا ما أخبرنا به . ثم إنهما رجعا على أعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقي وفي يده القضيب ولم يره أحد من الناس . ثم دخل القصر وطلع إلى الموضع الذي فيه شواهي ذات الدواهي فدخل عليها وهو لابس الطاقي فلم تره، ومشى حتى تقرب من رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصيني فحركه بيده فوق الذي فوقه على الأرض . فصاحت شواهي ذات الدواهي ولطمت على وجهها ثم قامت وأرجعت الذي وقع إلى مكانه وقالت في نفسها: والله ما اظن إلا ان الملكة نور الهدى أرسلت إلي شيطاناً فعمل معي هذه العملة، فأنا أسأل الله تعالى أن يخلصني منها ويسلمني من غضبها . فيارب إذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب مع أختها وهي عزيزة عند أيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلي إذا غضبت عليه؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 822
 □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العجوز ذات الدواهي لما قالت: إذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع أختها فكيف يكون حال الغريب معها إذا غضبت عليه؟ ثم قالت: أقسمت عليك أيها الشيطان بالحنان المنان العظيم الشأن القوي السلطان خالق الإنس والجنان وبالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تكلمني وتجيبي . فأجابها حسن وقال لها: ما أنا شيطان أنا حسن الولهان الهائم ثم الحيران . ثم قلع الطاقي من فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فأخذته واختلت به وقالت له: أي شيء حصل لك في عقلك حتى عبرت إلى هنا؟ رح اختف فإن هذه الفاجرة صنعت بزوجتك ما صنعت من العذاب وهي أختها فكيف إذا وقعت بك؟ ثم حكته له جميع ما وقع لزوجته وما هي فيه من الضيق والعقوبة والعذاب، وكذلك حكته له ما وقع لها من العذاب . ثم قالت له: إن الملكة ندمت حين أطلقتك وقد أرسلت إليك من يحضرك لها وتعطيه من الذهب قنطاراً وتجمله في رتبتي عندها . وحلفت إن أرجعوك قتلتك وتقتل زوجتك وأولادك . ثم إن العجوز بكت وأظهرت لحسن ما فعلته الملكة بها . فبكى حسن وقال: يا سيدتي، كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة الظالمة؟ وما الحيلة التي توصلني إلى أن أخلص زوجتي وأولادي ثم أرجع بهم إلى بلادي؟ فقالت له العجوز: ويلك، انج بنفسك . فقال: لا بد لي من خلاصها وخلاص أولادي منها قهراً عنها . فقالت له العجوز: وكيف تخلصهم قهراً عنها؟ رح واختف يا ولدي حتى يأذن الله تعالى . ثم إن حسنا أراها القضيب النحاس والطاقي، فلما رأتها العجوز فرحت بهما فرحاً شديداً وقالت له: سبحان من يحيي العظام وهي رميم، والله يا ولدي ما كنت أنت وزوجتك إلا من الهالكين والآن يا ولدي قد نجت أنت وزوجتك وأولادك لأنني أعرف القضيب وأعرف صاحبه، فإنه كان شيخاً الذي علمني السحر وكان ساحراً عظيماً مكث مائة وخمسة وثلاثين سنة حتى أتقن هذا القضيب وهذه الطاقي . فلما انتهى إقتانها أدركه الموت الذي لا بد منه وسمعته يقول لولديه: يا ولدي، هذان ما هما من نصيبكما وإنما يأتي شخص غريب الديار يأخذهما منكما قهراً ولا تعرفان كيف يأخذهما . فقالا: يا أبانا، عرفنا كيف يصل إلى أخذهما؟ فقال: لا أعرف ذلك . فكيف وصلت يا ولدي لأخذهما؟ فحكى لها كيف أخذهما من الولدين .

فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له : يا ولدي ، كما ملكت زوجتك وأولادك إسمع مني ما أقول لك عليه : أنا ما بقي لي عند هذه الفاجرة إقامة بعد ما تجاسرت عليّ ونكلتني وأنا راحلة عنها إلى مغارة السحرة لأقيم عندهم وأعيش معهم إلى أن أموت . وأنت يا ولدي إلبس الطاقية وخذ القضيب في يدك وادخل على زوجتك وأولادك في المكان الذي هم فيه واضرب الأرض بالقضيب وقل : يا خدام هذه الأسماء . تطلع إليك خدامه ، فإن طلع لك أحد من رؤوس القبائل فأمره بما تريد وتختار . ثم إنه ودّعها وخرج ولبس الطاقية وأخذ القضيب معه ودخل المكان الذي فيه زوجته فرآها في حالة العدم ، مصلوبة على السلم وشعرها مربوط فيه وهي باكية العين حزينه القلب في أسوأ حال ، لا تدري طريقاً لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهي تنظرهم وتبكي عليهم وعلى نفسها بسبب ما جرى لها مما أصابها ، وهي تقاسي من العذاب والضرب المؤلم أشد النكال . فلما رآها في أسوأ الحالات سمعها تنشد هذه الأبيات : [من السريع]

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ هَائِتٌ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهِتٌ
وَمُغْرَمٌ تُضْرَمُ أَحْشَاؤُهُ بِالنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ
يَرِيثِي لَهُ الشَّامِتُ مِمَّا رَأَى يَا وَيْحَ مَنْ يَرِيثِي لَهُ الشَّامِتُ

ثم إن حسناً لما رأى ما هي فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشي عليه . فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشي على أهمهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا : يا أبانا . فغطى رأسه واستفاقت أهمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وإنما نظرت أولادها وهم يبكون ويصيحون : يا أبانا . فبكت لما سمعتهم يذكرون أباهم ويكون وانكسر قلبها وتقطعت أحشاؤها ونادت من كبد قد تصدّع وقلب موجع : أين أنتم ؟ وأين أبوكم ؟ ثم تذكّرت أوقات اجتماع شملها وتذكّرت ما جرى عليها بعد فراقه فبكت بكاء شديداً حتى جرحت دموعها خديها وبلت الأرض ، وصارت خلودها غريقة في دموعها من كثرة البكاء وليس لها يد مطلوقة حتى تمسح دموعها بها عن خلودها وشيع الذباب من جلدها . ولم تجد لها مساعداً غير البكاء والتسلي بإنشاد الأشعار فانشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

وَذَكَّرْتُ يَوْمَ الْبَيْنِ بَعْدَ مُودَعِي فَجَرَّتْ دُمُوعِي أَنَّهُرًا فِي مَرَجِعِي
وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الرُّكَابِ فَلَمْ أَجِدْ صَبْرًا وَلَا جَلْدًا وَلَا قَلْبِي مَعِي
وَرَجَعْتُ لَا أَدْرِي الطَّرِيقَ وَلَمْ أَفْقِ مِنْ لَوْعَتِي وَتَوَلَّعِي وَتَوَجُّعِي
وَأَضْرًا مَا بِي فِي رُجُوعِي شَامِتٌ قَدْ جَاءَنِي فِي صُورَةِ الْمُتَخَشِّعِ
يَا نَفْسُ إِذْ بَعْدَ الْحَبِيبِ ففَارِقِي طِيبَ الْحَيَاةِ وَفِي الْبَقَا لَا تَطْمَعِي
يَا صَاحِبِي أَنْصِتْ لِأَخْبَارِ الْهَوَى حَاشَا لِقَلْبِكَ أَنْ أَقُولَ وَلَا يَعْبي
أَرْوِي الْغَرَامَ مُسْلَسَلًا بِعَجَائِبِ وَغَرَائِبِ حَتَّى كَأَنِّي الْأَصْمَعِي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، ان حسناً لما دخل على زوجته رأى اولاده وسمعها تنشد الايات التي ذكرناها، وقد التفتت يمينا وشمالاً لترى سبب صياح اولادها وندائهم لابيهم فلم تر أحداً. ولما لم تر أحداً تعجبت من ذكر اولادها لابيهم في هذه الوقت. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر حسن فإنه لما سمع شعرها بكى حتى غشي عليه وجرت دموعه على خده مثل المطر ودنا من الاولاد وكشف الطاقية. فلما رآه عرفوه وصاحوا بقولهم: يا ابانا. فبكت امهم حين سمعتهم يذكرون اباهم وقالت: لا حيلة في قدر الله. وقالت في نفسها: يا للعجب! ما سبب ذكرهم لابيهم في هذا الوقت وندائهم له؟ ثم بكت وانشدت هذه الايات: [من الكامل]

خَلَّتِ الدِّيارُ مِنَ السَّرَّاجِ الطَّالِعِ
رَحَلُوا فَكَيْفَ تَصْبِرِي مِنْ بَعْدِهِمْ
يا راحِلِينَ وفي الفؤادِ محلَّهُمْ
ما ضرَّ لو رجَعُوا وفُزْتُ بأنسِهِمْ
أَجْرُوا سَحَابَ مَقْلَتِي يَوْمَ النُّورِ
وطمِعتُ أَنْ يَقْبُوا فَعانِدُنِي البَقَا
يا اللهُ يا أَحبابنا عودُوا لَنَا
يا مُقْلَتِي جُودِي بِفَيْضِ الأَدْمَعِ
أَقْسَمْتُ ما قَلْبِي ولا صَبْرِي مَعِي
هلْ بَعْدَ ذا يا سادَتِي مِنْ مَرْجَعِ
ورَثُوا لِفَيْضِ مَدامِعِي وتَوَجَّعِي
عَجَباً وَلَمْ يُطْفِئْ تَضَرُّمُ أَصْلَعِي
فِيهِمْ وخَيْبَ بالتَّفَرُّقِ مَطْمَعِي
فَلَقَدْ كَفَى ما قَدَّ جَرَى مِنْ أَدْمَعِي

فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن راسه. فنظرت زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من في القصر ثم قالت له: كيف وصلت إلى هنا؟ هل من السماء نزلت أو من الأرض طلعت؟ ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له: يا رجل، ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب، قد نفذ القضاء وعمى البصر وجرى القلم بما حكم الله في القدم. فبالله عليك من أي مكان جئت رح واختف لثلا ينظرك أحد فيعلم اختي بذلك فتذبحني وتذبحك. فقال لها حسن: يا سيدتي وسيدة كل ملكة، أنا خاطرت بروحي وجئت إلى هنا، فإما أن أموت وإما أن أخلصك من الذي أنت فيه وأسافر أنا وأنت وأولادي إلى بلادي على رغم أنف هذه الفاجرة اختك. فلما سمعت كلامه تبسّمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زماناً طويلاً وقالت له: هيهات يا روعي أن يخلصني أحد مما أنا فيه إلا الله تعالى. ففز بنفسك وارحل ولا ترم روحك في الهلاك فإن لها عسكرياً جراً ما قدر أحد ان يقابله، وهب أنك أخذتني وخرجت فكيف تصل إلى بلادك وتخلص من هذه الجزائر وصعوبة هذه الاماكن؟ وقد رأيت في الطريق الذي نظرتها من العجائب والغرائب والأهوال والشدائد ما لا يخلص منه أحد من الجن المتمردة. فرح من قريب ولا تزدني همّاً على همّي ولا غمّاً على غمّي ولا تدعي أنك تخلصني من هذا، فمن يوصلني إلى بلادك في هذه الأودية والأرض المعطشة والاماكن المهلكة؟ فقال لها حسن: وحياتك يا نور عيني ما أخرج من هنا ولا أسافر إلا بك. فقالت له: يا رجل، كيف تقدر على هذا الأمر؟ أي شيء جنسك؟ فإنك لا تعرف الذي تقوله ولو كنت تحكم على جان وعفاريت وسحرة وأرهاط وأعوان فإنه لا يقدر أحد ان يتخلص من هذه الاماكن. ففز أنت بنفسك سالماً

وخلّتي لعل الله يحدث بعد الأمور أموراً . فقال لها حسن : يا سيدة الملاح ، أنا ما جئت إلا لاخلصك بهذا القضيّب وبهذه الطاقية ثم حكى لها حكايته مع الولدين . فبينما هو في الحديث وإذا بالملكة دخلت عليهما فسمعت حديثهما . فلما رأى الملكة لبس الطاقية فقالت لاختها : يا فاجرة ، من الذي كنت تتحدثين معه ؟ فقالت لها : ومن عندي يكلمني غير هذه الأطفال ؟ فأخذت السوط وصارت تضربها به وحسن واقف ينظر ، ولم تزل تضربها حتى غشي عليها . ثم امرت بنقلها من ذلك المحل إلى محل آخر ، فحلّوها وخرجوا بها إلى محل غيره وخرج حسن معهم إلى المكان الذي أوصلوها إليه ثم القوها مغشياً عليها ووقفوا ينظرون إليها . فلما أفاقت من غشيتها انشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمَلْنَا نَدَمًا أَقْضَى الدَّمْعَ مِنْ أَجْفَانِي
وَنَدَرْتُ إِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلْمُنَا مَا عُدْتُ أَذْكَرُ فُرْقَةَ بِلِسَانِي
وَأَقُولُ لِلنَّحْسَادِ مُوتُوا حَسْرَةً وَاللَّهِ إِنِّي قَدْ بَلَغْتُ أَمَانِي
طَفَحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ مِنْ فَرَطٍ مَا قَدْ سَرَّيْتُ أَبْكَانِي
يَا عَيْنُ مَا بَالُ الْبُكَاءِ لِكَ عَادَةً تَبْكِينَ فِي فَرَحٍ وَفِي أَحْزَانِ

فلما فرغت من شعرها خرج من عندها الجوارى . فعند ذلك قلع حسن الطاقية فقالت له زوجته : انظر يا رجل ما حلّ بي ، هذا كله إلا لكوني عصيتك وخالفت أمرك وخرجت من غير إذنك . فبالله عليك يا رجل لا تؤاخذني بذنبي واعلم أن المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه ، وأنا اذنبت وأخطأت ولكن استغفر الله العظيم مما وقع مني ، وإن جمع الله شملنا لا أعصي لك أمراً بعد ذلك أبداً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 824 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زوجة حسن اعتذرت إليه وقالت له : لا تؤاخذني بذنبي وأنا استغفر الله العظيم . فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها : أنت ما أخطأت وما أخطأ إلا أنا لأنني سافرت وخلّيتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك قيمة ولا مقدار . واعلمي يا حبيبة قلبي وثمره فؤادي ونور عيني أن الله سبحانه أقدّرني على تخليصك فهل تحبين أن أوصلك إلى ديار أبيك وتستوفي عنده ما قدره الله عليك أو تسافرين إلى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج ؟ فقالت له : ومن يقدر على تخليصي إلا رب السماء ؟ فرح بلادك وخلّ عنك الطمع فإنك لا تعرف أخطار هذه الديار ، وإن لم تطعني سوف تنظر . ثم إنها انشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

عَلَيَّ وَعِنْدِي مَا تُرِيدُ مِنَ الرِّضَى فَمَا لَكَ غَضَبًا عَلَيَّ وَمُعْرَضًا
وَمَا قَدْ جَرَى حَاشَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا مِنَ الْوُدِّ أَنْ يُنْسَى قَدِيمًا وَيُنْقَضَ
وَمَا بَرِحَ الْوَاشِي لَنَا مُتَجَنِّبًا فَلَمَّا رَأَى الْإِعْرَاضَ مِنَّا تَعَرَّضَ
فإِنِّي بِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ لَوَائِقُ وَإِنْ جَهَلَ الْوَاشِي وَقَالَ وَحَرَّضَ
عَلَيْنَا ؛ فَمِيرَ الْحُبِّ سَوْفَ نَصُونُهُ وَلَوْ كَانَ سَيْفَ الْعَدْلِ بِاللُّؤْمِ مُنْتَضَى

أَظَلُّ نَهَارِي كُلَّهُ مُتَشَوِّقًا لَعَلَّ بَشِيرًا مِنْكَ يُقْبَلُ بِالرُّصَى

ثم بكت هي وأولادها وسمع الجواري بكاءهم فدخلن عليهم فوجدن الملكة منار السنا تبكي هي وأولادها ولم ينظرون حسناً عندهم . فبكى الجواري رحمة لهم ودعين على الملكة نور الهدى . فصبر حسناً إلى أن أقبل الليل وذهب الحرس الموكلون بها إلى مراقدهم ، ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء إلى زوجته وحلها وقبل رأسها وضمها إلى صدره وقبل ما بين عينيها وقال لها : ما أطول شوقنا إلى ديارنا واجتماع شملنا هناك ، فهل اجتماعنا هذا في المنام أو في اليقظة ؟ ثم إنه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر وقد أسبل الله عليهما الستر وسارا ، فلما وصلا إلى خارج القصر وقفا عند الباب الذي يقفل على سراية الملكة ، فلما صارا هناك رأياه مقفولاً . فقال حسن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم إنهما يشا من الخلاص فقال حسن : يا مفرج الكرب . ودق يداً على يد وقال : كل شيء حسبته ونظرت في عاقبته إلا هذا . فإنه إذا طلع علينا النهار يأخذوننا وكيف تكون الحيلة في هذا الأمر ؟ ثم إن حسناً أنشد هذين البيتين : [من البسيط]

حَسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتُ وَلَمْ تَحْخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَّتْ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدْرُ

ثم بكى حسن وبكت زوجته لبكائه ولما هي فيه من الإهانة وآلام الزمان . فالتفت حسن إلى زوجته وأنشد هذين البيتين : [من الطويل]

يَعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوُّهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكَرْبَةِ يَلْقَانِي
وَإِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ إِذَا مَا صَفَا يَوْمًا تَكَدَّرَنِي الثَّانِي
وَأَنشُدُ أَيضاً هَذِينَ الْبَيْتِينَ : [من الطويل]

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرَ أَنَّنِي أَعَزُّ ، وَأَنَّ النَّائِبَاتِ تَهُونُ
وَبَاتَ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ أَعْتَدَاؤُهُ وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

فقالت له زوجته : والله ما لنا فرج إلا أن نقتل أرواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم وإلا نصبح نقاسي العذاب الاليم . فبينما هما في الكلام وإذا بقاتل يقول من خارج الباب : والله ما أفتح لك يا سيدتي منار السنا وزوجك حسن إلا إن تطواعاني فيما أقوله لكما : فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأرادا الرجوع إلى المكان الذي كانا فيه وإذا بقاتل يقول : ما لكما سكتما ولم ترداً على الجواب ؟ فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها : مهما تأمرينا به نعمله ولكن إفتحي لنا الباب فإن أولاً هذا الوقت ما هو وقت كلام . فقالت له : والله ما أفتح لكما حتى تحلفا لي أنكما تأخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ، ومهما أصابكما أصابني وإن سلمتا سلمت وإن عطبتما عطبت ، فإن هذه الفاجرة المساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكطني من أجلكما ، وأنت يا بنتي تعرفين مقداري . فلما عرفاها اطمأنا بها وحلفا لها بالإيمان التي تثق بها . فلما حلفا لها بما تثق لهما الباب وخرجا ، فلما خرجا وجداها راكبة على زير رومي من فخار أحمر وفي حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلب من تحتها ويجري جرياً

أقوى من جري المهر النجدي . فتقدّمت قدامهما وقالت لهما : اتبعاني ولا تفزعاً من شيء فإتي
 احفظ أربعين باباً من السحر ، أقل باب منها اجعل به هذه المدينة بجزراً عجائماً متلاطماً بالأمواج
 وأسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك اعمله قبل الصبح . ولكنني كنت لا اقدر أن افعل
 شيئاً من ذلك الشرّ خوفاً من الملك أبيها ورعاية لآخواتها لانهم مستعزون بكثرة الأعوان
 والأرهاب والخدم ، ولكن سوف أريكما عجائب سحري فسيرا بنا على بركة الله تعالى وعونه .
 فعند ذلك فرح حسن هو وزوجته وأيقنا بالخلاص . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
 الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن حسناً وزوجته والعجوز شواهي
 لما طلّعوا من القصر وأيقنوا بالخلاص ، خرجوا إلى ظاهر المدينة فأخذ
 حسن القضيب وضرب به الأرض وقوّى جناحه وقال : يا خدّم هذه
 الأسماء احضروا لي واطلعوني على إخوانكم . وإذا بالأرض قد انشقت
 وخرج منها عشرة عفاريت كل عفريت منهم رجلاه في تخوم الأرض
 ورأسه في السحاب . فقبّلوا الأرض بين يدي حسن ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد : لبيك
 يا سيدنا والحاكم علينا بأي شيء تأمرنا؟ فنحن لامرك سامعون ومطيعون ، إن شئت نبيس لك
 البحار وننقل لك الجبال من أماكنها . ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم فشجع قلبه وقوّى
 جناحه وعزمه وقال لهم : من أنتم ؟ وما اسمكم ؟ ولمن تنسبون من القبائل ؟ ومن أي طائفة
 أنتم ؟ ومن أي قبيلة ؟ ومن أي رهط ؟ فقبّلوا الأرض ثانياً وقالوا بلسان واحد : نحن سبع
 ملوك ، كل ملك منا يحكم على سبع قبائل من الجن والشياطين والمردة . فنحن سبع ملوك
 نحكم على تسعة وأربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والأرهاب والأعوان
 الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبراري والقفار وعمار البحار ، فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام
 وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعاً ونصير تحت طاعته . فلما سمع حسن
 كلامهم فرح فرحاً عظيماً وكذلك زوجته والعجوز . فعند ذلك قال حسن للجان : أريد منكم
 أن تطلعوني على رهطكم وجندكم وأعوانكم . فقالوا : يا سيدنا إذا اطلعتك على رهطنا نخاف
 عليك وعلى من معك لأنهم جند كثيرة مختلفة الصور والخلق والألوان والوجوه والأبدان ، فمننا
 رؤوس بلا أبدان ومننا أبدان بلا رؤوس ومننا من هو على صفة الوحوش ومننا من هو على صفة
 السباع . ولكن إن شئت ذلك فلا بد لنا من أن نعرض عليك أولاً من هو على صفة الوحوش .
 ولكن يا سيدي ما تريد منا في هذا الوقت ؟ فقال لهم حسن : أريد منكم أن تحملوني أنا وزوجتي
 وهذه المرأة الصالحة في هذه الساعة إلى مدينة بغداد . فلما سمعوا كلامه أطلقوا رؤوسهم . فقال
 لهم حسن : لم لا تجيبون ؟ فقالوا بلسان واحد : أيها السيد الحاكم علينا إننا من عهد السيد
 سليمان بن دلود عليهما السلام وكان حلفنا أننا لا نحمل أحداً من بني آدم على ظهورنا . فنحن
 من ذلك الوقت ما حملنا أحداً من بني آدم على اكتافنا ولا على ظهورنا ، ولكن نحن في هذه
 الساعة نشدّ لك من خيول الجن ما يبلغك بلادك أنت ومن معك . فقال لهم حسن : وكم بيننا
 وبين بغداد ؟ فقالوا له : مسافة سبع سنين للفارس المحمد . فتعجب حسن من ذلك وقال لهم :
 كيف جئت أنا إلى هنا فيما دون السنة ؟ فقالوا له : أنت قد حنّ الله عليك قلوب عباده الصالحين

فلما كانت الليلة
 825
 في ليلة
 الجمعة

ولولا ذلك ما كنت تصل إلى هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبداً، لأن الشيخ عبد القدوس الذي أركبك الفيل وأركبك الجواد الميمون قطع بك في الثلاثة أيام ثلاث سنين للفراس المجد في السير. وأما الشيخ أبو الرويش الذي أعطاك لدهنش فإنه قد قطع بك في اليوم واللييلة مسافة ثلاث سنين. وهذا من بركة الله العظيم لأن الشيخ أبي الرويش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ إسم الله الأعظم ومن بغداد إلى قصر البنات سنة فهذه هي السبع سنين. فلما سمع حسن كلامهم تعجب عجباً عظيماً وقال: سبحان الله مهوّن العسير وجابر الكسير ومقرب البعيد ومذل كل جبار عنيد، الذي هوّن علينا كل أمر وأوصلني إلى هذه الديار وسخر لي هؤلاء العالم وجمع شملي بزوجتي وأولادي. فما أدري هل أنا نائم أو يقظان؟ وهل أنا صاح أو سكران؟ ثم التفت إليهم وقال لهم: إذا أركبتموني خيولكم في كم يوم تصل بنا إلى بغداد. فقالوا: تصل بك فيما دون السنة بعد أن تقاسي الأمور الصعاب والشدائد والأهوال وتقطع أودية معطشة وقفاراً موحشة وبراري ومهالك كثيرة، ولا نأمن عليك يا سيدي من أهل هذه الجزائر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة قال: يا سيدي من أهل هذه الجزائر ولا من شرّ الملك الأكبر ولا من هذه السحرة والكهنة، فرمما يقهروننا ويأخذونكم منا ونبتلي بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا: أنتم الظالمون، كيف قدمتم على الملك الأكبر وحملتكم الإنس من بلاده وحملتكم أيضاً ابنته معكم؟ ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الأمر. ولكن الذي أوصلك إلى هذه الجزائر قادر أن يوصلك إلى بلادك ويجمع شملك بأمك قريباً غير بعيد، فاعزم وتوكل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك إلى بلادك. فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم: جزاكم الله خيراً. ثم قال لهم: عجلوا بالخيول. فقالوا: سمعاً وطاعة. ثم دقوا الأرض بارجلهم فانشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا وإذا بهم قد طلّعوا ومعهم ثلاثة أفراس مسرجة ملجمة، وفي مقدّم كل سرج خرج في إحدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الأخرى ملآنة زادا. ثم قدّموا الخيل فركب حسن جواداً وأخذ ولدأ قدامه وركبت زوجته الجواد الثاني وأخذت ولدأ قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا. ولم يزلوا سائرين طول الليل حتى أصبح الصباح، فعرّجوا عن الطريق وقصلوا الجبل والسننهم لا تقتر عن ذكر الله وساروا النهار كله تحت الجبل. فبينما هم سائرون إذ نظر حسن إلى جبل قدامه مثل العامود وهو طويل كالدخان المتصاعد إلى السماء. فقروا شيئاً من القرآن وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقرّبوا منه. فلما دنوا منه وجدوه عفريتاً رأسه كالقبة العظيمة وأنيابه كالكلاليب ومنخره كالإبريق وأذناه كالأدراق وفمه كالغارة وأسنانه كعواميد الحجارة ويداها كالمداري ورجلاه كالصواري ورأسه في السحاب وقدماه في تخوم الأرض تحت التراب. فلما نظر حسن إلى العفريت انحنى وقبّل الأرض بين يديه فقال له: يا حسن لا تخف مني، أنا رئيس عمار هذه الأرض وهذه أول جزيرة من جزائر واق، وأنا مسلم موحد بالله وسمعت بكم وعرفت قدمكم. ولما اطلعت على حالكم اشتهيت أن أرحل من بلاد السحرة إلى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة من الإنس والجنان أعيش فيها

منفرداً وحدي وأعبد الله حتى يدركني أجلي، فأردت أن أرافقكم وأكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر، وأنا ما أظهر إلا بالليل. فطيبوا قلوبكم من جهتي فإنني مسلم مثل ما أنتم مسلمون. فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحاً شديداً وأيقن بالنجاة ثم التفت إليه وقال له: جزاك الله خيراً فسر معنا على بركة الله. فسار العفريت قدامهم وصاروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وأنشروحت صدورهم وصار حسن يحكي لزوجته جميع ما جرى له وما قاساه، ولم يزلوا سائرين طول الليل. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 827
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنهم لم يزلوا سائرين طول الليل إلى الصباح والخيل تسير بهم كالبرق الخاطف. فلما طلع النهار مد كل واحد يده في خروجه وأخرج منه شيئاً وأكله وأخرج ماء وشربه ثم جدوا في السير. ولم يزلوا سائرين والعفريت أمامهم وقد عرج بهم عن الطريق إلى طريق أخرى غير مسلوكة على شاطئ البحر، وما زالوا يقطعون الأودية والقفار مدة شهر كامل. وفي اليوم الحادي والثلاثين طلعت عليهم غبرة سدّت الأقطار وأظلم منها النهار، فلما نظرها حسن لحقه الإصفرار وقد سمعوا ضججات مزعجة. فالتفت العجوز إلى حسن وقالت له: يا ولدي، هذه عساكر جزائر واق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذوننا قبضاً باليد. فقال لها حسن: ما أصنع يا أمي؟ فقالت له: اضرب الأرض بالقضيب. ففعل فطلع إليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له: لا تخف ولا تحزن. وفرح حسن بكلامهم وقال: أحسنتم يا سادة الجن والعفاريت هذا وقتكم. فقالوا له: إطلع أنت وزوجتك وأولادك ومن معك فوق الجبل وخذلونا نحن وإياهم لأننا نعرف أنكم على الحق وهم على الباطل وينصرنا الله عليهم. فنزل حسن هو وزوجته وأولاده والعجوز عن ظهور الخيل، وصرفوا الخيل وطلعوا على طرف الجبل. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 828
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد أن صرفوا الخيل. ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت عليهم النقباء وصقوهم جملة جملة، وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان والتهبت النيران وأقدمت الشجعان وفرّ الجبان ورمت الجن من أفواهاها لهيب الشرر إلى أن أقبل الليل المعتكر فافترق الجمعان وانفصل الفريقان. ولما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الأرض أشعلوا النيران وطلع السبعة ملوك إلى حسن وقبلوا الأرض بين يديه. فأقبل عليهم وشكرهم ودعاهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا له: إنهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة أيام، فنحن كنا اليوم ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار ألفين وقتلنا منهم خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم. فطب نفساً وأنشروا صدوراً. ثم إنهم ودّعوه ونزلوا إلى عسكرهم يحرسونه وما زالوا يشعلون النيران إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح، فركبت الفرسان الخيل القراح وتضاربوا بمزهفات الصفاح وتطاعتوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتظمون التطام البحار واستعزّ بينهم في الحرب لهيب النار. ولم يزلوا في نضال

وسباق حتى انهزمت عساكر واق وانكسرت شوكتهم واتحطت همّتهم وزلت أقدامهم وأينما هربوا فالهزيمة قدّامهم ، فولّوا الأدبار وركبوا إلى الفرار وقتل أكثرهم وأسرت الملكة نور الهدى هي وكبير مملكتها وخواصها . فلما أصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدي حسن ونصبوا له سريراً من المرمر مصفّحاً بالدر والجوهر ، فجلس فوقه ونصبوا عنده سريراً آخر للسيدة منار السنّا زوجته وذلك السرير من العاج المصفّح بالذهب الوهاج ، ونصبوا جنبه سريراً آخر للعجوز شواهي ذات الدواهي . ثم إنهم قدّموا الأسارى بين يدي حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين . فلما رأتها العجوز قالت لها : ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة إلا من يجوع كلبتين ويربطهما معك في أذنان الخيل ويسوقهما إلى البحر حتى يتمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك ويضعمك . كيف فعلت بأختك هذه الفعّال يا فاجرة؟ مع أنها تزوّجت في الحلال بسنة الله ورسوله لأنه لا رهبانية في الإسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام ، وما خلقت النساء إلا للرجال . فعند ذلك أمر حسن بقتل الأسارى جميعها . فصاحت العجوز وقالت : اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحداً . فلما رأت الملكة منار السنّا أختها في هذه الحالة وهي مقيدة مأسورة ، بكت عليها وقالت لها : يا أختي ، ومن هذا الذي أسرنا في بلادنا وغلبنّا؟ فقالت لها : هذا أمر عظيم ، إن هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكّمه الله فينا وفي سائر ملكنا وتعلّب علينا وعلى ملوك الجن . فقالت لها أختها : إنه ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا أسركم إلا بهذه الطاقية والقضيب . فتحقّقت أختها ذلك وعرفت أنه خلصها بهذا السبب ، فتضرّعت لأختها حتى حنّ قلبها عليها ثم قالت لزوجها حسن : ما تريد أن تفعل بأختي؟ فها هي بين يديك وهي ما فعلت مكروها حتى تؤاخذها به . فقال لها : كفى تعذيبها إياك مكروهاً . فقالت له : كل مكروه فعلته معي كانت معذورة فيه ، وأما أنت فإنك قد أحرقت قلب أبي بفقدني فكيف يكون حاله بعد أختي؟ فقال لها حسن : الرأي رأيك مهما أردته فافعليه . فعند ذلك أمرت الملكة منار السنّا بحلّ الأسارى جميعهم . فحلّوهم لأجل أختها وكذلك أختها . وبعد ذلك أقبلت على أختها وعانقتها وصارت تبكي هي وإياها . ولم يزل كذلك ساعة زمانية ثم قالت الملكة نور الهدى لأختها : يا أختي لا تؤاخذيني بما فعلته معك . فقالت لها السيدة منار السنّا : يا أختي إن هذا كان مقدراً عليّ . ثم جلست هي وأختها على السرير يتحدثان ، وبعد ذلك أصلحت منار السنّا بين العجوز وبين أختها على أحسن ما يكون وطابت قلوبهما . ثم إن حسناً صرف العسكر الذين كانوا في خدمة القضيب وشكرهم على ما فعلوه من نصره على أعدائه . ثم إن السيدة منار السنّا حكّت لأختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها : يا أختي ، من كانت هذه الفعّال فعّاله وهذه القوة قوته وقد أيده الله تعالى بشدة البأس حتى دخل بلادنا وأخذك وأسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الأكبر الذي يحكم على ملوك الجن يجب أن لا يفرط في حقّه . فقالت لها أختها : والله يا أختي لقد صدقت فيما أخبرتني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل ، وهل كل هذا من أجلك يا أختي؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن السيلة منار السنة لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها: والله إن هذا الرجل ما يقرط فيه خصوصاً بسبب مروءته، وهل كل هذا من أجلك؟ قالت: نعم. ثم إنهم باتوا يتحدثون إلى الصباح، فلما طلعت الشمس أراد الرحيل فودّع بعضهم بعضاً وودّعت منار السنة العجوز بعدما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى. فعند ذلك ضرب حسن الأرض بالقضيب فطلع له خدامه وسلّموا عليه وقالوا له: الحمد لله على هدوء سرك فأمرنا بما تريد حتى نعمله لك في أسرع من ملح البصر؟ فشكرهم على قولهم وقال لهم: جزاكم الله. ثم إنه قال لهم: شدّوا لنا جوادين من أحسن الخيل. ففعلوا ما أمرهم به في الوقت وقدموا له جوادين مسرجين، فركب حسن جواداً منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت زوجته الجواد الآخر وأخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة نور الهدى هي والعجوز وتوجه الجميع إلى بلادهم. فسار حسن هو وزوجته يميناً وصارت الملكة نور الهدى هي والعجوز شمالاً. ولم يزل حسن سائراً هو وزوجته وأولاده مدة شهر كامل. وبعد الشهر أشرفوا على مدينة فوجدوا حولها أثماراً وأنهاراً، فلما وصلوا إلى تلك الأشجار نزلوا عن ظهور الخيل وأرادوا الراحة ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هم بخيول كثيرة قد أقبلت عليهم. فلما رأهم حسن، قام على رجليه وتلقاهم وإذا هم الملك حسون صاحب أرض الكافور وقلعة الطيور، فعند ذلك تقدّم حسن إلى الملك وقبّل يديه وسلّم عليه. ولما رآه الملك ترجل عن ظهر جواده وجلس هو وحسن على الفرش تحت الأشجار بعد أن سلّم على حسن وهنّأه بالسلامة وفرح به فرحاً شديداً وقال له: يا حسن، أخبرني بما جرى لك من أوله إلى آخره. فأخبره حسن بجميع ذلك. فتعجب منه الملك حسون وقال له: يا ولدي، ما وصل أحد إلى جزائر واق ورجع منها أبداً إلا أنت فأمرك عجب، ولكن الحمد لله على السلامة. ثم بعد ذلك قام الملك وركب وأمر حسناً أن يركب ويسير معه. ففعل، ولم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المدينة. فدخلوا دار الملك، فنزل الملك حسون ونزل حسن هو وزوجته وأولاده في دار الضيافة. فلما نزلوا أقاموا عنده ثلاثة أيام في أكل وشرب وطرب. ثم بعد ذلك استأذن حسن الملك حسون في السفر إلى بلاده فأذن له. فركب هو وزوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام، فلما أراد الملك الرجوع ودّع حسناً. وسار حسن هو وزوجته وأولاده ولم يزالوا سائرين مدة شهر كامل. فلما كان بعد الشهر أشرفوا على مغارة كبيرة أرضها من النحاس الأصفر. فقال حسن لزوجته: أنظري هذه المغارة هل تعرفينها؟ قالت: نعم. قال: إن فيها شيخاً يسمّى أبا الرويش وله عليّ فضل كبير لأنه هو الذي كان سبباً في المعرفة بيني وبين الملك حسون. وصار يحدث زوجته بخبر أبي الرويش وإذا بالشيخ أبي الرويش قد خرج من باب المغارة. فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبّل يديه فسلم عليه الشيخ أبو الرويش وهنّأه بالسلامة وفرح به وأخذته ودخل به المغارة وجلس هو وإياه. وصار يحدث الشيخ أبا الرويش بما جرى له في جزائر واق. فتعجب الشيخ أبو الرويش غاية العجب وقال: يا حسن، كيف خلّصت زوجتك وأولادك؟ فحكى له حكاية القضيب والطاقيّة. فلما سمع الشيخ أبو الرويش تلك الحكاية تعجب وقال: يا حسن يا ولدي، لولا هذا القضيب وهذه الطاقيّة ما كنت خلّصت زوجتك وأولادك. فقال له

وَأَشْفِي مَقَلَّتِي نَظَرًا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ الْقَلْبَ أَصْبَحَ فِي أَشْتِيَاقِ
خَبَاتُ لَكُمْ حَدِيثًا فِي فَوَادِي لِأَخْبِرْكُمْ بِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ
أَعَاتِبْكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ عِتَابًا يَنْقُضِي، وَالوُدُّ بَاقِ

فلما فرغ حسن من شعره نظر وإذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر
الاخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد. فقال لهم الشيخ عبد القدوس: يا حسن أبشر
بالخير فانت الليلة ضيف عند بنات أخي. ففرح حسن بذلك فرحاً شديداً وكذلك زوجته. ثم
إنهم نزلوا عند القبة واسترحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر، فلما
أشرفوا عليه خرجت لهم بنات الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلّمن عليهم وعلى عمّهم.
وسلّمن عليهم عمّهم وقال لهم: يا بنات أخي، ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته
على خلاص زوجته وأولاده. فتقدّم إليه البنات وعانقنه وفرحن به وهنينه بالسلامة والعافية
وجمع الشمل بزوجه وأولاده وكان عندهن يوم عيد. ثم تقدّمت أخت حسن الصغيرة
وعانقته وبكت بكاء شديداً وكذلك حسن بكى معها على طول الوحشة. ثم شكّت له ما تجده من
الم الفراق وتعب سرّها وما قاسته من فراقه وأنشدت هذين البيتين: [من الطويل]

وَمَا نَظَرْتُ مِنْ بَعْدِ بَعْدِكَ مَقَلَّتِي إِلَى أَحَدٍ إِلَّا وَشَخْصُكَ مَائِلٌ
وَمَا غَمَّصْتُ إِلَّا رَأَيْتُكَ فِي الْكَرَى كَأَنَّكَ بَيْنَ الْجَفْرِ وَالْعَيْنِ نَازِلٌ

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحاً شديداً. فقال لها حسن: يا اختي، أنا ما أشكر أحداً في
هذا الأمر إلا أنت من دون سائر الأخوات، فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية. ثم إنه حدّثها
بجميع ما جرى له في سفره من أوله إلى آخره، وما قاساه وما اتفق له مع أخت زوجته وكيف
خلّص زوجته وأولاده، وحدّثها أيضاً بما رآه من العجائب والأحوال الصعاب حتى أن أختها
كانت أرادت أن تذبحه وتذبحها وتذبح أولادها وما سلّمهم منها إلا الله تعالى. ثم حكى لها
حكاية القضيب والطاقيه وأن الشيخ أبا الرويش والشيخ عبد القدوس طلباهما منه وإنه ما
أعطاهما لهما إلا من شأنها. فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء. فقال: والله ما أنسى كل ما
فعلته معي من الخير من أول الأمر إلى آخره. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن حسناً لما اجتمع بالبنات حكى
لاخته جميع ما قاساه وقال لها: أنا ما أنسى الذي فعلته معي من أول
الزمان إلى آخره. فالتفت أخته إلى زوجته منار السناء وعانقتها وضمّت
أولادها إلى صدرها ثم قالت لها: يا بنت الملك الأكبر أما في قلبك رحمة
حتى فرقت بينه وبين أولاده وحرقت قلبه عليهم؟ فهل كنت تريد
بهذا الفعل أن يموت؟ فضحكت وقالت: بهذا حكم الله سبحانه وتعالى، ومن خادع الناس
خدعه الله. ثم أحضروا شيئاً من الأكل والشرب وأكلوا جميعاً وشربوا وانشرحوا. ثم إنه أقام
عندهم عشرة أيام في أكل وشرب وفرح وسرور. ثم بعد العشرة أيام تجهّز حسن للسفر،

فلما كانت الليلة
831
عاشق

فقامت أخته وجهّزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته إلى صدرها لاجل الوداع وعانقته . فأشار إليها حسن وأنشد هذه الأبيات : [من السريع]

ما سَلَوَةُ العُشَاقِ إِلَّا بَعِيدُ وما فِرَاقُ الحُبِّ إِلَّا شَدِيدُ
وما الجُفَا والبُعدُ إِلَّا عَناءُ وما قَتيلُ الحُبِّ إِلَّا شَهِيدُ
ما أطولُ اللَّيْلِ عَلى عاشِقِي قَدَ فارَقَ الحِللَ وَأَمسى فَرِيدُ
دُموعُهُ تَجرِي عَلى خَدِهِ يَقُولُ : يا لَدَمَعِ هَلْ مِن مَرِيدُ

ثم إن حسناً أعطى الشيخ عبد القدوس القضيبي ، ففرح به فرحاً شديداً وشكر حسناً على ذلك . وبعد أن أخذه منه ركب ورجع إلى محله . ثم ركب حسن هو وزوجته وأولاده من قصر البنات ثم خرجوا معه يودّعون وبعد ذلك رجعوا . ثم توجه حسن إلى بلاده فسار في البر الأقر مدة شهرين وعشرة أيام حتى وصل إلى مدينة بغداد دار السلام ، فجاء إلى داره من باب السر الذي يفتح إلى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب . وكانت والدته من طول غيبته قد هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والوعويل حتى مرضت وصارت لا تأكل طعاماً ولا تلتذ بمنام بل تبكي في الليل والنهار ولا تنفتر عن ذكر ولدها وقد يشت من رجوعه إليها . فلما وقف على الباب سمعها تبكي وتنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

يا اللهُ يا سادَتِي طَبُوا مَرِيضَكُمُ فَجَسِمُهُ ناجِلُ والقَلْبُ مَكسُورُ
فإن سَمَحْتُم بِوَصْلِ مَنكُمُ كَرَمًا فَالصَّبُّ مِن نَعَمِ الأَحبابِ مَغْمُورُ
لا يأسَ مِن قُرْبِكُمُ فاللهُ مُقْتَدِرُ أن يَجْمَعَ الشَّمْلَ ، فالإحسانُ تَقْدِيرُ

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسناً ينادي على الباب : يا أماه ، إن الأيام قد سمحت بجمع الشمل . فلما سمعت كلامه عرفته ، فجاءت إلى الباب وهي ما بين مصدق ومكذب . فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفاً هو وزوجته وأولاده معه ، فصاحت من شدة الفرح ووقعت في الأرض مغشياً عليها . فما زال حسن يلاطفها حتى أفافت وعانقته ثم بكت ، وبعد ذلك نادى غلماناه وعبيده وأمرتهم أن يدخلوا جميع ما معه في الدار . فأدخلوا الأحمال في الدار . ثم دخلت زوجته وأولاده فقامت لها أمه وعانقتها وقبّلت رأسها وقبّلت قدميها وقالت لها : يا ابنة الملك الأكبر ، إن كنت أخطأت في حقك فما أنا أستغفر الله العظيم . ثم التفتت إلى ابنها وقالت له : يا ولدي ، ما سبب هذه الغيبة الطويلة ؟ فلما سألته عن ذلك أخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره . فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت في الأرض مغشياً عليها من ذكر ما جرى لولدها . فلم يزل يلاطفها حتى أفافت وقالت له : يا ولدي ، والله لقد فرطت في القضيبي والطاقيه فلو كنت احتفظت عليهما وأبقيتهما لكنت ملكت الأرض بطولها والعرض . ولكن الحمد لله يا ولدي على سلامتك أنت وزوجتك وأولادك . وبتاتوا في أهني ليلة وأطيها . فلما أصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدلة من أحسن القماش ثم خرج إلى السوق وصار يشتري العبيد والجواري والقماش والشيء النفيس من الحلبي والحلل والفراس ومن الأواني الثمينة التي لا يوجد مثلها عند الملوك . ثم اشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك .

ثم إنه أقام هو وأولاده وزوجته ووالديه في أكل وشرب ولذة ولم يزالوا في أرغد عيش وأهناه حتى أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات . فسبحان ذي الملك والملكوت وهو الحي الباقي الذي لا يموت .

75 - خليفة الصياد

وما يحكى أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان بمدينة بغداد رجل صياد يسمي خليفة . وكان ذلك الرجل فقير الحال صلوكاً لم يتزوج في عمره قط . فاتفق له يوماً من الأيام أنه أخذ شبكته ومضى بها إلى البحر مثل عادته ليصطاد قبل الصيادين ، فلما وصل إلى البحر تحزّم وتشمّر ثم تقدّم إلى البحر ونشر شبكته ورماها أول مرة وثاني مرة فلم يطلع فيها شيء . ولم يزل يرميها إلى أن رماها عشر مرات فلم يطلع فيها شيء أبداً . فضاقت صدره وتخيّر فكره في أمره وقال : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو ، الحي القيوم وأتوب إليه ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، الرزق على الله عز وجل وإذا أعطى الله عبداً لا يمنعه أحد وإذا منع عبداً لا يعطيه أحد . ثم إنه من كثرة ما حصل له من الغم أنشد هذين البيتين : [من الطويل]

إذا رَمَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَهَيْءَ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرًا
فَإِنَّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ بِجُودِهِ سَيُعِيبُ بَعْدَ الْعُسْرِ مِنْ فَضْلِهِ يَسْرًا

ثم جلس ساعة يتفكّر في أمره وهو مطرق براسه إلى الأرض . وبعد ذلك أنشد هذه الايات : [من الكامل]

إصْبِرْ عَلَى حُلُوِّ الزَّمَانِ وَمُرِّهِ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ بِالْغَيْبِ أَمْرُهُ
فَلَقُرْبَ لَيْلٍ فِي الْهَمُومِ كَدَمَلٍ عَالَجَتْهُ حَتَّى ظَفِرَتْ بِفَجْرِهِ
وَلَقَدْ تَمُرُّ الْحَادِثَاتُ عَلَى الْفَتَى وَتَزُولُ حَتَّى لَا تَعُودَ لِفِكْرِهِ

ثم قال في نفسه : أرمي هذه المرة الأخرى وأتوكل على الله لعله لا يخيب رجائي . ثم إنه تقدّم ورمى الشبكة على طول باعه في البحر وطوى حبلها وصبر عليها ساعة زمانية ثم بعد ذلك سحبها فوجدها ثقيلة . وأدرك شهريزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 832
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، إن خليفة الصياد لما رمى شبكته في البحر مراراً ولم يطلع له فيها شيء ، تفكّر في نفسه وأنشد الايات السابقة ثم قال في نفسه : أرمي هذه المرة الأخرى وأتوكل على الله لعله لا يخيب رجائي . فقام ورمى الشبكة وصبر عليها ساعة زمانية ثم سحبها فوجدها ثقيلة . فلما عرف أنها ثقيلة مارسها بلطف وسحبها حتى طلعت إلى البر وإذا فيها قرد اعور أعرج . فلما رآه خليفة قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إننا لله وإنا إليه راجعون ، أي شيء هذا النجس المنجوس والظالم المنحوس ؟ ما الذي حصل لي في هذا النهار المبارك ؟ ولكن هذا كله بتقادير الله تعالى . ثم إنه أخذ القرد وربطه في حبل وتقدم إلى شجرة طالعة على ساحل البحر وربط فيها القرد . وكان معه سوط فأخذه في يده ورفع في الهواء

وأراد أن ينزل به على القرد فأنطق الله هذا القرد بلسان فصيح وقال له : يا خليفة ، إمسك يدك ولا تضربني واخلني مربوطاً في هذه الشجرة وروح إلى البحر وارم شبكتك وتوكل على الله فإنه يأتيك برزقك . فلما سمع خليفة كلام القرد أخذ الشبكة وتقدم إلى البحر ورماها وأرخی لها الحبل ثم سحبها فوجدها أثقل من المرة الأولى . فلم يزل يعالج فيها حتى طلعت إلى البر وإذا فيها قروداً آخر مفلج الشيا مكحل العينين مخضب اليدين وهو يضحك وفي وسطه ثوب خلق . فقال خليفة : الحمد لله الذي أبدل سمك البحر بقرود . ثم أتى إلى ذلك القرد المربوط في الشجرة وقال له : أنظر يا مشؤوم ما أقبح ما أشرت به علي ، فما أوقعني في القرد الثاني إلا أنت فإنك لما صبحتني بعرجك وعورك أصبحت غلباناً تعباناً لا أملك درهماً ولا ديناراً . ثم إنه أخذ مسوقة في يده ولقها في الهواء ثلاث مرات وأراد أن ينزل بها على القرد فاستغاث منه وقال له : سألتك بالله أن تعفو عني لأجل صاحبي هذا ، واطلب منه حاجتك فإنه يدلك على ما تريد . فرمى خليفة المسوقة وعفى عنه ثم أتى إلى القرد الثاني ووقف عنده . فقال له القرد : يا خليفة ، هذا الكلام ما يفيدك شيئاً إلا إذا سمعت مني ما أقوله لك ، فإن سمعت مني وطوعتني ولم تخالفني كنت أنا السبب في غناك . فقال له خليفة : ما الذي تقوله لي حتى أطيعك فيه ؟ فقال له : خلني مربوطاً مكاني وروح إلى البحر وارم شبكتك حتى أقول لك أي شيء تفعله بعد هذا . فأخذ خليفة الشبكة ومضى إلى البحر ورماها وصبر عليها ساعة ثم سحبها فوجدها ثقيلة ، فما زال يعالج فيها حتى طلّعها إلى البر وإذا فيها قرد آخر ، إلا أن هذا القرد أحمر وفي وسطه ثياب زرق وهو مخضب اليدين والرجلين مكحل العينين . فلما نظره خليفة قال : سبحان الله العظيم ، سبحان مالك الملك ، إن هذا اليوم مبارك من أوله إلى آخره لأن طالعه سعيد بوجه القرد الأول والصحيفة تظهر من عنوانها فهذا اليوم يوم قرود ولم يبق في البحر ولا سمكة ونحن ما خرجنا اليوم إلا لنصطاد القرود والحمد لله الذي بدل السمك بقرود . ثم التفت إلى القرد الثالث وقال له : أي شيء تكون أنت الآخر يا مشؤوم ؟ فقال له : هل أنت لا تعرفني يا خليفة ؟ قال : لا . قال : أنا قرد أبي السعادات اليهودي الصيرفي . فقال له خليفة : وأي شيء تصنع له ؟ فقال له : أصبحه من أول النهار فيكسب خمسة دنانير ، وأمسيه في آخر النهار فيكتسب خمسة دنانير . فالتفت خليفة إلى القرد الأول وقال له : أنظر يا مشؤوم ما أحسن قرود الناس وأما أنت فتصحبني بعرجك وعورك وشؤم طلعتك فأصير فقيراً مفلساً جائعاً . ثم إنه أخذ المسوقة ولقها في الهواء ثلاث مرات وأراد أن ينزل بها عليه فقال له قرد أبي السعادات : أتركه يا خليفة وارفع يدك وتعال عندي حتى أقول لك أي شيء تعمل . فرمى خليفة المسوقة من يده وتقدم إليه وقال له : على أي شيء تقول لي يا سيد القرود كلها ؟ فقال له : خذ الشبكة وارمها في البحر واخلني أنا وهؤلاء القرود قاعدين عندك ، ومهما طلع لك فيها فهاته وتعال عندي وأنا أخبرك بما يسرك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن قرد أبي السعادات لما قال لخليفة : خذ شبكتك وارمها في البحر وكل شيء طلع لك فيها هاته وتعال عندي حتى أخبرك بما يسرك . قال له خليفة : سمعاً وطاعة . ثم إنه أخذ الشبكة وطواها على كتفه وأنشد هذه الأبيات :

[من الطويل]

فلما كانت الليلة
في
الليلة
833
في
الليلة

إِذَا ضَاقَ صَدْرِي أَسْتَعِينُ بِخَالِقِي
 قَبْلَ آرْتِدَادِ الطَّرْفِ مِنْ لُطْفِ رَبِّنَا
 فَسَلِّمْ إِلَى اللَّهِ الْأُمُورَ جَمِيعَهَا
 قَدِيرٌ عَلَى تَيْسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ
 فَكَاكُ أَسِيرٍ وَأَنْجِبَارُ كَسِيرٍ
 فَإِفْضَالُهُ يَذْرِيه كُلُّ بَصِيرٍ

ثم أنشد أيضاً هذين البيتين: [من البسيط]

أَنْتَ الَّذِي قَدْ رَمَيْتَ النَّاسَ فِي تَعَبٍ
 لَا تُطْمِعُنِي بِشَيْءٍ لَسْتُ أُدْرِكُهُ
 تَنْفِي الْهُمُومَ وَأَسْبَابَ الْبَلِيَّاتِ
 كَمْ طَامِعٍ فَاتَ تَحْصِيلُ الْإِرَادَاتِ

فلما فرغ خليفة من شعره تقدم إلى البحر ورمى فيه الشبكة وصبر عليها ساعة ثم سحبها وإذا فيها حوت سمك كبير الرأس وذنبه كأنه مغرفة وعينه كأنهما ديناران . فلما رآه خليفة فرح به لانه ما اصطاد نظيره في عمره ، فأخذه وهو متعجب منه وأتى به إلى قرد أبي السعادات اليهودي وهو كأنه قد ملك الدنيا بحذافيرها . فقال له : ما تريد أن تصنع بهذا يا خليفة ؟ وأي شيء تعمل في قردك ؟ فقال له خليفة : أنا أخبرك يا سيد القروذ كلها بما أفعله . أعلم أنني قبل كل شيء أندبر في هلاك هذا الملعون قردى وأتخذك عوضاً عنه وأطعمك في كل يوم ما تشتهي . فقال له القرد : حيث أنك قد اخترتني فانا أقول لك كيف تفعل أنت ويكون فيه صلاح حالك إن شاء الله تعالى ، فافهم ما أقوله لك وهو أنك تهىء لي أنا الآخر حبلاً وتربطني به في شجرة ثم تتركني وتذهب إلى وسط الرصيف وتطرح شبكتك في بحر الدجلة ، وإذا طرحتها فاصبر عليها قليلاً واسحبها فإنك تجد فيها سمكة ما رأيت أظرف منها طول عمرك ، فهاتها وتعال عندي وأنا أقول لك كيف تفعل بعد ذلك . فعند ذلك قام خليفة من وقته وساعته وطرح الشبكة في بحر الدجلة وسحبها فرأى فيها سمكة بيضاء قدر الحروف ، ما رأى مثلها في طول عمره وهي أكبر من الحوت الأول ، فأخذها وذهب بها إلى القرد . فقال له القرد : هات لك قدراً من الحشيش الأخضر واجعل نصفه في قفة وحط السمكة عليه وغطها بالنصف الآخر وارتكننا مربوطين ، ثم احمل القفة على كتفك وادخل بها في مدينة بغداد وكل من كلمك أو سالك فلا ترد عليه جواباً حتى تدخل سوق الصيارف ، فتجد في صدر السوق دكان المعلم أبي السعادات اليهودي شيخ الصيارف وتراه قاعداً على مرتبة وورائه مخدة وبين يديه صندوقان : واحد للذهب والآخر للفضة ، وعنده بمالك وعبيد وغلمان . فتقدم إليه وحط القفة قدامه وقل له : يا أبا السعادات ، إنني قد خرجت اليوم إلى الصيد وطرحت الشبكة على اسمك فبعث الله تعالى هذه السمكة . فيقول : هل أريتها لغيري ؟ فقل له : لا والله . فياخذها منك ويعطيك ديناراً فردّه عليه ، فيعطيك دينارين فردّهما عليه . وكلما يعطيك شيئاً ردّه عليه ولو أعطاك وزنها ذهباً فلا تأخذ منه شيئاً . فيقول لك : قل لي ما تريد ؟ فقل له : والله ما أبيعها إلا بكلمتين . فإذا قال لك : وما هما الكلمتان ؟ فقل له : قم على رجلك وقل : اشهدوا يا من حضر في السوق أنني أبدلت قرد خليفة الصياد بقردى وأبدلت قسمه بقسمي وبخته ببختي وهذا ثمنها وما لي حاجة بالذهب . فإذا فعل معك ذلك فانا كل يوم أصبحك وأمسيك وتبقى كل يوم تكسب عشرة دنانير ذهباً ويصير أبو السعادات اليهودي يصبّحه قرده هذا الأعرج الأعرج فيبليه الله كل يوم بغرامة يغرّمها ، ولا يزال كذلك حتى يفترق ويصير لا يملك شيئاً أبداً . فاسمع مني ما أقوله لك تسعد وترشد . فلما سمع خليفة الصياد كلام القرد قال له : قبلت ما

أشرت به عليّ يا ملك القروذ كلها . وأما هذا المشؤوم لا بآرك الله فيه فإني لا أدري أي شيء
أعمل معه . فقال له : سيبه في الماء وسيبني أنا الآخر . فقال : سمعاً وطاعة . ثم تقدّم إلى القروذ
وحلّها وتركها . فنزلت في البحر وتقدم خليفة إلى السمكة وأخذها وغسلها وجعل تحتها حشيشاً
أخضر في المقطف وغطّأها بحشيش أيضاً وحملها على كتفه وسار يغني بهذا الموال : [من البسيط]

سَلَّمَ أُمُورَكَ إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ تَسَلَّمَ وَأَفْعَلَ جَمِيلاً يَظَلُّ عُمُرَكَ وَلَا تَنْدَمَ
وَلَا تُعَاشِرَ لِأَرْبَابِ التُّهْمِ تَتُهُمَّ وَصُنْ لِسَانَكَ لَا تَتَشْتُمَ بِهِ تُشْتَمَ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 834
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصياد لما فرغ من مغانيه ،
حمل القفة على كتفه وسار . ولم يزل سائراً إلى أن دخل مدينة بغداد .
فلما دخلها عرفه الناس فصاروا يصيحون عليه ويقولون : أي شيء
معك يا خليفة ؟ وهو لا يلتفت إلى أحد منهم حتى وصل إلى سوق
الصياف وفات الدكاكين كما أوصاه القرد . ثم نظر إلى ذلك اليهودي
فرآه جالساً في الدكان والغلمان في خدمته وهو كأنه ملك من ملوك خراسان . فلما رآه خليفة
عرفه ، فمشى حتى وقف بين يديه . فرفع اليهودي إليه رأسه فعرفه وقال له : أهلاً بك يا خليفة ما
حاجتك ؟ وما الذي تريد ؟ فإن كان أحد كلمك أو خاصمك قل لي حتى أروح معك إلى الوالي
فياخذ لك حقه منه . فقال : لا وحياء رأسك يا قيم اليهود ما كلمني أحد وإنما أنا سرحت اليوم
من بيتي على بختك ومضيت إلى البحر ورميت شبكتي في الدجلة فظلعت هذه السمكة ، ثم فتح
المقطف ورمى السمكة قدام اليهودي . فلما رآها اليهودي استحسناها وقال : وحق التوراة والشعر
والكلمات إنني كنت نائماً البارحة فرأيت في المنام كأنني بين يدي العذراء وهي تقول لي : أعلم يا
أبا السعادات أنني قد أرسلت إليك هدية مليحة . فلعل الهدية هذه السمكة من غير شك . ثم إنه
التفت إلى خليفة وقال له : بحق دينك هل رآها أحد غيري ؟ فقال له خليفة : لا والله وحق أبي
بكر الصديق يا قيم اليهود ما رآها أحد غيرك . فالتفت اليهودي إلى بعض غلمانه وقال له : تعال
خذ هذه السمكة وروح بها إلى البيت واخل سعادة تجهّزها وتقلي وتشوي إلى حين أقضي شغلي
وأجني . فقال له خليفة أيضاً : روح يا غلام خل امرأة المعلم تقلي منها وتشوي منها . فقال
الغلام : سمعاً وطاعة يا سيدي . ثم إنه أخذ السمكة وذهب بها إلى البيت . وأما اليهودي فإنه مد
يده بدينار وناوله لخليفة الصياد وقال له : خذ هذا لك يا خليفة واصرفه على عيالك . فلما نظره
خليفة في كفه قال : سبحان مالك الملك . وكأنه ما نظر شيئاً من الذهب في عمره وأخذ الدينار
ومشى قليلاً ثم إنه تذكر وصية القرد فرجع ورمى له الدينار وقال له : خذ ذهبك وهات سمك
الناس ، هل أنت عندك الناس سخرية ؟ فلما سمع اليهودي كلامه ظن أنه يلعب معه ، فنأوله
دينارين على الدينار الأول . فقال له خليفة : هات السمك بلا لعب ، هل أنت تعرف أنني أبيع
السمك بهذا الثمن ؟ فعد اليهودي يده إلى اثنين آخرين وقال له : خذ هذه الخمسة دنانير حق
السمك واترك الطمع . فآخذها خليفة في يده وتوجه بها وهو فرحان وصار ينظر إلى الذهب
ويتعجب منه ويقول : سبحان الله ليس مع خليفة بغداد مثل ما معي في هذا اليوم . ولم يزل سائراً

حتى وصل إلى رأس السوق، ثم تذكرت كلام القرد والوصية التي أوصاه بها فرجع إلى اليهودي ورمى له الذهب. فقال له: ما لك يا خليفة؟ أي شيء تطلب؟ أتأخذ صرف دنانيرك دراهم؟ فقال له: لا أريد دراهم ولا دنانير وإنما أريد أن تعطيني سمك الناس. فغضب اليهودي وصرخ عليه وقال له: يا صياد، اتجيء لي بسمكة لا تساوي ديناراً وأعطيك فيها خمسة دنانير فلا ترضى؟ هل أنت مجنون؟ قل لي: بكم تبعها؟ فقال له خليفة: أنا لا أبيعها بفضة ولا بذهب وما أبيعها إلا بكلمتين تقولهما لي. فلما سمع اليهودي قوله كلمتين قامت عيناه في أم رأسه وضاعت أنفاسه وقرط على أضراسه وقال له: يا قطاعة المسلمين، هل تريد أن أفارق ديني لأجل سمكتك وتفسد عليّ ملتي وعقيدتي التي وجدت عليها آبائي من قبلي؟ وصاح على غلمانة فحضروا بين يديه فقال لهم: ويلكم، دونكم هذا النحس قطعوا بالصك قفاه واكثروا من الضرب أذاه. فنزلوا عليه بالضرب وما زالوا يضربونه حتى وقع تحت الدكان. فقال لهم اليهودي: خلّوا عنه حتى يقوم. فقام خليفة على حيله كأنه لم يكن به شيء. فقال له اليهودي: قل لي أي شيء تريد في ثمن هذه السمكة وأنا أعطيك إياه؟ فإنك ما نلت مناً خيراً في هذه الساعة. فقال خليفة: لا تخف عليّ يا معلم من الضرب لأنني أكل ضرباً قدر عشرة حمير. فضحك اليهودي من كلامه وقال له: بالله عليك قل لي: أي شيء تريد وأنا وحق ديني أعطيك إياه. فقال له: لا يرضيني منك في ثمن هذه السمكة إلا كلمتان. فقال له اليهودي: اظن أنك تطلب مني أن أسلم. فقال له خليفة: والله يا يهودي إن أسلمت فإسلامك لا ينفع المسلمين ولا يضر اليهود، وإن بقيت على كفرك فكفرك لا يضر المسلمين ولا ينفع اليهود، ولكن الذي أطلبه منك أن تقوم على قدميك وتقول: اشهدوا عليّ يا أهل السوق إنني قد أبدلت قردي بقرد خليفة الصياد وحظي في الدنيا بحظه وبختي ببخته. فقال اليهودي: إن كان هذا الأمر مرادك فهو عليّ هين. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن اليهودي قال لخليفة الصياد: إن كان هذا الأمر مرادك فهو عليّ هين. ثم قام اليهودي من وقته وساعته ووقف على قدميه وقال مثل ما قال له خليفة الصياد وبعد ذلك التفت إليه وقال له: هل بقي لك عندي شيء؟ فقال الصياد: لا. فقال له اليهودي: مع السلامة. فنهض خليفة من وقته وساعته وأخذ قفّته وشبكته وجاء إلى بحر الدجلة ورمى الشبكة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما طلعها إلا بعد جهد. فلما طلعها رآها مملّنة بالسمك من جميع الأصناف. فجاءت له امرأة ومعها طبق فاعطته ديناراً فأعطاهها به سمكاً، وجاء إليه خادماً آخر وأخذ بدينار، وهكذا حتى باع سمكاً بعشرة دنانير. ولم يزل يبيع في كل يوم بعشرة دنانير إلى نهاية عشرة أيام حتى جمع مائة دينار ذهباً. وكان لذلك الصياد بيت من داخل عمر التجار. فبينما هو نائم في بيته ليلة من الليالي إذ قال في نفسه: يا خليفة، إن الناس كلهم يعرفون أنك رجل فقير صياد وقد حصل معك مائة دينار من الذهب فلا بد أن أمير المؤمنين هارون الرشيد يسمع بخبرك من أحاد الناس فربما يحتاج إلى مال فيرسل إليك ويقول لك: إنني محتاج إلى مبلغ من الدنانير وقد بلغني أن عندك مائة دينار فأفرضني إياها. فأقول: يا أمير المؤمنين، أنا رجل فقير والذي أخبرك أن عندي مائة دينار كذب عليّ وليس معي ولا عندي

فلما كانت الليلة
835
التي كان فيها

شيء من ذلك . فيسلمني إلى الوالي ويقول له : جرّده من ثيابه وعاقبه بالضرب حتى يقرّ ويأتي بالمائة دينار التي عنده . فالرأي الصواب الذي يخلّصني من هذه الورطة أنني أقوم في هذه الساعة وأعاقب نفسي بالسوط لاكون قد تمرّنت على الضرب . وقال له حشيشه : قم تجرّد من ثيابك . فقام من وقته وساعته وتجرّد من ثيابه وأخذ في يده سوطاً كان عنده وكان عنده مخدة من جلد ، فصار يضرب على تلك المخدة ضربة وعلى جلده ضربة ويقول : آه آه ، والله إن هذا كلام باطل يا سيدي وإنهم يكذبون عليّ وأنا رجل فقير صياد وليس معي شيء من حطام الدنيا . فسمع الناس خليفة الصياد وهو يعاقب نفسه ويضرب فوق المخدة بالسوط ، ولوقع الضرب على جسده وعلى المخدة دويّ في الليل . ومن جملة من سمعه التجار فقالوا : يا ترى ما لهذا المسكين يصيح ونسمع وقع الضرب نازلاً عليه ؟ فكان اللصوص قد نزلوا عليه وهم الذين يعاقبونه . فعند ذلك قاموا كلهم على حس الضرب والصياح وخرجوا من منازلهم وجاءوا إلى بيت خليفة فراوه مقفولاً . فقالوا لبعضهم : ربما يكون اللصوص نزلوا عليه من وراء القاعة فينبغي أن نطلع من السطوح . فطلعوا السطوح ونزلوا من المرقق فراوه عرياناً وهو يعاقب نفسه فقالوا له : ما لك يا خليفة ؟ أي شيء خبرك ؟ فقال : اعلموا يا جماعة أنني حصلت بعض دنائير وأنا خائف أن يرفع أمري إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد فيحضرني بين يديه ويطلب مني تلك الدنانير ، وإذا أنكرت أخاف أن يعاقبني . فها أنا أعاقب نفسي وأجعل ذلك تمريناً لنفسي على ما يأتي . فضحك عليه التجار وقالوا له : أتترك هذه الفعال لا بارك الله فيك ولا في الدنانير التي جاءتك ، فقد أفلقتنا في هذه الليلة وأزعجت قلوبنا . فبطل خليفة الضرب عن نفسه ونام إلى الصباح . فلما قام من النوم وأراد أن يذهب إلى شغله ، تفكّر في أمر المائة دينار التي حصلت معه وقال في نفسه : إذا تركتها في البيت يسرقها اللصوص وإن وضعتها في كمر على وسطي فربما ينظرهم أحد فيترصدني حتى أنفرد في مكان خال عن الناس فيقتلني ويأخذهم مني . ولكن أنا أفعل شيئاً من الحيل وهو مليح نافع جداً . ثم إنه نهض من وقته وساعته وحيّط له جيباً في طوق جبتّه وربط المائة دينار في صرة ووضعها في ذلك الجيب الذي عمله ، ثم قام وأخذ شبكته وقفّته وعصاه وسار حتى وصل إلى بحر الدجلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 836

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصياد لما وضع المائة دينار في جيبه أخذ قفّته وعصاه وشبكته وذهب إلى بحر الدجلة ورمى شبكته فيه ثم سحبها فلم يطلع له شيء ، فانتقل من ذلك الموضع إلى موضع غيره ورمى شبكته فيه فلم يطلع له شيء . ولم يزل ينتقل من مكان إلى مكان حتى بعد عن المدينة مسافة نصف يوم وهو يرمي الشبكة ولم يطلع له شيء . فقال في نفسه : والله إنني ما بقيت أرمي شبكتي في الماء إلا هذه المرة فإما عليها وإما بها . فطرح الشبكة بقوة عزمه لشدة غيظه فطارت الصرة التي فيها المائة دينار من طوقه ووقعت في وسط البحر وراحت في قوة التيار ، فرمى الشبكة من يده وتجرّد من ثيابه وتركها على البر ونزل في البحر وغطس خلف الصرة . ولم يزل يغطس ويطلع نحو مائة مرة حتى ضعفت قوّته فلم يقع بتلك الصرة . فلما يشس منها طلع إلى البر فلم يجد سوى العصي والشبكة والقفّة وطلب ثيابه فلم يقع لها على أثر . فقال في نفسه : اهجن ما يضرب به المثل «لا تكمل الحجة إلا بنيك

الجمال . ثم إنه فرد الشبكة والتفّ فيها وأخذ العصى في يده والقفة على كتفه وسار يهرول مثل الجمل الهائم ، يجري يميناً وشمالاً وخلفاً وإماماً ، أشعث أغبر كالعفريت المتمرد إذا انطلق من السجن السلیماني . هذا ما كان من أمر خليفة الصيد . وأما ما كان من أمر الخليفة هارون الرشيد فإنه كان له صاحب جوهرى يقال له : ابن القرناص . وقد كان جميع الناس والتجار والدلالين والسامسة يعرفون أن ابن القرناص تاجر الخليفة وجميع ما يباع في مدينة بغداد من التحف وغيرها من الأمور المثمنة لا يباع حتى يعرض عليه ، ومن جملة ذلك الممالك والجواري . فبينما ذلك التاجر الذي هو ابن القرناص جالس في دكانه يوماً من الأيام وإذا بشيخ الدلالين قد أقبل عليه ومعه جارية ما رأى الراؤون مثلها ، وهي في غاية من الحسن والجمال والقدر والاعتدال . ومن جملة محاسنها أنها تعرف في جميع العلوم والفنون وتنظم الأشعار وتضرب على جميع آلات الطرب . فاشتراها ابن القرناص الجوهري بخمسة آلاف دينار ذهباً وكساها بألف دينار وأتى بها إلى أمير المؤمنين ، فباتت عنده تلك الليلة واختبرها الخليفة في كل فن فراها عارفة بجميع العلوم والصنایع ، ليس لها في عصرها نظير وكان اسمها قوت القلوب . وهي كما قال الشاعر : [من البسيط]

أرَدُّدُ الطَّرْفِ فِيهَا كَلَّمَا سَفَرَتْ وَفِي تَمَتُّعِهَا لِلطَّرْفِ رَدَاتُ
تَحْكِي الْغِزَالَ بِجِدِّ كَلَّمَا أَلْتَفَتَتْ وَلِلْغِزَالِ كَمَا قَدْ قِيلَ لَفَاتُ

وإين هذا من قول الآخر : [من البسيط]

مَنْ لِي بِأَسْمَرَ تَرْوِي عَنْ مَعَاطِفِهِ أَلْسُمِرِ الرُّشَاقِ عَوَالِ سَمَهْرِيَّاتُ
سَاجِي الْجُفُونِ حَرِيرِي الْعِدَارِ لَهُ فِي قَلْبِ عَاشِقِهِ الْمُضْنَى مَقَامَاتُ

فلما أصبح الصباح أرسل الخليفة هارون الرشيد إلى ابن القرناص الجوهري ، فلما حضر رسم له بعشرة آلاف دينار ثمن تلك الجارية . ثم إن الخليفة اشتغل قلبه بتلك الجارية المسماة بقوت القلوب وترك السيدة زبيدة بنت القاسم وهي بنت عمه وترك جميع المحاظي وقعد شهراً كاملاً لم يخرج من عند تلك الجارية إلا لصلاة الجمعة ثم يعود إليها على الفور . فعظم ذلك على أرباب الدولة فشكوا هذا الأمر إلى الوزير جعفر البرمكي ، فصبر الوزير على أمير المؤمنين حتى كان يوم الجمعة ، فدخل الجامع واجتمع بأمير المؤمنين وحكى له جميع ما وقع له من القصص التي تتعلق بالعشق الغربية لأجل أن يستخرج ما عنده . فقال له الخليفة : يا جعفر ، والله إن ذلك الأمر ليس باختيارى ولكن قلبي تعلق في شرك الهوى وما أدري كيف يكون العمل . فقال له الوزير جعفر : أعلم يا أمير المؤمنين أن هذه المحظية قوت القلوب قد صارت تحت أمرك ومن جملة خدمك وما تملكه اليد تزهد النفس ، وأنا أخبرك بشيء آخر وهو أن أحسن ما تفتخر به الملوك وأبناء الملوك هو الصيد والقص واعتنام اللهو والفرص ، فإذا فعلت ذلك ربما تشتغل به عنها وربما تنساها . فقال له الخليفة : نعم ما قلته يا جعفر ، فامض بنا على الفور في هذه الساعة إلى الصيد . فلما انقضت صلاة الجمعة خرجا من الجامع وركبا من وقتها وساعتها وسارا إلى الصيد والقص . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة هارون الرشيد طلع هو
وجعفر إلى الصيد والقنص وسارا حتى وصلا إلى البرية . وقد كان أمير
المؤمنين هو والوزير جعفر راكبين على بغلتين فتشاغلا في الحديث مع
بعضهما وسبقهما العسكر وقد حمى عليهما الحر فقال الرشيد : يا
جعفر ، إني قد لحقني العطش الشديد . ثم إن الرشيد مدّ نظره فرأى
زوالاً على كوم عال فقال للوزير : هل أنت ناظر ما أنا ناظره ؟ فقال له الوزير : نعم يا أمير المؤمنين
أنظر زوالاً على كوم عال ، وهو إما حارس بستان أو حارس مقات ، وعلى كل حال فلا تخلو
جهته من الماء . ثم قال الوزير : أنا أمضي إليه وآتيك بالماء من عنده . فقال الرشيد : إن بغلتي
أسرع من بغلتك ، فقف أنت هنا من أجل العسكر وأنا أروح بنفسي وأشرب من عند هنا
الشخص وأعود . ثم إن الرشيد ساق بغلته فخرجت مثل الريح في المسير أو مثل الماء في الغدير ،
ولم تزل منطلقة به حتى وصل إلى ذلك الزوال في مقدار لمح البصر ، فلم يجد ذلك الزوال إلا
خليفة الصياد . فرآه الرشيد وهو عريان ملتف بالشبكة وعيناه من غاية الإحمرار كأنهما مشاعل
النار ، بصورة هائلة وقامة مائلة وهو أشعث أغبر كأنه عفريت أو غضنفر ، فسلم عليه الرشيد ،
فردّ عليه السلام وهو غضبان ومن نفسه تلتهب النيران . فقال له الرشيد : يا رجل ، هل عندك
شيء من الماء ؟ فقال له خليفة : يا هذا هل أنت أعمى أو مجنون ؟ فدونك بحر الدجلة فإنه وراء
هذا الكرم . فدار الرشيد من خلف الكرم ونزل إلى بحر الدجلة وشرب وسقى بغلته ثم طلع
من وقته وساعته ورجع إلى خليفة الصياد . فقال له : ما شأنك يا رجل واقفاً هنا ؟ وما صنعتك ؟
فقال له خليفة : إن هذا السؤال أعجب وأغرب من سؤالك عن الماء ، أما ترى آلة صنعتي على
كتفي ؟ فقال له الرشيد : كأنك صياد . فقال له : نعم . فقال له الرشيد : فأين جبتك ؟ وأين
شملتك ؟ وأين حرامك ؟ وأين ثيابك ؟ وقد كانت الحوايج التي راحت من خليفة مثل الذي
ذكرها له سواء بسواء . فلما سمع خليفة ذلك الكلام من الخليفة ظن في نفسه أنه هو الذي أخذ
ثيابه من على شاطئ البحر ، فنزل خليفة من وقته وساعته من فوق الكوم أسرع من البرق
الخاطف وقبض على لجام بغلة الخليفة وقال له : يا رجل ، هات لي حوايجي وخل عنك اللعب
والمزاح . فقال له الخليفة : أنا والله ما رأيت ثيابك ولا أعرفها . وقد كان الرشيد له خلود كبار وقم
صغير فقال له خليفة : لعل صنعتك أنك مغن أو زمّار ، ولكن هات لي ثيابي والتي هي أحسن
وإلا أضربك بهذه العصي حتى تبوّل على نفسك وتلوّث ثيابك . ثم إن الخليفة لما عاين العصا مع
خليفة قال في نفسه : والله أنا ما أحمل من هذا الصعلوك نصف ضربة بهذه العصا . وكان على
الرشيد قباء من أطلس فقلعه وقال الخليفة : يا رجل ، خذ هذا القباء عوضاً عن ثيابك . فأخذه
خليفة وقلبه وقال : إن ثيابي تساوي عشرة مثل هذه العباءة المزوّقة . فقال الرشيد : البسه حتى
أجيء لك بثيابك . فأخذه خليفة ولبسه فرآه طويلاً عليه ، وقد كان مع خليفة سكين مربوطة في
أذن القفّة فأخذاها وقطع بها ذيل القباء مقدار ثلثة حتى صار لتحت ركبتة . ثم انه التفت إلى
الرشيد وقال له : بحق الله عليك يا زمّار أن تخبرني عن قدر جامكيتك في كل شهر عند أستاذك
في صنعة المزمار . فقال له الخليفة : جامكيتي في كل شهر عشرة دنانير ذهباً . فقال له خليفة : والله يا
مسكين لقد حملتني همك ، والله إن العشرة دنانير اكتسبها في كل يوم . فقيل تريد أن تكون معي

في خدمتي وأنا أعلمك صنعة الصيد وإشراكك في المكسب؟ فتعمل في كل يوم بخمسة دنائير وتكون غلامي وأحميك من أستاذك بهذه العصا؟ فقال له الرشيد: رضيت بذلك. فقال له: إنزل الآن من فوق ظهر الحماره واربطها حتى تبقى تنفعا في حمل السمك وتعال حتى أعلمك الصيد في هذه الساعة. فعند ذلك نزل الرشيد عن ظهر بغلته وربطها وشمّر أذنيه في دور منطقتة. فقال له خليفة: يا زامر، إمسك هذه الشبكة كذا واعملها على ذراعك كذا وارميها في بحر الدجلة كذا. فقوى الرشيد قلبه وفعل مثل ما أراه خليفة ورمى الشبكة في البحر وسحبها فما قدر أن يطلعها، فجاء إليه خليفة وسحبها معه فلم يقدر على تطلعها. فقال له خليفة: يا زامر النحاس، إن كنت أخذت عباءتك عوضاً عن ثيابي في المرة الأولى، ففي هذه المرة أخذ حمارتك في شبكتي إن رأيتها تقطعت وأضربك حتى تنساب على روحك. فقال له الرشيد: أسحب أنا وأنت معاً. فسحبها الإثنان معاً فما قدرا أن يطلعا تلك الشبكة إلا بالمشقة. فلما اطلعاها نظراها فإذا هي ملانة من جميع أنواع السمك ومن سائر ألوانه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 838

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن خليفة الصياد لما طلع الشبكة هو والخليفة رأياها ملانة من جميع أصناف السمك. فقال له خليفة: والله يا زمار إنك قبيح، ولكن إذا عانيت الصيد تكون صياداً عظيماً، فالراي الصواب أنك تركب حمارتك وتروح إلى السوق وتأتي بفردين وأنا أحفظ هذا السمك حتى تحضر ونحمله أنا وأنت على ظهر حمارتك وعندني الميزان والأرطال وجميع ما نحتاج إليه، فناخذ الجميع معنا وليس عليك إلا أن تمسك الميزان وتقبض الأثمان، فإن معنا سمكاً يساوي عشرين ديناراً، فأسرع بمجيء الفردين ولا تبطيء. فقال له الخليفة: سمعاً وطاعة. ثم تركه وترك السمك وساق بغلته وهو في غاية الفرح، ولم يزل يضحك على ما جرى له مع الصياد حتى وصل إلى جعفر. فلما رآه جعفر قال له: يا أمير المؤمنين، لعلك لما رحلت إلى الشرب وجدت بستاناً طيباً، فدخلته وتفرجت فيه وحدك. فلما سمع الرشيد كلام جعفر ضحك. ثم إن جميع البرامكة قاموا وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له: يا أمير المؤمنين أدام الله عليك الأفراح واذهب عنك الأقراح، ما سبب تأخيرك حين ذهبت إلى الشرب؟ وما الذي جرى لك؟ فقال لهم الخليفة: لقد جرى لي حديث غريب وأمر مطرب عجيب. ثم أعاد عليهم حديث خليفة الصياد وما جرى له معه من قوله، أنت سرقت ثيابي، ومن كونه أعطاه قباه، ومن كون الصياد قطع القباء لما رآه طويلاً. فقال جعفر: والله يا أمير المؤمنين، لقد كان في خاطري أنني أطلب القباء منك، ولكن أروح في هذه الساعة إلى الصياد وأشتريها منه. فقال له الخليفة: والله لقد قطع ثلثها من جهة ذيلها وأتلفها، ولكن يا جعفر قد كليت من صيدي في البحر لأنني قد اصطدت سمكاً كثيراً وهو على شاطئ البحر عند معلمي خليفة، فإنه واقف هناك ينتظرني حتى أرجع إليه وأخذ له فردين ثم أروح أنا وإياه إلى السوق فنيعه ونقسم ثمنه. فقال له: يا أمير المؤمنين، وأنا أجيء إليك بالذي يشتري منكم. فقال له الخليفة: يا جعفر، وحق آبائي الطاهرين إن كل من جاء لي بسمكة من السمك الذي قدام خليفة الذي علمني الصيد أعطيه فيها ديناراً ذهباً. فنادى المنادي في العسكر أن: اطلعوا واشتروا سمكاً لأمير المؤمنين. فطلع المماليك وقصدوا شاطئ البحر. فبينما خليفة ينتظر أمير المؤمنين حتى

يحضر له فردين وإذا بالماليك قد انقضت عليه مثل العقبان واخذوا السمك ووضعوه في مناديل مزركشة من الذهب وصاروا يتضاربون عليه . فقال خليفة : لا شك أن هذا السمك من سمك الجنة . ثم أخذ سمكتين بيده اليمنى وسمكتين بيده اليسرى ونزل في الماء لخلقه وصار يقول : يا الله ، بحق هذا السمك ، إن عبدك الزمّار شريكى يجيء في هذه الساعة . وإذا بعبد قد أقبل عليه ، وكان ذلك العبد مقدماً على جميع العبيد الذين كانوا عند الخليفة . وكان سبب تأخيره عن المماليك أن جواده وقف بيوك في الطريق ، فلما وصل عند خليفة وجد السمك لم يبق منه شيء قليل ولا كثير . فنظر يمينا وشمالاً فرأى خليفة الصياد واقفاً في الماء ومعه السمك . فعند ذلك قال له : يا صياد تعال . فقال له الصياد : رح بلا فضول . فتقدّم إليه الخادم وقال له : هات هذا السمك وأنا أعطيك الثمن . قال خليفة الصياد للخادم : هل أنت قليل العقل ، أنا لا أبيع . فسحب عليه الدبوس . فقال له خليفة : لا تضرب يا شقي ، فالأنعام خير من الدبوس . ثم إنه رمى إليه السمك ، فأخذه الخادم وجعله في منديله وحط يده في جيبه فلم يجد ولا درهماً واحداً . فقال : يا صياد ، إن بختك مشؤوم وأنا والله ما معي شيء من الدراهم ، ولكن في غد تعال في دار الخلافة وقل دلتوني على الطواشي صندل ، فبدلك الخدام عليّ فإذا جئتني هناك يحصل لك الذي فيه النصيب فتأخذه وتروح إلى حال سبيلك . فعند ذلك قال خليفة : إن هذا اليوم مبارك وبركته ظاهرة من أوله . ثم إنه أخذ شبكته على كتفه ومشى حتى دخل بغداد ، ومشى في الأسواق فرأى الناس خلعة الخليفة عليه وصاروا ينظرون إليه حتى دخل الحارة ، وكان دكان خياط أمير المؤمنين على باب الحارة . فنظر الخياط خليفة الصياد وعليه خلعة تساوي ألف دينار من ملابس الخليفة فقال : يا خليفة ، من أين لك هذه الفرجية ؟ فقال له خليفة : وأي شيء لك في الفضول ؟ أنا أخذتها من الذي علّمته الصيد وصار غلامي وعفوت عنه في قطع يده لأنه سرق ثيابي ، وأعطاني هذه العباة عوضاً عنهم . فعلم الخياط أن الخليفة قد عبر عليه وهو بصطاد ومزح معه وأعطاه الفرجية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 839

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخياط لما علم أن الخليفة قد عبر على خليفة الصياد وهو بصطاد وقد مزح معه وأعطاه الفرجية ثم توجه الصياد إلى بيته . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الخليفة هارون الرشيد فإنه ما طلع إلى الصيد والقنص إلا لأجل ما يشتغل عن الجارية قوت القلوب . وكانت زبيدة لما سمعت بالجارية واشتغال الخليفة بها أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة حتى امتنعت من الطعام والشراب وهجرت لذيد المنام وصارت تنتظر غياب الخليفة أو سفره حتى تنصب لقوت القلوب شرك المكائد . فلما علمت أن الخليفة خرج إلى الصيد والقنص ، أمرت الجوارى أن يفرشن الدار وأكثرن من الزينة والإفتخار ووضعت الأطعمة والحلويات وعملت من جملة ذلك طبقاً صينياً فيه حلاوة من الطّف ما يكون ووضعت فيه البنج وبنّجته ، ثم إنها أمرت بعض الخدام أن يمضوا إلى الجارية قوت القلوب ويدعوها إلى زاد السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين ويقول لها : إن زوجة أمير المؤمنين قد شربت اليوم دواء وقد سمعت بطيب نغمك فاشتهدت أن تفرّج على شيء من صناعتك . فقالت : سمعاً وطاعة لله وللسيدة زبيدة . ثم إنها نهضت قائمة من وقتها وساعتها ولم تعلم بما

هو مخبوء لها في الغيب وأخذت معها ما تحتاج من الآلات وسارت مع الخادم ، ولم تزل سائرة حتى دخلت على السيدة زبيدة . فلما دخلت عليها قلبت الأرض بين يديها مراراً عديدة ثم نهضت قائمة على قدميها وقالت : السلام على الستر الرفيع والجناب المنيع والسلالة العباسية والبضعة النبوية ، بلغك الله الإقبال والسلام في الأيام والأعوام ثم وقفت من جملة الجوارى والخدام . فعند ذلك رفعت إليها السيدة زبيدة رأسها ونظرت إلى حسنها وجمالها فرأت جارية أسيلة الخلود رمانية النهود، بوجه أقرم وجبين أزهر وطرف أحور، قد سكنت جفونها فتوراً وابتهج وجهها نوراً كأن الشمس تطلع من غرتها وظلام الليل من طرتها والمسك يفوح من نكهتها والأزهار تزهر من بهجتها والقمر يبدو من جبينها والغصن يميل من قدها، كأنها البدر النام قد أشرق في جنح الظلام وقد تغزلت عيناها وتقوست حاجباها وصيغت من المرجان شفتاها، تذهل بحسنها كل من نظرها وتسحر بطرفها كل من رآها، جل من خلقها وكملها وسواها . وهي كما قال الشاعر في من ضاهاها : [من الوافر]

إِذَا غَضِبْتَ رَأَيْتَ النَّاسَ قَتْلَى وَإِنْ رَضِيتَ فَأُرْوِاحٌ تُعُودُ
لَهَا مِنْ طَرْفِهَا لَحَظَاتٌ سِحْرٍ تُمِيتُ بِهَا وَتُجِيبِي مَنْ تُرِيدُ
وَتَسْبِي الْعَالَمِينَ بِمُقَلَّتَيْهَا كَأَنَّ الْعَالَمِينَ لَهَا عَيْدُ

ثم إن السيدة زبيدة قالت لها : أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا قوت القلوب، إجلسي حتى تفرجيننا على أشغالك وحسن صناعتك . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم جلست ومدت يدها وأخذت الدف الذي قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات : [من الوافر]

أَيَا ذَا الطَّارِ قَلْبِي طَارَ شَوْقًا وَيَصْرُخُ مِنْ جَوَاهُ وَأَنْتَ تَضْرِبُ
فَلَمْ تَأْخُذْ سِوَى قَلْبٍ جَرِيحٍ عَلَى تَوْقِيعِكَ الْإِنْسَانَ يَرْعَبُ
فَقُلْ قَوْلًا ثَقِيلًا أَوْ خَفِيفًا وَلَحْنُ مَا تَشَاءُ فَأَنْتَ تُطْرِبُ
وَطِبُّ وَأَخْلَعُ عِدَارَكَ يَا مُحِبُّ وَقُمْ وَأَرْقُصْ وَمِلْ وَأَعْجِبْ وَعَجِّبْ

ثم ضربت ضرباً كثيراً وغنت حتى أوقفت الطير وهاج بهم المكان . ثم حظت الدف وأخذت الشبابة التي قيل فيها هذا البيت : [من الطويل]

لَهَا أَعْيُنٌ إِنْسَانُهَا بِأَصَابِعِ . يُشِيرُ إِلَى لَحْنٍ صَحِيحٍ بِلَا شَكْلِ

وكما قال الشاعر أيضاً هذا البيت : [من الوافر]

إِذَا أَنْهَتْ إِلَى الْقَصْدِ الْأَغَانِي يَطِيبُ الْوَقْتُ مِنْ طَرْبٍ بِوَصْلِ

ثم إنها حظت الشبابة بعد أن طرب بها كل من حضر . ثم أخذت العود الذي قال فيه الشاعر : [من الطويل]

وَعُصْنِ رَطِيبٍ عَادَ عَوْدَةَ قَيْنَةٍ يَحْنُ إِلَيْهِ الْأَكْرَمُونَ الْأَفْضِلُ
تَجَسُّ وَتَبْلُوهُ لِفَرْطِ ذَكَائِهَا بِأَنْمِلِهَا مَا أَتَقَنَّتَهُ السَّلَاسِلُ

فشدت أوتاره وعركت آذانه وحطته في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها . فكان

الشاعر قال فيها وفي عودها هذه الأبيات : [من السريع]

قَدْ أَفْصَحَتْ بِالْوَتْرِ الْأَعْجَمِيِّ وَأَفْهَمَتْ مَنْ لَمْ يَكُنْ فَاهِمًا
وَحَبَّرَتْ أَنَّ أَلْهَوَى قَاتِلٌ يُودِي بِعَقْلِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ
جَارِيَةٌ لِلَّهِ مِنْ كَفَّهَا مُصَوِّرٌ يَنْطِقُ عَنْ ذِي قَمٍ
قَدْ حَبَسَتْ بِالْعُودِ مَجْرَى الْهَوَى حَبَسَ الْعَلِيْبِ الْعَدْلُ مَجْرَى الدَّمِ

ثم ضربت أربعة عشر طريقة وغنت نوبة كاملة حتى أذهلت الناظرين وأطربت السامعين .
ثم أنشدت هذين البيتين : [من مجزوء الكامل]

قَدَّمَ عَلَيْكَ مُبَارَكٌ فِيهِ السُّرُورُ يُجْرَدُ
إِقْبَالُهُ مُتَوَاتِرٌ وَنَعِيمُهُ لَا يَنْقُدُ

وأدرِكْ شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة : □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية قوت القلوب لما غنت الأشعار وضربت على الأوتار بين يدي السيدة زبيدة كادت أن تعشقها وقالت في نفسها : ما يلام ابن عمي الرشيد في عشقها . ثم إن الجارية قبّلت الأرض بين يدي زبيدة وقعدت ، فقدموا لها الطعام ثم قدموا الحلو وقدموا الصحن الذي فيه البنج فأكلت منه ، فما استقرت الحلوى في جوفها حتى انقلب رأسها وانطحرت على الأرض نائمة . فقالت السيدة زبيدة للجواري : ارفعنها إلى بعض المقاصير حتى أطلبها . فقلن لها : سمعاً وطاعة . ثم قالت لبعض الخدام : إعمل لنا صندوقاً وأتني به . ثم أمرت أن يعمل صورة قبر ويشعوا أن الجارية قد شرقت وماتت ، ونهبت على خبواصها أن كل من قال إنها بالحياة تضرب رقبتها . وإذا بالخليفة قد أتى في تلك الساعة من الصيد والقتص وأول ما سأل سأل عن الجارية . فتقدم إليه بعض خدمه وقد كانت أوصته السيدة زبيدة أنه إذا سأل الخليفة عنها يقول له إنها ماتت . فقبل الأرض بين يديه وقال له : يا سيدي تعيش رأسك ، وتيقن أن قوت القلوب غصت بالطعام فماتت . فقال الخليفة : لا بشرك الله بالخير يا أعبد السوء . ثم قام ودخل القصر فسمع بموتها من كل من في القصر فقال : ابن قبرها ؟ فاتوا به إلى التربة وأروه القبر الذي عمل تزويراً وقالوا له : هذا قبرها . فلما نظره صاح واعتنق القبر وبكى وأنشد هذين البيتين : [من البسيط]

بِاللَّهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا وَهَلْ تَغْيَرُ ذَلِكَ الْمَنْظَرُ النَّضِيرُ
يَا قَبْرُ مَا أَنْتَ لَا رَوْضٌ وَلَا أَفْقٌ فَكَيْفَ يُجْمَعُ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

ثم إن الخليفة بكى عليها بكاء شديداً ومكث هناك ساعة زمانية ثم قام من عند القبر وهو في غاية الحزن . فلعلت السيدة زبيدة أن حيلتها قد تمّت . فقالت للخدام : هات الصندوق . فأحضره بين يديها ، فأحضرت الجارية ووضعها فيه وقالت للخدام : إجتهد في بيع الصندوق واشترط على من يشتريه أنه يشتريه وهو مقفول ثم تصدق بثمانه . فأخذ الخدام وخرج من عندها وامتنل امرها . هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر خليفة الصيد فإنه لما أصبح الصباح

وأضاء بنوره ولاح قال: ليس لي شغل في هذا اليوم أحسن من رواحي إلى الطواشي الذي قد اشتري مني السمك، فإنه واعدني أن أروح إليه في دار الخلافة. ثم إن خليفة خرج من حاره قاصداً دار الخلافة، فلما وصل إليها وجد الممالك والعبيد والخدم قياماً وعوداً، فتأملهم وإذا بالخدام الذي أخذ منه السمك جالس والممالك في خدمته. فصاح عليه غلام من الممالك، فالتفت إليه الخدام لينظر من هو وإذا هو بالصيد، فلما عرف الصيد أنه رآه وتحقق ذاته قال له: ما قصرت يا شقير هكذا تكون أصحاب الامانات. فلما سمع الخدام كلامه ضحك عليه وقال له: والله لقد صدقت يا صياد. ثم إن الخدام صندل أراد أن يعطيه شيئاً فمد يده إلى جيبه وإذا بصياح عظيم، فرفع الخدام رأسه لينظر ما الخبر وإذا بالوزير جعفر البرمكي خارج من عند الخليفة. فلما رآه الخدام نهض إليه قائماً ومشى بين يديه وصاراً يتحدثان وهما ماشيان حتى طال الوقت، فوقف خليفة الصيد مدة والخدام لم يلتفت إليه. فلما طال وقوفه تعرض إليه الصيد وهو بعيد عنه وأشار إليه بيده وقال: يا سيدي شقير، خلّني أروح. فسمعه الخدام واستحى أن يرد عليه بسبب حضور الوزير جعفر وصار الخدام يتحدث مع الوزير ويتشاغل عن الصيد فقال خليفة: يا ماطل، قبّح الله كل ثقيل وكل من يأخذ متاع الناس ويتناقل عليهم، أنا دخيلك يا سيدي كرش النخال أن تعطيني الذي لي لأجل أن أروح. فسمعه الخدام فاستحى من جعفر، ورآه أيضاً جعفر وهو يشير بيديه ويتحدث مع الخدام ولكنه لم يعرف ما يقوله له. فقال للخدام وقد أنكر عليه: يا طواشي، أي شيء يطلب منك هذا السائل المسكين؟ فقال له صندل الخدام: أما تعرف هذا يا مولانا الوزير؟ فقال الوزير جعفر: والله ما أعرفه ومن أين أعرف هذا وأنا ما رأيته إلا في هذه الساعة؟ فقال له الخدام: يا مولانا هذا الصيد الذي نهبنا سمكه من شاطئ الدجلة وكنت أنا ما لحقت شيئاً واستحييت أن أرجع إلى أمير المؤمنين بلا شيء وكل الممالك قد اخلوا، فلما وصلت إليه وجدته واقفاً في وسط البحر يدعو الله ومعه أربع سمكات فقلت له: هات ما معك وخذ حقه. فلما أعطاني السمك أدخلت يدي في جيبه وأردت أن أعطيه شيئاً فما رأيت فيه شيئاً. فقلت له: تعال إلي في القصر وأنا أعطيك شيئاً تستعين به على فقرك. فجاءني في هذا اليوم فمددت يدي وأردت أن أعطيه شيئاً فجئت أنت، فقممت في خدمتك واشتغلت بك عنه فطال عليه الأمر. فهذه قصته وهذا سبب وقوفه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 841
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن صندلاً الطواشي لما حكى لجعفر البرمكي حكاية خليفة الصيد قال له بعد ذلك: فهذه قصته وهذا سبب وقوفه. فلما سمع الوزير كلام الطواشي تبسم منه وقال: يا طواشي، كيف جاء هذا الصيد في وقت حاجته ولم تقضها له؟ أما تعرفه يا رئيس الطواشية؟ قال: لا. قال: هذا معلم أمير المؤمنين وبشريه، وقد أصبح اليوم مولانا الخليفة ضيق الصدر حزين القلب مشتغل البال وما له شيء يشرح صدره إلا هذا الصيد، فلا تخله يروح حتى أشاور عليه الخليفة وأحضره بين يديه فلعل الله يفرج ما به ويسلّيه على فقد قوت القلوب بسبب حضوره فيعطيه شيئاً يستعين به، فتكون أنت السبب في ذلك. فقال له الخدام: يا مولاي، إفعل ما تريد فالله تعالى يبيحك ركناً للدولة أمير المؤمنين أدام الله ظلها وحفظ فرعها وأصلها. ثم إن الوزير جعفر نهض متوجهاً إلى الخليفة والخدام أمر الممالك أنهم لا

يفارقون الصياد. فقال خليفة الصياد عند ذلك: ما أجمل إحسانك يا شقير، قد صار الطالب مطلوباً لاني جئت لاطلب مالي فحبسوني على البواقي. فلما دخل جعفر على الخليفة وجده قاعداً وهو مطرق برأسه إلى الارض ضيق الصدر كثير الفكر يترنم بقول الشاعر: [من الطويل]

تُكَلِّفُنِي السُّلْوَانَ عَنْهَا عَوَاذِي وما لي على قلبي إذا لم يُطعْ أمرِي
وكَيْفَ يَكُونُ الصَّبِيرُ عَنْ حُبِّ طِفْلَةٍ على حبيها في الهجر لا يُجِدُنِي صَبْرِي
ولم أنسها والكأسُ قد دارَ بيننا وقد مال بي من خمير الحاظها سُكْرِي

فلما صار جعفر بين يدي الخليفة قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حرمة الدين وابن عم سيد المرسلين ﷺ وعلى آله أجمعين. فرفع الخليفة رأسه وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. فقال جعفر: عن إذن أمير المؤمنين يتكلم خادمه ولا حرج عليه. فقال الخليفة: ومتى كان عليك حرج في الكلام وأنت سيد الوزراء؟ تكلم بما تريد. فقال له الوزير جعفر: إني خرجت يا مولانا من بين يديك أريد داري فرأيت أستاذك ومعلمك وشريكك خليفة الصياد واقفاً بالباب وهو متغير عليك ويشتكى منك ويقول: سبحان الله، قد علمته الصيد وذهب ليأتيني بفردين فلم يعد إليّ، وما هذا شأن الشركة ولا شأن المعلمين. فإن كان لك غرض في الشركة فلا بأس وإلا فعرفه ليشارك غيرك. فلما سمع الخليفة كلامه تبسم وزال ما كان عنده من ضيق الصدر ثم قال لجعفر: بحياتي عليك، أحق ما تقوله من أن الصياد واقف بالباب؟ قال جعفر: وحياتك يا أمير المؤمنين إنه واقف بالباب. فعند ذلك قال الخليفة: يا جعفر، والله لأسعين في قضاء حقه فإن يرد الله له على يدي شقاوة نالها وإن يرد له على يدي سعادة نالها. ثم إن الخليفة أخذ ورقة وقطعها قطعاً وقال: يا جعفر أكتب بيدك عشرين قدراً من دينار إلى ألف دينار، ومراتب الولاية والإمارات من أقل العمل إلى الخلافة، وعشرين صنفاً من أنواع النكاح من أقل التعزيز إلى القتل. فقال جعفر: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين. ثم كتب الأوراق بيده كما أمره الخليفة. ثم بعد ذلك قال الخليفة: يا جعفر، أقسم بحق آبائي الطاهرين واتصالي بحمزة وعقيل إني أريد أن أحضر خليفة الصياد وأمره أن يأخذ ورقة من هذه الأوراق لا يعرف ما فيها إلا أنا وأنت، فإني شيء كان فيها ملكته له ولو كان فيها الخلافة نزع نفسي منها وملكته إياها ولا أبخل بها عليه، وإن كان فيها شئ أو قطع أو هلاك فعلته به، فاذهب وانثني به. فلما سمع جعفر هذا الكلام قال في نفسه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ربما يطلع لهذا المسكين شيء بإتلافه فأكون أنا السبب، ولكن الخليفة قد حلف وما بقي إلا أنه يدخل ولا يكون إلا ما يريد الله. ثم توجه إلى خليفة الصياد وقبض على يده وأراد الدخول به، فطار عقل خليفة من رأسه وقال في نفسه: أي شيء عبثي حتى جئت إلى هذا العبد النحس شقير فجمع بيني وبين كرش النخال؟ ثم إن جعفر لم يزل سائراً به والممالك خلفه وقدامه وهو يقول: ما كفى الحبس حتى يكون هؤلاء خلفي وقدامي فيحرموني أن أهرب؟ ولم يزل جعفر سائراً به حتى قطع سبعة دهاليز. ثم قال الخليفة: ويلك يا صياد، إنك تقف بين يدي أمير المؤمنين وحامي الدين. ثم رفع الستر الأكبر فوفقت عين خليفة الصياد على الخليفة وهو جالس على سريره وأرباب الدولة قيام في خدمته. فلما عرفه تقدم إليه وقال: أهلاً وسهلاً يا زمار، ما يصح منك أن تعمل صياداً ثم تتركني قاعداً حرس السمك

وتروح ولم تحيء، فما شعرت إلا والماليك قد أقبلوا على دواب مختلفة الألوان فخطفوا السمك مني وأنا واقف وحدي وهذا كله من تحت رأسك، فلو كنت جئت بالأفراد سريعاً كنا بعنا منه بمائة دينار. ولكن أنا جئت في طلب حقي فحبسوني وأنت من حبسك في هذا الموضع؟ فتبسم الخليفة ثم رفع طرف الستارة وأخرج رأسه من تحتها وقال له: تقدم وخذ لك ورقة من هذه الأوراق. فقال خليفة الصياد لأمير المؤمنين: أنت كنت صياد وأراك اليوم منجماً، ولكن من كثرت صنایعه كثر فقره. فقال جعفر: خذ الورقة بسرعة من غير كلام وامتل ما أمرك به أمير المؤمنين. فتقدم خليفة الصياد ومد يده وقال: هيهات إن كان هذا الزمار يرجع غلامي ويصطاد معي. ثم أخذ الورقة وناولها للخليفة وقال: يا زمار، أي شيء طلع لي فيها لا تخف منه شيئاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة كانت الخليفة 842
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن خليفة الصياد لما أخذ ورقة من الأوراق وناولها للخليفة قال له: يا زمار، أي شيء طلع لي فيها لا تخف منه شيئاً. فأخذها الخليفة بيده وناولها للوزير جعفر وقال له: اقرأ ما فيها. فنظر إليها جعفر وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقال الخليفة: خير خير يا جعفر، ما رأيت فيها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، طلع في الورقة: يضرب الصياد مائة عصا. فأمر الخليفة بضربه مائة عصا. فامتلوا أمره وضربوا خليفة مائة عصا ثم قام وهو يقول: لعن الله هذا اللعب يا كرش النخال هل الحبس والضرب من جملة اللعب؟ فقال جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا المسكين جاء إلى البحر وكيف يرجع عطشاناً؟ نرجو من صدقات أمير المؤمنين أن يأخذ له ورقة أخرى فلعله يطلع له فيها شيء فيرجع به ليستعين به على فقره. فقال الخليفة: والله يا جعفر إن أخذ ورقة وطلع له فيها قتل لاقتلته فتكون أنت السبب. فقال جعفر: إن كان يموت فإنه يستريح. فقال له خليفة الصياد: لا بشرك الله بالخير، هل أنا ضيقت عليكم بغداد حتى تطلبوا قتلي؟ فقال جعفر: خذ لك ورقة واستخر الله تعالى. فمد يده وأخذ ورقة وأعطاها لجعفر فأخذها منه وقرأها وسكت. فقال له الخليفة: ما لك سكت يا ابن يحيى؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه طلع في الورقة لا يعطى الصياد شيئاً. فقال الخليفة: ما له رزق عندنا، قل له يروح من وجهي. فقال: جعفر بحق آبائك الطاهرين أن تخليه يأخذ الثالثة لعله يطلع له فيها رزق. فقال الخليفة: دعه يأخذ له ورقة لا شيء غيرها. فمد يده وأخذ الورقة الثالثة وإذا فيها يعطى الصياد ديناراً. فقال جعفر لخليفة: طلبت لك السعادة فما أراد الله لك إلا هذا الدينار. فقال خليفة: كل مائة عصا بدينار خير كثير، لا أصح الله لك بدناً. فضحك الخليفة وأخذ جعفر بيد خليفة وخرج به، فلما وصل إلى الباب رآه صندل الخادم فقال له: تعال يا صياد أنعم علينا بما أعطاك أمير المؤمنين وهو يمزح معك. فقال له خليفة: والله صدقت يا شقير، وهل تريد أن تقاسمني يا أسود الجلد وقد أكلت مائة عصا وأخذت ديناراً واحداً؟ أنت في حل منه. ثم رمى الدينار للخادم وخرج ودموعه تجري على صحن خده. فلما نظره الخادم وهو على تلك الحالة عرف أنه صادق فرجع إليه وصاح على الغلمان أن ردّوه. فردّوه، فمد يده إلى جيبه فأخرج منه كيساً أحمر ففتحه ونفضه وإذا فيه مائة دينار من الذهب وقال: يا صياد، خذ هذا الذهب حق سمكك وامض إلى حال سبيلك. فعند ذلك فرح خليفة

الصيد وأخذ المائة دينار ودينار الخليفة وخرج وقد نسي الضرب . ولما أراد الله تعالى إنفاذا ما قضاه، عبّر خليفة الصيد في سوق الجوارى فرأى حلقة كبيرة وفيها خلق كثير . فقال خليفة في نفسه : أي شيء هؤلاء الناس ؟ ثم تقدم وشق بين الناس من تجار وغيرهم . فقال التجار : وسعوا للناخودة زليط . فوسعوا له فنظر خليفة وإذا بشيخ قائم على رجله وبين يديه صندوق وعليه خادم جالس والشيخ ينادي ويقول : يا تجار يا أرباب الأموال ، من يخاطر ويبادر بالعطاء لهذا الصندوق المجهول من دار السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين الرشيد بكم عليكم بارك الله فيكم . فقال واحد من التجار : والله إن هذه مخاطرة ، فانا أقول كلاماً وما عليّ فيه ملام ، هو عليّ بعشرين ديناراً . فقال آخر : بخمسين ديناراً . ثم تزايد التجار فيه إلى أن وصل مائة دينار . فقال المنادي : هل عندكم زيادة يا تجار ؟ فقال خليفة الصيد : عليّ بمائة دينار ودينار . فلما سمع التجار كلام خليفة حسبه يلعب ، فضحكوا عليه وقالوا : يا طواشي ، بع إلى خليفة بالمائة دينار ودينار . فقال الطواشي : والله ما أبيع إلا له . خذ يا صياد بارك الله لك فيه وهات الذهب . فأخرج خليفة الذهب وسلّمه إلى الخادم ووقعت المعاقدة . ثم إن الخادم تصدّق بالذهب وهو في موضعه ورجع إلى القصر وأعلم السيدة زبيدة بما فعل ففرحت بذلك . ثم إن خليفة الصيد حمل الصندوق على كتفه فلم يقدر على حمله لعظم ثقله ، فحمله على رأسه وأتى به إلى الحارة ووضع عن رأسه وكان قد تعب ، فقعده يتفكّر فيما جرى له وصار يقول في نفسه : يا ليت شعري ما في هذا الصندوق . ثم فتح باب داره وعالج في الصندوق حتى أدخله داره وبعد ذلك عالج أن يفتحه فلم يقدر . فقال في نفسه : أي شيء حصل في عقلي حتى اشتريت هذا الصندوق ؟ فلا بد من كسره وأنظر ما فيه . ثم عالج القفل فلم يقدر . فقال في نفسه : أنا أخليه إلى غد . ثم طلب أن ينام فلم يجد موضعاً ينام فيه لأن الصندوق جاء على قياس البيت ، فطلع ونام فوقه واستمر ساعة وإذا بشيء يتحرك ، ففزع خليفة وفرّ عنه النوم وقد طار عقله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 843

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن خليفة الصيد لما نام على الصندوق استمر ساعة وإذا بشيء يتحرك . ففزع وطار عقله وقام من النوم وقال : كان فيه جن ، الحمد لله الذي ما جعلني فتحتة لاني لو كنت فتحتة لقاموا عليّ في الظلام وأهلكوني ولم يحصل لي منهم خير . ثم إنه رجع ونام وإذا بالصندوق يتحرك ثاني مرة أكثر من الأول . فنهض خليفة قائماً وقال : هذه نوبة أخرى لكنها مزعجة . ثم بادر إلى سراج فلم يجده ولم يكن معه ما يشتري به سراجاً ، فخرج من البيت وصاح : يا أهل الحارة . وكان أكثر أهل الحارة نائمين فانتبهوا على صياحه وقالوا : ما لك يا خليفة ؟ فقال : إلحقوني بسراج فإن الجن خرجوا عليّ . فضحكوا عليه وأعطوه سراجاً ، فأخذه ودخل به بيته وضرب قفل الصندوق بحجر فكسره وفتح الصندوق ، وإذا هو بجارية كأنها حورية وهي نائمة في الصندوق وكانت مبتجة وقد تقيت البنج في تلك الساعة فاستفاقت وفتحت عينيها وحسّت بالضيق فتحرّكت . فلما رآها خليفة نهض إليها وقال : بالله يا سيدتي ، من أين أنت ؟ ففتحت عيناها وقالت : هات لي ياسميناً ونرجساً . فقال خليفة : ما هنا إلا تمر حناء . فاستفاقت في نفسها ونظرت خليفة فقالت له : أي شيء أنت ؟ ثم إنها

قالت : وأين أنا ؟ قال لها : أنت في بيتي . قالت : أما أنا في قصر الخليفة هارون الرشيد ؟ فقال لها : أي شيء الرشيد يا مجنونة ؟ ما أنت إلا جارية وفي هذا اليوم اشتريتك بمائة دينار ودينار وجئت بك إلى بيتي وكنت في هذا الصندوق نائمة . فلما سمعت الجارية كلامه قالت له : ما اسمك ؟ قال : إسمي خليفة . ما بال نجمي قد سعد وأنا أعرف نجمي غير ذلك . فضحكت وقالت : دعني من هذا الكلام ، هل عندك شيء يؤكل ؟ فقال : والله ولا شيء يشرب ، وأنا والله لي يومان ما أكلت شيئاً وأنا الآن محتاج إلى لقمة . فقالت له : أما معك دراهم ؟ فقال : الله يحفظ هذا الصندوق الذي أقرني لاني أوردت ما كان معي فيه وبقيت مفلساً . فضحكت عليه الجارية وقالت : قم اطلب من جيرانك شيئاً . فقام خليفة وخرج من البيت وصاح : يا أهل الحارة . وقد كانوا راقدين فانتبهوا وقالوا : مالك يا خليفة ؟ فقال : يا جيراني أنا جائع وما عندي شيء آكله . فنزل له واحد برغيف وآخر بكسرة وآخر بقطعة جبن وآخر بخيارة فامتلا حجره ودخل البيت وحط الجميع بين يديها وقال لها : كلي . فضحكت عليه وقالت له : كيف أكل من هذا ولا عندي كوز ماء أشرب منه ؟ فأخاف أن أشرق بلقمة فأموت ؟ فقال خليفة : أنا أملا لك هذه الجرة . ثم أخذ الجرة وخرج في وسط الحارة وصاح : يا أهل الحارة . فقالوا له : ما مصيبتك في هذه الليلة يا خليفة ؟ فقال لهم : أنتم أعطيتموني فأكلت ولكن عطشت فاسقوني . فنزل له هذا بكوز وهذا بإبريق وهذا بقلعة فملا الجرة ودخل بها البيت وقال لها : يا سيدتي ، ما بقي لك حاجة . فقالت : صحيح ، ما بقي لي حاجة في هذه الساعة . فقال لها : كلميني وحدّثيني بحدّثيك . فقالت : وبلك ، إن كنت لم تعرفني فانا أعرفك بنفسي : أنا قوت القلوب جارية الخليفة هارون الرشيد ، وقد غارت مني السيدة زبيدة وبتجتني ووضعني في هذا الصندوق . ثم قالت : الحمد لله الذي كان هذا الأمر السهل ولم يكن غيره ، ولكن ما جرى لي هذا إلا من أجل سعادتك فلا بد أن تأخذ من الخليفة الرشيد مالاً كثيراً يكون سبباً في غنائك . فقال لها خليفة : أما هو الرشيد الذي كنت في قصره محبوساً ؟ قالت : نعم . قال : والله ما رأيت أبخل منه ذلك الزمّار القليل الخير والعقل ، فإنه ضربني أمس مائة عصا وأعطاني ديناراً واحداً مع أنني علّمته الصيد وشاركته فغدر بي . فقالت له : دع عنك هذا الكلام القبيح وافتح عينك وعلبك بالأدب إذا رأيته بعد هذه المرة فإنك تبلغ مرادك . فلما سمع كلامها كان كأنه نائم واستيقظ وكشف الله عن بصيرته لأجل سعادته . فقال لها : على الرأس والعين . ثم قال لها : بسم الله نامي . فقامت ونامت ونام هو بعيداً عنها إلى الصباح . فلما أصبحت طلبت منه دواة وورقة فأحضرهما لها ، فكتبت إلى التاجر الذي هو صاحب الخليفة تخبره بحالها وما جرى لها من أنها عند خليفة الصياد وقد اشتراها . ثم دفعت له الورقة وقالت له : خذ هذه الورقة وامض بها إلى سوق الجواهر واسأل عن دكان ابن القرناص الجوهري واعطه هذه الورقة ولا تتكلم . فقال لها خليفة : سمعاً وطاعة . ثم إنه أخذ الورقة من يدها ومضى بها إلى سوق الجواهر وسأل عن دكان ابن القرناص فأرسلوه إليه . فاتاه وسلّم عليه فردّ عليه السلام واحتقره في عينه وقال له : أي حاجة لك ؟ فنأوله الورقة . فأخذها ولم يقرأها لظنه أنه صعلوك يطلب منه صدقة . فقال لبعض غلمانها : أعطه نصف درهم . فقال له خليفة : لا حاجة لي بالصدقة ولكن اقرأ الورقة . فأخذ الورقة وقرأها ففهم ما فيها . فلما عرف ما فيها قبلها ووضعها على رأسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن القرناص لما قرأ الورقة وفهم ما فيها قبلها ووضعها على رأسه ونهض قائماً وقال له : يا أخي ، أين بيتك ؟ فقال له خليفة : وما تريد بييتي ؟ فهل مرادك أن تروح إليهِ وتسرق جاريتي ؟ فقال له : لا بل اشتري لك شيئاً تأكله أنت وإياها . فقال له : بييتي في الحارة الفلانية . فقال له : أحسنت ، لا اعطاك الله عافية

يا مندبور . ثم صاح على عبيدين من عبيده وقال لهما : إمضيا مع هذا الرجل إلى دكان محسن الصيرفي وقولا له : يا محسن ، اعط هذا ألف دينار من الذهب وارجعنا به إليّ بسرعة . فمضى العبدان مع خليفة إلى دكان الصيرفي وقالوا له : يا محسن ، اعط هذا الرجل الف دينار من الذهب . فاعطاه إياها فأخذها خليفة ورجع مع العبدان إلى دكان سيدهما فوجدوه راكباً زرزورية تساوي ألف دينار والماليك والغلمان حوله ، وفي جنب بغلته مثلها مسرجة ملجمة . فقال لخليفة : بسم الله إركب هذه البغلة . فقال خليفة : أنا لا أركب والله إنني أخاف أن ترميني . فقال له التاجر ابن القرناص : والله لا بد من ركوبك . فتقدم خليفة ليركبها فركبها مقلوباً ومسك ذنبها وصرخ ، فرمته على الأرض فضحكوا عليه . ثم قام وقال : أنا ما قلت لك ما أركب هذا الحمار الكبير . ثم إن ابن القرناص ترك خليفة في السوق وراح إلى أمير المؤمنين وأعلمه بالجارية ثم رجع ونقلها إلى بيته . ثم إن خليفة ذهب إلى البيت لينظر الجارية فرأى أهل الحارة مجتمعين وهم يقولون : إن خليفة اليوم مرهوب بالكلية ، يا ترى هذه الجارية من أين له ؟ فقال واحد منهم : هذا قواد مجنون لعله وجدها في الطريق سكرانة فحملها وأتى بها إلى بيته وما غاب إلا لأنه عرف ذنبه . فبينما هم في الكلام وإذا بخليفة أقبل عليهم فقالوا له : أي شيء حالك يا مسكين ؟ أما تعرف أي شيء جرى لك ؟ فقال : لا والله . فقالوا : في هذه الساعة جاء ماليك وأخذوا جاريتك وطلبوك فما وجدوك . فقال خليفة : كيف أخذوا جاريتي ؟ فقال واحد : لو كان وقع كانوا قتلوه . فلم يلتفت خليفة إليهم بل رجع يجري إلى دكان ابن القرناص فرآه راكباً فقال له : والله ما يصح منك فإنك شاغلتنني وأرسلت ممالكك فأخذوا جاريتي . فقال : يا مجنون تعال وأنت ساكت . ثم أخذه وأتى به إلى دار مليحة البناء فدخل به هناك ، فنظر الجارية قاعدة فيها على سرير من ذهب وحولها عشر جوار كأنهن الأقمار . فلما رآها ابن القرناص قبل الأرض بين يديها . فقالت له : ما فعلت بسيدي الجديد الذي اشترائني بجميع ما يملك ؟ فقال لها : يا سيدتي ، أعطيتك ألف دينار من الذهب ، وحكى لها خبر خليفة من أوله إلى آخره . فضحكت وقالت : لا تؤاخذه فإنه رجل عامي . ثم قالت : وهذه ألف دينار أخرى هبة مني إليه وإن شاء الله تعالى يأخذ من الخليفة ما يغنيه . فبينما هم في الحديث وإذا بخادم من عند الخليفة قد أقبل يطلب قوت القلوب لأنه علم أنها في بيت أبي القرناص ، وحين علم ذلك لم يصبر عنها فأمر بإحضارها . فلما توجهت إليه أخذت خليفة معها وذهبت حتى أقبلت على الخليفة ، فلما وصلت إليه قبلت الأرض بين يديه . فقام إليها وسلم عليها ورحب بها وسألها كيف كان حالها مع من اشتراها . فقالت له : إنه رجل يسمي خليفة الصياد وها هو واقف بالباب ، وقد ذكر لي أن له مع مولانا أمير المؤمنين محاسبة من أجل الشركة التي كانت بينه وبينه في الصيد . فقال : هل هو واقف ؟ قالت : نعم . فأمر بإحضاره فحضر وقبل الأرض بين يدي الخليفة ودعا له بدوام العز

والنعم . فتعجب الخليفة منه وضحك عليه وقال له : يا صياد ، هل كنت أمس شريكى حقيقة ؟ ففهم خليفة كلام أمير المؤمنين فقوى قلبه وثبت جنانه وقال له : وحق من أنعم عليك بخلافة ابن عمك ما أعلمها على أي حالة وما كان مني غير النظر والحديث . ثم أعاد عليه جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر وصار الخليفة يضحك عليه . ثم إنه حدثه بحديث الخادم وما جرى له معه وكيف أعطاه المائة دينار على الدينار الذي أخذه من الخليفة ، وحدثه أيضاً بدخوله السوق واشترائه الصندوق بالمائة دينار وهو لا يعلم ما فيه ، وحكى له جميع الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى . فضحك عليه الخليفة وانشرح صدره وقال له : نحن على ما تريد يا موصل الحق إلى أهله ثم سكت . وبعد ذلك أمر له الخليفة بخمسين ألف دينار ذهباً وخلعة سنينة من ملابس الخلفاء الكبار وبغلة ، وأهدى إليه عبيداً من السودان يخدمونه ، وصار كأنه بعض الملوك الموجودة في ذلك الزمان . وقد فرح الخليفة بقدم جاريته وعلم أن هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة : □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة فرح برجوع قوت القلوب وعرف أن هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه ، فزاد غضبه عليها وهجرها مدة من الزمان وصار لا يدخل عليها ولا يميل إليها . فلما تحققت ذلك ، حصل لها من غيظه همّ عظيم واصفرّ لونها بعد الإحمرار . فلما أعيها الصبر أرسلت إلى ابن عمها أمير المؤمنين تعتذر إليه وتقرّب بذنبها وقد انشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

أَمِيلُ إِلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الرُّضَى	لَأُظْفِيءَ مِنِّي حَسْرَةَ وَتَأْسُفًا
أَيَا سَادَتِي رِقُّوَا لِفَرْطِ صَبَابَتِي	فَهَذَا الَّذِي لَاقَيْتُهُ مِنْكُمْ كَفَا
لَقَدْ عَيْلَ صَبْرِي بَعْدَكُمْ يَا أَحِبَّتِي	وَكَدَّرْتُمُ الْعَيْشَ الَّذِي كَانَ قَدْ صَفَا
حَيَاتِي إِذَا أَوْقَيْتُمُو بَعُوْدِكُمْ	وَمَوْتِي إِذَا لَمْ تَسْمَحُوا لِي بِالْوَفَا
هَبُّوا أَسْنِي أَدْنَبْتُ ذَنْبًا فَسَامِحُوا	فَوَاللَّهِ مَا أَحْلَى الْحَيْبَ إِذَا عَفَا

فلما وصلت مراسلة السيدة زبيدة إلى أمير المؤمنين وقرأها عرف أنها اعترفت بذنبها وأرسلت تعتذر إليه مما فعلت . فقال في نفسه : إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم . وأرسل إليها ردّ الجواب عن مراسلتها مشتملاً على الرضى والسماح والعفو عما مضى فحصل لها الفرح العظيم . ثم إن الخليفة رتب لخليفة في كل شهر خمسين ديناراً جائزة له وصار له عند الخليفة منزلة عظيمة ومقام عال وحرمة واحتشام . ثم إن خليفة قبل الأرض بين يدي أمير المؤمنين عند خروجه وخرج يمشي ويتبختر ، فلما وصل إلى الباب نظر إليه الخادم الذي أعطاه المائة دينار فعرفه وقال له : يا صياد ، من أين لك هذا كله ؟ فحدثه بما جرى له من أوله إلى آخره . ففرح الخادم بذلك حيث كان هو السبب في غنائه وقال له : أما تعطيني أنعاماً من هذا المال الذي صار لك ؟ فمد خليفة يده إلى جيبه فطلع منه كيساً فيه ألف دينار من الذهب وناوله للخادم . فقال له الخادم : خذ مالك بارك الله لك فيه . وتعجب من مروءته وسماحة نفسه على فقره . ثم إن خليفة خرج من عند الخادم وهو راكب على البغلة والخادم ماسكة كفلها وهو سائر إلى أن أتى

إلى الخان والناس يتفرجون عليه ويتعجبون مما حصل له من العز. فتقدم إليه الناس بعدما نزل من فوق البغلة وسألوه عن سبب تلك السعادة، فأخبرهم بما جرى له من الأول إلى الآخر. ثم إنه اشترى دار مليحة الأركان وأنفق عليها جملة من المال حتى صارت كاملة المعاني. وسكن في تلك الدار وصار ينشد هذين البيتين: [من السريع]

أَنْظُرْ لِدَارِ شِبْهِ دَارِ النَّعِيمِ أَلْهَمُ تَنْفِيهِ وَتَشْفِي السَّقِيمِ
قَدْ جَعَلْتُ بُيَانَهَا لِلْعُلَى وَالْخَيْرُ فِيهَا كُلَّ وَقْتٍ مُقِيمِ

ثم إنه لما استقر في داره خطب له بنتاً من بنات أعيان أهل المدينة، من البنات الحسان ودخل بها وحصل له غاية الأناس والحظ الزائد والإنبساط، وصار في نعمة زائدة وسعادة كاملة. فلما رأى نفسه في ذلك النعيم، شكر الله سبحانه وتعالى على ما أعطاه من النعمة الوافرة والمكارم المتواترة. وصار لربه حامداً حمد الشاكر مترنماً بقول الشاعر: [من الطويل]

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَنْ فَضَلَهُ مُتَوَاتِرٌ وَيَا مَنْ لَهُ جُودٌ عَمِيمٌ وَغَايِرٌ
لَكَ الْحَمْدُ مِنِّي فَأَقْبَلِ الْحَمْدَ إِنِّي لِعُودِكَ وَالْإِحْسَانَ وَالْفَضْلَ ذَاكِرٌ
لَقَدْ جُدْتَ إِنْعَامًا عَلَيَّ وَمِنَّةً وَقَفْلاً وَإِحْسَانًا فَهَا أَنَا شَاكِرٌ
وَكُلُّ الْوَرَى مِنْ بَحْرِ جُودِكَ نَاهِلٌ وَأَنْتَ لَهُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ نَاصِرٌ
وَحَوَّلْتَنَا يَا رَبُّ آثَارَ نِعْمَةٍ وَأَسْبَغْتَهَا يَا مَنْ لِدُنْيِي غَافِرٌ
بِحَايَةِ الَّذِي قَدْ جَاءَ لِلنَّاسِ رَحْمَةً نَبِيٌّ كَرِيمٌ صَادِقُ الْقَوْلِ طَاهِرٌ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ وَأَنْصَارُهُ وَالْأَكْلُ مَا زَارَ زَائِرٌ
وَأَصْحَابُهُ الْغُرُّ الْكِرَامُ أَوْلِي النَّهْيِ مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَى عَلَى الْإِيكِ طَائِرٌ

ثم إن خليفة صار يتردد على الخليفة هارون الرشيد مع القبول عنده، وصار الرشيد يشمله بإحسانه وجوده. ولم يزل خليفة في أتم نعمة وسرور وعز وحبور، وفي نعمة زائدة ورفعة متصاعدة وعيشة طيبة هنية ولذة صافية مرضية إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات. فسبحان من له العز والبقاء وهو حي دائم لا يموت أبداً.

76 - مسرور وزين الموصف

ومما يحكى أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر أسمه مسرور. وكان ذلك الرجل من أحسن أهل زمانه، كثير المال مرقه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبساتين ويلتقي بهوى النساء الملاح. فاتفق أنه كان نائماً في ليلة من الليالي فرأى في نومه أنه في روضة من أحسن الرياض وفيها أربع طيور ومن جملتها حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية، فأعجبه تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأى أنه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه. ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة، فصار يعالج أشواقه إلى الصباح. فقال في نفسه: لا بد أن أروح اليوم إلى من يفسر لي هذا المنام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن مسروراً التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج أمشواقه إلى الصباح . فلما أصبح الصباح قال : لا بد أن أروح اليوم إلى من يفسر لي هذا المنام . فقام وصار يمشي يمينا وشمالاً إلى أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ، ثم بعد ذلك طلب الرجوع إلى منزله . فبينما هو في الطريق إذ خطر بباله أنه يجيل إلى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الأغنياء . فلما وصل إليها وإذا به يسمع بها صوت أنين من كبد حزين وهو ينشد هذه الأبيات [من الطويل]

نَسِيمُ الصَّبَا هَبَتْ لَنَا مِنْ رُسُومِهَا مَعْطَرَةٌ يَشْفِي الْعَلِيلَ شَمِيمُهَا
 وَقَفْتُ بِأَطْلَالِ دَوَارِسَ سَائِلًا وَلَيْسَ يُجِيبُ الدَّمْعَ إِلَّا رَمِيمُهَا
 فَقُلْتُ: نَسِيمَ الرِّيحِ بِاللَّهِ خَيْرِي هَلِ الدَّارُ هَذِي قَدْ يَعُودُ نَعِيمُهَا
 وَأَحْظَى بِظَنِّي مَالٌ بِي لَيْنُ قَدِهِ وَأَجْفَانُهُ الْوَسْتَى ضَنَانِي سَقِيمُهَا

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل الباب فرأى روضة من أحسن الرياض في باطنها ستر من ديباج أحمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر أربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كأنها البدر المنير والقمر المستدير، بعينين كحيلتين وحاجبين مقرنين وفم كأنه خاتم سليمان وشفنتين وأسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها . فلما رآها مسرور دخل الدار وبالغ في الدخول حتى وصل إلى الستر فرفعت رأسها إليه ونظرته ، فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام . فلما نظرها وتأملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر إلى الروضة وكانت من الياسمين والمنثور والبنفسج والورد والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشوم ، وقد توشحت جميع الأشجار بالاثمار والماء منحدر من أربعة لوابين يقابل بعضهما بعضاً . فتأمل في اللوان الأول فرأى مكتوباً على دائره بالزنجفر الأحمر هذان البيتان : [من الوافر]

أَلَا يَا دَارُ لَمْ يَدْخُلْكَ حُزْنٌ وَلَمْ يَغْدُرْ بِصَاحِبِكَ الزَّمَانُ
 فَنِعْمَ الدَّارُ تَأْوِي كُلَّ ضَيْفٍ إِذَا مَا الضَّيْفُ ضَاقَ بِهِ الْمَكَانُ

ثم تأمل في اللوان الثاني فرأى مكتوباً في دائره بالذهب الأحمر هذه الأبيات : [من البسيط]

لَا حَتَّ عَلَيْكَ ثِيَابُ السَّعْدِ يَا دَارُ مَا غَرَّدَتْ فِي غُصُونِ الرُّوضِ أَطْيَارُ
 وَدَامَ فِيكَ عُبَيْرَاتُ مَعْطَرَةٌ وَتَنْقُضِي بِكَ لِلْأَحْبَابِ أَوْطَارُ
 وَعَاشَ أَهْلُكَ فِي عِزٍّ وَفِي نَعْمٍ مَا لَاحَ نَجْمٌ عَلَى الْعَلْيَاءِ سَيَّارُ

ثم تأمل في اللوان الثالث فرأى مكتوباً في دائره باللأزورد الأزرق هذان البيتان : [من

البسيط]

بَقِيَتْ فِي الْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ يَا دَارُ مَا جَنَّ لَيْلٌ وَمَا قَدْ لَاحَ أَنْوَارُ
 فِي بَابِكَ السَّعْدُ يَأْوِي كُلَّ مَنْ دَخَلُوا وَالْخَيْرُ مِنْكَ لِمَنْ وَأَفَاكُ مِذْرَارُ

ثم تأمل في اللوان الرابع فرأى مكتوباً في دائره بالمدار الأصفر هذا البيت : [من الخفيف]

هذه رَوْضَةٌ وهذا غَدِيرٌ مَجْلِسٌ طَيْبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ

وفي تلك الروضة طيور من قرى وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته ، والصبية تمايل في حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها يفتن بها كل من رآها . ثم قالت : أيها الرجل ، ما الذي أقدمك على دار غير دارك وعلى جوار غير جواريك من غير إجازة أصحابها؟ فقال لها : يا سيدتي ، رأيت هذه الروضة فأعجبني حسن اخضرارها وفتح أزهارها وترنم أطيافها فدخلتها لاتفرج فيها ساعة من الزمان وأروح إلى حال سبيلي . فقالت له : حباً وكرامة . فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر إلى طرفها ورشاقة قدّها تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطيور . فطار عقله من ذلك وصار متحيراً في أمره وأنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

قَمْرٌ تَبَدَّى فِي بَدِيعِ مَحَاسِنِ	بَيْنَ الرِّبَا والرُّوحِ والرِّيْحَانِ
وَالْأَسْرِ وَالنَّسْرِينِ ثُمَّ بَنَفْسِحِ	فَاحَتْ رَوَائِحُهُ مِنَ الْأَغْصَانِ
يَا رَوْضَةً كَمَلْتَ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا	وَحَوَتْ جَمِيعَ الزَّهْرِ وَالْأَفْنَانِ
فَالْبَدْرُ يَجْلُو تَحْتَ ظِلِّ غُصُونِهَا	وَالطَّيْرُ تَنْشُدُ أَطْيَبَ الْأَلْحَانِ
قُمْرِيهَا وَهَزَارُهَا وَيَمَامُهَا	وَكَذَا الْبَلْبَلُ هَيَّجَتْ أَشْجَانِي
وَقَفَّ الْغَرَامُ بِمُهْجَتِي مُتَحَيِّراً	فِي حُسْنِهَا كَتَحَيَّرَ السُّكْرَانِ

فلما سمعت زين الموصف شعر مسرور ، نظرت له نظرة أعقبته ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبه وأجابته على شعره بهذه الأبيات : [من الكامل]

لَا تَرْتَجِي وَصَلَ التِّي عُلْفَتَهَا	وَأَقْطَعُ مَطَامِعِكَ التِّي أَمَلْتَهَا
وَذَرِ الَّذِي تَرْجُوهُ إِنَّكَ لَمْ تُطِقِي	صَدَّ التِّي فِي الْغَانِيَاتِ عَشِيقَتَهَا
تَجْنِي عَلَى الْعَشَاقِ الْحَاضِي وَلَمْ	يَعْظُمُ عَلَيَّ مَقَالَةٌ قَدْ قُلْتُهَا

فلما سمع مسرور كلامها تجلّد وصبر وكنم أمرها في سره وتكرّر وقال في نفسه : ما للبلبية إلا الصبر . ثم داموا على ذلك إلى أن هجم الليل ، فأمرت بحضور المائدة فحضرت بين يديهما وفيها من سائر الألوان ، من السمان وأفراخ الحمام ولحوم الضأن ، فاكلتا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت ، وحضرت آلات الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات ، فوضعت وجعل فيها شمع الكافور . ثم بعد ذلك قالت زين الموصف : والله إن صدري ضيق في هذه الليلة لأنني محمومة . فقال لها مسرور : شرح الله صدرك وكشف غمك . فقالت : يا مسرور ، أنا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئاً؟ قال : نعم أنا عارف به . فقدمته بين أيديهما وإذا هو من الأبنوس مقطّع بالعاج ، له رقعة مرقومة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنها لما أمرت بإحضار الشطرنج أحضره بين أيديهما ، فلما رآه مسرور حار فكره . فالتفتت إليه زين الموصف وقالت له : هل أنت تريد الحمر أم البيض؟ فقال : يا سيدة الملاح وزين الصباح ، خذي أنت الحمر لأنهم ملاح ولثلك أملك ودعي لي الحجارة البيض . فقالت : رضيت بذلك . فاخذت الحمر

فلما كانت الليلة
847
كانت الليلة

وصفتها مقابلة البيض ومدّت يديها إلى القطع تنقل في أول الميدان ، فنظر إلى أناملها فرآها كأنها من عجيب . فاندھش مسرور من حسن أناملها ولطف شمائلها فالتفتت إليه وقالت له : يا مسرور لا تندھش واصبر واثبت . فقال لها : يا ذات الحسن الذي فضح الأقمار إذا نظرتك المحب كيف يكون له اصطبار ؟ فيينما هو كذلك وإذا هي تقول له : الشاه مات . فغلبته عند ذلك وعلمت زين الموصف أنه بحبها مجنون فقالت له : يا مسرور ، لا لعب معك إلا برهن معلوم وقدر مفهوم . فقال لها : سمعاً وطاعة . فقالت له : إحلف لي وإحلف لك أن كلاً منا لا يغير صاحبه . فتحالفا معاً على ذلك . فقالت : يا مسرور ، إن غلبتك أخذت منك عشرة دنائير وإن غلبتني لم أعطك شيئاً . فظن أنه يغلبها فقال لها : يا سيدتي ، لا تخنثي في يمينك فإني أراك أقوى مني في اللعب . فقالت له : رضيت بذلك . وصارا يلعبان ويتسابقان بالبيادق والحفتهم بالإفراز وصفتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الأفراس ، وكان على رأس زين الموصف وشاح من الديباج الأزرق فوضعتة عن رأسها وشمّرت عن معصم كأنه عامود من نور ومرّت بكفها على القطع الحمر وقالت له : خذ حذرک . فاندھش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر إلى رشاقته ورقة معانيها فاحتار وأخذة الإنبهار ، فمدّ يده إلى البيض فراحت إلى الحمر . فقالت : يا مسرور أين عقلک ؟ الحمر لي والبيض لك . فقال لها : إن من ينظر إليك ليس يملك عقله . فلما نظرت زين الموصف إلى حاله أخذت منه البيض وأعطته الحمر فلعب بها فغلبته . ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع لها في كل مرة عشرة دنائير . فلما عرفت زين الموصف أنه مشغول بهوها قالت : يا مسرور ، ما بقيت تنال مرادک إلا إذا كنت تغلبني كما هو شرطک ، ولا بقيت أَلعب معك في كل مرة إلا بمائة دينار . فقال لها : حباً وكرامة . فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرّر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك إلى الصباح وهو لم يغلبها أبداً . فنهض قائماً على أقدامه فقالت له : ما الذي تريد يا مسرور ؟ قال : أمضي إلى منزلي وآتي بمال لعلني أبلغ آمالي . فقالت له : إفعل ما تريد بما بدا لك . فمضى إلى منزله وأتاها بالمال جميعه فلما وصل إليها أنشد هذين البيتين : [من الرجز]

رَأَيْتُ طَيْرًا قَدْ تَرَبَّى فِي الْمَنَامِ فِي رَوْضِ أَنْسِ زَهْرُهُ ذُو آبْتِسَامِ
لَكِنَّهُ لَمَّا بَدَأَ لِي صِدَّتُهُ مِنْكَ الْوَفَا تَأْوِيلُ هَذَا الْمَنَامِ

فلما حضر عندها مسرور بجميع ماله صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر أن يغلبها بلور واحد . ولم يزالا كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ماله . فلما نفذ ماله قالت له : يا مسرور ، ما الذي تريد ؟ قال : الاعبك على دكان العطاره . قالت له : كم تساوي تلك الدكان ؟ قال : خمسمائة دينار . فلعب بها خمسة أشواط فغلبته . ثم لعب معها على الجواربي والعقارات والبساتين والعمارات ، فأخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه . وبعد ذلك التفتت إليه وقالت له : هل بقي معك شيء من المال تلعب به ؟ فقال لها : وحق من أوقفتي معك في شرك المحبة ما بقت يدي تملك شيئاً من المال وغيره لا قليلاً ولا كثيراً . فقالت له : يا مسرور ، كل شيء يكون أوله رضى لا يكون آخره ندامة . فإن كنت ندمت خذ مالك واذهب عنا إلى حال سبيلك وأنا أجعلك في حل من قبلي . فقال لها مسرور : وحق من قضى علينا بهذه الأمور لو أردت أخذ روجي لكنت قليلة في رضاك فما أعشق أحداً سواك . فقالت له : يا مسرور ، حينئذ اذهب واحضر

القاضي والشهود واكتب لي جميع الاملاك والعقارات . فقال : حياً وكرامة . ثم نهض قائماً في الوقت والساعة وأتى بالقاضي والشهود وأحضرهم عندها . فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال لها : يا سيدتي ، لا اكتب الحجة إلا بشرط أن تشتري المقارات والجواري والاملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفي حيازتك . فقالت : قد اتفقنا على ذلك ، فاكتب لي حجة بأن ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل إلى ملك زين الموصف بثمان جملته كذا وكذا . فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم على ذلك وأخذت الحجة زين الموصف . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زين الموصف لما أخذت الحجة من القاضي مشتملة على أن جميع ما كان ملكاً لمسرور صار ملكاً لها . قالت له : يا مسرور ، اذهب إلى حال سبيلك . فالتفتت إليه جاريتها هبوب وقالت له : انشدنا شيئاً من الأشعار . فانشد في شأن لعب الشطرنج هذه الأبيات : [من البسيط]

فلما كانت الليلة
كانت
848
كانت
الليلة

وأشتكي الحسْرَ والشَطْرَنَجَ والنَّظْرَا
ما مثلُها في الورى أنثى ولا ذكراً
وقدّمت لي جيوشاً تغلبُ البشْرا
فبارزتني وقالت لي : خذْ الحَدْرَا
في جنح ليلٍ بهيمٍ يشبهُ الشعْرا
والوجدُ صيرَ مِنِّي الدَّمْعَ منْهَمِرا
كرتْ فأدبِرَ جيشَ البيضِ منْكَسِرا
فصارَ قلبي بِذاك السَّهْمِ منْفَطِرا
فاختَرْتُ تلكَ الجيوشَ البيضَ مُقتَمِرا
قالتْ : تصبّرْ يفكرِي أنقلُ الحَجْرَا
ولمَ أكنْ عن رِضاها أبلغُ الوطْرا
على وصالِ فتاةٍ تُشبهُ القَمْرا
على عقاري ولَكِنْ يَأْلَفُ النَّظْرَا
أعابَ الدهرِ فيما تمَّ لي وجري
هلْ شاربُ الحَمْرِ قد يصْحو إذا سَكِرا
إنْ لَانْ مِنْهَا فؤادٌ يشبهُ الحَجْرا
على الرّهانِ ولا خوفاً ولا حدْرا
حتى بقيتُ على الحالِينِ مُفتَقِرا
ولو غداً في بحارِ الوجدِ منْحَدِرا
أسيرُ شوقٍ ووجدٍ ما قضَى وطْرا

أشكو الرّمانَ وما قد حلَّ بي وجري
في حُبِّ جاريةٍ غيداءَ ناعمةٍ
ففوّقت لي سهاماً من لواحظها
حُمراً وبيضاً وفُرساناً مُصادمةً
وأهملتني إذا مرّت أناملها
لم أستطع لِحلاصِ البيضِ أنقلها
بياذقٍ ورُخوخٍ مع فرازينةٍ
لقد رمتني بسهمٍ من لواحظها
وخيرتني بين العسْكرينِ معاً
وقلتْ : هذي جيوشُ البيضِ تصلحُ لي
ولاعبتني على رهنٍ رصيتُ به
يا لهفَ قلبي ويا شوقِي ويا حزني
ما القلبُ في حرقٍ كلاً ولا أسفٍ
وصيرتُ حيرانَ مبهوتاً على وجلٍ
قالتْ : فما لك مبهوتاً فقلتُ لها :
إنسيةٌ سلبتْ عقلي بِقامتها
أطمعتْ نفسي وقلتُ اليومَ أملكها
لا زال يطمعُ قلبي في توأصلها
هل يرجعُ الصبُّ عن عشقٍ أضربَ به
فأصبحَ العبدُ لا مالٌ يُقلِّبه

فلما سمعت زين المواصف هذه الأبيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له : يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع إلى عقلك وأمض إلى حال سبيلك ، فقد أفنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك إليه . فالتفت مسرور إلى زين المواصف وقال لها : يا سيدتي ، اطلبي أي شيء ولك كل ما تطلبينه فإني أجيء به إليك واحضره بين يديك . فقالت : يا مسرور ، ما بقي معك شيء من المال ؟ فقال لها : يا منتهى الآمال ، إذا لم يكن عندي شيء من المال تساعدني الرجال . فقالت له : هل الذي يعطي يصير مستعظياً ؟ فقال لها : إن لي قرايب وأصحاباً ومهما طلبته يعطوني إياه . فقالت له : أريد منك أربع نوافح من المسك الأذفر وأربع أوناني من الغالية وأربعة أرتال من العنبر وأربعة آلاف دينار وأربعمائة حلة من اللدياج الملوكي المزركش ، فإن كنت يا مسرور تأتي بذلك الأمر أبحث لك الوصال . فقال لها : هذا عليّ هين يا مخجلة الأقمار . ثم إن مسروراً خرج من عندها ليأتيها بذلك الذي طلبته منه فأرسلت خلفه هبواً الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذين ذكروهم لها . فبينما هو يمشي في شوارع المدينة إذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد ، فوقف إلى أن لحقته فقال لها : يا هبوب ، إلى أين ذاهبة ؟ فقالت له : إن سيدتي أرسلتني خلفك من أجل كذا وكذا ، وأخبرته بما قالتها لها زين المواصف من أوله إلى آخره . فقال : والله يا هبوب إن يدي لا تملك شيئاً من المال . قالت له : فلا شيء وعدتها ؟ فقال : كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لا بد منه . فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له : يا مسرور ، طب نفساً وقر عيناً والله لا كون سبياً في اتصالك بها . ثم إنها تركته ومشت ، وما زالت ماشية إلى أن وصلت إلى سيدتها فبكت بكاء شديداً وقالت لها : يا سيدتي ، والله إنه رجل كبير المقدار محترم عند الناس . فقالت لها سيدتها : لا حيلة في قضاء الله تعالى ، إن هذا الرجل ما وجد عندنا قلباً رحيماً لأننا أخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال ، وإن ملت إلى مراده أخاف أن يشيع الأمر . فقالت لها هبوب : يا سيدتي ، ما سهل علينا حاله وأخذ ماله ، ولكن ما عندك إلا أنا وجاريتك سكوب فمن يقدر أن يتكلم منا فيك ونحن جواريك ؟ فعند ذلك أطرقت براسها إلى الأرض . فقال لها الجواري : يا سيدتي ، الراي عندنا أن ترسلي خلفه وتنعمي عليه ولا تدعيه يسأل أحداً من اللثام فما أمر السؤال . فقبلت كلام الجواري ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليه هذه الأبيات : [من الطويل]

دَنَا الْوَصْلُ يَا مَسْرُورُ فابْشِرْ بِمَا مَطَّلُ
وَلَا تَسْأَلِ الْأَنْدَالَ فِي الْمَالِ يَا فَتَى
فَمَا لَكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ جَمِيعُهُ
لَأَنْتَ ذُو صَبْرٍ وَفِيكَ حَلَاوَةٌ
فَبَادِرْ لِنَعْنَمٍ وَصَلْنَا وَلَكَ الْهَنَا
هَلُمَّ إِلَيْنَا مُسْرِعاً غَيْرَ مَبْطِئٍ
ثم إنها طوت الكتاب وأعطته لجاريتها هبوب . فاخذته ومضت به إلى مسرور فوجدته يبكي وينشد قول الشاعر : [من الطويل]

وَهَبَّ عَلَى قَلْبِي نَسِيمٌ مِنَ الْجَوَى
فَقَتَّتِ الْأَكْبَادَ مِنْ قَرَطٍ لَوْعَتِي

لَقَدْ زَادَ وَجْدِي بَعْدَ بَعْدِ أَحْبَبِي وَفَاضَتْ جَفُونِي فِي تَزَايِدِ عَبْرَتِي
وَعِنْدِي مِنَ الْأَوْهَامِ مَا إِنَّ أُنْحَ بِهِ لِيَصْمُ الْحَصَى وَالصَّخْرَ لَأَنْتَ بِسُرْعَةٍ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى مَا يَسْرُنِي وَأَحْظَى بِمَا أَرْجُوهُ مِنْ نَيْلِ بَغْيَتِي
وَتُطَوِّى لِيَالِي الصَّدِّ مِنْ بَعْدِ هَجْرَهَا وَأَبْرَأُ مِمَّا دَاخَلَ الْقَلْبَ؛ خَلَّتِي

وادرک شهرزاد الصباح فسکتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 849
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن مسروراً لما زاد به الهيام صار ينشد الأشعار وهو في غاية الشوق . فبينما هو يترنم بتلك الأبيات ويرددها إذ سمعت هبوب فطرقت عليه الباب ، فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب . فاخذه وقراه وقال لها : يا هبوب ، ما وراءك من أخبار سيدتك ؟ فقالت : يا سيدي ، إن في هذا الكتاب ما يغني عن ردّ الجواب وانت من ذوي الالباب . ففرح مسرور فرحاً شديداً وأنشد هذين البيتين : [من الكامل]

وَرَدَّ الْكِتَابُ فَسَرَّنَا مَضْمُونُهُ وَسَرَّرْتُ أَنِّي فِي الْفُؤَادِ أَصُونُهُ
وَأَزْدَدْتُ شَوْقًا عِنْدَمَا قَبَّلْتُهُ فَكَأَنَّمَا دُرُّ الْهَوَى مَكْنُونُهُ

ثم إنه كتب كتاباً جواباً لها وأعطاه لهبوب فاخذته وأتت به إلى زين الموصف . فلما وصلت إليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر أوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله بها . فقالت لها زين الموصف : يا هبوب ، إنه أبطأ عن الوصول إلينا . فقالت لها هبوب : إنه سيأتي سريعاً . فلم تستتم كلامها وإذا به قد أقبل وطرق الباب ، ففتحت له وأخذته وأجلسته عند سيدتها زين الموصف ، فسلمت عليه ورحبت به وأجلسته إلى جانبها ثم قالت لجارتها هبوب : هاتي له بدلة من أحسن ما يكون . فقامت هبوب وأتت ببدلة مذهبة فاخذتها وأفرغتها عليه وأفرغت على نفسها بدلة أيضاً من أفخر الملابس ووضعت على رأسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على السبيكة عصابة من الديقاج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت ، وأرخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج ، وأرخت شعرها كأنه الليل الداجي ، وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر . فقالت لها جارتها هبوب : الله يحفظك من العين . فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتتعطف . فأنشدت الجارية من بديع شعرها هذه الأبيات : [من الكامل]

خَجَلْتُ غُصُونُ الْبَانَ مِنْ خَطَوَاتِهَا وَسَطَّتْ عَلَى الْعُشَاقِ مِنْ لَحَظَاتِهَا
قَمَرٌ تَبَدَّى فِي غِيَابِ شِعْرِهَا كَالشَّمْسِ تُشْرِقُ فِي دُجَى وَقَرَاتِهَا
طُوبَى لِمَنْ بَاتَتْ تَلِيهِ بِحُسْنِهَا وَيَمُوتُ فِيهَا حَالِفًا بِحَيَاتِهَا

فشكرتها زين الموصف . ثم إنها أقبلت على مسرور وهي كالبدر المشهور . فلما رآها مسرور نهض قائماً على قدميه وقال : إن صدقتني ظني فما هي إنسية وإنما هي من عرايس الجنة . ثم إنها دعت بالمائدة فحضرت وإذا مكتوب على اطراف المائدة هذه الأبيات : [من البسيط]

عُجْ بِالْمَلَاعِقِ فِي رُبْعِ السَّكَارِيجِ وَلِذُنُوعِ الْقَلَايَا وَالطَّيَاهِجِ

عَلَيْهِ سُمَانَةٌ مَا زِلْتُ أَعْشَقُهَا مَعَ الْفِرَاحِ الْغَوَالِي وَالْفَرَاجِ
 اللَّهُ دَرُّ الْكَبَابِ الَّذِي يَزْهُو بِحُمْرَتِهِ وَالْبَقْلُ يُغْمَسُ فِي خَلِّ السَّكَارِجِ
 نِعْمَ الْأَرُزُّ بِالْبَانِ الْحَلِيبِ عَدَّتْ فِيهِ الْكُفُوفُ إِلَى حَدِّ الدَّمَالِجِ
 يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى لَوْتَيْنِ مِنْ سَمَكٍ لَدَى رَغِيفَيْنِ مِنْ خَبْزِ التَّوَارِجِ

ثم إنهم أكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الأنفاس وملا الكأس مسرور وقال: يا من أنا عبدها وهي سيدتي . ثم صار يترنم بإنشاد هذه الأبيات : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِعَيْنِي إِنْ تَمَلَّ لِمَالِهَا بِحُسْنِ فِتَاةٍ أَشْرَقَتْ بِجَمَالِهَا
 وَلَيْسَ لَهَا فِي عَصْرِهَا مِنْ مُشَابِهٍ لِلطُّفِّ مَعَانِيهَا وَحُسْنِ خِصَالِهَا
 وَيَحْسُدُ عُصْنُ الْبَانِ لَيْنَ قَوَامِهَا إِذَا خَطَرَتْ فِي حَلَّةٍ بَاعِنِدَالِهَا
 بِوَجْهِ مُنِيرٍ يُخَجِّلُ الْبَدْرَ فِي الدُّجَى وَفَرَقٍ حَكَى فِي النُّورِ ضَوْءَ هِلَالِهَا
 إِذَا خَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ يَعْبَقُ نَشْرُهَا نَسِيمًا يُرَى فِي سَهْلِهَا وَجِبَالِهَا

فلما فرغ مسرور من شعره قالت: يا مسرور، كل من تمسك بدينه وقد أكل خبزنا وملحننا وجب حقه علينا، فخل عنك هذه الأمور وأنا أردد عليك أملاكك وجميع ما أخذناه منك . فقال: يا سيدتي، أنت في حل مما تذكركه وإن كنت غدرت في اليمين التي بيني وبينك فانا أروح وأصير مسلماً . فقالت لها جاريتها هبوب: يا سيدتي، أنت صغيرة السن وتعرفين كثيراً، وأنا أستشفع عندك بالله العظيم فإن لم تطيعيني في أمري وتجبري خاطري لا انام الليلة عندك في الدار . فقالت لها: يا هبوب، لا يكون إلا ما تريدني، قومي جددي لنا مجلساً آخر . فنهضت الجارية هبوب وجددت مجلساً وزينته وعطرته بأحسن العطر كما تحب وتختار، وجهزت الطعام وأحضرت المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الأنفاس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين الموصف لما أمرت جاريتها هبوب بتجديد مجلس الأنس، قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الأنفاس . فقالت زين الموصف: يا مسرور، قد آن أوان اللقاء والتداني، فإن كنت لحبنا تعاني فانشد لنا شعراً بديع المعاني . فانشد مسرور هذه القصيدة: [من الطويل]

فلما كانت الليلة
 850
 كان
 ليلة
 كان

أَسِرْتُ وَفِي قَلْبِي لَهَيْبٌ تَضَرَّمَا بِحَبْلِ وَصَالٍ فِي الْفِرَاقِ تَصَرَّمَا
 أَحِبُّ فِتَاةً قَدَّ قَلْبِي قَوَامِهَا وَقَدْ سَلَبْتُ عَقْلِي بِخَدِّ تَعَمَّمَا
 لَهَا الْحَاجِبُ الْمَقْرُونُ وَالطَّرْفُ أَحْوَرُ وَتَغْرُ يُحَاكِي الْبَرْقَ حِينَ تَبَسَّمَا
 لَهَا مِنْ سِنِينَ الْعُمُرِ عَشْرٌ وَأَرْبَعُ وَدَمْعِي حَكَى فِي حُبِّ هَاتِكَ عِنْدَمَا
 فَعَايَنْتُهَا مَا بَيْنَ نَهْرٍ وَرَوْضَةٍ بِوَجْهِ يَفُوقُ الْبَدْرَ فِي أَفْقِ السَّمَا

وَقُلْتُ لَهَا شِبْهَ الْأَسِيرِ مَهَابَةً
 فَرَدَّتْ سَلَامِي عِنْدَ ذَلِكَ رَغْبَةً
 وَحِينَ رَأَتْ قَوْلِي لَدَيْهَا تَحَقَّقْتُ
 وَقَالَتْ: أَمَا هَذَا الْكَلَامُ جَهَالَةً
 فَإِنَّ تَقْبِيلِي الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ هِينٌ
 فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ الْمَرَامَ تَبَسَّمَتْ
 يَهُودِيَّةً أَقْسَى التَّهَوُّدِ دِينُهَا
 فَكَيْفَ تَرَى وَصَلِّي وَلَسْتَ بِمِلَّتِي
 أَتَلْعَبُ بِالذِّينِينَ هَلْ حُلٌّ فِي الْهَوَى
 وَتَمْضِي بِهَذَا الْأَمْرِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
 فَإِنَّ كُنْتَ تَهَوَانِي تَهَوِّدَ مَحَبَّةً
 وَتَحْلِفُ بِالْإِنْجِيلِ قَوْلًا مُحَقَّقًا
 وَأَحْلِفُ بِالتَّوْرَةِ إِيْمَانًا صَادِقٍ
 حَلَفْتُ عَلَى دِينِي وَشَرْعِي وَمَذْهَبِي
 وَقُلْتُ لَهَا: مَا الْإِسْمُ يَا غَايَةَ الْمُنَى
 فَنَادَيْتُ: يَا زَيْنَ الْمَوَاصِفِ، إِنِّي
 وَعَايَنْتُ مِنْ تَحْتِ اللَّثَامِ جَمَالَهَا
 فَمَا زِلْتُ تَحْتِ السِّتْرِ أَخْضَعُ شَاكِيًا
 فَلَمَّا رَأَتْ حَالِي وَفَرَطَ تَوَلَّيْتِي
 وَهَبَ لَنَا رِيحَ الْوِصَالِ وَعَطَّرَتْ
 وَقَدْ عَبَّتْ مِنْهَا الْأَمَاكِنُ كُلُّهَا
 وَمَالَتْ كَفُضْنَ الْبَابَ تَحْتِ غَلَائِلِ
 نَعْمَنَا جَمِيعًا وَالْقَمِيرُ سَمِيرُنَا
 وَمَا زِينَةُ الدُّنْيَا سِوَى مَنْ تُحِبُّهُ
 فَلَمَّا تَجَلَّى الصُّبْحُ قَامَتْ وَوَدَّعَتْ
 وَقَدْ أَنْشَدَتْ عِنْدَ الْوِدَاعِ وَدَمَعُهَا
 فَإِنَّ أَنْسَ مَا أَنْسَى عَهودًا قَطَعْتُهَا

وَقُلْتُ: سَلَامُ اللَّهِ يَا سَاكِنَ الْحِمَى
 يُلَطِّفُ حَدِيثٍ مِثْلَ دُرٍّ تَنْظُمًا
 مَرَامِي وَصَارَ الْقَلْبُ مِنْهَا مُصَمَّمًا
 فَقُلْتُ لَهَا: كَفَيْ عَنِ الصَّبِّ التَّلَوُّمَا
 فَمِثْلِكَ مَعْشُوقٌ وَمِثْلِي مُتَبِّمًا
 وَقَالَتْ: وَرَبُّ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا لِلنَّصَارَى مُلَازِمًا
 فَمَنْ رَامَ هَذَا الْفِعْلَ أَصْبَحَ نَادِمًا
 لِتُصْبِحَ مِثْلِي بِالْمَلَامِ مُكَلَّمًا
 وَتَبْقَى عَلَى دِينِي وَدِينِكَ، مُجْرِمًا
 وَصِيرٌ سِوَى وَصَلِّي عَلَيْكَ مُحْرَمًا
 لِتَحْفَظَ سِرِّي فِي هَوَاكَ وَتَكْتُمَا
 بِأَنِّي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ
 وَحَلَفْتُهُا مِثْلِي يَمِينًا مُعْظَمًا
 فَقَالَتْ: أَنَا زَيْنُ الْمَوَاصِفِ فِي الْحِمَى
 بِحُبِّكَ مَشْغُوفٌ فَعَيْنِي الْمَتَبِّمًا
 فَصِرْتُ كَثِيمًا سَيِّءُ الْحَالِ مُغْرَمًا
 كَثِيرٌ غَرَامٍ فِي الْفُؤَادِ تَحَكُّمًا
 جَلَّتْ لِي وَجْهًا ضَا حِكَا مُتَبَسِّمًا
 نَوَافِحُ عِطْرِ الْمِسْكِ جِيدًا وَمِعْصَمًا
 وَقَبَّلْتُ مِنْ فِيهَا رَحِيقًا وَمُبَسِّمًا
 وَحَلَلْتُ وَصَلًّا كَانَ قَبْلُ مُحْرَمًا
 بِضَمٍّ وَلَثْمٍ وَأَرْشَافٍ مِنَ اللَّمَى
 يَكُونُ قَرِيبًا مِنْكَ كَيْ تَنْتَعِمَا
 بِوَجْهِ جَمِيلٍ فَاتِقٍ قَمَرِ السَّمَاءِ
 وَدَمْعِي عَلَى الْحَدِيدِ دُرًّا مُنْظَمًا:
 وَحُسْنَ اللَّيَالِي وَالْيَمِينِ الْمُعْظَمًا

فعند ذلك طربت زين الموصف وقالت: يا مسرور، ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك .
 ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن
 أنه محال وفرح بما نال من طيب الوصال . فعند ذلك قالت له زين الموصف: يا مسرور، إن
 مالك حرام علينا حلال لك لأننا قد صرنا أجباباً . ثم إنها ردت عليه جميع ما أخذته منه من

قَالَتْ فَإِنْ كُنْتَ تَهْوَى
 أُرِيدُ مَا لَمْ أَجْزِئاً
 أُرِيدُ مِنْكَ ثِيَاباً
 وَرُبْعَ قَنْطَارِ مِسْكِ
 وَلَوْلُوّاً وَعَقِيقاً
 وَفِضَّةً وَنُضَاراً
 أَظْهَرْتُ صَبْرًا جَمِيلًا
 فَأَنْعَمْتَ لِي بِوَصْلِ
 إِنْ لَامَتِي الْغَيْرُ فِيهَا
 لَهَا شَعُورٌ طَوَالُ
 وَخَدَّهَا فِيهِ وَرَدٌّ
 وَجَفْنُهَا فِيهِ سَيْفٌ
 وَتَغْرُهَا فِيهِ خَمْرٌ
 كَأَنَّهُ عَقْدُ دُرٍّ
 وَجِيدُهَا جِيدُ ظَنِي
 وَصَدْرُهَا كَرُخَامٍ
 وَبَطْنُهَا فِيهِ طِي
 وَتَحْتَ ذَلِكَ شَيْءٌ
 مُرَبِّبٌ وَسَمِينٌ
 كَأَنَّهُ تَحْتَ مَلِكٍ
 بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ تَلْقَى
 لَكِنَّهُ فِيهِ وَصْفٌ
 لَهُ شِفَاهُ كِبَارٌ
 يَبْدُو بِحُمْرَةِ عَيْنٍ
 إِذَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ
 تَلْقَاهُ حَرًّا الْمَلَايِ
 يَرُدُّ كُلَّ شُجَاعٍ
 وَتَارَةً تَلْتَقِيهِ
 يُنْسِكُ عَنْهُ مَلِيحٌ
 كَمَثَلِ زَيْنِ الْمَوَاصِفِ
 أَتَيْتُ لَيْلًا إِلَيْهَا
 وَطَامِعًا فِي وَصَالِي
 فَوْقَ كُلِّ نَوَالٍ
 مِنَ الْحَرِيرِ غَوَالٍ
 بِرَسْمِ لَيْلِ وَصَالِي
 مِنَ النَّفِيسِ الْغَالِي
 مِنَ الْحَلِيِّ الْحَالِي
 عَلَى عَظِيمِ أَشْتِغَالِي
 فِي لَيْلَةِ ذِي هَلَالٍ
 أَقُولُ: يَا لِلرِّجَالِ
 وَاللُّونِ لَوْنُ اللَّيَالِي
 مِثْلُ اللَّطَى فِي أَشْتِعَالِ
 وَلَحْظُهَا كَالنَّبَالِ
 وَرَبْقُهَا كَالرُّزَالِ
 حَوَى نِظَامَ اللَّالِي
 مَلِيحَةٌ فِي كَمَالِ
 وَنَهْدُهَا كَالْقَلَالِي
 مُعَطَّرٌ بِالْغَوَالِي
 لَهُ أَتَتْهُ آمَالِي
 مُكَلَّمٌ يَا مَوَالِي
 عَلَيْهِ أَعْرَضُ حَالِي
 مِصَاطِبًا يَتَعَالِ
 يَذْهَبِي عَقُولَ الرِّجَالِ
 وَنُفْرَةً كَالْبِغَالِ
 وَمِشْفَرٍ كَالْجَمَالِ
 بِهَيْمَةٍ فِي الْفِعَالِ
 بِقُوَّةٍ وَحِقَالِي
 مَحْلُولِ عَزْمِ الْقِتَالِ
 يَلْحِيَةِ فِي مِطَالِ
 ذُو بَهْجَةٍ وَجَمَالِ
 مَلِيحَةٍ فِي الْكَمَالِ
 وَنَلْتُ شَيْئًا حَلَالِي

وَيْلَةَ بَيْتٍ مَعَهَا فَاقْتِ جَمِيعَ اللَّيَالِي
لَمَّا أَتَى الصُّبْحُ قَامَتْ وَوَجَّهَهَا كَالِهلالِ
تَهَيَّأَتْ مِنْهَا قَوَاماً هَزَّ الرِّمَاحَ العَوَالِي
وَوَدَّعْتَنِي وَقَالَتْ: مَتَى تَعُودُ اللَّيَالِي
فَقُلْتُ: يَا نُورَ عَيْنِي إِذَا أَرَدْتَ تَعَالِي

فطربت زين المواصف من هذه القصيدة طرباً عظيماً وحصل لها غاية الإنشراح وقالت: يا مسرور، قد دنا الصباح ولم يبقَ إلا الرواح خوفاً من الإفتضاح . فقال: حباً وكرامة . ثم نهض قائماً على قدميه وأتى بها إلى أن أوصلها إلى منزلها ومضى إلى محله وبات وهو متفكراً في محاسنها . فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، هياً لها هدية فاخرة وأتى بها إليها وجلس عندها، وأقاما على ذلك مدة أيام وهما في أرغد عيش وأهناء . ثم إنه ورد عليها في بعض الايام كتاب من عند زوجها مضمونه انه يصل إليها عن قريب . فقالت في نفسها: لا سلمه الله ولا احياء، لانه إن وصل إلينا تكدر عيشنا، يا ليتني كنت يثست منه . فلما أتى إليها مسرور جلس يتحدث معها على العادة فقالت له: يا مسرور، قد ورد علينا كتاب من عند زوجي مضمونه انه يصل إلينا من سفره عن قريب، فكيف يكون العمل؟ وما لاحد منا عن صاحبه صبر . فقال لها: لست أدري ما يكون بل أنت أخبر وأدري بأخلاق زوجك ولاسيما أنت من أعقل النساء، صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن مثله الرجال . فقالت: إنه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته، ولكن إذا قدم من سفره وسمعت بقدمه فاقدم عليه وسلم عليه واجلس إلى جانبه وقل له: يا اخي، انا رجل عطار . واشتر منه شيئاً من أنواع العطارة وتردد عليه مراراً وأطل معه الكلام ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه، فلعل ما احتال به يكون مصادفاً . فقال لها: سمعاً وطاعة . وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة . فلما وصل زوجها إلى الدار فرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه، فنظر في وجهها فرأى فيه لون الإصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء . فسألها عن حالها فذكرت له أنها مريضة من وقت ما سافر هي والجواري . وقالت له: إن قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك . وصارت تشكو إليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول: لو كان معك رفيق ما حمل قلبي هذا الهم كله، فبالله عليك يا سيدي ما بقيت تسافر إلا برفيق، ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين المواصف لما قالت لزوجها: لا تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك . قال لها: حباً وكرامة . والله إن أمرك رشيد ورايك سعيد، وحياتك على قلبي ما يكون إلا ما تريدينه . ثم إنه خرج بشيء من بضاعته إلى دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق . فبينما هو في دكانه وإذا بمسرور قد أقبل وسلم عليه وجلس إلى جانبه وصار يحميه، ومكث يتحدث معه ساعة ثم أخرج كيساً وحلته وأخرج منه ذهباً ودفعه إلى زوج زين المواصف وقال له: اعطني

فلما كانت الليلة
852
الليلة
الليلة

بهذه الدنانير شيئاً من أنواع العظارة لايّعه في دكاتني. فقال له : سمعاً وطاعة . ثم أعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردد عليه أياماً . فالتفت إليه زوج زين الموصاف وقال له : أنا مرادي رجل اشارك في المتجر . فقال له مسرور : وأنا الآخر مرادي رجل اشارك في المتجر لان أبي كان تاجراً في بلاد اليمن وخلف لي مالاً عظيماً وأنا خائف على ذهابه . فالتفت إليه زوج زين الموصاف وقال له : هل لك أن تكون رفيقاً لي وأكون لك رفيقاً وصاحباً وصديقاً في السفر والحضر واعلمك البيع والشراء والأخذ والعطاء؟ فقال له مسرور : حباً وكرامة . ثم إنه أخذه وأتى به إلى منزله وأجلسه في الدهليز ودخل إلى زوجته زين الموصاف وقال لها : إني رافقت رفيقاً ودعوته إلى الضيافة فجهّزي لنا ضيافة حسنة . فقرحت زين الموصاف وعرفت أنه مسرور ، فجهّزت وليمة فاخرة وصنعت طعاماً حسناً من فرحتها بمسرور حيث تمّ تدبير حيلتها . فلما حضر مسرور في دار زوج زين الموصاف قال : أخرجني معي إليه ورحّبي به وقولي له أنستنا . فغضبت زين الموصاف وقالت له : اتحضرني قدام رجل غريب أجنبي؟ أعوذ بالله ، ولو قطعّنتني قطعاً ما احضر قدامه . فقال لها زوجها : لأي شيء تستحيين منه وهو نصراني ونحن يهود ونصير أصحاباً؟ فقالت : أنا ما اشتهي أن احضر قدام الرجل الأجنبي الذي ما نظرتة عيني ولا اعرفه . فظن زوجها أنها صادقة في قولها ، ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلفلفت وأخذت الطعام وخرجت إلى مسرور ورحّبت به . فاطرق رأسه إلى الأرض كأنه مستحي . فنظر الرجل إلى إطراقه وقال : لا شك إن هذا زاهد . فاكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين الموصاف قبال مسرور ، فصارت تنظره وينظرها إلى أن مضى النهار . فانصرف مسرور إلى منزله والتهدت في قلبه النار . وأما زوج زين الموصاف فإنه صار متفكراً في لطف صاحبه وفي حسنه . فلما أقبل الليل قدّمت إليه زوجته طعاماً ليتعشى كعادته ، وكان عنده في الدار طير هزار إذا جلس يأكل يأتي إليه ذلك الطير ويأكل معه ويرفرف على رأسه ، وكان ذلك الطير قد ألف مسروراً فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام ، فحين غاب مسرور وحضر صاحبه فلم يعرفه ولم يقرب منه ، فصار متفكراً في أمر ذلك الطير وفي بعده عنه . وأما زين الموصاف فإنها لم تنم بل صار قلبها مشغولاً بمسرور واستمرّ ذلك الأمر إلى ثاني ليلة وثالث ليلة ، ففهم اليهودي أمرها ونقد عليها وهي مشغولة البال فانكر عليها . وفي رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج في منامها بذكر مسرور وهي نائمة في حضنه ، فانكر ذلك عليها وكنم أمره . فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكانه وجلس فيها . فبينما هو جالس وإذا بمسرور قد أقبل وسلمّ عليه فردّ عليه السلام وقال : مرحبا يا أخي . ثم قال له : إني مشتاق إليك . وجلس يتحدثّ معه ساعة زمانية ثم قال له : قم يا أخي معي إلى منزلي حتى نعقد المؤاخاة . فقال مسرور : حباً وكرامة . فلما وصلا إلى المنزل تقدّم اليهودي وأخبر زوجته بقدم مسرور وإنه يريد أن يتجر هو وإياه ويؤاخيه وقال لها : هيّئي لنا مجلساً حسناً ولا بد أنك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة . فقالت له : بالله عليك لا تحضرني قدام هذا الرجل الغريب فما لي غرض أن احضر قدامه . فسكت عنها وأمر الجوّاري أن تقدم الطعام والشراب . ثم إنه استدعى بالطير الهزار فنزل في حجر مسرور ولم يعرف صاحبه . فعند ذلك قال له : يا سيدي ما اسمك؟ قال : إسمي مسرور . والحال إن زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الإسم . ثم رفع رأسه فنظرها وهي تشير إليه وتغمزه بحاجبها فعرف أن الحيلة قد تمّت عليه

فقال : يا سيدي ، امهلني حتى آجيء بأولاد عمي يحضرون المؤاخاة . فقال له مسرور : إفعل ما بدا لك . فقام زوج زين الموصف وخرج من الدار وجاء من وراء المجلس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
853
قال
قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زوج زين الموصف قال لمسرور : امهلني حتى آجيء بأولاد عمي ليحضروا عقد المؤاخاة بيني وبينك . ثم إنه مشى وجاء من وراء المجلس ووقف ، وكان هناك طاقة تشرف عليهما فجاء إليها وصار ينظرهما منها وهما لا ينظرانه . وإذا بزین الموصف قالت لجارتيتها سكوب : أين راح سيدك ؟ قالت : إلى خارج الدار . قالت لها : إغلقني الباب ومكّنيه بالحديد ولا تفتحي له حتى يدق الباب بعد أن تخبريني . قالت لها الجارية : وهو كذلك . كل ذلك وزوجها يعاين حالهم . ثم إن زين الموصف أخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت إلى مسرور ، فقام لها وتلقاها وقال لها : والله إن ريقك أحلى من هذا الشراب . وصارت تسقيه ويسقيها ، وبعد ذلك رشته بماء الورد من فرقه إلى قدمه حتى فاحت روايحه في المجلس ، كل ذلك وزوجها ينظر اليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما ، وقد امتلأ قلبه غيظاً مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة . فأتى إلى الباب فوجده مغلقاً فطرقه طرقاً قوياً من شدة غيظه . فقالت الجارية : يا سيدي ، قد جاء سيدي . فقالت : إفتحي له الباب فلا رده الله بسلامة . فمضت سكوب إلى الباب وفتحته فقال لها : ما لك تغلقين الباب ؟ فقالت : هكذا في غيابك لم يزل مغلقاً ولا يفتح ليلاً ولا نهاراً . فقال : أحسنت فإنه يعجبني ذلك . ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم أمره وقال : يا مسرور ، دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم ونتأخى في يوم آخر غير هذا اليوم . فقال : سمعاً وطاعة إفعل ما تريد . فعند ذلك مضى مسرور إلى منزله وصار زوج زين الموصف متفكراً في أمره ولا يدري ما يصنع ، وصار خاطره في غاية التكدير . وقال في نفسه : حتى الهزار أنكرني والجواري أغلقت الأبواب في وجهي وملن إلى غيري . ثم إنه صار من شدة قهره يردد إنشاده هذه الأبيات : [من الطويل]

لَقَدْ عَاشَ مَسْرُورٌ زَمَانًا مَتَعَمًا	بِلَذَّةِ أَيَّامٍ وَعَيْشٍ تَصَرَّمًا
تُعَانِدُنِي الْأَيَّامُ فِيمَنْ أَحِبُّهُ	وَقَلْبِي بِنِيرَانٍ يَزِيدُ تَضَرُّمًا
صَفَا لَكَ دَهْرٌ بِالْمَلِيحَةِ قَدْ مَضَى	وَلَا زِلْتُ فِي ذَاكَ الْجَمَالِ مُهَيِّمًا
لَقَدْ عَايَنْتُ عَيْنَايَ حُسْنَ جَمَالِهَا	فَأَصْبَحَ قَلْبِي فِي هَوَاهَا مُتَمِيمًا
لَقَدْ طَالَمَا قَدْ أَرَشَفْتَنِي مَعَ الرُّضَى	بِعَذْبِ ثَنَائِهَا رَحِيقًا عَلَى ظَمًا
فَمَا لَكَ يَا طَيْرَ الْهَزَارِ تَرَكْتَنِي	وَصِرْتَ عَلَى الْعُدَالِ صَبْحًا مُسَلِّمًا
وَقَدْ أَبْصَرْتَ عَيْنِي أُمُورًا عَجِيبَةً	تَنْبَهُ أَجْفَانِي إِذَا كُنَّ نَوْمًا
رَأَيْتُ حَبِيبِي قَدْ أَضَاعَ مَوَدَّتِي	وَطَيْرُ هَزَارِي لَمْ يَكُنْ لِي مُحُومًا
وَحَقُّ إِلَهٍ الْعَالَمِينَ الَّذِي إِذَا	أَرَادَ قَضَاءَ فِي الْخَلِيقَةِ أَرْبَمَا
لَأَفْعَلُ مَا يَسْتَوْجِبُ الظَّالِمَ الَّذِي	بِجَهْلِهِ دَنَا مِنْ وَصْلِهَا وَتَقَدَّمَ

فلما سمعت زين الموصف شعره ارتعدت فرائصها واصفرّ لونها وقالت لجاريتها: هل سمعت هذا الشعر؟ فقالت الجارية: ما سمعته في عمري قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول. فلما تحقق زوجها أن هذا الأمر صحيح، صار يبيع في كل ما تملكه يده وقال في نفسه: إن لم أغربهما عن أوطانهما لم يرجعا عمّا هما فيه أبداً. فلما باع جميع أملاكه كتب كتاباً مزوراً ثم قرأه عليها وأدعى أن هذا الكتاب جاءه من عند أولاد عمه يتضمّن طلب زيارته لهم هو وزوجته. فقالت: وكم نقيم عندهم؟ قال: اثني عشر يوماً. فأجابته إلى ذلك وقالت له: هل آخذ معي بعض جواري؟ قال: خذي منهن هبوب وسكوب ودعي هنا خطوط. ثم هياً لهن هودجاً مليحاً وعزم على الرحيل بهن، فأرسلت زين الموصف إلى مسرور أن فات الميعاد الذي بيننا ولم نأت، فاعلم أنه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة وأبعدنا عن بعضنا، فلا تنس العهود والمواثيق التي بيننا فأني أخاف من حيله ومكره. ثم إن زوجها جهّز حاله للسفر، وأما زين الموصف فإنها صارت تبكي وتنتحب ولا يقر لها قرار في ليل ولا نهار. فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها، فلما رأت زين الموصف أن زوجها لا بد له من السفر لمت قماشها ومتاعها وأودعت جميع ذلك عند أختها وأخبرتها بما جرى لها وودّعتها وخرجت من عندها وهي تبكي، ثم رجعت إلى بيتها فرأت زوجها قد أحضر الجمال وصار يضع عليها الاحمال وهياً لزين الموصف أحسن الجمال. فلما رأت زين الموصف أنه لا بد من فراقها لمسرور تحيّرت. فاتفق أن زوجها قد خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين الموصف لما رأت زوجها أحضر الجمال وعلمت بالسفر تحيّرت. فاتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات:

فلما كانت الليلة
854
كانت الليلة

[من الطويل]

ألا يا حمّام الدارِ بلّغْ سلامنا	مِن الصَّبِّ لِلْمَحْبُوبِ عِنْدَ فِرَاقِنَا
وبلّغهُ أنّي لا أزالُ حزينَةً	نَدَمْتُ عَلَى ما كانَ مِنْ طِيبِ وَقْتِنَا
كَمَا أنّ حَبِيبِي لا يزالُ مُتِمِّمًا	حَزِينًا عَلَى ما قَدْ مَضَى مِنْ سُرُورِنَا
قَضِينَا زَمَانًا بِالْمَسْرَةِ وَالهِتَا	وَفُزْنَا بِوَصْلِ لَيْتِنَا وَنَهَارِنَا
فَلَمْ نَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَصْبَحَ صَائِحًا	عَلَيْنَا غُرَابُ البَيْنِ يَنْعَى فِرَاقِنَا
رَحَلْنَا وَخَلِينَا الدِيَارَ بِلَاقِعَ	فِيَا لَيْتِنَا لَمْ نُخَلِّ تِلْكَ الْمَسَاكِنَا

ثم أتت إلى الباب الثاني وكتبت عليه هذه الأبيات: [من الطويل]

أيا وأصلا للباب بالله فانظرا	جمال حبيبي في الدياجي وأخيرا
بأني باك إن تدكرت وصله	ولا ينفد الدمع الذي بالبكا جرى
فإن لم تجد صبرا على ما أصابني	فضع قرب أجمالي الثراب وغبرا

وسافر إلى شرق البلاد وغربها وعش صائراً فالله للأمر قدراً

ثم أتت إلى الباب الثالث وبكت بكاء شديداً وكتبت عليه هذه الأبيات : [من الطويل]

رُويَدَكَ يا مَسْرُورُ إِنْ زُرْتَ دارَها
ولا تَنسَ عَهْدَ الوُدِّ إِنْ كُنْتَ صادِقاً
فِبالهِ يا مَسْرُورُ لا تَنسَ قُربَها
ألا وأبْكَ أَيامَ الوِصالِ وطِيبِها
فَسافرِ قُصِيباتِ البِلادِ لأجلِنا
لَقَدْ ذَهَبَتْ عَنَّا لِيالي وِصالِنا
رَعَى اللهُ أَياماً مَضَتْ ما أَسْرَها
فَهَلْأَ اسْتَمَرَّتْ مِثْلَ ما كُنْتُ أرْتَجِي
فَهَلْ تُرْجِعُ الأَيامُ تَجْمَعُ شَمْلَنا
وَكُنْ عالِماً أَنَّ الأُمورَ بِكَفِّ مَنْ

ثم بكت بكاء شديداً ورجعت إلى الدار تبكي وتنتحب وصارت تتذكر ما مضى وقالت :

سبحان الله الذي حكم علينا بهذا. ثم زاد تأسفها على مفارقة الاحباب وعلى فراق الديار
وانشدت هذه الابيات : [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا مَنزِلاً خَلا
الأ يا حَمامَ الدَّارِ لا زِلْتُ نائِحاً
رُويَدَكَ يا مَسْرُورُ فابْكِ لِفَقْدِنا
وَلَوْ نَظَرْتَ عَينَكَ يَومَ رَحيلِنا
ولا تَنسَ ذاكَ العَهْدَ في ظِلِّ رَوضَةٍ
لَقَدْ قَضَيْتِ الأَيامُ فِيكَ سُرورَها
لِمَنْ فارَقَتْ أَقمارَها وِبلورَها
لَقَدْ فَقدَتْ عَينِي لِفَقْدِكَ نُورَها
وَنيرانُ قَلْبِي زادَ دَمْعِي سَعيرَها
حَوَتْ شَمْلَنا فيها وأرَخَتْ سُتورَها

ثم حضرت بين يدي زوجها فحملها على الهودج الذي صنعه لها . فلما إن صارت على ظهر

البعير أنشدت هذه الأبيات : [من الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا مَنزِلاً خَلا
فَلَيْتَ زَماني في ذُراكِ تَصَرَّمتُ
جَزِعْتُ على بُعدي وشوقِي لمَوطِنِ
فيا لَيْتَ شِعْري هلْ أرى فيهِ عَودَةَ
وَقَدْ طالَ ما زِدنا هُناكَ تَجَمُّلاً
لِياليهِ حَتَّى في الصَّبابةِ أَفتلاً
شَغِفْتُ بِهِ لَمَ أَدْرِ ما قَدْ تَحَصَّلاً
تَروقُ كَما راقَتْ لَنا فيهِ أوْلاً

فقال لها زوجها : يا زين الموصف ، لا تحزني على فراق منزلك فإنك تعودين إليه عن قريب .

وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ، ثم ساروا حتى خرجوا إلى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق
وعلمت ان الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها . كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكر في امره
وأمر محبوبته ، فحس قلبه بالفراق فنهض قائماً على قدميه من وقته وساعته وصار حتى جاء إلى

منزلها فرأى الباب مقفولاً ورأى الأبيات التي كتبها زين الموصف . فقرا ما على الباب الاول ، فلما قرأه وقع في الارض مغشياً عليه . ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الاول ودخل إلى الباب الثاني فرأى ما كتبته وكذلك الثالث . فلما قرا جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام فخرج في أثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب ، فرأها في آخره وزوجها في أوله لاجل حوايجه . فلما رأها تعلق بالهودج باكياً حزيناً من ألم الفراق وانشد هذه الأبيات : [من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ ذَنْبٍ رُمِينَا بِسِهَامِ الصُّلُودِ طُولَ السِّنِينَا
يَا مَنْى الْقَلْبِ جِئْتُ لِلدَّارِ يَوْمًا عِنْدَمَا أزدَدْتُ فِي هَوَاكِ شُجُونَا
فَرَأَيْتُ الدِّيَارَ قَفْرًا يَبَابًا فَشَكَّوْتُ النَّوَى وَزِدْتُ أُنِينَا
وَسَأَلْتُ الْجِدَارَ عَنْ كُلِّ قَصْدِي أَيْنَ رَاحُوا وَصَارَ قَلْبِي رَهِينَا
قَالَ: سَارُوا عَنِ الْمَنَازِلِ حَتَّى صَيَّرُوا الْوَجْدَ فِي الْفُؤَادِ كَمِينَا
قَدْ كَتَبْتُ عَلَى الْجِدَارِ سَطُورًا فَعَلُّ أَهْلِ الْوَقَا مِنَ الْعَالَمِينَ

فلما سمعت زين الموصف هذا الشعر علمت أنه مسرور . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 855 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن زين الموصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور . فبكت هي وجواربها ثم قالت له : يا مسرور ، سألتك بالله أن ترجع عتاً لثلاث يراك ويراني زوجي . فلما سمع مسرور ذلك غشي عليه . فلما أفاق ودعا بعضهما وانشد هذه الأبيات : [من البسيط]

نادَى الرَّجِيلُ سُحَيْرًا فِي الدُّجَى الْهَادِي قَبْلَ الصَّبَاحِ وَهَبَّتْ نَسْمَةُ النَّادِي
شَدُّوا الْمَطَايَا وَجَدُّوا فِي تَرْحُلِهِمْ وَأَسْرَعَ الرَّكْبُ لَمَّا زَمَزَمَ الْحَادِي
وَعَطَّرُوا أَرْضَهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَعَجَلُوا سَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَادِي
تَمَلَّكُوا مُهْجَتِي عِشْقًا وَقَدْ رَحَلُوا وَغَادَرُونِي عَلَى آثَارِهِمْ غَادِي
يَا جِيرَةَ مَقْصِدِي أَنْ لَا أَفَارِقَهُمْ حَتَّى بَلَّتُ الثَّرَى مِنْ دَمْعِي الْغَادِي
يَا وَبِحَ قَلْبِي وَوَيْحِي بَعْدَمَا صَنَعْتُ يَدُ الْفِرَاقِ عَلَى رُغْمِي بِأَكْبَادِي

وما زال مسرور ملازمًا للركب وهو يبكي وينتحب وهي تستعطفه في أن يرجع قبل الصباح خشية الإفتضاح . فتقدم إلى الهودج وودعها ثاني مرة وغشي عليه ساعة زمانية ، فلما أفاق وجدهم سائرين . فالتفت نحو سيرهم وشم ريح القبول وصرل يترنم بإنشاد هذه الأبيات : [من الكامل]

مَا هَبَّ رِيحُ الْقُرْبِ لِلْمُشْتَاقِ إِلَّا شَكَا مِنْ لَوْعَةِ الْأَشْوَاقِ
هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسْمَةُ سِحْرِيَّةٍ مَا فَاقَ إِلَّا وَهْوَى فِي الْأَفَاقِ
مُلْقَى عَلَى فُرُشِ السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى يَبْكِي الدَّمَاءَ بِدَمْعِهِ الْمُهْرَاقِ

مِنْ جَبْرَةَ رَحَلُوا وَقَلْبِي وَخَطْنُ
بَيْنَ الرُّكَّابِ يُسَاقُ بِالسَّوَابِقِ
إِلَّا وَقَفْتُ لَهَا عَلَى الْأَحْدَاقِ
وَاللَّهِ مَا فِي الْقُرْبِ هَبَّتْ نَسْمَةٌ

ثم رجع مسرور إلى الدار وهو في غاية الإشتياق فرآها خالية من الاطناب موحشة من الاحباب، فبكى حتى بل الثياب وغشي عليه وكادت أن تخرج روحه من جسده. فلما أفاق انشد هذين البيتين: [من الكامل]

يَا رَبِّعُ رِقًّا لِدَلَّتِي وَخَضَوَعِي
وَأَنْشُرْ إِلَيْنَا مِنْ عَيْبِ نَسِيمِهِمْ
وَتُحَوِّلِ جِسْمِي وَأَنْهَمَالِ دُمُوعِي
أَرْجَا لِتَشْفِي خَاطِرِي الْمَوْجُوعِ

فلما رجع مسرور إلى منزله صار متحيراً من أجل ذلك باكي العين، ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام. هذا ما كان من أمر مسرور. وأما ما كان من أمر زين الموصف فإنها عرفت أن الحيلة قد تمت عليها، فإن زوجها ما زال سائراً بها مدة عشرة أيام ثم أنزلها في بعض المدن. فكتبت زين الموصف كتاباً لمسرور ونولته لجاريتها هبوب وقالت: أرسلني هذا الكتاب إلى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف غدر بنا اليهودي. فاخذت الجارية منها الكتاب وأرسلته إلى مسرور، فلما وصل إليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتاباً وأرسله إلى زين الموصف وختمه بهذين البيتين: [من البسيط]

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى أَبْوَابِ سُلُوانٍ
مَا كَانَ أَطْيَبَ أَوْقَاتٍ لَهُمْ سَلَفَتْ
وَكَيْفَ يَسْأَلُو الَّذِي فِي حَرِّ نِيرَانٍ
فَلَيْتَ مِنْهَا لَدُنَا بَعْضُ أَحْيَانٍ

فلما وصل الكتاب إلى زين الموصف أخذته وقراته وأعطته لجاريتها هبوب وقالت لها: اكنمي خبره. فعلم زوجها أنها يتراسلان، فاخذ زين الموصف وجواربها وسافر بهن مسافة عشرين يوماً ثم نزل بهن في بعض المدن. هذا ما كان من أمر زين الموصف. وأما ما كان من أمر مسرور فإنه صار لا يهتأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اصطبار. ولم يزل كذلك إذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في المنام أن زين الموصف قد جاءت إليه في الروضة وصارت تعانقه، فانتبه من نومه فلم يرها. فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه في غاية الولوج فانشد هذه الأبيات: [من الطويل]

سَلَامٌ عَلَى مَنْ زَارَ فِي النَّوْمِ طَيْفَهَا
وَقَدْ قُمْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَنَامِ مَوْلِعَا
فَهَلْ تَصْدُقُ الْأَحْلَامُ فِيمَنْ أَحْبَهُ
فَطَوَّرَا نَعَاطِيئِي وَطَوَّرَا تَضَمُّنِي
وَلَمَّا تَقَضَيْتُ فِي الْمَنَامِ عِتَابُنَا
رَشَقْتُ رَضَاباً مِنْ لَمَاهَا كَانَهُ
عَجِبْتُ لِمَا لَقَدْ كَانَ فِي النَّوْمِ بَيْنَنَا
وَقَدْ قُمْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَنَامِ وَلَمْ أَحْجِدْ
فَهَيَّجَ أَشْوَاكِي وَزَادَ غَرَامِي
بِرُؤْيَةِ طَيْفِ زَارَتِي بِمَنَامِي
وَتَشْفِي غَلِيلِي فِي الْهَوَى وَسَقَامِي
وَطَوَّرَا ثَوَاسِينِي بِعَلِيْبِ كَلَامِ
وَصَارَتْ عَيْبُونِي بِالْدُمُوعِ دَوَامِي
رَحِيْقٌ أَرَى رِيَاءَهُ مِسْكَ خِتَامِ
وَقَدْ نِلْتُ مِنْهَا مَنِيئِي وَمَرَامِي
مِنْ الْعَلِيْبِ إِلَّا لَوْعَتِي وَغَرَامِي

فَأَصْبَحْتُ كَالْمَجْتُونِ حِينَ رَأَيْتَهَا
أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بِاللَّهِ بَلَّغِي
وَأَمْسَيْتُ سَكَرَانًا بِغَيْرِ مُدَامٍ
قَوْلِي لَهُمْ ذَاكَ الَّذِي تَعْهَدُونَهُ

ثم إنه توجه إلى منزلها وما زال يبكي حتى وصل إليه، فنظر إلى المكان فوجده خالياً ورأى خيالها يلوح قدامه وكان شخصها أمامه، فاشتعلت نيرانه وزادت أحزانه ووقع مغشياً عليه .
وإدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة :
قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن مسروراً لما رأى في المنام زين
المواصف وهي تعانقه فرح غاية الفرح ، ثم انتبه من النوم وراح إلى
دارها فرأى الدار خالية، فزادت أحزانه ووقع مغشياً عليه . فلما أفاق
جعل ينشد هذه الأبيات :
[من الطويل]

856

تَشَقَّقْتُ مِنْهُمْ فَانْحَ الْعِطْرِ وَالْبَانِ
أَعَالِجُ أَشْوَاقِي كَثِيبًا مَتِيماً
فَرُحْتُ بِقَلْبٍ زَائِدِ الْوَجْدِ وَلَهَانِ
بِرَبْعِ خَلَاعٍ حَسَنٍ أَنْسِي وَخِلَانِي
فَأَمْرَضَنِي بِالْيَبِينِ وَالْوَجْدِ وَالْأَسَى
وَذَكَّرَنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ بِخِلَانِي

فلما فرغ من شعره سمع غرباً ينطق على جانب الدار . فبكى وقال : سبحان الله لا ينطق
الغرب إلا على الدار الخراب . ثم تحسرت وتنهَّد وأنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

مَا لِلْغُرَابِ بِدَارِ الْحُبِّ يَبْكِيهَا
عَلَى زَمَانٍ تَقْضِي فِي مَحَبَّتِهِمْ
وَالنَّارُ تَحْرُقُ أَحْشَائِي وَتَكْوِيهَا
قَدْ رَاحَ قَلْبِي ضِياعاً فِي مَهَابِهَا
أَمْوتُ وَجَدًّا وَنَارُ الشُّوقِ فِي كَيْدِي
وَأَكْتُبُ الكُتُبَ مَا لِي مَنْ يُؤَدِّيهَا
وَأَحْسَرْتَنِي لِضَنْيِ جِسْمِي وَقَدَّرَ حَلَّتْ
حَبِيبِي، يَا تَرَى تَأْتِي لِيَالِهَا
فِيَا نَسِيمُ الصَّبَا إِنْ زُرْتَهَا سَحَرًا
سَلِّمْ عَلَيْهَا وَقِفْ بِالْدارِ حَبِيبِهَا

وقد كان لزين المواصف أخت تسمى نسيماً وكانت تنظر إليه من مكان عال . فلما رآته على
تلك الحالة بكى وتحسرت وأنشدت هذه الأبيات : [من البسيط]

كَمْ ذَا التَّرَدُّدِ فِي الْأَوْطَانِ تَبْكِيهَا
كَانَ السُّرُورُ بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ رَحَلَتْ
وَالدَّارُ تَنْدُبُ بِالْأَحْزَانِ بَانِيهَا
سُكَّانُهَا وَشُمُوسُ أَشْرَقَتْ فِيهَا
أَيْنَ الْبُدُورِ الَّتِي كَانَتْ طَوَالِعَةَ
مَحَتْ صُرُوفُ الرَّدَى أَبْهَى مَعَانِيهَا
دَعُ مَا مَضَى مِنْ مِلَاحٍ كُنْتُ نَالَفُهَا
وَأَنْظُرُ عَسَى تَرْجِعُ الْأَيَّامُ تَبْدِيهَا
لَوْلَاكَ مَا رَحَلَتْ سُكَّانُهَا أَبَدًا
وَلَا رَأَيْتَ غُرَابًا فِي أَعَالِيهَا

فبكى مسرور بكاء شديداً لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام . وكانت أختها تعرف ما
هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له : بالله عليك يا مسرور، كف عن هذا
المنزل لئلا يشعر بك أحد فيظن أنك تأتي من اجلي لأنك رحلت أختي وتريد أن ترحلني أنا

الآخري، وأنت تعرف أنه لولا أنت ما تخلت الديار من سكانها . فتسلى عنها وتركها فقد مضى ما مضى . فلما سمع مسرور ذلك من اختها بكى بكاء شديداً وقال لها : يا نسيم ، لو قدرت أن اطيّر لطرت شوقاً إليها فكيف أتسلى عنها؟ فقالت : ما لك حيلة إلا الصبر . فقال لها : سألتك بالله أن تكتبي لها كتاباً من عندك وتردّي لنا جواباً لطيب خاطري وتنظفي النار التي في ضمائري . فقالت : حباً وكرامة . ثم أخذت دواة وقرطاساً وصار مسرور يصف لها شدة شوقه وما يكابده من ألم الفراق ويقول : إن هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذي لا يقر له قرار في ليل ولا في نهار بل يبكي بدموع غزار ، قد قرّحت الدموع اجفانه وأضرمت في كبده أحزانه وطال تأسفه وكثر قلقه مثل طير فقد إلفه وعجّل تلفه . فيا أسفي من مفارقتك ويا لهفي على معاشرتك . لقد ضرّ جسمي التحول ودمعي صار في همول وضائق عليّ الجبال والسهول فأمسيت من فرط وجدي أقول : [من الكامل]

وَجَدِي عَلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ بَاقٍ
وَبَعْنَتْ نَحْوَكُمْ حَدِيثَ صَبَابَتِي
وَعَلَى رَحِيلِكُمْ وَبَعْدَ دِيَارِكُمْ
يَا حَادِي الْأَطْعَانِ عَرَجَ بِالْحِمَى
وَأَقْرَأُ سَلَامِي لِلْحَبِيبِ وَقُلْتُ لَهُ:
أَوْدَى الزَّمَانُ بِهِ فَشَتَّتَ شَمْلَهُ
بَلَّغْ لَهُمْ وَجَدِي وَشِدَّةَ لَوْعَتِي
فَسَمّاً بِحُبِّكُمْ يَمِيناً إِنِّي
مَا مَلْتُ قَطُّ وَلَا سَلَوْتُ هَوَاكُمُ
فَعَلَيْكُمْ مِنِّي السَّلَامُ تَحِيَّةً

زَادَتْ إِلَى سَكَّانِهَا أَشْوَاقِي
وَبِكَاسِ حُبِّكُمْو سَقَانِي السَّاقِي
جَرَّتِ الْجُفُونُ بِدَمْعِهَا الْمُهْرَاقِ
فَالْقَلْبُ مِنِّي زَائِدُ الْإِحْرَاقِ
مَا إِنَّ لَهُ غَيْرُ اللَّمَمِ مِنْ رَاقٍ
وَرَمَى حُشَاشَتَهُ بِسَهْمِ فِرَاقٍ
مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِمْ وَمَا أَنَا لَاقٍ
أَوْفِي لَكُمْ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ
كَيْفَ السَّلْوُ لِعَاشِقٍ مُشْتَاقٍ
مَمْرُوجَةٌ بِالْمِسْكِ فِي الْأَوْرَاقِ

فتعجبت اختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة أشعاره، فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الأدفر وبخثرته بالندب والعنبر وأوصلته إلى بعض التجار وقالت له : لا تسلّم هذا إلا لاختي أو جاريتها هبوب . فقال : حباً وكرامة . فلما وصل الكتاب إلى زين الموصاف عرفت أنه من إملاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه، فقبلته ووضعته على عينيها وأجرت الدموع من جفنيها، ولم تزل تبكي حتى غشي عليها . فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هي فيه من الحنين إلى الأحباب، وشكت حالها إليه وما نالها من الوجد عليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن زين الموصاف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه : إن هذا كتاب إلى سيدي ومالك رقي ومولاي وصاحب سري ونجواي . أما بعد فقد أقلتني السهر وزاد بي الفكر وما لي على بعدك مصطبر، يا من حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلتني والوجد أهلكني، وكيف لا أكون كذلك وأنا مع الهالكين . فيا بهجة الدنيا وزينة الحياة هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كاسه؟ لأنه لا هو مع

فلما كانت الليلة
857
الليلة

الاحياء ولا مع الاموات . ثم انشدت هذه الابيات : [من الطويل]

كِتَابُكَ يَا مَسْرُورُ قَدْ هَيَّجَ الْبَلَوَى قَوْلَهُ مَا لِي عَنكَ صَبْرٌ وَلَا سَلْوَى
وَلَمَّا قَرَأْتُ الْخَطَّ حَنَنْتُ جَوَارِحِي وَمِنْ مَاءِ دَمْعِي وَالْجَوَى لَمْ أَزَلْ أَرْوَى
فَلَوْ كُنْتُ طَيْرًا طَرْتُ فِي جَنَحِ لَيْلَةٍ فَلَمْ أَذِرْ طَعْمَ الْمَنِّ بَعْدَكَ وَالسَّلْوَى
حَرَامٌ عَلَيَّ الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِ بَعْدِكُمْ فَإِنِّي عَلَى حَرِّ التَّفَرُّقِ لَا أَقْوَى

ثم تريت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وارسلته مع بعض التجار وقالت له : لا تسلمه إلا لاختي نسيم . فلما وصل إلى اختها نسيم أوصلته إلى مسرور ، فقبله ووضع على عينيه وبكى حتى غشي عليه . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر زوج زين الموصف فإنه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها ويجاريتها من محل إلى محل . فقالت له زين الموصف : سبحان الله ، إلى أين تسير بنا وتبعدنا عن الأوطان ؟ قال : إلى أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل إليكن مراسلات من مسرور وانظر كيف اخذتن جميع مالي واعطيته لمسرور ؟ فكل شيء ضاع لي أخذه منكن وانظر هل ينفعكن مسروراً ويقدر على خلاصكن من يدي ؟ ثم إنه مضى إلى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد وأتى بها إليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثياباً من الشعر وصار يبخرها بالكبريت ثم جاء إليهن بالحداد وقال له : ضع هذه القيود في رجل هؤلاء الجواري ، فأول ما قدم زين الموصف . فلما رآها الحداد غاب صوابه وعض على أنامله وطار عقله من راسه وزاد غرامه وقال لليهودي : ما ذنب هؤلاء الجواري ؟ فقال : إنهن جواري وسرقن مالي وهربن مني . فقال له الحداد : خيب الله ظنك ، والله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة وأذنت كل يوم ألف ذنب لا يؤاخذها وأيضاً لا يظهر عليها علامة السرقة ولا يقدر على وضع الحديد في رجلها . ثم سأله أن لا يقيدها وصار يستشفع عنده في عدم تقييدها . فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودي : سألتك بالله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب . فقال لها : وكيف خرجت قدام مسرور ؟ فلم ترد له جواباً . ثم قبل شفاعة الحداد ووضع في رجلها قيداً صغيراً وقيد الجواري بالقيود الثقيلة . وكان لزين الموصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة ، فلم تزل لابساً ثياب الشعر هي وجواريتها ليلاً ونهاراً إلى أن انتحلت جسومهن وتغيرت ألوانهن . وأما الحداد فإنه وقع في قلبه لزين الموصف عشق عظيم . فسار إلى منزله وهو بأشد الحسرات وجعل ينشد هذه الأبيات : [من البسيط]

شَلَّتْ يَمِينُكَ يَا قَيْنُ بِمَا وَكَّتُ تَلِكَ الْقِيُودُ عَلَى الْأَقْدَامِ وَالْعَصَبِ
قَيَّدْتَ أَقْدَامَ مَوْلَاةٍ مُتَعَمَّةٍ أَنْبَسَةَ خُلِقْتُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
لَوْ كُنْتُ تُنْصِفُ مَا كَانَتْ خَلَاخِلُهَا مِنْ الْحَدِيدِ وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الذَّهَبِ
وَلَوْ رَأَى حُسْنَهَا قَاضِي الْقُضَاةِ رَأَى لَهَا وَأَجْلَسَهَا تَيْهًا عَلَى الرَّكْبِ

وكان قاضي القضاة ماراً على دار الحداد وهو يترتم بإنشاد هذه الأبيات . فأرسل إليه ، فلما حضر قال : يا حداد ، من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها ؟ فنهض الحداد قائماً على قدميه بين يدي القاضي وقبل يده وقال : ادام الله أيام مولانا القاضي وفسح في عمره ، إنها جارية

صفتها كذا وكذا. وصار يصف له الجارية وما هي فيه من الحسن والجمال والقد والإعتدال والظرف والكمال، بوجه جميل وخصر نحيل وردق ثقيل. ثم أخبره بما هي فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد. فقال القاضي: يا حداد، دلها علينا وأوصلها إلينا حتى نأخذ لها حقها لأن هذه الجارية صارت متعلقة بريقتك، وإن كنت لا تدلها علينا فإن الله يجازيك يوم القيامة. فقال الحداد: سمعاً وطاعة. ثم إنه توجه من وقته وساعته إلى دار زين الموصف فوجد الباب مغلقاً وسمع كلاماً رخيماً من كبد حزين. فإن زين الموصف كانت في ذلك الوقت تشد هذه الآيات: [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ فِي وَطَنِي وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ وَالْحُبُّ يَمْلَأُ لِي بِالصَّفْوِ أَقْداحًا
 دَارَتْ عَلَيْنَا بِمَا نَهَوَاهُ مِنْ طَرْبٍ فَلَيْسَ تَنْكِرُ إِسْمَاءَ وَإِصْباحًا
 لَقَدْ قَضَيْنَا زَمَانًا كَانَ يُنْعَشِنَا كَلْسًا وَعُودًا وَقَانُونًا وَأَفْرَاحًا
 فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ الْفِتْنَا وَالْحُبُّ وَلَّى وَوَقْتُ الصَّفْوِ قَدْ راحَ
 فَلَيْتَ عَنَّا غُرَابَ الْبَيْنِ مُنْزَجِرٌ وَلَيْتَ فَجَرَ وَصَالِي فِي الْهَوَى لَاحَ

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام، بكى بدمع كدمع الغمام. ثم طرق الباب عليهن. فقلن: من بالباب؟ فقال لهن: أنا الحداد. ثم أخبرهن بما قال القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه حتى يخلص لهن حقهن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 858
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الحداد لما أخبر زين الموصف بكلام القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه ويقتصر لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن. قالت للحداد: كيف نروح إليه والباب مغلق علينا والقيود في أرجلنا والمفاتيح مع اليهودي؟ قال لهن الحداد: أنا أعمل للأقفال مفاتيح وافتح بها الباب والقيود. قالت: فمن يعرفنا بيت القاضي؟ فقال الحداد: أنا أصفه لكن. فقالت زين الموصف: وكيف نمضي عند القاضي ونحن لابسات ثياب الشعر المبخرة بالكبيريت؟ فقال لهن الحداد: إن القاضي لا يعيكن وأنتن في هذه الحالة. ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح للأقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من أرجلهن وأخرجهن ودلهن على بيت القاضي. ثم إن جاريتها هبوب نزعته ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها إلى الحمام وغسلتها وألبستها ثياب الحرير فرجع لونها إليها. ومن تمام السعادة أن زوجها كان في وليمة عند بعض التجار، فتزينت زين الموصف بأحسن الزينة ومضت إلى بيت القاضي. فلما نظرها القاضي وقف قائماً على قدميه، فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ ورشقة في ضمن ذلك بسهام الألفاظ وقالت له: أدام الله مولانا القاضي وأيد به المتقاضي. ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الأجواد وبما صنع بها اليهودي من العذاب الذي يدهش الألباب، وأخبرته أنه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فككك. فقال القاضي: يا جارية ما اسمك؟ قالت: إسمي زين الموصف وجاريتي هذه إسمها هبوب. فقال لها القاضي: إن اسمك وافق اسمها وطلبت لفظه

معناه . فتبسّمت ولقّت وجهها فقال لها القاضي : يا زين الموصف ، الك بعل ام لا ؟ قالت : ما لي بعل . قال : وما دينك ؟ قالت : ديني الإسلام وملة خير الآنام . فقال لها : أقسمي بالشرعية ذات الآيات والعبر أنك على ملة خير البشر . فاقسمت له وتشهدت . فقال لها القاضي : كيف انقضى شبابك مع هذا اليهودي ؟ فقالت : أعلم أيها القاضي أدام الله أيامك بالتراضي وبلغك آمالك وختم بالصالحات أعمالك ، إن أبي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر ألف دينار وجعلها في يد هذا اليهودي ليتجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة الشرعية . فعندما مات أبي طمع اليهودي فيّ وطلبني من أمي ليتزوج بي . فقالت له أمي : كيف أخرجها من دينها وأجعلها يهودية ، فوالله لأعرفن الدولة بك . فخاف ذلك اليهودي من كلامها وأخذ المال وهرب إلى مدينة عدن ، وعندما سمعنا به أنه في مدينة عدن جئنا في طلبه . فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر في البضائع ويشترى بضاعة بعد بضاعة فصدقناه . فلم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا أشد العذاب ، ونحن غرباء وما لنا معين إلا الله تعالى ومولانا القاضي . فلما سمع القاضي هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب : هل هذه سيدتك وأنتن غرباء وليس لها بعل ؟ قالت : نعم . قال : زوجيني بها ، وأنا بلزمني العتق والصيام والحج والصدقة إن لم أخلص لكن حقك من هذا الكلب بعد أن أجازيه بما فعل . فقالت هبوب : لك السمع والطاعة . فقال القاضي : روعي طيبي قلبك وقلب سيدتك وفي غد إن شاء الله تعالى أرسل إلى هذا الكافر وأخلص لكن حقك منه وتنظرين العجب في عذابه . فدعت له الجارية وانصرفت من عنده وخلته في كرب وهيام وشوق وغرام . وبعد أن انصرفت من عنده هي وسيدتها سألتا على دار القاضي الثاني فدلوها عليه . فلما حضرنا لديه أعلمتاه بذلك . وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت أمرها إلى القضاة الأربعة وكل واحد يسألها أن تتزوج به فتقول له : نعم . ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ، ولم يعلم اليهودي بشيء من ذلك لأنه كان في دار الوليمة . فلما أصبح الصباح ، نهضت جاريتها وأفرغت عليها حلة من أفخر الملابس ودخلت بها على القضاة الأربعة في مجلس الحكم . فلما رأت القضاة حاضرين أسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلّمت عليهم فردّوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم . وكان بعضهم يكتب فوق القلم من يده ، وبعضهم كان يتحدث فتلجج لسانه ، وبعضهم كان يحسب فغلط في حسابه . فعند ذلك قالوا لها : يا ظريفة الخصال ، لا يكن قلبك إلا طيباً فلا بد من أن نخلص لك حقك ونبليغك مرادك . فدعت لهم ثم ودّعتهم وانصرفت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القضاة قالوا لزين الموصف : يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال ، لا يكن قلبك إلا طيباً بقضاء غرضك وبلوغ مرادك . فدعت لهم ثم ودّعتهم وانصرفت . هذا كله واليهودي مقيم عند أصحابه في الوليمة وليس له علم بذلك ، وصارت زين الموصف تدعو ولاة الأحكام وأرباب الأقاليم لينصروها على هذا الكافر

فلما كانت الليلة
من
الليلة
859
الليلة

المرتاب ويخلصوها من أليم العذاب . ثم بكت وأنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

يا عَيْنُ سِحِّي الدَّمْعَ كَالطُّوفَانِ
 مِنْ بَعْدِ نَبِيِّي لِلْحَرِيرِ مُطَرَّرًا
 قَدْ صَارَ كِبْرِيئًا بِخُورِ مَلَايِسِي
 لَوْ كُنْتُ يَا مَسْرُورُ تَعْلَمُ حَالَنَا
 وَهُبُوبِي فِي قَيْدِ الْحَدِيدِ أَسِيرَةً
 وَزَهْدَتُ أَحْوَالِ الْيَهُودِ وَدِينَهُمْ
 وَسَجَدَتُ لِلرَّحْمَنِ سَجْدَةَ مُسْلِمٍ
 مَسْرُورُ لَا تَنْسَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا
 أَبَدَلْتُ دِينِي فِي هَوَاكَ وَإِنِّي
 بَادِرُ إِلَيْنَا إِنْ حَفِظْتَ وَدَادَنَا
 فَعَسَى بِدَمْعِي تَنْطَفِي أَحْزَانِي
 أَضْحَى لِبَاسِي مَلْبَسُ الرَّهْبَانِ
 شَتَّانَ بَيْنَ النَّدَى وَالرَّيْحَانِ
 مَا كُنْتُ تَرْضَى ذَلَّتِي وَهَوَانِي
 مَعَ كَافِرٍ بِالوَاحِدِ الدِّيَانِ
 وَالْيَوْمَ دِينِي أَشْرَفُ الْأَدْيَانِ
 وَتَبِعْتُ شَرْعَ مُحَمَّدٍ بَيَانِ
 وَأَحْفَظُ وَثِيقَ الْعَهْدِ وَالْإِيمَانِ
 مِنْ فَرْطِ حَبِي لَمْ يَزَلْ كِتْمَانِي
 حَفِظَ الْكِرَامَ وَلَا تَكُنْ مُتَوَانِي

ثم إنها كتبت كتاباً يتضمن جميع ما عمله معها اليهودي من الأول إلى الآخر وسطرت فيه هذه الأشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها: احفظي هذا الكتاب في جيبيك حتى نرسله إلى مسرور. فبينما هما كذلك وإذا باليهودي قد دخل عليهما فرأهما فرحانتين. فقال: مالي أراكما فرحانتين؟ هل جاءكما كتاب من عند صديقكما مسرور؟ فقالت له زين الموصف: نحن ما لنا معين عليك إلا الله سبحانه وتعالى فإنه هو الذي يخلصنا من جورك، وإن لم تردنا إلى بلادنا وأوطاننا فنحن في غد نترافع وإياك إلى حاكم هذه المدينة وقاضيها. فقال اليهودي: ومن خلص القيود من أرجلكما؟ ولكن لا بد أن أصنع لكل واحدة منكن قيلاً قدره عشرة أرتال وأطوف بكن حول المدينة. فقالت له هبوب: جميع ما نويته لنا تقع فيه إن شاء الله كما أبعدتنا عن أوطاننا وفي غد نقف وإياك قدام حاكم المدينة. واستمروا على ذلك إلى الصباح، ثم نهض اليهودي وجاء إلى الحداد ليصنع قيوداً لهم، فعند ذلك قامت زين الموصف هي وجواربها وأتت إلى دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة، فسلمت عليهم فردّ عليها جميع القضاة السلام. ثم قال قاضي القضاة لمن حوله: إن هذه الجارية زهراوية وكل من رآها حببها وخضع لحسنها وجمالها. ثم إن القاضي أرسل معها من الرسل أربعة وكانوا أشرفاً وقال لهم: احضروا غريمها في أسوأ حال. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر اليهودي، فإنه لما صنع لهم القيود توجه إلى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار في أمره. فبينما هو كذلك وإذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضرباً شديداً وجروه سحياً على وجهه حتى أتوا به إلى القاضي. فلما رآه القاضي صرخ في وجهه وقال: ويلك يا عدو الله، هل وصل من أمرك أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهم وسرقت مالهن وتريد أن تجعلنهم يهوداً؟ فكيف تريد تكفير المسلمين؟ فقال اليهودي: يا مولاي، إن هذه زوجتي. فلما سمع القضاة منه ذلك الكلام صاحوا كلهم وقالوا: ارموا هذا الكلب على الأرض وانزلوا على وجهه بنعالكم واضربوه ضرباً وجيعاً فإن ذنبه لا يغفر. فنزعوا عنه ثيابه الحرير والبسوة ثياباً من الشعر والقوه على الأرض ومنتفوا لحيته وضربوه ضرباً وجيعاً على وجهه بالنعال ثم أركبوه على حمار وجعلوا وجهه إلى كفله وأمسكوه ذيل الحمار في يده وطافوا به

حول المدينة حتى جرسوه في سائر البلد ثم عادوا به إلى القاضي وهو في ذلّ عظيم ، فحكم عليه القضاة الأربعة بأن تقطع يده ورجلاه وبعد ذلك يصلب . فاندھش الملعون من ذلك القول وغاب عقله وقال : يا سادات القضاة ، ما تريدون مني ؟ فقالوا له : قل إن هذه الجارية ما هي زوجتي وإن المال مالها وأنا تعدّيت عليها وشتتها عن أوطانها . فأقرّ بذلك وكتبوا بإقراره حجة واخذوا منه المال ودفعوه إلى زين الموصف وأعطوها الحجة وخرجت ، فصار كل من رأى حسنها وجمالها متحيراً في عقله ، وقد ظنّ كل واحد من القضاة أنها يؤول أمرها إليه . فلما وصلت إلى منزلها جهّزت أمرها من جميع ما تحتاج إليه وصبرت إلى أن دخل الليل ، فأخذت ما خفّ حملها وغلا ثمنه وسارت هي وجواربها في ظلام الليل ، ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام لباليها . هذا ما كان من أمر زين الموصف . وأما ما كان من أمر القضاة فإنهم بعد ذهابها أمروا بحبس اليهودي زوجها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 860 □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القضاة أمروا بحبس اليهودي زوج زين الموصف . فلما أصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون أن تحضر عندهم زين الموصف فلم تحضر عند أحد منهم . ثم إن القاضي الذي ذهب إليه أولاً قال : أنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لأن لي حاجة هناك . ثم ركب بغلته وأخذ غلامه وصار يطوف في أزقة المدينة طويلاً وعرضاً ويفتش على زين الموصف فلم يقع لها على خبر . فبينما هو كذلك إذ وجد باقي القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن أنه ليس بينها وبين غيره ميعاد . فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في أزقة المدينة فأخبروه بشأنهم ، فرأى حالهم كحالهم وسألهم كسؤاله . ثم صار الجميع يفتشون عليها فلم يقموا لها على خبر ، فانصرف كل واحد منهم إلى منزله مريضاً ورقدوا على فرش الضنى . ثم إن قاضي القضاة تذكّر الحداد فأرسل إليه . فلما حضر بين يديه قال : يا حداد ، هل تعرف شيئاً من خبر الجارية التي دللتها علينا ؟ فوالله إن لم تطلعني عليها إلا ضربتك بالسياط . فلما سمع الحداد كلام القاضي أنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

إِنَّ الَّتِي مَلَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَلَكَتْ مَجَامِعَ الْحُسْنِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ حَسَنًا
رَتَّتْ غَزَالًا وَقَاحَتْ عَنَبْرًا وَبَدَتْ شَمْسًا وَمَاجَتْ غَدِيرًا وَأَثْنَتْ غُصْنَا

ثم إن الحداد قال : والله يا مولاي من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني أبداً ، وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي ، وقد مضيت إلى منزلها فلم أجدها ولم أرَ أحداً يخبرني عن شأنها ، فكانها غطست في قرار الماء أو عرج بها إلى السماء . فلما سمع القاضي كلامه شفق شهقة كادت روحه أن تخرج منها وقال : والله ما كان لنا حاجة برؤيتها . فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من أجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الأربعة ، وصارت الحكماء تتردّد عليهم وما بهم من مرض يحتاج إلى الطبيب . ثم إن وجهاء الناس دخلوا على القاضي الأول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله . فتشهد وبأخ بما في ضميره وأنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

وَأَسْتَعْذِرُوا قَاضِيًا يَقْضِي عَلَى الْأَمْرِ
وَلَا يَلْمُ فَقَتِيلُ الْحُبِّ لَمْ يَلْمِ
عَلَى الْمَرَاتِبِ فِي حَظِّي وَفِي قَلَمِي
مِنْ طَرْفِ جَارِيَةٍ جَاءَتْ لِسْفِكَ دَمِي
تَغْرُهُمْ كَثِيرٌ الدَّرُّ مُنْتَضِمٌ
بَدْرًا بَدَا تَحْتَ جَنَحِ اللَّيْلِ فِي الظُّلْمِ
قَدْ عَمَّهَا الْحُسْنُ مِنْ قَرَقٍ إِلَى قَدَمِ
مِنَ الْبَرِيَّةِ فِي عَرَبٍ وَلَا عَجَمِ
إِذَا وَعَدْتُ أَفِي يَا قَاضِي الْأَمْرِ
لَا تَسْأَلُوا عَن شُجُونِي يَا أُولِي الْهِمَمِ

كَفُّوا الْمَلَامَ كَفَّانِي مُؤَلِّمُ النَّقْمِ
مَنْ كَانَ يَعْذُرُنِي فِي الْحُبِّ يَعْذُرُنِي
فَقَاضِيًا كُنْتُ وَالْأَقْدَارُ تُسْعِدُنِي
حَتَّى رُمِيْتُ بِسَهْمٍ لَا طَيِّبَ لَهُ
مَا مِثْلُ مُسْلِمَةٍ تَشْكُو ظِلَامَتِهَا
نَظَرْتُ تَحْتَ مُحَيَّاهَا وَقَدْ سَفَرْتُ
وَجْهًا مُبِيرًا وَتَغْرًا بِاسِمَاءٍ عَجَبًا
وَاللَّهِ مَا نَظَرْتُ عَيْنِي كَطَلَعَتِهَا
يَا حُسْنَ مَا وَعَدْتَنِي وَهِيَ قَائِلَةٌ:
هَذَا مَقَامِي وَهَذَا مَا بُلِيْتُ بِهِ

فلما فرغ القاضي من هذه الايات بكى بكاء شديداً ثم إنه شفق شهقة ففارقت روحه جسده . فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الايات : [من الكامل]

فِي الْقَبْرِ مَقْتُولُ الْحَبِيبِ وَصَدِّهِ
وَيَرَاعُهُ سَجَنَ الْحُسَامِ بِغُمْدِهِ
مَوْلَى تَذَكَّلَ فِي الْأَنَامِ لِعَبْدِهِ

كَمَلْتُ صِفَاتُ الْعَاشِقِينَ لِمَنْ عَدَا
قَدْ كَانَ هَذَا لِلْبَرِيَّةِ قَاضِيًا
فَقَضَى عَلَيْهِ الْحُبُّ لَمْ تَرَ قَبْلَهُ

ثم إنهم ترحموا عليه وانصرفوا إلى القاضي الثاني ومعهم الطيب فلم يجدوا به ضرراً ولا المأ يحتاج إلى طيب . فسألوه عن حاله وشغل باله ، فعرفهم بقضيته ، فلأموه وعنفوه على تلك الحالة . فاجابهم مترتماً بهذه الايات : [من الوافر]

رُمِيْتُ بِبَنْيَلَةٍ مِنْ كَفِّ رَامٍ
تَعُدُّ الدَّهْرَ عَامًا بَعْدَ عَامٍ
يَفُوقُ الْبَدْرَ فِي جَنَحِ الظُّلَامِ
وَأَدْمَعُ جَفْنَيْهَا ذَاتُ أَنْسِجَامِ
فَأَضْنَتْنِي بِتَغْرِ ذِي أَبْتِسَامِ
وَحَلَّتْنِي رَهِينًا فِي غَرَامِي
وَحَطُّوا قَاضِيًا غَيْرِي غَلَامِي

بَلِيْتُ بِهَا وَمِثْلِي لَا يَلَامُ
أَتْتَنِي أَمْرَاءُ تُدْعَى هُبُوبًا
وَمَعَهَا طِفْلَةٌ أَبَدَتْ مُحَيًّا
فَبَيَّنَتْ الْحَاسِنَ وَهِيَ تَشْكُو
سَمِعْتُ كَلَامَهَا وَنَظَرْتُ فِيهَا
وَقَدْ رَحَلَتْ بِقَلْبِي حِينَ رَاحَتْ
فَهْدِي قِصَّتِي فَارْتُوا لِحَالِي

ثم إنه شفق شهقة ففارقت روحه جسده . فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا إلى القاضي الثالث فوجدوه مريضاً وحصل له ما حصل للثاني وكذلك الرابع . فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضاً مرضى بحبها ، فإن كل من رآها مات بحبها ، وإن لم يموت عاش يكابد لوعة الغرام . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها، فإن كل من رآها مات بعشقها وإن لم يمِت عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله أجمعين. هذا ما كان من أمرهم. وأما ما كان من أمر زين الموصف فإنها جدت في السير مدة أيام حتى قطعت مسافة بعيدة. فاتفق أنها خرجت هي وجواريتها فمرت على دير في الطريق وفيه راهب كبير إسمه دانس، وكان عنده أربعون بطريقاً. فلما رأى جمال زين الموصف نزل إليها وعزم عليها وقال لها: استريحوا عندنا عشرة أيام ثم سافروا. فنزلت عنده هي وجواريتها في ذلك الدير. فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها أفسدت عقيدته وافتتن بها وصار يرسل إليها البطارقة واحداً بعد واحد لأجل أن يؤلفها، فصار كل من أرسله إليها يقع في حبها ويراودها عن نفسها له وهي تتعذر وتمتنع. ولم يزل دانس يرسل إليها واحداً بعد واحد حتى أرسل إليها أربعين بطريقاً وكل واحد حين يراها يتعلّق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس، فتمتنع من ذلك وتجاوبهم بأغلظ جواب. فلما فرغ صبر دانس واشتدّ غرامه قال في نفسه: إن صاحب المثل يقول: ما حكّ جسمي غير ظفري، ولا سعى في مرامي مثل أقدامي. ثم نهض قائماً على قدميه وصنع طعاماً مفتخراً وحمله ووضع بين يديها، وكان ذلك في اليوم التاسع من العشرة أيام التي اتفق معها على إقامتها عنده لأجل الإستراحة. فلما وضعه بين يديها قال: تفضلي بسم الله، خير الزاد ما حصل. فمدت يدها وقالت: بسم الله الرحمن الرحيم، وأكلت هي وجواريتها. فلما فرغت من الأكل قال لها: يا سيدتي، أريد أن أنشدك أبياتاً من الشعر. قالت له: قل. فأنشد هذه الأبيات: [من البسيط]

مَلَكْتُ قَلْبِي بِالْحَاطِظِ وَوَجَّانِي فِي هَوَاكِ غَدَا تَنْرِي وَأَبْيَانِي
أَتَرَكِينِ مُجَبًّا مَغْرَمًا دَنَفًا يُعَالِجُ الْعِشْقَ حَتَّى فِي الْمَنَامِ
لَا تَتَرَكِينِي صَرِيحًا وَالْهَاءُ فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَشْغَالَ دَيْرِي بَعْدَ لَدَائِي
يَا غَادَةَ جَوَزْتُ فِي الْحُبِّ سَفْكَ دَمِي رَفَقًا بِحَالِي وَعِظْفًا فِي شُكْيَاتِي

فلما سمعت زين الموصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين: [من البسيط]

يَا طَالِبَ الْوَصْلِ لَا يَغْرُرُكَ بِي أَمَلٌ أَكْفُفْ سُؤَالَكَ عَنِّي أَيُّهَا الرَّجُلُ
لَا تَطْمَعِ النَّفْسَ فِيمَا لَسْتَ تَمْلِكُهُ إِنَّ الْمَطَامِعَ مَقْرُونٌ بِهَا الْوَجَلُ

فلما سمع شعرها رجع إلى صومعته وهو متفكّر في نفسه ولم يدر كيف يصنع في أمرها ثم بات تلك الليلة في أسوأ حال. فلما جن الليل قامت زين الموصف وقالت لجواريتها: قوموا بنا فإننا لا نقدر على أربعين رجلاً رهباناً وكل أحد منهم يراودني عن نفسي. فقال لها الجوارى: حباً وكرامة. ثم إنهن ركن دوابهن وخرجن من باب الدير ليلاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت : بلغني ايها الملك السعيد، ان زين الموصف لما خرجت هي وجواربها من الدير ليلاً لم يزلن سائرات وإذا هن بقافلة سائرة فاختلطن بها. وإذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين الموصف، فسمعت أهل القافلة يتحدثون بخبر زين الموصف ويذكرون ان القضاة والشهود ماتوا في حبها وولّى أهل المدينة قضاة وشهوداً غيرهم وأطلقوا زوج زين الموصف من الحبس. فلما سمعت زين الموصف هذا الكلام التفتت إلى جواربها وقالت لجارتها هبوب: ألا تسمعين هذا الكلام؟ فقالت لها جارتها: إذا كان الرهبان الذين عقيدتهم أن الترهّب عن النساء عبادة قد افتتنوا في هواك فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم انه لا رهبانية في الإسلام؟ ولكن إمض بنا إلى أوطاننا ما دام امرأنا مكتوماً. ثم إنهن سرن وبالغن في السير. هذا ما كان من أمر زين الموصف وجواربها. وأما ما كان من أمر الرهبان، فإنهم لما أصبح الصباح أتوا إلى زين الموصف لأجل السلام فراوا المكان خالياً فأخذهم المرض في أجوافهم. ثم إن الراهب الأول مزق ثيابه وصار ينشد هذه الأبيات: [من الطويل]

ألا يا أوصيحي تَعَالَوْا فَإِنِّي	مُفَارِقُكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ وَرَاحِلُ
فإنَّ فُؤَادِي فِيهِ أَلَامٌ لَوَعَةٍ	وَقَلْبِي بِهِ مِنْ زُفْرَةِ الْحُبِّ قَاتِلُ
لأَجْلِ فِتْنَةٍ قَدْ أَتَتْ نَحْوَ أَرْضِنَا	لَهَا الْبَدْرُ فِي أَفْوِ السَّمَاءِ يُعَادِلُ
فَرَاخَتْ وَخَلَّتْنِي قَتِيلَ جَمَالِهَا	طَرِيحَ سِهَامٍ صَادَقَتْهَا مَقَاتِلُ

ثم إن الراهب الثاني انشد هذه الأبيات: [من الكامل]

يا رَاحِلِينَ بِمُهْجَتِي رِفْقًا عَلَيَّ	مِسْكِينِكُمْ وَتَعَطَّفُوا بِالْمَرْجِعِ
رَاحُوا فَرَاخَتْ رَاحَتِي مِنْ بَعْدِهِمْ	وَنَاوَا وَطِيبَ حَدِيثِهِمْ فِي مَسْمِعِي
شَطُّوا فَشَطَّ مَزَارِهِمْ يَا لَيْتَهُمْ	مَتُوا عَلَيْنَا فِي الْمَنَامِ بِمَرْجِعِ
أَخَذُوا فُؤَادِي عِنْدَمَا رَحَلُوا وَقَدْ	تَرَكَوْا جَمِيعِي فِي سَوَافِحِ أَدْمُعِي

ثم إن الراهب الثالث انشد هذه الأبيات: [من الطويل]

يُصَوِّرُكُمْ قَلْبِي وَعَيْنِي وَمَسْمِعِي	فَقَلْبِي لَكُمْ مَاوَى وَكُلِّي بِأَجْمَعِي
وَذَكَرْتُكُمْ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ فِي قَمِي	وَبَجْرِي كَمَجْرَى الرُّوحِ فِي كُلِّ أَصْلُعِي
وَصَبْرْتُمُونِي كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَى	وَأَعْرَقْتُمُونِي فِي الْغَرَامِ بِمَدْمُعِي
دَعُونِي أَرَاكُمْ فِي الْمَنَامِ لَعَلَّكُمْ	تُرِيحُوا خُلُودِي مِنْ تَبَارِيحِ أَدْمُعِي

ثم إن الراهب الرابع انشد هذين البيتين: [من الكامل]

خَرَسَ اللَّسَانَ وَقَلَّ فِيكَ كَلَامِي	وَالْحُبُّ مِنْهُ تَوَجَّعِي وَسَقَامِي
يا بَدْرُ تَمَّ فِي السَّمَاءِ مَحَلُّهُ	قَدْ زَادَ فِيكَ تَوَلَّهِي وَهَيَامِي

ثم إن الراهب الخامس انشد هذه الأبيات: [من المبحث]

أَهْوَى قَمْرًا عَادِلَ الْقَدْرِ رَشِيقُ	وَالْخَصْرُ نَحِيلُ شَاكِي الضَّرَرِ
---	--------------------------------------

ورَيْقُهُ شِبْهُ سُلَافٍ وَرَحِيقٍ
وَالْقَلْبُ غَدَا بِالْغَرَامِ حَرِيقٍ
وَالدَّمَعُ عَلَى الْحَدِّ قَانَ كَعَفِيقٍ
وَالرَّدْفُ ثَقِيلٌ لَاهِي الْبَشْرِ
وَالصَّبُّ قَتِيلٌ بَيْنَ السُّمْرِ
فِي الْحَدِّ يَسِيلُ مِثْلَ الْمَطْرِ

ثم إن الراهب السادس أنشد هذه الأبيات: [من الكامل]

يا مُتَلْفِي فِي الْحُبِّ قَرَطُ صُدُودِهِ
أَشْكُو إِلَيْكَ كَاتِبِي وَصَبَاتِي
هَلْ مِثْلُ صَبِّ فَيْكَ غَادِرٌ نُسْكُهُ
يا عُصْنُ بَانَ لَاحَ نَجْمٍ سَعُودِهِ
يا مُحْرِقِي فِي نَارٍ وَرَدٍ خَلُودِهِ
وَعَدَا عَدِيمَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ

ثم إن الراهب السابع أنشد هذه الأبيات: [من الكامل]

سَجَنَ الْفُؤَادَ وَدَمَعَ عَيْنِي أَطْلَقًا
حَلُّو الشَّمَائِلِ مَا أَمْرٌ صُدُودُهُ
يا عَادِلِي أَقْصِرْ وَتُبْ عَمَّا مَضَى
وَالوَجْدُ جَدَدُهُ وَصَبْرِي مَزَقًا
يَرْمِي الْفُؤَادَ بِسَهْمِهِ عِنْدَ اللَّقَا
مَا أَنْتَ فِي خَيْرِ الْغَرَامِ مُصَدَّقًا

وهكذا باقي البطارقة والرهبان كلهم يكون وينشدون الأشعار . وأما كبيرهم دانس فإنه زاد به البكاء والوعويل ولم يجد لوصالها من سبيل . ثم إنه صار يترتم بإنشاد هذه الأبيات: [من الطويل]

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي يَوْمَ سَارَ أَحْبَبِي
فِيَا حَادِي الْأَطْعَانِ رَفَقًا بِعَيْسِهِمْ
جَفَا جَفَنَ عَيْنِي النَّوْمُ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلَاقِي بِحُبِّهَا
وَفَارَقَنِي مَنْ كَانَ سُؤْلِي وَمُنْتَبِي
عَسَى أَنْ يَمِنُوا بِالرُّجُوعِ لِدَارَتِي
وَجَدَدْتُ أَحْزَانِي وَفَارَقْتُ لَدَّتِي
لَقَدْ أَنْحَلْتُ جَسْمِي وَأَوْدَتُ بِقُوَّتِي

ثم إنهم لما يسوا منها أجمع رأيهم على أنهم يصورون صورتها عندهم واتفقوا على ذلك إلى أن أتاهم هادم اللذات . هذا ما كان من أمر هؤلاء الرهبان أصحاب الدير . وأما ما كان من أمر زين الموصف ، فإنها سارت تقصد محبوبها مسروراً . ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى منزلها وفتحت الأبواب ودخلت الدار ثم أرسلت إلى أختها نسيم . فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحاً شديداً وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش . ثم إنها فرشت لها والبستها وأرخت الستور على الأبواب وأطلقت العود والند والعنبر والمسك والأدفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار أعظم ما يكون . ثم إن زين الموصف لبست أفخر قماشها وتزينت أحسن الزينة . كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدمها ، بل كان في هم شديد وحزن ما عليه من مزيد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زين الموصف لما دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش والقماش وفرشت لها والبستها أفخر الثياب ، كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدمها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه من مزيد . ثم جلست زين الموصف تتحدث مع جواريتها التي تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الأول إلى

فلما كانت الليلة
كانت
863
كانت الليلة

الآخر، ثم إنها التفتت إلى هبوب وأعطتها هراهم وأمرتها أن تذهب وتأتي لها بشيء تأكله هي وجواربها، فذهبت وأتت بالذي طلبته من الأكل والشرب. فلما انتهى أكلهن وشربهن أمرت هبوب أن تمضي إلى مسرور وتظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الأحوال. وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اصطبار. فلما زاد عليه الوجد والغرام والعشق والهيام صار يتسلى بإنشاد الأشعار ويذهب إلى الدار ويقبل الجدار. فاتفق أنه مضى إلى محل التوديع وصار ينشد هذا الشعر البديع: [من الكامل]

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْهُ وَقَدْ ظَهَرَ
وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرِ
نَادَيْتُ لَمَّا قَدْ سَبَتْ قَلْبِي الْفِكْرُ
يَا دَهْرُ لَا تَبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرُ

ها مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْحَطَرِ

لَوْ كَانَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ مُنْصِيفِي
يَا سَادَتِي رِقُوا لِصَبِّ مُدْنَفِي
مَا كَانَ نَوْمِي مِنْ عِيُونِي قَدْ نُفِي
وَأَرْتُوا لِحَالِ كَبِيرِ قَوْمِ زَكِّي فِي

شَرَعَ الْهَوَىٰ وَعَيْنِي قَوْمٌ إِفْتَقَرُ

لَجَّ الْعَوَادِلُ فِيكَ مَا طَاوَعْتُهُمْ
وَحَفِظْتَ مِيثَاقَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ
وَسَدَدْتَ كُلَّ مَسَامِعِي وَكَمَمْتُهُمْ
قَالُوا: عَشِقْتَ مُفَارِقًا فَأَجَبْتُهُمْ

كُفُوا، إِذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِي الْبَصْرُ

ثم إنه رجع إلى منزله وقعد يبكي فغلب عليه النوم فرأى في منامه كان زين الموصف أتت إلى الدار. فانتبه من نومه وهو يبكي ثم سار متوجهاً إلى منزل زين الموصف وهو ينشد هذه الأبيات: [من الطويل]

أَسْأَلُو أَلَّتِي فِي الْحُبِّ قَدْ مَلَكَتْ أَسْرِي
عَشِقْتُ الَّتِي أَشْكُو إِلَى اللَّهِ بَعْدَهَا
وَقَلْبِي عَلَى نَارٍ أَحْرَّ مِنَ الْجَمْرِ
وَصَرَفَ اللَّيَالِي وَالْحَوَادِثُ مِنْ دَهْرِي
وَأَحْظَى بِجَمْعِ الشَّمْلِ يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ
مَتَى الْمُلتَقَى يَا غَايَةَ الْقَلْبِ وَالْمَتَى

وكان آخر ما أنشد من الشعر وهو ماش في زقاق زين الموصف، فشم منه الروائح الزكية فهاج لبه وفارق صدره قلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه وإذا بهبوب متوجهة إلى قضاء حاجة فرأها وهي مقبلة. من صدر الزقاق، فلما رآها فرح فرحاً شديداً. فلما رآته هبوب أتت إليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدها زين الموصف وقالت له: إنها أرسلتني في طلبك إليها. ففرح بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد. ثم أخذته ورجعت به إليها. فلما رآته زين الموصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها، ولم يزالا يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشي عليهما زمناً طويلاً من شدة المحبة والفراق. فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاريتها هبوب بإحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوءة من شراب الليمون. فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته، ثم أكلوا وشربوا. وما زالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من أوله إلى آخره. ثم إنها أخبرته بإسلامها، ففرح وأسلم هو أيضاً وكذلك جواربها وتابوا إلى الله تعالى. فلما أصبح الصباح أمرت بإحضار القاضي والشهود وأخبرتهم أنها عازبة وقد وفّت

العدّة ومرادها الزواج بمسرور ، فكتبوا كتابها عليه وصاروا في الذ عيش . هذا ما كان من امر زين الموصف ومسرور . واما ما كان من امر زوجها اليهودي فإنه حين اطلقه اهل المدينة من السجن سافر منها متوجهاً إلى بلاده ، ولم يزل مسافراً حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين الموصف ثلاثة ايام . فأخبرت بذلك زين الموصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها : إمض إلى مقبرة اليهود واحفري قبراً وضعي عليه الرياحين ورشي حوله الماء ، وإن جاء اليهودي وسالك عني فقولني له : إن سيدتي ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوماً . فإن قال لك : أريني قبرها . فخذيه إلى القبر وتحيلي على دفنه فيه بالحياة . فقالت : سمعاً وطاعة . ثم إنهم رفعوا الفراش وادخلوه في مخدع ومضت إلى بيت مسرور ، فقعد هو وإياها في أكل وشرب ولم يزالوا كذلك حتى مضت الثلاثة ايام . هذا ما كان من أمرهم . واما ما كان من امر زوجها فإنه لما أقبل من السفر دق الباب . فقالت هبوب : من بالباب ؟ فقال : سيدك . ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خدها فقال لها : ما يبكيك ؟ وأين سيدتك ؟ فقالت له : إن سيدتي قد ماتت بسبب قهرها عليك . فلما سمع منها ذلك الكلام تحير في أمره وبكى بكاء شديداً ثم قال لها : يا هبوب ، أين قبرها ؟ فاخذته ومضت به إلى المقبرة وأرته القبر الذي حفرته . فعند ذلك بكى بكاء شديداً ثم انشد هذين البيتين : [من الكامل]

شَيْثَانُ : لَوْ بَكَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى يُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَقْضِ الْمِعْشَارَ مِنْ حَقِّهِمَا شَرَحُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ

ثم بكى بكاءً شديداً وأنشد هذه الأبيات : [من البسيط]

أَوَاهُ وَأَسْفِي قَدْ خَانَتِي جَلْدِي وَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبِي مُتٌ بِالْكَمَدِ
يَا مَا ذَهَانِي مِنْ بُعْدِ الْحَبِيبِ وَيَا نَقْطِعَ قَلْبِي عَلَى مَا قَدَّمْتُهُ يَدِي
يَا لَيْتَنِي قَدْ كَتَمْتُ السَّرَّ فِي زَمَنِي وَلَمْ أُبْحِ بِغَرَامِ هَاجَ فِي كَبْدِي
قَدْ كُنْتُ فِي عَيْشَةٍ مَرْضِيَّةٍ رَغْدٍ وَصِرْتُ مِنْ بَعْدِهَا فِي الدَّلِّ وَالنَّكْدِ
فِيَا هَبُوبُ لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجْنًا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ مِنْ دُونِ الْوَرَى سَنْدِي
زَيْنَ الْمَوَاصِفِ لَا كَانَ الْفِرَاقُ وَلَا كَانَ الَّذِي فَارَقَتْ رُوحِي بِهِ جَسْدِي
لَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى نَقْضِ الْعُهُودِ وَقَدْ عَاتَبْتُ نَفْسِي عَلَى التَّفْرِيطِ فِي عَمْدِي

فلما فرغ من شعره بكى وأن واشتكى فخر مغشياً عليه . فلما غشي عليه أسرعت هبوب بجرة ووضعته في القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ، ثم سدت عليه ورجعت إلى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر . ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأنشدت هذين البيتين : [من الكامل]

الدَّهْرُ أَقْسَمَ لَا يَزَالُ مُكْدِرِي حَنَنْتَ يَمِينِكَ يَا زَمَانُ فَكَفَّرِي
مَاتَ الْعُلُولُ وَمَنْ هَوَيْتُ مُوَاصِلِي فَأَنْهَضُ إِلَى دَاعِ السُّرُورِ وَشَمَّرِي

ثم إنهم أقاموا مع بعضهم على الأكل والشرب واللهو واللعب والطرب إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات .

77 - حكاية علي نور الدين ومريم

ومما يحكى أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمّى تاج الدين ، وكان من أكابر التجار ومن الامناء الاحرار إلا أنه كان مولعاً بالسفر إلى جميع الاقطار ويحب السير في البراري والقفار والسهول والأوعار وجزائر البحار في طلب الدرهم والدينار ، وكان له عبيد ومماليك وخدم وجواري وطالما ركب الاخطار وقاسى في السفر ما يشيب الاطفال الصغار . وكان أكثر التجار في ذلك الزمان مالاً وأحسنهم مقالاً ، صاحب خيول وبغال وبخاتي وجمال وغراير وأعدال وبضايح وأموال وأقمشة عديمة المثال ، من شلود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مروزية وتفاصيل هندية وأزرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار رومية وغللمان مصرية . وكانت غراير احماله من الحرير لانه كان كثير الاموال بديع الجمال مائس الاعطاف شهى الإنعطاف كما قال فيه بعض واصفيه : [من الرجز]

وتاجرٍ عاينتُ عَشَّاقَةً والحَرْبُ فيما بَيْنَهُمْ نائِرُ
فَقَالَ: ما لِلنَّاسِ في ضَجَّةٍ قُلْتُ: على عَيْنِكَ يا تاجرٍ

وقال آخر في وصفه واجاد واتى فيه بالمراد : [من السريع]

وتاجرٍ في وَصْلِهِ زارنا والقَلْبُ مِنْ أَلْحاظِهِ حائِرُ
فَقَالَ لي: ما لَكَ في حِيرَةٍ قُلْتُ: على عَيْنِكَ يا تاجرٍ

وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمّى علياً نور الدين ، كانه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر ، بديع الحسن والجمال ظريف القد والإعتدال . فجلس ذلك الصبي يوماً من الأيام في دكان والده على جري عادته للبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد دارت حوله اولاد التجار فصار هو بينهم كانه القمر بين النجوم ، بجين ازهر وخذ احمر وعذار اخضر وجسم كالمرمر . كما قال فيه الشاعر : [من مجزوء الرمل]

ومليح قال: صِفْنِي قُلْتُ: أنتَ في الحُسْنِ رَجِيحُ
قُلْتُ قَوْلًا بِاِخْتِصارِ كُلُّ ما فِيكَ مِليحُ

وكما قال فيه بعض واصفيه : [من الوافر]

لَهُ خالٌ على صَفَحَاتِ خَدِّ كَنُفُطَةِ عَنَبٍ في صَحْنِ مَرَمَرُ
وَأَلْحاظُ بِأَسْيافِ تُنادِي على عاصِي الهَوَى اللهُ أَكْبَرُ

فعزمه اولاد التجار وقالوا له : يا سيدي نور الدين ، نستهي في هذا اليوم اننا نتفرّج وإياك في البستان الفلاني . فقال لهم : حتى أشاور والدي فلاني لم أقدر أن أروح إلا بإجازته . فبينما هم في الكلام وإذا بوالده تاج الدين قد أتى ، فنظر ليه ولده وقال : يا أباي ، إن اولاد التجار قد عزموني لاجل أن اتفرّج أنا وإياهم في البستان الفلاني فهل تاذن لي في ذلك ؟ فقال : نعم يا ولدي . ثم إنه اعطاه شيئاً من المال وقال : توجه معهم . فركب اولاد التجار حميراً وبغلاً وركب

نور الدين بغلة وسار معهم إلى بستان فيه ما تشتهي الانفس وتلذّ الاعين وهو مشيد الاركان رفيع البنيان، له باب مقنطر كأنه إيوان وباب سموي يشبه أبواب الجنان وبوابة اسمه رضوان، وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الالوان الأحمر كأنه مرجان والأسود كأنه أنوف السودان والابيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثري والبرقوق والتفاح، كل هذه الانواع مختلفة الالوان صنوان وغير صنوان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كامل ما تشتهي الشفة واللسان، ووجدوا العنب مختلف الالوان صنواناً وغير صنواناً. كما قال فيه الشاعر :

فلما كانت الليلة
كانت الليلة
864
كانت الليلة

[من الخفيف]

عَنْبٌ طَعْمُهُ كَطَعْمِ الشَّرَابِ حَالِكٌ لَوْنُهُ كَلَوْنِ الغُرَابِ
بَيْنَ أَوْرَاقِهِ زُهًا فَتَرَاهُ كَبْنَانِ النَّسَاءِ بَيْنَ الخِضَابِ

وكما قال فيه الشاعر أيضاً: [من الوافر]

عَنَاقِيدُ حَكَّتْ لَمَّا تَدَلَّتْ عَلَى قُضْبَانِهَا جِسْمِي نُحُولًا
حَكَّتْ عَسَلًا وَمَاءً فِي إِنَاءِ وَعَادَتْ بَعْدَ حِصْرِهَا شُمُولًا

ثم انتهوا إلى عريشة البستان فرأوا رضوان بواب البستان جالساً في تلك العريشة كأنه رضوان خازن الجنان. ورأوا مكتوباً على باب العريشة هذان البيتان: [من الطويل]

سَقَى اللهُ بُسْتَانًا تَدَلَّتْ قُطُوفُهُ فَمَالَتْ بِهَا الْأَغْصَانُ مِنْ شِدَّةِ الشَّرْبِ
إِذَا رَقَّصَتْ أَغْصَانُهُ بِيَدِ الصَّبَا تَنْقُطُهَا الْأَنْوَاءُ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ

ورأوا مكتوباً في داخل العريشة هذان البيتان: [من السريع]

أَدْخُلْ بِنَا يَا صَاحِبَ رَوْضَةٍ تَجَلُّو عَنِ القَلْبِ صِدَى هَمِّهِ
نَسِيمُهَا يَعْثُرُ فِي ذَيْلِهِ وَزَهْرُهَا يَضْحَكُ فِي كِمِّهِ

وفي ذلك البستان فواكه ذات أفنان وأطياف من جميع الاصناف والالوان، مثل فاخت وبلبل وكروان وقمري وحمام يغرد على الأغصان، وأنهارها بها الماء الجاري وقد راقت تلك المجاري بأزهار وأثمار ذات لذات. كما قال فيه الشاعر هذين البيتين: [من الكامل]

سَرَّتِ النَّسِيمُ عَلَى الغُصُونِ فَشَابَهَتْ خَوْدًا تَعَثَّرُ فِي جَمِيلِ ثِيَابِهَا
وَحَكَّتْ جَدَاوِلَهَا السُّيُوفُ إِذَا أَنْتَضَتْ أَبْيَدِي الفَوَارِسِ مِنْ غِلَافِ قِرَابِهَا

وكما قال فيه الشاعر أيضاً: [من الكامل]

والتَّهْرُ مَدَّ عَلَى الغُصُونِ وَلَمْ يَزَلْ أَبْدًا يُمَثِّلُ شَخْصَهَا فِي قَلْبِهِ
حَتَّى إِذَا فَطَنَ النَّسِيمُ سَرَى لَهَا مِنْ غَيْرَةٍ فَأَمَالَهَا مِنْ قُرْبِهِ

وأشجار ذلك البستان عليها من كل فاكهة زوجان، وفيه من الرمان ما يشبه أكر القيروان كما قال فيه الشاعر وأجاد: [من الوافر]

ورُمَانٍ رَقِيقِ الْقَشْرِ يَحْكِي
نَهْدَ الْبِكْرِ إِذْ بَرَزَتْ فُحُولًا
إِذَا قَشْرَتُهُ يَبْدُو لَدَيْنَا
مِنَ الْيَاقُوتِ مَا بَهَرَ الْعُقُولَا

وكما قال فيه الشاعر: [من الطويل]

ما مُلَمَّمَةٌ بُدِي لِقَاصِدِ جَوْفِهَا
بِوَاقِيتِ حَمْرًا فِي مَعَاطِفِ عَبْقَرِي
وَرُمَانِيَّةٌ شَبَّهَتْهَا إِذْ رَأَيْتُهَا
بِنَهْدِ الْعَدَارَى أَوْ بِقَبِيَّةِ مَرْمَرِ
وَفِيهَا شِفَاءٌ لِلْمَرِيضِ وَصِحَّةٌ
وَفِيهَا حَدِيثٌ لِلنَّبِيِّ الْمَطْهَرِ
مَقَالًا بَلِيغًا فِي الْكِتَابِ الْمُسَطَّرِ
فِيهَا يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ

وفي ذلك البستان تفاح سكرى ومسكى يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر: [من البسيط]

تَفَاحَةٌ جَمَعَتْ لَوْنَيْنِ قَدْ حَكِيَا
خَدِّي حَيِّبٍ وَمَحْبُوبٍ قَدْ اجْتَمَعَا
لَا حَا عَلَى الْغُصْنِ كَالضَّيْدَيْنِ مِنْ عَجَبٍ
فَذَاكَ أَسْوَدُ وَالثَانِي بِهِ لُمَعَا
تَعَانَقَا قَبْدًا وَأَشْرَ فِرَاعَهُمَا
فَاحْمَرَّ ذَا خَجَلًا وَاصْفَرَّ ذَا وَلَعَا

وفي ذلك البستان مشمش لوزي وكافوري وجيلاني وعتابي كما قال فيه الشاعر: [من

الكامل]

وَالْمِشْمِشُ اللَّوْزِيُّ يَحْكِي عَاشِقًا
جَاءَ الْحَيِّبُ لَهُ فَحَيْرَ لَهُ
وَكَفَاهُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَمِّمِ مَا بِهِ
يَصْفَرُّ ظَاهِرُهُ وَيَكْسِرُ قَلْبُهُ

وقال فيه آخر وأجاد: [من السريع]

أَنْظُرْ إِلَى الْمِشْمِشِ فِي زَهْرِهِ
حَدَائِقُ يَجْلُو سَنَاهَا الْحَدَقُ
كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ إِذَا مَا زَهَتْ
الْغُصْنُ يَزْهُو بِهَا فِي الْوَرَقِ :

وفي ذلك البستان برقوق وقراصيا وعتاب تشفي السقيم من الأوصاب، والتين فوق اغصلنه ما

بين احمر واخضر يحير العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر: [من البسيط]

كَأَنَّهَا التِّينُ يَبْدُو مِنْهُ أَيْضُهُ
مَعَ أَخْضَرَ بَيْنَ أَوْرَاقِ مِنَ الشَّجَرِ
أَبْنَاءُ رُومٍ عَلَى أَعْلَى الْقُصُورِ وَقَدْ
جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ بَاتُوا عَلَى حَلَرِ

وقال آخر وأجاد: [من معجزة الرجز]

أَهْلًا بَيْنَ جَاءَنَا
مُنْضِدًّا عَلَى طَبَقِ
كَسْفَرَةٍ مَضْمُومَةٍ
قَدْ جُمِعَتْ بِهَا حَلَقُ

وقال آخر وأجاد: [من البسيط]

أَنْعِمُ بَيْنَ طَابَ طَعْمًا وَانْتَسَى
حُسْنًا وَقَارَبَ مَنْظَرًا مِنْ مَخْبَرِ

رِيحَ الْأَفَاحِ وَطِيبَ طَعْمِ السُّكَّرِ
أَكَرًّا صُنْعِنَ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَخْضَرِ

بِغَيْرِ فَاكِهَةٍ فِي حَبِّهَا هَامُوا
لِلتَّيْنِ قَوْمٌ وَلِلْجُمَّيزِ أَقْوَامٌ

يُبْدِي تَعَاطِيهِ إِذَا مَا دُقَّتْهُ
وَحَكَى إِذَا مَا صَبَّ فِي أَطْبَاقِهِ
وما أحسن قول بعضهم: [من البسيط]

قَالُوا وَقَدْ أَلْفَتْ نَفْسِي تَفَكُّهَهَا
لَأَيِّ شَيْءٍ نَحِبُّ التَّيْنَ قُلْتُ لَهُمْ
وأحسن منه قول الآخر: [من البسيط]

لَمَّا اسْتَوَى وَالتَّوَى فِي غُصْنِهِ الزَّاهِي
فَاضَتْ مَدَامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

وفي ذلك البستان من الكمثري الطوري والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ما ذكروناه، ووجدوا فيه من الكمثري الطوري والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان، ما بين أصفر وأخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر:

فلما كانت الليلة
865
الليلة

لَوْنٌ مُحِبٌّ زَائِدٌ الصُّفْرَةَ
وَالْوَجْهُ مِنْهَا مُسْبِلُ السُّتْرَةَ
يَهْنِيكَ كُمَثْرَى غَدَا لَوْنُهَا
شَبِيهَةٌ بِالْبِكْرِ فِي خِدْرِهَا

وفي ذلك البستان من الخوخ السلطاني ما هو مختلف الألوان من أصفر وأحمر. كما قال فيه الشاعر: [من المتقارب]

كَأَنَّمَا الْخَوْخُ فِي رَوْضِهِ
بِنَادِقٍ مِنْ ذَهَبٍ أَصْفَرٌ
وَقَدْ بَدَأَ حُمْرَةَ الْعَنْدَمِ
قَدْ خَضَبَتْ وَجْهَهَا بِالذَّمِّ

وفي ذلك البستان من اللوز الأخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلاثة اثواب صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه: [من الطويل]

مُخَالَفَةَ الْأَشْكَالِ مِنْ صُنْعَةِ الرَّبِّ
وَإِنْ يَكُنُ الْمَسْجُونُ فِيهَا بِلَا ذَنْبٍ
ثَلَاثَةُ أَثْوَابٍ عَلَى جَسَدِ رَطْبٍ
تُرِيهِ الْهَرْدَى فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ

وقال آخر وأجاد: [من المجتث]

مِنْ الْأَفَانِينَ كَفُّ مُعْتَظِفٍ
كَأَنَّهُ الدَّرُّ مِنْ دَاخِلِ الصَّدْفِ
أَمَا تَرَى اللَّوْزَ حِينَ تُظْهِرُهُ
وَقَشْرُهُ قَدْ جَلَا الْقُلُوبَ لَنَا

وأحسن منه قول الآخر: [من مجزوء الرجز]

يَا حُسْنَ لَوْزٍ أَخْضَرَ
أَصْفَرَ مِلءُ يَدٍ

كَأَمَّا زُبَيْرَةٌ
وَقَدْ غَدَتِ قَلْبُهُ
كَأَنَّهَا لَوْلَوَةٌ
نَبَتْ عِدَارِ الْأَمْرِدِ
مِنْ مُزْدَوِجٍ وَمُقَرَّدِ
تُصَانُ فِي زَبْرَجِدِ

وقال آخر وأجاد: [من الكامل]

مَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ مِثْلَ اللَّوْزِ فِي
الرَّأْسِ مِنْهُ بِاشْتِعَالِ شَائِبُ
حَسَنَاتِهِ لَمَّا بَدَتْ أَنْوَارُهُ
حِينَ أَنْتَشَى وَأَخْضَرَ مِنْهُ عِدَارُهُ

وفي ذلك البستان النبق مختلف الألوان صنوان وغير صنوان . كما قال فيه بعض واصفيه هذا

الشعر: [من البسيط]

أَنْظُرْ إِلَى النَّبْقِ فِي الْأَغْصَانِ مُنْتَظِمًا
كَأَنَّ صُفْرَتَهُ لِلنَّاطِرِينَ غَدَتْ
كَمِشْمِشٍ مُعْجِبٍ يَزْهُو عَلَى الْقُضْبِ
تَحْكِي جَلَّاجِلٌ قَدْ صَيَّغَتْ مِنَ الذَّهَبِ

وقال آخر وأجاد: [من مجزوء المبحث]

وَسِدْرَةٌ كُلَّ يَوْمٍ
كَأَمَّا النَّبْقُ فِيهَا
جَلَّاجِلٌ مِنْ نُصَارِ
مِنْ حُسْنِهَا فِي فُنُونٍ
وَقَدْ بَدَا لِلْعِيُونِ
قَدْ عَلَّقَتْ فِي عُصُونِ

وفي ذلك البستان النارج كانه خولجان كما قال فيه الشاعر الولهان: [من الطويل]

وَحَمْرَاءَ مِلءِ الْكَفِّ تَزْهُو بِحُسْنِهَا
وَمِنْ عَجَبِ ثَلْجٍ مَعَ النَّارِ لَمْ يَدْبُ
فَظَاهِرُهَا نَارٌ وَبَاطِنُهَا ثَلْجٌ
وَمِنْ عَجَبِ نَارٍ وَلَيْسَ لَهَا وَهَجٌ

وقال بعضهم وأجاد: [من الطويل]

وَأَشْجَارِ نَارَنْجٍ كَأَنَّ ثِمَارَهَا
خُلُودٌ نِسَاءٍ قَدْ تَبَرَّجْنَ زِينَةً
إِذَا مَا بَدَتْ لِلنَّاطِرِ الْمُتَفَرِّسِ
بِأَيَّامِ عِيدِ فِي غَلَائِلِ سُنْدُسِ

وقال آخر وأجاد: [من الطويل]

كَأَنَّ رَبِي النَّارَنْجِ أَذْهَبَتِ الصَّبَا
خُلُودٌ عَلَيْهَا بِهَجَّةِ الْحُسْنِ أَقْبَلَتْ
وَأَضْحَتْ بِهِ الْأَغْصَانُ وَهِيَ تَمِيدُ
عَلَيْهَا بِأَوْقَاتِ السَّلَامِ خُلُودٌ

وقال آخر وأجاد: [من السريع]

وَشَادِنِ قَلْنَا لَهُ صِيفٌ لَنَا
فَقَالَ لِي: بُسْتَانُكُمْ طَلْعَتِي
بُسْتَانَنَا هَذَا وَنَارَنْجَا
وَمَنْ جَنَى النَّارَنْجَ نَارًا جَنَى

وفي ذلك البستان الأترج لونه كلون التبر وقد حط من أعلى مكان وتدلّى في الأغصان كمال

فيه كأنه سبائك العقين . وقد قال فيه الشاعر الولهان: [من البسيط]

أما ترى أُنكحة الأترج مُثمرة
يُخشى عليها إذا مالت من العطب
كأنها عندنا مرّ التسيّم بها
غصنٌ تحمّل قُضباناً من الذهب
وفي ذلك البستان ألكباد منسدل في أغصانه كنهود أبكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر وأجاد: [من الطويل]

وكبابة بين الرياض نظرتها
على غصن رطب كقمامة أعيد
إذا سبكتها الريح مالت كأكرة
بدت ذهباً في صولجان زبرجد

وفي ذلك البستان الليمون زاكي الرائحة يشبه بيض الدجاج ، ولكن صفوته زينة مجانية وريحه يزهو لجانيه . كما قال فيه بعض واصفيه: [من السريع]

أما ترى الليمون لماً بدا
يأخذُ إشراقه بالعيان
كأنه بيض دجاج وقد
لطحه الخمس بالزعفران

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضراوات والمشومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبلي العنبري والورد بسائر أنواعه، ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الاجناس . وذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائته إذا دخله العليل خرج منه كالاسد الغضبان، ولم يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لا توجد إلا في الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان، لكن بين المقامين شتان . فلما تفرج أولاد التجار في ذلك البستان، جلسوا بعد التفرج والتنزّه على ليوان من لواوينه وأجلسوا نور الدين في وسط الإيوان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن أولاد التجار لما جلسوا في الليوان اجلسوا نور الدين في وسط الإيوان على نطع من الأديم المزركش متكئاً على مخدة محشوة بريش النعام وظهارتها مدورة سنجابية . ثم ناولوه مروحة من ريش النعام مكتوباً عليها هذان البيتان :

فلما كانت الليلة
التي
866
الليلة

[من الوافر]

ومروحة مِعطرة النسيم
تُذكّر طيبَ أوقاتِ النعيم
وتَهدي طيبها في كلِّ وقتٍ
إلى وجهِ الفتى الحرِّ الكريمِ

ثم إن هؤلاء الشباب خلعوا ما كان عليهم من العمايم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجادبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل في نور الدين وينظر إلى حسن صورته . وبعد أن اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أوان من الصيني والبلور، لأن بعض أولاد التجار كان وصى أهل بيته بها قبل خروجه إلى البستان . وكانت تلك السفرة مما درج وطار وسيح في البحار، كالقطا والسمان وأفراخ الحمام وشباه الضأن والطف السمك . فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا وأكلوا بحسب الكفاية، ولما فرغوا من الأكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء الصافي والصابون المسك وبعد ذلك

نشفو أيديهم بالناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلاً مطرزاً بالذهب الأحمر فمسح به يديه. وجاءت القهوة فشرب كل منهم مطلوبه ثم جلسوا للحديث وإذا بخولي البستان ذهب وجاء بسل مملوء بالورد وقال: ما تقولون يا سادتنا في المشموم؟ فقال بعض أولاد التجار: لا بأس به خصوصاً الورد فإنه لا يرد. فقال البستاني: نعم. لكن عادتنا إننا لا نعطي الورد إلا بالنادمة، فمن أراد أخذه فليات بشيء من الشعر يناسب المقام. وكان أولاد التجار عشرة أشخاص فقال واحد منهم: نعم. اعطني وأنا أنشدك شيئاً من الشعر يناسب المقام. فناوله حزمة من الورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من مجزوء المحبت]

لِلرَّوْدِ عِنْدِي مَحَلُّ لَأَنَّهُ لَا يُمَلُّ
كُلُّ الرِّيَّاحِينَ جُنْدٌ وَهُوَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ
إِنْ غَابَ عَزَّوَا وَتَاهُوا حَتَّى إِذَا جَاءَ دَلُّوا

ثم ناول الثاني حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من المتقارب]

دُونِكَ يَا سَيِّدِي وَرْدَةٌ يُذَكِّرُكَ الْمَسْكَ أَنْفَاسَهَا
كَغَادَةِ أَبْصَرَهَا عَاشِقٌ غَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَأْسَهَا

ثم ناول الثالث حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من البسيط]

وَرْدٌ نَفِيسٌ تَسُرُّ الْقَلْبَ رُؤْيَتُهُ تَحْكِي رَوَائِحُهُ مَا طَابَ مِنْ نَدٍّ
قَدْ ضَمَّهَ الْغُصْنُ فِي أَوْرَاقِهِ طَرِبًا كَقَبْلَةٍ بِقَمَرٍ مِنْ غَيْرِ مَا صَدٍّ

ثم ناول الرابع حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من البسيط]

أَمَا تَرَى دَوْحَةَ الرَّوْدِ الَّتِي ظَهَرَتْ كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يَطُوفُ بِهَا
لَهَا بَدَائِعُ قَدْ رُكِّبَتْ فِي قُضْبِ زَبْرَجَدٍ قَدْ حَوَى شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ

ثم ناول الخامس حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من الكامل]

قُضْبَ الزَّبْرَجَدِ قَدْ حَمَلْنَ وَإِنَّمَا أَثْمَارُهُنَّ سَيِّئَاتُكَ الْعُقْيَانِ
وَكَأَنَّ وَقَعَ الْقَطْرِ مِنْ أَوْرَاقِهِ دَمْعٌ بَكَتُهُ قَوَاتِرَ الْأَجْفَانِ

ثم ناول السادس حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من البسيط]

يَا وَرْدَةَ لِبَدِينِ الْحُسْنِ قَدْ جَمَعَتْ كَأَنَّهَا حَخْدٌ مَحْبُوبٍ وَتَقَطَّهُ
وَأَوْدَعَ اللَّهُ فِيهَا لُطْفَ أَسْرَارِ لَدَى التَّوَاصُلِ مُشْتَاقٌ بِدِينَارِ

ثم ناول السابع حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من الخفيف]

قُلْتُ لِلرَّوْدِ مَا لِشَوْكَكَ يُؤْذِي قَالَ لِي: مَعْشَرُ الرِّيَّاحِينَ جُنْدِي
كُلُّ مَنْ مَسَّهُ؛ سَرِيعُ الْجِرَاحِ أَنَا سُلْطَانُهَا وَشَوْكِي سِلَاحِي

ثم ناول الثامن حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين: [من المتقارب]

رَعَى اللهُ وَرَدًا غَدَا أَصْفَرَا بَهِيًّا نَضِيرًا يُحَاكِي النَّضَارَا
وَحُسْنُ غُصُونٍ بِهِ أُنْمَرَتْ حَمَلْنَ مِنْهُ شُمُوسًا صُغَارَا

ثم ناول التاسع حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين: [من الكامل]

شَجَرَاتُ وَرْدٍ أَصْفَرَ جَذَبَتْ فِي قَلْبٍ كُلِّ مُتِمِّ طَرَبَا
عَجَبًا لَهَا مِنْ دَوْحَةٍ سَقِيَتْ مَاءُ اللَّجَيْنِ فَأُنْمَرَتْ ذَهَبَا

ثم ناول العاشر حزمة ورد فاخذها وانشد هذين البيتين: [من الوافر]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِنْدَ الْوَرْدِ يَزْهُو بِصَفْرِ مِنْ مَطَالِيعِهِ وَحُمُرِ
وَقَدْ شَبَّهُتُهُ وَالشُّوكُ فِيهِ نِصَالَ زُمُرْدٍ فِي تُرْسٍ تَبْرِ

فلما استقر الورد في أيديهم أحضر البستاني صفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الأحمر وانشد يقول هذين البيتين: [من الخفيف]

هَتَفَ الْفَجْرُ بِالسَّنَا فَاسْوَى خَمْرًا عَانِسًا تَجْعَلُ الْحَلِيمَ سَفِيهَا
لَسْتُ أَدْرِي مِنْ لُطْفِهَا وَصَفَاها أَبْكَاسٍ تُرَى أَمِ الْكَاسِ فِيهَا

ثم إن خولي البستان ملا وشرب ودار الدور إلى أن وصل إلى نور الدين ابن التاجر تاج الدين ، فملا خولي البستان كأساً وناوله إياه . فقال له نور الدين : أنت تعرف أن هذا شيء لا اعرفه ولا شربته قط لأن فيه إثماً كبيراً وقد حرّمه في كتابه الرب القدير . فقال خولي البستان : يا سيدي نور الدين ، إن كنت ما تركت شربه إلا من أجل الإثم فإن الله سبحانه وتعالى كريم حلیم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شيء . ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال : [من البسيط]

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ وَمَا عَلَيْكَ إِذَا أذَنْتَ مِنْ بَاسِ
إِلَّا أَتْنَيْنِ فَلَا تَقْرَبَهُمَا أَبَدًا الشُّرْكَ بِاللَّهِ وَالْإِضْرَارُ بِالنَّاسِ

ثم قال واحد من أولاد التجار : بحياتي عليك يا سيدي نور الدين أن تشرب هذا القدر . وتقدّم شاب آخر وحلف عليه بالطلاق ، وآخر وقف بين يديه على أقدامه . فاستحى نور الدين وأخذ القدر من خولي البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال : هذا مرّ . فقال له الشاب خولي البستان : يا سيدي نور الدين ، لولا إنه مرّ ما كانت فيه هذه المنافع . ألم تعلم أن كل حلو إذا أكل على سبيل التداوي يجده الأكل مرّاً ، وأن هذه الخمرة منافعها كثيرة ؟ فمن جملة منافعها أنها تهضم الطعام وتصرف الهمّ والغمّ وتزيل الأرياح وتروق الدم وتصفّي اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوي همة الرجل على الجماع . ولو كنا ذكرنا منافعها كلها لطل علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء : [من الطويل]

شَرَبْنَا وَعَفُوَ اللهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَدَاوَيْتُ أَسْقَامِي بِرِشْفِي لِلْكَاسِ
وَمَا غَرَّتِي فِيهَا وَأَعْرَفْتُ إِثْمَهَا سِوَى قَوْلِهِ : فِيهَا مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ

ثم إن خولي البستان نهض قائماً على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعاً من مخادع ذلك الإيوان وأخرج منه قمع سكر مكرّر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين في القدح وقال له : يا سيدي ، إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا . فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملاً الكأس واحد من أولاد التجار وقال : يا سيدي نور الدين ، أنا عبدك . وكذا الآخر قال : أنا خدامك . وقام الآخر وقال : من أجل خاطري . وقام الآخر وقال : بالله عليك يا سيدي نور الدين أجبر بخاطري . ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين إلى أن أسقوه العشرة أقداح ، كل واحد قدحاً . وكان نور الدين باطنه بكر عمره ما شرب خمراً قط إلا في تلك الساعة ، فدار الخمر في دماغه وقوي عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال : يا جماعة ، والله أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح إلا إنه يحتاج إلى سماع طيب فإن الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده . كما قال الشاعر فيه هذين البيتين : [من الوافر]

أَدْرِهَا بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ وَخُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وَلَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيرِ

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها لية طرية أو فضة نقية أو دينار في صينية أو غزال في برية ، بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بلبلية وحواجب كأنها قسي محنية وخلود وردية وأسنان لؤلؤية ومراشف سكرية وعيون مرخية ونهود عاجية وبطن خماسية وأعكان مطوية وأرداف كأنها مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شيء كأنه صرة في بقجة مطوية . كما قيل فيها هذه الأبيات : [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّهَا لِلْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضَتْ
وَلَوْ أَنَّهَا فِي الشَّرْقِ لَاحَتْ لِرَاهِبٍ
وَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ

وقال آخر هذه الأبيات : [من البسيط]

أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ كَحَلَاءِ الْعُيُونِ بَدَتْ
أَرَحَتْ عَلَيْهَا اللَّيَالِي مِنْ دَوَائِبِهَا
مِنْ وَرْدٍ وَجَنَّتِهَا النَّيْرَانُ مَا اتَّقَدَّتْ
فَلَوْ رَأَاهَا حِسَانُ الْعَصْرِ قَمْنٌ لَهَا

وما أحسن قول بعض الشعراء : [من البسيط]

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْهَا عَنْ زِيَارَتِنَا
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ وَمَا
هَبَّ الْجَبِينُ بِفَضْلِ الْكِمِّ تَسْتُرُهُ
خَوْفَ الرَّقِيبِ وَخَوْفَ الْحَاسِدِ الْحِنِقِ
حَوَتْ مَعَاطِفُهَا مِنْ عَبْرٍ عَيْتِي
وَالْحَلِي تَنْزَعُهُ مَا حَيْلَةُ الْعَرِقِ

وتلك الصبية كانها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر وعليها بدلة زرقاء بقناع أخضر فوق جبين أزهري، تدهش العقول وتحير أرباب المعقول. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن خولي البستان لما جاء لهم بالصبية التي ذكرنا أنها في غاية من الحسن والجمال ورشاقة القدر والإعتدال كانها المرادة بقول الشاعر:

فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةَ
كَانَتْ اللَّيْلَةَ
867
كَانَتْ اللَّيْلَةَ

[من الخفيف]

أَقْبَلْتُ فِي غِلَالَةِ زَرْقَاءَ لَازِرَ دَرِيَّةٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ
فَتَحَقَّقْتُ فِي الْغِلَالَةِ مِنْهَا قَمَرَ الصَّيْفِ فِي لِيَالِي الشِّتَاءِ

وما أحسن قول الآخر وأجوده: [من البسيط]

جَاءَتْ مَبْرُوعَةً فَقُلْتُ لَهَا أَسْفِرِي عَنْ وَجْهِكَ الْقَمَرَ الْمُنِيرَ الْأَزْهَرِي
قَالَتْ: أَخَافُ الْعَارَ قُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي بِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ لَا تَتَحَيَّرِي
رَفَعَتْ نَهَابَ الْحُسْنِ عَنْ وَجَنَاتِهَا فَتَسَاقَطَ الْبَلُورُ فَوْقَ الْجَوْهَرِ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِقَتْلِهَا مِنْ حُبِّهَا كَيْمَا تَكُونَ خَصِيمَتِي فِي الْمُحْشَرِ
وَتَكُونَ أَوْلَى عَاشِقِينَ تَخَاصِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّ أَكْبَرِ
وَأَقُولُ: طَوَّلَ فِي الْحَسَابِ وَقُوفُنَا حَتَّى يَطُولَ إِلَى الْحَيِّبَةِ مَنظَرِي

ثم إن الشاب خولي البستان قال لتلك الصبية: اعلمي يا سيدة الملاح وكل كوكب لاح أننا ما قصدنا بحضورك في هذا المكان إلا أن تنادمي هذا الشاب المليح الشمائل سيدي نور الدين، فإنه لم يأت محلنا هذا إلا في هذا اليوم. فقالت له الصبية: ليتك كنت أخبرتنني لأجل أن أجيء بالذي كان معي. فقال لها: يا سيدتي، أنا أروح وأجيء به إليك. فقالت الصبية: إفعل ما بدا لك. فقال لها: أعطيني إمارة. فأعطته منديلاً. فعند ذلك خرج سريعاً وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس أخضر من حرير أطلس بشكلين من الذهب، فأخذته الصبية منه وحلته ونفضته فنزل منه اثنتان وثلاثون قطعة خشب، ثم ركب الخشب في بعضه على صورة ذكر في أنثى وأنثى في ذكر وكشفت عن معاصمها وأقامته فصار عوداً محكوكاً مجروداً صنعة الهنود. ثم انحنى عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها ورغزغته بأنامل يدها. فعند ذلك أن العود ورنّ ولأماكنه القديمة قد حنّ، وقد تذكر المياه التي قد سقته والأرض التي نبت منها وتربى فيها، وتذكر النجارين الذين قطعوه والدهانين الذين دهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التي حملته. فصرخ وصاح وعدد وناح وكأنها سألته عن ذلك كله فأجابها بلسان الحال منشداً هذه الأبيات: [من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ عُوداً لِلْبَلْبَلِ مَنْزِلاً أَمِيلُ بِهَا وَجِداً وَقَرْعِي أَخْضُرُ

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لِلنَّوْحِ سِرِّي مُجَهَّرٌ
وَصِرِّي عودًا نَحِيلًا كَمَا تَرَوُا
بِأَنِّي قَتِيلٌ فِي الْأَنَامِ مُصَبَّرٌ
إِذَا مَا رَأَى نَوْحِي يَهِيمُ وَيَسْكُرُ
وَقَدْ صِرْتُ فِي أَعْلَى الصُّدُورِ أُصَدَّرُ
وَكُلُّ غَزَالٍ نَاعِسٍ الطَّرْفِ أَحْوَرُ
وَلَا عَاشَ مَحْبُوبٌ يُصَدُّ وَيُهَجَّرُ

يُنُوحُونَ مِنْ قَوْمي تَعَلَّمْتُ نَوْحَهُمْ
رَمَانِي يَلَا دَتْبَ عَلَى الْأَرْضِ قَاطِعِي
وَقَدْ ضَرَّ بِي بِالْأَنَامِلِ مُخْبِرٌ
فَمِنْ أَجْلِ هَذَا صَارَ كُلُّ مُنَادِمٍ
وَقَدْ حَنَّ الْمَوْلَى عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ
تُعَانِقُ قَدَيَّ كُلُّ مَنْ فَاقَ حُسْنَهَا
فَلَا فَرَّقَ اللَّهُ الْمُهَيِّمِينَ بَيْنَنَا

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك أخذت ذلك العود في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وضربت عليه طرفاً عديدة ثم عادت إلى طريقته الأولى وأنشدت هذه الأبيات : [من البسيط]

لَحُطٌّ عَنْهُ مِنَ الْأَشْوَابِ أَوْزَارُ
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ شَطَّتْ بِهِ الدَّارُ
كَأَنَّهَا بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ أَسْحَارُ
وَقَدْ دَعَعْنَا إِلَى اللَّذَاتِ أوتَارُ
أَسٌ وَوَرْدٌ وَمَشُورٌ وَأَنوَارُ
صَبٌّ وَخِلٌ وَمَشْرُوبٌ وَدِينَارُ
تَفْنَى وَتَبْقَى رِوَايَاتُ وَأَخْبَارُ

لَوْ أَنَّهُمْ جَنَحُوا لِلصَّبِّ أَوْ زَارُوا
وَعِنْدَلَيْبٍ عَلَى غُصْنٍ يُشَاجِرُهُ
فَمُ وَأَتَيْتِهِ فَلْيَالِي الوَصْلِ مَقْمِرَةٌ
وَالْيَوْمَ فِي غَفْلَةٍ عَنَّا حَوَاسِدُنَا
أَمَا تَرَى أَرْبَعًا فِي اللَّحْظِ قَدْ جُمِعَتْ
وَالْيَوْمَ قَدْ جُمِعَتْ لِلْحَظِّ أَرْبَعَةٌ
فَاطْفَرٌ بِحَظِّكَ فِي الدُّنْيَا فَلَذَّتْهَا

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الأبيات نظر إليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدة الليل إليها وهي الأخرى كذلك ، لأنها نظرت إلى الجماعة الحاضرين من أولاد التجار كلهم وإلى نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم ، لأنه كان رخيماً اللفظ والدلال كامل القدر والإعتدال والبهاء والجمال ، الطف من النسيم وأرق من التسنيم . كما قيل في هذه الأبيات : [من الكامل]

وَبِأَسْمِهِ قَدْ رَأَتْهَا مِنْ سِحْرِهِ
وَبِيَاضِ غُرَّتِهِ وَأَسْوَدِ شَعْرِهِ
وَسَطَا عَلَيَّ بِنَهْمِهِ وَبِأَمْرِهِ
وَسَعَتْ لِقَتْلِ الْعَاشِقِينَ بِهِجْرِهِ
وَعَقِيْقِي مَبْسَمِهِ وَلَوْلُوْهُ نَعْرِهِ
رَمَانُهُ يَزْهُو جَنَاهُ بِصَدْرِهِ
وَسُكُونِهِ وَبِدِقَّةِ فِي خَصْرِهِ
وَبِمَا حَوَاهُ مِنَ الْجَمَالِ بِأَسْرِهِ

قَسَمًا بِوَجْتَتِهِ وَبِأَسْمِ نَعْرِهِ
وَبِلَيْنِ مِعْطَفِهِ وَنَبْلِ لِحَاطِهِ
وَبِحَاجِبِ حَجَبِ الْكُرَى عَنْ نَاطِرِي
وَعَقَارِبٍ قَدْ أُرْسِلَتْ مِنْ صُدْغِهِ
وَبِوَرْدِ خَدَيْهِ وَأَسْرِ عِذَارِهِ
وَبِغُصْنِ قَامَتِهِ الَّذِي هُوَ مَثْمِرٌ
وَبِرِذْفِهِ الْمَرِيخُ فِي حَرَكَاتِهِ
وَبِحَرِيرِ مَلْبَسِهِ وَخِفَّةِ دَاتِهِ

إِنَّ الشُّدَا قَدْ فَاحَ مِنْ أَنْفَاسِهِ وَالرِّيحُ يَرُوي طَيْبَهَا عَنْ نَشْرِهِ
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ دُونَهُ وَكَذَا الْهَيْلَالُ قَلَامَةٌ مِنْ ظَفَرِهِ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها أعجبه نظامها . وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول :

فلما كانت الليلة
التي كانت الليلة
868
التي كانت الليلة

[من مجزوء الكامل]

عَوَادَةٌ مَالَتْ بِنَا فِي نَشْوَةِ الْمُتَنَبِّدِ
قَالَتْ لَنَا أَوْتَارُهَا أَنْطَقْنَا اللهُ الَّذِي

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وأنشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقاً وغمماً . وقد صارت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قدّه واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانياً وأنشدت هذه الأبيات : [من الوافر]

يُعَاتِبُنِي عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَيَهْجُرُنِي وَرُوحِي فِي يَدَيْهِ
وَيُبْعِدُنِي وَيَعْلَمُ مَا بِقَلْبِي كَأَنَّ اللهُ قَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ
كَتَبْتُ مِثَالَهُ فِي وَسْطِ كَفِّي وَقُلْتُ لِنَاظِرِي عَوْلٌ عَلَيْهِ
فَلَا عَيْنِي تَرَى مِنْهُ بَدِيلاً وَلَا قَلْبِي يُصَبِّرُنِي لَدَيْهِ
فِيَا قَلْبِي نَزَعْتُكَ مِنْ فُؤَادِي لِأَنَّكَ فِي الْعَدَاوَةِ مِنْ بَيْنِي
إِذَا مَا قُلْتُ : يَا قَلْبِي تَسَلَّى يُجَاوِبُنِي : فَيَا لَكَ مِنْ كَرِيهِ

فلما أنشدت الصبية تلك الأبيات تعجّب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعلوية لفظها وفصاحة لسانها، فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر أن يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال إليها وضمّها إلى صدره فانطبقت الأخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبّلت بين عينيه وقبّل هو فاهها بعد ضمّ القوام ولعب معها في التقبيل زق الحمام ، فالتفتت له وفعلت معه مثل ما فعل معها . فهام الحاضرون وقاموا على أقدامهم ، فاستحى نور الدين ورفع يده عنها . ثم إنها أخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذه الأبيات : [من الكامل]

قَمَرٌ يَسَلُّ مِنَ الْجُفُونِ إِذَا أَتَيْتِي غَضَبًا وَيَهْزَأُ بِالْغَزَالِ إِذَا رَنَا
مَلِكٌ مَحَاسِنُهُ الْبَدِيعَةُ جُنْدُهُ وَلَدَى الطَّعَانِ قَوْمُهُ يَحْكِي الفَنَا
لَوْ أَنَّ رِقَّةَ قَلْبِي فِي خَصْرِهِ مَا جَارَ قَطُّ عَلَى الْمَحِبِّ وَلَا جَنِي
يَا قَلْبُهُ الْقَاسِي رِقَّةَ خَصْرِهِ هَلَّا لَا أَنْتَقَلَّتَ إِلَى هُنَا مِنْ هَاهُنَا
يَا عَادِلِي فِي حَبِّهِ كُنْ عَادِرِي فَلكَ الْبَقَاءُ بِحُسْنِهِ وَلِي الفَنَا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال إليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب ثم إنه أنشد هذه الأبيات: [من الطويل]

لَقَدْ خِلْتُهَا شَمْسَ الضُّحَى فُتَخَّلَّتْ
وَمَاذَا عَلَيَّهَا لَوْ أَشَارَتْ فَسَلَّمَتْ
رَأَى وَجْهَهَا اللَّاحِجِي فَقَالَ وَتَاهُ فِي
أَهْذِي الَّتِي قَدْ هَمَّتْ شَوْقًا بِحُبِّهَا
رَمَّتْنِي بِسَهْمِ اللَّحْظِ عَمْدًا وَمَارَّتْ
فَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْفُؤَادِ مَتِيمًا
وَلَكِنْ لَهَيْبُ الْحَرِّ مِنْهَا بِمُهَجَّتِي
عَلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ وَأَوْمَتْ
مَحَاسِنَهَا اللَّاتِي عَنِ الْحُسْنِ أَجَلَّتْ
فَإِنَّكَ مَعْدُورٌ فَقُلْتُ: هِيَ الَّتِي
لِحَالِي وَذَلِّي وَأَنْكِسَارِي وَعُزْبَتِي
أُنُوحُ وَأَبْكِي طَوْلَ يَوْمِي وَلَيْلَتِي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته وأخذت عودها وضربت عليه بأحسن حرركاتها واعادت جميع النغمات ثم أنشدت هذه الأبيات: [من الكامل]

وَحَيَاةٌ وَجْهَكَ يَا حَيَاةَ الْأَنْفُسِ
فَلَيْتُنْ جَفَوْتَ فَإِنَّ طَيْفَكَ وَاصِلٌ
يَا مُوحِشًا طَرْفِي وَتَعَلَّمْتُ أَنَّنِي
خَدَاكَ مِنْ وَرْدٍ وَرَيْقِكَ قَهْوَةٌ
لَا حِلَّتْ عَنْكَ يَسْتُ أَمْ لَمْ أَيْسُرْ
أَوْ غَبَّتْ عَنْ عَيْنِي فَذَكَرْتُ مُؤْنِسِي
أَبْدًا بِغَيْرِ هَوَاكَ لَمْ أَسْتَأْسِرْ
هَلَّا سَمَحْتَ بِهَا بِهَذَا الْمَجْلِسِ؟

فعند ذلك طرب نور الدين من إنشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم اجابها عن شعرها بهذه الأبيات: [من البسيط]

مَا أَسْفَرَتْ عَنْ مُحْيَا الشَّمْسِ فِي الْعَسْوِ
وَلَا بَدَتْ لِعَيُونِ الصُّبْحِ طَرَّتْهَا
خُذْ عَنْ مَجَارِي دُمُوعِي فِي تَسْلُسُلِهَا
وَرُبَّ رَامِيَةٍ بِالنَّبْلِ قُلْتُ لَهَا:
إِنْ كَانَ دَمْعِي لِبَحْرِ النَّيْلِ نِسْبَتُهُ
قَالَتْ: فَهَاتِ جَمِيعَ الْمَالِ قُلْتُ: خُدِّي
إِلَّا لِتَحْجُبَ بَدْرَ التَّمِّ فِي الْأَفْوِ
إِلَّا وَعَوَّدْتُ ذَلِكَ الْفَرْقَ بِالْفَلَوِ
وَأُرُو الْحَدِيثَ هَوَى مِنْ أَقْرَبِ الطَّرْقِ
مَهْلًا يَنْبِيْلِكَ إِنَّ الْقَلْبَ فِي فَرْقِ
فَإِنَّ وَدَّكَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَلَوِ
قَالَتْ: وَنَوْمُكَ أَيْضًا قُلْتُ: مِنْ حَدْقِي

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبها واندحش لُبها وقد احتوى على مجامع قلبها، فضمته إلى صدرها وصارت تقبله تقبيلاً كزق الحمام وكذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق. وبعد أن فرغت من التقبيل أخذت العود وأنشدت هذه الأبيات: [من الكامل]

وَيَلَاهُ وَيَلِي مِنْ مَلَامَةٍ عَادِلِ
يَا هَاجِرِي مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّنِي
عَنَّفْتُ أَرْبَابَ الصَّبَابَةِ بِالْجَوَى
بِالْأَمْسِ كُنْتُ أَلُومُ أَرْبَابَ الْهَوَى
أَشْكُوهُ أَمْ أَشْكُو إِلَيْهِ تَمَلُّمِي
أَلْقَى الْإِهَانَةَ فِي هَوَاكَ وَأَنْتَ لِي
وَأَبَحْتُ فِيكَ لِعَادِلِكَ تَذَكُّلِي
وَالْيَوْمَ أَعْذُرُ كُلَّ صَبٍّ مُبْتَلِ

وَإِنْ أَعْرَضْتَنِي مِنْ فِرَاقِكَ شِدَّةً أَصَبَحْتُ أَدْعُو اللَّهَ بِاسْمِكَ يَا عَلِيَّ

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها أنشدت أيضاً هذين البيتين: [من الكامل]

قَدْ قَالَتْ الْعُشَاقُ إِنَّ لَمْ يَسْقِنَا مِنْ رِبْقِهِ وَرُحْبِي فِيهِ السَّلْسَلُ
تَدْعُو إِلَهَ الْعَالَمِينَ يُجِيبُنَا وَيَقُولُ فِيهِ الْكُلُّ مِنَّا يَا عَلِيَّ

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها على ظرافة افتنانها. فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وقلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجرّدت من ذلك كله، ثم جلست على ركبتيه وقبلته بين عينيه وعلى شامتي خديّه ووهبت له جميع ذلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 869
□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصبية وهبت كل ما كان عليها نور الدين وقالت له: أعلم يا حبيب قلبي أن الهدية على مقدار هاديتها. فقبل ذلك منها نور الدين ثم ردها عليها وقبلها في فمها وخديها وعينيها. فلما انتقض ذلك ولم يدم إلا الحي القيوم رازق الطاووس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على قدميه. فقالت له الصبية: إلى أين يا سيدي؟ فقال لها: إلى بيت والدي. فحلف عليه أولاد التجار أنه ينام عندهم، فأبى وركب بغلته ولم يزل سائراً حتى وصل إلى بيت والده. فقامت له أمه وقالت له: يا ولدي، ما سبب غيابك إلى هذا الوقت؟ والله إنك قد شوّشت عليّ وعلى والدك بغيابك عنا وقد اشتغل خاطرنا عليك. ثم إن أمه تقدّمت إليه لتقبّله في فمه فشمت منه رائحة الخمر فقالت: يا ولدي، كيف بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصي من له الخلق والأمر؟ فبينما هما في الكلام وإذا بوالده قد أقبل، ثم إن نور الدين ارتدى في الفراش ونام. فقال أبوه: ما لنور الدين هكذا؟ قالت له أمه: كان رأسه أوجعته من هوى البستان. فعند ذلك تقدّم له والده ليسأله عن وجعه ويسلم عليه فشمت منه رائحة الخمر، وكان ذلك التاجر المسمّى تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر. فقال له: ويلك يا ولدي، هل بلغ بك السفه إلى هذا الحد حتى تشرب الخمر؟ فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده وهو في سكره ولطمه بها فجاءت اللطمة بالأمر المقدر على عين والده اليمنى، فسالت على خده فوقع على الأرض مغشياً عليه، واستمرّ في غشيته ساعة فرشوا عليه ماء الورد. فلما أفاق من غشيته أراد أن يضربه فمنعته أمه، فحلف بالطلاق من أمه أنه إذا أصبح الصباح لا بد من قطع يده اليمنى. فلما سمعت أمه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تداري والده وتأخذ بخاطره إلى أن غلب عليه النوم. فصبرت إلى أن طلع القمر وآتت إلى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له: يا نور الدين، ما هذا الفعل القبيح الذي فعلته مع والدك؟ فقال لها: وما الذي فعلته مع والدي. فقالت: إنك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده، وقد حلف بالطلاق أنه إذا أصبح الصباح لا بد أن يقطع يدك اليمنى. فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم. فقالت له أمه: يا ولدي، إن هذا الندم لا ينفعك وإنما ينبغي لك أنك تقوم في هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك وتختفي عند خروجك حتى تصل

إلى أحد من أصحابك وانتظر ما يفعل الله فإنه يغير حالاً بعد حال . ثم إن أمه فتحت صندوق المال وأخرجت منه كيساً فيه مائة دينار وقالت له : يا ولدي ، خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك ، فإذا فرغت منك يا ولدي فارسل اعلمني حتى أرسل إليك غيرها ، وإذا راسلتني فارسل إلي أخبارك سرّاً ولعل الله أن يقدر لك فرجاً وتعود إلى منزلك . ثم إنها ودّعته وبكت بكاء شديداً ما عليه من مزيد . فعند ذلك أخذ نور الدين كيس الدنانير من أمه وأراد أن يخرج فرأى كيساً كبيراً قد نستته أمه بجانب الصندوق فيه ألف دينار ، فأخذ نور الدين ثم ربط الإثنين على وسطه وخرج من الزقاق وتوجه إلى جهة بولاق قبل الفجر . فلما أصبح الصباح وقامت الخلايق توحد الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم إلى مقصد ليحصل ما قسم الله له ، كان نور الدين وصل إلى بولاق . فصار يمشي على ساحل البحر فرأى مركباً سقالتها مملوذة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها ربع مدقوقة في البر ، ورأى البحرية واقفين . فقال لهم نور الدين : إلى أين أنتم مسافرون؟ فقالوا له : إلى مدينة اسكندرية . فقال لهم نور الدين : خذوني معكم . فقالوا له : اهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا شاب يا مليح . فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى إلى السوق واشترى ما يحتاج إليه من زوادة وفرش وغطاء ثم رجع إلى المركب ، وكانت تلك المركب تجهزت للسفر . فلما نزل نور الدين في المركب لم تمكث إلا قليلاً وسارت من وقتها وساعتها ، ولم نزل تلك المركب سائرة حتى وصلت إلى مدينة رشيد . فلما وصلوا إلى هناك رأى نور الدين زورقاً صغيراً سائراً إلى اسكندرية فنزل فيه وعدى الخليج ، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى قنطرة تسمى قنطرة الجامي . فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له : باب السدرة ، وقد ستر الله عليه فلم ينظره أحد من الواقفين في الباب . فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندرية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 870

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن نور الدين لما دخل مدينة اسكندرية رآها مدينة حصينة الاسوار حسنة المنتزهات تلذ لسكانها وترغب في إيطانها ، قد ولّى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وازدهت أزهارها وأورقت أشجارها وأنبعث أثمارها وتدفت أنهارها ، وهي مدينة مليحة الهندسة والقياس وأهلها أجنال من خيار الناس إذا غلقت أبوابها آمنت أصحابها . وهي كما قيل فيها هذه الايات : [من مجزوء المحتث]

قَدْ قُلْتُ يَوْمًا لَخُلُّ
إِسْكَندَرِيَّةَ صَفْهَا
قُلْتُ : وَفِيهَا مَعَاشُ
لَهُ مَقَالٌ فَصِيحُ
فَقَالَ : تُغَرُّ مَلِيحُ
فَقَالَ : إِنَّ هَبَّ رِيحُ

وقال بعض الشعراء : [من مجزوء المحتث]

إِسْكَندَرِيَّةَ تُغَرُّ
مَا أَحْسَنَ الوَصْلَ فِيهَا
رُضَابُهُ يُسْتَطَابُ
إِنْ لَمْ يُصَيَّبْهَا غُرَابُ

فمشى نور الدين في تلك المدينة ولم يزل ماشياً فيها إلى أن وصل إلى سوق التجارين ثم إلى

سوق الصرافين ثم إلى سوق النقلية ثم إلى سوق الفكهانية ثم إلى سوق العطارين وهو يتعجب من تلك المدينة لأن وصفها قد شاكل اسمها . فبينما هو يمشي في سوق العطارين وإذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم أخذه من يده ومضى به إلى منزله ، فرأى نور الدين زقاقاً مليحاً مكنوساً مرشوشاً ، قد هبّ عليه النسيم وراق وظلّته من الأشجار أوراق ، وفي ذلك الزقاق ثلاث دور . وفي صدر ذلك الزقاق دار أساسها راسخ في الماء وجدراها شاهقة إلى عنان السماء ، قد كتّسوا الساحة التي قدامها ورشّوها ، وتشمّ روائح الأزهار قاصدوها ، يقابلها النسيم كأنه من جنان النعيم . فأول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش . فدخل الشيخ بنور الدين إلى تلك الدار وقدم له شيئاً من الماكول وأكل هو وإياه . فلما فرغ من الأكل قال له الشيخ : متى كان القدوم من مدينة مصر إلى هذه المدينة ؟ فقال له : يا والدي ، في هذه الليلة . قال له : ما اسمك ؟ قال : علي نور الدين . فقال له الشيخ : يا ولدي يا نور الدين ، يلزمني الطلاق ثلاثاً إنك ما دمت مقيماً في هذه المدينة لا تفارقني وأنا أخلي لك موضعاً تسكن فيه . فقال له نور الدين : يا سيدي الشيخ ، زدني بك معرفة . فقال : يا ولدي ، أعلم أنني دخلت مصر في بعض السنين بتجارة فبعثتها فيها واشترت متجراً آخر فاحتجت إلى ألف دينار ، فوزنها عني والدك تاج الدين من غير معرفة له بي ولم يكتب عليّ بها منشوراً ، وصبر عليّ بها إلى أن رجعت إلى هذه المدينة وأرسلتها إليه مع بعض غلماني ومعها هدية وقد رأيتك وأنت صغير ، وإن شاء الله تعالى أجازيك ببعض ما فعل والدك معي . فلما سمع نور الدين هذا الكلام أظهر الفرح والإبتسام وأخرج الكيس الذي فيه الألف دينار وأعطاه لذلك الشيخ وقال له : خذ هذا وديعة عندك حتى اشتري به شيئاً من البضائع لا تجر فيه . ثم إن نور الدين أقام في مدينة اسكندرية مدة أيام وهو يتفرّج كل يوم في شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب إلى أن فرغت منه المائة دينار التي كانت معه برسم النفقة ، فأتى إلى الشيخ العطار ليأخذ منه شيئاً من الألف دينار وينفقه فلم يجده في الدكان ، فجلس في دكانه ينتظره إلى أن يعود وصار يتفرّج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال . فبينما هو كذلك وإذا بأعجمي قد أقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية أو بلطية في فسقية أو غزالة في برية ، بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بلبلية ونهود عاجية وأسنان لؤلؤية وبطن خماسية وأعطاف مطوية وسيقان كأطراف لية ، كاملة الحسن والجمال ورشاقة القد والإعتدال . كما قال فيها بعض واصفها: [من البسيط]

كأنّها مثل ما تهوّه قد خلقت	في روتّي الحُسن لا طول ولا قصر
الورد من خدّها يحمر من خجل	والغصن من قدّها يزهر به الثمر
البدن طلعتها والمسك نكهتها	والغصن قامتها ما مثلها بشر
كأنّها أفرغت من ماء لؤلؤة	في كلّ جارحة من حُسنها قمر

ثم إن الأعجمي نزل عن بغلته وأنزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه . فقال له : خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق . فأخذها الدلال ونزل بها إلى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسي من الأبنوس مزركش بالعاج الأبيض ، فوضعه الدلال على الأرض وأجلس

عليه تلك الصبية . ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمي أو كوكب دري وهي كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر . بغاية الجمال الباهر كما قال الشاعر : [من البسيط]

فَرَّاحٌ مُنْكَسِفًا وَأَنْشَقَّ بِالْغَضَبِ
تَبَّتْ يَدَا مَنْ غَدَتْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ

قَدْ عَارَضَ الْبَدْرُ جَهْلًا حُسْنَ صُورَتِهَا
وَسَرَّحَهُ الْبَانُ إِنْ قَيْسَتْ بِقَامَتِهَا
وما أحسن قول الشاعر : [من الكامل]

مَاذَا فَعَلْتِ بِعَابِدِ مُتْرَهَبِ
هَزَمًا بِضَوْئِهِمَا جِيُوشَ الْغَيْهَبِ
فِي الْخَدِّ حُرَّاسٌ رَمَتْهُ بِكُوكَبِ

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْمَذْهَبِ
نُورُ الْخِمَارِ نُورٌ وَجْهَكَ تَحْتَهُ
وَإِذَا أَتَى طَرْفِي لَيْسِرَقَ نَظْرَةً

فعند ذلك قال الدلال للتجار : كم دفعتم في درة الغواص وفليته القناص ؟ فقال له تاجر من التجار : علي بمائة دينار . وقال آخر : بمائتين . وقال آخر : بثلاثمائة . ولم يزل التجار يتزايدون في تلك الجارية إلى أن أوصلوا ثمنها إلى تسعمائة وخمسين ديناراً وتوقف البيع على الإيجاب والقبول . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن التجار صاروا يتزايدون في الجارية إلى أن بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً . فعند ذلك أقبل الدلال على الأعجمي سيدها وقال له : إن جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً فهل تبيع ونقبض لك الثمن ؟ فقال الأعجمي : هل هي راضية بذلك ؟ فإني أحب مراعاة خاطرها لأنني ضعفت في هذه السفارة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة ، فحلقت أني لا أبيعها إلا لمن تشتهي وتريد وجعلت يبيعها بيدها فشاورها ، فإن قالت : رضيت . فبعها لمن أرادته . وإن قالت : لا . فلا تبعها . فعند ذلك تقدم الدلال إليها وقال لها : يا سيدة الملاح ، أعلمي أن سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين ديناراً ، أفتأذنين أن أبيعك ؟ فقالت الجارية للدلال : أرني الذي يريد أن يشتريني قبل انعقاد البيع . فعند ذلك جاء الدلال بها إلى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم ، فنظرت إليه الجارية ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت إلى الدلال وقالت له : يا دلال ، هل أنت مجنون أو مصاب في عقلك ؟ فقال لها الدلال : لأي شيء يا سيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام ؟ فقالت له الجارية : أيحل لك من الله أن تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شأن زوجته هذه الأبيات : [من البسيط]

فلما كانت الليلة
تألمت
871
تألمت

وَقَدْ دَعَّيْنِي إِلَى شَيْءٍ فَمَا كَانَا
فَلَا تَلْمِئِنِي إِذَا أَصْبَحْتَ قَرْنَانَا
فَكَلَّمَا عَرَكَتُهُ رَاحَتِي لِأَنَا

تَقُولُ لِي وَهِيَ غَضَبِي مِنْ تَدَلُّهَا
إِنْ لَمْ تَتَكَّنِي نَيْكَ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ
كَأَنَّ أَيْرَكَ مِنْ شَمْعٍ رَخَاوَتُهُ

وقال في أيره أيضاً : [من الخفيف]

كَلَّمَا نَلْتُ مِنْ حَبِيبٍ وَصَالَا

لِي أَيْرٌ يَنَامُ لُؤْمًا وَشُؤْمًا

وإذا ما عَقَوْتُ في البَيْتِ قَرْدًا طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَهُ والنِّزَالَا
وقال في آيره أيضًا: [من المتقارب]

ولي أَيْرُ سَوْءٍ كَثِيرُ الجَفَا يُعَامِلُ بِاللُّؤْمِ مَنْ يُكْرِمُهُ
إذا نَمْتُ قَامَ وَإِنْ قُمْتُ نَامَ فلا رَحِمَ اللهُ مَنْ يَرْحَمُهُ

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح ، اغتاض غيظًا شديدًا ما عليه من مزيد وقال للدلال : يا انحس الدالين ، ما جئت لنا في السوق إلا بجارية مشؤومة تتجارى عليّ وتهجونني بين التجار ؟ فعند ذلك أخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها : يا سيدتي ، لا تكوني قليلة الادب ، إن هذا الشيخ الذي هجوته هو شيخ السوق ومحتسبه وصاحب مشورة التجار . فضحكت وانشدت هذه الأبيات : [من السريع]

يُصْلِحُ لِلْحُكَّامِ في عَصْرِنَا وَذَاكَ لِلْحُكَّامِ مِمَّا يَجِبُ
الشَّنْقُ لِلْوَالِي عَلَى بَابِهِ وَالضَّرْبُ بِالدَّرَّةِ لِلْمُحْتَسِبِ

ثم إن تلك الجارية قالت للدلال : والله يا سيدي ، أنا ما أباغ لهذا الشيخ فبعني إلى غيره لانه ربما خجل مني فيبيعي إلى آخر فأصير ممتهنة ، ولا ينبغي لي أن أدنس نفسي بالإمتهان وقد علمت أن امر بعي مفوض إليّ . فقال لها الدلال : سمعاً وطاعة . ثم توجه بها إلى رجل من التجار الكبار . فلما وصل بها إلى ذلك الرجل قال لها : يا سيدتي ، هل أبيعك إلى سيدي شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين ديناراً ؟ فظرت إليه الجارية فرأته شيخاً ولكن لحيته مصبوغة . فقالت للدلال : هل أنت مجنون أو مصاب في عقلك حتى تبيعي إلى هذا الشيخ الفاني ؟ فهل أنا من كتكت المشاق أو من مهلهل الاخلاق حتى تطوف بي على شيخ بعد شيخ ؟ وكلاهما كجدار آيل إلى السقوط أو عفريت محقه النجم بالهبوط . أما الاول فإنه ناطق لسان الحال بقول من قال :
[من البسيط]

طَلَبْتُ قُبْلَتَهَا في الثَّغْرِ قَائِلَةٌ لا وَالَّذِي أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ
ما كَانَ لي في بِيَاضِ الشَّيْبِ مِنْ أَرْبٍ أفي الْحَيَاةِ يَكُونُ الْقَطْنُ حَشْوًا قَمِي
وما أحسن قول الشاعر : [من الكامل]

قَالُوا: بِيَاضِ الشَّعْرِ نُورٌ ساطِعٌ * يَكْسُو التَّوَجُّوهَ مَهَابَةً وَضِيَاءً
حَتَّى بَدَا وَخَطُّ الشَّيْبِ بِمَفْرَقِي * قَوَدَدْتُ أَنْ لا أَعْدَمَ الظُّلْمَاءَ
لَوْ أَنَّ لِحْيَةَ مَنْ يَشِيبُ صَحِيفَةً بِمَعَادِهِ ما أَخْتَارَهَا بِيَضَاءً
وأحسن منه قول الآخر : [من البسيط]

ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِمٍ السَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللَّمَمِ
أَبْعَدُ بَعْدَتْ بِيَاضاً لا بِيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ في عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

وأما الآخر فإنه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب قد أتى في خضاب شبيه بأقبح من . وانشد لسان حاله هذين البيتين : [من البسيط]

كَتَمْتُهُ عَنْكَ يَا سَعْمِي وَيَا بَصْرِي
تَكَاتَرَ الْغَيْشُ حَتَّى صَارَ فِي الشَّعْرِ

قَالَتْ: أَرَأَيْكَ خَضِبْتَ الشَّيْبَ قُلْتَ لَهَا
فَقَهَقَتْ ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّ ذَا عَجَبٌ

وما أحسن قول الشاعر: [من الكامل]

كَيَّ يَسْتَقِرُّ لَهُ الشَّبَابُ وَيَحْصُلُ
وَلَكَّ الضَّمَانُ بَأَنَّهُ لَا يَتَّصِلُ

يَا مَنْ يُخَضِّبُ بِالسَّوَادِ مَشِيئَهُ
هَا فَاخْتَضِبِ بِسَّوَادِ حَظِّي مَرَّةً

فلما سمع الشيخ الذي صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام ، اغتاض غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال للدلال : يا أنحس الدالين ، ما جئت في هذا اليوم سوقنا إلا بجارية سفية تسفه على كل من في السوق واحداً بعد واحد ، وتهجروهم بالأشعار والكلام الفشار . ثم إن ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه . فأخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال : والله إنني ما رأيت عمري جارية أقل حياء منك وقد قطعت رزقي ورزقك في هذا النهار وقد بغضني من أجلك جميع التجار . فرأهما في الطريق رجل من التجار فزاد في ثمنها عشرة دنانير وكان اسم ذلك التاجر شهاب الدين . فاستأذن الدلال الجارية في البيع فقالت : أرني إياه حتى أنظر إليه وأسأله عن حاجة ، فإن كانت تلك الحاجة في بيته فأنا أبيع له وإلا فلا . فخلاها الدلال واقفة ثم تقدم إليه وقال له : يا سيدي شرف الدين ، أعلم أن هذه الجارية قالت لي أنها تسالك عن حاجة فإن كانت عندك فإنها تباع لك ، وها أنت قد سمعت ما قالت لأصحابك من التجار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الدلال قال للتاجر : إنك سمعت ما قالت هذه الجارية لأصحابك التجار ، وأنا والله خائف أن أجيء بها إليك فتعمل معك مثل ما عملت مع جيرانك وأبقى أنا معك مفضوحاً ، فإن أدت لي في المحيى بها أجيء بها إليك . فقال له : اثني بها . فقال الدلال : سمعاً وطاعة . ثم ذهب الدلال وأتى بالجارية إليه .

فلما كانت الليلة
872
الليلة

فنظرت الجارية وقالت له : يا سيدي شهاب الدين ، هل في بيتك ملورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب ؟ فقال لها : نعم يا سيدة الملاح ، عندي في البيت عشر ملورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب ، فباه عليك ماذا تصنعين بهذه الملورات ؟ فقالت : أصبر عليك حتى ترقد وأجعلها على فمك وأنفك حتى تموت . ثم إنها التفتت إلى الدلال وقالت له : يا أحس الدالين ، كأنك مجنون حتى تعرضني من منذ ساعة على اثنين من الشيوخ ، في كل واحد منهما عيان ، وبعد ذلك تعرضني على سيدي شهاب الدين وفيه ثلاثة عيوب : الأول إنه قصير . والثاني إن أنفه كبير . والثالث إن لحيته طويلة . وقد قال فيه بعض الشعراء : [من الخفيف]

مِثْلَ هَذَا بَيْنَ الْخَلَّاقِ أَجْمَعِ
طُولُ شَيْبٍ وَقَامَةٌ طُولُ أَصْبَعِ

مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِشَخْصٍ
قَلَّهُ لِحْيَةً ذِرَاعٌ وَأَنْفٌ

وقال بعضهم أيضاً: [من السريع]

كَرَّةُ الْخِنْصَرِ فِي الْخَاتَمِ

مَنَارَةُ الْجَامِعِ فِي وَجْهِهِ

لَوْ دَخَلَ الْعَالَمُ فِي أَنْفِهِ أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا بِلاَ عَالَمٍ

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان وأخذ بطوق الدلال وقال له : يا أنحس الدالين ، كيف تأتي إلينا بجارية توبّخنا وتهجوننا واحداً بعد واحد بالأشعار والكلام الفشار ؟ فعند ذلك أخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها : والله طول عمري وأنا في هذه الصناعة ما رأيت جارية أقل أدباً منك ولا أنحس عليّ من نجمك لأنك قد قطعت رزقي في هذا اليوم ولا ربحت منك إلا الصفع على القفا والأخذ بالطوق . ثم إن الدلال وقف بتلك الجارية أيضاً على تاجر صاحب عبيد وعلمان وقال لها : أتباعي لهذا التاجر سيدي علاء الدين ؟ فنظرته فوجدته أحذب فقالت : إن هذا أحذب . وقد قال فيه الشاعر : [من الكامل]

قَصْرَتْ مَنَاكِهُ وَطَالَ فَقَارُهُ فَحَكَاهُ شَيْطَانٌ يُصَادِفُ كَوَكْبًا
وَكَأَنَّهُ قَدْ ذَاقَ أَوَّلَ دِرَّةٍ وَأَحْسَّ ثَانِيَةَ فَصَارَ مُعْجَبًا

وقال فيه بعض الشعراء أيضاً : [من الرجز]

لَمَّا ارْتَقَى أَحَدُكُمْ بَغْلَةً صَارَ بِهَا بَيْنَ الْوَرَى مِثْلَهُ
أَمَالُهُ الضُّحْكُ فَلَا تَعْجَبُوا إِنَّ جَفَلْتَ مِنْ تَحْتِهِ الْبَغْلَةَ

وكما قال فيه بعض الشعراء : [من الكامل]

وَلَرُبَّ أَحْدَبٍ زَادَ فِي حَدْبَاتِهِ قُبْحًا فَقَاطِبَةُ الْعُيُونِ تَمْجُهُ
فَكَأَنَّهُ غَضْنٌ تَقْلَصَ يَابِسٌ وَلَوَاهُ مِنْ طُولِ الْمَدَى أَتْرَجُهُ

فعند ذلك أسرع الدلال إليها وأخذها وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها : أتباعي لهذا ؟ فنظرت إليه فوجدته أعمش فقالت : إن هذا أعمش ، كيف تبيني له ؟ وقد قال فيه بعض الشعراء : [من المجزوء الكامل]

رَمَدٌ بِهِ أَمْرَاضُهُ هَدَّتْ قُوَى لِحْيَتِهِ
يَا قَوْمُ قَوْمُوا فَانظُرُوا هَذَا الْقَدَى فِي عَيْنِهِ

فعند ذلك أخذها الدلال وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها : أتباعي لهذا ؟ فنظرت إليه فرأت لحيته كبيرة . فقالت للدلال : ويلك إن هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله في حلقه كيف تبيني له يا أنحس الدالين ؟ أما سمعت أن كل طويل الذن قليل العقل ، وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان العقل . وهذا أمر مشهور بين العقلاء كما قال بعض الشعراء : [من السريع]

مَا رَجُلٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَةٌ فَزَادَتْ اللَّحِيَّةُ فِي هَيْبَتِهِ
إِلَّا وَمَا يَنْقُصُ مِنْ عَقْلِهِ يَكُونُ طَوَّلًا زَادَ فِي لِحْيَتِهِ

وكما قال فيه بعض الشعراء أيضاً : [من المجتث]

لَنَا صَدِيقٌ لَهُ لِحْيَةٌ طَوَّلَهَا اللَّهُ بِلاَ فَائِدَةٍ
كَأَنَّهَا بَعْضُ لِيَالِي الشِّتَاءِ طَوِيلَةٌ مُظْلِمَةٌ بَارِدَةٌ

فعد ذلك اخذها الدلال ورجع فقالت له : إلى أين تتوجه بي ؟ فقال لها : إلى سيدك الأعجمي وكفانا ما جرى لنا بسببك في هذا النهار ، وقد تسببت في منع رزقي ورزقه بقلة أدبك . ثم إن الجارية نظرت في السوق والتفتت يمينا وشمالاً وخلفاً وأماماً فوقع نظرها بالامر المقدر على نور الدين علي المصري ، فرآته شاباً مليحاً نقي الخد رشيق القد وهو ابن أربعة عشر سنة ، بديع الحسن والجمال والظرف والدلال ، كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر ، بجبين أزهر وخذ أحمر وعنق كالمرمر واسنان كالجوهر وريق أحلى من السكر . كما قال فيه بعض واصفيه : [من الكامل]

بَدَتْ لِحَاكِي حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ بُدُورٌ وَغِزْلَانٌ فَقُلْتُ لَهَا : قَفِي
رُؤْيُكَ يَا غِزْلَانٌ لَا تَتَّشَبَّهُ بِهَذَا وَيَا أَقْمَارُ لَا تَتَكَلَّفِي

وما احسن قول بعض الشعراء : [من الكامل]

وَمُهَفَّفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ تَغْدُو الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلَّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةِ سَوْدَاءِ

فلما نظرت تلك الجارية إلى نور الدين ، حال بينها وبين عقلها ووقع في خاطرها موقعا عظيما وتعلق قلبها بمحبته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 873
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما رأت علياً نور الدين تعلق قلبها بمحبته . فالتفتت إلى الدلال وقالت له : هل هذا الشاب التاجر الذي جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودي ما زاد في ثمني شيئاً ؟ فقال لها الدلال : يا سيدة الملاح ، إن هذا شاب غريب مصري ووالده من أكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها وأكابرها ، وله مدة يسيره في هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من أصحاب أبيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان . فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعته من إصبعها خاتم ياقوت مثنياً وقالت للدلال : وصلني عند هذا الشاب المليح ، فإن اشتراني كان هذا الخاتم لك في نظير تعبك في هذا اليوم معنا . ففرح الدلال وتوجه بها إلى نور الدين ، فلما صارت عنده تأملت فرآته كأنه بدر التمام لأنه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال . كما قال فيه بعض واصفيه : [من الوافر]

صَفَا فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْجَمَالِ وَمِنْ أَلْحَاطِهِ رَمِي النَّبَالِ
وَيُشْرِقُ كُلُّ صَبٍّ إِنْ سَقَاهُ بِمَرِّ صُدُودِهِ مِنْ وَصَلِ حَالِ
فَعَرَّتُهُ وَقَامَتُهُ وَعَشِيقِي كَمَالٌ فِي كَمَالٍ فِي كَمَالِ
وَإِنْ غَلَّيْلَ الْأَثْوَابِ مِنْهُ مُزْرَرَةٌ عَلَى طَوْقِ الْهَيْلَالِ
وَمُقَلَّتُهُ وَخَالَهُ وَدَمْعِي لِيَالٍ فِي لِيَالٍ فِي لِيَالِ
وَحَاجِبُهُ وَطَلَعَتُهُ وَجِسْمِي هَيْلَالٌ فِي هَيْلَالٍ فِي هَيْلَالِ
وَطَافَتْ مُقَلَّتَاهُ بِكَاسِ خَمْرِي عَلَى الْعُشَاقِ إِنْ مَرَّ حَيَالِي
وَأَرَشَقْنِي عَلَى ظَمًا زَلَالًا بِبَاسِمِ نَغْرِهِ يَوْمَ الْوِصَالِ
فَقَتْلِي عِنْدَهُ وَدَمِي لَدَيْهِ حَلَالٌ فِي حَلَالٍ فِي حَلَالِ

ثم إن الجارية نظرت إلى نور الدين وقالت له : يا سيدي ، بالله عليك أما أنا مليحة ؟ فقال لها : يا سيدة الملاح ، وهل في الدنيا أحسن منك ؟ فقالت له الجارية : ولاي شيء رأيت التجار كلهم زادوا في ثمني وأنت ساكت ما تكلمت بشيء ولا زدت في ثمني ديناراً واحداً ؟ كاتني ما أعجبتك يا سيدي . فقال لها : يا سيدي ، لو كنت في بلدي كنت أشتريك بجميع ما تملكه يدي من المال . فقالت له : يا سيدي ، أنا ما قلت لك أشتريني على غير مرادك ولكن لو زدت في ثمني شيئاً لجبرت بخاطري ، ولو كنت لا تشتريني لأجل أن تقول التجار : لولا أن هذه الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصري لأن أهل مصر لهم خبرة بالجواري . فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذي ذكرته واحمر وجهه وقال للدلال : كم بلغ ثمن هذه الجارية ؟ قال : بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً غير الدلالة ، وأما قانون السلطان فإنه على البائع . فقال نور الدين للدلال : خلها عليّ بألف دينار دلالة وثماناً . فبادرت الجارية وتركت الدلال وقالت : بعث نفسي لهذا الشاب المليح بألف دينار . فسكت نور الدين . فقال واحد : بعنا . وقال آخر : يستاهل . وقال آخر : ملعون ابن ملعون من يزود ولا يشتري . وقال آخر : والله إنهما يصلحان لبعضهما . فلم يشعر نور الدين إلا والدلال أحضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء في ورقة ونولها لنور الدين وقال : تسلّم جاريته ، الله يجعلها مباركة عليك ، فهي ما تصلح إلا لك ولا تصلح أنت إلا لها . وانشد الدلال هذين البيتين : [من المتقارب]

أَتَتْهُ السَّعَادَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّجِرُ أَدْيَالَهَا
فَلَمْ تُكُ تَصْلِحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلِحْ إِلَّا لَهَا

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته وزن الألف دينار التي كان وضعها وديعة عند العطار صاحب أبيه وأخذ الجارية وأتى بها إلى البيت الذي أسكنه فيه الشيخ العطار . فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه خلق بساط ونظعاً عتيقاً . فقالت له : يا سيدي ، هل أنا مالي منزلة عندك ولا أستحق أن توصلني إلى بيتك الأصلي الذي فيه مصالحك ؟ ولاي شيء ما دخلت بي عند أبيك ؟ فقال لها نور الدين : والله يا سيدة الملاح ، إن هذا بيتي الذي أنا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من أهل هذه المدينة وقد أخلاه لي وأسكنني فيه . وقد قلت لك إنني غريب وإنني من أولاد مدينة مصر . فقالت له الجارية : يا سيد ، أقل البيوت يكفي إلى أن ترجع إلى بلدك . ولكن يا سيدي بالله عليك أن تقوم وتأتي لنا بشيء من اللحم المشوي والمدام والنقل والفاكهة . فقال لها نور الدين : والله يا سيدة الملاح ما كان عندي من المال غير الألف دينار الذي وزنته في ثمنك ، ولا أملك غير تلك الدنانير شيئاً من المال وكان معي بعض دراهم صرفتها بالأمس . فقالت له : أما لك في هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهماً وتأتيني بها حتى أقول لك أي شيء تفعل بها ؟ فقال لها : مالي صديق سوى العطار . ثم ذهب من وقته وتوجه إلى العطار وقال له : السلام عليك يا عم . فرد عليه السلام وقال له : يا ولدي ، أي شيء اشتريت بالألف دينار في هذا اليوم ؟ فقال له : اشتريت بها جارية . فقال له : يا ولدي ، هل أنت مجنون حتى تشتري جارية واحدة بألف دينار ؟ يا ليت شعري ، ما جنس هذه الجارية ؟ فقال له نور الدين : يا عم ، إنها جارية من أولاد الإهرنج . وأدرك شهر زاد الصباح فسكت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن نور الدين قال للشيخ العطار : إنها جارية من أولاد الإفرنج . فقال له الشيخ : أعلم يا ولدي أن خيار أولاد الإفرنج عندنا في هذه المدينة ثمنه مائة دينار، ولكن والله يا ولدي قد عملت عليك حيلة في هذه الجارية فإن كنت حبيتها فبت عندها في هذه الليلة واقض غرضك منها واصبح إنزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتي دينار، وقدر أنك غرقت في البحر أو طلع عليك اللصوص في الطريق . فقال نور الدين : كلامك صحيح، ولكن يا عم أنت تعرف أنه ما كان معي غير الألف دينار الذي اشتريت به الجارية ولم يبق معي شيء أنفقه ولا درهم واحد، وإني أريد من فضلك وإحسانك أن تقرضني خمسين درهماً أنفقها إلى غد فأبيع الجارية وأردها لك من ثمنها . فقال الشيخ : أعطيك يا ولدي على الرأس . ثم وزن له خمسين درهماً وقال له : يا ولدي، أنت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلقت بها قلبك فما يهون عليك أن تبيعها وأنت ما تملك شيئاً تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهماً فتأتيني، فأقرضك أول مرة وثاني مرة وثالث مرة إلى عشر مرات، فإذا أتيتني بعد ذلك فلا أرد عليك السلام الشرعي وتضيق مجبتنا مع والدك . ثم نوله الشيخ خمسين درهماً فأخذها نور الدين وأتى بها إلى الجارية . فقالت له : يا سيدي، رح إلى السوق في هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهماً حريراً ملوناً خمسة ألوان وهات لنا بالثلاثين درهماً الأخرى لحماً وخبزاً وفاكهة وشراباً ومشموماً . فعند ذلك ذهب نور الدين إلى السوق واشترى منه كل ما طلبته تلك الجارية وأتى به إليها، فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يديها وطبخت طعاماً وأتقنته غاية الإتقان . ثم قدمت له الطعام فأكل وأكلت معه حتى اكتفيا . ثم قدمت المدام وشربت هي وإياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه إلى أن سكر ونام . فقامت الجارية من وقتها وساعتها وأخرجت من بقجتها جراباً من أديم طائفي وفتحتة وأخرجت منه مسبارين وقعدت عملت شغلها إلى أن فرغ، فصار زناً مليحاً فلفته في خرقته بعد صفله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته . فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية أنعم من الحرير وأطرى من اللية وهي أشهر من علم وأحسن من حمر النعم، خماسية القد قاعدة النهدي بحواجب كأنها قسي السهام وعيون كأنها عيون غزلان وخلود كأنها شقائق النعمان وبطن خميصة الأعكان وسرة تسع أوقية من دهن البان وفخذين كأنهما مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شيء يكل عن وصفه اللسان وتسكب عند ذكره العبرات . فكان الشاعر قصدها بهذه الأبيات : [من الطويل]

فَمِنْ شَعْرِهَا لَيْلٌ وَمِنْ قَرَقِهَا فَعَجْرٌ
وَمِنْ وَصْلِهَا مَأْوَى وَمِنْ هَجْرِهَا لَطْفٌ
وَمِنْ خَدِّهَا وَرْدٌ وَمِنْ رَيْقِهَا خَمْرٌ
وَمِنْ نَفْرِهَا دُرٌّ وَمِنْ وَجْهِهَا بَدْرٌ

وما أحسن قول بعض الشعراء : [من الوافر]

بَدَتْ قَمَرًا وَمَا سَتَ غُصْنُ بَانٍ
كَأَنَّ الْحَزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي
وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنَتْ غُرَالَا
فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوَصَالَا
لَهَا وَجَهُ يَفُوقُ عَلَى الثَّرَيَا
وَنُورٌ جَمِينُهَا فَاقَ الْهَلَالَا

وقال بعضهم أيضاً: [من الطويل]

سَفَرْنَ بَدُورًا وَأَنْجَلَيْنَ أَهْلَةً
وَمَسَنَّ غُصُونًا وَالتَّفْتَنَ جَادِرًا
وَفِيهِنَّ كَحَلَاءِ الْعَيُونِ لِحُسْنِهَا
تَوَدُّ الثَّرِيًّا أَنْ تَكُونَ لَهَا ثَرِيًّا

فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته إلى تلك الجارية وضمها إلى صدره ومصّ شفتها الفوقية بعد أن مصّ التحتية ثم زرق اللسان بين الشفتين وقام إليها فوجدها درة ما ثقت ومطية لغيره ما ركبت، فزال بكارتها ونال منها الوصال وانعدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال، وتابع في خدها تقبيلاً كوقع الحصى في الماء ورهزاً كظعن الرماح في الغارة الشعواء، لأن نور الدين كان مشتاقاً إلى اعتناق الحور ومصّ الثغور وحلّ الشعور وضمّ الخصور وعضّ الخدود وركوب النهود، مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلّمة نوبية وتضجر ريفية وأنين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرية . وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال . كما قال فيها الشاعر: [من البسيط]

هَذِي التِّي أَنَا طُولَ الدَّهْرِ نَاسِيهَا
كَأَنَّهَا البَدْرُ فِي تَكْوِينِ صُورَتِهَا
إِنْ كَانَ ذَنْبِي عَظِيمًا فِي مَحَبَّتِهَا
قَدْ صَيَّرْتَنِي حَزِينًا سَاهِرًا دَنَفًا
وَأَنْشَدْتَ بَيْتَ شِعْرِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ
فَلَا جَنَحْتُ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَدْنِيهَا
سُبْحَانَ خَالِقِهَا سُبْحَانَ بَارِيهَا
فَلَيْسَ لِي تَوْبَةٌ يَوْمًا أَرْجِيهَا
وَالقَلْبُ قَدْ حَارَ فِكْرًا فِي مَعَانِيهَا
إِلَّا فَتَى لِقَوَافِي الشَّعْرِ يَرُويهَا
وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشرح . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن نور الدين لما نام هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشرح لابسين حلال العناق محكمة الأزرار، أمين طوارق الليل والنهار وقد باتا على أحسن حال ولم يخشيا في الوصال كثرة القيل والقال كما قال فيهما الشاعر المفضل :

فلما كانت الليلة
التي
875
التي

[من الكامل]

زُرُّ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ مَقَالَةَ حَاسِدٍ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا
مُتَعَانِقِينَ عَلَيْهِمَا جِلْلُ الرُّضَى
وَإِذَا تَأَلَّفَتِ القُلُوبُ عَلَى الهَوَى
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الهَوَى أَهْلَ الهَوَى
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ
لَيْسَ الحَسُودُ عَلَى الهَوَى بِمُسَاعِدٍ
مِنْ عَاشِقِينَ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ
مُتَوَسِّدِينَ بِمِعْصَمٍ وَيُسَاعِدٍ
فَالنَّاسُ تُضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ
هَلْ تَسْتَطِيعُ صِلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدٍ
نَعْمَ الصَّدِيقُ وَعِشْ بِذَلِكَ الْوَاحِدِ

فلما أصبح الصباح وضاء بنوره ولاح انتبه نور الدين من نومه فأراها أحضرت الماء،

فاغتسل هو وإياها وأدى ما عليه من الصلاة لربه، ثم اتته بما تيسر من المأكول والمشروب فاكل وشرب. ثم أدخلت الجارية يدها تحت المحدة وأخرجت الزنار الذي صنعتته بالليل وناولته إياه وقالت له: يا سيدي، خذ هذا الزنار. فقال لها: من أين هذا الزنار؟ قالت: يا سيدي، هو الحرير الذي اشتريته البارحة بالعشرين درهماً، فقم واذهب به إلى سوق العجم واعطه للدلال لينادي عليه ولا تبعه إلا بعشرين ديناراً سالمه ليدك. فقال لها نور الدين: يا سيده الملاح، هل شيء بعشرين درهماً يباع بعشرين ديناراً يعمل في ليلة واحدة؟ قالت له الجارية: يا سيدي، أنت ما تعرف قيمة هذا ولكن إذهب به إلى السوق واعطه للدلال فإذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته. فعند ذلك أخذ نور الدين الزنار من الجارية وأتى به إلى سوق الاعاجم وأعطى الزنار للدلال وأمره أن ينادي عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان. فغاب الدلال عنه ساعة ثم أتى إليه وقال له: يا سيدي، قم اقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين ديناراً سالمه ليدك. فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب واهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين ديناراً وهو ما بين مصدق ومكذب، فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حريراً من سائر الالوان لتعمله الجارية كله زناير. ثم رجع إلى البيت وأعطها الحرير وقال لها: اعمليه كله زناير وعلميني أيضاً حتى أعمل معك فإني طول عمري ما رأيت صنعة أحسن من هذه الصنعة ولا أكثر مكسباً منها قط، وإنها والله أحسن من التجارة بألف مرة. فضحكت الجارية من كلامه وقالت له: يا سيدي نور الدين، إمض إلى صاحبك العطار واقترض منه ثلاثين درهماً وفي غد ادفعها له من ثمن الزنار هي والخمسين درهما التي اقترضتها منه قبلها. فقام نور الدين وأتى إلى صاحبه العطار وقال له: يا عم، اقرضني ثلاثين درهماً وفي غد إن شاء الله تعالى أجيء لك بالثمانين درهماً جملة واحدة. فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلاثين درهماً فأخذها نور الدين وأتى بها إلى السوق واشترى بها لحماً وخبزاً ونقلأ وفاكهة ومشموماً كما فعل بالأمس وأتى به إلى الجارية، وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية. فلما أخذت اللحم، قامت من وقتها وساعتها وهيأت طعاماً فاخراً ووضعت قدام سيدها نور الدين ثم بعد ذلك هيأت سفرة المدام وتقدمت تشرب هي وإياه وصارت تملأ وتسقيه وهو يملأ ويسقيها. فلما لعب المدام بعقلهما أعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فأنشدت هذين البيتين: [من الوافر]

أَقُولُ لِأَهْيَفٍ حَيًّا بِكَاسٍ لَهَا مِنْ مِسْكِ نَكْهَتِهِ خِتَامُ
أَيِّنْ خَدَيْكَ تُعَصِّرُ قَالَ: كَلًّا مَتَى عَصِرَتْ مِنَ الْوُرْدِ الْمُدَامُ

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين وينادهما وتعاطيه الكأس والطاس وتطلب أن يملأ لها ويسقيها ما تطيب به الأنفاس وإذا وضع يده عليها تتمتع منه دلالاً. وقد زادها السكر حسناً وجمالاً فأنشد هذين البيتين: [من الطويل]

وَهَيْفَاءَ تَهْوَى الرَّاحَ قَالَتْ لَصَبَّهَا بِمَجْلِسِ أَنْسٍ وَهَوَيْخَشَى مَلَأَهَا
إِذَا لَمْ تُدِرْ كَأْسَ الْمُدَامِ وَتَسْقِينِي أَيَّتُكَ مَهْجُورًا فَخَافَ مَلَأَهَا

ولم يزال كذلك إلى أن غلب عليه السكر ونام. فقامت هي من وقتها وساعتها وعملت شغلها في الزنار على جري عاداتها، ولما فرغت أصلحته ولقته في ورقة ثم نزع ثيابها ونامت

وباع الإفرنجي المنديل بالف دينار ودفع له الثمن في الحضرة وأراد نور الدين أن ينصرف ويمضي إلى جاريته مريم ليشرها بما كان من أمر الإفرنجي . فقال الإفرنجي : يا جماعة التجار ، احجزوا نور الدين فإنكم وإياه ضيوف في هذه الليلة فإن عندي بتية خمر رومي من معتق الخمر وخاروفاً سميناً وفاكهة ونقلًا ومشموماً . فانتم توائسونا في هذه الليلة ولا يتأخر منكم أحد . فقال التجار : يا سيدي نور الدين ، نشتهي أن تكون معنا في مثل هذه الليلة لتحدث وإياك ، فمن فضلك وإحسانك أن تكون معنا فنحن وإياك ضيوف عند هذا الإفرنجي لأنه رجل كريم . ثم إنهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالغضب عن الرواح إلى بيته ، ثم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين وأخذوا نور الدين معهم وراحوا مع الإفرنجي إلى قاعة مطيبة رحبية بليونانين ، فأجلسهم فيها ووضع بين أيديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل ، فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسؤول . ثم وضع الإفرنجي على تلك السفرة الأواني النفيسة من الصيني والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشوم . ثم قدم لهم الإفرنجي بتية ملائكة بالخمر الرومي المعتق وأمر بذبج خاروف سمين . ثم إن الإفرنجي أوقد النار وصار يشوي من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين أن ينزلوا عليه بالشراب . فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده . فلما رآه الإفرنجي مستغرقاً في السكر قال : آتستنا يا سيدي نور الدين في هذه الليلة ، فمرحبا بك ثم مرحبا بك . وصار الإفرنجي يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه في الحديث ساعة زمانية ثم قال له : يا سيدي نور الدين ، هل تبيني جاريتك التي اشتريتها بحضرة هؤلاء التجار بالف دينار من مدة سنة؟ وأنا أعطيك في ثمنها الآن خمسة آلاف دينار بزيادة أربعة آلاف . فأبى نور الدين ، ولم يزل ذلك الإفرنجي يطعمه ويسقيه ويرغبه في المال حتى أوصل الجارية إلى عشرة آلاف دينار . فقال نور الدين وهو في سكره قدام التجار : بعتك إياها هات العشرة آلاف دينار . ففرح الإفرنجي بذلك القول فرحاً شديداً وأشهد عليه التجار وباتوا في أكل وشرب وانسراح إلى الصباح . ثم صاح الإفرنجي على غلمانها وقال لهم : اثنوني بالمال . فأحضروا له المال . فعد لنور الدين العشرة آلاف دينار نقداً وقال له : يا سيدي نور الدين ، تسلّم هذا المال ثمن جاريتك التي بعته لي الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين . فقال نور الدين : يا ملعون ، أنا ما بعتك شيئاً وأنت تكذب عليّ وليس عندي جوارى . فقال له الإفرنجي : قد بعنتي جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع . فقال التجار كلهم : نعم يا نور الدين أنت بعته جاريتك قدامنا ، ونحن نشهد عليك أنك بعته إياها بعشرة آلاف دينار . قم اقبض الثمن وسلّم إليه الجارية والله يعوضك خيراً منها . أتكراه يا نور الدين أنك اشتريت جارية بالف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذذ في كل يوم وليلة بمناذمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة آلاف دينار فوق ثمنها الأصلي ، وفي كل يوم تعمل لك منديلاً تبعه بعشرين ديناراً وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الريح ؟ أي ربح أكثر من هذا الريح ؟ وأي مكسب أكثر من هذا المكسب ؟ فإن كنت تحبها فما أنت قد شبعت منها في هذه المدة . فاقبض الثمن واشتر غيرها أحسن منها أو نزوجك بنتاً من بناتنا بمجر أقل من نصف هذا الثمن ؟ وتكون البنت أجمل منها ويصير معك باقي المال رأس مال في يدك . ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين بالملاطفة والمخادعة إلى أن قبض

العشرة آلاف دينار ثمن الجارية واحضر الإفرنجي من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية التي إسمها مريم الزنارية من نور الدين . هذا ما كان من أمر نور الدين . وأما ما كان من أمر مريم الزنارية فإنها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم إلى المغرب، ومن المغرب إلى نصف الليل فلم يعد إليها سيدها . فجذعت وصارت تبكي بكاء شديداً فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فأرسل إليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها : يا سيدتي ، ما لك تبكين ؟ فقالت لها : يا أمي ، إني قعدت أنتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء إلى هذا الوقت ، وأنا خائفة أن يكون أحد عمل عليه حيلة من أجلي لأجل أن يبيني ، فدخلت عليه الحيلة وباعني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 878
العطار : أنا خائفة أن يكون أحد عمل على سيدي حيلة من شائي لأجل أن يبيني ، فدخلت عليه الحيلة وباعني . فقالت لها زوجة العطار : يا سيدتي مريم ، لو أعطوا سيدك فيك ملء هذه القاعة ذهباً لم يبعك لما أعرفه من محبته لك . ولكن يا سيدتي مريم ، ربما يكون جماعة أتوا من مدينة مصر من عند والدته فعمل لهم عزومة في المحل الذي هم نازلون فيه واستحى أن يأتي بهم إلى هذا المحل لأنه لا يسعهم ، أو لأن مرتبتهم أقل من أن يجيء بهم إلى البيت ، أو أحب أن يخفي أمرك عنهم ، فبات عندهم إلى الصباح ويأتي إن شاء الله تعالى إليك في غد بخير . فلا تحملي نفسك همّاً ولا غمّاً يا سيدتي ، فهذا سبب غيابه عنك في هذه الليلة وها أنا أبيت عندك في هذه الليلة وأسليك إلى أن يأتي إليك سيدك . ثم إن زوجة العطار صارت تلاهي مريم وتسليها بالكلام إلى أن ذهب الليل كله ، فلما أصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق وذلك الإفرنجي وراءه وجماعة التجار حواله . فلما رأتهم مريم ارتعدت فرائصها واصفرّ لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة في وسط بحر مع شدة الريح . فلما رأتها امرأة العطار قالت لها : يا سيدتي مريم ، ما لي أراك قد تغير حالك واصفرّ وجهك وزاد به الذبول ؟ فقالت لها الجارية : يا سيدتي ، والله إن قلبي قد أحس بالفراق وبعد التلاق . ثم إن الجارية تأوّهت بتصاعد الزفرات وانشدت هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

لا تَرَكْنَ إلى الفِرا قِ فَإِنَّهُ مُرُّ المَذاقِ
الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِها تَصْفَرُّ مِنَ أَلَمِ الفِراقِ
وكذاكَ عِنْدَ شُرُوقِها تَبْيَضُّ مِنْ فَرَحِ التَّلَاقِ

ثم إن مريم الزنارية بكت بكاء شديداً ما عليه من مزيد وتيقنت الفراق وقالت لزوجة العطار : يا سيدتي ، أما قلت لك إن سيدي نور الدين قد عملت عليه حيلة من أجل بيعي ؟ فما أشك أنه باعني في هذه الليلة لهذا الإفرنجي وقد كنت حذرت منه ، ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قلبي . فبينما هي وزوجة العطار في الكلام وإذا بسيدها نور الدين قد دخل عليها في تلك الساعة ، فنظرت إليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهها أثر الحزن والندامة . فقالت له : يا سيدي نور الدين ، كأنك بعني . فبكى بكاء شديداً وتأوّه وتنفس الصعداء

وانشد هذه الايات : [من الكامل]

هي المقاديرُ فما يغني الحذرُ
فإذا أراد الله أمراً بأمري
أصمَّ أذنيه وأعمى عينه
حتى إذا أنفذ فيه حكمه
فلا تقل فيما جرى كيف جرى
إن كنت أخطأتَ فما أخطأ القدرُ
وكان ذا عقلٍ وسَمْعٍ وبصرٍ
وسلَّهُ منه كما سلَّ الشعرُ
ردَّ إليه عقله ليعتبر
فكلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرُ

ثم إن نور الدين اعتذر إلى الجارية وقال لها : والله يا سيدتي مريم إنه قد جرى القلم بما الله حكم ، والناس قد عملوا علي حيلة من أجل بيعك ، فدخلت علي الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك أعظم تفریط . ولكن عسى من حكم بالفراق أن يمن بالتلاق . فقالت له : قد حذرتك من هذا وكان في وهمي . ثم ضمته إلى صدرها وقبّلت ما بين عينيه وانشدت هذه الايات : [من الطويل]

وحقّ هواكم ما سلّوتُ وداذكُمُ
أنوحُ وأبكي كلَّ يومٍ وليلة
تَنغصَّ عيشي بعدكمُ يا أحبّتي
ولو تَلَفّتُ رُوحِي هَوَى وتَشَوَّقَا
كما ناحَ قَمْرِي على شَجَرِ النَّقَا
متى غَبِثْمُو عَنِّي فما لي مُلْتَقَى

فيئنا هما على هذه الحالة وإذا بالإنجليزي قد طلع عليهما وتقدّم ليقبل أيادي السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له : إبعدي يا ملعون ، فما زلت ورائي حتى خدعت سيدي . ولكن يا ملعون إن شاء الله تعالى لا يكون إلا خيراً . فضحك الإنجليزي من قولها وتعجب من فعلها واعتذر إليها وقال لها : يا سيدتي مريم ، أي شيء ذنبي أنا ؟ وإنما سيدك نور الدين هذا هو الذي باعك برضى نفسه وطيب خاطره ، وإنه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرط فيك ولولا إنه فرغ غرضه منك ما باعك . وقد قال بعض الشعراء : [من الكامل]

مَنْ مَلَّنِي فَلَيْمُضْ عَنِّي عَامِداً
ما ضاقت الدنيا عليّ بأسرها
إن عُدتْ أذْكُرُهُ فَلَسْتُ بِرَاشِدِ
حتى تراني راغباً في زاهدٍ

وقد كانت هذه الجارية بنت ملك إفرنجة ، وهي مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والنبات تشبه مدينة القسطنطينية . وقد كان لخروج تلك الجارية من مدينة أبيها حديث غريب وأمر عجيب نسوقه على الترتيب حتى يطرب السامع ويطيب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن لخروج مريم الزنارية من عند أبيها وأمها سبباً عجيباً وأمرأ غريباً . وذلك إنها تربت عند أبيها وأمها في العز والدلال وتعلّمت الفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة ، وتعلّمت جميع الصنائع مثل الزر كشة والخياطة والحياكة وصنعة الزنار والعقادة ورمي الذهب على الفضة والفضة على الذهب ، وتعلّمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها وأوانها ، وقد

فلما كانت الليلة
879
كانت الليلة

اعطاها الله عزّ وجلّ من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع أهل عصرها، فخطبها ملوك الجزائر من أبيها، وكل من خطبها منه يابى أن يزوجها له لأنه كان يحبها حباً عظيماً ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها، وكان معه من الأولاد الذكور كثير ولكنه كان مشغوقاً بحبها أكثر منهم . فاتفق أنها مرضت في بعض السنين مرضاً شديداً حتى اشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها أنها إذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلاني الذي في الجزيرة الفلانية . وكان ذلك الدير معظماً عندهم وينذرون له التذور ويتبركون به . فلما عوفيت مريم من مرضها أرادت أن توفي بنذرها الذي نذرتة على نفسها لذلك الدير، فأرسلها والدها ملك إفرنجة إلى ذلك الدير في مركب صغير وأرسل معها بعضاً من بنات أكابر المدينة ومن البطارقة لأجل خدمتها . فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين المجاهدين في سبيل الله فأخذوا جميع ما في تلك المركب من البطارقة والبنات والأموال والتحف فباعوا ما أخذوه في مدينة القيروان، فوقعت مريم في يد رجل أعجمي تاجر من التجار، قد كان ذلك الأعجمي عنيماً لا يأتي النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة . ثم إن ذلك الأعجمي مرض مرضاً شديداً حتى أشرف على الهلاك، وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت في خدمته إلى أن عافاه الله من مرضه . فتذكر ذلك الأعجمي منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فأراد أن يكافأها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها: تمّني عليّ يا مريم؟ فقالت: يا سيدي، تمّنت عليك أن لا تبغيني إلا لمن أريده وأحبه . فقال لها: نعم، لك عليّ ذلك . والله يا مريم ما أبيعك إلا لمن تريدته وقد جعلت ببيعك بيدك . ففرحت فرحاً شديداً، وكان الأعجمي قد عرض عليها الإسلام فأسلمت، وعلمها العبادات فتعلّمت من ذلك الأعجمي في تلك المدة أمر دينها وما يجب عليها وحفظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية والأحاديث النبوية . فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن أرادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا . فأخذها علي نور الدين كما أخبرنا . هذا ما كان من سبب خروجها من بلادها . وأما ما كان من أمر أبيها ملك إفرنجة فإنه لما بلغه أمر ابنته ومن معها، قامت عليه القيامة وأرسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان والرجال الأبطال فلم يقبوا لها على خبر بعد التفتيش في جزائر المسلمين، ورجعوا إلى أبيها بالويل والثبور وعظائم الأمور . فحزن عليها أبوها حزناً شديداً فأرسل وراءها ذلك الأعور اليميني الأعرج الشمال لأنه كان أعظم وزرائه وكان جباراً عنيداً ذا حيل وخداع ، وأمره أن يفتش عليها في جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملء مركب ذهباً . ففتش عليها ذلك الملعون في جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على خبر إلى أن وصل إلى مدينة اسكندرية وسأل عنها، فوقع على خبرها عند نور الدين علي المصري . فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمندبل الذي لا يحسن صنعته غيرها، وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة . فلما صارت عنده مكثت في بكاء ووعويل . فقال لها: يا سيدتي مريم، خلني عنك هذا الحزن والبكاء وقومي معي إلى مدينة أبيك ومحل مملكتك ومنزل عزك ووطنك لتكوني بين خدمك وغلمانك وأتركي هذا الذلّ وهذه الغربة، ويكفي ما قد حصل لي من التعب والسفر من أجلك وصراف الأموال، فإن لي في السفر والتعب وصراف الأموال نحو سنة ونصف، وقد أمرني والدك أن أشتريك ولو

وَيَا هَلْ تَرَى قَدْ يَجْمَعُ اللهُ شَمَلَنَا
وَيَحْفَظُ وَدِّيَ مَنْ بَجْهَلِي أَضَعْتُهُ
فَمَا أَنَا إِلَّا مَيِّتٌ بَعْدَ بَعْدهُمْ
فَيَا أَسْفِي إِنْ كَانَ يُجِدِّي تَأْسُفِي
وَضَاعَ زَمَانٌ كَانَ فِيهِ تَوَاصُلِي
فَيَا قَلْبُ زِدْ وَجَدًا وَيَا عَيْنُ أَهْمَلِي
وَيَا بَعْدَ أَحْبَابِي وَفَقْدَ تَصْبِرِي
سَأَلْتُ إِلَهِي أَنْ يَتَمَمَّ فَرَحْتِي

ثم إن نور الدين بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد ونظر إلى زوايا القاعة وأنشد هذين البيتين: [من الوافر]

أَرَى آثَارَهُمْ فَأَذُوبُ شَوْقًا
وَأَسْأَلُ مَنْ قَضَى بِالْبُعْدِ عَنْهُمْ
وَأَجْرِي فِي مَوَاطِنِهِمْ دُمُوعِي
يَمُنُّ عَلَيَّ يَوْمًا بِالرُّجُوعِ

ثم إن نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجري إلى البحر وصار يتأمل في موضع المركب التي سافرت بمریم. ثم بكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الآيات: [من الطويل]

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِي عَنْكُمْ غِنَى
أَحْنُ إِلَيْكُمْ كُلَّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ
وَعِنْدَكُمْ سَمْعِي وَلِيَّيْ وَنَاطِرِي
فَيَا أَسْفِي لَمَّا اسْتَقَلَّتْ رِكَابُكُمْ
وَإِنِّي عَلَى الْحَالَيْنِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
وَأَشْتَاكُمْ شَوْقَ الْعِطَاشِ إِلَى الْوَرْدِ
وَتَذْكَارُكُمْ عِنْدِي أَلَدُّ مِنَ الشَّهْدِ
وَحَادَتْ بِكُمْ تِلْكَ السَّفِينَةُ عَنْ قَصْدِي

ثم إن نور الدين ناح وبكى وأن وحن واشتكى ونادى: يا مریم، يا مریم، هل كانت رؤيتي لك في المنام أم أضغاث أحلام؟ ولما زادت به الحسرات أنشد هذه الآيات: [من الطويل]

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْبُعْدِ عَيْنِي تَرَاكُمْ
وَتَجْمَعُنَا الدَّارُ الَّتِي أَنْسَتْ بِنَا
خُلْنَا لِعِظَامِي أَيْنَ سِرْتُمْ مَحْفَةً
فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِوَاحِدِ
وَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا عَلَى اللَّهِ تَشْتَهِي
وَأَسْمَعُ مِنْ قُرْبِ الدِّيَارِ نِدَاكُمْ
وَأَعْطَى مِنِّي قَلْبِي وَأَنْتُمْ مَنَاكُمْ
وَأَيْنَ حَلَلْتُمْ فَأَذْفُونِي حِذَاكُمْ
وَأَتْرَكُ قَلْبًا مُغْرَمًا فِي هَوَاكُمْ
لَقُلْتُ: رَضِيَ الرَّحْمَنُ ثُمَّ رَضَاكُمْ

فبينما نور الدين على هذه الحالة يبكي ويقول: يا مریم، يا مریم. وإذا بشيخ قد طلع من مركب وأقبل عليه فرآه يبكي وينشد هذين البيتين: [من البسيط]

يَا مَرِيْمَ الْحُسْنِ عُوْدِي إِنْ لِي مُقْلًا
وَاسْتَخْبِرِي عُدْلِي دُونَ الْأَنَامِ تَرَى
سَحَابِ الْمَزْنِ تَجْرِي مِنْ سَوَاطِيهَا
أَجْفَانِ عَيْنِي غَرَقِي فِي كَوَاكِبِهَا

فامر الملك بحبسهم . وفي وقت نزلهم من عند الملك إلى الحبس وصل الغراب الذي فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الأعور . فلما وصل الغراب إلى المدينة طلع الوزير إلى الملك وبشّره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة ، فدقوا البشائر وزيّنوا المدينة بأحسن زينة وركب الملك في جميع عسكره وأرباب دولته وتوجّهوا إلى البحر ليقابلوها . فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقتها وسلّم عليها وسلّمت عليه وقدّم لها جواداً فركبته ، فلما وصلت إلى القصر قابلتها أمها وعانقتها وسلّمت عليها وسألته عن حالها وهل هي بكر مثل ما كانت عندهم سابقاً أو صارت امرأة ثيباً؟ فقالت لهم مريم : يا أمي ، بعد أن يباع الإنسان في بلاد المسلمين من تاجر إلى تاجر ويصير محكوماً عليه كيف يبقى بنتاً بكرّاً؟ إن التاجر الذي اشترائني هددني بالضرب وغصبني وأزال بكارتني وباعني لآخر وآخر باعني لآخر . فلما سمعت أمها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً . ثم أعادت على أبيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وكبر أمره لديه وعرض حالها على أرباب دولته وبطارفته فقالوا له : أيها الملك ، إنها تنجست من المسلمين وما يطهرها إلا ضرب مائة رقبة من المسلمين . فعند ذلك أمر الملك بإحضار الأسارى الذين في المجلس . فاحضروهم جميعاً بين يديه ومن جملتهم نور الدين . فأمر الملك بضرب رقابهم ، فأول من ضربوا رقبة ريس المركب . ثم ضربوا رقاب التجار واحد بعد واحد حتى لم يبق إلا نور الدين ، فشرطوا ذبله وعصبوا عينيه وقدموه إلى نطع الدم وأرادوا أن يضربوا رقبة وإذا بامرأة عجوز أقبلت على الملك في تلك الساعة وقالت له : يا مولاي ، أنت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة أسارى من المسلمين إن ردّ الله بنتك مريم لأجل أن يساعدوا في خدمتها . والآن قد وصلت إليك بنتك السيدة مريم ، فأوف بنذرك الذي نذرته . فقال لها الملك : يا أمي ، وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق عندي من الأسارى غير هذا الأسير الذي يريدون قتله ، فخذيه معك يساعدك في خدمة الكنيسة إلى أن يأتي إلينا أسارى من المسلمين فأرسل إليك أربعة آخر ، ولو كنت سبقت قبل أن يضربوا رقاب هؤلاء الأسارى لأعطيناك كل ما تريدونه . فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم . ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها إلى نور الدين وأخرجته من نطع الدم ونظرت إليه فرآته شاباً لطيفاً ظريفاً رقيق البشرة ووجهه كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر . فأخذته ومضت به إلى الكنيسة وقالت له : يا ولدي ، إقنع ثيابك التي عليك فإنها لا تصلح إلا لخدمة السلطان . ثم إن العجوز جاءت لنور الدين بجبة من صوف أسود ومترز من صوف أسود وسير عريض ، فألبسته تلك الجبة وعمّته بالمترز وشدّت وسطه بالسير وأمرته أن يخدم الكنيسة . فخدم الكنيسة مدة سبعة أيام . فبينما هو كذلك وإذا بتلك العجوز قد أقبلت عليه وقالت له : يا مسلم ، خذ ثيابك الحرير والبسها وخذ هذه العشرة دراهم وأخرج في هذه الساعة لتتفرج في هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة واحدة لثلاث روح روحك . فقال لها نور الدين : يا أمي ، أي شيء الخبر؟ فقالت له العجوز : أعلم يا ولدي ، أن بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد أن تدخل الكنيسة في هذا الوقت لأجل أن تزورها وتتبرّك بها وتقرب لها قرباناً حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين ، وتوفي لها النذر التي نذرتها إن نجّأها المسيح . ومعها أربع مائة بنت ، ما واحدة منهن إلا كاملة في الحسن والجمال ، ومن جملةهن بنت الوزير وبنات الأمراء وأرباب الدولة . وفي هذه الساعة يحضرون وربما يقع نظرهن عليك في هذه الكنيسة فيقطّعنك بالسيوف . فعند ذلك أخذ

نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد ان لبس ثيابه وخرج إلى السوق وصار يتفرج في شوارع المدينة حتى عرف جهاتها وابوابها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 882
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، ان نور الدين لما لبس ثيابه أخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج إلى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة. ثم رجع إلى الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قد أقبلت على الكنيسة ومعها اربعمائة بنت نهد اباكار كانهن الاقمار، ومن جملةهن بنت الوزير الأعور وبنت الأمراء وأرباب الدولة

وهي تمشي بينهن كأنها القمر بين النجوم . فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال : يا مريم يا مريم . فلما سمعت البنات صياح نور الدين وهو ينادي : يا مريم . هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق وأردن قتله في تلك الساعة . فالتفتت إليه مريم وتأمّلته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات : اتركن هذا الشاب فإنه مجنون بلا شك لان علامة الجنون لايحة على وجهه . فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه وأشاح يديه وعوج رجله وأخرج الزبد من فيه وشذقيه . فقالت السيدة مريم : اما قلت لكن إن هذا مجنون . احضرنه عندي وابدن عنه حتى أسمع ما يقول فإني اعرف كلام العرب وأنظر حاله ، وهل داء جنونه يقبل المداواة أم لا؟ فعند ذلك حمله البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه . فقالت له : هل جئت إلى هنا من أجلي وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنوناً؟ فقال لها نور الدين : يا سيدتي ، اما سمعت قول الشاعر : [من البسيط]

قالوا : جُننتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ ما لَذَّةُ العَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
هاتوا جُنُونِي وهاتوا مَنْ جُننتُ بِهِ فَإِنْ وَفَى بِجُنُونِي لا تَلُومُونِي

فقالت له مريم : والله يا نور الدين إنك الجاني على نفسك فإني حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولتي وتبعته هوى نفسك . وأنا ما اخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وإنما هو من باب المشاهدة والعيان ، لاني رأيت الوزير الأعور فعرفت أنه ما دخل في هذه البلدة إلا في طلبي . فقال لها نور الدين : يا سيدتي مريم ، نعوذ بالله من زلة العاقل . ثم تزايد بنور الدين الحال فأنشد هذا المقال : [من البسيط]

هَبْ لِي جِنَايَةَ مَنْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ قَدْ يَشْمَلُ الْعَبْدَ مِنْ سَادَاتِهِ كَرَمُ
حَسْبُ الْمَسِيءِ بِذَنْبٍ مِنْ جِنَايَتِهِ قَرِطُ النَّدَامَةِ إِذْ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ
فَعَلْتُ ما يَقْتَضِي التَّأْدِيبُ مُعْتَرِفًا قَائِنًا ما يَقْتَضِيهِ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكي لصاحبه ما جرى له ويتناشدان الأشعار ودموعهما تجري على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى وأليم الوحدة والجوى إلى أن لم يبق لأحدهما قوة على الكلام . وكان النهار قد ولّى وأقبل الظلام وقد كان على السيدة مريم حلّة خضراء مزركشة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر ، فزاد حسنهما وجمالها وظرف معانيها . وقد اجاد من قال فيها : [من الطويل]

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التَّمِّ فِي الحُلَلِ الحُضْرُ مُفَكِّكَةَ الأَزْرارِ مَحْلُولَةَ الشَّعْرِ

كَوَيْتُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْجَمْرِ
يُفَكُّ بِهِ الْمَأْسُورُ مِنْ شِدَّةِ الْأَسْرِ
فَقَالَتْ: أَتَشْكُو لِي وَقَلْبِي مِنْ صَخْرِ
فَقَدْ أَنْبَحَ اللَّهُ الزُّلَالَ مِنَ الصَّخْرِ

فَقُلْتُ لَهَا: مَا الْإِسْمُ قَالَتْ: أَنَا الَّتِي
أَنَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالذَّهَبُ الَّذِي
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الصُّلُودَ إِذَا بَنِي
فَقُلْتُ لَهَا: إِنْ كَانَ قَلْبُكَ صَخْرَةً

فلما جن الليل أقبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن: هل أغلقتن الباب؟ فقلن لها: قد أغلقناه. فعند ذلك أخذت السيدة مريم البنات وآتت بهن إلى مكان يقال له: مكان السيدة مريم العذراء أم النور، لأن النصراني يزعمون أن روحنتها وسرّها في ذلك المكان. فصار البنات يتبركن به ويظفن في الكنيسة كلها. ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن: إني أريد أن ادخل وحدي في هذه الكنيسة وأتبرك بها فإنه حصل لي اشتياق إليها بسبب طول غيبتني في بلاد المسلمين، وأما أنتن فحيث فرغتن من الزيارة فمنن حيث شئتن. فقلن لها: حباً وكرامةً وأفعلي أنت ما تريدينه. ثم إنهن تفرقن عنها في الكنيسة وغمن. فعند ذلك استغلتهن مريم وقامت تفتش على نور الدين فرآته في ناحية جالساً على مقالي الجمر وهو في انتظارها. فلما أقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست وأجلسته في جانبها، ثم نزع ما كان عليها من الحللي والحلل ونفيس القماش وضمت نور الدين إلى صدرها وجعلته في حضنها. ولم تزل هي وإياه في بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان: ما أقصر ليل التلاق وما أطول يوم الفراق. وينشدان قول الشاعر: [من الرجز]

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَبِكْرُ الدَّهْرِ بَلْ أَنْتِ عُرَّةُ اللَّيَالِي الْغُرِّ
قَدْ جِئْتِنِي بِالصَّبْحِ وَقَتِ الْعَصْرِ هَلْ كُنْتُ كَحُلَا فِي عَيُونِ الْفَجْرِ
أَوْ كُنْتُ نَوْمًا فِي عَيُونِ رُمْدٍ
يَا لَيْلَةَ الْهَجْرِ وَمَا أَطَوَّلَهَا آخِرُهَا مُوَاصِلُ أَوْلَاهَا
كَحَلْفَةِ مُفْرَعَةٍ مَا إِنَّ لَهَا مِنْ طَرْفِ وَالْحَشْرِ أَيْضًا قَبْلَهَا
فَالصَّبُّ بَعْدَ الْبَعْثِ مَيْتُ الصَّدِّ

فبينما هما في هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة وإذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من عبادتهم الشعائر. وهو كما قال الشاعر: [من البسيط]

رَأَيْتُهُ يَضْرِبُ النَّاقُوسَ قُلْتُ لَهُ: مَنْ عَلَّمَ الظُّبِّيَّ ضَرْبًا بِالنَّوَائِيسِ
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: أَيُّ الضَّرْبِ يُؤْلِمُكَ ضَرْبُ النَّوَائِيسِ أَمْ ضَرْبُ النَّوَى قِيسِي
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني إياها الملك السعيد، أن مريم الزنارية ما زالت هي ونور الدين في لذة وطرب إلى أن طلع الغلام النواقيسي فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس. فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها، فشق ذلك على نور الدين وتكدر وقته. فبكى وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات: [من الكامل]

فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
883
عَلَّمَ النَّوَائِيسِي

لا زِلْتُ أَلْتَمُّ وَرَدَّ خَدَّ غَضَّ
 حَتَّى إِذَا طَبْنَا وَنَامَ رَقِينَا
 ضَرَبَتْ نَوَاقِيسَ فَشَبَّهَ مِثْلَهَا
 قَامَتْ عَلَى عَجَلٍ لِلْبَسْرِ ثِيَابَهَا
 وَتَقُولُ: يَا سُوَيْلِي وَيَا كُلَّ الْمَنَى
 أَفْسَمْتُ لَوْ أُعْطِيتُ يَوْمَ وَلايَةِ
 لَهَدَمْتُ أَرْكَانَ الْكِنَائِسِ كُلِّهَا
 وَأَعَضُّ ذَاكَ مُبَالِغًا فِي الْعَضِّ
 وَعَمِيؤُهُ مَالَتْ لِنَحْوِ الْغُمُضِ
 بِمُؤَدَّنٍ يَدْعُو صَلاةَ الْفَرَضِ
 مِنْ خَوْفِ نَجْمِ رَقِينَا الْمُنْقَضِ
 جَاءَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ الْمَبْيُضِ
 وَبَقِيَتْ سُلْطَانًا شَدِيدَ الْقَبْضِ
 وَقَتَلَتْ كُلَّ مَقْسَسٍ فِي الْأَرْضِ

ثم إن السيدة مريم ضمنت نور الدين إلى صدرها وقبّلت خده وقالت له : يا نور الدين ، كم يوم لك في هذه المدينة ؟ فقال : سبعة أيام . فقالت له : هل سرت في هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارزها وأبوابها التي من ناحية البر والبحر ؟ قال : نعم . قالت : وهل تعرف طريق صندوق النذر الذي في الكنيسة ؟ قال : نعم . قالت له : حيث كنت تعرف ذلك كله ، إذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الأول فاذهب في تلك الساعة إلى صندوق النذر وخذ منه ما تريد وتشتهي وافتح باب الكنيسة الذي فيه الخوخة التي توصل إلى البحر فإنك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية ، فمتى رآك الرئيس يمد يده إليك فناوله يدك فإنه يطلعك في السفينة فاقعد عنده حتى اجيء إليك ، والحذر ثم الحذر من أن يلحقك النوم في تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم . ثم إن السيدة مريم ودّعت نور الدين وخرجت من عنده في تلك الساعة ونبّئت جواربها وسائر البنات من نومهن وأخذتهن وآتت إلى باب الكنيسة ودقته ، ففتحت العجوز الباب . فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفاً فقدّموا لها بغلة فركبتها وأرخوا عليها ناموسية من الحرير وأخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاوشية وبأيديهم السيوف مسلولة وساروا بها إلى أن وصلوا بها إلى قصر أبيها . هذا ما كان من أمر مريم الزنارية . وأما ما كان من أمر نور الدين المصري فإنه لم يزل مختفياً وراء الستارة التي كان مستتراً خلفها هو ومريم إلى أن طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها ، فاختلط بالناس وجاء إلى تلك العجوز قيمة الكنيسة . فقالت له : أين كنت راقداً في هذه الليلة ؟ قال : في محل داخل المدينة كما أمرتني . فقالت له العجوز : إنك فعلت الصواب يا ولدي ، ولو كنت بتّ الليلة في الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة . فقال لها نور الدين : الحمد لله الذي نجاني من هذه الليلة . ولم يزل نور الدين يقضي شغله في الكنيسة إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بدياجي الإعتكار ، فقام نور الدين وفتح صندوق النذر وأخذ منه ما خفّ حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر إلى أن مضى ثلث الليل الأول وقام ومشى إلى باب الخوخة التي توصل إلى البحر وهو يطلب الستر من الله ، ولم يزل يمشي إلى أن وصل إلى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح إلى البحر . فوجد السفينة راسية على شاطئ البحر بجوار الباب ووجد الرئيس شيخاً كبيراً ظريفاً لحيته طويلة وهو واقف في وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه ، فناوله نور الدين يده كما أمرته مريم ، فأخذه من يده وجذبه من البحر فصار في وسط السفينة . فعند ذلك صاح الشيخ الرئيس على البحرية وقال لهم : اقلعوا مرساة السفينة من البر وعموموا بنا قبل أن يطلع النهار . فقال واحد من العشرة

البحرية : يا سيدي الرئيس ، كيف نعوم والمملك أخبرنا أنه في غد يركب السفينة في هذا البحر ليطلع على ما فيه لأنه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين . فصاح عليهم الرئيس وقال : ويلكم يا ملاعين ، هل بلغ من أمركم أنكم تخالفونني وتردون كلامي ؟ ثم إن ذلك الشيخ الرئيس سل سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته . فقال له واحد : وأي شيء عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته ؟ فمدّ يده إلى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم . ولم يزل ذلك الرئيس يضرب أعناق البحرية واحداً بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطئ البحر . ثم التفت إلى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة أربعته وقال له : إنزل إقلع الودتد . فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائماً ووثب في البروقلغ الودتد ثم طلع في السفينة أسرع من البرق الخاطف . وصار الرئيس يقول له : إفعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر في النجوم ، ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الرئيس وقلبه خائف مرعوب . ثم رفع شراع المركب وسارت بهما في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 884

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشيخ الرئيس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين في البحر العجاج وقد طاب لهما الريح ، كل ذلك ونور الدين ماسك بيده الراجع وهو غريق في بحر الافكار . ولم يزل مستغرقاً في الفكر ولم يعلم بما هو مخبوء له في الغيب ، وكلما نظر إلى الرئيس ارتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التي يتوجه إليها الرئيس بل صار مشغولاً في فكره ووسواس إلى أن توضحى النهار . فعند ذلك نظر نور الدين إلى الرئيس فرآه قد أخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها في يده ، وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زوراً . ثم تأمل نور الدين في ذات الرئيس ودقق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه ، وكانت قد تحيلت بتلك الحيلة حتى قتلت الرئيس وسلخت وجهه بلحيته وأخذت جلده وركبته على وجهها . فتعجب نور الدين من فعلها وشجاعته ومن قوة قلبها وقد طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها : مرحباً يا منيتي وسؤلي وغاية مطلبي . ثم إن نور الدين هزه الشوق والطرب وأيقن ببلوغ الأمل والأرب فردد صوته بأطيب النغمات وأنشد هذه الأبيات : [من الرمل]

قُلْ لِقَوْمٍ هُمْ لِعِشْقِي جَهَلُوا فِي حَيْبٍ مَا إِلَيْهِ وَصَلُوا
عَنْ غَرَامِي بَيْنَ قَوْمِي فَاسْأَلُوا قَدْ حَلَا نَظْمِي وَرَقَّ الْغَزَلُ

فِي هَوَى قَوْمٍ بِقَلْبِي نَزَلُوا

ذَكَّرَهُمْ عِنْدِي يُزِيلُ السَّقْمَا عَنْ فُؤَادِي وَيُزِيحُ الْأَلْمَا
زَادَ شَوْقِي وَهَيَامِي عِنْدَمَا أَصْبَحَ الْقَلْبُ كَثِيْبًا مُغْرَمَا

وَبِهِ فِي النَّاسِ سَارَ الْمَثَلُ

أَنَا لَا أَقْبَلُ فِيهِمْ لَوْمَةً لَا وَلَا أَقْصِدُ عَنْهُمْ سَلْوَةً
لَكِنَّ الْحُبَّ رَمَانِي حَسْرَةً أَشْعَلَتْ مِنْهُ بِقَلْبِي جَمْرَةً

حَرْهَا فِي كَيْدِي يَشْتَعِلُ

مِنْ عَجِيبٍ قَدْ أَبَاحُوا سَقَمِي مَعَ سَهَادِي طُولَ لَيْلٍ مُظْلِمٍ
كَيْفَ رَامُوا بِالتَّجَافِي عَدَمِي وَأَسْتَحْلُوا فِي الْهَوَى سَفْكَ دَمِي

إِنَّهُمْ فِي جَوْرِهِمْ مَا عَدَلُوا

يَا تَرَى مَنْ ذَا الَّذِي أَوْصَاكُمْ بِالتَّجَافِي عَنْ فَتَى يَهْوَاكُمْ
وَلَعَمْرِي وَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ إِنَّ يَقُلْ عُدْلٌ قَوْلًا عَنْكُمْ

كَذَّبُوا وَاللَّهِ فِيمَا نَقَلُوا

لَا أَرَاكَ اللهُ عَنِّي عَدْلًا لَا وَلَا شَافٍ لِقَلْبِي غَدْلًا
يَوْمَ أَشْكُو مِنْ هَوَاكُمْ مَلَاً أَنَا لَا أَرْضَى سِوَاكُمْ بَدَلًا

عَذَّبُوا قَلْبِي وَإِنْ شِئْتُمْ صِلُوا

لِي فُوَادٌ لَمْ يَحُلْ عَنْ حَبِّكُمْ لَوْ يُعَانِي حَسْرَةً مِنْ صَدِّكُمْ
سُخْطُهُ هَذَا وَالرُّضَى مِنْ عِنْدِكُمْ مَا تَشَاؤُوا فَاغْلَبُوا فِي عِبْدِكُمْ

هُوَ بِالرُّوحِ لَكُمْ لَا يَبْخُلُ

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت منه السيدة مريم غاية العجب وشكرته على قوله وقالت له: من هذه حالته ينبغي أن يسلك مسالك الرجال ولا يفعل فعل الأندال والأردال. وقد كانت السيدة مريم قوية القلب تعرف بأحوال سير المراكب في البحر المالح وتعرف الأهواء كلها واختلافها وتعرف جميع طرق البحر. فقال لها نور الدين: والله يا سيدتي لو أطلت علي هذا الأمر لمت من شدة الخوف والفرع، خصوصاً مع نار الوجد والإشتياق واليم عذاب الفراق. فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها وأخرجت شيئاً من الماكول والمشروب، فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا. بعد ذلك أخرجت من اليواقيت والجواهر وأصناف المعادن والذخائر الغالية وأنواع الذهب والفضة ما خفّ حمله وغلا ثمنه من الذي جاءت به وأخرجته من قصر أبيها وخزائنه وعرضت ذلك على نور الدين، ففرح به غاية الفرح. كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة، ولم يزلوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا أعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود الصواري. فلما وصلوا إلى المينة، طلع نور الدين من وقته وساعته من تلك السفينة وربطها في حجر من أحجار القصارين وأخذ معه شيئاً من الذخائر التي جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم: أقعدي يا سيدتي في السفينة حتى أطلع بك إلى اسكندرية مثل ما أحب وأشتهي. فقالت له: ولكن ينبغي أن يكون ذلك بسرعة لأن التراخي في الأمور يورث الندامة. فقال لها: ما عندي تراخ. فقعدت مريم في السفينة وتوجه نور الدين إلى بيت العطار صاحب أبيه ليستعير لها من زوجته نقاباً وحبرة وخفّاً وأزراراً كعادة نساء اسكندرية ولم يعلم بما لم يكن له في حساب من تصرفات الدهر أبي العجب العجائب. هذا ما كان من أمر نور الدين ومريم الزنارية. وأما ما كان من أمر أبيها ملك افرنجية، فإنه لما أصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها. فسأل عنها من جواربها وخدمها فقالوا له: يا مولانا، إنها خرجت بالليل وراحت إلى

الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خيراً. فبينما الملك يتحدث مع الجوارى والخدم في تلك الساعة وإذاً بصرختين عظيمتين تحت القصر دوى لهما المكان. فقال الملك: ما الخبر؟ فقالوا له: أيها الملك، إنه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذي في الكنيسة من جهة البحر مفتوحاً والأسير الذي كان في الكنيسة يخدمها قد فقد. فقال الملك: إن كانت سفينتي التي في البحر فقدت فبنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
الليلة
885
قال
قال
□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ملك افرنجة لما فقدت ابنته مريم جاؤوا له بالخبر وقالوا له: إن سفينتك قد فقدت. فقال: إن كانت سفينتي فقدت فابنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب. ثم إن الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له: وحق المسيح والدين الصحيح إن لم تلحق سفينتي في هذه الساعة بعسكر وتأتيني بها وبمن فيها لأقتلك أشنع قتلة وأمثل بك. ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها: ما كنت تسمعين من الأسير الذي كان عندك في شأن بلاده ومن أي البلاد هو؟ فقالت له: كان يقول: أنا من مدينة اسكندرية. فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته إلى المينة وصاح على البحرية وقال لهم: تجهزوا وحلّوا القلوع. ففعلوا ما أمرهم به وسافروا، ولم يزالوا مسافرين ليلاً ونهاراً حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية في الساعة التي طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم. وكان من جملة الإفرنج الوزير الأعور الذي كان اشتراها من نور الدين، فأرأى السفينة مربوطة فعرفوها، فربطوا مراكبهم بعيداً عنها وأتوا إليها في مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء. وفي تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الأعور الأعرج لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ولصاً محتالاً لا يقدر أحد على احتياله، يشبه أبا محمد البطال. ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى تلك السفينة، فهجموا عليها وحملوا حملة واحدة فلم يجدوا فيها أحداً إلا السيدة مريم، فأخذوها هي والسفينة التي هي فيها بعد أن أطلعوا على الشاطئ وأقاموا زمناً طويلاً. ثم عادوا من وقتهم وساعتهم إلى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح، ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح. ولم يزالوا مسافرين على حماية إلى أن وصلوا إلى مدينة افرنجة وطلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو في تحت مملكته. فلما نظر إليها أبوها قال لها: وبلك يا خاتنة، كيف تركت دين الآباء والأجداد وحصن المسيح الذي عليه الإعتماد وآتبت دين الإسلام الذي قام بالسيف على رغم الصليب والأصنام؟ فقالت له مريم: أنا مالي ذنب، لاني خرجت في الليل إلى الكنيسة لأزور السيدة مريم وأتبرك بها. فبينما أنا في غفلة وإذا بسراق المسلمين قد هجموا عليّ وسدّوا فمي وشدّوا وثاقي وحطّوني في السفينة وسافروا بي إلى بلادهم فخادعتهم وتكلّمت معهم في دينهم إلى أن فكوا وثاقي وما صدقت أن رجالك أدركوني وخلّصوني. وأنا وحق المسيح والدين الصحيح وحق الصليب ومن صلب عليه، قد فرحت بفكاكي من أيديهم غاية الفرح وأتسع صدري وانشرح حيث خلصت من أسر المسلمين. فقال لها أبوها: كذبت يا فاجرة يا عاهرة، وحق ما في محكم الإنجيل من منزل التحريم والتحليل لا بد لي من أن أقتلك

أصبح قتلة وأمثل بك أشنع مثلة . أما كفاك الذي فعلته في الاول ودخل علينا محالك حتى رجعت إلينا ببهتانك؟ ثم إن الملك أمر بقتلها وصلبها على باب القصر . فدخل عليه الوزير الأعور في تلك الساعة وكان مغرمًا بحبها قديماً وقال له : أيها الملك ، لا تقتلها وزوجني بها وأنا احرص غليها غاية الحرص وما أدخل عليها حتى أبني لها قصرًا من الحجر الجلمود وأعلي بنيانه حتى لا يستطيع أحد من السارقين الصعود على سطحه ، وإذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين وأجعلهم قرباناً للمسيح عني وعنهما . فأنعم عليه الملك بزواجها وأذن للقسيسين والرهبان والبطارقة أن يزوجهوا له . فزوجوها للوزير الأعور . وأذن أن يشرعوا لها في بنيان قصر مشيد يليق بها . فشرعت العمال في العمل . هذا ما كان من أمر الملكة مريم وأبيها والوزير الأعور . وأما ما كان من أمر نور الدين والشيخ العطار ، فإن نور الدين لما توجه إلى العطار صاحب أبيه واستعار من زوجته إزاراً ونقاباً وخفّاً وثياباً كثياب نساء اسكندرية ورجع بها إلى البحر وقصد السفينة التي فيها السيدة مريم ، فوجد الجوّ قفراً والمزار بعيداً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن نور الدين لما وجد الجوّ قفراً والمزار بعيداً صار قلبه حزيناً . فبكى بدمع متواتر وأنشد قول الشاعر :

فلما كانت الليلة
التي كان
الملك
886
الملك

[من الطويل]

سَرَى طَيْفَ سَعْدَى طَارِقًا فَاسْتَفَزَّنِي
فَلَمَّا أَنْتَبَهْنَا لِلْخِيَالِ الَّذِي سَرَى
سُجَيْرًا وَصَحْبِي فِي الْفَلَاةِ رُقُودُ
أَرَى الْجَوَّ قَفْرًا وَالْمَزَارُ بَعِيدُ

فمشى نور الدين على شاطئ البحر يتلفت يميناً وشمالاً فرأى ناساً مجتمعين على الشاطئ وهم يقولون : يا مسلمين ، ما بقي مدينة اسكندرية حرمة حتى صار الإفرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون إلى بلادهم على هيئة ولا يخرج وراءهم أحد من المسلمين ولا من العساكر المغازين ؟ فقال لهم نور الدين : ما الخبر ؟ فقالوا له : يا ولدي ، ان مركباً من مراكب الإفرنج فيها عساكر هجوموا في تلك الساعة على تلك المينة وأخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية إلى بلادهم . فلما سمع نور الدين كلامهم وقع مغشياً عليه . فلما أفاق سأله عن قضيتة ، فأخبرهم بخبره من الاول إلى الآخر . فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له : لاي شيء ما تخرجها إلا بإزار ونقاب ؟ وصار كل واحد من الناس يقول له كلاماً مؤلماً ، ومنهم من يقول : خلّوه في حاله يكفيه ما جرى له . وصار كل أحد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام الملام حتى وقع مغشياً عليه . فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة وإذا بالشيخ العطار مقبلاً فرأى الناس مجتمعين ، فتوجه إليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقد بينهم وهو مغشى عليه ، فقع عند رأسه ونبّه . فلما أفاق قال له : يا ولدي ، ما هذا الحال الذي أنت فيه ؟ فقال له : يا عم ، إن الجارية التي كانت راحت مني قد جثت بها من مدينة أبيها في مركب وقاسيت ما قاسيت في الهجاء بها ، فلما وصلت بها إلى هذه المدينة ربطت السفينة في البر وتركت الجارية فيها

وذهبت إلى منزلك وأخذت من زوجتك مصالِح للجارية لأطلعها بها إلى المدينة، فجاء الإفريخ
 وأخذوا السفينة والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا إلى مراكبهم . فلما سمع الشيخ
 العطار من نور الدين هذا الكلام ، صار الضياء في وجهه ظلاماً وتأسف على نور الدين تأسفاً
 عظيماً وقال له : يا ولدي ، لاي شيء ما أخرجتها من السفينة إلى المدينة من غير إزار ؟ ولكن في
 هذا الوقت ما ينفع الكلام . قم يا ولدي واطلع معي إلى المدينة لعل الله يرزقك بجارية أحسن
 منها فتستلى بها عنها ، والحمد لله الذي ما خسرك فيها شيئاً بل حصل لك الريح فيها . واعلم يا
 ولدي أن الإتصال والإنفصال بيد الملك المتعال . فقال له نور الدين : والله يا عم ، إني ما أقدر أن
 اسلاها أبداً ولا أترك طلبها ولو سقيت من أجلها كأس الردى . فقال له العطار : يا ولدي ، وأي
 شيء في ضميرك تريد أن تفعله ؟ فقال له : نويت أن أرجع إلى بلاد الروم وأدخل مدينة افرنجية
 وأخاطر بنفسي ، فإما عليها وإما بها . فقال له : يا ولدي ، إن في الأمثال السائرة : ما كل مرة تسلم
 الجرة ، وإن كانوا ما فعلوا بك في المرة الأولى شيئاً ربما يقتلونك في هذه المرة لاسيما وقد عرفوك حق
 المعرفة . فقال نور الدين : يا عم ، دعني أسافر وأقتل في هواها سريعاً ولا أقتل بتركها صبراً
 وتحيراً . وكان بمصادفة القدر مركب راسية في المينة مجهزة للسفر وركابها قد قضت جميع
 اشغالها ، وفي تلك الساعة قلعوا أوتادها ، فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة أيام وقد
 طاب لركابها الوقت والريح . فبينما هم سائرون وإذا بمراكب من مراكب الإفريخ دائرة في البحر
 العجاج لا يرون مركباً إلا ويأسرونها خوفاً على بنت الملك من سراق المسلمين ، وإذا أخذوا مركباً
 يوصلون جميع من فيها إلى ملك افرنجية فيذبحهم ويوفي بهم نذره الذي كان نذره من أجل
 ابنته مريم . فأرأوا المركب التي فيها نور الدين فأسروها وأخذوا كل من كان فيها وأتوا بهم إلى
 الملك أبي مريم . فلما أوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر يذبحهم في الوقت
 والساعة ومن جملتهم نور الدين ، فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكان الجلاد
 قد أخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قدّه . فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال له : أما أنت نور
 الدين الذي كنت عندنا في المرة الأولى قبل هذه المرة ؟ فقال له : ما كنت عندكم وليس إسمي نور
 الدين وإنما إسمي ابراهيم . فقال له الملك : تكذب ، بل أنت نور الدين الذي وهبتك للعجوز
 القيمة على الكنيسة لتساعدتها في خدمة الكنيسة . فقال له نور الدين : يا مولاي ، أنا إسمي
 ابراهيم . فقال له الملك : إن العجوز قيمة الكنيسة إذا حضرت ونظرتك تعرف هل أنت نور الدين
 أو غيره ؟ فبينما هم في الكلام وإذا بالوزير الأعور الذي تزوج بنت الملك قد دخل في تلك الساعة
 وقبل الأرض بين أيادي الملك وقال له : أيها الملك ، أعلم أن القصر قد فرغ بنيانه وأنت تعرف
 اني نذرت للمسيح إذا فرغت من بنائه أن أذبح على بابه ثلاثين من المسلمين . وقد آتيتك لأخذ
 من عندك ثلاثين مسلماً فاذبحهم وأوفي بهم نذر المسيح ويكونون في ذمتي على سبيل القرض ،
 ومتى جاءني أسارى أعطيتك بدلهم . فقال الملك : وحق المسيح والدين الصحيح ما بقي عندي
 غير هذا الأسير . وأشار إلى نور الدين وقال له : خذهُ واذبحه في هذه الساعة حتى أرسل إليك
 البقية إذا جاءني أسارى من المسلمين . فعند ذلك قام الوزير الأعور وأخذ نور الدين ومضى به
 إلى القصر ليذبحه على عتبة بابهِ . فقال له الدهانون : يا مولانا ، قد بقي علينا من الدهان شغل
 يومين فاصبر علينا وآخر ذبح هذا الأسير حتى نفرغ من الدهان عسى أن يأتي إليك بقية الثلاثين

الدين . فقعد نور الدين مدة أيام يأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويأمر وينهي على خدمة الخيل ، وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوالة التي فيها خدمته ، يرميه ويضربه ضرباً شديداً ويضع في رجليه القيد الحديد . وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول أمره إليه . وكان نور الدين كل يوم ينزل إلى الحصانين ويمسحهما بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما . وكان للوزير الأعور بنت بكر في غاية الجمال كانها غزال شارذ وغصن مائذ . فاتفق أنها كانت جالسة ذات يوم من الأيام في الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذي فيه نور الدين ، إذ سمعت نور الدين يغني ويسلي نفسه على المشقات بإنشاد هذه الأبيات : [من السريع]

يا عادِلاً أَصْبَحَ في ذاتِهِ	مُنْعِماً يَزْهُو بِلِدَاتِهِ
لَوْ عَضَّكَ الدَّهْرُ بِأَفَاتِهِ	لَقُلْتُ مِنْ ذَوْقِ مَرَارَاتِهِ
أَه مِنْ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
لَكِنْ سَلِمْتَ اليَوْمَ مِنْ عَدْرِهِ	وَمِنْ تَناهِيه وَمِنْ جَوْرِهِ
فَلَا تَلُمَنَّ مَنْ حَارَ في أَمْرِهِ	وقالَ مِنْ فَرَطِ صَبابَاتِهِ
أَه مِنْ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
كُنْ عادِلاً العُشاقِ في حالِهِم	ولا تَكُنْ عَوناً على عَدْلِهِم
يَاكَ أَنْ تَشْتَدَّ في حَبْلِهِم	مُجَرَّعاً مِنْ مَرٍّ لَوَعَاتِهِ
أَه مِنْ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِكَ بَيْنَ العبادِ	كَمِثْلِ مَنْ باتَ خَلِيَّ الفُؤادِ
لَمْ أَعْرِفِ العِشْقَ وطَعْمَ السُّهادِ	حَتَّى دَعاني لِمَقاماتِهِ
أَه مِنْ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
لَمْ يَدْرِ ما العِشْقُ وما ذلُّهُ	إِلاَّ الَّذي أَسْقَمَهُ طوْلُهُ
وضاعَ مِنْهُ في الهوى عَقْلُهُ	وشربَهُ مِنْ مَرٍّ جُرْعَاتِهِ
أَه مِنْ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
كَمْ عَيْنٌ صَبَّ في الدَّجَى أسْهراً	وأَحْرَمَ الجَفْنَ لَدَيْدَ الكَرى
وَكَمْ أَسالَ دَمْعُهُ أنْهراً	تَجْرِي على الخَدِّ بِلَوَعَاتِهِ
أَه مِنْ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
كَمْ في الوَرى مِنْ مَغْرَمِ مُسْتَهامِ	سَهْرانُ مِنْ وَجْدٍ بَعِيدِ المَنامِ
أَلْبَسَهُ نُوبَ الضَّئى والسَّقامِ	مَنْ قَدْ نَفى عَنْهُ مَناماتِهِ
أَه مِنْ العِشْقِ وحالاتِهِ	أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ
كَمْ قَلَّ صَبْرِي وَبَرى أَعْظَمِي	وسالَ دَمْعِي مِنْهُ كالعَندَمِ
مُهْفَهَفٌ أَمْرٌ مِنْ مَطْعَمِي	ما كانَ حُلواً في مَدافِئِهِ

أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ آهٍ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ
 وَبَاتَ فِي جُنْحِ اللَّيَالِي أَرْقُ مَسْكِينٌ مَنْ فِي النَّاسِ مِثْلِي عَشِقُ
 يَشْكُو مِنَ الْعِشْقِ وَزَفْرَاتِهِ إِنَّ عَامَ فِي بَحْرِ التَّجَافِي غَرِقُ
 أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ آهٍ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ
 وَمَنْ نَجَا مِنْ كَيْدِهِ الْأَسْهَلِ مَنْ ذَا الَّذِي بِالْعِشْقِ لَمْ يَتَلَّ
 وَأَيْنَ مَنْ فَازَ بِرَاحَاتِهِ وَمَنْ يَعِشُ مِنْهُ بِعَيْشِ الْخَلِي
 أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ آهٍ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ
 وَأَكْفَلُهُ نِعْمَ أَنْتَ مِنْ كَافِلِ يَا رَبِّ دَبَّرَ مَنْ بِهِ قَدْ بُلِي
 وَالطُّفُّ بِهِ فِي كُلِّ آفَاتِهِ وَأَرْزُقُهُ مِنْكَ بِالثَّبَاتِ الْجَلِي
 أَحْرَقَ قَلْبِي بِحَرَارَاتِهِ آهٍ مِنَ الْعِشْقِ وَحَالَاتِهِ

فلما استتم نور الدين أقصى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت في نفسها بنت الوزير: وحق المسيح والدين الصحيح إن هذا المسلم شاب مليح ولكنه لا شك عاشق مفارق، فيا ترى هل معشوق هذا الشاب مليح مثله؟ وهل عنده مثل ما عنده أم لا؟ فإن كان معشوقه مليحاً مثله يحق له إسالة العبرات وشكوى الصبابات، وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرّم طعم اللذات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن بنت الوزير قالت في نفسها: فإن كان معشوقه مليحاً يحق له إسالة العبرات، وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات. وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير نقلت إلى القصر أمس ذلك اليوم، وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر، فعزمت أن تذهب إليها وتحديثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام. فما استتمت الفكر في هذا الكلام حتى أرسلت خلفها السيدة مريم زوجة أبيها لاجل أن تؤانسها بالحديث. فذهبت إليها فرأت صدرها ضيقاً ودموعها جارية على خدّها وهي تبكي بكاء شديداً ما عليه من مزيد. تكفكف العبرات وتشهد هذه الايات: [من الوافر]

مَضَى عُمْرِي وَعُمُرُ الْوَجْدِ بَاقٍ وَصَدْرِي ضَاقَ مِنْ قَرُطِ أَشْتِيَابِي
 وَقَلْبِي ذَابَ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ يُؤَمِّلُ عَوْدَ أَيَّامِ التَّلَاقِ
 لِيَنْتَظِمَ الْوِصَالَ عَلَى اتِّسَاقِ

أَقْلُوا اللَّوْمَ عَنْ مَسْلُوبِ قَلْبٍ نَحِيلُ الْجِسْمِ مِنْ شَوْقِ وَكْرَبٍ
 وَلَا تَرْمُوا هَوَاهُ بِسَهْمِ عَتَبٍ فَمَا فِي الْكُونِ أَشَقَى مِنْ مُحِبِّ
 فَمُرُّ الْعِشْقِ حُلُوٌّ فِي الْمَذَاقِ

فقالت بنت الوزير للسيدة مريم: ما لك أيتها الملكة ضيقة الصدر مشتتت الفكر؟ فلما سمعت السيدة مريم كلام بنت الوزير تذكّرت ما فات من عظيم اللذات وأنشدت هذين

سَأَصْبِرُ تَوَطُّيْنَا عَلَى هَجْرٍ صَاحِبِي وَأُرْسِلُ دُرَّ الدَّمْعِ نَثْرًا عَلَى نَثْرِ
عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ إِنَّهُ طَوَى كُلَّ يُسْرِ تَحْتَ جَانِحَةِ الْعُسْرِ

فقال لها بنت الوزير : أيتها الملكة ، لا تضيقى صدرأ وقومي معي في هذه الساعة إلى شباك القصر فإن عدنا في الإصطبل شاباً مليحاً رشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق . فقالت لها السيدة مريم : بأي علامة عرفت أنه عاشق مفارق ؟ فقالت لها بنت الوزير : أيتها الملكة ، عرفت ذلك بإنشاده القصائد والأشعار آناء الليل وأطراف النهار . فقالت السيدة مريم في نفسها : إن كان قول بنت الوزير يقين فهذه صفات الكئيب المسكين علي نور الدين ، فيا هل ترى هو ذلك الشاب الذي ذكرته بنت الوزير ؟ ثم إن السيدة مريم زاد بها العشق والهيام والوجد والغرام ، فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير إلى الشباك ونظرت منه فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ، ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ، ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبه إياها . ومن نار الوجد والم الفراق والوله والإشتياق قد زاد به النحول فصار ينشد ويقول : [من الرجز]

الْقَلْبُ مَمْلُوكٌ وَعَيْنِي جَارِيَةٌ لَيْسَ لَهَا سَحَابَةٌ مُجَارِيَةٌ
بَيْنَ بُكَائِي وَسُهَادِي وَالْجَوَى وَالنَّوْحُ وَالْحُزْنَ عَلَى أَحْبَابِيَّةِ
وَأَحْرَقْتِي وَأَحْسَرْتِي وَالْوَعْتِي تَكَامَلْتُ أَعْدَادُهَا ثَمَانِيَّةِ
وَتَابَعْتَهَا خَمْسَةٌ فِي خَمْسَةِ أَلَا قِفُوا وَأَسْتَمِعُوا مَقَالِيَّةِ
ذِكْرٌ وَفَكْرٌ وَزَفِيرٌ وَضَنِي وَفَرَطٌ شَوْقِي وَأَشْتِغَالُ بَالِيَّةِ
فِي مِحْنَةٍ وَعُزْبَةٍ وَصَبْوَةٍ وَلَهْفَةٍ وَفَرَحَةٍ تَرَانِيَّةِ
قَلَّ أَصْطِبَارِي وَأَحْتِمَالِي لِلْجَوَى لَمَّا نَأَى صَبْرِي دَنَا مُحَالِيَّةِ
قَدْ زَادَ فِي قَلْبِي تَبَارِيحَ الْجَوَى يَا سَائِلًا عَنْ نَارِ قَلْبِي مَا هِيَ
مَا بَالُ دَمْعِي مُوقِدًا فِي مَهْجَتِي قَنَارُ قَلْبِي لَا تَزَالُ حَامِيَّةِ
أَصْبَحْتُ فِي طُوفَانٍ دَمْعِي غَارِقًا وَمِنْ لَطَى هَذَا الْهَوَى فِي هَاوِيَّةِ

فلما رأت السيدة مريم سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره وتحققت أنه هو ولكنها كتمت أمرها عن بنت الوزير وقالت لها : وحق المسيح والدين الصحيح ، ما كنت أحسب أن عندك خبراً بضيق صدري . ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت إلى مكانها ومضت بنت الوزير إلى شغلها . ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت إلى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر إلى سيدها نور الدين وتتأمل في لطفه ورقة معانيه ، فرأته كالبدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر . لكنه دائم الحصرات جاري العبرات لأنه تذكر ما فات فانشد هذه الأبيات : [من الكامل]

أَمَلْتُ وَصَلَّ أَحَبِّي مَا نَلْتُهُ أَبَدًا وَمُرَّ الْعَيْشِ قَدْ وَأَصَلْتُهُ
دَمْعِي يُحَاكِي الْبَحْرَ فِي جَرِيَانِهِ وَإِذَا رَأَيْتُ عَوَادِلِي كَفَكَفْتُهُ
أَهْ عَلَى دَاعٍ دَعَا بِفِرَاقِنَا لَوْ نَلْتُ مِنْهُ لِسَانُهُ لَقَطَعْتُهُ

لا عَتَبَ لِلْأَيَّامِ فِي أفعالِها
فَلَمَنْ أَسِيرٌ إِلَى سِوَانِمْ قاصِداً
مِنْ مُنْصِفي مِنْ ظالِمٍ مُتَحَكِّمٍ
مَلَكَتُهُ رُوحِي لِيَحْفَظَ مَلَكَهُ
أَنْفَقْتُ عُمري فِي هِوَاهُ وَلِيَتَنِي
يا أَيُّها الرِّشْأُ الْمَلِمْ بِمُهْجَتِي
أَنْتَ الَّذِي جَمَعَ الْحاسِنَ وَجَهَهُ
أَحْلَلْتَهُ قَلْبِي فَحَلَّ بِهِ الْبَلا
وَجَرَّتْ دُمُوعِي مِثْلَ بَحْرِ زَاخِرٍ
وَخَشِيتُ خَوْفاً أَنْ أَمُوتَ بِحَسْرَةٍ

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق المسكين إنشاد هذه الأشعار حصل عندها
من كلامه إشعار . فافاضت دموع العين وأنشدت هذين البيتين : [من الطويل]

تَمَنَيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمَّا لَقَيْتُهُ ذُهَلْتُ فَلَمْ أَمْلِكْ لِسَاناً وَلَا طَرْفاً
وَكُنْتُ مُعِداً لِلْعِتَابِ دَفَاتِراً فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا مَا وَجَدْتُ وَلَا حَرْفاً

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها وبكى بكاء شديداً وقال : والله ، إن هذه نعمة
السيدة مريم الزنارية بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن نور الدين لما سمعها تنشد الأشعار
قال في نفسه : إن هذه نعمة السيدة مريم بلا شك ولا ريب ولا رجم
غيب ، فيا ترى هل ظني صحيح وإنها هي بعينها أو غيرها ؟ ثم إن نور
الدين زادت به الحسرات فتأوه وأنشد هذه الأبيات :

فلما كانت الليلة
كلام
889
كلام

لَمَّا رَأَيْتُ لائِمِي فِي الْهَوَى صَادَفْتُ حَبِيبِي فِي مَكَانٍ رَحِيبٍ
وَلَمْ أَفْهَ بِالْعَتَبِ عِنْدَ اللَّقا وَرُبَّ عَتَبٍ فِيهِ بُرْءُ الْكَيْبِ
فَقَالَ : مَا هَذَا السُّكُوتُ الَّذِي صَدَّكَ عَنْ رَدِّ الْجِوابِ الْمُصِيبِ
فَقُلْتُ : يا مَنْ قَدْ عَدَا جَاهِلاً بِحَالِ أَهْلِ الْعِشْقِ كَالْمُسْتَرِيبِ
عَلامةُ الْعاشِقِ فِي عِشْقِهِ سُكُوتُهُ عِنْدَ لِقَاءِ الْحَبِيبِ

فلما فرغ من شعره احضرت السيدة مريم دواة وقرطاساً وكتبت فيه : بعد البسملة الشريفة .
أما بعد ، فسلام الله عليك ورحمته وبركاته وأخبرك أن الجارية مريم تسلّم عليك وهي كثيرة
الشوق إليك وهذه مراسلتها إليك ، فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك إنهمض من وقتك
وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الإهتمام ، والحذر كل الحذر من المخالفة ومن أن تنام فإذا

مضى ثلث الليل الاول، فإن تلك الساعة من أسعد الاوقات فلا يكون لك فيها شغل إلا ان تشدّ
الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة، وكل من قال لك: أين أنت رايح؟ فقل له: أنا رايح
اسيرهما. فإذا قلت ذلك لا يمنعك أحد فإن أهل هذه المدينة واثقون بقفل الأبواب. ثم إن السيدة
مريم لقت الورقة في منديل حرير ورمتها إلى نور الدين من الشباك، فأخذها وقرأها وفهم ما فيها
وعرف أنها خط السيدة مريم. فقبلها ووضعها بين عينيه وتذكر ما حصل له معها من طيب
الوصال فأسال دمع العين وأنشد هذين البيتين: [من الطويل]

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكُمْ جُنْحَ لَيْلَةٍ فَهَيَّجَنِي شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَأَبْرَانِي
وَدَكَّرَنِي عَيْشًا مَضَى بِوَصَالِكُمْ فَسَبَّحَانَ رَبِّي بِالتَّفَرُّقِ أَبْلَانِي

ثم إن نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل بإصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل
ثلثه الاول، ثم قام من وقته وساعته إلى الحصانين ووضع عليهما سرجين من أحسن السروج
وخرج بهما من باب الإصطبل وقفل الباب وسار بهما إلى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة
مريم. هذا ما كان من أمر نور الدين. وأما ما كان من أمر الملكة مريم، فإنها ذهبت من وقتها
وساعتها إلى المجلس الذي هو معد لها في ذلك القصر فوجدت الوزير الأعور جالساً في ذلك
المجلس متكئاً على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستحي أن يمد يده إليها أو يخاطبها. فلما
رأته ناجت ربها في قلبها وقالت: اللهم لا تبلغه مني أرباً ولا تحكم عليّ بالنجاسة بعد الطهارة.
ثم أقبلت عليه وأظهرت له المودة وجلست في جانبه ولاطفته وقالت له: يا سيدي، ما هذا
الإعراض عني؟ هل هو منك تيه ودلال علينا؟ ولكن صاحب المثل السائر يقول: إذا بار السلام
سلمت القعود على القيام. فإن كنت يا سيدي ما تجيء عندي وتخاطبني أجيء أنا عندك
وأخاطبك. فقال لها الوزير: الفضل والجميل لك يا ملكة الأرض في الطول والعرض، وهل أنا
إلا من بعض خدامك وأقل غلمانك؟ وإنما أنا مستح أن أتهدم على مخاطبتك الفخيمة أيتها
الدرّة اليتيمة ووجهي منك في الأرض. فقالت له: دعنا من هذا الكلام وأتنا بالماكل والمشرب.
فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وأمرهم بإحضار الماكل والمشرب، فقدموا له سفرة
فيها ما درج وطار وسبح في البحار من قطاوسمان وأفراخ الحمام ورضيع الضان وأوز سمين،
وفيها دجاج محمّر، وفيها سائر الأشكال والألوان. فمدت السيدة مريم يدها إلى السفرة وأكلت
وصارت تلقم الوزير وتبوسه في فمه، وما زالوا ياكلان حتى اكتفيا من الأكل ثم غسلا أيديهما.
وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام وأحضروا سفرة المدام، فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه،
وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد أن يطير قلبه من الفرح وأتسع صدره والشرح. فلما غاب
عقله عن الصواب وتمكّن منه الشراب، مدت يدها إلى جيبتها وأخرجت منه قرصاً من البنج البكر
المغربي الذي إذا شمّ منه الفيل أدنى رائحة نام من العام إلى العام، كانت أعدته لهذه الساعة.
ثم غافلت الوزير وفركته في القدح وملأته وأعطته إياه، فطار عقله من الفرح وما صدق أنها
تناوله إياه فأخذ القدح وشربه، فما استقرّ في جوفه حتى خرّ صريعاً على الأرض في الحال. فقامت
السيدة مريم على قدميها وعمدت إلى خرجين كبيرين ملأتهما مما خفّ حمله وغلا ثمنه من
الجواهر واليواقيت وأصناف المعادن المثمّنة، ثم حملت معها شيئاً من الماكل والمشرب ولبست آلة

الحرب والكفاح من العدة والسلاح وأخذت معها نور الدين ما يسره من الملابس الملوكية الفاخرة وأهبة السلاح القاهرة، ثم إنها رفعت الخرجين على اكتافها وخرجت من القصر وكانت ذا قوة وشجاعة، وتوجهت إلى نور الدين. هذا ما كان من أمر مريم. وأما ما كان من أمر نور الدين. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 890
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن مريم لما خرجت من القصر توجهت إلى نور الدين وكانت ذا قوة وشجاعة. هذا ما كان من أمر مريم. وأما ما كان من أمر نور الدين العاشق المسكين فإنه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده، فأرسل الله عز وجل عليه النوم فنام، وسبحان من لا ينام. وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوة على سرقة هذين الحصانين أو واحد منهما، وكان موجوداً في تلك الأيام عبد أسود تربى في الجزائر يعرف سرقة الخيل، فصار ملوك الإفرنج يرشونه بمال كثير لأجل أن يسرق أحد الحصانين ووعده أنه إن سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعاً سنياً. وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور في مدينة أفرنجية وهو مخفف فلم يقدر على أخذ الحصانين وهما عند الملك. فلما وهبهما للوزير الأعور ونقلهما إلى إصطبله، فرح العبد فرحاً شديداً وطمع في أخذهما وقال: وحق المسيح والدين الصحيح لأسرقتهما. ثم إن العبد خرج في تلك الليلة قاصداً ذلك الإصطبل ليسرق الحصانين. فبينما هو ماش في الطريق إذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائماً ومقاود الحصانين في يده، فنزع المقاود من رؤوسهما وأراد أن يركب واحداً ويسوق الآخر قدامه وإذا بالسيدة مريم قد أقبلت وهي حاملة الخرجين على كتفها فظنت أن العبد هو نور الدين، فناولته أحد الخرجين فوضعه على الحصان، ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهي تظن أنه نور الدين. ثم إنها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له: يا سيدي نور الدين، ما لك ساكناً؟ فالتفت العبد إليها وهو مغضب وقال لها: أي شيء تقولين يا جارية؟ فسمعت بربرة العبد فعرفت أنها غير لغة نور الدين، فرفعت رأسها إليه ونظرته فوجدت له مناخير كالإبريق. فلما نظرت صار الضياء في وجهها ظلاماً فقالت له: من تكون يا شيخ بني حام؟ وما اسمك بين الأنام؟ فقال لها: يا بنت اللثام، أنا إسمي مسعود سراق الخيل والناس نيام. فما ردت عليه بشيء من الكلام بل جرّدت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علايقه فوقع صريعاً على الأرض يختبئ في دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار. فعند ذلك أخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحداً منهما وقبضت الآخر بيدها ورجعت إلى عقبها تفتش على نور الدين، فلقيته راقداً في المكان الذي واعدته بالإجماع فيه والمقاود في يده وهو نائم يخط في نومه ولم يعرف يديه من رجله. فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوباً وقال لها: يا سيدتي، الحمد لله على مجيئك سالمة. فقالت له: قم اركب هذا الحصان وانت ساكت. فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثاني وخرجت من المدينة وسارا ساعة زمنية. وبعد ذلك التفتت مريم إلى نور الدين وقالت له: أما قلت لك لا تتم؟ فإنه لا أفلح من ينام. فقال: يا سيدتي، أنا ما نمت إلا من برد فؤادي بميعادك، وأي شيء جرى يا سيدتي؟ فأخبرته بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى. فقال لها نور الدين: الحمد لله

على السلامة . ثم جداً في إسراع المسير وقد سلّما أمرهما إلى اللطيف الخبير وصارا يتحدثان حتى وصلا إلى العبد الذي قتلته السيدة مريم ، فرآه مرمياً في التراب كأنه عفريت . فقالت مريم لنور الدين : إنزل جرّده من ثيابه وخذ سلاحه . فقال لها : يا سيدتي ، والله أنا لا أقدر أن أنزل عن ظهر الحصان ولا أقف عنده ولا أتقرب منه . وتعجب نور الدين من خلقتة وشكر السيدة مريم على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم سارا . ولم يزالا سائرين سيراً عنيفاً بقية الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابي والبطاح ، فوصلا إلى مرج أبيض فيه الغزلان تمرح وقد اخضرت منه الجوانب وتشكّلت فيه الأثمار من كل جانب ، وأزهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات ، وجداوله تجري مختلفة الصفات كما قال فيه الشاعر وأجاد ووفى بالمراد : [من الوافر]

وَقَانِي لَفُحَّةَ الرَّمَضَاءِ وَاذِ
نَزَلْنَا دَوْحَةَ فَحَنَّا عَلَيْنَا
وَأَرْشَقْنَا عَلَى ظَمًا زَلَالًا
يَصُدُّ الشَّمْسَ أَنِّي وَاجَهَتُنَا
تَرَوْعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَدَارِي
وَفَاهُ مُضَاعِفُ النَّبْتِ الْعَمِيمِ
حُنُوَ الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
الَّذِي مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
فِيَحْجُبُهَا وَيَأْذُنُ لِلنَّسِيمِ
فَتَلْمَسُ جَانِبَ الدَّرِّ النَّظِيمِ

وكما قال الآخر : [من الكامل]

وَإِذَا تَرَمَّ طَيْرُهُ وَغَدِيرُهُ
فَكَانَهُ الْفِرْدَوْسُ فِي أَكْنَافِهِ
يَشْتَاقُهُ الْوَلَهَانُ فِي الْأَسْحَارِ
ظِلُّ وَفَاكِهَةٌ وَمَاءٌ جَارٍ

فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي ونور الدين ليستريحاً في ذلك الوادي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السيدة مريم ونور الدين لما نزلا في ذلك الوادي أكلا من أثماره وشربا من أنهاره وأطلقا الحصانين ياكلان في المرعى ، فاكلا وشربا من ذلك الوادي وجلس نور الدين هو ومرهلم يتحدثان ويتذاكران حكايتهما وما جرى لهما ، وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من ألم الفراق وما قاساه من البعد والإشتياق . فبينما هما كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سدّ الأقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقة السلاح . وكان السبب في ذلك أن الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها في تلك الليلة وأصبح الصباح أراد الملك أن يصبح عليهما كما جرت به العادة عند الملوك في بناتهم ، فقام وأخذ معه أقمشة من الحرير ونثر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط . ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان إلى أن وصل إلى القصر الجديد ، فوجد الوزير مرمياً على الفرش لم يعرف رأسه من رجله . فالتفت الملك في القصر يمينا وشمالاً فلم يرَ ابنته فيه ، فتكدر حاله واشتغل باله وأمر بإحضار الماء السخن والخل البكر والكندر . فلما أحضروا له ذلك خلطها ببعضها وسعط الوزير بها ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن . ثم إن الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه ،

فلما كانت الليلة
891
كانت الليلة

فسأله عن حاله وعن حال ابنته مريم . فقال له : أيها الملك الأعظم ، لا علم لي بها غير أنها أسقتني قدحاً من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روعي إلا في هذه الساعة ولا أعلم ما كان من أمرها . فلما سمع الملك كلام الوزير ، صار الضياء في وجهه ظلاماً وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلطم من أضراسه ثم إن الملك أرسل من وقته وساعته إلى الغلمان والسياس . فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له : أيها الملك ، إن الحصانين فقدنا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما أيضاً ، فإننا أصبحنا وجدنا الأبواب كلها مفتوحة . فقال الملك : وحق ديني وما يعتقده يقيني ، ما أخذ الحصانين إلا ابنتي هي والأسير الذي كان يخدم الكنيسة ، وكان قد أخذها في المرة الأولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدي إلا هذا الوزير الأعور وقد جوزي بفعله . ثم إن الملك دعا في الوقت بأولاده الثلاثة وكانوا أبطالاً شجعاناً ، كل واحد منهم يقوم بالف فارس في حومة الميدان ومقام الضرب والطعان . ثم صاح الملك عليهم وأمرهم بالركوب ، فركبوا وركب الملك بجملتهم مع خواص بطارقتهم وأرباب دولته وأكابرهم وصاروا يتبعون أثرهما ، فلحقوهما في ذلك الوادي . فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت سيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين : ما حالك ؟ وكيف قلبك في القتال والحرب والنزال ؟ فقال لها : إن ثباتي في النزال مثل ثبات الورد في النخال . ثم أنشد وقال : [من الكامل]

يا مريم أطرحي أليم عتابي	لا تقصدي قتلي وطول عذابي
من أين لي أنني أكون محارباً	إنني لأفزع من نعيق غراب
وإذا نظرت الفار أفزع خيفة	وأبول من خوفي على أنوابي
أنا لا أحب الطعن إلا خلوة	والكس يعرف سطوة الأزياب
هذا هو الرأي السديد وما يرى	من دون هذا الرأي غير صواب

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام أظهرت له الضحك والإبتسام وقالت له : يا سيدي نور الدين ، استقم مكانك وأنا أكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل . ثم إنها تهيأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها وأطلقت من يدها طرف العنان وأدارت من الرمح جهة السنان ، فخرج ذلك الحصان من تحتها كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب . وقد كانت مريم أشجع أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها لأن أباه علمها وهي صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب في ظلام الليل . وقالت لنور الدين : إركب جوادك وكن خلف ظهري وإذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فإن جوادك ما يلحقه لاحق . فلما نظر الملك إلى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت إلى ولده الأكبر وقال له : يا برطوط يا ملقب برأس القلوط ، إن هذه اختك مريم لا شك فيها ولا ريب قد حملت علينا وطلبت حربنا وقتلنا ، فابرز إليها واحمل عليها . وحق المسيح والدين الصحيح أنك إن ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصراني فإن رجعت إلى دينها القديم فارجع بها أسيرة ، وإن لم ترجع إليه فاقتلها أقبح قتله ومثل بها أشنع مثله ، وكذلك هذا الملعون الذي معها مثل به أقبح مثله . فقال له برطوط : السمع والطاعة . ثم برز لأخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها ، فلاقت وحملت عليه ودنت منه وتقربت إليه . فقال لها برطوط : يا مريم ، أما يكفي ما

جری منك حيث تركت دين الآباء والأجداد وأتبعت دين السياحين في البلاد يعني دين الإسلام ؟ ثم قال : وحق المسيح والدين الصحيح إن لم ترجعي إلى دين آبائك وأجدادك من الملوك وتسلكي فيه أحسن السلوك لاقتلنك شر قتلة وأمثل بك أقبح مثله . فضحكت مريم من كلام أخيها وقالت : هيهات هيهات أن يعود ما فات ويعيش من مات ، بل أجرك أشد الحسرات ، أنا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداة فإنه هو الدين الحق فلا أترك الهدى ولو سقيت كؤوس الردى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 892
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن مريم قالت لأخيها : هيهات هيهات أن أرجع عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداة فإنه دين الهدى ولو سقيت كؤوس الردى . فلما سمع الملعون برطوط من أخته هذا الكلام ، صار الضياء في وجهه ظلاماً وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتهب بينهما القتال واشتد الحرب والنزال وغاص الإثنان في الأودية العراض الطوال وصبرا على الشدائد وشخصت لهما الأبصار فأخذها الإتهار ، ثم تجاولا ملياً واعتراكا طويلاً وصار برطوط كلما يفتح لأخته مريم باباً من الحرب تبطله عليه وتسده بحسن صناعتها وقوة براعتها ومعرفتها وفروسيته . ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤوسهما الغبار وغاب الفرسان عن الأبصار ، ولم تزل مريم تحاوله وتسده عليه طريقه حتى كل وبطلت همته واضمحلت عزمه وضعفت قوته ، فضربته بالسيف على عاتقه فخرج من علاقته وعجل الله بروحه إلى النار وبش القرار . ثم إن مريم جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسالت الإنجاز وقالت : هل من مقاتل ؟ هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز ؟ لا يبرز لي إلا أبطال أعداء الدين لأسقيهم كأس العذاب المهين ، يا عبدة الأوثان وذوي الكفر والطغيان ، هذا يوم تبيض فيه وجوه أهل الإيمان وتسود وجوه أهل الكفر بالرحمن . فلما رأى الملك ولده الكبير قد قتل ، لطم على وجهه وشق أثوابه وصاح على ولده الوسطاني وقال له : يا برطوس يا ملقب بخرء السوس ، ابرز يا ولدي بسرعة إلى قتال أختك مريم وخذ منها ثار أخيك برطوط واتثني بها أسيرة ذليلة حقيرة . فقال له : يا أبت ، السمع والطاعة . ثم إنه برز لأخته مريم وحمل عليها ، فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هي وإياه قتالاً شديداً أشد من القتال الأول . فرأى أخوها الثاني نفسه عاجزاً عن قتالها فأراد الفرار والهروب فلم يمكنه ذلك من شدة بأسها ، لأنه كلما ركن إلى الفرار تقربت منه ولاصقته وضايقته . ثم ضربته بالسيف على رقبتة فخرج يلمع من لبه وألحقته بأخيه . وبعد ذلك جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت : أين الفرسان والشجعان ؟ أين الوزير الأعور الأعرج صاحب الدين الأعوج ؟ فعند ذلك صاح أبوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال : إنها قتلت ولدي الأوسط وحق المسيح والدين الصحيح . ثم إنه صاح على ولده الصغير وقال له : يا فسيان ، يا ملقب بسلاح الصبيان ، أخرج يا ولدي إلى قتال أختك وخذ منها ثار أخويك وصادمها ، إما لك أو عليك ، وإن ظفرت بها فاقتلها أقبح قتلة . فعند ذلك برز لها أخوها الصغير وحمل عليها ، فنهضت إليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وشجاعتها ومعرفتها بالحرب وفروسيته وقالت له : يا عدو الله وعدو المسلمين ، لالحقتك بأخويك وبش مثوى الكافرين . ثم إنها جذبت سيفها من

غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه والحقته بأخويه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار . فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع أيها أولاده الثلاثة قد قتلوا وكانوا أشجع أهل زمانهم ، وقع في قلوبهم الرعب من السيدة مريم وأدهشتهم الهيبة ، ونكسوا رؤوسهم إلى الأرض وأيقنوا بالهلاك والدمار والذلّ والبوار ، واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهب النار فولّوا الأدبار وركنوا إلى الفرار . فلما نظر الملك إلى أولاده قد قتلوا وإلى عساكره فد انهزموا ، أخذته الحيرة والإنبهار واحترق قلبه بلهب النار وقال في نفسه : إن السيدة مريم قد استقلت بنا ، وإن جازفت بنفسي وبرزت إليها وحدي ربما غلبت عليّ وقهرتني فتقتلني أشنع قتلة وتمثل بي أفبح مثلة كما قتلت إخوتها ، لأنها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا في رجوعها طمع ، والرأي عندي أن أحفظ حرمتي وأرجع إلى مدينتي . ثم إن الملك أرخى عنان فرسه ورجع إلى مدينته ، فلما استقر في قصره انطلقت في قلبه النار من أجل قتل أولاده الثلاثة وانهازم عسكره وهتك حرمة . فما استقرّ نصف ساعة حتى طلب أرباب دولته وكبراء مملكته وشكوا إليهم فعل ابنته مريم معه ، من قتلها لأخوتها وما لاقاه من القهر والحزن ، واستشارهم . فأشاروا عليه كلهم أن يكتب كتاباً إلى خليفة الله في أرضه أمير المؤمنين هارون الرشيد ويعلمه بهذه القضية . فكتب إلى الرشيد مكتوباً مضمونه : بعد السلام على أمير المؤمنين ، إن لنا بنتاً اسمها مريم الزنارية قد أفسدها علينا أسير من أسرى المسلمين إسمه نور الدين علي ابن التاجر تاج الدين المصري ، وأخذها ليلاً وخرج بها إلى ناحية بلاده . وأنا أسأل فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها إلينا مع رسول أمين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 893

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ملك أفرنجة لما كتب إلى الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد كتاباً يتضرّع إليه فيه بطلب ابنته مريم ، ويسأل فضله أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين . ومن جملة مضمون ذلك الكتاب ، إننا نجعل لكم في نظير مساعدتكم لنا على هذا الأمر ، نصف مدينة رومة الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ويحمل إليكم خراجها . وبعد أن كتب الكتاب برأي أهل مملكته وكبراء دولته ، طواه ودعا بوزيره الذي جعله وزيراً مكان الوزير الأهور ، وأمره أن يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه أرباب دولته بعد أن وضعوا خطوط أيديهم فيه . ثم قال لوزيره : إن آتيت بها فلك عندي إقطاع أميرين وأخلع عليك خلعة بطرزين . ثم ناوله الكتاب وأمره أن يسافر إلى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب إلى أمير المؤمنين من يده إلى يده . ثم سافر الوزير بالكتاب وسار يقطع الأودية والقفار حتى وصل إلى مدينة بغداد ، فلما دخلها مكث فيها ثلاثة أيام حتى استقر واستراح . ثم سأل عن قصر أمير المؤمنين هارون الرشيد فدلّوه عليه . فلما وصل إليه طلب إذنًا من أمير المؤمنين في الدخول عليه فأذن له في ذلك ، فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب الذي من ملك أفرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بأمير المؤمنين . فلما فتح الخليفة الكتاب وقرأه وفهم مضمونه ، أمر وزراءه من وقته أن يكتبوا المكاتب إلى سائر بلاد المسلمين . ففعلوا ذلك وبينوا في المكاتب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وإنهما هاربان ، فكل من وجدتهما فليقبض عليهما ويرسلهما إلى أمير

المؤمنين، وحذروهم من أن يعطوا في ذلك إمهالاً أو إمهالاً أو غفلة. ثم ختمت الكتب وأرسلت مع السعاة إلى العمال، فبادروا في امتثال الأمر وساروا يفتشون في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة. هذا ما كان من أمر هؤلاء الملوك وأتباعهم. وأما ما كان من أمر نور الدين المصري ومريم الزنارية بنت ملك افرنجية، فإنهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتها وساعتها وساروا إلى بلاد الشام، وقد ستر عليهما الستار فوصلا إلى مدينة دمشق وكانت الطوالع التي أرسلها الخليفة قد سبقتهما إلى دمشق بيوم، فعلم أمير دمشق أنه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدي الخليفة. فلما كان يوم دخولهما إلى دمشق أقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما، فأخبروهما بالصحيح وقصوا عليهما قصتهما وجميع ما جرى عليهما. فعرفوهما وقبضوا عليهما وأخذوهما وساروا بهما إلى أمير دمشق، فأرسلهما إلى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام. فلما وصلوا إليها استأذنتوا في الدخول على أمير المؤمنين هارون الرشيد فأذن لهم. فلما دخلوا عليه قبلوا الأرض بين يديه وقالوا له: يا أمير المؤمنين، إن هذه مريم الزنارية بنت ملك افرنجية وهذا نور الدين ابن التاجر تاج الدين المصري الأسير الذي أفسدها على أبيها وسرقها من بلاده ومملكته وهرب بها إلى دمشق، فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن اسمائهما فأجابونا بالصحيح، فعند ذلك أتينا بهما وأحضرناهما بين يديك. فنظر أمير المؤمنين إلى مريم فرأها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام مليحة أهل زمانها فريدة عصرها وأوانها، حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب. فلما وصلت إليه قبلت الأرض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم. فأعجب الخليفة حسن قوامها وعذوبة الفاظها وسرعة جوابها. فقال لها: هل أنت مريم الزنارية بنت ملك افرنجية؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين وإمام الموحدين وحامي حومة الدين وابن عم سيد المرسلين. فعند ذلك التفت الخليفة فرأى علياً نور الدين شاباً مليحاً حسن الشكل كأنه البدر المنير في ليلة تمامه. فقال له الخليفة: هل أنت علي نور الدين الأسير ابن التاجر تاج الدين المصري؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين وعمدة القاصدين. فقال الخليفة: كيف أخذت هذه الصبية من مملكة أبيها وهربت بها؟ فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ما جرى له من أول الأمر إلى آخره. فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وأخذ من التعجب فرط الطرب وقال: ما أكثر ما تقاسيه الرجال! وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد لما سأل نور الدين عن قصته فأخبره بجميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى. فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال: ما أكثر ما تقاسيه الرجال! ثم إنه التفت إلى السيدة مريم وقال لها: يا مريم أعلمي أن والدك ملك افرنجية قد كاتبنا في شأنك، فما تقولين؟ قالت: يا خليفة الله في أرضه، وقائماً بسنة نبيه وفرضه، خلد عليك النعم واجارك من البؤس والنقم، أنت خليفة الله في أرضه، إني قد دخلت في دينكم لأنه هو الدين القويم الصحيح، وتركت ملة الكفرة الذين يتكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم، أعبد الله سبحانه وتعالى وأوحده وأسجد خاضعة إليه وامجده. وأنا قائلة بين يدي الخليفة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد

فلما كانت الليلة 894

ان محمداً رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فهل في وسعك يا أمير المؤمنين أن تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلني إلى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الأصنام ويعتقدون إلهية عيسى وهو مخلوق؟ فإن فعلت بي ذلك يا خليفة الله أتعلق بأذيالك يوم العرض على الله وأشكوك إلى ابن عمك رسول الله ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . فقال أمير المؤمنين : يا مريم ، معاذ الله أن أفعل ذلك أبداً ، كيف أردّ امرأة مسلمة موحدة بالله ورسوله إلى ما نهى الله عنه ورسوله؟ فقالت مريم : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقال لها أمير المؤمنين : يا مريم ، بارك الله فيك وزادك هداية إلى الإسلام ، وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب وهو أنني لا أفرط فيك أبداً ولو بذل لي من أجلك ملء الأرض جواهر وذهباً . فطبيبي نفساً وقرّبي عيناً وانشرحي صدرأ ولا يكن خاطرك إلا طيباً ، فهل رضيت أن يكون هذا الشاب علي المصري لك بعلاً وتكونين له أهلاً؟ فقالت مريم : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أرضى أن يكون لي بعلاً وقد اشتراني بماله وأحسن إليّ غاية الإحسان ، ومن تمام إحسانه أنه خاطر بروحه من أجلي مرات عديدة . فزوجها به مولانا أمير المؤمنين وعمل لها مهراً وأحضر القاضي والشهود وأكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوماً مشهوداً . ثم بعد ذلك التفت أمير المؤمنين من وقته وساعته إلى وزير ملك الروم وكان حاضراً في تلك الساعة وقال له : هل سمعت كلامها؟ كيف أرسلها إلى أبيها الكافر وهي مسلمة موحدة؟ وربما ساءها وأغلظ عليها خصوصاً وقد قتلت أولاده فأتحمّل أنا ذنبها يوم القيامة . وقد قال الله تعالى : ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً . فارجع إلى ملكك وقل له : إرجع عن هذا الأمر ولا تطمع فيه . وكان ذلك الوزير أحق فقال للخليفة : يا أمير المؤمنين ، وحق المسيح والدين الصحيح أنني لا يمكنني الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة ، لأنني لو رجعت إلى أبيها بدونها يقتلني . فقال الخليفة : خذوا هذا الملعون واقتلوه . وأنشد هذا البيت : [من مجزوء الكامل]

هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى مَنْ فَوْقَهُ وَعَصَانِيَهُ

ثم أمر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه . فقالت السيدة مريم : يا أمير المؤمنين ، لا تنجس سيفك بدم هذا الملعون . ثم جردت سيفها وضربته به فطاحت رأسه عن جثته ، فذهب إلى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار . فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جنانها ، ثم خلع على نور الدين خلعة وأفرد لهما مكاناً في قصره هي ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات ، وأمر بأن ينقل إليهما جميع ما يحتاجان إليه من الملابس والمفارش والأواني النفيسة . وأقاما في بغداد مدة من الزمان وهما في أرغد عيش وأهناء . وبعد ذلك اشتاق نور الدين إلى أمه وأبيه ، فعرض الأمر على الخليفة وطلب منه إذناً في التوجه إلى بلاده وزيارة أقاربه ودعا بمریم وأحضرها بين يديه ، فأجازته بالتوجه وأتحفه بالهدايا والتحف المثمنة وأوصى مريم ونور الدين ببعضهما . ثم أمر بالمكاتيب إلى أمراء مصر المحروسة وعلماؤها وكبرائها بالوصية على نور الدين هو ووالديه وجاريتته وإكرامهم غاية الإكرام . فلما وصلت الأخبار إلى مصر ، فرح التاجر تاج الدين بعود ولده نور الدين وكذلك أمه فرحت بذلك غاية الفرح . وخرج للقائه الأكاير

والأمراء وأرباب الدولة من أجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين، وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب. وصارت الولائم كل يوم على واحد من الأمراء وفرحوا بهم الفرح الزائد وأكرمواهم الإكرام المتصاعد. فلما اجتمع نور الدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم والترح، وكذلك فرحوا بالسيدة مريم وأكرمواها غاية الإكرام، ووصلت إليهم الهدايا والتحف من سائر الأمراء والتجار والعظام، وصاروا كل يوم في انشراح جديد وسرور أعظم من سرور العيد. ولم يزالوا في فرح ولذات ونعم جزيلة مطريات، وأكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور والقصور ومعمّر بطون القبور، فانتقلوا من الدنيا بالمات وصاروا في أعداد الاموات. فسبحان الحي الذي لا يموت ويده مقاليد الملك والملكوت.

78 - حكاية الأمير شجاع الدين والامراة الإفرنجية

ومما يحكى أيضاً أن الأمير شجاع الدين محمد متولي القاهرة قال: بتنا عند رجل من بلاد الصعيد فضيقنا وأكرمنا، وكان ذلك الرجل أسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير. وكان له أولاد صغار بيض، يياضهم مشربّ بحمرة. فقلنا: يا فلان، ما بال أولادك هؤلاء بيضاً وأنت شديد السمرة؟ فقال: هؤلاء أمهم افرنجية، أخذتها ولي معها حديث عجيب. فقلنا له: أنحفنا به. فقال: نعم. أعلموا أنني قد كنت زرعت كتناً في هذه البلدة وقلعته ونفضته وصرفت عليه خمسمائة دينار، ثم أردت بيعه فلم يجيء لي منه شيء أكثر من ذلك. فقالوا لي: إذهب به إلى عكاء لعلك تبيع فيه ربحاً عظيماً. وكانت عكاء ذلك الوقت في يد الإفرنج. فذهبت به إلى عكاء وبعته بعضه صبراً إلى ستة أشهر. فبينما أنا أبيع إذ مرّت بي امراة إفرنجية، وعادة نساء الإفرنج أن تمشي في السوق بلا نقاب. فأتت لتشتري مني كتناً فرايت من جمالها ما بهر عقلي، فبعته لها شيئاً وتساهلت في الثمن فأخذه وانصرفت. ثم عادت إلي بعد أيام فبعته لها شيئاً وتساهلت معها أكثر من المرة الأولى، ففكرت مجيئها لي وعرفت أنني أحبها، وكان عادتها أن تمشي مع عجوز. فقلت للعجوز التي معها: إنني قد شغفت بحبها فهل تتحيلين لي في الإتصال بها؟ فقالت: التحيل لك في ذلك، ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا، أنا وأنت وهي. ومع ذلك لا بد من أن تبذل مالاً. فقلت لها: إذا ذهبت روحي باجتماعي عليها ما هو كثير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 895
قالت له: ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا، أنا وأنت وهي، ولا بد من أن تبذل مالاً. فقال لها: إذا ذهبت روحي في اجتماعي عليها ما هو كثير. واتفق الحال على أن يدفع لها خمسين ديناراً وتجيء إليه. فجهز الخمسين ديناراً وسلّمها للعجوز. فلما أخذت الخمسين ديناراً قالت له: هيء لها موضعاً في بيتك وهي نجيء إليك في هذه الليلة. ثم قال: فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكّل ومشرب وشمع وحلوى. وكانت دارى مظلة على البحر وكان ذلك في زمن الصيف، ففرشت على سطح الدار وجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا، وحن الليل فنمنا تحت السماء

والقمر يضيء علينا وسرنا ننظر خيال النجوم في البحر . فقلت في نفسي : اما تستحي من الله عز وجل وانت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصي الله تعالى مع نصرانية وتستوجب عذاب النار ؟ اللهم اني اشهدك اني قد عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك . ثم اني نمت إلى الصبح وقامت في السحر وهي غضبي ومضت إلى مكانها ومشيت أنا إلى حانوتي فجلست فيه ، وإذا هي قد عبرت علي هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر . فهلكت وقلت في نفسي : من هو أنت حتى تترك هذه الجارية ؟ هل أنت السري السقطي أو بشر الحافي أو الجنيد البغدادي أو الفضيل بن عياض ؟ ثم لحقت العجوز وقلت لها : إرجعي إلي بها . فقالت العجوز : وحق المسيح ما ترجع إليك إلا بمائة دينار . فقلت : اعطيك مائة دينار . ثم اعطيتها المائة دينار وجاءت إلي ثاني مرة ، فلما صارت عندي رجعت إلى تلك الفكرة فعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضيت ومشيت إلى موضعي . ثم عبرت علي العجوز وهي غضبي . فقلت لها : إرجعي بها إلي . فقالت : وحق المسيح ، ما بقيت تفرح بها عندك إلا بخمسمائة دينار وتموت كمدأ . فارتعدت لذلك وعزمت أن أغرم ثمن الكتان جميعه وأفدي نفسي بذلك . فما شعرت إلا والمنادي ينادي ويقول : يا معاشر المسلمين ، إن الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين جمعة ليقضوا أشغالهم وينصرفوا إلى بلادهم . فانقطعت عني وأخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي اشتراه مني الناس مؤجلاً والمقايسة على ما بقي منه ، وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكاء وأنا في قلبي من الإفرنجية ما فيه من شدة المحبة والعشق ، لأنها أخذت قلبي ومالي . ثم خرجت وسرت حتى وصلت إلى دمشق وبعثت البضاعة التي أخذتها من عكاء بأقصى ثمن لانقطاع وصولها بسبب انقضاء مدة الهدنة ، ومن الله سبحانه وتعالى علي بكسب جيد وصرت أتجر في جواري السبي ليذهب ما بقلبي من الإفرنجية ولازمت التجارة فيهن . فمضت علي ثلاث سنوات وأنا بتلك الحالة ، وجرى للملك الناصر مع الإفرنج ما جرى من الوقائع ونصره الله عليهم وأسر جميع ملوكهم وفتح بلاد الساحل بإذن الله تعالى . فاتفق أنه جاء رجل وطلب مني جارية للملك الناصر ، وكان عندي جارية حسنة فعرضتها عليه فاشتراها له مني بمائة دينار ، فأوصلني تسعين ديناراً وبقي لي عشرة دنائير فلم يجلوها في خزنته ذلك اليوم لأنه أنفق الاموال جميعها في حرب الإفرنج . فأخبروه بذلك فقال الملك : أمضوا به إلى خزنة السبي وخبروه بين بنات الإفرنج ليأخذ واحدة منهن في العشرة دنائير . وأدرك شهر زاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك الناصر لما قال : خيروه في واحدة منهن ليأخذها في العشرة دنائير التي له . أخذوني وتوجهوا بي إلى خزنة السبي ، فنظرت ما فيها وتاملت في جميع السبي فرايت الجارية الإفرنجية التي كنت تعلقت بها وعرفتها حق المعرفة ، وكانت امرأة فارس من فرسان الإفرنج . فقلت : اعطوني هذه . فأخذتها ومضيت إلى خيمتي وقلت لها : اتعرفيني ؟ قالت : لا . قلت : أنا صاحبك الذي كنت أتاجر في الكتان ، وقد جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب وقلت : ما بقيت تنظرني إلا بخمسمائة دينار . وقد أخذتكم ملكاً بعشرة دنائير . فقالت : هذا سر دينك الصحيح ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً

فلما كانت الليلة
كانت ليلة
896
كانت ليلة

رسول الله . فأسلمت وحسن إسلامها . فقلت في نفسي : والله لا أفضي إليها إلا بعد عتقها . واطلاع القاضي . فرحت إلى ابن شداد وحكيت له ما جرى وعقد لي عليها ، ثم بعد ذلك بت معها فحملت . ثم رحل العسكر وأتينا دمشق ، فما كان إلا أيام قلائل وأتى رسول الملك يطلب الأسارى والسبي باتفاق وقع بين الملوك ، فردّ كل من كان أسيراً من النساء والرجال ولم يبق إلا المرأة التي عندي . فقالوا : إن امرأة الفارس فلان لم تحضر . وسألوا عنها وألحوا في السؤال والكشف ، فأخبروا بأنها عندي . فطلبوها مني ، فحضرت وأنا في شدة الوله وقد تغير لوني . فقالت لي : ما لك ، وما الذي أصابك ؟ فقلت : جاء رسول الملك يأخذ الأسارى جميعهم وطلبوك مني . فقالت : لا بأس عليك ، أوصلني إلى الملك وأنا أعرف الذي أقوله بين يديه . قال : فأخذتها وأحضرتها قدام السلطان الملك الناصر ، ورسول ملك الإفرنج جالس على يمينه . وقلت : هذه المرأة التي عندي . فقال لها الملك الناصر والرسول : أتروحين إلى بلادك أم إلى زوجك ؟ فقد فكّ الله أسرك أنت وغيرك . فقالت للسلطان : أنا قد أسلمت وحملت وها بطني كما ترون ، وما بقيت الإفرنج تنتفع بي . فقال الرسول : أيما أحب إليك ، أهذا المسلم أو زوجك الفارس فلان ؟ فقالت له كما قالت للسلطان . فقال الرسول لمن معه من الإفرنج : هل سمعتم كلامها ؟ قالوا : نعم . ثم قال لي الرسول : خذ امرأتك وامض بها . فمضيت بها . ثم إنه أرسل خلفي عاجلاً وقال : إن أمها أرسلت إليها معي وديعة وقالت : إن بنتي أسيرة وهي عريانة ومرادي أن توصل إليها هذا الصندوق ، فحذه وسلّمه إليها . فتسلّمت الصندوق ومضيت به إلى الدار وأعطيته لها ، ففتحت فرأت فيه قماشها بعينه ووجدت الصرتين الذهب والخمسين ديناراً والمائة دينار . فرأيت الجميع برباطي لم يتغير منها شيء وحمدت الله تعالى . وهؤلاء الأولاد منها وهي تعيش إلى الآن ، وهي التي عملت لكم هذا الطعام . فتعجبنا من حكايته وما حصل له من الحظ والله أعلم .

79 - حكاية الفتى البغدادي والجارية

ومما يحكى أيضاً أنه كان في قديم الزمان رجل ببغداد من أولاد أهل النعم ، ورث عن أبيه مالاً جزيلاً . وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ، ولم يزل ينفق عليها إلى أن ذهب جميع ماله ولم يبق منه شيء . فطلب شيئاً من أسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر . وكان ذلك الفتى في أيام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها الغاية القصوى ، فاستشار بعض إخوانه فقال له : أنا لا أعرف لك صنعة أحسن من أن تغني أنت وجاريتك ، فتأخذ على ذلك المال الكثير وتاكل وتشرب . فكره ذلك هو والجارية . فقالت له جاريتة : قد رأيت لك رأياً . قال : وما هو . قالت : تبيعني وتخلص من هذه الشدة وأنا وأنت وأكون في نعمة ، فإن مثلي ما يشتره إلا ذو نعمة وبذلك أكون سبباً في رجوعي إليك . فاطلعتها إلى السوق ، فكان أول من رآها رجل هاشمي من أهل البصرة ، وكان ذلك الرجل أديباً ظريفاً كريم النفس فاشتراها بألف وخمسمائة دينار . قال ذلك الفتى صاحب الجارية : فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت أنا والجارية وطلبت الإقالة فلم يرض . فوضعت الدنانير في الكيس وأنا لا أدري أين أذهب لأن بيتي موحش منها ، وحصل لي من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لي قط . فدخلت بعض المساجد وقعدت أبكي فيه واندھشت حتى صرت لا أعلم بنفسي ، فنمت وتركت الكيس تحت

راسي كالمخدة . فلم اشعر إلا وإنسان قد جذبه من تحت رأسي ومضى يهرول ، فانتهت فزعاً مرعوباً فلم أجد الكيس ، فقممت أجري خلفه وإذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت أبكي والطم . وقلت في نفسي : فارتكك روحك وضاع مالك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كان
897
كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال : قلت في نفسي : فارتكك روحك وضاع مالك . وزاد بي الحال فجننت إلى الدجلة وحملت ثوبي على وجهي وألقيت نفسي في البحر . ففظنت بي الحاضرون وقالوا : إن ذلك لعظيم هم حصل له . فرموا ارواحهم خلفي وأطلعوني وسألوني عن أمري ، فأخبرتهم بما حصل لي ، فتناسفوا لذلك . ثم جاءني شيخ منهم وقال : قد ذهب مالك وكيف تتسبب في ذهاب روحك فتكون من أهل النار ؟ قم معي حتى أرى منزلك . ففعلت ذلك ، فلما وصلنا إلى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن ما بي فشكرته على ذلك ثم انصرف . فلما خرج من عندي كدت أن أقتل روحي فتذكرت الآخرة والنار ، فخرجت من بيتي هارباً إلى بعض الأصدقاء فأخبرته بما جرى لي . فبكى رحمة لي وأعطاني خمسين ديناراً وقال : إقبل رأيي وأخرج في هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك إلى أن يشتغل قلبك عن حبها وتسلو عنها ، وأنت من أولاد أهل الإنشاء والكتابة وخطك جيد وأدبك بارع ، فاقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريته . فسمعت منه وقد قوى عزمي وزال عني بعض همي وعزمت على أني أقصد أرض واسط لأن لي بها أقارب . فخرجت إلى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون إليها أمتعة وقماشاً فاخراً ، فسألتهم أن يأخذوني معهم . فقالوا : إن هذه السفينة لرجل هاشمي لا يمكننا أخذك على هذه الصورة . فرغبتهم في الأجرة . فقالوا : إن كان ولا بد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا . فرجعت واشترت شيئاً من ثياب الملاحين ولبسته وجئت إلى السفينة وكانت متوجهة إلى البصرة ، فنزلت معهم فما كان إلا ساعة حتى رأيت جاريته بعينها ومعها جارتان يخدمانها . فسكن ما كان عندي من الغيظ وقلت في نفسي : ها أنا أراها وأسمع غناءها إلى البصرة . فما أسرع أن جاء الهاشمي راكباً ومعه جماعة ، فنزلوا في تلك السفينة وانحدرت بهم ، وأخرج الطعام فأكل هو والجارية وأكل الباقون في وسط السفينة . ثم قال الهاشمي للجارية : كم هذا التمتع عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ؟ ما أنت أول من فارق من يحب ؟ فعلمت ما كان عندها من أمر حبي . ثم ضرب ساتراً على الجارية في جانب السفينة واستدعى الذين كانوا في ناحيتي وجلس معهم خارج الستارة ، فسألت عنهم فإذا هم إخوته . ثم أخرج لهم ما يحتاجون إليه من الخمر والنقل ، ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء إلى أن استدعت بالعود وأصلحته وأخذت تغني فأنشدت هذين البيتين : [من الكامل]

بَانَ الْخَلِيطُ بِمَنْ أَحْبَبُ فَأَدْلَجُوا وَعَنِ السَّرَى بِمُنَايَ لَمْ يَتَحَرَّجُوا
وَالصَّبُّ بَعْدَ أَنْ أَسْتَقَلَّ رِكَابُهُمْ جَمْرُ الْغَضَا فِي قَلْبِهِ يَتَأَجَّجُ

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء، فتنغص القوم ووقعت أنا مغشياً عليّ، فظن القوم أنني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني. ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء إلى أن اصلحت العود وأخذت تغني فأنشدت هذين البيتين: [من الكامل]

فَوَقَفْتُ أَنْدُبُ ظَاعِنِينَ تَحَمَّلُوا هُمْ فِي الْفُؤَادِ وَإِنْ نَأَوْا وَتَرَخَلُوا
وَوَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ أَسْأَلُ عَنْهُمْ وَالِدَارُ قَفْرٌ وَالْمَنَارُ بَلْقَعُ

ثم وقعت مغشياً عليها. وارتفع البكاء من الناس وصرخت أنا ووقعت مغشياً عليّ. وضحّ الملاحون مني فقال بعض غلمان الهاشمي: كيف حملتم هذا المجنون؟ ثم قال بعضهم لبعض: إذا وصلتم إلى بعض القرى فاخرجوه وأريحونا منه. فحصل لي من ذلك همّ عظيم وعذاب اليم فتجلدت غاية التجلّد وقلت في نفسي: لا حيلة لي في الخلاص من أيديهم إلا إذا أعلمتها بمكاني من السفينة لتمتنع من إخراجي. ثم سرنا حتى وصلنا إلى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة: اصعدوا بنا إلى الشاطئ. فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء، فقامت حتى صرت خلف الستارة وأخذت العود وغيّرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التي قد تعلّمتها مني ثم رجعت إلى موضعي من السفينة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
898
قال: يا
الملك
السعيد
قال: ثم رجعت إلى موضعي من السفينة. وبعد ذلك نزل القوم من الشاطئ ورجعوا إلى مواضعهم في السفينة وقد انبسط القمر على البر والبحر. فقال الهاشمي للجارية: بالله عليك لا تنغصي علينا عيشنا. فأخذت العود وجسّته بيدها وشهقت، فظنوا أن روحها قد خرجت. ثم قالت: والله إن استاذي معنا في هذه السفينة. فقال الهاشمي: والله لو كان معنا ما ضيّعته من معاشرتنا لأنه ربما كان يخفف ما بك فنتنفع بغنائك، ولكن كونه في السفينة أمر بعيد. فقالت: لا أقدر على ضرب العود وتقليب الأهوية ومولاي معنا. قال الهاشمي: نسأل الملاحين. فقالت: إفعل. فسألهم وقال: هل حملتم معكم أحداً؟ فقالوا: لا. وخفت أن ينقطع السؤال فضحكت وقلت: نعم أنا استاذها وعلمتها حين كنت سيدها. فقالت: والله إن هذا كلام مولاي. فجاءني الغلمان وأخذوني إلى الهاشمي. فلما رأي عرني فقال: ويحك، ما هذا الذي أنت فيه؟ وما أصابك حتى صرت في هذه الحالة؟ فحكيت له ما جرى من أمري وبكيت، وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمي هو وإخوته بكاء شديداً رافة بي. ثم قال: والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء إلى اليوم، وأنا رجل قد وسع الله عليّ وإنما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاق من أمير المؤمنين وقد بلغت الأمرين، ولما أردت الرجوع إلى وطني قلت في نفسي: أسمع شيئاً من غناء بغداد. فاشترت هذه الجارية ولم أعلم إنكما على هذه الحالة. فانا أشهد الله على أن هذه الجارية إذا وصلت إلى البصرة أعتقها وأزوجك إياها وأجري لكما ما يكفيكما وزيادة، ولكن على شرط أنني إذا أردت السماع يضرب لها ستارة وتغني من خلف الستارة، وأنت من جملة إخواني وندمائي. ففرحت بذلك. ثم إن الهاشمي أدخل رأسه في الستارة وقال لها: أيرضيك ذلك. فأخذت تدعوه وتشكره. ثم استدعى بغلام له وقال له:

خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه والبسه ثياباً فاخرة وبخّره وقدمه إلينا . فأخذني الغلام وفعل بي ما أمره سيده وقدمني إليه ، فوضع بين يدي الشراب مثل ما وضعه بين أيديهما . ثم اندفعت الجارية تغني بأحسن النغمات وتشد هذه الأبيات : [من الخفيف]

عَيْرُونِي بِأَنْ سَكَبْتُ دُمُوعِي حِينَ جَاءَ الْحَبِيبُ لِلتَّوَدِيعِ
لَمْ يَذُوقُوا طَعْمَ الْفِرَاقِ وَلَا مَا أَحْرَقَتْ لَوْعَةَ الْأَسَى مِنْ ضُلُوعِي
إِنَّمَا يَعْرِفُ الْغَرَامَ كَثِيبٌ سَاقَطُ الْقَلْبِ بَيْنَ تِلْكَ الرَّبُوعِ

قال : فطرب القوم من ذلك طرباً شديداً ، وزاد فرح الفتى بذلك حتى أخذ العود من الجارية وضرب به على أحسن النغمات وانشد هذه الأبيات : [من الخفيف]

إِسْأَلِ الْمَعْرُوفَ إِنْ سَأَلْتَ كَرِيماً لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْغِنَى وَالْبِسَارَا
فَسْأَلِ الْكَرِيمِ يُورِثُ عِزًّا وَسْأَلِ اللَّئِيمِ يُورِثُ عَارَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الدَّلِّ بَدًّا فَالْقِي بِالذَّلِّ إِنْ سَأَلْتَ الْكِبَارَا
لَيْسَ إِجْلَاؤُكَ الْكَرِيمَ بِذُلٍّ إِنَّمَا الدَّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصَّغَارَا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم . ولم يزالوا في فرح وسرور وأنا أغني ساعة والجارية ساعة إلى أن جئنا إلى بعض السواحل ، فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وصعدت أنا أيضاً وكنت سكران ، فقعدت أبول فغلبنني النوم فممت ، ورجعت الركاب إلى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بي لأنهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة إلى الجارية ولم يبق معي شيء . ووصلوا إلى البصرة ولم أنتبه إلا من حر الشمس . فقممت في ذلك والتفت فما رايت أحداً ونسيت أن أسأل الهاشمي عن اسمه وأين داره بالبصرة وبأي شيء يعرف ؟ وبقيت حيراناً وكان ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام . ولم أزل متحيراً حتى اجتازت بي مركب عظيمة ، فنزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت أعرف بها أحداً ولا أعرف بيت الهاشمي . فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيران وهو لا يعرف أحداً ولا يعرف دار الهاشمي قال : فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وقعدت أكتب . فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنساً فسألني عن أمري ، فأخبرته أنني غريب فقير . فقال : اتقيم عندي ؟ ولك في كل يوم نصف درهم

فلما كانت الليلة
الليلة
899
الليلة
الليلة

وأكلك وكسوتك ، وتضبط لي حساب دكاني . فقلت له : نعم . واقمت عنده وضبطت أمره ودبرت له دخله وخرجه . فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فشكرني على ذلك . ثم إنه جعل لي في كل يوم درهماً إلى أن حال الحول ، فدعاني أن أتزوج بابنته ويشاركني في الدكان . فأجبتة إلى ذلك ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان إلا أنني منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن . وكان البقال يشرب ويدعوني إلى ذلك فامتنع حزناً ، فاستمرت على تلك الحالة مدة سنتين . فبينما أنا في الدكان وإذا بجماعة معهم طعام وشراب . فسألت البقال عن القضية فقال :

هذا يوم المتنعمين، يخرج فيه أهل الطوبى واللعب والفتيان من ذوى النعمة إلى شاطئ البحر، يأكلون ويشربون بين الأشجار على نهر الأيلة. فدعنتي نفسي إلى الفرجة على هذا الأمر وقلت في نفسي: لعلي إذا شلهدت هؤلاء الناس أجتمع بمن أحب. فقلت للبقال: إني أريد ذلك. فقال: شأنك والخروج معهم. ثم جهّز لي طعاماً وشراباً وسرت حتى وصلت إلى نهر الأيلة فإذا الناس منصرفون، فأردت الإنصراف معهم وإذا بريس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الأيلة. فصحت عليهم ففرقني هو ومن معه وأخذوني عندهم وقالوا لي: ها أنت حي. وعانقوني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها. فقالوا لي: إننا ظننا أنه قوي عليك السكر وغرقت في الماء. فسألتهم عن حال الجارية فقالوا: إنها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها وأحرقت العود وأقبلت على اللطم والنحيب. فلما رجعنا مع الهاشمي إلى البصرة قلنا لها: اتركي هذا البكاء والحزن. فقالت: أنا البس السواد وأجعل لي قبراً في جانب هذه الدار، فأقيم عند ذلك القبر واتوب عن الغناء. فمكّناها من ذلك وهي على تلك الحالة إلى الآن. ثم أخذوني معهم، فلما وصلت إلى الدار رأيتها على تلك الحالة، فلما رأته شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت أنها ماتت، فاعتنقتها عناقاً طويلاً. ثم قال لي الهاشمي: خذها. فقلت: نعم ولكن اعتقها كما وعدتني وزوجني بها. ففعل ذلك ودفع إلينا أمتعة نفيسة وثياباً كثيرة وفرشاً وخمسمائة دينار وقال: هذا مقدار ما أردت إجراؤه لكما في كل شهر، ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية. ثم أخلى لنا داراً وأمر بأن ينقل إليها جميع ما نحتاج إليه. فلما توجهت إلى تلك الدار وجدتها قد غمرت بالفرش والقماش وحملت إليها الجارية. ثم إنني جئت إلى البقال وأخبرته بجميع ما حصل لي وسألته أن يجعلني في حلّ من طلاق ابنته من غير ذنب، ودفعت إليها مهرها وما يلزمي وأقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين، وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لي حالتي التي كنت فيها أنا والجارية في بغداد، وقد فرج الله الكريم عنا، وأسبغ جزيل النعم علينا وجعل مآل صبرنا إلى الظفر بالمراد. فله الحمد في المبتدأ والميعاد والله أعلم.

80 - حكاية الملك جليعاد والشماس

ومما يحكى أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان ملك في بلاد الهند، وكان ملكاً عظيماً طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطباع محسناً للفقراء محباً للرعية ولجميع أهل دولته وكان اسمه جليعاد. وكان تحت يده في مملكته إثنان وسبعون ملكاً، ولبلاده ثلاثمائة وخمسون قاضياً، وكان له سبعون وزيراً وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيساً وكان أكبر وزرائه شخص يقال له: شماس. وكان عمره اثنين وعشرين سنة. وكان حسن الخلق والطباع لطيفاً في كلامه لبيباً في جوابه حادقاً في جميع أموره، حكيماً مدبراً رئيساً مع صغر سنه، عارفاً بكل حكمة وأدب، وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل إليه لمعرفة بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما أعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية. وكان ذلك الملك عادلاً في مملكته حافظاً لرعيته مواصلاً كبيرهم وصغيرهم بالإحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والأمان والطمأنينة ومخففاً للخراج عن كامل الرعية، وكان محباً لهم كبيراً وصغيراً ومعاملأ لهم بالإحسان إليهم والشفقة عليهم، وأتى في حسن سيرته بينهم بما لم يأت به أحد قبله، ومع

فقال المفسر: اطال الله عمر الملك، إن السنور وهو القط سرح ليلة من الليالي إلى شيء يفترسه في بعض الغيطان فما وجد شيئاً وضعف من شدة البرد والمطر الذي صار في تلك الليلة، فأخذ يحتال لنفسه بشيء. فبينما هو دائر على تلك الحالة إذ رأى وكرأ في أسفل شجرة، فدنا منه وصار يشمشم ويدندن حتى أحس بأن داخل الوكر فأر، فحاوله وهم بالدخول عليه لكي يأخذه. فلما أحس به الفأر أعطاه ففاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسد باب الوكر عليه، فعند ذلك صار السنور يصوت صوتاً ضعيفاً ويقول له: لم تفعل ذلك يا أخي؟ وأنا ملتجئ إليك لتفعل معي رحمة؟ بأن تقرني في وكرك هذه الليلة لأنني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوتي ولست أقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة وكم دعوت بالموت على نفسي لكي أستريح، وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر وأسالك بالله من صدقتك أن تأخذ بيدي وتدخلني عندك وتأويني في دهليز وكرك لأنني غريب ومسكين. وقد قيل: من أوى بمنزله غريباً مسكيناً كان ماواه الجنة يوم الدين. فانت يا أخي حقيق بأن تكسب اجري وتأذن لي في أن أبيت عندك هذه الليلة إلى الصباح ثم أروح إلى حال سبيلي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
901
كلام السنور قال له: كيف تدخل وكري وأنت لي عدو بالطبع ومعاشك من لحمي؟ وأخاف أن تغدر بي لأن ذلك من شيمتك لأنه لا عهد لك. وقد قيل: لا ينبغي الأمان للرجل الزاني على المرأة الحسنة ولا للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب وليس بواجب علي أن أستامنك على نفسي. وقد قيل: عداوة الطبع كلما ضعف صاحبها كانت أقوى. فاجاب السنور قائلاً بأحمد صوت وأسوا حال: إن الذي قلته من المواعظ حق ولست أنكر عليك، ولكن أسالك الصفح عن ما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لأنه قد قيل: من صفح عن مخلوق مثله صفح خالفه عنه. وقد كنت قبل ذلك عدواً لك وها أنا اليوم طالب صداقتك. وقد قيل: إذا أردت أن يكون عدوك لك صديقاً فافعل معه خيراً. وأنا يا أخي أعطيك عهد الله وميثاقه اني لا أضرك أبداً ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك، فثق بالله وافعل خيراً واقبل عهدي وميثاقي. فقال الفأر: كيف أقبل عهد من تأسست العداوة بيني وبينه وعادته أن يغدر بي؟ ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الأشياء غير الدم لهان علي ذلك، ولكنها عداوة طبيعية بين الأرواح. وقد قيل: من استامن عدوه على نفسه كان كمن أدخل يده في فم الأفعى. فقال السنور وهو ممتلئ غيظاً: قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها أنا في النزاع وعن قليل أموت على بابك ويبقى إثمي عليك لأنك قادر على نجاتي مما أنا فيه وهذا آخر كلامي معك. فحصل للفأر خوف من الله تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه: من أراد المعونة من الله تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيراً، وأنا متوكِّل على الله في هذا الأمر وأنقذ هذا السنور من هذا الهلاك لاكسب أجره. فعند ذلك خرج الفأر إلى السنور وأدخله في وكره سحياً، فأقام عنده إلى أن اشتد واستراح وتعافى قليلاً فصار يتأسف على ضعفه

وذهاب قوته وقلة أصدقائه، فصار الفأر يترقق به ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله. وأما
 السنور فإنه زحف إلى الوكر حتى ملك المخرج خوفاً أن يخرج منه الفأر. فلما أراد الخروج،
 قرب من السنور على عادته فلما صار قريباً منه قبض عليه وأخذه بين أظافيره وصار يعضه وينثره
 ويأخذه في فمه ويرفعه عن الأرض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذبه. فعند ذلك استغاث
 الفأر وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول: أين العهد الذي عاهدتني به؟ وأين
 أقسامك التي أقسمت بها؟ أهذا جزائي منك وقد أدخلتني وكرهتني واستامتكت على نفسي؟
 ولكن صدق من قال: من أخذ عهداً من عدوه لا يتبغي لنفسه نجاة. ومن قال: من سلم نفسه
 لعدوه كان مستوجباً لنفسه الهلاك. ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخلصني منك. فبينما
 هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد أن يهجم عليه ويفترسه وإذا برجل صياد معه كلاب
 جارية معودة بالصيد، فمرّ منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن أن فيه ثعلباً
 يفترس شيئاً، فاندفع الكلب منحدرًا ليصطاده فصدف السنور فجذبته إليه. فلما وقع السنور بين
 يدي الكلب انتهى بنفسه وأطلق الفأر حياً ليس فيه جرح، وأما هو فإنه خرج به الكلب الجارح
 بعد أن قطع عصبه ورماه ميتاً. وصدق في حقهما قول من قال: من رحم رحم أجلاً ومن ظلم
 ظلم عاجلاً. هذا ما جرى لهما أيها الملك، فلذلك لا ينبغي لأحد أن ينقض عهد من استأمنه،
 ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للسنور، لأنه كما يدين الفتى يدان، ومن يرجع إلى
 الخير ينل الثواب. ولكن لا تحزن أيها الملك ولا يشق عليك ذلك لأن ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما
 يعود إلى حسن سيرتك وإن هذا العالم الذي هو وزيرك شماس أحب أن لا يكتم عليك شيئاً
 فيما رمزه إليك وذلك رشد منه. لأنه قد قيل: أكثر الناس خوفاً أوسعهم علماً وأغبطهم خيراً.
 فاذعن الملك عند ذلك وأمر لهم بإكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر في
 عاقبة أمره. فلما كان الليل أفضى إلى بعض نساته وكانت أكرمهن عنده وأحبهن إليه فراقدها.
 فلما مضى لها نحو أربعة أشهر تحرك الحمل في بطنها، ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأعلمت الملك
 بذلك. فقال: صدقت رؤياي والله المستعان. ثم إنه أنزلها أحسن المنازل وأكرمها غاية الإكرام
 وأعطها أنعاماً جزيلاً وخولها بشيء كثير. وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وأرسله ليحضر
 شماساً. فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلاً: قد صدقت رؤياي
 واتصل رجائي، فلعل ذلك الحمل يكون ولدًا ذكراً ويكون وارثاً للملكي. فما تقول يا شماس في
 ذلك؟ فسكت شماس ولم ينطق بجواب. فقال له الملك: مالي أراك لا تفرح لفرحي ولا تردلي
 جواباً؟ يا ترى هل كاره لهذا الأمر يا شماس؟ فسجد عند ذلك شماس بين يدي الملك وقال:
 أيها الملك أطال الله عمرك، ما الذي ينفع المستظل بشجرة إذا كانت النار تخرج منها؟ وما لذة
 شارب الخمر الصافي إذا حصل له بها الشرق؟ وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد إذا غرق
 فيه؟ وإنما أنا عبد لله ولك أيها الملك. ولكن قد قيل ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن يتكلم في
 شأنها إلا إذا تمت: المسافر حتى يرجع من سفره، والذي في الحرب حتى يقهر عدوه، والمرأة
 الحامل حتى تضع حملها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير شماس لما قال للملك : ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن يتكلم في شأنها إلا إذا تمّت . قال له بعد ذلك : فاعلم أيها الملك أن المتكلم في شأن شيء لم يتم مثل الناسك المدفوق على رأسه السمن . فقال له الملك : وكيف حكاية الناسك ؟ وما جرى له ؟ فقال له : أيها الملك، إنه كان إنسان عند شريف من أشرف

بعض المدن، وكان للناسك جناية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلاثة أرغفة مع قليل من السمن والعلسل . وكان السمن في ذلك البلد غالياً وكان الناسك يجمع الذي يجيء إليه في جرة عنده حتى ملاها وعقلها فوق رأسه خوفاً واحتراساً . فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده إذ عرض له فكر في أمر السمن وغلثه فقال في نفسه : ينبغي أن أبيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشترى بثمانه نعجة وأشارك عليها أحداً من الفلاحين، فإنها في أول عام تلد ذكراً وأنثى، وثاني عام تلد أنثى وذكراً، ولا تزال هذه الغنم تتوالد ذكوراً وإناثاً حتى تصير شيئاً كثيراً . وأقسم حصتي بعد ذلك وأبيع فيها ما شئت واشترى الأرض الفلانية وأنشئ فيها غيطاً وأبني قصرًا عظيمًا وأقني ثياباً وملبوساً واشترى عبداً وجواري وأتزوج بنت التاجر الفلاني وأعمل عرساً ما صار مثله قط، وأذبح الذبائح وأعمل الأطعمة الفاخرة والحلويات والملبسات وغيرها، وأجمع فيه أهل الملاعب والفنون وآلات السماع . وأجهز الأزهار والمشمومات وأصناف الرياحين، أدعو الأغنياء والفقراء والعلماء والرؤساء وأرباب الدولة، وكل من طلب شيئاً أحضرته إليه . وأجهز أنواع المآكل والمشرب، وأطلق منادياً ينادي : من يطلب شيئاً يناله . وبعد ذلك أدخل على عروستي بعد جلثائها وأتمتع بحسنها وجمالها، وأكل وأشرب وأطرب وأقول لنفسى : قد بلغت منك وأستريح من النسك والعبادة . وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاماً ذكراً، فأفرح به وأعمل له الولائم وأريه في الدلال، وأعلمه الحكمة والأدب والحساب، وأشهر اسمه بين الناس وأفتخر به عند أرباب المجالس وأمره بالمعروف فلا يخالفني، وأنهى عن الفاحشة والمنكر وأوصيه بالتقوى وفعل الخير وأعطيه العطايا الحسنة السنية . فإن رأيتَه لزم الطاعة زدته عطايا صالحة، وإن رأيتَه مال إلى المعصية أنزل عليه بهذه العصا . ورفعها ليضرب بها ولده فأصاب جرة السمن التي فوق رأسه فكسرتها، فعند ذلك نزلت بشقاقتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة . فلأجل ذلك أيها الملك، لا ينبغي للإنسان أن يتكلم على شيء قبل أن يصير . فقال له الملك : لقد صدقت فيما قلت، ونعم الوزير أنت لكونك بالصدق نطقت وبالخير أشرت، ولقد صارت ربتك عندي على ما تحب ولم تزل مقبولاً . فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم وقال له : أدام الله أيامك وأعلى شأنك، واعلم أنني لست أكتم عنك شيئاً لا في السر ولا في العلانية، ورضاك رضاي وغضبك غضبي، وليس لي فرح إلا بفرحك ولا يمكنني أن أبيت وأنت ساخط عليّ لأن الله تعالى رزقني بكل خير بإكرامك إياي، فأسأل الله تعالى أن يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه . فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك . ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاماً ذكراً، فهض المبشرون إلى الملك وبشروه بغلامه . ففرح بذلك فرحاً شديداً وشكر الله شكراً جزيلاً وقال : الحمد لله الذي

رزقني ولدًا بعد اليأس ، وهو الشفوق الرؤوف على عباده . ثم إن الملك كتب إلى سائر أهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم إلى منزله ، فحضر له الأمراء والرؤساء والعلماء وأرباب الدولة الذين تحت أمره . هذا ما كان من أمر الملك . وأما ما كان من أمر ولده فإنه قد دقت له البشائر والأفراح في سائر المملكة ، وأقبل أهلها إلى الحضور من سائر الأقطار ، وأقبل أهل العلوم والفلسفة والأدباء والحكماء ودخلوا جميعهم إلى الملك ووصل كل منهم إلى حدّ مقامه . ثم أشار إلى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس أن يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شأن ما هو بصدده . فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن الملك في الكلام فأذن له . فقال : الحمد لله الذي أنشأنا من العدم إلى الوجود المنعم على عبادة الملوك أهل العدل والإنصاف بما أولاهم من الملك والعمل الصالح وبما أجره على أيديهم لرعيته من الرزق ، وخصوصاً ملكنا الذي أحيا به موات بلادنا بما أسداه الله علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل . فأي ملك يصنع بأهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا؟ من القيام بمصالحنا وإداء حقوقنا وإنصاف بعضنا من بعض وقلة الغفلة عتاً وردّ مظالمنا . ومن فضل الله على الناس أن يكون ملكهم متعهداً لأموالهم وحافظاً من عدوهم ، لأن العدو غاية قصده أن يقهر عدوّه وأن يملكه في يده . وكثير من الناس يقدمون أولادهم إلى الملوك خدماً فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لأجل أن يمنعوا عنهم الأعداء . وأما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء في زمن ملكنا ، لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفها وإنما هي فوق ذلك . وأنت أيها الملك حقيق بأنك أهل لهذه النعمة العظيمة ، ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك . أحسن الله ثوابك وأدام بقاءك ، لأننا كنا قبل ذلك نجد في الطلب من الله تعالى أن يمنّ علينا بالإجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولدًا صالحاً تقرّبه عينك ، والله سبحانه وتعالى قد تقبّل منا واستجاب دعاءنا . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

حكاية السمك في غدیر الماء

فلما كانت الليلة 903 كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير شماس قال للملك : إن الله تعالى قد تقبّل منّا واستجاب دعاءنا وآتانا الفرج القريب مثل ما أتى بعض السمك في غدیر الماء . فقال الملك : وما حكاية السمك؟ وكيف ذلك؟ فقال شماس : أعلم أيها الملك أنه كان في بعض الأماكن غدیر ماء وكان فيه بعض سمكات . فعرض لذلك الغدیر أنه قلّ ماؤه وصار ينضم بعضه إلى بعض ولم يبق من الماء ما يسعفها فكادت أن تهلك وقالت : ما عسى أن يكون من أمرنا؟ وكيف نحتمل؟ ومن نستشيره في نجاتنا؟ فقامت سمكة منهن وكانت أكبرهن عقلاً وستاً وقالت : ما لنا حيلة في خلاصنا لا الطلب من الله ، ولكن نلتمس الرأي من السرطان فإنه أكبرنا . فهلّموا بنا إليه لننظر ما يكون من رأيه لأنه أكثر منا معرفة بحقائق الكلام . فاستحسنوا رأيها وجاؤوا بأجمعهم إلى السرطان فوجدوه رايضاً في موضعه وليس عنده علم ولا خبر مما هم فيه . فسلموا عليه وقالوا له : يا سيدنا ، أما يعينك أمرنا وأنت حاكمنا ورئيسنا؟ فأجابهم السرطان قائلاً : وعليكم السلام ، ما الذي بكم؟ وما تريدون؟ فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من أمر نقص الماء وإنه متى نشف حصل لهم الهلاك . ثم قالوا له : وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون فيه النجاة لأنك كبيرنا وأعرف منا . فعند ذلك أطرق رأسه ملياً ثم قال : لا شك أن عندكم نقص

عقل لياسكم من رحمة الله تعالى وكفالتة بارزاق خلالتة جميعاً. ألم تعلموا ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب، وقدّر أرزاقهم قبل ان يخلق شيئاً من الأشياء، وجعل لكل شخص عمراً محلوذاً ورزقاً مقسوماً بقدرته الإلهية، فكيف نحمل هم شيء في الغيب مسطور؟ والرأي عندي انه لم يكن أحسن من الطلب من الله تعالى. فينبغي أن كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته ويدعو الله أن يخلصنا وينقذنا من الشدائد، لان الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل إليه. فإذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير ونعمة، وإذا جاء الشتاء وغمر أرضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذي بناه. فالرأي أن نصبر ونتظر ما يفعله الله بنا، فإن كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا، وإن كان يحصل لنا ما يوجب الهروب هربنا ورحلنا من أرضنا إلى حيث يريد الله. فأجاب السمك جميعه من فم واحد: صدقت يا سيدنا جزاك الله عنا خيراً وتوجه كل واحد منهم إلى موضعه. فما مضى إلا أيام قلائل وآتاهم الله بمطر شديد حتى ملاً محل الغدير زيادة عما كان أولاً. وهكذا نحن أيها الملك كنا يائسين من أن يكون لك ولد، وحيث من الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك، فنسأل الله تعالى أن يجعله ولدأ مباركاً وأن يقرّبه عينك ويجعله خليفة صالحة ويرزقنا منه مثل ما رزقنا منك، فإن الله تعالى لا يخيب من قصده ولا ينجي لأحد أن يقطع رجاءه من رحمة الله. ثم قام الوزير الثاني وسلّم على الملك فأجابه الملك قائلاً: وعليكم السلام. فقال ذلك الوزير: إن الملك لا يسمى ملكاً إلا إذا أعطى وعدل وحكم وأكرم واحسن سيرته مع رعيته بإقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس، وأنصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكفّ الأذى عنهم، ويكون موصوفاً بعدم الغفلة عن فقرائهم وإسعاف أعلاهم وأدناهم وإعطائهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعاً داعين له ممتثلين لأمره. لانه لا شك أن الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرعية، مكتسباً من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضى خالقها. ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك بأن جميع ما وصفناه عندك كما قيل: خير الامور أن يكون ملك الرعية عادلاً وحكيمها ماهراً وعالمها خبيراً عاملاً بعلمه، ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة. وكنا قبل ذلك قد وقعنا في اليأس من حصول ولد لك يرث ملكك، ولكن الله جلّ اسمه لم يخيب رجاءك وقيل دعائك لحسن ظنك به وتسليم أمرك إليه فنعم الرجاء رجاءك. وقد صار فيك ما صار للغراب والحية. فقال الملك: وكيف ذلك؟ وما حكاية الغراب والحية؟

حكاية الغراب والحية

فقال الوزير: أعلم أيها الملك انه كان غراب ساكناً في شجرة هو وزوجته في أرغد عيش إلى أن بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ. فخرجت حية من كرها وقصدت تلك الشجرة فتعلقت بفروعها إلى أن صعدت إلى عش الغراب وربضت فيه ومكثت مدة أيام الصيف، وصار الغراب مطروداً لا يجد له فرصة ولا موضعاً يرقد فيه. فلما انقضت أيام الحر ذهب الحية إلى موضعها. فقال الغراب لزوجته: نشكر الله تعالى الذي نتجانا وخلصنا من هذه الآفة ولو كنا حرمانا من الزاد في هذه السنة، لان الله تعالى لا يقطع رجاءنا، فنشكره على ما منّ علينا من السلامة وصحة أبداننا وليس لنا اتكال إلا عليه. وإذا أراد الله وعشنا إلى العام القابل عوض الله علينا نتاجنا. فلما كان وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة، فبينما هي متعلقة ببعض اغصانها

وهي قاصدة عش الغراب على العادة وإذا بحدأة قد انقضت عليها وضربتها في رأسها فخذشتها . فعند ذلك سقطت الحية على الأرض مغشياً عليها وطلع عليها النمل فأكلها وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمانينة ، وفرخاً أولاداً كثيرة وشكراً الله على سلامتهما وعلى حصول الأولاد . ونحن أيها الملك يجب علينا شكر الله على ما أنعم به عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء ، أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير الثاني لما فرغ من كلامه ختمه بقوله : أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك . ثم قام الوزير الثالث وقال : أبشر أيها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل ، لأن كل من تحبه أهل الأرض تحبه أهل السماء ، والله تعالى قسم لك المحبة وجعلها في قلوب أهل مملكته فله الشكر وله الحمد منّا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك . واعلم أيها الملك أن الإنسان لا يستطيع شيئاً إلا بأمر الله تعالى وإنه هو المعطي ، وكل خير عند شخص إليه ينتهي ، قسم النعم على عبيده كما يحب ، فمنهم من أعطاه مواهب كثيرة ، ومنهم من شغله بتحصيل القوت ، ومنهم من جعله رئيساً ، ومنهم من جعله زاهداً في الدنيا راغباً إليه لأنه هو الذي قال : أنا الضار النافع ، أشفي وأمراض وأغني وأفقر وأميت وأحيي ويبيدي كل شيء وإليّ المصير فواجب على جميع الناس شكره . وانت أيها الملك من السعداء الأبرار كما قيل : إن أسعد الأبرار من جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما أقامه ومن تعدى وطلب غير ما قدر الله له وعليه ، يشبه حمار الوحش والثعلب . قال الملك : وما حديثهما ؟

حكاية حمار الوحش والثعلب

قال الوزير : أعلم أيها الملك أن ثعلباً كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه . فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال وإذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشياً وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكايته مع ما افترسه . فقال أحدهما : إنني بالأمس وقعت في حمار وحش وكنت جائعاً وكان لي ثلاثة أيام ما أكلت ، ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي سخره لي . ثم إنني عمدت إلى قلبه فأكلته وشبعت . ثم رجعت إلى وطني ومضى عليّ ثلاثة أيام لم أجد شيئاً أكله ومع ذلك أنا شعبان إلى الآن . فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه : لا بد لي من أكل قلب حمار الوحش . فترك الأكل أياماً حتى انهزل وأشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض في وطنه . فبينما هو في وطنه ذات يوم من الايام وإذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوق وقع لهما حمار وحش ، فأقاما النهار كله في أثره طرداً ثم إن بعضهما رماه بسهم مشعب فأصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور ، فأدركه الصيادان فوجداه ميتاً ، فأخرجوا السهم الذي أصابه في قلبه فلم يخرج إلا العود وبقي السهم مشعباً في بطن حمار الوحش . فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحاً ، ففرح فرحاً شديداً حتى كاد أن يطير من الفرح . فقال : الحمد لله الذي يسّر لي شهوتي من غير تعب لأنني كنت لا أومل أنني

أصيب حمار وحش ولا غيره، ولعل الله لواقع. هذا وساقه إليّ في موضعي. ثم وثب عليه وشقّ بطنه وأدخل رأسه وصار يجول بقمه في أمعائه إلى أن وجد القلب فالتقمه بقمه وابتلعه. فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على إدخاله في بطنه ولا على إخراجة من حلقه وأيقن بالهلاك. فلماذا أيها الملك ينبغي للإنسان أن يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاؤه من مولاه. وما أنت أيها الملك بحسن نيتك وإسداء معروفك رزقك الله ولدًا بعد اليأس، فנסأل الله تعالى أن يرزقه عمراً طويلاً وسعادة دائمة ويجعله خلفاً مباركاً موفياً بعهدك من بعدك بعد طول عمرك. ثم قام الوزير الرابع وقال: إن الملك إذا كان فهيماً عالمًا بأبواب الحكمة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 905
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير الرابع لما قام وقال: إن الملك إذا كان فهيماً عالمًا بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية وإكرام من يحب إكرامه وتوقير من يجب توقيره والعفو عند القدرة فيما لا بد منه ورعاية الرؤساء والمرؤوسين والتخفيف عنهم والإنعام عليهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقاً بالسعادة الدنيوية والأخروية، فإن ذلك مما يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرتة على أعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة الله عليه وتوفيقه لشكره والفوز بعنائه. وإن الملك إذا كان بخلاف ذلك فإنه لم يزل في مصائب وبلايا هو وأهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السائح. فقال الملك: وكيف كان ذلك؟

حكاية ابن الملك السائح

فقال الوزير: أعلم أيها الملك أنه كان في بلاد الغرب ملك جار في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيق لرعاية رعيته ومن يدخل في مملكته. فكان لا يدخل في مملكته أحد إلا وتأخذ عمالة منه أربعة اخماس ماله ويبقون له الخمس لا غير. فقدر الله أنه كان له ولد سعيد موفق، فلما رأى أحوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سائحاً عابداً لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج في طاعة الله تعالى يسرح في البراري والقفار ويدخل المدن. ففي بعض الأيام دخل تلك المدينة فلما وقف على المحافظين أخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيئاً سوى ثوبين: أحدهما جديد والآخر عتيق. فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الإهانة والتحقير. فصار هو يشكو ويقول ويحكم: أيها الظالمون، أنا رجل فقير وسائح وما عسى أن ينفعكم من هذا الثوب؟ وإذا لم تعطوه لي ذهبتم للملك وشكوتكم إليه. فأجابوه قائلين: إننا فعلنا ذلك بأمر الملك، فما بدا لك أن تفعله فافعله. فصار السائح يمشي إلى أن وصل إلى بلاد الملك وأراد الدخول فمنعه الحجاب. فرجع وقال في نفسه: ما لي إلا أني أُرصده حتى يخرج وأشكو إليه حالي وما أصابني. فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك إذ سمع أحد الأجناد يخبر عنه، فأخذ يتقدم قليلاً قليلاً حتى وقف قبال الباب فما شعر إلا والملك خارج، فعارضه السائح ودعا له بالنصر وأخبره بما وقع له من المحافظين وشكا إليه حاله، وأخبره أنه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طالباً رضاء الله تعالى فصار سائحاً في الأرض وكل من وفد عليه من الناس أحسن إليه بما أمكنه، وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة. ثم قال: فلما دخلت هذه المدينة ترجيت

ان يفعل بي اهلها مثل ما يفعل بغيري من السائحين فعارضني اتباعك ونزعوا احد اثوابي والهفوني ضرباً. فانظر في شائي وخذ بيدي وخلص لي ثوبي وانا لا اقيم بهذه المدينة ساعة واحدة. فاجابه الملك الظالم قائلاً: من اشار عليك بدخولك هذه المدينة وانت غير عالم بما يفعل ملكها؟ فقال: بعد ان اخذ ثوبي افعل بي مرادك. فلما سمع الملك الظالم من السائح هذا الكلام حصل عنده تغيير مزاج فقال: ايها الجاهل، نزعنا عنك ثوبك لكي تذل، وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندي فانا انزع نفسك منك ثم امر بسجنه. فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب وعتف نفسه حيث لم يترك ذلك ويفوز بروحه. فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال: يا الله، انك انت الحكم العادل، تعلم بحالي وما انطوى عليه امري مع هذا الملك الجائر، وانا عبدك المظلوم اسالك من فيض رحمتك ان تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحلّ به نعمتك لانك لا تغفل عن ظلم كل ظالم. فان كنت تعلم انه ظلمني فاحلل نعمتك عليه في هذه الليلة وانزل به عذابك لان حكمك عدل وانت غياث كل ملهوف، يا من له القدرة والعظمة الى آخر الدهر. فلما سمع السجناء دعاء هذا المسكين، صار جميع ما فيه من الاعضاء مرعوباً. فبينما هو كذلك واذا بنار اتقدت في القصر الذي فيه الملك، فاحترقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجن والسائح. فانطلق السائح وسار هو والسجان ولم يزا الا سائرين حتى وصلا الى غير تلك المدينة، واما مدينة الملك الظالم فانهما احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها. واما نحن ايها الملك السعيد فما نمسي ونصبح إلا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك، مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك. وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفاً من ان يصير علينا ملك غيرك من بعدك، والآن قد انعم الله بكرمه علينا وازال عنا الغم واتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك. فنسال الله تعالى ان يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم. ثم قام الوزير الخامس وقال: تبارك الله العظيم. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 906
 قالت: بلغني ايها السعيد، ان الوزير الخامس قال: تبارك الله العظيم، مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية. وبعد فإنا تحققتنا ان الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه. وانت ايها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والإنصاف بين رعيتك بما يرضي الله تعالى، فلاجل ذلك اعلى الله شأنك واسعد ايامك ووهب هذه العطية الصالحة التي هي هذا الولد السعيد بعد اليأس، وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقطع، لاننا قبل ذلك كنا في هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولد لك، وفي افكار فيما انت منطوٍ عليه من عدلك ورافتك بنا وخوفاً ان يقضي الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك. فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب. فقال الملك: وما حكاية الغراب؟ فاجابه الوزير قائلاً:

حكاية الغراب

أعلم ايها الملك السعيد انه كان في بعض البراري واد متسع، وكان به انهار وأشجار وثمار، وبه اطيّار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار. وكان من جملة الطيور غربان وكانوا في

اطيب عيش ، وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهم ، وكانوا معه في امان وطمأنينة . ومن حسن تصرفهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيور يقدر عليهم . فاتفق أن مقدمهم توفي وجاءه الأمر المحتوم على سائر الخلق ، فحزنوا عليه حزناً شديداً . ومن زيادة حزنهم انه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه ، فاجتمعوا جميعاً واتفقوا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحاً . فطائفة منهم اختاروا غراباً وقالوا : إن هذا يصلح أن يكون ملكاً علينا . وآخرون اختلفوا فيه ولم يريده . فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم ، وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على أن يناموا تلك الليلة ولا يبكر أحد إلى السروح في طلب المعيشة غداً بل يصبرون جميعاً إلى الصباح وعند الفجر يكونون مجتمعين في موضع واحد ثم ينظرون إلى كل طير يسبق في الطيران . وقالوا : إنه هو الذي يكون مختاراً عندنا للملك فنجعله ملكاً علينا ونولية امرنا . فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضاً واتفقوا على هذا العهد . فبينما هم على ذلك الحال إذ طلع باز فقالوا له : يا ابا الخير ، نحن اخترناك والياً علينا لتنظر في أمرنا . فرضي الباز بما قاله وقال لهم : إن شاء الله تعالى سيكون لكم مني خير عظيم . ثم إنهم بعدما ولّوه عليهم صار كل يوم إذا سرح وسرح الغربان يستفرد بأحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينه ويترك الباقي . ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به فأرأوا غالبهم قد هلك . فأيقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض : كيف نصنع وقد هلك أكثرنا؟ وما انتهينا حتى هلك أكابرنا؟ فينبغي لنا أن نتحفظ لأنفسنا . فلما أصبحوا نفرأوا منه وتفرقوا من حوله . ونحن الآن نخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك . ولكن قد من الله علينا بهذه النعمة ووجهك إلينا ونحن واثقون الآن بالصلاح وجمع الشمل والامن والأمانة والسلامة في الوطن . فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل ، وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا وإياه السعادة العظمى وجعله سعيد الوقت قائم الجد . ثم قام الوزير السادس وقال : هناك الله أيها الملك بأحسن الهناء في الدنيا والآخرة . فقد تقدم من قول المتقدمون : أن من صلّى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربه وهو راض عنه . وقد وليت علينا فعدلت ، فكنت في ذلك سعيد الحركات . فنسال الله تعالى أن يجزل ثوابك ويأجرك على إحسانك . وقد سمعت ما قال هذا العالم فيما نتخوف من حرمان حظنا بعدم الملك وبوجود ملك آخر لا يكون نظيره ، فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الإختلاف . وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فالواجب علينا أن نبتهل إلى الله تعالى بالدعاء لعله يهب للملك ولداً سعيداً ويجعله وارثاً للملك بعده . ثم بعد ذلك ربما كان الذي يحبه الإنسان من الدنيا ويشتهي مجهول العاقبة له ، وحينئذ لا ينبغي للإنسان أن يسأل ربه أمراً لا يدري عاقبته لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب إليه من نفعه ، فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما أصاب الحاوي وزوجته وأولاده وأهل بيته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الوزير السادس لما قال للملك : إن الإنسان لا ينبغي له أن يسأل ربه شيئاً لا يدري عاقبته ، لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب إليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه ما أصاب الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته . فقال الملك : وما حكاية الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته ؟

فلما كانت الليلة
907
عاشرة

حكاية الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته

فقال الوزير: أعلم أيها الملك أنه كان إنسان حاوياً وكان يربي الحيات وهذه كانت صنعته. وكان عنده سلّة كبيرة فيها ثلاث حيات لم يعلم بها أهل بيته، وكان كل يوم يخرج يدور بها في المدينة ويتسبّب بها لتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء إلى بيته ويضع الاحشاش في السلّة سرّاً وعند الصباح يأخذها ويدور بها في المدينة. فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعرف أهل بيته بما في السلّة. فاتفق أنه لما عاد الحاوي إلى بيته على جري عاداته سأله زوجته وقالت له: ما في هذه السلّة؟ فقال لها الحاوي: وما مرادك منها؟ ليس الزاد عندكم كثير زائد؟ فاقنعي بما قسم الله لك ولا تسألي عن غيره. فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول في نفسها: لا بد لي أن افتش هذه السلّة وأعرف ما فيها. وصمّمت على ذلك وأعلمت أولادها وأكدت عليهم أن يسألوا والدهم عن تلك السلّة ويلحوا عليه في السؤال لأجل أن يخبرهم. فعند ذلك تعلّق خاطر الأولاد بأن فيها شيئاً يؤكل، فصار الأولاد كل يوم يطلبون من أبيهم أن يريهم ما في السلّة، وكان أبوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال. فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وأمهم تحثّهم على ذلك. ثم اتفقوا معها على أنهم لا يذوقون طعاماً ولا يشربون شراباً لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلّة. فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ حضر الحاوي ومعه شيء كثير من الأكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فأبوا الحضور إليه وبيّنوا له الغيظ، فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم: انظروا ماذا تريدون حتى أجيء به إليكم أكلاً وشراباً وملبوساً. فقالوا له: يا والدنا، ما نريد منك إلا فتح هذه السلّة لننظر ما فيها وإلا قتلنا أنفسنا. فقال لهم: يا أولادي، ليس لكم فيها خير وإنما فتحها ضرر لكم. فعند ذلك ازدادوا غيظاً. فلما رآهم على هذه الحالة أخذ يهددهم ويشير لهم بالضرب إن لم يرجعوا عن تلك الحالة، فلم يزدادوا إلا غيظاً ورغبة في السؤال. فعند ذلك غضب عليهم وأخذ عصا ليضربهم بها فهربوا قدامه في الدار وكانت السلّة حاضرة لم يخفها الحاوي في مكان، فخلّت المرأة الرجل مشغولاً بالأولاد وفتحت السلّة بسرعة لكي تنظر ما فيها وإذا بالحيات قد خرجوا من السلّة ولدغوا المرأة أولاً فقتلوها. ثم داروا في الدار وأهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوي، فترك الحاوي الدار وخرج. فلما تحققت ذلك أيها الملك السعيد علمت أن الإنسان ليس له أن يتمنى شيئاً غير الذي لم يردّه الله تعالى، بل يطيب نفساً بما قدره الله له وأراده. وها أنت أيها الملك مع غزارة عملك وجودة فهمك أقرّ الله عينك بحضور ولدك بعد اليأس وطيب قلبك. ونحن نسأل الله تعالى أن يجعله من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى والرعية. ثم قام الوزير السابع وقال: أيها الملك، إني قد علمت وتحققت ما ذكره لك إخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا به في حضرتك أيها الملك، وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميّزت به عمن سواك من الملوك حيث فضّلوك عنهم، وذلك من بعض الواجب علينا أيها الملك. وأما أنا فاقول: الحمد لله الذي تولاك لنعمته واعطاك صلاح الملك برحمته واعانك وإيانا على أن نزيده شكراً وما ذاك إلا بوجودك، وما دمت فينا لم نتخوف جوراً ولا نبغي ظملاً ولا نستطيع أحد أن يستطيل علينا مع ضعفنا. وقد قيل: إن أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلاً وشرهم من كان ملكهم جائراً. وقيل أيضاً: السكنى مع الأسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر. فالحمد لله تعالى على ذلك حمداً دائماً حيث

انعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والظعن في السن ، لان اجل العطايا في الدنيا الولد الصالح . وقد قيل : من لا ولد له لا عاقبة ولا ذكر . وانت بقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى أعطيت هذا الولد السعيد ، فجاءك هذا الولد المبارك من الله تعالى علينا وعليك ، بحسن سيرتك وجميل صبرك . وصار فيك ذلك مثل ما صار في العنكبوت والريح . فقال الملك : وما حكاية العنكبوت والريح ؟ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

حكاية العنكبوت والريح

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك قال للوزير : وما حكاية العنكبوت والريح ؟ فقال الوزير : أعلم أيها الملك أن عنكبوتة تعلقت في باب متح عال وعملت لها بيتاً وسكنت فيه بأمان ، وكانت تشكر الله تعالى الذي يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام . فمكثت على هذا الحال مدة من الزمان وهي شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها . فامتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها ، فأرسل إليها ريحاً عاصفاً شرقياً فحملها بيبتها ورامها في البحر ، فجزتها الأمواج إلى البر . فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها : أيتها الريح ، لم فعلت بي ذلك ؟ وما الذي حصل لك من الخير في نقلني من مكاني إلى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة في بيتي بأعلى ذلك الباب ؟ فقال لها الريح : انتهى عن العتاب فإني سأرجع بك وأوصلك إلى مكانك كما كنت أولاً . فلبثت العنكبوت صابرة على ذلك راجية أن ترجع إلى مكانها حتى ذهب ريح الشمال ولم ترجع بها ، وهبت ريح الجنوب فمرت بها واختطفتها وطارت بها إلى جهة ذلك البيت . فلما مرت به عرفته فتعلقت به . ونحن نسأل الله الذي أثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنّه ، ولم يخرج من هذه الدنيا حتى رزقه قرّة عين ووهب له ما وهب من الملك والسلطان ، فرحم رعيته وأولاهم نعمته . فقال الملك : الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر ، لا إله إلا هو خالق كل شيء ، الذي عرفنا بنور آثاره جلال عظمته ، يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لأنه ينتخب منهم من يشاء ليجعله خليفة ووكيلاً على خلقه ، ويأمره فيهم بالعدل والإنصاف وإقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والإستقامة في أمورهم على ما أحب وأحبوا . فمن عمل منهم بما أمر الله كان لحظه مصيباً ولأمر ربه مطيعاً ، فيكفيه هول دنياه ويحسن جزاءه في أخراه إنه لا يضيع أجر المحسنين . ومن عمل منهم بغير ما أمر الله أخطأ خطأ بليغاً وعصى ربه وآثر دنياه على أخراه فليس له في الدنيا مآثر ولا في الآخرة نصيب لأن الله لا يمهّل على أهل الجور والفساد ولا يمهّل أحداً من العباد . وقد ذكر وزرنا هؤلاء أن من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا معهم أنعم الله علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد أنعامه ، وكل واحد منهم قال ما ألهمه الله في ذلك وبالغوا في الشكر لله تعالى والثناء عليه بسبب نعمته وفضله . وأنا أشكر الله لاني إنما أنا عبد مأمور وقلبي بيده ولساني تابع له ، راض بما حكم عليّ وعليهم بأي شيء صار . وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله من أمر هذا الغلام وذكروا ما كان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حداً يغلب معه اليأس وضعف اليقين . والحمد لله الذي نجّانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك أنعاماً

فلما كانت الليلة
908
كانت الليلة

فيما قلت وقبلته منك غير أنني أحب أن تُخبرني من أين علمت أن أحد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة؟ قال الغلام: لأن الدنيا خلقت ولم يكن من شيء كائن فأل أمرها إلى الكون الأول غير أنها عرض سريع الزوال متوجب الجزاء على الاعمال وذلك يستدعي إعادة الفاني، فالآخرة هي الكون الثاني. قال شماس: صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أنني أحب أن تخبرني من أين علمت أن نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين؟ قال الغلام: علمت ذلك من أنها دار الجزاء على الأعمال التي أعدها الباقي بلا زوال. قال شماس: أخبرني أي أهل الدنيا أحمد عملاً؟ قال الغلام: من يؤثر آخرته على دنياه. قال شماس: ومن الذي يؤثر آخرته على دنياه؟ فقال الغلام: من كان يعلم أنه في دار منقطعة وأنه ما خلق إلا للفناء وأنه بعد الفناء يحاسب وأنه لو كان في هذه الدنيا أحد مخلدًا أبدًا لا يؤثر الدنيا على الآخرة. قال شماس: أخبرني هل تستقيم آخرة بغير دنيا؟ قال الغلام: من لم يكن له دنيا فلا آخرة له، ولكن رأيت الدنيا وأهلها والمعاد الذي هم صائرون إليه كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابنتى لهم أمير بيتاً ضيقاً وأدخلهم فيه وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلاً ووكل به شخصاً، فمن عمل منهم ما أمر به أخرجته الشخص الموكل به من ذلك الضيق، ومن لم يعمل ما أمر به وقد انقضى الأجل المضرب له عوقب. فبينما هم كذلك إذ رشح لهم من شقوق البيت عسل، فلما أكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته توانوا في العمل الذي أمروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم صائرون إليها، وقتعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل لا يدع أحداً منهم إذا جاء أجله إلا ويخرجه من ذلك البيت. فعرفنا أن الدنيا دار تتحير فيها الأبصار وتسرب لأهلها فيها الآجال. فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا وأشغل نفسه بها كان من الهالكين، حيث أثر أمر دنياه على آخرته. ومن يؤثر أمر آخرته على دنياه ولم يلتفت إلى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين. قال شماس: قد سمعت ما ذكرت من أمر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكني قد رأيتهما مسلطين على الإنسان فلا بد له من إرضائهما معاً وهما مختلفان. فإن أقبل العبد على طلب المعيشة فذلك إضرار بروحه في المعاد، وإن أقبل على الآخرة كان ذلك إضراراً بجسده، وليس له سبيل إلى إرضاء المتخالفين معاً.

حكاية الملكين

قال الغلام: إنه من حصل المعيشة في الدنيا تقويه على الآخرة، فإني رأيت أمر الدنيا والآخرة مثل ملكين: عادل وجائر. وكانت أرض الملك الجائر ذات أشجار وأثمار ونبات، وكان ذلك الملك لا يدع أحداً من التجار إلا أخذ ماله وتجارته وهم صابرون على ذلك لما يصيبون من خصب تلك الأرض في المعيشة. وأما الملك العادل فإنه بعث رجلاً من أهل أرضه وأعطاه مالاً وافرأ وأمره أن يتطلق به إلى أرض الملك الجائر ليبتاع به جواهر منها، فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الأرض. فقيل للملك: إنه جاء إلى أرضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد أن يبتاع به جواهر منها. فأرسل إليه وأحضره وقال له: من أنت؟ ومن أين أتيت؟ ومن جاء بك إلى أرضي؟ وما حاجتك؟ فقال له: إني من أرض كذا وكذا وإن ملك تلك الأرض أعطاني مالاً وأمرني أن ابتاع له به جواهر من هذه الأرض، فامتثلت أمره وجئت. فقال له الملك: ويحك،

أما علمت صنعي باهل أرضي من اني آخذ مالهم في كل يوم ؟ فكيف تأتيني بمالك وها أنت مقيم في أرضي منذ كذا وكذا؟ فقال له التاجر: إن المال ليس لي منه شيء وإنما هو أمانة تحت يدي حتى أوصله إلى صاحبه . فقال له :إني لست بتاركك تأخذ معيشتك من أرضي حتى تفدي نفسك بهذا المال جميعه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 910
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك الجائر قال للتاجر الذي يريد أن يشتري الجواهر من أرضه : لا يمكن أن تأخذ معاشاً من أرضي حتى تفدي نفسك بهذا المال أو تهلك . فقال الرجل في نفسه : قد وقعت بين ملكين وقد علمت أن جور هذا الملك عام على كل من أقام بأرضه . فإن لم أرضه كان هلاكي وذهاب المال لا بد منهما ولم أصب حاجتي ، وإن أعطيته جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لا بد منه . وليس لي حيلة سوى آتي أعطيه من هذا المال جزءاً سيراً وأرضيه به وأدفع عن نفسي وعن هذا المال الهلاك ، وأصيب من خصب هذه الأرض قوت نفسي حتى ابتاع ما أريد من الجواهر وأكون قد أرضيته بما أعطيته وأخذ نصيبي من أرضه هذه وأتوجه إلى صاحب المال بحاجته ، فإني أرجو من عدله وتجاوزة ما لا أخاف معه عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال خصوصاً إذا كان سيراً . ثم إن التاجر دعا للملك وقال له : أيها الملك ، أنا أفندي نفسي وهذا المال بجزء صغير من منذ دخلت أرضك حتى أخرج منها . فقبل الملك منه ذلك وخلقى سيبله سنة ، فاشتري الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق إلى صاحبه . فالملك العادل مثال للأخرة والجواهر التي بأرض الملك الجائر مثال للحسنات والعمل الصالح ، والرجل صاحب المال مثال لمن طلب الدنيا ، والمال الذي معه مثال الحياة الإنسان . فلما رأيت ذلك ، علمت أنه ينبغي لمن يطلب المعيشة في الدنيا أن لا يخلي يوماً عن طلب الآخرة فيكون قد أرضى الدنيا بما ناله من خصب الأرض وأرضى الآخرة بما يصرف من حياته في طلبها . قال شماس : فاجبرني هل الجسد والروح سواء في الثواب والعقاب ؟ وإنما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات . قال الغلام : قد يكون الميل إلى الشهوات والخطيئات موجباً للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها والأمر بيد من يفعل ما يشاء ، وبضدها تتميز الأشياء على أن المعاش لا بد منه للجسد ولا جسد إلا بالروح وطهارة الروح بإخلاص النية في الدنيا والإلتفات إلى ما ينفع في الآخرة ، فهما فرسا رهان ورضيعا لباب ومشتركان في الأعمال وباعتبار النية تفصيل الإجمال ، وكذلك الجسد والروح مشتركان في الأعمال وفي الثواب والعقاب .

حكاية الأعمى والمقعد

وذلك مثل الأعمى والمقعد اللذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستانه وأمرهما أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمراً يضر به . فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للأعمى : ويحك ، اني أرى أثماراً طيبة وقد اشتيتها ولست أقدر على القيام إليها لأكل منها ، فقم أنت لأنك صحيح الرجلين وأتانا منها بما نأكل . فقال الأعمى : ويحك ، قد ذكرتني لي وقد كنت عنها غافلاً ولست أقدر على ذلك لأنني لست أبصرها . فما الحيلة في تحصيل ذلك ؟ فبينما هما كذلك إذ اتاهما الناظر على البستان وكان رجلاً عالماً . فقال له المقعد : ويحك يا ناظر ، أنا قد اشتيتها شيئاً من هذه الثمار ونحن كما ترى ، أنا مقعد وصاحبني هذا أعمى لا يبصر شيئاً فما حيلتنا؟ فقال

لهما الناظر: ويحكما، الستما تعلمان ما قد عاهدكما عليه صاحب البستان من أنكما لا تتعرضا لشيء مما يؤثر فيه الفساد؟ فانتهيا ولا تفعلوا. فقالا له: لا بد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فاخبرنا بما عندك من الحيلة. فلما لم ينتهيا عن رايهما قال لهما: الحيلة في ذلك، أن يقوم الأعمى ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدريك من الشجرة التي تعجبك أثمارها حتى إذا أدناك منها تجني أنت ما أصبت من الثمار. فقام الأعمى وحمل المقعد، وجعل المقعد يهديه إلى السبيل حتى أدناه إلى شجرة، فصار المقعد يأخذ منها ما أحب. ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسدا ما في البستان من الشجر. وإذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما: ويحكما، ما هذه الفعال؟ ألم اعاهدكما على أن لا تفسدا في هذا البستان؟ فقالا له: قد علمت أننا لم نقدر أن نصل إلى شيء من الأشياء لأن أحدنا مقعد لا يقوم والآخر أعمى لا يبصر ما بين يديه، فما ذنبا؟ فقال لهما صاحب البستان: لعلكما تظنان أنني لست أدري كيف صنعتما وكيف أفسدتما في بستانني؟ كاني بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجرة. ثم إنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وأخرجهما من البستان. فالأعمى مثال للجسد لأنه لا يبصر إلا بالنفس، والمقعد مثال للنفس التي لا حركة لها إلا بالجسد، وأما البستان فإنه مثال للعمل الذي يجازى به العبد، والناظر مثال للعقل الذي يأمر بالخير وينهي عن الشر. فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب. قال له شماس: صدقت وقد قبلت قولك هذا فاخبرني أي العلماء عندك أحمد؟ قال الغلام: من كان بالله عالماً وينفعه علمه. قال شماس: ومن ذلك؟ قال الغلام: من يلمس ربه ويتجنب سخطه. قال: فأيهم أفضل؟ قال الغلام: من كان بالله أعلم. قال شماس: فمن أشدهم اختياراً؟ قال: من كان على العمل بالعلم صباراً قال شماس: اخبرني من أرقهم قلباً؟ قال: أكثرهم استعداداً للموت وذكرأ وأقلهم أملاً، لأن من أدخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فإنه يعرف الحقيقة، ولا تزداد المرآة إلا صفاء وبريقاً. قال شماس: أي الكنوز أحسن؟ قال: كنوز السماء. قال: فأي كنوز السماء أحسن؟ قال: تعظيم الله وتحميده. قال: فأي كنوز الأرض أفضل؟ قال: اصطناع المعروف. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
911
الملك: أي كنوز الأرض أفضل؟ قال له: اصطناع المعروف. قال: صدقت وقد قبلت قولك هذا، فاخبرني عن الثلاثة المختلفة: العلم والرأي والذهن، وعن الذي يجمع بينهما؟ قال الغلام: إنما العلم من التعلم. وأما الرأي فإنه من التجارب. وأما الذهن فإنه من التفكير وثباتهم واجتماعهم في العقل. فمن اجتمعت فيه هذه الثلاث خصال كان كاملاً، ومن جمع إليهن تقوى الله كان مصيباً. قال شماس: صدقت وقد قبلت منك ذلك، فاخبرني عن العالم العليم ذي الرأي السديد والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق، هل يغيره الهوى والشهوة عن هذه الحالات التي ذكرت؟ قال الغلام: إن هاتين الخصلتين إذا دخلتا على الرجل غيرتا علمه وفهمه ورأيه وذهنه وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذر، المقيم في السماء لفرط حذقه. فبينما هو كذلك إذ نظر رجلاً صياداً قد نصب شركه، فلما فرغ الرجل من نصب الشرك

وضع فيه قطعة لحم . فعند ذلك أبصر العقاب القطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهد من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطائر، فانقضّ من جو السماء حتى وقع على القطعة اللحم فاشتبك في الشرك . فلما جاء الصياد رأى العقاب في شركه فتعجب عجباً شديداً وقال : أنا نصبت شركي ليقع فيه حمام أو نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب؟ وقد قيل : إن الرجل العاقل إذا حمله الهوى والشهوة على أمر، يتدبر عاقبة ذلك الأمر بعقله فيمتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه . فإذا حمله الهوى والشهوة على أمر ينبغي أن يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته إذا ركب الفرس الأرعن فإنه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معه على ما يريد . وأما من كان سفيهاً لاعلم له ولا رأي عنده والأمور مشتبهة عليه والهوى والشهوة مسلطان عليه ، فإنه يعمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس أسوأ حالاً منه . قال شماس : صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك ، فاخبرني متى يكون العلم نافعاً والعقل لوبال الهوى والشهوة دافعاً؟ قال الغلام : إذا صرفهما صاحبهما في طلب الآخرة ، لأن العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما أن يصرفهما في طلب الدنيا إلا بمقدار ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرهما ويصرفهما في عمل الآخرة . قال : فاخبرني ، ما أحق أن يلزم الإنسان ويشغل به قلبه؟ قال : العمل الصالح . فإذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه ، كيف يفعل في المعيشة التي لا بد له منها؟ قال الغلام : إن نهاره أربعة وعشرون ساعة ، فينبغي له أن يجعل منها جزءاً واحداً في طلب المعيشة وجزءاً واحداً للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب العلم . لأن الإنسان إذا كان عاقلاً وليس عنده علم فإنما هو كالارض المجذبة التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات ، فإذا لم تهبىء للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر ، وإذا هيئت للعمل وغرست أنبت ثمراً حسناً . كذلك الإنسان بغير علم لا نفع به حتى يغرس فيه العلم فإذا غرس فيه العلم أثمر . قال شماس : فاخبرني عن العلم بغير عقل ما شأنه؟ قال : كعلم البهيمة التي تعلّمت آوان مطعمها ومشربها وآوان يقظتها ولا عقل لها . قال شماس : قد أوجزت في الإجابة عن ذلك ولكن قد قبلت منك هذا الكلام ، فاخبرني كيف ينبغي أن أتوقى السلطان؟ قال الغلام : لا تجعل له عليك سيلاً . قال : وكيف استطيع أن لا أجعل له عليّ سيلاً وهو مسلط عليّ وزمام أمري بيده؟ قال الغلام : إنما سلطانه عليك بحقوقه التي قبلك فإذا أعطيته حقّه فلا سلطان له عليك . قال شماس : ما حق الملك على الوزير؟ قال : النصيحة والإجتهد في السرّ والعلاية والرأي السديد وكنتم سرّه وأن لا يخفي عنه شيئاً مما هو حقيق بالإطلاع عليه ، وقلة الغفلة عما قلده إياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه عليه . قال شماس : فاخبرني ، ما الذي يفعله الوزير مع الملك؟ قال الغلام : إذا كنت وزيراً للملك وأحببت أن تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده ، واحذر أن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه .

حكاية الأسد والصياد

فإذا اغتررت بحلمه ونزكت نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته إليها ويطرح لحومها ، فجعل الأسد يأتي إلى ذلك المكان فيأكل

الملك حق لأحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير ثلاث خصال : الأولى : للذي يصيبه معه عند خطأ الرأي والإنتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأي . والثانية : ليعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتتظر إليه الرعية بعين الإجلال والتوقير وخفض الجناح . والثالثة : إن الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه . قال شماس : قد سمعت جميع ما قلته لي من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك ، فاخبرني ما ينبغي لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسبّ العرض والإفراط في الكلام ؟ قال الغلام : ينبغي للإنسان أن لا يتكلم إلا بالخير والحسنات ولا ينطق في شأن ما لا يعنيه ويترك النسيمة ولا ينقل عن أحد حديثاً سمعه منه لعدوه ، ولا يطلب لصديقه ولا لعدوه ضرورة عند سلطانه ولا يعاب بمن يرتجي خيره ويتقي شره إلا الله تعالى لانه هو الضار النافع على الحقيقة ، ولا يذكر لأحد عيباً ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والإثم من الله والبغض بين الناس . واعلم أن الكلام مثل السهم إذا نفذ لا يقدر أحد على رده ، وليحذر أن يودع سره عند من يفشيه فربما يقع في ضرر إفشائه بعد أن يكون على ثقة من الكتمان وأن يكون مخفياً لسره عن صديقه أكثر من إخفائه عن عدوه فإن كتمان السر عند جميع الناس من أداء الأمانة . قال شماس : فاخبرني عن حسن الخلق مع الأهل والأقارب ؟ قال الغلام : إنه لا راحة لبني آدم إلا بحسن الخلق . ولكن ينبغي أن يصرف إلى الأهل ما يستحقونه وإلى إخوانه ما يجب لهم . قال : فاخبرني ، ما الذي يجب أن يصرفه إلى الأهل ؟ قال : أما الذي يصرفه للوالدين ، فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والإكرام والوقار . وأما الذي يصرفه للإخوان ، فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على أسبابهم والفرح لفرحهم والإغضاء عن ما يقع منهم من الهفوات . فإذا عرفوا منه ذلك قابلوه بأعز ما عندهم من النصيحة وبذلوا الأتفس دونه . فإذا كنت من اخيك على ثقة فابدل له ودك وكن مساعداً له على جميع أموره . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 913
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له أجوبتها قال له الوزير شماس : إني أرى الإخوان صنفين : إخوان ثقة وإخوان معاشرة . أما إخوان الثقة فإنه يجب لهم ما وصفت ، فأسالك عن غيرهم من إخوان المعاشرة ؟ قال الغلام : أما إخوان المعاشرة فإنك تصيب منهم لذة وحسن خلق وحلاوة وحسن معاشرة ، فلا تقطع منهم لذاتك بل ابدل لهم مثل ما يبذلونه لك وعاملهم بمثل ما يعاملونك به من طلاقة الوجه وعلوية اللسان فيطيب عيشك ويكون كلامك مقبولاً عندهم . قال شماس : قد عرفنا هذه الأمور كلها ، فاخبرني عن الأرزاق المقدرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل واحد رزق إلى تمام أجله ؟ وإذا كان الأمر كذلك ما الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المشقة في طلب ما عرف أنه إن كان مقدراً له فلا بد من حصوله ؟ وإن لم يرتكب مشقة السعي وإن لم يكن مقدراً له فلا يتحصل له ولو سعى إليه غاية السعي . فهل يترك السعي ويكون على ربه متوكلاً ولجسده ونفسه مريحاً ؟ قال الغلام : إننا قد رأينا أن لكل أحد رزقاً مقسوماً وأجلاً محتوماً ولكن لكل رزق طريق وأسباب . فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لا بد من طلب الرزق . غير أن الطالب على

ضربين : إما أن يصيب وإما أن يحرم . فراحة المصيب في الحالتين إصابة رزقه وكون عاقبة طلبه حميدة . وراحة المحروم في ثلاث خصال : الإستعداد لطلب رزقه ، والتنزه عن أن يكون كلاً على الناس ، والخروج عن عهدة الملامة . قال شماس : أخبرني عن باب طلب المعيشة ؟ قال الغلام : يستحل الإنسان ما أحله الله ويحرم ما حرّمه الله عز وجل . وانقطع بينهما الكلام لما وصلا إلى هذا الحد . ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظّموه وبجلّوه وضمّوه أبوه إلى صدره . ثم بعد ذلك أجلسه على سرير الملك وقال : الحمد لله الذي رزقني ولدًا تقرّ به عينا في حياتي . ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء : أيها العالم صاحب المسائل الروحانية ، إن لم يكن فتح الله عليّ من العلم إلا بشيء قليل فإني قد فهمت قصدك في قبولك مني ما أتيت به جواباً عن ما سألتني ، سواء كنت فيه مصيباً أو مخطئاً ولعلك صفحت عن خطئه . وأنا أريد أن أسألك عن شيء عجز عنه رأيي وضاق منه ذرعي وكلّ عن وصفه لساني لأنه أشكل عليّ إشكال الماء الصافي في الإناء الأسود . فأحب منك أن تشرحه لي حتى لا يكون شيء منه مبهماً على مثلي فيما يستقبل مثل إيهامه عليّ فيما مضى . لأن الله كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت إلى كلامي . قال شماس : أيها المضيء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم بالفضل لحسن تفضيلك للأشياء وتقسيمك إياها وحسن إصابتك في إجابتك عمّا سألتك عنه . قد علمت أنك لست تسألني عن شيء إلا وأنت في تأويله أصوب رأياً وأصدق مقالاً لأن الله قد آتاك من العالم ما لم يؤت أحداً من الناس ، فأخبرني عن هذه الأشياء التي تريد أن تسألني عنها ؟ قال الغلام : أخبرني عن الخالق جلت قدرته من أي الأشياء خلق الخلق ؟ ولم يكن قبل ذلك شيء وليس يرى في هذه الدنيا شيء إلا وهو مخلوق من شيء ، والباري تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء ولكن اقتضت إرادته مع كمال القدرة والعظمة أنه لم يخلق شيئاً إلا من شيء . قال الوزير شماس : أما صنائع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع لا يقدرّون على ابتداع شيء إلا من شيء إذ هم مخلوقون ، وأما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فإن شئت أن تعرف قدرته تبارك وتعالى على إيجاد الأشياء فأطل الفكر في أصناف الخلق فإنك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته ، وإنه قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء بل أوجدها بعد العدم المحض لأن العناصر التي هي مادة الأشياء كانت عدماً محضاً وقد أوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شك منه ، ويبين ذلك آية الليل والنهار فإنهما يتعاقبان حتى إذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف له مقرأً وإذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقرأً وإذا أشرقت علينا الشمس لا نعرف أين يطوى نورها وإذا غربت لم نعرف مستقرّ غروبها . وأمثال ذلك من أفعال الخالق عزّ اسمه وجلت قدرته ، كثير مما يحير أفكار الأذكياء من الخالقي . قال الغلام : أيها العالم ، إنك عرفنتني من قدرة الخالق ما لا يستطيع إنكاره ، ولكن أخبرني كيف إيجاده لخلقه ؟ قال شماس : إنما الخلق مخلوقة بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الأشياء . قال الغلام : إن الله تعاضم إسمه وارتفعت قدرته إنما أراد إيجاد الخلق قبل وجودهم . قال شماس : وإرادته خلقهم بكلمته فلولا أن له نطقاً وظهر كلمة لم تكن الخليفة موجودة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة أجابه عنها . ثم قال له : يا بني ، إنه لا يخبرك أحد من الناس بغير ما قلته إلا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوها . ومن ذلك قولك : إن الكلمة لها استطاعة أعوذ بالله من هذه العقيدة . بل قولنا في الله عز وجل : إنه خلق الخلق بكلمته معناه إنه تعالى واحد في ذاته وصفائه وليس معناه إن كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله . كما إن الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شأنه وعز سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه . فالله جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق شيئاً وإنما خلق الأشياء بكلمته الحق . فبالحق نحن مخلوقون . قال الغلام : قد فهمت من أمر الخالق وعزة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك منك بفهم ولكني سمعتك تقول : إنما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن أين عرض الباطل ؟ وكيف يمكن عروضه للحق حتى يشته به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون إلى الفصل بينهما ؟ وهل الخالق عز وجل محب لهذا الباطل أم باغض له ؟ فإن قلت إنه محب للحق وبه خلق خلقه وباغض للباطل ، فمن أين دخل هذا الذي يبغضه الخالق على ما يحبه وهو الحق ؟ قال شماس : إن الله لما خلق الإنسان بالحق ولم يكن الإنسان محتاجاً إلى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به بسبب الإستطاعة التي جعلها الله في الإنسان وهي الإرادة والميل المسمى بالكسب . فلما دخل الباطل على الحق بهذا الإعتبار التبس الباطل بالحق بسبب إرادة الإنسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الإختياري مع نصف طبيعة الإنسان ، فخلق الله له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته على الحق ، وخلق له العقوبة إن هو أقام على ملاسة الباطل . قال الغلام : فأخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به ؟ وكيف وجبت العقوبة على الإنسان حتى احتاج إلى التوبة ؟ قال شماس : إن الله لما خلق الإنسان بالحق جعله محباً له ولم يكن له عقوبة ولا توبة ، واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس التي هي من كمال الإنسانية مع ما هي مطبوعة عليه من الميل إلى الشهوات ، فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذي خلق الإنسان به وطبع على حبه . فلما صار الإنسان إلى هذه الغاية زاغ عن الحق بالمعصية ، ومن زاغ عن الحق إنما يقع في الباطل . قال الغلام : إن الحق إنما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة . قال شماس : وهو كذلك ، لأن الله يحب الإنسان ومن زيادة محبته له خلق الإنسان محتاجاً إليه وذلك هو الحق بعينه ، ولكن ربما استرعى الإنسان عن ذلك بسبب ميل النفس إلى الشهوات ومال إلى الخلاف ، فصار إلى ذلك الباطل بالمعصية التي بها عصى ربه فاستوجب العقوبة . وبإزاحة الباطل عنه بتوبته ورجوعه إلى محبة الحق إستوجب الثواب . قال الغلام : أخبرني عن مبدأ المخالفة مع أن الخلق مرجعهم جميعاً إلى أن وجد ابن آدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ؟ ثم قربت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبته الثواب أو العقاب . ونحن نرى بعض الخلق مقيماً على المخالفة مائلاً إلى ما لا يحبه مخالفاً لقتضى أصل خلقته من حب الحق مستوجباً لسخط ربه عليه ، ونرى بعضهم مقيماً على رضی خالقه وطاعته مستوجباً للرحمة والثواب . فما سبب الإختلاف الحاصل بينهم ؟ قال شماس : إن أول نزول هذه المعصية بالخلق إنما كان بسبب إبليس

الذي كان أشرف ما خلق الله جلّ اسمه من الملائكة والإنس والجن، وكان مطبوعاً على المحبة لا يعرف غيرها. فلما انفرد بهذا الأمر داخله العجب والعظمة والتعجب والتكبر عن الإيمان والطاعة لإمر خالقه فردّه الله دون الخلائق جميعهم وأخرجه من المحبة وصيرّ مثواه إلى نفسه في المعصية. فحين علم أن الله جلّ اسمه لا يحب المعصية ورأى آدم وما هو فيه من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه، داخله الحسد فاستعمل الحيلة في صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركاً معه في الباطل، فلزم آدم العقوبة لميله إلى المعصية التي زينها له عدوّه وانقياده إلى هواه حيث خالف وصية ربه بسبب عروض الباطل. ولما علم الخالق جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه ضعف الإنسان وسرعة ميله إلى عدوّه وتركه الحق، جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل إلى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه إبليس وجنوده ويرجع إلى الحق الذي هو مطبوع عليه. فلما نظر إبليس أن الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه قد جعل له أمداً ممتداً، بادر إلى الإنسان بالمحاربة وأدخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكاً له في السخط الذي استوجبه هو وجنوده، فجعل الله جلّ ثناؤه للإنسان استطاعة للتوبة وأمره أن يلزم الحق ويداوم عليه ونهاه عن المعصية والخلاف والأهمه أن له على الأرض عدوّاً محارباً لا يفترّ عنه ليله ولا نهاره. فبذلك استحق الإنسان ثواباً إن لازم الحق الذي جبلت طبيعته على حبه، وعقاباً إن غلبته نفسه ومالت به إلى الشهوات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 915

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة وأجابه عنها قال له بعد ذلك: أخبرني بأي قوة استطاع الخلق أن يخالفوا خالقهم وهو في غاية العظمة كما وصفت، مع أنه لا يقهره شيء ولا يخرج عن إرادته، ألا ترى أنه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية وإلزامهم المحبة دائماً؟ قال شماس: إن الله تعالى جلّ اسمه عادل منصف رؤوف بأهل محبته، قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الإستطاعة والقدرة على فعل ما أرادوا من الخير، فإن عملوا بخلاف ذلك صاروا إلى الهلاك والمعصية. قال الغلام: إذا كان الخالق هو الذي منحهم الإستطاعة وهم بسببها قادرين على فعل ما أرادوا فلا شيء لم يحل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى يردّهم إلى الحق؟ قال شماس: ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لأنه كما سبق منه لإبليس السخط ولم يرحمه كذلك، سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنه بعد سخطه عليه. قال الغلام: هذا هو الحق بعينه لأنه هو المجازي لكل أحد على عمله وليس خالق غير الله له القدرة على كل شيء. ثم قال الغلام: هل خلق الله ما يحب وما لا يحب أو إنّما خلق ما يحب لا غيره؟ قال شماس: قد خلق كل شيء ولم يرض إلا ما يحب. قال الغلام: ما بال هذين الشيثيين: أحدهما يرضي الله ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه؟ قال شماس: بيّن لي هذين الأمرين وفهمني إياهما حتى أتكلّم في شأنهما؟ قال الغلام: هما الخير والشر المركبان في الجسم والروح. قال شماس: أيها العاقل، أراك قد علمت أن الخير والشر من الأعمال التي يعملها الجسد والروح، فسّمّي الخير منهما خيراً لكونه فيه رضى الله. وسّمّي الشرّ شرّاً لكونه فيه سخط الله. وقد وجب عليك أن تعرف الله وترضيه بفعل الخير لأنه أمرنا بذلك ونهانا عن فعل الشرّ. قال الغلام: إني أرى هذين

الشيئين، أعني الخير والشر إنما يعملهما الحواس الخمس المعروفة في جسد الإنسان وهي محل الذوق الناشئ عنه الكلام والسمع والبصر والشم واللمس. فاحب أن تعرفني: هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعاً أم للشر؟ قال شماس: إفهم أيها الإنسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك واشربها قلبك، وهو أن الخالق تبارك وتعالى خلق الإنسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر منه مخلوق إلا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى إلا إلى الحكم بالعدل والإنصاف والإحسان. وقد خلق الإنسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل إلى الشهوات وجعل له الإستطاعة، وجعل هذه الحواس الخمس سبباً للنعيم أو الجحيم؟ قال الغلام: وكيف ذلك؟ قال شماس: لأنه خلق اللسان للنطق واليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والأذنين للسمع، وقد أعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة رهيجهما على العمل والحركة وأمر كل واحدة منها أن لا تفعل إلا برضائه والذي يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذي هو الكذب. ومما يرضيه من البصر صرفه النظر إلى ما يحبه الله وترك ضده وهو صرف النظر إلى ما يكرهه الله كالنظر إلى الشهوات. ومما يرضيه من السمع أن لا يستمع إلا إلى الحق كالموعظة وما في كتب الله وترك ضده وهو ان يسمع إلى ما يوجب سخط الله. ومما يرضيه من اليدين أن لا يقبض ما حوّلها الله بل يصرفه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الإمساك أو صرف ما حوّلها الله في معصية. ومما يرضيه من الرجلين أن يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو أن يمشيا في غير سبيل الله. وما سوى ذلك من الشهوات التي يعلمها الإنسان فإنه يصدر من الجسد بأمر الروح. ثم الشهوة التي تصدره الجسد نوعان: شهوة التناسل وشهوة البطن. فالذي يرضي الله من شهوة التناسل إنها لا تكون إلا حلالاً وسخطه ان تكون حراماً. وأما شهوة البطن الأكل والشرب والذي يرضي الله من ذلك أن لا يتعاطى منه كل أحد إلا ما أحلّه الله له قليلاً كان أو كثيراً ويحمد الله ويشكره، والذي يغضب الله منه أن يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الأحكام باطل. وقد علمت أن الله خلق كل شيء ولا يرضى إلا بالخير، وأمر كل عضو من أعضاء الجسد أن يفعل ما أوجبه عليه لأنه هو العليم الحكيم. قال الغلام: فاخبرني، هل سبق في علم الله جلت قدرته أن آدم سبب للأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة إلى المعصية؟ قال شماس: نعم أيها العالم قد سبق ذلك في علم الله تعالى قبل أن يخلق آدم. وبيان ذلك ودليله ما تقدم له من التحذير عن الأكل وإعلامه بأنه إذا أكل منها يكون عاصياً، وذلك من طريق العدل والإنصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه. فلما أن سقط في الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة، جرى ذلك في نسله من بعده فبعث الله تعالى الأنبياء والرسل وأعطاهم كتاباً فأعلمونا بالشرائع وبيّنوا لنا ما فيها من المواعظ والأحكام وفصّلوه لنا وأوضحوا لنا السبيل الموصل، وبيّنوا لنا ما يجب أن نفعله وما يجب أن نتركه فنحن مسلّطون بالإستطاعة. فمن عمل بهذه الخلود قد أصاب وريح ومن تعدّى هذه الخلود وعمل بغير هذه الوصايا قد خالف وخسر في الدارين وهذه سبيل الخير والشر، فقد علمت أن الله قادر على جميع الأشياء وما خلق الشهوات لنا إلا برضائه وإرادته وأمرنا أن نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيراً، وإذا استعملناها على وجه الحرام فإنها تكون لنا شراً. فما أصابنا من حسنة فمن الله تعالى

يبقى منهم أحداً إلا ويحضر . فخرجوا ونادوا الناس القريين وأجهروا بالنداء للناس البعيدين حتى حضروا بأجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له : كيف أنت أيها الملك ؟ وكيف ترى لنفسك من مرضك هذا ؟ قال لهم الملك : إن مرضي هذا هو الذي فيه القاضية وقد نفذ السهم بما قدره الله تعالى عليّ وأنا الآن في آخريوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة . ثم قال لابنه : ادن مني . فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديداً حتى كاد أن يبل فراشه ، والملك قد دمعت عيناه ، وبكى كل من حضر . ثم قال الملك لولده : لا تبك يا ابني فإنني لست بأول من جرى له هذا المحتوم لأنه سائر على جميع ما خلقه الله ، فاتق الله واعمل خيراً يسبقك إلى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق ، ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر الله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك ، واجعل الحق نصب عينك وهذا آخر كلامي معك والسلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك جليعاد لما أوصى ولده بهذه الوصية وعهد له بالملك من بعده قال الغلام لآبيه : قد علمت يا أبتى أنني لم أزل لك مطيعاً ولوصيتك حافظاً ولأمرك منفذاً ولرضاك طالباً وأنت لي نعم الأب فكيف أخرج بعد موتك عما ترضى به وأنت بعد حسن تربيتي مفارق لي ولا أقدر على ودك عليّ ؟ فإذا حفظت وصيتك صرت بها سعيداً وصار لي النصيب الأكبر . فقال له الملك وهو في غاية الإستغراق من سكرات الموت : يا بني ، إزم عشر خصال يتفعلك الله بها في الدنيا والآخرة وهن : إذا اغتظت فاكظم غيظك ، وإذا بليت فاصبر ، وإذا نطقت فاصدق ، وإذا وعدت فاوف ، وإذا حكمت فاعدل ، وإذا قدرت فاعف وأكرم فؤادك واصفح عن أعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف أذاك عنه . وإزم أيضاً عشر خصال أخرى يتفعلك الله بها في أهل مملكتك وهي : إذا قسمت فاعدل ، وإذا عاقبت بحق فلا تحجر ، وإذا عاهدت فاوف بعهدك وأقبل النصح واترك اللجاجة والزم الرعية بالإستقامة على الشرائع والسنن الحميدة . وكن حاكماً عادلاً بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتبهم ومفسدهم . ثم قال للحاضرين من العلماء والأمراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده : إياكم ومخالفة أمر ملككم وترك الإستماع لكبيركم فإن في ذلك هلاكاً لأرضكم وتفريقاً لجمعكم وضرراً لأبدانكم وتلفاً لأموالكم فتشمت بكم أعداؤكم . وها أنتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذي بيني وبينكم يكون أيضاً بينكم وبينه ، وعليكم بالسمع والطاعة لأمره لأن في ذلك صلاح أحوالكم ، واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم أموركم ويحسن حالكم . وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلام . ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتجم لسانه فضمّ ابنه إليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبّه وطلعت روحه ، فراح عليه جميع رعيته وأهل مملكته . ثم إنهم كفّنوه ودفنوه بإكرام وتبجيل وإعظام ثم رجعوا والغلام معهم فالبسوه حلة الملك وتوجّوه بتاج والده وألبسوه الخاتم في إصبعه وأجلسوه على سرير الملك . فسار الغلام فيهم بسيرة أبيه من الحلم والعدل والإحسان مدة يسيرة ، ثم تعرّضت له الدنيا وجذبت به شهواتها فاستغنى لذاتها وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلّده أبوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده وأهمل مملكته ومشى فيما

فلما كانت الليلة 917
ما كانت الليلة

فيه هلاكه، واشتدَّ به حبّ النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء إلا ويرسل إليها ويتزوَّج بها، فجمع من النساء عدداً أكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني إسرائيل، وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمرّ مع من يختلي بهن شهراً كاملاً لا يخرج من عندهن ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو إليه من رعيته وإذا كاتبوه فلا يرد لهم جواباً. فلما رأوا منه ذلك وعابوا ما هو منطوق عليه من ترك النظر في أمورهم وإهماله لأمور دولته وأمور رعيته تحقّقوا أنهم عن قليل يحلّ بهم البلاء. فشق ذلك عليهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. فقال بعضهم لبعض: امشوا بنا إلى شماس كبير وزرائه نقصّ عليه أمرنا ونعرّفه ما يكون من أمر هذا الملك لينصحه وإلا فعن قليل يحلّ بنا البلاء، فإن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها. فقاموا وأتوا شماس وقالوا له: أيها العالم الحكيم، إن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فأقبل على الباطل وسعى في فساد مملكته، وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير أمرنا إلى الهلاك. وسببه أننا نمكث شهراً وأياماً لا نراه ولا يبرز إلينا من عنده أمرٌ لا للوزير ولا لغيره، ولا يمكن أن ترفع إليه حاجة ولا ينظر في حكومة ولا يتعهد حال أحد من رعيته لغفلته عنهم. وإنا قد آتينا إليك لنخبرك بحقيقة الأمور لأنك أكبرنا وأكمل منا، وليس ينبغي أن يكون بلاء في أرض أنت مقيم بها لأنك أقدر أحد على إصلاح هذا الملك. فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع إلى الله. فقام شماس ومضى إلى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول إليه وقال له: أيها الولد الجيد، أسألك أن تستأذن لي في الدخول على الملك لأن عندي أمراً أريد أن أنظر وجهه وأخبره به وأسمع ما يجيبني به عنه. فأجاب الغلام قائلاً: والله يا سيدي، من منذ شهر لم يأذن لأحد في الدخول عليه ولا أنا، فطول هذه المدة ما رأيت له وجهاً ولكن أدلّك على من يستأذنه لك، وهو إنك تتعلّق بالوصيف الفلاني الذي يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ، فإذا خرج إلى المطبخ ليأخذ الطعام أسأله عما بدا لك فإنه يفعل لك ما تريد. فانطلق شماس إلى باب المطبخ وجلس قليلاً وإذا بالوصيف قد أقبل وأراد الدخول في المطبخ فكلّمه شماس قائلاً له: يا بني، أحب أن أجمع بالملك لأخبره بكلام يخصّه، فمن فضلك إذا فرغ من غدائه وطابت نفسه أن تكلمه لي وتأخذ لي منه إذناً بالدخول عليه لكي أكلمه بما يليق به. فقال الوصيف: سمعاً وطاعة. فلما أخذ الوصيف الطعام وتوجه به إلى الملك وأكل منه فلما طابت نفسه قال له الوصيف: إن شماس واقف بالباب يريد منك الإذن في الدخول عليك ليعلمك بأمور تختص بك. ففزع الملك وارتاب من ذلك وأمر الوصيف بإدخاله عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك لما أمر الوصيف بإدخال شماس عليه خرج الوصيف إلى شماس ودعاه إلى الدخول. فلما دخل على الملك خرّ لله ساجداً وقبّل يدي الملك ودعا له. فقال الملك: ما أصابك يا شماس حتى طلبت الدخول عليّ؟ فقال: إن لي مدة لم أرّ وجه سيدي الملك وقد اشتقت إليك كثيراً، فها أنا شاهدت طلعتك وجئت إليك بكلام أذكره لك أيها الملك المؤيد بكلّ نعمة. فقال له: قل ما بدا لك؟ فقال شماس: أعلم أيها الملك أن الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنّك ما لم يرزقه

فلما كانت الليلة 918 كانت الليلة

أحدًا من الملوك قبلك، وإن الله تمّم لك ذلك بالملك، وإن الله يحب أنك لا تخرج عمّا خوّلك إياه إلى غيره بسبب عصيانك له، فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي أن تكون لوصاياه حافظاً ولأموره طائعاً، لاني قد رأيتك منذ أيام قلائل نسيت أباك ووصيته ورفضت عهده واضعت نصحه وكلامه وزهدت عدله وأحكامه ولم يذكر نعمة الله عليك ولم تقيدها بشكرة. قال الملك: وكيف ذلك؟ وما سببه؟ قال شماس: سببه أنك تركت تعهد أمور مملكتك وما قلّدتك الله إياه من أمور رعيته وإقبالك على النفس فيما حسنته لك من قليل شهوات الدنيا. وقد قيل: إن إصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي للملك أن يحافظ عليه. والرأي عندي أيها الملك أن تحسن النظر في عاقبتك فإنك تجد السبيل الواضح الذي فيه النجاة، ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة إلى ورطة الهلاك فيصيبك ما أصاب صياد السمك. فقال له الملك: وكيف كان ذلك؟ قال شماس: قد بلغني أن صياداً قد أتى إلى نهر ليصطاد منه على عادته، فلما وصل إلى النهر ومشى على الجسر أبصر سمكة عظيمة. فقال في نفسه: ليس لي حاجة بالمقام ها هنا فانا أمشي وأتبع هذه السمكة إلى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنيني عن الصيد مدة أيام. فتعرّى من ثيابه ونزل خلف السمكة فأخذه جريان الماء إلى أن ظفر بالسمكة وقبض عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيداً عن الشاطئ. فلما رأى ما قد صنع به جريان الماء لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيده وترك جسده سابحاً مع جريان الماء، فما زال يسحبه الماء إلى أن رماه في وسط دوامة لا يدخلها أحد ويخلص منها. فصار يصيح ويقول: انقلوا الغريق! فاتاه من المحافظين على البحر وقالوا له: ما شأنك؟ وما دهالك حتى أقيت نفسك في هذا الخطر العظيم؟ فقال لهم: انا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيه النجاة وأقبلت على الهوى والهلكة. فقالوا: يا هذا، كيف تركت سبيل النجاة وأدخلت نفسك في هذه الهلكة؟ وأنت تعرف من قديم أنه ما دخلها هنا أحد وسلم، فما الذي منعك عن رمي ما في يدك ونجاة نفسك؟ فكيف تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذي لا نجاة منه؟ والآن ليس أحد منّا ينقذك من هذه الهلكة. فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليه وهلك هلاكاً عظيماً. وما ضربت لك أيها الملك هذا المثل إلا لأجل أن تدع هذا الأمر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك وتنظر مما أنت متقلّده من سياسة رعيته والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى أحد فيك عيباً. قال الملك: فما الذي تأمرني به؟ قال شماس: إذا كان في غد وأنت بخير وعافية فائذن للناس بالدخول عليك وانظر في أحوالهم واعتذر إليهم ثم عدّهم من نفسك بالخير وحسن السيرة. فقال الملك: يا شماس، إنك تكلمت بالصواب وإني فاعل ما نصحتني به في غد إن شاء الله تعالى. فخرج شماس من عنده وأعلم الناس بكل ما ذكره. فلما أصبح الصباح خرج الملك من حجابيه وأذن للناس في الدخول عليه وصار يعتذر إليهم ووعدهم أنه يصنع لهم ما يحبون. فرضوا بذلك وانصرفوا وصار كل واحد إلى منزله. ثم إن بعض نساء الملك وكانت أحبهن إليه وأكرمهن عنده، قد دخلت عليه فرآته متغيّر اللون متفكراً في أموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت له: ما لي أراك أيها الملك قلق النفس؟ هل تشتكي شيئاً؟ فقال لها: لا وإنما استغرقتني اللذات عن شؤوني فما لي ولهذه الغفلة عن أحوالي وعن أحوال رعيته؟ وإن استمررت على ذلك فعن قليل يخرج ملكي من يدي. فأجابته قائلة: إنني أراك أيها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشاً، فإنهم إنما يريدون نكابتك

وكيدك حتى لا تحصل لك من ملكك هذه اللذة ولا تغنم نعيماً ولا راحة، بل يريدون أن تقضي عمرك في اندفاع المشقة عنهم حتى إن عمرك يقضى بالنصب والتعب وتكون مثل الذي قتل نفسه لإصلاح غيره أو تكون مثل الفتى واللصوص. فقال الملك: وكيف كان ذلك؟ فقالت: ذكروا أن سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب، فدخلوا ذلك البستان وإذا هم بولد صغير واقف بينهم. فقالوا له: يا فتى، هل لك أن تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزاً؟ فأجابهم الفتى إلى ذلك ودخل معهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الفتى لما أجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض: انظروا إلى أخفنا وأصغرنا فاصعدوه. فقالوا: ما ترى فينا الطف من هذا الفتى؟ فلما أصعدوه قالوا: يا فتى، لا تلمس من الشجرة شيئاً لئلا يراك أحد فيؤذيك. فقال الفتى: وكيف أفعّل؟ فقالوا له: اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها تحريكاً قوياً حتى يتناثر ما فيه فتلتقطه وإذا فرغ ما فيها ونزلت إلينا فخذ نصيبك مما التقطناه. فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه. فبينما هم كذلك وإذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال فقال لهم: ما لكم ولهذه الشجرة؟ فقالوا له: لم نأخذ منها شيئاً غير أننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا أنه صاحبها فطلبنا منه أن يطعمنا منها، فهز بعض الأغصان حتى انتثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب. فقال صاحب الشجرة للغلام: فما تقول أنت؟ فقال: كذب هؤلاء ولكن أنا أقول لك الحق وهو أننا جميعاً إلى هنا فأمروني بالصعود على هذه الشجرة لأهز الأغصان كي ينتثر عليهم الجوز فامتثلت أمرهم. فقال صاحب الشجرة: لقد أقيت نفسك في بلاء عظيم، وهل انتفعت بأكل شيء منها؟ فقال الغلام: ما أكلت منها شيئاً. فقال له صاحب الشجرة: لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو أنك سعت في تلف نفسك لإصلاح غيرك. ثم قال للصوص: ما لي عليكم سبيل، إمضوا إلى حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه. وهكذا وزراؤك وأهل دولتك يريدون أن يهلكوك لإصلاح أمرهم ويفعلون بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى. فقال الملك: حقاً ما قتله ولقد صدقت في خبرك، فانا لا أخرج إليهم ولا أترك لذاتي. ثم بات مع زوجته في أرغد عيش إلى أن أصبح الصباح. فلما أصبح الصباح قام الوزير وجمع أرباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاؤوا إلى باب الملك مستبشرين فرحين، فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج إليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه. فلما يشوا من ذلك قالوا لشماس: أيها الوزير الفاضل والحكيم، أما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع إلى ذنوبه الكذب؟ فانظر وعده لك كيف أخلفه ولم يوف بما وعده، وهذا ذنب يجب أن تضيفه إلى ذنوبه. ولكن نرجو أن تدخل إليه ثانياً وتنظر ما السبب في تأخيرها ومنعه عن الخروج فإنا غير منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا الأمر فإنه بلغ غاية القساوة. ثم إن شماس توجه إليه ودخل عليه وقال: السلام عليك أيها الملك، ما لي أراك قد أقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الأمر الكبير الذي ينبغي الإعتناء به؟ وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطو على لبنها فآلهاء حسن لبنها عن ضبط زمامها، فأقبل يوماً

فلما كانت الليلة
919
الليلة

على حليبها ولم يعتن بزمامها . فلما أحست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء ، فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع أن ضرر ما لقيه أكثر من نفعه . فانظر أيها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فإنه ليس ينبغي للرجل أن يديم الجلوس على باب المطبخ من أجل حاجته إلى الطعام ، ولا ينبغي له أن يكثر الجلوس مع النساء من أجل ميله إليهن . وكما أن الرجل يبتغي من الطعام ما يدفع ألم الجوع ومن الشراب ما يدفع ألم العطش . كذلك ينبغي للرجل العاقل أن يكتفي من هذه الأربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته ، ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن أكثر من ساعتين فإن ذلك فيه مضرة لعقله وبدنه لأنهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن إليه ، ولا ينبغي منهن قولاً ولا فعلاً . وقد بلغني أن ناساً كثيرة هلكوا بسبب نساتهم ، فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجه لكونه أطاعها فيما أمرته . فقال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قال شماس : زعموا أن رجلاً كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده ، فكان يسمع قولها ويعمل برأيها ، وكان له بستان غرسه بيده جديداً فكان يأتي إليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه . فقالت له زوجته يوماً من الأيام : أي شيء غرست في بستانك ؟ فقال لها : كل ما تحببته وتريدته ، وها أنا مجتهد في إصلاحه وسقيه . فقالت له : هل لك أن تأخذني وتفرجني فيه حتى أراه وأدعوا لك دعوة صالحة فإن دعائي مستجاب . فقال : نعم إمهليني حتى آتي إليك في غد وأخذك . فلما أصبح الرجل أخذ زوجته معه وتوجه بها إلى البستان ودخلا فيه . وفي حال دخولهما نظر إليهما اثنان من الشباب على بعد فقال بعضهما لبعض : إن هذا الرجل زان وإن هذه المرأة زانية ، وما دخلا هذا البستان إلا ليزنيا فيه ، فتبعاهما لينظرا ما يكون من أمرهما . فأما الشابان فإنهما وقفا على جانب البستان ، وأما الرجل وزوجه فإنهما لما دخلا البستان واستقرآ فيه قال الرجل لزوجه : ادعي لي الدعوة التي وعدتني بها فقالت : لا أدعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال . فقال لها : ويحك أيها المرأة أما كان مني في البيت كفاية ؟ وها هنا أخاف على نفسي من الفضيحة وربما أشغلتنني عن مصالحتي ، أما تخافين أن يرانا أحد ؟ قالت : فلا نبالي من ذلك لأننا لم نرتكب فاحشة ولا حراماً ، وأما سقي هذا البستان ففيه مهلة وأنت قادر على سقيه أي وقت أردت . ولم تقبل منه عذراً ولا حجة وألحَّت عليه في طلب النكاح . فعند ذلك قام ونام معها . فعندما أبصرهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وأمسكوهما وقالا لهما : لا نطلقكما لأنكما من الزناة وإن لم نواقع المرأة نرفع أمركما إلى الحاكم . فقال لهما الرجل : ويحكما ، إن هذه زوجتي وأنا صاحب البستان . فما سمعا له كلاماً بل نهضا على المرأة . فعند ذلك صاحتا واستغاثتا بزوجه قائلة له : لا تدع الرجال يفضحونني . فأقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع إليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله وأتيا المرأة وفضحاهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان إلى المرأة وفضحاهما . وإنما قلنا لك هذا أيها الملك لتعلم أنه ليس ينبغي للرجل أن يسمع من امرأة كلاماً ولا يطيعها في أمر ولا يقبل لها رأياً في مشورة ، فإياك أن تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم أو تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع ، فلا تتبع لذة

فلما كانت الليلة
920
عاشق

يسيرة مصيرها إلى الفساد ومآلها إلى الخسران الزائد الشديد . فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له : أنا في غد أخرج إليهم إن شاء الله تعالى . فخرج شماس إلى الحاضرين من كبراء المملكة وأعلمهم بما قال الملك . فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له : إنما الرعية عبيد للملك والآن رأيت أنك أيها الملك عبد لرعيته بحيث تهابهم وتخاف شرهم ، وهم إنما يريدون أن يختبروا باطنك فإن وجدوك ضعيفاً تهاونوا بك ، وإن وجدوك شجاعاً هابوك . وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لأن حيلهم كثيرة وقد أوضحت لك حقيقة كيدهم ، فإن وافقتهم على ما يريدون أخرجوك من أمرك إلى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من أمر إلى أمر حتى يوقعوك في الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص . فقال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قالت : بلغني أنه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة لبيعهها في بعض المدن ، فلما انتهى إلى مدينة أكثرى له بها منزلاً ونزل فيه ، فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم ، فانطلقوا إلى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلاً إلى ذلك . فقال لهم رئيسهم : أنا أكفيكم أمره . ثم إنه انطلق فلبس ثياب الأطباء وجعل على عاتقه جراباً فيه شيء من الدواء وأقبل ينادي : من يحتاج إلى طبيب ؟ حتى وصل إلى منزل ذلك التاجر فرآه جالساً على غدائه . فقال له : أتريد لك طبيباً ؟ فقال له : لست محتاجاً إلى طبيب ولكن اقعد وكل معي . فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه ، وكان ذلك التاجر جيد الأكل . فقال اللص في نفسه : لقد وجدت فرصتي . ثم التفت إلى التاجر وقال له : لقد وجب عليّ نصيحتك لما حصل لي من إحسانك وليس يمكن أن أخفي عليك نصيحة ، وهو إني أراك رجلاً كثير الأكل وهذا سببه مرض في معدتك ، فإن لم تبادر بالسعي على دوائك وإلا آل أمرك إلى الهلاك . فقال التاجر : إن جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم ، وإن كنت جيد الأكل فليس ببديني مرض والله الحمد والشكر . فقال له اللص : إنما ذلك بحسب ما يظهر لك وإلا فقد عرفت أن في باطنك مرضاً خفياً فإن أنت أعطتني فداؤ نفسك . فقال التاجر : وأين أجد من يعرف دوائي ؟ فقال له اللص : إنما المداوي هو الله ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر إمكانه . فقال له التاجر : أرني الآن دائي واعطني منه شيئاً . فأعطاه سفوفاً فيه صبر كثير وقال له : استعمل هذا في هذه الليلة . فأخذه منه ، ولما كان الليل تعاطى منه شيئاً فرآه صبراً كرهه الطعم فلم ينكر منه شيئاً . فلما تعاطاه وجد منه خفة في تلك الليلة . فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء فيه صبراً أكثر من الأول ، فأعطاه منه شيئاً . فلما تعاطاه أسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره . فلما رأى اللص أن التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق أنه لا يخالفه ، انطلق وجاءه بدواء قاتل وأعطاه له . فأخذه منه التاجر وشربه ، فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطعت أمعاؤه وأصبح ميتاً . فقام اللصوص وأخذوا جميع ما كان للتاجر . وإني أيها الملك ما قلت لك هذا إلا لأجل أنك لا تقبل من هذا المخادع كلاماً فيلحقك أموراً تهلك بها نفسك . فقال الملك : صدقت فانا لا أخرج إليهم . فلما أصبح الصباح اجتمع الناس وجاءوا إلى باب الملك وقعدوا أكثر النهار حتى يسوا من خروجه ثم رجعوا إلى شماس وقالوا له : أيها الفيلسوف الحكيم والماهر العليم ، أما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد إلا كذباً علينا ؟ وإن إخراج الملك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب ؟ فتنظّم بذلك أحوالنا وتستقيم أمورنا . ولكن ادخل إليه نالماً واعلمه أنه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه إلا

إحسان والده إلينا وما أخذه علينا من العهود والمواثيق، ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن. فإن خرج إلينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس وإلا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره. فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له: أيها الملك المنهكم في شهواته ولهوه، ما هذا الذي تصنعه بنفسك؟ فيا هل ترى من يغريك على هذا؟ فإن كنت أنت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهد لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة. فليت شعري من الذي حولك ونقلك من العلم إلى الجهل ومن الوفاء إلى الجفاء ومن اللين إلى القسوة ومن قبولك مني إلى إعراضك عني، فكيف أنصحك ثلاث مرات ولا تقبل نصيحتي؟ وأشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي؟ فأخبرني ما هذه الغفلة؟ وما هذا اللهو؟ ومن أغراك عليه؟ أعلم أن أهل مملكتك قد تواعدوا على أنهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك فهل لكم قوة على جميعهم والنجاة من أيديهم؟ أو تقدر على حياة نفسك بعد قتلها؟ فإن كنت أعطيت هذا كله أمنت من قبله فلا حاجة لك بكلامي، وإن كانت حاجتك إلى الدنيا والملك فأفقد لنفسك واضبط ملكك واطهر للناس قوة بأسك واعلمهم بأعدارك فإنهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه إلى غيرك، وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات. فإن الحجارة إذا طال مكثها في الماء متى أخرجت منه وضرب بعضها بعضاً انقذحت منها النار. والآن رعيتك خلق كثير وهم يتوازرون عليك ويريدون نقل الملك منك إلى غيرك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الثعلب والذئب

فلما كانت الليلة □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير شماس قال للملك: ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب. فقال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال: زعموا أن جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون. فبينما هم يجولون في طلب ذلك وإذا هم بجمل ميت فقالوا في أنفسهم: قد وجدنا ما نعيش به زماناً طويلاً، ولكن نخاف أن يبغى بعضنا على بعض ويميل القوي بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا، فيبغى لنا أن نطلب حكماً يحكم بيننا ونجعل له نصيباً فلا يكون للقوي سلاطة على الضعيف. فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك وإذا بذئب أقبل عليهم. فقال بعضهم لبعض: إن أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكماً بيننا لأنه أقوى الناس وأبوه سابقاً كان سلطاناً علينا، ونحن نرجوا من الله أن يعدل بيننا. ثم إنهم توجهوا إليه وأخبروه بما صار إليه رأيهم وقالوا: لقد حكمناك بيننا لأجل أن تعطي كل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغى قويتنا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضاً. فأجابهم الذئب إلى قولهم وتعاطى أمورهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم. فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه: إن قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود علي منها شيء إلا الجزء الذي جعلوه لي، وإن أكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضرراً مع أنهم غنم لي ولاهل بيتي، فمن الذي يمنعني عن أخذ هذا للنفسى؟ ولعل الله مسيبه لي بغير جميلة منهم! فالأحسن لي أن أختص به دونهم ومن هذا الوقت لا أعطيهم شيئاً. فلما

921

أصبح الثعالب جاؤوا إليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له : يا أبا سرحان ، أعطنا مؤونة يومنا . فأجابهم قائلاً : ما بقي عندي شيء أعطيه لكم . فذهبوا من عنده على أسوأ حال ثم قالوا : إن الله أوقعنا في هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة . ثم قال بعضهم لبعض : إنما حمله على هذا الأمر ضرورة الجوع ، فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب إليه . فلما أصبحوا توجهوا إليه وقالوا له : يا أبا سرحان ، إنما وليناك علينا لاجل أن تدفع لكل واحد منا قوته وتتصف الضعيف من القوي وإذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائماً تحت كنفك ورعايتك ، وقد مسنا الجوع ولنا يومان ما أكلنا ، فاعطنا مؤونتنا وأنت في حل من جميع ما تصرف فيه من دون ذلك . فلم يرد عليهم جواباً بل ازداد قسوة ، فراجعهم فلم يرجع . فقال بعضهم لبعض : ليس لنا حيلة إلا أننا ننتقل إلى الأسد ونرمي أنفسنا عليه ونجعل له الجمل ، فإن إحسن لنا بشيء منه كان من فضله وإلا فهو أحق به من الخبيث . ثم انطلقوا إلى الأسد وأخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له : نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيداً . فلما سمع الأسد كلام الثعلب أخذته الحمية وغار الله تعالى ومضى معهم إلى الذئب . فلما رأى الذئب الأسد مقبلاً طلب الفرار من قدامه ، فجرى الأسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعاً ومكّن الثعالب من فريستهم . فمن هذا عرفنا أنه لا ينبغي لأحد من الملوك أن يتهاون في أمر رعيته ، فاقبل نصيحتي وصدق القول الذي قلته لك ، واعلم أن أباك قبل وفاته قد أوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام . فقال الملك : إني سامع منك وفي غد إن شاء الله تعالى أطلع إليهم . فخرج شماس من عنده وأخبرهم بأن الملك قبل نصيحته ووعده أنه في غد يخرج إليهم . فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولاً عن شماس وتحققت أنه لا بد من خروج الملك إلى الرعية أقبلت على الملك مسرعة وقالت له : ما أكثر تعجبي من إذعانك وطاعتك لعبيدك ؟ أما تعلم أن وزراءك هؤلاء عبيدك ؟ فلاي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى أوهمتهم أنهم هم الذين أعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وإنهم أعطوك العطايا ؟ مع أنهم لم يقدروا أن يفعلوا معك أدنى مكروه ، فكان من حقدك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ أمورك ، فكيف تكون مرعوباً منهم هذا الرعب العظيم ؟ وقد قيل : إذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح أن تكون ملكاً ، وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع أنه ينبغي أن يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الإنقياد إليك . فإن أنت سارعت لقبول كلامهم وأهملتهم على ما هم فيه وقضيت لهم أدنى حاجة على غير مرادك نقلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة . فإن أظعتني لا ترفع لأحد منهم شأنًا ولا تقبل لأحد منهم كلاماً ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص . فقال لها الملك : وكيف كان ذلك ؟

حكاية الراعي واللص

قالت : زعموا أنه كان رجل راعي غنم وكان محافظاً على رعايتهم ، فأتاه لص ذات ليلة يريد أن يسرق من غنمه شيئاً فرآه محافظاً عليهم لا ينام ليلاً ولا يغفل نهاراً ، فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء . فلما أعيته الحيلة انطلق إلى البرية واصطاد أسداً وسلخ بجلده وحشاه تبناً ثم أتى به ونصبه على محل عال في البرية بحيث يراه الراعي ويتحققه ثم أقبل اللص على الراعي

وقال له : إن هذا الأسد قد أرسلني إليك يطلب عشاء من هذا الغنم . فقال له الراعي : واين الأسد؟ فقال له اللص : إرفع بصرك ها هو واقف . فرفع الراعي رأسه فرأى صورة الأسد . فلما رآها ظن انها أسد حقيقة ، ففرغ منها فرعاً شديداً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الراعي لما رأى صورة الأسد ظن انها أسد حقيقة . ففرغ منها فرعاً شديداً وأخذ العرعب وقال للصوص : يا أخي ، خذ ما شئت ليس عندي مخالفة . فأخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه في الراعي بسبب شدة خوفه ، فصار كل قليل يأتي إليه ويرغبه ويقول له : إن الأسد يحتاج إلى كذا وقصده أن يفعل كذا . ثم

ياخذ من الغنم كفايته . ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى أفنى غالب الغنم . وإنما قلت لك هذا الكلام أيها الملك لثلاثي كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك ، والرأي السديد أن يكون موتهم أقرب مما يفعلونه بك . فقبل الملك قولها وقال : إنني قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعاً لمشورتهم ولا خارجاً إليهم . فلما أصبح الصباح اجتمع الوزراء وأكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا إلى بيت الملك ليهاجموا عليه ويقتلوه ويوتوا غيره . فلما وصلوا إلى بيت الملك سألو البواب أن يفتح لهم الباب فلم يفتح لهم ، فأرسلوا ليحضروا ناراً فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا . فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة وأعلم الملك أن الخلق مجتمعون على الباب وقال له : إنهم سألوني أن أفتح لهم فأبيت ، فأرسلوا ليحضروا ناراً فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تأمرني ؟ فقال الملك في نفسه : إنني وقعت في الهلكة العظيمة . ثم أرسل خلف المرأة فحضرت . فقال : إن شماس لم يخبرني بشيء إلا وقد وجدته صحيحاً ، وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلكم ، ولما لم يفتح لهم البواب أرسلوا ليحضروا النار يحرقون الأبواب فيحترق البيت ونحن داخله . فماذا تشيرين علينا ؟ فقالت له المرأة : لا بأس عليك ولا يهزلنك أمرهم فإن هذا زمان يقوم فيه السفهاء على ملوكهم . فقال لها الملك : فما تشيرين به علي لأفعله ؟ وما الحيلة في هذا الأمر ؟ فقالت : الرأي عندي أنك تعصب رأسك بعصاة وتظهر أنك مريض ثم ترسل إلى الوزير شماس فيحضر إليك ويرى حالك الذي أنت فيه . فإذا حضر فقل له : قد أردت الخروج إلى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض ، فأخرج إلى الناس واخبرهم بما أنا فيه واخبرهم أنني في غداً أخرج إليهم وأقضي حوائجهم وانظر في أحوالهم ليطمئثوا ويسكن غيظهم . وإذا أصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أهلك يكونون من أهل البأس والقوة وتكون أمانة على نفسك منهم ويكونون سامعين لقولك طائعين لأمرك كاتمين لسرك حافظين لودك . ثم أوقفهم على رأسك وأمرهم أن لا يمتكنوا أحداً من الدخول عليك إلا واحداً بعد واحد . فإذا دخل واحد فقل لهم : خذوه واقتلوه . وإذا اتفقوا معك على ذلك فاصبح ناصباً كرسيك في ديوانك وافتح بابك ، فإنهم إذا راوك فتحت الباب طابت نفوسهم واتوا لك بقلب سليم واستأذنوا في الدخول عليك ، فأذن لهم في الدخول واحد بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ، ولكن ينبغي أن تبدأ بقتل شماس الكبير أولهم فإنه هو الوزير الأعظم وهو صاحب الأمر فاقتله أولاً ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحد بعد واحد ولا تبقر منهم من تعرف أنه ينكت لك

فلما كانت الليلة قالت
922
كأن كانت الليلة

عهداً وكذلك كل من تخاف صولته . فإنك إذا فعلت بهم ذلك فإنهم لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكلية ويصفي لك الملك وتعمل ما تحب . واعلم أنه لا حيلة لك أنفع من هذه الحيلة . فقال لها الملك : إن رايك هذا سيدد وأمرك فيه رشيد ، فلا بد أن أعمل ما ذكرت . ثم أمر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وأرسل إلى شماس فلما حضر بين يديه قال له : يا شماس ، قد علمت أنني لك محب ولرايك مطيع وأنت لي كالإخ والوالد دون كل أحد وتعرف أنني أقبل منك جميع ما أمرتني به . وقد كنت أمرتني بالخروج إلى الرعية والجلوس لأحكامهم وتحققت أنها نصيحة منك لنا ، وقد أردت الخروج إليهم بالأمس فعرض لي هذا المرض ولست أستطيع الجلوس . وقد بلغني أن أهل المملكة متنغصون من عدم خروجي إليهم وهموا أن يفعلوا بي ما لا يليق من شهرهم فإنهم غير عالمين بما أنا فيه من المرض . فأخرج إليهم وأعلمهم بحالي وما أنا فيه واعتذر إليهم عني فإني تابع لما يقولون وفاعل ما يحبون ، فاصلح هذا الأمر واضمن لهم عني ذلك فإنك نصيح لي ولوالدي من قبلي وعادتلك الإصلاح بين الناس ، وإن شاء الله تعالى في غد أخرج إليهم ولعل مرضي أن يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما أضمرته لهم من الخير في سريري . فسجد شماس لله ودعا للملك وقبّل يديه وفرح بذلك وخرج إلى الناس وأخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما أرادوه ، وأعلمهم بالعذر من سبب امتناع الملك عن الخروج ، وأخبرهم أنه وعده في غد بالخروج إليهم وأنه يصنع لهم ما يحبون . فانصرفوا عند ذلك إلى منازلهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن شماس خرج إلى الدولة وقال لهم : إن الملك في غد يخرج إليكم ويصنع لكم ما تحبون . فانصرفوا إلى منازلهم . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر الملك فإنه بعث إلى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة أبيه وكانوا ذوي عزم جليل وبأس شديد . وقال لهم : قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفع الشان والإحسان إليكم مع لطفه بكم وإكرامه إياكم فانا أنزلكم بعده عندي في درجة أرفع من تلك الدرجة وسأعرفكم سبب ذلك وأنتم في أمان الله مني . ولكن أسالكم عن مسألة ، هل تكونون معي فيها طائعين لأمري فيما أقوله لكم كاتمين لسري عن جميع الناس ؟ ولكم مني الإحسان فوق ما تريدون حيث امتثلتم أمري . فأجابوه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين : جميع ما تأمرنا به يا سيدنا نحن به عاملون ولا نخرج عن ما تشير به علينا مطلقاً وأنت ولي أمرنا . فقال لهم : أحسن الله لكم فانا الآن أعرفكم سبب اختصاصكم لمزيد الإكرام عندي ، هو أنكم قد علمتم ما كان يفعله أبي بأهل مملكته من الإكرام وما عاهدكم عليه من أمري وإقرارهم له بأنهم لا يكتفون لي عهداً ولا يخالفون أمري ، وقد نظرتهم ما كان منهم بالأمس حيث اجتمعوا جميعاً حولي يريدون قتلي وأنا أريد أن أصنع بهم أمراً . وذلك أنني نظرت ما كان منهم بالأمس فرايت أنه لا يجرهم عن مثله إلا نكالهم ، فلا بد أن أوكلكم بقتل من أشير لكم بقتله سرّاً حتى أذفع الشر والبلاء عن بلادتي بقتل أكابره ورؤسائهم . وطريقة ذلك أنني أقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غد وأذن لهم بالدخول عليّ واحداً بعد واحد وأن يدخلوا من باب ويخرجوا من آخر . فقفوا أنتم العشرة بين يدي فاهمين لإشارتي وكل ما

فلما كانت الليلة
923
قال شماس

يدخل واحد فخلّوه وادخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته . فقالوا : سمعاً لقولك وطاعة لأمرك . فعند ذلك أحسن إليهم وصرفهم ويات . فلما أصبح طلبهم وأمر ب نصب السرير ثم لبس ثياب الملك وأخذ في يده كتاب القضاء وأمر بفتح الباب ، ففتح وأوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى المنادي : من كان له حكومة فليحضر إلى بساط الملك . فأتى الوزراء والقوآد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته ثم أمر بالدخول واحداً بعد واحد . فدخل شماس الوزير أولاً كما هي عادة الوزير الأكبر . فلما دخل واستقرّ قدام الملك لم يشعر إلا والعشرة عبيد محتاطون به واخذوه وادخلوه البيت وقتلوه ، وأقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء ، فصاروا يقتلونهم واحداً بعد واحد حتى فرغوا من الجميع . ثم دعا بالجلادين وأمرهم بحط السيف في من بقي منهم الشجاعة وقوة البأس . فلم يتركوا أحداً ممن يعرفون أن له شهامة إلا قتلوه ولم يتركوا إلا سفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم بأهله . ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذاته وأعطى نفسه شهواتها وأتبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدّمه من أهل الشرّ . وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقعون له البلاء . فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له : إني ظفرت بما كنت أريد من أخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لاكابر دولته وأهل الشجاعة والتجدة الذين كانوا في أرضه ، فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع ما في يده لكونه صغيراً ولإدارته له بالحرب ولا رأي له ولم يبق عنده من يرشده ولا يعضده ، فأنا اليوم أفتح معه باب الشرّ وهو أني أكتب له كتاباً وأعبث به فيه وأبكته على ما حصل منه وأنظر ما يكون من جوابه . فكتب له مكتوباً مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما أوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصلو عليك حين طغيت وأفسدت ، وإن الله قد أعطاني النصر عليك وظفرتني بك . فاسمع كلامي وامتلأ مني وأبني لي قصراً منيعاً في وسط البحر ، وإن لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك وفز بنفسك فإني باعث إليك من أقصى الهند اثني عشر كردوساً ، كل كردوس اثنا عشر ألف مقاتل ، فيدخلون بلادك وينهبون أموالك ويقتلون رجالك ويسبون حريمك وأجعل قائدهم بديعاً وزيري وأمره أن يرسخ عليها محاصراً إلى أن يملكها . وقد أمرت هذا الغلام المرسل إليك أنه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام . فإن امتثلت أمري نجوت وإلا أرسلت إليك ما ذكرته لك . ثم ختم الكتاب وأعطاه للرسول ، فسار به حتى وصل إلى تلك المدينة ودخل على الملك وأعطاه الكتاب . فلما قرأه الملك ضعفت قوّته وضاق صدره والتبس عليه أمره وتحقّق الهلاك ، ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين به ولا من ينجده . فقام ودخل على زوجته وهو متغيّر اللون . فقالت له : ما شأنك أيها الملك ؟ فقال لها : لست اليوم بملك ولكني عبد للملك ، ثم فتح الكتاب وقرأه عليها . فلما سمعته أخذت في البكاء والنحيب وشقّت ثيابها . فقال لها الملك : هل عندك شيء من الرأي والحيلة في هذا الأمر العسير ؟ فقالت له : وما عند النساء من الحيلة في الجروب ؟ والنساء لا قوة لهن ولا رأي لهن وإنما القوة والحيلة للرجال في مثل هذا الأمر . فلما سمع الملك منها ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه في حق جماعته ورؤساء دولته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف على ما فرط منه من قتل وزرائه وإشراف رعيته، وتمنى الموت لنفسه قبل أن يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيح . ثم قال لنسائه : لقد وقع لي منكن ما وقع للدراج مع السحالف ؟ فقلن له : وكيف كان ذلك ؟ فقال الملك : زعموا أن سحالفاً

كانت في جزيرة من الجزائر، وكانت تلك الجزيرة ذات أشجار وأثمار وأنهار . فاتفق أن دراجاً اجتاز بها يوماً وقد أصابه الحر والتعب، فلما أضرب به ذلك حطّ من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السحالف . فلما رأى السحالف التجأ إليها ونزل عندها وكانت السحالف ترعى في جهات الجزيرة ثم ترجع إلى مكانها . فلما رجعت من مسارحها إلى مكانها رأت الدراج فيه . فلما رآته اعجبها وزينه الله لها فسبحت خالقها وأحبت هذا الدراج حباً شديداً وفرحت به . ثم قال بعضها لبعض : لا شك أن هذا أحسن الطيور . فصارت كلها تلاطفه وتجنح إليه . فلما رأى منها عين المحبة مال إليها واستأنس بها وصار يطير إلى أي جهة أراد وعند المساء يرجع إلى البيت عندها، فإذا أصبح الصباح يطير إلى حيث أراد وصارت هذه عادته واستمر على هذا الحال مدة من الزمان . فلما رأت السحالف أن غيابه عنها يوحشها وتحققت أنها لا تراه إلا في الليل وإذا أصبح طار مبادراً لا تشعر به مع زيادة حبها له . قال بعضها لبعض : إن هذا الدراج قد أحببناه وصار لنا صديقاً وما بقي لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة إلى إقامته عندنا دائماً ؟ لأنه إذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه إلا في الليل . فأشارت عليها واحدة قائلة : استريحوا يا أخواتي وأنا أجعله لا يفارقنا طرفة عين . فقال لها الجميع : إن فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيداً . فلما حضر الدراج من مسرحة وجلس بينها تقربت منه السحلفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له : يا سيدي، أعلم أن الله قد رزقك منّا المحبة وكذلك أودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر أنيساً وأحسن أوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق، ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد إلينا إلا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة، وقد شقّ علينا ذلك كثيراً ونحن في وجد عظيم بهذا السبب . فقال لها الدراج : نعم أنا عندي محبة لكن واشتياق عظيم إليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلاً عندي ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيراً بأجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائماً لأن هذا ليس من طبعي فإن الطير ذا الأجنحة ليس له مستقر إلا في الليل لأجل النوم وإذا أصبح طار وسرح في أي موضع أعجبه . فقالت له السحلفة : صدقت ولكن ذو الأجنحة في غالب الأوقات لا راحة لكونه لا يناله من الخير ربيع ما يحصل له من المشقة، وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة . ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والإلفة ونخشى عليك ممن يصطادك من أعدائك فتهلك ونحرم من رؤية وجهك . فأجابها الدراج قائلاً : صدقت ولكن ما عندك من الرأي والحيلة في أمري ؟ فقالت له : الرأي عندي أن تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعّد عندنا مستريحاً وتأكل من أكلنا وتشرب من شربنا في هذه السرحة الكثيرة الأشجار البانعة الأثمار ونقيم نحن وأنت في هذا الموضع الخصب ويتمتع كل منّا بصاحبه . فمال الدراج إلى قولها وقصد الراحة ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكّم ما استحسّنه من رأي السحلفة واستقرّ عندهن عائشاً معهن ورضي باللذة

اليسيرة والطرب الزائل . فبينما هم على تلك الحالة وإذا بابن عرس قد مرّ عليه فرمقه بعينه وتأمّله فراه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض . فلما رآه على تلك الحالة فرح به فرحاً شديداً وقال في نفسه : إن هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش . ثم دنا منه ابن عرس وافترسه ، فصاح الدراج وطلب النجدة من السحالف فلم ينجده بل تباعدن عنه وانكمشن في بعضهن لما رأين ابن عرس قابضاً عليه . وحيث رأين ابن عرس يعذّبه خنقهنّ البكاء عليه . فقال لهنّ الدراج : هل عندكنّ شيء غير البكاء ؟ فقلن له : يا اخانا، ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة في أمر ابن عرس . فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسه وقال لهنّ : ليس لكنّ ذنب إنّما الذنب لي حيث اطعتكم وفتت أجنتي التي أطير بها ، فانا أستحق الهلاك لمطواعتي لكنّ ولا الومكنّ في شيء . وانا الآن لا الومكنّ أيها النساء بل الوم نفسي وأءدبها حيث لم تتذكّر انكنّ سبب الهفوة التي حصلت من ابينا آدم ولاجلها خرج من الجنة . ونسيت انكنّ أصل كل شرّ فاطعتكنّ بجهلي وخطا رأيي وسوء تدييري وقتلت وزرائي وحكّام مملكتي الذين كانوا إليّ نصحاء في كل الأمور ، وكانوا عزّتي وقوتي على كل أمر اهمني . فانا الآن لم أجد عوضاً عنهم ولا أرى أحداً يقوم مقامهم ، وقد وقعت في الهلاك العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 925
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لام نفسه وقال : انا الذي اطعتكنّ بجهلي وقتلت وزرائي ولم أجد عوضاً عنهم يقوم مقامهم ، وإن لم يفتح الله عليّ بمن له رأي سديد يرشدني إلى ما فيه خلاصي وقعت في الهلكة العظيمة . ثم إنه قام ودخل مرقد بعد أن نعى الوزراء والحكماء قائلاً : يا ليت هؤلاء الأسود عندي في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر إليهم وأنظرهم وأشكوا إليهم أمري وما حصل بي بعدهم . ولم يزل غريقاً في بحر الهمّ طول نهاره ولا يأكل ولا يشرب . فلما جن الليل قام وغير لباسه ولبس ثياباً رديئة وتنكر وخرج يسوح في المدينة لعله يسمع من أحد كلمة يرتاح بها . فبينما هو يطوف في الشوارع وإذا هو بغلامين مختلين بأنفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان في السن ، عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة ، فسمعهما يتحدّثان مع بعضهما . فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه ، فسمع واحداً منهما يقول للآخر : إسمع يا اخي ما حكاة لي والدي ليلة أمس من أجل ما وقع له في زرعه ويبسه قبل أوّاته بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة . فقال له الآخر : أتعرف ما سبب هذا البلاء ؟ قال له : لا . فإن كنت تعرفه أنت فاذكره لي . فأجاب قائلاً نعم أعرفه وأخبرك به . أعلم أن بعض أصحاب والدي قال لي : إن ملكنا قد قتل وزراؤه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل من أجل حبه للنساء وميله إليهن وإن الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وأمر بقتلهم طاعة لنسائه ، حتى إنه قتل شماس والدي وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ، ولكن سوف تنظر ما يفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه . فقال الغلام : وما عسى أن يفعل الله به بعد هلاكهم ؟ قال له : أعلم أن ملك الهند الأقصى قد استخفّ بملكنا وبعث إليه كتاباً يوبّخه فيه ويقول له : ابن لي قصرأ في وسط البحر وإن لم تفعل ذلك فانا أرسل إليك اثني عشر كردوساً ، كل كردوس فيه مائة ألف

مقاتل ، وأجعل قائد هذه العساكر بديعاً وزيرياً فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك . فلما جاءه رسول ملك الهند الأقصى بهذا الكتاب أمهله ثلاثة أيام . واعلم يا أخي أن ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وبأس شديد وفي مملكته خلق كثير ، وإن لم يحتل ملكنا فيما يمنعه منه وقع في الهلكة ، وبعد هلاك ملكنا يأخذ هذا الملك أرزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا . فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطراباً ومال إليهما وقال في نفسه : إن هذا الغلام لحكيم لكونه أخبر عن شيء لم يبلغه مني ، فإن الكتاب الذي جاء من ملك أقصى الهند عندي والسر معي ولم يطلع أحد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به ؟ ولكن أنا التجيء إليه وأكلمه وأسأل الله أن يكون خلاصنا لديه . ثم إن الملك دنا من الغلام بلطف وقال له : أيها الولد الحبيب ، ما هذا الذي ذكرته من أجل ملكنا ؟ فإنه قد أساء كل الإساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه في الحقيقة قد أساء نفسه ورعيته وأنت صدقت فيما قلته . ولكن عرفني أيها الولد من أين عرفت أن ملك الهند الأقصى كتب إلى ملكنا كتاباً وبخبه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذي قلته ؟ قال له الغلام : قد علمت هذا من قول القدماء : إنه ليس يخفى على الله خافية والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الأسرار الخفية . فقال له : صدقت يا ولدي ، لكن هل لملكنا حيلة أو تدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم ؟ فأجاب الغلام قائلاً : نعم . إذا أرسل الملك إليّ وسألني ماذا يصنعه ليدفع به عدوّه وينجو من كيدته أخبرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى . قال له الملك : ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل إليك ويدعوك ؟ فأجابه قائلاً : إنني سمعت عنه أنه يفتش على أهل الخبرة والرأي الرشيد وإذا أرسل إليّ سرت معهم إليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه ، وإن أهمل هذا الأمر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه وأردت أنني أعلمه بما فيه نجاته وتوجهت إليه من تلقاء نفسي فإنه يأمر بقتلي مثل أولئك الوزراء وتكون معرفتي به سبباً لهلاكه ، وتستقل الناس بي ويستقصون عقلي وأكون من مضمون قول من قال : من كان علمه أكثر من عقله هلك ذلك العالم بجهله . فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتبين فضيلته وتيقن أن النجاة تحصل له ولرعيته على يديه . فعند ذلك أعاد الملك الكلام على الغلام وقال له : من أين أنت ؟ وأين بيتك ؟ فقال له الغلام : إن هذه الحائط توصل إلى بيتنا . فتمهد الملك ذلك المكان ثم إنه ودع الغلام ورجع إلى مملكته مسروراً . فلما استقرّ في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنه النساء وأكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عن ما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم . ثم تاب إلى الله توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر ، ودعا بأحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وأمره أن ينطلق إليه ويحضره بين يديه برفق . فمضى ذلك العبد إلى الغلام وقال له : إن الملك يدعوك لخبر يصل إليك من قبله ويسألك سؤالاً ثم تعود في خير إلى منزلك . فأجاب الغلام قائلاً : وما حاجة الملك التي دعاني من أجلها ؟ قال له الخادم : إن حاجة مولاي التي دعاك من أجلها هي سؤال وجواب . فقال له الغلام : ألف سمع وألف طاعة لأمر الملك . ثم سار معه حتى وصل إلى الملك . فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد أن سلّم عليه ، فردّ الملك عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام لما جاء إلى الملك وسلم عليه أمره بالجلوس فجلس . فقال له : هل تعرف من تكلم معك بالأمس ؟ قال الغلام : نعم . قال له : فإين هو ؟ فأجابه بقوله : هو الذي يكلمني في هذا الوقت . فقال له الملك : لقد صدقت أيها الحبيب . ثم أمر الملك بوضع كرسي إلى جانب كرسيه واجلسه عليه وأمر بإحضار أكل

وشرب ثم امتزجا في الحديث إلى أن قال الملك للغلام : إنك أيها الوزير حدثتني بالأمس حديثاً وذكرت فيه أن معك حيلة تدفع بها عناً كيد ملك الهند ، فما هي الحيلة ؟ وكيف التدبير في دفع شره عناً ؟ فاخبرني لكي أجعلك أول من يتكلم معي في الملك وأصطفيك وزيراً لي وأكون تابعاً لرأيك في كل ما أشرت به عليّ وأجيزك جائزة سنوية . فقال له الغلام : جائزتك لك أيها الملك والمشورة والتدبير عند نساءك اللاتي أشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء . فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتهدأ وقال : أيها الولد الحبيب ، وهل شماس والدك كما ذكرت ؟ فأجابه الغلام قائلاً : إن شماس والدي حقاً وأنا ولده صدقاً . فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله وقال : أيها الغلام ، إني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن عظيم . ولكن أسألك أن تكون مسامحاً لي وإني جاعلك في موضع أبيك وأعلى مقاماً من مقامه ، وإذا زالت هذه النعمة النازلة بنا طوقتك بطوق الذهب وأركبتك أعز مركوب وأمرت المنادي أن ينادي قدامك قائلاً : هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك . وأما ما ذكرت من أمر النساء فإني أضمرت الإنتقام منهن وجعلته في الوقت الذي يريده الله تعالى ، فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي ؟ فأجابه الغلام قائلاً : أعطني عهداً أنك لا تخالف رأيي فيما أذكره لك وأن أكون بما أخشاه في أمان . فقال له الملك : هذا عهد الله بيني وبينك ، إني لا أخرج عن كلامك وإني عندي صاحب المشورة ومهما أمرتني به فعلته ، والشاهد بيني وبينك على ما أقول هو الله تعالى . فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال : أيها الملك ، إن التدبير والحيلة عندي أنك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بعد المهلة التي أمهلته إياها ، فإذا حضر بين يديك وطلب الجواب إدفعه عنك وأمهله إلى يوم آخر ، فعند ذلك يعتذر إليك بأن ملكه حدد عليه أياماً معلومة ويراجعك في كلامك ، فاطرحه وأمهله إلى يوم آخر ولا تعين له ذلك اليوم . فيخرج من عندك غضباناً ويتوجه إلى وسط المدينة ويتكلم جهراً بين الناس ويقول : يا أهل المدينة ، إني ساعي ملك الهند الأقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين الحديد ، وقد أرسلني بكتاب إلى ملك هذه المدينة وحدد لي أياماً وقال : إن لم تحضر عقب الأيام التي حددتها لك حلت بك نعمتي . وها أنا جئت إلى ملك هذه المدينة وأعطيته الكتاب ، فلما قرأه أمهلني ثلاثة أيام ثم يعطيني جواب ذلك الكتاب ، فأجبت به إلى ذلك لطفاً به ورعاية لحاظه . وقد مضت الثلاثة أيام وأتيت أطلب منه الجواب فأمهلني إلى يوم آخر وأنا ليس عندي صبر . فها أنا منطلق إلى سيدي ملك الهند الأقصى وأخبره بما وقع لي ، وأنتم أيها القوم شاهدون بيني وبينه . فعند ذلك يبلغك كلامه فارسل إليه واحضره بين يديك وكلمه بلطف وقل له : أيها الساعي لإتلاف نفسه ، ما الذي حملك على ملامتنا بين رعبتنا ؟ لقد استحققت منا التلف عاجلاً . ولكن قالت القدماء : العفو من شيم الكرام . واعلم أن تأخير الجواب عنك ليس عجزاً منا وإنما

ذكرته في كتابك من قتلي لوزرائي وعلمائي وكبراء مملكتي فإن ذلك حق ولكن لسبب قام عندي، وما قتلت من العلماء واحداً إلا وعندي من جنسه ألف أعلم منه، وأفهم واعقل وليس عندي طفل إلا وهو ممتلئ من العلوم، وعندي عوضاً عن كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا أقدر أن أحصيه، وكل واحد من عسكري يقاوم كردوساً من عسكريك. وأما من جهة المال فإن عندي معمل الذهب والفضة. وأما المعادن فإنها عندي كقطع الحجارة. وأما أهل مملكتي فإنني لا أقدر أن أصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم. فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا: ابن لي قصرًا في وسط البحر؟ فإن هذا أمر عجيب ولعله ناشئ عن سخافة عقلك، لأنه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الأمواج وحركات الرياح وأنا ابني لك القصر. وأما زعمك أنك تظفري بي فحاش الله من ذلك، كيف يبغني علينا مثلك ويظفر بملكنا؟ بل إن الله تعالى اظفري بك لكونك متعدياً وباغياً عليّ بغير حق. فاعلم أنك قد استوجبت العذاب من الله ومني، ولكن أنا اخاف الله فيك وفي رعيتك ولا أركب عليك إلا بعد النذارة. فإن كنت تخشى الله فعجل لي بإرسال خراج هذه السنة وإلا لأرجع عن الركوب عليك ومعني ألف ألف ومائة ألف مقاتل كلهم جبابرة بأفيال فأسردهم حول وزيرنا وأمره أن يقيم على محاصرته ثلاث سنوات نظير الثلاثة أيام التي أمهلتها لقاصدك وأتملك مملكتك بحيث لا تقتل منها أحداً غير نهبك ولا أسبي منها غير حريمك. ثم صور الغلام في المکتوب صورته وكتب بجانبها: إن هذا الجواب كتبه أصغر أولاد الكتاب. ثم ختمه وسلمه إلى الملك فأعطاه الملك للساعي، فأخذه الساعي وقبّل يدي الملك ومضى من عنده شاكرًا لله تعالى وللملك على حلمه عليه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام. فلما وصل إلى ملكه وكان دخوله عليه في اليوم الثالث بعد الثلاثة أيام المحدودة له، وكان الملك في ذلك الوقت ناصب الديوان بسبب تأخير الساعي عن المدة المحدودة له. فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم أعطاه الكتاب، فأخذه وسأل الساعي عن سبب إبطائه وعن أحوال الملك وردخان. فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه بأذنه. فاندھش عقل الملك وقال للساعي: ويحك، ما هذه الأخبار التي تخبرني بها عن مثل هذا الملك؟ فأجابه الساعي قائلاً: أيها الملك العزيز، ها أنا بين يديك فافتح الكتاب واقراه يظهر لك الصدق من الكذب. فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقراه ونظر فيه صورة الغلام الذي كتبه، فأيقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من أمره. ثم التفت إلى وزرائه وعظماء دولته وأخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب، فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعباً عظيماً وصاروا يسكتون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الحُفْقان. ثم إن بديعاً الوزير الكبير قال: أعلم أيها الملك أن الذي يقوله إخوتي من الوزراء لا فائدة فيه، والرأي عندي أنك تكتب لهذا الملك كتاباً وتعتذر إليه فيه وتقول له: أنا محب لك ولوالدك من قبلك وما أرسلنا إليك الساعي بهذا الكتاب إلا على طريق الإمتحان لك لتنظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والأمور العلمية والرموز الخفية وما أنت منطوق عليه من الكمالات الكلية، ونسال الله تعالى أن يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانتك حينما كنت حافظاً لنفسك فتمت أمور رعيتك. وأرسله له مع آخر. فقال الملك: والله العظيم إن في هذا لعجباً عظيماً، كيف يكون هذا ملكاً عظيماً معتداً للحرب بعد قتله لعلماء مملكته وأصحاب رايه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك

ويخرج منها هذه القوة العظيمة؟ وأعجب من هذا أن صغار مكاتبها يرقون عن ملكها مثل هذا الجواب! لكن أنا بسوء طمعي أشعلت هذه النار عليّ وعلى أهل مملكتي ولا أدري من يطفئها إلا رأي وزير يري هذا. ثم إنه جهز هدية ثمينة وخدماء وحشماً كثيرة وكتب كتاباً مضمونه: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد أيها الملك العزيز وردخان، ولد الأخ العزيز جليعاد رحمه الله وأبقاك. لقد حضر لنا جواب كتابنا فقرأناه وفهمنا ما فيه، فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأله أن يعلي شأنك ويشيد أركان مملكتك وينصرك على أعدائك الذين يريدون بك السوء. واعلم أيها الملك أن أباك كان لي أخاً وبينني وبينه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منّا إلا خيراً وكنا نحن كذلك لا نرى منه إلا خيراً، ولما توفي وجلست أنت على كرسي مملكتك حصل عندنا غاية الفرح والسرور. ولما بلغنا ما فعلت بوزرائك وأكابر دولتك خشينا أن يصل خبر ذلك إلى ملك غيرنا فيقطع فيك، وكنا نظن أنك في غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملاً لأمور مملكتك، فكاتبناك بما ننبهك به. فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك. متعك الله بمملكتك وجعلك معاناً على شأنك والسلام. ثم جهّز له الهدية وأرسلها إليه مع مائة فارس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 928
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ملك الهند الأقصى لما جهّز الهدية إلى الملك وردخان أرسلها له مع مائة فارس، فساروا إلى أن أقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب. فقراه وفهم معناه ثم أنزل رئيس المائة فارس في محل يصلح له وأكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحاً شديداً. ثم أرسل إلى الغلام بن شماس وأحضره بين يده وأكرمه، وأرسل إلى رئيس المائة فارس. ثم طلب الكتاب الذي أحضره من ملكه وأعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسرّ الملك بذلك سروراً كبيراً وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر إليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه. فشكره الملك على ذلك وأكرمه إكراماً زائداً وأعطاه وأعطى جميع من معه ما يليق بهم، وجهّز معهم هدايا وأمر الغلام أن يكتب ردّ الجواب. فعند ذلك كتب الغلام الجواب وأحسن الخطاب وأوجز في باب الصلح وذكر أدب الرسول ومن معه من الفرسان. فلما تمّ الكتاب عرضه على الملك فقال له الملك: إقرأه أيها الولد العزيز لكي نعرف ما كتب فيه. فعند ذلك قرأه الغلام بحضرة المائة فارس فأعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلّمه إلى رئيس المائة فارس وصرفه وأرسل معه من عسكره طائفة توصلهم إلى أطراف بلادهم. هذا ما كان من أمر الملك والغلام. وأما ما كان من أمر رئيس المائة فإنه اندهش عقله مما رآه من أمر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح. ثم إنه سار إلى أن وصل إلى ملك أقصى الهند وقدم إليه الهدايا والتحف وأوصل إليه العطايا وناوله الكتاب وأخبره بما نظر. ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وشكر الله تعالى وأكرم رئيس المائة فارس وشكر همته على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في أمن وأمان وطمأنينة وزيادة انشراح. هذا ما كان من أمر ملك أقصى الهند. وأما ما كان من أمر الملك وردخان فإنه استقام مع الله ورجع عن طريقه الرديئة وتاب إلى الله توبة خالصة عما كان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته إلى صلاح مملكته والنظر

بخوف الله إلى رعيتيه، وجعل ولد شماس وزيراً عوضاً عن والده وصاحب الرأي المقدم عنده في المملكة وكاتماً لسره، وأمر بزينة مدينته سبعة أيام وكذلك بقية المدائن . وفرحت الرعية بذلك وزال الخوف والرعب عنهم واستبشروا بالعدل والإنصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذي أزال عنه وعنهم هذا الغم . وبعد ذلك قال الملك للوزير : ما الرأي عندك في إتقان المملكة وإصلاح الرعية ورجوعها إلى ما كانت عليه أولاً من وجود الرؤساء والمدبرين ؟ فعند ذلك أجابه الوزير قائلاً : أيها الملك العزيز الشأن، الرأي عندي أنك قبل كل شيء تبتدىء بقطع امر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والعسف والإشتغال بالنساء لأنك إن رجعت إلى أصل المعاصي تكون الضلالة الثانية أشد من الأولى . فقال الملك : وما هي أصل المعاصي التي ينبغي أن أقلع عنها؟ فأجابه ذلك الوزير الصغير السن الكبير العقل قائلاً : أيها الملك الكبير، أعلم أن أصل المعصية أتباع هوى النساء والميل إليهن وقبول رأيهن وتديبرهن ، لأن محبتهم تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة . والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتبعت وقائعها بإمعان النظر لوجدت لك ناصحاً من نفسك واستغيت عن قولتي جملة ، فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لأن الله تعالى أمر بعدم الإكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال بعض الملوك من الحكماء لولده : يا ولدي، إذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك وبالجملة فالإستكثار منهن يفضي إلى حبهن وحبهن يفضي إلى فساد الرأي، والبرهان على ذلك ما جرى لمسيدينا سليمان بن داود عليهما السلام ، الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط أحداً من الملوك التي تقدمت مثل ما أعطاه فكانت النساء سبباً لهفوة والده . ومثل هذا كثير أيها الملك وإنما ذكرت لك سليمان لتعرف أنه ليس لأحد أن يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الأرض . واعلم أيها الملك أن محبة النساء أصل كل شر وليس لإحداهن رأي، فينبغي للإنسان أن يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل إليهن كل الميل فإن ذلك يوقعه في الفساد والهلكة . فإن أطعت قولتي أيها الملك استقامت لك جميع أمورك وإن تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم . فأجابه الملك قائلاً : لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل إليهن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
929
قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك وردخان لما قال لوزيره :
إني قد تركت ما كنت فيه من الميل إليهن وأعرضت عن الإشتغال
بالنساء جميعاً ولكن ماذا أصنع فيهن جزاء على ما فعلن ؟ لأن قتل
شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادى ولا عرفت كيف
جرى لي في عقلي حتى وافقتهم على قتله . ثم تأوه وصاح قائلاً :

والسفاه على فقد وزيرى وسداد رأيه وحسن تديبره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة
وحسن آرائهم الرشيدة . فأجابه الوزير قائلاً : أعلم أيها الملك، أن الذنب ليس للنساء وحدهن
لأنهن مثل بضاعة مستحسنة تميل إليها شهوات الناظرين ، فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم
يشتر لم يجبره أحد على الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصاً إذا كان عارفاً بمضرة تلك
البضاعة، وقد حذرتك ووالدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة . فأجابه الملك : إنني
أوجبت على نفسي الذنب كما قلت أيها الوزير ولا عذر لي إلا التقادير الإلهية . فقال الوزير : أعلم

يها الملك ، أن الله تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا إرادة واختياراً فإن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ، ولم يأمرنا الله بفعل ضرر لثلا يلزمنا ذنب ، فيجب علينا حساب فيما يكون فعله صواباً لأنه تعالى لا يأمرنا إلا بخير على سائر الاحول وإنما ينهانا عن الشر، ولكن نحن بإرادتنا نفعل ما نفعله صواباً كان أو خطأ . فقال له الملك : صدقت وإنما كان خطاي مني لميلي إلى الشهوات وقد حذرت نفسي من ذلك مراراً وحذرتني والدك شماس مراراً فغلبت نفسي على عقلي ، فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالباً على شهوات نفسي ؟ فأجاب الوزير : نعم . إنني أرى شيئاً يمنعك من ارتكاب هذا الخطأ وهو أنك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصي هواك وتطيع مولاك وترجع إلى سيرة الملك العادل أبيك وتعمل ما يجب عليك من حقوق الله تعالى وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الأمور وتنزل عن الظلم والجور والبغي والفساد وتستعمل العدل والإنصاف والخضوع وتمثل أوامر الله تعالى وتلازم الشفقة على خلقته الذين استخلفك عليهم وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك . لأنك إذا دام لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمته عنك وجعلك مهاباً عند كل من يراك وتتلاشى أعداؤك ويهزم الله تعالى جيوشهم وتصير عند الله مقبولاً وعند خلقه مهاباً محبوباً . فقال له الملك : لقد أحيت فؤادي ونورت قلبي بكلامك الحلو وجليت عين بصيرتي بعد العمى ، وأنا عازم على أن أفعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى وأترك ما كنت عليه من البغي والشهوات وأخرج نفسي من الضيق إلى السعة ومن الخوف إلى الأمن ، وينبغي ان تكون بذلك فرحاً مسروراً لأنني صرت لك ابناً مع كبر سني وصرت أنت لي والداً حبيباً على صغر سنك ، وصار من الواجب عليّ بذل المجهود فيما تأمرني به . وأنا أشكر فضل الله تعالى وفضلك فإن الله تعالى أولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همّي وغمّي ، وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك بأشرف معرفتك وحسن تدبيرك . فانت الآن مدبر للملكي لا أتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي وكل ما تفعله جازئ عليّ ولا راد لكلمتك وإن كنت صغير السن لأنك كبير العقل كثير المعرفة ، فاشكر الله الذي يسرّك لي حتى هديتني إلى سبيل الإستقامة بعد الإعوجاج المهلك . قال الوزير : أيها الملك السعيد ، أعلم أنه لا فضل لي عليك في بذل النصيحة لك لأن قولني من بعض ما يلزمني حيث كنت غريس نعمتك وليس هكذا أنا وحدي بل والدي من قبلي مغمور بجزيل نعمتك ، فنحن الجميع مقرّون بجميلك وفضلك . فكيف لا نفرّ بذلك وأنت أيها الملك راعينا وحاكمنا ومحارب عنّا أعداءنا ومتولّ حفظنا وحارسنا وباذل جهدك في سلامتنا؟ وإنما لو بذلنا أرواحنا في طاعتك لم نقم بواجب شكرك . ولكن نتضرّع إلى الله تعالى الذي ولاك علينا وحكمك فينا ، ونسأله أن يهب لك العمر الطويل ويمنحك النجاح في جميع أعمالك ولا يمتحنك بمحنة في زمانك ويبلغك مرادك ويجعلك مهاباً إلى حين مماتك ويسط بالكرم سواعذك حتى تقود كل عالم وتقهر كل معاند ، ويوجد بك في مملكتك كل عالم وشجاع وينزع منها كل جاهل وجبان ، ويرفع عن رعيتك الغلاء والبلاء ويزرع بينهم الإلفة والمحبة ويمتلك من الدنيا بفلاحها ومن الآخرة بصلاحها بمنه وكرمه وخفي لطفه أمين . إنه على كل شيء قدير وليس عليه أمر عسير وإليه المرجع والمصير . فلما سمع الملك منه هذا الدعاء حصل عنده غاية الفرح ومال إليه كل الميل وقال له : أعلم أيها

الوزير أنك صرت عندي في مقام الأخ والولد وليس يفصلني عنك إلا الموت، وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه، وإن لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضاً عني. فانت أولى من جميع أهل مملكتي فأوليك ملكي بحضرة أكابر مملكتي وأجعلك ولي عهدي من بعدي إن شاء الله تعالى. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك وردخان قال لابن شماس الوزير : سوف أستخلفك عني وأجعلك ولي عهدي من بعدي وأشهد على ذلك أكابر مملكتي بعون الله تعالى . ثم بعد ذلك دعا بكتابه فحضر بين يديه، فأمره أن يكتب إلى سائر كبراء دولته بالحضور إليه وأجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وأمر أن يجتمع الأمراء والقواد والحجاب وسائر أرباب الخدم إلى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء . وعمل الملك ديواناً عظيماً وسماطاً لم يعمل مثله قط، وعزم جميع الناس من الخاص والعام . فاجتمع الجميع على حظ وأكل وشرب مدة شهر، وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته وأعطى العلماء عطايا وافرة . ثم اختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وأدخلهم عليه وأمره أن ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم . فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم أكبرهم سناً وأكملهم عقلاً وأكثرهم دراية وأسرعهم حفظاً، ورأى من بهذه الصفات ستة أشخاص . فقدمهم إلى الملك والبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلاً : أنتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس، وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه أبداً ولو كان هو أصغركم سناً لأنه أكبركم عقلاً . ثم إن الملك اجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء وأجرى إليهم الأرزاق والنفقات . ثم أمرهم أن ينتخبوا من أكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الأجناد ليجعل منهم رؤساء ألوف ورؤساء مئين ورؤساء عشرات، ورتب لهم المرتبات وأجرى إليهم الأرزاق على عادة الكبراء . ففعلوا ذلك في أسرع وقت . وأمرهم أيضاً أن ينعموا على بقية من حضر بالإنعامات الجزيلة وأن يصرفوا كل واحد إلى أرضه بعز وإكرام وأمر عماله بالعدل في الرعية وأوصاهم بالشفقة على الفقراء والأغنياء وأمر بإسعافهم من الخزنة على قدر درجاتهم . فدعا له الوزراء بدوام العز والبقاء . ثم إنه أمر بزينة المدينة ثلاثة أيام شكر الله تعالى على ما حصل له من التوفيق . هذا ما كان من أمر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة وأمرائها وعمالها . وأما ما كان من أمر النساء المحظيات من السراري وغيرهن اللاتي كن سبباً لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن، فإنه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقرى إلى محله واستقامت أموره أمر الملك بالوزير الصغير السن الكبير العقل الذي هو ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء . فلما حضروا جميعاً بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم : أعلموا أيها الوزراء أنني كنت حائداً عن الطريق المستقيم مستغرقاً في الجهل معرضاً عن النصيحة ناقضاً للعهود والمواثيق مخالفاً لأهل النصيح، وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن إياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي وقبولي لذلك لاني كنت أظن أن كلامهن نصيح بسبب عذوبته ولينه، فإذا هو سم قاتل . والآن قد تقرر عندي أنهم لم يردن لي إلا الهلاك والتلف فقد استحقين

فلما كانت الليلة
930
عاشية

العقوبة والجزاء مني على جهة العدل حتى أجعلهن عبرة لمن اعتبر . لكن فما الرأي السديد في إهلاكهن ؟ فأجابه الوزير ابن شماس قائلاً : أيها الملك العظيم الشأن ، إنني قلت لك أولاً أن الذنب ليس مختصاً بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن . لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لأمريين : الأول تنفيذ قولك لكونك الملك الأعظم والثاني لتجاسرهن عليك وخذاعهن لك ودخولهن فيما لا يعنيهن وما لا يصلحن للتكلم فيه فهن أحق بالهلاك ، ولكن كفاهن ما هو نازل بهن ومن الآن إجعلهن بمنزلة الخدم والأمر إليك في ذلك وغيره . ثم إن بعض الوزراء أشار على الملك بما قاله ابن شماس ، وبعض الوزراء تقدّم إلى الملك ويسجد له وقال : أدام الله أيام الملك ، إن كان لا بد أن تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما أقوله لك . فقال الملك : ما الذي تقوله لي ؟ فقال له : أن تأمر إحدى محافظيك بأن تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذي حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمر أن يعطى لهن قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك أبدانهن ولا يؤذن إليهن في الخروج من ذلك الموضع أصلاً ، وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها إلى أن يموت عن آخرهن . وهذا أقل جزائهن لأنهن كن سبباً لهذه الفتنة العظيمة بل وأصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في الزمان . وصدق عليهن قول القائل : إن من حفر بئراً لآخيه وقع فيها ولو طالت سلامته . فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وأرسل خلف أربع محظيات جبارات وسلّم إليهن النساء وأمرهن أن يدخلنهن محل القتل ويسجنهن فيه ، وأجرى لهن طعاماً دينياً قليلاً وشراباً رديئاً . فكان من أمرهن أنهن حزنّ حزناً عظيماً وندمن على ما فرط منهنّ وتأسفن تأسفاً كثيراً ، وأعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي وأعدّ لهنّ العذاب في الآخرة . ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن . وشاع خبر هذه الواقعة في جميع البلاد والأقطار . وهذا ما انتهى إليه أمر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الأمم ومحبي الرمم ، المستحق للتجليل والإعظام والتقدّيس على الدوام .

81- حكاية أبو قير وأبو صير

ومما يحكى أيضاً أن رجلين كانا في مدينة الإسكندرية وكان أحدهما صباغاً واسمه أبو قير ، وكان الثاني مزيناً واسمه أبو صير ، وكانا جارين لبعضهما في السوق ، وكان المزين في جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصاباً كذاباً صاحب شرقي كائناً صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود ، لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس . وكان من عادته أنه إذا أعطاه أحد قماشاً ليصبغه يطلب منه الكرى أولاً ويوهمه أنه يشتري به أجزاء ليصبغ بها ، فيعطيه الكرى مقدماً . فإذا أخذه منه يصرفه على أكل وشرب ثم يبيع القماش الذي أخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الأكل والشرب وغير ذلك ، ولا يأكل إلا طيباً من أفخر الماكول ولا يشرب إلا من أجود ما يذهب العقول . فإذا اتاه صاحب القماش يقول له : في غد تجيء إليّ من قبل الشمس فتلقي حاجتك مصبوغة . فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه : يوم من يوم قريب . ثم يأتيه في ثاني يوم على الميعاد فيقول له : تعال في غد فإنني أمس ما كنت فاضياً لأنه كان عندي ضيوف فقمتم بواجبهم حتى راحوا ، في غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغاً . فيروح ويأتيه في

ثالث يوم فيقول له: إني كنت أمس معذوراً لأن زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وأنا أقضي مصالح، ولكن في غد من كل بدّ تعال خذ حاجتك مصبوغة. فيأتي له على الميعاد فيطلع له بحيلة أخرى من حيث كان ويحلف له. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 931
 قالت
 □ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الصباغ صار كلما أتى له صاحب الشيء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له. ولم يزل يوعده ويخلف إذا جاءه حتى يلقى الزبون ويقول له: كم تقول لي في غد اعطني حاجتي فإني لا أريد صباغاً. فيقول: والله يا أخي، أنا مستحي منك ولكن أخبرك بالصحيح والله يؤذي كل من يؤذي الناس في امتعتهم. فيقول له: أخبرني ماذا حصل؟ فيقول: أما حاجتك فإني صبغتها صباغاً ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدري من سرقها. فإن كان صاحب الحاجة من أهل الخير يقل له: يعوّض الله عليّ، وإن كان من أهل الشرّ يستمرّ معه في هتيكة وجرسه ولا يحصل منه شيئاً ولو اشتكاه إلى الحاكم. ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذّر بعضهم بعضاً من أبي قير ويضربون به الأمثال وامتنعوا عنه جميعاً وصار لا يقع معه إلا الجاهل بحاله، ومع ذلك لا بد له كل يوم من جرسه وهتيكة مع خلق الله فحصل له كساد بهذا السبب. فصار يأتي إلى دكان جاره المزين أبي صير ويقعد في داخلها قصاد المصبغة وينظر إلى باب المصبغة فإن رأى أحداً جاهلاً بحاله واقفاً على باب المصبغة ومعه شيء يريد صباغاً يقم من دكان المزين ويقول: مالك يا هذا؟ فيقول له: خذ اصبغ لي هذا الشيء. فيقول له: أي لون تطلبه؟ لأنه مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده أن يصبغ سائر الألوان ولكنه لم يصدق مع أحد أبداً والشقاوة غالبه عليه. ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له: هات الكرى لقدام وفي غد تعال خذها. فيعطيه الأجرة ويروح. وبعد أن يتوجه صاحب الشيء إلى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب إلى السوق فيبيعه ويشترى بثمانه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج إليه وإذا رأى أحداً واقفاً على الدكان من الذين أعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر إليه ولا يريه نفسه، ودام على هذه الحالة سنين. فاتفق له في يوم من الأيام أنه أخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجيء إليه في كل يوم فلم يره في الدكان لأنه متى رأى أحداً له عنده شيء يهرب منه في دكان المزين أبي صير. فلما لم يجده ذلك الجبار في دكانه وأعياء ذلك ذهب إلى القاضي وأتاه برسول من طرفه وسمّر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمها لأنه لم يره فيها غير بعض مواجير مكسّرة ولم يجد فيها شيئاً يقوم مقام حاجته. ثم أخذ الرسول المفتاح وقال للجيران: قولوا له يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي ليأخذ مفتاح دكانه. ثم ذهب الرجل والرسول إلى حالهما. فقال أبو صير لأبي قير: ما داهيتك؟ فإن كل من جاء لك بحاجة تعدمه إياها. أين راحت حاجة هذا الرجل الجبار؟ قال: يا جاري، إنها سرقت مني. قال أبو صير: عجائب، كل من أعطاك حاجة يسرقها منك لص، هل أنت معاد جميع اللصوص؟ ولكن اظن أنك تكذب فاخبرني بقصتك. قال: يا جاري، ما أحد سرق مني شيئاً. قال أبو صير: وما تفعل في متاع الناس؟ فقال له: كل من أعطاني حاجة أبيعها وأصرف ثمنها. قال له أبو صير: أيحل لك هذا من الله؟ قال له أبو قير: إنما أفعل هذا من الفقر لأن صنعتي كاسدة وأنا فقير

وليس عندي شيء . ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب ، وصار أبو صير يذكر له كساد صنعته أيضاً ويقول : أنا أسطى ليس لي نظير في هذه المدينة ولكن لا يحلق عندي أحد لكوني رجلاً فقيراً وكرهت هذه الصنعة يا أخي . فقال له أبو قير الصبأغ : وأنا أيضاً كرهت صنعتي من الكساد . ولكن يا أخي ، ما الداعي لإقامتنا في هذا البلد؟ فأنا وأنت نسافر منها ، نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في أيدينا رائجة في جميع البلاد . فإذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم . ولا زال أبو قير يحسن السفر لأبي صير حتى رغب في الإرتحال ثم إنهما اتفقا على السفر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أبا قير لا زال يحسن السفر لأبي صير حتى رغب في الإرتحال . ثم إنهما اتفقا على السفر وفرح أبو قير بأن أبا صير رغب في أن يسافر وأنشد قول الشاعر :

فلما كانت الليلة
932
الليلة
الليلة

[من الطويل]

تَغْرَبُ عَنْ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى	وَسَافِرٌ قَفِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفْرُجُ هَمُّهُ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ	وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ
وَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ غَمٌّ وَكُرْبَةٌ	وَتَشْتَبِتُ شَمْلٌ وَارْتِكَابُ شِدَائِدِ
فَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ	بِدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ

وحين عزمنا على السفر قال أبو قير لأبي صير : يا جاري ، نحن صرنا أخوين ولا فرق بيننا فينبغي أننا نقرأ الفاتحة على أن عاملنا يكتسب ويطعم بطلنا ومهما فضل نضعه في صندوق ، فإذا رجعنا إلى الإسكندرية نقسمه بيننا بالحق والإنصاف . قال أبو صير : وهو كذلك . وقرأ فاتحة على أن العامل يكتسب ويطعم البطل . ثم إن أبا صير قفل الدكان وأعطى المفاتيح لصاحبها وأبو قير ترك المفتاح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة وأخذنا مصالحيهما وأصبحا مسافرين ونزلا في غليون في البحر المالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما إسعاف . ومن تمام سعد المزيّن أن جميع من كان في الغليون لم يكن معهم أحد من المزيّنين وكان فيه مائة وعشرون رجلا غير الريس والبحرية . ولما حلوا قلعوا الغليون قام المزيّن وقال للصبأغ : يا أخي ، هذا بحر نحتاج فيه إلى الأكل والشرب وليس معنا إلا قليل . زاد وربما يقول لي أحد : تعال يا مزيّن احلق لي . فأحلق له برغيف أو بنصف فضة أو بشرية ماء فانتفع بذلك أنا وأنت . فقال له الصبأغ : لا بأس . ثم حط رأسه ونام ، وقام المزيّن وأخذ عدته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطة لأنه فقير وشق بين الركاب . فقال له واحد : تعال يا أسطى احلق لي ، فحلق له . فلما حلق لذلك الرجل أعطاه نصف فضة . فقال له المزيّن : يا أخي ، ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت أعطيتني رغيفاً كان أبرك في هذا البحر لأن لي رقيقاً وزادنا شيء قليل . فأعطاه رغيفاً وقطعة جبن وملا له الطاسة ماء حلواً فأخذ ذلك وأتى إلى أبي قير وقال له : خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما في الطاسة ، فأخذ ذلك منه وأكل وشرب . ثم إن أبا صير المزيّن بعد ذلك حمل عدته وأخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشق في الغليون بين الركاب فحلق لإنسان برغيفين ولآخر

بقطعة جبن، ووقع عليه الطلب وصار كل من يقول له احلق لي يا اسطى يشرط عليه رغيفين ونصف فضة وليس في الغليون مزين غيره، فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفاً وثلاثين نصفاً فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ، وصار كلما يطلب حاجة يعطونه إياها حتى صار عنده شيء كثير، وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد في السفر. فقال له القبطان: مرحباً بك، هات رفيقك في كل ليلة وتعشياً عندي ولا تحملاًهما ما دمتما مسافرين معنا. ثم رجع إلى الصباغ فرأه لم يزل نائماً فأيظنه. فلما أفاق أبو قير ورأى عند رأسه شيئاً كثيراً من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له: من أين لك ذلك؟ فقال: من فيض الله تعالى. فأراد أن يأكل فقال له أبو صير: لا تأكل يا أخي من هذا واتركه ينفعنا في وقت آخر، واعلم أنني حلقت للقبطان وشكوت إليه قلة الزيادة فقال لي: مرحباً بك، هات رفيقك كل ليلة وتعشياً عندي. فأول عشاءنا عند القبطان في هذه الليلة. فقال له أبو قير: أنا داخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكاني فدعني أتعشى من هذا الشيء ورح أنت وحدك عند القبطان. فقال له: لا بأس بذلك. ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرأه يقطع اللقمة كما يقطع الحجر من الجبل ويتلعها ابتلاع الفيل الذي له أيام ما أكل، ويلتهم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها ويحملك عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ نفخ الثور الجائع على التبن والفلو. وإذا بنوتي جاء وقال: يا اسطى، يقول لك القبطان: هات رفيقك وتعال للعشاء. فقال أبو صير لأبي قير: اتقوم بنا؟ فقال له: أنا لا أقدر على المشي. فراح المزين وحده فرأى القبطان جالساً وقدامه سفرة فيها عشرون لوناً وأكثر، وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه. فلما رآه القبطان قال له: أين رفيقك؟ فقال له: يا سيدي، إنه داخ من البحر. فقال له القبطان: لا بأس عليه ستزول عنه الدوخة، تعال أنت تعشياً معنا فإني كنت في انتظارك. ثم إن القبطان عزل صحن كباب وخط فيه من كل لون فصار يكفي عشرة. وبعد أن تعشى المزين قال له القبطان: خذ هذا الصحن معك إلى رفيقك. فأخذه أبو صير وأتى به إلى أبي قير فرأه يطحن بأنبابه فيما عنده من الأكل مثل الجمل، ويلحق اللقمة باللقمة على عجل. فقال له أبو صير: أما قلت لك لا تأكل فإن القبطان خيره كثير؟ فانظر أي شيء بعث إليك لما أخبرته بأنك داخ؟ فقال له: هات. فنأوله الصحن فأخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الأكل مثل الكلب الكاشر أو السبع الكاسر أو الرخ إذا انقض على الحمام أو الذي كاد أن يموت من الجوع ورأي شيئاً من الطعام وصار يأكل. فتركه أبو صير وراح إلى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع إلى أبي قير فرأه قد أكل جميع ما في الصحن ورماه فارغاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أبا صير لما رجع إلى أبي قير رآه قد أكل كل ما في الصحن ورماه فارغاً، فأخذه وأوصله إلى بعض أتباع القبطان ورجع إلى أبي قير ونام إلى الصباح. فلما كان ثاني الأيام صار أبو صير يحلق، وكلما جاء له شيء يعطيه لأبي قير وأبو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم إلا لإزالة الضرورة، وكل ليلة يأتي له بصحن ملآن من عند القبطان. واستمر على هذه الحالة عشرين يوماً حتى رسا الغليون على مينة مدينة، فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة في خان وفرشها أبو صير واشترى جميع ما يحتاجان إليه وجاء بلحم وطبخه، وأبو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى

فلما كانت الليلة
933
كانت الليلة

يقظه أبو صير ووضع السفارة بين يده . فلما أفاق أكل وبعد ذلك قال له : لا تؤاخذني فإني دايع
 ثم نام . واستمر على هذه الحالة أربعين يوماً وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور في المدينة
 فيعمل بالذي فيه النصيب ويرجع فيجد أبا قير نائماً فينبهه ، وحين ينتبه يقبل على الأكل بلهفة
 فيأكل أكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام . ولم يزل كذلك مدة أربعين يوماً أخرى ، وكلما يقول
 له أبو صير : إجلس ارتاح وأخرج نفسك في المدينة فإنها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن .
 يقول له أبو قير الصبأغ : لا تؤاخذني فإني دايع . فلا يرضى أبو صير المزين أن يكدر خاطره ولا
 يسمعه كلمة تؤذيه . وفي اليوم الحادي والأربعين مرض المزين ولم يقدر أن يسرح فسخر بواب
 الخان ففضى لهما حاجتهما وأتى لهما بما ياكلان وما يشربان ، كل ذلك وأبو قير يأكل وينام . وما
 زال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة أربعة أيام ، وبعد ذلك اشتد المرض على المزين
 حتى غاب عن الوجود من شدة مرضه . وأما أبو قير فإنه أحرقه الجوع فقام وفتش في ثياب أبي
 صير فرأى معه مقداراً من الدراهم فأخذه وقفل باب الحجره على أبي صير ومضى ولم يعلم
 أحداً ، وكان البواب في السوق فلم يره حين خروجه . ثم إن أبا قير عمد إلى السوق وكسا نفسه
 ثياباً نفيسة وصار يدور في المدينة ويتفرج ، فرأها مدينة ما وجد مثلها في المدائن وجميع ملبوسها
 أبيض وأزرق من غير زيادة . فأتى إلى صبأغ فرأى جميع ما في دكانه أزرق ، فأخرج له محرمة
 وقال له : يا معلم ، خذ هذه المحرمة واصبغها وخذ أجرتك . فقال له : إن أجره صبأغ هذه عشرون
 درهماً . فقال له : نحن نصبغ هذه في بلادنا بدرهمين . فقال له : رح اصبغها في بلادكم وأما أنا
 فلا أصبغها إلا بعشرين درهماً لا تنقص عن هذا القدر شيئاً . فقال له أبو قير : أي لون تريد
 صبغها ؟ قال له الصبأغ : أصبغها زرقاء . قال له أبو قير : أنا مرادي أن تصبغها لي حمراء . قال له :
 لا أدري صبأغ الأحمر . قال : خضراء . قال : لا أدري صبأغ الأخضر . قال : صفراء . قال له : لا
 أدري صبأغ الأصفر . وصار أبو قير يعدد له الألوان لونها بعد لون . فقال له الصبأغ : نحن في
 بلادنا أربعون معلماً لا يزيدون واحداً ولا ينقصون واحداً وإذا مات منا واحد نعلم ولده ، وإن لم
 يخلف ولدنا نبقى ناقصين واحداً ، والذي له ولدان نعلم واحداً منهما فإن مات علمنا أخاه ،
 وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف أن نصبغ غير الأزرق من غير زيادة . فقال له أبو قير الصبأغ :
 أعلم أنني أنا صبأغ وأعرف أن أصبغ سائر الألوان ، ومرادي أن تخدمني عندك بالآجرة وأنا
 أعلمك جميع الألوان لأجل أن تفتخر بها على كل طائفة الصبأغين . فقال له : نحن لا نقبل غريباً
 يدخل في صنعتنا أبداً . فقال له : وإذا فتحت لي مصبغة وحدي ؟ قال له : لا يمكنك ذلك أبداً .
 فتركه وتوجه إلى الثاني فقال له كما قال له الأول . ولم يزل ينتقل من صبأغ إلى صبأغ حتى
 طاف على الأربعين معلماً فلم يقبلوه لا أجيراً ولا معلماً ، فتوجه إلى شيخ الصبأغين وأخبره . فقال
 له : إننا لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا . فحصل عند أبي قير غيظ عظيم وطلع يشكو إلى ملك
 تلك المدينة وقال له : يا ملك الزمان ، أنا غريب وصنعتي الصبأغة وجرى لي مع الصبأغين ما هو
 كذا وكذا ، وأنا أصبغ الأحمر ألواناً مختلفة كوردي وعنابي والأخضر ألواناً مختلفة كزرعي
 وفستقي وجناح الدرة والأسود ألواناً مختلفة كفحمي وكحلي والأصفر ألواناً مختلفة كنانجي .
 وصار يذكر له سائر الألوان ثم قال : يا ملك الزمان ، كل الصبأغين الذين في مدينتك لا يخرج
 من أيديهم أن يصبغوا شيئاً من هذه الألوان ولا يعرفون إلا صبأغ الأزرق ولم يقبلوني أن أكون

عندهم معلماً ولا أجيئاً. فقال له الملك: قد صدقت في ذلك، ولكن أنا افتح لك مصبغة وأعطيك رأس مال وما عليك منهم، وكل من تعرّض لك شنتته على باب دكانه. ثم أمر البنائين وقال لهم: امضوا مع هذا المعلم وشقوا أنتم وإياه في المدينة وأبي مكان أعجبه فأخرجوا صاحبه منه سواء كان دكاناً أو خاناً أو غير ذلك، وابنوا له مصبغة على مراده، ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول. ثم إن الملك البسه بدلة مليحة وأعطاه ألف دينار وقال له: اصرفها على نفسك حتى تتم البناية. وأعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصاناً بعدة مزرکشة. فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنه أمير، وأخلى له الملك بيتاً وأمر بفرشه، وفرشوه له. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 934
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك أخلى بيتاً لأبي قير وأمر بفرشه. وفرشوه له وسكن فيه وركب في ثاني يوم وشق في المدينة والمهندسون قدماه، ولم يزل يتأمل حتى أعجبه مكان فقال: هذا المكان طيب. فأخرجوا صاحبه منه وأحضروه إلى الملك، فأعطاه ثمن مكانه زيادة على ما يرضيه. ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنائين: ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا، حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير. ثم حضر إلى الملك وأخبره بأن المصبغة تم بناؤها وإنما تحتاج لثمن من أجل إدارتها. فقال له الملك: خذ هذه الأربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وأرني ثمرة مصبغتك. فأخذها ومضى إلى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن، فاشترى جميع ما يحتاج إليه من حواتج الصباغ. ثم إن الملك أرسل إليه خمسمائة شقة من القماش، فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الألوان ثم نشرها قدام باب المصبغة. فلما مر الناس عليها رأوا شيئاً عجيباً عمرهم ما رأوا مثله. فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرّجون ويسألونه ويقولون له: يا معلم، ما اسم هذه الألوان؟ فيقول لهم: هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر، ويذكر لهم أسامي الألوان. فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له: اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب. ولما فرغ من صباغ قماش الملك أخذه وطلع به إلى الديوان، فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وأنعم عليه إنعاماً زائداً، وصار جميع العسكر يأتون إليه بالقماش ويقولون له: اصبغ لنا هكذا. فيصبغ لهم على أغراضهم ويرمون عليه الذهب والفضة. ثم إنه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان، ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر أحد منهم أن يتكلم معه وإنما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون إليه مما سبق منهم في حقّه ويعرضون أنفسهم عليه ويقولون له: إجعلنا خدماً عندك. فلم يرض أن يقبل واحد منهم. وصار عنده عبيد وجواري وجمع مالا كثيراً. هذا ما كان من أمر أبي قير. وأما ما كان من أمر أبي صير، فإنه لما قفل عليه أبو قير باب الحجر بعد أن أخذ دراهمه، راح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود، فصار مرمياً في تلك الحجر والباب مقفول عليه واستمر كذلك ثلاثة أيام. فانتبه بواب الخان إلى باب الحجر فرآه مقفولاً ولم ير أحداً من هذين الإثنين إلى المغرب ولم يعلم لهما خبر. فقال في نفسه: لعلهما سافرا ولم يدفعوا أجره الحجر أو ماتا أو ما خبرهما؟ ثم إنه أتى إلى باب الحجر فرآه مقفولاً وسمع أنين المزين في

داخلها ورأى المفتاح في الضبة، ففتح الباب ودخل فرأى المزين فقال له : لا بأس عليك ، أين رفيقك ؟ فقال له : والله إني ما فقت من مرضي إلا في هذا اليوم وصرت أنادي وما أحد يرد عليّ جواباً ، بالله عليك يا أخي أن تنظر الكيس تحت رأسي وتأخذ منه خمسة أنصاف وتشتري لي بها شيئاً اقتات به فإني في غاية الجوع . فمدّ يده وأخذ الكيس فرأه فارغاً فقال للمزين : إن الكيس فارغ ما فيه شيء . فعرف أبو صير المزين أن أبا قير أخذ ما فيه وهرب . فقال له : أما رأيت رفيقي ؟ فقال له : من مدة ثلاثة أيام ما رأيتك وما كنت أظن إلا أنك سافرت أنت وإياه . فقال له المزين : ما سافرنا وإنما طمع في فلوسي فأخذها وهرب حين رأني مريضاً ثم إنه بكى وانتحب . فقال له بواب الخان : لا بأس عليك وهو يلقي فعله من الله . ثم إن بواب الخان راح وطبخ له شوربة وغرف له صحناً وأعطاه إياه . ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان به . ثم قام على أقدامه وقال لبواب الخان : إن أقدرنى الله تعالى جازيتك على ما فعلت من الخير ، ولكن لا يجازي إلا الله من فضله . فقال له بواب الخان : الحمد لله على العافية ، أنا ما فعلت معك ذلك إلا ابتغاء وجه الله الكريم . ثم إن المزين خرج من الخان وشق في الأسواق فأتت به المقادير إلى السوق الذي فيه مصبغة أبي قير ، فرأى الأقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها . فسأل رجلاً من أهل المدينة وقال له : ما هذا المكان ؟ وما لي أرى الناس مزدحمين ؟ فقال له المسؤول : إن هذه مصبغة السلطان التي أنشأها لرجل غريب اسمه أبو قير ، وكلما صبغ ثوباً تجتمع عليه وتفرج على صباغه لأن بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صباغ هذه الألوان وجرى له مع الصباغين الذين في البلد ما جرى ، وأخبره بما جرى بين أبي قير وبين الصباغين وإنه شكاهم إلى السلطان ، فأخذ بيده وبنى له هذه المصبغة وأعطاه كذا وكذا وأخبره بكل ما جرى . ففرح أبو صير وقال في نفسه : الحمد لله الذي فتح عليه وصار معلماً ، والرجل معذور لعله التهى عنك بالصنعة ونسيك . ولكن أنت عملت معه معروفاً وأكرمته وهو بطال فمتى رآك فرح بك وأكرمك في نظير ما أكرمته . ثم إنه تقدّم إلى جهة باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه أربعة عبيد وأربعة مماليك بيض لابسين أفخر الملابس ، ورأى الصنایعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون ، لأنه حين اشتراهم علمهم صنعة الصباغة ، وهو قاعد بين الخدات كأنه وزير أعظم أو ملك أفخر ، لا يعمل شيئاً بيده وإنما يقول لهم : افعلوا كذا وكذا . فوقف أبو صير قدامه وهو يظن أنه إذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره . فلما وقعت العين في العين قال له أبو قير : يا خبيث ، كم مرة وأنا أقول لك لا تقف في باب هذا الدولاب ؟ هل مرادك أن تفضحني مع الناس يا حرامي ؟ إمسكوه . فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام أبو قير على حيله وأخذ عصي وقال : إرموه . فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة وقال له : يا خبيث يا خائن ، إن نظرتك بعد هذا اليوم واقفاً على باب هذه المصبغة أرسلتك إلى الملك في الحال فيسلمك إلى الوالي ليرمي عنقك . إمش لا بارك الله لك . فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من الضرب والترذيل . فقال الحاضرون لأبي قير الصباغ : أي شيء عمل هذا الرجل ؟ فقال لهم : إنه حرامي يسرق أقمشة الناس . وأدرك شهرزاد الصباغ فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أبا قير ضرب أبا صير وطرده وقال للناس : إن هذا حرامي يسرق أقمشة الناس ، فإنه سرق مني كم مرة من القماش وأنا أقول في نفسي : سامحه الله فإنه رجل فقير . لم أرض أن أشوش عليه ، وأعطي الناس ثمن أقمشتهم وأنهاه بلطف فلم ينته . فإن رجع مرة غير هذه المرة أرسلته إلى الملك فيقتله ويريح الناس من آذاه . فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه . هذا ما كان من أمر أبي قير . وأما ما كان من أمر أبي صير فإنه رجع إلى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به أبو قير ، ولم يزل جالساً حتى برد عليه الضرب . ثم خرج وشق في أسواق المدينة فخطر بباله أن يدخل الحمام . فسأل رجلاً من أهل المدينة وقال له : يا أخي ، من أين طريق الحمام ؟ فقال : وما يكون الحمام ؟ فقال له : موضع تغتسل فيه الناس ويزيلون ما عليهم من الأوساخ وهو من أطيب طبيبات الدنيا . فقال له : عليك بالبحر . قال : أنا مرادي الحمام . قال له : نحن لم نعرف الحمام كيف يكون فإننا كلنا نروح إلى البحر حتى الملك إذا أراد أن يغتسل فإنه يروح إلى البحر . فلما علم أبو صير أن المدينة لم يكن فيها حمام وأهلها لا تعرف الحمام ولا كيفيته ، مضى إلى ديوان الملك ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له وقال له : أنا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي ، فدخلت مدينتك وأردت الذهاب إلى الحمام فما رأيت فيها ولا حماماً واحداً ، والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام ؟ مع أنه من أحسن نعيم الدنيا . فقال له الملك : أي شيء يكون الحمام ؟ فصار يحكي له أوصاف الحمام وقال له : لا تكون مدينتك كاملة إلا إذا كان بها حمام . فقال له الملك : مرحباً بك . والسبه بدلة ليس لها نظير وأعطاه حصاناً وعبدین ثم أنعم عليه بأربع جوار ومملوكين وهيالها داراً مفروشة وأكرمه أكثر من الصبّاغ وأرسل معه البنائين وقال لهم : الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماماً . فأخذهم وشقّ بهم في وسط المدينة حتى أعجبه مكان ، فأشار لهم عليه فدوروا فيه البناية ، وصار يرشدهم إلى كيفيته حتى بنوا له حماماً ليس له نظير . ثم أمرهم بنقشه ، فنقشوه نقشاً عجباً حتى صار بهجة للناظرين . ثم طلع إلى الملك وأخبره بفرأغ بناء الحمام ونقشه وقال له : إنه لم يكن ناقصاً غير الفرش . فأعطاه الملك عشرة آلاف دينار . فأخذها وفرش الحمام وصف فيه الفوط على الحبال ، وصار كل من مرّ على باب الحمام يشخص له ويحتار فكره في نقشه ، وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما راوا مثله في عمرهم ، وصاروا يتفرجون عليه ويقولون : أي شيء هذا ؟ فيقول لهم أبو صير ؟ هذا حمام . فيتعجبون منه . ثم إنه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلاً في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من أهل المدينة ، وطلب من الملك عشرة ممالك دون البلوغ . فأعطاه عشرة ممالك مثل الأقمار . فصار يكيسهم ويقول لهم : إفعلوا مع الزبائن هكذا . ثم أطلق البخور وأرسل منادياً ينادي في المدينة ويقول : يا خلق الله ، عليكم بالحمام فإنه يسمّى حمام السلطان . فأقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر الممالك أن يغسلوا أجساد الناس ، وصار الناس ينزلون المغطس ويطلعون ، وبعد طلوعهم يجلسون في اللوان والممالك تكيسهم مثل ما علمهم أبو صير . واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجره مدة ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع عزم الملك إلى الحمام ، فركب هو وأكابر دولته وتوجهوا إلى الحمام . فقلع ودخل فدخل أبو صير وكيس الملك

وأخرج من جسده الوسخ مثل الفئاضل وصار يريه له . ففرح الملك و صار وضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة . وبعد أن غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس ، فنزل الملك في المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رآه . ثم بعد ذلك أجلسه في اللبوان وصارت الممالك يكيسونه والمباخر تفرح بالعود الند . فقال الملك : يا معلم ، أهذا هو الحمّام ؟ قال : نعم . فقال له : وحياء رأسي ، إن مدينتي ما صارت مدينة إلا بهذا الحمّام . ثم قال له : أنت تأخذ على كل رأس أي شيء أجره ؟ قال أبو صير : الذي تأمر لي به أخذه . فأمر له بالف دينار وقال له : كل من اغتسل عندك خذ منه ألف دينار . فقال له : العفو يا ملك الزمان ، إن الناس ليسوا سواء بل فيهم الغني وفيهم الفقير وإذا أخذت من كل واحد ألف دينار يبطل الحمّام ، فإن الفقير لا يقدر على الألف دينار . قال الملك : وكيف تفعل في الأجره ؟ قال : أجعل الأجره بالمروءة ، فكل من يقدر على شيء وسمحت به نفسه يعطيه ، فأتخذ من كل إنسان على قدر حاله . فإن الأمر إذ كان كذلك تأتي إلينا الخلائق ، والذي يكون غنياً يعطي على قدر مقامه والذي يكون فقيراً يعطي على قدر ما تسمح به نفسه . فإذا كان الأمر كذلك يدور الحمام ويبقى له شأن عظيم . وأما الألف دينار فإنها عطية الملك ولا يقدر عليها كل أحد . فصدّق عليه أكابر الدولة وقالوا : هذا هو الحق يا ملك الزمان ، أتحسب أن الناس كلهم مثلك أيها الملك العزيز ؟ قال الملك : إن كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقير وإكرامه واجب علينا ، فإنه عمل في مدينتنا هذا الحمّام الذي عمرنا ما رأينا مثله ولا تزيت مدينتنا وصار لها شأن إلا به ، فإذا أكرمناه بزيادة الأجره ما هو كثير . فقالوا : إذا كنت تكرمه فأكرمه من مالك ، وإكرام الفقير من الملك بقلة أجره الحمّام لأجل أن تدعوك الرعية . وأما الألف دينار فنحن أكابر دولتك ولا تسمح أنفسنا بإعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء ؟ فقال الملك : يا أكابر دولتي ، كل منكم يعطيه في هذه المرة مائة دينار ومملوكاً وجارية وعبداً . فقالوا : نعم نعطي ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه إلا ما تسمح به نفسه . فقال : لا بأس بذلك . فجعل الأكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكاً وعبداً ، وكان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم أربعمائة نفس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 936
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أنه كان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في ذلك اليوم أربعمائة نفس ، فصار جملة ما أعطوه من الدنانير أربعين ألف دينار ، ومن الممالك أربعمائة مملوك ، ومن العبيد أربعمائة عبد ، ومن الجوّاري أربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية . وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة ممالك وعشر جوار وعشرة عبيد . فتقدّم أبو صير وقبّل الأرض بين أيادي الملك وقال له : أيها الملك السعيد صاحب الرأي الرشيد ، أي مكان يسعني بهذه الممالك والجوّاري والعبيد ؟ فقال له الملك : أنا ما أمرت دولتي بذلك إلا لأجل أن تجمع لك مقداراً عظيماً من المال لأنك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت إليهم وأردت السفر إلى أوطانك فتكون أخذت من بلادنا مقداراً جسيماً من المال تستعين به على وقتك في بلادك . قال : يا ملك الزمان أعزك الله ، إن هذه الممالك والجوّاري والعبيد الكثيرة شأن الملوك ولو كنت أمرت لي بمال نقد لكان خيراً لي من هذا الجيش ، فإنهم يأكلون ويشربون

ويلبسون ومهما حصلت من المال لا يكفيهم في الإنفاق عليهم . فضحك الملك وقال : والله إنك قد صدقت ، فإنهم صاروا عسكرياً جرأراً وانت ليس لك مقدرة على الإنفاق عليهم ، ولكن أتبيعهم لي كل واحد بمائة دينار ؟ فقال : بعثك إياهم بهذا الثمن . فأرسل الملك إلى الخازن دار ليحضر له المال فأحضره ، وأعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال . ثم بعد ذلك أنعم بهم على أصحابهم وقال : كل من يعرف عبده أو جاريته أو مملوكه فليأخذهم هدية إليكم . فامتثلوا أمر الملك وأخذ كل واحد منهم ما يخصه . فقال له أبو صير : أراحك الله يا ملك الزمان كما أرحتني من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر أن يشبعهم إلا الله . فضحك الملك من كلامه وصدق عليه ثم أخذ أكابر دولته وذهب من الحمام إلى سرايته . وبات تلك الليلة أبو صير وهو يصرد الذهب ويضعه في الأكياس ويختم عليه ، وكان عنده عشرون عبداً وعشرون مملوكاً وأربع جوار يرسم الخدمة . فلما أصبح الصباح فتح الحمام وأرسل منادياً ينادي ويقول : كل من دخل الحمام واغتسل فإنه يعطي ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروءته . وقعد أبو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزبائن ، وصار كل من طلع يحط الذي يهون عليه ، فما أمسى المساء حتى امتلا الصندوق من خير الله تعالى . ثم إن الملكة طلبت دخول الحمام ، فلما بلغ أبا صير ذلك قسم النهار من أجلها قسمين : وجعل من الفجر إلى الظهر قسم الرجال ، ومن الظهر إلى الغروب قسم النساء . ولما أتت الملكة أوقف جارية خلف الصندوق ، وكان عثم أربع جوار البلانة حتى صرن بلانات ماهرات . فلما دخلت الملكة أعجبها ذلك وانشرح صدرها وحطت ألف دينار . وشاع ذكره في المدينة ، وصار كل من دخل يكرمه سواء كان غنياً أو فقيراً ، فدخل عليه الخير من كل باب وتعرف بأعوان الملك وصار له أصحاب وأحباب ، وصار الملك يأتي إليه في الجمعة يوماً ويعطيه ألف دينار وبقية أيام الجمعة للأكابر والفقراء ، وصار يأخذ بخاطر الناس ويلطفهم غاية الملاطفة . فاتفق أن قبطان الملك دخل عليه في الحمام يوماً من الأيام فقلع أبو صير ودخل معه وصار يكيسه ولاطفه ملاطفة زائدة ، ولما خرج من الحمام عمل له الشربات والقهوة . فلما أراد أن يعطيه شيئاً حلف أنه لا يأخذ منه شيئاً . فحمل القبطان جميله لما رأى من مزيد لطفه به وإحسانه إليه وصار متحيراً فيما يهديه إلى ذلك الحمامي في نظير إكرامه له . هذا ما كان من أمر أبي صير . وأما ما كان من أمر أبي قير ، فإنه سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول : إن هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك ، إن شاء الله يا فلان تدخل بنا غداً هذا الحمام النقيس . فقال أبو قير في نفسه : لا بد أن أروح مثل الناس وأنظر هذا الحمام الذي أخذ عقول الناس . ثم إنه لبس أفخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة وأخذ معه أربعة عبيد وأربعة مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه إلى الحمام ثم إنه نزل في باب الحمام . فلما صار عند الباب شم رائحة العود الند وراى ناساً داخلين وناساً خارجين وراى المساطب ملأنة من الأكابر والأصاغر . فدخل الدهليز فرأه أبو صير فقام إليه وفرح به . فقال له أبو قير : هل هذا شرط أولاد الحلال ؟ وأنا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة وأنت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول أين رفيقي ؟ وأنا عجزت وأنا أفتش عليك وأبعث عبيدي وماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الأماكن فلا يعرفون طريقك ولا أحد يخبرهم بخبرك . فقال له أبو صير : أما جئت إليك وجعلتني لصاً وضربتني وهكتني بين الناس ؟ فأغتم أبو قير وقال : أي شيء هذا الكلام ؟ هل

هو أنت الذي ضربتك؟ فقال له أبو صير: نعم هو أنا. فحلف له أبو قير ألف يمين أنه ما عرفه وقال: إنما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت أنك هو. وحصار يتندم ويضرب كفاً على كفاً ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم قد أسأناك، ولكن يا ليتك عرفتني بنفسك وقلت أنا فلان، فالعيب عندك لكونك لم تعرفني بنفسك خصوصاً وأنا مدهوش من كثرة الأشغال. فقال له أبو صير: سامحك الله يا رفيقي، وهذا الشيء كان مقدراً في الغيب والجبر على الله. أدخل اقلع ثيابك واغتسل وانسبط. فقال له: بالله عليك أن تسامحني يا أخي. فقال له: ابرأ الله ذمتك وسامحك فإنه كان أمر مقدراً علي في الأزل. ثم قال له أبو قير: ومن أين لك هذه السيادة؟ فقال له: الذي فتح عليك فتح علي، فإني طلعت إلى الملك وأخبرته بشأن الحمام فأمر لي ببناؤه. فقال له أبو قير: وكما إنك معرفة الملك فإنا الآخر معرفته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة كانت ليلة 937

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن أبا قير لما تعاتب هو وأبو صير قال له: كما أنت معرفة الملك أنا الآخر معرفته، وإن شاء الله تعالى أنا أختيه يحبك ويكرمك زيادة على الإكرام من أجلتي فإنه لم يعرف أنك رفيقي، فإنا أعرّفه بأنك رفيقي وأوصيه عليك. فقال له: ما احتاج إلى وصية، فإن المحن موجود وقد أحبني الملك هو وجميع دولته وأعطاني كذا وكذا وأخبره بالخبر. ثم قال له: إقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمام وأنا أدخل معك لأجل أن أكيسك. فخلع ماعليه ودخل الحمام ودخل معه أبو صير وكيسه وصبه والبسه واشتغل به حتى خرج. فلما خرج أحضر له الغداء والشربات، وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة إكرامه له. ثم بعد ذلك أراد أبو قير أن يعطيه شيئاً، فحلف أنه لا يأخذ منه شيئاً وقال له: استرح من هذا الأمر وأنت رفيقي وليس بيننا فرق. ثم إن أبا قير قال لأبي صير: يا رفيقي، والله إن هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة. فقال له: وما نقصها؟ قال له: الدواء الذي هو عقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة. فاعمل هذا الدواء فإذا أتى الملك فقلّمه إليه وعلمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حباً شديداً ويكرمك. فقال له: صدقت، إن شاء الله أصنع ذلك. ثم إن أبا قير خرج وركب بغلته وذهب إلى الملك ودخل عليه وقال له: أنا ناصح لك يا ملك الزمان. فقال له: وما نصيحتك؟ فقال: بلغني خبر وهو أنك بنيت حماماً. قال: نعم قد أتاني رجل غريب فأنشأته له كما أنشأت لك هذه المصبغة، وهو حمام عظيم وقد تزيت مدينتي به. وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام. فقال له أبو قير: وهل دخلته؟ قال: نعم. قال: الحمد لله الذي نجّك شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامي. فقال له الملك: وما شأنه؟ قال أبو قير: أعلم يا ملك الزمان أنك إن دخلته بعد هذا اليوم فإنك تهلك. فقال له: لاي شيء؟ فقال له: إن الحمامي عدوك وعدو الدين، فإنه ما حملك على إنشاء هذا الحمام إلا لأن مراده أن يدخل عليك فيه السم، فإنه صنع لك شيئاً وإذا دخلته يأتيك به ويقول لك: هذا دواء كل من دهن به تحتته يرمى الشعر منه بسهولة. وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسم قاتل وإن هذا الخبيث قد وعدده سلطان النصراني أنه إن قتلك يفتك له زوجته وأولاده من الأسر. فإن زوجته وأولاده مأسورون عند سلطان النصراني وكنت مأسوراً معه في بلادهم، ولكن أنا فتحت مصبغة وصبغت لهم

الواناً فاستعطفوا عليّ قلب الملك فقال لي الملك : أي شيء تطلب ؟ فطلبت منه العتق فأعتقني وجئت إلى هذه المدينة ورأيت في الحمام . فسأته وقلت له : كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك وأولادك ؟ فقال : لم أزل أنا وزوجتي وأولادي مأسورين ، حتى إن ملك النصارى عمل ديواناً فحضرت في جملة من حضر وكنت واقفاً من جملة الناس ، فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك إلى أن ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك النصارى وقال : ما قهرني في الدنيا إلا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لي على قتله فأني أعطيه كل ما يتمنى . فتقدمت أنا إليه وقلت له : إذا تحيلت لك على قتله هل تعتقني أنا وزوجتي وأولادي ؟ فقال لي : نعم اعتقكم وأعطيك كل ما تتمنى . ثم إنني اتفقت أنا وإياه على ذلك وأرسلني في غليون إلى هذه المدينة وطلعت إلى هذا الملك فبنى لي هذا الحمام ، وما بقي عليّ إلا أن أقتله وأروح إلى ملك النصارى وأفدي أولادي وزوجتي وأمتي عليه . فقلت : وما الحيلة التي دبّرتها في قتله حتى تقتله ؟ قال لي : هي حيلة سهلة أسهل ما يكون ، فإنه يأتي إليّ في هذا الحمام وقد اصطنعت له شيئاً فيه سم ، فإذا جاء أقول له : خذ هذا الدواء وادهن به تحتك فإنه يسقط الشعر . فيأخذه ويدهن به تحته فيلعب السم فيه يوماً وليلة حتى يسري إلى قلبه فيهلكه والسلام . فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليك لأن خيرك عليّ وقد أخبرتك بذلك . فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضباً شديداً وقال للصبّاغ : أكنتم هذا السرّ . ثم طلب الرواح إلى الحمام حتى يقطع الشك باليقين . فلما دخل الملك الحمام تعرّى أبو صير على جري عادته وتقيد بالملك وكيسه وبعد ذلك قال له : يا ملك الزمان ، إنني عملت دواء لتنظيف الشعر تحتاني . فقال : أحضره لي . فأحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصحّ عنده أنه سمّ فغضب وصاح على الأعوان وقال : إمسكوه . فقبض عليه الأعوان وخرج الملك وهو ممتزج بالغضب ولا أحد يعرف سبب غضبه ، ومن شدة غضب الملك لم يخبر أحداً ولم يتجاسر أحد على أن يسأله . ثم إنه لبس وطلع الديوان ثم أحضر أبا صير بين يديه وهو مكتّف ثم طلب القبطان فحضر . فلما حضر القبطان قال له الملك : خذ هذا الخيث وحطّه في زكية وحط في الزكية قطارين جيراً من غير طفي واربط فمها عليه هو والجير ثم ضعها في الزورق وتعال تحت قصري فتراني جالساً في شباك وقل لي : هل أرميه ؟ فأقول لك : إرمه . فإذا قلت لك ذلك فارمه حتى ينطفي الجير عليه لأجل أن يموت غريقاً حريقاً . فقال : سمعاً وطاعة . ثم أخذه من قدام الملك إلى جزيرة قصاد قصر الملك وقال لأبي صير : يا هذا ، أنا جئت عندك مرة واحدة في الحمام فأكرمتني وقمت بواجبي وانبسبت منك كثيراً وحلفت أنك لم تأخذ مني أجره ، وأنا قد أحببتك محبة شديدة . فأخبرني ما قضيتك مع الملك ؟ وأي شيء صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وأمرني أن تموت هذه الميتة الرديئة ؟ فقال له : والله ما عملت شيئاً وليس عندي علم بذنب فعلته معه يستوجب هذا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القبطان لما سأل أبا صير عن سبب غضب الملك عليه قال له : والله يا أخي ما عملت معه شيئاً قبيحاً يستوجب هذا . فقال له القبطان : إن لك عند الملك مقاماً عظيماً ما ناله أحد قبلك وكل ذي نعمة محسود ، ففعل أحداً حسدك على هذه النعمة ورمى في حلق بعض كلام عند الملك حتى إن الملك غضب عليك هذا

فلما كانت الليلة كان
938
كانت الليلة

الغضب؟ ولكن مرحباً بك وما عليك من بأس، فكما أنك أكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فانا اخلصك. ولكن إذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون إلى ناحية بلادك فارسك معه. فقبل أبو صير يد القبطان وشكره على ذلك. ثم إنه احضر الجير ووضعه في زكية ووضع فيها حجراً كبيراً قدر الرجل وقال: توكلت على الله. ثم إن القبطان اعطى ابا صير شبكة وقال له: إرم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئاً من السمك، لأن سمك مطبخ الملك مرتب عليّ في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي اصابتك فأخاف أن تأتي غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه، فإذا كنت تصطاد شيئاً فإنهم يجدونه حتى أروح أعمل الحيلة تحت القصر وأجعل اني رमितك. فقال له أبو صير: انا اصطاد ورح انت والله يعينك. فوضع الزكية في الزورق وسار إلى أن وصل تحت القصر فرأى الملك جالساً في الشباك فقال: يا ملك الزمان هل أرميه؟ فقال له: إرمه. وأشار بيده وإذا بشيء برق ثم سقط في البحر، وإذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك وكان مرصوداً بحيث إذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فيقع رأسه من بين كتفيه، وما اطاعته العساكر ولا قهر الجبابرة إلا بسبب هذا الخاتم. فلما وقع الخاتم من إصبه كتم أمره ولم يقدر أن يقول: خاتمي وقع في البحر خوفاً من العسكر أن يقوموا عليه فيقتلوه فسكت. هذا ما كان من أمر الملك. وأما ما كان من أمر أبي صير فإنه بعد ذهاب القبطان أخذ الشبكة وطرحتها في البحر وسحبها فطلعت مائة سمكاً. ثم طرحها ثانياً فطلعت مائة سمكاً أيضاً. ولم يزل يطرحتها وهي تطلع مائة سمكاً حتى صار قدامه كوم كبير من السمك. فقال في نفسه: والله إن لي مدة طويلة ما أكلت السمك. ثم إنه نقى له سمكة كبيرة سمينة وقال: لما يأتي القبطان أقول له يقلي لي هذه السمكة لاتغذى بها. ثم إنه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين في نخشوشها فرأى خاتم الملك فيه لأنها كانت ابتلعته، ثم ساقتها القدرة إلى تلك الجزيرة ووقعت في الشبكة. فأخذ الخاتم ولبسه في خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص وإذا بغلامين من خدام الطباخ أتيا لطلب السمك. فلما صارا عند أبي صير قالوا: يا رجل، أين راح القبطان؟ فقال: لا أدري. وأشار بيده اليمنى وإذا برأسي الغلامين وقعا من بين اكتافهما حين أشار إليهما وقال: لا أدري. فتعجب أبو صير من ذلك وجعل يقول: يا ترى من قتلها؟ وصعبا عليه وصار يتفكر في ذلك وإذا بالقبطان أقبل فرأى كوماً كبيراً من السمك ورأى الإثنين مقتولين ورأى الخاتم في إصبع أبي صير فقال له: يا أخي، لا تحرك يدك التي فيها الخاتم فإنك إن حركتها قتلتني. فتعجب من قوله لا تحرك يدك التي فيها الخاتم لأنك إن حركتها قتلتني. فلما وصل له القبطان قال: من قتل هذين الغلامين؟ قال له أبو صير: والله يا أخي لا أدري. قال: صدقت. ولكن أخبرني عن هذا الخاتم من أين وصل إليك؟ قال: رأيته في نخشوش هذه السمكة. قال: صدقت فإني رأيته نازلاً يبرق من قصر الملك حتى سقط في البحر وقت أن أشار إليك وقال لي: إرمه. فإنه لما أشار رميت الزكية وكان سقط من إصبه ووقع في البحر فابتلعته هذه السمكة وساقها الله إليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك. ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم؟ قال أبو صير: لا أدري له خواصاً. فقال القبطان: أعلم أن عسكر ملكنا ما اطاعوه إلا خوفاً من هذا الخاتم لأنه مرصود، فإذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير به عليه

فيقع رأسه من بين كتفيه . فإن بارقة تخرج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته . فلما سمع أبو صير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وقال للقبطان : ردني إلى المدينة . فقال له القبطان : أردك فإني ما بقيت أخاف عليك من الملك ، فإنك متى أشرت بيدك وأضمرت على قتله فإن رأسه يقع بين يديك ، ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فإنك تقتلهم من غير عاقبة . ثم أنزله في الزورق وتوجه به إلى المدينة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 939
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن القبطان لما أنزل أبا صير في الزورق توجه به إلى المدينة . فلما وصل إليها طلع إلى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالساً والعسكر بين يديه وهو في غمٍ عظيم من شأن الخاتم ، ولم يقدر أن يخبر أحداً من العسكر بضيق الخاتم . فلما رآه الملك قال له : أما رميتك في البحر؟ كيف فعلت حتى خرجت منه؟ فقال له : يا ملك الزمان ، لما أمرت برميي في البحر أخذني قبطانك وسار بي إلى جزيرة وسألني عن سبب غضبك عليّ وقال لي : أي شيء صنعت مع الملك حتى أمر بموتك؟ فقلت له : والله ما أعلم أنني عملت معه شيئاً قبيحاً . فقال لي : إن لك مقاماً عظيماً عند الملك ففعل أحداً حسداً ورمى فيك كلاماً عند الملك حتى غضب عليك؟ ولكن أنا جئتك في حمامك فأكرمتني ، ففي نظير إكرامك إياي في حمامك أنا أخلصك وأرسلك إلى بلادك . ثم حطّ في الزورق حجراً عوضاً عني ورماه في البحر . ولكن حين أشرت له عليّ وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعت سمكة وكنت أنا في الجزيرة أصطاد سمكاً ، فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فأخذتها وأردت أن أشويها ، فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فأخذته وجعلته في إصبعي . فاتاني اثنا عشر من خدام المطبخ وطلبوا السمك ، فأشرت إليهما وأنا لا أدري خاصية الخاتم فوقع رؤوسهما . ثم أتى القبطان فعرف الخاتم وهو في إصبعي وأخبرني برصده ، فأتيت به إليك لأنك عملت معي معروفاً وأكرمتني غاية الإكرام ، وما عملته معي من الجميل لم يضع عندي ، وهذا خاتمك فخذهُ وإن كنت فعلت معك شيئاً يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وأنت في حلّ من دمي . ثم خلع الخاتم من إصبعه وناولهُ للملك . فلما رأى الملك ما فعل أبو صير من الإحسان ، أخذ الخاتم منه وتمتم به وردّت له روحه وقام على أقدامه واعتنق أبو صير وقال : يا رجل ، أنت من خواص أولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحتني مما صدر مني في حقك ، ولو كان أحد غيرك ملك هذا الخاتم ما كان أعطاني إياه . فقال : يا ملك الزمان ، إن أردت أن أسامحك فعرفني بذنبي الذي أوجب غضبك عليّ حيث أمرت بقتلي . فقال له : والله إنه ثبت عندي أنك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل ، وإنما الصبّاغ قد قال لي كذا وكذا ، وأخبره بما قاله الصبّاغ . فقال أبو صير : والله يا ملك للزمان أنا لا أعرف ملك التصاري ولا عمري رحمت بلاد التصاري ولا خطر بيالي أنني أقتلك ، ولكن هذا الصبّاغ كان رفيقي وجاري في مدينة أسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بعضنا فاتحة على أن العامل يطعم البطل ، وجرى لي معه كذا وكذا . وأخبره بجميع ما قد جرى له مع أبي قبر الصبّاغ وكيف أخذ دراهمه وفاته ضعيفاً في الحجرة التي في الخان ، وإن بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه الله . ثم

طلع وسرح في المدينة بعدته على العادة . فينما هو في الطريق إذ رأى مصبغة عليها ازدحام ، فنظر في باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مصبغة هناك فدخل ليسلم عليه فوق له منه ما وقع من الضرب والإساءة وأدعى عليه أنه حرامي وضربه ضرباً مؤلماً . وأخبر الملك بجميع ماجرى له من أوله إلى آخره . ثم قال : يا ملك الزمان ، هو الذي قال لي إعمل الدواء وقدمه للملك فإن الحمّام كامل في جميع الأمور إلا أن هذا الدواء مفقود منه . واعلم يا ملك الزمان أن هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه في بلادنا وهو من لوازم الحمّام وأنا كنت نسيت . فلما أتاني الصبّاغ وأكرمته ذكّرني به وقال لي : إعمل الدواء . وارسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلاني وصنّاعية المصبغة وأسأل الجميع عن ما أخبرتك به . فأرسل الملك إلى بواب الخان وإلى صنّاعية المصبغة . فلما حضر الجميع سألهم فأخبروه بالواقع . فأرسل إلى الصبّاغ وقال : هاتوه حافياً مكشوف الرأس مكتفياً . وكان الصبّاغ جالساً في بيته مسروراً بقتل أبي صير فلم يشعر إلا وأعوان الملك هجموا عليه والضرب على قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك ، فرأى أبا صير جالساً في جنب الملك وبواب الخان وصنّاعية المصبغة واقفين أمامه . فقال له بواب الخان : أما هذا رفيقك الذي سرقت دارهم وتركته عندي في الحجره ضعيفاً وفعلت معه ما هو كذا وكذا؟ وقال له صنّاعية المصبغة : أما هذا الذي أمرتنا بالقبض عليه وضربناه؟ فتبيّن للملك قباحة أبي قير وإنه يستحق ما هو أشد من تشديد منكر ونكير . فقال الملك : خذوه وجرّسوه في المدينة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 940
 قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنّاعية المصبغة تحقّق خبث أبي قير فأقام عليه النكير وقال لأعوانه : خذوه وجرّسوه في المدينة وحطّوه في زكّية وارموه في البحر . فقال أبو صير : يا ملك الزمان ، شفّعني فيه فإنني سامحته من جميع ما فعل بي . فقال الملك : إن كنت سامحته في حقك فأنا لا يمكن أن أسامحه في حقي .

ثم صاح وقال : خذوه وجرّسوه . وبعد ذلك وضعوه في زكّية ووضعوا معه الجير ورموه في البحر فمات غريقاً حريقاً . وقال الملك : يا أبا صير ، تمنّ عليّ تعط . فقال له : تمنّيت عليك أن ترسلني إلى بلادي فإني ما بقي لي رغبة في القعود ها هنا . فأعطاه شيئاً كثيراً زيادة على ماله ونواله ومواهبه ثم أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات ، وكان بحريته مماليك فوهبهم له أيضاً بعد أن عرض عليه أن يجعله وزيراً فما رضي . ثم ودّع الملك وسافر ، وجميع ما في الغليون ملكه حتى النواتية مماليكه . وما زال سائراً حتى وصل إلى أرض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا إلى البر فرأى مملوك من مماليكه زكّية في جانب البر . فقال : يا سيدي ، إن في جنب شاطئ البحر زكّية كبيرة ثقيلة وفمها مربوط ولا أدري ما فيها . فأتى أبو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر إلى جهة اسكندرية ، فأخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزاراً ووقف عليه أوقافاً وكتب على باب الضريح هذه الأبيات : [من الكامل]

المرءُ يُعرفُ في الأنامِ بِفِعْلِهِ وَقَعَائِلُ الحُرِّ الكَرِيمِ كأَصْلِهِ
 لا تَسْتَعِيبُ فَتُسْتَعَابُ قَرَبًا مَنْ قَالَ شَيْئًا قِيلَ فِيهِ بِمِثْلِهِ

وَتَجَنَّبَ الْفَحْشَاءَ لَا تَنْطُقُ بِهَا
فَالْكَلْبُ إِنْ حَفِظَ الْمَكَارِمَ يُقْتَنَى
وَالْبَحْرُ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفُ الْفَلَا
مَا كَانَ عَصْفُورٌ يُزَاحِمُ بِاشِقًا
فِي الْجَوْ مَكْتُوبٌ عَلَى صُحْفِ الْهَوَى
إِيَّاكَ تَجَنَّبِي سَكْرًا مِنْ حَنْظَلٍ

مَا دُمْتَ فِي جِدِّ الْكَلَامِ وَهَزَلِهِ
وَعَدَا الْهَزْبُ مُسْتَسْلِمًا مِنْ جَهْلِهِ
وَالدَّرُّ مَنبُودٌ بِأَسْفَلِ رَمَلِهِ
إِلَّا لَطِيشَتِهِ وَخِفَّةِ عَقْلِهِ
مَنْ يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ فَازَ بِمِثْلِهِ
فَالشَّيْءُ يَرْجَعُ فِي الْمَذَاقِ لِأَصْلِهِ

ثم إن أبا صير أقام مدة وتوفاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبي قير . ومن أجل ذلك سمي هذا المكان بأبي قير وأبي صير ، واشتهر الآن بأنه أبو قير . وهذا ما بلغنا من حكايتهما فسبحان الباقي على الدوام وبارادته تصرف الليالي والأيام .

82 - حكاية عبد الله البحري وعبد الله البري

ومما يحكى أيضاً أنه كان رجل صياد إسمه محمد الله ، وكان كثير العيال وله تسعة اولاد وأمهم . وكان فقيراً جداً لا يملك إلا الشبكة ، وكان يروح كل يوم إلى البحر ليصطاد فإذا اصطاد قليلاً يبيعه وينفقه على اولاده بقدر ما رزقه الله ، وإن اصطاد كثيراً يطبخ طبخة طيبة وياخذ فاكهة . ولم يزل يصرف حتى لا يبقى معه شيء ويقول في نفسه : رزق غد يأتي في غد . فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص ، وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيئاً أبداً . فقالت له زوجته : يا سيدي ، انظر لي شيئاً اتقوت به . فقال لها : ها أنا سارح على بركة الله تعالى إلى البحر في هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده . فقالت له : توكل على الله . فأخذ الشبكة وتوجه إلى البحر . ثم إنه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال : اللهم اجعل رزقه يسيراً غير عسير وكثيراً غير قليل . وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشاً ورملاً وحصى وحشيشاً ولم يرف فيها شيئاً من السمك لا كثيراً ولا قليلاً . فرماها ثاني مرة وصبر عليها ثم سحبها فلم يرف فيها سمكاً . فرمى ثالثاً ورابعاً وخامساً فلم يطلع فيها سمك ، فانتقل إلى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله تعالى . ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلم يصطد ولا صيرة . فتعجب في نفسه وقال : هل هذا المولود خلقه الله من غير رزق ؟ فهذا لا يكون أبداً ، لأن الذي شق الاشداق تكفل لها بالارزاق ، فالله تعالى كريم رزاق . ثم إنه حمل الشبكة ورجع مكسور الخاطر وقلبه مشغول بعياله فإنه تركهم بغير أكل ولا سيما وزوجته نفساً . ولا زال يمشي وهو يقول في نفسه : كيف العمل ؟ وماذا أقول للاولاد في هذه الليلة ؟ ثم إنه وصل قدام فرن خباز فرأى عليه زحمة ، وكان الوقت وقت غلاء وفي تلك الأيام لا يوجد عند الناس من المؤونة إلا قليل ، والناس يعرضون الفلوس على الخباز ولا ينتبه لاحد منهم من كثرة الزحام . فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهي من الجوع . فنظر إليه الخباز وصاح عليه وقال : تعال يا صياد . فتقدم إليه فقال له : أتريد عيشاً ؟ فسكت فقال له : تكلم ولا تستحي فإله كريم ، إن لم يكن معك دراهم فأنا أعطيك وأصبر عليك حتى يجيئك الخير . فقال له : يا معلم ما معي دراهم ، لكن اطني عيشاً كفاية عيالي وارهن عندك هذه الشبكة إلى غد . فقال له : يا مسكين ، إن

هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فإذا رهنتها بأي شيء تصطاد؟ فأخبرني بالقدر الذي يكفيك . قال : بعشرة أنصاف فضة . فأعطاه خبزاً بعشرة أنصاف ثم أعطاه عشرة أنصاف فضة وقال له : خذ هذه العشرة أنصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفي غد هات لي بها سمكاً ، وإن لم يحصل لك شيء تعال خذ عيشك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
الليلة كانت
941
الليلة كانت

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخباز قال للصيد : خذ ما تحتاج إليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات بما استحقته عندك سمكاً . فقال له : آجرك الله تعالى وجزاك عني كل خير . ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسروراً واشترى له ما تيسر ودخل على زوجته فرأها قاعدة تأخذ بخاطر الأولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم : في هذا الوقت يأتي أبوكم بما تأكلونه . فلما دخل عليهم حط لهم العيش فأكلوا وأخبر زوجته بما حصل له . فقالت له : الله كريم . وفي ثاني يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول : أسالك يا رب أن ترزقني في هذا اليوم بما يبيض وجهي مع الخباز . فلما وصل إلى البحر صار يطرح الشبكة ويجذبها فلم يخرج فيها سمك ، ولم يزل كذلك إلى آخر النهار ولم يحصل شيئاً . فرجع وهو في غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز . فقال في نفسه : من أين أروح إلى داري؟ ولكن أسرع خطوي حتى لا يراني الخباز . فلما وصل إلى فرن الخباز رأى زحمة فأسرع في المشي من حيائه من الخباز حتى لا يراه وإذا بالخباز وقع بصره عليه فصاح وقال : يا صياد تعال خذ عيشك ومصروفك فإنك نسيت . قال : لا والله ما نسيت وإنما استحييت منك فإني لم اصطد سمكاً في هذا اليوم . فقال له : لا تستحي ، أما قلت لك على مهوك حتى يأتيك الخير . ثم أعطاه العيش والعشرة أنصاف وراح إلى زوجته وأخبرها بالخبر . فقالت له : الله كريم ، إن شاء الله يأتيك الخير وتوفيه حقه . ولم يزل على هذه الحالة مدة أربعين يوماً وهو في كل يوم يروح إلى البحر من طلوع الشمس إلى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشاً ومصرفاً من الخباز ، ولم يذكر له السمك يوماً من الأيام ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة أنصاف والعيش . وكلما يقول له : يا أخي حاسبني . يقول له : رح ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فأحاسبك . فيدعو له ويذهب من عنده شاكراً له . وفي اليوم الحادي والأربعين قال لامراته : مرادي أن أقطع هذه الشبكة وأرتاح من هذه العيشة . فقالت له : لأي شيء؟ قال لها : كان رزقي انقطع من البحر ، فإلى متى هذا الحال؟ والله إنني ذبت حياء من الخباز ، فأنا ما بقيت أروح إلى البحر حتى لا أجوز على فرنه فإنه ليس لي طريق إلا على فرنه . وكلما جزت عليه يناديني ويعطيني العيش والعشرة أنصاف . وإلى متى وأنا أتدأين منه؟ قالت له : الحمد لله تعالى الذي عطف قلبه عليك فيعطيك القوت وأي شيء تكره من هذا؟ قال : بقي له قدر عظيم من الدراهم ولا بد أنه يطلب حقه . قالت له زوجته : هل أذاك بكلام؟ قال : لا ولم يرض أن يحاسبني ويقول لي : حتى يأتيك الخير . قالت : فإذا طالبك قل له : حتى ياتي الخير الذي نرتجيه أنا وأنت . فقال لها : متى يجيء الخير الذي نرتجيه؟ قالت له : الله كريم . قال : صدقت . ثم حمل شبكته وتوجه إلى البحر وهو يقول : يا رب ارزقني ولو بسمكة واحدة حتى أهديها إلى الخباز . ثم إنه رمى

الشبكة في البحر ثم سحبها فوجدتها ثقيلة، فما زال يعالج فيها حتى تعب تعباً شديداً . فلما أخرجها رأى فيها حماراً ميتاً منفوخاً ورائحته كريهة . فسئمت نفسه ثم خلّصه من الشبكة وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة : ما بقي لي رزق في البحر دعيني أترك هذه الصنعة . وهي تقول لي : الله كريم سيأتيك الخير . فهل هذا الحمار الميت هو الخير؟ ثم إنه حصل له غمّ شديد وتوجه إلى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار وأخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فأراها ثقيلة، فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيّه . فلما أخرج الشبكة رأى فيها آدمياً فظن أنه عفريت من عفاريت السيد سليمان الذين كان يحبسهم في قمام الحساس ويرميهم في البحر، فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منه ذلك العفريت وطلع في الشبكة . فهرب منه وصار يقول : الأمان الأمان يا عفريت سليمان . فصاح عليه الآدمي من داخل الشبكة وقال : تعال يا صياد لا تهرب مني فإنني آدمي مثلك، فخلّصني لتنال أجري . فلما سمع كلامه الصياد اطمأن قلبه وجاءه وقال له : ما أنت عفريت من الجن؟ قال : لا إنما أنا إنسي مؤمن بالله ورسوله . قال له : ومن رماك في البحر؟ قال له : أنا من أولاد البحر، كنت دائراً فرميت عليّ الشبكة ونحن أقوام مطيعون لأحكام الله ونشفيق على خلق الله تعالى، ولولا أنني أخاف وأخشى أن أكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قتلته الله عليّ . وأنت إذا خلّصتني تصير مالكألي وأنا أصير أسيرك . فهل لك أن تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي؟ أجيئك كل يوم في هذا المكان وأنت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البر، فإن عندكم عنباً وتيناً وبطيخاً وخوخاً ورماناً وغير ذلك، وكل شيء نجيء به إليّ مقبول منك . ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر، فانا أملا لك المشنة التي نجيء لي فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر . فما تقول يا أخي في هذا الكلام؟ قال له الصياد : الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام . فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد : ما اسمك؟ قال : إسمي عبد الله البحري، فإذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فناد وقل : أين أنت يا عبد الله يا بحري؟ فأكون عندك في الحال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله البحري قال له : إذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فناد وقل : أين أنت يا عبد الله يا بحري؟ فأكون عندك في الحال . وأنت ما اسمك؟ فقال الصياد : إسمي عبد الله قال : أنت عبد الله البري وأنا عبد الله البحري . فقف هنا حتى أروح وأتيك بهدية . فقال له : سمعاً وطاعة . فراح عبد الله البحري في البحر . فعند

ذلك ندم عبد الله البري على كونه خلّصه من الشبكة وقال في نفسه : من أين أعرف أنه يرجع إليّ؟ وإنما هو ضحك عليّ حتى خلّصته ولو أبقيته كنت أفرج عليه الناس في المدينة وأخذ عليه الدراهم من جميع الناس وأدخل به بيوت الأكابر . فصار يتندم على إطلاقه ويقول لنفسه : راح صيدك من يدك . فبينما هو يتأسّف على خلاصه من يده وإذا بعبد الله البحري رجوع إليه ويده مملوءة تان لؤلؤاً ومرجاناً وزمرداً وياقوتاً وجواهر وقال له : خذ يا أخي ولا تؤاخذني فإنه ما عندي مشنة كنت أملؤها لك . فعند ذلك فرح عبد الله البري وأخذ منه الجواهر وقال له : كل يوم تأتي

فلما كانت الليلة
942
الليلة

إلى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودّعه وانصرف ودخل البحر. وأما الصياد فإنه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى فرن الخباز وقال له: يا أخي، قد أتانا الخير فحاسبني. قال له: ما يحتاج إلى حساب، إن كان معك شيء فاعطني وإن لم يكن معك شيء فخذ عيشك ومصروفك ورح إلى أن يأتيك الخير. فقال له: يا صاحبي، قد أتاني الخير من فيض الله، وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذ هذا. وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر، وكانت تلك الكبشة نصف ما معه. فاعطاها للخباز وقال له: اعطني شيئاً من المعاملة أصرفه في هذا اليوم حتى أبيع هذه المعادن؟ فاعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز. وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد: أنا عبدك وخدامك. وحمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفه إلى البيت، فأعطى العيش لزوجته وأولاده ثم راح إلى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر أصناف الفاكهة. وترك الفرن وأقام طول ذلك اليوم وهو يتعاطى خدمة عبد الله البري ويقضي له مصالحه. فقال له الصياد: يا أخي، أتعبت نفسك. قال له الخباز: هذا واجب عليّ لأنني صرت خدامك وإحسانك قد غمرني. فقال له: أنت صاحب الإحسان عليّ في الضيق والغلاء. وبات معه تلك الليلة على أكل طيب. ثم إن الخباز صار صديقاً للصياد وأخبر زوجته بوقعته مع عبد الله البحري. ففرحت وقالت له: أكرم سرّك لئلا تتسلط عليك الحكّام. فقال لها: إن كتمت سرّي عن جميع الناس فلا أكرمك عن الخباز. ثم إنه أصبح في ثاني يوم وكان قد ملا مشنة فاكهة من سائر الأصناف في وقت المساء، ثم حملها قبل الشمس وتوجه إلى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال: أين أنت يا عبد الله يا بحري؟ وإذا به يقول له: لبيك! وخرج إليه. فقدّم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس في البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملائة من جميع أصناف المعادن والجواهر. فحملها عبد الله البري على رأسه وذهب بها. فلما وصل إلى فرن الخباز قال له: يا سيدي، قد خبزت لك أربعين كف شريك وأرسلتها إلى بيتك، وها أنا أخبز العيش الخاص فمتى خلص أوصله إلى البيت وأروح لأجيبك لك بالخضار واللحم. فكبش له من ثلاث كبشات وأعطاه إياها، وتوجه إلى البيت وحط المشنة وأخذ من كل صنف من أصناف الجواهر جوهره نفيسة. ثم ذهب إلى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق وقال: إشتري مني هذه الجواهر؟ فقال له: أرني إياها. فأراه إياها. فقال له: هل عندك غير هذا؟ قال: عندي مشنة ممتلئة. قال له: أين بيتك؟ قال له: في الحارة الفلانية. فأخذ منه الجواهر وقال لاتباعه: إمسكوه فإنه هو الحرامي الذي سرق مصالح الملكة زوجة السلطان. ثم أمرهم أن يضربوه، فضربوه وكتفوه. وقام الشيخ هو وجميع أهل سوق الجواهر وصاروا يقولون: مسكنا الحرامي. وبعضهم يقول: ما سرق فلان إلا هذا الخبيث. وبعضهم يقول: ما سرق جميع ما في بيت فلان إلا هو. وبعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا. كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على أحد منهم جواباً ولم يبده خطباً حتى أوقفوه قدام الملك. فقال الشيخ: يا ملك الزمان، لما سرق عقد الملكة أرسلت أعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم، فاجتهدت أنا من دون الناس وأوقعت لك الغريم وها هو بين يديك، وهذه الجواهر خلصناها من يده. فقال الملك للطواشي: خذ هذه المعادن وأرها للملكة وقل لها: هل هذا متاعك الذي ضاع من عندك؟ فأخذها الطواشي ودخل بها قدام الملكة. فلما رأتها تعجبت منها

وأرسلت تقول للملك : إني رايت عقدي في مكاني وهذا ما هو متاعي، ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن زوجة الملك لما أرسلت تقول له : هذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل ، وإن كان يبيعها فاشترها منه لبنتك أم السعود لنضعها لها في عقد . فلما رجع الطواشي وأخبر الملك بما قالته الملكة، لعن شيخ الجوهريه هو وجماعته لعنة عاد وثمود . فقالوا : يا ملك الزمان، إنا كنا

نعرف أن هذا الرجل صياد فقير، فاستكثرتنا ذلك عليه وقد ظننا أنه سرقها . فقال : يا قبحاء، أتستكثرون النعمة على مؤمن؟ فلاي شيء لم تسألوه؟ ربما رزقه الله تعالى بها من حيث لا يحاسب . فكيف تجعلونه حرامياً وتفتضحونه بين العالم؟ أخرجوا لا بارك الله فيكم . فخرجوا وهم خائفون . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر الملك فإنه قال : يا رجل، بارك الله لك فيما أنعم به عليك وعليك الأمان، ولكن أخبرني بالصحيح من أين لك هذه الجواهر؟ فإني ملك ولم يوجد عندي مثلها . فقال : يا ملك الزمان، أنا عندي مشنة مملثة منها، وهو إن الأمر كذا وكذا . وأخبره بصحبته لعبد الله البحري وقال له : إنه قد صار بيني وبينه عهد على أنني كل يوم أملا له المشنة فأكهه وهو يملؤها لي من هذه الجواهر . فقال له : يا رجل هذا نصيبك، ولكن المال يحتاج إلى الجاه فانا أدفع عنك تسلط الناس عليك في هذه الأيام . ولكن ربما عزلت أو مت وتولى غيري فإنه يقتلك من أجل حب الدنيا والطمع . فمرادي أن أزوجه ابنتي وأجعلك وزيراً وأوصي لك بالملك من بعدي حتى لا يطمع فيك أحد بعد موتي . ثم إن الملك قال : خذوا هذا الرجل وادخلوه الحمام . فأخذوه وغسلوا جسده وألبسوه ثياباً من ثياب الملوك وأخرجوه قدام الملك فجعله وزيراً له . وأرسل السعاة وأصحاب النوبة وجميع نساء الأكاير إلى بيته، فلبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هي وأولادها وأزواجها في تختروان ومشت قدامها جميع نساء الأكاير والعساكر والسعاة وأصحاب النوبة وآتوا بها إلى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها، وادخلوا أولادها الكبار على الملك فأكرمهم وأخذهم على حجره وأجلسهم في جانبه وهم تسعة أولاد ذكور . وكان الملك معدوم الذرية، ما رزق غير تلك البنت التي اسمها أم السعود . أما الملكة فإنها أكرمت زوجة عبد الله البري وأنعمت عليها وجعلتها وزيرة عندها . وأمر الملك بكتب كتاب عبد الله البري على ابنته وجعل مهرها جميع ما كان عنده من الجواهر والمعادن . وفتحوا باب الفرح ، وأمر الملك أن ينادى بزينة المدينة من أجل فرح ابنته . وفي اليوم الثاني بعد أن دخل على بنت الملك وأزال بكارتها طل الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملاً على رأسه مشنة مملثة فأكهه . فقال له : ما هذا الذي معك يا نسيبي؟ وإلى أين تذهب؟ فقال : إلى صاحبي عبد الله البحري . فقال له : يا نسيبي، ما هذا وقت الرواح إلى صاحبك؟ فقال : أخاف أن أخلف معه المعاد فيعدني كذاباً ويقول لي : إن الدنيا الهتك عني . قال : صدقت رح إلى صاحبك أعانك الله . فمشى في البلد وهو متوجه إلى صاحبه وكانت الناس قد عرفته، فصار يسمع الناس يقولون : هذا نسيب الملك رايح بيد الأثمار بالجواهر . والذي يكون جاهلاً به ولا يعرفه يقول : يا رجل بكم الرطل؟ تعال بعني . فيقول له : انتظرني حتى أرجع إليك ولا يغم أحدًا . ثم راح

فلما كانت الليلة
943
الليلة
الليلة

واجتمع بعد الله البحري وأعطاه الفاكهة وأبدلها له بالجواهر . ولم يزل على هذه الحالة وفي كل يوم يمر على فرن الخباز فيراه مقفولاً ، ودام على ذلك مدة عشرة أيام . فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولاً فقال في نفسه : إن هذا شيء عجيب ! يا ترى أين راح الخباز ؟ ثم إنه سأل جاره فقال له : يا أخي ، أين جارك الخباز ؟ فما فعل الله به ؟ قال : يا سيدي ، إنه مريض لا يخرج من بيته . قال له : أين بيته ؟ قال له : في الحارة الفلانية . فعمد إليه وسأل عنه فلما طرق الباب ظل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه مشنة ممتلئة . فنزل إليه وفتح له الباب ورمى روحه عليه وعانقه وقال له : كيف حالك يا صاحبي ؟ فإني كل يوم أمر على الفرن فأراه مقفولاً . ثم سألت جارك فاخبرني أنك مريض . فسألت عن البيت لأجل أن أراك . فقال له الخباز : جزاك الله عني كل خير ، فليس بي مرض وإنما بلغني أن الملك أخذك لأن بعض الناس كذب عليه وادّعى أنك حرامي ، فخفت أنا وقلقت الفرن واختفيت . قال : صدقت . ثم إنه أخبره بقصته وما وقع له مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال : إن الملك قد زوجني ابنته وجعلني وزيره . ثم قال له : خذ ما في هذه المشنة نصيبك ولا تخف . ثم خرج من عنده بعد أن أذهب عنه الخوف وراح إلى الملك بالمشنة فارغة . فقال له الملك : يا نسيبي ، كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحري في هذا اليوم ؟ فقال : رحمت والذي أعطاه لي أعطيته إلى صاحبي الخباز فإن له عليّ جميلاً . قال : من يكون هذا الخباز ؟ قال : إنه رجل صاحب معروف وجرى لي معه في أيام الفقر ما هو كذا وكذا ، ولم يهملني يوماً ولا كسر خاطري . قال الملك : ما اسمه ؟ قال : إسمه عبد الله الخباز ، وأنا اسمي عبد الله البري ، وصاحبي اسمه عبد الله البحري . قال الملك : وأنا إسمي عبد الله وعبيد الله كلهم إخوان ، فأرسل إلى صاحبك الخباز هاته لنجعله وزير مسرة . فأرسل إليه ، فلما حضر بين يدي الملك ألبسه بدلة وزير وجعله وزير المسرة وجعل عبد الله البري وزير الميمنة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك جعل عبد الله البري نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير المسرة . واستمر عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة ، وهو في كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن . ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زيبياً ولوزاً وبندقاً وجوزاً وتيناً وغير ذلك ، وجميع ما يأخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته . فاتفق يوماً من الأيام أنه أخذ المشنة ممتلئة نقلاً على عادته ، فأخذها منه وجلس عبد الله البري على الشاطيء وجلس عبد الله البحري في الماء قرب الشاطيء وصارا يتحدثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى انجراً إلى ذكر المقابر . فقال البحري : يا أخي ، إنهم يقولون أن النبي ﷺ مدفون عندكم في البر فهل تعرف قبره ؟ قال : نعم . قال له : في أي مكان هو ؟ قال له : في مدينة يقال لها طيبة . قال : وهل تزوره الناس أهل البر ؟ قال : نعم . قال : هنيئاً لكم يا أهل البر بزيارة هذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم الذي من زاره استوجب شفاعته . وهل أنت زرته يا أخي ؟ قال : لا لأنني كنت فقيراً ولا أجد ما أنفقه في الطريق ، وما استغنيت إلا من حين عرفتك وتصدقت عليّ بهذا الخير . ولكن قد وجبت عليّ زيارته بعد أن أحج بيت الله الحرام ، وما منعني عن ذلك إلا محبتك فإني لا أقدر أن أفارقك يوماً واحداً . فقال له : وهل

فلما كانت الليلة
944
كانت الليلة

تقدّم مجتبي على زيارة قبر محمد ﷺ الذي يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته؟ وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد ﷺ؟ فقال: لا والله إن زيارته مقدمة عندي على كل شيء، ولكن أريد منك إجازة أن أزوره في هذا العام. قال: أعطيتك الإجازة بزيارته وإذا وقفت على قبره فاقرئه مني السلام وعندي أمانة، فادخل معي في البحر حتى آخذك إلى مدينتي وأدخلك بيتي وأضيفك وأعطيتك الأمانة لتضعها على قبر النبي ﷺ وقل له: يا رسول الله، إن عبد الله البحري يقرؤك السلام وقد أهدى إليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار. فقال له البري: يا أخي، أنت خلقت في الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرّك فهل إذا خرجت منه إلى البر يحصل لك ضرر؟ قال: نعم. ينشف بدني وتهب عليّ نسيمات البر فأموت. قال له: وأنا كذلك، خلقت في البر ومسكني البر فإذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفني ويخنقني فأموت. قال له: لا تخف من ذلك فإنّي أتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرّك الماء ولو كنت تقضي بقية عمرك وأنت دائر في البحر وتنام وتقوم في البحر ولا يضرّك شيء. قال: إذا كان الأمر كذلك فلا بأس هات لي الدهان حتى أجربه. قال: وهو كذلك. ثم أخذ المشنة ونزل في البحر وغاب قليلاً ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه أصفر كلون الذهب ورائحته زكية. فقال له عبد الله البري: ما هذا يا أخي؟ فقال له: هذا شحم كبِد صنف من أصناف السمك يقال له: الدندان، وهو أعظم أصناف السمك خلقة وهو أشدّ أعدائنا علينا وصورته أكبر صورة توجد عندكم من دواب البر، ولو رأى الجمل أو الفيل لابتلعه. فقال له: يا أخي، وما يأكل هذا المشؤوم؟ فقال له: يأكل من دواب البحر. أما سمعت أنه يقال في المثل: مثل سمك البحر القوي يأكل الضعيف. قال: صدقت. ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير؟ قال: عندنا شيء لا يحصيه إلا الله تعالى. قال عبد الله البري: إنني أخاف إذا نزلت معك أن يصادفني هذا النوع فيأكلني. قال له عبد الله البحري: لا تخف فإنه متى رآك عرف أنك ابن آدم فيخاف منك ويهرب، ولا يخاف من أحد في البحر مثل ما يخاف من ابن آدم، لأنه متى أكل ابن آدم مات من وقته وساعته. فإن شحم ابن آدم سمّ قاتل لهذا النوع، ونحن ما نجمع شحم كبده إلا من أجل ابن آدم إذا وقع في البحر غريقاً فإنه تتغير صورته وربما تمزق لحمه فيأكله الدندان لظنه أنه من حيوان البحر فيموت، فنعثر به ميتاً فنأخذ شحم كبده وندهن به أجسامنا ونندور في البحر. فأي مكان كان فيه ابن آدم إذا كان فيه مائة أو مائتان أو ألف أو أكثر من ذلك النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فإن الجميع يموتون لوقتهم من صيحته مرة واحدة. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 945
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله البحري قال لعبد الله البري: وإذا سمع ألف من هذا النوع أو أكثر من ابن آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر أحد منهم أن ينتقل من مكانه. فقال عبد الله البري: توكلت على الله. ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر في شاطئ البحر ودفن ثيابه، وبعد ذلك دهن جسمه من فرقه إلى قدمه بهذا الدهن. ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينيه فلم يضره الماء، فمشى يميناً وشمالاً ثم جعل إن شاء يعلو وإن شاء ينزل إلى القرار، ورأى ماء البحر مخيماً عليه مثل الخيمة ولا يضره. فقال له

عبد الله البحري : ماذا ترى يا أخي ؟ قال له : أرى خيراً يا أخي وقد صدقت في ما قلت ، فإن الماء ما ضررتني . قال له : اتبعني . فتبعه ولا زال يمشيان من مكان إلى مكان وهو يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبلاً من الماء ، فصار يتفرّج عليها وعلى أصناف السمك وهي تلعب في البحر ، البعض كبير والبعض صغير ، وفيه شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الآدميين ، وكل نوع قرب منه يهرب حين يرى عبد الله البري . فقال للبحري : يا أخي ، ما لي أرى كل نوع قرباً منه يهرب منّا ؟ فقال له : مخافة منك لأن جميع ما خلقه الله يخاف من ابن آدم . ولا زال يتفرّج على عجائب البحر حتى وصل إلى جبل عال ، فمشى عبد الله البري بجانب ذلك الجبل فلم يشعر إلا وصيحة عظيمة ، فالتفت فرأى شيئاً أسود منحدرًا عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل أو أكبر وصار يصيح . فقال له : ما هذا يا أخي ؟ قال له البحري : هذا الدندان ، فإنه نازل في طلبي مراده أن يأكلني ، فصحّ عليه يا أخي قبل أن يصل إلينا فيخطفني ويأكلني . فصاح عليه عبد الله البري وإذا هو وقع ميتاً . فلما رآه ميتاً قال : سبحان الله وبحمده ، أنا لا ضربته بسيف ولا بسكين كيف هذه العظمة التي فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتي بل مات ؟ فقال له عبد الله البحري : لا تعجب ، فوالله يا أخي لو كان من هذا النوع ألف أو ألفان لم يحملوا صيحة ابن آدم . ثم مشيا إلى مدينة فرأيا أهلها جميعاً بنات وليس فيهن ذكور . فقال : يا أخي ، ما هذه المدينة ؟ وما هذه البنات ؟ فقال له : هذه مدينة البنات لأن أهلها من بنات البحر . قال : هل فيهن ذكور ؟ قال : لا . قال : وكيف يجبلن ويلدن من غير ذكور ؟ قال : إن ملك البحر ينفيهن إلى هذه المدينة وهن لا يجبلن ولا يلدن وإنما كل واحدة غضب عليها من بنات البحر يرسلها إلى هذه المدينة ولا تقدر أن تخرج منها ، فإن خرجت منها فإن كان ما رآها من دواب البحر يأكلها . وأما غير هذه المدينة ففيه رجال وبنات . قال له : هل في البحر مدن غير هذه المدينة ؟ قال له : كثير . قال : وهل عليكم سلطان في البحر ؟ قال له : نعم . قال له : يا أخي ، إنني رأيت في البحر عجائب كثيرة . قال له : وأي شيء رأيت من العجائب ؟ أما سمعت صاحب المثل يقول : عجائب البحر أكثر من عجائب البر . قال : صدقت . ثم إنه صار يتفرّج على هذه البنات فرأى لهن وجوهاً مثل الأقمار وشعوراً مثل شعور النساء ولكن لهن أباد وأرجل في بطونهن ولهن أذنان مثل أذنان السمك . ثم إنه فرّج على أهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه إلى مدينة أخرى فرأها ممتلئة خلّاق إنثاءً وذكرًا ، صورهم مثل صور البنات ولهم أذنان . ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل أهل البر وليسوا لابسين ، بل الكل عرايا مكشوفون العورة . فقال له : يا أخي ، إنني أرى الإناث والذكور مكشوفين العورة . فقال له : لأن أهل البحر لا قماش عندهم . فقال له : يا أخي ، كيف يصنعون إذا تزوجوا ؟ فقال له : هم لا يتزوجون بل كل من أعجبته أنثى يقضي مراده منها . قال له : إن هذا شيء حرام ولاي شيء لا يخطبها ومهرها ويقيم لها فرحاً ويتزوجها بما يرضي الله ورسوله ؟ قال له : ليس كلنا ملّة واحدة ، فإن فينا مسلمين موحدّين وفينا نصارى ويهوداً وغير ذلك ، والذي يتزوج منا خصوص المسلمين . فقال : انتم عريانون ولا عندكم بيع ولا شراء فأني شيء يكون مهر نساكنكم ؟ هل تعطونهن جواهر ومعادن ؟ قال له : إن الجواهر أحجار ليس لها عندنا قيمة وإنما الذي يريد أن يتزوج يجعلون عليه شيئاً معلوماً من أصناف السمك يصطاده قدر ألف والفين أو أكثر أو أقل بحسب ما يحصل عليه الإتفاق بينه وبين أبي الزوجة . فلما يحضر

الطلوب يجتمع أهل العريس وأهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته، وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها وإذا عجز تصطاد هي وتطعمه . قال : وإن زنا بعضهم ببعض كيف يكون الحال ؟ قال : إن الذي يثبت عليه هذا الأمر ، إن كانت أنثى ينفوها إلى مدينة البنات ، فإذا كانت حاملاً من الزنا فإنهم يتركونها إلى أن تلد ، فإن ولدت بنتاً ينفوها معها وتسمى زانية بنت زانية ولم تزل بنتاً حتى تموت . وإن كان المولود ذكراً فإنهم يأخذونه إلى الملك سلطان البحر فيقتله . فتعجب عبد الله البري من ذلك . ثم إن عبد الله البحري أخذه إلى مدينة أخرى وبعدها أخرى وهكذا ، وما زال يفرّجه حتى فرّجه على ثمانين مدينة ، وكل مدينة يرى أهلها لا يشبهون أهل غيرها من المدن . فقال له : يا أخي ، هل بقي في البحر مدائن ؟ قال : وأي شيء رأيت من مدائن البحر وعجائبه ؟ وحق النبي الكريم الرؤوف الرحيم لو كنت فرّجتك ألف عام في كل يوم على ألف مدينة وأريتك في كل مدينة ألف أعجوبة ما أريتك قيراطاً من أربعة وعشرين قيراطاً من مدائن البحر وعجائبه ، وإنما فرّجتك على ديارنا وأرضنا لا غير . فقال له : يا أخي ، حيث كان الأمر كذلك يكفيني ما تفرّجت عليه فإني سئمت من أكل السمك ومضى لي في صحتك ثمانون يوماً وأنت لا تطعمني صباحاً ومساءً إلا سمكاً طرياً ، لا مشويّاً ولا مطبوخاً . فقال له : أي شيء يكون المطبوخ والمشوي ؟ قال له عبد الله البري : نحن نشوي السمك في النار ونطبخه ونجعله أصنافاً ونصنع منه أنواعاً كثيرة . فقال له البحري : ومن أين تأتي لنا النار ؟ فنحن لا نعرف المشوي ولا المطبوخ ولا غير ذلك . فقال له البري : نحن نقلبه بالزيت والشيرج . فقال له البحري : ومن أين لنا الزيت والشيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيئاً مما ذكرته ؟ قال : صدقت . ولكن يا أخي قد فرّجتني على مدائن كثيرة ولم تفرّجني على مدينتك . قال له : أما مدينتي فإننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البر الذي أتينا منه ، وإنما تركت مدينتي وجئت بك إلى هنا لأنني قصدت أن أفرّجك على مدائن البحر . قال له : يكفيني ما تفرّجت عليه ، ومرادي أن تفرّجني على مدينتك . قال له : وهو كذلك . ثم رجع به إلى مدينته فلما وصل إليها قال له : هذه مدينتي . فرأها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرّج عليها . ثم دخل المدينة ومعه عبد الله البحري إلى أن وصل إلى مغارة . قال له : هذا بيتي ، وكل بيوت هذه المدينة كذلك ، مغارات كبار وصغار في الجبال ، وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة . فإن كل من أراد أن يصنع له بيت يروح إلى الملك ويقول له : مرادي أن أتخذ بيتاً في المكان الفلاني . فيرسل الملك معه طائفة من السمك يسمون النقارين ، ويجعل كراهم شيئاً معلوماً من السمك ، ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود . فيأتون إلى الجبل الذي أرادته صاحب البيت وينقرون فيه البيت ، وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقّمهم حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه . وجميع أهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم إلا بالسمك وكلهم سمك . ثم قال له : أدخل . فدخل . فقال عبد الله البحري : يا بنتي . وإذا بينتة أقبلت عليه ولها وجه مدور مثل القمر ولها شعر طويل ثقب وطرف كحيل ونخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب . فلما رأت عبد الله البري مع أبيها قالت له : يا أبي ، ما هذا الأزرع الذي جئت به معك ؟ فقال لها : يا بنتي ، هذا صاحبي البري الذي كنت أجيء لك من عنده بالفاكهة البرية ، تعالي سلمي عليه . فتقدّمت وسلّمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ . فقال لها أبوها : هاتي زاداً لضيفنا الذي حلّت علينا بقدرته البركة . فجاءت

له بمسكين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخاروف . فقال له : كل . فاكل غضباً عنه من الجوع لانه ستم من اكل السمك وليس عندهم شيء غير السمك . فما مضى حصه إلا وامرأة عبد الله البحري أقبلت وهي جميلة الصورة ومعها ولدان ، ولد في يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان في الخيارة . فلما رأت عبد الله البري مع زوجها قالت : أي شيء هذا الأزعر ؟ وتقدم الولدان واختهما وأمهم وصاروا ينظرون إلى دبر عبد الله البري ويقولون : أي والله إنه أزعر ويضحكون عليه . فقال له عبد الله البري : يا أخي ، هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك ؟ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
946
قال
البحري : يا أخي ، هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك ؟ فقال له عبد الله البحري : العفو يا أخي ، فإن الذي لا ذنب له غير موجود عندنا ، وإذا وجد واحد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه . ولكن يا أخي لا تؤاخذ هؤلاء الأولاد الصغار والمرأة فإن عقولهم ناقصة . ثم صرخ عبد الله البحري على عياله وقال لهم : اسكتوا . فخافوا وسكتوا وجعل يأخذ بخاطره . فبينما هو يتحدث معه وإذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ أقبلوا عليه وقالوا : يا عبد الله ، إنه بلغ الملك أن عندك أزعر من زعر البر . فقال لهم : نعم وهو هذا الرجل ، فإنه صاحبي اتاني ضيفاً ومرادي أن أرجعه إلى البر . قالوا له : إننا لا نقدر أن نروح إلا به ، فإن كان مرادك كلاماً فقم وخذه واحضر به قدام الملك والذي تقوله لنا قله للملك . فقال عبد الله البحري : يا أخي العذر واضح لا يمكننا مخالفة الملك ، ولكن إمض معي للملك وأنا أسعى في خلاصك منه إن شاء الله ولا تخف ، فإنه متى رآك عرف أنك من أولاد البر ، ومتى علم أنك بري فلا بد أنه يكرمك ويردك إلى البر . فقال عبد الله البري : الرأي رأيك فانا أتوكّل على الله وأمشي معك . ثم أخذه ومضى به إلى أن وصل إلى الملك . فلما رآه الملك ضحك وقال : مرحباً بالأزعر . وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول : إي والله إنه أزعر . فتقدّم عبد الله البحري إلى الملك وأخبره بأحواله وقال له : هذا من أولاد البر وصاحبي وهو لا يعيش بيننا لانه لا يحب اكل السمك إلا مقلباً أو مطبوخاً ، والمراد أنك تأذن لي في أن أردّه إلى البر . فقال له الملك : حيث كان الأمر كذلك لا يعيش عندنا فقد أدت لك في أن تردّه إلى مكانه بعد الضيافة . ثم إن الملك قال : هاتوا الضيافة . فأتوا له بسمك أشكالاً والواناً ، فاكل امتثالاً لأمر الملك . ثم قال له الملك : تمنّ عليّ . فقال عبد الله البري : أتمنى أن تعطيني جواهر . فقال : خذوه إلى دار الجواهر ودعوه ينقي ما يحتاج إليه . فأخذه صاحبه إلى دار الجواهر ونقى على قدر ما أراد ثم رجع به إلى مدينته وأخرج له بصرة وقال له : خذ هذه أمانة أوصلها إلى قبر النبي ﷺ . فأخذها وهو لا يعلم ما فيها . ثم خرج معه ليوصله إلى البر فرأى في طريقه غناء وفرحاً وسماطاً ممدوداً من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم في فرح عظيم . فقال عبد الله البري لعبد الله البحري : ما لهؤلاء الناس في فرح عظيم ؟ هل عندهم عرس ؟ فقال البحري : ليس عندهم عرس وإنما مات عندهم ميت . فقال له : أنتم إذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون ؟ قال : نعم . وأنتم يا أهل البر ماذا تفعلون ؟ قال البري : إذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي والنساء يلطمن وجوههن

ويشققن جيوبهن حزنًا على من مات . فحملق عبد الله البحري عينيه في عبد الله البري وقال له : هات الامانة . فاعطاها له ثم اخرجها إلى البر وقال : قد قطعت صحبتك وودك ، فبعد هذا اليوم لا تراني ولا أراك . فقال له : لماذا هذا الكلام ؟ فقال له : اما انتم يا أهل البر امانة الله ؟ فقال البري : نعم . قال : لا يهون عليكم ان الله يأخذ امانته بل تكون عليها ، وكيف أعطيك امانة النبي ﷺ ؟ وانتم إذا اتاكم المولود تفرحون به مع ان الله تعالى يضع فيه الروح امانة فإذا أخذها كيف تصعب عليكم وتكون وتحزنون ؟ فما لنا في رفقتكم حاجة ثم تركه وراح إلى البحر . ثم إن عبد الله البري لبس حوائجه وأخذ جواهره وتوجه إلى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به وقال له : كيف انت يا نسيبي ؟ وما سبب غيابك عني هذه المدة ؟ فأخبره بقصته وما رآه من العجائب في البحر . فتعجب الملك من ذلك ثم أخبره بما قاله عبد الله البحري فقال له : هل انت الذي اخطأت في خبرك بهذا الخبر ؟ ثم إنه استمر مدة من الزمان وهو يروح إلى جانب البحر ويصبح على عبد الله البحري فلم يرد عليه ولم يات إليه . فقطع عبد الله البري الرجاء منه وأقام هو والمملك نسيبه وأهلهما في أسر حال وحسن أعمال حتى أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعاً . فسبحان الحي الذي لا يموت ذو الملك والملكوت وهو على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير .

83 - حكاية هارون الرشيد وأبو الحسن العاني

وما يحكى أيضاً أن الخليفة هارون الرشيد أرق ذات ليلة أرقاً شديداً فاستدعى مسروراً فحضر . فقال : اثنتي بجعفر بسرعة . فمضى وأحضره فلما وقف بين يديه قال : يا جعفر ، إنه قد اعتراني في هذه الليلة أرق فمنع عني النوم ولا أعلم ما يزيله عني . قال : يا أمير المؤمنين ، قد قالت الحكماء : النظر إلى المرأة ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر . فقال : يا جعفر ، إني فعلت هذا كله فلم يزل عني شيئاً ، وأنا أقسم بأبائي الظاهرين إن لم تتسبب فيما يزيل عني ذلك لأضربن عنقك . قال : يا أمير المؤمنين ، هل تفعل ما أشير به عليك ؟ قال : وما الذي تشير به علي ؟ قال : أن تنزل بنا في زورق وتنحدر به في بحر الدجلة مع الماء إلى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع أو ننظر ما لم ننظر . فإنه قد قيل : تفريج الهم بواحد من ثلاثة أمور : أن يرى الإنسان ما لم يكن رآه أو يسمع ما لم يكن يسمعه أو يطأ أرضاً لم يكن وطئها . فلعل ذلك يكون سبباً لنوال القلق عنك يا أمير المؤمنين . فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر وأخوه الفضل واسحاق النديم وأبو نواس وأبو دلف ومسرور السيف . وأدرك شهراً الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا إلى الدجلة ، ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا إلى الموضع الذي يريدونه . فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الأبيات : [من الوافر]

فلما كانت الليلة ما
تألمت من كلامها
947
تألمت من كلامها
تألمت من كلامها

أقولُ لهُ وقد حَضَرَ العُقارُ وقد غَنَى عَلى الأيْكِ الهَزَارُ

إلى كَمْ ذَا التَّائِبِي عَنِ سُورِي
فَخَذَهَا مِنْ يَدَي خَلِي عَزِي
زَرَعَتْ بِخَلِّهِ وَرَدًّا طَرِيًّا
وَتَحَسَّبُ مَوْضِعَ التَّخْمِيشِ فِيهِ
يَقُولُ لِي الْعَدُولُ تَسَلَّ عَنْهُ
أَفِقْ مَا الْعُمُرُ إِلَّا مُسْتَعَارُ
بِجَفْنِيهِ فُتُورٌ وَأَنْكِسَارُ
فَأَتَمَّرَ فِي السَّرَاوِفِ جَلَنَارُ
رَمَادًا خَامِدًا وَالْحَدُّ نَارُ
فَمَا عُدْرِي وَقَدْ نَمَّ الْعِدَارُ

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال : يا جعفر ، ما أحسن هذا الصوت . قال جعفر : يا مولانا ، ما طرق سمعي أطيب ولا أحسن من هذا الغناء . ولكن يا سيدي إن السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر ؟ فقال : إنهم بنا يا جعفر حتى نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عياناً . قال جعفر : سمعاً وطاعة . فصعدوا من المركب واستأذنوا في الدخول وإذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان قد خرج إليهم وقال : أهلاً وسهلاً يا سادة المعتمين علي ، أدخلوا بالرحب والسعة . فدخلوا وهو بين أيديهم فرأوا الدار بأربعة أوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة باللازورد ، وفيها إيوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن أقمار . فصاح عليهن فنزلن عن أسرتهن . ثم التفت رب المنزل إلى جعفر وقال : يا سيدي ، أنا ما اعرف منكم الجليل من الأجل ، بسم الله ليتفضل منكم من هو أعلى في الصدر ويجلس إخوانه كل واحد في مرتبته . فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور في الخدمة بين أيديهم . ثم قال لهم صاحب المنزل : يا أضيافي عن إذتكم ، هل أحضر لكم شيئاً من المأكول ؟ قالوا له : نعم . فأمر الجوارى بإحضار الطعام فأقبل أربع جوار مشدودات الأوساط بين أيديهم مائدة وعليها من غرائب الألوان ، مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان وأفراخ وحمام ، ومكتوب على حواشي السفرة من الأشعار ما يناسب المجلس . فأكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا أيديهم . فقال الشاب : يا سادتي ، إن كان لكم حاجة فاخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها . قالوا : نعم فإننا ما جئنا منزلك إلا لأجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهدنا أن نسمعه ونعرف صاحبه . فإن رأيت أن تنعم علينا بذلك كان من مكارم أخلاقك ثم نعود من حيث جئنا . فقال : مرحباً بكم . ثم التفتت إلى جارية سوداء وقال : أحضري سيدتك فلانة . فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسي فوضعتة ثم ذهبت ثانياً وأتت ومعها جارية كأنها البدر في تمامه فجلست على الكرسي . ثم إن الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فأخرجت منها عوداً مرصعاً بالجواهر واليواقيت وملأوه من الذهب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجارية لما أقبلت جلست على الكرسي وأخرجت العود من الخريطة وإذا هو مرصع بالجواهر واليواقيت وملأوه من الذهب . فشددت أوتاره لرتات المزاهر وهي كما قال فيها وفي عودها الشاعر :

[من الكامل]

حَضَنَّتْهُ كَالْأَمِّ الشَّقِيْقَةَ بَابِنَهَا
فِي حِجْرِهَا وَجَلَا عَلَيْهِ مُلَاوِيَه
مَا حَرَكْتَ يَدَهَا الْيَمِيْنَ لِحَسِّه
إِلَّا وَأَصْلَحَتِ الْيَسَارُ مُلَاوِيَه

فلما كانت الليلة
948
قال الكاتب
قال الشاعر

ثم ضمت العود إلى صدرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجست أوتاره فاستغاث
كما يستغيث الصبي بأمه . ثم ضربت عليه وجعلت تشد هذه الأبيات : [من الكامل]

جَادَ الزَّمَانُ بَمَنْ أَحَبُّ فَأَعْتَبَا يَا صَاحِبِي فَادِرٌ كُوُوسُكَ وَأَشْرِبَا
مِنْ خَمْرَةٍ مَا مَازَجَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَأَصْبَحَ بِالْمَسْرَةِ مُطْرِبَا
قَامَ النَّسِيمُ بِحَمْلِهَا فِي كَأْسِهَا أَرَأَيْتَ بَدَرَ التَّمِّ يَحْمِلُ كَوَكْبَا
كَمْ لَيْلَةٌ سَامَرْتُ فِيهَا بَدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةٍ قَدْ أَضَاءَ الْغَيْهَبَا
وَالْبَدْرُ يُجَنِّحُ لِلْغُرُوبِ كَأَنَّمَا قَدْ مَدَّ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديداً وصاح كل من في الدار بالبكاء حتى كادوا أن يهلكوا، وما منهم أحد إلا وغاب عن وجوده ومزق أثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها . فقال الرشيد : إن غناء هذه الجارية يدل على أنها عاشقة مفارقة . فقال سيدها : إنها تاكله لامها وأبيها . فقال الرشيد : ما هذا بكاء من فقد أباه وأمّه وإنما هو شجو من فقد محبوبه . وطرب الرشيد من غنائها وقال لإسحاق : والله ما رأيت مثلها . فقال إسحاق : يا سيدي ، إنني لأعجب منها غاية العجب ولا أملك نفسي من الطرب . وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر إلى صاحب الدار ويتأمل في محاسنه وظرف شمائله فرأى في وجهه أثر اصفرار . فالتفت إليه وقال له : يا فتى . لبيك يا سيدي . هل تعلم من نحن ؟ قال : لا . فقال له جعفر : أتجب أن نخبرك عن كل واحد باسمه ؟ فقال : نعم . فقال جعفر : هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين . وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد : أشتهي أن تخبرني عن هذا الإصفرار الذي في وجهك هل هو مكتسب أو أصلي من حين ولادتك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن خديشي غريب وأمري عجيب ، لو كتب بالإبر على آفاق البصر لكان عبرة لمن اعتبر . قال : أعلمني به لعل شفاك يكون على يدي . قال : يا أمير المؤمنين ، أوزعني سمعك واخل لي زرعك . قال : هات ، فحدثني فقد شوقتني إلى سماعه . فقال : أعلم يا أمير المؤمنين أنني رجل تاجر من تجار البحر وأصلي من مدينة عمان . وكان أبي تاجراً كثير المال وكان له ثلاثون مركباً تعمل في البحر ، أجرتها في كل عام ثلاثون ألف دينار . وكان رجلاً كريماً وعلمني الخط وجميع ما يحتاج إليه الشخص . فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بما جرت به العادة ثم توفاه الله تعالى إلى رحمته وأبقى الله أمير المؤمنين . وكان لأبي شركاء يتجرون في ماله ويسافرون في البحر . فاتفق في بعض الأيام أنني كنت قاعداً في منزلي مع جماعة من التجار إذ دخل عليّ غلام من غلماني وقال : يا سيدي ، إن بالباب رجلاً يطلب الإذن في الدخول عليك . فأذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيئاً مغطى ، فوضعه بين يدي وكشفه فإذا فيه فواكه بغير أوان وملح وطرائف ليست في بلادنا . فشكرته على ذلك وأعطيته مائة دينار وانصرف شاكراً . ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضراً من الأصحاب ثم سألت التجار : من أين هذا ؟ فقالوا : إنه من البصرة وأثنوا عليه . وصاروا يصفون في حسن البصرة وأجمعوا على أنه ليس في البلاد أحسن من بغداد ومن أهلها ، وصاروا يصفون بغداد وحسن أخلاق أهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها . فاشتاق نفسي إليها وتعلقت آمالي برؤيتها ، فقممت وبعثت العقارات والأمالك وبعثت المراكب بمائة ألف دينار وبعثت العبيد والجواري وجمعت مالي فصار ألف ألف

دينار غير الجواهر والمعادن، واكثرت مركباً وشحنتها بأموالي وسائر متاعي وسافرت بها أياماً وليالي حتى جئت إلى البصرة. فأقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة ونزلت ما لي فيها وسرنا منحدرين أياماً فلال حتى وصلنا إلى بغداد. فسألت أين تسكن التجار؟ وأي موضع أطيب للسكان؟ فقالوا: في حارة الكرخ. فجئت إليها واستأجرت داراً في درب يسمى الزعفران ونقلت جميع مالي إلى تلك الدار. فأقمت فيها مدة ثم توجهت في بعض الأيام إلى الفرجة ومعني شيء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة. فأتيت إلى جامع يسمى جامع المنصور تقام فيه الجمعة، وبعد أن خلصنا من الصلاة وخرجت مع الناس إلى موضع يسمى قرن الصراط فرأيت في ذلك المكان موضعاً عالياً جميلاً وله روشن مطل على الشاطئ وهناك شبك. فذهبت في جملة الناس إلى ذلك المكان فرأيت شيخاً جالساً وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة، وقد سرح لحيته فافتقرت على صدره فرقتين كأنها قضب من لجن، وحوله أربع جواري وخمسة غلمان. فقلت لشخص: ما اسم هذا الشيخ؟ وما صنعته؟ فقال: هذا طاهر ابن العلاء وهو صاحب الفتيان، كل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر إلى الملاح. فقلت له: والله إن لي زماناً أدور على مثل هذا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
949
قال: يا ولدي، عندي جوار كثير، منهن من ليلتها بعشرة دنائير ومنهن من ليلتها بأربعين ديناراً ومنهن من ليلتها بأكثر، فاختر من تريد. فقلت: اختر التي ليلتها بعشرة دنائير. ثم وزنت له ثلاثمائة دينار عن شهر فسلمني لغلام فأخذني ذلك الغلام وذهب بي إلى الحمام في القصر وخدمني خدمة حسنة. فخرجت من الحمام وأتى بي إلى مقصورة وطرق الباب. فخرجت له جارية فقال لها: خذي ضيفك. فتلقتني بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وأدخلتني داراً عجيبة مزركشة بالذهب، فنامت في تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه، وفي خدمتها جارتان كأنهما كوكبان. ثم أجلسني وجلست بجانبني ثم أشارت إلى الجواري فأتين بمائدة فيها من أنواع اللحوم: من دجاج وسمان وقطا وحمام. فأكلنا حتى اكتفيينا، وما رأيت في عمري أذ من ذلك الطعام. فلما أكلنا رفعت تلك المائدة وأحضرت مائدة الشراب والمشوم والحلوى والفواكه، وأقمت عندها شهراً على هذا الحال. فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وحيث إلى الشيخ وقلت له: يا سيدي، أريد التي ليلتها بعشرين ديناراً. فقال: زن الذهب. فمضيت وأحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر. فنادى غلاماً وقال له: خذ سيدك. فأخذني وأدخلني الحمام فلما خرجت أتى بي إلى باب مقصورة وطرقة فخرجت منه جارية. فقال لها: خذي ضيفك. فتلقتني بأحسن ملتقى وإذا حولها أربع جوار. ثم أمرت بإحضار الطعام، فحضرت مائدة عليها من سائر الأطعمة فأكلت. ولما فرغت من الأكل ورفعت المائدة، أخذت العود وغنت بهذه الأبيات: [من الطويل]

أَيَا نَفَحَاتِ الْمِسْكِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ بِحَقِّ غَرَامِي أَنْ تُؤَدِّيَ رَسَائِلِي

عَهَدْتُ بِهَا تَيْكَ الْأَرْضِي مَنَازِلًا لِأَحْيَانِنَا أَكْرَمُ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ
وَفِيهَا الَّتِي فِي حُبِّهَا كُلُّ عَاشِقٍ تَعَنَّى وَلَمْ يَرْتُدَّ مِنْهَا بِطَائِلِ

فأقمت عندها شهراً ثم جئت إلى الشيخ وقلت له : أريد صاحبة الأربعين ديناراً . فقال : زن لي الذهب . فوزنت له عن شهر ألفاً ومائتي دينار ومكثت عندها شهراً كأنه يوم واحد لما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة . ثم جئت إلى الشيخ وكنا قد أمسينا ، فسمعت ضجة عظيمة وأصواتاً عالية . فقلت له : ما الخبر ؟ فقال لي الشيخ : إن هذه الليلة عندنا أشهر الليالي ، وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها . فهل لك أن تصعد على السطح وتفرج على الناس ؟ فقلت : نعم . وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مريح ، وهناك صبية تدهش الناظرين حسناً وجمالاً وقدأ واعتدالاً ، وبجانبيها غلام يده على عنقها وهو يقبلها وتقبله . فلما رأيتهما يا أمير المؤمنين لم أملك نفسي ولم أعرف أين أنا لما بهرني من حسن صورتها . فلما نزلت سألت الجارية التي أنا عندها وأخبرتني بصفتها فقالت : ما لك وما لها . فقلت : والله إنها أخذت عقلي . فتبسّمت وقالت : يا أبا الحسن ، ألك فيها غرض ؟ فقلت : إي والله فإنها تمكّنت قلبي ولبي . فقالت : هذه ابنة طاهر بن العلاء وهي سيدتنا وكلنا جوارياها . أتعرف يا أبا الحسن كم ليلتها ويومها ؟ قلت : لا . قالت : خمسمائة دينار ، وهي حسرة في قلوب الملوك . والله لأذهبن مالي كله على هذه الجارية . وبت أكابد الغرام طول ليلي . فلما أصبحت دخلت الحمام ولبست أفخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت إلى أبيها وقلت : يا سيدي ، أريد التي ليلتها خمسمائة دينار . فقال : زن الذهب . فوزنت له عن كل شهر خمسة عشر ألف دينار . فأخذها ثم قال للغلام : إعمد به إلى سيدتك فلانة . فأخذني وأتى بي إلى دار لم تر عيني أطرف منها على وجه الأرض ، فدخلتها فرأيت الصبية جالسة . فلما رأيتها أدهشت عقلي بحسنها يا أمير المؤمنين وهي كالبدر في ليلة أربعة عشر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الشاب لما حدث أمير المؤمنين بصفات الجارية قال له : وهي كالبدر في ليلة أربعة عشر ، ذات حسن وجمال وقدأ واعتدال والفاظ تفضح رنات المظاهر . كأنها المقصودة بقول الشاعر :

فلما كانت الليلة
950
التي

[من الكامل]

قَالَتْ وَقَدْ لَعِبَ الْغَرَامُ بِعَظْفِهَا فِي جُنْحٍ لَيْلٍ سَابِلِ الْأَحْلَاكِ
يَا لَيْلُ هَلْ لِي فِي دُجَاكَ مُسَامِرٌ أَوْ هَلْ لِهَذَا الْكُؤْسِ مِنْ نِيَاكِ
ضَرَبْتُ عَلَيْهِ بِكَفِّهَا وَتَنَهَّدْتُ كَتَنَهَّدِ الْأَسِيفِ الْحَزِينِ الْبَاجِي
وَالْتَفَرُّ بِالْمَسْوَاكِ يَظْهَرُ حُسْنُهُ وَالْأَيْرُ لِلْأَكْسَاسِ كَالْمَسْوَاكِ
يَا مُسْلِمُونَ أَمَا تَقُومُ أَبُوْرُكُمْ مَا فِيكُمْ أَحَدٌ يَغِيثُ الشَّائِكِي
فَانْقُصْ مِنْ تَحْتِ الْغَلَائِلِ قَائِمًا أُبْرِي وَقَالَ لَهَا: أَتَاكِ أَتَاكِ

وَحَلَلْتُ عَقْدَ إِزَارِهَا فَتَعَزَّعْتُ
وَعَدَوْتُ أَرْهَسَهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِهَا
حَتَّى إِذَا مَا قُمْتُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ
وما أحسن قول الآخر: [من الطويل]

مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: فَتَى أَجَابَ بِنْدَائِمِي
رَهْسَ اللَّطِيفِ يَضْرُ بِالْأَوْرَاكِ
قَالَتْ: هَنَّاكَ التَّيْكَ قُلْتُ: هَنَائِمِي

وَكُوَّ أَنْهَا لِلْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضَتْ
وَكُوَّ تَقَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ
وَكُوَّ أَنْهَا فِي الشَّرْقِ لَاحَتْ لِرَاهِبٍ
وما أحسن قول الآخر: [من الكامل]

لَبَاؤُوا بِهَا مِنْ دُونَ أَصْنَامِهِمْ رَبًّا
لَأَصْبَحَ مَاءَ الْبَحْرِ مِنْ رَيْقِهَا عَذْبًا
لَحَلَّى سَبِيلَ الشَّرْقِ وَأَتَبَعَ الْغَرْبَا

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً فَتَحَيَّرْتُ
فَأَوْحَى إِلَيْهَا الْوَهْمُ أَنِّي أَحِبُّهَا

دَقَائِقُ فِكْرِي فِي بَدِيعِ صِفَاتِهَا
فَأَثَرَ ذَلِكَ الْوَهْمَ فِي وَجَنَاتِهَا

فسلمت عليها فقالت: أهلاً وسهلاً ومرحباً. وأخذت بيدي يا أمير المؤمنين وأجلستني إلى جانبها. فمن فرط الإشتياق بكيت مخافة الفراق واسبلت دمع العين وأنشدت هذين البيتين: [من الطويل]

أَحِبُّ لِيَالِي الْهَجْرِ لَا فَرِحَ بِهَا
وَأَكْرَهُ أَيَّامَ الْوِصَالِ لِأَتْنِي
عَسَى الدَّهْرُ يَأْتِي بَعْدَهَا بِوِصَالٍ
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ مُعَقَّبًا بِزَوَالٍ

ثم إنها صارت تؤانسني بلطف الكلام وأنا غريق في بحر الغرام خائف في القرب الم الفراق من فرط الوجد والإشتياق. وتذكرت لوعة النوى والبين فأنشدت هذين البيتين: [من الكامل]

فَكَّرْتُ سَاعَةَ وَصْلِهَا فِي هَجْرِهَا
فَطَفِيفْتُ أَمْسَحُ مُقَلَّتِي فِي جِيدِهَا
فَجَرَّتْ مَدَامِجُ مُقَلَّتِي كَالْعَنْدَمِ
مِنْ عَادَةِ الْكَافُورِ إِسْكَالِ الدَّمِ

ثم أمرت بإحضار الأطعمة. فأقبلت أربع جوار نهد أبكار فوضعن بين أيدينا من الأطعمة والفاكهة والحلوى والمشوم والمدام ما يصلح للملوك. فاكلنا يا أمير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين في مجلس لا يصلح إلا للملك. ثم جاءتها يا أمير المؤمنين جارية بخريطة من الإبريسم فأخذتها وأخرجت منها عوداً فوضعت في حجرها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بأمه. وأنشدت هذين البيتين: [من البسيط]

لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ إِلَّا مِنْ يَدَيَّ رَشِيًا
إِنَّ المَدَامَةَ لَا يَلْتَدُّ شَارِبُهَا
تَحْكِيهِ فِي رِقَّةِ المعْنَى وَيَحْكِيهَا
حَتَّى يَكُونَ نَقِيًّا الحَدُّ سَاقِيهَا

فأقمت يا أمير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالي. فتذكرت وأنا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالأنهار وصرت لا أعرف الليل من النهار. فقالت: لاي شيء تبكي؟ فقلت لها: يا سيدتي، من حين جئت إليك وأبوك يأخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار، وما بقي عندي شيء من المال. وقد صدق الشاعر حيث قال: [من السريع]

الفَقْرُ فِي أَوْطَانِنَا غُرْبَةٌ
والمَالُ فِي الْغُرْبَةِ أَوْطَانٌ

فقلت: أعلم أن أبي من عادته أنه إذا كان عنده تاجر وافقر فإنه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجهم فلا يعود إلينا أبداً. ولكن أكنتم سرّك واخف أمرك وأنا أعمل حيلة في اجتماعي بك إلى ما شاء الله، فإن لك في قلبي محبة عظيمة. وأعلم أن جميع مال أبي تحت يدي وهو لا يعرف قدره، فانا أعطيك في كل يوم كيساً فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لأبي وتقول له: ما بقيت أعطي الدراهم إلا يوماً بيوم. وكلما دفعته إليه فإنه يدفعه إليّ وأنا أعطيه لك، ونستمر هكذا إلى ما شاء الله. فشكرتها على ذلك وقبّلت يدها ثم أقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة. فاتفق في بعض الأيام أنها ضربت جاريتها ضرباً وجيعاً فقلت لها: والله لأوجعن قلبك كما أوجعتني. ثم مضت تلك الجارية إلى أبيها وأعلمته بأمرنا من أوله إلى آخره. فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من ساعته ودخل عليّ وأنا جالس مع ابنته وقال لي: يا فلان.. قلت له: لبيك. قال: عادتنا أنه إذا كان عندنا تاجر وافقر إننا نضيفه ثلاثة أيام، وأنت لك سنة عندنا تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء. ثم التفت إلى غلمانها وقال: اخلعوا ثيابه. ففعلوا وأعطوني ثياباً رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا لي عشرة دراهم ثم قال لي: أخرج فانا لا أضربك ولا أشتحك واذهب إلى حال سبيلك، وإن أقمت في هذه البلدة كان دمك هدرأ. فخرجت يا أمير المؤمنين برغم أنفي ولا أعلم أين أذهب وحلّ في قلبي كل همّ في الدنيا وأشغلني الوسواس وقلت في نفسي: كيف أجيء في البحر بمائة ألف الف من جملتها ثمن ثلاثين مركباً ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك أخرج من عنده عرباناً مكسور القلب؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم أقمت في بغداد ثلاثة أيام لم أذق طعاماً ولا شرباً، وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة إلى البصرة فنزلت فيها واستكرت مع صاحبها إلى أن وصلت البصرة. فدخلت السوق وأنا في شدة الجوع فزأني رجل بقال، فقام إليّ وعانقني لأنه كان صاحباً لي ولأبي من قبلي. وسألني عن حالتي فأخبرته بجميع ما جرى لي. فقال: والله ما هذه فعال عاقل، ومع هذا الذي جرى لك فأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله؟ فقلت له: لا أدري ماذا أفعل. فقال: أتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهماً زيادة على أكلك وشربك؟ فأجبتته إلى ذلك وأقمت عنده يا أمير المؤمنين سنة كاملة، أبيع وأشتري إلى أن صار معي مائة دينار، فاستأجرت غرفة على شاطئ البحر لعل مركباً تأتي ببضاعة فأشتري بالدنانير بضاعة وأتوجه بها إلى بغداد. فاتفق في بعض الأيام أن المركب جاءت وتوجه إليها جميع التجار يشترون، فرحت معهم وإذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما. ثم أقبل التجار عليهما لأجل الشراء فقالا لبعض الغلمان: احضروا البساط. فاحضروه وجاء واحد بخرج فأخرج منه جراباً وفتحه وكبّه على البساط وإذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الألوان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب لما أخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب وما فيه من سائر أنواع الجواهر. قال: يا أمير المؤمنين ثم إن واحداً من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت إلى التجار وقال لهم: يا معاشر التجار، أنا ما أبيع في يومي هذا لأنني تعبان. فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار. فقال لي صاحب

فلما كانت الليلة
كانت
951
كانت
الليلة

الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة : لماذا لم تتكلم ولم تزود مثل التجار ؟ فقلت له : والله يا سيدي ما بقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار . واستحيت منه ودمعت عيني . فنظر إليّ وقد عسر عليه حالي ثم قال للتجار : إشهدوا عليّ أنني بعت جميع ما في الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف أنه يساوي كذا وكذا ألف دينار وهو هدية مني إليه . فأعطاني الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر . فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار أثنوا عليه . ثم أخذت ذلك ومضيت به إلى سوق الجواهر وقعدت أبيع وأشتري ، وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين زنته نصف رطل ، وكان أحمر شديد الحمرة وعليه أسطر مثل ديبب النمل من الجانيين ولم أعرف منفعته ، فبعت واشترت مدة سنة كاملة . ثم أخذت قرص التعويذ وقلت : هذا له عندي مدة لا أعرفه ولا أعرف منفعته . فدفعته إلى الدلال فأخذه ودار به ثم عاد وقال : ما دفع فيه أحد من التجار سوى عشرة دراهم . فقلت : ما أبيع به هذا القدر . فرماه في وجهي وانصرف ثم عرضته للبيع يوماً آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهماً ، فأخذته من الدلال مغضباً ورميته عندي . فبينما أنا جالس يوماً إذ أقبل عليّ رجل فسلمّ عليّ وقال لي : عن إبتك هل أقلب ما عندك من البضائع ؟ قلت : نعم . وأنا يا أمير المؤمنين مغتاط من كساد قرص التعويذ . فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ . فلما رآه يا أمير المؤمنين قبل يده وقال : الحمد لله . ثم قال : يا سيدي ، أتبيع هذا ؟ فازداد غيظي وقلت له : نعم . فقال لي : كم ثمنه ؟ فقلت له : كم تدفع أنت فيه ؟ قال : عشرين ديناراً . فتوهمت أنه يستهزئ بي فقلت : إذهب إلى حال سبيلك . فقال لي : هو بخمسين ديناراً . فلم أخاطبه . فقال : بألف دينار . هذا كله يا أمير المؤمنين وأنا ساكت ولم أجبه وهو يضحك من سكوتي ويقول : لاي شيء لم ترد عليّ ؟ فقلت له : إذهب إلى حال سبيلك . وأردت أن أخاصمه وهو يزيد ألفاً بعد ألف ولم أرد عليه حتى قال : أتبيعه بعشرين ألف دينار ؟ وأنا أظن أنه يستهزئ بي . فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول لي : بهه ، وإن لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد . فقلت له : هل أنت تشتري أو تستهزئ ؟ فقال : هل أنت تبيع أو تستهزئ ؟ قلت له : أبيع . قال : هو بثلاثين ألف دينار خذها وامض البيع . فقلت للحاضرين : إشهدوا عليه ولكن بشرط أن تخبرني ما فائدته ؟ وما نفعه ؟ قال : إمض البيع وأنا أخبرك بفائدته ونفعه . فقلت : بعتك . فقال : الله على ما أقول وكيل . ثم أخرج الذهب وقبضني إياه وأخذ التعويذ ووضعها في جيبه ثم قال لي : هل رضيت ؟ قلت : نعم . فقال : إشهدوا عليه إنه أمض البيع وقبض الثمن ثلاثين ألف دينار . ثم إنه التفت إليّ وقال لي : يا مسكين ، والله لو أخرجت البيع لزدناك إلى مائة ألف دينار بل إلى ألف ألف دينار . فلما سمعت يا أمير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهي وعلا عليه هذا الإصفرار الذي أنت تنظره من ذلك اليوم . ثم قلت له : أخبرني ما سبب ذلك ؟ وما نفع هذا القرص ؟ فقال : أعلم أن ملك الهند له بنت لم يرَ أحسن منها وبها داء الصداع ، فأحضر الملك أرباب الأقاليم وأهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك . فقلت له وكنت حاضراً بالمجلس : أيها الملك ، أنا أعرف رجلاً يسمى سعد الله البابلي ما على وجه الأرض أعرف منه بهذه الأمور ، فإن رأيت أن ترسلني إليه فافعل . فقال : إذهب إليه . فقلت له : أحضر لي قطعة من العقيق . فأحضر لي قطعة كبيرة من العقيق ومائة ألف دينار وهدية .

فأخذت ذلك وتوجهت إلى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلّوني عليه، ودفعت له المائة ألف دينار والهدية. فأخذ ذلك مني ثم أخذ القطعة العقيق وأحضر حكاكاً فعملها هذا التعويد، ومكث الشيخ سبعة أشهر يرصد النجم حتى اختار وقتاً للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التي تنظرها. ثم جثت به إلى الملك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التي كان فيها 952

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب قال لأمير المؤمنين: إن الرجل قال لي: فأخذت هذا التعويد وجثت به إلى الملك. فلما وضعه على ابنته برئت من ساعتها. وكانت مربوطة في أربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة. فمن حين وضع عليها هذا التعويد برئت لوقتها وفرح الملك بذلك فرحاً شديداً وخلع عليّ وتصدق بمال كثير ثم وضعه في عقدها. فاتفق أنها نزلت يوماً في مركب هي وجواربها تنتزه في البحر فمدت جارية يدها إليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر، فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك. فحصل للملك ما حصل من الحزن فأعطاني مالاً كثيراً وقال لي: إذهب إلى الشيخ ليعمل لها تعويداً عوضاً عنه. فسافرت إليه فوجدته قد مات. فرجعت إلى الملك وأخبرته، فبعثني أنا وعشرة أنفس نطوف في البلاد لعلنا نجد لها دواء فأوقعتني الله به عندك. فأخذ مني يا أمير المؤمنين وانصرف، فكان ذلك الأمر سبباً للإصفرار الذي في وجهي. ثم إنني توجهت إلى بغداد ومعني جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها. فلما أصبح الصباح، لبست ثيابي وجثت إلى بيت طاهر بن العلاء لعلني أرى من أحبها، فإن حبها لم يزل يتزايد في قلبي. فلما وصلت إلى داره رأيت الشباك قد انهدم. فسألت غلاماً وقلت له: ما فعل الله بالشيخ؟ فقال: يا أخي، إنه قدم عليه في سنة من السنين رجل تاجر يقال له: أبو الحسن العماني، فأقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعدما ذهب ماله أخرجته الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حباً شديداً. فلما فارقها مرضت مرضاً شديداً حتى بلغت الموت، وعرف أبوها بذلك فأرسل خلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي به مائة ألف دينار. فلم يره أحد ولم يقع له على أثر، وهي إلى الآن مشرفة على الموت. قلت: وكيف حال أبيها؟ قال: باع الجوارب من عظم ما أصابه. فقلت له: هل أدلك على أبي الحسن العماني؟ فقال: بالله عليك يا أخي أن تدلّني عليه. فقلت له: إذهب إلى أبيها وقل له: البشارة عندك، فإن أبا الحسن العماني واقف على الباب. فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون، ثم غاب ساعة وجاء وصحبه الشيخ. فلما رأيته رجعت إلى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فأخذها وانصرف وهو يدعوني. ثم أقبل الشيخ وعانقتني وبكى وقال: يا سيدي، أين كنت في هذه الغيبة؟ فد هلكت ابنتي من أجل فراقك فادخل معني إلى المنزل. فلما دخلت سجد شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي جمعنا بك. ثم دخل لابنته وقال لها: قد شفاك الله من هذا المرض. فقالت: يا أبتي، ما أبرأ من مرضي إلا إذا نظرت وجه أبي الحسن. فقال: إذا أكلت أكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما. فلما سمعت كلامه قالت: أصحيح ما تقول؟ قال لها: والله العظيم إن الذي قتلته صحيح. فقالت: والله إن نظرت وجهه ما احتاج إلى أكل. فقال لغلامه: أحضر سيدك فدخلت. فلما نظرت إليّ يا أمير المؤمنين وقعت مغشياً عليها. فلما أفاقت أنشدت هذا البيت: [من الطويل]

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّيْئَيْنِ بَعْدَمَا يَظَنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

ثم استوت جالسة وقالت : والله يا سيدي ، ما كنت أظن أني أرى وجهك إلا إن كان مناماً . ثم إنها عانقتني وبكت وقالت : يا أبا الحسن ، الآن أكل وأشرب فاحضروا الطعام والشراب . ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال . ثم إن أباهما استدعى بالقاضي والشهود وكتب كتابها عليّ وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي إلى الآن . ثم إن ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع إليه بسلام بديع الجمال ، بقدي رشاقة واعتدال . وقال له : قبل الأرض بين أيادي أمير المؤمنين . فقبل الأرض بين يدي الخليفة . فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه . ثم إن الرشيد انصرف هو وجماعته وقال : يا جعفر ، ما هذا إلا شيء عجيب ، ما رأيت ولا سمعت بأغرب منه . فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال : يا مسرور . قال : لبيك يا سيدي . قال : اجعل في هذا الإيوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان . فجمعه فصار مالا عظيماً لا يحصي عدده إلا الله . ثم قال الخليفة : يا جعفر . قال : لبيك . قال : أحضر لي أبا الحسن . قال : سمعاً وطاعة ثم أحضره . فلما حضر قبل الأرض بين يدي الخليفة وهو خائف أن يكون طلبه له بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله . فقال الرشيد : يا عماني . قال له : لبيك يا أمير المؤمنين خلد الله نعمه عليك . فقال : إكشف هذه الستارة . وكان الخليفة أمرهم أن يضعوا مال الثلاثة أقاليم ويسبلوا عليه الستارة . فلما كشف العماني الستارة عن الإيوان اندهش عقله من كثرة المال . فقال الخليفة : يا أبا الحسن ، أهذا المال أكثر أم الذي فاتك من قرص التعويذ ؟ فقال : بل هذا يا أمير المؤمنين أكثر بأضعاف كثيرة . قال الرشيد : إشهدوا يا من حضر أنني وهبت هذا المال لهذا الشاب . فقبل الأرض واستحى وبكى من شدة الفرح بين يدي الرشيد . فلما بكى جرى الدمع من عينيه على خده فرجع الدم إلى محله فصار وجهه كالقدر ليلة تمامه . فقال الخليفة : لا إله إلا الله سبحانه من يغير حالاً بعد حال وهو باق لا يتغير . ثم أتى بمرآة وأراه وجهه فيها . فلما رآه سجد شكراً لله تعالى . ثم أمر الخليفة أن يحمل إليه المال وسأله أنه لا ينقطع عنه لأجل المتأمة . فصار يتردد إليه إلى أن توفي الخليفة إلى رحمة الله تعالى . فسبحان الذي لا يموت ذي الملك والملوك .

84 - حكاية إبراهيم وجميلة

ومما يحكى أيضاً أيها الملك السعيد ، أن الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن أحسن منه ، وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج إلا لصلاة الجمعة . فمر وهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة ، فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد أن تنطق ، لم ير أحسن منها على وجه الأرض . فسلبت عقله وأدهشت لبه فقال له : يا شيخ ، بعني هذه الصورة ؟ فقبل الأرض بين يديه ثم قال : يا سيدي ، بغير ثمن . فدفعت له مائة دينار وأخذ الكتاب الذي فيه هذه الصورة ، فصار ينظر إليها وبكى ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام وقال في نفسه : لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو لربما أخبرني . فإن كانت صاحبها في الحياة توصلت إليها وإن كانت صورة مطلقة تركت التويع بها ولا أعدب نفسي بشيء لا حقيقة له . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشاب لما قال في نفسه: لو سألت
الكتبي عن هذه الصورة لربما أخبرني، فإن كانت صورة مطلقة تركت
التولع بها ولا أعذب نفسي بشيء لا حقيقة له. فلما كان يوم الجمعة مرّ
على الكتبي فنهض إليه قائماً. فقال له: يا عم، أخبرني من صنع هذه
الصورة؟ قال: يا سيدي، صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو
القاسم الصندلاني في حارة الكرخ، وما أعلم صورة من هي؟ فقام الغلام من عنده ولم يعلم
بحاله أحدًا من أهل مملكته ثم صلتى الجمعة وعاد إلى البيت فآخذ جراباً وملاه من الجواهر
والذهب، وقيمة الجواهر ثلاثون ألف دينار. ثم صبر إلى الصباح وخرج ولم يعلم أحدًا ولحق
قافلة فرأى بدويًا فقال له: يا عم، كم بيني وبين بغداد؟ فقال له: يا ولدي، أين أنت؟ وأين
بغداد؟ بينك وبينها مسيرة شهرين. فقال له: يا عم، إن وصلتني إلى بغداد أعطيتك مائة دينار
وهذه الفرس التي تحتي وقيمتها ألف دينار. فقال له البدوي: الله على ما تقول وكيل، ولكن لا
تنزل في هذه الليلة إلا عندي. فاجابه إلى قوله وبات عنده. فلما لاح الفجر أخذه البدوي ثم سار
به سريعاً في طريق قريب طمعاً في تلك الفرس التي وعده بها، وما زال سائر حتى وصل إلى
حيطان بغداد. فقال له البدوي: الحمد لله على السلامة يا سيدي، هذه بغداد. ففرح الغلام فرحاً
شديداً ونزل عن الفرس وأعطاهما للبدوي هي والمائة دينار ثم أخذ الجراب وسار يسأل عن حارة
الكرخ وعن محل التجار. فساقه القدر إلى درب فيه عشر حجر، خمسة تقابل خمسة، وفي
صدر الدرب باب بمصرعين له حلقة من فضة، وفي الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان
باحسن الفرش، وفي إحداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين
يديه خمسة مماليك كأنهم أقمار. فلما رأى الغلام ذلك، عرف العلامة التي ذكرها له الكتبي
فسلم على الرجل فردّ عليه السلام وزحّب به وأجلسه وسأله عن حاله. فقال له الغلام: أنا
رجل غريب وأريد من إحسانك أن تنظر لي في هذا الدرب داراً لأسكن فيها. فصاح الرجل
وقال: يا غزالة. فخرجت إليه جارية وقالت: لبيك يا سيدي. فقال: خذي معك بعض خدم
واذهبوا إلى حجرة ونظفوها وافرشوها وخطوا فيها جميع ما يحتاج إليه من آنية وغيرها لأجل
هذا الشاب الحسن الصورة. فخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به. ثم أخذه الشيخ وأراه الدار.
فقال له الغلام: يا سيدي، كم أجره هذه الدار؟ فقال له: يا صبيح الوجه، أنا ما أخذ منك أجره
ما دمت فيها. فشكره على ذلك. ثم إن الشيخ نادى جارية أخرى فخرجت جارية كأنها
الشمس. فقال لها: هاتي الشطرنج. فأتت به. ففرش المملوك الرقعة وقال الشيخ للغلام: اتلعب
معي؟ قال: نعم. فلعب معه مرات والغلام يغلبه. فقال: أحسنت يا غلام ولقد كملت
صفاتك، والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني أنت. ثم بعد أن هياؤا الدار بالفرش وسائر ما
يحتاج إليه، سلم إليه المفاتيح وقال له: يا سيدي، ألا تدخل منزلي وتأكل عيشي فتشرف بك؟
فاجابه الغلام إلى ذلك ومشى معه. فلما وصل إلى الدار رأى داراً حسنة جميلة مزر كشة بالذهب
وفيها من جميع التصاوير، وفيها من أنواع الفرش والامتعة ما يعجز عن وصفه اللسان. ثم
صار يحييه وأمر بإحضار الطعام، فأتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت، وأتوا بالطعام
الوانا غريبة لم يوجد أفخر منها ولا الذّ. فاكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه، وصار الغلام

ينظر إلى الدار والفرش ثم التفت إلى الجراب الذي كان معه فلم يره فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أكلت لقمة تساوي درهماً أو درهماين فذهب مني جراب فيه ثلاثون ألف دينار ولكن استعنت بالله. ثم سكت ولم يقدر أن يتكلم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الغلام لما رأى الجراب مفقوداً حصل له غم كبير، فسكت ولم يقدر أن يتكلم. فقدم الشيخ الشطرنج وقال للغلام: هل تلعب معي؟ قال: نعم. فلعب فغلبه الشيخ. فقال للغلام: أحسنت ثم ترك اللعب وقام. فقال له: ما لك يا غلام؟ فقال: أريد الجراب. فقام وأخرجه له وقال: ها هو يا سيدي، هل ترجع إلى اللعب معي؟ قال: نعم. فلعب معه فغلبه الغلام. فقال الرجل: لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به إليك غلبتني. ثم قال له: يا ولدي، أخبرني من أي البلاد أنت؟ فقال: من مصر. فقال له: وما سبب مجيئك إلى بغداد؟ فأخرج له الصورة وقال: أعلم يا عم أنني ولد الخصيب صاحب مصر، وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبي فسلبت عقلي، فسألت عن صانعها فقبل لي: إن صانعها رجل بحارة الكرخ يقال له أبو القاسم الصندلاني، بدرب يعرف بدرب الزعفران. فأخذت معي شيئاً من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي أحد، وأريد من تمام إحسانك أن تدلني عليه حتى أسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة من هي؟ ومهما أرادته مني فأني أعطيه إياه. فقال: والله يا ابني إني أنا أبو القاسم الصندلاني، وهذا أمر عجيب كيف سافقت المقادير إلي؟ فلما سمع الغلام كلامه قام إليه وعانقه وقبل رأسه ويديه وقال له: بالله عليك أن تخبرني بصورة من هي؟ فقال: سمعاً وطاعة. ثم قام وفتح خزانة وأخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال: أعلم يا ولدي، أن صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي في البصرة وأبوها حاكم البصرة يقال له: أبو الليث، وهي يقال لها: جميلة، وما على وجه الأرض أجمل منها. ولكنها زاهدة في الرجال ولم تقدر أن تسمع ذكر رجل في مجلسها. وقد ذهبت إلى عمي بقصد أنه يزوجني بها وبذلت له الأموال فلم يجيني إلى ذلك. فلما علمت ابنته بذلك اغتاضت وأرسلت إليّ كلاماً من جملته أنها قالت: إن كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة وإلا تهلك ويكون ذنبك في عنقك. وهي جبارة من الجبابرة. فخرجت من البصرة وأنا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة في الكتب وفرقتها في البلاد لعلها تقع في يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل في الوصول إليها لعلها تعشقه وأكون قد أخذت عليه العهد أنه إذا تمكن منها يريني إياها ولو نظرة من بعيد. فلما سمع إبراهيم بن الخصيب كلامه أطرق رأسه ساعة وهو يتفكر. فقال له الصندلاني: يا ولدي، إني ما رأيت ببغداد أحسن منك وأظن أنها إذا نظرتك تحبك، فهل يمكنك إذا اجتمعت بها وظفرت بها أن تريني إياها ولو نظرة من بعيد؟ فقال: نعم. إذا كان الأمر كذلك فأقم عندي إلى أن تسافر. فقال: لا أقدر على المقام فإن في قلبي من عشقها ناراً زائدة. فقال له: إصبر حتى أجهز لك مركباً في ثلاثة أيام لتذهب فيها إلى البصرة. فصبر حتى جهز له مركباً ووضع فيها كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وغير ذلك. وبعد الثلاثة أيام قال للغلام: تجهز للسفر فقد جهزت لك مركباً فيها سائر ما تحتاج إليه،

فلما كانت الليلة
954
الليلة

والمركب ملكي والملاحون من أتباعي، وفي المركب ما يكفيك إلى أن تعود. وقد وصيت الملاحين أن يخدموك إلى أن ترجع بالسلامة. فنهض الغلام ونزل في المركب وودّعه وسار حتى وصل إلى البصرة، فأخرج الغلام مائة دينار للملاحين. فقالوا له: نحن أخذنا الأجرة من سيدنا. فقال لهم: خلّوها إنعاماً وأنا لا أخبره بذلك. فأخذوها منه ودعوا له. ثم دخل الغلام البصرة وسأل: أين مسكن التجار؟ فقالوا له: في خان يسمّى خان حمدان. فمشى حتى وصل إلى السوق الذي فيه الخان، فامتدت إليه الأعين بالنظر من فرط حسنه وجماله. ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدّلّوه عليه، فرآه شيخاً كبيراً مهاباً، فسلم عليه فردّ عليه السلام. فقال: يا عم، هل عندك حجرة ظريفة؟ قال: نعم. ثم أخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال: يا غلام، إن هذه الحجرة تصلح لك. فأخرج الغلام دينارين وقال له: خذ هذين حلوان المفتاح. فاخذهما ودعا له وأمر الغلام الملاح بالذهاب إلى المركب. ثم دخل الحجرة فاستمرّ عنده بواب الخان وخدمه وقال له: يا سيد، حصل لنا بك السرور. فأعطاه الغلام ديناراً وقال له: هات لنا به خبزاً ولحماً وحلوى وشراباً. فأخذه وذهب إلى السوق ورجع إليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم وأعطاه الباقي. فقال له الغلام: اصرفه على نفسك. ففرح بواب الخان بذلك فرحاً عظيماً. ثم إن الغلام أكل مما طلبه قرصاً واحداً بقليل من الأدم وقال لبواب الخان: خذ هذا إلى أهل منزلك. فأخذه وذهب به إلى أهل منزله وقال لهم: ما أظن أن أحداً على وجه الأرض أكرم من الغلام الذي سكن عندنا في هذا اليوم ولا أحلى منه، فإن دام عندنا حصل لنا الغنى. ثم إن بواب الخان دخل على إبراهيم فرآه يبكي، ففعد وصار يكبس رجليه ثم قبلهما وقال: يا سيدي، لأي شيء تبكي؟ لا أبكك الله. فقال: يا عم، أريد أن أشرب أنا وأنت في هذه الليلة. فقال له: سمعاً وطاعة. فأخرج له خمسة دنائير وقال له: إشتري لنا بها فاكهة وشراباً. ثم دفع له خمسة دنائير وقال له: إشتري لنا بهذه نقلاً ومشموماً وخمس دجاجات سمان واحضر لي عوداً. فخرج واشترى له ما أمره به وقال لزوجته: إصنعي هذا الطعام وصفي لنا هذا الشراب وليكن ما تصنعيه جيداً فإن هذا الغلام قد عمّننا بإحسانه. فصنعت زوجته ما أمرها به على غاية المراد. ثم أخذه ودخل به على إبراهيم بن السلطان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل به على ابن السلطان، فأكلا وشربا وطرّبا. فبكى الغلام وأنشد هذين البيتين:

فلما كانت الليلة
 كان
 955
 كان
 كان

[من البسيط]

يا صاحبي لو بذلت الروحَ مُجْتَهِدًا
 وَجُمْلَةَ المَالِ والدُّنْيَا وما فيها
 وَجَنَّةَ الخُلْدِ والفِرْدَوْسَ أَجْمَعُهَا
 بِسَاعَةِ الوَصْلِ كَانَ القَلْبُ شَارِيهَا

ثم شهق شهقة عظيمة وخرّ مغشياً عليه، فتنهّد بواب الخان. فلما أفاق قال له بواب الخان: يا سيدي، ما يبكيك؟ ومن هي التي تريدها بهذا الشعر؟ فإنها لا تكون إلا تراباً لأقدامك. فقام

الغلام وأخرج بقجة من أحسن ملابس النساء وقال له : خذ هذه إلى حريمك . فأخذها منه ودفعها إلى زوجته ، فأتت معه ودخلت على الغلام فإذا هو يبكي . فقالت له : فتت أبادنا ، فعرّفنا بأي مليحة تريدها وهي لا تكون إلا جارية عندك ؟ فقال : يا عم ، أعلم أنني أنا ابن الخصب صاحب مصر وإني متعلق بجميلة بنت الليث العميد . فقالت زوجة بواب الخان : الله الله يا أخي أن تترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك ، فإنه ما على وجه الأرض أجبر منها ولا يقدر أحد أن يذكر لها إسم رجل لأنها زاهدة في الرجال ، فيا ولدي إعدل عنها لغيرها . فلما سمع كلامها بكى بكاء شديداً . فقال له بواب الخان : مالي سوى روعي فانا أخاطر بها في هوك وأدبر لك أمراً فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده . فلما أصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك وإذا ببواب الخان هو وزوجته قدما عليه وقالوا له : يا سيدي ، أعلم أن هنا رجلاً خياطاً أحذب وهو خياط السيدة جميلة ، فاذهب إليه واخبره بحالك فعساه يدلّك على ما فيه وصولك إلى أغراضك . فقام الغلام وقصد دكان الخياط الأحذب فدخل عليه فوجد عنده عشرة ممالك كأنهم الأقمار ، فسلم عليهم فردّوا عليه السلام وفرحوا به وأجلسوه وتحيروا في محاسنه وجماله . فلما رآه الأحذب اندهش عقله من حسن صورته . فقال له الغلام : أريد أن تخطب لي جيبتي . فتقدّم الخياط وأخذ فتلة من الحرير وخاطه ، وكان الغلام قد فتق جيبه عمداً . فلما خاطه أخرج له خمسة دنانير واعطاها له وانصرف إلى حجرته . فقال الخياط : أي شيء عملته لهذا الغلام حتى أعطاني الخمسة دنانير ؟ ثم بات ليلته يفكر في حسنه وكرمه . فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكان الخياط الأحذب ثم دخل وسلم عليه ، فردّ عليه السلام وأرمه ورحّب به . فلما جلس قال للأحذب : يا عم ، خيط لي جيبتي فإنه فتق ثانياً . فقال له : يا ولدي ، على الرأس والعين . ثم تقدّم وخاطه فدفع له عشرة دنانير ، فأخذها وصار مبهوتاً من حسنه وكرمه . ثم قال : والله يا غلام إن فعلك هذا لا بد له من سبب ، وما هذا خبر خياطة جيب . ولكن أخبرني عن حقيقة أمرك فإن كنت عشقت واحداً من هؤلاء الأولاد ؟ فوالله ما فيهم أحسن منك وكلهم تراب أقدامك وها هم عبيدك بين يديك ، وإن كان غير هذا فأخبرني . فقال : يا عم ، ما هذا محل الكلام فإن حديثي عجيب وأمري غريب . قال : فإذا كان الأمر كذلك فقم بنا في خلوة ثم نهض الخياط وأخذ بيده ودخل معه حجرة في داخل الدكان وقال له : يا غلام حدثني . فحدثه بأمره من أوله إلى آخره . فبهت من كلامه وقال : يا غلام ، أتق الله في نفسك فإن التي ذكرتها جبارة زاهدة في الرجال ، فاحفظ يا أخي لسانك وإلا فإنك تهلك نفسك . فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديداً ولزم ذيل الخياط وقال : أجرني يا عم فأني هالك ، وقد تركت ملكي وملك أبي وجدّي وصرت في البلاد غريباً وحيداً ولا صبر لي عنها . فلما رأى الخياط ما حلّ به رحمه وقال : يا ولدي ، ما عندي إلا نفسي فأخاطر بها في هوك فإنك قد جرحت قلبي ، ولكن في غد أدبر لك أمراً يطيب به قلبك . فدعا له وانصرف إلى الخان فحدث بواب الخان بما قاله الأحذب . فقال له : قد فعل معك جميلاً . فلما أصبح الصباح لبس الغلام أفخر ثيابه وأخذ معه كيساً فيه دنانير وأتى إلى الأحذب فسلم عليه وجلس ثم قال له : يا عم ، أمجز وعدي ! فقال له : قم في هذه الساعة وخذ ثلاث دجاجات سمان وثلاث أواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملاهما شراباً ، وخذ قدحاً وضع ذلك في كارة وانزل بعد صلاة الصبح في زورق مع ملاح وقل له : أريد أن تذهب

بي تحت البصرة . فإن قال لك : ما أقدر أن أعدي أكثر من فرسخ . فقل له : الرأي لك . فإذا عدّي فرغبه بالمال حتى يوصلك ، فإذا وصلت فأول بستان تراه فإنه بستان السيدة جميلة ، فإذا رأيته فاذهب إلى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل أحذب مثلي ، فاشكو إليه حالك وتوسّل به فعهسا أن يرثي لحالك ويوصلك إلى أن تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدي حيلة غير هذا . وأما إذا لم يرث لحالك فقد هلكت أنا وأنت . وهذا ما عندي من الرأي والأمر إلى الله تعالى . فقال الغلام : استعنت بالله ، ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قام من عند الخياط الأحذب وذهب إلى حجرته وأخذ ما أمره به في كارة لطيفة . ثم إنه لما أصبح جاء إلى شاطئ الدجلة وإذا هو برجل ملاح نائم ، فأيقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له : عدني إلى تحت البصرة . فقال له : يا سيدي بشرط أنني لا أعدي أكثر من فرسخ ، وإن تجاوزته شبراً هلكت أنا وأنت . فقال له : الرأي لك . فأخذه وانحدر به ، فلما قرب من البستان قال : يا ولدي ، من هنا ما أقدر أن أعدي ، فإن تعدّيت هذا الحدّ هلكت أنا وأنت . فأخرج له عشرة دنانير أخرى وقال له : خذ هذه النفقة لتستعين بها على حالك . فاستحى منه وقال : سلّمت الأمر لله تعالى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 956

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الأخرى أخذها وقال : سلّمت الأمر لله تعالى وانحدر به . فلما وصل إلى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه . فرجع الملاح هارباً . ثم تقدّم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الأحذب من البستان ورأى بابه مفتوحاً وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحذب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب . فنهض الغلام مسرعاً وانكبّ على يده وقبلها . فقال له : من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ ومن أوصلك إلى هنا يا ولدي ؟ وكان ذلك الرجل لما رأى إبراهيم بن الخصيب أنبهر من جماله . فقال له إبراهيم : يا عم ، أنا صبي جاهل غريب ثم بكى . فرق له وأصعده على السرير ومسح له دموعه وقال له : لا بأس عليك ، إن كنت مديوناً قضى الله دينك وإن كنت خائفاً آمن الله خوفك . فقال : يا عم ، ما بي خوف ولا عليّ دين ومعني مال جزيل بحمد الله وعونه . فقال له : يا ولدي ، ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك إلى محل فيه الهلاك ؟ فحكى له حكايته وشرح له أمره . فلما سمع كلامه أشرق رأسه ساعة إلى الأرض وقال : هل الذي ذلك عليّ الخياط الأحذب ؟ قال له : نعم . قال : هذا أخي وهو رجل مبارك . ثم قال : يا ولدي ، لولا أن محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت أنت وأخي وبواب الخان وزوجته . ثم قال : أعلم أن هذا البستان ما على وجه الأرض مثله وإنه يقال له : بستان اللؤلؤة ، وما دخله أحد مدة عمري إلا السلطان وأنا وصاحبته جميلة ، وأقمت فيه عشرين سنة فما رأيت أحداً جاء إلى هذا المكان ، وكل أربعين يوماً تأتي في المركب إلى هنا وتصدع بين جواربها في حلة أطلس تحمل أطرافها عشر جوار بكلايب من الذهب إلى أن تدخل فلم أرَ منها شيئاً ، ولكن أنا ما لي إلا نفسي فأخاطر بها من أجلك . فعند ذلك قبّل الغلام يده فقال له : إجلس عندي حتى أدبر لك أمراً . ثم أخذ بيد الغلام وأدخله البستان . فلما رأى إبراهيم ذلك البستان ظن أنه الجنة ورأى الأشجار

ملتفة والنخيل باسقة والمياه متدفقة والاطيار تناغي بأصوات مختلفة . ثم ذهب به إلى قبة وقال له : هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة . فتأمل تلك القبة فوجدها من أعجب المنتزهات وفيها سائر التصاوير بالذهب واللآزورد، وفيها أربعة أبواب يصعد إليها بخمس درج ، وفي وسطها بركة ينزل إليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصعة بالمعدن ، وفي وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء يخرج من أفواهها ، فإذا صفقت الصور عند خروج الماء بأصوات مختلفة تخيل لسامعها أنه في الجنة . وحول القبة ساقية قواديسها من الفضة وهي مكسوة بالديباج ، وعلى يسار الساقية شبك من الفضة مطل على برج أخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان والأرانب ، وعلى يمينها شبك مطل على ميدان فيه من سائر الطيور وكلها تغرد بأصوات مختلفة تدهش السامع . فلما رأى الغلام ذلك أخذه الطرب وقعد في باب البستان وقعد البستاني بجانبه فقال له : كيف ترى بستاني ؟ فقال له الغلام : هو جنة الدنيا . فضحك البستاني ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد معه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مريح وحلوى من السكر فوضعه بين يدي الغلام وقال له : كُل حتى تشبع . قال ابراهيم : فأكلت حتى اكتفيت . فلما رأيته أكلت فرح وقال : والله هكذا شأن الملوك أولاد الملوك . ثم قال : يا ابراهيم ، أي شيء معك في هذه الكارة ؟ فحللتها بين يديه فقال : أحملها معك فإنها تفعلك إذا حضرت السيدة جميلة ، فإنها إذا جاءت لا أقدر أن أدخل لك بما تأكل . ثم قام وأخذ بيدي وأتى بي إلى مكان قبال قبة جميلة ، فعمل عريشة بين الأشجار وقال : إصعد هنا ، فإذا جاءت فإنك تنظرها وهي لا تنظرك وهذا أكثر ما عندي من الحيلة وعلى الله الإعتماد ، فإذا غنت فاشرب على غنائها فإذا ذهبت فارجع من حيث جئت إن شاء الله مع السلامة . فشكره الغلام وأراد أن يقبل يده فمنعه . ثم إن الغلام وضع الكارة في العريشة التي عملها له . ثم قال له البستاني : يا ابراهيم ، تفرج في البستان وكُل من أثماره فإن معاد حضور صاحبك في غد . فصار ابراهيم يتنزه في البستان ويأكل من أثماره وبات ليلته عنده . فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صلي ابراهيم الصبح ، وإذا بالبستاني جاءه وهو مصفر اللون وقال له : قم يا ولدي واصعد إلى العريشة فإن الجوارى قد آتين ليفرن المكان وهي تأتي بعدهن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
957
الخصيب في البستان قال له : قم يا ولدي ، إصعد إلى العريشة فإن الجوارى قد آتين ليفرن المكان وهي تأتي بعدهن ، واحذر من أن تبصق أو تمخط أو تعطس فتهلك أنا وائت . فقام الغلام وصعد إلى العريشة وذهب الخولي وهو يقول : رزقك الله السلامة يا ولدي . فبينما الغلام قاعد وإذا بخمس جوار أقبلن لم ير مثلهن أحد ، فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد وأطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج ، وأقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجوارى رافعات أذيال الخيمة بكلايب من الذهب حتى دخلت القبة ، فلم ير الغلام منها ولا من أثوابها شيئاً . فقال في نفسه : والله إنه ضاع جميع تعبي ، ولكن لا بد لي من أن أصبر حتى أنظر كيف يكون الأمر . فقدمت الجوارى الأكل والشرب ، ثم أكلن وغسلن أيديهن ونصبن لها كرسيًا فجلست

عليه، ثم ضربن بآلات الملاهي جميعهن وغنين بأصوات مطربة لا مثل لهن . ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجوارى وإذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك، فرأها ابراهيم وعليها الحللي والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدر والجوهر، وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ . فقام الجوارى وقبلن الأرض بين يديها وهي تضحك . قال ابراهيم بن الخصب : فلما رأيتها غبت عن وجودي واندھش عقلي وتغير فكري بما بهرني من جمال لم يكن على وجه الأرض مثله ووقعت مغشياً علي . ثم أفقت باكي العينين وانشدت هذين البيتين : [من الوافر]

أراكِ فلا أَرُدُّ الطَّرْفَ كي لا تكون حجابَ رُوَيْتِكَ الجُفُونُ
ولو أنِّي نَظَرْتُ بِكُلِّ لَحْظٍ لما استَوَقَّتْ مَحاسِنِكَ العُيُونُ

فقال العجوز للجوارى : ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين . فلما رآهن ابراهيم قال في نفسه : أستهي أن ترقص السيدة جميلة . فلما انتهى رقص العشر جوارى أقبلن حولها وقلن : يا سيدتنا، نشتهي أن ترقصي في هذا المجلس ليقم سرورنا بذلك ، لاننا ما راينا أطيّب من هذا اليوم . فقال ابراهيم بن الخصب في نفسه : لا شك أن أبواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائي . ثم قبل الجوارى أقدامها وقلن لها : والله ما راينا صدرك مشروحاً مثل هذا اليوم . فما زلن برغبتها حتى قلعت أثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرز بأنواع الجواهر، وأبرزت نهوداً كأنهن الرمان، وأسفرت عن وجه كالبدنر ليلة تمامه . فرأى ابراهيم من الحركات ما لم يري في عمره مثلاً ولما أتت في رقصها بأسلوب غريب وابتداع عجيب حتى أنستنا رقص الحجب في الكؤوس وأذكرتنا ميل العمائم عن الرؤوس . وهي كما قال فيها الشاعر : [من البسيط]

كما اشتَهَتْ خُلِقَتْ حتَّى إذا اعتَدَلَتْ في قالبِ الحُسْنِ لا طُولٌ ولا قِصْرُ
كأنَّها خُلِقَتْ مِن ماءِ لؤلؤةٍ في كُلِّ جارِحَةٍ مِن حُسْنِها قَمْرُ

وكما قال الآخر : [من البسيط]

وراقِصٍ مثلُ غُصْنِ البانِ قامتُهُ تكادُ تَذهَبُ رُوحِي مِن تَنقُلِهِ
لا يَسْتَقِرُّ لَهُ في رَقْصِهِ قَدَمٌ كأنَّما نارٌ قَلْبِي تَحْتَ أَرْجُلِهِ

قال ابراهيم : فبينما أنا انظر إليها إذ لاحت منها التفاتة إليّ فرأني . فلما نظرتني تغير وجهها فقالت لجوارىها : غنوا انتم حتى أجيء إليكن . ثم عمدت إلى سكين قدر نصف ذراع وأخذتها وأتت نحوي ثم قالت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فلما قربت مني غبت عن الوجود . فلما رأني وقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يدها وقالت : سبحان مقلب القلوب . ثم قالت لي : يا غلام طب نفساً ولك الامان مما تخاف . فصرت ابكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت : يا غلام ، أخبرني من أنت ؟ وما جاء بك إلى هذا المكان ؟ فقبلت الأرض بين يديها ولزمت ذيلها . فقالت : لا بأس عليك ، فوالله ما ملأت عيني من ذكر غيرك . فقل لي : من أنت ؟ قال ابراهيم : فحدّثتها بحدِيثي من أوله إلى آخره . فتعجبت من ذلك وقالت لي : يا سيدي ، أناشدك الله هل أنت ابراهيم بن الخصب ؟ قلت : نعم . فانكبّت عليّ وقالت : يا سيد،

أنت الذي زهدتني في الرجال لأنني لما سمعت أنه وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الأرض أجمل منه هويتك بالوصف وتعلق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر: [من البسيط]

أُذِنِي لَقَدْ سَبَقَتْ فِي عَشِقِهِ بَصْرِي وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحياناً

فالحمد لله الذي أراني وجهك، والله لو كان أحد غيرك لكننت صلبت البستاني وبوآب الخان والخياط ومن يلود بهم . ثم قالت لي : كيف أحتال على شيء تأكله من غير اطلاع جواري؟ فقلت لها : إن معي ما نأكل وما نشرب . ثم حللت الكارة بين يديها فاخذت دجاجة وصارت تلقمني والقمها . فلما رأيت ذلك منها توهمت أنه منام . ثم قدمت الشراب فشرينا ، كل ذلك وهي عندي والجواري تغني ، وما زلنا كذلك من الصبح إلى الظهر . ثم قامت وقالت : قم الآن هيء لك مركباً وانتظرنني في المحل الفلاني حتى أجيء إليك ، فما بقي لي صبر على فراقك . فقلت : يا سيدتي ، إن معي مركباً وهي ملكي والملاحون في إجارتني وهم في انتظاري . فقلت : هذا هو المراد . ثم مضت إلى الجواري . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن السيدة جميلة لما مضت إلى الجواري قالت لهن : قمن بنا لنروح إلى قصرنا . فقلن لها : كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا أننا نقعد ثلاثة أيام ؟ فقالت : إني أجد في نفسي ثقلاً عظيماً كأني مريضة وأخاف أن يثقل عليّ ذلك . فقلن لها : سمعاً وطاعة . فلبسن ثيابهن ثم توجهن إلى الشاطيء ونزلن في الزورق . وإذا

بالبستاني قد أقبل على ابراهيم وما عنده علم بالذي جرى له فقال : يا ابراهيم ، ما لك حظ في التلذذ برؤيتها . فإن من عادتها أن تقيم هنا ثلاثة أيام وأنا أخاف أن تكون رأيتك . فقال ابراهيم : ما رأيتي ولا رأيتها ولا خرجت من القبة . قال : صدقت يا ولدي ، فإنها لو رأتك لكنا هلكنا . ولكن أقعد عندي حتى تأتي في الأسبوع الثاني وترأها وتشيع من النظر إليها . فقال ابراهيم : يا سيدي ، إن معي مالاً وأخاف عليه ، وورائي رجال فأخاف أن يستغيبوني . فقال : يا ولدي . إنه يعز عليّ فراقك ثم عانقه وودّعه . ثم إن ابراهيم توجه إلى الخان الذي كان نازلاً فيه وقابل بوآب الخان وأخذ ماله . فقال له بوآب الخان : خير خير إن شاء الله . فقال له ابراهيم : إني ما وجدت إلى حاجتي سبيلاً وأريد أن أرجع إلى أهلي . فبكى بوآب الخان وودّعه وحمل أمتعته ووصله إلى المركب . وبعد ذلك توجه إلى المحل الذي قالت له عليه وانتظرها فيه . فلما جن الليل وإذا بها قد أقبلت عليه وهي في زي رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشلود بمنطقة وفي إحدى يديها قوس ونشاب وفي الأخرى سيف مجرد وقالت له : هل أنت ابن الخصيب صاحب مصر؟ فقال لها ابراهيم : هو أنا . فقالت له : وأي علق أنت حتى جئت تقصد بنات الملوك؟ قم كلم السلطان . قال ابراهيم : فوقعت مغشياً عليّ ، وأما الملاحون فإنهم ماتوا في جلودهم من الخوف . فلما رأت ما حلّ بي خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلّت المنطقة ، فرأيتها هي السيدة جميلة . فقلت لها : والله إنك قطعت قلبي . ثم قلت للملاحين : أسرعوا في سير المركب . فحلّوا الشراع وأسرعوا في السير . فما كان إلا أيام قلائل حتى وصلنا إلى بغداد وإذا بمركب واقفة على جانب

فلما كانت الليلة كان
958
كانت الليلة

الشط ، فلما رأنا الملاحون الذين فيها صاحوا على الملاحين الذين معنا وصاروا يقولون : يا فلان ويا فلان نهنيكم بالسلامة . ثم دفعوا مركبهم على مركبنا فنظرنا فإذا فيها أبو القاسم الصندلاني . فلما رأنا قال : إن هذا هو مطلوبي ، امضوا في وداعة الله وأنا أريد التوجه إلى غرض ، وكان بين يديه شمعة . ثم قال لي : الحمد لله على السلامة ، هل قضيت حاجتك ؟ قلت : نعم . فقرب الشمعة منّا . فلما رآته جميلة تغير حالها واصفرّ لونها ، ولما رآها الصندلاني قال : اذهبوا في أمان الله ، أنا رايح إلى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر . ثم أحضر علة من الحلويات ورمأها في مركبنا وكان فيها البنج . فقال ابراهيم : يا قرّة عيني ، كُلي من هذا . فبكت وقالت : يا ابراهيم ، أتدري من هذا ؟ قلت : نعم هذا فلان . قالت : إنه ابن عمي وكان سابقاً خطبني من والدي فما رضيت به وهو متوجه إلى البصرة فربما يعرف أبي بنا . فقلت : يا سيدتي ، هو لا يصل إلى البصرة حتى نصل نحن إلى الموصل . ولم يعلم بما هو مخبوء لهما في الغيب ، فأكلت شيئاً من الحلوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الأرض برأسي . فلما كان وقت السحر عطست فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عرياناً مرمياً في الخراب . فلطمت على وجهي وقلت في نفسي : إن هذه حيلة عملها عليّ الصندلاني . فصرت لا أدري أين أذهب وما عليّ سوى سروال . فقمتم وتمشيت قليلاً وإذا بالوالي أقبل عليّ ومعهم جماعة بسيف ومطارق ، فحفت فرأيت حماماً خرباً فتواريت فيه فعثرت رجلي في شيء فوضعت يدي عليه فتلوتت بالدم ، فمسحتها في سروالي ولم أعلم ما هو . ثم مددت يدي إليه ثانياً فجاءت على القتل وطلعت رأسه في يدي فرميتها وقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام وإذا بالوالي وقف على باب الحمام وقال : ادخلوا هذا المكان وفتشوا . فدخل منهم عشرة بالمشاعل ، فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأملت ذلك المقتول فرايته صبية ووجهها كالبدن ورأسها في ناحية وجنتها في ناحية وعليها ثياب ثمينة . فلما رأيتها وقعت الرجفة في قلبي ودخل الوالي وقال : فتشوا جهات الحمام . فدخلوا الموضع الذي أنا فيه فنظرني رجل منهم فجاءني ويده سكين طولها نصف ذراع . فلما قرب مني قال : سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن ، يا غلام من أين أنت ؟ ثم أخذ بيدي وقال : يا غلام ، لأي شيء قتلت هذه المقتولة ؟ فقلت : والله ما قتلتها ولا أعرف من قتلها ، وما دخلت هذا المكان إلا فرعاً منكم . وأخبرته بقصتي وقلت له : بالله عليك لا تظلمني فإني مشغول بنفسي . فأخذني وقدمني إلى الوالي . فلما رأى على يدي أثر الدم قال : هذا لا يحتاج إلى بيّنة فاضربوا عنقه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن ابن الخصيب قال : فلما قدموني إلى الوالي ورأى على يدي أثر الدم قال : هذا لا يحتاج إلى بيّنة فاضربوا عنقه . فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديداً وجرت مني دموع العين وأنشدت هذين البيتين :

[من الوافر]

مَشِينَا حُطَى كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ حُطَى مَشَاهَا

فلما كانت الليلة
959
كانت الليلة

وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضِ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضِ سِوَاهَا

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً عليّ. فرق لي قلب الجلال وقال: والله ما هذا وجه قتل. فقال الوالي: اضربوا عنقه. فأجلسوني في نطع الدم وشدوا على عيني. غطاء وأخذ السيف سيفه واستأذن الوالي وأراد أن يضرب عنقي فصحت: واغربتاه! وإذا بخيل قد أقبلت وقائل يقول: دعوه! إمتنع يدك يا سيف. وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب، وهو أن الخصيب صاحب مصر كان قد أرسل حاجبه إلى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه: إن ولدي قد فقد من منذ سنة وقد سمعت أنه ببغداد والمقصود من أنعام خليفة الله أن يفحص عن خبره ويجهتد في طلبه ويرسله إليّ مع الحاجب. فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي أن يبحث عن حقيقة خبره. فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له: بالبصرة. فأخبر الخليفة بذلك، فكتب الخليفة كتاباً وأعطاه للحاجب المصري وأمره أن يسافر إلى البصرة وأن يأخذ معه جماعة من أتباع الوزير. فمن حرص الحاجب على ولد سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي. فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجل إليه. فقال له الحاجب: ما هذا الغلام؟ وما شأنه؟ فأخبره بالخبر. فقال الحاجب والحال إنه لم يعرف أنه ولد السلطان: إن وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل. وأمره بحل وثاقه فحلّه فقال: قدّمه إليّ. فقدّمه إليه وكان قد ذهب جماله من شدة ما قاساه من الأهوال. فقال له الحاجب: أخبرني بقصيتك يا غلام؟ وما شأن هذه المقتولة معك؟ فلما نظر إبراهيم إلى الحاجب عرفه فقال له: ويلك، أما تعرفني؟ أما أنا إبراهيم ابن سيدك؟ فلعلك جئت في طلبي. فأمعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة. فلما عرفه انكبّ على أقدامه. فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب اصفرّ لونه. فقال له الحاجب: ويلك يا جبار، هل كان مرادك أن تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر؟ فقبل الوالي ذيل الحاجب وقال له: يا مولاي، من أين أعرفه؟ وإنما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية مقتولة بجانبه. فقال له: ويلك، إنك لا تصلح للولاية، هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاماً وما قتل عصفوراً فكيف يقتل قتيلاً؟ هلا أمهلته وسألته عن حاله؟ ثم قال الحاجب والوالي: فتشوا على قاتل الصبية. فدخلوا الحمام ثانياً فراوا قاتلها، فأخذوه وأتوا به إلى الوالي. فأخذه وتوجه به إلى دار الخلافة وأعلم الخليفة بما جرى. فأمر الرشيد بقتل قاتل الصبية، ثم أمر بإحضار ابن الخصيب. فلما تمثل بين يديه تبسّم الرشيد وقال له: أخبرني بقصتك وما جرى لك؟ فحدّثه بحدِيثه من أوله إلى آخره. فعظم ذلك عنده فنأدى مسروراً السيف وقال: إذهب في هذه الساعة واهجم على دار أبي القاسم الصندلاني وأتني به وبالصبية. فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية في وثاق من شعرها وهي في حالة التلف، فحلّها مسرور وأتى بها وبالصندلاني. فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت إلى الصندلاني وقال: خذوه واقطعوا يديه الذي ضرب بهما هذه الصبية وأصلبوه وسلّموا أمواله وأملاكه إلى إبراهيم. ففعلوا ذلك. فبينما هم كذلك وإذا بأبي الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد أقبل عليهم يستغيث بالخليفة من إبراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو إليه أنه أخذ ابنته. فقال له الرشيد: إنه كان سبباً في خلاصها من العذاب والقتل. وأمر بإحضار ابن الخصيب. فلما حضر قال لأبي الليث: ألا ترضى أن يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعللاً لابنتك؟ فقال: سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير

ثم جاؤوا بطبق الشراب ومجمع شمل الاحباب واحضروا الشراب المروق وبواطي الذهب والبلور والفضة، وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران وإذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث جوار نهد أبكار وجوههن كالشمس في رابعة النهار، وتلك الجواري ما بين عوادة وجنكية ورقاصة. ثم قدم لنا النقل والفواكه. قال ابن حمدون: فضرب بيننا وبين الثلاث جوار ستارة من الديداج وشراريها من الإبريسم وحلقاتها من الذهب، فلم يلتفت الخليفة إلى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده. فقال الخليفة لصاحب الدار: شريف أنت؟ قال: لا يا سيدي، إنما أنا رجل من أولاد التجار أعرف بين الناس بأبي الحسن علي بن أحمد الخراساني. فقال له الخليفة: أتعرفني يا رجل؟ قال: والله يا سيدي لم يكن لي معرفة بأحد من جنابكم. فقال له ابن حمدون: يا رجل، هذا أمير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله. فقام الرجل وقبّل الأرض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال: يا أمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين، إن كنت رأيت مني تقصيراً أو قلة أدب بحضرتك أن تغفو عني. فقال الخليفة: أما ما صنعتته معنا من الإكرام فلا مزيد عليه، وأما ما أنكرته عليك هنا فإن أصدقتني حديثه واستقرّ ذلك بعقلي نجوت مني، وإن لم تعرفني حقيقته أخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذاباً لم أعدّب أحداً مثله. قال: معاذ الله أن حدث بالحال، وما الذي أنكرته علي يا أمير المؤمنين؟ فقال الخليفة: أنا من حين دخلت الدار وأنا أنظر إلى حسنّها وأوانيتها وفراشها وزينتها حتى ثيابك فإذا عليها اسم جدّي المتوكل على الله. قال: نعم. أعلم يا أمير المؤمنين أيّدك الله أن الحق شعارك والصدق رداؤك ولا قدرة لأحد على أن يتكلم بغير الصدق في حضرتك. فأمره بالجلوس فجلس. فقال له: حدثني. فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أيّدك الله بنصره وحفك بلطائف أمره أنه لم يكن ببغداد أحد أيسر مني ولا من أبي، ولكن أدخل لي ذهنك وسمعك وبصرك حتى أحدثك بسبب ما أنكرته علي. فقال له الخليفة: قل حديثك. فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أنه كان أبي بسوق الصيارف والعطارين والبزّيين، وكان له في كل سوق حانوت ووكيل وبضائع من سائر الأصناف، وكان له حجرة داخل الدكان التي يسوق الصيارف لأجل الخلوة فيها، وجعل الدكان لأجل البيع والشراء. وكان ماله يكثر عن العديّ وي زيد عن الحدّ، ولم يكن له ولد غيري وكان محباً لي وشفوقاً عليّ. فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بوالدتي وبتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله تعالى وأبقى أمير المؤمنين. فاشتغلت باللذات وأكلت وشربت ثم اتخذت الأصحاب والأصدقاء، وكانت أمي تنهاني عن ذلك وتلومني عليه فلم أسمع منها كلاماً حتى ذهب المال جميعه وبعث العقارات ولم يبق لي شيء غير الدار التي أنا فيها، وكانت داراً حسنة يا أمير المؤمنين. فقلت لأمي: أريد أن أبيع الدار. فقالت: يا ولدي، إن بعتهما تفتضح ولا تعرف لك مكاناً تاوي إليّ. فقلت: هي تساوي خمسة آلاف دينار فأشتري من جملة ثمنها داراً بالف دينار ثم أتجر بالباقي. فقالت: أتبعيني هذه الدار بهذا المقدار؟ قلت: نعم. فجاءت إلى طابق وفتحته وأخرجت منه إناء من الصيني فيه خمسة آلاف دينار، فتخيّل لي أن الدار كلها ذهب. فقالت لي: يا ولدي، لا تظن أن هذا المال مال أبيك، والله يا ولدي إنه من مال أبي وكنتم أدخرته لوقت الحاجة إليه، فإني كنت في زمن أبيك غنية عن الإحتياج إلى هذا المال. فأخذت المال منها يا أمير المؤمنين وعدت لما كنت عليه من الماكل والمشرب والصحبة حتى نفذت الخمسة

آلاف دينار، ولم أقبل من أمي كلاماً ولا نصيحة. ثم قلت لها: مرادي أن أبيع الدار. فقالت: يا ولدي، قد نهيتك عن بيعها لعلمي أنك محتاج إليها فكيف تريد بيعها ثانياً؟ فقلت لها: لا تطيلي عليّ الكلام فلا بد من بيعها. فقالت: بعني إياها بخمسة عشر ألف دينار بشرط أن أتولى أمورك بنفسي. فبعتها لها بذلك المبلغ على أن تتولى أموري بنفسها. فطلبت وكلاء أبي وأعطت كل واحد منهم ألف دينار، وجعلت المال تحت يدها والأخذ والعطاء معها. وأعطتني بعضاً من المال لأتجر فيه وقالت لي: أقعد أنت في دكان أبيك. ففعلت بما قالت أمي يا أمير المؤمنين وجئت إلى الحجرة التي في سوق الصيارف وجاء أصحابي وصاروا يشترون مني وأبيع لهم، وطاب لي الربح وكثر مالي. فلما رأني أمي على تلك الحالة الحسنة أظهرت لي ما كان مدخراً عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب. ثم عادت لي أملاكي التي كان وقع فيها التفريط وكثر مالي كما كان ومكثت على هذا الحال مدة. وجاء وكلاء أبي فأعطيتهم البضائع. ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان. فبينما أنا قاعد فيها على عادتي يا أمير المؤمنين وإذا بجارية قد أقبلت عليّ لم ترّ العيون أجمل منها منظرًا فقالت: هذه حجرة أبي الحسن علي بن أحمد الخراساني؟ قلت لها: نعم. قالت: أين هو؟ قلت: هو أنا. ولكن اندهش عقلي من فرط جمالها يا أمير المؤمنين. ثم إنها جلست وقالت لي: قل لغلامك بزن لي ثلاثمائة دينار. فأمرته أن يزن لها ذلك المقدار، فوزنه لها فأخذته وانصرفت وأنا ذاهل العقل. فقال لي غلامي: أتعرفها؟ قلت: لا والله. قال: فلم قلت لي: زن لها؟ فقلت: والله إنني لم أدر ما أقول مما بهرتني من حسننها وجمالها. فقام الغلام وتبعها من غير علمي ثم رجع وهو يبكي وبوجهه أثر ضربة. فقلت له: ما بالك؟ فقال: إنني تبعت الجارية لأنظر أين تذهب، فلما أحست بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت أن تتلف عيني. ثم مكثت شهراً لم أرها ولم تأت وأنا ذاهل العقل في هواها يا أمير المؤمنين. فلما كان آخر الشهر وإذا بها جاءت وسلّمت عليّ، فكذت أن أطير فرحاً. فسألني عن خبري وقالت: لعلك قلت في نفسك: ما شأن هذه المحتالة؟ كيف أخذت مالي وانصرفت؟ فقلت: والله يا سيدتي إن مالي وروحي ملك لك. فأسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلي والحلل تلعب على وجهها وصدورها ثم قالت لي: زن لي ثلاثمائة دينار. فقلت: سمعاً وطاعة. ثم وزنت لها الدنانير فأخذتها وانصرفت. فقلت للغلام: اتبعها. فتبعها ثم عاد لي وهو مبهوت. ومضت مدة وهي لم تأت. فبينما أنا جالس في بعض الأيام وإذا بها قد أقبلت عليّ وتحدّثت ساعة ثم قالت لي: زن لي خمسمائة دينار فإني قد احتجت إليها. فأردت أن أقول لها: على أي شيء أعطيك مالي؟ فمَنعني فرط الغرام من الكلام. وأنا يا أمير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفر لَوْنِي وَأَنسى ما أريد أن أقول وأصير كما قال الشاعر: [من الطويل]

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتُ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت. فقمت وتبعتها بنفسي إلى أن وصلت إلى سوق الجواهر فوقفت على إنسان فأخذت منه عقداً والتفتت فرأني. فقالت زن لي خمسمائة دينار. فلما نظرني صاحب العقد قام إليّ وعظمني فقلت له: أعطها العقد وثمانه عليّ. فقال: سمعاً وطاعة. فأخذت العقد وانصرفت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن أبا الحسن الخراساني قال : فقلت له : أعطها العقد وثمنه عليّ . فأخذت العقد وانصرفت ، فتبعتها حتى جاءت إلى الدجلة ونزلت في مركب . فاوميت إلى الأرض لأقبلها بين يديها ، فذهبت وضحكت . ومكثت واقفاً أنظرها إلى أن دخلت قصرأ فتأمّلته فإذا هو قصر الخليفة المتوكّل ، فرجعت يا أمير المؤمنين وقد حلّ بقلبي كل همّ في الدنيا وكانت قد أخذت مني ثلاثة آلاف دينار . فقلت في نفسي : قد أخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها . ثم رجعت إلى داري وقد حدثت أمي بجميع ما جرى لي . فقالت لي : يا ولدي ، إياك أن تتعرض لها بعد ذلك فتهلك . فلما رجعت إلى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخاً كبيراً فقال لي : يا سيدي ، ما لي أراك متغير الحال ؟ يظهر عليك أثر الكآبة ، فحدثني بخبرك . فحدثته بجميع ما جرى لي معها . فقال لي : يا ولدي ، إن هذه من جواري قصر أمير المؤمنين وهي محظية الخليفة ، فاحسب المال الله تعالى ولا تشغل نفسك بها ، وإذا جاءتك فاحذر أن تتعرض لك واعلمني بذلك حتى أدبر لك أمراً لئلا يحصل لك تلف . ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار . فلما كان آخر الشهر وإذا بها قد أقبلت عليّ ، فرحت بها غاية الفرح . فقالت لي : ما حملك على أنك تبعني ؟ فقلت لها : حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي . وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت : والله ما في قلبك شيء من الغرام إلا وفي قلبي أكثر منه ، ولكن كيف أعمل ؟ والله ما لي من سبيل غير إنني أراك في كل شهر مرة . ثم دفعت إليّ ورقة وقالت : خذ هذه إلى فلان الفلاني فإنه وكيلي واقبض منه ما فيها . فقلت : ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداك . فقالت : سوف أدبر لك أمراً يكون فيه وصولك إليّ وإن كان فيه تعب لي ثم ودّعني وانصرفت . فجنّث إلى الشيخ العطار وأخبرته بما جرى لي . فجاء معي إلى دار المتوكّل فرأيتها هي المكان الذي دخلت فيه الجارية . فصار الشيخ العطار متحيراً في حيلة يفعلها . ثم التفت فرأى خياطاً قبال الشباك المطل على الشاطئ وعندده صناع . فقال : بهذا تنال مرادك ، ولكن أفتق جييك وتقدّم إليه وقل له أن يخيطة لك ، فإذا خاطه فادفع له عشرة دنانير . فقلت له : سمعاً وطاعة . ثم توجهت إلى ذلك الخياط وأخذت معي شقتين من الديباج الرومي وقلت له : فصلّ هاتين أربعة ملابس : اثنتين فرجية واثنتين غير فرجية . فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها أعطيته أجرتها زيادة عن العادة بكثير . ثم مدّ يده إليّ بتلك الملابس فقلت : خذها لك ولمن حضر عندك . وصررت أقعد عنده وأطيل القعود معه . ثم فصلّت عنده غيرها وقلت له : علّقه على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه . ففعل ، وصر كل من خرج من قصر الخليفة وأعجبه شيء من الملابس وهبته له حتى البواب . فقال لي الخياط يوماً من الأيام : أريد يا ولدي أن تصدقني حديثك ، لأنك فصلّت عندي مائة حلّة ثمينة وكل حلّة تساوي جملة من المال ووهبت غالبها للناس ، وهذا ما هو فعل تاجر ! لأن التاجر يحاسب على الدرهم . وما مقدار رأس مالك حتى تعطني هذه العطايا ؟ وما يكون مكسبك في كل عام ؟ فاخبرني خبراً صحيحاً حتى أعاونك على مرادك . ثم قال : أناشدك الله ، أما أنت عاشق ؟ قلت : نعم . فقال : لمن ؟ قلت : لجارية من جواري قصر الخليفة . فقال : قبّهن الله كم يفتنّ الناس . ثم قال لي : فهل تعرف اسمها ؟ قلت : لا . فقال : صفها لي . فوصفتها له . فقال : ويلاه هذه عوادة الخليفة

المتوكل المحظية عنده، لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سبباً في اتصالك بها. فبينما نحن في الحديث وإذا بالمملوك مقبل من باب الخليفة وهو كأنه القمر في ليلة أربعة عشر، وبين يدي الثياب التي خاطها لي الخياط وكانت من الديباج من سائر الألوان. فصار ينظر إليها ويتأمل ثم أقبل علي فقمتم إليه وسلّمت عليه فقال: من أنت؟ فقلت: رجل من التجار. قال: اتبع هذه الثياب؟ قلت: نعم. فأخذ منها خمسة وقال: بكم هذه الخمسة؟ فقلت: هي هدية مني إليك عقد صحبة بيني وبينك. ففرح بها ثم جئت إلى بيتي وأخذت له ملبوساً مرصعاً بالجواهر والياواقيت قيمته ثلاثة آلاف دينار وتوجهت به إليه. فقبله مني ثم أخذني ودخل بي حجرة في داخل القصر وقال لي: فما اسمك بين التجار؟ فقلت له: رجل منهم. فقال: قد رابني أمرك. فقلت: لماذا؟ قال: لأنك أهديت لي شيئاً كثيراً ملكت به قلبي، وقد صحّ عندي أنك أبو الحسن الخراساني الصيرفي. فبكيت يا أمير المؤمنين. فقال لي: لم تبك؟ فوالله إن التي تبكي من أجلها عندها من الغرام بك أكثر مما عندك من الغرام بها وأعظم، وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك. ثم قال لي: وأي شيء تريد؟ فقلت: أريد أنك تساعدني على بليتي. فوعدني إلى غد، فمضيت إلى داري. فلما أصبحت توجهت إليه ودخلت حجرته. فلما جاء قال: أعلم أنها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالأمس ودخلت حجرتها حدثها بحديثك جميعه وقد عزمت على الإجتماع بك، فاقعد عندي إلى آخر النهار. فقعدت عنده. فلما جن الليل وإذا بالمملوك أتى ومعه قميص منسوج من الذهب وحلّة من حلل الخليفة، فالبسني إياها وبخرتني فصرت أشبه الخليفة، ثم أخذني إلى محل فيه الحجر صفيين من الجانبيين وقال لي: هذه حجر الجوارى الخاص، فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا في كل ليلة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 962

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن المملوك لما قال لأبي الحسن: فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا إلى أن تأتي إلى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبه بابها من المرمر، فإذا وصلت إليها فمسّها بيدك وإن شئت فعد الأبواب فهي كذا وكذا باباً، فادخل الباب الذي علامته كذا وكذا فترآك صاحبتك وتأخذك عندها. وأما خروجك فإن الله يهون عليّ فيه ولو أخرجك في صندوق. ثم تركني ورجع وصرت أمشي وأعد الأبواب وأضع على كل باب حبة فول. فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع وأقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني، فتأملته فإذا هو الخليفة وحوله الجوارى ومعهن الشمع. فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبته: يا أختي، هل نحن لنا خليفتان؟ إن الخليفة قد جاز على حجرتي وشممت منه رائحة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته، وفي هذه الساعة أرى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل معي. فقالت: إن هذا أمر عجيب لأن التزيي بزي الخليفة لا يجسر عليه أحد. ثم قرب الضوء مني فارتعدت أعضائي وإذا بخادم يصيح على الجوارى ويقول: ههنا. فانعطفوا إلى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا إلى بيت صاحبتي. فسمعت الخليفة يقول: هذه حجرة من؟ فقالوا: هذه حجرة شجرة الدر. فقال: نادوها. فنادوها، فخرجت

وقبّلت أقدام الخليفة . فقال لها : اتشريين الليلة؟ فقالت : إن لم يكن لحضرتك والنظر إلى طلعتك فلا أشرب فإنني لا أميل إلى الشراب في هذه الليلة . فقال للخادم : قل للخازن يدفع لها العقد الفلاني . ثم أمر بالدخول إلى حجرتها . فدخلت بين يديه الشموع وإذا بجارية أمامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي بيدها فقربت مني وقالت : من هذا؟ ثم قبضت علي وأخذتني إلى حجرة من الحجر وقالت لي من أنت؟ فقبّلت الأرض بين يديها وقلت لها : أناشدك الله يا مولاتي أن تحقني دمي وترحميني وتتقربي إلى الله بإنقاذ مهجتي . وبكيت فرعاً من الموت . فقالت : لا شك أنك لص . فقلت : لا والله ما أنا لص ، فهل تري علي أثر اللصوص؟ فقالت : أصدقني خبرك وأنا أجعلك في أمان . فقلت : أنا عاشق جاهل أحقق قد حملتني الصباة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت في هذه الورطة . فقالت : قف هنا حتى أجيء إليك . ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها والبستني تلك الثياب في تلك الزاوية وقالت : أخرج خلفي . فخرجت خلفها حتى وصلت إلى حجرتها وقالت : أدخل هنا . فدخلت حجرتها فجاءت بي إلى سرير وعليه فرش عظيم وقالت : إجلس لا بأس عليك ، أما أنت أبو الحسن الخراساني الصيرفي؟ قلت : بلى . قالت : قد حقن الله دمك إن كنت صادقاً ولم تكن لصاً ، فإنك تهلك لا سيما وأنت في زي الخليفة ولباسه وبخوره . وأما إن كنت أبا الحسن علي الخراساني الصيرفي فإنك قد أمنت ولا بأس عليك لأنك صاحب شجرة الدر التي هي اختي ، فإنها لا تقطع ذكرك أبداً وتخبرنا كيف أخذت منك المال ولم تتغير ، وكيف جثت خلفها إلى الشاطيء وأوميت لها إلى الأرض تعظيماً ، وفي قلبها منك النار أكثر مما في قلبك منها . ولكن كيف وصلت إلى ها هنا بأمرها أم بغير أمرها ! بل خاطرت بنفسك ، وما مرادك من الاجتماع بها؟ فقلت : والله يا سيدتي ، إنني أنا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الاجتماع بها إلا النظر والإستماع لحديثها . فقالت : أحسنت . فقلت : يا سيدتي ، الله شهيد على ما أقول ، إن نفسي لم تحدّثني في شأنها بمعصية . فقالت : بهذه النية تجأك الله ووقعت رحمتك في قلبي . ثم قالت لجاريتها : يا فلانة ، إمضي إلى شجرة الدر وقولي لها : إن أختك تسلم عليك وتدعوك ، فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فإن صدرها ضيق . فتوجهت إليها ثم عادت وأخبرتها أنها تقول : متعني الله بطول حياتك وجعلني فداك ، والله لو دعوتني إلى غير هذا ما توقفت ، لكن يضرنني صداع الخليفة وأنت تعلمين منزلتي عنده . فقالت للجارية : إرجعي إليها وقولي لها : إنه لا بد من حضورك لسرّ بينك وبينها . فتوجهت إليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضيء كأنه البدر ، فقابلتها واعتنقتها وقالت : يا أبا الحسن أخرج إليها وقبّل يديها . وكنت في مخدع في داخل الحجرة ، فخرجت إليها يا أمير المؤمنين فلما رأيته ألقى نفسها عليّ وضممتني إلى صدرها وقالت لي : كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره؟ ثم قالت : حدّثني بما جرى لك . فحدّثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره . فقالت : يعزّ عليّ ما قاسيته من أجلي والحمد لله الذي جعل العقبة إلى السلامة ، وتمام السلامة دخولك في منزلي ومنزل اختي . ثم أخذتني إلى حجرتها وقالت لأختها : إنني قد عاهدته أن لا أجمع معه في الحرام ، ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لاكونن أرضاً لو طء قدميه وتراباً لنعليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الجارية قالت لأختها: إني قد عاهدته أنني لا اجتمع معه في الحرام، ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذه الأهوال لا كونين أرضاً لوطء قدميه وتراباً لنعليه. فقالت لها أختها: بهذه النية نجّاه الله تعالى. فقالت: سوف ترين ما أصنع حتى اجتمع معه في الحلال، فلا بد أن ابذل مهجتي في التحيل على ذلك. فبينما نحن في الحديث وإذا بضجة عظيمة، فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها. فأخذتني يا أمير المؤمنين وحطّنتني في سرداب وطبقته عليّ وخرجت تقابل الخليفة فلاقته. ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته، ثم أمرت بإحضار الشراب، وكان الخليفة يحب جارية إسمها البنجة وهي أم المعتز بالله، وكانت تلك الجارية قد هجرته وهجرها، فلغز الحسن والجمال لا تصالحه والمتوكل لعزة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع أن في قلبه منها لهيب النار، ولكنه تشاغل عنها بنظرائها من الجوارى والدخول إليهن في حجرتهن. وكان يحب غناء شجرة الدر فأمرها بالغناء. فأخذت العود وشدت الأوتار وغنّت بهذه الأشعار: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الهَوَى
فِيأ حَيْثُهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
لَهَا بَشْرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ
وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا
فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ
وَيَا سَلْوَةَ الأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الحَشْرُ
رَخِيمُ الحَوَاشِي لا هَرَاءُ وَلَا نَذْرُ
فَعُولَانِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الحَمْرُ

فلما سمعها الخليفة طرب طرباً شديداً وطربت أنا يا أمير المؤمنين في السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتضحنا. ثم أنشدت أيضاً هذه الأبيات: [من الطويل]

أَعَانِقُهُ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ
وَأَثْمٌ فَأَهْ كَي تَزُولَ حَرَارَتِي
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلُهُ
إِلَيْهِ وَهَلْ بَعْدَ العِنَاقِ تَدَانِ
فَيَنْشُدُ مَا أَلْقَى مِنَ الهَيْمَانِ
سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَ حِينَ يَمْتَرِجَانِ

فطرب الخليفة وقال: تمنني عليّ يا شجرة الدر. فقالت: أتمنى عليك عتقي يا أمير المؤمنين لما فيه من الثواب. فقال: أنت حرة لوجه الله تعالى. فقبلت الأرض بين يديه فقال: خذي العود وقولي لنا شيئاً في شأن جاريتي التي أنا متعلقٌ بهواها والناس تطلب رضاى وأنا أطلب رضاها. فأخذت العود وأنشدت هذين البيتين: [من الطويل]

أَيَّارِبَةَ الحُسْنِ البَتِي أَذْهَبَتْ نُسْكِي
فَأَمَّا بِذِكُّهُ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالهَوَى
عَلَى كُلِّ أَحْوَالِي فَلَا بُدَّ لِي مِنْكَ
وَأَمَّا بِعِزِّهِ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالمَلِكِ

فطرب الخليفة وقال: خذي العود وغنّي شعراً يتضمن شرح حالى مع ثلاث جوارى ملكن قيادى يومئذ وهن: أنت وتلك الجارية الهاجرة وأخرى لا أسميها ليس لها مناظرة. فأخذت العود واطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات: [من الكامل]

مَلِكُ الثَّلَاثِ الآسَاتُ عِنَانِي
وَحَلَلَنْ مِنْ قَلْبِي أَعَزَّ مَكَانِي

ما لي تُطاوِعُنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عَصِيَانِي
 ما ذاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَىٰ وَبِهِ غَلَبَنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به إلى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب. ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية وأخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبّلت الأرض بين يديه ثم قبّلت قدميه، فصالحها وصالحته. هذا ما كان من أمره. وأما ما كان من أمر شجرة الدر، فإنها جاءت إليّ وهي فرحانة وقالت: إني صرت حرة بقدومك المبارك ولعل الله يعينني على ما أدبره حتى أجتمع بك في الحلال. فقلت: الحمد لله. فبينما نحن في الحديث وإذا بخادمها قد دخل علينا فحدثناه بما جرى لنا. فقال: الحمد لله الذي جعل آخره خيراً، ونسال الله أن يتم ذلك بخروجك سالماً. فبينما نحن في الحديث وإذا بالجارية أختها قد جاءت وكان اسمها فاتر. فقالت: يا أختي، كيف نعمل حتى نخرجه من القصر سالماً، فإن الله تعالى منّ عليّ بالعتق وصرت حرة بركة قدمه. فقالت لها: ليس لي حيلة في خروجه إلا بأن البسه ثياب النساء. ثم جاءت ببدة من ثياب النساء فألبسيتها ثم خرجت يا أمير المؤمنين في ذلك الوقت. فلما جثت إلى وسط القصر وإذا بأمر المؤمنين جالس والخدم بين يديه، فنظر إليّ وانكرني غاية الإنكار وقال لحاشيته: أسرعوا وأتوني بهذه الجارية الذاهبة. فلما أتوا بي رفعوا نقابي، فلما رأني عرفني وسألني فأخبرته بالخبر ولم أخف عليه شيئاً. فلما سمع حديثي تفكّر في أمري ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال: كيف تختارين عليّ بعض أولاد التجار؟ فقبّلت الأرض بين يديه وحدثته بحديثها من أوله إلى آخره على وجه الصدق. فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها في العشق وأحواله ثم انصرف. ودخل عليها خادمها وقال لها: طيبي نفساً إن صاحبك لما حضر بين يدي الخليفة سأله فأخبره كما أخبرته حرفاً بحرف. ثم رجع الخليفة وأحضرني بين يديه وقال لي: ما حملك على التجاري على دار الخلافة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، حملني على ذلك جهلي والصبابة والإقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت وقبّلت الأرض بين يديه. فقال: عفوت عنكما. ثم أمرني بالجلوس فجلست، فدعا بالقاضي أحمد بن أبي دؤاد وزوجني بها وأمر بحمل جميع ما عندها إليّ وزفوها عليّ في حجرتها، وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك إلى بيتي. فجميع ما تنظره يا أمير المؤمنين في بيتي وتنكره كله من جهازها. ثم إنها قالت لي يوماً من الأيام: أعلم أن المتوكّل رجل كريم وأخاف أن يتذكّرنا أو يذكرنا عنده أحد من الحساد فأريد أن أعمل شيئاً يكون فيه الخلاص من ذلك. قلت: وما هو؟ قالت: أريد أن أستاذته في الحج والتوبة من الغناء. فقلت لها: نعم الرأي الذي أشرت إليه. فبينما نحن في الحديث وإذا برسول الخليفة قد جاءني في طلبها لأنه كان يحب غناها، فمضت وخدمته. فقال لها: لا تنقضي عناً. فقالت: سمعاً وطاعة. فاتفق أنها ذهبت إليه في بعض الأيام وكان قد أرسل إليها على جري العادة، فلم أشعر إلا وقد جاءت من عنده ممزّقة الثياب باكية العين. ففرغت من ذلك وقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وتوهّمت أنه أمر بالقبض علينا. فقلت لها: هل المتوكّل غضب علينا؟ فقالت: وأين المتوكّل؟ إن المتوكّل قد انقضى حكمه وانحى رسمه. فقلت: أخبريني بحقيقة الأمر. فقالت: إنه كان جالساً وراء الستارة يشرب وعنده الفتح بن خاقان وصدقة بن صدقة، فهجم عليه المنتصر هو وجماعة من الأتراك فقتله وانقلب السرور بالشور

والحظ الجميل بالبكاء والوعويل ، هَمَّيْتُ أنا والجارية وسلمنا الله . ثم قمت في الحال يا أمير المؤمنين وانحدرت إلى البصرة وجاءني الخبر بعد ذلك بوقوع الحرب بين المنتصر والمستعين ، فخفت أفنقت زوجتي وجميع مالي إلى البصرة . وهذه حكايتي يا أمير المؤمنين لا زدتها حرفاً ولا نقصتها حرفاً ، فجميع ما نظرت في بيتي يا أمير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا ، لأن أصل نعمتنا من أصولك الأكرمين ، وأنتم أهل النعم ومعدن الكرم . ففرح الخليفة بذلك فرحاً شديداً وتعجب من حديثه . ثم أخرجت للخليفة الجارية وأولادي منها ، فقبلوا الأرض بهن يديه ، فتعجب من جمالهم واستدعى بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن أملاكنا عشرين سنة . ففرح الخليفة وأتخذة نديماً إلى أن فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور . فسبحان الملك الغفور .

86 - حكاية قمر الزمان وزوجة الجوهرى

ومما يحكى أيضاً أيها الملك السعيد ، أنه كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن ، قد رزقه الله بنتاً وولداً فسَمَّى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها ، وسَمَّى الولد قمر الزمان لشدة حسنه . ولما نظر ما أعطاهما الله من الحسن والجمال والبهاء والإعتدال خاف عليهما من أعين الناظرين والسنة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيل الفاسقين ، فحججهما عن الناس في قصر مدة أربعة عشر سنة ولم يرهما أحد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما . وكان والديهما يقرأ القرآن كما أنزله الله ، وكذلك أمهما تقرأ القرآن . فصارت الأم تقرأ بنتها والرجل يقرأ ولده حتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهما وأمهما ولم يحتاجا إلى معلم . فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته : إلى متى وأنت حاجب ولدك قمر الزمان عن أعين الناس ؟ أهو بنت أو غلام ؟ فقال لها : غلام . قالت : حيث كان غلاماً لم تأخذ معك إلى السوق وتقعده في الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لأجل أن يشتهر عندهم أنه ابنك وتعلمه البيع والشراء ؟ وربما يحصل لك أمر فيكون الناس قد عرفوا أنه ولدك فيضع يده على مخلقاتك . وأما إذا مت على هذه الحالة وقال للناس : أنا ابن التاجر عبد الرحمن . فإنهم لا يصدقونه بل يقولون له : ما رأيناك ولا نعرف أن له ولداً . وتأخذ أموالك الحكام ويصير ولدك محروماً وكذلك البنت ، مرادي أن أشهرها عند الناس لعل أحداً كفوا لها يخطبها فنزوحها له ونفرح بها . فقال لها : مخافة عليهما من أعين الناس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

لها قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها : مخافة عليهما من أعين الناس لأنني محب لهما والمحبة شديدة الغيزات وقد أحسن من قال هذه الأبيات :

فلما كانت الليلة
ومررت على
964
الليلة

[من الوافر]

أغارُ عليكِ من نظري ومني ومنك ومن مكانك والزمان

وَلَوْ أَنِّي وَصَعْتُكَ فِي عِيُونِي دَوَاماً مَا سَمِئْتُ مِنَ التَّدَانِي
وَلَوْ وَأَصَلَّتْنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَفَانِي

فقالت له زوجته : توكل على الله ولا بأس على من يحفظه الله وخذه في هذا اليوم معك إلى الدكان . ثم إنها البسته بدلة من أفخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة في قلوب العاشقين ، وأخذه أبوه معه ومضى به إلى السوق . فصار كل من رآه يفتتن به ويتقدم إليه ويبوس يده ويسلم عليه ، وصار أبوه يشتم الناس حيث تبعوه لقصده الفرجة . وصار البعض من الناس يقول : إن الشمس قد طلعت في المحل القلاني وأشرفت في السوق . والبعض يقول : مطلع البدر في الجهة الفلانية . والبعض يقول : ظهر هلال العيد على عباد الله . وصاروا يلّمحون إلى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لأبيه خجل . من كلام الناس ولا يقدر أن يمنع أحداً منهم عن الكلام ، وصار يشتم أمه ويدعو عليها لأنها هي التي كانت سبباً في خروجه . والتفت أبوه فرأى الخلاق مزدحمين عليه خلفه وقدامه وهو ماش إلى أن وصل إلى الدكان ، ففتح الدكان وجلس وأجلس ولده قدامه والتفت إلى الناس فرأهم قد سلّوا الطريق ، وصار كل من مرّ به من رايح وغاد يقف قدام الدكان وينظر إلى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر أن يفارقه . وانعقد عليه إجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال : [من المتقارب]

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا فَتَنَّا وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي أَتَقُونَ
فَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ فَكَيْفَ عِبَادِكَ لَا يَعْشَقُونَ

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفاً نساء ورجالاً لديه ، شاخصين لولده ، خجل غاية الخجل وصار متحيراً في أمره ولم يدر ماذا يصنع . فلم يشعر إلا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد أقبل عليه من طرف السوق ، ثم تقدم إلى الغلام وصار ينشد الأشعار ويرخي الدموع الغزار . فلما رأى قمر الزمان جالساً كأنه قضيب البان ، نابت على كتيب من الزعفران . أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين : [من المنسرح]

رَأَيْتُ غُصْنًا عَلَى كَتِيبٍ شَيْبَهُ بَدْرٍ إِذَا تَلَلَا
فَقُلْتُ: مَا الْإِسْمَ قَالَ: لَوْلُو فَقُلْتُ: لِي قِيٌّ فَقَالَ: لَالَا

ثم إن الدرويش صار يمشي الهويئا ويمسح شيبته بيده اليمنى ، فانشق لهيبته قلب الزحام . فلما نظر إلى الغلام اندهش منه العقل والناظر وانطبق عليه قول الشاعر : [من السريع]

فَبَيْنَمَا ذَاكَ الْمَلِيحُ فِي مَحَلٍّ مِنْ وَجْهِهِ هِلَالُ عِيدِ الْفِطْرِ طَلَّ
إِذَا بِشَيْخٍ ذِي وَقَارٍ قَدْ أَهَلَّ يَمْشِي وَلَكِنْ مَشِيَهُ عَلَى مَهَلٍّ
يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ لِلزُّهْدِ

قَدْ مَارَسَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي وَخَاضَ فِي الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ
وَهَامَ بِالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ وَرَقَّ حَتَّى صَارَ كَالْحَلَالِ
وَعَادَ عَظْمًا بَالِيًا فِي جِلْدِ

وكان في ذا الفن أعجمياً الشيخ عنده يرى صبيًا
 وفي محبة النساء عذرياً في الحصلتين ماهرًا غويًا
 فزئبٌ لديه مثلُ زيدٍ
 يهيمُ بالحسنا ويهوى الحسنا ويندبُ الربعَ ويكي الدمنا
 تحاله من فرط شوقٍ غصنا مع الصبا إلى هناك أو هنا
 إن الجمود من طباع الصلِّدِ
 وكان في فن الهوى خيرًا مستيقظًا في أمره بصيرا
 وجاب منه السهل والعسيرا وعانقَ الظبيةَ والعريرا
 وهام بالشيب معاً والمردِ

ثم تقدم إلى الولد وأعطاه عرق ريحان فمدَّ أبوه يده إلى جيبه وأخرج له ما تيسر من الدراهم وقال : خذ نصيبك يا درويش واذهب إلى حال سبيلك . فأخذ منه الدراهم وجلس على مصطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر إلى الولد ويبكي ويتحسرَّ حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابضة . فصارت الناس تنظر إليه وتعرض عليه وبعضهم يقول : كل الدراويش فساق . وبعضهم يقول : إن الدرويش في قلبه من عشق الولد احتراق . وأما أبوه فإنه لما عاين هذا الحال قام وقال : قم يا ولدي حتى نقفل الدكان ونروح إلى بيتنا ولا يتبقى لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء ، الله تعالى يجازي أمك بما فعلت معنا فإنها هي التي تسببت في هذا كله . ثم قال : يا درويش ، قم حتى أقفل الدكان . فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه وأخذ ولده ومشى . فتبعهما الدرويش والناس إلى أن وصلا إلى منزلهما . فدخل الولد المنزل والتفت التاجر إلى الدرويش وقال له : ما تريد يا درويش ؟ وما لي أراك تبكي ؟ فقال : يا سيدي ، أريد أن أكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى . فقال : مرحباً بضيف الله ، أدخل يا درويش . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان : أنا ضيف الله . فقال له التاجر : مرحباً بضيف الله ، أدخل يا درويش . وقال التاجر في نفسه : إن كان هذا الدرويش عاشقاً للولد وطلب منه فاحشة فلا بد أن أقتله في هذه الليلة وأخفي قبره ، وإن كان ما عنده فساد فإن الضيف يأكل نصيبه . ثم إنه أدخل الدرويش هو وقمر الزمان في قاعة وقال سرّاً لقمر الزمان : يا ولدي ، إجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد أن أخرج من عندكما ، فإن طلب منك فساداً فأنا أكون ناظراً لكما من الطاقة المطلقة على القاعة فأنزل إليه وأقتله . ثم إن الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة قعد بجانب الدرويش ، فصار الدرويش ينظر إليه ويتحسرَّ ويبكي وإذا كلمه الولد يردّ عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت إلى الولد ويتنهد ويبكي إلى أن أتى العشاء ، فصار يأكل وعينه من الولد ولا يفتر عن البكاء . فلما مضى ربيع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال أبو الولد : يا ولدي ، تقيد بخدمة عمك الدرويش

فلما كانت الليلة
 965
 ما كان
 ما كان

ولا تخالفه . وأراد أن يخرج فقال له الدرويش : يا سيدي ، خذ ولدك معك أو نم عندنا . قال : لا .
 وها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيئاً فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك . ثم
 خرج وخلصهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تظل على القاعة التي هما فيها . هذا ما كان من أمر
 التاجر . وأما ما كان من أمر الولد فإنه تقدّم إلى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه .
 فاغتاظ الدرويش وقال له : ما هذا الكلام يا ولدي ؟ أعود بالله من الشيطان الرجيم ، اللهم إن
 هذا منكرا لا يرضيك ، إبعد عني يا ولدي . ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيداً عن الولد فتبعه
 الولد ورمى روحه عليه وقال له : لأي شيء يا درويش تحرم نفسك من لذة وصالي وأنا قلبي
 يحبك ؟ فازداد غيظ الدرويش وقال له : إن لم تمتنع عني ناديت أباك وأخبره بخبرك . فقال له :
 إن أبي يعرف أنني بهذه الصفة ولا يمكن أنه يمنعني فاجبر بخاطري ، لأي شيء تمتنع عني ؟ أما
 اعجبتيك ؟ فقال له : والله يا ولدي ما أفعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر . وأنشد قول
 الشاعر : [من الخفيف]

إِنَّ قَلْبِي يَهْوَى الْمَلِاحَ دُكُورًا وَإِنَّا نَأْتِيهِ بِالْمُتَوَانِي
 بَلْ أَرَاهُمْ أَصَابِلًا وَبُكُورًا لَمْ أَكُنْ لَأَيْطَأْ وَلَا أَنَا زَانِي

ثم بكى وقال له : قم افتح لي الباب حتى أروح إلى حال سيّلي ، أنا ما بقيت أنام في هذا
 المكان . ثم قام على قدميه فتملّق به الولد وصار يقول له : أنظر لإشراق وجهي وحمرة خدي ولين
 معاطفي ورقة شفائفي . ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقبي ورنّا إليه بلحظ يعجز
 السحر والراقي . وكان بديع الجمال رخيم الدلال كما قال فيه بعض من قال : [من الكامل]

لَمْ أَنْسَهُ مَذْقَامَ يَكْشِفُ عَامِدًا عَنْ سَاقِهِ كَاللُّؤُؤِ الْبَرَّاقِ
 لَا تَعْجَبُوا مِنْ أَنْ تَقُومَ قِيَامَتِي إِنَّ الْقِيَامَةَ يَوْمَ كَشَفِ السَّاقِ

ثم بيّن له الغلام صدره وصار يقول له : أنظر إلى نهودي فإنها أحسن من نهود البنات وريقي
 أحلى من السكر النبات ، فدع الورع والزهادة وخلصنا من النسك والعبادة واغتنم وصالي وتمل
 بجمالي ولا تخف من شيء أبداً وعليك الأمان من الردى وأترك هذه البلادة فإنها بثست العادة .
 وصار يريه ما خفي من محاسنه ويديه ويثني عنان عقله بثثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول :
 أعود بالله ، استحي يا ولدي إن هذا شيء حرام لا أفعله ولا في المنام . فشدد عليه الغلام فانفلت
 منه الدرويش واستقبل القبلة وصار يصلي . فلما رآه يصلي تركه حتى صلى ركعتين وسلّم
 وأراد أن يتقدم إليه فنوى الصلاة ثاني مرة وصلى ركعتين . ولم يزل يفعل هكذا ثالثاً ورابعاً
 وخامساً . فقال له الولد : وما هذه الصلاة ؟ وهل مرادك أن تطير على السحاب ؟ أضعت حظنا
 وأنت طول الليل في المحراب . ثم إن الغلام ارتقى عليه وصار يبوّسه بين عينيه . فقال له : يا ولدي ،
 اخز عنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن . فقال له : إن لم تفعل بي ما أريد أنادي أبي وأقول
 له : إن الدرويش يريد أن يفعل بي الفاحشة . فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على
 لحمك . كل هذا وأبوه ينظر بعينه ويسمع بأذنه ، فثبت عند أبي الولد أن الدرويش ما عنده فساد
 وقال في نفسه : لو كان هذا الدرويش مفسوداً ما كان يتحمل هذه المشقة كلها . ثم إن الولد صار
 يحاول الدرويش وكلما نوى الصلاة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ وأغلظ على

الولد وضربه . فبكي الولد، فدخل عليه أبوه ومسح دموعه وأخذ يخاطره وقال للدرويش : يا أخي، حيث كنت على هذه الحالة لأي شيء تبكي وتحسّر حين رأيت ولدي؟ هل لهذا من سبب؟ قال له : نعم . فقال له : أنا لما رأيتك تبكي عند رؤيته ظننت فيك سوء، فأمرت الولد بهذا الأمر حتى أجربك وأضمرت أنني إذا رأيتك تطلب منه فاحشة أدخل عليك وأقتلك . فلما رأيت ما وقع منك عرفت أنك من الصلاح على غاية، ولكن بالله عليك أن تخبرني بسبب بكائك . فتهنأ الدرويش وقال له : يا سيدي، لا تحرك علي ساكن الجراح . فقال : لا بد أن تخبرني . فقال : أعلم أنني درويش سياح في البلاد والأقطار لأعتبر بأثار خالق الليل والنهار . فاتفق أنني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الدرويش لما قال للتاجر : أعلم أنني درويش سياح فاتفق أنني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوية النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الأصناف والبضائع والمأكول والمشرب وهي خالية، ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد، وليس في الشوارع والأسواق كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا إنس . فتعجبت من ذلك وقلت : يا ترى، أين راح أهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم؟ وما فعل الله بهم؟ وكنت جائعاً فأخذت عيشاً سخناً من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبسست العيش بالسمن والعسل وأكلت، وطلعت دكان شربات فشربت ما أردت، ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها أحد وشربت كفايتي وقلت : إن هذا الشيء عجيب ! كان أهل هذه المدينة أتاهم الموت فماتوا كلهم في هذه الساعة أو خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا أن يقفلوا دكاكينهم . فبينما أنا أفكر في الأمر وإذا بصوت نوبة تدق، فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت أنظر من خلال الخروف، فرأيت جواري كأنهن الأقمار وقد مشين في السوق زوجاً زوجاً من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهن أربعون زوجاً بثمانين جارية، ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدر أن ينقل أقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر . وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بأفخر الزينة ولابسة أفخر الملابس، وفي عنقها عقد من الجواهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها أساور تضيء كالنجوم وفي رجلها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن، والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها، وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته من زمرد وعلائقه من ذهب مرصع بالجواهر . فلما وصلت تلك الصبية إلى الجهة التي قدامي حبست عنان الجواد وقالت : يا بنات، إنني قد سمعت حس شيء في داخل هذا الدكان ففتشناه لئلا يكون فيه أحد مستخف ومراده أن يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه . ففتشنا الدكان الذي قدام القهوة التي أنا مستخف فيها وبقيت أنا خائفاً، فرأيتهن قد خرجن برجلن وقلن لها : يا سيدتنا، قد رأينا هنا رجلاً وها هو بين يديك . فقالت للجارية التي معها السيف : إرمي عنقه . فتقدمت إليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحاً على الأرض ومضين . ففزعت أنا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلق قلبي بعشق الصبية، وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل

فلما كانت الليلة
966
الليلة

من كان له دكان يدخلها، ودرجت الناس في الأسواق والتَمَّوا على المقتول يتفرجون عليه . فخرجت أنا من المكان الذي كنت فيه سراً ولم ينتبه لي احد ولكن تملك قلبي عشق تلك الصبية فصرت أتجسس عليها سراً فلم يخبرني احد عنها بخبر . ثم إني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة . فلما رأيت ابنك هذا رأيت أشبه الناس بتلك الصبية ، فأذكرني بها وهيح علي نار الغرام وأضرم بقلبي لهيب وهذا سبب بكائي . ثم إنه بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد . وقال : يا سيدي ، بالله عليك أن تفتح لي الباب حتى اذهب إلى حال سيئلي . ففتح له الباب وخرج . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكّن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام . فلما أصبح الصباح قال لأبيه : كل أولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد ، وليس منهم واحد إلا وأبوه يجهز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها . ولاي شيء يا أبي لم تجهز لي تجارة حتى أسافر بها وأنظر سعدي ؟ فقال له : يا ولدي ، إن التجار مقلون من المال فيسفرون اولادهم من أجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا . وأما أنا فعندي اموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف اغربك وأنا لا اقدر على فراقك ساعة ؟ خصوصاً وأنت فريد في الجمال والحسن والكمال وأخاف عليك . فقال له : يا أبي ، لا يمكن إلا ان تجهز لي متجراً لأسافر به وإلا اغافلك وأهرب ولو من غير مال ولا تجارة ، وإن أردت تطيب خاطري فجهز لي بضاعة حتى أسافر وأتفرج على بلاد الناس . فلما رآه أبوه متعلقاً بالسفر أخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها : إن ولدك يريد أن أجهز له متجراً ليسافر به إلى بلاد الغربية كربة . فقالت له زوجته : ماذا يضرّك من ذلك ؟ إن هذه عادة اولاد التجار فكلهم يتفاحرون بالأسفار والمكاسب . فقال لها : إن غالب التجار فقراء يطلبون كثرة المال ، وأما أنا فمالي كثير . فقالت له : زيادة الخير لا تضر ، وإن كنت أنت لا تسمح له بذلك فانا أجهز له متجراً من مالي . فقال التاجر : إني أخاف عليه من الغربية لأنها بثست الكربة . قالت : لا بأس بالإغتراب الذي فيه الإكتساب وإلا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه ونفتضح بين الناس . فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجراً لولده بتسعين ألف دينار ، وأعطته أمه كيساً فيه أربعون فصاً من ثمين الجواهر ، أقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت : يا ولدي ، إحتفظ على هذه الجواهر فإنها تنفعك . فأخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر إلى البصرة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
967
الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن قمر الزمان أخذ جميع ذلك وسافر إلى البصرة ، وكان وضع الجواهر في كمر وشده على وسطه ، ولم يزل مسافراً حتى لم يبق بينه وبين البصرة إلا مرحلة واحدة . فخرج عليه العرب وعروه وقتلوا رجاله وخدمه ، فرقد بين قتيلين ولطّخ روجه بالدم ، فظن العرب أنه مقتول فتركوه ولم يتقرّب منه أحد ثم أخذوا

أمواله وراحوا . فلما راح العرب إلى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيئاً غير الفصوص التي على حزامه ، ولم يزل سائراً حتى دخل البصرة . فاتفق أن دخوله كان في يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما أخبر الدرويش ، فرأى الأسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهي ممتلئة بالبضائع ، فأكل وشرب وصار يتفرج . فبينما هو كذلك إذ

سمع النبوة تدق، فاختمني في دكان إلى أن جاءت البنات. فتفرّج عليها، ولما رأى الصبية راكبة أخذ العشق والغرام وملكه الوجد والهيام حتى صار لا يستطيع القيام. وبعد حصّة من الزمان ظهرت الناس وملات الأسواق، فذهب إلى السوق وتوجه إلى رجل جوهرى وأخرج له حجراً من الأربعين يساوي ألف دينار فباعه له ورجع إلى محله ثم بات تلك الليلة. فلما أصبح الصباح غير حوائجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام. ثم باع أربعة فصوص بأربعة آلاف دينار وصار يتفرّج في شوارع البصرة وهو لابس أفخر الملابس حتى وصل إلى سوق فرأى فيه رجلاً مزيناً، فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صحبة ثم قال: يا والدي، أنا غريب البلاد وبالأمس دخلت هذه المدينة فرايتها خالية من السكان وما فيها أحد من إنس ولا جان. ثم إنني رأيت بناتاً وبينهن صبية راكبة في موكب وأخبره بما رأى. فقال له: يا ولدي، هل أخبرت غيري بهذا الخبر؟ قال: لا. فقال له: يا ولدي، إياك أن تذكر هذا الكلام قدّام أحد غيري، فإن كل الناس لا يكتفون الكلام والأسرار وأنت ولد صغير فأخاف عليك أن ينتقل الكلام من ناس إلى ناس حتى يصل إلى أصحابه فيقتلوك. واعلم يا ولدي أن هذا الذي رأيته ما أحد رآه ولا يعرفه في غير هذه المدينة. وأما أهل البصرة فإنهم يموتون بهذه الحسرة، وفي كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يجلسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشي في الأسواق وجميع أهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الأبواب ولا يقدر أحد منهم أن يمرّ في السوق ولا أن يطل من طاقة ولا يعرف أحد ما سبب هذه البلية. ولكن يا ولدي في هذه الليلة أسأل زوجتي عن سببها فإنها داية تدخل بيوت الأكاير وتعرف أخبار هذه المدينة، فإن شاء الله تعالى تأتي عندي في غد وأنا أخبرك بما تخبرني به. فكبش كبشة من الذهب وقال: يا والدي، خذ هذا الذهب واعطه لزوجتك فإنها صارت أُمي. وكبش كبشة ثانية وقال: خذ هذا لك. فقال المزين: يا ولدي، إجلس مكانك حتى أروح إلى زوجتي وأسألها وأجيء إليك بالخبر الصحيح. ثم تركه في الدكان وراح إلى زوجته وأخبرها بشأن الغلام وقال لها: مرادي أن تخبريني بحقيقة أمر هذه المدينة حتى أخبر به هذا الشاب التاجر، فإنه متوتّع بالإطلاع على حقيقة أمرها من امتناع الناس والحيوانات عن الأسواق في ضحوة يوم الجمعة، وأظن أنه عاشق وهو كريم سخي، فإذا أخبرناه يحصل لنا منه خير كثير. فقالت له: رح هاته وقل له: تعال كَلِّم أمك زوجتي، فإنها تقرئك السلام وتقول لك: إن الحاجة مقضية. فذهب إلى الدكان فرأى قمر الزمان قاعداً ينتظره فأخبره بالخبر وقال له: يا ولدي، إذهب بنا إلى أمك زوجتي فإنها تقول لك: إن الحاجة مقضية. ثم أخذه وسار به حتى دخل على زوجته، فرحبت به وأجلسته. ثم إنه أخرج مائة دينار وأعطها لها وقال لها: يا أُمي، أخبريني عن هذه الصبية من تكون؟ فقالت: يا ولدي، أعلم أن سلطان البصرة قد جاءته جوهرة من عند ملك الهند فاراد أن يثقبها فأحضر جميع الجوهرجية وقال لهم: أريد منكم أن تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها له عليّ تمنية، فمهما تمنّاه أعطيته له وإن كسرنا فإنني أرمي رأسه. فخافوا وقالوا: يا ملك الزمان، إن الجوهر سريع العطب وقلّ أن يثقبه أحد ويسلم لأن الغالب عليه الكسر فلا تحمّلنا ما لا نطيق فنحن لا نخرج من أيدينا أن نثقب هذه الجوهرة وإنما شيخنا أخبرنا. فقال الملك: ومن شيخكم؟ قالوا له: المعلم عبيد وهو أخبرنا بهذه الصناعة وعنده أموال كثيرة وله معرفة جيدة. فارسل إليه واحضره بين يديك وأمره أن يثقب لك هذه الجوهرة.

فأرسل وأمره بثقبها وشرط عليه الشرط المذكور . فآخذها وثقبها على مزاج الملك فقال له : تمنّ عليّ يا معلم ! فقال : يا ملك الزمان إمهني إلى غد . والسبب في ذلك إنه أراد أن يشاور زوجته ، وكانت زوجته تلك الصبية التي رايتها في الموكب وكان يحبها محبة شديدة ، ومن عظم محبته لها أنه كان لا يفعل شيئاً إلا إذا شاورها فيه ، ولأجل ذلك أمهل التمنية حتى يشاورها . فلما أتى إليها قال لها : إني ثقت للملك جوهرة وأعطاني تمينة وقد أمهلتها حتى أشاورك . فأني شيء تريدني حتى أتمناه ؟ قالت : نحن عندنا أموال لا تأكلها النيران ولكن إن كنت تمبني فتمنّ على الملك أنه ينادي في شوارع البصرة أن أهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبقى في البلد كبير ولا صغير حتى يكون في المسجد أو في البيت وتقفل عليهم أبواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وأنا أركب بجواربي وأشقّ في المدينة ولا ينظرني أحد من طاقة ولا من شباك ، وكل من عثرت به قتلته . فراح إلى الملك وتمنّى عليه هذه الامنية . فأعطاه ما تمناه ونادى بين أهل البصرة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 968

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الملك لما أعطى الجوهرى ماتمته ونادى بين أهل البصرة بما تمناه قالوا : إننا نخاف على البضائع من القلط والكلاب . فأمر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلاة الجمعة ، وصارت تلك الجارية تخرج في كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواربيها في شوارع البصرة ولا يقدر أحد أن يمرّ في السوق ولا أن يطل من طاقة ولا من شباك . فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ، ولكن يا ولدي هل مرادك معرفة خبرها أو مرادك الإجتماع بها ؟ فقال : يا أمي ، مرادي الإجتماع بها . فقالت : أخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة ؟ فقال : يا أمي ، عندي من ثمين المعادن أربعة أصناف : صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار ، وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار ، وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار ، وصنف ثمن كل واحد منه ألف دينار . قالت له : وهل تسمح نفسك بأربعة منها ؟ قال : نفسي تسمح بالجميع . قالت : قم يا ولدي من غير مطرود وأخرج منها فصاً يكون ثمنه خمسمائة دينار وأسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرى وأذهب إليه ، تراه جالساً في دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصنّاع . فسلمّ عليه واجلس على الدكان وأخرج الفص وقل له : يا معلم ، خذ هذا الحجر وصغه لي خاتماً بالذهب ولا تجعله كبيراً بل اجعله قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعاً جيداً . ثم اعطه عشرين ديناراً واعط الصنّاع كل واحد ديناراً واقعد عنده حصة وتحدّث معه ، وإذا أتاك سائل فاعطه ديناراً واظهر الكرم حتى يتولّع بمحبتك . ثم قم من عنده ورجع إلى منزلك وبت هناك ، فإذا أصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لأبيك فإنه فقير . قال : وهو كذلك . ثم خرج من عندها وذهب إلى الوكالة وأخذ فصاً ثمنه خمسمائة دينار وعمد به إلى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرى فدلّوه على دكانه . فلما وصل إلى الدكان رأى شيخ الجوهرى رجلاً مهاباً وعليه ثياب فاخرة وتحت يده أربعة صنّاع . فقال له : السلام عليكم . فردّ عليه السلام ورحّب به وأجلسه . فلما جلس أخرج له الفص وقال : يا معلم ، أريد منك أن تصوغ لي هذا الحجر خاتماً بالذهب ولكن اجعله قدر مثقال من غير زيادة وصغه صياغة طيبة . ثم أخرج له عشرين ديناراً وقال له : خذ

هذه في نظير نقشه والأجرة باقية . ثم أعطى كل صانع ديناراً، فأحبه الصنّاع وأحبه المعلم عبید
وقعد يتحدث معه، وصار كل من أتاه من السائلين يعطيه ديناراً فتعجبوا من كرمه . ثم إن المعلم
عبید كان عنده عدة في بيته مثل العدة التي في الدكان وكان من عادته إنه إذا أراد أن يصنع شيئاً
غريباً يشغله في بيته حتى إن الصنّاع لا يتعلّمون منه الصنعة الغريبة . وكانت الصبية زوجته تجلس
قدامه فإذا كانت قدامه ونظر إليها فإنه يصنع كل شيء غريب في صناعته بحيث لا يليق إلا
بالمملوك . فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت . فلما رأته زوجته قالت له : ما مرادك أن
تصنع بهذا الفص ؟ قال : أريد أن أصوغه خاتماً بالذهب فإن ثمنه خمسمائة دينار . فقالت له :
لمن ؟ قال : للغلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح وخطود تقدح وله فم كخاتم سليمان
ووجنات كشقائق النعمان وشفاف حمر كالمرجان وله عنق مثل أعناق الغزلان وهو أبيض
مشرب بحمرة، ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا . وصار تارة يصف لها حسنه وجماله وتارة
يصف لها كرمه وكماله، ولا زال يذكر لها محاسنه وكرم أخلاقه حتى عشقها فيه ولم يكن أحد
أعرض من الذي يصف لزوجته إنساناً بالحسن والجمال وفرط سخائه بالمال . فلما فاض بها
الغرام قالت له : هل يوجد فيه شيء من محاسني ؟ فقال لها : جميع محاسنك كلها فيه وهو
شبيهك في الصفة وربما كان عمره قدر عمرك، ولولا إني أخاف على خاطرک لقلت : إنه أحسن
منك بألف مرة . فسكتت ولكن التهبت نار محبته في قلبها . ثم إن الصايغ لم يزل يتحدث في
تعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم، ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قدر إصبعها .
فقالت له : يا سيدي، إن قلبي حب هذا الخاتم وأشتهي أنه يكون لي ولا أنزعه من إصبعي فقال
لها : إصبري فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه، فإن باعني إياه جئت به إليك، وإن كان
عنده حجر آخر أشتريه لك وأصوغه مثله . وأدرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 969
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الجوهری قال لزوجته : إصبري
فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه، فإن باعني إياه جئت به
إليك، وإن كان عنده حجر آخر أشتريه وأصوغه لك مثله . هذا ما كان
من أمر الجوهری وزوجته . وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه بات في
منزله . فلما أصبح أخذ مائة دينار وأتى إلى العجوز زوجة المزين وقال
لها : خذي هذه المائة دينار . فقالت له : أعطها لأبيك فأعطاها له . ثم إنها قالت له : هل فعلت كما
قلت لك ؟ قال : نعم . قالت له : قم توجه الآن إلى شيخ الجوهری فإذا أعطاك الخاتم فضعه في
رأس إصبعك وانزعه بسرعة وقل له : يا معلم أخطأت، إن الخاتم جاء ضيقاً . فيقول لك : يا
تاجر، هل أكسره وأصوغه واسعاً؟ فقل له : لا احتاج إلى كسره وصياغته ثانياً ولكن خذه
واعطه لجارية من جواريك . واخرج له حجراً آخر يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له : خذ هذا
الحجر صغه لي فإنه أحسن من ذلك . واعطه ثلاثين ديناراً واعطي لكل صانع دينار وقل له : هذه
الدنانير في نظير نقشه والأجرة باقية . ثم ارجع إلى منزلك وبث هناك وتعال في الصباح . ومعك
مائتان دينار وأنا أكمل لك بقية الحيلة . ثم إنه ذهب إلى الجوهری فرحب به وأجلسه على الدكان .
فلما جلس قال له : قضيت الحاجة ؟ قال : نعم . وأخرج له الخاتم . فأخذه وحطه في رأس إصبعه
ثم نزعه سريعاً وقال : أخطأت يا معلم . ورماه له وقال له : إنه ضيق على إصبعي . فقال له

الجوهري : يا تاجر، هل أوسعُه ؟ قال : لا ولكن خذه إحساناً والبسه لبعض جواريك فإن ثمنه تافه لأنه خمسمائة دينار فلا يحتاج إلى صياغته ثانياً . ثم أخرج له فصاً آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له : إصنع هذا . ثم أعطاه ثلاثين ديناراً وأعطى كل صانع دينارين . فقال له : يا سيدي ، لما نصوغ الخاتم نأخذ أجرته . قال : هؤلاء في نظير نقشه والأجرة باقية . ثم تركه ومضى فاندش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصنّاع . ثم إن الجوهري ذهب إلى زوجته وقال لها : يا فلانة ، مارات عيني أكرم من هذا الشاب وأنت بختك طيب لأنه أعطاني الخاتم بلا ثمن وقال لي : أعطه لبعض جواريك . وحكى لها القصة ثم قال لها : أظن أن هذا الولد ما هو من أولاد التجار وإنما هو من أولاد الملوك والسلاطين . وصار كلما مدحه ترداد فيه غراماً ووجدوا وهياماً . ثم لبست الخاتم والجوهري صاغ له الثاني أوسع من الأول بقليل . فلما فرغ من صياغته لبسته في إصبعها من داخل الخاتم الأول ثم قالت : يا سيدي ، انظر ما أحسن الخاتمين في إصبعي فأشتهي أن يكون الخاتم لي . فقال لها : إصبري لعلي أشتري الثاني لك ثم بات . فلما أصبح أخذ الخاتم وتوجه إلى الدكان . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أصبح متوجهاً إلى العجوز زوجة المزين وأعطاه مائتي دينار فقالت له : توجه إلى الجوهري فإذا أعطاك الخاتم فضعه في إصبعك وانزعه سريعاً وقل : أخطأت يا معلم ، إن الخاتم جاء واسعاً والمعلم الذي يكون مثلك إذا أتاه مثلي بشغل ينبغي له أن يأخذ القياس ، فلو كنت أخذت قياس إصبعي ما أخطأت . وأخرج له حجراً آخر يكون ثمنه ألف دينار وقل له : خذ هذا اصنعه وأعط هذا الخاتم إلى جارية من جواريك . ثم أعطه أربعين ديناراً وأعط كل صانع ثلاثة دنائير وقل له : هذا في نظير نقشه وأما الأجرة فإنها باقية . وانظر ماذا يقول لك ثم تعال ومعك ثلاثمائة دينار وأعطها لأبيك يستعين بها على وقته فإنه رجل فقير الحال . فقال : سمعاً وطاعة . ثم إنه توجه إلى الجوهري فرحب به وأجلسه ثم أعطاه الخاتم فوضعه في إصبعه ونزعه بسرعة وقال له : ينبغي للمعلم الذي مثلك إذا أتاه مثلي بشغل أن يأخذ قياسه ، فلو كنت أخذت قياس إصبعي ما أخطأت ، ولكن خذه وأعطه لبعض جواريك . ثم أخرج له حجراً ثمنه ثمانمائة دينار وقال له : خذ هذا واصنعه لي خاتماً على قدر إصبعي . فقال : صدقت والحق معك . فأخذ القياس وأخرج له أربعين ديناراً وقال له : خذ هذه في نظير نقشه والأجرة باقية . فقال له : يا سيدي ، كم أجرة أخذناها منك فأحسانك علينا كثير . فقال له : لا بأس . ثم إنه تحدّث معه حصة وصار كلما يمرّ به سائل يعطه ديناراً وبعد ذلك تركه وانصرف . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الجوهري فإنه توجه إلى بيته وقال لزوجته : ما أكرم هذا الشاب التاجر ! فما رأيت أكرم منه ولا أجمل منه ولا أحلى من لسانه . وصار يذكر لها محاسنه وكرمه وبيالغ في مدحه . فقالت له : يا عديم الذوق ، حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد أعطاك خاتمين مثنين ينبغي لك أن تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودّد إليه فإذا رأى منك المودة وجاء منزلنا ربما تنال منه خيراً كثيراً ، وإن كنت لا تسمح له بضيافة فاعزمه وأنا أعمل له الضيافة من عندي . فقال لها : هل أنت تعرفين أنني بخيل حتى تقول لي هذا الكلام ؟ قالت له : ما أنت بخيل ولكنك عديم الذوق . فاعزمه في هذه الليلة ولا تحجّء بدونه ، وإن امتنع فاحلف عليه بالطلاق وأكد عليه . فقال لها : على الرأس والعين . ثم إنه صاغ الخاتم ونام وأصبح في ثالث يوم متوجهاً إلى الدكان وجلس فيها . هذا ما كان من أمره . وأما ما

كان من أمر قمر الزمان فإنه أخذ ثلاثمائة دينار وتوجه إلى العجوز وأعطاهما لزوجها فقالت له : ربما يعزم عليك في هذا اليوم ، فإذا عزم عليك وبنت عنده فمهما جرى لك فإخبرني به في الصباح وهات معك أربعمئة دينار وأعطها لأبيك . فقال : سمعاً وطاعة . وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الأحجار . ثم إنه توجه إلى الجوهرى فقام له وأخذه بالأحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة ثم إنه أخرج له الخاتم فرآه على قدر إصبعه . فقال له : بارك الله فيك يا سيد المعلمين ، إن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن قمر الزمان لما قال للجوهرى : إن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي لأن عندي أحسن منه فخذوه وأعطه لبعض جواريك . وأخرج له غيره وأخرج له مائة دينار وقال له : خذ أجرتك ولا تؤاخذنا فإننا آتعبناك . فقال له : يا تاجر ، إن الذي تعبنا فيه قد أعطينا إياه وتفضلت علينا بشيء كثير وأنا قلبي تعلق بحبك ولا أقدر على فراقك . فبالله عليك أن تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر بخاطري ! فقال : لا بأس ، ولكن لا بد أن أتوجه إلى الخان لأجل أن أوصي أتباعي وأخبرهم بأنني غير بائث في الخان حتى لا ينتظروني . فقال له : أنت نازل في أي خان ؟ قال : في الخان الفلاني . فقال : أجيء إليك هناك . فقال : لا بأس . ثم إن الجوهرى توجه إلى ذلك الخان قبل المغرب خوفاً من غضب زوجته عليه إن دخل البيت بدونه . ثم إنه أخذه ودخل به في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير ، وكانت الصبية رآته حين دخوله فافتنتت به . ثم صارا يتحدثان إلى أن جاء العشاء ، فأكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات . ولم يزل يسامره إلى وقت العشاء فصلباً الفريضة ، ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب . فلما شربا غلب عليهما النوم فناما . ثم جاءت الصبية فرأتهمما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فاندھش عقلها من جماله وقالت : كيف ينام من عشق الملاح ؟ ثم قلبته على قفاه وركبت على صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة بوس حتى أثر ذلك في خده ، فاشتدت حمرة وزهت وجنته ونزلت على شفته بالملص ، ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم في فمها ومع ذلك لم تنطفئ نارها ولم يرو أوارها . ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى أشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ، ثم وضعت في جيبه أربعة عواشق وتركته وراحت . وبعد ذلك أرسلت جاريتها بشيء مثل النشوق فوضعت في مناخيرهما فعطسا وأفاقا . فقالت لهما الجارية : أعلموا يا أسيادي أن الصلاة وجبت فقوموا لصلاة الصبح . وأتت لهما بالطشت والإبريق . ثم قال قمر الزمان : يا معلم ، إن الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم . فقال الجوهرى للتاجر : يا صاحبي ، إن نوم هذه القاعة ثقيل ، كلما أنام فيها يجري لي هذا الأمر . فقال : صدقت . ثم إن قمر الزمان أخذ يتوضأ . فلما وضع الماء على وجهه أحرقته خلدوده وشفته فقال : عجائب ، إذا كان هواء القاعة ثقيلاً واستغرقتنا في النوم فما بال خلودي وشفتي تحرقني ؟ ثم قال : يا معلم ، إن خلودي وشفتي تحرقني . فقال : أظن أن هذا من أكل الناموس . فقال : عجائب ، وهل يجري لك فيها مثلي ؟ قال : لا ولكن إذا كان عندي ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك إلا إذا

فلما كانت الليلة
كانت
970
كانت
الليلة

كان الضيف مثلك أمرد . وأما إذا كان ملتجياً فلا يعفّ عليه الناموس ، وما منع الناموس عني -إلا لحيثي ، كان الناموس لا يهوى أصحاب اللحى . فقال له : صدقت . ثم إن الجارية جاءت لهما بالفطور ، فافطرا وخرجا وراح قمر الزمان إلى العجوز . فلما رآته قالت له : إني أرى آثار الحظ على وجهك فاخبرني بما رأيت ؟ قال : ما رأيت شيئاً وإنما تعشيت أنا وصاحب المحل في قاعة وصلينا العشاء ثم نمنا ، فما أفقنا إلا في الصباح . فضحكت وقالت : ما هذا الأثر الذي في خدك وعلى شفتك ؟ قال لها : إن ناموس القاعة فعل معي هذه الفعال . فقالت : صدقت ، وهل جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك ؟ قال : لا ولكنه أخبرني أن ناموس تلك القاعة لا يضر أصحاب اللحى ولا يعفّ إلا على المرد . وكلما يكون عنده ضيف فإن كان أمرد يصبح يشكو من قرص الناموس وإن كان ملتجياً فلا يجري له شيء من ذلك . فقالت : صدقت . فهل رأيت شيئاً غير هذا ؟ قال : رأيت في جيبي أربعة عواشق . قالت : أرني إياها . فأعطاها لها . فأخذتها وضحكت وقالت : إن معشوقتك قد وضعت هذه العواشق في جيبيك . قال : وكيف ذلك ؟ قالت : إنها تقول لك بالإشارة لو كنت عاشقاً ما نمت فإن الذي يعشق لا ينام ، ولكن أنت لم تنزل صغيراً ولا يلبق بك إلا اللعب بهذه العواشق . فما حملك على عشق الملاح ؟ وقد جاءتك في الليل فرائك نائماً فقطعت خلدوك بالبوس وحطت لك هذه الإمارة ولكنها لا يكفها منك ذلك بل لا بد أن ترسل إليك زوجها فيعزم عليك في هذه الليلة ، فإذا رحت معه فلا تنم عاجلاً وهات معك خمسمائة دينار وتعال أخبرني بما حصل وأنا أكمل لك الحيلة . فقال لها : سمعاً وطاعة . ثم توجه إلى الخان . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر زوجة الجوهرى فإنها قالت لزوجها : هل راح الضيف ؟ قال : نعم ولكن يا فلانة إن الناموس شوش عليه في هذه الليلة وقطع خلوده وشفته وأنا استحييت منه . فقالت : هذه عادة ناموس قاعتنا فإنه لا يهوى إلا المرد ولكن اعزمه في الليلة الآتية . فتوجه إليه في الخان الذي هو فيه وعزمه وأتى به إلى القاعة فأكلا وشربا وصليا العشاء ، فدخلت عليهما الجارية وأعطت كل واحد فنجاناً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، إن الجارية دخلت عليهما وأعطت كل واحد فنجاناً فشربا وناما . فأتت الصبية وقالت له : يا علق ، كيف تنام وتدعي أنك عاشق والعاشق لا ينام . ثم ركبت على صدره ولا زالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش إلى الصباح . ثم حطت له في جيبيه سكيناً وأرسلت جاريتها عند الصباح فنبهتهما ، وخلوده كأنها ملتبهة بالنار من شدة الإحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المص والتقبيل . فقال له الجوهرى : لعل الناموس شوش عليك ؟ قال : لا . لأنه لما عرف النكتة ترك الشكاية . ثم إنه رأى السكين في جيبيه فسكت . ولما افطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهرى وتوجه إلى الخان وأخذ خمسمائة دينار وذهب إلى العجوز وأخبرها بما رأى وقال لها : إني نمت غضباً عني ولما أصبحت ما رأيت شيئاً غير في سكين جيبي . فقالت له : الله يحميك منها في الليلة القابلة ، إنها تقول لك : إن نمت مرة أخرى ذبحتك ، وأنت معزوم عندهم في الليلة القابلة ، فإن نمت ذبحتك . فقال : وكيف يكون العمل ؟ فقالت : أخبرني بما تأكله وما تشربه قبل النوم . قال : نتعشى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطي كل واحد منّا فنجاناً فمتى شربت فنجانى نمت ولا أفيق إلا

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
971
كانت الليلة

في الصباح . فقالت له : إن الداهية في الفنجان ، فخذ منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد ،
و حين تعطيه لك الجارية قل لها : اسقيني ماء . فتذهب لتجيء إليك بالقلعة فكب الفنجان خلف
المخدة واجعل روحك نائماً فلما ترجع إليك بالقلعة تظن أنك نمت بعد شرب الفنجان فتروح
عنك ، وبعد حصة يظهر لك الحال وإياك أن تخالف أمري . فقال : سمعاً وطاعة . ثم توجه إلى
الخان . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر زوجة الجوهري فإنها قالت لزوجها : إكرام
الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة ثالثة . فتوجه إليه وعزمه وأخذه ودخل به القاعة . فلما تعشيا
وصليا العشاء وإذا بالجارية دخلت وأعطت كل واحد فنجاناً ، فشرب سيدها ورقد وأما قمر
الزمان فإنه لم يشرب . فقالت له الجارية : أما تشرب يا سيدي ؟ فقال لها : أنا عطشان هاتي القلعة .
فذهبت لتجيء إليه بالقلعة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد . فلما رجعت الجارية رآته راقداً
فأخبرت سيدتها بذلك وقالت : إنه لما شرب الفنجان رقد . فقالت الصبية في نفسها : إن موته
أحسن من حياته . ثم أخذت سكيناً ماضية ودخلت عليه وهي تقول : ثلاث مرات وأنت لم
تلحظ الإشارة يا أحمق ؟ الآن أشق بطنك . فلما رآها مقبلة عليه وفي يدها السكين فتح عينه وقام
ضاحكاً . فقالت له : ما فهم هذه الإشارة من فطنتك بل بدلالة ماكر . فاجبرني من أين لك هذه
المعرفة ؟ قال : من عجوز وجرى لي معها كذا وكذا وأخبرها بالخبر . فقالت له : في غد أخرج من
عندنا ورح إلى العمجوز وقل لها : هل بقي معك من الحليل زيادة عن هذا المقدار ؟ فإن قالت لك :
معني . فقل لها : اجتهدي في الوصول إليها جهاراً . وإن قالت : ما لي مقدرة وهذا آخر ما معني .
فاتركها عن بالك وفي ليلة غد يأتي إليك زوجي ويعزمك فتعال معه واخبرني وأنا أعرف بقية
التدبير . فقال : لا بأس . ثم بات معها بقية الليلة على ضمّ وعناق وأعمال حرف الجر باتفاق
واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الإضافة معزول ولم ير إلا على هذه الحالة إلى الصباح .
ثم قالت له : أنا ما يكفيني منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة ، وإنما قصدي أن أقيم معك بقية
العمر . ولكن إصبر حتى أعمل لك مع زوجي حيلاً تحبّر ذوي الالباب ونبليج بها الآداب وأدخل
عليه الشك حتى يطلّفتني وأتزوج بك وأروح معك إلى بلادك وأنقل جميع ماله وذخائره عندك
وأتخيّل لك على خراب دياره ومحو آثاره . ولكن إسمع كلامي وطاوعني فيما أقوله لك ولا
تخالفني . فقال لها : سمعاً وطاعة وما عندي خلاف . فقالت : رح إلى الخان وإن جاء زوجي
وعزمك فقل له : يا أخي إن ابن آدم ثقيل ومتى أكثر التردد اشماز منه الكريم والبخيل ، وكيف
أروح عندك كل ليلة وأرقد أنا وأنت في القاعة ؟ فإن كنت أنت لا تغتاطظ مني فربما اغتاطظ حريمك
مني بسبب منعك عنه . فإن كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتاً بجانب بيتك وتبقى أنت تارة تسهر
عندي إلى وقت النوم وأنا تارة أسهر عندك إلى وقت النوم ، ثم أروح إلى منزلي وأنت تدخل
حريمك . وهذا الرأي أحسن من حجبتك عن حريمك كل ليلة . فإنه بعد ذلك يأتي إليّ ويشاورني
فأشير عليه أن يخرج جازناً فإن البيت الذي هو ساكن فيه بيتناً والجار ساكن بالكري ، ومتى
أتيت البيت يهون الله علينا بقية تدبيرنا . ثم إنها قالت له : رح الآن وافعل كما أمرتك . فقال لها :
سمعاً وطاعة . ثم تركته وراحت وهو جعل روحه نائماً وبعد مدة أتت الجارية فنبهتهم . فلما
أفاق الجوهري قال : يا تاجر ، لعل الناموس شوّس عليك ؟ قال : لا . فقال الجوهري : لعلك
اعتدت عليه . ثم إنهما أفطرا وشربا القهوة وخرجا إلى أشغالهما وتوجه قمر الزمان إلى العمجوز

وأخبرها بما جرى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
972
التي كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن قمر الزمان لما توجه إلى العجوز
أخبرها بما جرى وقال لها : إنها قالت لي كذا وكذا . وقلت لها كذا وكذا .
فهل عندك أكثر من هذا التدبير حتى توصيني إلى الإجتماع بها
جهاراً؟ فقالت : يا ولدي ، إلى هنا انتهى تدبيرى وفرغت حيلي . فعند
ذلك تركها وتوجه إلى الخان . ولما أصبح الصباح توجه إليه الجوهري
عند المساء وعزمه . فقال له : لا يمكن أني أروح معك . فقال له : لماذا؟ وأنا أحبيتك وما بقيت
أقدر على فراقك . فبالله عليك أن تمضي معي . فقال له : إن كان مرادك طول العشرة معي ودوام
الصحبة بيني وبينك فخذ لي بيتاً بجانب بيتك ، وإن شئت تسهر عندي وأنا أسهر عندك ، وعند
النوم يروح كل منا إلى بيته وينام فيه . فقال له : إن عندي بيتاً بجانب بيتي وهو ملكي ، فامض
معى في هذه الليلة وفي غد أخليه لك . فمضى معه وتعشياً وصلّى العشاء وشرب زوجها الفنجان
الذي فيه العمل فرقد ، وفنجان قمر الزمان لا غش فيه فشربه ولم يرقد . فجاءته وقعدت تسامره
إلى الصباح وزوجها مرمي مثل الميت . ثم إنه صحا من النوم على العادة وأرسل أحضر الساكن
وقال له : يا رجل ، أخل لي بيتي فإني قد احتجت إليه . فقال له : على الرأس والعين . فأخلاه له
وسكن فيه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه . وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمر الزمان
ثم راح إلى بيته . وفي ثاني يوم أرسلت الصبية إلى معمار ماهر فأحضرته وأرغبته بالمال حتى
عمل لها سرداباً من قصرها يوصل إلى قمر الزمان وجعل له طابقاً تحت الأرض ، فما يشعر قمر
الزمان إلا وهي داخله عليه ومعها كيسان من المال . فقال لها : من أين جئت؟ فارتت السرداب
وقالت له : خذ هذين الكيسين من ماله . وقعدت تهارشه وتلاعبه إلى الصباح . ثم قالت له :
انتظرني حتى أروح له وأنبئه ليذهب إلى الدكان . وبعد ذهابه أخذت أربعة أكياس وراحت إلى قمر
الزمان من السرداب وقالت له : خذ هذا المال وجلست عنده . ثم انصرف كل منهما إلى حال
سبيله ، فتوجهت إلى بيتها وتوجه قمر الزمان إلى السوق . ولما رجع في وقت المغرب رأى عنده
عشرة أكياس وجواهر وغير ذلك . ثم إن الجوهري جاءه في بيته وأخذه إلى القاعة وسهر فيها هو
وإياه . فدخلت الجارية على العادة وأسقتهما ، فرقد سيدها وقمر الزمان ما أصابه شيء لأن فنجان
سالم لا غش فيه . ثم أقبلت عليه الصبية فجلست تلعبه ، وصارت الجارية تنقل المصالح إلى
بيته من السرداب ، ولم يزالوا على هذه الحالة إلى الصباح . ثم إن الجارية نهبت سيدها وأسقتهما
القهوة وكل منهما راح إلى حال سبيله . وفي ثالث يوم أخرجت له سكيناً كانت لزوجها وهي
صياغته بيده وكلفها خمسمائة دينار ، لم يوجد لها مثل في حسن الصياغة ، ومن كثرة ما طلبها
منه الناس وضعها في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لأحد من المخلوقين . ثم قالت له : خذ هذه
السكين وحطها في حزامك وروح إلى زوجي واجلس عنده واخرجها من حزامك وقل له : يا
معلم ، انظر هذه السكين فإني اشتريتها في هذا اليوم واخبرني هل أنا مغلوب فيها أو غالب؟ فإنه
يعرفها ويستحي أن يقول لك : هذه سكيني . فإن قال لك : من أين اشتريتها؟ وبكم أخذتها؟
فقل له : رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما للآخر : أين كنت؟

قال : كنت عند صاحبتي ، وكل ما اجتمع معها تعطيني دراهم . وفي هذا اليوم قالت لي : إن يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فإنها سكين زوجي . فأخذتها منها ومرادي بيعها . فأعجبتني السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له : أتبيعها لي ؟ فقال : إشتري . فأخذتها منه بثلاثمائة دينار . فيا ترى هل هي رخيصة أو غالية ؟ وانظر ما يقول لك . ثم تحدّث معه مدة وقم من عنده وتعال إليّ بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب أنتظرك فاعطيني السكين . فقال لها : سمعاً وطاعة . ثم أخذ تلك السكين وحطّها في حزامه وراح إلى دكان الجوهري فسلم عليه ، فرحّب به وأجلسه فرأى السكين في حزامه فتعجب وقال في نفسه : إن هذه سكيني ومن أوصلها إلى هذا التاجر ؟ وصار يفكر في نفسه ويقول : يا ترى هل هي سكيني أو سكين تشابهها ؟ وإذا بقمر الزمان أخرجها وقال : يا معلم ، خذ هذه السكين فترجّح عليها . فلما أخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى أن يقول هذه سكيني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة قال
973
كانت الليلة
قال : قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الجوهري لما أخذ السكين من قمر الزمان عرفها واستحى أن يقول هذه سكيني . ثم قال له : من أين اشتريتها ؟ فأخبره بما أوصته به الصبية فقال له : هذه بهذا الثمن رخيصة لأنها تساوي خمسمائة دينار . وانتقدت النار في قلبه وارتبطت أياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الأفكار ، وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يردّ عليه بكلمة واحدة . وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدّر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر : [من البسيط]

لَمْ أَدْرِ قَوْلًا إِذَا حَبُّوا مُكَالِمَتِي أَوْ كَلَّمُونِي يَرَوْنِي غَائِبَ الْفِكْرِ
عَرْقَانٌ فِي بَحْرِ فِكْرٍ لَا قَرَارَ لَهُ لَا أَفْرُقُ النَّاسَ أَنْشَاءً مِنَ الدَّكْرِ

فلما رآه تغيّرت حالته قال له : لعلك مشغول في هذه الساعة . ثم قام من عنده وتوجه إلى البيت بسرعة فراها واقفة في باب السرداب تنتظره . فلما رآته قالت له : هل فعلت كما أمرتك ؟ قال : نعم . قالت له : ما قال لك ؟ قال لها : قال لي إنها رخيصة بهذا الثمن لأنها تساوي خمسمائة دينار . ولكن تغيّرت أحواله فقمت من عنده ولم أدر ما جرى له بعد ذلك . فقالت : هات السكين وما عليك منه . ثم أخذت السكين وحطّتها في موضعها وقعدت . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر الجوهري فإنه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسواس وقال في نفسه : لا بد أن أقوم وأنفقد السكين وأقطع الشك باليقين . فقام وأتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان فقالت له : ما لك يا سيدي ؟ فقال لها : أين سكيني ؟ قالت : في الصندوق . ثم دقت صدرها بيدها وقالت : يا همّي لعلك تخاصمت مع أحد فأنتيت تطلب السكين لتضربه بها ؟ قال لها هاتي أريني إياها . قالت : حتى تحلف أنك لا تضرب بها أحداً . فحلف لها ، ففتحت الصندوق وأخرجتها له . فصار يقبّلها ويقول : إن هذا شيء عجيب . ثم إنه قال لها : خذها وحطّتها في مكانها . قالت له : أخبرني ما سبب ذلك ؟ قال لها : إنني رأيت مع صاحبنا سكيناً مثلها وأخبرها بالخبر كله . ثم قال لها : ولما رأيتها في الصندوق قطعت الشك باليقين . فقالت له : لعلك ظننت بي سوءاً وجعلتني صاحبة اللاوندي وأعطيته السكين ؟ فقال

لها : نعم إني شككت في هذا الأمر، ولكن لما رأيت السكين ارتفع الشك من قلبي . فقالت له : يا رجل ، أنت ما بقي فيك خير . فصار يعتذر إليها حتى أرضاها ثم خرج وتوجه إلى دكانه . وفي ثاني يوم أعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثلاً . ثم إنها قالت له : رح إلى دكانه واجلس عنده وقل له إن الذي رأيت بالأمس رأيت في هذا اليوم وفي يده ساعة وقال لي : أتشتري هذه الساعة؟ فقلت له : من أين لك هذه الساعة؟ قال : كنت عند صاحبتي فأعطتني إياها . فاشتريتها منه بثمانية وخمسين ديناراً، فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية؟ وانظر ما يقول لك . وإذا قمت من عنده فأنتي بسرعة واعطني إياها . فراح إليه قمر الزمان وفعل معه ما أمرته به . فلما رآها الجوهرى قال : هذه تساوي سبعمائة دينار ! ودخله الهم . ثم إن الغلام تركه وزاح إلى الصبية وأعطها تلك الساعة وإذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها : أين ساعتى؟ قالت له : ها هي حاضرة . قال لها : هاتيها . فأتت له بها . فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقالت له : يا رجل ، ما أنت بلا خبر فاخبرني بخبرك . فقال لها : ماذا أقول؟ إني تحيرت في هذه الحالات ثم أنشد هذه الأبيات : [من الطويل]

تَحَيَّرْتُ وَالرَّحْمَنُ لَا شَكَّ فِي أَمْرِي وَحَاقَتْ بِي الْأَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ الصَّبِيرُ أَتْنِي صَبَّرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبِيرِ
وَمَا مِثْلُ مَرِّ الصَّبِيرِ صَبِيرِي وَإِنَّمَا صَبَّرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَحْرَّ مِنَ الْجَمْرِ
وَمَا الْأَمْرُ أَمْرِي فِي الْمَرَادِّ وَإِنَّمَا أَمَرْتُ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ

ثم قال : يا امرأة، إني رأيت مع التاجر صاحبنا أولاً سكيناً وقد عرفتها لأن صياغتها اختراع من عقلي وليس يوجد مثلاً، وأخبرني بأخبار نغم القلب وأتيت فرأيتها، ورأيت معه الساعة ثانياً وصياغتها أيضاً اختراع من عقلي وليس يوجد مثلاً في البصرة، وأخبرني أيضاً بأخبار نغم القلب . فتحيرت في عقلي وما بقيت أعرف ما جرى لي . فقالت له : مقتضى كلامك إني أنا خليفة ذلك التاجر وصاحبته وأعطيته مصالحك وجوزت خيانتى فجئت تسألني، ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت أثبت خيانتى . لكن يا رجل حيث أنك ظننت بي هذا الظن ما بقيت أو أكلك في زاد ولا أشاربك في ماء بعد هذا، فإني كرهتك كراهة التحريم . فصار يأخذ بخاطرها حتى أرضاها ثم خرج وتندم على مقابلتها بهذا الكلام وتوجه إلى دكانه وجلس . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الجوهرى لما خرج من عند زوجته صار يتندم على هذا الكلام . ثم ذهب إلى الدكان وجلس معه في الدكان وصار في قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب، وعند المساء أتى إلى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه . فقالت له الصبية : أين التاجر؟ قال : في منزله . قالت : هل بردت الصحبة التي بينك وبينه؟ قال : والله إني كرهته مما جرى منه . فقالت له : قم هاته من شأن خاطري . فقام ودخل عليه بيته فرأى حوائجه منشورة فيه فعرفها، فإتقدت النار في قلبه وصار يتنهّد . فقال قمر الزمان : ما لي أراك في فكر؟ فاستحى أن يقول له : إن حوائجي عندك من

فلما كانت الليلة
974
بَابُ الْبَيْتِ

أوصلها إليك؟ وإنما قال له: حصل عندي تشويش، ولكن قم بنا إلى البيت لتتسلى هناك. فقال: دعني في محلي فلا أروح معك. فحلف عليه وأخذه ثم تعشى معه وسهرا تلك الليلة وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الأفكار وإذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهري بكلمة واحدة. ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين على العادة، فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لأن فنجانه غير مغشوش. ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له: كيف رايت هذا القرنان الذي هو في غفلته سكران ولا يعرف مكائد النسوان؟ فلا بد أن أخدعه حتى يطلقني. ولكن في غد أتهدياً بهيئة جارية وأروح خلفك إلى الدكان وقل له: يا معلم، إني دخلت اليوم خان السيرجية فرايت هذه الجارية فاشتريتها بألف دينار. فانظرها لي هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية؟ ثم اكشف له عن وجهي ونهودي وفرجه عليّ ثم خذني وارجع بي إلى منزلك وأنا أدخل بيتي من السرداب حتى أنظر آخر أمرنا معه. ثم إنهما أمضيا ليلتهما على أنس وصفاء ومنادمة وهراش وبسط وانسراح إلى الصباح. وبعد ذلك ذهبت إلى مكانها وأرسلت الجارية فأيقظت سيدها وقمر الزمان، فقاما وصليا الصبح وأفطرا وشربا القهوة، وخرج الجوهري إلى دكانه وقمر الزمان دخل بيته. وإذا بالصبية خرجت له من السرداب وهي بصفة جارية وكان أصلها جارية، ثم توجه إلى دكان الجوهري ومشت خلفه ولم يزل ماشياً وهي خلفه حتى وصل بها إلى دكان الجوهري. فسلم عليه وجلس وقال: يا معلم، إني دخلت اليوم خان السيرجية بقصد الفرجة فرايت هذه الجارية في يد الدلال فأعجبتي فاشتريتها بألف دينار. وقصدي أن تتفرج عليها وتنظرها هل هي رخيصة بهذا الثمن أم لا؟ وكشف له عن وجهها فرآها زوجته وهي لابسة أفخر ملبوسها ومتزينة بأحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته، فعرفها حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لأنه صاغها بيده، ورأى الخواتم التي صاغها جديداً لقمر الزمان في إصبعها وتحقق عنده أنها زوجته من سائر الجهات. فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: حليلة. وزوجته اسمها حليلة فذكرت له الاسم بعينه. فتعجب من ذلك وقال له: بكم اشتريتها؟ قال: بألف دينار. قال: إنك أخذتها بلا ثمن لأن الألف دينار أقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء. فقال له: بشرك الله بالخير، وحيث أعجبتك فانا أذهب بها إلى بيتي. فقال: إفعل مرادك. فأخذها وراح إلى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر الجوهري، فإن النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه: أنا أروح أنظر زوجتي فإن كانت في البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجل من ليس له شبيه، وإن لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك. ثم إنه قام يجري إلى أن دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وتزينتها التي رآها بها في الدكان. فضرب يداً على يد وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقالت له: يا رجل، هل حصل لك جنون؟ أو ما خبرك؟ فما هذه عادتك لا بد أن يكون لك أمر من الأمور. فقال لها: إذا كان مرادك أن أخبرك فلا تغمني. فقالت له: قل. قال: التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قذك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك في جميع صفاتك، وفي إصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك. فلما فرجني عليها ظننت أنها أنت وقد تحيرت في أمري، ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صاحبه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه، فإنه كدر عيشتي بعد الصفاء وكان سبباً في

الجفاء بعد الوفاء وأدخل الشك في قلبي . فقالت له : ظل في وجهي لعلي أكون أنا التي كنت معه والتاجر صاحبي وقد تلبست بصفة جارية وأنفقت معه على أن يفرجك علي حتى يكيذك . فقال : أي شيء هذا الكلام ؟ أنا ما أظن بك أن تفعلني مثل هذه الفعال . وكان ذلك الجوهر مغفلاً عن مكابدة النساء وما يفعلن مع الرجال . ولم يسمع بقول من قال : [من الطويل]

طَحَا بِكَ قَلْبُ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادِ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ
وَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيْبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُهْنٍ نَصِيبُ

وقول الآخر : [من البسيط]

أَعَصَرَ النِّسَاءَ فَمَلَكَ الطَّاعَةَ الْحَسَنَةَ فَلَنْ يَقُوزَ قَتَى يُعْطِي النِّسَاءَ رَسَنَةَ
يُعِيقُهُ عَنِ كَمَالِ فِي قَضَائِلِهِ وَلَوْ سَعَى طَالِباً لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنَةَ

وقول الآخر : [من البسيط]

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينَ خُلِقْنَ لَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ
وَمَنْ يَهِنَ رَمَاهُ الْعِشْقُ مُبْتَلِياً قَدْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

ثم قالت له : ها أنا قاعدة في قصري وروح أنت إليه في هذه الساعة وأطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعة ، فإذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجل من ليس له شبيهه ، وإن لم تر الجارية عنده أكون أنا الجارية التي رايتها معه ويكون ظنك بي السوء محققاً . فقال : صدقت . ثم تركها وخرج ، فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان وأخبرته بذلك وقالت له : افتح الباب بسرعة وفرّج علي . فبينما هما في الكلام وإذا بالباب يطرق فقال : من بالباب ؟ قال : أنا صاحبك ، فإنك فرجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها ولكن ما كملت فرحتي بها ، فافتح الباب وفرّجني عليها . قال : لا بأس بذلك . ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة ، فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرّج عليها وتحدّث معه مدة ، فرأها لا تتميز عن زوجته بشيء . فقال : يخلق الله ما يشاء . ثم إنه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع إلى بيته فرأى زوجته جالسة لأنها سبقته من السرداب حين خرج من الباب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها . فلما دخل عليها زوجها قالت له : أي شيء رأيت ؟ قال : رايتها عند سيدها وهي تشبهك . فقالت : توجه إلى دكانك وحسبك سوء الظن ، فما بقيت تظن بي سوءاً . فقال لها : الأمر كذلك فلا تؤاخذيني بما صدر مني . قالت : سامحك الله . ثم قبلها ذات

اليمين وذات الشمال وراح إلى دكانه ، فنزلت من السرداب إلى قمر الزمان ومعها أربعة أكياس وقالت له : جهز حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا إمهال حتى أفعل لك ما عندي من

فلما كانت الليلة
975
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

الحليل . فطلع واشترى بغالاً وحملَ أحمالاً وجَهَّزَ تخترواناً واشترى ممالك وخدماء وأخرج الجميع من البلد وما بقي له عاقه ، وأتى وقال : إني تَمَمْتُ أموري . فقالت له : وأنا الأخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وما خليت له قليلاً ولا كثيراً ينتفع به ، وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فأنا أفديك ألف مرة بزوجي ، ولكن ينبغي أن تذهب إليه وتودَّعه وتقول له : أنا أريد السفر بعد ثلاثة أيام وجئت لأودِّعك ، فاحسب ما انجمل لك عندي من أجره البيت حتى أوردته لك وتبرء ذمتي . وانظر ما يكون من جوابه وارجع إليّ واخبرني فإنني عجزت وأنا أحتال عليه وأغظه لأجل أن يطلِّقني فما أراه إلا متعلقاً بي وما بقي لنا أحسن من السفر إلى بلادك . فقال لها : يا حبذا ، إن صحت الأحلام . ثم راح إلى دكانه أو جلس عنده وقال له : يا معلم أنا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت إلا لأودِّعك ، والمراد أنك تحسب ما انجمل لك عندي من أجره البيت حتى أعطيه لك وتبرء ذمتي . فقال له : ما هذا الكلام ؟ إن فضلك عليّ ، والله ما آخذ منك شيئاً من أجره البيت وحلّت البركات ، ولكنك توحشنا بسفرك ولولا أنه يحرم عليّ لتعرّضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك . ثم ودَّعه وتباكيا بكاء شديداً ما عليه من مزيد وفضل الدكان من ساعته وقال في نفسه : ينبغي أن أشيع صاحبي . وصار كلما راح يقضي حاجة يروح معه وإذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيه وتقف بين أيديهما وتخدمهما وإذا رجع إلى بيته يراها قاعده هناك . ولم يزل يراها في بيته إذا دخله ويراه في بيت قمر الزمان إذا دخله مدة الثلاثة أيام . ثم إنها قالت له : إني نقلت جميع ما عنده من الذخائر والأموال والفروش ولم يبق عنده إلا الجارية التي تدخل عليكم بالشراب ، ولكنني لا أقدر على فراقها لأنها قريبتى وعزيزة عندي وكاتمة لسري ، ومرادي أن أضربها وأغضب عليها وإذا أتى زوجي أقول له : أنا ما بقيت أقبل هذه الجارية ولا أقعد أنا وإياها في بيت فخذها وبعها . فياخذها لبيعها فاشترها أنت حتى تأخذها معنا . فقال : لا بأس . ثم إنها ضربتها ، فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها فقالت : إن سيدتي ضربتني . فدخل وقال : ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتها ؟ فقالت له : يا رجل ، إني أقول لك كلمة واحدة أنا ما بقيت أقدر أن أنظر هذه الجارية فخذها وبعها وإلا طلقني . فقال : أبيعها ولا أخالف لك أمر . ثم إنه أخذها معه وهو خارج إلى الدكان ومرّبها على قمر الزمان ، وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة إلى قمر الزمان فأدخلها في التختروان قبل أن يصل إليه الشيخ الجوهري . فلما وصل إليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له : ما هذه ؟ قال : جاريتي التي كانت تسقينا الشراب ، ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وأمرتني أن أبيعها . فقال : إنها حيث بغضتها سيدتها ما بقي لها قعود عندها ولكن بعها لي حتى أشم رائحتك فيها وأجعلها خادمة لجاريتي حليلة . فقال : لا بأس خذها . فقال له : بكم ؟ فقال : أنا لا آخذ منك شيئاً لأنك تفضلت علينا . فقبلها منه وقال للصبية : قبلي يد سيدك . فبرزت له من التختروان وقبّلت يده ثم ركبت في التختروان وهو ينظر إليها ثم قال له قمر الزمان : أستودعك الله يا معلم عبيد أبرء ذمتي . فقال له : أبرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة إلى عيالك وودَّعه وتوجه إلى دكانه وهو يبكي وقد عزّ عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقاً له والرفيق له حق ، ولكنه فرح بزوال الوهم الذي حصل عنده من أمر زوجته حيث سافر ولم يتحقّق ما ظنه في زوجته . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر قمر الزمان فإن الصبية قالت له : إن أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية : إن أردت السلامة تسافر بنا على غير طريق معهودة . فقال : سمعاً وطاعة . ثم سلك طريقاً غير الطريق التي تعهد الناس المشي فيها . ولم يزل مسافراً من بلاد إلى بلاد حتى وصل إلى حدود قطر مصر ، ثم كتب كتاباً وأرسله إلى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعداً في السوق بين التجار وفي قلبه من فراق ولده لهيب النار ، لأنه من يوم توجه ما أتاه من عنده خبر . فبينما هو كذلك وإذا بالساعي مقبل وقال : يا سادتي ، من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن ؟ فقالوا له : ما تريد منه ؟ قال لهم : إن معي كتاباً من عند ولده قمر الزمان وقد فارقت عند العريش . ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة ، ثم أخذ الكتاب وقرأه فرأه من عند قمر الزمان إلى التاجر عبد الرحمن . وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فإن سألتهم عنّا فلله الحمد والمثنة ، وقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية . فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم وأكثر الضيافات والعزائم وأحضر آلات الطرب وأتى في الفرح بأنواع العجب . فلما وصل ولده إلى الصالحية خرج إلى مقابله أبوه وجميع التجار ، فقابلوه واعتنقه والده وضمه إلى صدره وبكى حتى أغمى عليه . ولما أفاق قال له : يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيم القادر . ثم أنشد قول الشاعر : [من المتقارب]

وَقُرْبُ الْحَبِيبِ تَمَامُ السُّرُورِ وَكَأْسُ الْهَنَاءِ عَلَيْنَا يَدُورُ
فَأَهْلًا وَسَهْلًا يَلِي مَرْحَبًا بِنُورِ الزَّمَانِ وَبَدْرِ الْبُدُورِ

ثم أفاض من شدة الفرح دمع العين وأنشد هذين البيتين : [من الكامل]

قَمَرُ الزَّمَانِ يَلُوحُ فِي إِسْفَارِهِ إِشْرَاقُهُ إِذْ جَاءَ مِنْ أَسْفَارِهِ
فَشُعُورُهُ فِي اللَّوْنِ لَيْلُ غِيَابِهِ لَكِنْ شُرُوقُ الشَّمْسِ مِنْ أَرْزَارِهِ

ثم إن التجار تقدموا إليه وسلموا عليه فرأوا معه أحمالاً كثيرة وخدماءً وتخترواناً وهو في دائرة واسعة ، فأخذوه ودخلوا به البيت . فلما خرجت الصبية من التختروان رآها أبوه فتنة لمن يراها ، ففتحوا لها قصرًا عاليًا كأنه كنزاً نحلته عنه الطلاس ، ولما رأتها أمه افتتنت بها وظنت أنها ملكة من زوجات الملوك ، وفرحت بها وسألته فقالت لها : أنا زوجة ولدك . قالت : حيث تزوج بك ينبغي لنا أن نقيم لك فرحاً عظيماً حتى نفرح بك وبولدي . هذا ما كان من أمرها . وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه بعد انقضاء الناس ورواح كل واحد إلى حال سبيله ، اجتمع بولده وقال له : يا ولدي ، ما تكون هذه الجارية عندك ؟ وبكم اشتريتها ؟ فقال له : يا والدي ، إنها ليست جارية وإنما هي التي كانت سبب غيبيتي . قال والده : وكيف ذلك ؟ قال : إنها التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة ما بات عندنا ، فإن آمالي تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر إلا من أجلها حتى تعريت في الطريق وأخذت العرب أموالني ، وما دخلت البصرة إلا وحدي وحصل لي كذا وكذا . وصار يحكي لوالده من المبتدأ إلى المنتهى . فلما فرغ من حديثه قال له : يا ولدي ، وبعد ذلك كله هل تزوجتها ؟ قال : لا ولكن وعدتها أن أتزوج بها . قال له : هل مرادك الزواج بها ؟ قال : إن كنت تأمرني أفعل ذلك وإلا فلا أتزوجها . قال له : إن تزوجت بها أكون بريئاً منك

في الدنيا والآخرة وأغضب عليك غضباً شديداً، كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها؟ وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك، فإنها خائنة والخائن ليس له أمان. فإن كنت تخالفني أكون غضباناً عليك، وإن سمعت كلامي أفتش لك على بنت أحسن منها تكون طاهرة زاكية فازوجك بها ولو كنت أنفق عليها جميع مالي، وأعمل لك فرحاً ليس له نظير وأفتخر بك وبها، وإذا قال الناس فلان تزوج بنت فلان أحسن من أن يقولوا: تزوج جارياً معدومة النسب والحسب. وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شأن ذلك عبارات ونكتاً وأشعاراً وأمثالاً ومواعظ. فقال قمر الزمان: يا والدي، حيث كان الأمر كذلك فلا علاقة لي بزواجها. فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبله أبوه بين عينيه وقال له: أنت ولدي حقاً، وحياتك يا ولدي لا بد لي من أن أزوجك بنتاً ليس لها نظير. ثم إن التاجر عبد الرحمن حظّ زوجة عبيد الجوهري وجاريتها في قصر عال وقفل عليهما وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما أكلهما وشربهما وقال لها: أنت وجاريتك تستمران محبوسين في هذا القصر حتى أنظر لكما من يشتریکما وأبيعكما له، وإن خالفت قتلتك أنت وجاريتك فإنك خائنة ولا خير فيك. فقالت له: إفعل مرادك فإنني أستحق جميع ما تفعله معي. ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حریمه وقال: لا يطلع عندهما أحد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التي تعطيها أكلهما وشربهما من طاقة القصر. فقعدت هي وجاريتها تبكي وتتندم على ما فعلت بزوجهما. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أرسل الخطّاب يخطبون بنتاً ذات حسب ونسب لولده، فلا زلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن بأحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الإسلام فراين بنته لم يكن لها نظير في مصر، وهي ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال لأنها أحسن من زوجة عبيد الجوهري بألف طبقة. فأخبرته بها فذهب هو والأكابر إلى والدها وخطبوا منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحاً عظيماً. ثم عمل الولائم وعزم في أول يوم الفقهاء فعملوا مولداً شريفاً، وثاني يوم عزم التجار تماماً. ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزين الحارة والخط بالقداديل، وفي كل ليلة تأتي سائر أرباب الملاعب ويلعبون أنواع اللعب، وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من أصناف الناس حتى عزم العلماء والأمراء والصنائح والحكام. ولم يزل الفرح قائماً مدة أربعين يوماً وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرّج على الناس وهم يأكلون من السمّاط، وكان فرحاً ليس له نظير. وفي آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غربياً وقريباً فصاروا يأتون زمرأاً يأكلون والتاجر جالس وابنه بجانبه. فبينما هم كذلك وإذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السفر. فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لآبيه: أنظر يا أبي إلى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب. فنظر إليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوي درهمين وفي وجهه اصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج، ويثن أنين المريض المحتاج ويمشي بتهافت في مشية ذات اليمين وذات الشمال. وتحقق فيه قول من قال: [من السريع]

أَلْفَقَرُّ يُزْرِي بِالْفَتَى دَائِماً كَمَا أَصْفَرَّ الشَّمْسُ عِنْدَ الْغَيْبِ
يَمُرُّ بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَخْفِياً وَإِنْ خَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبِ

وإنَّ يَغِيبُ فَلَيْسَ يُعْنَى بِهِ
والله ما الإنسانُ في أهله
وما له عند حُضورِ نصيبٍ
إذا أتى بالفقرِ إلاَّ غريبٌ

ويقول الآخر: [من الكامل]

يَمْشِي الْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ ضِدُّهُ
وَتَرَاهُ مَمْقُوتًا وَلَيْسَ بِمُذْنِبٍ
حَتَّى الْكِلَابِ إِذَا رَأَتْ ذَا نِعْمَةٍ
وَإِذَا تَرَى يَوْمًا فَقِيرًا بَائِسًا

وما أحسن قول الشاعر: [من الوافر]

إِذَا صَحِبَ الْفَتَى عِزًّا وَسَعْدًا
وَوَاصِلَهُ الْحَبِيبُ بِغَيْرِ وَعْدٍ
وَقَالُوا إِنَّ فِسًّا قَدْ فَاحَ طِيبٌ
تَحَامَتُهُ الْمَكَارَهُ وَالْحُطُوبُ

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 977
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن التاجر عبد الرحمن لما قال له
ولده : أنظر إلى هذا الرجل الفقير . قال : يا ولدي من هذا؟ قال له : هذا
المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا . فقال له : هذا الذي
كنت تحدثني عنه؟ قال : نعم وقد عرفته معرفة جيدة . وكان السبب في
مجيئه أنه لما ودّع قمر الزمان توجه إلى دكانه فجاءته دقة شغل ، فأخذها

واشتغلها في بقية النهار، وعند المساء قفل الدكان وذهب إلى البيت ووضع يده على الباب
فانفتح ، فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت في أسوأ الأحوال . منطبق عليه قول من
قال : [من البسيط]

كَانَتْ خَلِيَّاتٍ نَحَلٍ وَهِيَ عَامِرَةٌ
لَمَّا خَلَى نَحَلُهَا عَادَتْ خَلِيَّاتٍ
كَأَنَّهَا الْيَوْمَ بِالسُّكَّانِ مَا عَمَرَتْ
أَوْغَالُ سُكَّانِهَا فَصَلُّ النِّبَاتِ

فلما رأى الدار خالية التفت يمينا وشمالاً ثم دار فيها مثل الجنون فلم يجد أحداً وفتح خزينته
فلم يجد فيها شيئاً من ماله ولا من ذخائره . فعند ذلك فاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرفه أن
زوجته هي التي كانت تتقلب عليه بالحليل حتى غدرته . فبكى على ما حصل له ولكنه كتم أمره
حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدر أحد من أحبابه، وعلم أنه إذا باح بالسر لا يناله إلا
الهتيكة والتعنيف من الناس وقال في نفسه : يا فلان أكتم ما حصل لك من الخبال والوبال
وعليك بالعمل بقول من قال : [من الطويل]

إِذَا كَانَ صَدْرُ الْمَرْءِ بِالسَّرِّ ضَيِّقًا
فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السَّرَّ أَضْيَقُ

ثم إنه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها صانعاً من صناعه وقال له : إن الغلام التاجر
صاحبي عزم عليّ أن أروح معه إلى مصر بقصد الفرجة وحلف أنه ما يرحل حتى يأخذني معه

بحريمي، وأنت يا ولدي وكيلي في الدكان وإن سألكم عني الملك فقولوا له : إنه توجه بحريمه إلى بيت الله الحرام . ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالاً وبغالاً ومماليك واشترى له جارية وحطّها في تختروان وخرج من البصرة بعد عشرة أيام ، فودّعه أصحابه وسافر والناس لا يظنون إلا أنه أخذ زوجته وتوجه إلى الحج . وفرحت الناس وقد انقذهم الله من حسبهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة . وصار بعض الناس يقول : لارده الله إلى البصرة مرة أخرى حتى لا نحسب في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة لأن هذه الخصلة أورثت أهل البصرة حسرة عظيمة . وبعضهم يقول : أظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء أهل البصرة عليه . وبعضهم يقول : إن رجع لا يرجع إلا منكس الحال . وفرح أهل البصرة بسفره فرحاً عظيماً بعد أن كانوا في حسرة عظيمة حتى ارتاحت قنوطهم وكلابهم . فلما أتى يوم الجمعة نادى المنادي في البلد على العادة بأنهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين أو يستخفون في البيت وكذلك القنوط والكلاب . فضاقت صلورهم فاجتمعوا جميعاً وتوجهوا إلى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا له : يا ملك الزمان ، إن الجوهري أخذ حريمه وسافر إلى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذي كنا نحسب من أجله ، فبأي سبب نحسب الآن ؟ فقال الملك : كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني ؟ لكن إذا جاء من سفره لا يكون إلا خيراً ، روحوا إلى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة . هذا ما كان من أمر الملك وأهل البصرة . وأما ما كان من أمر المعلم عبيد الجوهري ، فإنه سافر عشرة مراحل فحلّ به ما حلّ بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروّه وأخذوا ما كان معه وجعل روحه ميتاً حتى خلص ، وبعد ذهاب العرب قام ومشى وهو عريان إلى أن دخل بلداً فحتمن الله عليه أهل الخير ، فستروا عورته بقطع من الثياب الخلفية ، وصار يسأل ويتقوّت من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر المحروسة فأحرقه الجوع فدار يسأل في الأسواق . فقال له رجل من أهل مصر : يا فقير ، عليك بيت الفرح ، كل واشرب فإن هناك في هذا اليوم سماط الفقراء والغرباء . فقال : لا أعرف طريق الفرح . فقال له : أتبعني وأنا أريه لك . فتبعه إلى أن وصل إلى البيت قال له : هذا هو بيت الفرح ، فادخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب . فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه وأخبر به أباه . ثم إن التاجر عبد الرحمن قال لولده : يا ولدي ، أتركه في هذه الساعة ربما يكون جائعاً فدعه يأكل حتى يشبع ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه . فصبراً عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر المزوجة بالمسك والعنبر وأراد أن يخرج فأرسل خلفه والد قمر الزمان . فقال له الرسول : تعال يا غريب كلّم التاجر عبد الرحمن . فقال : ما يكون هذا التاجر ؟ فقال له : صاحب الفرح . فرجع وظن أنه يعطيه إحساناً . فلما أقبل على التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه ، وقام له قمر الزمان على الأقدام وأخذته بالأحضان وسلّم عليه وتباكيا بكاء شديداً ثم إنه اجلسه بجانبه . فقال له أبوه : يا عديم الذوق ، ما هذا شأن ملاقة الأصحاب ؟ أرسله أولاً إلى الحمام وأرسل إليه بدلة تليق به وبعد ذلك أقعد معه وتحدّث أنت وإياه . فصاح على بعض الخدام وأمرهم أن يدخلوه الحمام وأرسل إليه بدلة من خاص الملبوس تساوي ألف دينار أو أكثر من ذلك المبلغ ، وغسلوا جسده والبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار . وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان عنه حين غيابه في الحمام وقالوا : من هذا ؟ ومن أين

تعرفه؟ فقال: هذا صاحبي وقد أنزلني في بيته وله عليّ إحسان لا يحصى، فإنه أكرمني إكراماً زائداً وهو من أهل السعادة والسيادة وصنعتة جوهرية ليس له نظير وملك البصرة يحبه حباً كثيراً وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ. وصار يببالغ لهم في مدحه ويقول: إنه فعل معي كذا وكذا وأنا صرت في حياء منه ولا أدري ما أجازيه به في مقابلة ما صنعه معي من الإكرام. ولم يزل يثني عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهاباً في أعينهم. فقالوا: نحن كلنا نقوم بواجبه وإكرامه من شأنك، ولكن مرادنا أن نعرف ما سبب مجيئه إلى مصر؟ وما سبب خروجه من بلاده؟ وما فعل الله به حتى صار في هذه الحالة؟ فقال لهم: يا ناس لا تتعجبوا، إن ابن آدم تحت القضاء والقدر، وما دام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات. وقد صدق من قال هذه الآيات: [من الكامل]

اللَّهْرُ يَفْتَرِسُ الرَّجَالَ فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ تُطَيِّسُهُ الْمَنَاصِبُ وَالرُّتَبُ
وَأَحْذَرُ مِنَ الزَّلَّاتِ وَأَجْتَنِبِ الْأَسَى وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الدَّهْرَ شِيمَتُهُ الْعَطْبُ
كَمْ نِعْمَةٍ زَالَتْ بِأَصْغَرِ نِقْمَةٍ وَلِكُلِّ شَيْءٍ فِي تَقْلِبِهِ سَبَبٌ

أعلموا أنني أنا دخلت البصرة في أسوأ من هذه الحالة وأشد من هذا النكال، لأن هذا الرجل دخل مصر مستور العورة بالخلقان وأما أنا فإني دخلت بلاده مكشوف العورة، يد من خلف ويد من قدام ولا نفعني إلا الله وهذا الرجل العزيز. والسبب في ذلك أن العرب عروني وأخذوا جمالي وبغالي وأحمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنوا أنني ميت فذهبوا وفاتوني، وبعد ذلك قمت ومشيت عرياناً إلى أن دخلت البصرة فقابلني هذا الرجل وكساني وأنزلني في بيته وقواني بالمال، وجميع ما أتيت به معي ليس إلا من خير الله وخيره. فعندما سافرت أعطاني شيئاً كثيراً ورجعت إلى بلدي مجبور الخاطر وفارقتة وهو في سيادة وسعادة، فلعله حدث له بعد ذلك نكبة من نكبات الزمان أوجبت له فراق الأهل والأوطان وجرى له في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك. ولكن ينبغي لي الآن أن أجازيه على ما صنع معي من كريم الفعال وأعمل بقول من قال: [من المتقارب]

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا هَلْ تَذْرِي مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
مَا شِئْتَ فَاصْنَعِ جَمِيلَ فِعْلٍ كَمَا يَدِينُ الْفَتَى يَدَانُ

فبينما هم في هذا الكلام وأمثاله وإذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كأنه شاه بندر التجار. فقام إليه الجميع وسلّموا عليه وأجلسوه في الصدر وقال له قمر الزمان: يا صاحبي، نهارك مبارك سعيد، لا تحك لي على شيء جرى عليّ قبلك فإن كان العرب عروك وأخذوا منك مالاً فإن المال فدى الأبدان، فلا تغم نفسك فإني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني وأكرمتني ولك عليّ الإحسان الكثير فانا أجازيك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهري: إني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني ولك عليّ الإحسان الكثير، فانا أجازيك وأفعل معك كما فعلت معي بل أكثر من ذلك، فطب نفساً وقرّ عيناً. وصار يأخذ بخاطره ومنعه من الكلام لثلا يذكر زوجته وما فعلت معه، ولم يزل يعظه بمواعظ وأمثال وأشعار ونكت

فلما كانت الليلة 978

وحكايات وأخبار ويسلّيه حتى لحظ الجوهرى ما أشار إليه قمر الزمان من الكتمان . فكتّم ما عنده وتسلّى بما سمعه من الأخبار والنوادر وأنشد قول الشاعر : [من البسيط]

في جبهة الدهر سطرٌ لو نظرتُ له أبكاك مضمونه من مُقلّتيك دِمَا
ما سلّم الدهرُ باليمنى على أحدٍ إلّا ويسراه تسقيهِ الردى كظماً

ثم إن قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن أخذوا الجوهرى ودخلوا به في قاعة الحرم واختلبا به . فقال له التاجر عبد الرحمن : نحن ما منعناك من الكلام إلا خوفاً من الفضيحة في حقك وحقنا ، ولكن نحن الآن في خلوة فاخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي . فاخبره بالقضية من المبتدأ إلى المنتهى . فلما فرغ من قصته قال له : هل الذنب من زوجتك أو من ولدي ؟ قال له : والله إن ولدك ما عنده ذنب لأن الرجال لها الطمع في النساء والنساء عليهن أن يمتنعن من الرجال ، فالعيب عند زوجتي التي خانتي وفعلت معي هذه الفعلة . فقام التاجر واختل بولده وقال له : يا ولدي ، إننا اخترنا زوجته وعرفنا أنها خائنة ، ومرادي الآن أن أختبره وأعرف هل هو صاحب عرض ومروءة أو هو ديوث ؟ فقال له : وكيف ذلك ؟ فقال : مرادي أن أحمله على الصلح مع زوجته فإن رضي بالصلح وسامحها فإني أضربه بسيف فأقتله وبعد ذلك أقتلها هي وجاريتها ، لأن لا خير في حياة الديوث والزانية ، وإن نفر منها فإني أزوجه أختك وأعطيه بأكثر من ماله الذي أخذته منه . ثم إنه رجع إليه وقال له : يا معلم ، إن معاشره النساء تحتاج إلى طول البال ومن كان يهواهن فإنه يحتاج إلى سعة الصدر ، لأنهن يعربدن في الرجال ويؤذنين لعزتهن عليهم بالحسن والجمال فيستعظمن أنفسهن ويستحقرن الرجال ولا سيما إذا بانن لهن المحبة من بعولهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكرهه الفعال من جميع الجهات ، فإن كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن إلا من كان واسع البال كثير الإحتمال ، وإن لم يتحمّل الرجل زوجته ويقابل إساءتها بالسماح فإنه لا يحصل له في عشرتها نجاح . وقد قيل في حقهن : لو كنّ في السماء لمالت إليهن أعناق الرجال ، ومن قدر وعفى كان أجره على الله . وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي أن يكون عندك لها السماح وهذا في العشرة من علامات النجاح ، والنساء ناقصات عقل ودين ، وهي إن أساءت فإنها قد تابت وإن شاء الله لا ترجع إلى فعل ما كانت تفعله أولاً . فالرأي عندي أنك تصطلح أنت وإياها وأنا أريد لك أكثر من مالك ، وإن أقمت عندي فمرحّباً بك وبها وليس لكما إلا ما يسرّكما ، وإن كنت تطلب التوجه إلى بلادك فأنا أعطيك ما يرضيك ، وها هو التختروان حاضر فركّب زوجتك وجاريتها فيه وسافر إلى بلادك ، والذي يجري بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل التعمير . فقال الجوهرى : يا سيدي ، وأين زوجتي ؟ فقال له : ها هي في هذا القصر فاطلع إليها واستوص بها من شأني ولا تشوش عليها فإن ولدي لما جاء بها وطلب زواجها منعتة وحطيتها في هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت في نفسي : ربما يجيء زوجها فأسلمها إليه لأنها جميلة الصورة والتي مثل هذه لا يمكن زوجها أن يفوتها ، والذي حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك . وأما من جهة ابني فإني خطبت له وزوجته غيرها وهذه الولاثم والضيافات من أجل فرحه وفي هذه الليلة دخلته على زوجته . وها هو

مفتاح القصر الذي فيه زوجتك فخذته وافتح الباب وادخل على زوجتك وجارتك وانبسط معها ويأتيكم الاكل والشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها. فقال له: جزاك الله عني كل خير يا سيدي. ثم اخذ المفتاح وطلع فرحاناً فظن التاجر أن هذا الكلام اعجبه وإنه رضي به، فأخذ السيف وتبعه من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته. هذا ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن. وأما ما كان من أمر الجوهري فإنه دخل على زوجته فرأها تبكي بكاء شديداً بسبب أن قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها: كم نصحتك يا سيديتي وقلت لك إن هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركي عشرته! فما سمعت كلامي حتى نهيت جميع مال زوجك وأعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك وتعلقت في هواه وجئت معه في هذه البلاد، وبعد ذلك رماك من باله وتزوج بغيرك ثم جعل آخر تعلقك به الحيس. فقالت لها: اسكتي يا ملعونة، فإنه وإن تزوج بغيري لا بد أن أخطر يوماً على باله فانا لا أسلو مسامرتة. وأنا على كل حال اتسلى بقول من قال: [من الكامل]

يا سادتي هل يخطرُنَّ بِبالِكُمْ من لئس يخطرُ غيرُكُمْ في بالِه
حاشِكُمْ أن تُغفلُوا عن حالِ مَنْ هو غافلٌ في حالِكُمْ عن حالِه

فلا بد أنه يتذكر عشرتي وصحبتني ويسأل عني وأنا لا أرجع عن محبته ولا أحول عن هواه ولو مت في السجن، فإنه حبيبي وطيببي وعشمي فيه أنه يرجع إليّ ويعمل معي انبساطاً. فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها: يا خائنة، إن عشمك فيه مثل عشم إبليس في الجنة، كل هذه العيوب فيك وأنا ما عندي خبر؟ ولو علمت أن فيك عيباً من هذه العيوب ما كنت قمتك عندي ساعة واحدة. ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغي أن اقتلك ولو قتلوني فيك يا خائنة. ثم قبض عليها بيديه الإثنيين وأنشد هذين البيتين: [من الخفيف]

يا ملاحاً أذهبتُمُ صدقَ وُدِّي بالتَّجنيِّ ولَمْ تُراعُوا حَقُوقاً
كَمْ بِكُمْ صَبُوةٌ عَلِقَتْ وَلَكِنْ بَعْدَ هَذَا الْأَسَى كَرِهَتْ الْعُلُوقاً

ثم أتكا على زمارة حلقها وكسرها. فصاحت الجارية: واسيدتاه. فقال لها: يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين أن فيها هذه الخصلة ولم تخبريني. ثم قبض على الجارية وخنقها، كل ذلك حصل والتاجر ماسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع بأذنه ويرى بعينه. ثم إن عبيداً الجوهري لما خنقها في قصر التاجر كثرت عليه الأوهام وخاف عاقبة الأمر وقال في نفسه: إن التاجر إذا علم أنني قتلتهما في قصره لا بد أنه يقتلني، ولكن أسأل الله أن يجعل قبض روعي على الإيمان. وصار متحيراً في أمره ولم يدر ماذا يفعل. فبينما هو كذلك وإذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له: لا بأس عليك إنك تستأهل السلامة، وانظر هذا السيف الذي في يدي فإني كنت ضامراً على أن اقتلك إن صالحتها ورضيت عليها وأقتل الجارية، وحيث فعلت هذه الفعال فمرحباً بك ثم مرحباً ولا جزاؤك إلا أن أزوجه ابنتي أخت قمر الزمان. ثم إنه أخذه ونزل به وأمر بإحضار الغاسلة وشاع الخبر أن قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتا. فصار الناس يعزونه ويقولون له: تعيش راسك وعوض الله عليك. ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف أحد حقيقة الأمر. هذا ما كان من أمر عبيد الجوهري

وزوجته وجاريتها . وأما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فإنه احضر شيخ الإسلام وجميع الأكاابر وقال : يا شيخ الإسلام ، اكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري ومهرها قد وصلني بالتمام والكمال . فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحداً وزفوا بنت شيخ الإسلام زوجة قمر الزمان وأخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تختروان واحد في ليلة واحدة . وفي المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وأدخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الإسلام وأدخلوا المعلم عبيد على بنت التاجر عبد الرحمن . فلما دخل عليها رآها أحسن من زوجته وأجمل منها بالف طبقة ثم إنه أزال بكارتها . ولما أصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ، ثم أقام عندهم مدة في فرح وسرور . وبعد ذلك اشتاق إلى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال : يا عم ، إني اشتقت إلى بلادي ولي فيها أملاك وأرزاق وكنت اقمتم فيها صناعات من صناعاتي وكيلاً عني وفي خاطري أن أسافر إلى بلادي لأبيع أملاكي وأرجع إليك ، فهل تأذن لي في التوجه إلى بلادي من أجل ذلك ؟ فقال له : يا ولدي ، قد أدت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فإن حب الوطن من الإيمان والذي ما له خير في بلاده ما له خير في بلاد الناس وربما إنك إذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيراً بين رجوعك إلى زوجتك وقعودك في بلادك . فالرأي الصواب أنت تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك إن شئت الرجوع إلينا فارجع أنت وزوجتك ومرحباً بك وبها ، لاننا ناس لا نعرف طلاقاً ولا تزويج منا امرأة مرتين ولا نهجر إنساناً بطلاً . فقال : يا عم ، أخاف أن ابنتك لا ترضى بالسفر معي إلى بلادي . فقال له : يا ولدي ، نحن ما عندنا نساء تخالف يعولهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعليها . فقال له : بارك الله فيكم وفي نساتكم . ثم إنه دخل على زوجته وقال لها : أنا مرادي السفر إلى بلادي فما تقولين ؟ قالت : إن أبي لا زال يحكم علي ما دمت بكرأ وحيث تزوجت فقد صار الحكم كله في يد بعلي فإنني لا أخالفه . فقال لها : بارك الله فيك وفي أهلك ورحم الله بطنا حملتك وظهرنا القاك . ثم بعد ذلك قطع علاقته وأخذ في أسباب السفر فأعطاه عمه شيئاً كثيراً وودعها بعضهما ثم أخذ زوجته وسافر . ولم يزل مسافراً حتى دخل البصرة ، فخرجت لملاقاته الأقارب والأصحاب وهم يظنون أنه كان في الحجاز وصار بعض الناس فرحاناً بقدمه وبعضهم مغموماً لرجوعه إلى البصرة وقال الناس لبعضهم : إنه يضيق علينا في كل جمعة بحسب العادة ويحبسنا في الجوامع والبيوت وحتى يحبس قطننا وكلابنا . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر ملك البصرة فإنه لما علم بقدمه غضب عليه وأرسل إليه وأحضره بين يديه وعثقه وقال له : كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك ؟ فهل كنت عاجزاً عن شيء أعطيه لك لتستعين به على الحج إلى بيت الله الحرام ؟ فقال له : العفو يا سيدي ، والله ما حججت ولكن جرى لي كذا وكذا . وأخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصري وكيف زوجته ابنته إلى أن قال له : وقد جئت بها إلى البصرة . فقال له : والله لولا إني أخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الأصلية من بعدك ، ولو كنت أنفق عليها خزائن الأموال لأنها لا تصلح إلا للملوك ، ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك لك فيها فاستوص بها خيراً . ثم إنه أنعم على الجوهري ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفي إلى رحمة الله تعالى . فخطبها الملك فما رضيت وقالت : أيها الملك ، أنا ما وجدت في طائفتي امرأة تزوجت بعد بعليها فانا لا أتزوج أحداً بعد

بعلي، فلا أتزوجك ولو كنت تقتلني. فأرسل يقول لها: هل تطلين التوجه إلى بلادك؟ فقالت: إذا فعلت خيراً تجازى به. فجمع لها جميع أموال الجوهري وزادها من عنده على قدر مقامه ثم أرسل معها وزيراً من وزرائه مشهوراً بالخير والصلاح وأرسل معه خمسمائة فارس. فسار بها ذلك الوزير حتى أوصلها إلى أبيها وأقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع. وإذا كانت هذه المرأة ما رضيت أن تبدل زوجها بعد موته بسultan كيف تستوي بمن تبدله في حال حياته بغلام مجهول الأصل والنسب؟ وخصوصاً إذا كان ذلك في السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح. ومن ظن أن النساء كلهن سواء فإن داء جنونه ليس له دواء. فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحي الذي لا يموت.

87 - حكاية عبد الله بن فاضل وأخوته

ومما يحكى أيضاً أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد تفقد خراج البلاد يوماً من الأيام فرأى خراج جميع البلاد والاقطار جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت في ذلك العام. فنصب ديواناً لهذا السبب وقال: عليّ بالوزير جعفر. فحضر بين يديه فقال له: إن خراج جميع الاقطار جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت منه شيء. فقال: يا أمير المؤمنين، لعل نائب البصرة حصل له أمر الهاه عن إرسال الخراج. فقال: إن مدة حضور الخراج عشرون يوماً فما عذره في هذه المدة حتى لم يرسل الخراج أو يرسل بإقامة العذر؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن شئت أرسلنا إليه رسالة. فقال: أرسل له أبا اسحاق الموصلي النديم. فقال: سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين. ثم إن الوزير جعفر نزل إلى داره وأحضر أبا اسحاق الموصلي النديم وكتب له خطاً شريفاً وقال له: إمض إلى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذي الهاه عن إرسال الخراج ثم تسلّم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وأتني به سريعاً، فإن الخليفة تفقد خراج الاقطار فوجده قد وصل إلا خراج البصرة، وإن رأيت الخراج غير حاضر واعتذر إليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه. فأجاب: بالسمع والطاعة وأخذ خمسة آلاف فارس من عسكر الوزير وسافر حتى وصل إلى مدينة البصرة. فعلم بقدمه عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره إليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قصره، وبقية العسكر نزلوا في الخيام خارج البصرة وقد عين لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون إليه. ولما دخل أبو اسحاق الديوان وجلس على الكرسي اجلس عبد الله بن فاضل بجانبه وجلس الأكابر حوله على قدر مراتبهم. ثم بعد السلام قال له ابن فاضل: يا سيدي، هل لقدومك علينا من سبب؟ قال: نعم، إنما جئت لطلب الخراج فإن الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت. فقال: يا سيدي، يا ليتك ما تعبت ولا تحمّلت مشقة السفر فإن الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت عازماً على أن أرسله في غد ولكن حيث أتيت فأنا أسلمته إليك بعد ضيافتك ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحضر الخراج بين يديك، ولكن وجب علينا الآن أننا نقدم إليك هدية من بعض خيرك وخير أمير المؤمنين. فقال له: لا بأس بذلك. ثم إنه فضّ الديوان ودخل به قصرًا في داره ليس له نظير. ثم قدم له ولأصحابه سفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا. ثم رفعت المائدة وغسلت الأيادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة إلى ثلث الليل، ثم فرشوا له سريرًا

من العاج مرصعاً بالذهب الوهاج ، فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه . فغلب السهر على أبي اسحاق رسول أمير المؤمنين وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لانه من خواص ندماء الخليفة ، وكان له باع عظيم في الأشعار ولطاف الأخبار . ولم يزل سهراناً في إنشاء الشعر إلى نصف الليل . فبينما هو كذلك وإذا بعبد الله بن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولاباً وأخذ منه سوياً وأخذ شمعة مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظن أن أبا اسحاق نائم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
979
قال
قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن عبد الله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن أن أبا اسحاق النديم نائم . فلما خرج تعجب أبو اسحاق وقال في نفسه : إلى أين يذهب عبد الله بن فاضل بهذا السوط ؟ فلعل مراده أن يعذب أحداً ، ولكن لا بد لي من أن أتبعه وأنظر ما يصنع في هذه الليلة . ثم إن أبا اسحاق قام وخرج وراءه قليلاً قليلاً بحيث أنه لم يره ، فرأى عبد الله فتح خزانة وأخرج منها مائدة فيها أربعة أصحن من الطعام وخبزاً وقلة فيها ماء ، ثم إنه حمل المائدة والقلة ومشى . فتبعه أبو اسحاق مستخفياً إلى أن دخل قاعة ، فوقف أبو اسحاق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب ، فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشاً فاخراً ، وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب وذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب . ثم إنه رأى عبد الله حط المائدة على جانب في مكان وشمر عن أيديه وفك الكلب الأول ، فصار يتلوى في يده ويضع وجهه في الأرض كأنه يقبل الأرض بين يديه ويعوي عياً خفيف بصوت ضعيف . ثم إنه كتفه ورماه على الأرض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضرباً وجيعاً من غير شفقة وهو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصاً . ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الأنين وغاب عن الوجود . ثم إنه أخذه وربطه في مكانه وبعد ذلك أخذه الكلب الثاني وفعل به كما فعل بالأول . ثم إنه أخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول : لا تؤاخذاني ، والله ما هذا بخاطري ولم يسهل علي ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجاً ومخرجاً ويدعو لهما . وحصل كل هذا وأبو اسحاق النديم واقف يسمع بأذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة . ثم إنه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعوا ومسح لهما أفواههما وحمل القلة وسقاها . وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة وأراد أن يخرج فسبقه أبو اسحاق وجاء إلى سريره ونام ولم يره ولم يعرف أنه تبعه واطلع عليه . ثم إن عبد الله وضع السفرة والقلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع حوائجه ونام . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر أبي اسحاق ، فإنه بات بقية تلك الليل يفكر في شأن هذا الأمر ولم يأت له نوم من كثرة العجب وصار يقول في نفسه : يا ترى ، ما سبب هذه القضية ؟ ولم يزل يتعجب إلى الصباح . ثم قاموا وصلوا الصبح وانحط لهم الفطور ، فاكلوا وشربوا القهوة وطلعوا إلى الديوان واشتغل أبو اسحاق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد الله عنها . وثاني ليلة فعل بالكليين كذلك ، فضربهما ثم صالحهما وأطعمهما وسقاها وتبعه أبو اسحاق فرآه فعل بهما كأول ليلة وكذلك ثالث ليلة . ثم إنه أحضر الخراج إلى أبي اسحاق النديم في رابع يوم فأخذه وسافر ولم

بيدّله شيئاً، ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى بغداد وسلّم الخراج إلى الخليفة . ثم إن الخليفة سأله عن سبب تأخير الخراج فقال له : يا أمير المؤمنين، رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج وأراد إرساله ولو تأخرت يوماً لقابلني في الطريق، لكن رأيت من عبد الله بن فاضل عجباً عمري ما رأيت مثله يا أمير المؤمنين . فقال الخليفة : وما هو يا أبا اسحاق ؟ قال : رأيت ما هو كذا وكذا . وأخبره بما فعله مع الكلبيين وقال له : رأيت ثلاث ليال متواليات وهو يعمل هذا العمل ، فيضرب الكلبيين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما ويطعمهما، وأنا أتفرج عليه بحيث لا يراني . فقال له الخليفة : فهل سألته عن السبب ؟ فقال له : لا وحيّة رأسك يا أمير المؤمنين . فقال الخليفة : يا أبا اسحاق ، أمرتك أن ترجع إلى البصرة وتأتيني بعبد الله بن فاضل وبالكلبيين . فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني من هذا فإن عبد الله بن فاضل أكرماً زائداً وقد اطلعت على هذه الحالة اتّفاقاً من غير قصد فاخبرتك بها، فكيف أرجع إليه وأجيء به ؟ فإن رجعت إليه لا ألقى لي وجهاً حياً منه . فاللائق إرسال غيري إليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبيين . فقال له : إن أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الأمر ويقول : ما عندي كلاب . وأما إذا أرسلتكَ أنت وقلت له : إنني رأيتك بعيني ، فإنه لا يقدر على إنكار ذلك . فلا بد من ذهابك إليه وإتيانك به وبالكلبيين وإلا فلا بد من قتلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة هارون الرشيد قال لأبي اسحاق : لا بد من ذهابك إليه وإتيانك به وبالكلبيين وإلا فلا بد من قتلك . فقال له أبو اسحاق : سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصدق من قال : آفة الإنسان من اللسان . فانا الجاني على نفسي حيث أخبرتك ولكن أكتب لي خطأ شريفاً وأنا اذهب إليه وأتيتك به . فكتب له خطأ شريفاً وتوجه به إلى البصرة . فلما دخل على عامل البصرة قال له : كفانا الله شرّ رجوعك يا أبا اسحاق ، فما لي أراك رجعت سريعاً؟ لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة . فقال : يا أمير عبد الله ، ليس رجوعي من أجل نقص الخراج فإنه كامل وقبله الخليفة . ولكن أرجو منك عدم المؤاخذه فإني أخطأت في حقك وهذا الذي وقع مني مقدّر من الله تعالى . فقال له : وما وقع منك يا أبا اسحاق ؟ أخبرني فإنك حبيبي وأنا لا آخذك . فقال له : أعلم أنني لما كنت عندك أتبعتك ثلاث ليال متواليات وأنت تقوم كل ليلة في نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع . فتعجبت من ذلك واستحيت أن أسألك عنه . ثم إنني أخبرت الخليفة بخبرك اتّفاقاً من غير قصد فالزمني بالرجوع إليك وهذا خط يده ، ولو كنت أعلم أن الأمر يحوج إلى ذلك ما كنت أخبرته ولكن جرى القدر بذلك ، وصار يعتذر إليه . فقال له : حيث أخبرته فانا أصدق خبرك عنده لثلاث يظن بك الكذب فإنك حبيبي ، ولو أخبر غيرك كنت أنكرت ذلك وكذبت . فها أنا أروح معك وأخذ الكلبيين معي ولو كان في ذلك تلف نفسي وانقضاء أجلي . فقال له : الله يسترك كما سترت وجهي عند الخليفة . ثم إنه أخذ هدية تليق بالخليفة وأخذ الكلبيين في جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا إلى أن وصلوا إلى بغداد ، ودخل على الخليفة فقبل الأرض بين يديه فأذن له بالجلوس ، فجلس وأحضر الكلبيين بين يديه . فقال الخليفة : ما هذان الكلبان يا أمير عبد الله ؟ فصار الكلبان يقبلان الأرض بين يديه ويحرّكان أذناهما ويكيان كأنهما يشكوان إليه .

فلما كانت الليلة
التي كان
980
الليلة

فتعجب الخليفة من ذلك وقال له : أخبرني بخير هذين الكلبيين ؟ وما سبب ضربك لهما وإكرامهما بعد الضرب . فقال له : يا خليفة الله ، ما هذان كلبان وإنما هما رجلان شابان ذوا حسن وجمال وقد واعتدال وهما اخواي وولدا امي وابي . فقال الخليفة : وكيف كانا آدميين وصارا كلبين ؟ قال : إن أذنت لي يا امير المؤمنين أخبرك بحقيقة الخبر . فقال : أخبرني وإياك والكذب فإنه صفة اهل النفاق ، وعليك بالصدق فإنه سفينة النجاة وسيمة الصالحين . فقال له : أعلم يا خليفة الله ، اني إذا أخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان عليّ ، فإن كذبت يكذباني وإن صدقت يصدقان . فقال له : هذان من الكلاب لا يقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك أو عليك ؟ فقال لهما : يا اخويّ ، إذا أنا تكلمت كلاماً كذباً فارفعاً رؤوسكما وحملقا أعينكما وإذا تكلمت صدقاً فنكساً رؤوسكما وغضاً أعينكما . ثم إنه قال : أعلم يا خليفة الله ، إننا نحن ثلاثة أخوة أمنا واحدة وأبونا واحد ، وكان اسم أبينا فاضل وما سمّي بهذا الاسم الا لكون أم أبيه وضعت ولدين توأمين في بطن واحد ، فمات أحدهما من وقته وساعته وفضل الثاني فسمّاه أبوه فاضلاً . ثم ربّاه وأحسن تربيته إلى أن كبر فزوّجه أمنا ومات ، فوضعت أخي هذا أولاً فسمّاه منصوراً وحملت ثاني مرة ووضعت أخي هذا فسمّاه ناصرأً وحملت ثالث مرة ووضعتني فسمّاني عبد الله . وربّانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال ، فمات وخلف لنا بيتاً ودكاناً ملأنا قماشاً ملوناً من سائر أنواع القماش الهندي والرومي والخراساني وغير ذلك ، وخلف لنا ستين ألف دينار . فلما مات أبونا غسلناه وعملنا له مشهداً عظيماً ودفناه لرحمة مولاة ، وعملنا له عتاقة وختمات وتصدّقنا عليه إلى تمام الأربعين يوماً . ثم إنني بعد ذلك جمعت التجار وأشراف الناس وعملت لهم يوماً عظيماً بعدما أكلوا قلت لهم : يا تجار ، إن الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه ، هل تعلمون لاي شيء جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندي ؟ قالوا : سبحان الله علام الغيوب . فقلت لهم : إن أبي مات عن جملة من المال ، وأنا خائف أن يكون عليه تبعة لأحد من دين أو رهن أو غير ذلك ، ومرادي خلاص ذمة أبي من حقوق الناس . فمن كان له عليه شيء فليقل : إن لي عليه كذا وكذا . وأنا أورده له لاجل براءة ذمة أبي . فقال لي التجار : يا عبد الله ، إن الدنيا لا تغني عن الآخرة ولسنا أصحاب باطل وكل منّا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالى ونجتنب أكل مال اليتيم . ونعلم أن أباك رحمة الله عليه كان دائماً يبقى ماله عند الناس ولا يخلفي في ذمته شيئاً إلى أحد . ونحن دائماً نسمعه وهو يقول : أنا خائف من متاع الناس . ودائماً كان يقول في دعائه : إلهي أنت ثقتي ورجائي فلا تمتني وعليّ دين . وكان من جملة طباعه أنه إذا كان لأحد عليه شيء فإنه يدفعه له من غير مطالبة ، وإذا كان له على أحد شيء فإنه لا يطالبه ويقول له : على مهلك . وإن كان فقيراً يسامحه ويرىء ذمته ، وإن لم يكن فقيراً ومات يقول : سامحه الله عما لي عنده . ونحن كلنا نشهد أنه ليس لأحد عنده شيء . فقلت : بارك الله فيكم . ثم إنني التفت إلى اخويّ هذين وقلت لهما : إن ابانا ليس عليه لأحد شيء وقد خلف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ، ونحن ثلاثة أخوة كل منا يستحق ثلث هذا الشيء فهل نتفق على عدم القسمة ويستمرّ مالنا مشتركاً بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء ؟ أو نقسم القماش والاموال ويأخذ كل واحد منا حصته ؟ فقالا : نقسم ويأخذ كل واحد منا حصته . ثم التفت إلى الكلبيين وقال لهما : هل جرى ذلك يا اخويّ ؟ فنكسار رؤوسهما وغضاً عيونهما كأنهما

قالا: نعم . ثم إنه قال : فأحضرت قساماً من طرف القاضي يا أمير المؤمنين، فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلقه لنا أبونا وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما استحقه من الاموال ورضينا بذلك . وصار البيت والدكان في قسمي وهما اخذا قسمهما مالاً وقماشاً . ثم إني فتحت الدكان وحطيت فيه القماش واشترت بجانب من المال الذي خصتني زيادة على البيت والدكان قماشاً حتى ملأت الدكان وقعدت أبيع واشتري . وأما أخوأي فإنهما اشتريا قماشاً واكتريا مركباً وسافرا في البحر إلى بلاد الناس فقلت : الله يساعدهما وأنا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة . ودمت على ذلك مدة سنة كاملة، ففتح الله عليّ وصرت أكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلقه لنا أبونا . فاتفق لي يوماً من الأيام أنني كنت جالساً في الدكان وعليّ فروتان : إحداهما سمور والأخرى سنجاب ، لأن ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في أوان اشتداد البرد . فبينما أنا كذلك وإذا بأخوي قد أقبلا عليّ وعلى بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة، وشفاهما بيض من البرد وهما ينتفضان . فلما رأيتهما عسر عليّ ذلك وحزنت عليهما . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كان
الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل لما قال
للخليفة : فلما رأيتهما ينتفضان عسر عليّ ذلك وحزنت عليهما وطار
عقلي من رأسي، فقامت إليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما
وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب
وادخلتهما الحمام وأرسلت إلى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر
الفي . وبعدما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم أخذتهما إلى البيت فرايتهما في غاية
الجوع ، فوضعت لهما سفرة الاطعمة فاكلوا واكلت معهما ولافتتهما وأخذت بخاطرهما . ثم
التفت إلى الكلين وقال لهما : هل جرى ذلك يا أخوي؟ فنكسا رؤوسهما وغضا عيونهما . ثم
إنه قال : يا خليفة الله ، ثم إني سألتهما وقلت لهما : كيف جرى لكما؟ واين أموالكما؟ فقالا :
سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا
نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين ديناراً وكسبنا مكاسباً عظيمة واشترينا من قماش
العجم الشقة الحرير عشرة دنانير وهي تساوي في البصرة أربعين ديناراً، ودخلنا مدينة تسمى
مدينة الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا أموال كثيرة . وجعلوا يذكرون لي
البلاد والمكاسب فقلت لهما : حيث رأيتما هذا الفرح والخير فما لي أراكما رجعتما عريانين؟
فتهدا وقالا : يا أخانا، ما حل بنا إلا عين صائبة والسفر ما له أمان . فلما جمعنا تلك الاموال
والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه إلى مدينة البصرة وقد سافرنا
ثلاثة ايام ، وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وأرغى وأزبد وتحرك وهاج وتلاطم
بالامواج ، وصار والموج يقده الشرار كلهيب النار، واختلقت علينا الارياح والتطمت بنا
المركب في سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنا في البحر وصرنا نخبط على وجه
الماء يوماً وليلة، فأرسل الله لنا مركباً أخرى فأخذتنا ركابها وصرنا من بلاد إلى بلاد ونحن نسأل
ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم ، وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوت
حتى قربنا من البصرة، وما وصلنا إلى البصرة حتى شربنا ألف حسرة ولو كنا سلمنا بما كان معنا

كنا أتينا بأموال تضاهي أموال الملك، ولكن هذا مقدر من الله علينا. فقلت لهما: يا أخوي، لا تحملهما فإن المال فدى الأبدان والسلامة غنيمة، وحيث كتبكم الله من السالين فهذا غاية المنى، وما الفقر والغنى إلا كطيف خيال. والله در من قال: [من الطويل]

إِذَا سَلَّمْتَ هَامُ الرَّجَالِ مِنَ الرَّدَى فَمَا الْمَالُ إِلَّا مِثْلَ قَصِّ الْأَظْفَرِ

ثم قلت لهما: يا أخوي، نحن نقدر أن أبانا قد مات في هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذي عندي، وقد طبأت نفسي على أننا نقسمه بيننا بالسوية. ثم أحضرت قساماً من طرف القاضي وأحضرت له جميع مالي، فقسمه بيننا وأخذ كل منا ثلث المال. فقلت لهما: يا أخوي، بارك الله للإنسان في رزقه إذا كان في بلده، فكل واحد منكما يفتح له دكلنا ويقعد فيه لتعاطي الأسباب والذي له شيء في الغيب لا بد أن يحصله. ثم سعيت لكل واحد منهما في فتح دكان وملاته له بالبضائع وقلت لهما: يبعأ واشترى واحفظ أموالكما ولا تصرفا منها شيئاً وجميع ما يلزم لكما من أكل وشرب وغيرهما يكون من عندي. ثم قمت بإكرامهما وصارا يبيعان ويشتريان في النهار وعند المساء يبيتان في بيتي ولم ادعهما يصرفان شيئاً من أموالهما، وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربية ويذكران محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويفرنياني على أن أوافقهما على التغرب في بلاد الناس. ثم قال للكليين: هل جرى ذلك يا أخوي؟ فنكسا رؤوسهما وغضا عيونهما تصديقاً له. ثم قال: يا خليفة الله، فما زال يرغباني ويذكران لي كثرة الربح والمكاسب في الغربية ويأمراني بالسفر معهما حتى قلت لهما: لا بد أن أسافر معكما من أجل خاطركما. ثم إنني عقدت الشركة بيني وبينهما وحملنا قماشاً من سائر الأصناف النفيسة واكثرنا مركباً وشحنها بالبضائع من أنواع المتاجر ونزلنا في تلك المركب جميع ما نحتاج إليه. ثم سافرنا من مدينة البصرة في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج، الذي الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود، ولا زلنا مسافرين حتى طلعتنا إلى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب ثم رحلنا منها إلى غيرها، ولم نزل نرحل من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم. ثم إننا وصلنا إلى جبل فالقى الرئيس المرساة وقال لنا: يا ركاب، اطلعوا إلى البرتنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدوا ماء. فخرج جميع من في المركب وخرجت أنا بجملتهم وصرنا نفتش على الماء، وتوجه كل منا في جهة وصعدت أنا على أعلى الجبل. فبينما أنا سائر إذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة ووراءها ثعبان أسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقه هائل المنظر. ثم إن الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها ولف ذيله على ذيلها فصاحت، فعرفت إنه مفتر عليها. فأخذتني الشفقة عليها وتناولت حجراً من الصوان قدر خمسة أرتال أو أكثر وضربت به الثعبان فجاء في رأسه فدقها، فما أشعر إلا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتاً شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كأنها البدر المنير، فأقبلت علي وقبلت يدي ثم قالت لي: سترك الله بسترين، ستر من العار في الدنيا وستر من النار في الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ثم قالت: يا إنسي، أنت قد سترت عرضي وصرار لك علي الجميل ووجب علي جزاؤك. ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الأرض

فعرفت أنها من الجن، وأما الثعبان فإن النار اتقدت فيه وأحرقته وصار رماداً، فتعجبت من ذلك. ثم إنني رجعت إلى أصحابي وأخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة، وعند الصباح قلع الرئيس الخطاف وتبخر القلوع وطوى الأطراف ثم سافرنا حتى غاب البر عنا. ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوماً ولم نر براً ولا طيراً وفرغ ماؤنا. فقال الرئيس: يا ناس، إن الماء الحلو قد فرغ منا. فقلنا: نطلع البر لعلنا نجد ماء. فقال: والله إنني تهت عن الطريق ولا أعرف طريقاً يوديني إلى جهة البر. فحصل لنا غم شديد وبكىنا ودعونا الله تعالى أن يهدينا إلى الطريق ثم بتنا تلك الليلة في أسوأ حال. والله در من قال: [من المتقارب]

وَكَمْ لَيْلَةٌ بَتُّ فِي كُرْبَةٍ يَكَادُ الرَّضِيعُ لَهَا أَنْ يَشِيبَ
فَمَا أَصْبَحَ الصُّبْحُ إِلَّا آتَى نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ

فلما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأينا جبلاً عالياً. فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به. ثم إننا وصلنا إلى ذلك الجبل فقال الرئيس: يا ناس اطلعوا البر حتى نفتش على ماء. فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء، فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء. ثم إنني صعدت على أعلى ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة أو أكثر، فناديت أصحابي فأقبلوا عليّ. فلما أتوا قلت لهم: انظروا إلى هذه الدائرة التي خلف هذا الجبل فإنني أرى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان ذات أسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات، فسيروا بنا نمضي إلى هذه المدينة ونجني منها بالماء ونشتري ما نحتاج إليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع. فقالوا: نخاف أن يكون أهل هذه المدينة كفاراً مشركين أعداء الدين فيقتضوا علينا ونكون أسرى تحت أيديهم أو يقتلوننا، ونكون قد تسبينا في قتل أنفسنا حيث أوقعنا أنفسنا في الهلاك وسوء الإرتباك، والمغرور غير مشكور لأنه على خطر من الأسواء كما قال فيه بعض الشعراء: [من البسيط]

مَا دَامَتِ الْأَرْضُ أَرْضاً وَالسَّمَاءُ سَمَاءً لَيْسَ الْمُغْرُ بِمَحْمُودٍ وَإِنْ سَلِمَا

فنحن لا نغرب أنفسنا. فقلت لهم: يا ناس، لا حكم لي عليكم ولكن آخذ أخوتي وأتوجه إلى هذه المدينة. فقال لي أخواي: نحن نخاف من هذا الأمر ولا نروح معك. فقلت: أما أنا فقد عزمتم على الذهاب إلى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدر الله عليّ، فانتظراني حتى أذهب إليها وأرجع إليكما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، إن عبد الله قال: فانتظراني حتى أذهب إليها وأرجع إليكما. ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت إلى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة، أسوارها عالية وأبراجها محصنة وقصورها شاهقة وأبوابها من الحديد الصيني وهي مزخرفة منقوشة تدهش العقول. فلما دخلت من الباب رأيت دكة من

فلما كانت الليلة
982
الليلة
الليلة
الليلة
الليلة

الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفي ذراعه سلسلة من النحاس الأصفر، وفي تلك السلسلة أربعة عشر مفتاحاً، فعرفت أن ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها أربعة عشر باباً. ثم إنني دنوت منه

وقلت له : السلام عليكم . فلم يرد عليّ السلام ، فسلمت عليه ثانياً وثالثاً فلم يرد عليّ الجواب ، فوضعت يدي على كتفه وقلت له : يا هذا ، لأي شيء لم ترد السلام ؟ ها أنت نائم أو أصم أو غير مسلم حتى تمنع رد السلام ؟ فلم يجبني ولم يتحرك . فتأملت فيه فرأيت حجراً فقلت : إن هذا شيء عجيب ، هذا الحجر مصوراً بصورة ابن آدم ولم ينقص عنه غير النطق . ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلاً واقفاً في الطريق ، فدنوت منه وتأملته فرأيت حجراً . ثم إنني لم أزل ماشياً في شوارع تلك المدينة وكلما رأيت إنساناً أدنوا منه وأتأمله فأجده حجراً . وقابلت امرأة عجوزاً على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر ، والعقدة الثياب التي على رأسها من الحجر . ثم إنني دخلت السوق فرأيت زياتاً ميزانه منصوبة وقدامه أصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر . ثم إنني رأيت سائر المتسبين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ، ورأيت رجالاً ونساء وصبياناً وكل ذلك من الحجر . ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالساً في دكانه والدكان كان ممتلئاً بأنواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الأقمشة كنسيج العنكبوت ، فصرت أتفرج عليها وكلما مسكت ثوباً من القماش يصير بين يدي هباء منثوراً . ورأيت صناديق ، ففتحت واحداً فوجدت فيه ذهباً في أكياس ، فمسكت الأكياس فذابت في يدي والذهب لم يزل على حاله ، فحملت منه على قدر ما أطيقه وصرت أقول في نفسي : لو حضر أخوأي معي لأخذنا من هذا الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التي لا أصحاب لها . وبعد ذلك دخلت دكان آخر فرأيت فيه أكثر من ذلك ولكن ما بقيت أقدر أن أحمل غير ما حملت . ثم إنني خرجت من ذلك السوق إلى سوق آخر ثم منه إلى سوق آخر وهكذا ولا زلت أتفرج على مخلوقات مختلفة الأشكال وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة . ثم إنني دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالاً جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في أيديهم وبعضها في أقباص . فلما رأيت ذلك يا أمير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب وحملت من المصاغ ما أطيق حمله وخرجت من سوق الصاغة إلى سوق الجواهر ، فرأيت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قفص ملآن بأنواع المعادن كالياقوت والألماس والزمرد والبلخش وغير ذلك من سائر الأصناف ، وأصحاب الدكاكين أحجار . فرميت ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما أطيق حمله وبقيت أتندم حيث لم يكن أخوأي معي حتى يأخذنا من تلك الجواهر ما أراداه . ثم إنني خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين بأحسن زينة ومن داخل الباب دكك ، وجالس على تلك الدكك خدام وجند وأعوان وعساكر وحكام وهم لابسون أفخر الملابس وكلهم أحجار ، فلمست واحداً منهم فتناثرت ملابسه على بدنه مثل نسيج العنكبوت . ثم إنني مشيت في ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير في بنائها وإحكام صناعتها ، ورأيت في تلك السراية ديواناً مشحوناً بالأكابر والوزراء والأعيان والأمراء وهم جالسون على كراسي وكلهم أحجار . ثم إنني رأيت كرسياً من الذهب الأحمر مرصعاً بالدر والجواهر وجلّس فوقه آدمي عليه أفخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروي مكلّل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار ، فلما وصلت إليه رأيت من الحجر . ثم: إنني توجهت من ذلك الديوان إلى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديواناً من النساء ، ورأيت في ذلك الديوان كرسياً من الذهب الأحمر مرصعاً بالدر

والجواهر وجالس فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الأعمار جالسات على كرسي ولابسات أفخر الملابس الملونة بسائر الألوان، وواقف هناك طواشية أيديهم على صدورهم كأنهم واقفون من أجل الخدمة، وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين بما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه أبهج التعاليق من البلور الصافي، وفي كل قدرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال. فرميت ما معي يا أمير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما أطيق وبقيت متحيراً فيما أحمله وفيما أتركه، لاني رايت ذلك المكان كأنه كنز من كنوز المدن. ثم إنني رايت باباً صغيراً مفتوحاً وفي داخله سلالم، فدخلت الباب وطلعت أربعين سلماً فسمعت إنساناً يتلو القرآن بصوت رخيم، فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت إلى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة. فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحير الأفكار، فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصرأ كأنه كنز على وجه الدنيا، ومن داخله بنت كأنها الشمس الضاحية في وسط السماء الصاحية وهي لابسة أفخر الملابس ومتحلية بأنفس ما يكون من الجواهر، مع إنها بديعة الحسن والجمال بقدر واعتدال وظرف وكمال وخصر نحيل وردد ثقيل وريق يشفي العليل واجفان ذات اعتلال. كأنها المرادة بقول من قال: [من الطويل]

سَلَامٌ عَلَى مَا فِي الثِّيَابِ مِنَ الْقَدِّ	وما في بساتين الخنود من الورد
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عَلَّقَتْ فِي جَبِينِهَا	وباقية نجوم الليل في الصدر كالعقد
فَلَوْ لَبَسَتْ تَوْباً مِنَ الْوَرْدِ خَالِصاً	لأدمنى مجاني جسمها ورق الورد
وَلَوْ تَقَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ	لأصبح طعم البحر أحل من الشهد
وَلَوْ وَأَصَلَتْ شَيْخاً كَبِيراً عَلَى عَصَى	لأصبح ذاك الشيخ مفترس الأسد

ثم إنه قال: يا أمير المؤمنين، لما رايت تلك البنت شغفت بها حباً وتقدمت إليها فرايتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلو كتاب الله عز وجل حفظاً على ظهر قلبها، وصوتها كأنه صرير أبواب الجنان إذا فتحها رضوان، والكلام خارج من بين شفيتها يتناثر كالجواهر، ووجهها بديع المحاسن زاه وزاهر كما قال في مثلها الشاعر: [من الكامل]

يا مطرباً بلغاتيه وصفاته	قد زاد فيك تشوقي وتشوفي
شيطان فيك ذوباً أهل الهوى	نغمات داود وصورة يوسف

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم، وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سلام قولاً من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم أحسن السلام، واندهش مني العقل والناظر وصرت كما قال الشاعر: [من البسيط]

ما هزني الشوق حتى تهت عن كلمي	ولا دخلت الحمى إلا لسفك دمي
ولا سمعت كلاماً من عوادلنا	إلا لأشهد من أهواه في الكلم

ثم تجلّدت على هول الغرام وقلت لها: السلام عليك أيتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة،

أدام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك . فقالت : وعليك مني السلام والتحية والإكرام يا عبد الله يا ابن فاضل ، أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا حبيبي وقرّة عيني . فقلت لها : يا سيدتي ، من أين علمت إسمي ؟ ومن تكوني أنت ؟ وما شأن أهل هذه المدينة حتى صاروا أحجاراً ؟ فمرادي أن تخبريني بحقيقة الأمر فإني تعجبت من هذه المدينة ومن أهلها ومن كونها لم يوجد فيها أحد إلا أنت ، فبالله عليك أن تخبريني بحقيقة ذلك على وجه الصدق . فقالت لي : إجلس يا عبد الله وأنا إن شاء الله تعالى أحدثك وأخبرك بحقيقة أمري وبحقيقة أمر هذه المدينة وأهلها على التفصيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فجلست إلى جانبها فقالت لي : أعلم يا عبد الله يرحمك الله ، أنني بنت ملك هذه المدينة والوادي هو الذي رأيته جالساً في الديوان على الكرسي العالي والذي حوله أكابر دولته وأعيان مملكته ، وكان أبي ذا بطش شديد ويحكم على ألف الف ومائة ألف وعشرين ألف جندي وعدة أمراء ، دولته أربعة وعشرون ألفاً كلهم حكام وأصحاب مناصب ، وتحت طاعته من المدن ألف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى ، وأمراء العربان الذين تحت يده ألف أمير ، كل أمير يحكم على عشرين ألف فارس ، وعندة من الأموال والذخائر والمعادن والجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 983
ما كانت الليلة
قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بنت ملك مدينة الأحجار قالت : يا عبد الله ، إن أبي كان عنده من الأموال والذخائر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وكان يقهر الملوك ويبيد الأبطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان وتخشاها الجبابرة وتخضع له الأكاسرة ، ومع ذلك كان كافراً مشركاً بالله يعبد الصنم دون مولاه وجميع عساكره كفار يعبدون الأصنام دون الملك العلام . فاتفق أنه كان يوماً من الأيام جالساً على كرسي مملكته وحوله أكابر دولته فلم يشعر إلا وقد دخل عليه شخص فاضاء الديوان من نور وجهه ، فنظر إليه أبي فرآه لابساً حلة خضراء وهو طويل القامة وأيديه نازلة إلى تحت ركبتيه وعليه هبة ووقار والنور يلوح من وجهه . فقال لأبي : يا باغي يا مفترى ، إلى متى وأنت مغرور بعبادة الأصنام وتترك عبادة الملك العلام ؟ قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأسلم أنت وقومك ودع عنك عبادة الأصنام فإنها لا تنفع ولا تشفع ، ولا يعبد بحق إلا الله رافع السموات بغير عماد وباسط الأرضين رحمة للعباد . فقال له : من أنت أيها الرجل الجاحد لعبادة الأصنام حتى تتكلم بهذا الكلام ؟ أما تخشى أن تغضب عليك الأصنام ؟ فقال له : إن الأصنام أحجار لا يضرني غضبها ولا ينفعني رضاها ، فاحضر لي صنمك الذي أنت تعبده وأمر كل واحد من قومك أن يحضر صنمه . فإذا حضر جميع أصنامكم فادعوهم ليغضبوا عليّ وأنا أدعوربي أن يغضب عليهم وتظنّون غضب الخالق من غضب المخلوق ، فإن أصنامكم قد صنعتموها أنتم وتلبّست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون الأصنام ، فأصنامكم مصنوعة وإلهي صانع ولا يعجزه شيء ، فإن ظهر لكم الحق فاتبعوه وإن ظهر لكم الباطل فاتركوه . فقالوا له : اثنتا بيهان ربك حتى نراه ؟ فقال : اثنتوني بيهانين أربابكم ؟ فأمر الملك كل من كان يعبد رباً من الأصنام أن يأتي به . فاحضر جميع العساكر أصنامهم في الديوان . هذا ما كان من أمرهم .

وأما ما كان من أمري، فأني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان أبي وكان لي صنم من زمردة خضراء جسمه قدر جسم ابن آدم، فطلبه أبي فأرسلته إليه في الديوان فوضعه في جانب صنم أبي، وكان صنم أبي من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الألماس، وأما أكابر العساكر والرعية فبعض أصنامهم من البلخش وبعضها من العقيق وبعضها من المرجان وبعضها من العود القماري وبعضها من الأبنوس وبعضها من الفضة وبعضها من الذهب، وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه. وأما رعايا العساكر والرعية فبعض أصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من الفخار وبعضها من الطين، وكل الأصنام مختلفة الألوان ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأسود وأبيض. قال ذلك الشخص لأبي: ادع صنمك وهؤلاء الأصنام تغضب عليّ. فصفوا تلك الأصنام ديواناً وجعلوا صنم أبي على كرسي من الذهب وصنمي إلى جانبه في الصدر، ثم رتبوا الأصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبد، وقام أبي وسجد لصنمه وقال له: يا إلهي، أنت الرب الكريم وليس في الأصنام أكبر منك وأنت تعلم أن هذا الشخص أتاني طاعناً في ربوبيتك مستهزئاً بك ويزعم أن له إلهاً أقوى منك ويأمرنا أن نترك عبادتك ونعبد إلهه، فاغضب عليه يا إلهي. وصار يطلب من الصنم والصنم لا يرد عليه جواباً ولا يخاطبه بخطاب. فقال له: يا إلهي ما هذه عادتك لأنك كنت تكلمني إذا كلمتك فما لي أراك ساكناً لا تتكلم؟ هل أنت غافل أو نائم؟ فانتبه وانصرتني وكلمني. ثم هزه بيده فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه. فقال ذلك الشخص لأبي: ما لي أرى صنمك لا يتكلم؟ قال له: اظن إنه غافل أو نائم؟ فقال له: يا عدو الله، كيف تعبد إلهاً لا ينطق وليس له قدرة على شيء ولا تعبد إلهي الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يفعل ولا ينام ولا تدركه الأوهام يرى ولا يرى وهو على كل شيء قدير؟ وإلهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان متلبساً به شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب الآن شيطانه. فاعبد الله واشهد أنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه وإنه لا يستحق العبادة غيره ولا خير إلا خيره. وأما إلهك هذا فإنه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكيف يقدر على دفعه عنك؟ فانظر بعينك عجزه. ثم تقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الأرض. فغضب الملك وقال للحاضرين: إن هذا الجاحد قد صك إلهي فاقتلوه. فأرادوا القيام ليضربوه فلم يقدر أحد منهم أن يقوم من مكانه، فعرض عليهم الإسلام فلم يسلموا. فقال: أريكم غضب ربي؟ فقالوا: أرى. فبسط يديه وقال: إلهي وسيدي أنت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار الذين يأكلون خبيرك ويعبدون غيرك، يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار أسألك أن تقلب هؤلاء القوم أحجاراً فإني قادر ولا يعجزك شيء وأنت على كل شيء قدير. فمسخ الله أهل هذه المدينة أحجاراً وأما أنا فإني حين رأيت برهانه أسلمت وجهي لله فسلمت مما أصابهم. ثم إن ذلك الشخص دنا مني وقال: سبقت لك من الله السعادة والله في ذلك إرادة. وصار يعلمني وأخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت، وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عاماً. ثم إنني قلت له: يا سيدي، جميع ما في المدينة وجميع أهلها صاروا أحجاراً بدعوتك الصالحة وقد نجوت أنا حين أسلمت على يدك فانت شيخني، فاخبرني باسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شيء أقتات منه. فقال لها: إسمي أبو العباس الخضر. ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت وأورقت وأزهرت

وأثمرت رمانة واحدة في الحال فقال : كلي مما رزقك الله تعالى واعبديه حق عبادته . ثم علمني شروط الإسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن، وصار لي ثلاثة وعشرون عاماً وأنا أعبد الله في هذا المكان، وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فأكلها وأقتات بها من الوقت إلى الوقت، والخضر عليه السلام يأتيني كل جمعة وهو الذي عرفني باسمك وبشرفي بأنك سوف تأتيني في هذا المكان وقد قال لي : إذا أتاك فاكرميه وأطيعي أمره ولا تخالفه وكوني له أهلاً ويكون لك بعلاً واذهبي معه حيث شاء . فلما رأيتك عرفتك، وهذا هو خير هذه المدينة وأهلها والسلام . ثم إنها أرزني شجرة الرمان وفيها رمانة، فأكلت نصفها وأطعمتني نصفها فما رأيت أحلى ولا أذكى ولا أظعم من تلك الرمانة . ثم قلت لها : هل رضيت بما أمرك به شيخك الخضر عليه السلام بأن تكوني لي أهلاً وأكون لك بعلاً وتذهبي معي إلى بلادي وأمكث بك في مدينة البصرة؟ فقالت : نعم إن شاء الله تعالى، فإني سمعته لقولك مطبعة لأمرك من غير خلاف . ثم إنني أخذت عليها العهد الوثيق وأدخلتني إلى خزانة أبيها وأخذنا منها على قدر ما استطعنا حملة وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا إلى أخوي فرأيتهما يفتشان عليّ . فقالا لي : اين كنت؟ فإنك ابطأت علينا وقلبتنا مشغول بك . وأما رئيس المركب فإنه قال لي : يا تاجر عبد الله، إن الريح طاب لنا من مدة وأنت عوقتنا عن السفر . فقلت له : لا ضرر في ذلك ولعل التأخير لأن غيابي لم يكن فيه غير الإصلاح، وقد حصل لي فيه بلوغ الآمال . والله در من قال :

[من الواقف]

وما أدري إذا يَمَمْتُ أرضاً أريدُ الخَيْرَ أيُّهُما يَلِينِي
هَلْ الخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

ثم قلت لهم : انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة! وفرجتهم على ما معي من الذخائر وأخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم : لو كنتم أطعمتموني ورحتم معي كان يحصل لكم من هذا شيء كثير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل قال لهم ولاخويه : لو رحتم معي لحصل لكم من هذا خير كثير . فقالوا له : والله لو رحنا ما كنا نسترجي أن ندخل على ملك المدينة . فقلت لآخوي : لا بأس عليكم، فالذي معي يكفينا جميعاً وهذا نصيبنا . ثم إنني قسمت ما معي أقساماً على قدر الجميع وأعطيت لآخوي والرئيس وأخذت مثل واحد منهم وأعطيت ما تيسر للخدامين والنواتية، ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما أعطيتهم لهم إلا أخوي فإنهما تغيرت أحوالهما ولاجت عيونهما . فلحظت أن الطمع تمكّن منهما فقلت لهما : يا أخوي، أظن أن الذي أعطيتهم لكما لم يقنعكما، ولكن أنا أخوكما وأنتما أخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيء واحد وإذا مت لا يرثني غيركما، وصرت آخذ بخاطرهما . ثم إنني أنزلت البنت في الغليون وأدخلتها في الخزنة وأرسلت لها شيئاً تأكله وقعدت أتحدث أنا وأخواي . فقالا لي : يا أخانا، ما مرادك تفعل بهذه البنت البديعة الجمال؟ فقلت لهما : مرادي أن أكتب كتابي عليها إذ دخلت البصرة وأعمل فرحاً عظيماً وأدخل بها هناك . فقال بعضهما : يا أخي،

فلما كانت الليلة
984
كانت الليلة

علم ان هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمرادي ان تعطيتها لي فأتزوج بها أنا. وقال الثاني: وأنا الآخر كذلك، فاعطها لي لأتزوج بها. فقلت لهما: يا اخوي، إنها قد أخذت عليّ عهداً وميثاقاً أنني أتزوج بها، فإذا اعطيتها لواحد منكما اكون ناقصاً للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لانها ما أتت معي إلا على شرط أنني أتزوج بها، فكيف أزوجه لغيري؟ وأما من جهة أنكما تحبانها فانا أحبها أكثر منكما على أنها لقطتي، وكوني اعطيها لواحد منكما هذا شيء لا يكون أبداً، ولكن إذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة انظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة وأخطبهما لكما وأدفع المهر من مالي وأجعل الفرح واحداً وندخل نحن الثلاثة في ليلة واحدة واعرضنا عن هذه البنت فإنها من نصيبي. فسكتا وقد ظننت أنهما رضيا بما قلت لهما، ثم إننا سافرنا متوجهين إلى أرض البصرة وصرت أرسل إليها ما تأكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزانة المركب وأنا أنام بين اخوي على ظهر الغليون. ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة أربعين يوماً حتى بان لنا مدينة البصرة، وفرحنا باقبالنا عليها وأنا راكن إلى اخوي ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى فتمت تلك الليلة. فيمنا أنا مستغرق في النوم لم أشعر إلا وأنا محمول بين أيادي اخوي هذين واحد قابض عليّ من سيقاني والآخر من يدي لكونهما اتفقا على تغريقي في البحر من شأن تلك البنت. فلما رأيت روعي محمولاً بين ايديهما قلت: يا اخوي، لأي شيء تفعلان معي هذه الفعال؟ فقالا: يا قليل الأدب، كيف تبيع خاطرنا بينت؟ فنحن نرميك في البحر من أجل ذلك ثم رموني فيه. ثم إنه التفت إلى الكلبيين وقال: أحق ما قلته يا اخوي أم لا؟ فنكسا رؤوسهما وصارا يعويان كأنهما يصدقان قوله. فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال: يا امير المؤمنين، فلما رموني في البحر وصلت إلى القرار ثم نقضني الماء على وجه البحر فما أشعر إلا وطار كبير قدر الآدمي نزل عليّ وخطفني وطار بي في الجو الأعلى، ففتحت عيني فرايت روعي في قصر مشيد الأركان عالي البنيان منقوش بالنقوش الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الأشكال والألوان وفيه جوار واقفة واضعة الايادي على الصدور، وإذا بامرأة جالسة بينهن على كرسي من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر، وعليها ملابس لا يقدر الإنسان ان يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر، وفي وسطها حزام من الجواهر لا يفي بثمانه مال، وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحير العقول والافكار ويخطف القلوب والأبصار. ثم إن الطير الذي كان خطفني انتفض فصار صبية كأنها الشمس المضيئة، فأمعنت النظر فيها فإذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها ولف ذيله على ذيلها وأنا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها قتلته بالحجر. فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي: لأي شيء جئت هنا بهذا الإنسي؟ فقالت لها: يا أمي، إن هذا هو الذي كان سبباً في ستر عرضي بين بنات الجان. ثم قالت لي: هل تعرف من أنا؟ قلت: لا. قالت: أنا التي كنت في الجبل الفلاني وكان الثعبان الأسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وأنت قتلته. فقلت: إنما رأيت مع الثعبان حية بيضاء. فقالت: أنا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك الأحمر ملك الجان واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي أمي واسمها مباركة زوجة الملك الأحمر، والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الأسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة. واتفق أنه لما رأيته عشقني ثم إنه خطبني من أبي فارس إلى أبي يقول له: وما مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى

تتزوج بنات الملوك؟ فاغتاظ من ذلك وحلف يمينا أنه لا بد أن يفضح عرضي كيدا في أبي، وصار يقف أثري ويتبعني أينما رحمت ومراده أن يفضح عرضي، وقد وقع بينه وبين أبي حروب عظيمة ومشقات جسيمة ولم يقدر عليه أبي لكونه جباراً مكارماً: ثم إن أبي كلما ضايقه وأراد أن يظفر به يهرب منه وقد عمز أبي وصرت أنا في كل يوم أنقلب أشكالاً والواناً، وكلما انقلب في صفة ينقلب هو في صفة ضدها، وكلما هربت إلى أرض يشم رائحتي ويلحقني في تلك الأرض حتى قاسيت منه مشقة عظيمة. ثم انقلبت في صفة حية وذهبت إلى ذلك الجبل فانقلب في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده، وعالجني وعالجته حتى أتعبني وركب علي وكان مراده أن يفعل بي ما يشتهي فاتيت أنت وضربته بالحجر فقتلته وأنا انقلبت بنتاً وأرپتک روحی وقلت لك: إنه صار لك علي جميل لا يضيع إلا مع أولاد الزنا. فلما رأيت أخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر، بادرت إليك وخلصتک من الهلاك ووجب لك الإكرام من أمي وأبي. ثم إنها قالت: يا أمي، أكرمي في نظير ما ستر عرضي. فقالت: مرحباً بك يا إنسي فإنك فعلت معنا جميلاً تستحق عليه الإكرام. وأمرت لي ببذلة كنوزية تساوي جملة من المال وأعطتني جملة من الجواهر والمعادن. ثم إنها قالت: خذوه وادخلوه على الملك. فاخذوني وادخلوني على الملك في الديوان فرأيت جالساً على كرسي وبين يديه المردة والأعوان. فلما رأيت زاع بصري مما رأيت عليه من الجواهر. فلما رأني قام على الأقدام وقامت العساكر إجلالاً له ثم حياتي ورحب بي وأكرمني غاية الإكرام وأعطاني مما عنده من الخيرات: وبعد ذلك قال لبعض أتباعه: خذوه إلى بنتي توصله إلى المكان الذي جاءت منه. فاخذوني وذهبوا إلى سعيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات. هذا ما كان من أمري وأمر سعيدة. وأما ما كان من أمر ريس الغليون، فإنه أفاق على الخبطة حين رموني في البحر فقال: ما الذي وقع في البحر؟ فبكى أخوأي وصارا يخبطان على صدورهما ويقولون: يا ضيعة أختينا، فإنه أراد أن يزيل ضرورة في جانب الغليون فوق في البحر. ثم إنهما وضعا أيديهما على مائي ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول: ما يأخذها غيري. واستمرأ على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا أخاهما ولا غرقه، وزال حزنهما عليه. فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 985
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل قال: فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرأني أخوأي، فعانقاني وفرحاً بي وصاراً يقولان: يا أخانا، كيف حالك فيما جرى لك؟ إن قلبنا مشغول عليك. فقالت سعيدة: لو كان قلبكما عليه أو كنتما تحبانه ما كنتما رميتما في البحر وهو نائم، ولكن اختاراكما موة تموتانها. وقبضت عليهما وأرادت قتلتهما فصاحا وقالا: في عرضك يا أخانا. فصرت أتناحل عليهما وأقول لها: أنا واقع في عرضك لا تقتلي أخوأي. وهي تقول: لا بد من قتلتهما إنهما خائنان. فما زلت الأطفها وأتعطفها حتى قالت: من شان خاطرك لا أقتلها ولكن أسحرهما. ثم أخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكلام لا يفهم وقالت: أخرجنا من الصورة البشرية إلى الصورة الكلبية. ثم رشتها بالماء فانقلبنا كليين كما

تراهما يا خليفة الله . ثم التفت إليهما وقال : أحق ما قلته يا أخوي؟ فنكسا رؤوسهما كأنهما يقولان : صدقت . ثم قال : يا أمير المؤمنين، وبعد أن سحرتهما كليين قالت لمن كان في الغليون : اعلموا أن عبد الله بن فاضل هذا صار أخي وأنا أشق عليه كل يوم مرة أو مرتين وكل من خالفه منكم أو عصى أمره وأذاه باليد أو اللسان فإني أفعل به ما فعلت بهذين الخائنين وأسحره كلباً حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولم يجد له خلاصاً . فقال لها الجميع : يا سيدتي ، نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه . ثم إنها قالت لي : إذا دخلت البصرة تفقد جميع ما لك فإن كان نقص منه شيء فاعلمني وأنا أجيء لك به من أي شخص كان ومن أي مكان كان ، ومن كان أخذاً له أسحره كلباً . ثم بعد أن تخزن أموالك حط في رقبة كل واحد من هذين الخائنين غلاً واربطهما في ساق السرير واجعلهما في سجن وخدمهما ، وكل ليلة في نصف الليل إنزل إليهما واضرب كل واحد منهما علقه حتى يغيب عن الوجود ، وإن مضت ليلة ولم تضربهما فإني أجيء إليك واضربك علقه وبعد ذلك أضربهما . فقلت لها : سمعاً وطاعة . ثم إنها قالت لي : اربطهما في الحبال حين تدخل البصرة . فحطيت في رقبة كل واحد منهما حبلاً ثم ربطهما في الصاري . وتوجهت هي إلى حال سبيلها . وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتي وسلموا عليّ ولم يسأل أحد عن أخوي وإنما صاروا ينظرون إلى الكلاب ويقولون لي : يا فلان ، ماذا تصنع بهذين الكليين اللذين جئت بهما معك؟ فأقول لهم : إني ربيتهم في هذه السفرة وجئت بهما معي . فيضحكون عليهما ولم يعرفوا أنهم أخواي . ثم إني حطيتهما في خزنة والتهيت تلك الليلة في توزيع الاحمال التي فيها القماش والمعادن ، وكان عندي التجار لأجل السلام فاشتغلت بهم ولم أضربهما ولم اربطهما بالسلاسل ولم أعمل معهما ضرراً ثم نمت . فما أشعر إلا وقد أتتني سعيده بنت الملك الأحمر وقالت لي : أما قلت لك حط في رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقه؟ ثم إنها قبضت عليّ وأخرجت السوط وضربتني علقه حتى غبت عن الوجود ، وبعد ذلك ذهبت إلى المكان الذي فيه أخواي وضربت كل واحد منهما علقه بالسوط حتى أشرف على الموت وقالت : كل ليلة أضرب كل واحد منهما علقه مثل هذه العلقه ، وإن مضت ليلة ولم تضربهما فانا أضربك . فقلت : يا سيدتي ، في غد أحط السلاسل في رقابهما واللييلة الآتية أضربهما ولا أرفع الضرب عنهما ليلة واحدة . فأكدت عليّ في الوصية بضربهما . فلما أصبح الصباح لم يهن عليّ أن أضع السلاسل في رقابهما فذهبت إلى صانع وأمرته أن يعمل لهما أغلالاً من الذهب ، فعملها وجئت بها ووضعتها في رقابهما وربطهما كما أمرتني . وفي ثاني ليلة ضربتهما قهراً عني ، وكانت هذه الحركة في مدة خلافة المهدي الخامس من بني العباس ، وقد اصطحبت معه بإرسال الهدايا ، فقلّدتني ولاية وجعلني نائباً في البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان . ثم إني قلت في نفسي : لعل غيظها قد برد . فتركتها ليلة من غير ضرب فأتتني وضربتني علقه لم أنس حرارتها ببقية عمري . فمن ذلك الوقت لم أقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدي ، ولما توفي المهدي وتوليت أنت بعده وأرسلت إليّ تقرير الإستمرار على مدينة البصرة ، وقد مضى لي اثنا عشر عاماً وأنا في كل ليلة أضربهما قهراً عني ، وبعدما أضربهما أخذ بخاطرهما واعتذر إليهما وأطعمهما وأسقيهما وهما محبوسان ولم يعلم بهما أحد من خلق الله تعالى حتى أرسلت إليّ أبا اسحاق النديم من أجل الخراج ، فاطّلع على سرّي

ورجع إليك فأخبرك فأرسلته ثانياً تطلبني وتطلبهما، فأجبت بالسمع والطاعة وأتيت بهما بين يديك، ولما سألتني عن حقيقة الأمر أخبرتك بالقصة وهذه حكايتي . فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكليين ثم قال : وهل أنت في هذه الحالة سامحت أخويك مما صدر منهما في حقدك وعفوت عنهما أم لا؟ فقال : يا سيدي، سامحهما الله وأبرأ ذمتهما في الدنيا والآخرة، وأنا محتاج لكونهما يسامحاني لأنه مضى لي إثنا عشر عاماً وأنا اضربهما كل ليلة علقه . فقال له الخليفة : يا عبد الله إن شاء الله تعالى أنا أسعى في خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا أولاً وأصلح بينكم وتعيشون بقية أعماركم أخوة متحابين، وكما أنك سامحتهما يسامحانك . فخذهما وانزل إلى منزلك وفي هذه الليلة لا تضربهما وفي غد ما يكون إلا الخير . فقال له : يا سيدي وحياة رأسك، إن تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة وتضربني وأنا ما لي جسد يتحمل ضرباً . فقال له : لا تخف فأنا أعطيك خط يدي فإذا أتتك سعيدة فاعطها الورقة فإذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها، وإن لم تطع أمري كان أمرك إلى الله ودعها تضربك علقه وقدّر أنك نسيتهما من الضرب ليلة وضربتك بهذا السبب . وإذا حصل ذلك وخالفني فإن كنت أنا أمير المؤمنين فإني أعمل خلاصي معها . ثم إن الخليفة كتب لها قطعة ورقة مقدار إصبعين . وبعدما كتبها ختمها وقال : يا عبد الله، إذا أتتك سعيدة فقل لها : إن الخليفة ملك الإنس أمرني بعدم ضربهما وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئك السلام واعطها المرسوم ولا تخش بأساً . ثم أخذ عليه العهد والميثاق أنه لا يضربهما . فأخذهما وراح بهما إلى منزله وقال في نفسه : يا ترى، ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن إذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة؟ ولكن أنا أصبر على ضربي علقه وأريح أخوي في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من أجلهما العذاب . ثم إنه تفكر في نفسه وقال له عقله : لولا أن الخليفة مستند إلى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما . ثم إنه دخل منزله ونزع الأغلال من رقاب أخويه وقال : توكلت على الله . وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما : لا بأس عليكما فإن الخليفة السادس من بني العباس قد تكفل بخلاصكما وأنا قد عفوت عنكما وإن شاء الله تعالى يكون الأران قد آن وتخلصان في هذه الليلة المباركة، فابشرا بالهناء والسرور . فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عي الكلاب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله بن فاضل قال لأخويه : ابشرا بالهناء والسرور . فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عي الكلاب ويمرغان خدودهما على أقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه . فحزن عليهما وصار يمس بيده على ظهورهما إلى أن جاء وقت العشاء . فلما وضعوا السفرة قال لهما : إجلسا . فجلسا يأكلان معه على السفرة، فصارت أعوانه باهتين يتعجبون من أكله مع الكلاب ويقولون : هل هو مجنون أو مختل العقل؟ كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو أكبر من وزير؟ أما يعلم أن الكلب نجس؟ وصاروا ينظرون إلى الكليين وهما يأكلان معه أكل الحشمة ولا يعلمون أنهما أخواه . وما زالوا يتفرجون على عبد الله والكليين حتى فرغوا من الأكل . ثم إن عبد الله غسل يديه فمد الكلبان أيديهما وصارا يغسلان، وكل من كان واقفاً صار يضحك ويتعجب ويقولون

فلما كانت الليلة
986
كانت الليلة

لبعضهم : عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل وتغسل أيديها بعد أكل الطعام . ثم إنهما جلسا على المراتب بجانب عبد الله بن فاضل ولم يقدر أحد أن يسأله عن ذلك ، واستمر الأمر هكذا إلى نصف الليل . ثم صرف الخدام وناموا ونام كل كلب على سريره وصار الخدام يقولون لبعضهم : إنه نام ونام معه الكلبان . وبعضهم يقول : حيث أكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس إذا ناموا معه وما هذا إلا حال المجانين . ثم إنهم لم يأكلوا مما بقي في السفرة من الطعام شيئاً وقالوا : كيف نأكل فضلة الكلاب ؟ ثم أخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا : إنها نجسة . هذا ما كان من أمرهم . وأما ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فإنه لم يشعر إلا والأرض قد انشقت وطلعت سعيدة وقالت : يا عبد الله ، لاي شيء ما ضربتكما في هذه الليلة ؟ ولأي شيء نزعنا الأغلال من أعناقكما ؟ هل فعلت ذلك عناداً لي واستخفافاً بأمرني ؟ ولكن أنا الآن أضربك وأسحرك كلباً مثلكما . فقال لها : يا سيدتي ، أقسمت عليك بالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تحلمي عليّ حتى أخبرك بالسبب ومهما أردتني بي فافعليه . فقالت له : أخبرني . فقال لها : أما سبب عدم ضربكما فإن ملك الإنس الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد أمرني أن لا أضربكما في هذه الليلة وقد أخذ عليّ موائيق وعهود ذلك ، وهو يقرئك السلام وأعطاني مرسوماً بخط يده وأمرني أن أعطيك إياه ، فامتثلت أمره وأطعته وطاعة أمير المؤمنين واجبة ، وما هو المرسوم فخذيته وأقرئته وبعد ذلك إفعلي مرادك . فقالت : هاته . فناولها المرسوم ففتحتته وقرأته فرأت مكتوباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من ملك الإنس هارون الرشيد إلى بنت الملك الأحمر سعيدة . أما بعد ، فإن هذا الرجل قد سامح أخويه وأسقط حقّه عنكما وقد حكمت عليهم بالصلح وإذا وقع الصلح ارتفع العقاب فإن اعترضتمونا في أحكامنا اعترضناكم في أحكامكم وخرقنا قانونكم ، وإن امتثلتم أمرنا ونفذتم أحكامنا فإننا ننفذ أحكامكم . وقد حكمت عليك بعدم التعرّض لهما فإن كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولي الأمر وإن عفوت عنهما فانا أجازيك بما يقدرني عليه ربي ، وعلامة الطاعة أن ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين ، وإن لم تخلصيهما فانا أخلصهما قهراً عنك بعون الله تعالى . فلما قرأت ذلك الكتاب قالت : يا عبد الله ، لا أفعل شيئاً حتى أذهب إلى أبي وأعرض عليه مرسوم ملك الإنس وأرجع إليك بالجواب بسرعة . ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها : فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحاً وقال : اعزّ الله أمير المؤمنين . ثم إن سعيدة دخلت على أبيها وأخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم أمير المؤمنين . فقبله ووضع على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال : يا بنتي ، إن أمر ملك الإنس علينا ماض وحكمه فينا نافذ ولا نقدر أن نخالفه ، فامضي إلى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة وقولي لهما : انتما في شفاعة ملك الإنس ، فإنه إن غضب علينا أهلكنا عن آخرنا فلا تحملينا ما لا نطيق . فقالت له : يا أبت ، إذا غضب علينا ملك الإنس ماذا يصنع بنا ؟ فقال لها : يا بنتي ، إنه يقدر علينا من وجوه : الأول : إنه من البشر فهو مفضل علينا . والثاني : إنه خليفة الله . والثالث : إنه مصر على ركعتي الفجر ، فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع أرضين لا يقدر أن يصنعوا به مكروهاً فإنه إن غضب علينا يصلّي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فاجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم بين يدي الجزار ، إن شاء يأمرنا بالرحيل من أوطاننا إلى أرض موحشة لا نستطيع المكث فيها ،

وإن شاء هلاكنا أمرنا بهلاك أنفسنا، فيهلك بعضنا بعضاً. فنحن لا نقدر على مخالفة أمره، فإن خالفنا أمره أحرقنا جميعاً وليس لنا مفر من بين يديه. وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فإن حكمه نافذ فينا، فلا تتسبب في هلاكنا من أجل رجلين بل امضي وخلصيهما قبل أن يحيق بنا غضب أمير المؤمنين. فرجعت إلى عبد الله بن فاضل وأخبرته بما قال أبوها وقالت له: قبل لنا أيادي أمير المؤمنين واطلب لنا رضاه. ثم إنها أخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم ثم رשתهما بالماء وقالت: أخرجنا من الصورة الكلية إلى الصورة البشرية. فعادا بشرين كما كانا أولاً وانفكّ عنهما رصد السحر وقالوا: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم إنهما وقعا على يد أخيهما وعلى رجله يقبلانها ويطلبان منه السماح فقال لهما: سامحاني أنتما. ثم إنهما تابا توبة نصوحاً وقالوا: قد غرنا إبليس اللعين وأغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام. وصارا يستعطفان أخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما. ثم إنه قال لهما: ما فعلتم بزوجتي التي جثت بها من مدينة الحجر؟ فقالوا: لما اغوانا الشيطان ورميناك في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول: أنا أتزوج بها. فلما سمعت كلامنا ورات اختلافنا وعرفت أننا رميناك في البحر طلعت من الخزنة وقالت: لا تختصما من أجلي فإني لست لواحد منكما، إن زوجي راح البحر وأنا اتبعه. ثم إنها رمت روحها في البحر وماتت. فقال: إنها ماتت شهيدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم إنه بكى عليها بكاء شديداً وقال لهما: لا يصح منكما أن تفعلوا هذه الفعال وتعدماني زوجتي. فقالوا: إننا أخطانا وربنا جازانا على فعلنا وهذا شيء قدره الله علينا قبل أن يخلقنا. فقبل عذرهما. ثم أن سعيدة قالت: أيفعلان معك كل هذه الفعال وأنت تعفو عنهما؟ فقال: يا اختي، من قدر وعفا كان أجره على الله. فقالت: خذ حذرک منهما فإنهما خائنان ثم ودّعته وانصرفت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة كانت الساعة 987

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله لما حذّرتُه سعيدة من أخويه ودّعته وانصرفت إلى حال سبيلها. فبات عبد الله بقية تلك الليلة هو وأخواه على أكلٍ وشرب وبسط وانشراح صدر. فلما أصبح الصباح أدخلهما الحمام، وعند خروجهما من الحمام ألبس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال. ثم إنه طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فأكل هو وأخواه. فلما نظرهما الخدام وعرفوا أنهم أخواه سلموا عليهما وقالوا للأمير عبد الله: يا مولانا، هناك الله باجتماعك على أخويك العزيزين وأين كنا في هذه المدة؟ فقال لهم: هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله الذي خلصهما من السجن والعذاب الأليم. ثم إنه أخذهما وتوجه إلى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم. فقال له الخليفة: مرحباً يا أمير عبد الله، أخبرني بما جرى لك؟ فقال: يا أمير المؤمنين أعز الله قدرک، أني لما أخذت أخوي وذهبت بهما إلى منزلي اطمأنيت عليهما بسببك حيث تكفلت بخلصهما وقلت في نفسي: إن الملوك لا يعجزون عن أمر يجتهدون فيه فإن العناية تساعدهم. ثم نزعنا الأغلال من رقابهما وتوكلت على الله وأكلت أنا وإياهما على السفرة. فلما رأني أتباعي أكل معهما وهما في صورة كلبين، استخفوا عقلي وقالوا

لبعضهم : لعله مجنون، كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو أكبر من الوزير؟ ورموا ما فضل من السفارة وقالوا: لا نأكل ما بقي من الكلاب. وصاروا يسفهون رأبي وأنا أسمع كلامهم ولا أurd عليهم جواباً لعدم معرفتهم أنهما أخوأي . ثم صرفتهم عندما جاء وقت النوم وطلبت النوم فما أشعر إلا والأرض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الأحمر وهي غضبانة عليّ وعيناها مثل النار . ثم أخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن أبيها وكيف أخرجتهما من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية . ثم قال : وها هما بين يديك يا أمير المؤمنين . فالتفت الخليفة فرأهما شابين كالقمرين . فقال الخليفة : جزاك الله عني خيراً يا عبد الله حيث أعلمتني بفائدة ما كنت أعلمها، إن شاء الله لا أترك صلاة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر ما دمت حياً . ثم إنه عنّف أخوي عبد الله بن فاضل علي ما سلف منهما في حقّه، فاعتذرا قدام الخليفة . فقال لهم : تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا الله عما سلف . ثم التفت إلى عبد الله وقال : يا عبد الله، إجعل أخويك معينين لك، وتوصّبهما وأوصاهما بطاعة أخيهما . ثم أنعم عليهم وأمرهم بالإرتحال إلى مدينة البصرة بعد أن أعطاهم إنعاماً جزيلاً . فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين ، وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلاة ركعتين قبل الفجر وقال : صدق من قال : مصائب قوم عند قوم فوائد . هذا ما كان من أمرهم مع الخليفة . وأما ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فإنه سافر من مدينة بغداد ومعه أخواه بالإعزاز والإكرام ورفع المقام إلى أن دخلوا مدينة البصرة، فخرج الأكاير والأعيان لملاقاتهم وزيّنوا لهم المدينة وأدخلوهم بموكب ليس له نظير، وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة . وصار جميع الناس ضاجين بالدعاء له ولم يلتفت أحداً إلى أخويه، فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهم ومع ذلك كان عبد الله يداريها مداراة العين الرمداء، وكلما داراهما لا يزدادان إلا بغضاً له وحسداً فيه . وقد قيل في هذا المعنى : [من الطويل]

وَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي مُدَارَاتُهُ شَطَطْتُ وَعَزَّ نَوَائِهَا
وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَائِهَا

ثم إنه أعطى كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعلهما بخدم وحشم وجوار وعبيد سود وبيض من كل نوع أربعين، وأعطى كل واحد منهما خمسين جواداً من الخيل الجياد وصار لهما جماعة وأتباع . ثم إنه عين لهما الخراج ورّتب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما : يا أخوي، أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله رتب لأخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما : يا أخوي، أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما، فالحكم بعد الله والخليفة لي ولكما، فاحكما في البصرة في غيابي وحضورني وحكمكما نافذ، ولكن عليكما بتقوى الله في الأحكام وإياكما والظلم فإنه إن دام دمّر، وعليكما بالعدل فإنه إن دام عمر، ولا

فلما كانت الليلة 988

تظلموا العباد فيدعوا عليكما وخبركما يصل إلى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم أحد، والذي تطمعان فيه من أموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتاجان إليه

ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم من محكم الآيات. والله در من قال: هذه الايات: [من السريع]

الظُّلْمُ فِي نَفْسِ الْفَتَى كَامِنٌ
ذُو الْعَقْلِ لَا يَنْهَضُ فِي حَاجَةٍ
لِسَانٌ مَنْ يَعْقِلُ فِي قَلْبِهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ مِنْ عَقْلِهِ
أَصْلُ الْفَتَى خَافٌ وَلَكِنَّهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عُنْصُرَهُ طَيِّبًا
مَنْ قَلَّدَ الْأَحْمَقَ فِي فِعْلِهِ
وَمَنْ أَطْلَعَ النَّاسَ عَلَى سِرِّهِ
يَكْفِيهِ الْفَتَى مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ
وَلَيْسَ إِلَّا الْعَجْزُ يَخْفِيهِ
حَتَّى يَرَى الْوَقْتَ يُوفِيهِ
وَقَلْبٌ مَنْ يَجْهَلُ فِي فِيهِ
يَقْتُلُهُ أَصْغَرُ مَا فِيهِ
مَنْ فِعْلِهِ يُظْهِرُ خَافِيهِ
لَا يُظْهِرُ الطَّيِّبَ مِنْ فِيهِ
كَانَ لَهُ فِي الْجَهْلِ مُسَاوِيهِ
تَنَبَّهْتَ لَهُ أَعَادِيهِ
وَتَرَكِهِ مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ

ثم إنه صار يعظ أخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن أنهما أحباها بسبب بذل النصيحة لهما. ثم إنه ركن إليهما وبالغ في إكramهما ومع إكramه لهما ما ازدادا إلا حسداً له وبغضاً فيه. ثم إن أخويه ناصرأ ومنصورأ اجتماعاً مع بعضهما فقال ناصر لمنصور: يا أخي، إلى متى ونحن تحت طاعة أخينا عبد الله وهو في هذه السيادة والإمارة؟ وبعدهما كان تاجرأ صار أميرأ، وبعدهما كان صغيرأ صار كبيرأ ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة، وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له، ما معنى ذلك؟ اليس إننا خدمته ومن تحت طاعته؟ وما دام طيبأ لا ترتفع درجتنا ولم يبق لنا شأن، فلا يتم غرضنا إلا إن قتلناه وأخذنا أمواله ولا يمكن أخذ هذه الأموال إلا بعد هلاكه. فإذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا. ثم نهيء هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وأنت تكون نائب البصرة وأنا أكون نائب الكوفة، أو إنك تكون نائب الكوفة وأنا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صورة وشأن. ولكن لا يتم لنا ذلك إلا إذا أهلكناه. فقال منصور: إنك صادق فيما قلت ولكن ماذا نضع معه حتى نقتله؟ فقال: نعمل ضيافة عند أحدنا ونعرفه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نساهره بالكلام ونحكي له حكايات ونكتأ ونوادراً إلى أن يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد، فإذا رقد نبرك عليه وهو نائم فتخنقه ونرميه في البحر ونصبح نقول: إن أخته الجنية آتته وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت له: يا قطاعة الإنس، ما مقدارك حتى تشكوني إلى أمير المؤمنين؟ أنظن أننا نخاف منه؟ فكما إنه ملك نحن ملوك، وإن لم يلزم أدبه في حقنا قتلناه أقيح قتله، ولكن بقيت أنا أقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد أمير المؤمنين ثم خطفته وشقت الأرض ونزلت به. فلما رأينا ذلك غشي علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصل له. وبعد ذلك نرسل إلى الخليفة ونعلمه فإنه يولينا مكانه، وبعد مدة نرسل إلى الخليفة هدية سنوية ونطلب منه حكم الكوفة وواحد منا يقيم في البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد. فقال له: نعم ما أشرت به يا أخي. ثم اتفقا على قتل أخيهما وصنع ناصر ضيافة وقال لأخيه عبد الله: يا أخي، أعلم أنني أنا أخوك ومرادي أنك تجبر بخاطري أنت وأخي منصور وتاكل ضيافتي في بيتي حتى أفتخر بك

ويقال: إن الأمير عبد الله أكل ضيافة أخيه ناصر لأجل أن يحصل لي بذلك جبر خاطر. فقال له عبد الله: لا بأس يا أخي ولا فرق بيني وبينك وبينك بيني، ولكن حيث عزمتمني فما يأبى الضيافة إلا اللثيم. ثم التفت إلى أخيه منصور وقال له: أتروح معي إلى بيت أخيك ناصر وناكل ضيافته ونجبر بخاطره؟ فقال له: يا أخي وحياء رأسك، ما أروح معك حتى تحلف لي أنك بعدما تخرج من بيت أخي ناصر تدخل بيتي وتأكل ضيافتي، فهل ناصر أخوك وأنا لست أخاك؟ فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطري. فقال: لا بأس بذلك جأً وكرامة، فمتى خرجت من دار أخيك ادخل دارك، وكما هو أخي أنت أخي. ثم إن ناصرًا قبل يد أخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة، وفي ثاني يوم ركب عبد الله وأخذ معه جملة من العسكر وأخاه منصوراً وتوجه إلى دار أخيه ناصر، فدخل وجلس هو وجماعته وأخوه، فقدم لهم السماط ورحب بهم فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وارتفعت السفرة والزبادي وغسلت الأيادي، وأقاموا ذلك اليوم على أكل وشرب وبسط ولعب إلى الليل. فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة، وصار منصور يحكي حكاية وناصر يحكي حكاية وعبد الله يسمع وكانوا في قصر وحدهم وبقية العسكر في مكان آخر. ولم يزلوا في نكت وحكايات ونوادير وأخبار حتى ذاب قلب أخيه عبد الله من السهر وغلب عليه النوم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن عبد الله لما طال عليه السهر وأراد النوم، فرشوا له الفرش. ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق في النوم. فلما عرفا أنه استغرق في النوم قاما وبركا عليه، فأفاق فرأهما باركين على صدره فقال لهما: ما هذا يا أخوي؟ فقالا له: ما نحن أخواك ولا نعرفك يا قليل الأدب وقد صار موتك أحسن من حياتك. وحطا أيديهما في رقبته وخنقاه، فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة، فظننا أنه مات وكان القصر على البحر، فرموه في البحر. فلما وقع في البحر سخر الله له درفيلًا كان معتاد على مجيئه تحت ذلك القصر لأن المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها في البحر من تلك الطاقة فيأتي ذلك الدر فيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان، وكانوا في ذلك اليوم قد رموا سقاطاً كثيراً بسبب الضيافة فأكل ذلك الدر فيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة. فلما سمع الخبطة في البحر أتى بسرعة فرآه ابن آدم، فهده الهادي وحمله على ظهره وشق به في وسط البحر. ولم يزل ماشياً به حتى وصل إلى البحر من الجهة الثانية والقاه على البر، وكان ذلك المكان الذي أطلعه فيه على قارعة الطريق، فمرت به قافلة فرآه مرمياً على جانب البحر فقالوا: هنا غريق القاه البحر على الشاطئ. واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه، وكان شيخ القافلة رجلاً من أهل الخير وعارفاً بجميع العلوم وخبيراً بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم: يا ناس ما الخبر؟ فقالوا: هذا غريق ميت. فأقبل عليه وتأمله وقال: يا ناس، هذا الشاب فيه الروح وهذا من خيار أولاد الناس الأكاير وتربية العز والنعم وفيه الرجاء إن شاء الله تعالى. ثم إنه أخذه وألبسه بدلة وأدفاه وصار يعالجه ويلطفه مدة ثلاث مراحل حتى أفاق، ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار شيخ القافلة يعالجه بأعشاب يعرفها. ولم يزلوا مسافرين مدة ثلاثين يوماً حتى

فلما كانت الليلة كانت
989
كانت الليلة

بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالج فيه ، ثم دخلوا مدينة يقال لها : مدينة عوج وهي في بلاد العجم ، فنزلوا في خان وفرشوا له وردد ، فبات تلك الليلة يئن وقد أقلق الناس من أئنه . فلما أصبح الصباح أتى بواب الخان إلى شيخ القافلة وقال : ما شأن هذا الضعيف الذي عندك ؟ فإنه أقلقنا . فقال : هذا رأيت في الطريق على جانب البحر غريقاً فعالجته وعجزت ولم يشف . فقال له : أعرضه على الشيخة راجحة . فقال له : وما تكون الشيخة راجحة ؟ فقال : عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة إسمها الشيخة راجحة ، كل من كان به داء يأخذونه إليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافاً ولم يكن فيه شيء يضره . فقال له شيخ القافلة : دلني عليها . فقال له : إحمل مريضك . فحمله ومشى بواب الخان قدامه إلى أن وصل إلى زاوية فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحائنين . فدخل بواب الخان حتى وصل إلى الستارة وقال : دستور يا شيخة راجحة ، خذي هذا المريض . فقالت : أدخله من داخل هذه الستارة . فقال له : أدخل . فدخل ونظر إليها فرأها زوجته التي جابها من مدينة الحجر ، فعرفها وعرفته وسلّمت عليه وسلّم عليها فقال لها : من أتى بك إلى هذا المكان ؟ فقالت له : لما رايت أخويك رمياك في البحر وتخاصما عليّ ، رميت روحي في البحر فتناولني شيخني الخضر أبو العباس وأتى بي إلى هذه الزاوية وأعطاني الإذن بشفاء المرضى ونادي في هذه المدينة : وكل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة : وقال لي : أقيمي في هذا المكان حتى يزوون الآوان ويأتي إليك زوجك في هذه الزاوية . فصار كل مريض يأتي إليّ أكبسه فيصبح طيباً ، وشاع ذكري بين العالم وأقبلت على الناس بالنذور وعندني الخير ، وأنا في عز وإكرام وجميع أهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء . ثم إنها كبسته فشفي بقدرة الله تعالى . وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة ، وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة . فلما جن الليل جلست هي وإياه بعدما تعشيا من أفر الماكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر . فبينما هما جالسان وإذا به قد أقبل عليهما ، فحملهما من الزاوية ووضعهما في قصر عبد الله بن فاضل بالبصرة ثم تركهما وراح . فلما أصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فرآه قصره وعرفه وسمع الناس في ضجة ، فظل من الشباك فرأى أخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة . والسبب في ذلك أنهما لما رمياه في البحر أصبحتا بيكياتا ويقولان : إن أخانا خطفته الجنية . ثم هيا هدية وأرسلها إلى الخليفة وأخبراه بهذا الخبر وطلباه منه منصب البصرة . فأرسل أحضرهما عنده وسألتهما ، فأخبراه كما ذكرناه . فاشتد غضب الخليفة . فلما جن الليل صلّى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين ، فسألهم عن عبد الله فحلفوا له أنه لم يتعرض له أحد منهم وقالوا له : ما عندنا خبر به . فأتت سعيدة بنت الملك الأحمر وأخبرت الخليفة بخبره فصرههم . وفي ثاني يوم رمى ناصراً ومنصوراً تحت الضرب فأقرا على بعضهما . فغضب عليهما الخليفة وقال : خذوهما إلى البصرة واصلبوهما قدام قصر عبد الله . هذا ما كان من أمرهما . وأما ما كان من أمر عبد الله فإنه أمر بدفن أخويه ثم ركب وتوجه إلى بغداد وأخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه أخواه من الأول إلى الآخر . فتعجب الخليفة من ذلك وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الحجر ، ودخل بها وأقام معها في البصرة إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات . فسبحان الحي الذي لا يموت .

ومما يحكى أيها الملك السعيد، أنه كان في مدينة مصر المحروسة رجل إسكافي يرفع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفاً، وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة، وما لقبوها بذلك إلا لأنها كانت فاجرة شرّانية قليلة الحياء كثيرة الفتن، وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرّها ويخاف من آذاها لأبنه كان رجلاً عاقلاً يستحي على عرضه، لكنه كان فقير الحال فإذا اشتغل بكثير صرفه عليها وإذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة وأعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها. وهي كما قال في حقها الشاعر: [من السريع]

كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّ مَعَ زَوْجَتِي فِي أَشْأَمِ الْأَحْوَالِ قَضَيْتُهَا
يَا لَيْتَنِي عِنْدَ دُخُولِي بِهَا أَحْضَرْتُ سُمًّا ثُمَّ سَمَيْتُهَا

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل من زوجته أنها قالت له: يا معروف، أريد منك في هذه الليلة أن تحيي لي معك بكنافة عليها غسل نحل. فقال لها: الله تعالى يسهل لي حقها وأنا أجيء بها لك في هذه الليلة، والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل. فقالت له: أنا ما أعرف هذا الكلام. وأدرك شهرآزد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن معروفاً الإسكافي قال لزوجته: الله يسهل بكلفتها وأنا أجيء بها إليك في هذه الليلة، والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل. فقالت له: أنا ما أعرف هذا الكلام إن سهل أو لم يسهل لا تحييتي إلا بالكنافة التي بعسل نحل، وإن جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتني

فلما كانت الليلة
990
الليلة
الليلة

ووقعت في يدي. فقال لها: الله كريم. ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من يديه، فصلى الصبح وفتح الدكان وقال: أسألك يارب أن ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شرّ هذه الفاجرة في هذه الليلة. وقعد في الدكان إلى نصف النهار فلم يأته شغل، فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيراً في أمره من شأن الكنافة مع أنه لم يكن معه من حق الخبز شيء. ثم إنه مرّ على دكان الكنفاني ووقف باهتاً وغرغرت عيناه بالدموع، فلحظ عليه الكنفاني وقال: يا معلم معروف، ما لك تبكي؟ فأخبرني بما أصابك. فأخبره بقصته وقال له: إن زوجتي جبارة وطلبت مني كنافة وقد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجتني ولا حق الخبز وأنا خائف منها. فضحك الكنفاني وقال: لا بأس عليك، كم رطل تريد؟ قال: خمسة أرطال. فوزن له خمسة أرطال وقال له: السمن عندي ولكن ما عندي عسل نحل؟ وإنما عندي عسل قطر أحسن من عسل النحل، وماذا يضر إذا كانت بعسل قطر؟ فاستحي منه لكونه يصبر عليه بشمها فقال له: هاتها بعسل قطر. فقل لها الكنافة بالسمن وغرّقها بعسل قطر فصارت تهدي للملوك. ثم إنه قال له: أحتاج عيشاً وجبناً؟ قال: نعم. فأخذ له بأربعة أنصاف عيشاً وبنصف جبناً والكنافة بعشرة أنصاف وقال له: أعلم يا معروف أنه قد صار عندك خمسة عشر نصفاً، رح إلى زوجتك واعمل حظاً وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم أو يومان أو ثلاثة حتى

يرزقك الله، ولا تضيق على زوجتك فأنا اصبر عليك حتى يبقى عندك دراهم فاضلة عن مصروفك . فأخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعياً له وراح مجبور الخاطر وهو يقول : سبحانك ربي ما أكرمك . ثم إنه دخل عليها فقالت له : هل جئت بالكنافة؟ قال : نعم . ثم وضعها قدامها ، فنظرت إليها فرأتها بعسل قصب . فقالت له : أما قلت لك هاتها بعسل نحل؟ تعمل على خلاف مرادي وتعملها بعسل قصب؟ فاعتذر إليها وقال لها : أنا ما اشتريتها إلا مؤجلاً ثمنها . فقالت : هذا كلام باطل ، أنا ما أكل كنافة إلا بعسل نحل . وغضبت عليه وضربته بها في وجهه وقالت له : قم يا معرض هات لي غيرها . ولكمته في صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره ، ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها ، فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول : يا مسلمون ! فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيبيها وقالوا : نحن كلنا في قبل أكل الكنافة التي بعسل القصب ، ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير؟ إن هذا عيب عليك . ولا زالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئاً . فأحرقه الجوع فقال في نفسه : هي حلفت ما تأكل فأنا أكل ثم أكل . فلما رآته يأكل صارت تقول له : إن شاء الله يكون أكلها سمّاً يهري بدن البعيد . فقال لها : ما هو بكلامك . وصار يأكل ويضحك ويقول : أنت حلفت ما تأكلين من هذه فالله كريم ، فإن شاء الله في ليلة غد آجىء لك بكنافة تكون بعسل نحل وتأكلها وحدك . وصار يأخذ بخاطرها وهي تدعو عليه ولم تزل تسبّه وتشتمه إلى الصبح . فلما أصبح الصباح شمّرت عن ساعدها لضربه فقال لها : امهليني وأنا آجىء لك غيرها . ثم خرج إلى المسجد وصلى وتوجه إلى الدكان وفتحها وجلس ، فلم يستقر به الجلوس حتى جاءه اثنان من طرف القاضي وقالاه : قم كلم القاضي فإن امرأتك اشتكتك إليه وصفتها كذا وكذا . فعرفها وقال : الله تعالى ينكّد عليها . ثم قام مشى معهما إلى أن دخل على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوثة بالدم وهي واقفة تبكي وتمسح دموعها . فقال له القاضي : يا رجل ، ألم تخف من الله تعالى كيف تضرب هذه الحرمه وتكسر ذراعها وتقلع سننها وتفعل بها هذه الفعال؟ فقال له : إن كنت ضربتها أو قلعت سننها فاحكم في بما تختار وإنما القصة كذا وكذا والجيران أصلحوا بيني وبينها وأخبره بالقصة من الأول إلى الآخر . وكان ذلك القاضي من أهل الخير ، فأخرج له ربع دينار وقال له : يا رجل ، خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح أنت وإياها . فقال له : اعطه لها . فأخذته وأصلح بينهما وقال : يا امرأة أطيعي زوجك ، وأنت يا رجل ترفق بها . وخرجا مصطلحين على يد القاضي وراحت المرأة من طريق وزوجها راح من طريق آخر إلى دكانه وجلس ، وإذا بالرسل أتوا له وقالوا : هات خدمتنا . فقال لهم : إن القاضي لم يأخذ مني شيئاً بل أعطاني ربع دينار . فقالوا : لا علاقة لنا بكون القاضي أعطاك أو أخذ منك فإن لم تعطنا خدمتنا أخذناها قهراً عنك . وصاروا يجرونه في السوق ، فباع عدته وأعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه وحطّ يده على خده وقعد حزينا حيث لم يكن عنده عدة يشتغل بها . فبينما هو قاعد وإذا برجلين قبيحي المنظر أقبلا عليه وقالاه : قم يا رجل كلم القاضي فإن زوجتك اشتكتك إليه . فقال لهما : قد أصلح بيني وبينها . فقالاه : نحن من عند قاض آخر فإن زوجتك اشتكتك إلى قاضينا . فقام معهما وهو يحتسب عليها فلما رآها قال لها : أما اصطلحنا يا بنت الحلال؟

قالت: ما بقي بيني وبينك صلح . فتقدّم وحكى للقاضي حكايته وقال له : إن القاضي فلان أصلح بيننا في هذه الساعة . فقال لها القاضي : يا عاهرة ، حيث اصططحتما لماذا جئت تشكين إليّ؟ قالت : إنه ضربني بعد ذلك . فقال لهما القاضي : اصططحلا ولا تعد إلى ضربها وهي لا تعود إلى مخالفتك . فاصططحلا وقال له القاضي : أعطي الرسل خدمتهم . فأعطى الرسل خدمتهم وتوجه إلى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذي أصابه . فبينما هو قاعد وإذا برجل أقبل عليه وقال له : يا معروف ، قم استخف فإن زوجتك اشتكتك إلى الباب العالي ونازل عليك أبو طبق . فقام وقلل الدكان وهرب في جهة باب النصر وكان قد بقي معه خمسة انصاف فضة من حق القوالب والعدة ، فاشتري بأربعة انصاف عيشاً وبنصف جبتاً وهو هارب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر . فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل أفواه القرب فابتلت ثيابه ، فدخل العادلية فرأى موضعاً خرباً فيه حاصل مهجور من غير باب ، فدخل يستكن فيه من المطر وحوائجه مبتلة بالماء ، فنزلت الدموع من اجفانه وصار يتضجر مما به ويقول : أين أهرب من هذه العاهرة؟ أسألك يا رب أن تقيض لي من يوصلني إلى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها . فبينما هو جالس يبكي وإذا بالحائط قد انشق وخرج له منها شخص طويل القامة ورؤيته تقشعر منها الأبدان وقال له : يا رجل ، ما لك أفلقتني في هذه الليلة أنا ساكن في هذا المكان من منذ مائتي عام فما رأيت أحداً دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت ، فأخبرني بمقصودك وأنا أقضي حاجتك فإن قلبي أخذته الشفقة عليك . فقال له : من أنت؟ وما تكون؟ فقال له : أنا عامر هذا المكان . فأخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له : أتريد أن أوصلك إلى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقاً؟ قال : نعم . قال له : إركب فوق ظهري . فركب وحمله وطار به من بعد العشاء إلى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة 991

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن معروفاً الإسكافي لما حملة المارد طار به وأنزله على جبل عال وقال : يا إنسي ، انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فإن زوجتك لا تعرف لك طريقاً ولا يمكنها أن تصل إليك ثم تركه وراح . فصار معروف باهتاً متحيراً في نفسه إلى أن طلعت الشمس . فقال في نفسه : أقوم وأنزل من على هذا الجبل إلى المدينة فإن قعودي هنا ليس فيه فائدة . فنزل إلى أسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية وقصور مشيدة وأبنية مزخرفة وهي نزهة للناظرين ، فدخل من باب المدينة فرأها تشرح القلب الحزين . فلما مشى في السوق صار أهل المدينة ينظرون إليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لأن ملبسه لا يشبه ملابسهم . فقال له رجل من أهل المدينة : يا رجل ، هل أنت غريب؟ قال : نعم . قال له : من أي البلاد؟ قال : من مدينة مصر السعيدة . قال له : ألك زمان مفارقها؟ قال له : البارحة العصر . فضحك عليه وقال : يا ناس ، تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول ! فقالوا : ما يقول؟ قال : إنه يزعم أنه من مصر وخرج منها البارحة العصر . فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا : يا رجل ، أنت مجنون حتى تقول هذا الكلام؟ كيف تزعم أنك فارقت مصر بالأمس في وقت العصر وأصبحت هنا؟ والحال إن بين مدينتنا وبين

مصر مسافة سنة كاملة . فقال لهم : ما مجنون إلا أنتم واما أنا فإني صادق في قلبي ، وهذا عيش مصر لم يزل معي طرياً وأراهم العيش . فصاروا يتفرجون عليه ويتعجبون منه لأنه لا يشبه عيش بلادهم ، وكثر الخلائق عليه وصاروا يقولون لبعضهم : هذا عيش مصر تفرجوا عليه . وصارت له شهرة في تلك المدينة ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون ويهزؤون به . فبينما هم في تلك الحالة وإذا بتاجر أقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ، ففرق الناس وقال : يا ناس ، أما تستحون وأنتم ملتّمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ؟ ما علاقتكم به ؟ ولم يزل يسبهم حتى طردهم عنه ولم يقدر أحد أن يرد عليه جواباً وقال له : تعال يا أخي ما عليك بأس من هؤلاء ، إنهم لا حياء عندهم . ثم أخذه وسار به إلى أن أدخله داراً واسعة مزخرفة وأجلسه في مقعد ملوكي وأمر العبيد ففتحوا له صندوقاً وأخرجوا له بدلة تاجر الفتي والبسه إياها وكان معروف وجيهاً فصار كأنه شاه بندر التجار . ثم إن ذلك التاجر طلب السفارة ، فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الأطعمة الفاخرة من سائر الألوان . فأكلا وشربا وبعد ذلك قال له : يا أخي ما اسمك ؟ قال : إسمي معروف وصنعتي إسكافي أرقع الزرايين القديمة . قال له : من أي البلاد أنت ؟ قال : من مصر . قال : من أي الحارات ؟ قال له : ها أنت تعرف مصر ؟ قال له : أنا من أولادها . فقال له : أنا من الدرب الأحمر . قال له : من تعرف من الدرب الأحمر ؟ قال له : فلان وفلان ، وعدّ له ناساً كثيرة . قال له : هل تعرف الشيخ أحمد العطار ؟ قال له : هو جاري الحيط في الحيط . قال له : هل هو طيب ؟ قال : نعم . قال له : كم له من الأولاد ؟ قال : ثلاثة : مصطفى ومحمد وعلي . قال له : ما فعل الله بأولاده ؟ قال : أما مصطفى فإنه طيب وهو عالم مدرس . وأما محمد فإنه عطار قد فتح له دكاناً بجانب دكان أبيه بعد أن تزوج وولدت له زوجته ولد إسمه حسن . قال : بشرك الله بالخير . قال : وأما علي فإنه كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائماً ألعب أنا وإياه وبقينا نروح بصفة أولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بشمئنا نفقة . فاتفق في بعض المرات أن النصارى رأونا ومسكونا بكتاب ، فاشتكونا إلى أهلنا وقالوا لأبيه : إذا لم تمنع ولدك من أذانا شكيناك إلى الملك . فأخذ بخاطرهم وضربه علقه فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقاً وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه أحد بخبر . فقال له : هو أنا علي ابن الشيخ أحمد العطار ، وأنت رفيقي يا معروف . وسلمنا على بعضهما وبعد السلام قال له : يا معروف ، أخبرني بسبب مجيئك من مصر إلى هذه المدينة ؟ فأخبره بخبر زوجته فاطمة العرة وما فعلت معه وقال له : إنه لما اشتدّ عليّ أذاها هربت منها في جهة باب النصر ، ونزل عليّ المطر فدخلت في حاصل خرب في العادلية وقعدت أبكي ، فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجنّ وسألني فأخبرته بحالي ، فأركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والأرض ثم حطني على الجبل وأخبرني بالمدينة ، فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتّم الناس عليّ وسألوني فقلت لهم : إني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني . فجتت أنت ومنعت عني الناس وجئت بي إلى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر ، وأنت ما سبب مجيئك هنا ؟ قال له : غلب عليّ الطيش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وأنا دائر من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن ، فرأيت أهلها ناساً كراماً وعندهم الشفقة ، ورأيتهم يأتون الفقير ويدايونونه وكل ما قاله يصدقونه فيه . فقلت لهم :

أنا تاجر وقد سبقت الحملة ومرادي مكان أنزل فيه حملتي . فصدقوني وأحلوا لي مكاناً . ثم إنني قلت لهم : هل فيكم من يداينني ألف دينار حتى تبجيء حملتي وأرد له ما أخذه منه فإني محتاج إلى بعض مصالحي قبل دخول الحملة . فأعطوني ما أردت وتوجهت إلى سوق التجار فرايت شيئاً من البضاعة فاشتريته وفي ثاني يوم بعته فربحت فيه خمسين ديناراً واشترت غيره ، وصرت أعاشر الناس وأكرمهم فحبوني وصرت أبيع وأشتري فكثرت مالي . وأعلم يا أخي أن صاحب المثل يقول : الدنيا فشر وحيلة والبلاد التي لا يعرفك أحد فيها مهما شئت فافعل فيها . وأنت إذا قلت لكل من سألتك : أنا صنعتي إسكافي وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر ، فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة إقامتك في هذه المدينة . وإن قلت : حملتي عفريت . نفروا منك ولا يقرب منك أحد ويقولون : هذا رجل معفرت وكل من تقرب منه يحصل له ضرر . وتبقى هذه الإشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون أنني من مصر . قال : وكيف أصنع ؟ قال : أنا أعلمك كيف تصنع ، إن شاء الله تعالى أعطيك في غد ألف دينار وبغلة تركبها وعبداً يمشي قدامك حتى يوصلك إلى باب سوق التجار ، فادخل عليهم وأكون أنا قاعداً بين التجار ، فمتى رأيتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبل يدك وأعظم قدرك ، وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك : هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني ؟ فقل : كثير . وإن سالوني عنك أشكرك وأعظمك في أعينهم . ثم إنني أقول لهم : خذوا له حاصلاً ودكاناً وأصفاك بكثرة المال والكرم وإذا أتاك سائل فاعطه ما تيسر ، فيشكروا بكلامي ويعتقدوا عظمتك وكرمك ويحبوك ، وبعد ذلك أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت ليلة 992

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن التاجر علي قال المعروف : أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم لأجل أن تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي معهم ، فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال . فلما أصبح الصباح أعطاه ألف دينار وألبسه بدلة وأركبه بغلة وأعطاه عبداً وقال : ابرأ الله ذمتك من الجميع لأنك رفيقي فواجب علي إكرامك ، ولا تحمل هماً ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لأحد . فقال له : جزاك الله خيراً . ثم إنه ركب البغلة ومشى قدامه العبد إلى أن أوصله إلى باب سوق التجار وكانوا جميعاً قاعدين والتاجر علي قاعد بينهم . فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له : نهار مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف . ثم قبل يده قدام التجار وقال : يا إخواننا أنسكم التاجر معروف فسلموا عليه . وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في أعينهم ثم أنزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده . فقالوا له : هل هذا تاجر ؟ فقال لهم : نعم . بل هو أكبر التجار ولا يوجد واحد أكثر مالاً منه لأن أمواله وأموال أبيه وأجداده مشهورة عند تجار مصر ، وله شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدم عظيم ، فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه واتخدموه واعلموا أن مجيئه إلى هذه المدينة ليس من أجل التجارة وما مقصده إلا الفرجة على بلاد الناس لأنه غير محتاج إلى التغرّب من أجل الربح والمكاسب لأن عنده أموالاً لا تأكلها النيران وأنا من بعض خلمه . ولم

يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤوسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته . ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار أتى له وسلّم عليه وصار يقول له التاجر علي بحضرة التجار : يا سيدي ، لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلاني ؟ فيقول له : كثير . وكان في ذلك اليوم فرّجه على أصناف القماش المثمنة وعرفه أسامي الأقمشة الغالي والرخيص . فقال له تاجر من التجار : يا سيدي ، هل جئت معك بجوخ أصفر ؟ قال : كثير . قال : وأحمر دم الغزال ؟ قال : كثير . وصار كلما سألته عن شيء يقول له : كثير . فعند ذلك قال : يا تاجر علي ، إن بلديك لو أراد أن يحمل ألف حمل من القماشات المثمنة يحملها . فقال له : يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء . فبينما هم قاعدون وإذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديداً وغالبهم لم يعطه شيئاً حتى وصل إلى معروف ، فكبش له كبشة ذهب وأعطاه إياها فدعا له وراح . فتعجب التجار من ذلك وقالوا : إن هذه عطايا ملوك فإنه أعطى السائل ذهباً من غير عدد ولولا أنه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب . وبعد حصة آتته امرأة فقيرة فكبش وأعطاها وذهبت تدعو له وحكت للفقراء ، فأقبلوا عليه واحداً بعد واحد وصار كل من أتى له يكبش ويعطيه حتى أنفق الألف دينار ، وبعد ذلك ضرب كفّاً على كف وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . فقال له شاه بندر التجار : مالك يا تاجر معروف ؟ قال : كان غالب أهل هذه المدينة فقراء ومساكين ، ولو كنت أعرف أنهم كذلك كنت جئت معي في الخرج بجانب من المال وأحسن به إلى الفقراء ، وأنا خائف أن تطول غربتي ومن طبعي أنني لا أردد السائل ولم يبق معي ذهب ، فإذا أتاني فقير ماذا أقول له ؟ قال له : قل له : الله يرزقك . قال : ما هي عادتي وقد ركبني الهم بهذا السبب وكان مرادي ألف دينار أتصدق بها حتى تجيء حملتي . فقال : لا بأس . وأرسل بعض أتباعه فجاء له بالف دينار فأعطاه إياها ، فصار يعطي كل من مرّ به من الفقراء حتى أذن الظهر ، فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذي بقي معه من الألف دينار نثره على رؤوس المصلين ، فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه . ثم إنه مال على تاجر آخر وأخذ منه ألف دينار فرّقها ، وصار التاجر علي ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم . ولم يزل على هذه الحالة حتى أذن العصر ، فدخل المسجد وصلّى وفرّق الباقي فما قفلوا باب السوق حتى أخذ خمسة آلاف دينار وفرّقها وكل من أخذ منه شيئاً يقول له : حتى تجيء الحملة ، إن أردت ذهباً أعطيك وإن أردت قماشاً أعطيك فإن عندي شيئاً كثيراً . وعند المساء عزمه التاجر علي وعزم معه التجار جميعاً وأجلسه في الصدر وصار لا يتكلم إلا بالقماشات والجواهر ، وكلما ذكروا له شيئاً يقول : عندي منه كثير . وثاني يوم توجه إلى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم الأموال ويفرقها على الفقراء ، ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوماً حتى أخذ من الناس ستين ألف دينار ولم تأت حملة ولا كبة حامية . فضجّت الناس على أموالهم وقالوا : ما آتت حملة التاجر معروف وإلى متى وهو يأخذ أموال الناس ويعطيها للفقراء ؟ فقال واحد منهم : الرأي أن تتكلم مع بلدي التاجر علي . فأتوه وقالوا له : يا تاجر علي ، إن حملة التاجر معروف لم تأت . فقال لهم : اصبروا فإنها لا بد أن تأتي عن قريب . ثم إنه احتلّ به وقال له : يا معروف ، ما هذه الفعال ؟ هل أنا قلت لك قمر الخبز أو احرقه ؟ إن التجار ضجوا على

أموالهم وأخبروني أنه صار لهم عليك ستون ألف دينار أخذتها وفرقتها على الفقراء، ومن أين تسد دين الناس وأنت لا تبيع ولا تشتري؟ فقال له: أي شيء يجري؟ وما مقدار الستين ألف دينار؟ لما تجيء الحملة أعطيهم إن شاؤوا قماشاً وإن شاؤوا ذهباً وفضة. قال له التاجر علي: الله أكبر، وهل أنت لك حملة؟ قال: كثير. قال له: الله، والرجال عليك وعلى سماجتك! هل أنا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لي؟ فانا أخبر بك الناس. فقال له: رح بلا كثرة كلام، هل أنا فقير؟ إن حملتي فيها شيء كثير فإذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين، أنا غير محتاج إليهم. فعند ذلك اغتاط التاجر علي وقال له: يا قليل الأدب، لا بد أن أريك كيف تكذب علي ولا تستحي. فقال له: الذي يخرج من يدك أفعله، ويصبرون حتى تجيء حملتي ويأخذون متاعهم بزيادة. فتركه وراح وقال في نفسه: أنا شكرته سابقاً وإن ذمته الآن صرت كاذباً وأدخل في قول من قال: من شكر وذم كذب مرتين. وصار متحيراً في أمره. ثم إن التاجر أتوه وقالوا: يا تاجر علي، هل كلمته؟ قال لهم: يا ناس، أنا أستحي منه ولي عنده ألف دينار ولم أقدر أن أكلمه عليها، وأنتم لما أعطيتموه ما شاوورتموني وليس لكم علي كلام فطالبوه منكم له وإن لم يعطكم فاشكوه إلى ملك المدينة وقولوا له: إنه نصاب نصب علينا، فإن الملك يخلصكم منه. فراحوا للملك وأخبروه بما وقع وقالوا: يا ملك الزمان، إننا تميرنا في أمرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد فإنه يفعل كذا وكذا وكل شيء أخذته يفرقه على الفقراء بالكبشة، فلو كان مقلماً ما كانت تسمح نفسه أنه يكبش الذهب ويعطيه للفقراء، ولو كان من أصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته ونحن لا نرى له حملة مع أنه يدعي أن له حملة وقد سبقها، وكلما ذكرنا له صنفاً من أصناف القماش يقول: عندي منه كثير. وقد مضت مدة ولم يبين عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون ألف دينار، وكل ذلك فرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه. وكان ذلك الملك طمأعاً أطعم من أشعب، فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره: لو لم يكن هذا التاجر عنده أموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولا بد أن تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويبعث عليهم أموالاً كثيرة فانا أحق منهم بهذا المال، فمرادي أن أعاشره وأتودد إليه حتى تأتي حملته والذي يأخذه منه هؤلاء التجار أخذه أنا وأزوجه ابنتي وأضم ماله إلى مالي. فقال له الوزير: يا ملك الزمان، ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قد أخرج بيت الطماع. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة 993
 قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير لما قال للملك: ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قد أخرج بيت الطماع. قال له الملك: يا وزير، أنا امتحنه وأعرف هل هو نصاب أو صادق؟ وهل هو تربية نعمة أو لا؟ قال الوزير: بماذا تمتحنه؟ قال الملك: إن عندي جوهرة فانا أبعث إليه وأحضره عندي وإذا جلس أكرمه وأعطيه الجوهرة فإن عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم وإن لم يعرفها فهو نصاب محدث فأقتله أقيح قتلة. ثم إن الملك أرسل إليه وأحضره. فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وقال له: هل أنت التاجر معروف؟ قال: نعم. قال له: إن التجار يزعمون أن لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق؟ قال: نعم. قال له: لم لم تعطهم أموالهم؟ قال: يصبرون حتى تجيء حملتي

وأعطيهم المثل مثلين . وإن أرادوا ذهباً أعطيهم وإن أرادوا فضة أعطيهم وإن أرادوا بضاعة أعطيهم ، والذي له الف أعطيه الفين في نظير ما ستر به وجهي مع الفقراء ، فإن عندي شيئاً كثيراً . ثم إن الملك قال له : يا تاجر ، خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها ؟ وأعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بالف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزاً بها . فأخذها معروف بيده وقرط عليها بالإبهام والشاهد فكسرها لأن الجواهر رقيق لا يتحمل . فقال له الملك : لاي شيء كسرت الجوهرة ؟ فضحك وقال : يا ملك الزمان ، ما هذه جوهرة ! هذه قطعة معدن تساوي الف دينار كيف تقول عليها إنها جوهرة ؟ إن الجوهرة يكون ثمنها سبعين ألف دينار وإنما يقال على هذه : قطعة معدن ، والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندي ولا أعتني بها . كيف تكون ملكاً وتقول على هذه جوهرة وهي قطعة معدن قيمتها ألف دينار ؟ ولكن أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة . فقال له الملك : يا تاجر ، هل عندك جواهر من الذي تخبر به ؟ قال : كثير . فغلب الطمع على الملك فقال له : هل تعطيني جواهر صحاحاً ؟ قال له : حتى تحيء الحملة أعطيك كثير ، ومهما طلبته فعندي منه كثير وأعطيك من غير ثمن . ففرح الملك وقال للتجار : روحوا إلى حال سبيلكم واصبروا عليه حتى تحيء الحملة ثم تعالوا خلوا مالكم مني . فراحوا . هذا ما كان من أمر معروف والتجار . وأما ما كان من أمر الملك فإنه أقبل على الوزير وقال له : لاطف التاجر معروف وخذ وأعط معي في الكلام واذكر له ابنتي حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التي عنده . فقال الوزير : يا ملك الزمان ، إن حال هذا الرجل لم يعجبني وأظن أنه نصاب وكذاب ، فترك هذا الكلام لثلاثضيع بنتك بلا شيء . وكان الوزير سابقاً ساق على الملك أن يزوجه البنت وأراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض . ثم إن الملك قال له : يا خائن ، أنت لا تريد لي خيراً لكونك خطبت ابنتي سابقاً ولم ترض أن تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك أن بنتي تبور حتى تأخذها أنت ، فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام ، كيف يكون نصاباً كذاباً مع أنه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر ؟ فمتى دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر ، وأنت مرادك أن تحرم ابنتي وتحرمني من هذه الخيرات . فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه : إغر الكلاب على البقر . ثم ميل على التاجر معروف وقال له : إن حضرة الملك حبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد أن يزوجه لك فما تقول ؟ فقال له : لا بأس ، ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فإن مهر بنات الملوك واسع ومقامهن أن لا يمهرون إلا بمهر يناسب حالهن ، وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر عليّ حتى تحيء الحملة فالخبر عندي كثير ولا بد أن أدفع صداقها خمسة آلاف واحتاج إلى ألف كيس أفرقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة ، وألف كيس أعطيها للذين يمشون في الزفة ، وألف كيس أعمل بها الأاطعمة للعساكر وغيرهم ، واحتاج إلى مائة جوهرة أعطيها للملكة صبيحة العرس ، ومائة جوهرة أفرقها على الجوارح والخدم فأعطي كل واحدة جوهرة تعظيماً لمقام العروسة ، واحتاج إلى أن أكسي ألف عريان من الفقراء ، ولا بد من صدقات وهذا شيء لا يمكن إلا إذا جاءت الحملة فإن عندي شيئاً كثيراً ، وإذا جاءت الحملة لا أبالي بهذا المصروف كله . فراح الوزير وأخبر الملك بما قاله . فقال الملك : حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنه إنه نصاب كذاب ؟ قال الوزير : ولم أزل أقول

ذلك . ففرغ فيه الملك ووبّخه وقال له : وحيّة رأسي ، إن لم تترك هذا الكلام لأقتلك . فارجع إليه وهاته عندي وأنا مني له أصطفل . فراح إليه الوزير وقال : تعال كلمّ الملك . فقال : سمعاً وطاعة . ثم جاء إليه فقال له الملك : لا تعتذر بهذه الاعذار فإن خزنتي مائة ، فخذ المفاتيح عندك وانفق جميع ما تحتاج إليه واعط ما تشاء واكس الفقراء وافعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري ، وإذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الإكرام ونحن نصبر عليك بصداقتها حتى تمجىء الحملة وليس بيني وبينك فرق أبداً . ثم أمر شيخ الإسلام أن يكتب الكتاب . فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وأمر بزينة المدينة ودقت الطبول ومدت الأظعمة من سائر الألوان وأقبلت أرباب الملاعب ، وصار التاجر معروف يجلس على كرسي في مقعد وتأتي قدامه أرباب الملاعب والشطّار والجنك وأرباب الحركات الغربية والملاهي العجيبة ، وصار يأمر الخازن دار ويقول له : هات الذهب والفضة . فيأتيه بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطي كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسو العريانيين وصار فرحاً عجائباً . وما بقي الخازن دار يلحق أن يجيء بالأموال من الخزنة ، وكاد قلب الوزير أن يتفقع من الغيظ ولم يقدر أن يتكلم ، وصار التاجر علي يتعجب من بذل هذه الأموال ويقول للتاجر معروف : الله والرجال على صدغك ، أما كفك إن أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك ؟ فقال له التاجر معروف : لا علاقة لك ، وإذا جاءت الحملة أعتوض ذلك على الملك بأضعافه . وصار يبذّر في الأموال ويقول في نفسه : كبة حامية ، فالذي يجري يجري والمقدر ما منه مفر . ولم يزل الفرح مدة أربعين يوماً ، وفي اليوم الحادي والأربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع سائر الأمراء والعساكر ، ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤوس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالاً لها مقدار عظيم ، وأدخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وأرخوا الستائر وقللوا الأبواب وخرجوا وتركوه عند العروسة . فخبط يداً على يد وقعد حزناً مدة وهو يضرب كفاً على كف ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . فقالت له الملكة : يا سيدي سلامتكم ، ما لك مغموماً ؟ فقال : كيف لا أكون مغموماً وأبوك قد شوش عليّ وعمل معي عملة مثل حرق الزرع الأخضر . قالت : وما عمل معك أبي قل لي ؟ قال : ادخلني عليك قبل أن تأتي حملتي وكان مرادي أقل ما يكون مائة جوهرة أفرّقها على جواريك ، لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول : إن سيدي أعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي . وهذه الخصلة كانت تعظيماً لمقامك وزيادة في شرفك فإني لا أقصر ببذل الجواهر لأن عندي منها كثيراً . فقالت له : لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب ، أما أنا فما عليك مني لأنني أصبر عليك حتى تمجىء الحملة ، وأما الجواري فما عليك منهن قم اقلع ثيابك واعمل انبساطاً ومتى جاءت الحملة فإننا للاحقون على تلك الجواهر وغيرها . فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب النغاش ووقع الهراش وحط يده على ركبته ، فجلست هي في حجره والقمته شفتها في فمه وصارت هذه الساعة تسي الإنسان أباه وأمه ، فحضنها وضمّمها إليه وعصرها في حضنه وضمّمها إلى صدره ومصّ شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده من تحت إبطها الشمال فحنت أعضاؤه وأعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت بين الفخذين وتحزمت بالساقين ومارس العملين ونادى : يا أبا اللثامين أوحط الذخيرة وأشعل الفتيل وحرّر على

بيت الإبرة وأعطى النار فحسفت البرج من الأربعة أركان وحصلت النكتة التي لا يسأل عنها وزعقت الزعقة التي لا بد منها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة
994
□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لا بد منها أزال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الأعمار لاشتمالها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص وصرع إلى الصباح . ثم دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك، فقام له من فيه على الأقدام وقابله بإعزاز وإكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال : أين الخازندار ؟ فقالوا : ها هو حاضر بين يديك . قال : هات الخلع وألبس جميع الوزراء والأمراء وأرباب المناصب . فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطي كل من أتى له ويهب لكل إنسان على قدر مقامه، واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوماً ولم يظهر له حملة ولا غيرها . ثم إن الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف، وكان الملك جالساً هو والوزير لا غير . فقَبِل الأرض بين يديه وقال : يا ملك الزمان ، أنا أخبرك بشيء لأنك ربما تلومني على عدم الإخبار به . أعلم أن الخزنة فرغت ولم يبق فيها شيء من المال إلا القليل، وبعد عشرة أيام نقلها على الفارغ . فقال الملك : يا وزير، إن حملة نسبي تأخرت ولم يبق عنها خير . فضحك الوزير وقال له : الله يلفظ بك يا ملك الزمان ، ما أنت إلا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب، وحياة رأسك إنه لا حملة له ولا كبة تريحننا منه وإنما هو لم يزل ينصب عليك حتى أتلف أموالك وتزوج بنتك بلا شيء، وإلى متى وأنت غافل عن هذا الكذاب ؟ فقال له : يا وزير، كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله ؟ فقال : يا ملك الزمان، لا يطلع على سر الرجل إلا زوجته، فأرسل إلى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى أسألها عن حقيقة حاله لأجل أن تختبره وتطلعنا على حاله . فقال : لا بأس بذلك، وحياة رأسي إن ثبت أنه نصاب كذاب لاقتلته أشأم قتلة . ثم إنه أخذ الوزير ودخل به إلى قاعة الجلوس وأرسل إلى بنته فأتت خلف الستارة، وكان ذلك في غياب زوجها . فلما أتت قالت : يا أبي ما تريده ؟ قال : كلمي الوزير . قالت : أيها الوزير، ما بالك ؟ قال : يا سيدتي اعلمي أن زوجك أتلف مال أبيك وقد تزوج بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحمته خير، وبالجملة نريد أن نخبرينا عنه . فقالت : إن كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم أر شيئاً . فقال : يا سيدتي، هل تقدرين في هذه الليلة أن تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له : أخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فإنك صرت زوجي ولا أفرط فيك، فأخبرني بحقيقة الأمر وأنا أدبر لك تدبيراً ترتاح به . ثم قربني وبعدي له في الكلام وأريه المحبة وقرريه ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره . فقالت : يا أبت، أنا أعرف كيف اختبره . ثم إنها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته، فقامت له وأخذته من تحت إبطه وخادعته خادعاً زائداً وناهيك بمخادعة النساء إذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها . وما زالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله . فلما رآته مال إليها بكلية قالت له : يا حبيبي يا قرّة عيني يا ثمرة فؤادي، لا أوحش الله ولا فرق الزمان بيني وبينك، فإن محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت أكبادي وليس فيك تفريط أبداً ولكن

مرادي أن تخبرني بالصحيح لأن حيل الكذب غير نافعة لا تنطلي في كل الأوقات، وإلى متى وأنت تنصب وتكذب على أبي؟ وأنا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن ندبر له حيلة فيبطش بك. فاخبرني بالصحيح وما لك إلا ما يسرك، ومتى أخبرتني بحقيقة الأمر لا تخش من شيء يضرّك. فكم تدعي أنك تاجر وصاحب أموال ولك حملة، وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول: حملتي حملتي، ولم بين عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب، فإن كان كلامك ليس له صحة فاخبرني وأنا أدبر لك تدييراً تخلص به إن شاء الله. فقال لها: يا سيدتي، أنا أخبرك بالصحيح ومهما أردت فافعلي. فقالت: قل وعليك بالصدق فإن الصدق سفينة النجاة وإياك والكذب فإنه يفضح صاحبه. والله در من قال: [من السريع]

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ عَمْدًا بِنَارِ الوَعِيدِ
وَأَبْعَ رِضَى اللَّهِ فَأَعْبَى الوَرَى مَنَ اسْخَطَ المَوْلَى وَأَرْضَى العَبِيدِ

فقال: يا سيدتي، أعلمني أنني لست تاجرًا ولا لي حملة ولا كبة حامية وإنما كنت في بلادي رجلاً إسكافياً ولي زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لي معها كذا وكذا. وأخبرها بالحكاية من أولها إلى آخرها. فضحكت وقالت: إنك ماهر في صناعة الكذب والنصب. فقال: يا سيدتي، الله تعالى يبيحك لستر العيوب وفك الكروب. فقالت: أعلم أنك نصبت على أبي وغررته بكثرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم أنلفت ماله، والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك عند أبي ويقول له: إنه نصاب كذاب. ولكن أبي لم يطعه فيما يقول بسبب إنه كان خطبني وأنا لم أرض به أن يكون لي بعلاً وأكون له أهلاً. ثم إن المدة طالت وقد تضايق أبي وقال لي: قرّره. وقد قرّرتك وانكشف الغطاء وأبي مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وأنا لا أفرط فيك، فإن أخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده أنك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك وأذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغتفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس أنني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي، وإذا قتلك أبي ربما يحتاج إلى أن يزوجني إلى آخر وهذا شيء لا أقبله ولو مت. ولكن قم الآن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالي واركب على جواد وسافر إلى بلاد يكون حكم أبي لا ينفذ فيها، واعمل تاجرًا هناك واكتب لي كتاباً وارسله مع ساع يأتيني به خفية لأعلم في أي البلاد أنت حتى أرسل إليك كل ما طالته يدي ويكثر مالك، فإن مات أبي أرسلت إليك فتجيء بإعزاز وإكرام وإذا مت أنت أو مت أنا إلى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا. وهذا هو الصواب وما دمت طيباً وأنا طيبة لا أقطع عنك المراسلة والأموال، قم قبل أن يطلع النهار عليك وتحتار ويحيط بك الدمار. فقال لها: يا سيدتي، أنا في عرضك أن تؤدعيني بوصالك. فقالت: لا بأس. ثم واصلها واغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس أن يشدوا له جواده من الخيل الجياد، فشدوا له جواداً ثم ودّعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار، فصار كل من رآه يظن أنه مملوك من عماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة. فلما أصبح الصباح جاء أبوها هو والوزير إلى قاعة الجلوس وأرسل إليها أبوها فأتت خلف الستارة. فقال لها أبوها: يا بنتي ما تقولين؟ قالت: أقول: سود الله وجهه وزيرك فإنه كان مراده أن يسود وجهي مع زوجي. قال: وكيف ذلك؟ قالت: إنه دخل

عليّ أمس قبل أن أذكر له هذا الكلام وإذا بفرج الطواشي دخل عليّ ويده كتاب وقال : إن عشرة ممالك واقفون تحت شبك القصر واعطوني هذا الكتاب وقالوا لي : قبل لنا ايادي سيدي معروف التاجر واعطه هذا الكتاب فإننا من ممالكه الذين مع الحملة ، وقد بلغنا أنه تزوج بنت الملك فأتينا له لنخبره بما حلّ بنا في الطريق . فأخذت الكتاب وقرأته فرايت فيه من الممالك الخمسمائة إلى حضرة سيدنا التاجر معروف . وبعد ، فالذي نعلمك به أنك بعدما فتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر الفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ، ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيمة ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون يوماً ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة : □ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن بنت الملك قالت لأبيها : إن زوجي جاءه مكتوب من أتباعه مضمونه : إن العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تأخيرنا عنك ، وقد أخذوا منا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكاً . فلما بلغه الخبر قال : خيِّبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لأجل مائتي حمل بضاعة ؟ وما مقدار مائتي حمل ؟ فما كان ينبغي لهم أن يتأخروا من أجل ذلك ، فإن قيمة المائتي حمل سبعة آلاف دينار ولكن ينبغي أني أروح إليهم وأستعجلهم والذي أخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيئاً وأقدر أني تصدقت به عليهم . ثم نزل من عندي ضاحكاً ولم يغمّ على ما ضاع من ماله ولا على قتل ممالكه ، ولما نزل نظرت من شبك القصر فرايت العشرة ممالك الذين أتوا له بالكتاب كأنهم الأقمار ، كل واحد منهم لابس بدلة تساوي الف دينار وليس عند أبي مملوك يشبه واحد منهم . ثم توجه مع الممالك الذين جاؤوا له بالمكتوب ليحييهم بحملته ، والحمد لله الذي معني أن أذكر له شيئاً من الكلام الذي أمرتني به فإنه كان يستهزئ بي وبك وربما كان يراني بعين النقص ويغضني ، ولكن العيب كله من وزيرك الذي يتكلم في حق زوجي كلاماً لا يليق به . فقال الملك : يا بنتي ، إن مال زوجك كثير ولا يفكر في ذلك ، ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء وإن شاء الله عن قريب يأتي بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير . وصار يأخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة . هذا ما كان من أمر الملك . وأما ما كان من أمر التاجر معروف ، فإنه ركب الجواد وسار في البر الأقر وهو متحير لا يدري إلى أي البلاد يروح ؟ وصار من ألم الفراق ينوح وقاسى الوجد واللوعات وأنشد هذه الأبيات : [من الكامل]

عَدَرَ الزَّمَانُ بِشَمَلِنَا فَفَقَّرَنَا	وَالْقَلْبُ ذَابَ مِنَ الْجَفَا وَتَحَرَّقَا
وَالعَيْنُ تَقْطُرُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي	هَذَا الْفِرَاقُ مَتَى يَكُونُ الْمُنْتَقَى
يَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ أَنَا الَّذِي	فِي حَبْكُمُ تَرَكَ الْفُؤَادَ مُمَزَّقَا
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَجْتَمِعْ بِكَ سَاعَةً	مِنْ بَعْدِ طَيْبِ وَصَالِكُمْ دُقْتُ الشَّقَا
مَا زَالَ مَعْرُوفٌ بِدُنْيَا مُغْرَمًا	إِنْ كَانَ مَاتَ صَبَابَةً فَلَهَا الْبَقَا
يَا بَهْجَةَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ أَدْرِكِي	قَلْبًا لِمَعْرُوفِ الْمَحَبَّةِ مُحْرَقَا
يَا هَلْ تُرَى الْآيَامُ تَجْمَعُ شَمَلِنَا	وَنَفُوزُ مِنْهَا بِالْمَسْرَةِ وَاللَّقَا

وَيَضُمُّنَا قَصْرُ الْحَيِّبَةِ بِالْهِنَا وَأَضْمُّ فِيهِ مُعَانِقًا غُصْنَ النَّقَا
 يَا طَلَعَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرَةِ شَمْسُهُ مَا زَالَ وَجْهُكَ بِالْمَحَاسِنِ مُشْرِقًا
 إِنِّي لَرَاضٍ بِالْغَرَامِ وَهَمِّهِ حَيْثُ السَّعَادَةُ فِي الْهَوَى عَيْنُ الشَّقَا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً وقد انسدت الطرقات في وجهه واختار الممات على الحياة. ثم إنه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائراً إلى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلاً حراثاً قريباً منها يحرث على ثورين، وكان قد اشتد به الجوع. فقصد الحراث وقال له: السلام عليكم. فردّ عليه السلام وقال: مرحباً بك يا سيدي، هل أنت من عماليك السلطان؟ قال: نعم. قال: إنزل عندي للضيافة. فعرف أنه من الأجاويد فقال له: يا أخي، ما أنا ناظر عندك شيئاً حتى تطعمني إياه فكيف تعزم عليّ؟ فقال الحراث: يا سيدي، الخير موجود إنزل أنت وها هي البلد قريبة فأروح وأجيء لك بغداء وعليق لحصانك. قال: حيث كانت البلد قريبة فانا أصل إليها في مقدار ما تصل أنت إليها وأشتري مرادي من السوق وأكل. فقال له: يا سيدي، إن البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء. سألتك بالله أن تنزل عندي وتجبر بخاطري وأنا أذهب إليها وأرجع إليك بسرعة. فنزل. ثم إن الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء، فقعده معروف ينتظره ثم قال في نفسه: إننا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن أنا أقوم وأحرث عوضاً عنه حتى يأتي في نظير ما عوقته عن شغله. ثم أخذ الحراث وساق الثيران فحرث قليلاً وعثر الحراث فرأه مشبوكاً في حلقة من الذهب، فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون، فعالج فيه حتى قلعه من مكانه فبان من تحته طابق بسلام، فنزل في تلك السلاّم فرأى مكاناً مثل الحمام بأربعة لوابين. اللبوان الأول: ملآن من الأرض إلى السقف بالذهب. واللبوان الثاني: ملآن زمرداً ولؤلؤاً ومرجاناً من الأرض إلى السقف. واللبوان الثالث: ملآن ياقوتاً وبلخشا وفيروزاً. واللبوان الرابع: ملآن بالاماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر. وفي صدر المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة. وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب. فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحاً شديداً وقال: يا هل ترى أي شيء في هذه العلبة؟ ثم إنه فتحها فرأى فيها خاتماً من الذهب مكتوباً عليه أسماء وطلاسم مثل ديبب النمل، فدعك الخاتم وإذا بقاتل يقول: لبيك لبيك يا سيدي فاطلب تعط، هل تريد أن تحمرّ بلداً أو تخرب مدينة أو تقتل ملكاً أو تحفر نهراً أو نحو ذلك؟ فمهما طلبته فإنه قد صار ياذن الملك الجبار خالق الليل والنهار. فقال له: يا مخلوق ربي، من أنت؟ وما تكون؟ قال: أنا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه، فمهما طلبه من الأغراض قضيته له ولا عذر لي فيما يأمرني به، فإني سلطان على أعوان من الجان وعدة عسكري اثنان وسبعون قبيلة، كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون ألفاً، وكل واحد من الألف يحكم على ألف مارد، وكل مارد يحكم على ألف عون، وكل عون يحكم على ألف شيطان، وكل شيطان يحكم على ألف جنّي، وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرّون على مخالفتي، وأنا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفة من ملكه. وها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك، فاطلب ما شئت فإني سميع لقولك مطيع لأمرك. وإذا احتجت إليّ في أي

وقت في البر أو في البحر فادعك الخاتم تجدني عندك، وإياك أن تدعك مرتين متواليتين فتحرقني بنار الأسماء وتعدمني وتندم عليّ بعد ذلك وقد عرفتك بحالي والسلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن خادم هذا الخاتم لما أخبر معروفًا بأحواله قال له معروف : ما اسمك ؟ قال : إسمي أبو السعادات . فقال له : يا أبا السعادات، ما هذا المكان ؟ ومن أرسدك في هذه العلبة ؟ قال له : يا سيدي، هذا المكان كنز يقال له : كنز شداد بن عاد الذي عمّر إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وأنا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزها ولكنه نصيبك . فقال له معروف : هل تقدر أن تخرج ما في هذا الكنز على وجه الأرض ؟ قال : نعم أسهل ما يكون . قال : أخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيئاً . فأشار بيده إلى الأرض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة وإذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهباً، وفرغوها ثم راحوا وجاؤوا بغيرها . ولا زالوا ينقلون من الذهب والجواهر، فلم تمض ساعة حتى قالوا : ما بقي في الكنز شيء . ثم طلع له أبو السعادات وقال له : يا سيدي، قد رأيت أن جميع ما في الكنز قد نقلناه . فقال له : ما هذه الأولاد الحسان ؟ قال : هؤلاء أولادي لأن هذه الشغلة لا تستحق أن أجمع لها الأعوان وأولادي قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك، فاطلب ماتريد غير هذا ؟ قال له : هل تقدر أن تجيء لي ببغال وصناديق وتحطّ هذه الأموال في الصناديق وتحمل الصناديق على البغال ؟ قال : هذا أسهل ما يكون . ثم إنه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة . فقال لهم : لينقلب بعضكم في صورة البغال، وبعضكم في صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك، وبعضكم في صورة المكارية، وبعضكم في صورة الخدامين . ففعلوا كما أمرهم . ثم صاح على الأعوان فحضروا بين يديه فأمرهم أن ينقلب بعضهم في صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر . فلما رأى معروف ذلك قال : أين الصناديق ؟ فأحضروهم بين يديه قال : عبّو الذهب والمعادن كل صنف وحده . فعبّوها وحملوها على ثلاثمائة بغل . فقال معروف : يا أبا السعادات، هل تقدر أن تجيء لي بأحمال من نفيس القماش ؟ قال : أتريدها قماشاً مصرياً أو شامياً أو عجمياً أو هندياً أو رومياً ؟ قال : هات من قماش كل بلد مائة حمل على مائة بغل . قال : يا سيدي، أعطني مهلة حتى أرتب أعواني لذلك وأمر كل طائفة أن تروح إلى بلد لتجيء بمائة حمل من قماشها وينقلب الأعوان في صورة البغال ويأتون حاملين البضائع . قال : ما قدر زمن المهلة ؟ قال : مدة سواد الليل، فلا يطلع النهار إلا وعندك جميع ما تريد . قال : أمهلتك هذه المدة . ثم إنه أمرهم أن ينصبوا له خيمة . فنصبوها وجلس وجاؤوا له بسماط وقال له أبو السعادات : يا سيدي، إجلس في الخيمة وهؤلاء أولادي بين يديك يحرسونك ولا تخش من شيء، وأنا رايح أجمع أعواني وأبعثهم ليقضوا حاجتك . ثم ذهب أبو السعادات إلى حال سبيله وجلس معروف في الخيمة والسماط قدامه وأولاد أبي السعادات بين يديه في صورة المماليك والخدم والحشم . فبينما هو جالس على تلك الحالة وإذا بالرجل الفلاح أقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخللة ممتلئة شعيراً، فرأى

فلما كانت الليلة
996
الليلة

الخيمة منصوبة والماليك واقفة وأيديهم على صدورهم ، فظن أنه السلطان أتى ونزل في ذلك المكان . فوقف باهتاً وقال في نفسه : يا ليتني كنت ذبحت فرختين وحمّرتهما بالسمن البقري من شأن السلطان . وأراد أن يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرأه معروف ، فزقق عليه وقال للماليك : هاتوه . فحملوه هو والقصة العدس وأتوا بهما قدماه . فقال له : ما هذا؟ قال : هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذني فإنني ما كنت أظن أن السلطان يأتي إلى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة . فقال معروف : إن السلطان لم يجيء وإنما أنا نسيبه وكنت مغبوناً منه وقد أرسل إليّ مماليكه فصالحوني ، وأنا الآن أريد أن أرجع إلى المدينة وأنت قد عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدساً فأنا ما أكل إلا من ضيافتك . ثم أمره بوضع القصة في وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى ، وأما الفلاح فإنه ملا بطنه من تلك الألوان الفاخرة . ثم إن معروفاً غسل يديه وأذن للماليك في الأكل فنزلوا على بقية السماط وأكلوا ، ولما فرغت القصة ملأته ذهباً وقال له : أوصلها إلى منزلك وتعال عندي في المدينة وأنا أكرمك . فاخذ القصة ملأته ذهباً وساق الثيران وراح إلى بلده وهو يظن أنه نسيب الملك . ويات معروف تلك الليلة في أنس وصفاء وجاؤوا له ببناات من عرائس الكنوز ، فدقوا الآلات ورقصوا قدماه وقضى ليلته وكانت لا تعد من الأعمار . فلما أصبح الصباح لم يشعر إلا والغبار قد علا وطار وانشكف عن بغال حاملة أحماً ، وهي سبعمائة بغل حاملة أقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وأبو السعادات راكب على بغلة وهو في صورة مقدم الحملة ، وقدماه تختروان له أربع عساكر من الذهب الأحمر الوهاج مرصعة بالجواهر . فلما وصل إلى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبّل الأرض وقال : يا سيدي ، إن الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثل لها من ملابس الملوك ، فالبسها واركب في التختروان وأمرنا بما تريد . فقال له : يا أبا السعادات ، مرادي أن أكتب لك كتاباً تروح به إلى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمي الملك ولا تدخل عليه إلا في صورة ساع أنيس . فقال له : سمعاً وطاعة . فكتب كتاباً وختمه فأخذه أبو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرأه يقول : يا وزير ، إن قلبي على نسيبي وأخاف أن تقتله العرب ، يا ليتني كنت أعرف أين يذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر . وباليته كان أخبرني بذلك قبل الذهاب . فقال له الوزير : الله يلطف بك على هذه الغفلة التي أنت فيها ، وحياء رأسك إن الرجل عرف أننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو إلا كذاب نصاب . وإذا بالساعي داخل فقبّل الأرض بين يدي الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء . فقال له الملك : من أنت؟ وما حاجتك؟ فقال له : أنا ساع أرسلني إليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل إليك معي كتاباً وها هو . فأخذه وقرأى فيه : بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز ، فإنني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر . فقال الملك : سوّد الله وجهك يا وزير ، كم تقدح في عرض نسيبي وتجعله كذاباً نصاباً وقد أتى بالحملة ، فما أنت إلا خائن . فاطرق الوزير رأسه إلى الأرض حياءً وخجلاً وقال : يا ملك الزمان ، أنا ما قلت هذا الكلام إلا لطول غياب الحملة وكنت خائفاً على ضياع المال الذي صرفه . فقال : يا خائن ، أي شيء أموالك حيثما أنت حملته؟ فإنه يعطيني عوضاً عنها شيئاً كثيراً . ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها : لك البشارة ، إن زوجك عن قريب يجيء بحملته وقد

أرسل إليّ مكتوباً بذلك وما أنا طالع لملاقاته . فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها : إن هذا شيء عجيب ، هل كان يهزأ بي ويتمسخر عليّ أو كان يختبرني حين أخبرني بأنه فقير ؟ ولكن الحمد لله حيث لم يقع مني تقصير في حقّه . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر التاجر علي المصري فإنه لما رأى الزينة سال عن سبب ذلك فقالوا له : إن التاجر معروف نسيب الملك قد أتت حملته . فقال : الله أكبر ، ما هذه الداهية ؟ إنه قد أتاني هارباً من زوجته وكان فقيراً فمن أين جاءت له حملة ؟ ولكن لعل بنت الملك دبّرت له حيلة خوفاً من الفضيحة والمملوك لا تعجز عن شيء ، فالله تعالى يستره ولا يفضحه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة كانت التجارة 997 كانت الليلة

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن التاجر علي لما سأل عن الزينة أخبروه بحقيقة الحال . فدعا له وقال : الله يستره ولا يفضحه . وسائر التجار فرحوا وانسروا لأجل أخذ أموالهم . ثم إن الملك جمع العسكر ، وطلع وكان أبو السعادات قد رجع إلى معروف وأخبره بأنه بلغ الرسالة . فقال معروف : حملوا . فحملوا وليس البدلة الكنوزية وركب

في التختروان وصار أعظم وأهيب من الملك بالف مرة ومشى إلى نصف الطريق ، وإذا بالملك قابله بالعسكر . فلما وصل إليه رآه لأبساً تلك البدلة وراكباً في التختروان ، فرمى روحه عليه وسلّم عليه وحيّاه بالسلام وجميع أكابر الدولة سلّموا عليه وبان أن معروفاً صادق ولا كذب عنده . ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الأسد ، وسعت إليه التجار وقبلوا الأرض بين يديه . ثم إن التاجر علي قال : قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين ، ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله . فضحك معروف ، ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال : أدخلوا أحمال الذهب في خزانة عمي الملك وهاتوا أحمال الاقمشة فقدموها له . وصاروا يفتحونها حملاً بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل ، فنقى أطيبها وقال : أدخلوه للملكة لتفرقه على جواربها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وأدخلوه لها لتفرقه على الجوّاري والخدم ، وصار يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الاقمشة في نظير ديونهم ، والذي له ألف يعطيه قماشاً يساوي ألفين أو أكثر ، وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر أن يعترض عليه . ولم يزل يعطي ويهب حتى فرّق السبعمائة حمل . ثم التفت إلى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمرداً وياقوت ولؤلؤاً ومرجاناً وغير ذلك ، وصار لا يعطي الجواهر إلا بالكبش من غير عدد . فقال له الملك : يا ولدي ، يكفي هذا العطاء لأنه لم يبق من الحملة إلا القليل . فقال له : عندي كثير . واشتهر صدقه وما بقي أحد يقدر أن يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لأن الخادم يحضر له مهما طلب . ثم إن الخازن دار أتى للملك وقال : يا ملك الزمان ، إن الخزانة امتلأت وصارت لا تسع بقية الاحمال وما بقي من الذهب والمعادن أين نضعه ؟ فأشار له إلى مكان آخر . ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها : يا هل ترى من أين جاء له كل هذا الخير ؟ وكذلك التجار فرحوا بما أعطاهم ودعوا له . وأما التاجر علي فإنه صار متعجباً ويقول في نفسه : يا ترى ، كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها ؟ فإنها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء . ولكن ما أحسن قول من قال : [من المتقارب]

مَلِكُ الْمَلُوكِ إِذَا وَهَبَ لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ السَّبَبِ
اللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ ءُفَكُنْ عَلَى حَدِّ الْأَدَبِ

هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الملك فإنه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه يبذل المال . ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهي متبسمة ضاحكة فرحانة وقبّلت يده وقالت : هل كنت تتمسخر عليّ أو كنت تجرّيني بقولك أنا فقير وهارب من زوجتي ؟ والحمد لله حيث لم يقع مني في حقّ تقصير وأنت حبيبي وما عندي أعز منك ، سواء كنت غنياً أو فقيراً ، وأريد أن تخبرني ما قصدت بهذا الكلام ؟ قال : أردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شأن المال وطمع الدنيا ؟ فظهر لي أن محبتك خالصة ، وحيث كنت صادقة في المحبة فمرحّباً بك وقد عرفت قيمتك . ثم إنه اختل في مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له أبو السعادات وقال له : لبيك فاطلب ما تريد . قال : أريد منك بدلة كنوزية لزوجتي وحلياً كنوزياً مشتملاً على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة . قال : سمعاً وطاعة . ثم أحضر له ما أمره به ، فحمل البدلة والحلي بعد أن صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعها بين يديها وقال لها : خذي والبسي فمرحّباً بك . فلما نظرت إلى ذلك ، طار عقلها من فرحتها ورات من جملة الحلبي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة وأساور وحلقاً وخزماً لا يتقوم بثمنها أموال ، فلبست البدلة والحلي ثم قالت : يا سيدي ، مرادي أن أدخرها للمواسم والأعياد . قال : البسيها دائماً فإن عندي غيرها كثير . فلما لبستها ونظرها الجوّاري فرحن وقبّلت يديه فتركهنّ واختلى بنفسه . ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له : هات مائة بدلة بمصاغها . فقال : سمعاً وطاعة . ثم أحضر له البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها ، فأخذها وزعق على الجوّاري فأتين إليه ، فأعطى كل واحدة بدلة . فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين ، وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم . ثم إن بعض الجوّاري أخبر الملك بذلك ، فدخل الملك على ابنته فرآها تدهش من رآها ، هي وجوّاريها : فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج وأحضر وزيره وقال له : يا وزير ، إنه حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الأمر ؟ قال : يا ملك الزمان ، إن هذه الحالة لا تقع من التجار لأن التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعهما إلا بمكسب ، فمن أين للتجار كرم مثل هذا الكرم ؟ ومن أين لهم أن يحوزوا مثل هذه الأموال والجواهر التي لا يوجد منها عند الملوك إلا قليل ؟ فكيف يوجد عند التجار منها أحمال ؟ فهذا لا بد له من سبب ، ولكن إن طواعنتي أبين لك حقيقة الأمر . فقال له : اطوئك يا وزير . فقال له : اجتمع عليه ووادده وتحدّث معه وقل له : يا نسيبي ، في خاطري أن أروح أنا وأنت والوزير من غير زيادة بستاناً لأجل النزهة ، فإذا خرجنا إلى بستان نحط سفرة المدام واغصب عليه واسقيه ، ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة أمره فإنه يخبرنا بأسراره . والمدام فضّاح والله درّ من قال : [من الطويل]

وَلَمَّا شَرَبْنَا وَدَبَّ دَيْبُهَا إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا : قِنِّي
مَخَافَةَ أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ شِعَاعُهَا فَتُظْهِرُ نَدْمَانِي عَلَى سِرِّي الْخِنِّي

ومتى أخبرنا بحقيقة الأمر فإننا نطّلع على حاله ونفعل به ما نحب ونختار ، فإن الحالة التي هو

فيها أخشى عليك من عواقبها، فربما تطمع نفسه في الملك فيشتمل العسكر بالكرم وبذل المال ويعزلك ويأخذ الملك منك. فقال له الملك: صدقت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
998
كانت الليلة

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الوزير لما دبر للملك هذا التدبير قال له: صدقت. وباتا متفقين على هذا الأمر. فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى المقعد وجلس وإذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكرويين. فقال لهم: ما الذي أصابكم؟ قالوا: يا ملك الزمان، إن السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التي جاءت بالحملة، فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الإصطبلات فما رأينا خيلاً ولا بغالاً ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه أحداً ولم نعرف كيف هربوا. فتعجب الملك من ذلك لأنه ظن أن الأعوان كانوا خيلاً وبغالاً ومماليك ولم يعلم أنهم كانوا أعوان خدام الرصد. فقال لهم: يا ملاعين، ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم؟ فقالوا: ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا. فقال: انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم واخبروه بالخبر. فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين في هذا الأمر. فبينما هم جالسون على تلك الحالة وإذا بمعروف قد خرج من الحريم فرأهم مغتمين فقال لهم: ما الخبر؟ فأخبروه بما حصل. فقال: وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم؟ أمضوا إلى حال سييلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الأمر. فظل الملك في وجه الوزير وقال: أي شيء هذا الرجل الذي ليس للمال عنده قيمة؟ فلا بد لذلك من سبب. ثم إنهم تحدثوا معه ساعة وقال الملك: يا نسيبي، خاطري أن أروح أنا وانت والوزير بستاناً لأجل النزهة فما تقول؟ قال: لا بأس. ثم إنهم ذهبوا وتوجهوا إلى بستان فيه من كل فاكهة زوجان، انهاره دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة، ودخلوا فيه قصرًا يزيل عن القلوب الحزن، وجلسوا يتحدثون والوزير يحكي غريب الحكايات ويأتي بالنتك المضحكات والألغاز المطربات ومعروف مصنع إلى الحديث حتى طلع الغداء وخطوا سفرة الطعام وباطية المدام، وبعد أن أكلوا وغسلوا أيديهم ملاً الوزير الكأس وأعطاه للملك فشربه، وملا الثاني وقال لمعروف: هاك كأس الشراب الذي تخضع لهيبته أعناق الألباب. فقال معروف: ما هذا يا وزير؟ قال الوزير: هذه البكر الشميطاء والعانس العذراء ومهدية السرور إلى السرائر التي قال فيها الشاعر: [من البسيط]

بِالدُّوسِ فَانْتَصَفَتْ مِنْ أَرُوسِ الْعَرَبِ
أَلْحَاطُهُ لِلْمَعَاصِي أَوْ كَدُّ السَّبَبِ

كَانَتْ لَهَا أَرْجُلُ الْأَعْلَاجِ دَائِرَةٌ
يَسْقِيكُمَا مِنْ بَنِي الْكُفَّارِ بَدْرُ دُجَى

ولله در القائل: [من الكامل]

إِذْ قَامَ يَجْلُوهَا عَلَى النَّدْمَاءِ
بَدْرُ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ
تَجْرِي كَمَجْرَى الرُّوحِ فِي الْأَعْضَاءِ

فَكَانَتْهَا وَكَأَنَّ حَامِلَ كَأْسِهَا
شَمْسُ الضُّحَى رَقَصَتْ فَنَقَطَ وَجْهَهَا
رَقَّتْ فَكَادَتْ مِنْ لَطِيفِ مِزَاجِهَا

وما أحسن قول الشاعر: [من البسيط]

والشَّمْسُ فِي فَلَكِ الكَاسَاتِ لَمْ تَأْفَلِ
لَهَا المَجُوسُ مِنَ الإِيرَاقِ تَسْجُدُ لِي

وَبَاتَ بَدْرُ تَمَامِ الحُسْنِ مُعْتَنِّي
وَيْتٌ أَنْظَرُ لِلنَّارِ التِّي سَجَدَتْ

وقول الآخر: [من الرمل]

كَتَمَشِي البُرِّ فِي السَّقَمِ

وَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ

وقول الآخر: [من الوافر]

وَقَدْ تَرَكُوا لَنَا مَاءَ الحَيَاةِ

عَجِبْتُ لِعَاصِرِهَا كَيْفَ مَاتُوا

وأحسن من ذلك قول أبي نواس: [من البسيط]

وَدَاوِنِي بِأَلْتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتُهُ سَرَاءُ
فَلَا حَ مِنْ ضَوْنِهَا فِي البَيْتِ لِأَلَاءِ
فَلَا تُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاؤُوا
لَهَا مُجِبَانٌ لُوَطِيٌّ وَزَنَاءُ
حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

دَعُ عَنكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الأَحْزَانُ سَاحَتَهَا
قَامَتْ بِإِيرَاقِهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ
طَافَتْ عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ
مِنْ كَفِّ ذَاتِ حِرِّ فِي زِيِّ ذِي ذَكَرٍ
وَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي العِلْمِ مَعْرِفَةٌ

وأحسن من الجميع قول ابن المعتز: [من البسيط]

وَدَيْرَ عِبْدُونَ هَطَّالٌ مِنَ المَطْرِ
فِي غَرَّةِ الفَجْرِ والعُصْفُورُ لَمْ يَطِيرِ
سُودِ المَدَارِعِ نَعَائِينَ فِي السَّحْرِ
بِالغُنْجِ يُطْبِقُ جَفْنِيهِ عَلَى حَوْرِ
يُسْتَعْجَلُ الخَطْوَةَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرِ
ذُلًّا وَأَسْحَبُ أذْيَالِي عَلَى أَثْرِي
مِثْلُ القَلَامَةِ قَدْ قَدَّتْ مِنَ الطُّفْرِ
فَظَنُّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الخَبْرِ

سَقَى الجَزِيرَةَ ذَاتَ الظَّلِّ والشَّجَرِ
فَطَالَمَا تَبَهَّتَنِي لِلصَّبُوحِ بِهَا
أَصْوَاتُ رُهْبَانِ دَيْرٍ فِي صَلَاتِهِمْ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَلِيحِ الشُّكْلِ مُكْتَحِلِ
وَزَارِنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا
وَقُمْتُ أَفْرَسُ خَدْيِي فِي الطَّرِيقِ لَهُ
وَلَا حَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا
وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أذْكَرُهُ

ولله در القائل: [من مجزوء الرجز]

مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَحِ
أَكْتَالُهُ بِالْقَدْحِ

أَصْبَحْتُ مِنْ أَعْنَى الوَرَى
عِنْدِي نُضَارٌ ذَائِبٌ

وما أحسن قول الشاعر: [من البسيط]

وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي أَبْوَابِهَا كَذِبٌ
يَعُودُ فِي الحَيْنِ أَفْرَاحًا وَيَنْقَلِبُ

تَاللهِ مَا الكِيمِيَا فِي غَيْرِهَا وَجِدَتْ
قِيرَاطُ خَمْرٍ عَلَى القِنْطَارِ مِنْ حَزَنِ

وقول الآخر: [من الكامل]

ثَقُلْتُ زُجَاجَاتُ أَتَيْنَا فَرَعَا
حَقَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ مَعَ الْهَوَى
حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصَرْفِ الرَّاحِ
وَكَذَا الْجُسُومُ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ

وقول الآخر: [من الطويل]

وَاللِّكَاسِ وَالصَّهْبَاءِ حَقٌّ مُعْظَمٌ
إِذَا مِتُّ فَادْفُنِّي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ
وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ لَا تَضِيعَ حُقُوقُهَا
تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا
وَلَا تَدْفُنِّي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي
أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لَا أَدُوقُهَا

وما زال يرغب في الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الأشعار ولطائف الاخبار حتى مال إلى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح ، وما زال يملأه وهو يشرب ويستلذ ويضطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميز خطاه من صوابه . فلما علم أن السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له : يا تاجر معروف ، والله إنني متعجب من أين وصلت إليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة ؟ وعمرنا ما رأينا تاجراً حاز أموالاً مثلك ولا أكرم منك فإن أفعالك أفعال ملوك وليست أفعال تجار ، فبالله عليك أن تخبرني حتى أعرف قدرك ومقامك . وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف : أنا لست تاجراً ولا من الملوك ، وأخبره بحكايته من أولها إلى آخرها . فقال له : بالله عليك يا سيدي معروف ، إنك تفرجنا على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته . فقلع الخاتم وهو في حال سكره وقال : خذوا تفرجوا عليه . فأخذه الوزير وقلبه وقال : هل إذا دعكته يحضر الخادم ؟ قال : نعم ادعكه يحضر لك وتفرج عليه . فدعكه وإذا بقاتل يقول : لبيك يا سيدي اطلب تعط ، هل تخرب مدينة أو تعمر مدينة أو تقتل ملكاً ؟ فمهما طلبته فإني أفعله لك من غير خلاف . فأشار الوزير إلى معروف وقال للخادم : إحمل هذا الخاسر ثم ارمه في أوحش الأراضي الخراب حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمدأ ولم يدر به أحد . فحفظه الخادم وطار به بين السماء والأرض ، فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الإرتباك فبكى وقال : يا أبا السعادات ، إلى أين أنت رايح بي ؟ فقال له : أنا رايح أرميك في الربع الخراب يا قليل الأدب ، من يملك رسداً مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه ؟ لكن تستاهل ما حل بك ولولا أنني أخاف الله لميتك من مسافة ألف قامة فلا تصل إلى الأرض حتى تمرقك الرياح . فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به إلى الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخلاه في الأرض الموحشة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ قالت : بلغني أيها الملك السعيد ، أن الخادم أخذ معروفًا ورماه في الربع الخراب ورجع وخلاه . هذا ما كان من أمره . وأما ما كان من أمر الوزير فإنه لما ملك الخاتم قال للملك : كيف رأيت ؟ أما قلت لك إن هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقني . فقال له : الحق معك يا وزير الله يعطيك العافية ، هات هذا الخاتم حتى أتفرج عليه . فالتفت إليه الوزير بالغضب ويصق في وجهه وقال له : يا قليل العقل ، كيف أعطيه لك وأبقى خدامك بعد أن صرت

فلما كانت الليلة
كانت
999
كانت
الليلة

سيدك؟ ولكن أنا ما بقيت أبقيك . ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له : إحمل هذا القليل الأدب وارمه في المكان الذي رميت فيه نسيبه النصاب . فحمله وطار به فقال له الملك : يا مخلوق ربي ، أي شيء ذنبي ؟ قال له الخادم : لا أدري وإنما أمرني سيدي بذلك وأنا لا أقدر أن أخالف من ملك خاتم هذا الرصد . ولم يزل طائراً به حتى رماه في المكان الذي فيه معروف ثم رجع وتركه هناك . فسمع معروف يبكي فأتى له وأخبره وقعدا يبكيان على ما أصابهما ، ولم يجدا أكلاً ولا شرباً . هذا ما كان من أمرهما . وأما ما كان من أمر الوزير فإنه بعدما شئت معروفًا والمملك قام وخرج من البستان وأرسل إلى جميع العسكر وعمل ديواناً وأخبرهم بما فعل مع معروف والمملك وأخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم : إن لم تعملوني عليكم سلطاناً أمرت خادماً الخاتم أن يحملكم جميعاً ويرميكم في الربيع الخراب فتموتوا جوعاً وعطشاً . فقالوا له : لا تفعل معنا ضرراً فإننا قد رضينا بك علينا سلطاناً ولا نعصي لك أمراً . ثم إنهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهراً عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبي السعادات كل ما أرادته فيحضره بين يديه في الحال . ثم إنه جلس على الكرسي وأطاعه العسكر وأرسل إلى بنت الملك يقول لها : حضري روحك فإنني داخل عليك في هذه الليلة لأنني مشتاق إليك . فبكت وصعب عليها أبوها وزوجها ثم إنها أرسلت تقول له : امهلني حتى تنقضي العدة ثم اكتب وادخل علي في الحلال . فأرسل يقول لها : أنا لا أعرف عدة ولا طول مدة ولا احتاج إلى كتاب ولا أعرف حلالاً من حرام ولا بد من دخولي عليك في هذه الليلة . فأرسلت تقول له : مرحباً بك ولا بأس بذلك ، وكان ذلك مكرراً منها . فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لأنه كان مغرمًا بحبها ثم إنه أمر بوضع الأطعمة بين جميع الناس وقال : كلوا هذا الطعام فإنه وليمة الفرح فإنني أريد الدخول على الملكة في هذه الليلة . فقال شيخ الإسلام : لا يحلّ لك الدخول عليها حتى تنقضي عدتها وتكتب كتابك عليها . فقال له : أنا لا أعرف عدة ولا مدة فلا تكثر عليّ كلاماً . فسكت شيخ الإسلام وخاف من شره وقال للعسكر : إن هذا كافر ولا دين له ولا مذهب له . فلما جاء المساء دخل عليها فرأها لابسة أفخر ما عندها من الثياب ومزينة بأحسن الزينة . فلما رآته قابلته وهي ضاحكة وقالت له : ليلة مباركة ولو كنت قتلت أبي وزوجي لكان أحسن عندي . فقال لها : لا بد أن أقتلها . فأجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد . فلما لاطفته وتبسمت في وجهه طار عقله وإنما خادعته بالملاطفة حتى تظهر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على أم ناصبته . وما فعلت معه هذه الفعال إلا على رأي من قال : [من مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ بَلَغْتُ بِحِيلَتِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُ بِالسُّؤْفِ
ثُمَّ أَتَيْتُ بِمَغْتَمٍ حُلُوَ الْمَجَانِي وَالْقَطُوفِ

فلما رأى الملاطفة والإبتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال . فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت : يا سيدي ، أما ترى للرجل الناظر إلينا؟ بالله عليك أن تسترني عن عينه . فكيف توصلني وهو ينظر إلينا؟ فاغتاظ وقال : أين الرجل؟ قالت : ها هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر إلينا؟ فظن أن خادماً الخاتم ينظر إليهما فضحك وقال : لا تخافي إن هذا خادماً الخاتم وهو تحت طاعتي . قالت أنا أخاف من العفاريت فاقلعه وارمه بعيداً عني . فقلعه وحطه

على الخدّة ودنا منها فرفسته برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشياً عليه، وزعقت على أتباعها فأتوها بسرعة فقالت: امسكوه. فقبض عليه أربعون جارية، وعجلت بأخذ الخاتم من فوق الخدّة ودعكته وإذا بأبي السعادات أقبل يقول: لبيك يا سيدتي. فقالت: إحمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقل قيوده. فأخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها: قد سجنته. فقالت له: أين ذهبت بأبي وزوجي؟ قال: رميتهما في الربع الخراب. قالت: أمرتك أن تأتيني بهما في هذه الساعة. فقال: سمعاً وطاعة ثم طار من قدامها. ولم يزل طائراً إلى أن وصل إلى الربع الخراب ونزل عليهما فرأهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما. فقال لهما: لا تخافا قد أتاكم الفرج. وأخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما: إني قد سجنته بيدي طاعة لها ثم أمرتني بإرجاعكما. ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما، فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك، فقامت وسلّمت على أبيها وزوجها واجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة، وفي ثاني يوم البست أباها بدلة فاخرة والبست زوجها بدلة فاخرة وقالت: يا أبت، أقعد أنت على كرسيك ملكاً على ما كنت عليه أولاً واجعل زوجي وزير ميمنة عندك واخبر عسكريك بما جرى وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه، فإنه كافر وأراد أن يدخل عليّ سفاحاً من غير نكاح، وشهد على نفسه إنه كافر وليس له دين يتدين به، واستوص بنسيك الذي جعلته وزير ميمنة عندك. فقال لها: سمعاً وطاعة يا بنتي، ولكن أعطيني الخاتم أو أعطيه لزوجك. فقالت: إنه لا يصلح لك ولا له وإنما الخاتم يكون عندي وربما أحميه أكثر منكما، ومهما أردتماه فاطلباه مني وأنا أطلب لكما من خادم الخاتم ولا تخشيا بأساً ما دمت أنا طيبة، وبعد موتي فشانكما والخاتم. فقال أبوها: هذا هو الرأي الصواب يا بنتي. ثم أخذ نسييه وطلع إلى الديوان وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من أنه دخل عليها سفاحاً من غير نكاح وأساء الملك ونسييه وخافوا أن تنتهك شريعة الإسلام لأنه بان لهم أنه كافر. ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعتفون شيخ الإسلام ويقولون له: لماذا ما منعتنا من الدخول على الملكة سفاحاً؟ فقال لهم: يا ناس، إن الرجل كافر وصار مالكاً لخاتم، وأنا وأنتم لا يخرج من أيدينا في حقّه شيء فإله تعالى يجازيه بفعله واسكتوا أنتم لثلاثيقتلكم. فبينما العساكر مجتمعون في الديوان يتحدثون في هذا الكلام وإذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعه نسييه معروف. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

□ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العساكر من شدة غيظهم جلسوا في الديوان يتحدثون في شأن الوزير وما فعل بالملك ونسييه وبنته وإذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعه نسييه معروف. فلما رآته العساكر فرحوا بقدمه وقاموا له على الأقدام وقبلوا الأرض بين يديه. ثم جلس على الكرسي وأخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وأمر بزيئة المدينة وأحضر الوزير من الحبس. فلما مرّ بالعساكر صاروا يلعنونه ويشتمونه ويوبّخونه حتى وصل إلى الملك. فلما تمثّل بين يديه أمر بقتله أشنع قتلة. فقتلوه ثم حرقوه وراح إلى سقر في أسوأ الأحوال. وأجاد فيه من قال: [من الطويل]

فلما كانت الليلة
التي كان فيها
1000
العساكر
التي كان فيها

فَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ تُرْبَةً عَظِيمَةً وَلَا زَالَ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ

ثم إن الملك جعل معروفًا وزير ميمنة عنده وطابت لهم الاوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات. وفي السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانا مكان ابيها ولم تعطه الخاتم، وكانت في هذه المدة حملت منه ووضعت غلاماً بديع الجمال بارع الحسن والكمال. ولم يزل في حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات، فمرضت امه مرض الموت فاحضرت معروفاً وقالت له: انا مريضة. قال لها: سلامتك يا حبيبة قلبي. قالت له: ربما اموت فلا محتاج إلي اني اوصيك على ولدك وإنما اوصيك بحفظ الخاتم خوفاً عليك وعلى هذا الغلام. فقال: ما على من يحفظه الله بأس. فقلعت الخاتم وأعطته له وفي ثاني يوم توفيت إلى رحمة الله تعالى، وأقام معروف ملكاً وصار يتعاطى الاحكام. فاتفق له في بعض الايام انه نفذ المنديل فانفضت العساكر من قدامه إلى اماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالإعتكار، فدخل عليه ارباب منادته من الأكابر على عاداتهم وسهروا عنده من أجل البسط والإشراح إلى نصف الليل ثم طلبوا الإجازة بالإصراف فأذن لهم وخرجوا من عنده إلى بيوتهم. وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه، ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة والبسته بدلة النوم واضطجع، فصارت تكبس أقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت إلى مرقدتها ونامت. هذا ما كان من امرها. وأما ما كان من أمر الملك معروف فإنه كان نائماً فلم يشعر إلا وشيء بجانبه في الفراش فانتبه مرعوباً وقال: اعود بالله من الشيطان الرجيم. ثم فتح عينه فرأى في جانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها: من أنت قالت: لا تخف انا زوجتك فاطمة العرة. فنظر في وجهها عرفها بمسحة صورتها وطول أنيابها وقال: من أين دخلت علي؟ ومن جاء بك إلى هذه البلاد؟ فقالت له: في أي البلاد أنت في هذه الساعة؟ قال: في مدينة خيتان الختن، وأنت متى فارقت مصر؟ قالت: في هذه الساعة. قال لها: وكيف ذلك؟ قالت: أعلم اني لما تشاجرت معك وقد اغراني الشيطان على ضررك واشتكيته إلى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما راوك، وبعد أن مضى يومان لحقتني الندامة وعلمت أن العيب عندي وصار الندم لا ينفعني، وقعدت مدة أيام وأنا أبكي على فراقك، وقلّ ما في يدي واحتججت إلى السؤال لأجل القوت فصرت أسأل كل مغبوط وعمقوت، ومن حين فارقتني وأنا أكل من ذلّ السؤال وصرت في أسوأ الاحوال، وكل ليلة أقعد أبكي على فراقك وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذلّ والهوان والتعسة والخسران. وصارت تحدّثه بما جرى لها وهو باهت فيها إلى أن قالت: وفي أمس درت طول النهار أسأل فلم يعطني أحد شيئاً وصرت كلما أقبل عليّ أحد وأسأله كسرة يشتمني ولا يعطيني شيئاً. فلما أقبل الليل بتّ من غير عشاء فأحرقني الجوع وصعب عليّ ما قاسيت وقعدت أبكي وإذا بشخص تصور قدامي وقال لي: يا امراة، لاي شيء تبكين؟ فقلت: إنه كان زوج يصرف عليّ ويقضي أغراضي وقد فقد مني ولم أعرف أين راح وقد قاسيت الغلب من بعده. فقال: ما اسم زوجك؟ قلت: اسمه معروف. قال: انا أعرفه، اعلمي ان زوجك الآن سلطان في مدينة وإن شئت أن أوصلك إليه أفعل ذلك. فقلت له: انا في عرضك أن توصلني إليه. فحملني وطار بي بين السماء والأرض حتى أوصلني

إلى هذا القصر وقال : ادخلي في هذه الحجرة تري زوجك نائماً على السرير . قدخلت فرايتك في هذه السيادة وأنا ما كان في أملي أنك تفوتني وأنا رفيقتك والحمد لله الذي جمعني عليك . فقال لها : هل أنا فتك أو أنت التي فتني ؟ وأنت تشكيني من قاض إلى قاض وختمت ذلك بشكايتي إلى الباب العالي حتى نزلت عليّ أبا طبق من القلعة فهربت قهراً عني . وصار يحكي لها على ما جرى له إلى أن صار سلطاناً وتزوج بنت الملك وأخبرها بأنها ماتت وخلف منها ولداً صار عمره سبع سنين . فقالت له : الذي جرى مقدّر من الله تعالى وقد ثبت وأنا في عرضك أنك لا تفوتني ودعني أكل عندك العيش على سبيل الصدقة . ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها : توبي عن الشرّ واقعدي عندي وليس لك إلا ما يسرك فإن عملت شيئاً من الشر اقتلك ولا أخاف من أحد ، فلا يخطر ببالك أنك تشكيني إلى الباب العالي وينزل لي أبو طبق من القلعة ، فإني صرت سلطاناً والناس تخاف مني وأنا لا أخاف إلا من الله تعالى ، فإن معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه أبو السعادات ومهما طلبته منه يجيئني به ، فإن كنت تريدين الذهاب إلى بلدك أعطيك ما يكفيك طول عمرك وأرسلك إلى بلادك بسرعة ، وإن كنت تريدين القعود عندي فإني أخلي لك قصراً وأفرش لك من خاص الحرير وأجعل لك عشرين جارية تخدمك وأرتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي أو أموت أنا . فما تقولين في هذا الكلام ؟ قالت : أنا أريد الإقامة عندك . ثم قبلت يده وتابت عن الشر فأفرد لها قصراً وحدها وأنعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة . ثم إن الولد صار يذهب عندها وعند أبيه فكرهت الولد لكونه ما هو ابنها . فلما رأى الولد منها عين الغضب والكرهة نفر منها وكرهها . ثم إن معروفاً اشتغل بحب الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة لأنها صارت عجوزاً شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء أقبح من الحية الرقطاء ، خصوصاً وقد أساءته إساءة لا مزيد عليها . وصاحب المثل يقول : الإساءة تقطع أصل المطلوب وتزرع البغضاء في أرض القلوب . والله درّ القائل : [من الكامل]

إِحْرَصْ عَلَى فَرْطِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَعْسُرُ
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدُّهَا مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُجْبِرُ

ثم إن معروفاً لم يأوها الخصلة حميدة فيها وإنما عمل معها هذا الإكرام ابتغاء مرضات الله تعالى . ثم إن دنيا زاد قالت لأختها شهرزاد : ما أطيب هذه الألفاظ التي هي أشد أخذاً للقلوب من سواحر الالحاظ ، وما أحسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة . فقالت شهرزاد : وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك ؟ فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، أصبح الملك منشرح الصدر ومنتظراً لبقية الحكاية وقال في نفسه : والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها . ثم خرج إلى محل حكمه وطلع الوزير على عاداته بالكفن تحت إبطه ، فمكث الملك في الحكم بين الناس طول نهاره وبعد ذلك ذهب إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عاداته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

□ ذهب الملك إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها أختها دنيزاد: أتممي لنا حكاية معروف. قالت: حياً وكرامة، إن أذن لي الملك بالحديث. فقال لها الملك: قد أدت لك بالحديث لأنني متشوق إلى سماع بقيته. قالت: بلغني أيها الملك، أن معروفاً صار لا يعتني بزوجه من أجل النكاح وإنما كان يطعمها احتساباً لوجه الله تعالى. فلما رآته ممتنعاً عن وصالها ومشتغلاً بغيرها، بغضته وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها إبليس أنها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه. ثم إنها خرجت ذات ليلة من الليلي ومشت من قصرها متوجهة إلى القصر الذي فيه زوجها الملك معروف. واتفق بالأمر المقدّر والقضاء المسطر أن معروفاً كان راقداً مع محظية من محظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال، ومن حسن تقواه كان يقطع الخاتم من إصبعه إذا أراد أن يجامع احتراماً للأسماء الشريفة التي هي مكتوبة عليه فلا يلبسه إلا على طهارة. وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها إلا بعد أن أحاطت علماً بأنه إذا جامع يقطع الخاتم ويجعله على الخدة حتى يتطهر. وكان من عادته أنه متى جامع يأمر المحظية أن تذهب من عنده خوفاً على الخاتم، وإذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه، وبعد ذلك كل من دخل القصر لا حرج عليه. وكانت تعرف هذا الأمر كله، فخرجت بالليل لاجل أن تدخل عليه في القصر وهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها. فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقتضي حاجة من غير نور، فقعده في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحاً عليه. فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي إلى جهة قصر أبيه. فقال في نفسه: يا هل ترى لأي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام وأراها متوجهة إلى قصر أبي؟ فهذا الأمر لا بد له من سبب. ثم إنه خرج وراءها وتبع أثرها من حيث لا تراه، وكان له سيف قصير من الجواهر وكان لا يخرج إلى ديوان أبيه إلا متقلداً بذلك السيف لكونه مستعزاً به، فإذا رآه أبوه يضحك عليه ويقول: ما شاء الله، إن سيفك عظيم يا ولدي ولكن ما نزلت به حرباً ولا قطعت به رأساً. فيقول له: لا بد أن أقطع به عنقاً يكون مستحقاً للقطع. فيضحك من كلامه. ولما مشى وراء زوجة أبيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه فوقف لها على باب القصر وصار ينظر إليها فرأها وهي تفتش وتقول: أين وضع الخاتم؟ ففهم إنها دائرة على الخاتم. فلم يزل صابراً عليها حتى لقيته فقالت: ها هو. والتقطته وأرادت أن تخرج فاختفى خلف الباب. فلما خرجت من الباب نظرت إلى الخاتم وقلبت في يدها وأرادت أن تدعه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة. فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده. فقال له: ما هذا يا ولدي؟ قال: يا أبي، كم مرة وأنت تقول لي: إن سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حرباً ولا قطعت به رأساً. وأنا أقول لك: لا بد أن أقطع به عنقاً مستحقاً للقطع فيها. أنا قد قطعت لك به عنقاً مستحقاً للقطع وأخبره بخبرها. ثم إنه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في أعضائها حتى رأى يدها منطبقه عليه، فأخذه من يدها ثم قال له: أنت ولدي بلا شك ولا ريب، أراحك الله في الدنيا والآخرة كما أرحمني من هذه الخبيثة، ولم يكن سعيها إلا لهلاكها. والله در من قال: [من الطويل]

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مُسْعِفًا تَأْتِي لَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُرَادَةٌ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ أَجْتِهَادُهُ

ثم إن الملك معروفاً زعق على بعض أتباعه فاتوه مسرعين، فاخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وأمرهم أن يأخذوها ويحطوها في مكان إلى الصباح . ففعلوا كما أمرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام ففسلوا وكفنها وعملوا لها مشهداً ودفنوها، وما كان مجيئها من مصر إلا لترابها . والله درّ من قال : [من الوافر]

مَشِينَا خَطِيئَةَ عَلَيْنَا وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةُ مَشَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيئُهُ بِأَرْضِ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

وما أحسن قول الشاعر : [من الوافر]

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
هَلْ الْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أُبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

ثم إن الملك معروفاً أرسل يطلب الرجل الحرّاث الذي كان ضيفه وهو هارب . فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته . ثم علم أن له بنتاً بديعة الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب، فتزوَّج بها وبعد مدة من الزمان زوَّج ابنه وأقاموا مدة في أرغد عيش وصفّت لهم الاوقات وطابت لهم المسرات إلى أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتّم البنين والبنات . فسبحان الحي الذي لا يموت وييده مقاليد الملك والملوكوت .

الخاتمة

وكانت شهرزاد في هذه المدة قد خلّفت من الملك ثلاثة أولاد ذكور . فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبّلت الأرض بين يدي الملك وقالت له : يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان ، إنني أنا جاريتك ولي ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواظب المتقدمين فهل لي في جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنية ؟ فقال لها الملك : تمنّي تعطي يا شهرزاد . فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم : هاتوا أولادي ! فجاؤوا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة أولاد ذكور : واحد منهم يمشي ، وواحد يحبّي ، وواحد يرضع . فلما جاؤوا بهم أخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبّلت الأرض وقالت : يا ملك الزمان ، هؤلاء أولادك وقد تمنّيت عليك أن تعتقني من القتل إكراماً لهؤلاء الأطفال ، فإنك إن قتلني يصير هؤلاء الأطفال من غير أم ولا وجدون من يحسن تربيتهم من النساء . فعند ذلك بكى الملك وضمّ أولاده إلى صدره وقال : يا شهرزاد ، والله إنني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية حرّة تقية ، بارك الله فيك وفي أبيك وأمك وأصلك وفرعك ، وأشهد الله عليّ أنني قد عفوت عنك من كل شيء يضرّك . فقبّلت يديه وقدميه وفرحت فرحاً زائداً وقالت له : أطال الله عمرك وزادك هبة ووقاراً . وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة ، وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ولونها أبيض من وجه النهار . وأصبح الملك مسروراً وبالخير مغموراً ، فأرسل إلى جميع العسكر فحضرُوا وخلع على وزيره أبي شهرزاد خلعة سنية جلييلة وقال له : سترك الله حيث زوجتني ابنتك الكريمة التي كانت سبباً لتوبتي عن قتل بنات الناس ، وقد رأيتها حرّة نقية عفيفة زكية ورزقني الله منها بثلاثة أولاد ذكور ، والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة . ثم خلع على كامل الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وأمر بزينة المدينة ثلاثين يوماً ولم يكلف أحداً من أهل المدينة شيئاً من ماله ، بل كامل الكلفة والمصاريف من خزانة الملك . فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ، ودقت الطبول وزمرت الزمور ، ولعبت كامل أرباب الملاعب ، وأجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدّق على الفقراء والمساكين وعمّ بإكرامه سائر رعيتيه وأهل مملكته وأقام هو ودولته في نعمة وسرور ولذة وحبور حتى أتاهم هادم اللذات ومفرّق الجماعات .

فسبحان من لا يفنيه تداول الأوقات ولا يعتره شيء
من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد
بصفات الكمال والصلاة والسلام على إمام حضرته
وخيرته من خليفته سيدنا محمد سيد الأنام
وتضرع به إليه في حسن الختام .

فهرس الحكايات

1	52	حكاية سندباد البحري
39	53	حكاية مدينة النحاس
55	54	حكاية الملك وولده والجارية والوزراء السبعة
56		حكاية الملك وزوجة وزيره
57		حكاية التاجر وزوجته والدرة
58		حكاية القصار وولده
58		حكاية اتهام غير عادل في زوجته
59		حكاية التاجر البخيل والخبز
59		حكاية امرأة مع العاشقين
60		حكاية ابن الملك والجارية الشنيعة المنظر
61		حكاية قطرة العسل
62		حكاية امرأة والدرهم الضائع
62		حكاية عين الماء المسحورة
65		حكاية ولد الوزير وزوجة الحمّامي
66		حكاية امرأة جميلة والشاب والحجور
68		حكاية الصانع والمقنية
70		حكاية الرجل الحزين
74		حكاية التاجر الغيور وابن الملك
75		حكاية الغلام ونقة الطير
76		حكاية امرأة والمعجبين الخمس
80		حكاية الدعوات الثلاث

80	حكاية العقد المسروق
81	حكاية الحمّامين
82	حكاية الأمير بهرام وجارية الملك الدتما
83	حكاية ابن التاجر والدار الحسن المليح
88	حكاية ابن الملك والجارية والعفريت
89	حكاية اللبن المسموم
90	حكاية الأعمى وابن ثلاث وخمس سنين
93	55 حكاية جودر الصياد وأخويه
114	56 حكاية عجيب وغريب
178	57 حكاية عتبة وريّا
181	58 حكاية طلاق هند بنت النعمان
182	59 حكاية خزيمة بن بشر وعكرمة الفياض
184	60 حكاية يونس الكاتب والوليد بن سهل
186	61 حكاية هارون الرشيد والبنت البدوية
187	62 حكاية الأصمعي والبنات الثلاث
189	63 حكاية إبراهيم الموصلّي وإبليس
191	64 عاشقان من بني عذرة
194	65 حكاية الأعرابي وزوجته الوفية
197	66 حكاية عاشقان من البصرة
200	67 إسحاق الموصلّي وإبليس
201	68 حكاية عاشقان من أهل المدينة
203	69 حكاية الملك الناصر ووزيره
204	70 حكاية دليلة المحتالة
217	حكاية علي الزبيق المصري

235	حكاية أردشير وحياة النفوس	71
264	حكاية جلنار ويدر باسم	72
288	حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال	73
321	حكاية حسن الصايغ	74
393	خليفة الصياد	75
412	مسرور وزين المواصف	76
443	حكاية علي نور الدين ومريم	77
499	حكاية الأمير شجاع الدين والامراة الإفرنجية	78
501	حكاية الفتى البغدادي والجارية	79
505	حكاية الملك جليعاد والشماس	80
507	حكاية الستور والفأر	
509	حكاية الناسك المدفوق عن رأسه السمن	
510	حكاية السمك في غدير الماء	
511	حكاية الغراب والحية	
512	حكاية حمار الوحش والتعلب	
513	حكاية ابن الملك السائح	
514	حكاية الغراب	
516	حكاية الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته	
517	حكاية العنكبوت والريح	
519	حكاية الملكين	
520	حكاية الأعمى والمقعد	
522	حكاية الأسد والصياد	
536	حكاية الثعلب والذئب	
537	حكاية الراعي واللص	

551	حكاية أبو قير وأبو صير	81
566	حكاية عبد الله البحري وعبد الله البري	82
576	حكاية هارون الرشيد وأبو الحسن العاني	83
585	حكاية إبراهيم وجميلة	84
596	حكاية أبي الحسن الخراساني	85
604	حكاية تمر الزمان وزوجة الجوهري	86
631	حكاية عبد الله بن فاضل وأخويه	87
653	حكاية الإسكافي معروف	88
679	الخاتمة	